







مَجْلَّةُ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ

مَجْلَّةُ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ جَامِعَةُ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ رَفِيعَةِ الْأُولَى كُلِّ شَيْءٍ عَرَبِيٍّ

١٠٥

المجلد الخامس والسبعون - القسم الأول

السنة ١٤٢٣ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢٠٢٠

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- من وحي الهجرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- من الجديد عن حادث الهجرة
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- دلائل القدرة الإلهية
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- هل كان ابن رشد فيلسوفاً مادياً؟
للككتور / محمد عمارة
- الهجرة تذكير وإيناس
للشيخ / الطاهر العامدي

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎

المحرم ١٤٢٣هـ - إبريل ٢٠٠٢م - الجزء الأول - السنة الخامسة والسبعون

من الجديد من حـ

- ١ -

منذ قررت مصر الاحتفال رسمياً بعيد الهجرة المحمدية في أول المحرم من كل عام، والصحف اليومية، والمجلات الدورية تمنح هذه المناسبة الكريمة قسطها الأوفى من التحليل والتفسير، بحيث لو جُمع ما كُتب في الصحف لكان مكتبة مستقلة، ولا أكتف القارىء أن أدباء الجيل الماضى كانوا أكثر اهتماماً بهذه المناسبة من أدباء اليوم، إذ كانت لدينا حينئذ مجلات أدبية، «كالرسالة» و«الثقافة» تصدر كل عام عدداً مستقلاً بذكريات الهجرة وما يجرى مجراها من أمجاد الإسلام على مدى عصوره المتلاحقة، وبكل عدد نوابغ الفكر العربى من كبار الأدباء يبسطون ويحللون، ويؤيدون ويدفعون، مما يجعل المناسبة الكريمة ذات صدق فكرى يتجاوب فى أرقى مستوياته، فيحيى الشعور، ويفسح طريق الأمل، ويزيد المؤمنين يقيناً واعتصاماً، ولا أنكر أن الإذاعات المختلفة تتجاوب بهذه الذكرى محتفلة محتشدة، ولكن الثمرة غير الثمرة، والأريج غير الأريج، لقد كان من عجائب الصدف أنى فى بعض هذه المناسبات، قد استمعت إلى حديث تقليدى عن الهجرة فى إذاعة ما، ثم أدركت المفتاح لأستمع إلى حديث مماثل فى إذاعة ثانية وثالثة ورابعة، وكانت النتيجة أن المتحدثين جميعاً يتشابهون ويتمثلون، فما فتح الله على أحد بطريف يدل على شخصيته! وكأن الموقف لا يتطلب إلا السرد التاريخى محوطة ببعض الآيات والأحاديث، مما يعرفه طلبة المدارس فى الصفوف الأولى! أين هذا كله من عددٍ ممتاز من مجلة شهيرة «كالرسالة» تسطع على القراء بما يخلب ويروع.

آدات الهجرة النبوية

حديث مشتهر

وقد رأيتُ أن أتحدث هذا العام عن بعض مواقف الهجرة التي تداولتها المصادر المتعددة في القديم، والمراجع المتداولة في الحديث، هذا الموقفُ هو موقف الشيخ النجدي في دار الندوة حين اجتمع المشركون للتأمر على حياة رسول الله ﷺ بعد أن انتقل المهاجرون من المسلمين إلى المدينة المنورة، فاستعاضوا أهلاً بأهل، والتف حول الإسلام من تعهدوا على نصرته ليلة العقبة مسترخضين دماءهم في ذات الله! وسيلحق رسول الله بهم فيصبح ذا شوكة حربية تقف للمشركين بالمرصاد، واذن فلا مفر من مواجهة الموقف في اجتماع دار الندوة، لتجتمع الكلمة المشتركة على أمر حاسم يدفع النذر الغاشية! وهو ما سجله الله في كتابه حين قال:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (١).

قلنا إن حديث الندوة ذائع مشتهر، ومع ذبوعه المدوي، نجده يحتاج إلى تعقيب مفيد، يبدد ما غشيه من ضباب ساعدت الكتب المتعاقبة على انتشاره، فكيف روى هذا الحديث في أوائل مصادره من كتب التراث.

إننا نرجع إلى ابن اسحاق في «سيرته» فنجده يقول ببعض التصرف:

«إن قريشاً اجتمعت في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون من أمر النبي ﷺ حين



خافوه، فغدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان يُسمَّى يوم الزَّحمة، فاعترضهم إبليس على هيئة شيخ جليل، فوقفَ على باب الدار، فقالوا: مَنْ الشيخ؟ قال: شيخٌ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتُم له، فحضرَ معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألاَّ يَعدمكم منه رأىٌ ونُصح، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش من كلِّ قبيلةٍ، من بنى عبد شمس شيبة وعتبة وأبوسفيان، ومن بنى نوفل طعيمة ابن عدى، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر، ومن بنى عبد الدار النضر بن الحارث ومن بنى أسد البختري بن هشام وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، ومن بنى مخزوم أبوجهل ومن بطون آخرين كلها من قريش!

فقال بعضهم: إنَّ هذا الرجل قد كان أمره ما كان، ومارأيتُم، وما نأمنُه أن يثب علينا بمن اتَّبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، قال: فتشاوروا، فمن قائلٍ: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه!

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا برأى، فلو حبستموه لخرجَ أمرُهُ من وراء الباب الذي أغلقتُموه دونه إلى أصحابه فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم.

ثم تشاوروا، فقال قائل، نُخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا، فإذا خرج عنا، فلا والله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع!

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا برأى، أما رأيُتم حسن حديثه، وحلاوة منطقته، وغلبته على قلوب الرجال، ولا نأمنُ أن يحلَّ على حىٍّ من العرب فيغلب عليهم، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم.

فقال أبوجهل: والله إنَّ لى فيه لرأيا، هو أن تأخذوا من كلِّ قبيلة، فتىَّ شابا جلدًا، نسيبا وسيطا، ومع كل فتى سيفٌ، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه فنستريح ويتفرَّق دمه في القبائل كلها، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا.

فقال الشيخ النجدي: القولُ ما قال الرجل، ولا رأىَ غيره، فتفرَّقوا وهم مجمعون على ذلك»

هذا ما جاء في المصدر الأول، وما ردَّته الكتب إلى يومنا هذا، ونحن لا ننكر الاجتماع، فقد ثبتَ بنصِّ القرآن الكريم، ولا ننكرُ أنهم انتهوا إلى وجوب اغتيال رسول الله ﷺ وقد مكروا ومكرَ الله، والله خير الماكرين! ولكننا نتساءل عن إبليس، وعن الشيخ النجدي الذي تراءى في صورته، وهل كان ماجء في الرواية بشأنه، ممَّا يعقل أن يتردَّد دون تعقيب.



٢- مؤرخ ناقـد

كان المؤرخ الإسلامى الكبير الأستاذ عبد الوهاب النجار ذا فكرٍ صَوَّالٍ دءوب، فهو يقف أمام كثير من المسلمات ليعصف بقرارها المطمئن، عن براهين دامغة، وأدلة حاسمة، إذ كان كما قال الأستاذ على الجارم فى رثائه:

لَهُ حَجَجٌ يَسْمِيهَا كَلَامًا وَمَا هِيَ غَيْرُ أَسِيافٍ تُسَلِّ
وَأَرَاءُ تَرَى فِيهَا ابْنَ بَحْرِ يَصُولُ كَمَا يَشَاءُ وَيَسْتَدِلُّ

وابنُ بحرٍ هو الجاحظ، وحسبك أن يقرن الجارمُ صديقه النجار بالجاحظ، وقد وقف الأستاذ النجار أمام حديث الشيخ النجدى موقف المرتاب، فذكر فى بحث ضاف نشره مُسلسلاً «بمجلة الإسلام» سنة ١٣٥٧هـ أنه يستريب فى هذا الأمر، إذ لا يُعقل أن تدخل قريش فى أمرها إنساناً لا تعلم عنه شيئاً إلا أنه نجدى، ولم لا يكون هذا النجدى عيناً للمسلمين ماداموا لم يعرفوا شيئاً من أمره فكيف أجازوا له التصدر دون احتياط، ثم إذا كان إبليس قد تزياً بزى الشيخ النجدى، فمن أنبأ القوم أنه إبليس، ولم لا يكون آدمياً حقاً، مع أن رؤية إبليس مُستبعدة، لأن الله - عز وجل - يقول عنه:

﴿إِنَّهُ يَرْنِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٢) ثم إن الله - عز وجل - قد سمى مؤامرة المشركين مكرًا، والمكر هو: التدبير فى الخفاء، فهل يكون منه أن يجتمع ممثلو القبائل جميعاً ماعداً بنى عبد مناف، وفيهم أصهارهم وأصدقاؤهم الذين يُسارعون فى نقل مائتمروا به، فيفسد المراد، وهل يجوز أن يحضر فى مثل هذا الأمر الخطير شخص غريب لا يدرون عنه شيئاً؟

هذا لبابُ ما قاله الأستاذ النجار، وأنا أضيف إليه، أن الثابت أن الاجتماع كان فى دار الندوة، وهى المنتدى العام الذى أنشأه قصي بن كلاب تجاه البيت الحرام، لترسم فيها خطط قريش التجارية، وما يكون من عقود الزواج، أو إعلان الحرب، أو عقد التحالف، وكان من شروط روادها، أن يتجاوز الواحد منهم سنَّ الشباب إلى الكهولة، بحيث لا يحضر غير المجربين من ذوى الحنكة والدهاء، فهل يعقل أن تُشترط الشروط الدقيقة فى أصحاب الندوة ثم يطرقها شيخ لا يعرف من أين جاء ليتصدر المجتمعين، وليكون صاحب الترجيح فيما يُقال، فهو يعترض على رأى الأول، ويخالف الرأى الثانى، ويختار رأى أبى جهل، فيكون اختياره موضع الحسم الصريح، وهو بعدُ، غريبٌ دخيل!!



إن حديث الشيخ النجدي لا يثبتُ لنقاش، وأذكرُ أنَّ الأستاذ محمد لطفي جمعة قد قال متهمًا بصده في كتابه (ثورة الإسلام) : يظهر أنَّ حضور الندوة كان مُباحاً للإنس والجنّ، حتى غشيها إبليس نفسه، وإذا كان شعراء أوروبا قد أشخصوا إبليس في قصّة فاوست لجيته، وهاملت لشكسبير بعد المسيح بسبعة عشر قرناً، فلا عجب إذا سبقهم العرب إلى ذلك، وفي اعتقادنا أنَّها خرافة تدل على أن زعيم القوم كان شيطانا.

ومن الحق أن نقول: إن تعقيب الأستاذ النجار، قد استغلّه كاتبٌ لاحق، دون أن يُشير إليه، وكأنّه قد اهتدى إليه من ذات نفسه! وهذا ممّا يجب أن يكونَ موضعَ المؤاخظة إذ يلزمُ اللاحق أن يعترف بما نقل عن السابق، وهو اعترافٌ يصفّه بالدقة والأمانة اللّتين ترفعان من قدره، أكثر ممّا يرفعه اختلاسٌ مشبوه.

ومن الطريف أن نذكر أن بعض كتّاب السيرة، وهو الصالحى صاحب (سبل الهدى والرشاد) قد ذكر في الجزء الثانى من كتابه فى حديثه عن بناء قريش للكعبة، حين حكمت رسول الله فى وضع الركن قبل مبعثه الشريف، ما خلاصته أن إبليس قد تصوّر فى هيكَل شيخ نجدى لينهى قريشاً عن تحكيم محمد بن عبد الله! واذن فلا إبليسَ سابقاً أولى فى زيّه النجدى! عند بعض المؤرخين. وهذا ما يُستبعدُ تماماً، إذ لو كان له من الحقيقة أصل ثابت، لتداوله كتّاب السيرة من قبل الصالحى ومن بعده وهم كثيرون.

- ٣ -

ونشير إلى ناحية أخرى مما سجّله الكاتبون عن حادث الهجرة، فقد عمد بعض أصحاب الروايات القصصية إلى أسلوب خيالى فى وصف الرحلة الشاقة التى قام بها رسول الله ﷺ مع صديقه أبى بكر فى أشدّ ضروب الكيد والحيلة من قريش، إذ تحدّثوا عن هذه الرحلة المضنية وكأنها نزهةٌ ترفيهية، حيث إنّ عناية الله فى تصوّرهم قد مهدت الطريق دون عقبات، وأنا أعلم أن عناية الله قد حاطت نبيّه الكريم فى شتى المواقف، ولكن هذه العناية قد امتحنته بشتى الصعاب المرهقة، ليكون مثلاً يحتذى عند الشدائد، فإذا كان الرسول قد تعرض للمحن فى مواقف كثيرة كيوم الهجرة ويوم أحد، ومطلع غزوة حنين، فذلك مما أَرَادَهُ الله لقائد الأمة المحتذى، ودليلها البصير فى حالك الأزمات! وهذا ما غفل عنه من جعلوا رحلة الهجرة نائية عن المشاق، بعيدة عن العقبات، لقد كان هناك طريقان يسلكهما السائر من مكة إلى المدينة، الطريق الشرقى المحاذى لنجد، ويجاوز طوله ثلاثمائة ميل والطريق الغربى





المحاذي للبحر الأحمر ويبلغ مائتين وخمسين ميلاً، وطبيعي أن يكون الطريق القصير نسبياً هو المختار، ولكن الدليل لم يسر على سنته بالمهاجرين، فأخذ ينحرف عن الاتجاه المباشر يميناً ويسرة، كلما أحس بتربص المتابعين من قريش، وقد عينوا الأرصاد في أماكن شتى، فكان هذا الانحراف المتكرر في صحراء مرهقة، وجبال صماء، وقيظ محرق، ورياح تذر الرمال، مما أمدّ أجل الرحلة القاسية، فوصل الصاحبان إلى مشارف المدينة بعد ثمانية أيام لم تخل لحظةً فيها من عناء، ثم تلبثا ثلاثة أيام في قباء، ينشدان الراحة من عناء مطبق، ليستقلا بعد ذلك إلى المدينة، فعلى الذين يكتبون السيرة بأسلوب الروائي ألا يتجاوزوا هذه الحقائق لما تحمل من عبر ساطعات، ثم إن الاستقبال الحار للرسول بالمدينة لم يمنع بعد فترة قصيرة أن يضيق المهاجرون بجو المدينة الذي لم يألّفوه فكان ممن اشتد بهم المرض أبوبكر وبلال، وعامر ابن فهيرة، حتى أنشد الصديق في مرضه:

كل امرئ مُصَبِّحٌ في أهله والموت أدنى من شـراك نعله
وقد تألم الرسول لما نزل بأصحابه فرفع يده إلى السماء قائلاً: «اللهم طيّب لنا المدينة كما طيّبت لنا مكة وبارك لنا في مدّها وصاعها!

إن الهجرة درس من دروس الأخلاق العملية، ذات المشاق الجسام، وعلى الكاتبين أن يبرزوا هذه المشاق ليكون للمسلمين في رسولهم بالغ الأسوة، وأى مشقة أقسى من هجرة فردٍ أعزل، تبذل قريش المتغطرسة مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً! وهناك عشرات من خابري الدروب، وعارفي منعرجات الطرق قد بهرهم الجزاء الضخم، فحدثتهم الأمانى أن ينهضوا في كل فج، وأن يرصدوا كل مكن، ليفوزوا بالغنم الهائل: وقد فعلوا، ولكن الله الذي أعمى أبصارهم، وهم أمام حجرة الرسول ليلة هجرته، قد أعمى أبصارهم، فعادوا خاسرين،

هذا بعض ما يقال في حديث الهجرة، وخواطر المؤمنين حول حادثتهما السعيد، لا تقف عند حد، فلعلّى أعود إليها من جديد.

د. محمد رجب البيومي



من وحى الهجرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَالَكُمُ إِذْ أَقِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا أَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَثَافِي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ لِكَلِمَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

التوبة : ٣٨ - ٤٠

بمناسبة ذكرى
هجرة رسول الله
ﷺ نقدم هذه
الآيات من تفسير
فضيلة الإمام
الأكبر لسورة
التوبة بدءاً من
الآية رقم ٣٨ إلى
الآية رقم ٤٠.
وقد بدأت
الآيات حديثها عن
غزوة تبوك
بتوجيه نداء إلى
المؤمنين نعت فيها
على المتأقلين عن
الجهاد، وحرّضت
عليه بشتى ألوان
التحريض.



كان منهم من جبن ومن تخذيل الناس عن القتال، ومن تحريض لهم على القعود وعدم الخروج.

«وبعد أن وصل الرسول ﷺ والمؤمنون إلى تبوك، لم يجدوا جموعاً للروم. فأقاموا هناك بضعة عشرة ليلة، ثم عادوا إلى المدينة»^(٢).

وقوله - سبحانه - : ﴿ **أَنْفِرُوا** ﴾ من النفر وهو التنقل بسرعة من مكان إلى مكان لسبب من الأسباب الداعية لذلك.

يقال: نفر فلان إلى الحرب ينفر، وينفر نفراً ونفوراً، إذا خرج بسرعة ويقال: استنفر الإمام الناس، إذا حرضهم على الخروج للجهاد. ومنه قوله ﷺ :

«وإذا استنفرتم فانفروا» أى: وإذا دعاكم الإمام معه للجهاد فاخرجوا معه بدون ثقيل.

واسم القوم الذين يخرجون للجهاد: النفير والنفرة والنفر.

ويقال: نفر فلان من الشيء، إذا فزع منه، وأدبر عنه، ومنه قوله - تعالى - :

﴿ **وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نَقُورًا** ﴾^(٣)

وقوله: ﴿ **أَنَا قَلْتُمْ** ﴾: من الثقل ضد الخفة. يقال: ثاقل فلان عن الشيء، إذا تباطأ عنه ولم يهتم به.. ويقال: ثاقل القوم: إذا لم ينهضوا

قال الإمام ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر، وحمارة القيظ^(١).

وتبوك: اسم لمكان معروف في أقصى بلاد الشام من ناحية الجنوب، ويبعد عن المدينة المنورة من الجهة الشمالية بحوالى ستمائة كيلو متر.

وكانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة، وهي آخر غزوة لرسول الله ﷺ.

وكان السبب فيها أن الرسول ﷺ بلغه أن الروم قد جمعوا له جموعاً كثيرة على أطراف الشام، وأنهم يريدون أن يتجهوا إلى الجنوب لمهاجمة المدينة.

فاستنفر ﷺ الناس إلى قتال الروم، وكان ﷺ قلما يخرج إلى غزوة إلا ورى بغيرها حتى يبقى الأمر سراً.

ولكنه في هذه الغزوة صرح للمسلمين بوجهته وهي قتال الروم، وذلك لبعد المسافة، وضيق الحال، وشدة الحر، وكثرة العدو.

وقد لبى المؤمنون دعوة رسولهم ﷺ لقتال الروم، وصبروا على الشدائد، والمتاعب وبذلوا الكثير من أموالهم، ولم يتخلف منهم إلا القليل.

أما المنافقون وكثير من الأعراب، فقد تخلفوا عنها، وحرصوا غيرهم على ذلك، وحكت السورة - في كثير من آياتها - ما

(١) تفسير ابن كثير (٣٩/٢) بتصرف وتلخيص.

(٢) لمعرفة تفاصيل غزوة تبوك راجع «سيرة ابن هشام» (١٥٩/٤) طبعة الحلبي.

(٣) سورة الإسراء الآية (٤٦).



﴿أَتَأَقْلَسُمُ﴾ على تضمينه معنى الميل إلى الراحة، والإخلاق إلى الأرض، ولذا عدى بإلى .
أى : اتأقلمت مائلين إلى الراحة وإلى شهوات الدنيا الفانية، وإلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكرهتم الجهاد مع أنه ذروة سنام الإسلام .

وإن التعبير بقوله - سبحانه - :

﴿أَتَأَقْلَسُمُ﴾ لفى أسمى درجات البلاغة، وأعلى مراتب التصوير الصادق، لأنه بلفظه وجرسه يمثل الجسم المسترخى الثقيل الذى استقر على الأرض . . والذى كلما حاول الرافعون أن يرفعوه عاد إليه ثقله فسقط من بين أيديهم، وأخذ إلى الأرض .

وذلك لأن ما استولى عليه من حب للذائد الدنيا وشهواتها، أثقل بكثير من حبه لنعيم الآخرة وخيراتها .

وقوله سبحانه - :

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾
إنكار آخر لتباطعهم عن الجهاد، وتعجب من كونهم إلى الدنيا مع أن إيمانهم يتنافى مع ذلك .
وقوله :

﴿فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾
بيان لحقارة متاع الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة الدائم .
والمعنى : أى شىء حال بينكم، أيها المؤمنون، وبين المسارعة إلى الجهاد عندما دعاكم رسولكم ﷺ إليه .
أرضيتم براحة الحياة الدنيا ولذائدها الناقصة .

لنجدة المستجير بهم . وأصل ﴿أَتَأَقْلَسُمُ﴾
تأقلمت، فأبدلت التاء ثاء ثم أدغمت فيها، ثم اجتلبت همزة الوصل من أجل التوصل للنطق بالساكن .
والمعنى : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله :

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقْلَسُمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾

أى : ما الذى جعلكم تباطعتم عن الخروج إلى الجهاد، حين دعاكم رسولكم ﷺ إلى قتال الروم، وإلى النهوض لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه ؟
وقد ناداهم - سبحانه - بصفة الإيمان، لتحريك حرارة العقيدة فى قلوبهم، وتوجيه عقولهم إلى ما يستدعيه الإيمان الصادق من طاعة لله ولرسوله . والاستفهام فى قوله :

﴿مَا لَكُمْ﴾ لإنكار واستبعاد صدور هذا التثاقل منهم، مع أن هذا يتنافى مع الإيمان والطاعة .

قال الجمل : و ﴿مَا﴾ مبتدأ، و ﴿لَكُمْ﴾ خبر، وقوله : ﴿أَتَأَقْلَسُمُ﴾ حال . وقوله :

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ ظرف لهذه الحال مقدم عليها . والتقدير : أى شىء ثبت لكم من الأعذار . حال كونكم متثاقلين فى وقت قول الرسول لكم : انفروا فى سبيل الله (٤) .

وقوله : ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ متعلق بقوله :

(٤) حاشية الجمل على الجلالين (٢٨٢/٢) .

ثم هددهم - سبحانه بالعذاب الأليم، إن لم ينفروا للجهاد في سبيله فقال:

﴿الْأَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾

أى: ﴿الْأَنْفِرُوا﴾، أيها المؤمنون، للجهاد كما أمركم رسولكم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ الله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا بإنزال المصائب، بكم، وفي الآخرة بنار جهنم.

وقوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أى: ويستبدل بكم قوما يطيعون رسوله في العسر واليسر، والمنشط والمكره.. كما قال:

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٧).

قال صاحب المنار: قيل المراد بهؤلاء القوم: أهل اليمن، وقيل: أهل فارس وليس في محله، فإن الكلام للتهديد، والله يعلم أنه لا يقع الشرط ولا جزاؤه.

وإنما المراد يطيعونه - سبحانه - ويطيعون رسوله، لأنه قد وعده بالنصر؛ وإظهار دينه، فإن لم يكن هذا الإظهار بأيديكم. فلا بد أن يكون بأيدي غيركم ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (٨).

وقد مضت سنته تعالى بأنه لا بقاء للأمم التي تتناقل عن الدفاع عن نفسها وحفظ حقيقتها

إن كان أمركم كذلك، فقد أخطأتم الصواب، لأن متاع الحياة الدنيا مهما كثر فهو قليل مستحقر بجانب متاع الآخرة الباقي، ونعيمها الخالد.

قال الآلوسى ما ملخصه: ﴿فِي﴾ من قوله:

﴿فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾.

تسمى بفى القياسية. لأن المقيس يوضع في جنب ما يقاس به. وفي ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها، ويستدعى الرغبة فيها، وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة ورفعته.

وقد أخرج أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن المستورد، أخى بنى فهر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه هذه فى اليم، فلينظر بم ترجع» (٥).

وقال الفخر الرازى: أعلم أن هذه الآية تدل على وجوب الجهاد فى كل حال، لأنه سبحانه نص على أن تتناقلهم عن الجهاد أمر منكرو، ولو لم يكن الجهاد واجبا لما كان هذا التناقل منكرا. وليس لقائل أن يقول: الجهاد إنما يجب فى الوقت الذى يخاف هجوم الكفار فيه، لأنه ﷺ، ما كان يخاف الروم عليه، ومع ذلك فقد أوجب الجهاد معهم.. وأيضا هو واجب على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين. والخطاب فى الآية للمؤمنين الذين تقاعسوا فى الخروج إلى غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ (٦).

(٦) تفسير الفخر الرازى (بتصرف وتلخيص) (٦٠/١٦).

(٨) سورة الحج (٤٧).

(٥) تفسير الآلوسى (٨٥/١٠).

(٧) سورة محمد الآية (٣٨).

وسيادتها، ولا تتم فائدة القوة الدفاعية والهجومية إلا بطاعة الإمام، فكيف إذا كان الإمام والقائد هو النبي الموعود من ربه بالنصر^(٩).

والضمير فى قوله: ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْءٌ﴾ يعود إلى الله تعالى -.

أى: إن تباطم أيها المؤمنون عن الجهاد، يعذبكم الله عذاباً أليماً ويستبدل بكم قوماً سواكم لنصرة نبيه، ولن تضروا الله شيئاً من الضرر بسبب تقاعسكم. لأنكم أنتم الفقراء إليه، وهو سبحانه الغنى الحميد.

وقيل: الضمير يعود للرسول ﷺ أى: ولا تضروا الرسول شيئاً ما من الضرر بسبب ثاقلكم عن الجهاد، لأن الله قد وعده بالنصر ووعدته كائن لا محالة.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييل مؤكدا لما قبله.

أى: والله تعالى - على كل شيء من الأشياء قدير، ولا يعجزه أمره، ولا يحول دون نفاذ مشيئته حائل، فامتثلوا أمره لتفوزوا برضوانه.

فأنت ترى أن هذه الآية وسابقتها قد اشتملت على أقوى الأساليب التى ترغب فى الجهاد، وترهب من النكوص عنه، وتبعث على الطاعة لله ولرسوله.

ثم ذكرهم - سبحانه - بما يعرفونه من حال الرسول ﷺ حيث نصره الله تعالى على أعدائه بدون عون منهم، وأيده بجنود لم يروها فقال:

﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾.

قال ابن جرير: هذا إعلام من الله لأصحاب رسوله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه، وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم بأنه فعل ذلك به، وهو من العدد فى قلة، والعدو فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة^(١٠).

والمعنى: إنكم أيها المؤمنون، إن أثرتم القعود والراحة على الجهاد وشدائده، ولم تنصروا رسولكم الذى استنفركم للخروج معه. فاعلموا أن الله سينصره بقدرته النافذة، كما نصره، وأنتم تعلمون ذلك، وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة ﴿ثَافِكِ أَثْنَيْنِ﴾ أى: أحد اثنين.

والثانى: أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

يقال: فلان ثالث ثلاثة، أو رابع أربعة.. أى: هو واحد من الثلاثة أو من الأربعة.

فإذا قيل: فلان رابع ثلاثة أو خامس أربعة، فمعناه أنه صير الثلاثة أربعة بإضافة ذاته إليهم، أو صير الأربعة خمسة.

وأسند - سبحانه - الإخراج إلى المشركين مع أن الرسول ﷺ قد خرج بنفسه بإذن من الله - تعالى - لأنهم السبب فى هذا الخروج حيث اضطروه إلى ذلك، بعد أن تأمروا على قتله.

قيل: وجواب الشرط فى قوله:

﴿إِلَّا نَضُرُّهُ﴾ محذوف وقوله:

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ تعليل لهذا المحذوف.

(١٠) تفسير ابن جرير (١٣٥/١٠).

(٩) تفسير المنار (٥٩٥/١٠) بتصرف وتلخيص.



والتقدير: إلا تنصروه ينصره الله في كل حال .

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ﴾ سبحانه وقت أن أخرجه الكافرون من بلده ولم يكن معه سوى رجل واحد .

وقال صاحب الكشف: فإن قلت . كيف يكون قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ جواباً للشرط؟ .

قلت: «فيه وجهان» أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد . ولا أقل من الواحد، فدل بقوله:

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت .

والثاني . أنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت . فلن يخذل من بعده^(١١) .

وقوله: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنِ﴾ حال من الهاء في

قوله ﴿أَخْرَجَهُ﴾ أى أخرجه الذين كفروا حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - .

وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بدل من قوله:

﴿إِذَا أَخْرَجَهُ﴾ .

والغار: النقب العظيم يكون في الجبل . والمراد به هنا: غار جبل ثور . وهو جبل في الجهة الجنوبية لمكة، وقد مكثا فيه ثلاثة أيام .

وقوله:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾

بدل ثان من قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَهُ﴾ .

أى: إلا تنصروه فقد نصره الله وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة، ووقت أن كان هو وصاحبه أبو بكر في الغار، ووقت أن كان ﷺ يقول لصاحبه الصديق: «لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره وحمايته» .

وذلك أن أبا بكر وهو مع النبي ﷺ في الغار، أحس بحركة المشركين من فوق الغار، فخاف خوفاً شديداً لا على حياته هو، وإنما على حياة النبي ﷺ فلما رأى النبي ﷺ منه ذلك، أخذ في تسكين روعه وجزعه وجعل يقول له:

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ .

أخرج الشيخان عن أبي بكر قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم على رؤوسنا فقللت . يارسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا»^(١٢) .

وقوله:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾

وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾

بيان لما أحاط الله به نبيه ﷺ من مظاهر الحفظ والرعاية .

(١١) تفسير الكشف (٢/٢٧٢) .

(١٢) أخرجه البخارى فى تفسير سورة التوبة (٦/٨٣) وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة (٧/١٠٨) .





﴿عَلَيْهِ﴾ عائداً إلى النبي ﷺ حتى لا يحصل تفكك في الكلام.

أما نزول السكينة فلا يلزم منه أن يكون لدفع الفزع والخوف، بل يصح أن يكون لزيادة الاطمئنان، وللدلالة على علو شأنه ﷺ. قال ابن كثير قوله:

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أى. تأييده ونصره عليه أى. على الرسول ﷺ في أشهر القولين. وقيل. على أبى بكر.

قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينته. وهذا لا ينافي تجدد سكينته خاصة بتلك الحال، ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ أى: الملائكة (١٣).

وقوله:

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا
الشُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْغَلِيظُ﴾

بيان لما ترتب على إنزال السكينة والتأييد بالملائكة.

وقوله بكلمة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. كلمة الشرك، أو كلمتهم التى اجتمعوا عليها فى دار الندوة وهى اتفاقهم على قتل رسول الله ﷺ.

والمراد بكلمة الله: دينه الذى ارتضاه لعباده، وهو دين الإسلام، وما يترتب على اتباع هذا الدين من نصر وحسن عاقبة، أى: كانت نتيجة إنزال السكينة والتأييد بالملائكة، أن جعل كلمة

والسكينة: من السكون، وهو ثبوت الشيء؛ بعد التحرك. أو من السكن بالتحريك وهو كل ما سكنت إليه نفسك، واطمأنت به من أهل وغيرهم.

والمراد بها هنا: الطمأنينة التى استقرت فى قلب النبي ﷺ فجعلته لا يبالي بجموع المشركين المحيطين بالغار، لأنه واثق بأنهم لن يصلوا إليه.

والمراد بالجنود المؤيدين له. الملائكة الذين أرسلهم سبحانه لهذا الغرض: والضمير فى قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى النبي ﷺ.

أى: فأنزل الله سكينته وطمأنينته وأمنه على رسوله ﷺ وأيده وقواه بجنوده من الملائكة لم تروها أنتم، كان من وظيفتهم حراسته وصرف أبصار المشركين عنه.

ويرى بعضهم أن الضمير فى قوله:

﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى أبى بكر الصديق، لأن الأصل فى الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور هنا هو الصاحب ولأن الرسول لم يكن فى حاجة إلى السكينة. وإنما الذى كان فى حاجة إليها هو أبو بكر، بسبب ما اعتراه من فزع وخوف.

وقد رد أصحاب الرأى الأول على ذلك بأن قوله: ﴿وَأَيَّدُهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ الضمير فيه لا يصح إلا للنبي ﷺ وهو معطوف على ما قبله فوجب أن يكون الضمير فى قوله:

(١٣) تفسير ابن كثير (٢/٣٥٨).



لمضمون ما قبله .

أى : والله تعالى : ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه

غالب ، ولا يقهره قاهر ، ولا ينصر من عاقبه ناصر ،
﴿حَكِيمٌ﴾ فى تصرفه شأن خلقه ، لا قصور
فى تدبيره ، ولا نقص فى أفعاله .

هذا ، ومن الأحكام التى أخذها العلماء من
هذه الآية : الدلالة على فضل أبى بكر الصديق -
رضى الله عنه - وعلى علو منزلته ، وقوة إيمانه ،
وشدة إخلاصه لله تعالى ولرسوله ﷺ .

ومما يشهد لذلك ، أن الرسول ﷺ عندما أذن
الله له بالهجرة ، لم يخبر أحدا غيره لصحبته فى
طريق هجرته إلى المدينة .

ولقد أظهر الصديق - رضى الله عنه - خلال
مصاحبته للرسول ﷺ الكثير من ألوان الوفاء
والإخلاص وصدق العقيدة (١٤) .

قال الألوسى ما ملخصه : واستدل بالآية على
فضل أبى بكر . . فإنها خرجت مخرج العتاب
للمؤمنين ما عدا أبا بكر . . فعن الحسن قال :
عاتب الله جميع أهل الأرض غير أبى بكر فقال :

﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ الآية .

ولأن فيها النص على صحبته للرسول ﷺ ولم
يثبت ذلك لأحد من الصحابة : لأنه هو المراد
بالصاحب فى قوله : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾

وهذا مما وقع عليه الإجماع .

الشرك هى السفلى ، أى . المقهورة الذليلة . وكلمة
الحق والتوحيد المتمثلة فى دين الإسلام هى العليا
أى : هى الثابتة الغالبة النافذة .

وقراءة الجمهور برفع ﴿كَلِمَةً﴾ على
الابتداء . وقوله : ﴿هِيَ﴾ مبتدأ ثان : وقوله :
﴿أَعْلَى﴾ خبرها ، والجملة خبر المبتدأ الأول .

ويجوز أن يكون الضمير ﴿هِيَ﴾ ضمير
فصل ، وقوله : ﴿أَعْلَى﴾ هو الخبر وقرأ
الأعمش ويعقوب ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ بالنصب
عطفًا على مفعول جعل وهو :

﴿كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

أى : وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ،
وجعل كلمة الله هى العليا .

قالوا : وقراءة الرفع أبلغ وأوجه ، لأن الجملة
الاسمية تدل على الدوام والثبوت ، ولأن الجعل لم
يتطرق إلى الجملة الثانية وهى قوله :

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى﴾ لأنها فى ذاتها
عالية ثابتة ، بدون جعلها كذلك فى حادثة
معينة . بخلاف علو غيرها فهو غير ذاتى ، وإنما هو
علو مؤقت فى حال معينة ، ثم مصيرها إلى الزوال
والخذلان بعد ذلك .

وقوله : ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تذييل مقرر

(١٤) راجع قصة الهجرة فى كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٠/٢) طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٥ .

هجرة الرسول والطبع العربي (*)

لأستاذ الدكتور / علي عبد الواسع والفي

إعداد الشيخ / علي حارس عبد الرحيم

زود الله الشعب العربي المجيد بصفيتين كريمتين لعلهما لم يتوافرا في أي شعب آخر بمقدار توافرهما لديه: إحداهما شدة التعلق بالوطن الأصلي؛ والأخرى شدة الميل إلى التنقل والهجرة، وشاءت قدرة الباريء الحكيم. وقد كرم هذا الشعب، وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً، وخصه في سلم الرقي الاجتماعي واللغوي بأمور تعد من قبيل المعجزات. أن يخصصه بمعجزة أخرى في ميوله النفسية، فزوده بهذين الميلين المتضادين المتنافرين (التعلق بالوطن والميل إلى الهجرة)، ولكنه ألف بينهما في نفوس أفراد، فأصبحا بنعمته منسجمين تمام الانسجام، يشد كلاهما أزر الآخر ويكمل نقصه ويخفف من غلوائه.

الشنفرى شاعرهم الجاهلي:
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيهما لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ
سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل
ويقول أدباء العرب: إن أقذع ذم وجه إلى
عربي هو قول الخطيئة يهجو الزبرقان بن بدر
ويناضل عن بغض بن لآي:

فما كان العربي لتنسيه هجرته حقوق وطنه
الأول، ولا لتنال من مكانته عنده، أو تنقص من
حبه له أو حنينه إليه.
وما كان تعلقه بوطنه الأول ليحول بينه وبين
الهجرة منه إذا كان في هجرته رفع لشأن بلاده، أو
توسيع لرقعة ملكها، أو مد لنفوذا وسلطانها، أو
تخفيف من أعبائها، أو دفاع عن مذهب يقتنع
به، أو فرار من ضيم أصابه، أو ابتغاء للرزق، أو
سعى لبغية المكارم والمجد. وفي هذا يقول

(*) مجلة الرسالة (العدد الممتاز) ٦ يناير سنة ١٩٤٧.



دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أما حبهم لأوطانهم الأولى، وشدة حنينهم إليها، فلا أدل على ذلك من حنين الرسول ﷺ إلى مكة بعد هجرته منها، مع أن أهلها قد أخرجوه منها وساموه وشيعته سوء العذاب، ومع أنه قد كان في هجرته منها نشر للإسلام وتوطيد لدعائمه. فقد روى أن أصيلاً الغفاري قدم المدينة على رسول الله ﷺ من مكة قبل أن يضرب الحجاب؛ فقالت له عائشة: «كيف تركت مكة؟»؛ فقال: «اخضرت جنباتها، وابيضت بطحاؤها، وأحجن ثمامها، وأغدق إذخرها، وأنشر سلمها»^(١)؛ فقال رسول الله ﷺ: «وقد أثار هذا حنينه إلى وطنه الأصلي: (حسبك يا أصيل لا تحزنني» وفي رواية: «إيها يا أصيل! تدع القلوب تفر»^(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ في مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك». وعن الضحاك رضي الله عنه أنه قال: «لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل -الله تعالى- عليه:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾^(٣)

(قال أي مكة)^(٤)، ولا أدل كذلك على حب العرب لأوطانهم الأولى وشدة حنينهم إليها من عنايتهم في وثنيتهم بالحج إلى مكة، حتى لقد ارتقت هذه الشعيرة لديهم إلى مصاف الفرائض الدينية الهامة. وما الحج في نشأته الأولى إلا مظهر من مظاهر حنين العرب إلى وطنهم الأول ومنشأ أجدادهم الأولين وهو الحجاز. فمن المحقق أن الحجاز كان المهد الأصلي للشعب العربي، ومنه انتشر هذا الشعب الكريم في جميع أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العالم.

وأما شدة ميلهم إلى الهجرة كلما دعاهم إلى ذلك داع جدى فلا أدل عليه من هجراتهم المتوالية في فجر تاريخهم وفي عصور جاهليتهم وإسلامهم.

فمن الحجاز واليمن اتجهت في فجر التاريخ موجات الهجرة العربية إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم.

فمن هذا القسم نزع الساميون إلى العراق وغزوا بلاد السومريين وغلبوهم على أمرهم وأنشأوا مملكة بابل -ومن هذا القسم كذلك نزع

(١) أحجن أي بدا ورقه؛ والثمام على وزن غراب نبت يسد به خصاص البيوت الواحدة ثمامة؛ وأغدق أي أزهق؛ والإنخر حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب؛ وأنشر أي خرج ورقه واكتسى، والسلم والطلح واحد، والحديث مروي عن الخطابي في غريب الحديث عن الزهري.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) القصص (٨٥).

(٤) رواه الإمام أحمد، قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره أنه سمع النبي ﷺ .. إلخ.





تتابع هجراتهم وكثرة تنقلاتهم عدم خصوبة أرضهم، واشتغال معظمهم بمهنة الرعى، وسعيهم وراء الكلا والماء وساعد على ذلك أيضا كثرة حروبهم الأهلية التي لم يكد يخدم لها سعي في هذه العصور؛ فكانت القبيلة التي تكون في موطنها عرضة للعدوان أو تغلب على أمرها تنزح في الغالب عن ديارها؛ كما حدث لمعظم بطون تغلب بعد أن هزمتها بكر في حرب البسوس.

أما هجراتهم بعد الإسلام فحدث عنها ولا حرج؛ فقد انتشروا في جميع بلاد العالم المتحضر في ذلك العصر من الصين شرقا إلى الأندلس غربا، ومن أقاصى السودان جنوبا إلى آسيا الصغرى والبلقان وفرنسا وإسبانيا شمالا، فنشروا في هذه البلاد دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم ودمهم العربي، وأسسوا بنيان ملكهم فيها على تقوى من الله ورضوان وفي هذا يقول شاعرهم الرحالة أبودلف (وهو خزرجي من سلالة الأنصار الكرام) :

فنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل في كل أرض خيلنا تسرى
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر

فلم يكن إذن حادث هجرة الرسول ﷺ وجماعة من أصحابه من مكة إلى المدينة غريبا على الطبع العربي؛ بل كان هذا الطبع يحتمه تحتيا في مثل الظروف التي تمت فيها هذه الهجرة، كما حتم من قبل ذلك في ظروف مشابهة لهذه الظروف هجرة نفر إلى

الساميون إلى الشمال فتكونت من سلالاتهم الشعوب التي عرفت باسم الشعوب الكنعانية وهي التي تفرع منها الفينيقيون والعبريون - ومن هذا القسم كذلك هاجر بعض قبائل الإسماعيليين (أى أولاد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -) إلى خليج العقبة حيث تكون من سلالاتهم الشعب النبطي وهو مخترع الخط النبطي المتصل الحروف الذى انشعب منه خطنا العربى الحالى - ومن هذا القسم كذلك هاجر عرب الرعاة أو الهكسوس إلى مصر حيث أنشئوا ملكا كبيرا ونشروا حضارتهم العربية على ضفاف النيل - ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أقدم العصور قبائل عربية كثيرة إلى الهند والحبشة والسودان وشمال أفريقيا وشرقها - ومن هذا القسم كذلك هاجر فى أوائل التاريخ الميلادى بعض القبائل المعدية (أولاد معد) التى كانت تقطن الحجاز إلى الشام، وبعض القبائل القحطانية التى كان موطنها اليمن إلى الشمال والشرق . فنزلت منها غسان بالشام والأوس والخزرج بالمدينة (وهاتان القبيلتان الأخيرتان قحطانيتان هاجرتا من اليمن إلى المدينة وإليهما هاجر الرسول ﷺ وفيهما تكون الأنصار رحمة - الله عليهم ورضوانه -) .

وكذلك كان شأن العرب فى عصورهم التاريخية السابقة للإسلام مباشرة، والتى اشتهرت باسم العهد الجاهلى . وقد جمعت لنا كتب الأدب طائفة كبيرة من أخبار هجراتهم وتنقلاتهم إلى مختلف أرجاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد العالم؛ حتى إننا لانكاد نجد قبيلة استقرت فى موطنها الأصلي . وقد ساعد على





﴿وَالَّذِينَ يَبُوءُوا الدَّارَ وَالْآيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥)

وثالثها: أن أهل المدينة وضواحيها كانوا أكثر استعداداً لقبول فكرة التوحيد التي جاء بها الدين الإسلامي من بقية أهل الحجاز ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كثرة احتكاكهم بالموحدين من اليهود والنصارى الذين كانت تتألف منهم حينئذ جاليات كبيرة عربية وغير عربية في المدينة نفسها وفيما يتاخمها من مواطن، صحيح أنه قد ظهرت بمكة قبيل الإسلام مدرسة الحنيفيين الموحدين الذي انصرفوا عن الشرك والوثنية (ومن أجل ذلك سمو بالحنيفيين أى المنحرفين) وعبدوا الله وحده على ملة إبراهيم وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان وكان من هؤلاء محمد بن عبد الله نفسه قبل أن يبعث رسولا، كما كان منهم نفر من قریش، ولكن أعضاء هذه المدرسة كانوا يتألفون من بعض النابهين والمتفلسفين من سكان مكة، أما دهماء الشعب نفسه فكانت شديدة التعلق بدينها الوثنى، سادرة في ضلالها القديم، تقتفى آثار آبائها فيما كانوا يعبدون وهذا هو عكس ما كان عليه الأمر في المدينة فمع أنه لم ينشأ في الأوس والخزرج مدرسة متفلسفة كمدرسة الحنيفيين بمكة فإن السواد الأعظم من الشعب نفسه كان مهيتا تهيتة كبيرة لعقيدة التوحيد.

بلاد الحبشة وإلى المدينة نفسها من السابقين الأولين إلى الإسلام. فقد أشرنا فيما سبق إلى أن العربى كان يندفع بطبعه إلى الهجرة من بلاده إذا دعاه إلى ذلك داع من مصلحة عامة أو خاصة أو أصابه ضيم بين عشيرته وهذه الأسباب جميعا كانت متوافرة فى هجرة الرسول ﷺ.

ومع أن أهل المدينة كانوا يتألفون حينئذ من قبائل قحطانية تختلف فى أصولها الشعبية عن القبائل العدنانية التى ينتمى إليها الرسول ﷺ فقد أثر الهجرة إليهم دون غيرهم لأسباب كثيرة أهمها فى نظرى ثلاثة أسباب:

أحدها: أن أحوال أبيه - عليه السلام - كانوا قحطانيين من أهل المدينة فكان طبيعيا، حسب مألوف العرب، وقد خذله عصبته وساموه سوء العذاب ووقفوا فى سبيل دعوته، أن يلجأ إلى بعض فروع خثولته يلتمس منهم العون والحماية فالخثولة أقرب الناس إلى العربى بعد عمومته. بل يظهر أن العرب فى مرحلة ما من أقدم مراحل تاريخهم كانت لحمه نسيهم يخثولتهم أوثق من لحمه نسيهم بعمومتهم.

وثانيها: أنه قد آمن به قبل هجرته عدد كبير من أهل المدينة وبايعوه على الدفاع عن دينه فكان طبيعيا أن يؤثرهم على غيرهم بهجرته ويتخذ منهم أنصاراً لنشر رسالته:



فصة
الهبة

املاً الأرض نورا

للشاعر الكبير الأستاذ / أحمد محرم

واغمر الناس حكمة والدهورا
يكشف الحجب كلها والستورا
فتدفق عليه حتى يغورا
راح يطوى سُيُوله والبحورا
أم الأرض أن تذوق الثبورا
ويعم السبع الطباق هديرا
هاشمي السنا، وصباحا منيرا
يصدع الغيب الملقى ويكشف الديجورا

املاً الأرض يا (محمد) نورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى
عب سيل الفساد في كل واد
جئت ترمي غبابه بعباب
ينقذ العالم الغريق ويحمي
زاخر يشمل البسيطة مدا
ولدتك الكواكب الزهر فجرا

يصدع الغيب الملقى ويكشف الديجورا



أنكر الناس ربهم وتولّوا
أين من شرعة الحياة أناس
تلك أربابهم، أتملك أن تنـ
قهروها صناعة، أعجبُ الأُر
ما لدى (اللات) أو (مناة) أو (العـزى) غناء لمن يقـيس الأمورا
جاءدين الهدى وهبَ (رسـول الله) يحـمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته
جثمت حوله الحصون وظن الـ
هدّاه ذو الجلال حصناً فـحصناً
بالرسول الهادى وبالصفوة الأم
يهرقون النفوس، تلقى الردى المهـ
إن فى القتل للشعوب حياة
ليس من يركب الدنيـة يخشى

أمن الحق أن تصدّ قـريش
سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم
أولعوا بالأذى فألفوا رسول اللـه
كلما أحدثوا الذنوب كـباراً
ما به نفسه فيغضبُ يرضـيها وترضيه ناعماً مسرورا
إنه الله لا سـواه، ودين
يجدُ الناس والمقادير فيه
أجمعوا أمرهم وقالوا هو القـتـلُ يـميط الأذى ويشفى الصدورا
كذبوا، ما دمُ الهزبر أمانـى مهـازير يكثرون الهـريرا
إن نفس الرسول أمنعُ جـارا
عن فتاها وأن تُطيل النـكيرا
فاستجابوا جهالة وغرورا
وجـدوه لكل ذنب غـفورا
ويرى ما عـداه شـئئاً يسـيرا
من طواغيتهم وأقوى مجـيرا





رَبِّ آتَيْتَهُ عَلَى الْقَوْمِ نَصْرًا
أَنْتَ نَجَيْتَهُ فَهَاجَرَ يَقْضَى الْـ
يَوْمَ ضَجَّتْ جِبَالُ (مَكَّة) ذَعْرًا
تَتَنَرَّى أَسَى وَتَمْسُكُهَا تَمْدُ
هِيَ لَوْلَاكَ لَارْتَمَتْ تَقْذِفُ الصَّخْـ
هَاجِهَا مِنْ جَوَى الْفِرَاقِ وَحَرِ الْـ
كَادِ يَهْفُو فزَدْتَهُ مِنْكَ رُوحًا
يَا لَهَا مِنْ (مُحَمَّدٍ) نَظَرَاتِ
نَظَرَاتِ شَجِيحَةٍ لَا تُعَدُّ الْـ
قَالَ: مَا فِي الْبِلَادِ أَكْرَمُ مِنْ مَكَّةِ
فَاسْكُنِي يَا هُمُومُ نَفْسِي إِنْ اللَّـهَ
وَتَوَلَّى وَلِلْأُمُورِ مَصِيرُ
يَوْمَ يَمْشِي (الصَّدِيقُ) فِي نُورِهِ الزَّـ
لَا يَرَى دُونَهُ حَيَاةً وَلَا يَرِ
يَنْصُرُ الْحَقَّ ثَائِرًا يَمْنَعُ الْبَا
دَائِمَ الْكُرِّ وَالصَّرَاعِ مُلْحَا
أَقْبَلَ الْقَوْمُ يُسْأَلُونَ: أَتَحْتَ الْـ
نَفَضُوا الْهَضْبَ وَالْجِبَالَ وَشَقُّوا الْـ
وَيَحُ (أَسْمَاءُ) إِذْ يَشُدُّ (أَبُو جَهْلٍ) لَـ
صَاح: أَسْمَاءُ أَيْنَ غَابَ (أَبُو بَكْرٍ) أَجِيبِي، فَقَدْ سَأَلْنَا الْخَبِيرَا
قَالَتْ: الْعِلْمُ عِنْدَهُ، مَا عَهِدْنَا
فَرَمَاهَا بِلَطْمَةٍ تُعَرِّضُ الْأَجْبِيَا
قَذَفَتْ قَرْطَهَا بَعِيدًا، وَرَضَتْ
(غَارِثُور) أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَا لَمْ
فَتَبَارَكْتَ حَافِظًا وَنَصِيرَا
حَقٌّ لَا خَائِفَا وَلَا مَذْعُورَا
وَتَمَنَّتْ هَضْبَابَهَا أَنْ تَمُورَا
نَعْمَهَا مِنْ وَرَائِهِ أَنْ تَسِيرَا
رَ وَتَزْجِي هَبَاءَهَا الْمُنْثُورَا
وَجَدَ مَا هَاجَ بَيْتَكَ الْمَعْمُورَا
فَإِنْشَى رَاجِحَ الْجَلَالِ وَقُورَا
زَخَرَتْ رَحْمَةً وَجَاشَتْ سَعِيرَا
أَهْلُ أَهْلًا وَلَا تَرَى الدُّورَ دُورَا
لَا أَرْضَا وَلَا أَحَبَّ عَشِيرَا
فَاسْكُنِي قَضَاءَهُ الْمَقْدُورَا
يَشْتَرِي رَبَّهُ، وَيَرْجُو الْمَصِيرَا
أَهَى، يُوَالِي رَوَاحِيَهُ وَالْبُكُورَا
هَبْ فِي اللَّهِ لِاتِمًّا أَوْ نَذِيرَا
طَلَّ أَنْ يَسْتَقَرَّ أَوْ أَنْ يَثُورَا
لَا يَطِيقُ الْقَرَارَ حَتَّى يَبُورَا
أَرْضُ أُمِّ جَاوَرِ الطَّرِيدِ النَّسُورَا
أَرْضُ طَرٍّ رَمَالُهَا وَالصَّخُورَا
عَلَى خَدْرِهَا الْمَصُونِ مَغِيرَا
أَجِيبِي، فَقَدْ سَأَلْنَا الْخَبِيرَا
أَجْمَ الْأُسْدَ تَسْتَشِيرُ الْخَدُورَا
يَا لُ عَنْ ذِكْرِهَا صَوَادِفُ صُورَا
مِنْ وَجْهِهِ النَّبِيِّ وَجْهًا نَضِيرَا
يُعْطِ مِنْ رَوْعَةِ الْجَلَالِ الْقَصُورَا





أنت أطلعت للممالك دنيا ساطعا نورها، ودينًا خطيرا
صنّته من ذخائر الله كنزا كان من قبلُ عنده مذكورا
مخفرُ الحق لاجئًا يتوقى قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفتُ حوله الشعوب حيارى من وراء العصور تدعو الغصورا
اهدئى أيها الشعوب فإن الـ حق أعلى يدًا وأقوى ظهيرا
لا تراعى فتلك دولته العظمى تناديك أن أعدي السريرا

(صاحب القوائم) المتوج بالعرُ فان: بوركت صاحبًا ووزيرا
أنت واليتـه وعاديت فيه من توخى الأذى وأبدى النفورا
ليت شعري: أصبت حية واد تنفث السم، أم أصبت حريرا؟
نفثت سمها فما هز (رضوى) من وقار، ولا استخف (ثبيرا)
خفت أن توقظ النبي فما ير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك لقد أعد طاك سبحانه فأعطى شكورا
أى رأس حملت يا حامل الإيد مان سمحا والبر صفوا طهورا

اتق الله يا (سراقـة) وانظر إنما الرأى أن تكون بصيرا
أتظن الجواد قد خرق الأرق ض يحابيك أم تظنه مسحورا
أم هو الله ذو الجلال رمـاه يمسك الشر راكضا مستطيرا
غرك القوم فاناطلقت ترجيـه ه خسيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين حظا وفيرا
فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر (بسوارى كسرى) فديتُ (البشيرا)
قل لأهل (النيـاق) أوتيتُ أجرى جللا، فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بعيرا



الهِجْرَةُ حُرَّتٌ تَارِيخِي عَظِيمٌ

لفضيلة الشيخ / عبد المصنف محمود عبد الفتاح *

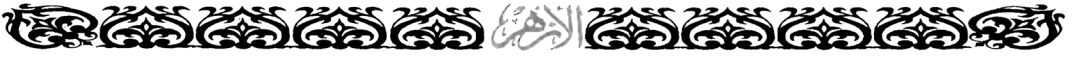
عن أبي موسى الأشعري - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام: أنى أهاجر من مكة: إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى (أى وهى وظنى) إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب»^(١) لقد كانت الهجرة من مكة إلى يثرب: حدثاً فذاً من الأحداث الإسلامية الكبرى التى يجب أن تظل معانيها ماثلة فى قلوب المؤمنين، تحمل إليهم سمات المجد والعظمة والبطولة، حقاً إنها تجدد الإيمان، وتبعث اليقين، وتشد العزم، وتقوى الأمل، وتنير السبيل أمام المكافحين الذين يطلبون بكفاحهم ونضالهم العزة والشرف، ويطلبون بجهادهم الله، والدار الآخرة، لا يبتغون مالا أوجاهاً، وإنما يبتغون للعالم صلاحاً وإصلاحاً، وأماناً واطمئناناً، وسلاماً ووثاقاً..

متى نصر الله ؟ حتى رأى النبى ﷺ : أن يشير على أصحابه بالهجرة: إلى بلاد الحبشة، لينعموا فى جوها الطليق بالحریات الكاملة: حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرية الاستعلان بشعائر الدين، قائلاً لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه» فهاجر

وإننا إذا ذكرنا الهجرة فلنذكر الإيمان القوى، والجهاد الرير، والكفاح الشاق، والصبر الطويل، أمام أعداء الداء، وفجرة كفره أشداء، يريدون أن يبقى عهد الشرك، وأن يطول ليل الباطل !! والمسلمون يومئذ قلة: فى ضعف ومسكنة وذلة، يتخطفهم الناس من حولهم، ونالتهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه

(١) أخرجه البخارى.

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر.



معنى ومدلول يأتي من خارج يشرب، فكان ذلكم الرجل العظيم هو محمد ﷺ، وكانت الهجرة إليها.. فقد فطن رسول الله ﷺ إلى أن دعوته خليقة بأن تلقى في يشرب من حسن الإصغاء، وطيب القول مالا تظفر بمثله في مكان آخر ومن ثم كانت الهجرة التي غيرت مجرى التاريخ، كيف لا وهي نموذج حي متجدد على مر العصور، قادر على الإلهام بأعظم الأعمال، مقدم أروع القيم والمثل، وأحكم التدابير التي تكفل نجاح من يلتزمها، فهي عمل بطولي فذ..

إن هجرة نبينا من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً ولا خوفاً ولكن تنفيذاً لخطة محكمة مرسومة، وضعت وأخذت عليها البيعة والميثاق، فلم يهاجر رسول الله ﷺ خوفاً من بطش قريش وجبروتها، بل تنفيذاً لوعده أبرم من قبل مع بعض الوافدين من يشرب إلى مكة في موسم الحج، لم يهاجر رسول الله ﷺ في سبيل مال أو جاه، أو تطلعا لمجد يتناول به على خلق الله، لم يهاجر حقداً على ظالميه من أهل مكة، أو حيناً إلى منصفيه من أهل المدينة، بل كان دعاؤه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» كانت هجرته حبا للبشرية كلها، وإيمانا بالحرية وتأميناً لها، وحفاظاً عليها..

لقد كانت الهجرة بحق عملاً بطولياً قام على أساس من التخطيط، وما يتطلبه من

إليها جماعة من المسلمين، وكان من بينهم: عثمان بن عفان، وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها منهم غير صغارهم: ثلاثة وثمانين شخصاً، فأمנם النجاشي وأكرم وفادتهم، ثم كانت الهجرة إلى يشرب، حيث استقبلت النبي ﷺ: استقبالا رائعاً، لم تشهد له مثيلاً من قبل.. وتقع يشرب في سهل خصب شمالي مكة، قرب سلسلة الجبال التي تفصل قطاع نجد عن تهامة، وهي أرض تكثر فيها الحدايق والبساتين، والحقول المزروعة، وتتناثر فيها أشجار النخيل.. وكانت السيادة في هذه الواحة الخضراء الناضرة لقبيلتي الأوس والخزرج وقد شرفهما النبي ﷺ فيما بعد بلقاء الأنصار، وزاد في تكريمهم فقال: «لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار»^(٢).. وكانت القبيلتان في صراع دائم داخلي: أفضى إلى تقسيم يشرب إلى معسكرين متناحرين كانت الحرب بينهما سجالاً، حتى لقد أصبح الرجل من كلا المعسكرين لا يستطيع أن يخرج في حاجة له، دون أن يعرض نفسه للخطر، ولا شك أن كلا الفريقين قد ضاق ذرعاً بهذه الحال التي لا يمكن أن تطاق طويلاً، ولم يكن هناك أحد من أفرادهما يملك من النفوذ الأدبي قدراً كافياً لجمع الصفوف وتقريب وجهات النظر، فكان لابد لهذه الحال من رجل عظيم بكل ما تحمله هذه الكلمة من

(٢) أخرجه البخاري عن عبدالله بن زيد وأبي هريرة - رضى الله عنهما.





تدبير وإحكام وبعد نظر، لذا نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها نصر من الله - تعالى - لنبيه، قال الله - تعالى - :

﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمُحُنْ إِنَ اللَّهِ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوا بِحُجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣).

لقد حدد رسول الله ﷺ هدفه من الهجرة، وكان الأسلوب الذي اتبعه في رحلته كفيلاً بتحقيق هذا الهدف، فقد أعد من الوسائل البشرية والمادية ما يلائم الظروف القائمة، ويتفق مع الظروف المحتملة، ونظم هذه الوسائل تنظيمًا محكمًا، ثم نفذها بأسلوب واقعي سديد، فنجحت خطته وأدرك غايته، وكان من أهم هذه العوامل إسناد الدور المناسب إلى الفرد المناسب، بمعنى وضع كل فرد من أفراد الجماعة التي وقع عليها الاختيار في الموضع الذي يتفق مع موهبته وقدرته.. فأبو بكر الصديق، لمرافقة الطريق والتمويل، وعلى بن أبي طالب، لرد الودائع، وللنوم على فراش رسول الله ﷺ، للتعمية على الكفار، وعبد الله بن أبي بكر، للأخبار (قلم مخابرات) .. وأسماء للتموين، تساعد أختها عائشة، وعامر بن فهيرة

مولى أبي بكر للإعفاء على آثار الأقدام بغنمه، وليطعمهما: اللحم واللين، وعبد الله ابن أريقط، لإخفاء النوق عنده، ثقة بأخلاقه وأمانته، وإن كان مشركًا، وما سبق ذلك من حلف مع الأنصار في بيعة العقبة ثم إرساله مصعب بن عمير إلى المدينة بين يديه واعظًا لتمهيد الطريق، حتى دخل في الإسلام كثير من البيوت.. حقا إن قصة الهجرة تبعث في النفوس الأمل، وتوحى بأنه ما من محنة إلا في طيها منحة، وما من بلاء إلا ويعقبه هناء.. إنها رهيبية في بدايتها، ولكنها جليلة في نهايتها، فقد مهدت للدعوة الإسلامية أن تأخذ طريقها إلى القلوب والآذان، ومكنت للمسلمين أن يعلنوا عقيدتهم في حرية وأمان، وكانت بخيرها وآثارها بردًا وسلامًا على الإنسانية أخرجتها من ظلمتها، وأنقذتها من هدهتها، وهبتها من حيرتها، ودفعت بها إلى طريق الخير والصلاح..

وهكذا كانت الهجرة نصراً للمؤمنين، ونورا للمجاهدين، فتمتعوا بالحرية بعد التضييق عليهم من المشركين، وبالكرامة بعد الهوان.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)

وصلى الله على سيدنا محمد إمام المجاهدين وسيد المهاجرين وعلى آله وصحبه وسلم.

(٤) العنكبوت (٦٩).

(٣) التوبة (٤٠).



محنة مؤمن



للأستاذ / شوقي محمود أبو ناصح

أحدهم من ذراعه وتبعه آخرون إلى المسجد وهو يقول بصوت حزين واهن:

— يا رسول الله .. كان من أمرى وأمر الحارث ما علمت، وإننى لم أشعر بإسلامه حين قتلته.

أطرق النبي ﷺ وشق على عياش أن يكون أول مسلم يرفع سيفه فى وجه أخيه فى مجتمع تتجسد فيه مشاعر المودة والإخاء، مجتمع جعله النبي ﷺ مثاليا فى الحب والمودة والإيثار، وكل ما هو طيب يقرب الإنسان من ربه، ويوطد علاقته بأخيه الإنسان.

جلس عياش فى المسجد لا يبرحه .. يفكر فى جرمه الذى لا يعتقد أن تقديم نفسه لسيف القصاص كاف لمحوه .. وقرر أن يعتزل الناس منزويا فى ركن من أركان المسجد.

وبينما كان عياش فى ركنه يجتر همه ويقلب عينيه فى السماء، والدموع تترقق فيهما، والندم يرسم خطوطه وألوانه على وجهه، والكلمات فى حلقه مشرذمة الحروف لا يستطيع الجمع بينها

كما يمرق السهم، اندفع عياش بن أبى ربيعة نحو الحارث بن يزيد عندما رآه يسير بظهر قباء وهو يصيح:

— لم أترك الهدى يا ابن يزيد.

وقبل أن يتنبه أحد إلى المفاجأة الخاطفة كان الحارث بن يزيد فى الغابرين، وتعلت الأصوات:

— جُنَّ عياش .. قتل رجلا مسلماً.

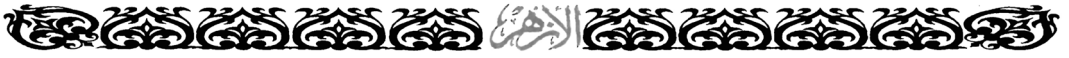
— أى شئ صنعت يا عياش؟ .. إنه رجل مسلم!

— يا عياش .. أنت امرؤ لاتزال فىك خصال الجاهلية!

— أيقتل المسلم أخاه يا عياش؟

— اذهبوا به إلى رسول الله ﷺ ليحكم فيه بما أنزل الله.

والتف جماعة حول عياش الذى وقف واجماً فاغر الفم من الدهشة، وكأنما أصاب تفكيره الجمود فلا يحير جواباً ولا يجد ما يقول، وشده



الجاه ولا المال لتحقيق هذا الهدف الذى بدأت منذ حين تعد له العدة وتعمل جاهدة على تحقيقه، ولهذا كان إسلام أحد أبنائها « عياش » صدمة قاسية قوضت آمال هذه الداهية الطموح، فدعت ابنيها أبا جهل والحارث ابنى هشام، وجعلت تستشير فيهما النخوة، وتذكرهما بمكانة عمهما عمرو أبى ربيعة والد عياش، صاحب الرمحين فى حرب الفجار، وابنه العدل عبدالله بن أبى ربيعة الذى كان يكسو الكعبة من ماله عاما وتكسوها قريش عاما، فهو عدل لقريش كلها. وأقسمت بالآلهة جميعا ألا يمس رأسها مشط، وألا تستظل من شمس حتى ترى عياشا.

لم يمض على وصول عياش وعمر بن الخطاب إلى المدينة غير يومين حتى وصل الأخوان أبو جهل والحارث ابنى هشام، أخوا عياش لأمه وابنا عمه، وجعلا يزنان له العودة، ويذكرانه أن دينه الذى اتبعه يدعو إلى بر الوالدين، وأخبراه بقسم أمه، وتعهدا ألا يحولا بينه وبين العودة إلى المدينة مرة أخرى. وظهر من عياش ميل إلى تصديقهما، فقال له عمر ابن الخطاب ناصحا:

- يا عياش.. إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أملك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

فقال عياش وقد نمت نبرات صوته عن ضعف ورقة:

وكان الندم يقف فى حلقه ليحول بينه وبين همس الدعاء، وبينما هو على هذه الحال إذ يصله من قبل النبى ﷺ من يبلغه حكم الله فى فعلته:

﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاؤًا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ (١).

استراح عياش إلى حكم الله، وإن كانت الحادثة التى أحفظته على يزيد لا تزال بين الحين والآخر تتراءى فى أفق خياله كلما نظر إلى عمر ابن الخطاب صديقه ورفيقه فى رحلة الهجرة، وناصحه الذى لم يطعه.

شق على أسماء بنت مخربة - سيدة نساء بنى مخزوم، وصاحبة الكلمة المسموعة فيها والمنافسة الوحيدة - لأبى طالب بن عبدالمطلب فى تجارة العطور التى تعد من أغنى أغنياء قريش - شق عليها أن يخرج على طاعتها أحب أبنائها إلى قلبها « عياش » وهى التى كانت تعده - مع إخوته: أبى جهل بن هشام، والحارث بن هشام، وعبدالله، وعياش ابنى ربيعة، ليكون أحدهم سيد قريش، ومع أنها لم تكن مخزومية، إلا أنها تحب أن تكون سيادة قريش فى أحد أبنائها المخزومين ولم يعوذها





– والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك يا خالد بن

يزيد .

كان عمر يجلس واجماً في المسجد وهو يستعيد أحداث رحلته مع عياش وكيف احتمله أخواه ليفتناه، وإن ذلك ليضيف حزناً إلى حزنه على هشام بن العاص الرفيق الثالث الذي كان مفروضاً أن يهاجر معهما وحسب في مكة، ولكنه تنبه على صوت النبي ﷺ يقول:

– من لي بعياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام؟

فنهض الوليد بن الوليد خفيفاً يقول:

– أنا لك بهما يارسول الله .

طالت غيبة الوليد بن الوليد حتى كان الرسول ﷺ إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره دعا:

« اللهم أنج سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد » كان الوليد بن الوليد في مكة يتظاهر بالاهتمام بوالده الوليد ابن المغيرة الذي يعاني سكرات الموت، ولكنه ظل دائب البحث عن المحبوسين حتى رأى امرأة تحمل طعاماً فقال لها:

– أين تريد يا أمة الله؟

– أريد دينك المحبوسين .

فأدرك أنها تريد عياشاً وصاحبه، فتبعها حتى عرف محبسهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له . فلما كان المساء، تسور الجدار ووضع مروءة « حجراً » تحت قيدهما وضربه بسيفه فقطعه، وانطلق بهما إلى المدينة .

– أبر قسم أمي ولي مال هناك فأخذه .

– والله إنك لتعلم أنني من أكثر قریش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما ولما رأى إصرار عياش على مخالفته واتباعهما قال له:

– أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما .

مضى ثلاثة الأخوة إلى مكة، وعياش مطمئن إلى وعد أخويه، ولم يدر بخلده أن يكونا قد خدعاه، حتى إذا كان بينهم وبين مكة بضعة أميال قال أبو جهل لعياش:

– والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟

وأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استنوا بالأرض عدوا عليه وربطاه . كان شعور الزهو يرسم قسماً على أبي جهل عند دخولهم مكة نهارة وهو يشير إلى عياش المربوط فوق ناقتة ويصيح:

– هكذا فافعلوا بسفهاءكم كما فعلنا بسفيهننا هذا .

لم يكن الألم النفسي الذي عاناه عياش بأقل من ألم السياط التي كانت تهوى على ظهره من أبي جهل وصديقه الحارث بن يزيد من كنانة، والذي لم يكتف بالمساهمة في جلد عياش، بل سخر منه وبكته بقوله:

– يا عياش .. لئن كان الذي كنت عليه الهدى، لقد تركت الهدى .. وإن كان ضلالة لقد كنت عليها . فنظر إليه عياش وقال متوعداً:



الهجرة تذكير وإيناس

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

في مثل هذا اليوم من ١٤٢٢ عاماً أوتيزيد أضواء طلعت البهية ﷺ على أرض ذات نخل كانت تسمى «يثرب» فتحول اسمها إلى «المدينة المنورة». وطاب هواؤها ونقلت خماتها إلى «الجحفة» واستضاءت بنوره ﷺ الذي شاهده أهلها فرددوا بقلائبة وحب ترحيباً بالكريم الحبيب المنتظر:

طلع البدر علينا	من ثنيات الأودية
وجب الشكر علينا	مادام الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرف المدينة	مرحباً يا خيـرداع

وواجب علينا أن نروى القلوب الضمأى في زمن القيظ المميت برقيق السيرة العطرة والسلبيل العذب والقدوة الحسنة لنجدد الإمداد بالنور المجدى ونحيى ما ذبل من صلتنا بالله - سبحانه وتعالى - فتحيل دنيانا من الجذب إلى النماء، ومن الظلمة إلى النور، ومن القسوة إلى الرحمة ومن الضلال إلى الهدى.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (١).

قاطعنى صاحبي كأنه يتوسل إلى في رجاء ومودة قائلاً: هل من الممكن أن تترك الحديث عن الهجرة اليوم وتجيبني عن أسئلة - لا أكتمك سرا إن قلت - ألحت على وأقضت مضجعي، ثم أردف يقول: ولعل في الإجابة عنها تذكيراً وإيناساً

وفي الحديث عن الهجرة تذكير وإيناس للمسلمين، تذكير لهم بحقائق الدين الذي هو جم في مكة وعودى أهله بما هو فوق طاقة البشر. وإيناس لهم بتأييد الله للمؤمنين الصادقين الصابرين في كل وقت وما أدراك ما تأييد الله للمؤمنين من عباده:



لمنصب أو جاه، إنما اكتسب هذه الثقة من منهجه وعلمه ورسوخه وزهده وورعه. وما أدراك ما الورع والزهد في حياة علماء الحديث وصاحبك لا يرقى إلى معرفة منهج المحدثين فضلا عن معالجة هذا العلم والإفتاء فيه. ورفض أو قبول أحد من أهل الحديث فكيف بربك تلغى عقلك لتستمع إلى كلام دعى فى غير مجاله وغير تخصصه.

إن العالم اليوم يحترم التخصص الدقيق فلا يمكن فى عالم اليوم - مثلا - أن أترك جراحا ماهرا فى عالم المخ والأعصاب وأستمع إلى كلام مشعوذ دعى، فضلا عن أن العاقل لا يمكن أن يقبل كلام طبيب عيون فى جراحات المخ والأعصاب، وهكذا فى كل التخصصات وكما يقولون: «أهل مكة أدرى بشعابها».

قال صاحبى: اسمح لى أن أقول لك: إنك شديد التعصب للإمام مسلم وأهل الحديث! قلت: لن أقول لك إنها تهمة لا أرفضها وشرف لا أدعيه. بل أقول إنه شرف أحاول أن أصل إليه طول حياتى وأن أحشر فى زمرتهم بعد مماتى.

إن منهج علماء الحديث وما تركوه لنا من تراث فى التحرى والتدقيق والورع والزهد والخوف من الله منهج تفرد به قومنا يا صاحبى.

وإن كل أمة على وجه الأرض تأخذ من تاريخها وتدع لأن الرواية عندهم مفقودة والورع عندهم لا وجود له. وعلماء الحديث يتعاملون مع النصوص بالأمانة؛ لأنه دين فليس منهجهم من منطلق إحراز السبق فى الدنيا أو المحمدا عند الناس، وهناك فرق بين من يسعى للدنيا ومن

للمسلمين! قلت: عافاك الله يا صاحبى، هات ما عندك، أسأل الله أن يجعل فى الإجابة إيناسا وتذكيرا. قال: كيف يجزؤ مسلم أن ينكر حديثا صحيحا ذكره الإمام مسلم فى صحيحه؟

قلت: ما هكذا يا صاحبى تؤخذ الأمور ولا تناقش مسائل العلم! قلت: لعل الرجل أنكر صحة ثبوت الحديث فهو ينكر نسبته إلى رسول الله ﷺ فهو لم ينكر ما ورد عن النبى، إنما أنكر ثبوت الحديث للنبى. وفرق بين القولين بين رجل يثبت عنده قول النبى ﷺ وهو يرفضه وبين آخر يزعم أن النبى ﷺ لم يقل هذا الكلام الذى هو منسوب إليه ويصبح الأمر فى الحالة الأخيرة محصورا فى الإمام مسلم وفى تثبته ومنهجه وضبطه فى إخراج مسنده ثم لا يخلو الأمر إما أن يكون المعارض على الإمام مسلم من أهل العلم والمعرفة بالحديث وعلومه، أو يكون صاحب هوى يهرف بما لا يعرف فإن كانت الأخرى فلا تقم لكلامه وزنا لأنه جاهل فيما يتكلم فيه متكبر يتنكب طريق العلم السوى والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

فهو ليس من أهل الذكر ولا يريد أن يسأل أهل الذكر وكما يقولون: «شفاء العى السؤال»

وتلك هى المصيبة الكبرى وهى أكبر آفة تصيب أمة، أن يتصدى للرأى فيها من لا يعرف، لأنه إن كان من أهل العلم لا يمكن أن يقلل من شأن الإمام مسلم أو يرفض حديثا رواه. فالإمام مسلم لم يكتسب هذه الثقة بين أهل العلم





يعالج يده، فهم أن يرجع ظنا منه أن صاحبه ليس أهلا للرواية فلما فرغ من معالجة الكلب أقبل إلى صاحبه كأنه يعتذر إليه قائلا: إنا ببلاد لا تكثر فيها الكلاب ورأيت هذا الحيوان أقبل على رافعا يده كأنه يرجوني أن أعالجها فما أحببت أن أقطع رجاءه في لأنى سمعت أن رسول الله ﷺ قال: «قطع الله رجاء من قطع رجاء من رجاء» فقال الآخر: جزاك الله خيرا على فعلك وقولك، أنا ما جئت إلا عن هذا الحديث أسمع منك وشكر صاحبه وقفل راجعا.

أما الواقعة الثانية فهي أن رجلا نفرت ناقتة فأراد أن يتألفها فأومأ إليها كأنه يقدم إليها علفا فلما جاءت أمسكها ولم يكن ثمة علف ولا طعام ورآه رجل جاء ليأخذ منه حديثا فرجع ولم يأخذ منه شيئا وقال: إنه رجل لا يؤتمن على حديث رسول الله ﷺ.

قلت لصاحبي: تأمل هذه الوقائع ذات الدلالة البليغة المؤثرة، حيث إنها صادقة فطرية فلم تحتج إلى دعاية أو إعلان أو تحضير حتى يتم التصوير والبت وذلك شيء أصيل في الدين وفي الناس!! ثم أردفت قائلا: إن الإنكار للسنة يأخذ أشكالا عديدة وليس شكلا واحدا فتارة يكون بالطعن في رواة الحديث وتارة بالطعن في أصحاب الأسانيد والجوامع. وتارة بالزعم أنه يدافع عن الدين نفسه وأنه يريد تنقية الدين ويرفض أحاديث بزعم أنها تخالف القرآن وهي خدعة رديئة لا تنطلي على بصير ولو علم هؤلاء جهد علماء الحديث في علمهم وبحثهم لما

يرجو الآخرة، الذي يسعى في الدنيا ولها يرجو محمدا الناس والذي يسعى للآخرة لله وفي الله.

إن منهمج أهل الحديث مؤسس على رجاء أن تصيبهم رحمة الله استجابة لدعوة النبي ﷺ حيث قال: «رحم الله أمرا سمع مني حديثا فبلغه كما سمعه» (٣).

وما تركه القوم - والحمد لله مسطر في كتبهم - خير شاهد على ما قلت وأسوق لك واقعة تدرك منها دقة هذا العلم وأمانة أصحابه.

وأيضا لا بأس أن تهدي هذه الواقعة لأصحاب اللافات البراقة «حقوق الإنسان»، و«جمعيات الرفق بالحيوان» إذ لا معنى للرفق بالحيوان مع إهدار رفق أوجب. ألا وهو الرفق بالإنسان.

والواقعة مع هذا ترتبط برواية الحديث.

قال صاحبي: ما علاقة الرفق بالحيوان وحقوق الإنسان بالحديث وعلموه؟

قلت: إن جماعات «الرفق بالحيوان»، و«حقوق الإنسان»، و«سفراء النوايا الحسنة» وما شاكل ذلك هي لافات براقة جميلة في مظهرها ومظاهرها، أما الرفق عند علمائنا فهو أمانة، وحقوق الإنسان عندهم دين، والنوايا الحسنة فرض في كل قول وعمل، لا يحتاج في ديننا إلى كاميرات وصحف وقنوات أرضية وفضائية، ولا إلى بدلات أو دعاية، والواقعة تقول: إن رجلا ذهب وسافر ليأخذ حديثا من سمعه ليثبت سماعه منه فرآه منصرفا عنه متجها إلى كلب

(٣) أخرجه ابن حبان.





تفوهوا بما قالوا ولولا ضيق المجال لسردت لك التراث الطيب الذى خلفوه لنا من المؤلفات .
وهذا الاحتماء المزيف بالقرآن الكريم خدعة « رديئة » كما قلت ، فإن الشيطان يسول لهم ذلك ويلهمهم بالمعرفة وهم مخدوعون . على أنهم فى رفضهم للأحاديث وطلب الاحتكام للقرآن هنا زعم نتوقعه بل ومنتظره فى شوق .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .

قلت على الفور مبادرا : دع أسئلتك وتداعياتها الآن واسمع منى فلعلك تجد الإجابة فيما أقوله لك ؟
قال : لك ما تريد .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .

قلت مقاطعا مهللا : أنا لم أفرغ مما أريد !
إن الذين يزعمون أنهم يحتكمون إلى القرآن وحده مخادعون ماكرون فهم يجعلون إنكار السنة مرحلة يقفزون بعدها إلى مرحلة أخرى ، إلى القرآن نفسه ، انتفض صاحبى كأنه قد لدغ قائلا : هل ينكرون القرآن قلت : إنهم أخبث من هذا إنه يلجأون إلى طريق آخر ، فالواقع أنهم لا يريدون قرآنا ولا سنة لكنهم يبغون مواجهة القرآن بالرفض والتشكيك فيلجأون للحيلة والتضليل فمثلا يزعمون أن سيدنا عمر بن الخطاب أوقف حد السرقة وألغى سهم المؤلفة قلوبهم وما دام ثانى الخلفاء فعل ذلك - كما يزعمون - فهم على آثار عمر مقتفون فلا بأس إذن أن يتناولوا نصوص القرآن بالإلغاء أو الوقف أو التقييد .



هكذا - ولعلك تعلم أن من مصطلحات الماركسية المشهورة - «الديالكتيك»، «والجدلية» - فهذه مسلمة لا تقبل الجدل ولا النقاش ولا حتى السؤال عن معناها في الفقه الماركسي.

فهو يقول: إن القرآن كان ينزل على الرسول ﷺ بحكم من الأحكام ثم ينزل بعد ذلك تخفيف للحكم أو تدرج فيه - فصاحبنا الخليل من الماركسية والتغريب - يزعم أن هذه تفاعل بين القرآن والمجتمع أو الناس مع النص فكان التغيير إلى الأحسن والأيسر، أما الآن فلا، ولنا أن نسأل ما الذي يريده الآن بعد انتقال النبي ﷺ وبعد انقطاع الوحي؟

إنه يريد تحوير النصوص بفعل ما يسميه «ديالكتيك» صاعدا لصرفها عن معناها، تأمل هي نفس الدعوة ونفس الهدف لكن صاحبنا أكثر دربة واطلاعا كما قلت من المتقاعد العجوز!! لكن هل يملك أحد أن يعطل نصا في كتاب الله؟ - أبدا..

هم ينسبون ذلك لعمر ولا يمكن لشخص كائنا من كان أن يلغى نصا من كتاب الله. كذلك يزعمون مع سهم المؤلفة قلوبهم، صاحبنا الشاب الماركسي المطلع يفهم ذلك جيدا ويعرفه ويعرف الرد عليه تماما أما صاحبك المتقاعد العجوز فهو مسكين لا يعلم شيئا ولا يستطيع ولا هو قادر على أن يفعل بعد فوات العمر إنما رأى الشبهة ولقلة اطلاعه تصور أنها جديدة وطازجة فقدمها فرحا بها مبهورا دون أن يدرك أنها منتهية الصلاحية فهو قليل الخبرة حديث عهد بمجال الشبهات الفاسدة طامح إلى الشهرة بغير حدود.

قلت: هذه أكذوبة قديمة وحيلة رديئة كما قلت وصاحبك قليل البضاعة ضحل المعلومات حديث عهد بملاعب المفترين والشياطين فلما طالع هذه الفرية خيل إليه أنه عثر على ضالته، فلا بأس بأن يستعملها ويلقيها في ملاعب الرأي والجدال يبرر بها ما يريد أن يفعله مع القرآن الكريم لكن هيهات هيهات فلن يصلوا إلى هدفهم، إن أغلب هؤلاء عندهم رغبة مدفونة في حب الظهور لم يحققوها في مجالهم فبعد أن لفظتهم الدنيا التي يلهثون وراءها ولم ينالوا منها أخذوا يبحثون عن مجال يظهرهم فيه فسولت لهم أنفسهم أمرا فصبر جميل والله المستعان. على أن هناك آخرين يمارسون هذا اللون لكنهم والحق يقال أكثر اطلاعا وأكثر درية وأكثر مكرًا نشأوا على هذا المنهج وليسوا طارئين عليه كمن يبحثون عن عمل يمارسون وشغل يسدون به فراغا في نفوسهم بعد أن انصرف الناس عنهم يقول هؤلاء يبغون تعطيل النصوص القرآنية والعبث بها بزعم أن هذا هو واجب التفاعل مع النصوص داعين الناس إلى التفاعل الإيجابي - هكذا - مع نصوص القرآن!!! أليست هذه خدعة رائجة في هذا العصر، لا أنكر أنهم يملكون ذكاء فطريا دون شك لكنه شيطاني وأصحاب اطلاع وافر أشهد به لا يقدر عليه صاحبك الكهل الآن حيث ذهب أكثر عمره. ومع الذكاء والاطلاع لا تخطيء العين فيهم ظلالة ماركسية. يقولون مثلاً: لقد كان هناك «ديالكتيك» صاعد بين القرآن والمجتمع في عصر النبوة، أما الآن، فثمة ديالكتيك هابط بفعل - ما زعموه - من تخلف أدى إلى تقديس النص -

وأفكارهم وتسطر أقلامهم ما نطق به الصادق المصدوق الرحمة المهداة ﷺ فشعار المسلمين لأن يخطيء الإمام في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة فهل لو أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - طبق شروط القطع ووجدها لم تتوافر في المختلس أو خائن الأمانة يلام من جهة المتشددين ويتهم من جهة المتسيبين المفسدين أما من وسط عاقل أليس منكم رجل رشيد يقول إن عمر أعمل النص بشروطه التى أظهرتها رحمة الدين نفسه كما أن سهم المؤلفة قلوبهم معلول لعلّة وكما يقولون: المعلول يدور مع العلة وجوداً وعدماً كما وردت فى حيثيات الإلغاء لو كلف نفسه بالاطلاع على سيرة عمر وهذا ما تقتضيه أمانة البحث وأظن أن فى ذلك كفاية.

بادرنى صاحبى قائلاً: مهلا ثمة أسئلة أخرى.

قلت لصاحبى: مرحبا بالأسئلة، لكنه قد يتملكنا العجب عندما نجد أناساً فى موكب تجديد الخطاب الدينى يهرولون ويسرعون دون وعى أو إخلاص، لقد فاجأهم الزعيم بهذه الدعوة الرشيدة، فهم يهتفون دون وعى بموقفهم، أين كانوا يقفون بالأمس، ولمن يهتفون؟ فلهؤلاء وهؤلاء نستعير كلمة للعقاد نختم بها، قالها لمن شغبوا عليه فى ميدان السياسة، قال رحمه الله: «إيه يا خفافيش السياسة، أعثيتم نفوسنا، أعثى الله نفوسكم الضئيلة، لا هواده بعد اليوم، السوط فى اليد وجلودكم لمثل هذا السوط خلقت، وسنفرغ لكم أيها الثقلان».

قلت لصاحبى: سوف أفرد بإذن الله مقالا لهذه الشبهات القديمة البالية. أبادر فأقول: إنه ليس من عندى لكن من التراث بأقلام الأساتذة العلماء أهل التخصص، حتى أريك أنها شبه فاسدة منتهية الصلاحية ضبطتها أجهزة الفحص الرشيدة فى حينها وألقت بها فى محرقة المخلفات صونا للمجتمع والناس. لكنى أقول لك باختصار: إن أى حد من حدود الله - تعالى - مثل الزنا والخمر والسرقه له شروط فليست المسألة اهتبالا للانتقام من البشر بل هو عدل ينبغى أن يسود وتقويم وعلاج يقدم لمرضى وليس شهوة انتقام مرذولة، فثمة شروط فى الشئ المسروق والمكان الذى سرق منه، فإذا لم تنطبق الشروط فهل تقطع يد الرجل الذى أخذ المال بزعم أنه سارق.

فإذا قال حاكم عادل وفقه مستقيم الفقه سليم الصدر لا تقيموا الحد، فواقعة السرقه لم تتحقق وهل يُلقى فى وجهه المتعطين للدم أو الراغبين فى التحلل على السواء أنه يعطل النص ولا يقيم الحد؟؟!!

إن الأمر فى الإسلام جد مختلف عما يشيع المرجفون ويتلهف المتشددون فليس الإسلام متعطشا للدم ولا لقطع الرقاب والأيدى فعلماء الحديث وعلماء الفقه أيضا عندما يتكلمون فى «أبواب الحدود» يصدر عن الباب بحديث النبى ﷺ «ادروا الحدود بالشبهات»^(٤) كلهم يفعل ذلك بلا استثناء من غير اتفاق مدبر أو مفتعل، إنما هى سماحة الدين نفسه تنساب من قلوبهم

(٤) أخرجه ابن سعد.

دلائل القدرة الإلهية

د. س. أ. الدكتور أحمد عمر هاشم

إن دلائل القدرة الإلهية في السموات والأرض على خالق الكون وعلى وحدانيته وأنه الحي والميت
دلائل تفهم كل الملحدين والوجوديين وأرباب المذاهب الهدامة قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝۷۷ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَى خَلْقَهُ ۝۷۸ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝۷۹ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝۸۰ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۝۸۱﴾.

أنكر البعث واستدلال قوى بيد الخلق على إعادته
فإن الله - تعالى - الذي خلق الإنسان من سلالة من
ماء مهين، ومن نطفة ضعيفة، قادر على إعادته بعد
موته ولقد جاء أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ
وفى يده عظم رميم، وهو يفتنه، ويذروه في الهواء،
وهو يقول: يا محمد أترغم أن الله يبعث هذا؟ قال
ﷺ: «نعم يُميتك الله - تعالى - ثم يبعثك ثم
يحشرك إلى النار».

إن قدرة الله - تعالى - على كل شيء واضحة
لدى كل مؤمن، فإن الله - سبحانه - هو الذي خلق
السموات والأرض، وبيده مقاليد كل شيء، وهو
الحي والميت وهو على كل شيء قدير، وهو الذي
يبعثنا بعد الموت، وأدلة البعث كثيرة وواضحة تمام
الوضوح، ولا ينكرها إلا جاحد ومعانِد، فالله -
سبحانه - خلق الإنسان من العدم، وهو الذي يحييه
ويبعثه، وفي هذه الآيات الكريمة، رد على من



ونزلت هذه الآيات من آخر سورة «يس» :

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا

خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ وَصَرَبَ لَنَا

مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقُهُ قَالَ مَنْ يَعْصِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ ٧٨

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝

والآية عامة فى كل من أنكر البعث، والألف

واللام فى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ﴾

للجنس يعم كل منكر للبعث ولقد مات أبى

ابن خلف على الكفر والضلالة كما أخبر

الرسول ﷺ .

وإن الله - تعالى - الذى أنشأ تلك العظام

البالية أول مرة هو الذى يحييها ويبعثها وهو

بكل خلق عليم، يعلم العظام فى سائر أقطار

الأرض وأرجائها، أين ذهبت وأين تفرقت

وتمزقت وفيها ما رواه الإمام أحمد بسنده: قال

عقبة بن عمرو لحذيفة رضى الله عنهما: ألا

تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ .

فقال: سمعته ﷺ يقول: «إن رجلا حضره

الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت

فاجمعوا لى حطبنا كثيرا جزلا، ثم أوقدوا فيه

نارا حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى،

فامتحشت - أى احترقت فخذوها فدقوها

فذروها فى اليم، ففعلوا فجمعه الله - تعالى -

إليه ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من

خشيتك، فغفر الله عز وجل له» .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وهو فى

الصحيحين بلفظ: «إنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم

يسحقوه ثم يذروا نصفه فى البر ونصفه فى

البحر فى يوم رائج أى كثير الهواء ففعلوا ذلك

فأمر الله - تعالى - البحر فجمع ما فيه، وأمر البر

فجمع ما فيه، ثم قال له: كن فإذا هو رجل

قائم، فقال له: ما هلك علي ما صنعت، قال:

مخافتك، وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له» ثم

أوردت الآيات الكريمة دليلا آخر على قدرة الله

- تعالى - وعظمته وعلى الموت والحياة وعلى

البعث، وذلك بما فى الكون من مخلوقات وبما

أنبته الله - تعالى - فى الأرض من أشجار، فهو -

سبحانه - قد بدأ خلق الشجر أخضر نظرا مثمرا

ثم هو - سبحانه - الذى يعيد الشجر حطبا يابسا

توقد به النار .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ

نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾

وقال قتادة فى هذه الآية: يقول الذى أخرج

هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه،

وقيل المراد بذلك: شجر المرخ والغفار يأتى من

أراد قذح النار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين

أخضرين ويقذح أحدهما بالآخر فتتولد النار من

بينهما كالزناد .

إنها قدرة الله - تعالى - الذى يفعل ما يشاء،

ويخلق ما يشاء فهو الفعال لما يريد لا يعجزه

شئ فى الأرض ولا فى السماء، فكيف ساغ

لأولئك الجاحدين والمعاندين أن ينكروا البعث؟

وشواهد من الوضوح بمكان بحيث لا ينكره

صاحب عقل، ولكن إنها لا تعمى الأبصار

ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

لقد اتضح دليل البعث من خلق الإنسان

ووجوده بعد العدم وبعد أن لم يكن شيئا





الذى بدأ الخلق وهو الذى يعيده وهو على كل شىء قدير .

وقال - تعالى - فى آية :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمَوْتَىٰ بِئْسَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣) .

فهو - سبحانه - لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو سبحانه الخلاق العليم، لا خالق سواه فهو الواحد الأحد القادر العظيم الذى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تبدون وما تكتمون، لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء.. وأمره تعالى نافذ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه إذا أراد نفذ المراد وأمره واحد لا يحتاج إلى تكرار :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

وهو - سبحانه - المنزه عن الخلق، الملك القدوس إليه يرجع الأمر كله، له الخلق والأمر وله المرجع والمآب، وهو العادل الذى يجازى كل إنسان بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، له كل شىء وإليه ترجعون .

وتنزيه الله - تعالى - وتسبيحه من أهم ما ينبغي أن تشتمل عليه عبادة المسلم آناء الليل وأطراف النهار فى عمله وسيره وعبادته، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى العبادة، وفى تسبيح الله وحده وشكره، روى الإمام أحمد - بسنده - عن

مذكورا وهذا دليل على أن البدء من العدم أكبر والقادر على خلق الإنسان من العدم وعلى خلقه أول مرة قادر على إعادته وعلى البعث والنشور والحساب والعقاب، وهذا دليل من نفس الإنسان ومن خلق الإنسان .

وهناك دليل آخر كوني، يتضح من هذه الأشجار التى خلقها الله - تعالى - وجعل من شجرها الأخضر نارا يوقدون منها، وأنها أدلة قوية وشواهد ناطقة بأن الله - سبحانه - قادر على البعث والإعادة، قادر على الحياة والموت، قادر على كل شىء، لأنه خالق كل شىء، فلا معبود غيره ولا رب سواه، تبارك الله رب العالمين .

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١)
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢)
﴿فَسَبِّحْ لِلَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

وفى هذه الآيات الكريمة استدلال على البعث، وعلى إعادة خلق الأجساد، وذلك بالتنبيه والإشارة إلى خلق السموات والأرض، فالسموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والأرض وما فيها من جبال وبحار، وقفار وأشجار وأنهار فى خلق هذا الكون الفسيح، والملكوت الكبير أكبر دليل على البعث والنشور، وعلى إعادة الناس، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فخالق هذه المخلوقات وهو الله - سبحانه وتعالى - قادر على خلق الناس، وإعادتهم وبعثهم بعد موتهم، فهو





بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن
بالبعث الآخر^(٤).

واختلف فى المراد بالجمع بين الإيمان بلقاء
الله - تعالى - والبعث، ف قيل: اللقاء يحصل
بالانتقال إلى دار الجزاء والبعث بعده عند
قيام الساعة، وقيل: اللقاء ما يكون بعد
البعث عند الحساب.

وقال الإمام النووى، وأما وصف البعث
بالآخر، ف قيل هو مبالغة فى البيان والإيضاح
وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل سببه أن
خروج الإنسان إلى الدنيا بعث من الأرحام
وخروجه من القبر للحشر بعث من الأرض،
فقيد البعث بالآخر لتمييز.

هذا، الإيمان بالبعث أعظم دافع للإنسان
ليأخذ من حياته زادا لآخرته كي يفوز برضا
ربه - سبحانه وتعالى - فى اليوم الآخر.

وكما ثبتت أدلة البعث والإعادة عن
طريق خلق الإنسان وخلق الأكوان فقد ثبت
كذلك عن طريق الإيمان بأن الله - تعالى -
حكيم وعادل.

فمادام الخالق حكيمًا وعادلًا فيستحيل
عليه العبث والظلم، كما قال سبحانه:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۖ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝﴾ (٥).

حذيفة وهو ابن اليمان - رضى الله عنه -
قال: قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ
السبع الطوال فى ركعات وكان ﷺ إذا رفع
رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده،
ثم قال: «الحمد لله ذى الملكوت والجبروت
والكبرياء والعظمة، وكان ركوعه مثل قيامه،
وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت
تنكسر رجلاى».

وفيما رواه أبوداود بسنده عن عوف بن
مالك الأشجعى - رضى الله عنه - قال:
قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقرأ سورة
البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا
يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال: ثم ركع
بقدر قيامه يقول فى ركوعه: «سبحان ذى
الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» ثم
سجد بقدر قيامه، ثم قال فى سجوده مثل
ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة
سورة.

والآيات الكريمة، تؤكد وتوضح الأدلة
القاطعة والبراهين الساطعة على قدرة الله
العزیز الحكيم، وعلى البعث، وإعادة الناس.

والإيمان بالبعث أو اليوم الآخر من صميم
العقيدة الإسلامية، ومن أركان الإيمان بالله -
تعالى - فى حديث جبريل حين سأل الرسول
ﷺ عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن
بالقدر خيره وشره»، وفى رواية قال: إن تؤمن

(٤) أخرجه البخارى ١/٢٠٠/١٤٤.

(٥) المؤمنون (١١٥، ١١٦).



من آيات الله فى السماء



دُرستاز الكثر - / أحمد فؤاد باشا^(١)



السماء ذات الحُبك

يقول الله - تعالى - فى قرآنه الكريم: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝ إِنَّكُمْ لَفَى قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ ۝﴾^(١). وقد جاء فى التفسير أن الحُبك جمع حبيكة: أى مسير النجم، وقيل حُبكها صفاقها، يقال فى الثوب الصفيق حسن الحُبك، وقال ابن عباس: ذات الجمال والبهاء، والحسن والاستواء، فإنها من حسنها مرتفعة شفاقة صفيقة، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، ويقال: حُبك الشئ: أحكمه. فتبارك الله العلى القدير الذى أوجد هذا الكون بإرادته المباشرة المطلقة، وجعل بناء آية فى الروعة والكمال، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولا شقوق ولا خروق ولا صدوع، وتمجد الله الخالق الواحد الذى أخبر عن عظيم سلطانه وأثار قدرته.

(١) الذاريات (٧، ٨).

(*) نائب رئيس جامعة القاهرة.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٤). وجاء في تفسير قوله - تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا ﴾^(٥).

إن الله - سبحانه وتعالى - جعل كل كوكب من الكواكب في الكون بمنزلة لبنة (طوبى) من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب - وغيرها من الأجرام السماوية - إلى بعضها البعض برباط الجاذبية مثلما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها من مواد تماسك بها. والتشبيه بالمباني أحد الصور البيانية الرائعة التي استخدمت كثيرا في القرآن والسنة، مثال ذلك قوله - تعالى - في سورة التوبة :

﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَّ بِئْسَ كُنْفَةً
عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَّ بِئْسَ كُنْفَةً
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَآتَاهَا فِي يَوْمٍ نَّارُهَا هَمَّ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦).

وقول الرسول ﷺ في المقارنة بينه وبين الأنبياء الأولين في حديثه الشريف : « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبل كمثلى رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، فأنال لبنة وأنا خاتم النبيين »^(٧).

وبين غاية الإحكام والإتقان في بديع خلقه وباهر صنعته، فقال عز من قائل :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۚ فَإِذْ جُمِعَ الْبَصَرُ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾^(٢).

قال ابن عباس ومجاهد : « هل ترى من فطور » أى شقوق، وقال السدى : « أى من خروق »، وقال قتادة : أى هل ترى خللا يابن آدم ؟

وقال الإمام الفخر فى تفسيره الكبير : المعنى إنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك بما طلبته من وجود الخلل والعيب، بل رجع خاسئا مبعدا لم ير ما يهوى من الكلال والإعياء.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى فى مواضع مختلفة، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع فى خلق هذا الكون وبنائه، وذلك فى مثل قوله - تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾^(٣).

(٣) ق (٦).

(٥) الشمس (٥).

(٧) إتحاف السادة المتقين ٢/٢٠٢.

(٢) الملك (٤:١).

(٤) القمر (٤٩).

(٦) التوبة (١٩).



لم يتوصلوا بعد إلى نظرية علمية محددة بشأنها.

وكلمة «الثقب»، وجمعها: أثقب وثقوب، هي الترجمة العربية الشائعة للكلمة الأجنبية Hole التي أطلقها العلماء على تلك الظواهر أو الأجرام، وهي تعنى لغة: الخرق النافذ، لكنها تأخذ فى قاموس العلم الطبيعى معنى اصطلاحيا مستقلا يختلف من ظاهرة لأخرى. فهناك الثقب الأوزونى Ozone hole فى إحدى طبقات الغلاف الجوى، ويقصد به نقص، أو نضوب، نسبة الأوزون المعتادة فوق منطقة القارة القطبية الجنوبية. وهناك الثقب الكهربى Electric hole الذى اصطلح العلماء عليه اتفاقا لكى يعبر عن تصورهم لما يمكن أن يكون عليه سلوك المواد شبه الموصلة كهريبا. وهناك الثقوب السوداء Black holes فى أعماق الفضاء الخارجى، وهى ليست بالثقوب التى تعنيها لغتنا العربية، ولا هى سوداء كما يدل اللفظ الذى نتداوله فى حياتنا، ولكنها تسمية أطلقت على أجرام سماوية لا تراها عيوننا ولا تكشفها حواسنا وأجهزتنا. ومن ثم لا يصح أبداً أن ينصرف الذهن إلى الربط التام بين ما يعنيه لفظ «الثقب» كمصطلح

ونبه الله - تعالى - فى مواضع عدة من القرآن الكريم إلى بالغ قدرته فى إحكام بناء السماء وجعلها مكللة بالكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام التى لا تحصى دون تفاوت أو خلل فى هذا البناء. قال تعالى:

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا﴾ (٨).

وجاءت الإشارة إلى حدوث الانفطار أو الانشقاق فى الكون عندما أخبر الله - سبحانه وتعالى - عن علامات الساعة وأحوال يوم القيامة، وذلك فى مثل قوله:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (٩).

وقوله:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (١٠).

وقوله:

﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمٍ ذِي وَاهِيَةٍ﴾ (١١).

أما ما يقول به علماء الطبيعيات عن وجود ثقوب فى الكون، فهو وصف غير دقيق، وتسمية على غير مسمى لبعض الظواهر الفيزيائية والفلكية، أو الأجرام السماوية، التى جذبت انتباه الباحثين حديثا، ولكنهم

(٩) الانفطار (١).

(١١) الحاقة (١٦).

(٨) النازعات (٢٧-٢٨).

(١٠) الانشقاق (١، ٢).





استدار، ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً لليل وما وسعه، أى أصبح بديراً كامل الاستدارة ليعكس للناس أقصى استضاءة ممكنة. ويحدث الانساق عندما يكون القمر فى جهة من الأرض والشمس فى الجهة الأخرى، حيث تقل العواصف والزواجب والأنواء الكهربية.

ولقد ساعد التقدم العلمى والتقنى فى عصر الفضاء على كشف الكثير من الحقائق الجديدة عن القمر، من ذلك ما كشفت عنه التجربة - باستخدام أشعة الليزر - من حدوث تغير طفيف جدا فى المسافة بين الأرض والقمر، حيث وجد أن تصحيحا يقدر بحوالى مائة متر يجب إدخاله على القيمة المعروفة حالياً لمتوسط بعد الأرض عن القمر، والتى تساوى ٣٨٤ ألف كيلو متر. ومتابعة تحليل ودراسة هذا التغير مع مرور الشهور والأعوام من شأنه أن يساعد على فهم أفضل لطبيعة حركة كل من الأرض والقمر فى الفضاء الكونى.

وعندما قامت رحلة السفينة الفضائية (أبوللو-١٧) إلى القمر فى عام ١٩٧٢ تمكن رائدا الفضاء الأمريكان من قيادة «مركبة قمرية» لمسافة ٨٠ كيلو مترا فوق سطح القمر، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية وتم تحليلها فى معامل

علمى ذى دلالات خاصة، وبين ما يعنيه فى لغتنا العربية من أنه «الخرق النافذ».

فسبحان الذى أحكم بناء السماء ذات الحبك، وجعل جميع الأجرام السماوية تتحرك بسرعات محددة لتسلك مساراتها المحددة التى قدرها الله - تعالى - لها فى فضاء السموات، لتكون من دلائل القدرة على وحدانيته.

القمر إذا انسق

ما أكثر ما أقسم الحق - جل وعلا - بمخلوقاته فى القرآن الكريم ليخبر بما تحتوى عليه هذه المخلوقات من أسرار عديدة وإعجازات مبهرة لا حصر لها. ويكشف العلم تدريجيا عن هذه الأسرار والمعجزات الدالة على عظمة القسم الإلهى وقدرة الخالق الواحد - سبحانه وتعالى .

ولما كانت الأرض تتمتع بميزة وجود قمر واحد تابع أمين لها، يرافقها طوال رحلة المجموعة الشمسية، فإن هذا القمر بدوره لابد أن يتمتع بمميزات فريدة تستدعى عظمة القسم الإلهى فى قوله تعالى :

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرَكِبْنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (١٢)

قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوى، وقال الحسن : إذا اجتمع وامتلأ، وقال قتادة : إذا





زيادة نشاط الشقوق وتحركاتها عندما يقترب القمر في مساره من الأرض .

ولعل أكثر المظاهر وضوحاً على سطح القمر هي الفوهات التي تنتج عن نشاط بركاني أو بسبب اصطدام الصخور المتنقلة بين الكواكب مع سطح القمر، ولقد ساعدت الصور الفوتوغرافية التي التقطها ملاحو الفضاء على معرفة المزيد عن خصائص هذه الفوهات .

ولاشك أن هذه الحقائق العلمية عن القمر لا تتعارض مع كونه أجمل الأجرام في السماء بالنسبة لنا لما يمدنا به من نور تبلغ شدته أقصاها كلما اكتمل وأبدر، فضلا عن أهميته القصوى في تحديد الزمن وحسابه . ولسوف يواصل الإنسان سيره على القمر، وربما سيمشي ذات يوم على غيره من الأجرام السماوية، مصححا تصوراته الخاطئة عن هيئة الكون وساعيا في الوقت نفسه إلى معرفة المزيد عن آيات الله المنبثة في السماء .

الأبحاث الأرضية، واستدل العلماء من نتائج التحليل على تجانس كثافة مادة القمر والاعتقاد بعدم وجود « نواة » معينة سائلة له على غرار نواة الأرض، أو منطقة « اللب »، والتي تحتوى على الحديد والنيكل كمصدرين رئيسيين لمجالها المغناطيسى .

من ناحية أخرى، قام علماء السفينة الفضائية أبوللو بوضع أجهزة لتسجيل الزلازل على سطح القمر وإرسال بياناتها بصورة مستمرة إلى مراكز الاستقبال الأرضية، وقد تم تسجيل العديد من « الزلازل القمرية » التي تحدث على هيئة هزات شدتها أقل من الهزات الزلزالية الأرضية، ويعتقد أن يكون بعض هذه الهزات ناشئا عن سقوط النيازك الهائلة في الفضاء الكوني واصطدامها العنيف بسطح القمر . أما البعض الآخر من الهزات القمرية فيحدث بسبب شقوق داخلية في القمر يبلغ عمقها ٨٠٠ كيلو متر تقريبا، وتدل السجلات الزلزالية على أن هذه الهزات استمرت فترة زمنية تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دقيقة . وهناك أيضا اعتقاد بأن قوى المد والجزر ربما تكون لها علاقة وثيقة بحدوث الهزات الناشئة عن



موافف إسلامية

أُمُومَة مِنْ صُنْعِ الْإِيْمَانِ

لِلْمُرْسَاذِ الْكُتُورِ / مَحْمُودِ عَمَارَة

تمهيد :

تأخذ العبادة خطها الرأسى .. تعظيماً لله - تعالى - ثم خطها الأفقى .. شفقة على عباده .. وإذا كانت البنت بحكم تكوينها أضعف من أخيها .. فهي أحوج إلى مزيد من الشفقة .. لتعتدل كفتا الميزان .. وذلك : بالإنفاق عليهن .. والصبر على تصرفاتهن .. من حيث كانت البنت « ابتلاء » .. يكره الناس فى العادة استقبالها .. ولا يكفى الإنفاق، وطيب الأخلاق .. وإنما يتم ذلك كله وهى حاضرة فى بؤرة الشعور .. كما يفهم من قوله ﷺ : (من عال جاريتين)، والعول هو : القرب .. بمعنى أن تربية البنت لا تتم « بالمراسلة » .. وإنما تكون معنا .. وفى دفء العواطف تتنامى شخصيتها .. ثم تنضج فى حرارتها لتكون أما بعد أمها .. وامتداداً لحياتها .

وقام الحديث السابق :

(من عال جاريتين حتى تبلغا .. جاء يوم القيامة أنا وهى كهاتين) وضم أصابعه (٣)، وواضح أن صحبة الرسول ﷺ

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل فلم تجد عندى غير تمر واحدة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبى ﷺ علينا فأخبرته، فقال : من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار (١) .

وفى رواية : « .. فأطعمتها ثلاث تمرات : فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورفعت إلى فيها ثمرة .. لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها .. بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذى صنعت فقال : إن الله أوجب لها بها - بالتمر - الجنة (٢) .

(٢) نفس المرجع والموضع .

(١) مسلم : باب البر والصلة ج ١٦ / ١٧٩ .

(٢) مسلم ج ١٦ فضل الإحسان إلى البنات / ١٨٠ .



تربيتها علي أوفى معاني الإحسان كما يشير الحديث الشريف : (فأحسن إليهن) ، وإذا كان هناك من يبخس البنات حقهن قائلاً :

(إنهن يلدن الأعداء، ويورثن الشحنة ويثرن البغضاء) ، إذا كان هناك من يقول ذلك .. فإن موقف الأم يشجب هذا الاتجاه مؤكداً أن البنت :
(تفاحة القلب .. وريحانة العين .. يُعنّ على الزمان .. ويذهبن جيش الأحزان)

لولا بنيات كـزغب القطا
وددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع
فى الأرض ذات الطول والعرض
إن هبت الريح على بعضهم
امتنعت عيني عن الغمض
وقال بعضهم :

أحب البنات .. وحب البنات
فرض على كل نفس كـريمه
فإن شـعباً لإحدى ابنتيه
أخدمه الله موسى كليمه

مفـزى موقف الأم

وقد كانت هذه الأم تحب بناتها .. وبهذا الحب احتلت مكانها بين الكرماء : لكنها دفعت الثمن أولاً .. فاستحقت هذا التكريم : ذلك بأن الرسول ﷺ يقول : (من ابتلى من هذه البنات بشيء ..) ، وليس المقصود البلاء بالشر .. ولكن المقصود هو : من قدر الله له .. بدليل أنه - تعالى - يبتلى بالخير كما يبتلى بالشر :

فى الجنة سلعة غالية .. وإذن .. فهى لمن يدفع الثمن ، والثمن هو كما يفهم من مجموع الأحاديث الواردة فى هذا الشأن هو :

أ- أن يضم البنت إليه .. وفى بيته .. ينشر عليها من رحمته .
ب- ألا يضيق ذرعاً بالبنات .. مهما كان عددهن ومهما تعقدت مشكلاتهن .
ج- أن يظل معها وفيها .. يزاملها حتى تتجاوز أخطر مراحل العمر .. (حتى تبلغ) .

الجزء

والجزء بعد ذلك هو :

١- تكون البنت ستراً من النار .. ترحزحه عنها .
٢- ثم لتدخله الجنة بعد ذلك .
٣- ليكون فى صحبة رسول الله ﷺ والصحبة فى ذاته منزل لو تعلمون عظيم ، إن مجرد الرعاية .. والاستشعار عن بعد .. لا يكفى من قبل أم تخلت .. أو أب مشغول ، وإنما هى الرعاية المباشرة والشاملة :

أ- غذاء للجسم .
ب- وغذاء للعقل بالعلم .
ج- والإرادة بالصقل .

د- والقلب بالملاطفة والتكريم .

ويعنى ذلك : أن يدخر الوالدان للبنت أفضل أوقاتها .. وأعد لها مزاجاً .

دور الأم

ولأن الجنس للجنس أميل .. وبه آنس .. فإن للأم هنا دورها المرموق فى تربية البنت .. بل وفى



الخبز.. أولاً.. ذلك بأن جمال البنت «صحة» وليس هو ذلك التزويق أو تلك المساحيق!

ولقد كان «ابن سينا» يكتب بعض وصفاته للمرضى.. بالشعر!.. لقد كان مكفول الحاجة.. معتدل المزاج.. مباركا.. فكان بيت الشعر سبيله إلى مرضاه.. فكان فى نفس الوقت لونا من الرفاهية.. التى ينبغى تأجيلها.. حتى يستوفى البيت حاجاته الملحة.

٢ ولقد أدركت الأم بحسها البصير أن طعام «العزة» أغلى وأعلى، لقد كان من الممكن أن ترسل البننتين إلى أية دار فى المدينة تسألان الناس: أعطوهما.. أو منعهما.. لكنها رأت ان بناتها أحوج إلى معنى العزة.. منهن إلى لقمة الخبز، فكان تصرفها ماضيا لتحقيق ذلك: لقد مدت يدها هى ولم تمتد يد ابنتها وامتدت إلى أمها أم المؤمنين..

وإذن.. فلا هى.. ولا ابنتها حملت منةً من أحد!!

وما أكثر الفارغين والفارغات.. الذين يعيرون البنت بأنها كانت خادمة.. أو كانت سائلة.. ولكن حكمة الأم هنا حمت البنات من هذا المصير.. بهذا القلب الكبير!

ومن أجل هذا قررت ما يلى:

١- أن تذهب - بالذات - إلى الرائد الذى

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٤).

أهمية تربية البنت

وإنه لحق أن يقال: إن تربية البنت أصعب منالاً.. لحساسية وضعها تحت سقف البيت.. ومن مظاهر هذه الصعوبة:

قد تخطب الصغرى.. قبل الكبرى

وقد يخطئ الابن.. ثم يخرج من البيت مغاضبا

أما أخته.. فهى لا تستطيع ذلك.

وإذن.. فإن تربيتها تحتاج إلى ربان ماهر.. يتحلى بمزيد من الصبر.. والصبر جميل.. وفاء لحق هذا الكائن الضعيف فى رقابنا.

ماذا فعلت الأم؟

ونتأمل موقف الأم الرؤوم من خلال الحديث الشريف.. وكيف تحملت مسؤولياتها تجاه بناتها.. فيطالعنا الموقف بما يلى:

١ لقد تعلمت الأم من «العصفور» درساً:

إن العصفور يحب الغناء.. ولكن مهمته الأولى هى:

١- بناء العش أولاً:

٢- ثم البحث عن غذاء لصغاره!

وها هى ذى تبحت عن الحب.. لزغب الحواصل، لا مكان للرفاهية.. ولابد من لقمة



فى حجرها، ولو كان الأمر كذلك .. لكن الجود بها ممكن .. ولكنها رفعتها فعلاً إلى فيها .. ثم سال لها لعبها .. وتهيأت المدة الخاوية لاستقبالها .. ولم يمنعها ذلك من انتزاعها من نفسها .. وردها إلى ابنتيها .. اللتين سوف يحبانها .. لهذا الإيثار .. حبا يدعم الحب بين الأخوات كلهن .. ليكون الإيثار شرعة البيت ومنهاجه .

العودة الحميد

وتعود الأم إلى بيتها قريرة العين بما رأت وما سمعت .. وإذا كانت قد عادت بتمرة واحدة .. أو ثلاث .. فقد كان ذلك هو كل ما فى بيت النبوة .

ولا يعنينا فى الإحسان حجمه .. وإنما القلب الكبير من ورائه .. والذى يسع المحاويع .. تأتية من كل فج عميق .. ويكفى أن يشعر المحتاج أن بجانبه قلباً كبيراً .. يقف معه فى الملمات .. وما أكثر المرائين الذين يملأون الجيوب .. ثم يأخذون من القلوب كرامتها .. ولكن الأسرة تعود بكرامتها .. وعزتها .. وما فاتها من الدنيا شيء تبكى عليه !

من ملامح بيت النبوة

ولكن ماذا عن بيت النبوة من خلال هذا الموقف ؟

أ- ليس فى بيت النبوة إلا ثمرة واحدة !!، ومع ذلك كان أسعد البيوت على الإطلاق، إنه البيت الذى تبرع بآخر ما يملك .. ليحس

لا يكذب أهله .. إلى رب العائلة الكبير .. تفادياً للإحراج لو سألت غيره! منطلقة من عقيدة تؤكد: أنه ﷺ ولى من لا ولى له .. ومن ترك ديناً فعليه قضاؤه .. ومن كان جائعاً فعليه غذاؤه !

ب- ثم إنها تصون كرامة البنين .. وتستبقى حياءهما حين تذهب معهما .. لتتوب عنهما فى السؤال .. إبقاء على مشاعر الكرامة أن تطير شعاعاً .. حتى إذا صارت البنت بعد ذلك زوجة .. لم تجد من يمن عليها بمعونة .. أو يؤذيها بكلمة نابية .

٣ لقد صارت الأم قدوة تجسد معنى العدل .. بل ومعنى الإيثار، لقد أعطت الأم كل واحدة .. ثمرة، وتلك هى قيمة العدل والمساواة .. التى بمقتضاها تحب الأخت أختها، والتى عززتها الأم .. بشق التمرة الباقية نصفين .. وفى شق هذا الجرم الصغير: تحرر التسوية .. التى يجيء النصفان بها متعادلين تماماً .. تعادلاً لا يبقى فى نفس البنت أثراً .. لأثره !

ومع ذلك كله تبدو قيمة الإيثار .. الذى ترقى به الأم فى سلم الكمال صاعدة: الإيثار الذى خرج من بيت النبوة عملاً .. لا حديثاً يروى .. لقد آثرتها عائشة - رضى الله عنها - وابنتيها بكل ما فى البيت .. فكيف لا تؤثر هى .. ابنتيها .. فلذة كبدها !!! إنه الإيثار المشتق من إيثار بيت النبوة .. والذى جاء على أوفى معانيه، ذلك بأن التمرة التى تخصصها لم تكن فى جيبها ولا فى خزانة أو





حتى ماتوا جميعاً شهداء الوفاء.. قبل أن يموتوا شهداء المعركة!

مسك الختام

ومسك الختام هنا:

ما كان من تقديره ﷺ لعمل العاملين.. وتنويهه بما يحرزون من سبق في مجال القيم.. مما يسعد الحاكم الذى يرى أثر دعوته فى سلوك أمته، وما يترتب عليه من تفتح المواهب فى هذا المناخ الصحى.. وفى زحام الحياة وضجيجها قد لا يسمع أحد صوت أحد.. ولكن اليد الحانية تمتد بالعطاء إلى المحروم.. ومن خلال هذا الزحام.. تنتشله من وهدة الهوان.. ليظل أبداً هو الإنسان.. الإنسان.. الذى هو أغلى من كل ما تحفل به الأكوان.

وإذا كانوا هناك.. يقولون: إذا اشتعلت النار فى حجرة بها طفل.. وتمثال جميل.. ولم يكن إلا إنقاذ واحد منهما.. فأنقذ التمثال.. لأنه لا يعوض!؟ إذا كان من مقررات بعض الفلاسفات فإن الإسلام لا يهمل إلا الإنسان.. الذى هو أثمن درة فى تاج الوجود.. فإذا كان هذا الإنسان بنتاً.. سوف تكون غداً.. أما.. إذن.. فما أخطر المهمة.

فالأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

وإذ يقول «فورد» ملك السيارات عن زوجته:

إنها «المؤمنة».. لأنها كافحت معه حتى

بأقصى ما يملك إنسان من الرضا.. حين أثر به القيمة.. على متاع زهرة الحياة الدنيا.

ب- وإذا كانوا يقولون اليوم: إنه إذا كان الزوج بحراً.. فيحب أن تكون الزوجة «سدا» حتى يضع حداً لإنفاق الرجل.

إذا كانوا يقولون ذلك.. فقد كانت عائشة - رضى الله عنها - بحراً إلى جانب البحر.. وكانت - وهى التى تربت فى بيت تاجر غنى هو الصديق - كانت نعم الزوجة التى رضيت من الحياة الزوجية بصحبة رسول الله ﷺ حتى تبرعت بكل ما فى البيت غير عابئة بما يترتب على ذلك من آثار.

ج- ثم هى تقف إلى جانب الزوج العظيم، تنقل إليه خبر هذه الأم.. أى تنقل إليه.. «نبض الشعب» بآلامه.. وآماله.. صادرة فى كل ذلك عن إحساسها العميق بمسئولياتها كأم للمؤمنين، ترعاهم.. وتأسوا جراحاتهم.. وتحمل المعقد من مشكلاتهم.

د- ثم تأمل إعجابها بما فعلت الأم:

إن مشاعر الإعجاب هنا.. تذكرنا بنماذج للغرور فى دنيا الناس تأبى أن يسبقها إلى الفضل غيرها.. من تلك القوى الشعبية الصاعدة.. لتظل الفضيلة حكراً على القمة العالية.. ولكن المتقين.. يتجهون إلى هدف واحد.. ومن ثم فهم لا يختلفون.. ما دام الكل يصب فى هذا الهدف.. وإذا اختلفوا يوماً.. فإنهم يختلفون أيهم يقدم للحياة أكثر من غيره.. تماماً كهؤلاء الذين رفض كل واحد منهم أن يشرب قبل أخيه جرعة ماء..





بقلبي وعقلي وروحي مدينة لكم بالشكر،
نعم.. شكراً على كل سهر احترقت به وأنا
أنتظر عودتكم من شوارعنا المجنونة، شكراً
على كل أرق اعتصرني ليالي طوالاً وأنا
أبحث عن حل لمشاكلكم المعقدة، شكراً على
كل نبضة قلب طائشة فقدت صوابها خوفاً
من أخطائكم المتهورة، شكراً على كل شوق
اشتعل في قلبي لغيابكم في سفر طويل،
شكراً على كل دمة أدفأت وصادتى وأنا أدع
الله لكم بالنجاح وأخشى عليكم الفشل،
شكراً لكل ذلك، فإن أيديكم الحبيبة
الصغيرة التي أعطتني هذه الهموم والآلام..
هي نفسها التي تحملني لبداية طريقي إلى
الجنة فبالقلق والأرق والسهر يفتح لي هذا
الطريق، وبالرعاية والهداية والعطاء تضاء لي
جوانبه، وعساني بكل ذلك أن أنال غاية
الغايات، وأن أكون أنا عند أقدام هذه الجنة
الموعودة التي قال عنها رسولنا الكريم: «إنها
تحت أقدام الأمهات».

وما أكثر الأمهات الكريمات اليوم..
واللائئ آد ظهورهن ثقل حملهن.. وإنهن
ليلتفتن يميناً وشمالاً.. باحثات عن يد تمتد
إليهن من خلال زحام الحياة..

وماتزال الأم الشريفة مع حاجتها كما
يقول شيخنا الغزالي:

حافضة للود..

حامية للعرض

فهى فى عبوديتها أشرف من كل: حر..
أبيض.. يسود بخيانتة بياض الحياة!

وصل إلى ما وصل إليه.. ولو لم تكن هذه
السيدة لما حققت بعض ما أنجزت.. فما
أجدرنا أن نغالى.. بأمننا التي لم تسهم مع
زوجها فى بناء مصنع، وإنما أسهمت معه فى
بناء الإنسان!!.

الموقف.. باغلة العصر

بعد الفراغ من كتابة هذه الصفحات..
قرأت ما أسعدنى.. مما يؤكد أن نهر العطاء
مازال يقطع رحلة الحياة.. وأن الأم العربية
المسلمة ما زالت تحتفظ بهذه الروح الكادحة
المجاهدة.. وقد يغيب العائل.. ويرحل
الرفيق.. ثم يترك من بعده ذرية ضعافا.. لكن
الأم.. تحمل الراية من بعده.. راضية بقدرها:

تقول واحدة من الأمهات المجاهدات:

كانت دائماً سعادتى لا حدود لها وأنا أرى
نظرات الدهشة الشديدة وعدم التصديق
عندما يعلم الناس أننى «أم ابنتى» الشابة
ولست أختها كما اعتقدوا.. وكان قلبي لا
يتسع لكل ضحكاتى السعيدة بذلك فتنتطق
منه إلى شفتى مهللة.. حتى كان الأسبوع
الماضى حيث نظرت إلى ابنتى - وهى تعبث
بشعرى - وفى عينيها البريقتين هول مفاجأة،
وقالت: يا ماما.. يا.. كل هذا الشعر
الأبيض؟ وضحكت هذه المرة أيضاً، ولكن
ضحكة عتاب، ألا تعرف هذه الجميلة سبب
هذه الشعيرات البيضاء.. إنه أنتم يا أحباب
القلب.. وحببات العين، وروح الحياة.. إنه
أنتم يا أولادى وفلذة كبدى.. أنا لا ألوم ولا
أعتب ولا أشكو - بل على عكس ذلك فأنا



من الدين والسياسة

للمستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

٢

الرجوع إلى القرآن والسنة

وقد أخطأ الغرب في اتهامه الإسلام بالإرهاب، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، هكذا يقول علماء المنطق العقليون، وعلماء الأصول الإسلاميون والذين يتهمون الإسلام والمسلمين الآن بالإرهاب عليهم أن يتصوروا حقيقة الإسلام، الذي يدين به الآن مليار ونصف مليار من المسلمين يفتershون مساحات واسعة فوق سطح الكرة الأرضية، ومفتاح الإسلام الأول هو القرآن الكريم، فهل إذا رجعنا إلى القرآن لكي نتصور الإسلام كما وضع أسسه القرآن نجد هذا الإسلام إرهابياً كما يزعمون، وأن المسلمين إرهابيون تبعاً للإسلام؟!

ومع الرجوع إلى القرآن، ينبغى الرجوع إلى السنة النبوية، ثم إلى الواقع التاريخي للدولة الإسلامية في عصر النبوة، والخلافة الراشدة، وهي الفترة التي تأسس فيها الإسلام منهجاً وسيرة وسلوكاً، إذن كان ينبغى على من

يتهمون الإسلام والمسلمين بالإرهاب أن يؤسسوا أحكامهم بالوقوف على المصادر التي أشرنا إليها لو كانوا طلاب حق يريدون أن يكون لما يقولون احترام وتقدير عند الناس.

وقبل أن نستعرض موقف القرآن في هذا الصدد نشير إلى فريّة افتراها خصوم الإسلام، ثم انطلقوا منها بلا ضوابط يكيلون للإسلام التهم في كل اتجاه، تلك الفريّة هي قولهم: إن الإسلام انتشر بالسيف وسفك الدماء وأن الأيديولوجية التي حكمت تصرفاته تتلخص في هذا الخطاب الإسلامي الصامت لغير المسلم: أسلم أو تُقتل، والإسلام برىء من هذا كل البراءة.

فهذا هو القرآن (دستور الإسلام الأول) ينادى جماعة المؤمنين (المسلمين) هذا النداء الخالد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١)

(١) البقرة (٢٠٨).



إنه نداء عام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقد أُكِّد هذا العموم بقوله - تعالى - :

﴿أَنَّهُم مِّن قَتْلِ نَفْسٍ بَعِيرٍ نَّفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسُ جَمِيعًا﴾ (٤).

﴿كَافَّةً﴾ أى لا يشذ منكم أحد عن الدخول فى السلم (السلام) وأن الشذوذ عن هذا المبدأ العام اتباع لخطوات الشيطان، والشيطان عدو المؤمنين.

وليس فى الإسلام نص واحد فى كتاب الله، أو سنة رسوله يبيح قتل إنسان بسبب عدم دخوله فى الإسلام، أو لأنه يعتنق عقيدة وديناً غير عقيدة الإسلام ودين الإسلام.

والأمر هنا ﴿أَدْخُلُوا﴾ للوجوب والإلزام، وفى آية أخرى يقرر الإسلام حرمة الدماء لجميع الأحياء دون تفرقة بينهم فى العقيدة والدين والمذهب، ومما وقع الاتفاق عليه بين فقهاء الأمة أن دم كل إنسان مصون باعتباره إنساناً دون اشتراط أى وصف آخر، وأن صون دمه يتحقق بولادته حياً.

والدعوة إلى الله كانت تخلو من الإكراه والضغط وأساسها هو البلاغ الواضح، وبعد البلاغ يُترك الناس وشأنهم، وقد تقرر هذا المبدأ فى قوله - تعالى - :

وقد أخذ الفقهاء هذا المبدأ من قوله - تعالى - :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٥) كما يحصر القرآن مهمة الرسالة فى مجرد البلاغ وينفى أن يكون للرسول حق الضغط على من يدعوهم إلى الإسلام وفى ذلك ورد قوله - تعالى - :

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٢) وقد تكرر هذا النهى مرة أخرى :

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٦) وفى قوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٣) ثم هَوَّل القرآن من قتل النفس ظلماً وعدواناً، وجعله مساوياً فى الشناعة لقتل الناس جميعاً، فقال - عز وجل - :

﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٧) تأكيد لحصر مهمة الرسول ﷺ فى البلاغ دونما سواه، بل إننا نجده يقرر حرية الاعتقاد بعد البلاغ فى عبارات شديدة الوضوح على المراد منها، ترى ذلك فى قوله - جل وعلا - :

(٢) الإسراء (٣٣) .

(٣) الأنعام (١٥١) .

(٤) المائدة (٣٢) .

(٥) البقرة (٢٥٦) .

(٦) الغاشية (٢١، ٢٢) .

(٧) الرعد (٤٠) .





﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ (٨).

هذا هو في إيجاز منهج القرآن في الدعوة إلى الله، لا ترى فيه سيفاً ولا رمحاً، وإنما هو بيان قولى يمهّد طريق الإيمان للراغبين، ويقيم الحُجة لله على المعارضين، ويقطع أمامهم الأعداء.

إن استقرار الأمن العام والخاص من أولويات الإسلام للمسلم، ولغير المسلم.. وإذا تعرض هذا الأمن للخلل فإن القرآن يحاصر الذين يشيعون الإرهاب والتخويف وترويع الأمنين أياً كانت عقائدهم وانتماءاتهم، ويضع بين يدي ولاة الأمر مجموعة من العقوبات الرادعة للإرجاف والمرجفين، وفي ذلك ورد قوله - جل شأنه - :

﴿إِنَّمَا

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩)

إن كل عقوبة من هذه العقوبات الأربع تناسب جريمة من جرائم هؤلاء المحاربين (الإرهابيين) وأخف هذه العقوبات هي (النفي) من الأرض، وقد نص العلماء على أنها عقوبة للتخويف والترويع، وهو أخف الجرائم.

كما فسروا النفي بالإبعاد من الوطن، أى :

التغريب. أما إذا قتلوا ونهبوا، فالعقوبة القتل. وإذا مثلوا وقتلوا، فالعقوبة هي القتل والتصليب، وإذا اقتصروا على التخويف ونهب الأموال، فالعقوبة هي تقطيع الأيدي والأرجل. وبهذه الإجراءات الحاسمة يحارب الإسلام الإرهاب والمحاربين، بلا رحمة، لأنهم يعبثون بالأمن ويعيثون في الأرض فساداً.

فكيف يكون الإسلام دين إرهاب وعنف؟!.. وها هو ذا يكافح الإرهاب بقوة لا هودة فيها.

وتشريعات الإسلام في ما يتعلق بنظام المجتمع في الحياة الدنيا ليست وقفاً على المسلمين، وإنما هي واحة مُظِلَّة لكل فرد من أفراد المجتمع.

فعرض غير المسلم حرام مثل حرمة عرض المسلم.

ومال غير المسلم حرام كحرمة مال المسلم.

ودم غير المسلم حرام كحرمة دم المسلم.

وأمن غير المسلم مَصُون مثل صون أمن المسلم.

فأين تجد - يا ترى - رائحة للإرهاب عالققة بالإسلام في الجانب الذى تقدم ذكره.

آيات يخطئون في فهمها

ولكن في القرآن الكريم آيات، قد يتمسك بها من يتهمون الإسلام بالإرهاب، وأنه لا يرى لمن يخالفه في العقيدة إلا القتل والقتال، كما



قد يتمسكون بحديث واحد صحيح النسبة لرسول الإسلام ﷺ .

وليس لهم لا فى الآيات القرآنية، ولا فى الحديث أى دليل على ما يقولون . بل إن القرآن الكريم، والسنة النبوية - قولاً وعملاً - يدحضان هذه الفرية التى روجها خصوم الإسلام قديماً، ويروجها الغرب الصليبي حديثاً، وبيان ذلك ميسور لمن أراد .

فمن الآيات التى قد يتمسكون بها قول الله - تعالى:-

﴿فَإِذَا أُنْشِخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) .

يفهمون من هذه الآية أنها تحرض على قتل المشركين وتضييق الخناق عليهم، وأنهم - أى المشركين - لا ينجون من سيف المسلمين إلا إذا دخلوا فى الإسلام، لأن الآية جعلت توبة المشركين من الكفر، وإقامتهم للصلاة شرطاً فى كف القتل عنهم .

وهذا الذى يفهمونه لا أساس له من الصحة، ولم يكن الكفر والإشراك سبباً قط فى قتل المشركين ومطاردتهم . وإنما تتحدث هذه الآية عن مشركى العرب فى بدء الدعوة إلى الإسلام، لأنهم وقفوا لها بالمرصاد فى ذلك الوقت، واضطهدوا الذين سارعوا بالدخول فى الإسلام، وأخذوا يعذبون من استطاعوا تعذيبه منهم،

حتى اضطر المسلمون إلى الهجرة ثلاث مرات :

مرتين إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة، وحتى بعد هجرة الرسول وأصحابه إلى المدينة، لم يتوقف عداؤهم للإسلام وكيدهم للمسلمين، واستمرت مؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين ثمانى سنين بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وبذلوا كل ما فى وسعهم للقضاء على الإسلام، ومن أبرز ما قاموا به تجييش الجيوش لغزو المدينة فى غزوات بدر الكبرى، وأحد، والأحزاب . حتى عقد الهدنة الذى تم فى صلح الحديبية لم يوفوا به ونقضوه .

إذن، فإن هذه الآية تتحدث عن قوم قد أضرموا نار العداوة، وأزكوها، وألقوا فيها بكل ما يملكون من ثقل حربى .

ومع هذا حرم الله القتال فى أربعة أشهر سماها أشهر حرم، وحذر المسلمين من القتال فيها، وهى هدنة استفاد منها المشركون، كما استفاد منها المسلمون، حيث حُقِنَتْ دماء الطرفين .

وبعد انتهاء الهدنة، أمر الله المسلمين أن يستأنفوا قتال هذا العدو اللدود، الذى ظل يطارد الدعوة طوال عهدها المكى والمدنى، فهذا الأمر كان استثناءً لجهاد العدو، الذى لم يتغير موقفه من الدعوة .

فالقتال المأمور به فى هذه الآية لم يكن موجبه شرك المشركين، بل كان موجبه دفع خطر المشركين على الدعوة، ولو أنهم بقوا على شركهم دون الوقوف فى طريق الدعوة

واعتداءاتهم على المؤمنين بها، وإيذائهم إياهم في أنفسهم وأموالهم، لما أهدر الإسلام دماءهم، ولما أمرهم بقتالهم، فلا دليل -إذن- في هذه الآية على اتهام الإسلام بالإرهاب والعنف .

وقريب من هذه الآية قوله -تعالى- :

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (١١).

وهي -كذلك- لا دليل فيها على اتهام الإسلام بالإرهاب . وتركيب الآية يدل على براءتها مما يريدون منها، لأنها تأمر المسلمين بأن يقاتلوا المشركين لمجموعين كما يقاتلهم المشركون مجموعين، ففيها أمر بقتال في مواجهة قتال فعلاً .

وباختصار فإن معنى هذه الآية نوجزه في هذه العبارة :

«قاتلوا من يقاتلكم» وليس في هذا عنف ولا إرهاب، لأن كف أى إنسان الخطر عن نفسه حق له مشروع، حتى في النظم الوضعية الحديثة، التي يندرج فيها هذا المعنى تحت مبدأ :

«المعاملة بالمثل» وحتى ما يسمى بـ «القانون الطبيعي» يقر بهذا المبدأ .

ومن أشهر ما يؤيدون به دعواهم : أن الإسلام دين إرهاب، وأنه يرى القتل مصيراً محتوماً لكل من يخالفه في العقيدة، قول الله -تعالى- :

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (١٢)

ولو أن هؤلاء المتحاملين على الإسلام، دققوا النظر في صيغة الآية، لظهر لهم فساد المعنى الذي فهموه لها، وهو أن الإسلام دين دموى إرهابى، لا يرى لمخالفيه إلا القتل .

حاشا لله أن يكون هذا هو المراد من هذه الآية، لأنها تتحدث عن ظرف خاص وطائفة خاصة من أهل الكتاب، هم اليهود . ولم يكن سبب الأمر بقتالهم كونهم يهوداً، ولا كونهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا كونهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا كونهم لا يدينون دين الحق .

هذه الأوصاف لم تكن هي الأسباب المنشئة للأمر بقتالهم، والذي يدل دلالة قاطعة على أن تلك الأوصاف لم تكن هي الموجب لقتالهم ما ورد في الآية نفسها :

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ .

لأن القرآن جعل إعطاء الجزية منهياً لقتالهم، ولم يجعل دخولهم في الإسلام هو المنهى لقتالهم .

بل كان الموجب لقتالهم جرائم بشعة اقترفوها ضد الإسلام والمسلمين، منها :
نقض العهود التي أخذها عليهم المسلمون،



يبدأون؟! .. أبدأون بالروم وهم أقرب مكاناً
إلى المسلمين؟!.

أم يبدأون بالفرس، وهم أبعد مكاناً؟!.

فنزلت هذه الآية ترشدهم إلى قتال الأقرب
إليهم مكاناً، وهم الروم.

فأنت ترى أن المراد من هذه الآية أمر خاص
وليس عاماً، وبذلك تبرأ الآية من الفهم الفاسد
الذى تمسك به من يصفون الإسلام بالإرهاب
والدموية والعنف.

أما الحديث فهو:

«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ...» (١٤).

هذا الحديث أجمع أهل العلم على أنه
خاص بمشركى العرب، لا يتعداهم إلى غيرهم.
فالعرب لا عذر لهم فى البقاء على الكفر،
لأنهم يعرفون رسول الإسلام معرفة عميقة، فهو
بينهم نشأ، يعرفون صدقه، وأمانته، والقرآن
بلُغَتِهِمْ نزل، فهم أقدر الناس على فهم مراميه،
لذلك لم يقبل الإسلام منهم أى بديل، مثل
الجزية، عن الإسلام.

هذا هو التوجيه الحق فى فهم هذه النصوص
الشرعية، فليس فيها أدنى شبهة على اتهام
الإسلام بالإرهاب أو التَّبَرُّمُ بمخالفه فى
العقيدة، وكيف يكون الإسلام إرهابياً وهو دين
السماحة والعدل والحرية والمساواة.

وقد نصت تلك العهود على أن اليهود يكونون
أمة مع المسلمين، ولكنهم نقضوها وتآمروا
فيما بينهم، ومع مشركى العرب على ضرب
الإسلام والمسلمين.

هذا هو السبب، فهو قتال لدفع خطر واقع
فعلاً من اليهود على الدولة الإسلامية الناشئة،
حيث كانوا يمثلون عصبية مجرمة داخل
الدولة، التى أقرتهم على عقيدتهم، ومنحتهم
الحرية الدينية التامة فى أداء شعائهم، والحرية
التامة فى العمل للحياة الدنيا، فى الزراعة
والتجارة والصناعة.

فقابلوا الإحسان بالإساءة والجميل بالقبيح،
والإخلاص بالمكر والخداع.

ومن الآيات التى أساءوا فهمها ليشوهوا
حقائق الإسلام قوله - تعالى -:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ
مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (١٣).

يفهمون أن هذه الآية تحرض كل مجتمع
إسلامى على قتال كل من يجاورهم، وهذا
خطأ شنيع، وحقيقة المراد من هذه الآية أن
المسلمين كانوا قد علموا أن الفرس والروم
يريدون غزو عاصمة الدولة الإسلامية الناشئة
(المدينة المنورة) وعزموا على مبادأة الدولتين
بالتقتال، ولكنهم اختلفوا حول بمن

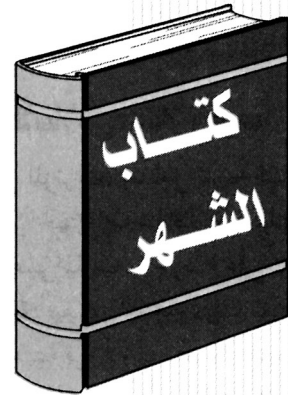




الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامي

تأليف

د / محمد ياسين مظهر صديقي



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



الحاجات والظروف تتغير، فلا يصح لشيء من الماضي أن يشغل عن الحاضر.

فإذا لم يستجب الإنسان لتلك الخدعة، لجأ المخادع إلى تشويه هذا الماضي، بحيث يصبح عبئاً عليه في مسيرته، لا يملك إلا أن يتجاهله، أو يتبرأ منه، أو لا يستمد منه إلا الغذاء الفاسد، والقذوة الشاذة.

التاريخ الإسلامى ميدان رحيب

ومن يتجرد من المؤثرات، ويتأمل تاريخ البشرية، يلاحظ أن مصدر الخداع إما مواطن متمذهب، يدفعه تعصبه الأعمى لمذهبه، وحرصه على تسيدته إلى تشويه الحقيقة، ليفرض مذهبه. وإما مغتصب غريب، تدفعه رغبته فى الاغتصاب والتسلط إلى هذا التشويه ليخضع الفريسة، ويتم له احتواؤها.

كما يلاحظ أن التاريخ الإسلامى كان من أرحب الميادين - إن لم يكن أرحبها - التى اتسعت لتشويه المخادعين من هاتين الفئتين - المتمذهبين من المواطنين، والمتسلطين من الغزاة الأغراب - وذلك لشمولية الإسلام، وما تعنيه تلك الشمولية من امتداد فكرى، وسلوكى، واتساع لشتى ميادين الحياة، وانفتاح على كل نشاط حيوى، وتسخير لجميع الإمكانيات البشرية فى اقتحام الكون بكل أبعاده وأغواره، من كل ما سمح لتعدد الرؤى، ونشوء الأفكار المتباينة، والاختلاف فيها، والتحاور حولها، والتمذهب بها، والتعصب لها.

ثم ما تعنيه شمولية الإسلام تلك، من تطلع الآخرين إلى الوقوف فى وجه انتشاره، والعمل على صدّه، والصد عنه، بل والسعى إلى غزو أرضه، واغتصابها، وقهر أبنائه، حتى لا تقوم لهم قائمة. ومن هنا... تشابه ما يصنعه بعض المسلمين

تاريخ كل أمة هو ذاكرتها التى تمدها بأسباب الحياة، فهو يماثل من الشجرة جذورها الذى ينبث فى شتى منحى التربة، حاملاً لأغصانها خلاصة الأغذية الحيوية، فكما أن أطراف الجذور ليست مجرد أطراف من الشجرة مُغَيَّبة فى الأرض، لم يعد للجذع حاجة إليها، ولا ارتباط بها. فكذلك تاريخ كل أمة لا يمكن لأى قطاع منها أن يستغنى عنه، أو يواصل مسيرة الحياة دون الاعتماد عليه؛ أى أن الإنسان لا يمكن أن يعيش بمعزل عن تاريخه، ولا أن يستعير تاريخ غيره ليعتمد عليه؛ فهو عمدة الحياة وعصبها، وليس ترفاً يمكن لفظه وعدم الالتفات إليه.

وحاجة الإنسان إلى تاريخه لا تعنى أن يسجن الإنسان نفسه فيه، ولا أن يلغى نشاطه الخاص اعتماداً على جذوره، فالتطور والنمو يلزمان الإنسان أن يستعين بما فيه ليتلاءم مع حاضره، ويضفر من هذين مستقبلاً، كى تظل الحلقات الحيوية الثلاثة متواصلة حية، مثمرة؛ فهو من أبرز خصائص الإنسان التى تميزه من بين الكائنات الحية.

ولما كان للتاريخ هذا الدور الفعال فى حياة كل أمة.. رأى فيه المغتصبون من بنى البشر أفضل الوسائل التى تُهيئ لهم فرصة اغتصاب الغير، وما له من خصوصيات، مع الاطمئنان إلى أنه لن يثور على مغتصبه، ولن يسعى لاسترداد حقوقه؛ فما على المغتصب إلا أن يفصل فريسته عن تاريخها ليصبح كالشجرة المقطوعة الجذور.

وفصل الإنسان عن تاريخه يتحقق بوسائل كثيرة، من بينها: خداعه بأن واقعه الحيوى يقتضيه أن ينصرف عن ماضيه، ويشغل بحاضره، فالماضى كان له ناسه بظروفهم وحاجاتهم، ومادامت





هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بالجيزة - مصر.

والكتاب غير مفصل ولا مبوب، فقد اكتفى فيه بعناوين الموضوعات، مسبوق بتمهيد، ومذيلة بخاتمة، مع إبراز بعض العناوين فى الفهرس، فبدت كأنها رءوس فصول، أو عناوينها.

وقد استعرض المؤلف فى أثناء ذلك أكثر من ثلاثين قضية تاريخية تعرضت لهجمات المغرضين، وتزييف المزييفين.

التاريخ الإسلامى بين حجرى الرعى

والمؤلف فى التمهيد (المؤرخون القدامى : القرن الأول والثانى الهجرى) يذكر أن من بين مؤرخى هذين القرنين من توافرت فيهم الثقة، من أمثال: عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤هـ / ٧١٢م، وأبان بن عثمان المتوفى سنة ١٠١هـ / ٧١٩م، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى سنة ١١٩هـ / ٧٣٦م، ومحمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م، وعبد الله بن أبى بكر بن عمر بن حزم المتوفى سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م، ومنوسى بن عطية المتوفى سنة ١٤١هـ / ٧٥٩م، ومعمار بن راشد المتوفى سنة ١٥٤هـ / ٧٦٢م، وأن منهم من يوجه لهم النقد، لما شاب كتاباتهم من إفراط وتفريط، مثل: وهب بن منبه، المتوفى سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م، وشريحيل بن سعد المتوفى سنة ١٣٣هـ / ٧٤٠م، وابن إسحاق المتوفى سنة ١٥٠هـ / ٧٦٨م، وأبى معشر السندى المتوفى سنة ١٧٠هـ / ٧٨٨م.. حيث تأثروا - فيما سجلوه - بما أملت عليه توجهااتهم السياسية، وميولهم المذهبية، وعصبياتهم القبلية.

بالتاريخ الإسلامى مع ما يصنعه هؤلاء الآخرون المعادون بهذا التاريخ، حتى بدا فى بعض الأحيان كأنه يخرج من مشكاة واحدة، وبدا فى أحيان أخرى أن هناك التقاء متعاوناً بين هؤلاء وأولئك.

ومن هنا... أصبح على كل مسلم أن يلزم بما أصاب تاريخ أمته، وأن يعمل القادر منهم على تنقية هذا التاريخ مما أصابه من تشويه وتزييف، فإن لم يستطع كان عليه أن يكشف ما نزل بهذا التاريخ من مصائب، التزوير، وويلاته على أيدى هؤلاء المؤرخين المسلمين الذين أعمتهم العصبية، فزيفوا تاريخ أمتهم، وأيدى المؤرخين الغزاة - من الأوروبيين وغيرهم - الذين دفعهم الغرض الجاهل إلى التوسل بالتزييف والتضليل فى سطوهم الغازى.

ولقد تصدى لكشف هذا الزيف كثير من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغير المسلمين الذين استنارت بصائرهم وأبصارهم بنور الحقيقة، وتحجروا من ربة التعصب الأعمى، والغرض الحقود، كما نرى فى الكتاب الذى نقدمه هذا الشهر.

الكاتب والكتاب

أما الكاتب فهو الهندى المسلم، الدكتور محمد ياسين مظهر صديقى، الأستاذ بجامعة عليكرة الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، وأما الكتاب فهو واحد من منشورات رابطة الجامعات الإسلامية، ترجمة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، من اللغة الأوردية، وقدم له الدكتور عبد الله بن عبد الحسنى التركى - رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، وصدرت الطبعة الأولى باللغة العربية سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، فى أربع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط - نشر





يبرأ - من هؤلاء المؤرخين - من العصبية الاجتماعية، والمحابة القبلية، والميول السياسية، والخلافات الفقهية، والنزاعات المذهبية... قد صدر عن نقص في المعرفة، وأن كثيرين منهم قد صدروا عن قصد وعمد، فكان هؤلاء وأولئك عوناً لمعارضى الإسلام من المستشرقين في هجومهم الفكرى المتواصل على الإسلام، استجابة لما امتزجت به نفوسهم من الكراهية للإسلام، والحقده عليه.

فمنذ فشلت قوة السيف والمدفع في إطفاء نور الإسلام تحت عنوان «الحروب الصليبية»، لجأ العالم الغربى إلى استخدام حركة الاستشراق الخادعة، فتعرض الإسلام لحرب من لون جديد، مع نهايات القرن الحادى عشر الميلادى، بقيادة (جربردى أرياليك)، و(قسطنطين الأفريقى)، و(أدلرد باغ)، و(روجر بيكن)، وغير هؤلاء ممن مهدوا الطريق بعد ذلك أمام (فولتير)، و(أليكسندروس)، و(هيلبيرت)، و(دانتي)، و(غوليوم بوستل)، و(جوزيف اسكالبية)، وغيرهم ممن قاموا بطبع أبحاث تطفح بالعداوة للإسلام، لتغرى بعد ذلك بالتوجه إلى وضع خطط عملية محكمة، يسير عليها المستشرقون بداية من القرن السادس عشر إلى وقتنا الحالى، وكان من أشهر قادتها: (وليم بدويل)، و(ب. فاتيه)، و(هاتينجر) الذين دفعتهم العصبية الدينية إلى تركيز جهودهم على تشويه السيرة النبوية، ثم قامت جماعة أخرى منهم بالهجوم على الإسلام نفسه، يحدوهم - فى كل تحركاتهم - التعصب الدينى الأعمى، والغرور الغربى الجاهل، مثل: (جان جاك سيدلو)، و(ديفرجيه)، و(بيرون)، و(جوزيف وايت)،

بل إن مؤرخاً مثل على بن محمد المدائنى، المتوفى سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م. لم تسلم بعض رواياته من الضعف، ولا خلت من الميول المذهبية والفكرية، على الرغم من أن جميع المؤرخين، وكُتّاب السير يتفقون - بصورة عامة - على الثقة فى رواياته، والأطمئنان إلى قيامها - فى جملتها - على منهج تاريخى صحيح، وإلى أنها تتفق مع العقل والقياس.

ويضيف المؤلف إلى ذلك تقويمه مؤرخى القرنين التالين - الثالث والرابع الهجرى - فيشير إلى أن منهم من تأثر بالعوامل الشخصية، برغم حرصه على الاحتياط الكامل، والدقة فى النقل والتحليل، مثل عبد الملك بن هشام، المتوفى سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م. ومنهم من قصر نفسه على رواية الأخبار مع إسنادها إسناداً صحيحاً، دون دراسة أو تحليل كاشف، مثل محمد بن جرير الطبرى، المتوفى سنة ٣١٠هـ / ٩٢٣م. حتى وصفه النقاد «بأنه جامع للروايات أكثر منه مؤرخاً»، وأن منهم من التزم الحيطة، مثل أحمد ابن يحيى البلاذرى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، حيث وضع الروايات العراقية جنباً إلى جنب مع الروايات الشامية.

رحلة المستشرقين مع الإسلام

ويذكر المؤلف أن معظم مؤلفى القرن الرابع، حتى السادس الهجرى (العاشر حتى الثانى عشر الميلادى) يتمتعون بإحساس ناضج بالتاريخ، وإن قصروا توجههم الأساسى على عصرهم، دون غيره، واكتفوا بالأخذ عن شيوخهم الكبار السابقين. ثم يجمل القول فيهم، مقررًا أن بعض من لم





الإسلامي، وهذا يعني أنه لا وجود لتأثير العوامل الدينية والأخلاقية، في التاريخ.

وكان من نتائج هذا... أن هؤلاء

المؤرخين صاغوا

التاريخ الإسلامي على أساس أنه تاريخ للصراع الطبقي، كما وضع فيما كتبه المستشرقون (هوبرت كرايم)، و(د.س. مارجليوث)، و(برنس لون كتان)، و(برنارد لويس)، ومكسيم رودنسن)، وما كتبه عبدالحى شعبان، وأحمد عباس صالح، ومحمود أمين العالم، ومحمود إسماعيل، وعبد المنعم حامد، وغيرهم من الكتّاب والمؤلفين المسلمين الاشتراكيين والماركسيين.

٢- وأن منها ما قام به أولئك الذين قصدوا إلى تجريخ التاريخ الإسلامي، والظعن فيه، متوسلين إلى ذلك بالبحث فى روايات التاريخ الإسلامى ومصادره، لينتقوا من بينها الروايات التى تخدم أهدافهم، وتصدّق مزاعمهم التى يريدون أن يقرروها.

فإذا لم يجد هؤلاء فى الروايات ما يفيدون منه، أطلقوا العنان لخيالاتهم، فافترضوا أحداثاً ومواقف لا أساس لها فى الواقع، اللهم إلا فى خيالهم المريض، ليقرروا ما يريدون تقريره، ويبرزوا النتائج التى تحقق أهدافهم، مغمضين أعينهم وعقولهم عما يشوبها من الخطأ البين؛ فهم لا يهتمون بتوثيق بياناتهم بالمصادر المعتمدة، بل قد يطعنون فى تلك المصادر، أو يتجاهلونّها تماماً.

و(وليم موير)، و(جولد تزهير)، و(فان كريمير) وغيرهم كثير.

وفى الفترة الأخيرة ارتدى الهجوم على التاريخ الإسلامى من رداء الفكر العلمى، القائم على البحث، وأسس التحليل النقدى، مبالغة منهم فى إخفاء مقاصدهم، وبلوغ مآربهم، تحت ستار العلم والبحث المنهجى، فترك المستشرقون أسلوب الكراهية المكشوفة، والعداء المعلن، ولجأوا إلى التخفى وراء طريقة العرض العلمى المعتمدة على إثارة الشبهات والشكوك فى التاريخ الإسلامى بطريقة خبيثة، ظاهرها المنهج العلمى، وباطنها التعصب والحقد والكراهية، وطعن الإسلام، فاستطاعوا أن يخدعوا كثيراً من البسطاء والغافلين، ممن فتنوا بالألفاظ البراقة، والنعوت الطنانة.

الحداثة وتزييف التاريخ الإسلامى

وتحت عنوان: (الاتجاهات الجديدة فى كتابة السيرة والتاريخ) رصد المؤلف أربعة اتجاهات حديثة، سيطرت على كتابة السيرة والتاريخ الإسلامى، لا يخلو اتجاه منها عن الخطأ أو الزيف وقصد التضليل.

١- فذكر أن من هذه الاتجاهات ما قام على إخضاع التاريخ الإسلامى لنظرية التفسير الاجتماعى والاقتصادى للتاريخ؛ فقد أغفل المؤرخون الاشتراكيون الدوافع الروحية، وتتبعوا العوامل والمحركات الاجتماعية والاقتصادية، مستجيبين لنظرية الصراع الطبقي والجدلى التى أفرزتها النظريات المادية؛ بحيث لا يرون الأحداث إلا فى ضوء دافع مادى؛ إذ الدوافع المادية وحدها - فى تقديرهم - هى المسؤولة عن حركة التاريخ



جرجى زيدان

إذ استغلوا الحيل الشرعية، والخدع الفقهية، فأفادوا منها فى تحقيق أهدافهم، وجعلوا يشرحونها بطرق عكسية أحياناً، وملتوية أحياناً أخرى، فأخطأوا فى كتابة

التاريخ، وكان الواجب عليهم أن يتبعوا الأسلوب العلمى الصحيح؛ فيثبتوا خطأ ما هو خطأ، وينقدوه بموضوعية محايدة، ثم يبرزوا ما هو صحيح، ويؤيدوه، وفقاً لما يجب على المؤرخ؛ من تنقيح الروايات، وتحليل الأحداث والوقائع.

بدايات تزييف التاريخ الإسلامى والخطأ فيه

وبعد هذا العرض النظرى لما أصاب التاريخ الإسلامى - من تشويه وتزييف وخطأ - بدأ المؤلف فى دعم ما استعرض من وقائع التاريخ الإسلامى، ابتداء من منشأ سيدنا محمد ﷺ بعد أن نبه إلى ما بين السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى من تلازم، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، كما نبه إلى أن الكتابة عما قبل البعثة النبوية لا يمكن فصله عن التاريخ الإسلامى كذلك؛ لأنه يتضمن خلفية هامة للكتابة عن الإسلام، ولا يفهم التاريخ الإسلامى بدون الوقوف عليها.

ومن هنا بدأ المؤلف - تحت عنوان (العهد النبوى) - باستعراض مواقف المستشرقين ومن احتذاهم من المؤرخين من اسم محمد ﷺ ونسبه. فذكر أن (مرجليوث) ومن تبعه راحوا يحطون من قدر نسبه ﷺ ويقللون من قدر حسبه،

ولعل من أبرز من يمثل هذا الاتجاه... المؤرخ الهندى (خورشيد أحمد فاروق)، والمؤرخان العربيان: (جورجى زيدان، وفيليب حتى).

وغالباً ما يلجأ هؤلاء إلى تقديم كتاباتهم فى هيئة خادعة، حتى يقدمونها فى هيئة علمية، مما يهرب القارئ، ويؤثر فيه، بحيث يخدع عن الحقيقة، ولا يستطيع الوقوف عليها، ولا إدراك ما وراء كتاباتهم.

٣- وأن من هذه الاتجاهات المغرضة اتجاهاً يضم بعض العلماء والمفكرين المسلمين الجدد غير المؤهلين تربوياً وعلمياً ليكونوا مؤرخين، ولكنهم تصدوا لبحث التاريخ الإسلامى فى بعض مراحل أو عصوره، فجاءت كتاباتهم خالية تماماً من الإدراك التاريخى السليم، مفتقرة إلى الأصالة المنهجية، وعمق التفكير، وبدلاً من ذلك... أقاموا بعض نظرياتهم بناءً على أفكارهم وميولهم ومزاعمهم التى اعتنقوها وآمنوا بها سلفاً، فهم لا يقفون على الحدث من مختلف أبعاده، ولكنهم يكتفون بمشاهدته من جانب واحد، فقبلوا الأخبار والروايات التى تتفق مع نظرياتهم وأفكارهم، وغفلوا - أو أغفلوا - عن جميع الروايات والأخبار التى تتعارض مع وجهتهم، أو يمرون عليها مروراً سريعاً، وذلك لجهلهم بالمعلومات الحديثة.

٤- والاتجاه الرابع هو ذلك الاتجاه غير الإسلامى، الذى يقوم على نظرية التفريق بين الدنيا والدين - أو بين الدولة والدين - الناتجة عن الرهبانية النصرانية، وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح تام فى التاريخ الإسلامى بُعيد النصف الثانى من القرن الأول الهجرى، حيث جاءت جهود العلماء الانتهازيين ونظائريهم من المفكرين والمؤرخين ناقصة وخاطئة؛



ومتينة لا تنفصم عراها، وصلة محبة وانسجام لا تنقطع أوصالها بأى حال .

هذا... فضلا عما كان بينهما من صلة مصاهرة ظلت سلسلتها مستمرة بين هاتين الأسرتين.. برزت فى زواج عثمان بن عفان من ابنتي محمد ﷺ وفى زواجه ﷺ من أم حبيبة بنت أبى سفيان، وما كان بينهما من روابط تجارية واجتماعية، تمثلت فى العلاقة المتينة بين أبى سفيان الأموى، والعباس بن عبدالمطلب الهاشمى .

ولقد استغل المؤرخون الجدد من (الماركسيين) وغيرهم، ممن حاولوا تفسير التاريخ - وفقا لمعتقدهم الماركسى - على أساس فكرة الصراع بين الطبقات، حيث وجدوا فى تلك الروايات الخاطئة مأربهم، فراحوا يصيغون التاريخ الإسلامى على أساس فكرهم الشيوعى، ليجعلوه تاريخ صراع بين الطبقات .

قصد التزيف يقود إلى التاريخ الانتقائى

وعلى الرغم من أن المستشرقين المزيفين ومن حذا حذوهم من المؤرخين لم يضعوا وقائع ولادته ﷺ وطفولته، ومرحلة شبابه الأولى على محك التاريخ الموضوعى المحايد، حيث اعتبروا جميع أحداث سيرة محمد ﷺ قبل بعثته روايات غير تاريخية، أو مجرد حكايات .

على الرغم من ذلك... نراهم يحرصون على إثبات قصة بحيرا الراهب بكل الوسائل، مع أن أكثر المؤرخين المسلمين، ونقاد الحديث، وعلماء الجرح والتعديل ينفون هذه القصة، ويرونها - من حيث أصول الرواية والدراية - قصة موضوعة .

ويقولون: بأنه من أسرة اجتماعية متواضعة، مستندين إلى أن حالته المالية بعد وفاة والده (عبدالله) كانت غير طيبة، مما اضطره إلى احتراف رعى أغنام أهل مكة فى طفولته، مما يدل على تدنى المستوى الاجتماعى له ولأسرته .

وذكر المؤلف أن هؤلاء - فى سبيلهم إلى تقرير ذلك - أغفلوا الشواهد التاريخية التى تثبت أنه ﷺ أحد أفراد أسرة بنى هاشم التى تتمتع بأشرف نسب، والتى كان لها شرف السيادة فى الأشهر الحرم على قريش مكة، حتى كان لها شرف تحمل مسئولية السقاية بين أشراف قريش، طبقا لأصول تقسيم المسئوليات بين القبائل، فكان ينظر إلى أسرة بنى هاشم نظرة إعزاز واحترام فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية .

وأغفلوا ما كان مشتهرا فى العرب آنذاك من أن يقوم أبناء الشرفاء والأحرار برعى ماشية الأسرة، لأن الرعى كان حرفة، وكان دليلا على ثراء العديد من القبائل .

كما أغفلوا العلاقة الحميمة بين أسرتى هاشم وأمىة اللتين تنتميان إلى عمومة واحدة من بطن بنى عبد مناف... وافترضوا أن بين الأسرتين تنافسا، جعل بنى أمىة يعارضون بنى هاشم، ويواجهونهم، بل ويناصبونهم العداء، الذى امتد بهم إلى معارضة الإسلام والتآمر ضدهم، منطلقين - فى هذا الافتراض - من خلفية ما كان بعد ذلك من اختلافات الفتنة الكبرى .

والحقيقة أنه لم تكن هناك منافسة بهذه الصورة بين هاتين الأسرتين، لا فى الجاهلية، ولا فى عهد الرسالة، إذ هما كلتاهما لم تكونا فقط من أهم أعضاء بنى عبد مناف، بل كان بينهما صلة قرابة



عمر بن الخطاب والقدس

د. س. أ. الدكتور / محمد بن القيم الفيومي

في عصر الخلافة الإسلامية واصل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب سياسة الفتح الإسلامي وتوالت الفتوحات الإسلامية تقدمها في فلسطين وفي ٢٠ من أغسطس ٦٣٦م هزم المسلمون القوات البيزنطية في معركة اليرموك وأمام النصر الإسلامي ترك هرقل بلاد الشام إلى غير رجعه. ثم جرت المفاوضات بين القادة المسلمين وبين البطريرك «صفرونيوس» واشترط تسليم المدينة المقدسة لعمر بن الخطاب نفسه واستجابت القيادة الإسلامية لذلك وقبل عمر بن الخطاب.

أن لاحظوا أن الخليفة المسلم قد جسد المثل المسيحي «للفقر المقدس» بدرجة من الإخلاص تفوق إخلاص مسؤوليهم. عبر عمر أيضاً عن مبدأ التراحم التوحيد أكثر من أي ممن فتحوا أورشليم قبله، وربما باستثناء الملك داود فقد أشرف على أكثر من غزوة للمدينة سلاماً، ودون أي إراقة للدماء لقد كان فتحاً لم تشهد مثله المدينة في تاريخها الطويل والمساوي في غالب الأحوال

وتقول الرواية: إن صفرونيوس ركب إلى خارج المدينة للقاء عمر ثم اصطحبه عائداً إلى أورشليم. ولابد وأن مظهر عمر الزاهد مقارنة بالبيزنطيين الذين كانوا يرتدون ملابسهم الفخمة، فقد دخل المدينة على ظهر بعير أبيض مرتدياً ملابسه المعتادة، والتي رفض أن يستبدلها احتفاءً بتلك المناسبة. وقد شعر بعض المسيحيين أن الخليفة لابد وأن يكون على درجة عظيمة من الزهد بعد



إلى جوار المقبرة حان موعد الصلاة فدعا صفرونيوس الخليفة للصلاة حيث كان واقفاً، لكن عمر رفض رفضاً مهذباً، كما رفض أيضاً الصلاة في مبنى كنيسة الشهيد القسطنطين وبدلاً من ذلك توجه إلى الخارج وصلى على الدرجات إلى جانب طريق كارδο ماكسيموس المزدهم. وفيما بعد وضع عمر الأمر للبطريرك قائلاً: إنه لو صلى داخل الأماكن المسيحية المقدسة، لصادرها المسلمون وحولوها إلى مساجد. وبعد ذلك مباشرة كتب عمر صكا منع المسلمين من الصلاة على تلك الدرجات أو بناء مساجد هناك وقام بعد ذلك بالصلاة في كنيسة النيا، ومرة أخرى أكد على أن يظل المكان في أيدٍ مسيحية.

بيد أن المسلمين كانوا يحتاجون إلى موقع يقيمون فيه مسجداً دون ضم أملاك مسيحية كما كانوا أيضاً متشوقين لرؤية معبد سليمان الشهير وطبقاً للمؤرخ الوليد بن مسلم فقد حاول البطريرك إيهام عمر أن كنيسة الشهداء وباسيلقا صهيون المقدسة هما «مسجد داود» إلا أنه في النهاية قاد عمر ومرافقيه إلى جبل المعبد.

وكما يقول المؤرخ الإسلامي مجير الدين فإن عمر حينما وصل إلى بوابات المعبد القديمة المتهالكة انتابه الفزع لدى رؤية القاذورات التي كانت تحيط بذلك الحرم المقدس إحاطة تامة، والتي استقرت على

فبمجرد أن استسلم المسيحيون لم يحدث قتل أو تدمير للممتلكات، أو محاولة لإجبار السكان على اعتناق الإسلام ولو أخذنا احترام سكان المدينة السابقين معياراً لسلامة وقوة العقيدة التوحيدية يمكننا القول هنا: إن الإسلام قد بدأ ولايته الطويلة هناك بداية حسنة جداً.

وكان عمر قد طلب مشاهدة الأماكن المقدسة واصطحبه صفرونيوس من فوره إلى كنيسة القيامة، وفي هذا الصدد يجب ذكر أن القرآن يبجل المسيح كأحد أعظم الأنبياء، غير أنه ينفي أنه صلب، كما أن محمداً ﷺ قد حقق في حياته نجاحاً مؤزراً خلافاً لنبي الله عيسى ومن ثم يرى المسلمون أنه من الصعب الاعتقاد أن يموت أحد أنبياء الله بذلك الأسلوب المخزي ويبدو أن العرب كانوا قد سمعوا أيضاً بأفكار الدوسيين والمناويين والتي كانت منتشرة في أنحاء كثيرة من الشرق الأدنى وتقول: إن المسيح بدا تخيلاً وأنه توفي؛ إذ أن الجسد الذي كان على الصليب كان مجرد وهم، أو صورة زائفة (ينص القرآن الكريم على أن المسيح لم يقتل أو يصلب).

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(١).

بيد أن عمر لم يبد شيئاً من تلك الشوفونية حتى أثناء الحماس المبدئي الذي صاحب ذلك النصر الهام فبينما كان واقفاً

(١) النساء (١٥٧).





فى القرن العاشر: إن عمر بدأ لقاءه بكعب بتلاوة سورتى الأسراء والكهف اللتين تحويان سرداً لقصص سليمان والمعبد بينما لا يرد فى سورتى الأسراء والكهف أى ذكر لداود وسليمان - عليهما السلام - لكن تروى المصادر العربية أن عمر تقدم فصلى بالناس وقرأ بهم سورة «ص» وهى السورة «٣٨» وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم مرة أخرى سورة «بنى إسرائيل أى سورة الأسراء» ثم ركع ثم انصرف، وبعد ذلك طلب من كعب أن يشير إلى أفضل مكان للصلاة على الجبل وانتقى كعب موقعا شمال الصخرة. إذ رفض عمر اقتراح كعب وقرر بناء المسجد عند الحافة الجنوبية للدكة فى موقع رواق هيرود الملكى حيث يقع المسجد الأقصى الآن ويمكن للمسلمين من ذلك الموقع التوجه إلى مكة وكان مبنى المسجد خشبياً متواضعاً يتماشى مع مبدأ التقشف للمسلمين الأوائل وكان أول من وصف المسجد هو الحاج المسيحى أركولف الذى زار بيت المقدس حوالى ٦٧٠م وأذهله التباين بينه وبين فخامة المعبد الذى كان هناك فكتب قائلاً إن «المسلمين الآن يترددون على بناء خشبى متواضع للصلاة أقاموه دون تشذيب بواسطة ألواح وعوارض كبيرة تم رفعها على أنقاض بعض المباني القديمة المتهدمة غير أن المسجد كان متسعاً يستوعب نحو ثلاثة آلاف مصل وكانت القبائل العربية هناك والتي اعتنقت الإسلام تؤم مسجد عمر للصلاة الجمعة.

درجات البوابات حتى أنها فاضت من المبنى إلى الطريق التى كانت البوابات تفتح عليه، وكانت تلك القمامة قد تراكمت إلى أن وصلت تقريباً إلى سقف المدخل.

وتقدم صفرونيوس وتبعه المسلمون بصعوبة شديدة وحينما وصلوا للقمة فلا بد وأنهم قد حملقوا مرتاعين عبر الاتساع الموحش لدكة هيرود والتي كانت مازالت مغطاة بالأنقاض والقمامة. ولم ينس المسلمون قط تلك الصدمة التى تلقوها عند لقاءهم بذلك المكان المقدس الذى كان صيته قد وصلهم فى بلاد العرب النائية، ومن ثم فإن بعض المسلمين قد قالوا إنهم أطلقوا على كنيسة القيامة كنيسة «القمامة» انتقاماً لسلوك المسيحيين غير الورع تجاه جبل المعبد.

وبعد أن استوعب صدمة الموقف أخذ يحمل حفنات من الروث وكسارات الحجارة فى عبائه ثم أطاح بالقمامة إلى وادى هنوم وسرعان ما اتبعه مرافقوه إعلاناً لسياسته التطهيرية.

وبمجرد إزاحة القاذورات عن الدكة استدعى عمر كعب الأحيار وهو خبير يهودى فى الإسرائيليات كان قد اعتنق الإسلام وكان أمراً طبيعياً للمسلمين أن يأخذوا بمشورة اليهود بشأن التنظيمات الخاصة بموقع كان مقدساً لأسلافهم، وتوضح المصادر اليهودية والإسلامية أن اليهود شاركوا فى تطهير الجبل ويقال إن عمر كان قد سافر إلى بيت المقدس مع مجموعة من حاخامات طبرية كما يقول أبو جعفر الطبرى المؤرخ المتميز الذى عاش





حرية المواطن والمعتقد

ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك : خالد بن الوليد، عمرو ابن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية ابن أبى سفيان، عمر بن الخطاب، كتب وحضر سنة ١٥ هـ. « النص من كتاب «إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى» تأليف محمد بن شهاب الدين شمس الدين السيوطى ج ٢» .

ومثل غيرهم من رعايا الإمبراطورية الإسلامية أصبح يهود ومسيحيو بيت المقدس أقلية محمية « ذميون » وكان عليهم أن يتخلوا عن جميع وسائل الدفاع عن النفس وعن حمل السلاح وبدلاً من ذلك وفر لهم المسلمون الحماية العسكرية ونظير ذلك كان الذميون يدفعون الجزية وكان على الحجاج المسيحيين دفع رسم دخول قدره دينار إذا هم أتوا من خارج الإمبراطورية الإسلامية وبذلك يصبحون ذميون أثناء إقامتهم .

ولم يكن نظام الذميون نظاماً كاملاً فقد طورت فيما بعد بعض التشريعات الإسلامية أن النظام سمح للناس من مختلف العقائد أن يتعايشوا فى تناغم نسبي، وضمن بشكل أساسى أن تعامل الأقليات معاملة شرعية كريمة ومن المؤكد أن النظام يعتبر تحسناً هائلاً على القانون البيزنطى الذى كان يضطهد بشكل متزايد الأقليات مثل اضطهاده لأتباع العقيدة الواحدة والسامريين واليهود .

لم يجبر الفاتحون أحدا من مسيحيى بيت المقدس على اعتناق الإسلام وفى الواقع فإن اعتناق بعض الأهالى الإسلام لم يلق تشجيعاً حتى القرن الثامن، كما يورد الطبرى وثيقة العهد الذى تم إنجازه بين عمر ومسيحيى اورشليم فإنها تعبر بدقة عن السياسة الإسلامية تجاه الشعوب المهزومة، ونص الوثيقة وهى العهد العمرية هو :

« هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء « القدس » من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا يسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بهم من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم وعلى



وبعد الفتح مباشرة وافق عمر صفرونيوس على عدم السماح لليهود بسكنى بيت المقدس، غير أن عمر قام بإلغاء ذلك الترتيب فيما بعد فلم يكن هناك سبب وجيه لأن ينكر على اليهود حق سكنى مدينة داود، ولذا قام عمر بدعوة سبعين عائلة من طبرية للاستيطان فى بيت المقدس وخصصت لهم المنطقة الواقعة حول بركة سلوام فى الركن الجنوبي الغربى من الحرم. وقام اليهود بتنظيف المكان واستعملوا أحجار الأنقاض لبناء مساكنهم الجديدة وسمح لهم أيضا بتشيد معبد عرف «بالكهف» قرب الجدار المساند الذى يعتقد أنه كان موجودا فى الأقبية أسفل الدكة، وتقول بعض المصادر: إنه كما سمح للمسيحيين بالصلاة فى مسجد المدينة فقد سمح أيضا لليهود بالصلاة على الدكة نفسها وكانت قد تم توظيف بعض الذميين من اليهود والمسيحيين حراساً وخداماً فى الحرم وقد أتاح لهم ذلك الامتياز الإعفاء من دفع الجزية ومن المحتمل أن اليهود كانوا على استعداد للقيام بتلك الأعمال عن طيب خاطر حيث منحهم الفتح الإسلامى أملاً جديداً فقد كان الأباطرة البيزنطيون قد جرموا الديانة اليهودية كما أوشك هرقل على إجبار اليهود على أن يُعمدوا مسيحيين، لذا كان اليهود على استعداد لموازنة المسلمين خاصة وأن عقيدة المسلمين التوحيدية أكثر قرباً لليهودية منها للمسيحية.

وهكذا فلم يكن من المستغرب إذا أن يرحب أناس مثل النسطوريين والمسيحيين من أتباع الطبيعة الواحدة بالمسلمين وأن يجدوا الإسلام أفضل من بيزنطة وفى هذا الصدد يكتب مؤرخ القرن الثانى عشر ميخائيل السريانى قائلاً: إن المسلمين لم يستعلموا عن عقائد الناس المعلنة ولم يضطهدوا أحداً بسبب إعلانه عن عقيدته وذلك خلافاً لما فعله اليونانيون الذين هم أمة من الهراطقة.

أما الأماكن المقدسة للمسيحيين فكانت تتركز جميعها تقريباً على التل الغربى وعلى هذا ظلت تلك المنطقة بالكامل منطقة مسيحية ولم يستوطن الفاتحون المسلمون ذلك الجزء من المدينة برغم أنه كان ذا مناخ ملائم وأكثر برودة من منطقتهم أسفل الحرم ومنع المسلمون أيضاً من ارتياد الكنائس الواقعة على جبل الزيتون ووادى قدرون وخاصة كنيسة الصعود وقبر العذراء حيث كانت هذه الأماكن تجسد مواقع وأحداثاً هى موضع تبجيل من قبل المسلمين كذلك وسمح للمسيحيين ببناء وترميم كنائسهم دون قيود وفى الواقع فقد كان هناك فيض من تشييد الكنائس فى فلسطين والشام فى القرنين السابع والثامن الميلاديين، كما سمح أيضاً للمسيحيين بتسيير مواكبهم وإقامة صلواتهم أما المكان الوحيد الذى كان المسلمون يتعبدون فيه بأعداد كبيرة فهو حرمهم الخاص بهم أى جبل المعبد الذى لم يكن قد شهد مشهداً لآى من الطقوس المسيحية.





عسكرية خاصة كما سمح لبعض القادة بامتلاك الضيعات فى الأراضى غير المسكونة وكما رأينا فإن المسلمين لم يحاولوا الاستيطان فى الجزء المعتدل المناخ ببيت المقدس بل أقاموا فى منطقة أسفل قاعدة الحرم بجانب الحى اليهودى وظل بيت المقدس مدينة مسيحية إلى حد كبير. بها منطقة إسلامية مقدسة واحدة وقد روى أن النبى محمدا ﷺ قد قال ما معناه: إن من تكلم العربية فهو عربى وبالمثل فإن من يتكلم اليونانية يدعى هيلنستى وكان من الطبيعى أن يتخذ سكان فلسطين الأصليون العربية لغة رئيسية لهم بمرور الوقت.

واستمر العرب يدعون المدينة المقدسة إما بيت المقدس أو إيلياء ويتجلى تقدير المسلمين للمدينة فى نوعية الأشخاص الذين اختيروا لحكمها فقد وقع الاختيار على معاوية بن أبى سفيان حاكماً لبلاد الشام أى فلسطين وسوريا، وأوكل إلى عمير بن سعد أحد قادة جيش المسلمين المسيطر. أمر جند فلسطين وعرف عنه معاملته الكريمة للذميين وأصبح عبادة بن الصامت وهو أحد خمسة من أهم المتخصصين فى علوم القرآن قاضى بيت المقدس وأقام بعض صحابة النبى المرموقين مثل: فيروز الديلمى وشداد بن أوس فى بيت المقدس بعد أن جذبتهم قداستها.

كما أن المسلمين لم يحرروهم فقط من ظلم بيزنطة، لكنهم أيضاً منحوهم حق الإقامة الدائمة فى المدينة المقدسة، ولايثير الدهشة إذن أن يتسبب هذا التغيير فى إلهام اليهود ببعض الأحلام الرؤياوية خاصة وأن المسلمين حاولوا تطهير المعبد، وأصبح هناك تساؤل عما إذا كان ذلك يعنى التمهيد لتشييد المعبد النهائى الذى سيقممه المسيح المنتظر وهكذا ظهرت قصيدة عبرية قرب نهاية القرن السابع ترحب بالعرب المبشرين بالمسيح المنتظر وتترقب، آملة أن يجتمع شمل يهود الشتات، وأن يعاد بناء المعبد، وحينما لم يصل المسيح المنتظر استمرت نظرة اليهود الراضية عن الحكم الإسلامى فى أورشليم ففى خطاب كتبه حاخامات أورشليم فى القرن الحادى عشر تذكر هؤلاء الرحمة التى أظهرها الإله لشعبه حينما سمح «لمملكة إسماعيل» أن تفتح فلسطين وعبروا عن غبطتهم لوصول المسلمين إلى أورشليم حيث كان فى صحبتهم أناس من أبناء إسرائيل أرشدوهم إلى موقع المعبد وتوطنوا هناك معهم إلى ذلك الحين.

فقد ظل شعب فلسطين خليطاً عرقياً كما كان دائماً ولم يسمح للفتاحين المسلمين باستيطان المناطق الجديدة فقد سمح لهم فقط بالبقاء كحامية عسكرية صغيرة كانت تعيش بمعزل عن السكان المحليين فى مجتمعات



اختيال إسلامية فيلسوف!

هل كان ابن رشد فيلسوفاً مادياً؟!

للمؤستاذ الدكتور / محمد عمارة

كان ابن رشد - أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد - [٥٢٠ - ٥٩٤ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م] - فيلسوفاً حكيماً.. ومثكماً مسلماً.. وفقهياً مالكياً.. وقاضياً للقضاء.. وطبيباً عظيماً.. وأديباً.. ولغوياً.. أبدع في ميادين هذه الفنون والعلوم آثاراً خالدة، تشهد على «التخصص - العميق» مع «الموسوعية» التي أحاطت بكل هذه الميادين.

فله في علم الكلام: [مناهج الأدلة في عقائد الملة] وفي المنهج: [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال].. وفي الفقه: [بداية المجتهد ونهاية المقتصد].. وفي اللغة والأدب والنحو: [تلخيص كتاب الشعر] و [الضروري في النحو] و [كلام على الكلمة والاسم المشتق].. وله في الطب أكثر من عشرين كتاباً، أشهرها: [كتاب الكليات].. أما في الفلسفة - التي صارت أشهر ميادين إبداعاته - فله من الشروح والتأليف ما يزيد على التسعين كتاباً.

جعل كتابه [بداية المجتهد] موسوعة في فلسفة اختلاف الفقهاء فيما اختلفوا فيه.. وكذلك كان [فصل المقال] و [تهافت التهافت] كتابين في فلسفة المنهج، وحكمة الاختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين.

تلك حقائق لا يختلف فيها العارفون بأبي الوليد.

وإذا كانت الشهرة بالفلسفة قد غلبت على ابن رشد، فإن مرجع ذلك لم يكن فقط إمامته لهذا الفن في عصره، وإنما لغلبة ملكة التفلسف عليه في كل فن أو علم كتب فيه.. فهو قد فلسف علم الكلام الإسلامي، فارتفع ببراهينه عن جدل المتكلمين الذي غلب على الاحتجاج فيه.. وفلسف علم الفقه، عندما

وإذا كان «ابن الأبار» [٥٩٥ - ٦٥٨ هـ/ ١١٩٩ - ١٢٦٠ م] قد أجاد التصوير لمكانة ابن رشد بين علماء عصره، وفي سياق العلم الإسلامى والعالمى، عندما تحدث عنه فقال: «كانت الدراية أغلب عليه من الرواية. درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك. ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلمًا وفضلاً. وكان، على شرفه، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا. عنى بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوّد في ما صنف وقيد وألف واختصر نحوًا من عشرة آلاف ورقة. ومال إلى علوم الأوائل، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يُفزعُ إلى فتواه في الطب كما يُفزعُ إلى فتواه في الفقه، مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب، حتى حكى عنه أبو القاسم بن الطيلسان: أنه كان يحفظ شعرى حبيب والمتنبي، ويكثر التمثيل بهما في مجلسه، ويورد ذلك أحسن إيراد»^(١).

فإن أهمية هذا الوصف تتعدى تصوير «الموسوعية - المتخصصة» لابن رشد، إلى الإشارة إلى كماله العلمى، وفضله الخلقى، والتواضع الذى زان شرف مكانته الاجتماعية والعلمية، فجعله جامعاً إلى العلم العدالة الجامعة التى اشتراطها الإسلام وحضارته فى العلماء قبل الأمراء!

فابن رشد، الذى كانت حياته الفكرية تجسيدا للصراع الفكرى بين تيارات الفلاسفة وفرق المتكلمين، هو الذى يضع ضوابط العدالة لهذا الصراع فيقول: «إن العالم، بما هو عالم، إنما قصده: طلب الحق، لا إيقاع الشكوك وتحير العقول»^(٢). وهو الداعى إلى أن تكون «حياة» العالم تجسيدا «لفكره»، وذلك حتى يجد فكره طريقا ممهدة إلى القلوب والعقول «فإنما تكون الأقاويل التى يُحَثُّ بها على السنن مقنعة، إذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحُسن فعل، حتى تكون هذه الأشياء المذكورة ها هنا معلومة لنا وموجودة فينا، فإنه إذا وُجد فينا الخلق الذى نحث عليه كان قولنا فى الحث عليه أشد إقناعا»^(٣).

أما العدالة الجامعة بين إنصاف «الآخرين» وبين الاعتصام بالحق الذى نؤمن به كمسلمين، فإن ابن رشد يحدد منهاجها، فيقول: «فقد يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظر فى الموجودات، واعتياد لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك، وما أثبتوه فى كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه. وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم»^(٤)!

وإذا كانت الأرض ممهدة لدارسى «ابن رشد الفيلسوف».. أو «ابن رشد الفقيه».. أو «ابن

(١) أرنست رينان [ابن رشد والرشدية] ص ٤٣٥، ٤٣٦ ترجمة عادل زعيتر. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٧ م.

(٢) [تهافت التهافت] ص ٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢١ هـ.

(٣) [تلخيص الخطابة] ص ١٤٠، ١٤١، تحقيق: د. محمد سليم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

(٤) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص ٢٨. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣ م.



رشد الطبيب».. فإنها ليست كذلك بالنسبة لدارسيه «مفكرا».. أى دارسى موقعه الفكرى بين تيارات الفكر ومذاهب النظر والخيارات المطروحة على الأمم فى التقدم والنهوض.. ففى هذا الميدان احتدم الخلاف حول موقع ابن رشد، منذ عصره.. وحتى كتابة هذه الصفحات!.

ولم يكن «سوء الظن» أو «الاختلاف فى موقع ابن رشد من مذاهب النظر وألوان الفكر ومذاهب التقدم» نابعاً من غموض فى منهاج فيلسوفنا، أو نقص فى وضوح فكره، بقدر ما كان نابعا من «الهوى» حيناً، ومن النظرة الجزئية وحيدة الجانب إلى قطاع معزول من فكره - عن بقية القطاعات - فى أغلب الأحيان!.. فالذين رأوه شارحاً لأرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م] قد حملوه أحمال فيلسوف اليونان!، والذين رأوه ناقداً لفرق المتكلمين الإسلاميين، حملوه على الفلسفة بالمعنى اليونانى وعلى «العقلانية» التى لا «نقل» فيها.. فخلت هذه النظرات الجزئية لقطاعات مبتورة من أعمال أبى الوليد خلّت من المنهاج الذى حدّده الرجل للناظرين فى مذاهب النظر وتيارات الفكر.. وهو المنهاج الذى لم يبتدعه، وإنما استخلصه من معيار النظر الإسلامى، وهو: عرض «الحكمة» - التى هى «الإصابة فى غير النبوة».. أى الصواب الذى يصل إليه «العقل البشرى» - بصرف النظر عن دين صاحبه واتجاه مذهبه - على «الحكمة» التى نزل بها الكتاب

العزیز - أى الإصابة التى جاءت بها الرسالة السماوية الخاتمة - فما اتفقا فيه - العقل.. والنقل - كان هو الحكمة بإطلاق، لأنهما هدايتان من الخالق الواحد - الذى أنزل الكتاب والحكمة - لهداية خليفته الإنسان.

فإذا كان الرسول ﷺ قد بعث إلى الناس ليعلمهم الكتاب والحكمة: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتول عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم»^(٥).. وإذا كانت «الحكمة» - كما عرفها الحديث النبوى - هى «الإصابة فى غير النبوة»^(٦).. فإن النظر العقلى فريضة إلهية، والإصابة العقلية التى يثمرها هذا النظر ضرورة دعت إليها آيات الوحى والتنزيل، ليتزامل الكتاب والحكمة فى هداية الإنسان.

«فالحكمة - عند ابن رشد - هى النظر فى الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان»^(٧).. والبرهان هو: «النظر بالعقل فى الموجودات»^(٨).. فإن هذا النظر فى الموجودات بالعقل هو السبيل الإسلامى لمعرفة الصانع الواحد لهذه الموجودات - وفى ذلك جوهر الدين وأولى فرائضه - لأن ذلك هو سبيل «الاعتبار فى الموجودات، ودلالة الصنعة فيها. فإن من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع، ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع»^(٩)، ولذلك جاء الكتاب بإيجاب هذه الحكمة - النظر العقلى والبرهانى فى الموجودات - فلقد «أوجبه الشرع.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١٠).

(٦) رواه البخارى.

(٨) [فصل المقال] ص ٢٢.

(١٠) الحشر: ٢.

(٥) البقرة: ١٢٩.

(٧) [تهافت التهافت] ص ١٠١.

(٩) المصدر السابق ص ٢٦.





فرح أنطون



د. مراد وهبه

التزامه به.. فقد اختلف الناس فى الموقع الفكرى لابن رشد اختلافًا شديداً.. فوقف به البعض عند «ذكاء الفطرة»، دون العدالة الشرعية، عندما رأوا فى «حكيمته» الفلسفة التى لا تلتزم بالشريعة، ولا تعرض «إصابة العقل» على «إصابة النبوة».. بل واشتط البعض فرآه داعية لإقامة الفلسفة - اللإسلامية - على أنقاض الدين!؟

● ففرح أنطون

[١٢٩١ - ١٣٤٠هـ /

١٨٧٤ - ١٩٢٢م] -

وهو علمانى مارونى - يقول: «إن فلسفة ابن رشد عبارة عن مذهب مادى قاعدته العلم» (١٦).

● والقس يوحنا قمر، يقول: «إن ابن رشد هو

أبعد فلاسفة العرب، بعد المعرى، عن الإسلام» (١٧).

● والدكتور مراد وهبه - وهو «ماركسى..

وأستاذ للفلسفة الغربية» - يقول: «إن ابن رشد يُخضع الدين للعقل.. وداعية لفصل الدين عن

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١١).

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
﴿١٣﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٢).

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١٣)، (١٤)

فالنظر العقلى، والفحص فى الموجودات بالبرهان: «حكمة.. إسلامية» أوجبها الشرع، لأنها هى طريق الوصول إلى جوهر الدين والتدين - معرفة الذات الإلهية.. ومن هنا تأتى علاقة المؤاخاة بين هذه «الحكمة» وبين «الشريعة» فى المنهاج الإسلامى، الذى صاغه ابن رشد.. ويأتى ضبطه، الذى يميز إسلامية الحكمة، إذا هى التزمت العدالة الإسلامية فى النظر، والفضيلة والخلق الإسلاميين فى صناعة البرهان.. وبعبارة ابن رشد «فمن كان أهلاً للنظر.. هو الذى جمع بين أمرين:

أحدهما: ذكاء الفطرة.

والثانى: العدالة الشرعية، والفضيلة العلمية والخلقية» (١٥).

لكن..... ومع كل هذا الوضوح والتحديد فى المنهاج الرشدى للنظر العقلى - الذى بلور فيه منهاج الإسلام - فى جعل الحكمة العقلية فريضة إلهية، والأخت الرضيعة للشريعة السماوية، وهو المنهاج الذى شهدت إبداعاته الفكرية لدقة تطبيقه له وشدة

(١٢) الغاشية: ١٧، ١٨.

(١٤) [فصل المقال] ص ٢٢، ٢٣.

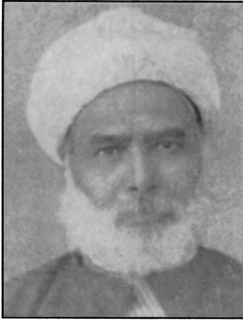
(١٦) [ابن رشد وفلسفته] ص ٢٣، ٢٧. طبعة الإسكندرية سنة ١٩٠٣م.

(١١) الأعراف: ١٨٥.

(١٣) آل عمران: ١٩١.

(١٥) المصدر السابق. ص ٢٨.

(١٧) [ابن رشد] ج ٢ ص ٣١. طبعة بيروت. المطبعة الكاثوليكية.



الإمام محمد عبده

وجعلت «آسين
بلاسيوس» [١٨٧١ -
١٩٤٤م] - وهو من
أبرز المستشرقين
الغربيين، وأخبرهم
بتراث الإسلام،
وأعدلهم أحكاما -
يقول: «إن من الواجب
أن نشير إلى تلك
الفكرة الوهمية التي

كان جميع المؤرخين ضحية لها، وهي أنهم متى
وجدوا جماعة من «المدرسين» الذين نطلق
عليهم في العصور الوسطى، وفي عصر النهضة،
اسم «الرشديين»، فإنهم لا يترددون أن يلقوا
على رأس ابن رشد كل النظريات التي تتميز بها
هذه الجماعة»! (٢٠)

كما جعلت الإمام محمد عبده [١٢٩٥ -
١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] وهو من أئمة
الناس بإبداعات ابن رشد - يقول - في ختام
نقده لآراء فرح أنطون - وبعد عرض فلسفي
لمذهب ابن رشد - : «فهل بعد هذا يُعد
الفيلسوف ماديا، ومذهبه مذهباً مادياً قاعدته
العلم؟! لا.. بل إلهي، ومذهبه مذهب إلهي
قاعدته العلم، قائل بخلود النفس، وسعادتها
وشقائها وعذابها ونعيمها..» (٢١).

الدولة.. ومؤسس للتنوير الغربي والعلمانية
الغربية» (١٨).

ولقد جاءت هذه الأحكام - مع افتراض
حُسن النية وسلامة الطوية - من أن هؤلاء
الباحثين قد انطلقوا للحكم على ابن رشد من
دراستهم لتيار «الرشديين اللاتين»، الذي
صارع الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا إبان
بدايات النهضة الأوروبية - والذي لعب دورا
ملحوظا في التأسيس للتنوير والعلمانية -
فحسبوا مقالات «الرشديين اللاتين» على
فيلسوف قرطبة المسلم.. غير ناظرين إلى
الدراسات الجادة والكثيرة التي قوّت فلسفة ابن
رشد، وحددت موقعه الفكري انطلاقا من
إبداعاته الفكرية وإضافاته وانتقاداته المبتوثة في
شروحه على أرسطو، وفي ضوء مقارنة هذه
الإبداعات بمقولات «الرشديين اللاتين».. وهي
الدراسات التي جعلت «رينان» [١٨٢٣ -
١٨٩٢م] - وهو أبرز دارسي ابن رشد من
فلاسفة الغرب المحدثين - يقول: «إن القدر قد
جرى بأن يكون ابن رشد ذريعة لانطلاق أشد
الأحقاد اختلاقا، وأشد ضروب الصراع العقلي
عنفا، كما جرى بأن يكون اسمه علما يخفق
على تلك الآراء التي لم يفكر فيها مطلقا على
وجه التأكيد»! (١٩)

(١٨) [مدخل إلى التنوير] ص ١٤١، ١٥٦، ١٥٩. طبعة القاهرة والكويت سنة ١٩٩٤م

(١٩) د. محمود قاسم [نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توما الإكويني] ص ٤١. طبعة مكتبة الأنجلو - القاهرة.

(٢٠) المرجع السابق. ص ٢٠، ٢١.

(٢١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٣ ص ٥٢٧. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.



﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

الأحزاب (٢٣) .

من قادة الفتوحات الإسلامية

النعمان بن مقرن المزني بطل نهاوند

إعداد الأستاذ / أحمد السيد فقي الدين

في جمادى الأولى أو الثانية من عام (١١) للهجرة بدأ نجم بطلنا يبرغ فقد فجع المسلمون بانتقال رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، وظن الكثيرون أن الإسلام قد مات بموت رسول الله ﷺ فضشت الردة في قبائل العرب، ووقف خليفة رسول الله أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - موقفا صلبا لا يلين وأصر على محاربة المرتدين، وظل منتظرا في المدينة عودة أسامة بن زيد وجيشه من حرب الروم ليبدأ في حرب المرتدين، ولكن قبائل عبس وذبيان لم تمهله إذ خرجت زاحفة نحو المدينة، لضرب دولة الإسلام في مركزها الرئيسي ومن ثم محوها، ولكن هيهات.

أخذ أبو بكر يعد العدة للمواجهة ونظر حوله ينتقى قائده، فوقع بصره على ثلاثة أشقاء هم: النعمان، وعبد الله، وسويد، أبناء عمرو بن مقرن المزني.



وبعد انكسارهم فى القادسية حشد الفرس جموعهم فى نهاوند، وعلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك، فأمر من ينادى فى الناس: «الصلاة جامعة»، فاجتمع الناس، وقام عمر على المنبر فأخبرهم بأمر حشود الفرس فى نهاوند وسألهم المشورة، فأشار عليه البعض بأن يجمع الحشود ويخرج على رأسها ليدحر جموع الفرس، فى حين تحفظ البعض الآخر على هذا رأى الذى يخلق فراغاً سياسياً كبيراً بمقر الحكم فى المدينة المنورة فالدولة قد اتسعت رقعتها وهى بعد لاتزال وليدة فى حاجة إلى من يسير بها وسط ما تمر به من مصاعب وأخطار.

وهكذا كانت المشكلة الرئيسية هى اختيار قائد هذا الجيش.

واستمر النقاش وعمر حائر يقلب فى وجوه القوم بصره عله يظفر ببغيته فأبصر رجلاً يصلى فى خشوع، فأخذ يتأمله، وسأل عنه، فقليل له: هذا النعمان بن مقرن المزنى.

وبمعن عمر التفكير، فالنعمان بطل من أبطال حروب القادسية شهد إلى جوار سعد بن أبى وقاص جميع الوقائع فيها وأبلى فيها البلاء كله، حتى أن سعد ولّاه على خراج (كسكر) مكافأة له على بلائه، وهو قبل ذلك كان من الفئة القليلة التى ثبتت على الإسلام فى مواجهة طوفان الردة.

وكان النعمان قد كتب إليه يشكو من استعماله على خراج (كسكر) وكيف أنه يرغب فى الجهاد: «مثلنى ومثل كسكر كمثلى رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر، فأنشدك الله لما عزلتنى عن

وخرج أبو بكر على رأس الجيش على ميمنته النعمان، وعلى ميسرته عبدالله، وعلى الساقة^(١) سويد وخرجوا فى آخر الليل فما طلع الفجر إلا وقد وضعوا السيف على رقاب المرتدين من عبس وذبيان، وتتبع النعمان فلولهم فقتل من قتل وأسر من أسر.

وبعد الفراغ من حروب الردة بدأت معارك من نوع جديد إذا اصطدمت الدولة الإسلامية الوليدة بأطماع الروم والفرس، ورغبتهما فى السيادة والسيطرة على القبائل العربية المتاخمة لحدودهما مما كان يعنى تهديداً مباشراً وخطيراً، يزيد من خطورته أنه يأتى من القوتين العظميين الوحيدتين فى العالم آنذاك، ولم يكن هناك بديل آخر سوى الحرب.

فأرسل الصديق الجيوش إلى العراق الواقعة تحت الاحتلال الفارسى وإلى الشام الواقعة تحت الاحتلال الرومانى، وتتابع الانتصارات وتهتز الأرض من تحت الماردى، وفى الشام أنهت معركة اليرموك الوجود الرومانى تماماً فى بلاد الشام حتى أن قيصر هرقل قال يومها وهو يغادر سوريا: «سلام عليك يا سوريا.. سلام لا لقاء بعده».

وفى الجبهة الشرقية اندحرت جحافل الفرس الجرارّة تحت سنابك خيل جيش سعد بن أبى وقاص فى القادسية، وكان لبطلنا (النعمان بن عمرو بن مقرن المزنى) دوره الفعال فى كل أيامها، بل إنه عندما طلب الفرس إرسال وفد من المسلمين إليهم ليتعرفوا على مطالب المسلمين كان النعمان بن مقرن هو أمير هذا الوفد الذى ضم أربعة عشر رجلاً فيهم عاصم بن عمرو، والمثنى بن حارثة، والمغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس.. وغيرهم.

(١) المؤخرة.





الخطاب، وجريز بن عبدالله البجلي، والقعقاع بن عمرو التميمي، ومجاشع بن مسعود، وبشير بن الخصاصة، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوبر، وربعي بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد، وقيس بن مكشوح الماردى^(٧)، فإذا كان هؤلاء هم رجال النعمان، فكيف بالنعمان نفسه؟! .

وشق النعمان طريقه تجاه نهاوند حيث حشد الفرس جموعا بلغت مائة وخمسين ألفا، فى حين كانت جموعهم يوم القادسية تبلغ مائة وعشرين ألفا، فقد قرر الفرس أن معركة نهاوند هى فرصتهم الأخيرة فإما الانتصار وإما الاندحار .

وفى ذلك أورد الطبرى رواية عن زياد بن جبير عن أبيه: « لم أر والله مثل ذلك اليوم، إنهم (الفرس) كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من العرب، وقد قرن^(٨) بعضهم بعضا سبعة فى قران، وألقوا حسك الحديد^(٩) خلفهم، وقالوا: من فر منا عقره حسك الحديد^(١٠) .

واحتشدت هذه الجموع الفارسية خلف خنادق منيعة تحول بين المسلمين وبينهم، فجمع النعمان وجوه الصحابة وكبار قاداته من حوله يستشيرهم ويأخذ آراءهم فيما هم مقدمون عليه، وانتظر النعمان أن يسمع من اثنين عينهما له عمرو بن الخطاب وهما: عمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد .

كسرك، وبعثتنى إلى جيش من جيوش المسلمين^(١٢) . وما أن فرغ النعمان من صلاته حتى ابتدره عمر قائلا: « لقد انتدبتك لأمر عظيم !

فقال له النعمان: « يا أمير المؤمنين إن كنت تريدنى لجمع الصدقات فإنى لا أصلح لذلك، وإن كنت تريدنى للجهد والاستشهاد فى سبيل الله فإنى أصلح له .

فقال له عمر: « بل أريدك للجهد والاستشهاد^(١٣) .

وانتهى الحوار بين الرجلين، وعاد عمر بن الخطاب إلى موقعه فوق المنبر وقال: « لأولين الحرب رجلاً يكون غدا لأسنة القوم جزرا^(١٤) »^(١٥) . ودعا عمر بن الخطاب السائب بن الأقرع، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرن، وقال له: « إن قُتل النعمان فولئ الأمر حذيفة بن اليمان، وإن قُتل حذيفة فولئ الأمر جريز بن عبدالله البجلي، وإن قُتل جريز، فالأمر المغيرة بن شعبة، وإن قُتل المغيرة فالأمر الأشعث بن قيس .

وأوصى أمير المؤمنين عمر، النعمان بقوله: « إن قبلك رجلين هما فارسا العرب: عمرو بن معدى كرب، وطليحة بن خويلد الأسدى، فشاورهما فى الحرب ولا تولهما شيئا من الأمر^(١٦) .

وصار النعمان قائدا لجيش يضم وجوه الصحابة وفرسان العرب إذ كان فيهم: عبدالله بن عمرو بن

(٣) الكامل فى التاريخ ٩. ٨/٣، البداية والنهاية ١١٩/٧ .

(٥) الأخبار الطوال ص ١٣٥ .

(٧) الطبرى ١١٥/٤ .

(٩) قطع قاتلة من الحديد المدبب .

(٢) الطبرى ١٢٦/٤ .

(٤) الجزر: القطع والاستئصال .

(٦) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٨) قيد .

(١٠) الطبرى ١١٩/٤ .





يقول لهم: «رويدا.. رويدا» فأعادوا عليه القول فكرر عليهم مقولته: «رويدا.. رويدا».

ولكن الجراحات كثرت وتتابعت فاستشاط المغيرة بن شعبه غضباً فقال للنعمان: «لم أرَ كالיום فشلاً، إن عدونا يتركون يتأهبون، ولا يُعجلون، أما والله لو أن الأمر إلىَّ قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع، ولو كنت بمنزلة ما بكرتهم القتال»

ابتسم النعمان في مواجهة غضب الصحابي الجليل، وأجابه بإجابة القائد الورع المتبع لسنة رسول الله ﷺ: «رويدا ترى أمرك وقد كنت تلى الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك، ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث، ربما باكرت القتال، ثم لم يسود الله وجهك، فالله - عز وجل - يشهدك أمثالها، فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك».

إنه والله ما منعني من أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ ذلك أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة^(١١) وتهب الأرواح^(١٢) ويطيب القتال، فما منعني إلا ذلك».

وظل النعمان منتظراً حتى زالت الشمس عن كبد السماء وبدأ الظل يميل، ثم قال: «نصلي إن شاء الله، ثم نلقى عدونا دبر الصلاة»^(١٣).

«لقد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين، وما وعدكم من الظهور، وقد أنجز لكم هو أدى ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه. والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله. واذكروا ما

وقد أشارا وأحسننا فأما عمرو بن معدى كرب فقد أشار على النعمان أن يشيع بأن أمير المؤمنين توفي ثم ينسحب بجميع الجيش حتى إذا علم الفرس بذلك خرجوا من وراء خنادقهم يطلبون المسلمين.

أما طليحة فقد أشار بأن تتقدم إلى العجم فرقة من الفرسان تتحرش بهم وتغريهم على الالتحام بها مبارزة بالكر والفر، بينما يترصد سائر الجيش في أماكن إلى الخلف، فإذا التحموا بها تظاهرت بالانكسار وظلت تتراجع وتتراجع وخلفها جموع العجم ثم تستدير فرقة الفرسان للمواجهة الحقيقية انقضاضاً على جموع الفرس فإذا التمسوا الفرار وجدوا النعمان بباقي الجيش يقطع عليهم الطريق.

ولقى رأى طليحة القبول في نفس النعمان وأوكل إلى قائد فرسانه القعقاع بن عمر التميمي مهمة التحرش بالفرس، وهي مهمة نفذها القعقاع بدقة ومهارة حيث ظل يتراجع ويتراجع ساحباً القسم الأعظم من جيوش الفرس خلفه حتى حانت لحظة الحسم.

وتجمع المسلمون في صدر النهار صبيحة يوم الجمعة، وعهد النعمان إلى المسلمين عهده، وأمرهم أن يلزموا أماكنهم، ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، ففعلوا. في حين أخذ الفرس يرمون جموع المسلمين بالنبل، والمسلمون لا يتحركون وإنما يستترون من السهام حتى كثرت فيهم الجراح، فصاح بعضهم قائلاً للنعمان: «ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما لقي الناس، فما تنتظر؟ إذن للناس في قتالهم». ولكن النعمان يكتفي بأن

(١٣) الطبري ١١٥/٤.

(١٢) الرياح.

(١١) يقصد صلاة الظهر.





«أمنوا يرحمكم الله» (١٥).

فأمن المسلمون وقد اغرورقت أعينهم بالدمع من كلمات قائدهم.

واصطفت جيوش المسلمين في مواجهة جيوش الفرس الذين ربطتهم قادتهم بالسلاسل حتى لا يفروا، وأخذ النعمان موقعه في قلب جيش المسلمين تحت راية التوحيد فكبر التكبير الأولى ثم الثانية، فالثالثة، حيث اندفع النعمان بالجيش حاملاً رايته، والمسلمون من خلفه يكبرون، وراح النعمان يصول فوق فرسه يمينا ويسارا مخترقا صفوف الفرس غير هياب حتى رمى بسهم فسقط من فوق فرسه، وبيصر سويد بن مقرن شقيقه وهو يسقط من فوق فرسه فيسحبه إلى فسطاطه دون أن يدع أحدا من المسلمين يعلم بمصابهم في قائدهم، ويستبدل سويد ثيابه بثياب النعمان ويمتطي فرسه حاملاً سيف النعمان مكبراً وسط الجنود يحضهم على عدو الله وعدوهم حتى كتب لهم النصر.

وبعد المعركة التمس المسلمون قائدهم ليهنئونه بالنصر فلم يجدوه فتساءلوا: أين الأمير؟، وذهب بعضهم يلتمسه في فسطاطه وكان أول من دخل عليه معقل بن يسار الذي يروى هذا المشهد فيقول: «أتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه مر إداوة ماء كانت معي. فقال: من أنت؟ قلت: معقل. قال: ما صنع المسلمون؟ قلت: أبشر بفتح الله ونصره. قال: الحمد لله، أكتبوا إلى عمر» (١٦). ثم فاضت روحه إلى بارئها.

مضى إذ كنتم أذلة، وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة. فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه.

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة، والذي لهم في ظفركم وعزكم، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم.

وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم. فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد، وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم، ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا. فلا يكونن علي دنياهم أحمر منكم على دينكم واتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء، فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسينيين من بين شهيد حى مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير. فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه، وذلك من الملاءمة وقد يقاتل الكلب عن صاحبه فكل رجل منكم مسلط على ما يليه.

فإذا قضيت أمرى فاستعدوا فإنى مكبر ثلاثا. فإذا كبرت التكبير الأولى فشدد الرجل شسعه (١٤) فأصلح من شأنه، وليتهياً من لم يكن تهياً. فإذا كبرت الثانية فشدد الرجل إزاره، وليشد عليه سلاحه، وليتأهب للنهوض ويتهياً لوجه حملته فإذا كبرت الثالثة فإنى حامل إن شاء الله فاحملوا معا.

اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذلل يُذل به الكفار، ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك.

(١٥) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك ١١٩/٤.

(١٤) رباط النعل.

(١٦) تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٣٦)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير، (٣/ ١٩، ٢٠)، فتوح البلدان، ٧٦.



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فى زيادة البر.. زيادة للجب

دخل معن بن زائدة على أبى جعفر فقال له: كبرت يا معن، قال: فى طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فىك لبقية، قال: هى لك يا أمير المؤمنين، قال: أى الدولتين أحب إليك أو أبغض دولتنا أو دولة بنى أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلىّ، وإن زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب إلىّ، قال: صدقت.

الهرب من الضيف

نزل بمروان بن أبى حفصة ضيف، فأخلى له المنزل ثم هرب منه مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة، فخرج الضيف فاشترى ما

الظلمات.. وسراجها

قال سيدنا أبوبكر الصديق - رضى الله عنه -: الظلمات خمس، ولكل واحدة سراج: الذنوب ظلمة وسراجها: التوبة، والقبر ظلمة وسراجها: الصلاة، والميزان ظلمة وسراجها: لا إله إلا الله، والصراط ظلمة وسراجها: اليقين، والآخرة ظلمة، وسراجها: العمل الصالح.

الخوف من النفاق

جاء رجل إلى حذيفة - رضى الله عنه - فقال له: يا أبا عبد الله، إنى أخشى أن أكون منافقا، فقال: تصلى إذا خلوت، وتستغفر إذا أذنبت؟ قال: نعم، قال: اذهب فما جعلك الله منافقا.

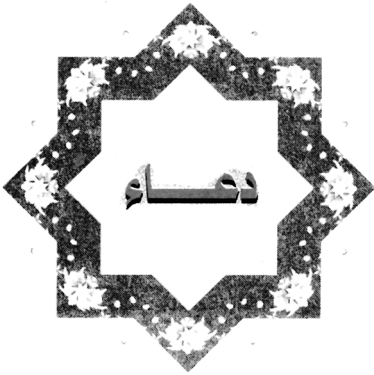


حقا

إذا كنت فى إديار، والموت فى إقبال فما
أسرع الملتقى .

غلت الأسعار

قيل لأبى حازم: غلت الأسعار، فقال: ما
يهمكم من ذلك إن الذى يرزقنا فى الرخص
هو الذى يرزقنا فى الغلاء .



«اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير
ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك،
وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس
ونعادى بعداوتك من خالفك من
خلقك» .

يحتاجه ثم رجع وكتب إليه :

يأيها الخارج من بيته

وهاربا من شدة الخوف

ضيّفك قد جاء بزاد له

فارجع تكن ضيفا على الضيف

أفرايت إن وقف وحرك رأسه

وقف معاوية بن مروان على باب طحان،
فرأى حمارا يدور بالرحى فى عنقه جلجل،
فقال للطحان: لم جعلت الجلجل فى عنق
الحمار، فقال: ربما أدركتنى سامة أو نعاس،
فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه واقف
فصحت به فانبعث، قال: أفرايت إن وقف
وحرك رأسه بالجلجل هكذا وهكذا وحرك
رأسه، فقال له: ومن لى بحمار يكون عقله
مثل عقل الأمير وهو القائل: وقد ضاع له باز:
أغلقوا أبواب المدينة حتى لا يخرج البازى .

قيـل

قريبك من قرب منك خيره، وابن عمك من
عمك نفعه، وعشيرتك من أحسن عشرتك،
وأهدى الناس إلى مودتك من أهدى بره
إليك .

الشباب.. والفراغ!!

د. أساذ الدكتور / محمد أحمد العزب

عن الفراغ الزمني.. والفراغ الفكرى.. والفراغ الروحى.. والفراغ الحضارى.. يدور هذا الحوار فى هذه السطور.

ولسنا نرعم بالطبع أننا يمكن أن نضع كل الحلول لكل هذه التعقيدات فى مثل هذه الإطلالة الكاشفة، لأن وضع هذه الحلول يحتاج إلى تعبئة شاملة فى كل الاتجاهات: نفسيا، واجتماعيا، ودينيا، وفكريا، وما لم نلفظن إلى حتمية هذه التعبئة الشاملة، فإن مستقبل الشباب المسلم يمكن أن يصاب بكثير من ارتباك الشكل، وبكثير من ارتباك المضمون.

إن حسن النية فى هذا الصدد قد يصبح جريمة فادحة حين يسلبنا التطور التقنى المعاصر هذه الأجيال من شبابنا المسلم، لأنه ليس بحسن النوايا يصاغ مستقبل الأجيال.. فلنكن على وعى حقيقى بطبائع المرحلة، وليكن تخطيطنا لواقع الشباب ومستقبله جميعا من خلال فهم المعادلة الحضارية الراهنة، فإنه بدون هذا الفهم يمكن أن نضيع كل شىء، حتى أمل البقاء.

ولسنا نطالب - كالأخرين - بأن توضع لهذا الشباب برامج فورية تتعلق بالمثال الذى يصعب على المراحل السنية للشباب أن تتجاوب معه، أو أن تعيشه واقعا معشوقا لها بالفعل، لأن هذه البرامج محكومة بالبوار فى نهاية الأمر.. ولكننا نطالب بأن توضع لهذا الشباب نوعيات من البرامج المدروسة الفاهمة، التى تستوعب اهتماماته الشبابية، وتستثير خياله وطاقاته معا، وتحقق له نوعا من المتعة الروحية والمادية إلى حوار تحقيقها لغايات اجتماعية ودينية معينة.

وإذا كان الفراغ الزمني حقيقة واقعة فى حياة شبابنا المسلم - وهو كذلك للأسف - فإننا لا نستطيع أن ندين الشباب وحده فى هذا المجال، لأن الإدانة تمتد فتشمل المسؤولين عن هذا الشباب وعن تمكينه من أداء دوره الفاعل، والخروج بطاقاته وإمكاناته من دائرة التمزق أو التسبب أو الإحباط، إلى دوائر التحقق الرائع الذى يملأ الحياة حركة مجددة، ويحيل الزمن التاريخى إلى ساحة جدل فاعل يحرك من حوله كل محاور الأشياء.



وكذلك القيادة المؤمنة فحسب، أى التى قطعت صلتها بواقع الفكر، وواقع كل العصور.. إن مثل هذه القيادة تجر الشباب إلى ظلام الانغلاق ومن ثم إلى البرم بواقع كل ما فيه يصادم الواقع المعاصر.

نحن إذن فى حاجة إلى قيادة تقبض على حركتى: الإيمان الصميم.. والثقافة الشاملة.. لأن هذه القيادة وحدها هى التى تنقل إلى الشباب وعيها الفاهم وإيمانها الركين، وتشكل منه فيلقا عقائديا يمكن أن يفتح العالم بكلمة الحق وسيف الاعتقاد.

وبديهي أننا -هنا- لا نريد أن ننزل إلى رصد جزئيات هذه المحاور الكلية، من ضرورة فتح أبواب النوادى الرياضية والثقافية وربط الشباب بالمسجد كمنطلق إيماني وفكري، وعقد لقاءات إسلامية للشباب المسلم فى كل الأصقاع، وزرع المكتبات حتى على أرصفة الشوارع واستراحات الطريق، إلى آخر ما يمكن رصده فى هذا الاتجاه، لأن كل أولئك مفردات الظاهرة التى إن تحققت تحققت معها مفرداتها، وهى بدايات أو ينبغى أن تكون كذلك فى وعى الجميع.

ولنتذكر دائما أن هذا الشباب أمانة فى أعناقنا، وأن مواجهته بمنطلق الإدانة قد تفضى إلى البوار وليس إلى الانتصار، فلنضع البديل قبل الاتهام، فالشباب نصف الحاضر وكل المستقبل كما يقولون.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد أن الفراغ الزمنى فى حياة الشباب المسلم ظاهرة ناشئة من انسحاب هذا الشباب من تبعاته العقيدية، لأنه لو تصدى

فقد لا نفلح مع الشباب إذا أردناه على الجد الخالص، ولكننا نفلح معه إذا سددها فى طريق الهواية الهادفة، التى يمكن أن نملأ إطارها الخارجى بالآلاف المعطيات الفكرية والعقائدية.

إن الرياضة البدنية -مثلا- يمكن أن تحيل الإنسان إلى حيوان فاره القدرات ثم لا شىء.. ولكن الرياضة يمكن كذلك أن تجعل من الإنسان طاقة عضلية وطاقة روحية، يتعلم الشباب من خلالها كيف يتعامل مع الآخرين، وكيف يتعاون على تحقيق الهدف، وكيف ينضبط سلوكيا، وكيف يفتح صدره للهزائم على أنها مدخل إلى تعلم النصر، وللانتصارات على أنها حصاد قوى متعاونة، وليس مجرد مغالبات عشوائية قد لا تفضى إلى قرار!!

وإذا كانت الرياضة البدنية جزءا من معادلة استيعاب الشباب كطاقة نحرص على أن نحميها من التبدد، لنحقق من خلالها وجود المؤمن القوى، الذى هو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فإن التكوين الفكرى والعقائدى هو كل المعادلة التى تضىء واقع الشباب ومستقبل الشباب كذلك على السواء.

وفى هذا الصدد، ينبغى أن نحرص على انتخاب القيادات الشبابية القادرة والمؤمنة، إن القيادة المثقفة ثقافة مادية فحسب يمكن أن تجرف جيلا إلى بحار الخواء العقيدى، الذى يعصف فى النهاية بكل شىء: بالثقافة.. وبالشخصية.. وبالحاضر.. وبالمستقبل.. وبكل الأشياء.





قراءة هادفة من جهة أخرى: (مثل ما بعثني الله به كمثّل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعمل، وضل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (٢) ومتى استوت القراءة على هذين الأفقيين: الشمول.. وترجمة المثال إلى واقع، فقد أخذت اتجاهها الصحيح إلى تشكيل مستقبل حضارى راشد الحركة.

وإذا كان عالمنا المعاصر يمجّج بتيارات الفكر، ويتمخض كل يوم عن جديد، ويدل كل شعب بما ينبج من حركات بازغة، فى الفكر، والفن، والحياة، فلماذا لا ندخل نحن هذا الجدل العالمى مسلحين؟ لماذا لا يمتلىء شبابنا المسلم بكل فكر العالم شرقه وغربه على السواء، قديمه وحديثه معا، يتمثل هذا الحصاد تمثلاً ذاتياً لبيدعه بعد، حركة فكرية مسلمة، لها منظورها الخاص، الذى تدخل به حوار العصر غير جبانة ولا راعشة؟ لماذا لا يكون لنا أدبنا الخاص القادر على عبور القارات؟ وفكر قادر على حوار كل الفلسفات؟ وإيماننا المبتوث حتى فى الكلمة الشاعرة والفكرة الخاطرة، والاستقصاء العميق؟ لماذا لا نتوجه بكل الطاقة إلى صناعة هذا الشباب المسلم المتمرس؟

لحمل هذه التبعات لأعجزه حتى أن يجد الزمان التاريخى الذى يحقق فيه رسالته ودوره، لا أن يجد الفراغ الذى يلتهم زمانه ودوره على السواء.. أى أن عقائدية الشباب يمكن أن تستقطب كل زمانه وطاقاته، وما يقدر على تحقيقه من فعل، ولا تدع له أن يتسكع فى فراغ الزمان باحثاً عن دور، وعن هوية وحتى عن مكان فى المكان.

والفراغ الفكرى ظاهرة من الظواهر اللافتة فى حياة شبابنا المسلم المعاصر ولكنها ليست ظاهرة شاملة والحق يقال، فإن من شبابنا المسلم من يأخذ نفسه فى قضية الثقافة مأخذ الجد، فهو يلتهم ما يتاح له من حصاد فكرى وثقافى ودينى واجتماعى على كل المستويات، ومن هنا فنحن لا ننظر إلى المستقبل هذه النظرة السوداوية المتشائمة، وإن كنا لا نغفل جوانب السلب وعناصر القصور فى هذا الاتجاه.

فليس يكفى مثلاً أن يكون بين شبابنا من يقرأ، لأن طموحنا يمتد إلى أن يقرأ كل الشباب.. وإذا كانت الأديان الأخرى -غير- الإسلام- يمكن أن تفرط قليلاً أو كثيراً فى قضية القراءة، فإن الإسلام الذى كانت أول كلماته إلى الأرض: (اقرأ) لا يمكن أن يفرط، لا قليلاً ولا كثيراً، فى قضية القراءة.

والقراءة -فى الإسلام- محكومة بشروط معينة، فهى قراءة شاملة من جهة، (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) (١)، وهى

(١) كشف الخفاء ١/٤٣٥، ابن كثير ٦/٣٥.

(٢) الترغيب والترهيب ١/٩٩.





يتحقق، ولا يتحقق بانتظار أى معجز خارجي يحيل الفراغ الفارغ إلى امتلاء ملىء.. هذه سذاجات فكرية تجر العائشين عليها إلى مزيد من التخبط القانط، وإلى مزيد من الإحباط الرهيب، لأن تصنيع أية حضارة لا يمكن أن يتحقق من خلال أى أسلوب مصدم للحضارة، والحضارة المنشودة - فى مستواها الروحي - ليست مجرد خيالات واهمة، وليست مجرد كل تاريخي كسول يرمى أعباءه على الأغيار ثم ينام.. إن الحضارة الروحية مكابدة كادحة، ومجاهدة، حتى يتحقق عالم روى حقيقى يفرض حلوله بثقة فى قلب حركة التاريخ، وهذا يعنى أن حضارة الإسلام الروحية ليست حضارة هامشية، وإنما هى امتداد لمعنى خلافة الله فى الأرض ينبغى - من خلال وعيه بهذه الوضعية القمة أن يحيل جذبها إلى خصب، وخواءها إلى امتلاء، وكنودها الكافر إلى إشراق إيماني يتهلل به وله ومعه وجه الحياة.

ولسنا نميل إلى شىء من المبالغة حين نؤكد أن شبابنا المسلم فى طريق امتلائه الروحي ينبغى أن يمر بمناطق المعاناة الحقيقية، فلا نفرش له الساحة بالورود، ولا نخيل إليه أنها رحلة على ضفاف شاطئ وديع، وإنما ينبغى أن نملأ وعيه الشبابي بأن وضعيته القيادية تفرض عليه تاريخاً من المعاناة التى لا تهدأ، والعمل الذى لا ينتهى، وأن إيمانه الحقيقي لا يتم إلا بالمكابدة فى سبيل تطويع الآخرين لهذا الإيمان، وأن كل القيم المجردة تبقى مجرد قيم مجردة ما لم يترجمها الواقع الإيماني إلى حركة حياتية حية.

ولماذا لا نطرح أمام وعيه كل الاختيارات الثقافية والفكرية، حتى يصبح قادراً على التمييز والفقه. محصنا ضد عوامل التفتيت والتذويب؟؟؟

قد يحسن أن يقرأ شبابنا فى مرحلة سنوية وثقافية معينة، نوعية من القراءة بذاتها، ولكن لا يمكن أن يستمر كذلك، لأنه مطالب - فى هذا العصر بأن يكون صوت إسلامه المفكر، يجادل عن مقولاته، ويقتحم الأسوار على أعدائه، ويضع راياته على ربوات الفكر العالمى بلا مبالاة.. ولن يستطيع هذا الفعل التاريخي إلا إذا قرأ العالم كله: شرقه وغربه، قديمه وحديثه، منطقته الراشد ومنطقه غير المنطقي، من خلال هذه الوضعية وحدها يستطيع أن يدخل حوار الفكر وأن يفتح بإسلامه الأرض، وأن يمكن لصوت التوحيد أن يتعالى على لجب الأصوات المنكرة.

إن الذين يقولون بحصار الفكر الشبابي، فى الموروث من جهة، وفى الفكر الصديق من جهة أخرى، يهملون أولوية بادهة، وهى أن الموروث الحى هو الذى يخوض كل بحار المغامرة المعاصر الحى، وأن الفكر النقيض له من أولوية القراءة ما للفكر الصديق، وربما كان أولى، لأن صدامنا التاريخي الفادح ليس مع الأصدقاء وإنما هو مع الأعداء، وأول أصوات الهزيمة صوت الهروب من منطق الواقع الآنئى فلماذا نحكم على أنفسنا هكذا عبثاً بقدر الهروب؟؟؟

وحين يقال: إن الشباب المسلم المعاصر يعانى من فراغ روى، يصبح البديل الحتمى هو ضرورة الامتلاء الروحي.. ولكن هذا الامتلاء الروحي لا يتحقق بقانون، ولا يتحقق بالتمنى أن



شكر النعمة ومجودها

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف



نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، وفضل الله عليه دائم ومستمر، يقول الله - تعالى -:

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١). والمراد بالنعمة جنس النعمة سواء أكانت في النفس أو المال أو الولد، أو فيما سخره الله للإنسان في الكون برا وبحرا وجوا، فهي من كثرتها وتنوعها لا يستطيع الإنسان حصرها..

والنفس الإنسانية تتطلع دائما إلى المزيد من النعم والفضل والخير، وحبها في التمتع بالصحة والعافية والسلامة من المرض والعاهات لا حدود له، ورغبتها في الغنى والثروة واكتناز المال ملحة وقوية..

وأمره - ليستخدمها الإنسان حسب ما يريد ويقصد، وسخر الأنهار بمائها العذب لينتفع الإنسان بمائها في الشرب وسقى الدواب والزرع، وسخر الشمس والقمر دائمين في مسارهما ومدارهما بلا انقطاع وبدون اضطراب ولا خلل، وسخر الليل والنهار بأن جعلهما متعاقبين يأتي أحدهما في أعقاب الآخر لينتفع الإنسان بكل منهما: فالليل ينتفع به في الراحة والنوم، والنهار ينتفع به في المعاش وطلب الرزق:

ومن كرم الله - سبحانه وتعالى - على عباده أنه يستجيب لدعائهم وسؤالهم النعم التي يطلبونها، مع أنه - عز شأنه وجلت قدرته - أسبغ على عباده النعم المتنوعة التي تدل على كمال قدرته وعظمته.. فخلق السموات وما حوت من أجرام، والأرض وما ضمت من خيرات، وأنزل الماء من السماء فأخرج به الثمرات المتعددة الأنواع والأصناف، المختلفة في الطعم والمذاق ليمتع بها الإنسان، وسخر وذل وطوع السفن لتجري في البحر - بقدرته

(١) النحل (١٨).



أنعم الله بها عليهم، والتي ذكرها وعدها على وجه التحديد، ومع ذلك ينكرون هذه النعم ولا يعترفون بفضل الله عليهم، يقول الله - تعالى :-

﴿ وَاللَّهُ

أَفْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أَنْهَدَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ أَلَمْ يَرْوِ إِلَى الظِّمْرِ مَسْحَرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَعْيُنِ عِيُونًا تَنْتَظِرُوهَا يَوْمَ طَعَنَكُمْ وَبِئْسَ مَا كَفَرْتُمْ وَمِنْ أَصْوَادِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْقَالِ حَبِّ خَبثٍ ﴿٤٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سُرُرًا يَنْفِخُكُمْ الْحَرَّ وَسُرُرًا يُفِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يَبْهَتُهُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٤٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْفَرُهُمْ لِكُفْرِهِمْ ﴿٤٣﴾

هذا الإنسان الجاحد الكافر تراه وتشاهده في حالة ضعفه وفقره ومرضه وحاجته يدعو الله كي يكشف عنه ما لحق به من ضرر، وما نزل به من بلاء .. فإذا استجاب الله لهذا الدعاء، وكشف عن هذا الإنسان الضرر، وأعطاه الله -فضله وإحسانه- النعم تترد هذا الإنسان على خالقه، وادعى أنه أوتي

﴿ وَجَعَلْنَا آتِلَ لِبَاسًا ﴿٣٨﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿٣٩﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿٤١﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿٤٢﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿٤٣﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿٤٤﴾

ومع كل هذه النعم المتعددة التي أنعم الله بها على عباده، والتي لا يستطيعون حصرها وعدها لكثرتها وتنوعها، فإنه يعطى العباد - بفضله- ما يسألون زيادة على ذلك .. وهذا العطاء يستوجب شكر الله وطاعته والالتزام بعبادته .. ولكن الإنسان -إلا مَنْ عصم الله- لا يقابل هذه النعم بالشكر والامتنان !! بل يقابلها بالكفر والجحود والنكران !! فالإنسان شديد الظلم لنفسه، يقول الله - تعالى :-

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَاحَ لِيَتَجَرَّوْا فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٨﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ آتِلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٩﴾ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٤٠﴾

ويشير الله - تعالى - في آيات أخرى إلى بعض نعم الله على الإنسان على وجه التحديد، ويقرر - سبحانه - أن هؤلاء الجاحدين الكافرين يعرفون هذه النعم التي

(٣) إبراهيم (٣٢ : ٣٤).

(٢) النبا (١٠ : ١٦).

(٤) النحل (٧٨ : ٨٢).





ونعم الله على الناس اختبار وابتلاء لهم، فمنهم من يرسب في الامتحان بأن يجحد هذه النعم وينكر فضل الله عليه، ويتناول بتلك النعم على قومه، ويتجاوز الحدود في ظلمهم والاعتداء عليهم والاستخفاف بهم، وفي استعمال نعم الله في المعاصي واقتراف السيئات، وينسب تملك تلك النعم إلى اجتهاده هو، وإلى علمه هو، وإلى ذكائه هو، فيحل عليه غضب الله ونقمته، ويسلب الله منه نعمه...

ومنهم من ينجح في الاختبار بأن يعترف بأن هذه النعم من فضل - الله تعالى - ومن كرمه وإحسانه، فيؤدى حقوقها، ويشكر الله عليه، ولا يتكبر ولا يتعالى ولا يغتر، فيفوز برضاء الله ورحمته، ويضاعف له نعمه.

وقد ضرب الله لنا أمثلة للفريقين في القرآن الكريم كى نتعظ ونعتبر.. يقول الله - تعالى -:

﴿إِنْ قَرَأْتَ كِتَابَ مِنْ قُورِ مَوْسَىٰ فَبِعَنِي عَلَيْهِمْ وَأَنبَأَهُ مِنْ الْكُتُبِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَسَنُوْا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦١﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٦٢﴾﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَرُمًا

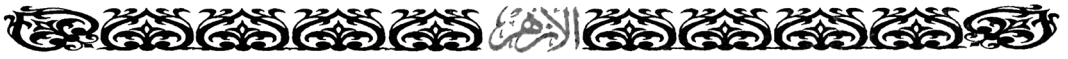
هذه النعم بكسبه هو وسعيه هو، وأنه لا فضل لله عليه!! ولكن ليعلم هذا الجاحد أنه أعطى هذه النعم على سبيل الابتلاء والاختبار ليتبين ويتميز الشاكر من الجاحد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق، ولا يدركها ويفطن إليها إلا من استنارت بصيرته، وشرح الله صدره، وسكن الإيمان قلبه، يقول الله - تعالى -:

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

وهكذا الإنسان دائما في حالة فزعه القوى، وخوفه الشديد، وإحاطة الغم والكرب به، وتوقعه الهلاك المحقق يلجأ إلى الله بالدعاء في السر والعلانية ويتضرع إليه في ذلة وخضوع وانكسار، راجيا النجاة من هذه الشدائد والدواهي المظلمة، معلنا أنه سيكون من الشاكرين المعترفين بفضل الله، فإذا ما استجاب الله للدعاء فكشف الغمة، وأزال البلاء، وفرج الكرب، ويسر العسير، عاد الإنسان لكفره وشركه وجحوده وعصيانته، حاثا لوعده، مخلفا لعهد، يقول الله - تعالى -:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْعَلْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَكُمْ نَوَافِلًا لَّتُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ ﴿١٣﴾﴾





النعمة، ونزول عقاب الله وغضبه على المنكرين الجاحدين، فيذيبهم الله عذاب الجوع والحرمان بعد اتساع الرزق ورغد العيش، ويلبسهم ثوب الخوف والفرع بعد الأمن والأمان والاطمئنان، يقول الله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٠).

وهذه سنة من سنن الله في خلقه، التي تقضى بسلب النعم من العصاة الجاحدين الظالمين لأنفسهم، الذين ينكرون نعم الله ويغيرونها ويبدلونوها بارتكابهم الذنوب واجتراحهم السيئات، وعصيانهم أوامر الله، وعدم استعمالهم نعم الله في الطاعة والعبادة والشكر، يقول الله - جل وعلا -:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا أَمْرًا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١).

يتبع

وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْلَتٌ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُورُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْأَصْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِيئَةٍ يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُنْصَرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ (٧).

ويقول الله - تعالى -:

﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ (٨).

والله - سبحانه وتعالى - غنى عن خلقه، فلا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم، فضرر المعصية يعود على العاصي، ونفع الطاعة يعود على المطيع، يقول الله - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ (٩).

إذن فإن جحود النعمة ونكرانها، وعدم شكر الله عليها يكون سببا لزوال هذه

(٨) النمل (٤٠).

(١٠) النحل (١١٢).

(٧) القصص (٧٦ : ٨٢).

(٩) لقمان (١٢).

(١١) الأنفال (٥٣).





القدرة الإلهية وإلهام الخيول

الدكتور / حسين عباس الأنصاري (*)

إلهام الأحياء

لا شك أن إلهام الأحياء من أكبر الأدلة على وجود الخالق الملهم سبحانه وتعالى. فالحيوان يتصرف عن طريق الإلهام تصرفات لا تحكم له فيها مثل الإنسان المفكر. بل إن الإنسان أحياناً يتصرف بقوة الإلهام والعاطفة بعيداً عن العقل ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في عاطفة الأمومة، ونحن نسمع دائماً عن أم ألفت بنفسها في اليم وراء وليدها الذي جرفه التيار، ظناً منها أنها ستقذ حياته، وتنسى في غمرات تلك العاطفة الجياشة أنها لا تجيد من قواعد السباحة شيئاً، وبعد قليل تلفظ أنفاسها بين الأمواج العاتية مستشهدة في سبيل أنبل عاطفة.

بيضة، ثم تأتي بنشارة خشب وتجعلها عجينة لتكون سقفاً لذلك السرداب وتصنع بعد ذلك سرداباً آخر لبيضة أخرى، فتمتى فقس البيضة وخرجت الدودة، كفاها الطعام المدخر سنة!!... إن هذا مثلاً فذاً يدحض شبهة القائلين بأن الضرورة هي الموجدة للأشياء، فلو كانت الضرورة تستطيع أن تحنو على مثل هذا المخلوق الضعيف

ومن أمثلة الإلهام في الكائن الحي ما يفعله حيوان (الأكسيلوكوب) الذى يعيش منفرداً فى فصل الربيع ومتى باض مات، فالأمهات لا ترى صغارها حتى تساعد في غذائها، لذلك فإن الأم تعتمد إلى قطعة من الخشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة، ثم تجلب أطلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية، وتحشو بها ذلك السرداب ثم تبيض

(*) طبيب بالتأمين الصحى.



وتقدم له كل ما يحتاج إليه من غذاء ومأوى لما تحملت هذه الأم كل تلك المشقات في سبيل ضمان الحياة لصغيرها الذي لم ير النور بعد .

ويتحدث الجاحظ - عالم الحيوان العربى الشهير - عن إلهام بعض المخلوقات فيقول : إذا دنا الصياد من عش القبجة ولها فراخ مرت بين يديه مرأً غير مفيت وأطمعته فى نفسها ليتبعها فتمر الفراخ فى رجوعها إلى موضع عشها . . . فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها، طارت وقد نجتة إلى حيث لا يهتدى الرجوع منه إلى موضع عشها .

والنعجة ترى الفيل والجاموس والبعير فلا يهزها ذلك، وترى الضبع وهى لم تره من قبل ذلك، وعضو من أعضاء تلك البهائم أعظم، وهى أهول فى العين وأشنع، ثم ترى الأسد فتحافه، وكذلك الببر والنمر. فإن رأت الذئب وحده اعتراها منه وحده مثل ما اعتراها من تلك الأجناس لو كانت مجموعة فى مكان واحد، وليس ذلك عن تجربة ولا لأن منظره أشنع وأعظم، وليس فى ذلك علة إلا ما طبعته عليه من تميز الحيوان عندها .

أما الخيل فقد ضربت أمثلة رائعة على الحنان والحب نحو وليدها حيرت العقول، وكثيراً ما نرى مُهر الخيل مربوطاً بجوار أمه وهى تجر عربات النقل لأنها لا تتحرك خطوة واحدة دون أن يكون وليدها بجانبها .

وقد رأيت بنفسى مشهداً رائعاً لأنثى الخيل وكان نهر النيل فى بداية فيضانه وتيار الماء جارفاً، حيث نزلت الفرس إلى المياه وسط هذه الأمواج

العاتية تغالبها وتتغلب عليها لتلدق بوليدها الذى حمل فى مركب إلى جزيرة وسط النيل . وبالفعل غالت كل هذه الأمواج فى دقائق معدودات ولحقت بوليدها تشمه وتمسح فيه على الرغم من أنها كانت فى غاية الإنهاك والتعب وكأنها تقول له الحمد لله الذى جمعنى وإياك ياقرة عيني .

والفرس إذا مات صغير لها نهنت بصوت مسموع، وقد تنزل الدموع من عينيها منهمة وهى تودعه الوداع الأخير .

سبحان الرحيم الرحمن الذى وضع جزءاً من مائة جزء من رحمته فى الأرض تتراحم به الخلائق .

ثعبان السمك يعيش فى الأنهار وعندما يكتمل نموه ببلوغ العاشرة من عمره يهاجر من البرك والأنهار فى مختلف أنحاء العالم فى رحلة تقطع فيها آلاف الأميال قاصدة إلى الأعماق السحيقة فى جزر الهند الغربية جنوبى برمودا، حيث تتزاوج وتضع البيض وتنتهى بذلك حياتها حيث تموت . وبعد مدة تخرج الصغار من البيض فتكون مخلوقات صلبة شفافة كأنها خيوط صغيرة لها عيون بارزة وتتهيا للعودة إلى مواطن آبائها فى رحلة تستغرق أكثر من ثلاث سنوات فى بعض الجهات لتصل إلى مصاب الأنهار التى عاش فيها آبؤها!! . . . سواء كانت أنهارا فى أوروبا أم ترعا فى أواسط إفريقيا أم بحيرات فى آسيا، ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكى فى المياه الأوروبية أو ثعبان أوروبى فى المياه الأمريكية!! . . . ما أعظم تدبير الخالق . فأى هادٍ هدى تلك الصغار التى خرجت من البيض بعد موت آبائها، حيث إنها لم





ترها حتى تخبرها
بلغتها الخاصة عن
عنوان مسكنهم
الأصلي؟... لاشك أنه
الدليل الرائع على إلهام
الملمهم سبحانه وتعالى .

الإلهام في النمل

من أعجب ممالك

الحشرات مملكة النمل، التي تكاد تكون أروع
مملكة تتجلى فيها عناية الخالق وعجيب صنعه .
فالنمل يعيش عيشة جماعية تعاونية إلى أبعد
الحدود، ضارباً المثل الأعلى في إنكار الذات .
وكثيراً ما نشاهد جماعة من النمل تحمل حشرة
من الحشرات أضعاف وزنها عشرات المرات
وبفضل تعاونها تستطيع حمل تلك الكتلة
الثقيلة إلى مساكنها لتكون غذاء لها جميعاً وقت
الحاجة .

والنمل يتكلم بلغة خاصة فيما بينه، ونحن
نلاحظ ذلك جلياً حينما نراقب نملة قد وجدت
طعاماً لا تقدر على حمله بمفردها فتذهب على
التو مسرعة إلى جحرها، وبعد برهة قصيرة نجدها
قد عادت ومعها عدد كاف من النمل لحمل هذا
الطعام سوياً . إنها لا تخطيء موضع الطعام على
بعد المسافة .

والقرآن الكريم يحدثنا عن لغة النمل وذلك في
سورة سميت باسم النمل . يقول تبارك وتعالى :

﴿ وَحُشِرَ

لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝
حَقَّ إِذَا اتَّوَعَّلُوا وَإِذِ النَّمْلُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝
فَتَبَسَّ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا ۝ (١) .

وعن عجائب صنع النمل يقول العالم
رويال ديكنسون « إن النمل قد زرع مساحة
قد بلغت خمسة عشر متراً مربعاً من
الأرض...!! وأنه وجد جماعة من النمل
تقوم بحرث الأرض على أحسن ما يقضى به
علم الزراعة، فبعضها زرع الأرز، وجماعة
أزالت الأعشاب، وغيرها قامت لحراسة
الزراعة من الديدان .

ولما بلغت عيدان الأرز نضجها كان يرى
صفاً من الشغالة لا ينقطع يتجه إلى العيدان
فيتسلقها إلى حب الأرز، فتنزع كل شغالة
من النمل حبة وتنزل بها سريعاً إلى مخزن



البشرى يحتوى على كل الأنعام التى لكل الآلات الموسيقية فى أوركسترا، والإنسان يمكنه أن يوفق بين تلك الأنعام جميعاً .

ويقول الدكتور روبرت هورتون كامبيرون: «إننى أعتقد بوجود الله لأنه وهبنى التمييز الأخلاقى، فالجنس البشرى لديه إحساس فطرى بما هو خطأ، وما هو صواب . . ويختلف الإنسان فى جميع الصفات والمزايا عن سائر الكائنات الأرضية الأخرى، فهو خليفة الخالق على الأرض» . . وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا

وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ (٢)

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣﴾﴾

سبحانك ربى . . ما أعظم رحمتك، وما أكرم إحسانك، وما أكثر نعمك علينا. خلقتنا ورزقتنا، وفضلتنا على كثير ممن خلقت تفضيلاً . . لكننا لم نقدر حق قدرك، بما ران على قلوبنا من المعاصى، وما غاب عن بصائرنا من حسن فضلك، فاهدنا ربنا سواء السبيل، وأخرجنا من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى .

تحت الأرض، وقد طلى العالم أفراد النمل بالألوان فوجد أن الفريق الواحد من النمل يذهب دائماً إلى العود الواحد حتى يفرغ ما عليه من الأرز، ولما فرغ النمل من حصاد الزرع هطل المطر أياماً، وما أن انقطع المطر حتى أسرع إلى مزرعة النمل ليتعرف أحواله فوجد البيوت تحت الأرض مزدحمة بالعمل والعمال، ووجد كل نملة تخرج من البيت وهى تحمل حبة من الأرز فتذهب بها إلى العراء فى جانب مائل من الأرض مُعَرَّضٌ للشمس، وما أن جف الأرز حتى عادت به الشغالة إلى المخازن تحت الأرض مرة أخرى .

الإنسان آية الإبداع

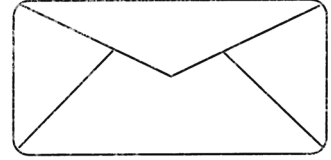
على قمة المخلوقات يتربع الإنسان، وهو الآية العظمى على إبداع الخالق . فهو المخلوق الصغير الحجم، الضعيف الجسم، القوى التفكير، ذو العقل السامى . والبديهة الحاضرة، الذى استطاع أن يسخر كل شىء فى هذا الوجود بما نفخ الله فيه من روحه .

يقول الدكتور كريس موريسون: «إن الإنسان وحده هو الذى أوتى عقلاً بلغ من التطور أنه يستطيع أن يفكر به تفكيراً عالياً . والغريزة ليست إلا كنغمة واحدة من الناي، نغمة جميلة، ولكنها محدودة، بينما العقل



رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ /عبد الفتاح سيد جمعان



اللفظ صحيح المعنى، ولأنه قرآن أى مقروء باستمرار لا يُمل ولا يُسَام بكثرة التلاوة، والقرآن لأنه كريم يظل أبد الدهر مهما كرر كالكلام الغض والحديث الطرى فهو مع قدمه المستمد من قدم قائله يسمعه السامعون كأنه كلام الساعة وما قرع سمع أحد من قبل ولذلك فإن الملائكة الذين علموه قبل النبى ﷺ بألوف السنين حين يسمعون من المسلم يتلذذون به تلذذ السامع لكلام يقرع سمعه لأول مرة (٢)، قال القرطبي فى تفسيره: (قرآن كريم أى: ليس بسحر ولا كهانة ولا مفتري بل هو كريم محمود جعله الله معجزة لنبيه ﷺ وهو كريم على المؤمنين لأنه كلام ربهم وشفاء لما فى صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه، وقيل كريم أى غير مخلوق، وقيل كريم لما تضمن من كريم الأخلاق ومعالي الأمور، وقيل لأنه يُكرم حافظه ويُعظم قارئه (٣).

والكتاب المكنون هو كتاب فى السماء كما قال ابن عباس - رضى الله عنهما - أو هو اللوح المحفوظ أو الكتب السابقة كالتوراة والانجيل

رسالة هذا العدد وردت من القارىء الذى رمز لاسمه غ. خ. ن جاء بها سؤالان: الأول عن حكم قراءة القرآن مع الحدث الأصغر أى من غير وضوء.

والثانى يقول فيه: متى نسجد سجدة السهو ولماذا؟ ومتى تكون سجدة واحدة؟ ومتى تكون سجدتين؟

● وفى البداية أقول للأخ السائل: إن القرآن الكريم كلام الله القديم الذى ليس بحس ولا صوت، المنزل على محمد ﷺ المعجز، المتعبد بتلاوته وهو الذى تحدى الله ورسوله به العرب أن يأتوا بمثله أو يعشر سورة مثله أو بأقصر سورة منه فعجزوا، وهو ما بين دفتى المصحف الشريف قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (١).

قال العلماء: معنى كونه كريماً أى: جامعاً لصفات المدح فالكريم ما كان طاهر الأصل ظاهر الفضل فصيح

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى مجلد ١٥ ص ٣٢٣ ط دار الغد العربى بتصرف.

(١) الواقعة (٧٧: ٧٩).

(٣) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٦٣٩٤ ط كتاب الشعب.



الموحدون، ولذا كان ابن عباس -رضى الله عنهما- ينهى أن يُمكن أحد الكفار من قراءة القرآن الكريم، وقال بعضهم: لا يجد طعمه وبركته إلا المؤمنون به فهو كقوله ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً) وقيل لا يوفق للعمل به إلا السعداء ولا يجد ثوابه إلا المؤمنون.

هذا كله على أن الآية خبر لا إنشاء، إما على جعلها انشاء ولا ناهية أو على جعلها خبراً بمعنى الإنشاء فتكون نهياً عن مس المصحف بلا طهارة ويكون المراد بالمس المس بالجراحة وهذا رأى جمهور العلماء مستدلين بحديث ابن عمر السابق وما كتبه الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم وما روى عن فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر -رضى الله عنهما- وروى عن أبي حنيفة -رضى الله عنه- وجماعة من السلف أن المحدث يجوز له أن يمس المصحف ظاهره وحواشيه والخالى من الكتاية، أما المكتوب فلا يمس إلا طاهر.

هذا عن حكم مس المصحف بلا قراءة. أما القراءة فتجوز باتفاق العلماء للمحدث حدثاً أصغر أى لغير المتوضىء أن يقرأ القرآن الكريم بلا مس أى يقرأ من محفوظه أو يقرأ من المصحف من غير أن يمس أو يمسه بحائل.

وعليه فنجيب السائل بأن قراءة القرآن من غير وضوء جائزة. والله أعلم.

●● أما عن السؤال الثانى وهو عن سجود السهو فنجيبه بما يلى:

لقد شرع سجود السهو جبراً للصلاة عند ترك مالىس بركن على سبيل السهو أما ترك الركن فلا

والزبور لأن فيها ذكر القرآن الكريم ومن ينزل عليه ﷺ وقيل هو المصحف الذى جُمع القرآن فيه من عهد عثمان بن عفان -رضى الله عنه^(٤).

أما قوله تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فعلى جعل الكتاب المكنون اللوح المحفوظ، فالمراد بالمطهرين الملائكة فهو إخبار من الله - سبحانه وتعالى - أى لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا المطهرون من الذنوب والآثام، وهم الملائكة ومن كان مطهراً من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم، فهو كقوله تعالى:

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ

﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^(٥).

وفى هذا رد على الكفار الذين كانوا يقولون إن الجن تنزل به من السماء فتلقيه على محمد كالكهنة.

أما على جعل الكتاب المكنون هو المصحف الذى بأيدينا كما جاء فى كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم وفيه: لا يمس القرآن إلا طاهر، ولقول الرسول ﷺ فيما رواه ابن عمر -رضى الله عنهما-: (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) ولقول فاطمة بنت الخطاب لأخيها عمر -رضى الله عنهما- عندما أراد أن يأخذ الصحيفة التى بها القرآن: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فقام واغتسل وأسلم، وقيل:

﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أى لا يقرؤه إلا

(٥) عيس (١٣ : ١٦).

(٤) المصدر السابق بتصرف.



الركعتين فسبحوا به فمضى فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين ثم سلم .

(٤) عند الشك في الصلاة لحديث « إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر أواحدة صلى أم اثنتين فليجعلها واحداً ، وإذا لم يدر اثنتين صلى أم ثلاثاً فليجعلها ثنتين ، وإذا لم يدر ثلاثاً صلى أم أربعاً فليجعلها ثلاثاً ، ثم يسجد إذا فرغ من صلاته وهو جالس قبل أن يسلم سجدتين »^(٩) وهذا الحديث يدل أن المصلي يبني على الأقل وهذا مذهب الجمهور ليرغم الشيطان .

من كل ماسبق يُعلم أن محل سجود السهو بعد التشهد الأخير لكن هل قبل السلام أو بعده خلاف بين المذاهب فقال الشافعية يسجد قبل السلام ولا يتشهد . وقال الحنفية : بعد السلام ويتشهد بعد سجدتي السهو ، وقال المالكية : إن كان السهو عن نقص في الصلاة سجد قبل السلام وإن كان عن زيادة سجد بعد السلام وفي الحالتين يتشهد بعد سجدتي السهو .

هذا وسجود السهو في كل الأحوال السابقة وعند كل المذاهب سجدتان لا سجدة واحدة كما جاء في السؤال ولعل الأخ السائل التبس عليه سجود السهو مع سجود التلاوة فسجود التلاوة سجدة واحدة ويكون عقب قراءة آية من آيات السجدة الخمس عشرة ثم يعود للقراءة بعد السجدة .

وكل من سجود السهو وسجود التلاوة سنة إلا إذا كان الإنسان مأموماً وسجدها الإمام فيجب على المأموم أن يتابعه ، ومعنى كونهما سنة أى من تركهما فصلاته صحيحة ، والله أعلم .

يجبر بسجود السهو بل يجبره الإتيان به وإلا بطلت الصلاة وقد صح أن الرسول ﷺ سها في صلاته فجبر هذا السهو بالسجود ، قال بعض العلماء : إن سهوه ﷺ كان للتشريع وإلا فالرسول قرأ عينه في الصلاة فكيف يسهو مالم يكن للتشريع ؟!

أما عن سؤاله متى يسجد المصلي للسهو ؟ فقد جاء في فقه السنة مايلي :

يُشرع سجود السهو في الأحوال الآتية :-

(١) إذا سلم قبل إتمام الصلاة لما روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي أى الظهر أو العصر فصلى ركعتين ثم سلم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده على ظهر كفه اليسرى وخرجت السُرعان من أبواب المسجد - أى خرج المتسرعون - فقالوا قصرت الصلاة وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وفي القوم رجل يقال له ذو اليمين ، فقال : يا رسول الله أنسيتم أم قصرت الصلاة فقال : لم أنس ولم تقصر فقال : « أكما يقول ذو اليمين ؟ » قالوا : نعم فقدم فصلى ما ترك ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه^(٨) .

(٢) الزيادة على الصلاة لما رواه الجماعة عن ابن مسعود أن النبي ﷺ صلى خمساً فليل له : أزيد في الصلاة فقال : وما ذاك فقالوا : صليت خمساً فسجد سجدتين بعدما سلم .

(٣) عند نسيان التشهد الأول أو نسيان سنة من سنن الصلاة لما روى أن النبي ﷺ صلى فقام في

كيف نقدم إسلامنا للغرب؟!

أجرى الحوار/ إسماعيل أبو الهيثم

العلم جريمة كبرى.

لذا يطالب الدكتور الشكعة أن تعقد المعاهدات الحكومية التي تفرض على الجميع أن يقدم علوم الآخر بشكل أمين ومنضبط، فما جدوى أن تعقد المؤتمرات والندوات لشباب تعلموا منذ صغرهم ان الإسلام دين قبيح ودين كله شرور ودين كله مثالب. لن يقتنع هؤلاء الشباب وإذا اقتنع البعض منهم فستكون النسبة قليلة جداً. فإذا كنا جادين فى تصحيح صورة الإسلام فى الغرب فلا مناص من الاهتمام الحكومى بذلك عن طريق المعاهدات التى تنقى المناهج الدراسية مما يشوب الأديان.

واستبعد الدكتور الشكعة أن تجعل الحكومات الإسلامية ذلك فى جدول أعمالهم مستدلاً على عدم تحركهم تجاه وأد بلد بلد إسلامى (أفغانستان) لم يسء لبلد ما، أحرقت أرضه وسماؤه، فهل تحركهم المناهج الدراسية المليئة بأفطع الاتهامات للإسلام؟! مع العلم أن الدور سيصيبهم جميعاً!!

واقترح الدكتور الشكعة أن تستغل البعثات الدراسية للخارج فى تصحيح صورة الإسلام. وهذا يستدعى تزويد هؤلاء ببعض المراجع التى تبين سماحة الإسلام ورأيه فى كافة القضايا المعاصرة خصوصاً وأن أغلب هؤلاء الدارسين من النابيين وأغلبهم تستهويه الإقامة فى الغرب ومن ثم يتبوء مركزاً اجتماعياً يؤهله - إذا كان على دراية كافية بالإسلام - من تصحيح

نشرنا فى العدد السابق إجابات للدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور محمد عمارة فى معرض الإجابة عن هذا التساؤل، وفى هذا العدد نواصل تقديم إجابات علماء الإسلام.

يرى الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق: أنه لابد من تكاتف جميع المؤسسات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية بالتوجه بالخطاب للغرب بأسلوب علمى وتقديم الإسلام الصحيح والتركيز على المبادئ الإنسانية التى فى مقدمتها الديمقراطية والحرية واحترام الآخرين وحرمة الاعتداء عليهم. على أن يثبت هذا التصور من خلال التقنيات الحديثة. مع استخدام السفارات والملحقين الثقافيين بها بتقديم هذا الخطاب للآخرين. خصوصاً وأن الصورة لديهم عن الإسلام سيئة للغاية بفضل السياسة الصهيونية التى رسمها اليهود ومن لا يحبون الإسلام والمسلمين، على أن تكون هذه الرسالة وهذا التوجه الإعلامى تحت إشراف الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف وما يشابه ذلك فى الدول الإسلامية.

الدكتور مصطفى الشكعة يرى أن مسألة تصحيح صورة الإسلام فى الغرب أصبحت مسألة عويصة. لأن الولد الغربى تعلم كره الإسلام فى دراسته الأولى. فشب على معرفة مشوهة للإسلام. وشب يكره الإسلام نتيجة للصورة القبيحة التى قدم بها من قبل المدارس والمناهج الغربية التى تتفنن فى إلصاق التهم بالإسلام ظلماً وعدواناً. وهذا ولا شك تخطيط مجرم وغير أمين ولا بد أن يقدم العلم بشكل أمين وتزييف



هذه الصورة المغلوطة عنه .

وأضاف الدكتور الشكعة أن سبب إسلام بعض الغربيين خصوصاً في أمريكا يرجع إلى جيل الستينيات الذين فرضت عليهم الظروف السياسية آنذاك البقاء في الغرب من تكوين لوبي إسلامي في أمريكا .

وطالب الدكتور الشكعة بفتح فرع لجامعة الأزهر في كل من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإنجلترا أسوة بإقامة فروع لجامعاتهم عندنا . الأمر الذي سيؤدي إلى أحد أمرين . إما أن تسوء سمعة جامعاتهم التي تقدم عن عمد تشويهاً وتزييفاً للإسلام، وإما أن تصلح هذه الجامعات من شأنها .

وتعجب الدكتور الشكعة من تأخر إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالخارج خصوصاً وأنه كتب تقريراً هو وفضيلة المرحوم الشيخ محمد الغزالي أثناء وجودهما في احتفال الأمم المتحدة بمرور ٥٠ عاماً على انشائها عام ١٩٩٥ ومازال الموضوع قيد البحث . وأرجع الدكتور الشكعة تأخر هذا القرار إلى أن الأمور لا تمشي إلا إذا تدخلت الدولة وكثيراً ما حلت أمور مستعصية بعد تدخل الرئيس ومن هنا ناشد الدكتور الشكعة الرئيس محمد حسني مبارك إنشاء فروع لجامعة الأزهر بالغرب وهو رجل فاعل وقادر ومقبول .

كما طالب الدكتور الشكعة المسلمين المغتربين بأن يكونوا قدوة وأن يكونوا من حسن المنظر وحسن السلوك بحيث يقال عنهم إن دينهم مثلاً للأمانة والأدب . خصوصاً وأن السلوك يعتبر عاملاً قوياً جداً في التأثير على الغير . ولنا في انتشار الإسلام في شرق آسيا من خلال التجار الأمناء الدليل على ذلك .

وضرب الدكتور الشكعة مثلاً على ذلك بقوله في أول حضور له في المحافل الدولية : كان اجتماع لاتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا عقد في كندا . وكان البروتوكول يستدعي أن يفتتح حاكم المدينة الاجتماع . وعندما طلب منه

ذلك . طلب مهلة لإعداد نفسه حيث إنه لا يعرف شيئاً عن الإسلام . وفي الغد حضر الاجتماع . وقال للحضور : لقد فعلت شيئاً قبل مجيئي إليكم . استدعيت قائد السجون في المدينة وسألته كم مسلم عندكم في السجون ، فأجاب : لا يوجد فرد واحد مسلم في السجون ، فقلت : إذن هو دين عظيم ، ويشرفني كثيراً أن أفتتح مؤتمره .

الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر يرى أن صورة الإسلام الحقيقية واضحة تماماً للغرب على الوجه الذي أراده رب العالمين . لأنهم درسوا ذلك جيداً على مدى القرون الماضية وقد اتصلوا بالحضارة الإسلامية اتصالاً مباشراً عن طريق الأندلس ، وعرفوه معرفة جيدة من خلال الاتصال بأهله في بلاد المسلمين ولكن الصورة التي يصورون الإسلام بها هي من خلق عقولهم وخيالهم وأهدافهم المشبوهة للتنفيث عن أحقاد تملأ قلوبهم نحو الإسلام ، ولا شأن لنا بإزالة هذه الأحقاد من القلوب لأنها أحقاد أزلية ، لا بد وأن توجد بين الحق والباطل والخير والشر والخطأ والصواب . وتلك معركة مستمرة إلى أن تقوم الساعة ، مادام هناك من يترصص للخير والحق والصواب . وواجبنا في هذا المقام لا بد وأن يسير في اتجاهين متوازيين :

أولهما : تقديم المزيد من التعريف بالإسلام ، ليس لتوضيح الصورة الصحيحة فحسب وإنما للاستمرار في واجب تبليغ الدعوة الإسلامية إلى قيام الساعة .

ثانيهما : عن طريق تصحيح الإسلام في سلوكنا نحن قبل كل شيء . بمعنى أن نطبقه تطبيقاً صحيحاً بحيث يتوافق السلوك مع ما ندعوا إليه غيرنا . لأن من الخطر أن يتخلف التطبيق عن الدعوة النظرية لأن ذلك من شأنه أن يسيء إلى المسلمين والإسلام ، على أساس أن الإسلام غير ممكن التطبيق ، ولو كان ممكن التطبيق لطبقه المسلمون على أنفسهم قبل أن يدعوا الآخرين إليه .



الكيمياء أو الطب أو الفلك أو الرياضة أو الفن والمعمار نموذجاً لإنسان أعرب عنه الإسلام كيفما استوعبه ربما تتردد الكلمات مئات وآلاف المرات ولكنها لا تؤثر في أى مخلوق لأنها خالية من الحياة ومن الطاقة، أما حين تكون كلمة واحدة صادرة من تجربة حية وعمل صادق فإنها قادرة على أن تغير العالم. إننا إن أردنا أن نقدم الإسلام للغرب فعلياً أن نكون أحياء أولاً لتصل كلمة الحق ويحيا بها من هو حى يسمع ويبصر.

أما الدكتور جودة المهدي عميد كلية القرآن الكريم بطنطا فيرى أن مفهوم الدعوة الإسلامية الحققة إنما هو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. وأن ما يحدث عندنا هو من قبيل الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الدعوة الإسلامية فلا بد لها من استراتيجية شاملة تركز على ركائز متينة.

الركيزة الأولى: وضع الصورة الصحيحة للـ. 'أ' أمام الغرب من خلال قنوات الإعلام الخ والدراسات الأكاديمية وترجمة الفكر الإسلامي لغات العالم.

وأرجع الدكتور جودة الحالة غير الجيدة للإسلام لدى الغرب إلى عدم عرضه من خلال الأكفاء من أهله أو عرضه من غير أهله. ولذلك يجب أن نعتنى بالمراكز الإسلامية بالخارج وإمدادها بالكوادر المؤهلة لعرض الإسلام بصورته الحقيقية، حتى تكون مركز إشعاع. ولابد من تخريج الكوادر القادرة على مخاطبة الآخرين مزودة بالتضاريس وجغرافية وسيكولوجية البلد الموفد إليه، بحيث يذهب الداعي إلى بلد ما وهو يعرف هذا البلد كواحد منهم. وأكد الدكتور جودة على أنه إذا كنا جادين في تصحيح صورة الإسلام في الغرب فلا بد من رصد ميزانية خاصة ويكون ذلك وفق استراتيجية منظمة خصوصاً وأن الموساد وأجهزة أخرى تنفق مليارات الدولارات للقضاء على الإسلام.

ولقد اتفق فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مع الاتجاه الذى أشار إليه الدكتور أبو كريشة حيث قال: إننا كى نقدم الإسلام للغرب علينا أولاً أن نكون كتاباً حياً، ومثالاً يمشى على قدمين، ولن نكون كذلك إلا إذا بدأنا فى مراجعة أنفسنا كأمة، وأدر كنا لماذا لا يبقى فينا من الكتاب إلا رسمه ومن الدين إلا شكله!! إننا نحتاج لأكثر من الكلمات والأحرف، نحتاج إلى بعث الروح فى هذه الكلمات لتكون طاقة دافعة وقوة خلاقة، وهذا لا يأتى تصنعاً وتكلفاً، ولا يأتى بالقانون غريب أن يتحول الدين نفسه الذى جاء لتحرير الإنسان من التجمد والموت الفكرى والروحى والضميرى، ليصبح تناول الناس له نوعاً جديداً من التقليد والعادات والتجمد والموت. لابد من التفاعل مع المستجدات، ولابد من تجديد المفاهيم، ولابد من تطوير الأدوات دوماً لإبداع حياة جديدة ومتجددة، جوهرها دائم ومظهرها متجدد. إن المسلمين بحاجة إلى إعادة الفهم وتجديد المدخل لمعنى الدين ودوره فى الحياة، بعد أن اختزل معنى الدين إلى (فتوى) يحتاجها المسلم من العالم حول شرعية أو عدم شرعية أجزاء من المناسك، أو تعامل مالى، أو زواج وطلاق. فهذه الأمور على أهميتها وضرورتها إلا أنها ليست كل الدين. فالدين اتجاه كلى نحو الحياة يقوم على فهم الإنسان لمعنى الحياة، ومعنى إنسانيته، والرسالة التى هو مكلف بها على هذه الأرض.

واختتم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية حديثه قائلاً: إن الإسلام حين وصل لأوروبا وكان أحد أسباب إخراجها من جهالة العصور الوسطى المظلمة لم يكن ذلك من خلال وعظ وإرشاد من علماء الدين، بل كان طاقة من الإستتارة وصلت من خلال أشخاص عاشوا معانى الدين، وتحولوا إلى أمثلة حية فى أعمالهم. كان كل عمل فى مجال الفلسفة أو

مَصْدَرُ الْعِزَّةِ



لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، هو خالق الخلق، وواهب الرزق، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ (١).
أشهد أن لا إله إلا الله، هو صاحب الأمر، ومصدر البر ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).
وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، اعتصم بحبل ربه، واستضاء بنور كتابه، فكان خير المرشدين وزينة
المفلحين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحابه، وحزبه وجماعته، ومن تركي فإنها يتزكى
لنفسه وإلى الله المصير.

يا أتباع محمد ﷺ :

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُ﴾ (٣).
إن الآية تتكون من خمسة مقاطع كل مقطع
منها فيه عظة وبلاغ لقوم يعقلون. المقطع الأول
يقول :
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ .

لا تخافوا، فلن أحدثكم عن الوفاء والفداء، ولا
عن الاستشهاد والشهداء فلقد أظن أنكم مللتم
هذا اللون من الحديث، وكأننا قد رضينا بالواقع،
على الرغم من احتلال الدار وضياح الثأر وثقل
العار، وكأننا قد ألفنا أن توطأ الوجوه والأعناق
بالنعال والأقدام. ولكنني سأحدثكم عن آية من
كتاب ربكم المجيد، في سورة فاطر، تقول :

(٢) الأعراف (٥٤).

(١) الفرقان (٢).

(٣) فاطر (١٠).

كل مكان، ولقد يتعزز بالعلم ويغتر به فلا يزيده العلم إلا انحرافاً وضلالاً، ولقد يتعزز بالمنصب والجاه فتدور عليه الدوائر فيصبح أذل من الكلاب؛ أما الاعتزاز بالله فباق دائم، يهون معه كل عسير، ولذلك قال القرآن:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

ولا تناقض بين كون العزة لله وحده، وكونها للرسول وللمؤمنين، لأن الله هو العزيز في الحقيقة والواقع، وكل عز سوى عزه فهو فيض من عزته، والعزة كانت للرسول بواسطة قربه من الله العزيز، والعزة للمؤمنين كانت بواسطة إيتابهم للمعتر بالله سيدنا رسول الله، ولذلك يقول القرآن:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتَنُفُوتُ عَنْهُمْ أَلْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (٦).

وصلوات الله وسلامه على رسوله حين قال: «اطلبوا الحوائج بعزة النفوس فإن الأمور تجري بالمقادير» (٧). وقال: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا» (٨). والحديث عن العزة مفصل مبسوط في كتاب «أخلاق القرآن».

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ولقد قال السابقون: إن الكلام الطيب هنا هو التوحيد أو الذكر أو التلاوة أو النصيحة أو العلم أن نقول: إن الكلم الطيب هو كل ما وافق القرآن والسنة، وكل ما كان حقاً متجرداً لوجه الحق، وما فيه إخلاص وإرادة خير للمسلمين وكل ما كان دالاً على هدى أو محذراً من ردىء أو داعياً إلى

والعزة هي: الرفعة والمنعة والاستعلاء وفي الكلمة أيضاً معنى القوة والشدة، والعزيز هو: الغالب لسواه، ولقد كان جبابرة المشركين يخافون إذا دخلوا في الإسلام أن تزول عنهم زعامتهم وقيادتهم لغيرهم، ولذلك حاولوا الاعتزاز بالعناد والكفران، فأفهمهم القرآن أن العزة الحقيقية لا تكون إلا من الله، لأنه هو الذى خلق كل شئ، وأعطى كل شئ، وإليه يرد كل شئ، فمن أراد أن ينال العزة فليطلبها من مصدرها ومنبعها، ومالكها وواهبها، ومن كان يحب أن يصير عزيزاً في الدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، حتى يشمل به برضاه وهده، وبذلك يصبح عزيزاً، لأن الله جل جلاله هو مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٩).

وإذا أيقن الإنسان أن العزة لله وحده، أنف أن يخضع لغير الله أو يذل أمام سواه فلا يتضعضع أمام فقر، ولا يهون أمام قهر، بل لعلنا نسمعه يردد قول الشاعر الرامز الواعظ:

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرتى
وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
عار على راعى الحمى وهو قادر

إذا ضاع فى البیدا عقل بعیر
ولقد يتعزز الإنسان بقوة البدن فيأتيه المرض فيهدده هداً، ولقد يتعزز بالمال، فإذا المال غول قاتل وشيطان مائل، ولقد يتعزز بالنسب والحسب، فيأتيه الضياع من

(٦) النساء (١٣٨، ١٣٩).

(٥) المنافقون (٨).

(٤) آل عمران (٢٦).

(٨) الترغيب والترهيب ١٧٩/٤، مجمع الزوائد ٢٤٨/١٠.

(٧) كشف الخفا ١/١٥٥.

أساس العمل أو مقدمته هو الكلمة الطيبة . ولنتذكر هنا أن القرآن في هذه الآية - كما في غيرها - يحثنا على الرفعة والصعود والتسامي . فالعزة التي يحدثنا عنها رفعة . والكلم الطيب يصعد ، والصعود سمو ورفعة ، والعمل الصالح تعلو به إرادة الله ، والعلو رفعة ، فكأن شأن أبناء الإسلام أن يكونوا على الدوام في رفعة وصعود واعتلاء .

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ .

أى الذين يقتربون الآثام ويكتسبوننها ويتوسعون فيها بمكرهم ووقاحتهم ، لهم عذاب مؤلم موجه ، وهذه هي الصورة المقابلة لصورة الفائزين أصحاب الكلم الطيب والعمل الصالح والسيئات تشمل السئ من القول والسئ من العمل ، فكان السيئات هنا هي النقيض المعارض للكلم الطيب والعمل الصالح .

﴿وَمَكَرُوا لَكَ هُبُورٌ﴾ أى يفسد ويبطل ، وبذلك لا يثمر ولا ينفع ، بل ويظهر الله زيف الماكرين الآثمين لأصحاب البصائر والعقول ، لو ستروه لأنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله - ولو بعد حين - على صفحات وجهه ، وفلتات لسانه ، ولفظة ﴿يُورُ﴾ لها دلالتها المصورة المعبرة فى العاقبة الوخيمة التى يصير إليها أهل الإجرام والفساد . وهكذا عدل الجزاء :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿(١١)﴾ .

● أُلقيت بمسجد التليفزيون فى يوم الجمعة (٢) من

ذى القعدة سنة ١٣٩٢هـ . يناير سنة ١٩٧٢م .

خير ، أو أمراً بمعروف ، أو ناهياً عن منكر والتمسك بالكلام الطيب هو أول خطوة نحو اكتساب العزة من الله ، وانظر كيف يخبرنا أن الكلم الطيب كأنه شئ أعطى قوة الصعود بنفسه إلى مكان الرضى والقبول ، ولا عجب فالنطق بالكلمة الطيبة منة عظيمة من الله على الإنسان ، ولذلك يقول القرآن :

﴿وَهَذَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ (٩)

ولقد تستطيع الكلمة الطيبة أن تحقق خيراً كثيراً ، أو تمنع شراً مستطيراً ، ومن هنا قال رسول الله : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (١٠) ، ولقد جاء فى السنة أن العبد إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، والله أكبر تبارك الله ، أخذهن ملك ، فجعلهن تحت جناحيه ، ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة ، إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يحيى بهن وجه الرحمن .

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ وهذه هى الخطوة الثانية

نحو اكتساب العزة من الله ، والعمل الصالح هو العمل المستقيم النافع ، وقمة هذا العمل هو أداء الفرائض ، لأن الحديث القدسى يخبرنا بأنه « ليس فى التقرب إلى الله أفضل من تنفيذ ما افترضه الله على عبده » . ولننظر جيداً كيف جعل القرآن الكلام الطيب يصعد بنفسه ، والعمل الصالح يرتفع برفع سواه ، وليس ذلك استخفافاً بشأن العمل ، وإنما هو تمجيد لقيمة الكلمة الطيبة ، كى لا يستخف الناس بشأنها ، والإنسان الحيوان فى العمل ، ولكنه يتميز أول ما يتميز بالنطق والكلام ، والعمل الصالح فى الإسلام ، يبدأ بكلمة لا بد منها هى كلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله فكأن

﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسئفنا وارت القرد

نحب عنها الجزة الفتوى بالازهر الشريف

إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس

● السؤال من الطالب حمدى محمد محمود - بهندسة الزقازيق يقول :

الاسلامية والشرعية) فهل لو تأكد ان صاحب تليفزيون ما يستخدمه فيما أحل الله فقط فهل يجوز لى ان أصلحه له؟

وهذه المسألة تحيرنى جداً بكل ما فيها من تساؤلات فأرجو من سيادتكم مشكورين اجابتي وإزالة حيرتى .

جزاكم الله عنى وعن كافة المسلمين خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه وبعد فنفيد أولاً بأننا نحى هذا الطالب المجد الذى يعمل ويشارك أسرته تكاليف الحياة الصعبة فى هذه الأيام ليوفر

أرجو من سيادتكم الإجابة عن سؤالى الذى يحيرنى منذ فترة طويلة وان يتولى أحد العلماء الأفاضل الإجابة عليه .

حتى أوفر على أسرتي بعض نفقات الدراسة فى الكلية أعمل فى مجال إصلاح التليفزيونات والتسجيلات الكهربائية وقد نبهنى بعض الأخوة إلى ضرورة التثبت من هذه الشغلة . هل هى حرام أم حلال؟ وهل إصلاح التليفزيونات يعين أصحابها على المعصية؟ وبالتالي أنا مشارك لهم فى هذه المعصية؟ وهل هناك فرق فى الحكم بين إصلاح التليفزيونات وإصلاح التسجيلات؟ أم هو حكم واحد؟ وهذه المسألة تحيرنى كثيراً فهل ما أكسبه من هذه المهنة حلال أم حرام؟ وإذا كانت مشاهدة التليفزيونات بها جدل حول الحل والحرمة (الحل بالطبع للبرامج التى تلتزم بالقيم



●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد

فنفيد بأن الأصل في العقيقة ان تكون ذبيحة
تذبح في اليوم السابع للمولود بأن يذبح شاة
للمولود وتجهز ويطعم منها الأصدقاء والجيران
والفقراء والمساكين احتفالاً وشكراً بنعمة الله بهذا
المولود ولكن إحضار اللحم بثمن الذبيحة فلا
يعتبر عقيقة وإنما يعتبر وليمة للأهل والأصدقاء
والجيران فالأفضل اتباع السنة التي أمر بها الرسول
ﷺ بإقامة دماء شاة عقيقة عن المولود وليس لنا ان
نبدل ما أمرنا به الرسول ﷺ وإنما نتبع أوامره ولا
نبتدع من عند أنفسنا ولو كان فيه إطعام أكثر
هذا والله أعلم

● ومن القارئ حسن على حسن ورد هذا السؤال :

وصيتي : أقر أنا حسن على حسن بأنني
امتلك شهادات استثمار مجموعة (ب) البنك
الأهلي المصري مسجلة باسم الغير قيمتها الإسمية
(٢٥٠٠٠) خمسة وعشرين ألف جنيه يستطيع
ابني سحب قيمتها الحالية من البنك وهي أقل من
القيمة الإسمية في حالة وفاتي أوصى ابنائي
وبناتي بسداد نصيب كل منهم عند استلامه في
مصارف زكاة المال حيث لم أقم بسداد زكاة المال
عن هذا المبلغ وأبرئ ذمتي من هذا المبلغ الذي
كنت اعتمد على عائده في معيشتي أثناء
حياتي .

ويبقى لأبنائي وبناتي المنزل الكائن بشبرا
والله على ما أقول شهيد .

لنفسه نفقته في أيام الدراسة وللإجابة عن سؤاله
نقول له بأن التليفزيون سلاح ذو حدين إذا
استعمله صاحبه في المعرفة والبرامج الدينية
والأحاديث التي تعلم الناس أمور دينهم ودنياهم
فهذا جائز شرعاً ولا شيء فيه وأما اذا استعمله
صاحبه لرؤية البرامج الخلية والأفلام الهابطة التي
تشير الغرائز فهذا حرام .

والحرمة خاصة بمن يستعمله في هذه المحرمات
أما أنت إذا قمت باصلاح التليفزيون أو التسجيل
فلا شيء عليك ولا حرمة في الأجر الذي تأخذه
ويجوز لك ان تصلحه وأنت مطمئن القلب وإنما
الإثم على صاحبه الذي يستعمله فيما يغضب
الله هذا والله أعلم

● السؤال من أبى أنس سامى عبدالرحمن - الشرقية :

الاستاذ / مدير تحرير مجلة الأزهر

بعد السلام عليكم

أود القيام بسنة العقيقة لمولودي - الذكر -
ويتاح لذلك مبلغ ٣٠٠ جنيه وعلمت ان ثمن
الشاة الواحدة والتي تصلح للعقيقة يتراوح بين
٢٥٠ : ٣٠٠ جنيه وأنى أستطيع شراء لحماً
بالكيلو من الجزار وبنفس المبلغ ولكن ثلاثة
أضعاف ما يمكن الحصول عليه من الشاة .

وأنا متردد بين إختيار تطبيق السنة بإقامة
الدماء « دماء الشاة » وهو سوف يترتب عليه عدد
قليل من المدعوين للعقيقة أو شراء اللحم جاهز
وإحضار عدد كبير من الفقراء والأغنياء .

أرجو إفادتي



●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد فنفيد بأن على السائل ان يسارع باخراج
الزكاة عن هذا المال قبل وفاته حتى لا يحاسب
على ذلك يوم القيامة أما إذا أوصى أولاده بأنه
يخرج كل منهم زكاته عن نصيبه في الميراث من
هذا المال فيجب على أولاده تنفيذ وصيته وإخراج
الزكاة ولو خص كل منهم أقل من نصاب الزكاة
وكان الواجب على هذا السائل ان يخرج زكاة
ماله عن السنوات السابقة والله أعلم .

● يسأل السيد / خليل مجودة خليل فرغل
من أطفح - جيزة :

ما رأى الدين فى مدفن قديم به رفات أحد
المسلمين ونظراً للمباني السكنية التى أحاطت به
من كل الجهات وتأثير الصرف الصحى على ذلك
المدفن فهل يصح نقله لجبانة أخرى بعيداً عن
المساكن أم يتنافى مع الدين أفيدونا أفادكم الله .

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين وبعد، فنفيد بأن لو تحققنا بأن مياه
الصرف الصحى وصلت إلى داخل المدفن فلا مانع
من نقل رفات الميت إلى مدفن آخر ويجمع فى
كيس ويحافظ على العظام حتى لا تكسر وتدفن
فى مدفن آخر لأن فى ذلك تكريم للميت والله
أعلم،

● السؤال من م.ع.ع يقول :

برجاء التكرم بافادتنا نحو مشروع التكافل
الاجتماعى للعاملين بالهيئة العامة للرقابة على

- ١- جارى البنك الأهلى ١٨، ١٧٠٧٥٤
- ٢- شهادات البنك الأهلى ٨٣٧٩٠٠٠، ٠٠
- ٣- سلف للعاملين نقدا بفائدة ٨٪ سنويا
٥١٥٧٨٣، ٥٧
- ٤- استثمار بنك الاهلى ٨٠٠٠٠٠٠، ٠٠
- ٥- شهادات ذات عائد شهرى ٥٠٠٠٠٠٠، ٠٠
برجاء التكرم بفتوانا حتى تطمئن قلوبنا

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد :

فنفيد بأن مشروع التكافل الاجتماعى بأن
يخصم من مرتب العامل جزء معلوم ليسترده
بعد خروجه إلى المعاش أو الورثة لو توفى حسب
القواعد والقوانين المعروفة هذا العمل لاشئ فيه
لأنه يعتبر من نوع التعاون بين (الموظفين) فى
هذه الهيئة ونوع من أنواع البر والتعاون :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾
المائدة / ٢

أما الأرقام التى ذكرها السائل فى سؤاله فلا شئ
فيها سوى رقم ٣ ثلاثة وهى السلف للعاملين
بفائدة ٨٪ فإنها حرام وتعتبر ربا لأن كل قرض جر
نفعاً فهو ربا فهذه السلف حرام والله أعلم



صرخة فى وادٍ

للأستاذ / مجدى عبدالمحميد بشر

النأى بنفسه عن الجحود وان يكون على الدوام شاكراً نعم الله التى لا تحصى .

يقول القارئ: « إذا كانت الحظوظ الدنيوية مواتية والنعم سابغة بحيث اننا نجد من الطعام أطيبه ومن الشراب لذيله فنأكل ونشرب فى وارف ظلال صحة وعافية وإذا كنا نلبس من الهندام أبسطه وعندما يقبل الليل نجد مكاناً آمناً يؤويننا وسقفاً يظللنا فننام هانئين فعلينا أن نذكر أن ثلاثة ارباع سكان الكرة الارضية لا تتوافر لهم هذه النعم مجتمعة فمن وجد المطعم والمشرب قد لا يتوفر له اللبس وقد لا يتيسر له المسكن والمركب وتزداد نعم الله علينا وتتوالى فيصل الامر ببعضنا أن يتوفر فى حافظته من النقود ما يريد وقتما يريد بل يحتفظ فى البنوك بما يفيض عن حاجته فهو محظوظ لاشك بل هو من جماعة لا تزيد نسبتهم على ٨٪ من سكان العالم » .

ولا ينسى القارئ الدور الخطير والجوهري للعبادة التى تعود على الإنسان بالامن النفسى والسلام القلبى والطمأنينة الروحية فيقول: « فإذا كان بإمكانى أن أعبد ربى دون خوف من اضطهاد وقد امننت بفضل الله من أن يتحرش بى أحد إذا كان ذلك يتوفر لى فحالى أفضل من

مع بزوغ شمس عام هجرى جديد نبتهل إلى الله - تعالى - مخلصين أن يكون عام وبركة وإزدهار يطيب لكل مسلم أن يحدث بنعم الله التى تغمر كل جوانب حياته وتعم بالنماء شتى شعونه صغيرها وكبيرها، دقيقتها وجليلها . أقول هذا وأنا اطلع على إحدى رسائل القراء فى مجلة لاتقرؤها الكثرة من الناس . ومالفت انتباهى فى الرسالة أمران غالباً ما يغيبان عن بال الجمهرة الغفيرة من البشر ولا يهمنى هنا اسم المجلة ولا اسم القارئ كل ما يعنينى هو أنه أمريكى ومن هنا يكتسب كلامه شيئاً من الأهمية .

أما الأمر الأول فهو التحدث بنعم الله سبحانه والإقرار بالآراء التى تطرى فتغمر حياة الذين اختصهم الرسول ﷺ بالثناء من توجيه يقول فيه « من أصبح آمناً فى سربه، معافا فى بدنه، عنده قوت يومه فكأننى حيزت له الدنيا بحذافيرها » ، إنهم الذين أشاد الشاعر بقناعتهم تعليماً لنا فقال :

إذا ما كنت ذا قلب قنوع

فأنت ومالك الدنيا سواء

واسمع معى بأذن قلبك وأقرأ بعين بصيرتك هذه الكلمات التى ربما احسست فيها شيئاً فى المبالغة لكنها المبالغة المحموده التى تذكر الانسان الذى كثيراً ما ينسى نعم الله عليه وتدعوه إلى



ثم يتطرق القارئ إلى نقطة جوهرية لم يدل فيها بكثير من التفصيل فيقول: «إننا في أمريكا نعتقد جازمين أن كل البشر لهم الحق غير المشروط في إدارة شئون حياتهم بأنفسهم وبناء مجتمعاتهم بالطريقة التي تمكن ابناء ذكورا وإناثاً من استثمار امكانياتهم وتكريس كل قدراتهم وتوظيف مواردهم لهدف سام هو حياة مزدهرة لكل من يعيش في تلك المجتمعات» ثم يُثير قضية بديهية فيقول «ان البشر بطبيعتهم ذوو مصالح مشتركة ومنافع متبادلة تتداخل وتتشابك بحيث لا يستطيع احدهم أن يعيش بمعزل عن صاحبه»

ويضيف القارئ «ان الفرد والاسرة والمجتمع والكون كل ذلك يشكل سلسلة متداخلة الحلقات وثيقة العرى يجذب بعضها لبعض بكثير من الوشائج والصلات فمسئوليتنا اذن متكاملة لا تنحصر في اسرنا وذواتنا الضيقة انما تتعداها إلى كل ماحولنا وإلى البيئة المحيطة بنا ثم يؤكد القارئ على المسؤولية الشخصية والمبادرة الايجابية للفرد التي جعلها الإسلام الحنيف جوهر التقدم يقول القارئ «ان الامر بيد كل واحد منا فهو يمكن ان يختار طريق اللامبالاة وهو إذ ذاك يحفر قبره بيده ويدق بنفسه أول مسمار في نعشه وإما إن أصر على أن يكون إمعة وصمم على انتهاج طريق الخير فهو إنما يبنى جنته بنفسه ويبذر ماسيجنيه خيراً عميماً وحصاداً نافعاً - إن شاء الله - إن التقوى والضمير الحي تدفعنا وتحفزنا إلى النهوض بحياتنا وتحديث اساليب عيشنا بما لا يتعارض مع القيم والمبادئ والمثل الراسخة من الدين والخلق الكريم والارتقاء بالنفس .

حال الكثيرين» بل ان القارئ يوجه كلامه إلى طائفة اقتضت حكمة الله ان لا ينعم عليهم بنعمة البصر مذكراً إياهم بما هم فيه من نعمة عظيمة هي نعمة العلم والقراءة فيقول «ان أولئك الذين وهبوا القدرة على القراءة اما باللمس أو عن طريق الاستماع لهم اكثر حظاً من ثلث هذا العالم من البشر الذين لا يزالون يتخبطون في ظلام الجهل والامية» ثم يستطرد القارئ في تعداد نعم الله على كثير من عباده الذين اغفلوها وتناسوها وجهدوها ويدلى ببعض الحقائق التي لنا عليها بعض التحفظات فيقول «انه على الرغم من الأحداث المساوية التي شهدتها الولايات المتحدة فاننا أوفر البشر حظاً في الولايات المتحدة فالفرد عندنا اكثر الناس تمتعا بالحرية الشخصية» وهو قول مردود عليه لان الحرية مسؤولية وحريتك تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين ثم يقول «انهم اكثر الشعوب وفرة في الموارد وارقى الشعوب ديمقراطية» وهو ايضا ادعاء في حاجة إلى نظر فمن الذى قال إنهم اكثر الشعوب ديمقراطية وماهى الا ديمقراطية تستند أولاً وقبل كل شئ إلى سلطة المال ثم من الذى قال إن الديمقراطية أفضل من الشورى الاسلامية التى تهتم بالكيف لا بالكم وبالرأى السديد الصائب لا بالكثرة الغوغائية وبعد أن يعبر القارئ عما بداخله من حزن واسى ينتقل إلى النقطة الثانية التى جعلتنى أهتم برسالته وأحس أنها صرخة فى واد سحيق ونداء فى أذن صماء لاتريد الاقرار بالواقع ولا الاعتراف بالحقيقة ولا لشئ إلا تمادياً فى الحماقة وسدوراً فى الغنى ونفوراً من صوت الحق .



من الأدب العبري

للككتور / محمد حسن عبد الخالق

الأدب مرآة الشعوب، يعكس المكنونات الدفينة لها. وفي محاولة لسبر أغوار هذه الجماعة الصهيونية سنتعرض لبعض ما كتبوه في أدبهم.

الأطباء إبعاده عن هذا المنصب العالي، وكان هناك طبيب اسمه كمون على صلة بكبار رجال البلاط حيث ذهبوا إليه يستفسرون كيف يسمح السلطان أن يضع حياته تحت يد يهودى فابتسم السلطان ثم قال: لو قدر لى أن أموت فسوف أموت بإحدى ثلاث: الأولى: أن يميتنى الله من غير سبب ظاهر وليس لى دخل فى هذه الحالة. الثانية: أن أظعن بخنجر من الخلف وليس لى أيضاً أى حيلة.

أما الثالثة: أن يُدسَّ السُّمُّ فى طعامى أو شرابى وهذا ما أحاول أن أتجنبه، وموسى بن ميمون ضليع فى السُّمِّيات وهذا ما دعانى إلى اختياره طبيباً خاصاً لى. فرجع العلماء حائرين يبحثون عن خبير مسلم فى السُّمِّيات يحل محل هذا اليهودى المشكوك فيه وبعد عناء توصلوا إلى طبيب مسلم خبير فى السُّمِّيات

بعد أن نعم اليهود فى بلاد المشرق الإسلامى بالأمن والأمان، وحققوا الكثير مما يصبون إليه فى البلاد التى احتضنتهم ثم هاجروا تحت دعاوى صهيونية زائفة راحوا يجترونها ذكرياتهم عن هذه البلاد وكيف كانوا يخدعون أهلها وكتبوا بإسهاب للأجيال اليهودية القادمة تاريخ وجودهم فى هذه البلاد كى يأخذ الخلف عن السلف دروساً فى الغش والخداع تحت مسميات مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها الخداع.

ومن القصص الشائعة عن يهود مصر قصة الربى (موسى بن ميمون)^(١) والتى تحمل عنواناً فى غاية الغرابة هو: كيف انتصر ابن ميمون على عدوه.

وموسى بن ميمون حجة الدين اليهودى لدى يهود العالم بالإضافة لكونه عالماً فى الفلسفة وطبيباً ماهراً مما جعل سلطان مصر فى ذلك الحين يختاره طبيباً خاصاً له، مما أزعج المقرين للسلطان وقد حاول كثير من



اسمه « كمون » .

فأحضره وذهبوا به إلى السلطان يعرضون عليه أن يبقى معه بالإضافة إلى ميمون اليهودى . فرفض السلطان قائلاً :

إن وجود طبيبين فيه خطر على حياتى ولست فى حاجة إلا لطبيب واحد . وسأعقد لهما امتحان ومن يتفوق على زميله يصبح طبيبى الخاص، وجمعهما وأمر بأن يقيم كل منهما فى جناح خاص به، وأمر بأن الطعام الذى يأكله أى منهما لا بد وأن يمر على زميله، حيث يضع فيه السم وعلى الآخر أن يكتشف نوع السم ويفسده ثم يأكله بعد ذلك، ومن يبقى منهما على قيد الحياة فهو المتفوق فى علمه وسيكون طبيبى الخاص ففرح كمون لأنه خبير فى السميات وترياقها، وقال « ميمون » : سمعاً وطاعة أيها السلطان المفدى .

وكان « كمون » يضع السم فى أكل ميمون بانتظام ولكن بلا فائدة، لأن « ميمون » كان يفسد السم بالمضادات ويأكل الطعام كله .

أما « كمون » الذى كان يجرب كل أنواع المضادات كى يكتشف نوع السم ولكنه لم يقدر، فتوجس فى نفسه بأن اليهودى يعرف نوعاً من السم لم يهتدى إليه، فامتنع عن أكل الطعام نهائياً، وعاش على لبن بقرة السلطان حيث كان يتسلل مع كل فجر يحلب من لبنها ويشرب، واعتلت صحته وأصبح لا يقوى على السير .

واعترت الدهشة كل من بالقصر فى كل مرة يظهر فيها ميمون اليهودى ويرويه حياً معافى فكان يضحك كلما التقى بكمون ويقول له . . ستشرب السم اليوم يا كمون !

وأصبح « كمون » شاحب الوجه ضعيف البنية، وذات فجر وبينما يشرب « كمون » كوباً من اللبن حلبه

لتوه من البقرة نزل إليه ميمون واحتضنه وبكى، وقال له سامحنى، أنت الذى حضرت كى تقطع عيشى من هذا القصر، وإنك شربت السم وستموت حالا، إنها النهاية إن الحليب مسموم، والبقرة مسمومة .

فاهتز كمون وحرص « ميمون » على الإمساك بكوب اللبن الذى شرب نصفه، ووقع « كمون » على الأرض وقد فارق الحياة وعيون رجال السلطان لا تنام .

فقد هرعوا إلى مخدع السلطان وأخبروه أن اليهودى قد سمم البقرة وشرب من لبنها المسلم، ثم فارق الحياة وعلى الفور استل السلطان سيفه وخرج إليهم وهو يصيح :

والله لو فعل هذا (ابن ميمون) لحرقت جميع اليهود فى مملكتى .

وعلى الفور بادره ميمون قائلاً : لك الحق يا سلطان هذه هى كوب اللبن التى كان يشرب منها، احضروا طفلاً رضيعاً يشرب ما تبقى منها، فإن مات، إفعلوا بى وباليهود ما تشاءون .

وفعلاً أمر السلطان وأحضروا طفلاً رضيعاً لإحدى العاملات بالقصر وشرب اللبن ولم يصب بسوء ففرح السلطان فاقتنع كل الموجودين بأن ميمون انتصر بالسحر وفى إحدى المناسبات الخاصة باليهود سألوه كيف انتصرت على « كمون » هل استخدمت السحر فقال لهم ميمون . . لا سحر عند يعقوب لقد زرعت الوهم فى نفسه فقتله .

ولما عرف السلطان ذلك قال له :

« إنك خبير ليس فقط فى الجسد بل فى أمراض النفس » .

● إذا تأمل القارىء هذه القصة فإنه لا يحتاج إلى كثير عناء أو سابق خبرة أو حنكة حتى يعلم مدى ما





بها من تلفيق وأن ما بها من وقائع ما هو إلا كذب صراح.

فانظر معي وتأمل.. كيف يصور الكاتب السلطان العربي وقد ملأه الخوف مما يحيط به من أعداء فهذا يريد أن يدس السم في الطعام وهذا مستعد أن يطعنه بخنجر لو أتيح له ذلك.. وهو بعد سلطان أبله حصر أسباب الموت في هذه الحالات الثلاثة.

— ثم ما حيرة العلماء مع طبيب يهودى يعمل فى القصر؟

ومتى كان المسلمون يخشون أن يتعاملوا مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى؟ والتاريخ يشهد بعكس ذلك..

وتشهد بذلك سماحة الدين الإسلامى.

ولكن صاحب القصة لا يهमे إلا أن يمحو كل ما هو جميل فى الإسلام بل ويأتى بنقيضه.

ثم نجد السلطان يختار طبيباً ماهراً فيجعله طبيبه الخاص، وعندما يطلب منه كبار رجال البلاط المقربون أن يستعين بطبيب مسلم إلى جوار الطبيب اليهودى نراه يداخله الشك ويخشى المؤامرة!!

ثم هو بعد رجل غليظ القلب لا يعبأ إلا بحياته ولا يهमे كثيراً أن يموت أحد الطبيبين ليتأكد أن الذى بقى على قيد الحياة هو الأكثر حنكة؟! هل هذا سلطان مسلم؟!

ثم هذا الطبيب المسلم كمون يضع السم لزميله الطبيب كى ينجو هو.. وميمون (الطبيب اليهودى) يفسد عليه صنيعة.

وهذا الطبيب المسلم وقد خاب سعيه يتسلل مع كل فجر (لا ليصلى لله ويطلب منه العون ولكن) ليسرق لبن بقرة السلطان.

ثم يموت كمون بعد أن شرب كوباً من اللبن لا من أثر سم وضعه له الطبيب اليهودى ولكن من أثر الوهم.. فاليهودى طاهر اليد لم يدنس يده بوضع السم للمسلم ولو فعل لم يلم لأن المسلم كان البادىء فى وضع السم له كما تقول القصة.

واليهودى لا يخطو خطوة لا يعرف ما بعدها، فبعد أن يسقط الطبيب الأبله (كمون) يحرص الطبيب اليهودى على أن يمسك بدليل براءته، وهو المتبقى من اللبن.

وأى سم هذا الذى يصل إلى ضرع البقرة فيسمم اللبن بدرجة تكفى لقتل رجل ولا يؤثر فى البقرة!

ثم يصل الكاتب سريعاً إلى ما يجب أن يلصقه فى المسلمين وحكامهم، فيتوعد السلطان المسلم الطبيب اليهودى أن يحرق جميع اليهود فى المملكة إذا ثبت أنه وضع السم للبقرة!

وهذا السلطان مرة أخرى يأمر بإعطاء ما تبقى من اللبن لطفل رضيع ولا يعبأ لو مات الطفل فهو طفل رضيع وفى نفس الوقت ابن لإحدى العائلات بالقصر فمتى نظر الإسلام والمسلمون إلى العاملين عندهم نظرة دويئة أو أنهم أناس من الدرجة الثانية!

ثم انظر إلى كل هذا الفرح الذى عم كل القصر وأولهم السلطان وتأمل قوله: اقتنع كل الموجودين بأن ميمون انتصر بالسحر!!

سحر فى قصر سلطان مسلم فى بلد مسلم هو سحر (مصر).

ثم انظر إلى هذه الخاتمة التى تضع ميمون فى مصاف الأولياء: «لا سحر عند يعقوب» هذا ما تنطق به كلمات القصة ولا أقول سطورها بضع كلمات كاذبة جمع بينها الافتراء فأفرزت هذا الأدب اليهودى المغرض!!



بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

إعدام؟؟

المسجد الأقصى.. على المقصلة!!

تحت هذا العنوان في جريدة الوفد في عددها الصادر في ٣١/١/٢٠٠٢ للاستاذ عبدالعزيز محمد المحامى قال فيه :

إذا كان شارون، قد صرح بأنه سيسمح للإسرائيليين وقطان المستعمرين بالصلاة في القدس ومن حول المسجد الأقصى وقبة الصخرة، دون تحسب لرد الفعل لهذا العدوان على المقدسات، فإن في ثنايا ذلك وفي خفاياه أن يقوم شارون وعصاباته، أن يدس جماعات، تقوم بتلغيم الأقصى وتفجيريه، والخلاص منه في ضربة واحدة وإلى الأبد!! وهذا الذى نقوله ليس تطيراً ولا تشاؤماً إنما هو مخطط مرسوم ينتظر اللحظة المناسبة لتنفيذه!! وليس أكثر من هذه الفترة مناسبة لتنفيذ ذلك كله في ضربة واحدة!! وهو يعلم أن الفلسطينيين والعرب والمسلمين، لا يملكون الآن وإلا الدموع يذرفونها مدراراً، وإلا بيانات الشجب والادانة، وإلا الصرخات واللعنات يتبارون ويتسابقون فيها!!

في عام ١٩٨٩ نشرت مجلة التايم الأمريكية،

لقد صم العالم وبكم وعمى عن تطبيق الشرعية الدولية والقوانين التى تحرص على مصلحة العالم وسيادة كل دولة على حدة .

فكيف وصل العالم الى درجة الإعاقة وأصبح صامتاً وصمت أذنيه والأكثر من هذا تدخل الولايات المتحدة فى الشؤون الداخلية والتعدى على سيادة كل دولة ينصبون حكاهم ويقتلون حكاهم أخيرين بل يقتلونهم والعالم الإسلامى كغناء السيل .

وفى هذه الأيام وصل بهم الجرم إلى التدخل فى السياسة التعليمية والتربوية للدول وخاصة الدول الإسلامية .

وهذا ما لخصه لنا الكاتب الكبير أحمد رجب فى نصف كلمة ولكنها كلمات كبيرة يعبر بها عن قضايا أمة بحالها وهذه الكلمات فى جريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ١٩/٢/٢٠٠٢ قال فيها رداً على المتسائلين :

لا أعرف على وجه التحديد الأسلوب الذى تريده أمريكا لتدريس الدين فى البلاد الإسلامية، يجوز أنها ستحذف الصلوات من المناهج وأن يقتصر المسلم على صلاة الصبح، ويجوز أنها لا تريد مسلماً شافعياً أو حنفياً بل تفضل المذهب العولمى .

ويجوز أنها ستقدم معونات سخية لإنشاء مدارس دين تيك أواى

وأخذ كل الرؤساء الأمريكيين يرددون ذات الكلمات والأفكار، في عبارات مبهمه وصريحة في كثير من الأحيان. فالرئيس كارتر لم يتردد في الكشف عن هويته الحقيقية والكامنة في كل أعماله المطلية بالكلمات الطيبة وقال: إن المسيحيين من كل الطوائف يشعرون بالقرب التي تربط ما بينهم وبين إسرائيل من خلال الدين!! فال مواطنون الذين يشكلون قلب أمريكا مقتنعون تمام الاقتناع بأن الصلات الدينية والأخلاقية والعلاقات السياسية والالتزامات الاستراتيجية للامتين الأمريكية والإسرائيلية مترابطة ومتشابكة بشكل حميم لا انفكاك له! فكارتير الرئيس المؤمن، في أدائه لواجبه الديني!! جعل دوره في تأمين المشروع الصهيوني نحو تحقيق سيادة إسرائيل وحيازتها لكل الأرض المتعاقد عليها مع الإله يهوه من النيل إلى الفرات!! ولاشك أن هذا الفكر اللا عقلائي، قد تسلسل إلى المجتمع الأمريكي حتى وصل إلى رؤوس الرؤساء الأمريكيين، وبات موجهها لسياستهم وخاصة في منطقة الشرق الأوسط!! الأمر الذي يتبين من ثناياه، تلك المؤمرات والمخططات، التي تؤكد أن هدم المسجد الأقصى وتدميره، وإقامة الهيكل الثالث فوق أنقاضه بات وارداً في ظل ظروف الهيمنة الأمريكية، وسعار شارون وزمرته الحاكمة، العنصرية التي تفعل كل شيء ولا أحد يقف في مواجهته ولا يضع سقفاً لجموحه!! وهو يعرف أن الثمن لن يكون إلا بكاء وعويل، وبيانات الشجب والتنديد، والمزيد من الانسحاق أمام القوة والغطرسة الإسرائيلية والأمريكية التي تسيدت العالم ووقفت على قمته.

● نكتفي بما قاله الكاتب في مقاله معبراً عن حال أولى القبليتين وثالث الحرمين.

تحقيقاً مطولاً، أبرزت فيه بوضوح أن: التراث الديني اليهودي يؤكد أن أمر الله في العهد القديم ببناء الهيكل أمر لا رجعة فيه!! وأشارت هذه المجلة في تحقيقها أيضاً: أن إعادة بناء الهيكل في موقعه الأصلي يمثل فكرة متسلطة لدى المتدينين في الولايات المتحدة، والذين يأخذون بحرفيه العهد القديم، يعتبرون أن إقامة الهيكل الجديد، هي شرط أساسي ليتحقق الحجي الثاني للمسيح!! ولم يكن هذا الكلام، تعبيراً عن التمني فحسب، ولكن جرت المحاولات في أعوام ١٩٧٩ و ١٩٨٠ و ١٩٨٤ و ١٩٨٥ لنسف المسجد الأقصى، ومن بعد وضعت خطط عسكرية كاملة، وضع أحدها الضابط الإسرائيلي ميناحيم ليفني وهو قائد كتيبة مهندسين في الجيش، بعد أن تمكن من الحصول على صور استطلاع جوى للموقع، واتفق مع أحد الطيارين العسكريين على قصف المسجد من الجو، ولكن السلطات الإسرائيلية أوقفت التنفيذ لأن اشتراك طائرة وطيار عسكري قد يكشف الاشتراك الحكومي في العملية!! لكن هذا الضابط لم يسكت وأعد خطة بديلة، بقيام وحدات عسكرية مسلحة ومزودة بالرشاشات وكميات من المتفجرات تكفي لنسف المسجد كله!! بل إن هؤلاء قد صنعوا نموذجاً للهيكل الذي سيتم إقامته على أنقاض المسجد في إحدى قاعات فندق الأراضي المقدسة في القدس!! وكذلك فإن كبير الحاخامات في إسرائيل وهو شولومورين قال علناً في اجتماع حاشد إنه لا يستطيع أن يغادر هذا العالم دون أن يؤمن لليهود الصلاة من جديد على تل الهيكل!! وجاء المؤرخ اليهودي ديفيد سولومون ليقول إن كل يوم يمر على اليهود دون أن يبدؤوا في بناء الهيكل هو وصمة عار في جبين الأمة اليهودية!.



بين المجلد .. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

هذا الصعيد الصابر

الأبنودى أن أبناء الوطن الواحد ضربتهم التفرقة حتى صاروا مثل الألبان والصرب؟! يومها قلت: لك الله أيها الجنوب.

أما المرة الثانية.. فقد كان الأسى والحزن شديدا، اجتاحتني مثلما اجتاحت أبناء وطني جميعا. حيث كنا ننتظر أن ننال من العيد فرحة، بعد كل هذا الشحن النفسى الأليم، منذ أحداث سبتمبر وما تبعه من تداعيات.

حتى جاء حادث قطار الصعيد ليخطف هذه الفرحة المنتظرة فمع احتراق هذه العربات السبع واحتراق ثلاثمائة واثنين وسبعين من أبناء الصعيد بالإضافة إلى من لم يتم التعرف عليهم.

قلت للمرة الثانية.. لك الله أيها الجنوب. ولنا الله جميعا وليلهمنا ربنا الصبر على ما حل بهذا الوطن الصبور

امتلات نفسي بالأسى أسفاً على إخواننا فى الجنوب مرتين: مرة حين قرأت لعبد الرحمن الأبنودى هذه الكلمات حيث يقول:

«فى كوسوفا تجدد الحرائق مندلعة من الدور الجميلة» وترى الشوارع الواسعة (المسفلتة) برغم مرور الدبابات وانفجار الألغام، وتكتشف كم هى رائعة تلك البلاد المحترقة التى لم تبخل حكومتها المعادية فى أن تجعل منها أماكن جميلة، على عكس بلادنا وقرانا... بعد أن تغادر القاهرة بثلاثة أمتار إلى الجنوب سوف تكتشف أنك انتقلت إلى قطر آخر وعالم مهممل لا يمت بصلة إلى مصر كان القاهرة وبعض مدن الشمال هى سكنى الصرب وكأن صعيد مصر مأهول بالألبان نشن عليهم حرب الإبادة»^(١).

يا إلهى.. هل يعانى أبناء الصعيد.. إلى الدرجة التى أحس فيها كاتب كبير من أبناء الجنوب مثل

(١) عبد الرحمن الأبنودى .. الأخطاء المقصودة، ص ١٥١. طبعة مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ (الهيئة المصرية العامة للكتاب).





أولاً: محصل القطار... أهم رجل فى هذا الموضوع غير أنه لا يعنيه غير تحصيل قيمة التذكرة ومع أهمية هذا العمل وصعوبته إلا أن على عاتقه الكثير من الواجبات .

– فواحدة من واجباته .. أن يبلغ سائق القطار عن حدوث مثل هذه الكارثة .. أو يبلغ شرطة السكك الحديدية . فهل سأل أحد من المحصلين نفسه ماذا يفعل وكيف يتصل بقائد القطار إذا حدث أمر خطير مثل ما حدث؟! وهل تلقى العاملون فى هذا المرفق الحيوى التدريبات والدورات الجادة اللازمة لمثل هذه الأمور؟ أم أنها مجرد دورات تدريبية لزوم الترقى فقط؟

– وواحدة من واجباته – أيضاً – أن يعرف ماذا يفعل فى الحالات الحرجة: كتعرض أحد الركاب لغيوبة مثلاً .. هل يتركه يموت أم ماذا يفعل؟! ومن واجباته – أيضاً – أن يعرف ماذا يفعل تجاه راكب يحمل مواداً قابلة للاشتعال، معرضاً حياة الآخرين للخطر فليس التواكل من الدين فى شئ .

✽ أما القائمون على الصيانة :

فعليهم، بالإضافة إلى التأكد من صلاحية العربات للسير، عليهم – أيضاً – أن يتأكدوا من صلاحية هذه العربات – وما بها من دورات مياه – للاستخدام الآدمى . والأمر ليس ترفاً بل ضرورى للغاية حيث تحتاج الرحلة إلى الصعيد الساعات الطويلة بالإضافة إلى وجود أصحاب الأعذار ويكفى أن نقول: إن كل عربة قد يكون فيها راكب أو أكثر يعاني مرض السكر .

هذا ما يجب أن يهتم به القائمون على الصيانة وليس تحصيل جنيه من الراكب الذى يتسلل إلى المخزن ليحصل على مقعد قبل ازدحام القطار!!

وجاءت كلمات الرئيس مبارك تدعو الجميع للتجمل بالصبر والإيمان حيث إنها:
«إرادة الله ولا راد لقضائه» .

وفى نفس الوقت أمر بإجراء تحقيق شامل للوقوف على الأسباب ومجازاة المتسبب، وللوقوف على أوجه القصور وعلاجها لمنع تكرار مثل هذا الحادث الأليم حيث قال:

« لن أسمح بأى محاولة لإخفاء الحقيقة »

« طلبت تحقيقاً شاملاً لحادث قطار الصعيد لتحديد المسؤولية ومحاسبة من قصر فى أداء واجبه » .

وتوالت الأخبار عبر الصحف الكل يحاول تجلية الموقف:

جريدة الأخبار قالت: انفجار موقد بوتاجاز فى القطار وراء الكارثة .

الأحرار قالت: عربات قطار الموت انتهى عمرها الافتراضى منذ عشر سنوات .

الوفد: ٣٧٢ مواطناً لقوا مصرعهم فى أسوأ كارثة قطارات .

وعلى أية حال، وأيا كانت الأسباب – حتى تظهر النتائج النهائية للتحقيق – فهناك نقاط لابد أن نطرحها، ولابد أن يتعهدوا كل صاحب قلم أمين وكل صوت يجهر بالحق، لأنها تتعلق بالحقوق والواجبات، وتعلق بسلوكنا كأفراد ولأننا جميعاً – أفراداً وجماعات، ومواطنين ومسؤولين – مسئولون أمام ربنا – تبارك وتعالى – حافظنا أم فرطنا؟

لأجل ذلك لابد لنا أن نحاسب أنفسنا جميعاً ونشير إلى نقاط التقصير عند كل منا حتى نعلم مواقفنا إيجاباً وسلباً .





إلا قانون الله، لا تعرف الثغرات إليه سبيلا
فعلينا مخاطبة الوازع الدينى لدى أفراد المجتمع .

– نعود مرة أخرى لدور الراكب .

فبرغم انتشار أجهزة التليفون المحمول فى أيدي
الكثير من الركاب لم يدر بخلد أحد منهم أن
يتصل بالشرطة أو المطافئ .

– جميعنا رأى ذلك المربع الزجاجى فى عربات
القطار وقراً عبارة: « فى حالة الخطر اكسر هذا
الزجاج وشد جزرة الفرامل » .

ولكن لم يقم أحد من الركاب بفعل ذلك، بل
قفز بعض الركاب من نوافذ القطار أثناء سيره!!
ولعل السبب فى ذلك أن المعلومات التى
يستعان بها فى الأزمات لابد أن تكون ثابتة فى
الأعماق وواضحة ووضوحا كبيرا .

ومن هنا يبرز دور الإعلام وبخاصة التليفزيون،
فى رسم سلوك المواطن فى الأزمات وفى مثل هذه
المواقف الحرجة .

ونذكر له ما قدم من قبل :

– تنبيه عن خطورة عبور الطريق من أمام
الأتوبيس أو الشاحنات الكبيرة، لما فى ذلك من
حجب الرؤية وما يتبع ذلك من خطر .

– التأكيد على أهمية حزام الأمان لقائد السيارة
ومن بجواره .

– إلى غير ذلك من نصائح تفيد المجتمع نتمنى
أن يهتم بها القائمون على تخطيط برامج
التليفزيون، فهى أنفع للفرد والمجتمع من كثير من
هذا الغثاء الذى يتمثل فى برامج المسابقات التى
هدفها الأول أن يحفظ المشاهد أسماء الأفلام
وأسماء أبطالها ومخرجيها... ألخ
وبعد... فإذا كانت النار قد أكلت منا أرواحنا،

أما الراكب .. فعليه مسئولية الحفاظ على هذا
المال العام وهذه المركبة التى تقله، فلا يجب، ان
يعتدى عليها بالتخريب قل ذلك أو كثير.. وفى
رأى أن حفر الاسماء «لذكرى الخالدة» نوع من
التخريب .

وعلى الراكب – أيضا – مسئولية الحفاظ على
دورات المياه نظيفة بعد استخدامه لها، فعليه أن
يتركها كما يحب أن يراها .

وعلى الراكب أيضا أن يحرص على دفع التذكرة
حتى ولو لم يأت المحصل .

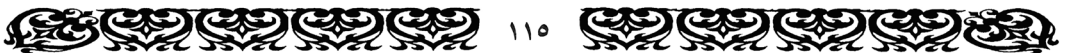
وقد كنا نحرص على ذلك صغارا، ورحم الله
صديقا لنا كان حريصا – وهو على فراش الموت –
أن يدفع قيمة تذكرة لم يأت المحصل ليحصلها منه،
ولم يتسع وقته حينئذ أن يشتري تذكرة من شباك
التذاكر بمجرد نزوله من القطار.. ظل هذا المبلغ
يؤرقه حتى زرنائه فى مرضه فدفعه لأحدنا، ليقوم
بهذا الواجب .

ولكننا – للأسف – نسمع عن شباب فى
الجامعة يتباهى بأنه « زاع » من المحصل . وإن كانوا
قلة إلا أن ذلك يدل على غياب الوعى الدينى اللازم
لمثل هؤلاء الشباب .

أيضا نسمع من يلقي النكات فى الحفلات
العامة، ويكون المثير للضحك فيها (الزوغان) مرة
أو أكثر من المحصل !!

فيبدو الأمر كما لو كان شيئا عادياً!

وهذا يدفعنا إلى الكلام عن دور أجهزة الاعلام
المختلفة وأهمية التأكيد على انتقاء الكلمة .
ودور رجال الوعظ وهو الأكثر أهمية، فالقانون
أى قانون .. لا يخلو من ثغرات ينفذ منها
المتلاعبون .





المصرى بما قدم من مساعدات مالية كبيرة قدمها أفراد المجتمع وهيئاته إلا أن الجهود التي بذلت أثناء الحريق أوضحت غياب عنصر هام هو النظام، وأسلوب العمل .

وقد أظهر الحريق وجود نظام يعنى بالأمن بدليل وجود خمس طفايات فى القطار لكنه أبان عن قصور ذلك النظام بدليل أن هذه الطفايات « عهدة السائق » فهى معه فى الجرار !!

نسأل الله العلى القدير أن يلهمنا رشدنا فنعى الدروس المستفادة من هذه الحنة فنزداد بها قوة وليس فى قضاء الله للمؤمنين إلا كل الخير .
وإلى رسائل القراء .

فلا بد أن نعى الدرس حتى لا تتكرر هذه المأساة .
وإذا كانت التحقيقات تدور بشكل جاد ودءوب فلا بد أن نعى أن الهدف ليس مجرد إيقاع عقوبة بقدر ما هو أسلوب للوصول إلى معرفة الأسباب الحقيقية للمأساة لتلافيها مستقبلاً . .

ولا يجب أن يغلق الملف بمجرد مجازاة المتسبب، وإنما علينا أن نجعلها دائماً فى الذاكرة وعلينا أن نتكاتف لإصلاح الخطأ فليس فى التجميل وتغطية أخطائنا أى سبيل لأن نكون دولة متحضرة .

وإذا كانت هذه النار قد أبانت عن نقاء العنصر

الهجرة الدائمة

وَمَنْ هَجَرَ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَالتَّزَمَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .
وَمَنْ هَجَرَ الْجَهْلَ إِلَى الْعِلْمِ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .

وَمَنْ هَجَرَ الْكُسْلَ إِلَى الْعَمَلِ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .
وَمَنْ هَجَرَ سُوءَ الْخُلُقِ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .
وَمَنْ هَجَرَ الْقُعُودَ وَقَامَ لِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .

فياليت كل مسلم بدأ بنفسه فى الهجرة الدائمة التى توصله إلى بر الأمان ودخول جنّة المولى العدنان - حيث يكون بذلك رفيق خير الأنام - سيدنا - محمد ﷺ فى الجنان .

● أرسل القارىء خيرى محمد إبراهيم أبو الروس - كفر الشيخ هذه الكلمة بمناسبة الهجرة .. يقول فيها :

أخرج البخارى فى صحيحه عن - عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) أنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » . والهجرة الدائمة هى الجهاد والنية ولقد بين - النبى الأكرم - والرسول الأعظم ﷺ السبيل إلى الهجرة الدائمة الباقية المستمرة المتواصلة إلى يوم الدين فقال « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » « رواه مسلم » .

فَمَنْ هَجَرَ الْمَعَاصِيَ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .
وَمَنْ هَجَرَ قُرْءَاءَ السُّوءِ إِلَى صُحْبَةِ الْأَبْرَارِ وَالْأَخْيَارِ فَهُوَ مُهَاجِرٌ لَهُ ثَوَابُ الْمُهَاجِرِينَ .

الهجرة النبوية بين العقيدة والعاطفة

﴿إِنَّ هَذَا لَسَحَرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ
يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾

طه/ ٦٣

* ولكن كيف بهذا الحب الذى يمثل غريزة فى الإنسان، كيف به لو اصطدم بمبادئ يؤمن بها ويعتقد فيها.. بل ويوقن تمام اليقين أن هذه المبادئ لاصلاح للبشر بدونها، ولا كرامة للعيش بغيرها، ان الإنسان قد يحب أشياء ويتمناها وفيها هلكته، ولا يعلم أن البعد عنها فيه نجاة وسلامته.

إن رسول الله ﷺ حينما خرج مهاجراً من وطنه، نظر إليه وقال قولته الشريفة «والله يامكة إنك لأحب بلاد الله إلیّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».. ولنتأمل معاً هذا القول الناصع فى مفهوم الوطن.

* يقول د. محمود عمارة : «إذا كان للوطن بمفهومه القومى هذه المنزلة.. فإن وطن الروح أعز وأبقى!! وإذا اضطرعت فى النفس محبة المكان.. ومسئولية الإيمان فلا خيار للمسلم ولا مفر من ركوب الأهوال ومقارعة الرجال.. ولن يتردد أبداً فى هجرة وطنه، انتصاراً لمبادئه التى هى حياته، ولقد كانت هذه واحدة من أئین الفضائل التى أخذ الرسول ﷺ أصحابه بها».

واحتفاءً بمطلع العام الهجرى الجديد أرسل القارىء حاتم ابراهيم سلامه - خريج كلية أصول الدين يقول :

كما يعز على الانسان أن يفارق بيته الذى تربى فى ظلاله وبين جدرانہ فإنه كذلك يعز عليه أن يفارق وطنه الذى تنسم عبيره، ونشأ فى أكنافه صغيراً وكبيراً، وذلك لأن الذكريات قد تغلغلت فى قلبه فصارت حباً كبيراً قال فيها الشاعر :

وحب أوطان الرجال إليهمو

مارب قضاها الشباب هنالكا

وحينما يتصفح متأمل آيات القرآن، تستلفت نظره صورة قرآنية لاتؤكد تلك الغريزة فقط، بل تؤكد أهميتها، وخطورتها، وهى صورة من مكر فرعون الحبث الذى استغل تلك الغريزة جاعلاً منها، سلاحاً يواجه به دعوة الحق والنور، وليستنفهم ضد موسى عليه السلام قال - تعالى - على لسانه :

﴿إِنَّ هَذَا لَسَحَرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾

الشعراء ٣٤، ٣٥.

وكذلك قوله :



مطعم ومقهى فى بيت المتوفى

فى هذه الأيام : نرى جلوس الأقارب من المعزين عند أهل الميت اليوم واليومين يُقدّم لهم الطعام والشراب من أهل الميت ليأكلوا ويشربوا ويتحول بيت المتوفى إلى مطعم لتقديم كافة الأطعمة للمعزين ومقهى لتقديم كافة الأشربة الخاصة بهذه المناسبة .

وربما تحول بيت الميت إلى فندق للمبيت اليوم واليومين وربما الأسبوع، وينسى هؤلاء أو يتناسون أنهم عبء ثقیل على بيت المتوفى والواجب عليهم أن يخففوا عن أهل المتوفى ويعينوهم على الصبر والتحمل لا أن يكونوا ضيفاً ثقیلاً عليهم . ليتهم يقرءون ما قاله أحد الشعراء فى المتثاقلين فى الضيافة :

لاتكن ضيفاً ثقیلاً

يكره الناس لقضاءك

فعمساہ مستمداً

لك من قوم عشاءك

وعساہ مستعيراً

لك من جـار غطاءك

إن فى الفندق مـأواك

وفى السوق غـذاءك

رب من يلقاك هاشأاً

كـسر (الزير) وراءك !!!

ويرسل فضيلة الشيخ عثمان ابراهيم عامر عميد معهد الـوسـطانى الاعدادى للبنين - بمنطقة دمياط الأزهرية هذه الرسالة ينشد فيها اصلاح بعض سلوكيات المجتمع يقول فيها :

روى ابن هشام فى سيرته عن أم جعفر بنت محمد بن أبى طالب قال : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ فقال لى : اتنى بنى جعفر قالت : فأتيته بهم فتشمهم وذرفت عيناه فقلت يارسول الله : بأبى أنت وأمى مايبيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟ قال : نعم أصيبوا هذا اليوم!! قالت : فقممت أصيح، واجتمعت إلى النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : لاتغفلوا من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم!! ص ٢٩٠ ج ٤ السيرة النبوية لابن هشام.

فنحن نرى فى هذا الهدى النبوى الشريف أنه من الواجب على المعزين - وبخاصة أقارب المتوفى - تجاه أهله وذويه أن يصنعوا لهم طعاماً وشراباً - ولو كان ذلك فى اليوم الأول فقط! حيث الحزن ثقیل، والمصاب فادح، والفراق مازال حياً فى النفوس لم يزل أثره بعد .

ولكننا ويا للأسف!! نلاحظ العكس من ذلك تماماً!!





من إبداعات القراء :

فى مدح خير البرية

شعر/ جابر عبد العليم مصطفى - المدرس بمعهد الزوادية الإعدادى الثانوى

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فِي غِيظٍ وَفِي غَشَمٍ
حَتَّى أَتَى الْغَارَ وَالصَّدِيقُ فِي الظُّلَمِ
جُنْدٌ مِنَ اللَّهِ مِثْلَ الْأُسْدِ فِي الْأَجَمِ
هَذِي الْخِيُوطُ وَقَدْ أَغْنَتْ مِنَ الْأَطَمِ
وَسَيِّدَ الرِّسْلِ يَدْعُو اللَّهَ مِنْ أُمِّ
وَيَرْجِعُ الْقَوْمُ بِالْإِحْبَاطِ وَالنَّدَمِ

سَلْ عُصْبَةً وَقَفْتُ بِالْبَابِ رَاصِدَةً
لَكِنْ عُنَايَةُ رَبِّي لَا تَفْارِقُهُ
فَالْتَفَّ حَوْلَهُمَا جُنْدٌ لَحَفَظَهُمَا
بَاضَ الْحِمَامُ عَلَى بَابٍ وَقَدْ نُسِجَتْ
وَالْجَمْعُ يَنْظُرُ فِي جَدٍّ وَفِي عَجَبٍ
فِيحْفَظُ اللَّهُ خَيْرَ الْخَلْقِ مِنْ خَطَرٍ

● المحرر.. ننشر هذه الأبيات من قصيدتكم «الدرر البهية» التي زادت أبياتها عن مائة وستين بيتاً ونأمل أن تتقبل اعتذارنا عن عدم نشر القصيدة كاملة حتى تتاح الفرصة لقراء آخرين .

فى رثاء شهداء قطار الصعيد

هب الأنام بحرقاة الإيلام
وبقدرة القهار والعلام
لإغاثة المكلوم فى إقدام
دعت القلوب برحمة بسلام
فى جنة الفردوس والإنعام

١- فزع الجميع تألما بمرارة
٢- حل القضاء إرادة من خالق
٣- هب الجميع بلهفة وتآلف
٤- بمشاعر الإحساس من وجداننا
٥- فارحم إله العالمين أحبة



للأستاذ / محمد الشرقاوي

- «الأزهر وعلوم اللغة العربية في ألف عام - جزءان» ...
- للأستاذ الشيخ / محمد محمد الحسيني .
- «ردود هادئة» ...
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي .
- «رياض الصالحين» شرح وتحقيق - «ثلاثة أجزاء» ...
- لفضيلة المرحوم الشيخ / الحسيني هاشم .
- «من أنوار الصحابة» ...
- لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور - وكيل الأزهر .
- هذا وستقوم الإدارة العامة للمطبوعات - إن شاء الله تعالى - تباعا بإصدار بعض أمهات كتب التراث وكذلك بعض كتب كبار العلماء حتى تتم الفائدة المرجوة من هذا العمل .

من أنباء مجمع البحوث الإسلامية

- في إطار حرص مجمع البحوث الإسلامية على نشر الوعي الديني لدى المسلمين، وإيماناً منه بوجوب تبليغ رسالة الإسلام في شتى بقاع الأرض لذا قامت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية بإصدار عدد من الكتب الإسلامية خلال الفترة من شهر مارس ٢٠٠١م وحتى فبراير ٢٠٠٢م وهذه الكتب هي :
- «الإسلام والشباب» ...
 - للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .
 - «نافذة على الإيمان» ...
 - للأستاذ الشيخ / محمد مصطفى الطير .
 - «قصة البيت الحرام» ...
 - للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم .



مسابقة الدكتور محمد شوقي الفنجري

للبحوث الإسلامية

تشجيعاً للبحث العلمي وخاصة في مجال قضايا الإسلام والمسلمين فقد قررت اللجنة المشكلة بموجب حجة وقف المستشار الدكتور / محمد شوقي الفنجري لصالح جائزة خدمة الدعوة والفقهاء الإسلاميين بجلستها المنعقدة في أول يناير ٢٠٠٢م لمسابقة عام ٢٠٠٣م ما يلي:

أولاً: تخصيص مبلغ « ٣٠ ٠٠٠ » جم « ثلاثون ألف جنيه » جوائز أصلية لأحسن البحوث في أحد الموضوعين التاليين:

١- التحديات التي تواجه العالم الإسلامي .

٢- الحل الإسلامي لمشكلة البطالة « دراسة مقارنة » .

وذلك بحد أدنى قدر ٢٠٠٠ جم « ألفي جنيه » لكل فائز .

ثانياً: تخصيص مبلغ ٢٠ ٠٠٠ جم « عشرين ألف جنيه » جوائز تشجيعية للبحوث الجيدة غير الفائزة بالجوائز الأصلية في أحد الموضوعين سالف الذكر وذلك في حدود مبلغ « ١٠٠٠ » جم « ألف جنيه » لكل فائز ويقدم البحث بموجب إيصال في ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠٣م الى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير بالقاهرة وذلك من عدد ثلاث نسخ بما لا يقل عن « مائة صفحة » ولا يتجاوز « مائتين » مع ملخص له من عدد ٣ « ثلاث » نسخ بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة .

ويتشترط في البحث ان يكون « معداً » للمسابقة ولم يسبق نشره أو تقديمه لأية جهة أخرى وأن يكون

متميزاً ويتضمن اضافات واجتهادات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين وألا يكون صاحبه قد سبق له الحصول على جائزة أصلية في المسابقة خلال ثلاث سنوات سابقة لإتاحة الفرصة لغيره .

هذا وللجنة شؤون الوقف طبع أى بحث فائز متى قدرت ذلك، دون أى حق فيها، ويُقام حفل توزيع الجوائز كالمعتاد بالنادى النهري لهيئة قضايا الدولة بشارع أبو الفدا بالزمالك يوم الخميس الأخير من شهر يونيو من كل عام .

تحسن أوضاع التعليم الإسلامى بهولندا

أثرت تداعيات تفجيرات ١١ سبتمبر - خلافا لما هو متوقع بشكل إيجابي على أوضاع التعليم الإسلامى فى هولندا حيث لفتت أنظار المسؤولين السياسيين إلى ضرورة الانفتاح بشكل أكبر على الأقلية المسلمة والاصغاء لمطالبها بالحفاظ على هويتها الإسلامية .

وأكد « بلقاسم النعاس » مؤسس ورئيس أول مدرسة ثانوية إسلامية فى أوروبا أن مدرسة « ابن خلدون » الإسلامية الثانوية قد تم افتتاح مقر ثان لها بعد ١١ سبتمبر وأنها حصلت على مساعدات ومنح من السلطات المحلية ووزارة التربية والتعليم لأداء مهامها وإنشاء بعض المرافق العلمية التى لم تتمكن من إنشائها العام الماضى نتيجة عجز الإمكانيات .

وان المسؤولين الهولنديين ادركوا عقب هذه الأحداث أن التعليم الإسلامى هو خير وسيلة لحماية الأجيال المسلمة الناشئة من خطر التطرف والعنف خصوصاً بعد أن اثبتت الأيام ان المدارس الهولندية « العلمانية والمسيحية » لم تتجح بدرجة كافية فى تربية أبناء المسلمين نتيجة قصورها فى معالجة العلاقة بين المناهج التعليمية المقررة ومتطلبات الهوية الخاصة .

أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية

١ - الإسلام دين السلام .
٢ - الإسلام يحارب الغلو والتطرف .
٣ - الإسلام والتنمية .
٤ - الإسلام والتقدم العلمى .
٥ - الإسلام والعلاقات الدولية
٦ - الإسلام والمتغيرات العالمية فى القرن القادم .
وسيدعى لهذا المؤتمر كبار علماء المسلمين من مصر وخارجها إلى جانب السادة أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .
الظروف الراهنة استدعت عقد هذا المؤتمر لتجلية حقائق الإسلام وتبصير الأمة الإسلامية والعالم الخارجى بسماحة الإسلام ، وأنه دين السلام والأمان والعدل ورعاية الحقوق ، وتوضيح أنه لا يقبل الاعتداء على النفس أو العرض أو المال أو الأرض ، ولا يقبل الظلم بكافة صوره وأشكاله ، وأن الله - عز وجل - من أسمائه العدل والحق والسلام .

اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ، وقرر عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، وذلك فى النصف الثانى من شهر أبريل سنة ٢٠٠٢م وسيكون المؤتمر تحت عنوان « هذا هو الإسلام » ويهدف المؤتمر إلى ما يأتى :

أولاً : ترسيخ الفهم الصحيح للإسلام

ثانياً : تنشئة أجيال جديدة واعية بمبادئ الإسلام .

ثالثاً : تحصين المسلم من أية أفكار دخيلة

رابعاً : إيجاد آليات جديدة للتعامل مع الآخر المختلف معنا فكرياً ومعتقداً وسلوكاً وثقافة .

خامساً : الاتفاق على صورة جديدة للخطاب

الدينى تتناسب مع معطيات المرحلة

وستدور المحاور والموضوعات حول الآتى :

الإمام الأكبر يؤكد:

الفتوى يجب أن تكون صادقة وناصحة لخدمة الدين ورعاية مصالح الأمة

واضحة في ذلك، وأشار فضيلته إلى أن الإسراف في الحلال أمر غير مطلوب بدليل قول الله -تعالى- لنا:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف (٣١) .

فمن باب أولى الابتعاد عن المحرمات بكل أنواعها وأشكالها وقال: على العلماء المتخصصين أن يوضحوا ذلك ويبينوه للناس كل في مجال تخصصه.

وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات السادة الحضور والتي دارت حول مكافحة المخدرات بكل أشكالها وألوانها وعن الرخص التي وردت في الشرع حول قصر الصلاة وجمعها بالنسبة للمسافر، وحول زكاة المال وموعد إخراجها وتقديمها أو تأخيرها عن ميعاد الحول، وحول ترك طواف الوداع في الحج لظروف القاهرة حالت دون أدائه، وحول الشروط الواجب توافرها في إقامة صلاة الجمعة، وحول الشروط المطلوبة في الفتوى، وقد أوضح فضيلته بأن الفتوى يجب أن تكون صادقة وعادلة وناصحة لخدمة الدين ورعاية مصالح الأمة، وأما أن تكون الفتوى لخدمة فرد أو مجموعة معين حسب الأهواء والرغبات فهذا ما لا تقره شريعة الإسلام.

وأكد فضيلته على أن شريعة الإسلام واضحة كل الوضوح وأنها جاءت لمصلحة الناس فكل ما يفيد الإنسان ويحفظ عليه حياته أحلتها شريعة الإسلام وكل ما يؤدي إلى الضرر بها حرمتها شريعة الإسلام.

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بوفد من السادة الضباط العرب العاملين في مكافحة المخدرات أعضاء البرنامج العربي السابع لمكافحة المخدرات الذي ينظمه صندوق مكافحة وعلاج الإدمان بمجلس الوزراء وعددهم ٢٧ دارسا يرافقهم الدكتور / سهير لطفي رئيس مجلس إدارة صندوق مكافحة المخدرات وذلك في إطار فاعليات البرنامج التدريبي العربي الذي ينظمه صندوق مكافحة وعلاج الإدمان .

تحدث فضيلته للسادة الضيوف عن أن الله - عز وجل - خلق الناس في هذه الحياة ليحيوا حياة طيبة سعيدة وأنزل لهم الرسل والكتب لهدايتهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وأنزل التشريعات لتبين للناس الحلال الحلال والطيب وتأمهم باتباعه، وتبين لهم الحرام الخبيث ليبتعدوا عنه، وهذه التشريعات أنزلها الله لسعادة البشر وليس لشقائهم، وقد أحل الله -عز وجل- التمتع بالطيبات من المأكول والمشرب والملبس وهي نعم أنعم الله -تعالى- بها على عباده واستدل على ذلك بآيات القرآن الكريم وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ كما حرم الله -عز وجل- الخبائث بكل أنواعها وأشكالها وذلك لما فيها من أضرار بالغة بعقل الإنسان وصحته وجسمه وما يتعلق بحياته لأن الله خلق الإنسان وهو يعلم ما ينفعه وما يضره فما ينفعه أباحه له، وما يضره نهاه عنه وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة

الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جامعة أم درمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور/ محمد عثمان صالح رئيس جامعة أم درمان بالسودان، والدكتور/ إبراهيم عبد الباسط المستشار الثقافى بسفارة السودان بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر حيث دار الحديث حول استعراض أوجه التعاون بين مصر وأزهرها الشريف وجامعة أم درمان بالسودان، وأعرب الضيف عن سبب زيارته للأزهر الشريف وذلك لتجديد التعاون والمحبة وأن زيارته هى تبركا وتقربا لتجديد العهد بالأزهر وشيخه وعلماء المسلمين الذين يذخر بهم الأزهر الشريف، وتقديراً لما يقدمه الأزهر الشريف للعالم الإسلامى كله من علم نافع حيث يوضح أسس التعامل الإسلامى الصحيح بين الناس، لأن العلم رحم بين أهله ونحن نحترم شيوخنا ونجلهم فالعلماء ورثة الأنبياء، كما أعرب الضيف عن أن زيارته أيضاً من أجل دعوة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة السودان الشقيق، وجامعة أم درمان وأشار إلى أن الدعوة الرسمية ستأتى من السيد الرئيس / عمر حسن البشير رئيس جمهورية السودان تقديراً لمكانة شيخ الأزهر الشريف وأوضح الضيف بأنه يتابع جولات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى تهتم بشرح وتوضيح المفاهيم الصحيحة للإسلام وأن جولات فضيلته فى دول الغرب لتوضيح مبادئ الإسلام وحقيقته السمحة أمر محمود ومشكور ومطلوب

الأزهر يضم الآن ستة آلاف وخمسمائة معهد

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر واللواء عثمان شاهين محافظ المنوفية يرافقهما الحاج محمود العربى بافتتاح معهد العربى الابتدائى النموذجى بقرية أبو رقية مركز أشمون، ويضم المعهد عشرين فصلاً دراسياً وصالة كمبيوتر، ومركزاً لتحفيظ القرآن الكريم أقيم على مساحة ٢١٠٠٠ م٢ ومكون من ستة طوابق ويضم ثلاثين فصلاً ويقبل الطلاب من سن أربع سنوات وتكلف أكثر من مليون جنيه كما تفقدوا مجمع العربى الأزهرى والذى يضم معاهد ابتدائية وإعدادية وثانوية وقراءات بتكلفة أكثر من سبعة ملايين جنيه وكلها على نفقة الحاج محمود العربى.

شكر فضيلة الإمام الأكبر القائمين على بناء المعاهد الأزهرية بالجهود الذاتية وقال: إن عدد المعاهد الآن بلغ ستة آلاف وخمسمائة معهد تم إمداد عدد منها بأجهزة كمبيوتر، وبإذن الله هناك خطة لإدخال الكمبيوتر لجميع المعاهد الأزهرية، وأعلن فضيلته أن الأزهر الشريف سيظل قلعة صامدة ومنارة للعلم والإشعاع لخدمة الإسلام والمسلمين بمصر وخارجها، وأشار فضيلته إلى أنه تم البدء فى تطوير المناهج، وإنشاء معاهد نموذجية تقبل التلاميذ والتلميذات من سن أربع سنوات، وتدرس فيها اللغة الأجنبية.

الإسلامية، وأشار إلى أن الأزهر الشريف هو المرجعية العلمية التي يرجع إليها العلماء في كل الدنيا في الأمور الدينية وأن الأزهر لا يدخر وسعا في إرسال البعثات من العلماء إلى دول العالم لتبصير الناس بأمور الدين والإجابة الصحيحة عن الأسئلة التي تؤرقهم.

قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على التعاون بين الأزهر الشريف وبين السلطنة وبخاصة اللجان المشكّلة لبحث المناهج التعليمية والدينية لتدريس هذه المناهج بالسلطنة حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر.

سفير اليمن بالقاهرة يشيد بدور الأزهر

في بيان سماحة الإسلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي السفير / عبد العزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية اليمنية بالقاهرة يرافقه الدكتور / جمال على ناصر العنسى المستشار الثقافى المساعد لشئون الجامعات بسفارة اليمن. رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف ودار الحديث حول طلب زيادة أعداد الطلبة من اليمن للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، وأعرب فضيلته عن أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة العلمية لأبناء اليمن الشقيق.

وأشاد الضيف بدور الأزهر الشريف ومكانته العلمية لدى حكومة وشعب اليمن لما تتمتاز الدراسة فيه بالحكمة والوسطية والاعتدال والسماحة والبعد عن العصبية أو الانحياز

فى الوقت نفسه كما شرح فضيلة الإمام الأكبر زيارته الأخيرة للمملكة المتحدة (بريطانيا) والتي التقى فيها بالسيد / تونى بلير رئيس وزراء إنجلترا وكيف أن التفاهم كان إيجابيا بينهما وأوضح فيها فضيلته الفرق بين الجهاد فى الإسلام وبين الإرهاب حيث يقوم الغرب بالخلط بينهما.

السفير العماني بالقاهرة يؤكد على

أهمية التعاون العلمى مع الأزهر

● استقبل فضيله الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي السفير / عبد العزيز الهنائى سفير سلطنة عمان بالقاهرة يرافقه السيد / أفلح بن سليمان الطائى المستشار التعليمى بالسفارة، ورحب فضيلته بالضيف الكريم وصحبه، ودار الحديث حول تبادل العلاقات الثقافية والعلمية بين السلطنة والأزهر الشريف والتأكيد على التعاون العلمى الصادق وخاصة فى العلوم الدينية والعربية، وشرح فضيلته أهمية دور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين من شتى بقاع الدنيا حيث يستقبل الأزهر أبناء المسلمين من ٩٥ دولة على منح للدراسة، حيث يتلقون العلم فى معاهد الأزهر وكلياته الجامعية جنبا إلى جنب مع الطلاب المصريين وبعد تخرجهم فى الأزهر يعودون إلى بلادهم يعلمون أبناء بلادهم ويبصرونهم وينقلون إليهم ما تعلموه فى الأزهر الشريف.

وأشاد الضيف بالأزهر وعلمائه والرسالة التى يضطلع بها منذ القدم وحتى اليوم فى توضيح وتصحيح مفاهيم الإسلام وقيمه العظيمة التى تتمتاز بالتوسط والاعتدال ودراسة المذاهب



سوبرا وزير الصناعة، والسيد / أنطوني نجرة
رئيس الغرفة التجارية ببرشلونة والسيد / بدرو
لوند سفير أسبانيا بالقاهرة .

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر
وأزهرها الشريف وألقى الضوء على أن مناهج
التعليم بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية
والاعتدال وأن التعليم يبدأ في الأزهر منذ
الحضانة وسن الطفل أو الطفلة أربع سنوات
ومدة الدراسة به سنتان ثم يليه التعليم
الابتدائي ومدة الدراسة به ست سنوات،
والتعليم الإعدادي ومدة الدراسة به ثلاث
سنوات، ثم التعليم الثانوي ومدة الدراسة به
ثلاث سنوات وبه تخصص الأبي والعلمى ثم
التعليم الجامعي وبه حوالى سبعين كلية، بها
مختلف التخصصات من هندسة وطب وزراعة
ولغات وترجمة ورياضة بدنية وعلوم وتجارة
وهذه الكليات منتشرة في القاهرة وفي
محافظات الجمهورية إلى جانب كليات:
الشريعة والقانون، واللغة العربية، وأصول
الدين، والدراسات الإسلامية، والدعوة كما
توجد كليات خاصة بالبنات .

كما أشاد فضيلته بحضارة أسبانيا العريقة
وحضارة مصر والصلة القديمة بين الحضارتين .
شكر الضيوف فضيلته على حسن اللقاء
والحفاوة والشرف الذى حظوا به بتواجدهم في
مشيخة الأزهر الشريف، وقالوا: إن الهدف من
الزيارة هو إقامة علاقة مع المسؤولين السياسيين
والدينيين في مصر، لأن مصر تلعب دورا هاما
ومحوريا في حوض البحر المتوسط، ولأسبانيا
أيضا دورها، وتطرق الحديث للمشكلة

لمذهب معين وقال: إننا نحرص على تواجد
الأزهر الشريف دائما في اليمن وعلى تطوير
العلاقات بين بلدينا، والأزهر الشريف بالنسبة لنا
هو منارة لكل المسلمين على مدار السنين
والأعوام يقدم العلم النافع ويصحح المفاهيم
ويوضح للمسلمين أمور دينهم .

شكر فضيلة شيخ الأزهر السيد السفير على
حديثه الطيب مؤكدا على دور الأزهر الشريف
في تصحيح المفاهيم الإسلامية وفي بيان الوجه
السليم للإسلام ثم أشار فضيلته إلى أن العالم
اليوم يشهد تطورات كثيرة وهناك خلط في
المفاهيم وبدورنا نقوم بتصحيحها حتى لا يتم
الخلط بين الجهاد والأرهاب، فالإرهاب هو اعتداء
على الآمنين وعدوان على الأرواح والأموال
والممتلكات وهو ما تحاربه شريعة الإسلام، وأما
الجهاد في الإسلام فشرع لرد العدوان والتصدي
لللظلم والدفاع عن الأرض والعرض والمال، ونصرة
المظلوم، وشريعة الإسلام تمد يدها بالسلام لمن
يمد يده بالسلام .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل
الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ محمد سيد أبو
العلاء رئيس قطاع المعاهد الأزهرية .

الإمام الأكبر يؤكد:

لسماع صراع الحضارات ومن يفهم غير

ذلك ففهمه سقيم وغير صحيح

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الشريف السيد / جوردى بوجول رئيس وزراء
مقاطعة كتالونيا الأسبانية والسيد / أنطوني



جانب القضية الفلسطينية ولكن إمكانياتنا ضعيفة لذلك يصعب التدخل دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، ولكننا كإتحاد أوروبى لا نستطيع أن نفعل ذلك بمفردنا .

وحول سؤال عن الحوار بين الأديان، قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف: إن بالأزهر لجنة للحوار، وقد قام بابا الفاتيكان بزيارة الأزهر الشريف وأصدرنا بياناً مشتركاً بأن الأديان السماوية تدعو إلى التسامح والتعاون، وقد أوضحت أن القرآن الكريم يبين فى آياته أن الناس جميعاً كلهم من أب واحد وأم واحدة، والأديان السماوية أنزلها الله - عز وجل - لسعادة البشر وليس لشقائهم، ونحن على استعداد للتعاون فى هذا الشأن من خلال التحوار وقد أوضحت أنه لا تحاور فى العقائد، فلكل إنسان عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وإنما الحوار يكون من أجل إظهار سماحة الأديان ونصرة المظلوم وتقديم العون والمساعدة للمحتاج، وحول سؤال عن صراع الحضارات، قال فضيلته إن الحوار عند العقلاء هو للتقارب والتعاون والتفاهم والتلاؤم، والحضارات يأخذ بعضها من بعض ولكل دولة حضارتها فالشرق له حضارته، والغرب أيضاً له حضارته، ومن أجل ذلك تأخذ الحضارات وتستفيد من بعضها فلسنا مع صراع الحضارات، ومن يفهم غير ذلك ففهمه سقيم وغير صحيح، ونحن نرحب بالحوار، وأبوابنا مفتوحة .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف .

الفلسطينية التى تشغل بال الأسبان وأن الجانب الدينى له مكانة كبيرة لدى دولة أسبانيا والمسلمين المقيمين بها، وأن الإسلام يحتل مكانة كبيرة فى أسبانيا وينتشر بها .

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أننا من الناحية الدينية نرى أن إخواننا فى فلسطين قد وقع عليهم ظلم كبير وفاحش من قتل وحصار وهدم للمنازل والمصانع، والأراضى الزراعية بما فيها من محاصيل وزراعات مختلفة، والعدوان من إسرائيل هو أقبح أنواع العدوان، وعلى العالم بأسره أن يقف بجانب الحق الفلسطينى، وأن تتخذ من الإجراءات ما يكفل لهم الحماية من القتل والظلم والعدوان، ولابد من تطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن لإعطاء كل ذى حق حقه، ونحن بجانب إخواننا فى فلسطين فى المطالبة بعودة المفاوضات، والمطالبة بحقوقهم التى كفلها لهم الخالق - عز وجل - وهذا موقفنا بالنسبة للقضية الفلسطينية حتى يعود السلام والأمان إلى هذه البقعة المقدسة، وتكون القرارات ملزمة للطرفين، ومن الواجب على مجلس الأمن أن يرسل قوة دولية تفصل بين الطرفين، ولكن أن تظل الأمور هكذا فليس هذا من الدين، وليس من العدالة ترك المعتدى يقتل ويعذب ويعتدى، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية مواصلة العمل على تنفيذ ذلك .

وأوضح الضيوف أن الإسلام فى أوروبا يتزايد يوماً بعد يوم، والتعاون هناك سهل طالما وجد التسامح وربما فهم الغرب خطأ النظرة الإسلامية حول التسامح، ونحن نقف إلى



الفهرس

- من الجديد عن حادث الهجرة النبوية (الافتتاحية) ٢
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي
- من وحى الهجرة ٢
لفضيلة الأستاذ الدكتور/
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ٨
- هجرة الرسول والطبع العربى ٨
للاستاذ الدكتور/ على عبدالواحد وافي ١٦
- امل الأرض نوراً (قصيدة) ٢٠
للشاعر/ أحمد محرم ٢٤
- الهجرة حدث تاريخى عظيم ٢٤
للشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ٢٧
- محنة مؤمن ٢٧
للاستاذ/ شوقى محمود أبوناجى ٣٠
- الهجرة تذكير وإيناس ٣٠
للشيخ/ الطاهر الحامدى ٣٦
- دلائل القدرة الإلهية ٣٦
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٤٠
- من آيات الله فى السماء ٤٠
للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٤٥
- أمومة من صنع الإيمان ٤٥
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٥١
- من الإرهابى؟ ٥١
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٥٧
- كتاب الشهر: ٥٧
الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامى
عرض وتقديم د. إبراهيم عوضين ٦٤
- عمر بن الخطاب والقدس ٦٤
للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٧٠
- هل كان ابن رشد فيلسوفاً مادياً؟ ٧٠
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة
- النعمان بن مقرن المزنى ٧٥
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٨٠
- طرائف.. ومواقف ٨٠
للاستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٨٢
- الشباب.. والفراغ ٨٢
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٨٦
- شكر النعمة وجودها (١) ٨٦
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٩٠
- القدرة الإلهية وإلهام الحيوان ٩٠
للدكتور/ حسين عباس الأنصارى ٩٤
- رسالة.. و..رد ٩٤
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٩٧
- كيف نقدم إسلامنا للغرب؟ ٩٧
أجرى الحوار/ إسماعيل أبو الهيثم ١٠٠
- خطبة الجمعة: مصدر العزة ١٠٠
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٠٣
- استفتاءات القراء ١٠٣
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٠٦
- صرخة فى واد ١٠٦
للاستاذ/ مجدى بشير ١٠٨
- من الأدب العبرى ١٠٨
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١١١
- بين الصحف والمجلات ١١١
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٣
- بين المجلة والقارىء ١١٣
إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ١٢٠
- أنباء العالم الإسلامى ١٢٠
للاستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٢
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ١٢٢
للشيخ/ عمر البسطويسى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إسرائيل تجرنا لحرب أمريكا

هذا الغيظ المحزن الذى ملأ القلوب حسرة على ما يجرى فى فلسطين من توحش العصابة الصهيونية بقيادة السفاح شارون يرجع فى أساسه إلى شعورنا المحض بأننا لا نحارب إسرائيل وحدها، فإسرائيل فى حرب سنة ١٩٧٣ كانت ستلقى حتفها المدمر حين عبر الجيش المصرى مسلحا بالثقة فى النصر، وقد ظلت الأيام الأربعة الأولى تصرخ وتستغيث حين أبصرت خاتمها المروعة، وحينئذ أدركتها أمريكا بجسرها الجوى الذى يحمل معدات الدولة العظمى وعقول قادتها لتمنع سقوط الدولة الباغية، وقام وزير الخارجية اليهودى «كسينجر» إذ ذاك بالأعيبه الماكرة. حتى خرجت من الحرب بما حفظ وجهها أمام من لا يعرف خبايا الأمر، أما الذين تأملوا الموقف بدراسة الفاحص المتمرس فقد عرفوا أن إسرائيل ليست بشيء، وإنما هى أمريكا!

كذلك نجد الآن إسرائيل تنغطرس فى كبرياء مستوحش، وهى تعلم كل العلم أن أمريكا من ورائها، ستدفع عنها كل مقاومة تجتاحها، وبهذه الثقة المفرطة أخذت تسلط نيرانها الوحشية على الأمنين فى القرى والمدن، ولها من تصريحات



الأزهري

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
ومصدر العدد الأول فى الحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر رجب

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢٠٢٠

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

صفر ١٤٢٣هـ - مايو ٢٠٠٢م - الجزء الثانى - السنة الخامسة والسبعون



أبواق الصهيونية في أمريكا ما يزيدنها تكبرا واستعلاء، بل إن مندوبي الخارجية الأمريكية ورسلي بوش الابن الذين يظهرون الحياد الكاذب يسرون ما لا يعلنون، وإذا أرادوا وقف هذا الدمار فكلمة واحدة من الرأس القابع في البيت الأبيض تكفى لمنع هذا الفجور الآثم، وتردّ الذيل على عقبه خائرا منكس الرأس. ولكن المأساة الحقيقية ترجع إلى النيات الخبيثة التي توجه هؤلاء المبعوثين. وهم أمام كل فاحص لا يحاولون منع الحريق، بل يصبون الزيت على النار، فتزداد اشتعالا لذلك نكون صادقين إذا واجهنا الموقف في وضعه المكشوف. فقرّرنا أننا في هذه المعركة الضروس لا نحارب إسرائيل. ولكننا نحارب أمريكا بجبروتها الهائل، وطغيانها الرهيب.

وشىء آخر تريده إسرائيل، تريد أن تندفع مصر إلى الحرب، لتواجه السلاح الأمريكي، والقادة من جنرالات الدولة الحاكمة في العالم بأمرها. وإذا ذلك تأذن لذيها أن يندفع في الأرض العربية من جديد ليحتل أماكن شريفة في سيناء ولبنان يتحسر غيظا على أنه فقدتها بإرادة مصر ولبنان وقوة مصر ولبنان لذلك كان الصوت العاقل يحول دون هذه الإرادة المستترة التي يخطط الأعداء لتحقيقها، وقد كشفت أمريكا عن وجهها الدميم حين أيدت الباطل تأييدا سافرا لا يحتاج إلى دليل، وأكبر ما يبعث على الأسف أن حلفاءها في أوروبا يعرفون حقيقة موقفها وقد خالفوه صراحة في هيئة الأمم وفي مجلس الأمن ثم هم لا يقومون بدور حاسم في إحقاق الحق وتعرية الباطل عن ثيابه الخادعه، بل يكتفون بتصريحات لا تقدم ولا تؤخر. وليس لهم من الجراءة ما يجعلهم يقفون أمام الطغيان موقف النظير من النظير، ونحن لا ننكر أن الشرفاء من كتاب الصحف قد لمسوا هذا الخنزى الشنيع في موقف أمريكا تجاه إسرائيل وعبروا عنه، ولكن أبواق الصهيونية من ناحية أخرى تحاول أن تسكت هذه الأصوات، ولكن يطول الوقت بهم، إذ لا بد أن ينجلي الليل، وأن يتحقق قول الله في إسرائيل:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

إن نقطة الضعف لدى بعض العرب أنهم يصدقون أمريكا حين تبسم ابتسامة الغدر ويظنونها تسعى لإنصافهم من العدو الغادر على حين أنها مع العدو في خندق واحد، منذ ظهرت مأساة فلسطين، فقد كانت المشجع الأول على إنشاء هذه الدولة البغيضة في عهد ترومان، وهي التي أجهضت انتصار العرب على العصابات الصهيونية إذ ذاك سنة ١٩٤٨ حتى نكصوا على أعقابهم بعد أن لاحت تباشير النجاح، ثم أخذت تمدها بالأسلحة الجهنمية إلى الآن، وقد ظهر

(١) الأعراف (١٦٧).





للعيان تناقضها الفاضح في موقفها من العراق حين جعلت تصمم على التفتيش الفوري على ما تظنه مخزنا للأسلحة النووية على حين أنها تحرم هذا التفتيش على إسرائيل وتحمي وجوده دون حياء، وإذا اعترضها معترض من الحياديين، قالت إن إسرائيل لابد أن تحمي نفسها! فماذا تقول الآن، وإسرائيل بفضل ما أمدتها به من الأسلحة الفتاكة والأدوات الماحقة، هي التي تشعل النار في ديار الآمنين!! إن للسياسة الأمريكية منطقاً لا يعرف الحياء، إذ لو سلكت عن صدق سبيل الحق لما تورطت في هذا النفاق الخادع، وأقول الخادع بالنسبة للأغرار الذين تغرهم ابتسامات السياسيين من تجار الكلام، أما الشعب العربي نفسه فقد تأكد عن يقين خطر السياسة الأمريكية، وأنها الباعث الأول على امتداد الاضطراب في العالم العربي، إن لم يكن في العالم كله، حين أصبحت صاحبة الكلمة الأولى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وهو وضع خطير للإنسانية جمعاء، ولعل الأصوات التي ارتفعت في اليابان والصين والهند وكوريا وإيران تندد بهذا الجبروت الطاغى تمتد إلى جميع أنحاء العالم فتوقظ الخدوعين في أوروبا، والنائمين عن إدراك هذا الخطر الذي امتدت خيوطه العنكبوتية إلى شتى البقاع، بل إن للباطل جولة لابد أن تنتهي، وستنكشف الحقائق لكل ذى عينين من هؤلاء الخدوعين الغافلين.

لقد اشتعلت المظاهرات الغاضبة في شتى نواحي العالم العربي، بل تجاوزتها إلى العالم الأوروبي نفسه، حين اندفعت المظاهرات إلى السفارات الأمريكية معلنة احتجاجها على هذا العدوان البغيض، وانطلاق المظاهرات إلى السفارات الأمريكية يدل دلالة واضحة على أن العالم قد فهم اللعبة التي تقوم بها أمريكا وأنها لم تعد تعبت وراء الستار بل تؤدي جريمتها السافرة واضحة أمام العيان، وقد أصبحت بجيوشها المنتشرة في كل مكان مصدر رعب للعالم جميعه، بل إنها تركت المنطق الواضح، وهاجمت دولة صغيرة هي دولة الأفغان، هاجمتها بكل أدوات التدمير لتبحث عن فرد واحد!! وهو وضع لا يكاد يصدق! إذ ليس من المعقول أن يسكن فرد يقال أنه اعتدى على أمريكا في ١١ سبتمبر في بلد ما لا صلة لمواطنيه به ثم تساق الدبابات والطائرات لتنسف هذا البلد الأعزل نسفاً، ولعل الأرواح البريئة التي صعدت إلى الله شهيدة معذبة تكون دليل الاتهام الصارخ لهذه الوحشية الطاغية، ونحن نثق أن عدالة السماء لابد أن تأتي وأن الله - عز وجل - يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢)

المحرر



قدّموا النّو

نحرص على تقديم الدراسات الاجتماعية، ونرى في كثرة المؤلفات الدائرة حولها ما يفيد وينفع، لأن كل دراسة جادة تعود بالخير على الإنسان، وقد ظهرت من المؤلفات الجامعية أمثلة جادة تتوخى البحث الهادف، ومن حقنا أن ندلي ببعض انطباعاتنا الخاصة حول هذه المؤلفات، ولن نتعرض لأسماء الكتب والمؤلفين، لأننا لانريد التجريح والنقد ولكن نلفت النظر إلى ناحية هامة يتجاهلها أكثر هؤلاء، وهي من الأهمية بالمكان الأول.

يتلقى الطالب الجامعي في الدراسات الإنسانية مذكرات أساتذته فيفهمها فهماً جيداً يساعده على النجاح آخر العام، ويراه من وجهة نظره المبتدئة صواباً عين الصواب، إذ لا يمكن أن يتصور أن أستاذاً كبيراً في هيئة التدريس الجامعي يطبع كتاباً في تخصصه ويقوم بتدريس أبوابه، ثم يكون هذا الكتاب محدود النظرة، يعرض وجهة نظر معينة دون أن يعرض ما يخالفها وقد تكون الوجهة المعروضة ذات خطأ يستلزم أن تعرض الوجهة المهمة بإزائه لتكتمل جوانب الرؤية الدقيقة الشاملة ولكن الذي نقرؤه في المذكرات الجامعية لا يقدم الوجهة الصائبة في بعض ما يتناول من الدراسات، فيخرج الطالب آخر العام بمعارف ذات نقص ملموس، وقد تكون ذات تقصير فادح إذا مست جانباً خطيراً من تاريخ العقيدة الدينية دون أن تهتدي إلى الوجه الصحيح!

وقبل كل شيء يجب أن نجهر بالحق دون مهابة، فنقرر أن أكثر الذين يكتبون في آفاق الدراسات الإنسانية من تربية واجتماع وعلم نفس وتاريخ حضارة وأخلاق، أكثر هؤلاء الأساتذة الكاتبين قد اقتصرت معلوماتهم الإسلامية على ما أخذوه في المرحلة الثانوية وحدها، فهم لا يعرفون من حقائق الإسلام غير ما ألم به طالب المدرسة الثانوية في البلاد العربية وهو مقدار لا يسمح بإعطاء فكرة صادقة عن الإسلام، فإذا أضيف إلى ذلك أن أكثر هؤلاء لم يمتحنوا في الدين في الشهادة الثانوية، إذ تقضى بعض اللوائح في كثير من الدول أن يقتصر الامتحان في التربية الدينية على ما قبل الشهادة العامة فحسب، فلك أن تحكم

عن القرأنى

بأن طالب المدرسة الثانوية يذهب إلى الجامعة وهو فى معارفه الدينية لا يكاد يختلف عن الشاب الذى لم يتلق دراسة دينية ما، إذ أن هذا الشاب يعرف بحكم بيئته الإسلامية ما يلزم من أمور العبادات والأخلاق على وجه عام شائع لا يستند إلى تحصيل ولا ينتفع بتوجيه.

هذا الطالب الذى عرف القشور السطحية عن دينه يتوجه إلى الجامعة ليدرس العلوم الإنسانية كما حذقها أساتذته الذين جعلوا كتب أوربا مرجعهم الأوحى، فإذا قضى سنواته الجامعية وتفوق فى اللسان فقد يبعث إلى كلية أوربية، وقد يلتحق بالدراسات العليا بجامعة ثم ينال الدكتوراه فى موضوع تخصصه، وقد ألم بكلامه ونظرياته ومراجعته فى نطاق أجنبى تام لا يتصل بالإسلام فى شىء، ثم يعين بعد ذلك مدرساً فأستاذاً مساعداً؛ فأستاذاً بالجامعة، ليشرح مادته كما جاءت بها أوربا المادية دون أن يستعين برأى الإسلام فيما يشرح للطلاب المسلمين من مسائل! وهنا تكون الكارثة الطامة، إذ يتعرض صاحب هذه الدراسة مثلاً إلى نشأة الدين، فيجده فى رأى من ينقل عنهم من رجال الاجتماع وليد أساطير وخرافات فرضتها سلطات خاصة ليكون فى النهاية طقوساً وعبادات وصفحات وقوانين!

لا يظن القارئ أنى أبالغ أو أتهكم، ولكنى أتحدث عن واقع ملموس مؤلم، فقد قرأت مذكرات جامعية مختلفة، بعضها خاص بتاريخ التربية، وبعضها خاص بمادة الاجتماع، وبعضها يؤرخ للقانون، هذه المذكرات المختلفة فى علوم مختلفة، تتحدث عن شىء فى تاريخ الإنسان تسميه المرحلة الدينية! وتقول فى توضيح هذه المرحلة: إن الإنسان بعد الطوفان أخذ يستعمر الأرض، وقد رأى من مظاهر الطبيعة ما أفرعه، فهو يسمع الرعد ويرى البرق ويشهد فعل النار وتدمير السيول فيعتقد بقوة جبارة تفزع وتخيفه، وإذ ذاك يستكين ويخاف ويجعل من هذه القوة المخوفة الراهبة آلهة، فيكون

الرعد والبرق والشمس والقمر والبحر آلهة ذات سلطان ثم تأتي شخصيات آدمية لتدعى النسبة لهذه الآلهة، فتأخذ رئاسة كالتى كانت للسحرة والكهان، ويظل الحاكم يملك الناس بانتسابه للآلهة ويتخذ العقيدة الدينية (وقد انبثقت هذه العقيدة منذ فطامها من تلك العوامل النفسية و القدرية التى عاشت فى ذات الإنسان من الدهشة والخوف والتطلع صوب الأمل القريب والبعيد، إذ من ذات الإنسان تسلفت أشعته الفكرية ناظرة نظرتها الأولى فى جنبات الكون المحيطة به، وسبر بفكره الثاقب أغوارها، وصنع من هذا الفكر طريقه إلى الطمأنينة وتبدد خوفه حينما ارتكز بعقيدته الوليدة على وجود ما صنعه إلهام فكره من آلهة).

ثم تنتهى المرحلة الدينية لتحل المرحلة العلمية القائمة على التجربة والاستقراء والاستنباط، وهى المشاهدة فى عصر النهضة وماتلاه، هذا الكلام يتردد فى صفحات وفصول تزدحم بالمراجع المحتشدة وكلها لأساطين فى الغرب وللمشاهير من علماء الاجتماع والتربية دون أن تجد جواره ما يوضح الفكرة الإسلامية فى هداية الناس وبعث الرسل، وأول ما يدهشنا أن الحديث هنا عن مرحلة ما بعد الطوفان، أى عن مرحلة بعد نوح - عليه السلام! فإن الطوفان إذا أطلق بمفهومه العام لا ينصرف إلى غير طوفان نوح الذى تداول ذكره فى الكتب السماوية المقدسة.

وإذا وجد اليوم فيما اكتشف من الآثار ما يدل على تعدد الطوفان فى أزمنة مختلفة، فذلك كله وليد اكتشافات حديثة لا تختلط بهذا الحدث التاريخى الذى سجلته التوراة وذكره القرآن، ونحن نعلم علم اليقين أن أتباع نوح ممن نجوا من الطوفان كانوا ذوى عقيدة دينية هى عقيدة التوحيد، مصداقاً لقول الله - عز وجل - فى كتابه العزيز:

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَابَتِهِمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّبَتْ بَيْنَهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

فالذين عاشوا بعد الطوفان كانوا يعرفون التوحيد، ويؤمنون بالله وحده، ولم يكونوا جميعاً يتخذون من البرق والرعد والنار والشمس آلهة، إذ أن الإنسان قد ولد مزوداً بغريزته



الدينية التي تهديه إلى عبادة رب واحد لا شريك له، وماحصل من انتكاس فى العبادة كان خطأ يتطلب التصحيح، لذلك توالى الأنبياء وتتابعت الرسل ليصححوا هذه الأخطاء، وإن رسالة نوح قد جاءت لتنتهى عن عبادة الأصنام، ولتعبد الوجدانية ساطعة واضحة، كما أشرقت فى قلب آدم - عليه السلام - ومن تبعه من المؤمنين.

اسمع قول الله - عز وجل - على لسان نوح - عليه السلام -:

﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ تَعْتَادُونَ ۚ فَقَالَ لَا تَزِيدُ اللَّهَ شَيْئًا ۚ وَأَنبَأْتُكَ مِنَ الْأَرْضِ بِمَا نَبَأْتُ ۚ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۚ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا ۚ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۚ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّا يَزِيدُهُ مَالُهُمْ وَلَا ذُرِّيَّةً إِلَّا أَخْسَارًا ۚ وَمَكُرًا مَّكْرًا كَبِيرًا ۚ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۚ وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۚ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَعْرَفُوا فَأَذَلُّوا نَارًا فَكَلِمَةً يَمُوتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۚ ﴾ (٢).

فمن هذا النص الكريم وأمثاله الكثيرة فى كتاب الله نعلم أن التوحيد الخالص كان ذا أنصار وأشباع قبل الطوفان وبعده، وأن القول بأن تأليه البرق والرعد والشمس كان مظهرًا عامًا للحياة الدنيا فى سيرها بعد الطوفان، وخطة فى طريق القول بإله واحد. هذا القول مخالف للفكرة الإسلامية التى تؤكد أن الإنسان قد فطر على التوحيد الخالص، وأن ما ارتكست فيه الإنسانية من شرك كان خطأ فاحشاً استوجب بعثة الرسل فى آماذ مختلفة لتؤدى رسالة السماء نقية خالصة! حتى جاء محمد ﷺ فاكتملت على يديه الرسالة الصحيحة وأعاد الحنيفية السمحة كما نطق بها نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع من سبقه من المرسلين، وبرسالة محمد وضعت أتم الشرائع الإصلاحية، وأقيمت المعاملات الإنسانية على نهج خلقى قويم!

نقول ذلك ونؤكد أنه لأن أكثر أصحاب المذكرات الجامعية يتحدثون عن الأخلاق الفاضلة وعن قوانين المعاملات ووسائل الارتباطات الإنسانية كأشياء منفصلة عن الدين، ولئن صح ذلك لدى بعض الأديان المعاصرة فإن الإسلام منبع الأخلاق ومصدرها لدى المسلمين، وليس الخلق الإسلامى اصطلاحاً اجتماعياً يتغير فى زمن، ويرجع إلى صورته الأولى فى زمن آخر،



كما يتوهم الذين يظنون أن أساليب الحضارة ترتفع ببعض الأخلاق وتنحدر ببعضها الآخر وفق الظروف والملابسات، لأن الأخلاق في الإسلام دوائر عامة تشمل الجزئيات، هذه الدوائر تتسع للفضائل وتضيق عن الرذائل، معتمدة على التكوين النقي للإنسان ومقدرة تغيير الأحوال وتبدل الظروف، فهي تتسع وتشمل حتى تحتضن كل خير ومعروف، كما تقف موقفها الصارم من دعوات التحلل والانحدار، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

لقد كان على الأساتذة الذين يشرحون ويكتبون ويناقشون، أن يعرفوا أن أكثرية تلاميذهم مسلمون، وأن أمانة دينهم تلزمهم أن يعرضوا رأى الإسلام في كل ما يدرسون، ونحن نعرف أن الدراسات الإنسانية بعيدة الجذور في حقل التأليف العلمي، فهناك من علماء الشرق من أسهموا بنصيبهم الكبير في هذه الدراسات، فلماذا نغفل كتبهم الذائعة ونرتكز كل الارتكاز على ما قيل في أوساط بعضها يناوىء الإسلام علانية، وبعضها الآخر يناوئه في استتار، وقل أن تجد من يحايده، وأقل من القليل من يسلك مسلك الإنصاف! وقد رأيت أحد هؤلاء يضع في مذكراته تحت العنوان مباشرة في مطلع فصل من الفصول قول برجسون: (إن الدين كما يبدو ليس أساساً للأخلاق، ولكنه عون لها، إذ من الممكن تصور أخلاق بغير دين).

ثم أخذ الكاتب يبنى فصله الطويل على هذا القول، دون أن يخالفه في شيء، ولسنا بصدد مكانة الفيلسوف الكبير (هنري برجسون) ولكننا لانستطيع أن نتصور أخلاقاً تعيش بغير دين كما يتصور، لأن الدين هو الذى يجعل المعيار الأخلاقى ثابتاً لا تميل به العواطف والأهواء ولا تجترئ الأرقام المغرضة على تفسيره تفسيراً ينحرف به من النقيض إلى النقيض كما رأينا لدى من يزيفون النصوص الواضحة تزييفاً ماهراً دقيقاً لينطقوها بغير ما جاءت به، ولو كان لديهم دين حتى قوى لوقف أمامهم حائلاً دون التمويه الخادع، والتأويل المتعسف، وهم فى قرارة أنفسهم يعرفون أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ثم يظهرون تمسكهم بالنصوص.

ونحن بعد ذلك ندعو أصحاب الدراسات الإنسانية فى كل مجال من مجالاتها المتعددة أن يدرسوا الإسلام فى كتبه الصحيحة ثم يعرضوا رأيه جوار ما يعرضون من الآراء، كما يجب أن يكون حكم القرآن واضحاً بارزاً أمام المسلمين من الطلاب، إذ أنه كتابهم الذى لا يأتية الباطل، ولا بد أن يردوا مورده الصحيح.

د. محمد رجب البيومى

تَقْسِيمَاتُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَלِدَةٌ يُوَلِّدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولِدُهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ وَاعِلُونَ أَنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

سورة البقرة: ٢٣٣

والمراد بالوالدات الأمهات سواء أكن في عصمة أزواجهن أم مطلقات لأن اللفظ عام في الكل ولا يوجد ما يقتضى تخصيصه بنوع من الأمهات . ويرى بعض المفسرين أن المراد بالوالدات هنا خصوص المطلقات لأن سياق الآيات قبل ذلك فى أحكام الطلاق، ولأن المطلقة عرضة لإهمال العناية بالولد ونترك إرضاعه .

وحولين أى عامين . وأصل الحول - كما يقول الراغب - تغير الشيء وانفصاله عن غيره .

والحول : السنة اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس فى مطالعها ومغاربها قال - تعالى - :



﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

ومنه حالت السنة تحول وحالت الدار تغيرت، وأحال فلان بمكان كذا أى أقام به حوالاً^(١).

وعبر عن الأمهات بالولدات، للإشارة إلى أنهن اللاتي ولدن أولادهن، وأنهن الوعاء الذى خرجوا منه إلى الحياة، ومنهن يكون الغذاء الطبيعى المناسب لهذا المولود الذى جاء عن طريقهن.

وقوله: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ جملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى، إذ التقدير ليرضعن. أى: عليهن إرضاع أولادهن.

وعبر عن الطلب بصفة الخبر، للإشعار بأن إرضاع الأم لطفلها عمل توجبه الفطرة وتنادى به طبيعة الأمومة.

قال الجمل: وهذا الأمر للندب وللوجوب، فهو يكون للندب عند استجماع شروط ثلاثة، قدرة الأب على استئجار المرضع، ووجود من يرضعه غير الأم، وقبول الولد للبن الغير. ويكون للوجوب عند فقد أحد هذه الشروط^(٢).

وليس التحديد بالحوالين للوجوب، لأنه يجوز الفطام قبل ذلك، بدليل قوله:

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّىَ الرِّضَاعَةَ﴾ وإنما المقصود بهذا

التحديد قطع التنازع بين الزوجين إذا تنازعا فى مدة الرضاع، فإذا اتفق الأب والأم على أن يفظما ولدهما قبل تمام الحولين، كان لهما ذلك إذا لم يتضرر الولد بهذا الفطام، وإن أراد الأب أن

يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم أو العكس، لم يكن لأحدهما ذلك قال القرطبي ماملخصه: وقد انتزع مالك - رحمه الله - ومن تابعه وجماعة من العلماء من هذه الآية أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هى ماكان فى الحولين، لأنه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة، ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة.. لقوله - تعالى - :

﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

فهذا يدل على ألا حكم لما ارتضع المولود بعد الحولين. وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رضاع إلا ما كان فى الحولين» وهذا الخبر مع الآية ينفى رضاعة الكبير وأنه لاحرمة له. وقد روى عن عائشة القول به، وروى عن أبى موسى الأشعرى أنه كان يرى رضاع الكبير، وروى عنه الرجوع عنه وسيأتى تحقيق هذه المسألة فى سورة النساء^(٣).

وفى وصف الحولين بكاملين، تأكيد لرفع توهم أن يكون المراد حولا وبعض الثانى، لأن إطلاق التثنية والجمع فى الأزمان والأسنان على بعض المدلول إطلاق شائع عند العرب فيقولون: هو ابن سنتين، ويريدون سنة وبعض الثانية.

وفى هذه الجملة الكريمة:

﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

بيان لمظهر من مظاهر رعاية الله - تعالى - للإنسان منذ ولادته، بل منذ تكوينه فى بطن أمه

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ١٨٨.

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٣٧.

(٣) تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٦٢.





فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأطّار ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله - تعالى - :

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْقِرَارَكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُجَا زَ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (٤).

وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تعليل لإيجاب المؤن بالمعروف أو تفسير للمعروف ولهذا فصلت هذه الجملة عن سابقتها، وقوله :

﴿وُسْعَهَا﴾ منصوب على أنه مفعول ثان لتكلف، والاستثناء قبله مفرغ أى أن أبا الولد لا يكلف فى الإنفاق عليه وعلى أمه إلا بالقدر الذى تتسع له قدرته بدون إرهاق أو مشقة.

وتلك هى سنة الإسلام فى جميع تكاليفه، فالله - تعالى - ماكلف عباده إلا بما يستطيعونه ويطيعونه بدون عسر أو عنت قال - تعالى - :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٥).

وقال - تعالى - :

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾
وقوله :

﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ وَلَا مَوْلُودُهُ﴾.

تعليل للأحكام السابقة الموزعة بين الأب والأم، والتى أساسها رعاية حق هذا الوليد الذى أتى عن طريقهما.

والمضارة مفاعلة من الضرر، والمعنى : لاينبغى أن

جنيئا، فقد أمر - سبحانه- الأمهات أن يقمن بإرضاع أولادهن فى تلك المدة، لأن لبن الأم هو أفضل غذاء لطفلها فى هذه الفترة، وأسلم وسيلة لضمان صحته ونموه، ولصيانته من الأمراض النفسية والعقلية، فقد أثبت الأطباء الثقة أن الطفل كثيرا ما يصاب بأمراض جسمية ونفسية وعقلية نتيجة رضاعته من غير أمه، كما أثبتوا أن عناية الأم بطفلها فى هذه الفترة عن طريق إرضاعه ورعايته، تؤدى إلى تحسن أحواله.

وقوله: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ بيان لمن توجه إليه الحكم. أى هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، فإذا أراد الأبوان أن ينقصا مدة الرضاع عن الحولين كان لهما ذلك. فالجملة الكريمة خبر لمبتدأ محذوف أى هذا الحكم لمن أراد أن يتم مدة الرضاعة.
وقوله :

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

بيان لما يجب على الآباء أى : وعلى الآباء أن يقدموا إلى الوالدات ما يلزمهن من نفقة وكسوة بالمعروف أى بالطريقة التى تعارف عليها العقلاء بدون إسراف أو تقتير.

قال صاحب الكشف : فإن قلت لم قيل :

﴿الْمَوْلُودُ لَهُ﴾ دون الوالد ؟ قلت : ليعلم أن

الوالدات إنما ولدن لهم، لأن الأولاد للآباء، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات، كما قال المأمون بن الرشيد :

فإنما أمهات الناس أوعية
مستودعات وللآباء أبناء

(٥) البقرة (٢٨٦).

(٤) لقمان (٣٣)، تفسير الكشف ج ١ ص ٢٧٩.



قوله: ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ الْكَرِيمِ﴾ .. إلخ وما بينهما
تعليل أو تفسير معترض.

أى: وعلى وارث الأب أو وارث الصبى - أى
من سيرته بعد موته - عليه مثل ما على الأب من
النفقة وترك الإضرار فهذه الجملة الكريمة سيق
لبيان من تجب عليه نفقة الصبى إذا فقد أباه، أو
كان أبوه موجوداً ولكنه عاجز عن الإنفاق عليه.

قال الآلوسى ما ملخصه: والمراد بالوارث
وارث الولد فإنه يجب عليه مثل ما وجب
على الأب من الرزق والكسوة بالمعروف إن لم
يكن للولد مال وهو التفسير المأثور عن عمر
وابن عباس وقتاده .. وخلق كثير وخص الإمام
أبو حنيفة هذا الوارث بمن كان ذا رحم محرم
من الصبى ... وقال الشافعى المراد وارث
الأب - يجب عليه عند موت الأب كل ما
كان واجباً على الأب - وقيل المراد بالوارث
الباقى من الأبوين، وقد جاء الوارث بمعنى
الباقى كما فى قوله ﷺ: «اللهم متعنى
بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى» (٧)
وعلى أية حال فالجملة الكريمة تغرس معانى
الإخاء والتراحم والتكافل بين أبناء الأسرة
الواحدة، فالقادر ينفق على العاجز، والغنى
يمد الفقير بحاجته، وبذلك تسعد الأسرة،
وتسودها روح المحبة والمودة.

وقوله:

﴿فَإِنْ أَرَادَ إِصْصَا لَعَنَ رَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوَرٌ فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾

يقع ضرر على الأم بسبب ولدها، بأن يستغل الأب
حنوها على ولدها فيمنعها شيئاً من نفقتها، أو
يأخذ منها طفلها وهى تريد إرضاعه، أو يكلفها بما
ليس فى مقدورها أو ما يخالف وظيفتها، ولا ينبغي
كذلك أن يقع ضرر على الأب بسبب ولده، بأن
تكلفه الأم بما لا تتسع قدرته مستغلة محبته لولده
وعنايته بتنشئته تنشئة حسنة.

قال الجمل: و ﴿لَا﴾ فى قوله: ﴿لَا تُضَاكَرَ﴾
يحتمل أن تكون نافية فيكون الفعل مرفوعاً،
ويحتمل أن تكون ناهية فيكون الفعل مجزوماً،
وقد قرئ بهما فى السبع، وعلى كل يحتمل أن
يكون الفعل مبنيًا للفاعل وللمفعول (٦).

والمعنى على الاحتمالين وهو أنه لا يجوز أن
يضر كل واحد منهما صاحبه أو يضر من صاحبه
بسبب حنوه على ولده واهتمامه بشأنه.

وأضاف الولد إلى كل منهما فى الموضعين
للاستعطف، وللتنبية على أن هذا الولد الذى
رزقهما الله إياه جدير بأن يتفقا على رعايته
وحمايته من كل ما يؤذيه، ولا يجوز مطلقاً أن
يكون مصدر قلق لأى واحد منهما.

وقدمت الأم فى الجملة الكريمة، لأن الشأن فيها
أن يكون حنوها أشد، وعاطفتها أرق، ولأن مظنة
إنزال العنف والأذى بها أقرب لضعفها عن الأب.

فالجملة الكريمة توجيه شديد، وإرشاد حكيم،
للآباء والأمهات إلى أن يقوم كل فريق منهم بواجبه
نحو صاحبه ونحو الأولاد الذين هم ثمار لهم.

وقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ معطوف على

(٧) تفسير الآلوسى ج ٢ ص ١٤٧.

(٦) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ١٨٩.



معطوف على قوله:

﴿يُضَيِّعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ﴾ لأنه متفرع عنه والضمير في قوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ يعود على الوالدين.

قال القرطبي: والفصال والفصل: الفطام وأصله التفريق، فهو تفريق بين الصبي والثدي. ومنه سمى الفصيل - لولد الضأن - لأنه مفصول عن أمه والتشاور: استخراج الرأي - بما فيه المصلحة - وكذلك المشاورة من الشور وهو اجتناء العسل، يقال شرت العسل - إذا استخرجته من مواضعه - والشوار: متاع البيت لأنه يظهر للنظر والشارة هيئة الرجل والإشارة: إخراج ما في نفسك وإظهاره^(٨).

والمعنى: فإن أراد الأبوان فطاماً لولدهما قبل الحولين، وكانت هذه الإرادة عن تراض منهما وتشاور في شأن الصبي وتفحص لأحواله، ورأيا أن هذا الفطام قبل بلوغه الحولين لن يضره فلا إثم عليهما في ذلك.

وقال بعضهم: وأيضاً لا إثم عليهما إذا فطماه بعد الحولين متى رأيا المصلحة في ذلك، وقد قيد - سبحانه - هذا الفطام للصبي بكونه عن تراض من الأبوين وتشاور منهما، رعاية لمصلحة هذا الصبي، لأن رضا أحدهما فقط قد يضره، بأن تمل الأم الإرضاع أو يبخل الأب بالإنفاق ولأن إقدام أحدهما على الفطام بدون التشاور مع صاحبه قد يؤثر في صحة الصبي تأثيراً سيئاً لذا أوجب - سبحانه - التراضي والتشاور فيما بينهما من أجل مصلحة صبيهما.

ثم قال - تعالى -:

﴿وَلِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

أى: وإن أردتم - أيها الآباء - أن تسترضعوا مراضع لأولادكم، ورضى الأمهات بذلك، فلا إثم عليكم فيما تفعلون ما دتم تقصدون مصلحة أولادكم، وعليكم أن تسلموا هؤلاء المراضع أجرنهن بالطريقة التي يقرها الشرع، وتستحسنها العقول السليمة، والأخلاق القويمة.

واسترضع - كما يقول الزمخشري - منقول من أرضع. يقال: أرضعت المرأة الصبي، واسترضعتها الصبي فهي متعدية إلى مفعولين، والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه.

وقوله: ﴿مَاءَ آتَيْتُمْ﴾ حذف مفعولاه أى آتيتموهن إياه و ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ متعلق بسلمتم أى بالقول الجميل، وبالوجه المتعارف المستحسن شرعاً ويجوز أن يتعلق بآتيتم وأن يكون حالاً من فاعل سلمتم أو آتيتم والعامل فيه محذوف أى متلبسين بالمعروف.

تم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿وَأَنْفُوا لِلَّهِ وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أى: اتقوا الله في كل شئونكم والتزموا ما بينه لكم من أحكام، واعلموا أن الله - تعالى - لا تخفى عليه أعمالكم، فهو محصيها عليكم، وسيجزى الحسن إحساناً والمسيء سوءاً.

(٨) تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٧٢.



السُّلَمُ

السُّنَّة

لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيري (*) / إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرصيم

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين، فقال: «من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم».
رواه الخمسة

في الحديث الذي معنا، فقال: «من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم الخ». على أن السلف قد يطلق على القرض بدون منفعة. فإذا أسلف شخص آخر عشرين جنيها مثلا إلى أجل بدون أن يأخذ منه سلعة ينتفع بها، فإنه يقال لذلك: سلف، ولا يقال له سلم. وظاهر أن المراد بالسلف في الحديث إنما هو السلم، لأنه قال: «من أراد أن يسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم». وهذا بيان لشروط البدل الآتي بيانها. وقد عرفت أن القرض لا بدل له وإنما يرد المقرض رأس المال بدون زيادة.

يتعلق بشرح هذا الحديث مباحث:

(١) بيان معنى السلم وهل هو مرادف للسلف؟

(٢) بيان شروط السلم.

(٣) حكمة إباحة هذا النوع من المعاملة مع أنه قد يضر المحتاجين أكثر مما يضرهم الربا.

(٤) هل السلم موافق للقياس أو هو على خلاف القياس؟

(١) السلف والسلم: بمعنى واحد في اللغة، فقد عبر النبي ﷺ عن السلم بالسلف

(*) عضو جماعة كبار العلماء.



بلفظ سلم، كان يقول له : أسلمت إليك
عشرين جنيها مصريا فى عشرين أردبا من
الذرة الصفراء أو الشامى أو نحو ذلك على أن
أقبضها فى زمن. كذا. فإذا كان المبيع حاضرا
وقال له : أسلمت إليك عشرين جنيها مصريا
فى عشرين أردبا من الذرة الحاضرة، فإنه
ينعقد سلما عندهم. ولا بد من أن تشتمل
الصيغة على لفظ السلم عند الشافعية على
المعتمد، بخلاف غيرهم من الأئمة فإنهم
يشترطون تأجيل المسلم فيه (المبيع)،
ولا يشترطون أن تكون الصيغة بلفظ السلم،
بل تصح بلفظ البيع والشراء وغير ذلك من
الألفاظ التى ينعقد بها البيع. أما الذين
اشترطوا تأجيل السلعة فقد اختلفوا فى أقل
الأجل، فقال المالكية : أقل الأجل أن يزيد
على خمسة عشر يوما ولو بلحظات. وقال
الحنابلة والحنفية : إن أقل الأجل فى السلم
هو شهر كامل.

هذا والسلم معروف عند العامة
(بالتسليف) على القطن أو القمح أو المسلى
أو غير ذلك من السلع، بمعنى أن صاحب
السلعة يبيعها بثمن معين ويأخذ ثمنها على
أن يسلمها فى وقت معين. وهذا غير السلف
المعروف فى المصارف المالية، فإنه من باب
رهن العين، وهو جائز إذا لم يكن فيه فوائد
ربوية. فالفرق بين السلم والسلف المعروف
فى المصارف أن السلم لا يلزم أن تكون العين
موجودة عند بيعها، ويلزم أن يقبض البائع
ثمنها حالا. أما السلف المعروف فى المصارف
فإن العين تكون موجودة وتودع فى مخزن

أما معنى السلم فى اصطلاح الفقهاء :
فهو عقد على شئ اجتمعت فيه ثلاثة أمور :
(أحدهما) أن يكون ذلك الشئ من
الأشياء التى يصح بيعها، فلا يجوز السلم فى
الخمر والخنزير ونحوهما.

(ثانيها) أن يكون ذلك الشئ وهو المبيع
موصوفا بما يرفع عنه الجهالة التى تؤدى إلى
النزاع.

(ثالثها) أن يكون ذلك المبيع مؤجلا. فهذا
هنا أربعة أمور : أحدها : المشتري الذى
يملك النقدين من ذهب أو فضة ونحوهما،
ويسمى هذا (مسلمًا) أو مسلفا أو رب
السلم. ثانيها : بائع السلعة المؤجلة، ويقال
له مسلم إليه. ثالثها : السلعة المباعة
كالسمن والزبد والقمح، ويقال له مسلم
فيه. رابعها : الثمن الذى يدفعه المسلم،
ويقال له رأس مال السلم.

وبهذا يتضح لك أن السلم هو عقد بيع
لا بد فيه من بائع، ومشتري، وسلعة تباع،
وثمن لهذه السلعة، إلا أنه يفارق البيع فى
أن السلعة فى البيع تكون حاضرة بخلاف
السلم، فإن السلعة فيه تكون مؤجلة بحيث
لو لم تكن السلعة مؤجلة فإنه لا يسمى
سلما بل يكون بيعا إذا استكمل شرائط
البيع. وقد خالف فى ذلك الشافعية وقالوا :
لا يشترط فى المسلم فيه (المبيع) أن يكون
مؤجلا بل يصح أن يكون حالا. فالمدار
عندهم فى تحقيق السلم هو أن يبيع شخص
آخر سلعة موصوفة وصفا يرفع عنها الجهالة



البنك ويسلف عليها ما يتفقان عليه، وهذا هو الرهن.

(٢) أما شروط السلم فهي شروط البيع مع زيادة سيرة اقتضاها تأجيل المبيع، وهي ضبط المبيع ضبطاً تاماً يرفع النزاع عند تسليم السلعة. فمن الشروط المشتركة بين البيع والسلم أن يكون العقد واقعاً بين عاقلين، فإذا وقع من مجنون أو صغير غير مميز فإنه لا ينعقد رأساً. أما الصبي المميز الذي يعرف معنى البيع والشراء وما يترتب عليهما من فوائد ومضار، فإن بيعه أو سلمه ينعقد موقوفاً على إجازة الولي أو الوصى، فإذا أقره فإنه ينفذ وإلا فلا. ولم يخالف في ذلك إلا الشافعية، فإنهم قالوا: إن البيع لا ينعقد إلا إذا وقع من بالغ، أما الصبي فإن بيعه لا ينعقد ولو كان مميزاً، ومثله الأعمى ولو كان بالغاً عاقلاً، لأنه يكون عرضة للغبن لسبب عدم رؤية السلعة. وظاهر أن السلم مثل البيع في ذلك بلا فرق.

ومنها: أن يكون العاقد مختاراً، فلا ينعقد بيع المكره ولا شراؤه.

ومنها: أن يكون المبيع أو المسلم فيه طاهراً، فلا يصح أن يكون النجس بحسب ذاته كالخنزير أو الذي عرضت له نجاسة يتعذر إزالتها، مبيعاً ولا ثمناً. ولا يخفى أن هذا من محاسن الشريعة، لأن قواعدا دائماً تشتمل على ما فيه مصلحة النوع الإنساني، فإن قواعدا تشتمل على تحريم ما يضر الإنسان في بدنه أو في كرامته وخلقته، ولم تحظر على الناس إلا الحبائث الضارة القذرة،

فأباححت لهم الطيبات وحرمت عليهم الحبائث. وعلى هذا يكون تحريم بيع النجس وشرائه إنما هو لفائدة المجتمع. على أن بعض المجتهدين الذين أدركوا أغراض الشريعة الإسلامية وعرفوا ما تقصده من فائدة الناس، أباحوا بيع الأشياء النجسة التي يمكن الانتفاع بها في غير الأكل، وفي غير الأماكن التي ينبغي أن تكون دائماً نظيفة، بشرط أن لا يترتب على استعمالها ضرر أو أذى. ومنها الدهن المتنجس، والعذرة المخلوطة بالتراب (السخاخ) و (الزبل) النجس الذي ينتفع به، فإن كل ذلك يصح بيعه وشراؤه عند الحنفية. إنما الذي لا يصح بيعه بالإجماع، وهو: الميتة، والخنزير، والخمر، والدم. على أن الأئمة قالوا: إذا كانت هذه الأشياء مملوكة لشخص غير مسلم ويبيعها له دينه فإن له أن يبيعها لأهل ذلك الدين خاصة، بحيث لو باعها مسلم فإن بيعه يكون باطلاً.

ومنها: أن يكون المبيع (أو المسلم فيه) مقدوراً على تسليمه، فلو باع شخص لآخر سلعة لا يقدر على تسليمها فإن بيعه لا ينعقد، وعليه أن يرد ثمنها إذا كان قد قبضه. ولا يشترط في السلم أن يكون المبيع مملوكاً عند قبض الثمن، بل يجوز أن يبيع عينا سيملكها فيما بعد، بشرط أن يكون قادراً على أن يملكها في الوقت المحدد لدفعها، كالقطن والذرة، والقمح، والسمن، والعسل ونحو ذلك من الأشياء التي توجد في أزمدة معينة من السنة. ولهذا قيل: إن السلم على خلاف القياس كما سنبينه بعد.



القمح، لأنه قد اشتمل على بيان جنس المبيع، وهو القمح، وقدره وهو أردب، ونوعه وهو كونه بعليا أو مسقيا، ووصفه وهو كونه رديئا أو جيدا أو متوسطا، وبيان رأس المال وهو الجنيهان إلخ. على أن الشافعية لا يشترطون ذكر الوصف بل يقولون : المدار في ذلك على ضبط المبيع بأى عبارة كانت. وعلى هذا القياس فيما يباع بالعد أو الوزن كالبطيخ والعجوة ونحوهما.

ويشترط أن يكون رأس المال وهو الثمن حالا، فلا يجوز تأجيله باتفاق المذاهب، وإن اختلفت آراؤهم فى بعض أمور لا يترتب عليها كبير فائدة فى موضوع القبض. فالحنفية يقولون : يشترط أن يكون رأس مال السلم وهو الثمن مقبوضا فى مجلس التعاقد، سواء كان ذهبا أو فضة، أو كان سلعة معينة أو غير ذلك من العملة. والمالكية يقولون : إذا تأخر قبض الثمن عن المجلس، فإن كان ذلك بشرط، بطل العقد، وإن لم يكن بشرط فبعضهم يقول بجوازه وبعضهم يقول ببطلانه. وعلى كل حال فلا يصح السلم إلا إذا قبض البائع الثمن فى مجلس العقد عند جمهو الأئمة.

ويشترط أيضا أن يكون الصنف المبيع فى السلم موجودا فى الأسواق، بمعنى أن يكون كثير التداول كالحبوب والفواكه والزبد والسمن والقماش المعتاد ونحو ذلك، فإن لم يكن كثير الوجود كالجواهر النفيسة التى لا وجود لها فى الأسواق فإنه لا يصح شراؤها سلما، لأن المشتري قد يدفع ثمنها والبائع قد

وذلك لأنه يشترط فى المبيع أن يكون مملوكا للبائع وقت البيع، فإذا لم يكن مملوكا فإن البيع لا يصح، والسلم ليس كذلك، فإن المبيع فيه مؤجل غير مملوك للبائع وقت العقد. فمقتضى هذا الشرط أنه لا يصح، ولكن الشارع قال : إنه صحيح.

ومنها : أن يكون المبيع معلوما والثلث معلوما علما يرفع النزاع بين المتعاقدين، فإذا باع شخص لآخر حيوانا أو غلة أو فاكهة أو غير ذلك بدون أن يبينها بيانا وافيا، أو يراها المشتري بنفسه أو بمن يثق به، فإن البيع يقع باطلا، لأنه اشترى شيئا مجهولا قد يفضى إلى النزاع والخصام. ومن ذلك ما إذا قال شخص لآخر : اشترى ناقتي بالثلث الذى يحكم به فلان، أو اشترى شاة من قطيع الغنم التى أملكها.

ومنها : أن لا يكون العقد مؤقتا كأن يقول له : بعثك هذا البعير بكذا لمدة سنة، فإن هذا البيع يكون باطلا. ومنها غير ذلك من الشروط التى ذكرناها موضحة فى الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

وحاصل ما ذكر فى باب السلم من الشروط التى لم تذكر قبل : هى بيان جنس المسلم فيه (المبيع)، وبيان رأس المال، وبيان نوع المبيع، وبيان صفته وقدره، بالكيل فى الأشياء التى تباع كيلا، والوزن فيما يباع بالوزن، والعد فيما يباع بالعد. مثال ذلك أن يقول شخص لآخر : أسلمت إليك جنيهين مصريين فى أردب من القمح البعللى أو المسقى الجيد أو المتوسط على أن أستلمه فى وقت كذا. فهذا هو عقد السلم فى أردب من



لا يستطيع الحصول عليها، فيقع بينهما النزاع والشريعة الإسلامية دائما تحت الناس على المودة والإخاء، والتمسك بكل ما يزيد الروابط، ويقوى وسائل التعاون والتناصر.

هذا ويصح السلم فى كل شئ يباع بالكيل أو الوزن أو العد، أو يباع بالذراع كالقماش والبسط والحصر. أما الحيوان فإنه يصح السلم فيه عند الأئمة الثلاثة ما عدا الحنفية فإنهم يقولون : لا يصح السلم فى الحيوان مطلقا، فإذا باع شخص لاخر خروفا صفته كذا ونوعه كذا وسنه كذا بثمن يقبضه حالا على أن يدفع الخروف بعد ذلك بشهرين مثلا عند حلول عيد الأضحى، فإنه جائز عند الأئمة الثلاثة خلافا للحنفية. على أن الحنفية يقولون بصحة السلم فى السمك استثناء من الحيوان، ثم إن كان السمك طريا وكان لا ينقطع عادة كسمك نهر النيل ونحوه فإنه يصح السلم فيه فى كل الأوقات، وإن كان ينقطع فى بعض الأزمنة كالسمك الموجود فى البحيرات التى يمنع منها الصيد فى أوقات معينة فإنه لا يصح تعيين مدة القبض فى هذه المدة. ومثله السمك الجاف المملح (البكلاه). ولا من التعيين بالوزن أو العد، وتعين الصنف بما هو متعارف بين الناس.

(٣) أما حكمة تشريع السلم وإباحته فهى ظاهرة، لأن الناس قد يحتاجون الى المال الذى يستعينون به على العمل فى مزارعهم وتربية ما يملكونه من حيوانات أو نحو ذلك فلا يجدونه، فيقف دولا ب عملهم، وتتعطل مزارعهم، ويحرمون من نتائجها ونتائج

حيواناتهم، وفى ذلك ضرر شديد يلحق الناس، والشريعة الإسلامية إنما هى شريعة رحمة وعطف، فليس من أغراضها سد باب العمل فى وجوه الناس، وليس من عاداتها أن تغلق الأبواب فى وجوه المحتاجين فتمنعهم من قضاء حاجاتهم بحجة أن ذلك يتنافى مع قواعدها العامة، بل هى فى الواقع لم تشرع شيئا إلا وهو مطابق لمصلحة المجتمع الإنسانى، وموافق لما تقره الفطرة السليمة والعقول الصحيحة. فإنها ما حرمت الربا إلا خوفا على المحتاجين من قسوة المرابين ومطامعهم التى قد خربت بيوتها عامرة، فضلا عما فى الربا من قسوة تنافى الرحمة الإنسانية التى أودعها الله - تعالى - فى قلب الإنسان من حيث هو إنسان كامل، وهى بذلك لم تسد باب المعاملة التى فيها ربح مشروع، بشرط أن لا يترتب على ذلك غبن فاحش أو إرهاب للمحتاجين. والسلم هو بيع وشراء، غاية ما هناك أن السلعة المباعة لا تكون موجودة وقت البيع، فهى مؤجلة كتأجيل الثمن وتعجيل السلعة، فإذا باع شخص مثلا لآخر ثوبا من القماش بجنيه وأجل قبض الجنيه شهرين أو ثلاثة أو أكثر أو أقل، فإنه جائز بلا خلاف. والسلم هو عكس ذلك، فإنه كما عرفت دفع الثمن وتأجيل الثوب، فإذا اشترى ثوبا بجنيه وأعطى التاجر الجنيه على أن يحضر له الثوب بعد شهر مثلا، فإنه جائز متى كان الثوب معينا. فأى فرق بين الحالتين؟ قد يقول بعض الناس : إن السلم بالصورة المتبعة فى البلاد الإسلامية قد يكون أشد



البيع قد يكون الثمن فيه حالا ومؤجلا، والسلم يجب أن يكون الثمن فيه حالا والسلعة مؤجلة. وقد عرفت أن بعض الأئمة يقول : إن السلعة في السلم لا يجب تأجيلها، وعلى كل حال فمن قال : إن السلم على خلاف القياس، فقد فهم أنه داخل تحت قوله ﷺ : « لا تبع ما ليس عندك » والسلعة التي لا يملكها الشخص الآن قد لا يقدر على ملكها عند حلول الأجل، فلهذا كان السلم على خلاف القياس. ولكن قد يحاب عن ذلك بأن السلم يشترط فيه أن يكون المبيع موصوفا معينا مقدورا على تسليمه غالبا، فلا يجوز السلم في غير ذلك، فإذا وجد عارض يمنع من القدرة على تسليمه فذلك لا ينافي صحته، كالبيع بثمن مؤجل إلى أجل معلوم فإنه قد يعرض للشخص مانع يمنعه من الدفع عند حلول الأجل. فهل هذا الفرض يبطل البيع أو يحرمه؟ كلا، فإذا كان الشخص على ثقة من قدرته على تسليم العين عند الأجل المحدود، لم يكن فرق بين تأجيل الثمن وتأجيل العين المشتراة، فلم يدخل السلم تحت هذا الحديث، لأن المراد به النهي عن بيع ما ليس مقدورا للإنسان : كأن يبيع جوهرة نفيسة غير موجودة في الأسواق أو نحو ذلك. وهذا المعنى لازم لأن الأحاديث التي وردت في إباحة السلم صحيحة متفق عليها. وحديث : « لا تبع ما ليس عندك » يمكن حمله عليها بدون حاجة إلى استثناء. ومما لا ريب فيه أن تأويله على هذا الوجه ظاهر لا تعسف فيه.

ضررا وأعظم أذى للفقراء الذين يضطرون إلى المال الذي يسد حاجاتهم الضرورية، فيذهبون إلى أرباب الأموال ويبيعونهم السلعة التي تساوى عشرة بخمسة، وذلك شر من الربا، فإن فوائده لا تصل إلى العشر.

والجواب على ذلك : هو أن الشريعة الإسلامية قد حرمت الربا لما فيه من أخذ مال بدون عوض، وحرمت كل ما يترتب عليه ضرر وإحجاف بالأفراد أو الجماعات، فهذا النوع من المعاملة، وهو السلم، إذا تحقق فيه ضرر أحد المتعاقدين حال التعاقد، فإنه يكون حراما مثل الربا بلا فرق. أما إذا كان التعامل به كالتعامل بغيره يحتمل أن ينتفع به البائع والمشتري، بصرف النظر عن العوارض الأخرى التي قد يترتب عليها خسارة أحد الفريقين، فإنه يكون جائزا بلا كلام: مثلا: إذا اشترى شخص من آخر قنطار من السمن بسعر الرطل ثلاثة قروش على أن يستلمه منه في وقت يساوى الرطل فيه أربعة قروش أو نحوها، فإن ذلك يكون بيعا مقبولا، فإن البائع قد استلم الثمن وعمل فيه بما يسد حاجته، وبما قد ينمي محصوله، فيتضاعف بذلك ربحه، والمشتري قد ربح ربحا معقولا ينتفع به أيضا، فتتبادل المنفعة بين الناس كتبادل السلع المبيعة بلافق. إذا استغل المشتري حاجة البائع المضطر فاشترى منه الرطل بقرشين أو أقل فإنه يكون قد غبنه غبنا فاحشا يترتب عليه من الآثام ما يترتب على الربا بدون فرق.

(٤) ومن هذا تعلم أن السلم إنما وافقت الشريعة الإسلامية عليه لما فيه من تبادل المنافع بين الناس كالبيع بلافق ما، إلا أن





مات المعتصم

لفضيلة الأستاذ الشيخ / الطاهر الحاسي

عشعش حب الدنيا في قلب الفارس
ماعاد يقاتل أو يصلح لقتال
لكن أصبح صرافا ماهر
يجمع دينارات وجنيها
يحصيها ويكدسها
أرصدة في كل بنوك الدنيا
يودع فيها
إلا بنكا في بلد عربي
يحمل اسما عربيا
أفرخ حب الدنيا في قلب الفارس
جبنا وكراهية للموت
تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ
● ● ●
أصبحنا كغناء السيل
تسيرنا الأمواج
حيث تسير

يتيمة أمة العرب
مات أبوها المعتصم
ومات صلاح الدين أخوها
ماعادت تملك غير الحزن
على الرجلين
وكلا الرجلين
خلف تيجانا مرتعشة
وسيوفا بتراء
ماعادت تقطع
وكلا الرجلين
خلف ألسنة أطول من نعل متهالك
وعقولا لا تعرف معنى الجد
لا تعرف غير الهزل
وبيانات ممجوجة
كالعلك الماسخ
لا يدرك أمة.. تصرخ ياويلي
من عهر الصهيونازي الفاجر
فكرامة أمة خلف القضبان حبيسة
لا تجد صلاح الدين
ولا المعتصم يغيث
● ● ●



لا من قلة

بل نحن كثير

لكن لانملك من أمر الدنيا شيئاً؟؟

لاعلمنا حصلنا

ولامبدأ يعرفه الناس لنا

لاهدفا يسعى الشعب إليه

أو عملاً نتقنه في دنيا الناس

لانزرع قمحاً

لانملك قوتا

نتسول خبز الأطفال

ونجوع إذا منعت أمريكا الرفد

هل يعقل أن نملك رأياً

إن كنا لانملك قوت اليوم

من لايزرع لا يحصد

ومن لا يحصد لا يأكل

ولا رأى لجائع

فالجائع لايرهبه الناس

أصبحنا كغذاء السيل

تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ



هل يمكن أن نذكر غاندى

فنقاط كل بضائع أمريكا

ونقول جبان من يأكل كنتاكي

جبان من يأكل همبورجر...

جبان من يشرب كوكا

أو بيبسى... جبان

جبان من يعمل فى ضخ البترول

فترسله أمريكا ناراً يحرق

أبناء فلسطين



هاقد أصبحت الأمة

قصعة لحم وثريد

تتناوشها كل ذئاب الدنيا

فالفارس ماعاد يدافع

عن عرض يهتك

أو طفل يقتل

أو شيخ يغتال

بعنا الدين بدنيا ذائلة وسراب

تلك نبوءة أكرم رسل الله محمد ﷺ

يقول المصطفى ﷺ :

«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة

على قصعتها قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يارسول

الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكن غشاء كغشاء

السيل ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم

وليقتذفن فى قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن

يارسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»^(١)

(١) سنن أبى داود (٤٨٣/٤) ومسنند أحمد (٢٧٩/٥) بالفاظ متقاربة.



حديث كلماته تنضح بالألم وتفويض بالحسرة .

وإلا أهرقه .

لكن ماعادت للأمة آذان تسمع .

ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره !^(٢)



أو عمل يجدى أو ينفع

يامالك يابن انس

أو عقل يستوعب حجم الكارثة

ما أروع قولك أن أفتيت

أو ضوء يقين

مأعظمها فتيا أن قلت

يهديها فى ظلمات الشك

قتل الثلث لإصلاح الثلثين

أين تسير ؟

كنا نستنكرها من قبل

وكيف تسير

لكننا نفتى قتل النصف



لإصلاح النصف الآخر

نزين بالقرآن وبالسنة

حتى تلد الأرض رجالاً أحراراً .

خطبا جوفاء

لإصلاح النصف الآخر

وبيانات الشجب المعتادة

بل قتل الثلثين

وبعد هدوء العاصفة نعربد

لإصلاح الثلث الباقي

وننصب أقواس النصر الخداعة

من لايرضى بتر الفاسد للإصلاح

وننسى الله

سيقتل جوعاً

وننسى السنة والقرآن

سيقتل غدرًا وهوانًا

ويحذرنا أكرم رسل الله محمد ﷺ

ويذوق الذل من الوغد الدون

فيقول :

زعيم الصهيونا زية .. شارون

«لاتجعلونى كقدح الراكب . فإن الراكب يملأ



قدحه ويضعه ويرفع به متاعه .

أوصى الفاروق عمر

فإن احتاج إلى الشرب شرب

بالتقوى ينصلح الناس

أو إلى وضوء توضحاً

(٢) مسند الفردوس للدليمي (٥/٥٧، ٦٨).



بالخوف من الله

ومراقبة الله

بذلك قال الفاروق

يوصى سعدا حيث يقاتل

التقوى والخوف من الله

والورع صفات

والزهد كذلك

صفات زانت جند الله

فى السلم وفى الحرب

كذلك قال الفاروق عمر

يوصى سعداً

قائد جيش النور

فى معركة الفرس

بنور الإسلام

أضاء بلاد الفرس

قال عمر للقائد والجيش

«أما بعد فإننى آمرك ومن معك من الأجناد

بتقوى الله . على كل حال

فإن تقوى الله أفضل عدة على العدو .

وأقوى المكيدة فى الحرب .

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من

المعاصى منكم من عدوكم .

وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .

ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة

لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم

فإن استويناه فى المعصية كان لهم الفضل علينا

بالقوة

وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا

واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظه من الله

يعلمون ماتفعلون .

فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم

فى سبيل الله

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه

النصر على أعدائكم

اسأل الله - تعالى - ذلك لنا ولكم

ذلك قول الفاروق عمر



وإن تتولوا بإسادة

سيكون النصر لأمر الله

كما وعد الله

برجال أحرار

ونساء أحرار

وأطفال أكثر إيماناً و يقينا

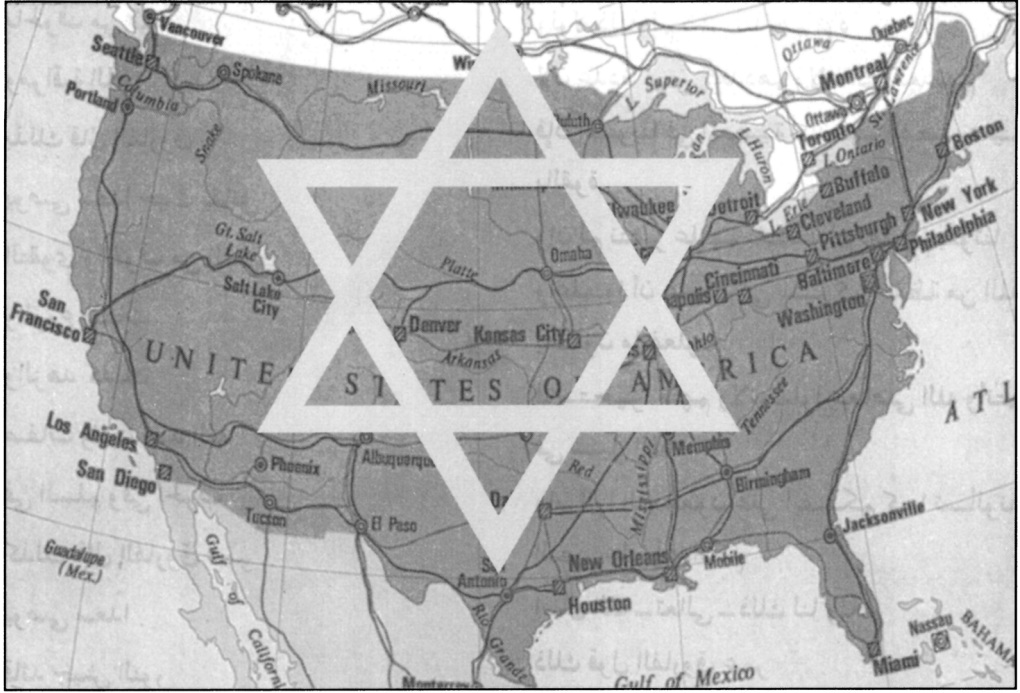
فكما وعد الله

إن تتولوا يستبدلكم برجال أحرار

ونساء أحرار

وأطفال أكثر إيماناً و يقينا

ويكون النصر .. بإذن الله



لأستاذ / صلاح عبد الرصيم محمد

النفوذ اليهودي في أمريكا

في الحقيقة أن النفوذ المتعاظم الذي يحظى به يهود الولايات المتحدة الأمريكية، وهرولة كبار المسؤولين الأمريكيين إلى خطب ودهم، وكسب ثقتهم، لا ينبع من فراغ، ولكن يعززه التواجد الفعال والنشط لكثير من المنظمات اليهودية والصهيونية في أمريكا، وما تتمتع به من قوة سياسية، واقتصادية، وإعلامية هائلة، إذ أن الأمريكيان من أصل يهودي يستحوذون على إدارة العديد من الشركات الضخمة، والمصارف العالمية، وهيئات التأمين الكبيرة، ومراكز التجارة، ومؤسسات الاتصال والإعلام. فاليهود يسيطرون على أهم وكالات الأنباء، وأشهر دور الصحف الأمريكية، وأكبر شبكات التلفزيون، والكثير من المسارح والعديد من دور السينما.



الدائر على أرض فلسطين ما هو إلا صراع من أجل استرداد حق يهودى من غاصب عربى فلسطينى طارئ، فى محاولة خبيثة لتزييف الحقائق، وتضليل للرأى العام، مما يدل على الدور الإعلامى المضلل الذى سخرته الصهيونية له ولكن لنا أن نتساءل كيف يتأتى لأقلية يهودية لا يزيد عددها على سبعة ملايين نسمة تشكل نسبة ٣٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تتمتع بهذا النفوذ الكبير؟ ويقال بهذا الصدد أن أهم ما يميز اليهود عن سواهم من الجماعات فى المجتمع الأمريكى أنهم أقلية منظمة للغاية، وثرية، ومتراطة، ونشطة، لذلك فهم يتمتعون بكل المقومات الفاعلة لجماعة الضغط فى السياسة الأمريكية، ويمارسون نفوذهم على النحو الذى يحقق مصالحهم الذاتية، بالإضافة إلى أنهم محاورون جيدون للغاية، برغم قلة عددهم فى المناصب المرموقة بالإدارة الأمريكية. فعلى مدار التاريخ الأمريكى يُذكر أنه لم يتجاوز عددهم ١٢٠ يهودياً، موزعين فى مناصب حكام ولايات، وأعضاء كونجرس، ووزراء، ولكن مما يضاعف من نفوذهم تركيزهم فى عدد معين من أكبر الولايات الأمريكية أهمها نيويورك، فلوريدا، نيوجرسى، كاليفورنيا، وميتشجان، وبنسلفانيا، وماريلاند. ومن ناحية أخرى يُلاحظ ارتفاع درجة الوعي السياسى بين يهود أمريكا الذى يتجلى بوضوح فى ارتفاع نسبة التصويت بينهم إلى أكثر من ٩٠٪ كما تشير إلى ذلك الإحصاءات، بينما النسبة العامة فى المجتمع

فقد أسس وكالة «رويتير» ووكالة «اسيوشيتدبرس» اليهودى «جوليوس رويتير»، كما يمتلك اليهودى «روبرت ميردوخ» بعض الصحف والمجلات الأمريكية، إضافة إلى امتلاكه صحيفة التايمز اللندنية، والصنداي تايمز، وأيضاً عدداً من المجلات البريطانية.

ومن المهم أن نؤكد أن اليهود الأمريكان يسيطرون على أشهر شبكات التلفزيون الأمريكية وهى :-

- شبكة تلفزيون ايه بى سى A.B.C من خلال رئيسها اليهودى «ليونارد جونسون».

- شبكة تلفزيون سى بى إس C.B.S من خلال رئيسها ومالكها اليهودى «ويليام بيلى».

- شبكة تلفزيون إن بى سى N.B.C من خلال رئيسها اليهودى «ألفريد سلفرمان».

ولاشك أن هذه الوسائل الإعلامية التى يديرها ويسيطر عليها يهود أمريكيان تقوم بدور مهم فى ممارسة تأثير فعال على الرأى العام الأمريكى فى اتجاه تأييد إسرائيل ودعمها، وأيضاً التوجيه السياسى لأفكار، ومواقف حوالى ٢٥٠ مليون أمريكى، فهى تقدم العديد من البرامج والمسلسلات التلفزيونية التى تدعم بها مواقف إسرائيل فى الصراع الدائر على الساحة الفلسطينية، كما يستغل اليهود العاملون فى الحقل السينمائى قضية فلسطين فى إنتاج عشرات الأفلام التى تؤكد على أن فلسطين هى أرض الميعاد التى وعد الرب اليهود بها، تُروّج بالباطل أنها ملك لهم، وما الفلسطينيين إلا غزاة محتلون، وإيهام الرأى العام أن الصراع



الأمريكي لا تتجاوز ٦٠٪ في أفضل الأحوال. لذلك بنى الجمهوريون (أعضاء الحزب الجمهوري) - على مدى عشرين عاماً - جسوراً تربطهم بالناخب اليهودي، فأصوات الناخبين اليهود جائزة سياسية برغم ضعف النسبة التي يمثلونها وهي ٣٪ من إجمالي عدد الناخبين، ولكنهم يُعتبرون عاملاً ترجيحياً في نتائج الانتخابات، وربما الأهم من ذلك أنهم يتبرعون بسخاء لتمويل الحملات الانتخابية، ويقدمون ما بين الربع إلى النصف في تمويل الحملات الانتخابية للمرشحين من الحزب الديمقراطي. وفي هذا الإطار تزداد قوة النفوذ الحقيقي لليهود أمريكا، ومدى تأثيره على كثير من مرشحي الكونجرس والرياسة الأمريكية. لذلك يحرص هؤلاء المرشحون على كسب ود اليهود في أمريكا حتى يحصلوا على أصواتهم لدعم موقفهم الانتخابي، وهذا ما فعله «بوش» الثاني أثناء إحدى حملات دعايته الانتخابية للرياسة الأمريكية في ٢٢ / ٥ / ٢٠٠٠ عندما وقف أمام مؤتمر «إيباك» وهي «لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية العامة» والمعروفة باسم اللوبي اليهودي موجهاً خطابه قائلاً: «إن تأييد إسرائيل ليس مشروطاً بنتيجة مفاوضات العملية السلمية، فالعلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل تفوق العملية السلمية في الأهمية، ويجب على خصوم إسرائيل معرفة أن إدارتي ستحرص على استمرار العلاقات الخاصة مع إسرائيل، ولو لم يتوصلوا إلى إقامة السلام الحقيقي مع الدولة

اليهودية». ولم يكذ الرئيس الأمريكي «بوش» الثاني يدخل البيت الأبيض في بداية عام ٢٠٠١ حتى أضاء الضوء الأخضر لحكومة شارون، وترك الساحة الفلسطينية لشارون ليمارس عدوانه على شعب فلسطين، وحصاره، في مدنه وقراه ونقضت إدارة بوش يدها من التدخل لوضع حد لهذه الممارسات العدوانية الإسرائيلية، وأوفى الرئيس «بوش» بما وعد به اليهود أمام مؤتمر «إيباك» في تفضيله العلاقة المتميزة مع إسرائيل عن إقامة سلام حقيقي بين الإسرائيليين والفلسطينيين. وتأسيساً على هذا النفوذ الهائل لليهود الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الجماعات اليهودية فيها لا تتورع في إعلان غضبها، ومناهضتها للإدارة الأمريكية إذا ما تعارضت مصالحها مع مصالح أمريكا، ففي أعقاب إعلان قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ سعت العديد من المنظمات اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية مثل الكونجرس اليهودي الأمريكي، ولجنة فلسطين الأمريكية اليهودية، والمجلس الدولي للنساء اليهوديات، ومنظمة العمال الصهيونية الأمريكية، والمنظمة الصهيونية الأمريكية، والمحافظون الصهاينة الأمريكيان، ومنظمة «حداش» التي كانت تضم ٣٠٠ ألف عضو - إلى مناهضة الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس «ترومان» ووزارة خارجيتها عام ١٩٤٩ بسبب رفضها خطة إسرائيلية لتطوير حوض نهر الأردن، وخطة دولية لإعادة إسكان ٢٠٠ ألف فلسطيني في الأردن، وقيام يهود أمريكا



الأولى: أن اللوبي اليهودى معارض عنيد .

والثانية: أن اللوبي اليهودى يمكن أن يكون صديقاً جيداً أيضاً . لذلك فإنه بعد انتهاء أزمة طائرات الأواكس بحصول السعودية عليها، سعى المسؤولون فى الإدارة الأمريكية إلى الاتصال بلجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية العامة (إيباك)، ووجهوا الدعوة إلى كبار مسئوليتها للاشتراك فى تخطيط سياسة الحكومة الأمريكية، وقد ذكر بعض المحللين السياسيين الأمريكيين إلى أن إشراك «إيباك» فى التخطيط السياسى سيقبل من معارضتها لأى سياسات أو قرارات تتخذها إدارة «ريجان» فيما بعد، بالإضافة إلى إمكانية الاستفادة من صداقة إيباك فى أمور كثيرة . ومن جانب آخر، فإن «إيباك» وهى اللوبى اليهودى تتولى، بصورة منتظمة، عملية حشد الصفوف خلف إقرار الكونجرس الأمريكى للمساعدات الخارجية . والحقيقة التى يؤكد عليها كثير من المحللين السياسيين الأمريكيين، أن الضغط الذى يمارسه اليهود على الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب من أجل الموافقة على المساعدات التى تقدمها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل هو جزء قليل من عمل كبير تقوم به «إيباك»، فمن بين ١٥٠ شخصاً كانوا يعملون فى إيباك، خلال التسعينات، تفرغ منهم ستة فقط لممارسة الضغط، ومقابلة أعضاء الكونجرس للتأثير على أصواتهم لصالح إسرائيل، أما الباقون، وهم ١٤٤ شخصاً فكان يتكون منهم فرق ثلاث:

بتظاهرة، واعتصامهم أمام الخارجية الأمريكية، واعتبروا الرفض الأمريكى للخطة الإسرائيلية تصرفاً غير مقبول، وهو بمثابة قطع للمساعدات الأمريكية عن إسرائيل، ولقد بلغ هذا الصلف اليهودى منتهاه، عندما طلب الرئيس «بوش» الأول من الكونجرس فى سبتمبر ١٩٩١ - تأجيل الموافقة على تقديم ضمانات قروض قدرها ١٠ مليارات دولار لإسرائيل فى صورة قروض تجارية لمدة ١٢٠ يوماً فغضب يهود أمريكا غضباً جارفاً، وبدأوا فى إرسال سيل من خطابات الاحتجاج إلى البيت الأبيض، ولنواب الكونجرس، ولصفحات الجرائد، وقالت «جاكلين ليفين» وهى زعيمة بارزة بالمجلس اليهودى الأمريكى: «سيعتبر يوم ١٢ سبتمبر ١٩٩١ فى تاريخ اليهود هو يوم خيانة كبرى، وإذا لم تكن كلمات الرئيس إشارة واضحة، ومقززة بمعاداته للسامية فهى على الأقل قريبة جداً من ذلك» .

وأصر «بوش» على رفض إقرار ضمانات القروض، ولكنه فى نفس الوقت بادر بعقد لقاء مطول مع «شوشانا كاردين» رئيسة مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية للتصالح معها خاصة بعد اتهامه بمعاداة السامية . وكان أول احتكاك بين الرئيس الأمريكى «ريجان» واللوبي اليهودى «إيباك» بشأن صفقة طائرات أواكس التى طلبتها السعودية من الإدارة الأمريكية، وقتذاك والتى اعترض عليها اللوبى اليهودى - من أجل أمن إسرائيل - ووصفها بأنها تشكل خطراً على إسرائيل . وفى نهاية الأمر استطاعت إدارة ريجان الخروج من هذه الأزمة بنتيجتين:



الاستخبارات العسكرية، بالإضافة إلى دعم الترسانة العسكرية الإسرائيلية بالأسلحة الحديثة والمتطورة من جانب أمريكا، مع التزام الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً بضمان أمن إسرائيل.

وجدير بالذكر أنه في غضون ما يربو على نصف قرن من إعلان قيام إسرائيل، كانت ولا تزال «منظمة اتحاد النداء اليهودي» هي الآلية الفاعلة لمختلف المنظمات اليهودية الأمريكية، فعن طريقها يتم التخطيط والإعداد لحملات التبرع، لتمويل خدمات التعليم، والدفاع، والرعاية الاجتماعية، التي تصل جملة تكاليفها إلى حوالي ٤ مليارات دولار، بالإضافة إلى ما يقدمه اتحاد النداء اليهودي إلى الوكالة اليهودية سنوياً من تبرعات تبلغ حوالي ٣٠٠ مليون دولار لتمويل استيطان اليهود، واستيعابهم في المجتمع الإسرائيلي. وقد لوحظ في السنوات الأخيرة من القرن العشرين أن إدارة الرئيس الأمريكي «كلينتون» كانت من أبرز الإدارات الأمريكية التي اعتمدت القيادات اليهودية في اللوبي اليهودي المؤيدة لإسرائيل، نذكر منهم بصفة خاصة «مادلين أولبرايت» وزيرة الخارجية الأمريكية، و«وليام كوهين» وزير الدفاع الأمريكي، و«دنيس روس» المبعوث الأمريكي في الشرق الأوسط.

وأخيراً يمكن القول أن النفوذ اليهودي في أمريكا تعاضمت قوته في كل قطاعات المجتمع الأمريكي، ومازال يهيمن على مجريات السياسة الخارجية الأمريكية، ويدفعها في اتجاه دعم إسرائيل، واستمرارها قوية.

الأولى: تعمل في مجال الأبحاث لإمداد اللوبي اليهودي بالمعلومات حول قضايا الشرق الأوسط، بداية من قضايا المياه إلى تكنولوجيا الصواريخ.

والثانية: تقوم بنشر سلسلة من الكتيبات، والتقارير الصحفية، مثل تقرير الشرق الأدنى، والذي يشمل عرضاً، وتحليلاً للأنباء المتعلقة بإسرائيل لتقديمه لأعضاء الكونجرس للاسترشاد به في اتخاذ القرارات التي تؤيد المواقف الإسرائيلية، وتدعم الوجود الإسرائيلي في فلسطين.

والثالثة: تشتغل بأعمال الإدارة، والتمويل، وجمع التبرعات لتلبية احتياجات إسرائيل.

هذا ويمارس اللوبي اليهودي (إيباك) عمله ونفوذه، وضغوطه من خلال العديد من اللجان التابعة له، من أهمها اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة، ولجان العمل السياسي، وعددها ٣٣٠٠ لجنة، واللجنة القومية للعمل السياسي، ومؤتمر الزعماء، ويمثل الذراع الدبلوماسي القوي لجميع المنظمات اليهودية الأمريكية، التي يهيمن عليها، ويضمها في إطاره. وبفضل تعاون اللوبي اليهودي مع إدارة الرئيس «ريجان» عام ١٩٨١، أثناء فترة رئاسته، فقد قطفت إسرائيل - في خريف ١٩٨١ - ثمار هذا التعاون بالتوقيع على اتفاق تحالف عسكري رسمي مع الولايات المتحدة الأمريكية، وصارت بذلك شريكاً استراتيجياً لأمريكا، يتبادلان معاً المعلومات التكنولوجية، ويتعاونان سوياً في مجال

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

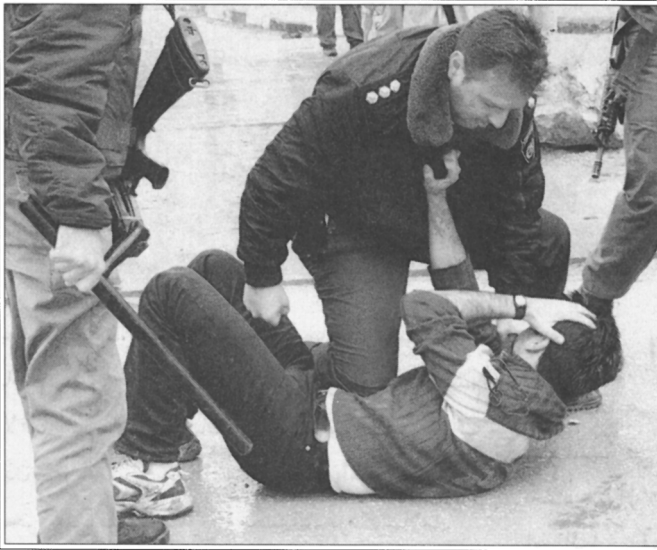
اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

دماء وأحزان

إن قلبي يقطر دماً وجسدي
من الحزن قد وهن . الناس تحجرت
عيونهم وتوجهت نحو السماء
يطلبون العون من الله بعد أن
صمت الأذان فقد دفنت العروبة
ولا تملك جميعاً سوى البكاء
والشجن .

وكما قال مجدي شندی في
« الأسبوع » في عددها الصادر في
١/٤/٢٠٠٢ :

كلنا أصبحنا على حافة
الانفجار نطالب سيوفا مكسورة
أن تنال من رقاب الأعداء،
ورجالاً ملأتهم الشروخ بأن



الأسبوعى بالأهرام فى عدده الصادر فى
٢٦/٣/٢٠٠٢ :

إن تشريح أجسادنا ونحن أحياء أهون علينا
من استيلاء اليهود على فلسطين وعلى القدس
كما قالها فى يوم من الأيام السلطان عبد الحميد
الثانى وصدق حدسه حين قال : « إذا مضاعت
وحدة المسلمين وضاعت الخلافة فإن اليهود

يصبحوا صناديد تصرخ فى آبار قديمة وتضع على
أعيننا نظارات نحاول أن نرى بها الشوك ورداً،
والجين بطولة، والتخاذل حكمة والانبطاح سياسة
والانسحاق واقعية، والتمسك بأهداب الكراسى
وطنية ولو على حساب رقاب الشعب العربى
وكرامته .

وهذا صوت الأستاذ جمال الشاعر فى مقاله



الإرهاب الأمريكي

هكذا عبر جهاد الخازن في جريدة الحياة اللندنية في عددها الصادر في ٢٠٠٢/٤/٢ تحت عنوان « عيون وآذان » الإرهاب الأمريكي - إسرائيلي وقد آن الأوان أن يقف القادة العرب وقفة صدق - إن لم يكن وقفة عز، مع أنفسهم وشعوبهم ويقولوا إن العدو هو الولايات المتحدة، وأن يعاملوها على هذا الأساس وهذه ليست دعوة إلى الحرب وإنما مجرد المقاطعة .

ماذا أقول للقارئ اليوم . أقول له : أخفض رأسك يا أخى فقد عاد عهد الاستعمار والاستعمار هذه المرة أمريكى - إسرائيلية ينغذه جهلاً رئيس أحرق يديره يمين الحزب

يستطيعون أخذها بأتفه الأثمان، وقد كان .. يقوم .. ولا بأس يا قوم من طول ومن عظم جسم الأفيال وأحلام العصافير .. عصافير العقل طارت إذن .. ولا ندرى ماذا نفعل نحن أمة العرب .. نحن على قلوبنا مراوح ومكيفات برداً وسلاماً .

بينما إسرائيل تطبق فلسفة نيتشه .. عش في خطر .. وهى الفلسفة التى تستنهض الهمم وتستنفّر العقول فيصبح الإنسان سوبرمان « رجل خارق » والغريب أن إسرائيل تمثل لنا نفس الخطر والتهديد .. ولا يدفعنا ذلك إلى شحذ الطاقات وتوحيد الجهود والوحدة والحلم العربى الذى بدونه لن يتحقق لنا أى شىء .

وبغير الوحدة سوف يتجرأ علينا السفهاء .



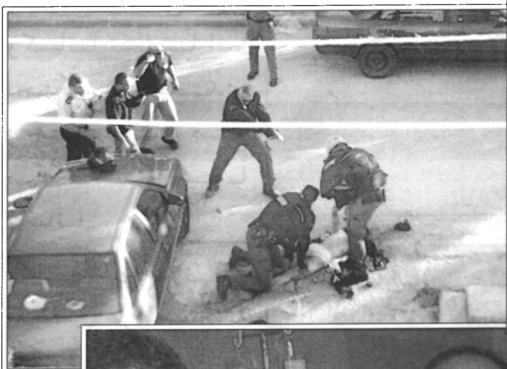
الجمهورى واليهود
الأمريكيون من أنصار
إسرائيل فى الإدارة
الأمريكية.

وهم التضامن العربى

تقول بثينة
الناصرى فى جريدة
«الأسبوع» فى ١/٤:
القانون الدولى لن
ينصفنا يوما من الأيام
وكأننا نسينا أننا
نحتكم إلى المعتدى
والجانى الذى صنع
منذ خمسين عاما
مأساتنا.



إن ما يجرى فى
فلسطين هو نسخة
مكررة من سيناريو
الإدارة الأمريكية فى
أفغانستان وهو أمر
متفق عليه، ولا شك -
للخلاص من كل
أعداء الولايات
المتحدة والصهيونية
العالمية مرة واحدة
وإلى الأبد، إنه
مخطط شرير لترتيب
أوضاع المنطقة
وسيعقب فلسطين
العراق.



فداً ينطق الحجر

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك^(١).
كلمات ابتهل بها أظهر خلق الله، وأعز خلق الله على الله إلى الخالق البارئ المصور رب العزة، وذلك بعد أن لاقى ﷺ أقسى صنوف الاضطهاد والتنكيل على يد كفار قريش ومن والا هم.

المولى - عز وجل - لأشرف خلقه :

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، يَلَا مَنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

كدليل على قوة وعمق الارتباط بين المسجدين فمن يفرط في المسجد الأقصى فكأنه فرط في المسجد الحرام .

ثم نأتى إلى عهد الخليفة الراشد الفاروق عمر ابن الخطاب - رضى الله تعالى عنه -

أورد الحافظ إسماعيل بن كثير في البداية

وعلى الفور كانت الاستجابة الإلهية للداعى الكريم، فكان أن وقعت تسرية الله له بالإسراء والمعراج من المسجد الحرام بمكة المكرمة ثم إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف، قبلة المسلمين الأولى، فوجد فيه أنبياء الله يتقدمهم إبراهيم، وموسى، وعيسى وقد جمعهم الله له ليكونوا في استقباله، فصلى بهم ﷺ في المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلا... إلى سدة المنتهى.. ليرى الملائكة والأنبياء، وكثيراً من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله^(٢).

وتزداد وشائج الصلة قوة بقرآن يتلى، أوحى به

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ص ١٠٨ : ١١٥ .

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٤٢٠).

(٣) الإسراء (١).



والنهاية: أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق، كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يبذلوا الجزية أو يؤذنوا بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار على بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال على ولم يهو ما قال عثمان.

العهد العمرية

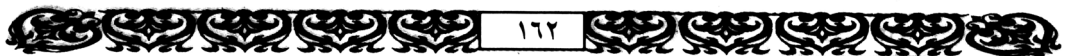
ونص العهد العمرى، وهو وثيقة الأمان التي بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب لبطريق النصرى صفرونيوس سنة ٦٣٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرفنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد ﷺ وهدانا من الضلال وأنقذنا به من التهلكة ووحد قلوبنا، ونصرنا على الأعداء وثبت أيدينا وجعلنا أخوة متحايين فاحمدوا الله يا عباد الله على هذه النعمة.

أما بعد فهذا عهد منى أنا عمر بن الخطاب أعطى للشيخ الوقور بطريق الأمة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف فى الاشتمال على الرعاية والقسوس، والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين كانوا وأين وجدوا أن يكون عليهم الأمان لأن الذمى إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا ولتقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ماقد جرى منهم فى

وسار بالجيش نحوهم، واستخلف على المدينة على بن أبي طالب، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد ابن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر، فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكف أبو عبيدة فكف عمر، ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله ﷺ - ليلة الإسراء، ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ فى الأولى بسورة «ص» وسجد فيها والمسلمون معه، وفى الثانية بسورة بنى





في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٥ للهجرة النبوية . وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن إلى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضا .

شهد على ذلك : خالد بن الوليد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان^(٦) .

ومنذ الفتح العمري سنة ١٥هـ/٦٣٦م أصبحت فلسطين - فضلا عن كونها عربية ، لأن الاحتلال الروماني لها قبل ذلك لا ينفي عنها عروبتها بحال - أصبحت إسلامية حتى كان السابع من يونيو سنة ١٠٩٩م حيث هاجمت الجحافل الصليبية المدينة المقدسة واستولت عليها بعد مذابح مروعة سقط فيها عشرات الآلاف من المدافعين عنها شهداء . ويحلل الراهب الإنجليزي (متى الباريزي) هذا الحدث مهاجما الفكرة الصليبية والجهاز الكنسي البابوي في الغرب بقوله :^(٧) « .. لقد ألح كل من كونت بواتييه وكونت بروفانس إلى البابا ، من طرف خفي ، أن جشعه وحبه الشديد للمال هما السبب في كل هذه الكوارث لقد أغشى المال بصيرته ..

... رحماك ياربى .. يامن بيدك الانتقام لنا .. متى ستشخذ سيفك البتار حتى يتوهج كوميز البرق وينغمس في دماء أمثال هؤلاء القوم حقا ، إن آثامنا وخطايانا هي التي جلبت علينا كل تلك المصائب والويلات .

الطاعة والخضوع وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم ودياناتهم وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلا وخارجا وهي : القيامة وبيت لحم مولد عيسى (عليه السلام) الكنيسة الكبرى والمغارة ذات الثلاثة أبواب قبلي وشمالى وغربى ، وبقية أجناس النصرارى الموجودين هناك وهم الكرج والحبش والذين يأتون للزيارة من الإفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ويكون متقدما عليهم لأنهم أعطوا من حضرة النبی الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم ، كذلك نحن المؤمنین نحسن إليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من كافة البلايا فى البر والبحر وفى دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شئ ، وأما الذين يقبلون إلى الزيارة الى القيامة يؤدى النصراني إلى البطريرك درهما وثلاثا من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به سلطانا أم حاكما أم واليا يجرى حكمه فى الأرض غنى أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات . وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام : عبدالله ، وعثمان بن عفان ، وسعد بن زيد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وبقية الأخوة الصحابة الكرام . فليعتمد على ما شرحنا فى كتابنا هذا ويعمل به ويبقى فى أيديهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين حسينا الله ونعم الوكيل .

(٦) الطبرى، أحداث سنة ١٥هـ.

(٧) انظر: د. جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم اللاتين فى الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية - بيروت ص٣٢٨.



بهزيمة تلك في حطين، ولنقرأ القصة منذ بدايتها لنذكر حقيقة التآمر (الأورو أمريصهوني).

كانت البداية في ١١ من أغسطس سنة ١٨٤٠ في مذكرة كتبها «المروستون» وزير خارجية بريطانيا إلى سفيره في تركيا مستغلا تداعيات الصراع الذي نشب بين محمد علي باشا وإلى مصر وبين السلطان العثماني جاء في هذه الرسالة:

يقوم بين اليهود الآن المبعثرين في كل أوروبا شعور قوى بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين آخذ في الاقتراب.. ومن المعروف جيدا أن يهود أوروبا يمتلكون ثروات كبيرة، ومن الواضح أن أي قطر يختار أعدادا كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.. فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان فسيكون في هذا حائلا بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل.

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود لم يؤد بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيدا لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد

... وهكذا نرى البابا، وهو أبونا الروحي الذي اقتفى خطى الإمبراطور قسطنطين، وكان الأجدر به أن يحذو حذو القديس بطرس، يسبب الكثير من القلاقل والاضطرابات في العالم» أ هـ

واستشعر العرب الخطر الداهم المهدق بهم، فبادروا إلى توحيد صفوفهم ولم شملهم لمقاومة الفرغ الغزاة، وتطهير البلاد المقدسة منهم.

وفي مواجهة الإحساس العربي المتنامي بأنهم أصحاب الديار، وأن الفرغ هم الدخلاء، عمد الغزاة إلى بناء القلاع والحصون، واستجلاب الجنود المرتزقة من أوروبا وحشد الذخائر والأسلحة.. ولكن هيهات لأرض أن تقبل نبثا شيطانيا اغتصب لجذوره أرضا ليست له فمصير الجذور هو الذبول ومتى ذبل الجذر مات النبات وهو ما حدث مع مملكة اللاتين التي أسسها الصليبيون في القدس حال غزوهم لها في ٧ يونيو سنة ١٠٩٩.

فقد اجتمعت كلمة المسلمين حول قائدهم البطل صلاح الدين الأيوبي الذي قادهم إلى نصر مؤزر في معركة حطين قرب بحيرة طبرية في ٢٥ من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ أعقبه دخول القدس يوم الجمعة ٢٧ من رجب ٥٨٣هـ / ١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م، أي بعد ما يقرب من مائة عام من الاحتلال.. فليقرأ الجاهلون التاريخ وليستلهموا عبره.

ولكن هيهات أن يستسلم الصليبيون، فقد أبت المجترة التي تزعمت الحملة الصليبية على بيت المقدس منذ قرون مضت ممثلة في ملكها ريتشارد الملقب بـ (قلب الأسد) أبت أن تعترف

بسيط كهذا^(٨).

وفى عام ١٨٩٥ ألف مؤسس الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) كتابا بعنوان: «الدولة اليهودية» ومما جاء فيه:

نتيجة العداء للسامية، شعر اليهود المضطهدون بالكرهية للذين يضطهدونهم وهذا بدوره يزيد من الاضطهاد لهم وهكذا تدور المشكلة فى حلقة مفرغة.

وتساءل هرتزل عن الحل، الحل هو - كما يقول - فى أن يمنح اليهود السيادة على جزء من الأراضى يمكن اليهود من أن يعيشوا حياتهم كأمة.. وما بعد ذلك يترك لليهود يتصرفون فيه بأنفسهم.

إن إقامة دولة جديدة ليس بالشىء المستحيل. وستكلف وكالتان متخصصتان القيام بهذا العمل هما «جمعية اليهود» و«الشركة اليهودية» وستخول الجمعية السلطات للتفاوض مع الحكومات بكونها ممثلة للشعب اليهودى وسيكون هدفها خلق الدولة اليهودية أما الشركة فهى لتمويل هذه العمليات.

وأثار هرتزل التساؤل التالى: هل ستكون الدولة فى فلسطين أم فى الأرجنتين؟ وقال: إن الجمعية هى التى ستحدد. ثم قال: إن الأرجنتين من أخصب بقاع العالم ومساحتها كبيرة وتعداد سكانها ضئيل وجوها معتدل ولا شك أن جمهورية الأرجنتين ستجنى مكاسب هائلة من وراء إعطائنا قطعة من الأرض أما فلسطين فلها ذكريات تاريخية وأن مجرد ذكر اسم فلسطين يثير شعبنا ويحفزه وإذا ما وافق السلطان على

إعطائنا فلسطين فإننا فى مقابل ذلك سنتعهد بتنظيم الأحوال المالية لتركيا وسنعمل على أن نظل مرتبطين بكل أوروبا التى ستضمن بقاءنا وستقوم الشركة اليهودية بتنظيم الشؤون التجارية والمالية للدولة الجديدة^(٩).

وفى سبيل تنفيذ هذا المخطط أرسل هرتزل مع أحد أصدقائه إلى السلطان العثمانى عبدالحميد رسالة يعرض فيها حل الأزمة المالية التى تعاني منها تركيا مقابل الحصول على فلسطين وجاء فيها:

تصرف عشرين مليون ليرة تركية لنصلح الأوضاع المالية فى تركيا ندفع من هذا المبلغ مليونين بدل فلسطين وهذه الكمية تستند على تحويل رأس مال مدخول الحكومة الحاضر الذى هو ثمانون ألف ليرة تركية فى السنة، وبالثمانية عشر مليون تتحرر تركيا من بعثة الحماية الأوروبية أما أصحاب الأسهم من الفئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة فسوف نحملهم على الرضى بإزالة البعثة وذلك بإعطائهم امتيازات خاصة، فوائد أعلى وتمديد الملكية الأرض إلخ^(١٠) ورد السلطان العثمانى على رسول هرتزل فى ١٨٩٦/٦/١٩ بقوله:

إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقى فانصحك أن لا يسير أبدا فى هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد، لأنها ليست لى بل لشعبى لقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإقامة دمائهم وقد غدوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا لقد حاربت كتيبتنا فى سورية وفى فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد

(٩) المصدر السابق ص ١٠: ١٢.

(١٠) المصدر السابق ص ١٨.



وهم ضمن أحكام بلدهم، والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات ومدارس التدريب المهني ومدارس الزراعة، ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو أفضل وعندها تقوم بدورها في خدمة العلم والطلاب والبلاد^(١٢).

في عام ١٩١٦ وضعت اللجنة السياسية المنبثقة عن المنظمة الصهيونية خطوط برنامج توطين اليهود في فلسطين طبقا لآمال الحركة الصهيونية وقدمته الى «مارك سايكس»:

١ - الاعتراف رسميا بالشعب اليهودي في فلسطين (ونقصد هنا بالشعب اليهودي، اليهود الموجودين حاليا في فلسطين واليهود الذين سيهاجرون إليها مستقبلا) كنواة للوطن القومي اليهودي وأن يتمتع هذا الشعب بجميع حقوقه المدنية والسياسية.

٢ - أن تمنح الحكومة البريطانية لجميع اليهود في مختلف أنحاء العالم حق الهجرة الى فلسطين وأن تسهل لليهود في فلسطين وسائل الاستقرار وشراء الأراضي.

٣ - أن تبارك الحكومة البريطانية تكوين جمعية يهودية هدفها استعمار فلسطين وأن تكون هذه الجمعية تحت حماية الحكومة وسيكون من أعمال هذه الجمعية مساعدة اليهود على الاستقرار في فلسطين بجميع الطرق الممكنة وأن تساعد وتشجع على الهجرة بكافة الوسائل^(١٣).

وعد بلفور

وفي ٣١/١٠/١٩١٧ أعلن آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا الوعد المشعور المشهور باسمه «وعد بلفور» وجاء فيه:

الآخر في «بلفنة» لأن أحدا منهم لم يرض بالتسليم وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال الإمبراطورية التركية ليست لى وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبدا أن أعطى أحدا أى جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. إنما لن تقسم إلا جثثنا ولن أقبل بتشريحنا لأى غرض كان^(١١).

ولكن هرتزل لم ييأس فكتب إلى السلطان العثماني اقتراحا بإنشاء جامعة يهودية في القدس جاء فيها:

لى الشرف أن أتقدم لحكمة جلالتك المتناهية بالاقتراح التالي: إنى أدرك الصعوبة التى تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شبان تركيا لتلقى التعليم فى الخارج وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع، خاصة فى تأثيرهم بالأفكار الثورية مما يجعل الحكومة أمام أحد أمرين. إما أن تحرم هؤلاء من التدريب العلمى أو أن تعرضهم إلى مخاطر الغوايات السياسية على أن هناك حلا للمشكلة وأنا أسمح لنفسي بكل اتضاع أن أقدم لحكمة جلالتك هذا الحل.

إننا معشر اليهود نلعب دورا هاما فى الحياة الجامعية فى أنحاء العالم والأساتذة اليهود يملأون جامعات البلدان كما أن هناك عددا كبيرا من العلماء والمتخصصين فى جميع الحقول التعليمية، لهذا فإننا نستطيع أن نقيم جامعة يهودية فى إمبراطوريتكم ولتكن فى القدس مثلا عندها لن يضطر الطلاب العثمانيون إلى الذهاب الى الخارج بل يبقون فى بلادهم ويتلقون فيها أفضل التدريب

(١٢) نفس المصدر السابق ص ٤٤.

(١٣) المصدر السابق ص ٣٧.

(١١) نفس المصدر السابق ص ١٩.



وسأكون ممتنا إذا ما أحطمت الاتحاد الصهيوني علما بهذا التصريح^(١٥).

وتتوالى حلقات المؤامرة الدولية وتوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذى يمهد السبل لقيام الكيان الصهيونى على أرض فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل مساء يوم الجمعة ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨ على جزء من أرض فلسطين تم تحديده بمعرفة الأمم المتحدة ثم ابتلعت إسرائيل فلسطين كلها فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتصل المأساة إلى ذروتها.

واليوم يقف الرئيس الأمريكى جورج بوش ليدافع عن حق إسرائيل فى الحياة والعيش فى سلام على أرض اغتصبتها من أهلها ويسلب هذا الحق من أهلها الأصليين ويصمهم بـ (الإرهابيين) ويتحدث تارة أخرى عن السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين فى الوقت الذى يزود فيه الكيان الإسرائيلى بأحدث مافى ترسانة السلاح الأمريكية من أجل إبادة العرب، واضعا فى ذهنه بلا شك التجربة الأمريكية البشعة فى التعامل مع الهنود الحمر، السكان الأصليين لأرض الولايات المتحدة الأمريكية.. ولكن هيهات هيهات.

فغداً ينطق الحجر.. سلاح المقاومة الفلسطينية الباسلة.. أجل غداً ينطق الحجر هكذا أخبرنا نبينا- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودى «يامسلم هذا يهودى ورائى فاقتله»^(١٦) صدق رسول الله ﷺ.

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى^(١٤).

وهكذا أصبح الحديث يتناول حقوق اليهود تحديداً وحقوق الطوائف الأخرى والمقصود بها السكان الأصليون.

وكتب بلفور إلى ممول الحركة الصهيونية (روتشيلد) يقول:

عزيزى اللورد روتشيلد:

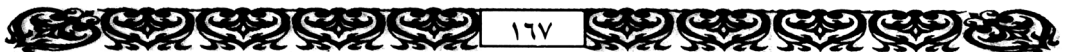
يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى».

(١٥) نفس المصدر السابق (٨٤ : ٨٥).

(١٤) نفس المصدر السابق ص ٨٤.

(١٦) أخرجه مسلم.





مه أجل هو اجهة الله فعالية

في كنضنا

قصة للأديب الصهيوني: يهودا بورلا

يعرضها ويعلق عليها

دكتور/ محمد حسن عبد الخالق

لقد سكن أبناء الديانات الثلاث في مدينة الإيمان والأديان متفرقين ومنعزلين، لم يقترب هذا من ذلك طوال الأيام.. وإذا اضطريه يهودي أن يمر فيما ندرين شوارع المسلمين، بين الأزقة الصامتة، ترتعد أوصاله من الخوف.. لأن سكانه يتريصون السوء باليهود.

والحاج (أمين العميد)، من الرجال الميسورين يسكن في أحد الأحواش التي تعيش فيها أسريهودية ويمتلك حوشين قرب بيته يفهد بتأجيرهما لليهود، وهو رجل محترم واثق من نفسه يقيم شعائر دينه ويحج إلى مكة، وله محل يبيع فيه الخضراوات في سوق العرب، عرف بين اليهود كإنسان مشاكس سليط اللسان قبل أن يبيع لأي يهودي تظهر على وجهه علامات الغضب والغيظ. وفي الصباح لا يبيع بيعته الأولى ليهودي إطلاقاً، وإذا جاء إليه أحدهم قال له «اصطبحن»^(١).

(١) وردت بالعربية.



وتزداد كآبة الحاج أمين بعد رجوعه من الحج ودفن ابنه الرابع بيديه، ويتعرف الحاخام على الحاج أمين من بعد، ويعرف - شأنه شأن الآخرين - بهذا المسلم «عدو إسرائيل» وفضل الابتعاد عنه حتى لا يصيبه ما أصاب الآخرين ولكن شخصية هذا الشرير جذبت الحاخام شبتاي كحبال السحر، كل يميل للآخر دون أن يدري. فقد كان الحاخام شبتاي يلقي عليه التحية كلما رآه والحاج أمين يتصرف معه بلطف (ص ٩٥).

«وكان الحاخام شبتاي يراجع همسات قلبه وأفكاره ويقول لمن حوله: نظرة هنا إلى بيت المقدس ونظرة أخرى ليهيكل سليمان، ونظرة هناك إلى هذا السهل تجذب القلب.. وتلك هي قوة القداسة لجبل «موريا»، قوة القداسة الممتدة هناك في الجو.. تأكدوا بأنفسكم أن القداسة موجودة حتى في المنفى.. مئات الأجيال في التشرد، إنها تمتد، تمتد في الجو.. آه.. آه.. ما كان لنا وماضنا أيضا لنا! (ص ٩٧).

وطوال ثلاثة أيام لم ير الحاخام شبتاي الحاج أمين، وحاول أن يسأل عنه في بيته لكن كعادة المسلمين أبوابهم دائما مغلقة، وذات يوم رآه يربط وجهه بشال أحمر فحياه وعرف أن إحدى أسنانه تؤلمه، فعرض عليه خلعها، لكن الحاج أمين أخبره بأنها السنة الأمامية وأن خلعها سيعكر جمال وجهه. وفي النهاية يقتنع الحاج أمين ويخلعها ويضع له مثلها من الخشب.

ويقول الحاخام شبتاي: لماذا وضع الله العقل في رأس الإنسان؟

من أجل أن يفيد نفسه والآخرين.. كيف اخترع الأوروبيون كل أنواع الآلات؟ بالمحاولة، ويجب أن

ويحضر إليه في الصباح الباكر العديد من اليهود، وبخاصة يومى الخميس والجمعة، يقفون من بعيد وسلاهم الفارغة في أيديهم يراقبونه حتى يأتى عربى مسلم أو مسيحى يشتري أولاً، كان يحترس فقط من «الاستفتاح» ولم يتسلم الحاج أمين ثمن البضاعة من يد يهودى قط. ولهذا فقد وضع سلة صغيرة بجواره يضع فيها اليهود النقود.

وكان حقه تجاه اليهود وليد الكره والعداء الدينى، وقد تقبل اليهود هذا الوضع رغماً عنهم ولم يظهروا أمامه شيئاً.

ويسكن لدى الحاج أمين الحاخام «شبتاي فارقس» بائع الحليب، ليس من مجموعة الرابانيين ولا بعد من الأتقياء، يجيد عدة حرف بسيطة، لم يكن «تلميذ حاخام» لكنه عارف بالتوراة، ويدعى بأن آباءه كانوا من الرابانيين فى مدينة (منسطير) فى البلقان حيث يسرى فيهم وقار إسرائيل وأنه يعرف ما لا يعرفه الآخرون ويحكى عن آباءه، بأنهم ليسوا كالرابانيين الخاضعين البؤساء وعندما كان فى مدينة (منسطير) طلب من الوالى أمراً ما لأبناء الطائفة وعندما رفض الوالى، عاد إلى بيته وطوى العبادة الرسمية المنقوشة بالذهب والتي كانت تعطى «للحاخام باشا» من قبل الملكة العثمانية وأرسلها مع الشماس لبيت الوالى وقال:

إن كانت أقوال الحاخام باشا لا تسمع فلماذا العبادة، وطلب منه، إرسالها للسلطان ولا حاجة له بها، وذهل الوالى واستجاب لطلبه.

وكان يسير طوال اليوم لابساً قفطاناً بسيطاً بدون معطف، ليس هذا بسبب الفقر ولكنه لإظهار التواضع ولكى يكون مختلفاً عن الآخرين. يبيع الحليب فى الصباح والمساء، يحب العزلة.



قائلاً: اتوكل على الله الولد سيعيش (ص ١٠١).

وفى اليوم التالي وبعد أن فرغ الحاخام شبتاي من توزيع الحليب، والحاج أمين يجلس مهموماً أمام منزله يحييه ويبشره بالخير ويقول له:

«إن الله قد وضع هذه الأفكار فى رأسى.

لقد وجدتكم جالساً فى الصباح ولم أتحدث إليكم وقلت فى نفسى.. لو ظل هكذا حتى أعود بعد ساعتين فهى علامة على أن الله أراد بك خيراً.. تقبل هذه الموعظة من جار يهودى! نيتى طيبة، إن أعجبكم ما أقول أو كما تشاء.. إصحبنى إلى المنزل.. وصحبه الحاج أمين وجلسا يتحدثان.

يقول الحاخام شبتاي:

بعد أن حكيت لى موضوع «الختان» وقع فى قلبى نور من السماء.. من عند الله. وقلت فى نفسى «ربما كان على المولود الجديد أن يختن وهو ابن ثمانية أيام مثلما يحدث عندنا وأن تختنه فى بيتك أو فى معبدنا فما تريد؟ إنها أصول الشعيرة كما قال الله لأبينا إبراهيم، وتسميه باسم يهودى وسوف يكون مفتدى من قبل اليهود، وهذه الإشارات جاءت إلى من السماء» (ص ١٠٤).

ويندهش الحاج أمين، فيقول الحاخام شبتاي:

«لدينا فى توراتنا: على الإنسان أن يقول الحقيقة بلا خوف حتى وإن أصابه ضرر.. وهناك أنسان قوى يستطيع تحمل الحقيقة والعديد لا يملكون هذه القوة.

فيبادره الحاج أمين قائلاً: ما الهدف الذى ترمى إليه يا شبتاي؟

فى عائلتى.. فكرت كثيراً فى الأديان.. أياما عديدة.. وليالى طويلة، ومن يفكر فى هذا يشوش

نحاول، فإن يد الإنجليز هى الطولى، وعقل الإنجليزى عجيب، واليابانى له عقل مخترع للحيل، وفى الحرب التى دارت رحاها بين موسكو واليابان أفقدت عقل موسكو، ويحكى عن حادثة وقعت وكان الضباب يخيم على البلاد، والروس يحاصرون قلعة منيعة لليابان، ويقوم اليابانيون بعمل خدعة وهى وضع القبعات حول أسوار القلعة وبجانبها رؤوس البنادق، ويطلق الروس النيران حول القبعات لمدة ثلاث ساعات حتى فرغت ذخيرتهم عندئذ أطلق اليابانيون نيرانهم ودمروا المعسكر كله.

والألماني خبير ماهر فى فنون الحرب عندما حارب الفرنسيين كان يفصل بينهم نهر كبير، وفى ظلام الليل حضر آلاف من الجنود الألمان سراً (ص ١٠٠) وحولوا مجرى النهر، وقام الفرنسيون فى الصباح فلم يجدوا النهر.

وأثناء الحوار يدخل كلب ضال ويقوم الحاخام شبتاي ويلقى إليه بكسرة خبز ويعطيه ماء ويقول، يجب عمل الإحسان مع الكلب إنها شعيرة».

ويقول للحاج أمين: الكلب يحفظ المودة، ولا يوجد بين الحيوانات من يصون العيش والملح كالكلب.

أما القط، فهو كلب أسود غدار، ويحكى قصة القط الذى قتل صاحبه. لأنه ضربه.

ويقول الحاخام شبتاي للحاج أمين، أراك مهموماً، فيحكى الحاج أمين للحاخام شبتاي وهو حزين، ويقول:

لقد وضعت زوجتى أول أمس ولداً، وقد مات لى أربعة أطفال بعد (الختان) بعدة أسابيع علماً بأنهم قد ختنوا فى أعمار مختلفة ويواسيه الحاخام شبتاي



وكانت الحقيقة ترى النور دائما بجانب اليهودى، وببساطة: المصدر والجذر لكل الأديان تورا موسى والأديان كلها فروع، وإذا رأيت الفروع تعطى ثمارا طيبة، فهى إشارة إلى أن الجذر حى سليم. الحاج أمين - إنك تمجد دينك ونحن نرى غير ذلك!

إننى أفهم رأيك، وأنت تخشى قول الحق ولكن بصراحة: لعلك تتساءل إن كان المصدر والجذر هم اليهود، لماذا ترانا هكذا مهملين، محتقرين من كل الأمم.. هذا صحيح لقد فرض علينا إما أن نكون فى الكواكب أو الأعماق، إما فى أعلى عليين أو فى أسفل سافلين، يجب على كل اليهود أن يكونوا أطهار حافظى كلام الله بالكمال والتمام، وحينئذ سيتغير كل شيء، وطالما يوجد بيننا رجال السوء، فإنهم يخربون ويزعزعون كل شيء، الحل الوسط لا تصح عندنا، وضرب مثلا: إن الثوب العادى لو وقعت عليه بقعة من الممكن لبسه يوميا، أما الثوب الغالى، لو وقعت عليه بقعة أفسدته. البداية لليهود والنهاية لليهود (ص ١٠٩).

وبعد يومين يحضر أخو الحاخام شبتاى، إلى أخيه الذى لم يزره منذ سنوات عديدة وينهره قائلا: ماذا تريد أن تفعل، هل تريدنى أن أدخل فى متاهات مع الأتراك والمسلمين، وتقحمنى فى موضوع خطير كهذا مع كل الطائفة، ماذا لو مات المولود.. من ينقذك من أيديهم (ص ١١٢) وشرد الحاخام شبتاى، وأخبره بأنه تحدث مع الحاج أمين ومع رئيس المحكمة اليهودية، وأن الحاج أمين ضاع النوم من عينيه، ثم فرح بعد أن وافق «المفتى» ووافقت والدة الطفل والأقارب.

عقله.. وهناك أسئلة كثيرة تختار فى الإجابة عنها، وعلى كل إجابة تجد ثلاثة أو أربعة أسئلة... إلخ وفى توراتنا لا توجد أقوال. وليس هناك أى نقص، مثل هذه الشعرة (ويقتلع شعره من شاربه) فى مقابل الأديان الأخرى... إن توراتنا تحترم كل الأديان، لن تجد فيها كلمة سيئة، لقد عبد الإنسان قديما الأوثان، الشجر والحجر.. وفى توراتنا يجب أن تدمر وتنداس وكل العالم يؤمن بإله إسرائيل.. إن إلها معروفا لدى كل الأرض.. إن الإنسان يخطئ ويتمادى فى أخطائه بدون أن يفكر، إنك ترى اليهود بعين حقودة سيئة، بسبب البؤس والإذلال.. وهذا الموضوع لا يروق فى عين الله، كلنا، كل البشر متساوون خلقنا إله واحد، وإن بدا لأحد منا أنهم يغضبون عليه من السماء، فعليه أن يفكر.. ماذا أفعل؟ ما الذى يحدث؟ ما الذى يجب على أن أصلحه؟ وفى النهاية يأتى الإصلاح من السماء (ص ١٠٥).

إن ختن المولود الجديد بعد ثمانية أيام من ميلاده وسمى باسم عبرى سيكون حقا مسلما كاملا طاهرا، ولابد من (الإصلاح)، وطالما أنكم كنتم ولسنوات عديدة ضد اليهود - فيجب الإصلاح «الكفارة» وإذا سمي باسم يهودى، سيكون كفارة أمام الله وسوف يعيش بعون الله، هذا اعتقادى الحقيقى، إنها محاولة، وما الضرر وكما تريد (ص ١٠٧).

ويسأله الحاج أمين:

- هل هذا الموضوع مكتوب فى توراتكم؟

- غير مكتوب.. وقد حدثت لدينا كثير من المعجزات، وتعرف الكثير عن الجدل الذى كان بين شيخ مسلم وقسيس مسيحى وحاخام يهودى،



ولم يستطع الحاخام شبتاي دخول منزل الحاج أمين بسبب عادات العرب ولهذا كان يرسل زوجته ومعها العلاج وتخبره بما يحدث في منزل المسلم (ص ١١٤) ولما مرض الطفل بمرض الجدري سمح الحاج أمين للحاخام شبتاي أن يعودوه وكان الحاج أمين يتصدق على فقراء المسلمين فنصحته الحاخام شبتاي بأن يتصدق لمعلمي المزامير عند حائط المبكى وقبر راحيل.

وقد صام شبتاي أيام (الإثنين والخميس) كي يبرأ الطفل!! ويعطى الحاج أمين حوالة مالية كهدية للحاخام شبتاي.

ويبلغ الطفل الثامنة من عمره معافاً يتمتع ببنية جسدية جيدة ولكنه دائم العراك مع أولاد اليهود ويسبب المشاكل لوالديه وينصحته الحاخام بأن يدخل ابنه «الحيدر - الكتاب اليهودي» ويدخله فعلاً ولكنه كان يسبب المشاكل أيضاً. وبعد ذلك يدخله الحاج أمين إلى «تلمود تورا - مدرسة دينية يهودية» ويصحبه في الصباح ويحضره في المساء، وهو يسبب المشاكل أيضاً. وكل يوم يقوم الولد بضرب أولاد اليهود حتى تسيل الدماء منهم (ص ١٠٨).

أما والدته فكانت تقول له:

- يا بنى، ألم نقل لك مراراً بأنه من الواجب عليك أن تحب أولاد اليهود أنت فداء لهم. لقد وهبوا لك الحياة، يجب أن ترحمهم وعلينا حفظ الجميل.

فيرد الولد منفعلًا ويقسم بأنه سوف يقتل كل أولاد اليهود. إني عدوهم وهم أعدائي

وفى حفل بهيج هرع اليهود والمسلمون إلى المعبد اليهودي ومعهم الحاج أمين وأسرته وكانت أصوات الدفوف تسمع في الشوارع القريبة لمسكن الحاج أمين. دف الختان وأصوات الغناء التي تجرى للعوائل المحترمة من اليهود، وتفتح النوافذ ويطل منها العرب واليهود للتعرف على هذه العائلة المحترمة التي ولد لها هذا الطفل الذي يقودوه للمعبد وزوجة الحاخام شبتاي تحمل الطفل على ذراعيها ويمتلئ المعبد بالجمهور والمنشدون ينشدون المقامات العربية المحببة والحاج أمين يجلس بجوار الحاخام شبتاي الذي يشرح له طقوس شعيرة الختان.

وحسب الاعتقاد اليهودي أن النبي إيلياهو يحضر حفل كل ختان يهودي، وكلما سأل الحاج أمين عن سبب التأخير، أجابه الحاخام شبتاي بأن النبي إيلياهو، لم يحضر بعد، وفجأة يصبح الشماس، هاقد حضر النبي إيلياهو ووضع (جايي المعبد) الطفل على ركبتيه وهو يكرر بدون توقف في اليوم الثامن يختن لحم غرلته» (ص ١١٣).

وسمعوا الخاتن وهو يقول: «ويسمى باسم إسرائيل وإسماعيل - بن صهيون محمود»

ويصيح الجمهور: بشرة خير، ويهزون رؤوسهم بالموافقة على هذا الاسم وكل إنسان يهودي هزه هذا الموقف يشعر أنه قريب بالروح والدم للمولود الصغير، فقد جاء اليوم ليكون هذا الطفل «في كنفنا». وعاش الولد دون مرض وهو يبلغ العامين من عمره، لجأ الحاج أمين إلى الحاخام شبتاي لاعتقاده بأن اليهود لديهم وسائل مفيدة.



التعليق

نحن بصدد عمل أدبي جمع فيه المؤلف عددا من المحاور التي أراد من خلالها أن يثث أفكاره التي تمثل الفكر الصهيوني المتطرف.

بدأ يسرد العمل الذي كتب عام ١٩٢٨ قبل احتلالهم فلسطين وإقامة دولتهم واختار القدس حيث يعيش فيها أبناء الديانات الثلاث. ووصف ما زعمه «ذل اليهود على يد العرب»، ولم ينس أن يصف الحاج أمين بـ «عدو إسرائيل» ويتمنى له - بسبب احتقاره لليهود - أن يدفع الثمن غالياً ويموت جميع أبنائه.

والخطاب الديني اليهودي لم يصغه الأديب كخطبة فوق منبر، ولكنه بدهاء شديد قام بتأسيسه داخل عمل أدبي من خلال بطله اليهودي في حوار مع عربي مسلم متدين وخلصته: أن اليهودية هي الجذر والمصدر والأصل، وباقي الأديان فروع ويقصد بهذا «فضل اليهودية على المسيحية والإسلام» وهو لم يأت بجديد لديهم فهناك عشرات المصادر العبرية التي تناولت هذا الموضوع، ولكن الخطاب هنا موجه لغير اليهود. ودائما يركز على عبارة «إله إسرائيل» كما لو كان المولى - سبحانه وتعالى - خاص بهم.

وفي نفس الوقت أراد أن يقول لبني جلدته من اليهود: «تعالوا معي نبحث عن وسيلة للتقارب والتعايش بين اليهود والمسلمين، وقد أحضرت لكم الوسيلة التي احتاجوا فيها إلينا، حتى لو منحناهم حق الحياة، هل سيحفظون الجميل، هل سيكفرون عن ذنوبهم وعن احتقارهم لنا، صدقوني أيها اليهود مهما فعلنا معهم فالنتيجة معروفة لأن العداء مصدره ديني.

وينفعل الأب على ابنه ويسبه ويترك الصبي المدرسة الدينية اليهودية ولا يعود إليها.

وتخاف الأم على ابنها وتنصح الأب بمغادرة المكان ويخرج هو وعائلته من القدس والصبي يبلغ الثالثة عشرة من عمره.

وتتغير ظروف الحاخام شبتاي وتدهامه الشيخوخة، أما الفتى فقد كبر وأصبح ضابطاً في الشرطة وعين في القدس ضابطاً في الحى اليهودى وقد بلغ السابعة والعشرين من عمره.

ولما عرف الحاج أمين هذا سحب زوجته وابنه وذهبا إلى القدس لزيارة الحاخام شبتاي ولما فتح لهم الحاخام شبتاي انهار وقال: أنا لم أفعل شيئا أيها الضابط، فطمأنه الحاج أمين وقال له: إن الضابط هو لكم، والآن سيحافظ على حياتكم.

وتنعقد الكلمات على لسان الحاخام شبتاي وبعد أن شربوا القهوة، غادروا المكان ويندم الحاخام شبتاي ويقول: جاء اليوم ليصبح هو بالذات (مأموراً) الرئيس علينا، لهم العزة والسلطة ولنا الذل والهوان، يحضر اليهود إليه يتوسلون، يطلبون، لماذا تغيرنا عن كل أمة ولغة، إننى أشعر بالذل والهوان.

وتسأله زوجته: لقد بقى على قيد الحياة لأنه احتسمى بظلمنا! فيرد عليها: إن هذا هو الأسى بعينه: نعطيته الحياة بأيدينا. - وقد يصبح وزيراً على إسرائيل، عندئذ نحتسى بظله، نطلب كرمه لماذا؟ وإلى متى؟

واعترض قلبه بداخله على حظ إسرائيل

حيفا - أبريل سنة ١٩٢٨.



الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك .
يُختن منكم كل ذكر . فتختنون فى لحم غرلتكم .
فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام
يُختن منكم كل ذكر فى أجيالكم» .

ولم ينس أن يختتم عمله الأدبى بعبارة « واعتصر
قلبه بداخله على حظ إسرائيل » والمقصود زمن كتابة
العمل الأدبى .

● إن أقصى ما كانوا يحلمون به هو الجلوس
بجانب العربى أو مصافحته فى فلسطين وجاء اليوم
الذى يحدون فيه إقامة رئيسه .

● لقد لفظهم العالم أجمع واحتضنهم المسلمون
وفى النهاية تنكروا لهم

● يعترف الأديب دون وعى منه بأن الله سخط
عليهم لأنه يوجد بينهم رجال السوء فماذا يقولون
الآن وبينهم شارون؟!

أسئلة كثيرة تثار فى الأذهان

● والسؤال الذى يطرح نفسه :

● هل هناك عمل أدبى واحد تناول وجودهم
وتعاملهم مع العرب؟

● هل حاول أديب عربى أن يبرز عشرات
النقائص التى كانت ولا تزال متأصلة فيهم .

● كتبنا الكثير عن الصراع العربى - الصهيونى
باللغة العربية والعالم لا يعرف العربية، كم عدد
الكتب التى ترجمت للغات العالم الحية؟

● هل ترجم أى عمل تناولهم إلى لغات العالم
الحية؟

● هل قمنا عن طريق الأدب بالغور فى العقلية
اليهودية بقصد تعريتها وتقديمها على حقيقتها
للعالم أجمع؟

كما اختار الجيل الثالث « الإين » وهو يمثل جيل
الدولة الجديدة التى ينوون إقامتها على الأرض العربية
ويكاد الأدباء العبريون أن يتفقوا على قتل الجيل
الأول الذى يمثل الأجداد فى أعمالهم الأدبية
وتهميش الجيل الثانى وهو يمثل الآباء، والاهتمام
بإطلاق البطولة على الجيل الثالث، جيل الأحفاد،
حيث نرى أن الابن المولود فى كنفهم، أول ما اشتد
ساعده خرج يؤذى أولاد اليهود وعندما نهزه والداه :
انفعل وصمم على قتل أولاد اليهود جميعا الذين
يمثلون جيله .

وباختصار قال ليهود العالم : لو منحتم العرب حق
الحياة لن تسلموا من شرهم والحل سلب حياتهم،
وهو ما نراه اليوم على الساحة الفلسطينية .

وتناول فى خطابه الدينى موضوع الختان، والختان
هنا له دلالة الخاصة الدينية والدينية التى يفهما
اليهود وقد اختاره الأديب عن وعى ودراسة
سيكولوجية عميقة

فقد ورد فى سفر التكوين بالإصحاح السابع /
٤ : ١١ .

«أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من
الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك
إبراهيم . لأننى أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك
كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون، وأقيم
عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم
عهداً أبدياً . لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك،
وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض
كنعان ملكاً أبدياً . وأكون إلههم .

وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت
ونسلك من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدي



فلسطين وسيلتها أمريكا (*)

للشاعر العربي الأستاذ/ فؤاد الخطيب (**)

قلبت هذه القصيدة منذ خمس وستين عاما وكأنها تصف سياسة أمريكا اليوم

هو الصَّوْتُ دَوًى من فِلَسْطِينِ عَالِيَا	وأوْغَلَ يَغْشَى الشَّرْقَ والغَرْبَ شَاكِيا (١)
فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ «العُروْبَةُ» مِنْ صَدَى	وَهَلْ نَشَدْتَ لِلْعَارِ بِالسَّيْفِ مَاحِيَا (٢)
وَهَلْ خَلَعْتَ عَنْهَا النِّهَارَ تَفْجُّعَا	وَهَلْ لَبِسْتَ حُزْنَآ عَلَيْهَا اللَّيَالِيَا (٣)
وإنْ جَبْنِ الأَحْيَاءُ عَنْ أَخْذِ ثَارِهَا	هَزَزْتُ مِنْ المَوْتِي الجُدُودَ الأوَالِيَا (٤)
وَمَرَّعْتُ وَجْهِي فِي الثَّرَى الثَّمُ الثَّرَى	وَصِحْتُ فَحَرَّكَتُ العِظَامَ البَوَالِيَا (٥)
فأَيْنَ عُهُودُ النَّاكِثِينَ وَمَا ادَّعَوْا	وَكَيْفَ تَوَلَّوْا يَحْمِلُونَ المَخَازِيَا (٦)
فإنْ نَهَشَتْ أَفْوَاهُهُمْ شِلْوَ لَحْمِهَا	وإنْ لَحَسَتْ مِنْهُ الدَّمَ الغَضَّ قَانِيَا (٧)

(*) من الديوان ص ٣٨٦ وتتناول القصيدة عهد الرئيس ترومان الذي أيد الاستعمار الصهيوني بكل ما استطاع.

(**) كان فؤاد الخطيب باشا رئيساً للديوان الأميرى فى شرق الأردن، ثم سفيراً للمملكة العربية السعودية فى أفغانستان، وله ديوان كبير نشرته دار المعارف.

(١) دوى: اشتد وارتفع، أوغل: ذهب بعيداً.

(٢) نشدت: طلبت.

(٣) التفجع: التحسر.

(٤) الأواليا: الأوائل.

(٥) مرَّعْتُ: عفرت وقلَّبت.

(٦) الناكثين: الناقضين لعهودهم، تولوا: أدبروا.

(٧) الشلوا: العضو المفصول عن الأعضاء، الغض: الطرى، قان: أحمر شديد الحمرة.



فَيَاوَيْلَهُمْ مِنْ أَكْثَلَةٍ فِي بُطُونِهِمْ
وَيَا أَيُّهَا الْمُرْتَادُ سِلْعَةً رَجْسِهِمْ
أَيَاذَنْ كُرْسَى «الرَّئَاسَةِ» أَنَّهُ
فَتَنْطِقُ عَنْهُمْ مُنْذِرًا كُلَّ كَاشِحٍ
وَهَلْ وَجَدُوا الْجَبَّارَ «هَيْتَلِر» عَاتِيًا
لِئِنْ قُلَّ، وَهُوَ الْمُوْغَرُ الصَّدْرُ، غَرِبَهُمْ
سَلِ الصَّرَخَاتِ الْفَاجِعَاتِ فَإِنَّهَا
وَجَفَتْ تُدْيُ الرُّضِعَاتِ مِنَ الْأَسَى
سَقَى الدَّمَغُ مِنْهَا كُلَّ طِفْلٍ وَطِفْلَةٍ
وَأَنْتَ تَحْضُ الْمُجْرِمِينَ مُحَرَّضًا
تُعَزِّزُ دِينًا مِنْهُ لَفَّقْتَ «دَوْلَةً»
شَدَدَتْ إِلَيْهَا الرَّحْلَ مِنْ كُلِّ أَبَقٍ
وَحُنْتُ تَرَاثًا لِلْمَسِيحِ مُقَدَّسًا

مَشَى الْمُهْلُ فِيهَا مِنْ جِهَتِهِمْ حَامِيًا^(٨)
رُويْدَكَ سِمَسَارًا بِهَا وَمُرَابِيَا^(٩)
يِرَاكَ وَكِيلًا لِلْيَهُودِ وَدَاعِيَا^(١٠)
وَتُطْلِقُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ الْأَفَاعِيَا^(١١)
كَمَا كُنْتَ جَبَّارًا عَلَى الْعُرْبِ عَاتِيَا^(١٢)
فَإِنَّكَ قَدْ نَكَلْتَ بِالْعُرْبِ بَاغِيَا^(١٣)
لَقَدْ زَلَزَلْتَ حَتَّى الْجِبَالَ الرُّوَاسِيَا^(١٤)
وَأُمَسَتْ تُدْيُ الرُّضِعَاتِ الْمَاقِيَا^(١٥)
وَقَدْ نَضَبَ الدَّمَغُ الَّذِي أَنْصَبَ هَامِيَا^(١٦)
وَتَلَبَّسُ لِلْسُّلَمِ الْمُسُوحِ مُرَائِيَا^(١٧)
صَدَمَتْ بِهَا الْإِسْلَامَ وَالشَّرْقَ غَازِيَا^(١٨)
وَقُمْتَ وَرَاءَ الرُّكْبِ لِلرُّكْبِ حَادِيَا^(١٩)
فَكُنْتُ عَدُوًّا لِلْمَسِيحِ وَقَالِيَا^(٢٠)

(٨) المهل: شراب حار أعد لأهل جهنم.

(٩) المرتاد: الطالب، السلعة: البضاعة، الرجس: القذر.

(١٠) الداعي: النصير الهاتف المؤيد.

(١١) الكاشح: العدو المبيغض، الأفاعي: يذكر بكلمة المسيح لليهود: يا أولاد الأفاعي.

(١٢) هيتلر: الزعيم الألماني وكان من أشد أعداء اليهود، عاتيا: جاوز الحد في الجبروت.

(١٣) قل: كسر، الموغر الصدر: المغيظ الحائق.

(١٤) الرواسي: الثوابت.

(١٥) تُدْيُ: جمع تُدِي، الماقى: مجارى الدموع.

(١٦) نضب: جف، هام: مصبوب.

(١٧) المسوح: ما يلبسه النساك من ملابس التقوى، تحض: تحت.

(١٨) تعزز: تؤيد.

(١٩) أبق: هارب، الحادي: السائق.

(٢٠) قاليا: مبيغضاً.

وَمِنْ «بَيْتِ لَحْمٍ» أَشْرَقَ النُّورُ هَادِيَا (٢١)
 مِنَ الْعُرْبِ إِلَّا عَدَدَكَ الْعُرْبُ جَانِيَا (٢٢)
 وَكُنْتَ لَهَا الزَّئِدَ الَّذِي أُنْدَسَ خَافِيَا (٢٣)
 تَرْقُرَقُ مِنْهَا عِنْدَ الدَّمِ جَارِيَا (٢٤)
 عَلَيْكَ تَبَذُّ الْمُتَرْفَاتِ الْغَوَانِيَا (٢٥)
 وَأَنْفُضُ ذِكْرَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ نَاسِيَا (٢٦)
 لِأَنَّكَ تَأْبَى أَنْ أَصُونَ حَيَاتِيَا (٢٧)
 وَأَرْخَصُ تُرْبًا مِنْ فِلَسْطِينَ غَالِيَا
 تَضُمُّ شَهِيدًا مِنْ بَنَى الْعُرْبِ مَاضِيَا (٢٨)
 وَقَدْ نَبَشْتُ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا (٢٩)
 رَمَيْتُ وَقَدْ أَتَخَنْتُ فِي الْقَوْمِ رَامِيَا (٣٠)
 فَإِنَّ وَرَاءَ الْمَنَعِ لِلْغُلِّ شَافِيَا (٣١)
 وَسَوْفَ أَعِدُّ الطُّفْرَ يَنْبُتُ نَامِيَا (٣٢)
 فَتُبْصِرُ كَيْفَ اللَّيْثُ يَبْطِشُ ضَارِيَا (٣٣)

وَفِي «بَيْتِ لَحْمٍ» أَنْتَ أَطْفَأْتَ نُورَهَا
 وَمَا اخْتَرَقَتْ سَكِينُ «شَيْلُوكَ» مُهْجَةً
 أَلَسْتَ الَّذِي نَصَلْتَهَا فَاسْتَلْتَهَا
 وَكَمْ سَبَقْتَ لِلْقَوْمِ مِنْكَ ضَحِيَّةً
 فَكَانَ خِضَابًا فِي يَدَيْكَ وَزِينَةً
 أَتَذْكُرُهُمْ بَعْدَ الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ
 وَأَنْسِفُ نَفْسِي فِي سَبِيلِ حَيَاتِهِمْ
 وَأَكْفُرُ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَنَا نَبْتُهَا
 وَكُلُّ ذِرَاعٍ مِنْهُ بَلَّ كُلُّ ذَرَّةٍ
 وَتَنْهَضُ بِالتَّارِيخِ فَهُوَ بِمَشْهَدٍ
 وَإِنَّكَ حَرَمْتَ السَّلَاحَ لِأَنِّي
 فَإِنْ زِدْتَ عَنِّي مَا أَبَحْتَ غُرَاتِهِمْ
 فَسَوْفَ أَشُدُّ الْأَزْرَ غَيْرَ مُضْعَضِعٍ
 وَأَشْحَذُ نَابًا بَيْنَ فَكَيِّ طَاحِنًا

(٢٢) شيلوك: اليهودي المراهب المعروف وقد تحدث عنه شكسبير.

(٢٤) عندهم الدم: الدم الأحمر كالعندم، وهو نبت شديد الحمرة.

(٢٦) أنفض: أزيل.

(٢٨) الذراع: من المقاييس، ماضيا: شجاعاً لايبالي.

(٣٠) أتخن: بالغ في الجرح والقتل.

(٣٢) الأز: القوة والظهر، مضضع: مزلزل لايتماسك.

(٢١) بيت لحم: القرية التي ولد فيها المسيح.

(٢٣) نصلتها: جعلت لها نصلا، الزند: الساعد، اندس: استتر.

(٢٥) تبذ: تفوق.

(٢٧) أنسف: أفنى وأهلك.

(٢٩) بمشهد: بمراى العين، الخوالي: المواضي.

(٣١) ذوت: منعت، الغل: الحقد.

(٣٣) أشحد: أسن، الضاري: الذي تعود الافتراس.

أَمِنْ بَعْدِ مَرَمَى الْقَوْمِ مِنْ عُقْرِ دَارِهِمْ
فَإِنْ عَصَفَتْ رِيحُ الْحَوَادِثِ فِي غَدٍ
وَمَا كُنْتُ خَوَّاراً إِذَا الْخَيْلُ أَقْبَلَتْ
هِيَ الْجَوْلَةُ الْأُولَى وَلِلْعَرْبِ كَرَّةٌ
وَقَدْ عَرَفَتْ عَنَّا فِلَسْطِينَ أَنَّنَا
وَكَمْ خَطَرَتْ فِيهَا الرِّمَاحُ عَوَالِيَا
وَقَدْ شَهِدَتْ «حِطِّينُ» كَيْفَ تَحَطَّمَتْ
أَتَبْذُلُ بَيْتِي لِلدَّخِيلِ تَبَرُّعاً
وَيَمْلِكُ أَرْضِي ثُمَّ أَطْلُبُ غَيْرَهَا
وَكَيْفَ أَعْقُ الدَّارَ وَالرَّمْلَ وَالْحَصَى
وَأَكْبَرُ ذَنْبٍ لِي هُوَ «الدِّينُ» وَحَدَهُ
وَلَا أَمْتَدَّ نَحْوِي مِخْلَبُ مِنْكَ مُرْهَفٌ
وَكُلُّ مَسِيحٍ لَدَيْكَ وَمُسْلِمٍ

لَقَدْ جَزَرَ الْبَحْرُ الَّذِي كَانَ طَامِيَا^(٣٤)
سَتَسْمَعُ كَيْفَ الْمَوْجُ يَصْعَقُ طَاغِيَا^(٣٥)
وَقَدْ أَرَخَصَ الْمَجْدُ النُّفُوسَ الْغَوَالِيَا^(٣٦)
وَعَبْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا كَانَ آتِيَا^(٣٧)
وَإِنْ نَحْنُ فَارِقْنَا اسْتَطَعْنَا التَّلَاقِيَا^(٣٨)
وَكَمْ سَفَرْتُ بِيضَ الصَّفَاحِ مَوَاضِيَا^(٣٩)
فَهَلْ حَدَّثْتُ عَنْهَا الْأَعَادِي الْأَعَادِيَا^(٤٠)
وَتُرْغِمُ أَنْفِي أَنْ أَجُوبَ الْفَيَافِيَا^(٤١)
مِنَ الْأَرْضِ أَسْتَجْدِي الْمَهَاجِرَ نَائِيَا^(٤٢)
وَأَنْزَحُ مَبْكِيَا عَلَى وَبَاكِيَا^(٤٣)
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا «الدِّينُ» أَخْشَاكَ عَادِيَا^(٤٤)
فَمَزَقَ مِنِّي الشَّمْلَ يَنْزِفُ دَامِيَا^(٤٥)
يُعَدُّ غَرِيباً عَنِ فِلَسْطِينَ قَاصِيَا^(٤٦)

(٣٥) يصعق: يرسل صوته شديداً.

(٣٧) كرة: رجعة.

(٣٤) عقر الدار: وسطها، جَزَرَ: رجع المد إلى الخلف. طامياً: ممتلئاً.

(٣٦) خواراً: جباناً ضعيفاً، الغواليا: الغالية الثمن.

(٣٨) التلاقي: الرجوع إلى الأرض بعد الهجرة.

(٣٩) خطرت: اهتزت، عواليا: شوامخاً. الصَّفَاح: السيوف العريضة.

(٤٠) حطين: الموقعة الحاسمة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي.

(٤١) ترغم أنفي: تكرهني وتجبرني، الفيافا: الصحارى.

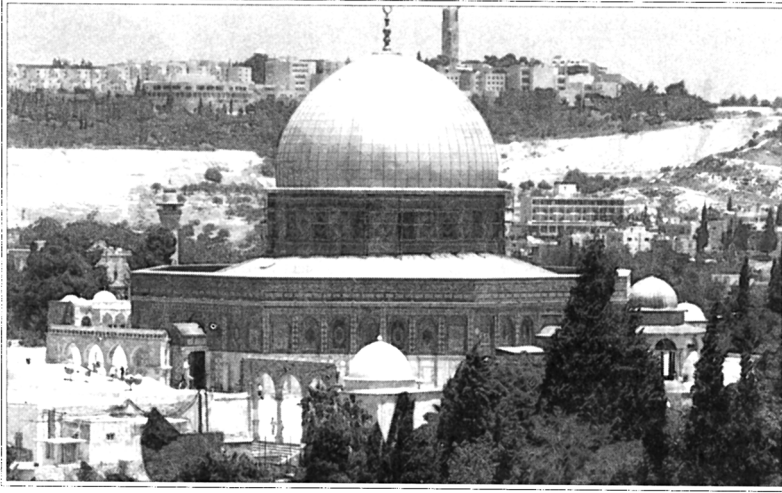
(٤٢) أستجدي: أستعطي وأتسول.

(٤٤) عادياً: ظالماً.

(٤٣) أنزح: أغترب.

(٤٦) قاصياً: بعيداً.

(٤٥) المرهف: الحاد القاطع، ينزف: يسيل.



وَلَوْ هُوَ أَلْقَى «الدِّينَ» عَنْهُ تَمَرُّدًا
وَبَاتَ يَهُودِيَّ «العَقِيدَةَ» رَاضِيًا (٤٧)
لَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي الصَّمِيمِ تَمَكُّنًا
وَكَانَ لَدَيْهَا مِنْ عُتُوكَ نَاجِيًا (٤٨)
وَكُلُّ يَهُودِيٍّ لَدَيْكَ مُخَوَّلٌ
لَهُ الْحُكْمُ يَخْتَارُ الْقُرَى وَالْمَغَانِيَا (٤٩)
وَإِنْ كَانَ زُطِيًّا وَكَانَ ابْنُ غَيَّةٍ
وَأَبْرَصَ بَرَّاقًا وَأَسْحَمَ دَاجِيًا (٥٠)
وَمَا غَابَ «بِلْفُورُ» الَّذِي بَاتَ رِمَّةً
وَقَدْ عَفِنَتْ حَتَّى تَرَاءَيْتَ تَالِيَا (٥١)
وَلَسْتُ أَبَالِي الظَّالِمِينَ وَإِنِّي
سَأَبْعَثُ فِيهِمْ مَا يُشِيبُ النَّوَاصِيَا (٥٢)
وَكَيْفَ يُطَاعُ الْجَوْرُ فِي ظِلِّ جَائِرٍ
يُدْمِرُ شَعْبًا لَمْ يَجِدْ مِنْهُ وَقِيَا (٥٣)
لَهُ الْوَيْلُ إِنَّ اللَّيْلَ يَضُولُ فَانِيًا
وَإِنْ وَرَاءَ الْفَجْرِ لِلْحَقِّ حَامِيَا (٥٤)

(٤٧) يريد تركه كل دين سوى اليهودية.

(٤٩) خوله: ملكه.

(٥١) صار رمة: كناية عن موته، والرمة: الرفات البالية.

(٥٣) الجور: الظلم.

(٤٨) العتو: التجبر والظلم.

(٥٠) الزطى: يريد الخسيس الأصل، ابن غيَّة: ابن غير شرعى.

(٥٢) أبالي: أعبأ وأهتم، النواصي: مقدمة شعر الرأس.

(٥٤) يضل: ينكمش، حامياً: نصيراً.

قصة العدد

وامُثْنِيَا !!

بقلم / عابر سبيل

١ جلست هالة إلى أختها سلمى بنت حفصة اليتيمية تسألها عن زوجها المثنى بن حارثة الشيباني لم يطيل الرحلة مغترباً فلا يرى بمنزله إلا الحين بعد الحين؟
فقلت سلمى : وما في ذلك يا أختاه ! إن زوجي سيد قومه بل سيد بني شيبان جميعاً، وله عليهم حقوق السيادة، حين يحمي الزمار ويمنع الحريم ويكسو العاري ويطعم الجائع ! أفيظلّ قابلاً في منزله، لا ينهض لمروءة، ولا يسير في إصلاح ذات البين، ولا يجمع الأنصار ليوم القتال !

فردت هالة أي قتال يا سلمى ! لماذا لا نعيش في أمن وهدوء ؟
فنظرت سلمى كالمستنكرة وصاحت ! كأنك لا ترين الخيول على شاطئ الفرات يركبها العجم من بني فارس . ليتحكموا فيمن يرون من عرب بكر وربيعة، ويرغموهم على حمل الأثقال، كما يصادرون بعض ما يروقه من الخيل والغنم والإبل، وفيما نحن العرب من يساعدهم على الطغيان ! لقد شاهد المثنى وأخواه المعنى ومسعود بعض ما يفعل هؤلاء، فأقسموا على أن يناوئوا القوم وجها لوجه، وقد دارت المعركة يوم الفرات، حين قاد المثنى بني شيبان ومن انضم إليهم من عرب السواد، ونازل الأعاجم بسيفه حتى شردهم مذعورين، واختلطت دماؤهم بماء الفرات !

فقلت هالة : كانت معركة لا تُنسى، ولكنني أخشى عواقبها المنتظرة، إذ أن الأعاجم لن يسكتوا عن هذه الكارثة : وسيندفعون إلينا بجيش جرار، فماذا نصنع ؟

فابتسمت سلمى وقالت في ثقة : وهل غاب ذلك عن المثنى وعن أخوية المعنى ومسعود إنهم سيسحون في ديار العرب، ليعدّوا العدة ويجمعوا الأبطال، وقد عاد المعنى ومسعود منذ أمد قريب، ومازلنا ننتظر أوبة المثنى، على أنى علمت من مسعود أن رحلته قد تطول !
فشخصت هالة متفحصة وجه سلمى ثم قالت : كأنه أبعد المسير فجاوز السواد إلى ما وراء نجد وتهامة وصار بحيث لا تعلمين مأواه .

فاعتدل المثنى فى مجلسه وتطلع فى وجوه القوم كأنه يريد معرفتهم جميعاً مع إلمام بمن تخلف من كرام قومه، حتى إذا ملك زمام نفسه ابتداءً فقال :

لقد ذهبت إلى المدينة المنورة، وقابلت خليفة رسول الله أبا بكر، وأعلنت إسلامى عن حب واعتقاد، وسرّنى كل السرور ما لمست هناك من حرص على الحق وحرب للباطل، ودعوة إلى الإخاء والتعاطف، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، كما سمعت من سيرة رسول الله ما جعل هذه المعانى واقعاً مشهوداً لاختلاف عليه، وعشت فى مهد الإسلام أياماً هى أجمل ساعات العمر، وأنفس لحظات الحياة، ثم ودّعت الخليفة الراشد، بعد أن عاهدته على البر والتقوى، وجئت فرحاً أعلن لكم مشرق الدين الجديد فى نفسى، ناقلاً شعاعه الوضئ إلى نفوسكم جميعاً، ولكنى فى الطريق بين نجد والفرات سمعت ما أحنّنى ! سمعت أن قبائل من العرب قد ارتدت عن الإسلام، وخرجت عن طاعة خليفة رسول الله . ولم تُبد من الأسباب ما يجعل لخروجها وجهاً من الوجوه غير التحلل من تبعات الرجولة والكرامة والعزة، سمعت ذلك فأدركنى غم لا مزيد عليه، واشتعلت جمرة الغضب فى صدرى، وأنا ما انتظرت دون كلام بينكم الآن، إلا لأخفّف بعض ما أعانى ! حتى دفعنى المعنى إلى الكلام.

صاح المعنى : وماذا سمعت عن موقف أبى بكر من هؤلاء ! أفصح يا مثنى فالأمر خطير؟

قال المثنى : علمت أن المسلمين قد اجتمعوا للتشاور فكان من رأى عمر بن الخطاب أن يترىث أبو بكر فلا يعجل بالحرب، ومعه نفر ينحون منحا، ولكن خليفة رسول الله قد أعلنها مدويةً ،

فعبجت سلمى تقول : بل أعلم أنه رحل إلى المدينة المنورة مشرق الدين الجديد، وقد رأى فى نبي الإسلام عزاً للعرب، ومجداً للقبائل، والمثنى رجل مروءة وفضل، وقد سمع آيات القرآن فلمست شغاف قلبه إذ دعت إلى ما يحب من كريم الخصال وشريف الخلال وسيرجع ظافراً - بإذن الله ! معه الحزم والعزم، ومعه الثقة والإيمان، أنا أدري به ياهالة ! فغدا ستعرفين !

لم تمض أيام حتى رجع المثنى إلى دياره، فسارع القوم إلى لقائه فى شوق، ولكن سحابة من التفكير الجاد أخذت تعلو وجهه وتثنيه عن الكلام إلا قليلاً

فصاح به أخوه المعنى : ما هذا يا مثنى، لم نكد نعلم مجيئك حتى عمنا السرور، وهرعنا للقائك لنسمع ما جدّ من أنباء الإسلام فى مكة والمدينة، وكنا نظن أنك لن تمهلنا لحظة واحدة، حتى تفيض وتسهب، ولكننا نرى فى وجهك حيرة لم نعهد لها ! لقد قارعت الأهوال من قبل فى أعنف مواقف البأس، فلم نر فى قسمات وجهك ما يدل على الأسى لحظة واحدة، ولكنك الآن على غير ما نعهد فنظر المثنى نظرة طويلة ثم قال : صدقت فيما قلت يا معنى، ولو لم تقل كلمة واحدة لقرأت فى وجهك كل ما قلت، كما أقرأ فى وجوهكم جميعاً ما تضمرون، وما سكوتى الآن إلا حصر للمعانى الكثيرة، التى يموج بها صدرى، وأحاول أن أكشف عنها فى ترتيب واضح كيلا ينتشر القول دون تحديد !

قال المعنى :ومتى خالفك المنطق؟ أنت تقول كل شئ فى تعقل واتزان قل يارجل وهات مالديك، فقد زدتنا شوقاً لما تُكن .





صارخة، أنه لا تريث ولا انتظار فهؤلاء مرتدون ! ولا سبيل غير القتال، وفعلًا أعدت الكتائب، وهيئت الجيوش، وقد عازمت على أن أكون معكم على رأس الكتائب المجاهدة، لنؤدى حق الكرامة، ونعوض ما فاتنا حين أسلم الناس فى الجزيرة، وتأخر إسلامنا عنهم، فتحملوا من أعباء الجهاد ما لم نشارك فيه بقلامة ظفر ! لقد جاء أوان الاستدراك ! سرت الحمية فى نفوس بنى بكر بن ربيعة آل المثنى وازدادت اشتعالا فى صدور بنى شيبان أقرب أقرباء البطل الباسل، وصاح مسعود أخو المثنى وكان صامتا يترقب .

يا قوم ! لقد أسفنا كثيرا حين تأخرنا عن ركب الإسلام، ولم يكن منا أحد بين شهداء بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، ومؤتة، وخيبر! ووالله لقد كنت أعتزم الذهاب إلى المدينة لأبحث عن استشهاد فى معركة جديدة وهاهى ذى حرب الردة قد قامت على قدم وساق ففيم النكوص !

صاح المثنى : أى نكوص ! كلنا جنود فى الميدان .

انتهى المجلس المتحمس، ورجع المثنى إلى منزله، فوجد زوجته سلمى تستقبله باسمه، فقال لها : أنت تتكلفين الابتسام يا سلمى، فأنا أعرف أنك غاضبة علىّ إذ ذهبت إلى ندوة بنى شيبان عند رجوعى قبل أن ألمّ بك، ولكنى كنت فى شغل مؤرق وأردت أن أعجل بلقاء القوم فأنفذ ما لدى .

قالت سلمى : أنا سعيدة أبتسم عن إخلاص لا عن تكلف وحين جاءنى النبأ السار بمقدمك، حمدت الله على سلامتك، وقلت : ما اتجه إلى

الندوة مباشرة إلا لأمر جليل، ولو كان فى طوقى أن أحضر مع المجتمعين لسارعت إلى لقائك هناك ولكنى أرسلت أخى « حابس » إلى الندوة ، وقد جاء إلى منذ وقت قصير، وأخبرنى بكل مادار، ففرحت لاعتزامك حرب المرتدين، فقد تهيأ الميدان ابتسم المثنى قائلاً : حياك الله وحيا حابساً أخاك فقد شاركنا الرأى، كما وقر على أن أعيد عليك ما دار هناك، فأنا أعرف شوقك لأنباء القتال ! نظرت سلمى فى تودّد وقالت، أنباء القتال يا مثنى ! شتان بين معارك الأمس ومعارك الغد، لقد كنا فى الجاهلية نقاتل لأمر هينة لا ترتفع إلى ذروة سامية، أما فى الغد فسنقاتل فى نصرة الإسلام، سنقاتل لارتفاع كلمة الله ! ستكون الشهادة تاجا لمن استشهد فتصير عقباه أجزل مثوبة من عقبى الحى المنتصر، لكم أتمنى أن أصحبك فى حرب هؤلاء ! كما صحبتك فى يوم الفرات !

فقال المثنى، كنت رئيس القوم يوم الفرات، فصاحبك فى الحومة عن ارتياح، ولكن قيادة هذه الحرب ستكون للعلاء بن الحضرمى قائد جيوش المسلمين بالبحرين، وقد اتفقت معه على أن أقود كتائب بنى شيبان، ولم يعن لى أن أتحدث عن النساء .

فقالت سلمى : لقد جاءنى الكثير عن أنباء الغزوات النبوية، فعرفت أن السيدات كن يغشين ميادين القتال، لمداداة الجرحى، وتهيئة الزاد، وإصلاح السلاح، وحمل مزاول الماء، وفيهن من جالدت بالسيف وطعنت بالرمح، فالأمر صريح، وليس فى حاجة الى استئذان العلاء، سأكون معك لأشد أزرك بالتشجيع إذا عجزت عن أن أخوض حرّ الصراع !



و كنت أود أن تتجه إلى فارس لتحررها من المجوس
عابدى النار

فعاجلت تقول: ولماذا لا تذهب إلى الخليفة
فتقترح عليه أن يعجل بحرب المجوس، ونحن معه،
إذ أن خبرتنا بالفرس ستكون عامل ترجيح!

فأطرق المثنى بعض الوقت! وقال لسلمى فى
هدوء: لقد اعتزمت أمرا لم أطلعك عليه بعد! لقد
اعتزمت أن أجمع القبائل العربية الضاربة حول
الفرات جميعها، لأتقدمها إلى منازلة العجم تحت
راية الإسلام، لاسيما أن انتصارات حرب الردة قد
زادت من حماسة هؤلاء، وسأجد نفسى أمام
فريقين متواطئين، فريق العرب الذين لم يؤمنوا
بالإسلام بعد، وقد ظلوا على ولائهم لساداتهم من
الفرس، وفريق الأعاجم ذوى الغطرسه والاستعلاء،
وسيطن هؤلاء وأولئك أنى لست وحدى، ولكنى
قائد جيش الخلافة فيمتثلون رعبا وحذرا، وحين
أخذهم على غرة فى المعركة الأولى ستصل الأنباء
إلى أبى بكر فيمدنى بجيش الله!

قالت سلمى: إن أحلامك منذ عرفتك تتحول
إلى حقائق واقعة، جربت ذلك بنفسى معك عدة
مرات، وإخال هذا الحلم قريب التحقيق!

فرد المثنى: قريب التحقيق أو بعيده لا أبالى،
لأنى فى معارك الإسلام قد ضمنت رضوان الله حيا
أو شهيدا، ولا أمل فوق ذلك، ولن يغلب جيش ذو
عقيدة مخلصه ومن أبطاله أسود بكر وربيعه
وتغلب وشيبان!

وما مر أسبوع واحد حتى كانت كتائب المثنى
تنقسم إلى ثلاث فرق، وقد أخذت تساحل الخليج
الفارسى لتبلغ مصب نهري دجلة والفرات، ثلاث

ولم يكذب ينتهى الحديث إلى هذا الموضع، حتى
طرق باب المثنى، وعجلت سلمى باستقبال الوافد،
فإذا هما المعنى بن حارثة ومسعود بن حارثة أخوا
المثنى! فنهض البطل للقائهما، ولم يلبث مسعود
أن قال: وفد الساعة رسول العلاء بن الحضرمى،
ولم يبق مجال للانتظار، وقد شاع الخبر فى منازل
بكر جميعها، ولم أسمع غير صيحات
الاستحسان! وأصوات التكبير تملأ الأذان!

قال المثنى: يا قوم إن الأحداث
تدفعنا، قبل أن نندفع، وإن من أمارات
النجاح أن تجتمع بكر جميعها على رأى
واحد، بل أن تجتمع النساء ليشاركن فى الحومة
فهذه سلمى تتأهب لمصاحبتنا، وإذا علمت نساء
بكر فهن ناهضات واثبات! إننا سنتجه للبحرين
تحت قيادة العلاء ولا ندرى لنا وجهها بعدها،
وإخالنا سنتبع المرتدين فى كل صقع حتى ينقشع
الظلام

تحقق النصر فى حروب الردة بعد أن واصل المثنى
جهاده بالبحرين متتبعا آثار المارقين حتى استولى
على القطيف وتابع الزحف إلى دلتا الفرات، فكان
اسمه يسبقه فيوقع الذعر فى الفلول الهاربة، وله
خيمة ينصبها فى كل صقع يتجه إليه، ومعه
زوجته سلمى تساعده بالرأى والرمح معا! وهكذا
أصبح لربيعة وشيبان قدرهما الراجح فى معارك
الإسلام، وهو قدر يدفع إلى المزيد كى لا يقف عند
حد

قالت سلمى للمثنى: وماذا سيصنع خليفة
رسول الله بعد أن همدت حروب المرتدين؟

فقال المثنى: علمت أن الجيوش الإسلامية
ستتجه إلى بلاد الشام، لتحررها من الرومان،





معركتي الأخيرة بعد حروب الردّة فأذهلت الأساورة
والمرازية، وذوى التيجان الحمراء فأخذوا يعملون لنا
كلّ حساب، وقد اجتمع كسرى بذوى جنده،
ليقول لهم: لا تستهينوا بالمسلمين، لأن العرب قد
اعتزوا بالإسلام، وأرى ألا نترك الفرس يتجمعون
ويعدّون الذخائر انتظارا لما يتوقعون ! ولا بدّ من
عون الخلافة بمدد يقف معنا دون إبطاء .

قال أبو بكر: ومن أين أيها البطل؟ والجيش قد
زحف إلى الشام.

فقال المثنى: علمتُ أن الخليفة أشار بعدم انتظام
المرتدين في غزو الروم، وقد عادوا للإسلام حرمانا
لهم من ثواب الجهاد، ولستُ معه فيما أشار ونقذ،
لأن الذين رجعوا إلى الإسلام بعد الردة يحسّون
مرارة الندم، ويودّون أن يكفروا عن مروقهم في
حرب إسلاميّة تبيض وجوههم بعد سواد، فإذا
أصدر الخليفة أمره بالتجاوز عن جرمهم السالف،
فإنه يفتح الباب واسعا للتوبة النصوح، وسيجد من
يبذل نفسه طواعية ليحوز رضا الله بعد أن جابه
بالعصيان! وأدار أبو بكر الفكرة في رأسه فاقتنع بها،
وقال: على بركة الله يامثنى، قم إلى منبر المسجد
وأعلن خطبتك في الهجوم، وأشعّ ما قررت من
التحاق التائبين بالجيش الغازي، وما أسرع ما اهتبل
البطل السانحة، فانتظر حتى حانت صلاة العصر،
وقدمه عمر بن الخطاب فاعتلى المنبر خاطبا وكان
فيما قال: أيها الناس لا يعظمن عليكم لقاء هذا
الوجه من الفرس، فإننا بنى ربيعة من بكر وشيبان
قد إتسعنا في ريف فارس، وغلبنا الفرس على
السواد جميعه، وما كان معنا أحد من أهل الجزيرة
العربية فإذا انضم إلّ رهط من الفئة المؤمنة فالنصر
دان قريب! ولا أمر أراده الله مات أبو بكر قبل أن

فرق يقودها أبناء حارثة الشيباني: المثنى والمعنى
ومسعود، فأخذ الفرس على غرة وما ثبت منهم من
أحد، وعادت جيوش المثنى مثقلة بالغنائم، سعيدة
بفرحة الانتصار!

هنا قال المثنى لسلمي: لقد تحقق الحلم الأوّل،
وطارت أنباء النصر إلى أبي بكر، وقد علمت أنه
سأل قيس بن عاصم في دهشة: من هذا الرجل
الفرد التي سرتنا وقائعه قبل أن يبلغنا اسمه، فقال
قيس بن عاصم: «إنه المثنى بن حارثة الشيباني،
رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا
ذليل العماد، إنه المثنى» فقال أبو بكر: «ومن
يأتيني به ! فقد عرفته من قبل، إذ أعلن إسلامه
وتهيأ لنصرة الإسلام».

قالت سلمى: وإذن فلا بد أن ترحل إليه،
وستبلغ ما تريد! فقال المثنى: ذلك ما اعتزمت
عليه ولن أحيّد.

ذهب المثنى للقاء الخليفة الراشد وهو في أيامه
الأخيرة، فما رآه حتّى هش له ورحب، وكأنه تفرّس
ما يجول بخاطره من المعاني، فقال له: جئت يا
بطل شيبان وجنودنا تتجه إلى حرب الروم، فقال
المثنى: وماذا يمنع أن نأخذ منها بعضا يشاركنا في
حرب الفرس

قال أبو بكر: ولماذا تتفرق الجنود في جبهتين،
لنعمل على الائتلاف في جبهة واحدة، فإذا كتب
الله النصر زاد الجند إيماننا ويمموا شاطئ الفرات

فانطلق المثنى يقول: يا خليفة رسول الله، كان
الفرس ذوى هيبة في النفوس قبل أن ننازلهم يوم
الفرات، ويوم ذى قار! إذ كان انتصار العرب في
هذين اليومين فاتحة سجل جديد، ثم كانت



فلم تدع المثنى يتكلم، بل صاحت بالقوم، لسنا في الجاهلية كالأمس، ولكننا اليوم في سبيل الله! سيان أن يكون المثنى وأخواه في المقدمة أو الساقة فعين الله تنظر، والشهادة هي الموعد!

وفي الجبهة الأخرى أخذ رستم قائد الفرس يحشد عشرات الآلاف من أبطال المجوس مصمما على أن يقذف بالعرب نهائيا من أرض العراق، ومعه الخيول والفيلة والسلاسل، أما الخيول، والفيلة فمما يتوقعان، وأما السلاسل فقد أعدها ليربط بها الجنود في المعركة فلا يستطيع أحد أن يفر إذا التهببت النار! ورأى المثنى كثافة الجيش الفارسي إذ بلغ أضعاف الجيش العربي، فتأكد أن في استطاعة الكثرة الكاثرة أن تطوق القلة القليلة بسيج لتجده منه البراح، فأشار على أبي عبيد أن ينسحب من الحيرة إلى خفاح إذ يجد في الصحراء ملاذا للانسحاب إذا ضاق به الأمر وكانت المشورة سديدة قبلها القائد في ارتياح فانتقلت الحرب من ميدان إلى ميدان.

ليت أبا عبيد - رحمه الله - واصل استماعه لمشورة المثنى، فقد اقترح البطل الشيباني ألا يعبر المسلمون الجسر إلى قتال الفرس، بل يتركونهم كي يتقدموا، فإذا اضطروا إلى الانسحاب لم يعق فريقهم مد الفرات، ولكن أبا عبيد صمم على أن يتقدم إلى الفرس بكتائبه عابرا جسر الفرات، ومادري أن الفيلة تفاجيء المسلمين لأول مرة في الميدان وقد أحدثت الرعب في الصفوف، وكان من الحزم أن يتقهقروا ليتدبروا الأمر ولكن أحد المتحمسين من العرب قد هدم الجسر ليجبرهم على الانتظار، واندفعت الفيلة فاندفع الفارون إلى الماء غرقى في لجة المتلاطم، وأدرك المثنى هول

يرحل المثنى بجيشه فنهض عمر بإعداد الجحفل المنشود، وجعل قيادته لخالد بن الوليد، ولم يحمل البطل الشيباني في نفسه شيئا لإمارة خالد، إذ كان من التسامى بحيث قدر رأى أمير المؤمنين وأطاعه مرتاحا قريرا، فسيان لديه أن يرأس الجيش أو يرأس سواه، متى اجتمعت الكلمة على الهدف المنشود.

رجع المثنى إلى عرينه، فأسرع بتهيئة الكتائب، وقدم المعنى ومسعودا أخويه لخالد بن الوليد، وقال إنهما يخبران ساحة المنطقة، ويعرفان أماكن الكر والفر على شواطئ الفرات، ولخالد فراسة حازمة فقد ناقش البطليين مناقشة الدارس المتفحص، ورأى أن يكونا رائدي في المعارك المفاجئة، ولم يكن من خطة سيف الله أن يضيع الفرصة بالترقب والانتظار، خشية أن يفطن العدو إلى نقطة ضعف لم تكن معلومة لديه فيفاجئه بما يعوق نجاحه، فأمر بالزحف السريع، ودار القتال في معارك الوجة وذات السلاسل والأنبار ظافرة مكتسحة، وانتظر المثنى أن يواصل مسيرة النصر حتى ترفرف راية الحق، ولكن عمر عجل باستدعاء خالد ليقود معركة اليرموك بالشام، واستجاب القائد الظافر، ونظر المثنى فإذا العبء يقع عليه وحده بعد أن قال له خالد: ارجع إلى إمارتك منصورا فأنت سيد الموقف، ولم يكن سيف الله يعلم أن أمرا صدر من قيادة المدينة بتولية أبي عبيد بن مسعود.

إن النفوس الطاهرة ذات المعدن الذهبي الأصيل لترتفع عن مطامع الأنانية المريضة، وبعض الذين فاجأهم تأمير أبي عبيد من أبطال بكر وربيعة وأسد وشيبان قد قدموا للمثنى، وفي عيونهم ما ينبئ عن الاعتراض، وقد عرف البطل ما تكن النفوس، بل إن سلمى زوجته قد لحت في الوجوه ما ينبئ بالثورة،





أراك غير مبتسمة، فأعدى سمعك لتتقلنى عنى
كل ما أقول . . ولم تك غير ساعات حتى صاح
الصائحون مات المثنى إلى رحمة الله!

ثم جاء بطل القادسية سعد بن أبى وقاص
ليتولى زمام الأمر بعد خالد وأبى عبيد والمثنى،
فسارعت سلمى بنت حفصة التيمية، والمعنى بن
حارثة الشيباني للقائه، وقد بهراه بما أبدى من
المشورة، وأظهرها من إخلاص، فأخذ يترحم على
المثنى، وقابل أبطال البويب فحدثوه عن جهاد
المثنى وأخويه وزوجته بما ملأ صدره إعجابا، وكان
من تقاليد العرب حينئذ إذا ترملت زوجة قائد
باسل أن يبنى بها خلفه لتظل محفوظة الكرامة
فلا تهون، وعرض سعد على سلمى أن يقترن
بها! وقال: إنه يريد أن يكون قريبا من نفسها،
فيعلم من أمور الحرب ما يجهل، وستكون صاحبة
مشورته كما كانت عند المثنى! ورأت سلمى أن
الرجل فى حاجة إليها فأجابت!

وفى يوم القادسية أصيب سعد بمرض عاقه عن
القيادة فأخذ يدير المعركة من نافذة القصر وقد
جالت الفيلة ببأسها الشديد فى قبائل أسد
وبجيله وبكر، فأحدثت فرعا رهيبا بين
المسلمين، ورأت سلمى ماحل بالقوم، فامتطت
فرسها صارخة «وامثنياه! ولا مثنى اليوم
للحرب!» وسمع المسلمون نداء سلمى وعز
عليهم أن تصرخ باكية، فتهادوا على الموت
مستبسلين، حتى تم النصر بعد هول هائل لا يحد
مداه، ورجعت سلمى إلى سعد، فقال لها: رحم
الله المثنى، فقد جلب النصر ميتا، كما جلبه حيا
من قبل!

قالت سلمى: يرحمنا الله جميعا ياسعد!

المأساة فجازف بنفسه ومعه أخواه صامدين أمام
المعبر ليبنى الجسر من جديد، وكانت بطولة
خارقة أسعفت الكثيرين، ولكن الضحايا قد
تهادوا قبل بناء الجسر فبلغوا قدرا يؤسى عليه،
وفيهم القائد المتحمس أبو عبيد بن مسعود -
يرحمه الله!

وإذا كانت الحرب سجالا، يوم لك ويوم
عليك، فقد انتقم المثنى ليوم الجسر بما حازه من
النصر الظافر فى معركة البويب، وقد عرف جزع
المسلمين من الفيلة فأعد أمضى السيوف بأسا،
وتقدم ليضرب الفيل المهاجم فى محجر عينه إذ
لا يحول الجلد الصفيق عن إصابته، وارتاع الفيل
ففر ومن ورائه مئات الفيلة، وتركت المعركة
للخيول والسيوف، وسقط مسعود أخو المثنى
صريعا، فصاح المثنى، يابنى الإسلام كلنا مسعود
فلا تهنوا هكذا الشهادة يا قوم! وأخذ يندفع
وكأنه يطلب الشهادة عامدا، حتى النصر ولكنه
عاد منه مثخنا بالجراح!

أحس البطل أن يومه قد حان، لأن جراحه فى
معركة البويب كانت أكثر من أن تحتمل، فدعا
المعنى أخاه، وزوجته سلمى، وقال فى صبر: لا
أظن أجلى سيمتد، ولكنى أسمعكم وصيتى
الحربية للقائد الجديد حين يفد من المدينة، فهو لا
يعرف شيئا عن طبيعة المكان، وعليه أن يحاذر
ما وقعنا فيه من أخطاء، وأخذ يحدد أمورا كانت
غائبة عن الحسبان، وفى تذكرها ما يغير وجه
المعركة من هزيمة إلى انتصار، وكان وجهه مؤثقا
بالبشر وهو يتحدث! ثم نظر فوجد زوجته سلمى
تجهش بالبكاء فصاح بها، أتبكين ياسلمى وقد
أديت واجبى وتطلعت إلى رحمة الله! كلا لن

لسنا إرهابيين

مراحل القتال في الإسلام وضوابطه

للمستاذ الدكتور / عبد العظيم الطعنى

المرحلة الأولى : مرحلة الحظر، فقد قضى الإسلام ثلاثة عشر عاماً من عمره المبكر كان القتال فيها محظوراً . وهى الفترة التى قضاهها الإسلام فى مهده الأول (مكة المكرمة) قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، وكان السابقون إلى الإسلام إذا أرادوا قتال المشركين لدفع أذاهم كان الرسول ﷺ يقول لهم :

«إني لم أؤذن بقتالهم، فلعجأوا إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين فراراً بدينهم .
المرحلة الثانية : مرحلة الإذن بالقتال، بدأت هذه المرحلة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة . وبعد أن هبأ النبي ﷺ ، المناخ لقيام الدولة الإسلامية الناشئة، ولأول مرة فى التاريخ، بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وعقد الاتفاقية مع اليهود . وعمل الصحيفة الجامعة، التى كانت بمثابة دستور حددت فيه الحقوق والواجبات بين أهل المدينة كلهم . وتحديد العلاقات بينهم .
وكان أول منازل فى هذا الشأن قوله تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿١﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَفِرُّونَ إِلَى الْآثِنِ يَقُولُوا يَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَهُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَتَمَّتْ صُورَةُ بَيْعِ وَصْلَتٍ وَمَسْجِدٌ كَرَفِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسَ نَصْرُكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢﴾ ﴾ (١) .

لا ننكر أن مبدأ القتال موجود فى الإسلام، وهذا أمر لا يضيره، ولا يسمح فى الوقت نفسه باتهامه بالإرهاب والعنف؛ لأنه أولاً مبدأ عام وسنة من سنن الحياة لا تخلو منه رسالات السماء ولا النظم الوضعية، على اختلاف منازعها.

ولأنه ثانياً، خاضع فى الإسلام لجموعة من الضوابط والقيم الأخلاقية، بما ليس له وجود فى غير الإسلام وقد مروض القتال فى الإسلام بعدة مراحل نذكرها قبل ذكر الضوابط التى يلزم فى إطارها القتال.



إنه ليس قتالاً للتوسع على حساب الغير، وليس قتالاً من أجل عصبية أو فرض الإسلام على الناس، وهم له رافضون وليس قتالاً لحو الكفر من الوجود كما يزعم الحاقدون على الإسلام.

إنه قتال في مواجهة قتال، ولا يملك أحد أن ينكر على الإسلام شرعية القتال الدفاعي عن الأنفس والديار وحماية العقيدة التي جاءت بها رسل الله، رسولا تلو رسول، حتى ختموا بالرسول الخاتم محمد ﷺ.

الآيات التي تقدمت ذكرت طائفة من ضوابط القتال في الاسلام. وهي:

● أن يكون القتال في الإسلام جهاداً خالصاً في سبيل الله لا من أجل فرض زعامات أو مبادئ أرضية أو عنصرية أو أطماع خسيسة، أو حب السيطرة.

● أن يكون قتالاً في مواجهة قتال، لا عدوان فيه.

● أن لا يعتدى المقاتلون المسلمون على أحد من غير الذين يحملون السلاح ويقاتلوننا، أو الذين يؤدون خدمات مباشرة لصالح العدو الحامل سلاحاً.

وبذلك كان الإسلام أول من شرع عدم الاعتداء على الأهداف المدنية كالنساء والأطفال والشيخوخ والأحبار والرهبان في معابدهم، والدور والزروع والأشجار والماشية

ومن أبرز ما يلاحظ هنا، أن الإذن بالقتال كان استجابة لحاجة ملحة، فهو لم يؤذن به ليكون وسيلة اعتداء، بل لدفع ظلم واقع من قوى جائرة، على طوائف لم تجرم في حق أحد فالقتال المأذون فيه قتال دفاع عن النفس والعقيدة وبعد صدور الإذن بالقتال أصبح مباحاً لا واجباً ولا محظوراً.

وكان التطبيق العملي للإذن بالقتال انتشار مجموعات صغيرة (السرايا) مسلحة بأسلحة خفيفة، تخرج وتتجول حول المدينة في شكل دوريات أمنية نشطة. لا تعتدى على أحد.

المرحلة الثالثة: مرحلة الأمر الوجوبى بالقتال، وكان لابد منها، إذ كثرت الأطماع من أعداء الاسلام في الإغارة على المدينة، وحشدوا الحشود وأعدوا العدة. وكان لابد من الدفاع عنها. وصد المغيرين عليها.

ففي شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة، وقبل غزوة بدر الكبرى، نزل الأمر الوجوبى بالقتال في قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونََكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١١) ﴿٢﴾.

فالقتال المأمور بوجوبه في الإسلام، قتال دفاعي لا عدواني قتال لرد عدوان وخطر واقع فعلاً، أو متوقعا قامت الدلائل على وشك وقوعه.

(٢) البقرة (١٩٠).





العدو، فلإمام المسلمين (رئيس الدولة) أن يسلك معهم بعد انتهاء الحرب واحداً من أمرين:

إما أن يمن على الأسرى ويخلي سبيلهم مجاناً، وإما أن يأخذ فدية من القادرين منهم، وكان في إمكان القرآن أن يأمر بقتلهم لو كان الإسلام دين عنف وإرهاب.

وفي الحديث الشريف:

«لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا»^(٦).

ومما تقدم ندرك أن ضوابط الإسلام في شئون القتال ثلاثة أنواع:

الأول: ضوابط وقيم أخلاقية قبل البدء في القتال.

الثاني: ضوابط وقيم أخلاقية في أثناء القتال.

الثالث: ضوابط وقيم أخلاقية بعد توقف القتال.

فأين - اذن - حروب العصر الغاشمة، الظالمة، أين هي من عدالة الحرب الإسلامية وضوابطها الحكيمة الرحيمة؟.

كل هذه المعاني مندرجة تحت قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾.

● التخويف والتحذير لجماعة المسلمين المقاتلين من تجاوز القيم الأخلاقية في القتال: «إن الله لا يحب المعتدين»

● الاستجابة الفورية لوقف القتال إذا بدرت من العدو بواد صادقة على وقف القتال من جانبه وفي تقرير هذا المبدأ السلمى العظيم نزل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ جَحَرُوا لَكَ فَاجْحَرْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣)

● جواز العفو عن الأسرى بعد أن تضع الحرب أوزارها مع معاملتهم بالحسنى. وفي هذا نزلت الآيتان الكريمتان:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبٌ لَمْ يَأْتِيكُمْ مِنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِ مَأْمَنًا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٥).

ففى هذه الآية شدة على من بدأنا بالقتال، ثم رحمة على من يقع فى الأسر من

(٣) الأنفال (٦١).

(٤) الأنفال (٧٠).

(٥) محمد (٤).

(٦) فتح البارى (١٠ / ١٩٠).

الأمة الوارثة.. وسائر التماكين

للككتور / محمد فتوح والي

ما أحوج المسلمين اليوم إلى من يرد عليهم إيمانهم بأنفسهم وثقتهم بماضيهم.. ورجاءهم في مستقبلهم.. وما أحوجهم لمن يرد عليهم إيمانهم بهذا الدين، الذي يحملون اسمه، ويجهلون كنهه ويأخذونه بالوراثة أكثر مما يتخذونه بالمعرفة واليقين. وتزداد تلك الحاجة إلحاحاً أمام تلك الهجمات الشرسة التي تشن على الإسلام بصور مختلفة، وبطرق متعددة، يجمعها جميعاً الرغبة العارمة في القضاء على هذا الدين عقيدة وشريعة، ونظاماً للحياة، يحدوها أمل جديد، ويدفعها حقد قديم، ويغريها غياب فكري عن بعض أهل الإسلام. ممن تربوا على أفكار الغرب، وتشبعوا بفلسفته. وتلقوا تعليمهم في مدارسهم. مما أطمع أهل الغرب في سهولة إنجاز مهمتهم. وإحكام قبضتهم ونشر عقيدتهم، والإجهاز على ما تبقى من شريعة الإسلام.

في مخاطبة العقول وإسعاد القلوب. وتلك الأسباب التي امتاز بها الإسلام هي التي ملأت قلب الغرب رعباً، وحملته على اتخاذ موقف العداء القوي، والانقضاض الوحشي على كل مايوحى بالقوة، أو يشعر بالتميز، أو يشير إلى امتلاك مقومات القيادة للأرض مادياً أو معنوياً. وإن ذهب يغطي ذلك العداء بغطاء وهمي صنعه بمكر. وجهز الدعاية له بذكاء، وهياً أذهان العالم لقبوله بدهاء، فراح يعلن الحرب على الإرهاب لافتة، ويمارس الحرب على

ولما كانت الشيوعية قد سقطت فكرة ونظاماً، فإنه لم يبق أمام الغرب نظام يخشى أثره، ويتقى خطره، ويملك أسباب السيادة ومقومات القيادة إلا الإسلام ويكمن خطر المنهج الإسلامي في نظر الغرب في قدرته الفائقة على إقناع العقول، وإمتاع النفوس والتسلل في سهولة ويسر إلى القلوب. كما يكمن في قدرته على الاتساع والانتشار، وتملكه لأسباب السيادة والقيادة والاستعلاء الشامخ على كل تخطيطات الغرب التي فشلت

الضرورى أن أميط اللثام عن مكانة منهج الإسلام بين جميع مناهج الأرض كما حددها الله، وكما أراد لها أن تكون.

هذا الإسلام الذى جهله الغرب فمضى يحاربه بقوة، ويسعى للقضاء عليه فى لدادة وغلظة. وجهله أهله من المسلمين فأداروا ظهورهم له، واستقبلوا جحيم الغرب يحسبون سرايه ماء، حتى إذا جاؤوه لم يجدوه شيئاً.

وماذا يمكن أن يجد المسلمون عند أناس قطعوا صلاتهم بربهم وأعلنوا الحرب على خالقهم عندما دعاهم للإيمان به فكفروا، وأخذ عليهم العهد فغدروا، واثمنهم على كتبه فحرفوها، وعلى شريعته فعطلوها وأفسدوها، فاستحقوا الطرد من رحمته، والحرمان من معيته، ولم يعودوا أهلاً لحمل أمانته وتبليغ دعوته.

وقصة استخلاف الله لأهل الكتاب مبسطة فى كتاب الله - تعالى - يقصها الله علينا تبصرة وذكرى، وبياناً لنعمته علينا، حيث عافانا مما ابتلاهم به وحذرنا مما وقعوا فيه، من استبدال الكفر بالإيمان.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (١).

وقال الله:

﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢).

ذلك هو نص العهد الذى أخذه الله - سبحانه وتعالى - على بنى إسرائيل وهذا هو الميثاق الذى عاهدهم عليه، واضحة بنوده، ظاهرة حدوده، يشتمل على وعد كريم، ينشط النفوس السوية إلى سرعة التنفيذ، وإحسان التطبيق، وهو الوعد الكريم بمعيته وحسن مثوبته، وشمولهم برحمته، ومحو ذنوبهم، وتكفير سيئاتهم وإدخالهم جنته.

وبجانب هذا الوعد الكريم يخوفهم من مخالفته، ويهدد من يقعد عن التنفيذ، ويكسل عن التطبيق بجزاء تنخلع منه النفوس، وتقشعر منه الجلود، وتوجل من هوله القلوب، وذلك فى قوله:

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

لكن نتيجة هذا الميثاق العظيم وهذا الوعد الكريم تأتى مذهلة مرعبة كما حكاها ربنا بقوله:

﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (٣).

(٢) المائدة «١٢».

(١) المائدة «١٢».

(٣) المائدة «١٣».

وتأمل معنى أيضاً كلمة: ﴿خَائِنَةٌ﴾ حيث جاءت نكرة لتفيد عموم الخيانة «الفعلة الخائنة.. والنية الخائنة.. والكلمة الخائنة والنظرة الخائنة. يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة ﴿خَائِنَةٌ﴾ لتبقى الخيانة وحدها مجردة تملأ الجو وتلقى ظلالها وحدها على القوم. فهذا هو جوهر جبلتهم وهذا هو جوهر موقفهم مع الرسول ﷺ ومع الجماعة المسلمة».

تلك كانت تجربة مع أهل الكتاب الذين يشاركوننا اليوم عمارة هذا الكوكب.. وتلك كانت نتيجة التجربة وتأبى إرادة الله - سبحانه وتعالى - ورحمته أن يترك الأرض بغير قيادة، أو يترك أمرها إلى قيادة غير ربانية، تعبد هواها وتخضع لشرطانها.

ومن هنا كان هذا الخطاب الإلهي الكريم لأهل الكتاب، يسجل عليهم أنهم مدعوون إلى الإسلام. مدعوون إلى الإيمان بهذا الرسول ونصره وتأييده. كما أخذ عليهم ميثاقه. ويسجل عليهم شهادته سبحانه بأن هذا النبي الأمي هو رسوله إليهم - كما أنه رسول إلى العرب، وإلى الناس كافة - فلا مجال لإنكار رسالته فهي من عند الله أولاً، ولا مجال للدعاء بأن رسالته مقتصرة على العرب، أو ليست موجهة إلى أهل الكتاب ثانياً.

وبين لهم طبيعة ما جاء به هذا الرسول ووظيفته في الحياة البشرية بقوله:

يقول صاحب الظلال: «لقد نقضوا ميثاقهم مع الله.. قتلوا أنبياءهم بغير حق، وبيتوا القتل والصلب لعيسى - عليه السلام - وهو آخر أنبيائهم، وحرفوا كتابهم - التوراة - ونسوا شرائعها فلم ينفذوها ووقفوا من خاتم الأنبياء ﷺ موقفاً لئيماً مأكراً عنيداً، وخانوه، وخانوا موافقهم معه.. فبأوا بالطرد من رحمته وقست قلوبهم فلم تعد صالحة لاستقبال هدى الله» (٤).

ولم يقف أمر اليهود في عداوتهم لربهم عند مجرد العصيان والجمود بل تطاولوا عليه سبحانه فقالوا:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا﴾
﴿يَمَّا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (٥).

بل زادوا في تطاولهم عليه سبحانه فقالوا:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (٦) وقد أجمل

الحق - سبحانه وتعالى - أبرز صفاتهم، التي تحدد جوهر جبلتهم، وتكشف عمق جريمتهم بقوله:

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧)

وتأمل معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ لنرى أبدية وقوع الخيانة منهم ما بقيت منهم بقية إلى يوم القيامة، فبجانب دلالة الفعل بنفسه على الاستمرار، فإن مجيئه مضارعاً يفيد التجدد والحدوث. وهو ما يجب أن تفهمه أمتنا عند تعاملها مع هذه الفئة الكافرة الماكرة الجاحدة الخائنة إلى أن تقوم الساعة.

(٥) المائدة «٦٤».

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/٨٦٢.

(٧) المائدة «١٣».

(٦) آل عمران «١٨١».



الحق - سبحانه وتعالى - إليه هذا الرسول العربى الأمين. وأن يوجهه إلى مخاطبة أهل الكتاب إعلاناً لمسئوليته عنهم وتكليفهم بالاستماع إليه:

﴿قُلْ يَأْهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١٠).

والمأمل فى الآية الكريمة يلاحظ أنها صدرت بفعل أمر للرسول ﷺ يحمله تكاليف دعوة أهل الكتاب وانتهت الآية بفعل أمر للمسلمين بأن يتميزوا بإسلامهم ويعتزوا بانتسابهم إلى ربهم، وأن يعلنوا فى عزة وفخر هذا الانتساب الكريم. فى مقابل انحياز أهل الباطل إلى باطلهم، وإصرارهم على عنادهم واغترارهم بقوتهم واعتزازهم بسلطانهم. وهذه العبارة على قصرها هى أقوى أسلحة هذه الأمة وأعظم مؤهلاتها أمام التحدى الحضارى المفروض علينا اليوم.

إن التزام المسلمين بإسلامهم، واعتصامهم بكتابهم، واستعلائهم بدينهم: عقيدة وشريعة ونظاماً. يعنى استكمال المسلمين لمقومات الأمة الوارثة، كما يعنى قدرة تلك الأمة على تولى زمام القيادة دون انحياز لعنصر أو لون أو لغة أو جنس وإنما هو الانحياز لمنهج الله وحده، حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله.

إن الشهادة بأننا مسلمون تعنى وراثة الكتاب، وتولى القيادة وإخلاص الوجهة، وإعلان الحكم

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٨)

وهما وصفان لهذا المنهج العظيم الذى جاء به الرسول الكريم. أما مهمة هذا النور الذى اختص الله به نبيه وأرسله به إلى العالمين فهو هداية أهل الأرض جميعاً إلى سبل السلام، إنه «السلام» هو مايسكبه هذا الدين فى الحياة كلها.. سلام الفرد وسلام الجماعة.. وسلام العالم. سلام الضمير وسلام العقل وسلام الجوارح. سلام البيت وسلام الأسرة وسلام المجتمع والأمة وسلام البشر والإنسانية. السلام مع الحياة.. والسلام مع الكون والسلام مع الله رب الكون والحياة.. ذلك السلام الذى لاتجده البشرية ولم تجده يوماً إلا فى هذا الدين، وإلا فى منهجه ونظامه وشريعته ومجتمعه الذى يقوم على عقيدته وشريعته.

ويؤكد الحق - سبحانه وتعالى - هذا النداء بدعوة أهل الكتاب مرة أخرى إلى الاستماع لما جاء به رسول الله ﷺ بقوله:

﴿يَأْهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٩).

وبهذه المواجهة الحاسمة لاتعود لأهل الكتاب جميعاً حجة من الحجج، فى أن هذا الرسول الأسمى لم يرسل إليهم فالله - سبحانه - يقول:

﴿يَأْهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾.

وبالاه من مقام كريم وشرف عظيم - أن ينسب

(٩) المائدة «١٩».

(٨) المائدة «١٥».

(١٠) آل عمران «٦٤».



الرسول للقتال سبعاً وعشرين مرة في عشرين سنين، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلي عن الدنيا، وهانت عليهم رزية أبنائهم ونسائهم في نفوسهم، وانحلت العقدة الكبرى عقدة الكفر والشرك فانحلت العقد كلها، وجاهدتهم الرسول جهاده الأول في ميدان نفوسهم وانتصر على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة.

حتى اذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة ولا تستخفهم قوة، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم، ودعاة إلى دين الله واستخلفهم الرسول ﷺ في عمله ولحق بالرفيق الأعلى قرير العين من أمته ورسالته (١٢).

وإذا كانت البشرية بالأمس قد وجدت لها من جنود الله من يروض جموحها ويكسر شوكتها، ويتوجه بها إلى الله - تعالى - فمن لجاهلية هذا العصر؟! وهى التى شأنها أوعر، وحقيقتها أخبث ومواجهتها أشد وأعنف.

هذا ماسنحاول بيانه فى وقت يحين بإذن الله تعالى.

لله رب العالمين، وهذا يعنى بداية إعداد الأمة لتحمل أعباء قيادة البشرية بمنهج الله إلى الله، وكان بداية هذا الإعداد تكوين القيادة الربانية ممثلة فى رسول الله ﷺ على عين الله الذى ناداه بقوله:

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (١١).

ورياه على لذة القرب، وجلال الحب بالقيام الدائم بين يديه تهيفة لتلقى وحيه واستقبال أمانته.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (١٢).

ثم يقوم الرسول ﷺ فى أصحابه يعدهم لأعظم أمانة وأخلد رسالة « يغذى أرواحهم بالقرآن، ويربى نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات فى اليوم، عن طهارة بدن، وخشوع قلب وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب، ونظافة خلق وتحرراً من سلطان الماديات، ومقاومة للشهوات ونزوعاً إلى رب الأرض والسموات، وبأخذهم بالصبر على الأذى، والصفح الجميل وقهر النفس، ولم يزل الرسول ﷺ يربيههم تربية دقيقة عميقة ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم، ويذكرى جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول ﷺ تزيدهم رسوخاً فى الدين وعزوفاً عن الشهوات وتفانياً فى سبيل المروضة، وحينئذ إلى الجنة، وحرصاً على العلم وفقهاً فى الدين يطيعون الرسول فى المنشط والمكروه، وينفرون فى سبيل الله خفافاً وثقلاً، قد خرجوا مع

(١٢) المزمّل «٥».

(١١) الطور «٤٨».

(١٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبى الحسن الندوى ط ١٩٩٠ ص ١٢٧.

حَضَارَةُ قَوْمِ نُوحٍ

للدكتور / على أحمد على

١

قوم نوح - عليه الصلاة والسلام - يعتبرون القبيلة الأولى البارزة - في وضوح - من بعد الأسرة الأولى - أسرة آدم - عليه الصلاة والسلام - وذلك ما علمناه من التنزيل العزيز، ولقد يكون من بعد آدم ومن قبل نوح قبيلة أوقبائل، وذلك أمر وارد قطعاً، لكننا لكي نريد تحديداً دقيقاً لموضوعنا.. نقول: نحن لا نعلم قوماً من قبل نوح أرسل فيهم رسول يبين إلا قوم نوح هؤلاء، فأما قوم «إدريس» - عليه الصلاة والسلام - فلا قطع حاسماً بين أيدينا يذكر لنا أنهم من قبل نوح، ففي الأمر خلاف؛ أكانوا قبله أم من بعده، وما تطرق إليه الاحتمال تركنا أمره حتى حين، ندرس عن يقين حقيقة مؤكدة، ولن تكون من بعد آدم إلا في قوم نوح وليس من شك أن قبل هؤلاء القوم أسرا وأباء بدليل قول الملائكة من قوم نوح للناس في معرض تكذيبهم لرسالته، ورغبتهم في صرف الناس عن دعوته:

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (١).

ونود أن نوضح - ابتداءً - أن هذا البحث ليس مختصاً بديانتهم، وإنما هو مختص بدراسة حضارتهم، وقد نخرج إلى ديارتهم وإلى رسالة نوح عرضاً يخص أيضاً دراسة الحضارة، لأن «الدين» أساس فيها، ولنبدأ بما يجب البدء به، أعني: مكان قوم نوح - عليه الصلاة والسلام - فإين كانت مساكن قوم نوح..؟

إن حديث القرآن الكريم يؤكد لنا أنهم آخر ذراري آدم - عليه السلام - ذلك أن نوحاً - إذ نجا هو ومن آمن من قومه من بعد الطوفان - يعتبر أبا البشرية الثاني، فإين كانت - إذاً - مساكن الها الكين المكذبين من أمته؟

(١) المؤمنون (٢٤).

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (٣)

وقد ذهب بعض المفسرين، ومنهم الإمام النيسابوري إلى جواز أن تكون مساكن «عاد» قوم «هود» هي نفس مساكن الهلكى من قوم نوح خلفهم «عاد» (٤) عليها، قال - رحمه الله: أى خلفتموهم فى الأرض، أو جعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع أه (٥).

وما ذهب إليه الإمام النيسابورى بتفصيل ذهب إليه الأئمة: الزمخشري، ووافقه النسفى والخازن. كل فى أحد القولين المبسوطين ثمت (٦).

ونزید - أيضا - بيانا لهذا القرب - بما ظهر فى الجزيرة العربية من أوثان قوم نوح - عليه السلام فقد روى البخارى فى صحيحه - بسنده إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال:

صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد: أما (ودّ) كانت بدومة الجندل، وأما (سُواع) كانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراء، ثم لبنى غطيف بالجوف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحمير آل ذى الكلاع (٧).

وكان لرسول الله ﷺ بعوث لهدمها، ذكرتها كتب السير فى تاريخه - عليه الصلاة والسلام - على أنا نلاحظ - بوضوح - أن أماكن هذه الأوثان شملت أعالي الجزيرة وجنوبها.

إننا نتلمس الإجابة عن هذا السؤال لدى الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد، من كتابه: (سكان هذا الكوكب) حين تعرض لبحث «مكان نشأة الإنسان» على هذا الكوكب، وركز - رحمه الله تعالى - فى بحثه، فى هذا العهد السحيق، على «مكان» هذه النشأة، ورأى أنه ينبغى أن يتوفر لهذا المكان أمران حيويان:

أ- إمكان الحياة فيه.

ب- ويسر ارتياد الإنسان منه لمناطق المعمورة شرقا وغربا.

وانتهى - رحمة الله عليه - إلى خير الأماكن التى توفر هذا الهدف، فإذا هو مكان:

«يمتد شمالا من سهول تركستان إلى هضبة إيران إلى سهول دجلة والفرات وخليج العجم [الخليج العربى] إلى شمال جزيرة العرب وبادية الشام» (٨) .. ونقول:

إن جزءا من هذه المنطقة كان - بمشيئة الله تعالى - مستقر قوم نوح - عليه السلام - ونزید أنه كان أقرب إلى الجزيرة العربية جدا، مستظهرين لذلك بقول نبي الله «هود» - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لقومه من العرب البائدة التى ظهر قوامها فى هذا العهد السحيق - بالأحقاف من الجزيرة العربية - وقد أنذرهم عاقبة وثنياتهم بقوله:

(٢) د/محمد عوض محمد - سكان هذا الكوكب - فصل: نشأة النوع البشرى.

(٣) الأعراف (٦٩).

(٤) هامش الطبرى ١٤٠/٨ ط أولى على نفقة السيد عمر الخشاب.

(٥) الإمام الزمخشري - الكشاف ٥٥٤/١، والنسفى والخازن ١٠٣/٢.

(٦) صحيح البخارى ١٩٩/٦ ط الشعب.



طرح الحضارة

للحضارة طرح مادي، فليست حديثا عن المآثر والبطولات، بل هي أبعد تماما عن الكلمات البراقة والأناشيد الحماسية يتحدث بها إنسان أو أكثر، مسؤل أم غير مسؤل عن مجد قومه، أو ضخامة ثروتهم، أو مالهم من قوة ضاربة أو منزلة دولية، فلقد يكون لدولة كل ذلك، ولكنها - في نفس الوقت - مجردة من كل حضارة فضلا عن فقدانها كما كبيرا من معالم الإنسانية الرفيعة.

إن للحضارة «ثوابت» مادية ينالها السمع والبصر والفؤاد، تعتبر - جميعا - طرح الحضارة والمقياس الدقيق لمنزلة أمة - لتبين: أين هي من مدارج الحضارة، في القمة هي، أم في الطريق إليها، أم لم تقطع فيها شوطا بعد؟!

وتلك الثوابت هي:

أ- النظم: أي نظم الحكم في المنطقة «مناطق البحث»، وإدارتها، وشعونها المختلفة من تشريع في مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما يطرحه ذلك كله من أسلوب حياة، وأخلاق وعادات. وملكية وصناعات ونقود وموازين ومقاييس... إلخ.

ب- الدين: ويعنى كنه العقيدة في أولئك القوم «محل البحث» ومنشآته من أماكن عبادة، وإدارة، وثقافة تخصه، وطريقة ممارسته: من صلاة.. وقربان.. وحسنة أو خطيئة.. وثواب أو عقاب.. ثم مصير الإنسان في ظل هذه العقيدة.

ج- الفنون في هذه البلدة وتلك المنطقة: من

عمارة.. ونحت.. وتصوير.. ونقش.. وأزياء، فالتياب وتفصيلها وما عليها من تطريز.. كل ذلك فن بدوره بجانب أنه صناعة، وما يقال في الأزياء يقال كذلك في الأثاث الذي تحويه منازلهم وعماراتهم، كل ذلك من معالم الحضارة.

د- الآداب والعلوم: من طب وفلك

وتقويم. وقصص أو أساطير... إلخ.

هـ- التاريخ:

وفي ضوء هذه الثوابت نبحت مدى الحضارة التي كانت في قوم نوح - عليه السلام؛ فهذه الثوابت يتبين لدارسى الحضارة ما على القوم من رقي إنساني، فالذين يعيشون في إطار نظام يكفل لهم حياة رغدة أو محتملة، ويكفيهم شر أعدائهم، ويتمتعون باقتصاد ما، وصناعة أية صناعة ولكل فرد أسرته، وعقيدته: يأويه مسكن يرضاه، ويعيش هو، والملا من قومه ممتعين بفنون مختلفة، تفرق من مشاعرهم، وتسمو بوجودهم: من عمارة ونحت وأدب وفنون، عالين بحساب أوقاتهم، وعلى خبرة بأرضهم، وكيف هي صيفا وشتاء، ولهم من الطب ما يطمئنون إلى ما عرفوا من وسائله.. لاشك أن قوما على هذه الدرجة أو قريبا منها هم قوم متحضرون ليسوا كالبدو على أية حال.

وفي ضوء هذه «الثوابت» قدم مجمع اللغة العربية بمصر تعريفه للحضارة، فاعتبرها: «مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني» وعن ثوابتها قال:

يستبعده من كل بحوثة. هدانا الله وإياه وفي ضوء هذا المصدر نتلمس « الثوابت » التي قدمناها.. نتلمسها في قوم نوح في عهدهم هذا السحيق لنرى: أكانت لهم حضارة؟ وما قيمتها فيهم؟! ثم نكر- في النهاية - على منهج العرب.

نظم قوم نوح

في ثلاث وأربعين آية - في التنزيل العزيز - جاء ذكر نوح وقومه:

ومنها نعلم أن نوحا وقومه جمعهم « مجتمع » هم فيه أقدم جماعة إنسانية من بعد آدم - عليهما السلام - وقد اعتبر نوح - بعد الطوفان - أبا الإنسانية الثاني - كما قلنا من قبل.

الأسرة: وفي هذا المجتمع كانت الأسرة: من زوج وزوجة وولد - أو - أولاد، ففي الكتاب العزيز من حديث إرشاد نوح لهم قوله - مذكرا لإياهم بنعم الله - تعالى - عليهم:

﴿وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾^(١٠) وجاء في دعائه ربه قوله:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾^(١١)

« الحضارة: مظاهر الرقى العلمي والفنى والأدبى والاجتماعى »^(٨).

والتعريف اختصار بليغ جامع لهذه الثوابت. وغنى عن البيان أن ننوه بأننا ندرس حضارة قوم لم يعرف التاريخ - بمناهجه الحديثة - الطريق إليهم، وليس - إلا الله وحده - صاحب العلم بهم، ثم إنه لا يتم لمؤرخ عمله الحق إلا إذا:

أ- توفرت له الحقائق.. ب- وسجلها بأمانة..

والله وحده صاحب ذلك، قال - تعالى:

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَهُمْ وَوَأَعْيَابَهُمْ﴾^(٩).

فأما المؤرخ فهو بين الأمرين على منزلة لا يعلمها إلا الله. تبارك وتعالى.

فلا عجب أن يقول - ديورانت - فى مقدمة قصة الحضارة:

(معظم التاريخ ظن وبقيته من إملاء الهوى)

ونحن نعتمد فى بحثنا هذا على (الوحى).. على كتاب الله الكريم، ثم على ما ثبت صحيحا عن رسول الله ﷺ، أى أننا نعتمد - فقط - على «الوحى» الصادق ليس غير.

وهو «المصدر» الذى تعمد الغرب لأمور أن

(٨) المعجم الوسيط: مادة حضارة. وانظر فى: «ثوابت الحضارة» تفصيلا:

أ- بلاد ما بين النهرين La mesopotanie تأليف: ل. ديلا بورت. الكتاب رقم (٣٥) من سلسلة الألف كتاب.

ب- الحيثيون: تأليف: أ. ر. جرنى R. gurney الكتاب رقم (٤٥١) سلسلة الألف كتاب. مطابع البلاغ.

ج- الحضارة اليونانية. د/ السيد مصطفى حجاج - جامعة عين شمس - كلية الآداب - بلا تاريخ أو مطبعة.

د- الحضارة المصرية والحضارة الشرقية - د/ على إبراهيم حسن - نشر مكتبة مصر - الفجالة.

(١٠) نوح (١٢).

(٩) الأعراف (٧).

(١١) نوح (٢٨).



وقوله - عليه الصلاة والسلام - فى رجاء حار لولده حتى لا يهلك مع الهالكين:

﴿يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢)
قَالَ سَتَأْوِىْ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ﴾ (١٢).

ويهلك الولد، ويناشد نوح ربه:

﴿رَبِّ إِنِّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ (١٣) ويرشده الحق - سبحانه وتعالى - إلى علامة الطوفان:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ (١٤).

أى زوجتك وأولادك.

فآليات جامعة لكل عناصر الأسرة فى هذا المجتمع.

الطبقات: ويحدثنا القرآن الكريم عن طبقات هذا المجتمع، فنعلم منه أن مجتمع قوم نوح جمع فئتين من الناس: فئة على غنى ونفوذ.

وأخرى صفر منهما، لابد أنها كانت تعيش على كد وفقر.

يدلنا على الطبقتين استنكاف الطبقة الغنية ذات النفوذ أن تؤمن برسالة نوح - استكبارا، وتقذرا واشمعرآزا من الطبقة الدنيا، وقالوا - لنوح:

﴿وَمَا زَنَّاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَذِبُوا أَوَّلَ الْآيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (١٥)

يقولون: ما اتبعك - يا نوح - إلا الذين هم دوننا فى كل شىء.. اتبعك هؤلاء الذين لا قدرة لديهم على النظر والتأمل، ويسارعون إلى القناعة بالأمور بلا روية ولا تفكير، فليس لهم من الثقافة ما لنا، وليس لهم من الرأى والتدبير ما نتمتع به مما يجعلنا نرفض ما تدعو إليه من وحدانية لأنراك - وهم معك - إلا كاذبين.

الحكم: وفى تصوير القرآن الكريم لعظماء هذا المجتمع، قدمهم لنا بلفظ:

﴿الْمَلَأْنَا مِنْ قَوْمِهِ﴾ (١٦) أى قوم نوح

و ﴿الْمَلَأُ﴾ يعنى: وجوه القوم وكبراءهم فهؤلاء - بغير شك - يمثلون القوة والنفوذ فى هذا المجتمع، وليس - فى الكتاب العزيز ذكر للملك على قوم نوح - عليه السلام - كما ذكر الملكية فى غيرهم، فكيف كان تكوين الحكم فيهم، أكان لهم نظام أشبه بالنظام الجمهورى، أم كان لهم مجلس يدير فى مجموعه شئون بلده؟ فأما الأول فلا دليل عليه، وأما الثانى فمحتمل جدا، إذ هو أشبه بالمجالس القبلية أو الجمهورية التى لا يرأسها فرد بعينه، وإن خضع المجلس فى النهاية لأقواهم نفوذا. وفى القرآن الكريم ما يشير إلى (مجلس لهم) وذلك إذ يقول نوح:

(١٣) هود (٤٥).

(١٥) هود (٢٧).

(١٢) هود (٤٢، ٤٣).

(١٤) هود (٤٠).

(١٦) الأعراف (٦٠).





﴿يَقُولُونَ إِن كَانَ كَرِيمًا عَلَيْنَا﴾

مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِمَا بَيْنَ اللَّهِ فَعَلَّ اللَّهُ نَوَكَلْتُ فَأَجْمَعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونِ ﴿١٧﴾

يقول نوح:

يا قومي إن كنتم ضقتُم بطول إقامتي فيكم واعظا
مذكرا إليكم بحجج الله وبراهينه على أنه هو - وحده
- الإله الحق لا إله غيره، فاجتمعوا وتشاوروا في أمري
وادرسوه دراسة واعية واضحة، وانتهوا إلى حكم واضح
فني ثم أتوني فنقدوه.. أي لست أبالي بكم (١٨).

وحكم ﴿الْمَلَأُ﴾ برفض دعوة نوح،
واتهموه بالجنون، وتمادوا في تهديدهم له بالرجم
حتى الموت إذا لم يكف عن دعوته، فقالوا:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (١٩).

﴿قَالُوا لَنْ نَرْضَاهُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ (٢٠)

ومن هذه الآية الأخيرة نتبين أن للقوم - أيضا -
في نظمهم - وسائل ردع وعقاب لمن يعتبرونه
أصاب خطيئة، ولا يعني «مجلسهم» لأمر نوح
أن لا مجلس لهم سواه يعني بأمورهم وشئونهم
الأخرى لقد انصرف جهد القوم في صد الناس
عن دعوته، ونجحوا في ذلك إلى أبعد حدود
النجاح، فصرخوا المجتمع: غنيه وفقيره عن الإيمان
بدعوة نوح، وانكبوا مشركين على أوثانهم:

﴿وَمَاءَ أَمْنٍ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢١).

ثم معذرة إذ تجاوزنا مضطرين دراسة ما تبع كل
(ثابتة) من هذه الثوابت كما وردت بالجدول المتقدم
سواء في ذلك (النظم) أو غيرها من معالم الحضارة،
ضرورة ما يجب علينا من إلحاق النتائج بأسبابها
مباشرة، وإن كنا لن نترك بحال شيئا منها - بمشيئة
الله تعالى - فنحن مثلا لا نستطيع الحديث عن
الصناعات من حيث هي تابعة للنظم وجزء من
أجزائها، لأن الحديث عن «الصناعات» ناتج حتما
عما بين يدي هذا المجتمع من أدوات وأحوال يدير بها
شعونه، فإذا ما تحدثنا عن هذه الأدوات وتلك الشعون
كان من نتائجها المباشرة الحديث عن الصناعات،
وجاء الحديث عنها في مقامها المحمود، طبيعة إلحاق
النتائج بأسبابها، من أجل ذلك جاء تأخيرنا للحديث
عن الصناعات أو غيرها.

دين قوم نوح

كان القوم مشركين وثنيين:

يتجلى شركهم في إقرارهم بالله ومعرفتهم بوجوده،
وأن له ملائكة، لكنهم لم يخصوه - سبحانه - بالعبادة
دون غيره، فجعلوا لله - تعالى - شركاء رمزوا إليها
بأوثانهم: ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر، وأكبوا على
عبادتها، وتمادوا عليها علوا واستكبارا.

قال لهم نوح: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ (٢٢).

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٢٣)، ومضى في دعوته

(١٨) راجع تفسير الآية الكريمة لدى ابن كثير، والسيوطي، والخازن.

(٢١) هود (٤٠).

(٢٠) الشعراء (١١٦).

(٢٣) الأعراف (٥٩).

(١٧) يونس (٧١).

(١٩) المؤمنون (٢٥).

(٢٢) هود (٢٦).





ألف سنة إلا خمسين سنة، وهم يناون عنه وينهون عنه، يقولون:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ (٢٤) أى لم يبعث بشرا لنا مثلك:

﴿وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا﴾ (٢٥).

وازدادوا عتوا بأن تحدوه أن ينزل بهم العذاب الذى أنذرهم به، يقول نوح:

﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢٦) ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٦). فيقولون:

﴿قَالُوا إِنَّمَا تَنفَحُ بِجَنَادِنَا فَكَفَرْتَ بِجَدَلِنَا فَأَيْنَا يَمَّا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧).

أى أنزل بنا هذا العذاب الذى تخيفنا به، ولا نعتقد أنك صادق ورفضوا الوجدانية حيث هى «مسئولية» و«جزاء» ورضوا أن يرتعوا بلا مسئولية ولا جزاء حتى أخذهم الله بالطوفان أخذ عزيز مقتدر - جل علاه. وإنكار الوجدانية يعنى إنكارهم للجزاء، فهو إنكار لليوم الآخر، فحياتهم الدنيا كل شىء ولا شىء بعدها. وذلك عينه هو المصير الإنسانى فى عقيدتهم الوثنية، إن لم يكن كل وثنية.

فكيف كانت عبادتهم لأوثانهم؟

ليس بين أيدينا أخبار تقطع بهذه الكيفية، وإن كنا نعلم أن العبادة فى الوثنيات من أمثالها تعنى: السجود للوثن، والتمسح به، والذبح له، والدعاء باسمه، وصب

الدماء واللين عليه، وتزيينه بما أمكن من ذهب أو جوهر، واتخاذ أرض حوله تعتبر حرماً له، والنداء باسمه والتضرع به ليس طلباً للمغفرة، ولكن طلباً للنصر والنفوذ والكسب فى الدنيا، فليس للآخرة حساب لدى القوم.

هذا ما نعرفه من مظاهر عبادة الوثن كما حُملت إلينا عن عباده فى العصور التاريخية، فأما عن قوم نوح، فلسنا بمستطيعين أن نعتبر هذه الكيفيات نفس ممارسات القوم لأوثانهم (٢٨).

فقد تكون وقد لا تكون، أو يكون جزء منها قائماً بجانب شعائر أخرى غير ما ذكرنا.

وكل ما نستطيع أن نؤكد ضرورة القيام بحق هذه الأوثان كما يتصورونها، فيكون لها - مثلاً - كاهن واحد، أو أكثر، يختص كل منهم بواحد منها، كما يكون لها كذلك (سادن) أى خادم، أو أكثر يتولى شئون حفظها وصيانتها، وصيانة حرماها.

ومن الكاهن والسادن معا تتوالى «أساطير معجزات الوثن» التى تروق وتروج بين العامة والقدر الحق الذى يتعلق بشأنها هو جزء من تاريخها أورده لنا الحديث الصحيح عند البخارى فيما أورده من تفسير لسورة نوح، قال - بعد ذكر الأوثان الخمسة، أنها:

«أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عبثت».

وأورد الإمام ابن حجر شرحاً مستفيضاً للحديث يتبين منه قدم الوثنية التى ورثها قوم نوح (٢٩).

«يتبع»

(٢٦) هود (٢٥، ٢٦).

(٢٥) نوح (٧).

(٢٤) المؤمنون (٢٤).

(٢٨) راجع لابن الكلبي: الأصنام.

(٢٧) هود (٣٢).

(٢٩) ابن حجر - فتح البارى ٥١١/٨ باب ودا ولاسواعا ولا يغوث ويغوث.



القرآن دستور الإسلام

د. ساذ الدكتور أحمد عمر هاشم

قال الله - تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١).

وقد أقسم الله - تعالى - على ذلك، فقال :

﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ۖ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۚ ﴾ ^(٢) إِنَّمَا لَقَرْنَا أَنْ كَرِيمٌ

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۖ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۚ ﴿٧٨﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣).

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لحشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَرُّهُ سُجَّدًا عَامِينَ خَشِيَ اللَّهُ ذَلِكَ الْأَمَثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٤).

هذا وإن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها ولذا صدر القرآن به حديثه عن النعم الوافرة، وذكره قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء. فقال :

﴿ الرَّحْمَنُ ۚ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسِبَانِ ۚ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۚ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ ﴿٧﴾ ﴾ ^(٤)

وحين سمع الإمام على - كرم الله وجهه - رسول الله ﷺ يقول : « ستكون

إن أعظم ما يقف عليه المسلم في القرآن؛ حديث القرآن عن نفسه وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصلوة في أسامي درجاته، وحديث الطهر في أنقى صورته، لأنه مصون عن كل المؤثرات، محفوظ من التبديل والتغيير.

(٢) الواقعة (٧٥: ٨٠).

(٤) الرحمن (٧: ١).

(١) الحجر (٩).

(٣) الحشر (٢١).



فتن».. إلخ، سألته عن المخرج من الفتن، فأجابه الرسول ﷺ قائلا: «كتاب الله - تبارك وتعالى - فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشعب معه الآراء، ولا يشعب منه العلماء، ولا يملأه الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ

سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٥)

من علم علمه سبق ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم».

وإذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت:

أولاً: فى الهداية ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب، قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٦).

وقال:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ﴾^(٧).

وقال:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾^(٨).

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عنه فى قوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

أَعْمَى﴾^(٩) قَالَ رَبِّ لَوْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْمَى فَانْسِئْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٩).

ثانياً: فى الإعجاز وما اشتمل عليه القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول ﷺ جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى:

﴿وَأَن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

فَأَنزِلْهُ آيَةً مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ

إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١٠).

بل إن التحدى كان للإنس والجن معا فكان عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله واضحاً قال تعالى:

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١١).

(٦) النحل (٤٤).

(٨) الإسراء (٩).

(١٠) البقرة (٢٣).

(٥) الجن (١).

(٧) النحل (٦٤).

(٩) طه (١٢٤: ١٢٦).

(١١) الإسراء (٨٨).





وفيما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: « ما من الأنبياء نبى الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ».

ولقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث، من بين يديه ومن خلفه:

﴿وَأَن تَكُتِبَ عَلَيْهِ مِنْهُ آيَاتٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١٢).

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله - تعالى - عليهم بقوله:

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿١٣﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴿١٤﴾ إِنْ هُمْ إِلَّا سَمْعٌ لِّمَعْرُوفُونَ﴾ (١٣).

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفاك والكذب والزور:

﴿هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿١٥﴾ تَنْزِيلًا عَلَىٰ كُلِّ آفَاقٍ شَامِرٍ﴾ (١٤).

ولما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر فزعم أعداء الدين أن جبرا هذا هو الذى يعلم الرسول أغلب ما يأتى به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُونِي وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرٍ مُّشَبِّهٌ﴾ (١٥).

بل إنهم تخبطوا فى ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شباها عديدة لا يثبتون على حال ولا يهدأ لهم بال شأن كل متحد فمرة يقولون عنه: إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون عنه: إنه افتراء وأخرى: بل هو شاعر:

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِزْنَا نَبَايَةً كَمَا أُنْزِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (١٦).

وعندما فكر الرسول ﷺ فى الالتقاء بوفود العرب والقبائل فى موسم الحج يدعوهم إلى الله، اجتمع بعض المعاندين من قريش إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون، وقالوا: ماذا عسى أن يقال فى شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج، حتى لا يخلتف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا، واقترح بعضهم أن يقولوا إن محمدا كاهن، فرد الوليد هذا رأى: أن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن - أى الكلام الخفى - ولا بسجعه واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون، فرد الوليد هذا رأى بأنه لا تبدوا عليه لهذا الزعم ظاهرة واقترح غيرهم أن يتهموا محمدا بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث فى العقد ولا يأتى من عمل السحرة شيئا، وبعد حوار اقترح الوليد

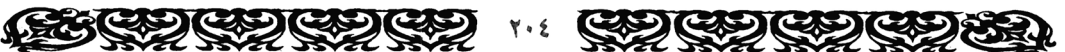
(١٣) الشعراء (٢١٠: ٢١٢).

(١٥) النحل (١٠٣).

(١٢) فصلت (٤١: ٤٢).

(١٤) الشعراء (٢٢٢: ٢٢٣).

(١٦) الانبياء (٥).





يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التي لا لبس فيها ولا غموض :

﴿حَمْدٌ تَزِيلُ الْكَذِبَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ مَآخِلُنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُذِירוْا مُّعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ .

ثم أخذت الآيات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله، وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿١٩﴾ .

إن نهايتهم ونهاية ماعبدوا في الدنيا عجز ومهانة . وأما نهايتهم في الآخرة فهي وقوع العداوة بينهم وبين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم :

﴿وَإِذَا خُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً
وَكَانُوا بَعِيدَاتِهِمْ كُفْرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد في جلاء ووضوح .. بعد هذا أخذت الآيات في إثبات قضية الوحي الإلهي فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات، ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام إعجاز القرآن إلا أن يقولوا :

﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢١﴾ .

عليهم أن يقولوا للحاج من العرب : إن هذا الرجل ساحر البيان وإن ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته، اهـ « حياة محمد، لهيكل » .

وفي صدد بيان تلك الفرى التي افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها، ويبيدها في قول الله - تعالى :

﴿وَإِذَا

تَنَزَّلْنَا بَيْنَتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَجَاءٌ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ قُلُوبُ الْغَالِيَةِ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٣﴾ .

وجاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحي الإلهي في أجل صورها وأسمائها وهي آيات الله البينات التي اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع الهام المتعلق بأمر الوحي، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة « الأحقاف » إلى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب، وما خلق من السماوات والأرض وما بينهما، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق الكتاب المنزل الذي يهدي للتي هي أقوم، وكلاهما يتضافران في بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله - تعالى - ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن

(١٨) الأحقاف (٣:١).

(٢٠) الأحقاف (٦).

(١٧) الأحقاف (٨:٧).

(١٩) فاطر (٤٠).

(٢١) النمل (١٣).





الآيات البينات وبيان أنها حق أخذت في مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول ﷺ فهو لا يختص نفسه بشئ ولا يصدر في أمر إلا عن وحى الله، لأن قلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه إلى سر ما من الأسرار وأنه ليس أول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل:

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا آدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُ إِن أَنْعَمَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٦).

أما ما أشارت إليه الآية:

﴿ وَمَا آدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُ ﴾ فالمراد به ما لم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية أما ما يحدث في الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإن علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها ولذا ختمت الآية الكريمة بما يبين إنذار الرسول ﷺ بعقاب الله - تعالى - لهم:

﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

كما أخذت الآيات بعد ذلك في إثبات صدق القرآن عن طريق أحد بنى إسرائيل، كواحد من جنس المعاندين، أنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن، ثم استدل على صدقها أيضاً عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو: «عبدالله بن

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: افتراه، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى لا في صورة الخبر بل على صورة الاستفهام لأن هذا لا ينبغى أن يقول به عاقل، ومن المستبعد أن ينطق به إنسان ومعه عقله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ (٢٢).

وهنا تأتي الإجابة أمراً من عند الله - تعالى - يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتى عليها من القواعد، فعلى فرض ما ادعيتهم فهل يكون مفتري من أجل أن تؤمنوا، وماذا يجدى إيمانكم لو أخذنى ربي؟

﴿ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ (٢٣).

ولكن الحقيقة واضحة، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تناولتم به:

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ (٢٤).

وفى وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية، ويشعرهم بحلم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول:

﴿ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٥). فقد تتداركهم

هداية الله فيهديهم، وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم، وبعد مناقشة المشركين فى ضوء تلك

(٢٣) الأحقاف (٨).

(٢٥) الأحقاف (٨).

(٢٢) السجدة (٣).

(٢٤) الأحقاف (٨).

(٢٦) الأحقاف (٩).





رسول الله وأحذر، قال سعد بن أبي وقاص -
رضي الله عنه - ما سمعت رسول الله ﷺ
يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل
الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَأْمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٧).

ورحم الله البوصيري إذ يقول:

آيات حق من الرحمن محكمة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا

عن المعاد وعن عاد وعن إرم

دامت لدينا ففاقت كل معجزة

من النبيين إذ جاءت ولم تدم

ما حوربت قط إلا عاد من حرب

أعدى الأعادي إليها ملقى السلم

نفعنا الله - تعالى - بالقرآن الكريم ووفقنا

إلى العمل به إنه سميع مجيب.

سلام» لما سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول
الله ﷺ أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه
ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبي
المنتظر، فقال له: إني سائلك عن ثلاث لا
يعلمهن إلا نبي: ما أول شرائط الساعة؟ وما
أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى
أبيه أو إلى أمه؟ فقال ﷺ: «أما أول أشراف
الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب،
وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت،
وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق
ماء المرأة نزعته» فقال: أشهد أنك رسول الله
حقا، فقام، ثم قال: يا رسول الله؛ إن اليهود
قوم بهت فإن علموا باسلامي قبل أن تسألهم
عني بهتونني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم
النبي ﷺ: «أى رجل عبد الله فيكم؟»
فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا
وأعلمنا وابن أعلمنا قال: «أرأيتم إن أسلم
عبد الله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج
إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله.. فقالوا: شرنا وابن
شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا





الدُّنَا والنَّفْسِيَّة في أسلوب القرآن الكريم

للمستاذ الدكتور / عبد الحليم عفيفي

من روائع أسلوب القرآن الكريم أنه يتجاوز ظاهر السياق وما يوحى به المدلول العادي للالفاظ إلى إبراز التأثير النفسى الذى يستهدفه الكلام، حيث إن الهدف للدين بصفة عامة، وللقرآن الكريم بصفة خاصة أن يصل إلى أعماق النفوس، فيؤثر فيها تأثيرا يتحقق معه اليقين والاقتناع، ومثال ذلك أن محمدا ﷺ كان فى بدء رسالته متشوقا إلى ظهور الدين، وهو يعانى مع القلة التى أمنت به صنوفا من الأذى والتكذيب والتسفيه والاضطهاد، منتظرا أن يواتيه نصر الله وتأييده بصفة عاجلة.



فالله - سبحانه - ينزل إليه وعدا مؤكدا بأن
عطاء الله إياه قادم لامحالة في قوله تعالى :

﴿وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ (١).

والأسلوب العادى المتوقع هو أن يكون التعبير
نحو ولسوف يعطيك ربك ما تريد من النصر
والتأييد، أو نحو ولسوف يعطيك كل ما تتمنى،
أو نحو ولسوف يعطيك عطاء لم يعطه أحدا
قبلك، أو نحو من هذا، وحين نتأمل مدلول مثل
هذه العبارات نجد أنها تفيد عظم العطاء وفيض
الجود ولكنها لا تشبع النفس، ولا تلقى فيها
الإحساس بعدم الحاجة إلى المزيد، فصاحب المال
لو أعطى واديا من ذهب لابتغى ثانيا ثم ثالثا
وهكذا، وصاحب الملك لو أعطى ملكا عظيما
يتطلع إلى بسطة أوسع وأعظم فى الملك فينتجه
إلى الغزو والفتح، وكذلك كل صاحب نعمة
مهما عظمت يتطلع إلى المزيد منها ومن غيرها،
وإذن فلو كان تعبير القرآن ولسوف يعطيك ربك
كل ما تتمنى أو نحو ذلك فلن تتحقق القناعة
النفسية أو السعادة التامة بهذا العطاء، وإنما
تتحقق السعادة والقناعة بشعور المرء بأنه راض
عما أعطيه، لأن الرضا يجعله لا يتطلع إلى المزيد،
حيث التطلع إلى المزيد يعنى أنه غير راض
حقيقيا عما لديه .

ولذلك تجاوز أسلوب القرآن كل التعبيرات
التي تفيد تحقيق الآمال والتطلعات لدى الرسول
الكريم وركز فى الثمرة والفائدة من كل نعمة
وكل عطاء وهى أن هذا العطاء فيه كل الكفاية

ولا يحتاج الى مزيد، وكأن الله - سبحانه - يقول
لرسوله الكريم: ثقب بأن ربك سيعطيك العطاء
الذى لا تجد فى نفسك بعده أى شعور بأنك فى
حاجة إلى مزيد .

ومن دقة تعبير القرآن أنه كان يمكن أن يكون
التعبير ولسوف يعطيك ربك حتى ترضى، وهو
معنى صحيح، ولكنه لا يبلغ تحقيق مراد القرآن،
لأن التعبير بلفظ (حتى) يعنى أن العطاء متدرج،
والتدرج يعنى أن الرسول الكريم ومعه المسلمون
يظلون فى كل درجة من درجات النصر والتأييد
من الله يتطلعون إلى المزيد من الله، ولكن الله
يقول لرسوله العظيم انتظر العطاء الأكبر، الذى
لا تجد فى نفسك معه حاجة إلى مزيد، وقد تحقق
هذا فى فتح مكة الذى عبرت عنه سورة النصر:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿٣﴾﴾ (٢)

وكانت هذه السورة آخر ما نزل على رسول الله
من القرآن بعد حجة الوداع، بينما سورة الضحى
التي تضمنت الوعد بالعطاء العظيم كانت من
أوائل السور التي نزلت فى بدء الإسلام بمكة .

ومراعاة لهذا الفارق الزمنى بين الوعد فى بدء
الإسلام وتحقق الوعد فى آخر حياة النبى ﷺ كان
التعبير بلفظ (سوف) فى :

﴿وَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ فقد كان يمكن أن يكون
التعبير نحو وليعطينك ربك فترضى، فيكون
وعدا بشئ عاجل، أو بنحو وسيعطينك ربك

(٢) النصر (١ : ٣).

(١) الضحى (٥).

فيكون موجودا ومع ذلك يوجد الزهد فيه والانصراف عنه أو عدم الاهتمام به، ولكن طالما يوجد الإعجاب فلا يعقل أن يوجد الانصراف أو عدم الاهتمام لأنهما بطبيعة الحال لا يتفقان، وأقرب مثال لذلك أنه قد يرى شخص أو يعرف امرأة بالغة الحسن فيستطيع شخص آخر أن ينفره منها بسهولة بل أن يبغضه فيها بأن يذكر لها بعض المساوئ، بينما المعجب من الصعب أن ينتزع أحد إعجابه مهما ألقى في أذنيه من تشويه المعجب به، كما يقول شوقي (..... عبثا تقنع المفتونا).

ومن روائع هذا الأسلوب (إن يريدنا) في قوله تعالى :

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حُكَمَاءَ مِنْ أَهْلِهِ وَحُكَمَاءَ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدُوا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (٤)

فالموقف خلاف بين الزوجين، ومن حرص الإسلام على كيان الأسرة، وتعظيمه لرابطة الزوجية، يجعل القرآن الكريم الوسيلة إلى المحافظة على هذه الرابطة ليس وعظا ولا مجرد ترغيب، وإنما بالنهج البالغ الحكمة والوصول إلى أعماق النفوس، فالزوجان هنا في حال خلاف وتنازع، وهذا الخصام في العادة تكون له خلفيات وخصوصيات فيما بين الزوجين لا يطلع عليها أولا يشتم رائحتها إلا الأقارب المقربون، فلو عرض أمرهما على قاض أو حكم خارج هذه القرابة فيسقط في موقف يشوبه بعض الغموض والحفاء بالقياس إليه، فاختار القرآن حكيمين :

فترضى، فيكون وعدا بشئ قريب، ولكن التعبير كان بلفظ: ﴿وَلَسَوْفَ﴾ الذي يعنى وعدا بشئ بعيد نسبيا حتى يوطن النبی والمسلمون أنفسهم على الصبر وعدم تعجل النصر. ومن روائع هذا الأسلوب لفظ (أعجبك) من قوله تعالى :

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ (٣).

فمضمون الآية الكريمة أن الله حرم على نبيه الكريم أن يتزوج بعد نساؤه التسع، لا بأن يضيف إليهن أخرى أو أخريات، ولا أن يستبدل بهن أخرى أو أخريات، وكان السياق المؤلف أن يقال مهما يكن حسنهن، أو مهما يبلغن من الجمال، أو نحو ذلك، ولكن شيئا من ذلك لا يؤدي ما يؤديه تعبير: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ لأن المهم ليس الجمال لذاته، ولكن المهم هو صدى هذا الجمال ووقعه في نفس الرجل، فقد توجد امرأة بارعة الجمال ولكن بعض الناس قد يقولون إنها ليست جذابة، أو أن جمالها بارد، أو نحو ذلك مما يعنى عدم تأثير جمالها في النفس، وبالتالي عدم إثارة العاطفة نحوها، بينما توجد أخرى دون هذه المرأة في الجمال ولكنها تثير العواطف بأضعاف ما تثيره تلك البارعة في الحسن، وكم من جميلات يزهد فيهن أزواجهن أو خطابهن، وكم من متوسطات في الجمال يتنافس عليهن الرجال، وإذن فقد يبقى الجمال

يؤديان عملا سطحيا محسوسا بصرف النظر عما يبذلان فيه من جهد، وبصرف النظر عما قد يكون لديهما من نوازع نفسية أو عصبية، ولكن الحكمين في المحاولة الثانية كانا يتصرفان بدافع نفسى قائم على الرغبة والإرادة.

ومن هذا الأسلوب لفظ (يضيق صدرك) من قوله تعالى:

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٥) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١٥).

والمراد أن هذه الآيات نزلت في شأن نفر من أعيان مكة كانوا يجيدون التفنن في الاستخفاف برسول الله ﷺ والاستهزاء به من مثل قولهم كما ينقل القرآن عنهم:

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦)

والذى تضمنته الآيات من كفرهم نوعان، أحدهما الاستهزاء برسول الله ﷺ والآخر الشرك حيث: ﴿يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ والنوعان لا يوازن بينهما من حيث العقيدة فكلاهما كفر صريح، ولكن ينظر إليهما من حيث التوجيه، فالاستهزاء موجه إلى شخص الرسول الكريم، والشرك موجه إلى ذات الله - سبحانه - واللافت للنظر أن الله - سبحانه - لا يعجل العقاب على ما يوجه إلى ذاته سبحانه اكتفاء بهذا الوعيد البالغ الرهبة رغم أنه غير قريب فى قوله تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ والذى يدل على عدم قربه

﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ. وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ليكونا أقرب

إلى العلم ببواطن هذا الخصام، ولكن يبقى احتمال ليس بعيدا عن الواقع، وهو أن يتسرب الخلاف أو الخصام القائم بين الزوجين إلى الحكمين، فينحاز كل منهما إلى الطرف الذى ينتمى إليه، فيدور الحكمان فى حلقة مفرغة، ولا يرغبان فى إنهاء الخلاف، حيث يصبح الحكمان كأنهما هما الخصمان لانحياز حكم الزوج نفسيا إلى موقف الزوج، وكذلك الحكم الآخر فى انحيازها نفسيا إلى موقف الزوجة قريبته.

وهنا تبدو دقة تعبير القرآن، فقد كان التعبير العادى المنتظر أن يقال فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ليحاولا التوفيق بينهما، أو ليبدلا جهدهما فى الإصلاح، أو نحو ذلك من السلوك الظاهر المحسوس، ولكن القرآن يتجه بأسلوبه إلى العمق النفسى الذى تتوقف عليه النتيجة وهو:

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ فالإرادة والرغبة

النفسية فى الإصلاح لدى الحكمين هى التى ينتظر معها الوفاق بين الزوجين، ويروى أن عمر - رضى الله عنه - بعث حكمين ليصلحا بين زوجين فعادا دون أن يحققا صلحا، فزجرهما عمر قائلا: لو أردتما إصلاحا لوفق الله بينهما مشيرا إلى الآية الكريمة المذكورة فرجعا مرة أخرى مدفوعين بإرادة الإصلاح فوق الله بين الزوجين.

فالفارق بين المحاولتين، الأولى الفاشلة، والثانية الناجحة، أن الحكمين كانا فى المحاولة الأولى

أصبح في حالة من الألم والضيق تحتاج إلى تدخل سريع من القدرة الإلهية، فكان الإنقاذ الإلهي بوعدته بأن الله سيكفيه هؤلاء المستهزئين ويكف عنه مصدر الاستهزاء، ولكن أسلوب القرآن يريد أن يملأ نفس الرسول الكريم يقينا بأن العقاب الدنيوي العاجل قد تقرر لامحالة فكأنه وقع فعلا، فجاء هذا الوعيد للمستهزئين بلفظ الماضي :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ﴾ وكأن العقاب وقع فعلا، لأن مايقضيه الله فكأنه وقع فعلا من باب الحديث عن القيامة بلفظ : ﴿ آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ (٧).

وكان عقاب الله العاجل لهؤلاء الخمسة المستهزئين متنوعا، فكان أهونهم عقابا من مات حتف أنفه وهو الوليد بن المغيرة، وكان منهم من عمى ليناله شيء من الهوان الذي كان يريده للنبي، ومنهم من هاجت برأسه القروح فظل يضرب الحائط برأسه حتى مات، على أن وعد الله لنبيه لم يكن العقاب لهم في الدنيا، وإنما الوعد هو أن يكفيه إياهم، وقد ماتوا جميعا قبل موقعة بدر، والشاهد في هذا أن الأسلوب العادى أو المألوف هو إبراز غضب الله على هؤلاء أو مدى كره رسول الله لهم أو نفوره منهم أو تعرضه لاستهزائهم أو نحو ذلك، ولكن أسلوب القرآن ينفذ إلى الأعماق ليبرز المعاناة النفسية ومايصاحبها من المشاعر والأحاسيس كما في تعبير : ﴿ يَضِيقُ صَدْرُكَ ﴾ .

ومن روائع هذا الأسلوب ﴿ءَانَسْتُمْ﴾ من قوله

لفظ ﴿ فَسَوْفَ ﴾ أما الذى استحق العقاب العاجل فهو ما وجه إلى الرسول الكريم ليس مجرداً من الإيذاء، فقد كان ﷺ أصبر الناس على الأذى، ولكن الاستهزاء بالذات أوجع الأذى وأشدّه إيلا ما للنفوس، لأن المرء قد يتحمل ألوانا من الأذى لأنه يشعر بقوة في ذاته وكيانه فهذا الأذى لم يهدم كيانه، ومادام كيانه قائما فإنه يستطيع أن يتحمل وأن يقاوم، ولكن الاستهزاء والاستخفاف يعنى هدم الكيان، بل إن هذا الكيان أصبح موضع السخرية والاستهزاء، ووصف القرآن لأثر الاستهزاء فى نفس الرسول الكريم أوضح دليل على أنه لاشئ أبلىغ فى إيلاام النفس من السخرية والاستهزاء، فإن الرسول الكريم كان جبلا راسخا فى كل شئ، ومنه تحمل الأذى، فقد ظل قرابة عشرين عاما يتحمل كل صنوف الأذى من المشركين فى مكة، ومن المنافقين واليهود فى المدينة، ولكن الشئ الوحيد الذى يؤكد القرآن أنه يضيق به صدره هو الاستهزاء به :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ .

ففى التعبير عدة مؤكدات صريحة أو ضمنية لتحقق ضيق صدر النبى بما يقولونه عنه من أوصاف الاستهزاء، منها (اللام) ومنها (أن) ومنها ما تفيده (قد) من تحقق الحدوث، ومنها مايفيده لفظ (نعلم) من اليقين بحدوث الضيق، ومنها ما تفيده صيغة المضارع فى (يضيق) من تجدد حدوث الضيق بالاستهزاء بخلاف ما لو كان التعبير بضاق صدرك، كل هذا يعنى أن النبى الكريم

تعالى فى شأن الوصاية على أموال اليتامى :

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (٨).

فآية الكريمة تتضمن حكما شرعيا هو أن الوصى على مال اليتيم عليه أن يدفع إلى اليتيم ماله إذا تحقق أمران، أحدهما أن يصل اليتيم إلى سن البلوغ، والآخر أن يحسن اليتيم التصرف، والآية الكريمة تأمر بإجراء اختبار وابتلاء لليتيم للتأكد من صلاحيته وأهليته لإدارة أمواله قبل أن يسلم إليه ماله، وللعلماء والمفسرين خلافات كثيرة حول الموضوع، هل يكون الاختبار قبل بلوغ اليتيم أو بعده؟ وهل المراد بالرشد رشده العقل أم رشده التدين؟ وعن السن التى يدفع إليه ماله فيها إذا لم يتحقق رشده عند البلوغ ونحو ذلك من الخلاف، ولكن الذى يعنينا هنا هو دلالة لفظ: ﴿ءَأَنَسْتُمْ﴾ فإن الأنس (بضم الهمزة) وهو ضد الوحشة يعنى فى مدلول الآية وجود اطمئنان فى النفس إلى أن اليتيم بلغ طور الرشده وحسن التصرف، فإن هذا الطور تختلف الآراء فى الحكم عليه، فليس هناك علامات محددة يمكن أن تقطع بوجود الرشده، أو بدرجة الرشده، والمال محط الطمع والرغبة كقوله تعالى :

﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٩) فالوصى على مال اليتيم قد يجد من اليتيم رشدا وحسن تصرف، ولكنه يزعم أنه ليس رشدا، أو أنه رشده ناقص،

ليزيد الوصى من أمد الوصاية إذا كان طامعا فى شئ من هذا المال، أو إذا كان هذا الوصى عفيف النفس لا ينتفع بشئ من مال اليتيم فقد يشعر بأن رعايته لمال اليتيم عبء ثقيل يريد أن يتخلص منه ليريح نفسه، فينتهز أدنى مرحلة من مراحل رشده اليتيم فيبادر بتسليم ماله إليه وهو يشعر بأن رشده هذا اليتيم فى حاجة إلى نضج، فيأتى تعبير:

﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ ليحسم الموقف بأن يحمل الوصى مسئولية نفسية يطلع عليها الله - سبحانه - ويدرك الوصى مسئوليته عنها دون غيره من الناس، وذلك حين يشعر فى داخل نفسه شعورا واضحا تطمئن (وتأنس) إليه نفسه بأن اليتيم قد بلغ رشدا يمكنه من حسن إدارة ماله والتصرف فيه، حينئذ يجب عليه أن يدفع إلى اليتيم ماله، وهذا الفصيل الحاسم لا يحققه إلا لفظ: ﴿ءَأَنَسْتُمْ﴾ بخلاف ماله كان التعبير نحو فإذا رأيتم منهم رشدا أو وجدتم أو نحو ذلك مما لا يمس الضمير أو العمق النفسى الذى تدور حوله المسئولية عند الله، من باب الحديث الشريف المتفق عليه:

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (١٠) وقوله تعالى :

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (١١).

(٨) النساء (٦).

(٩) الفجر (٢٠).

(١٠) أخرجه البخارى ١٧٥/٨، ٢/١.

(١١) البقرة (٢٢٥).

انغتيال إسلامية فياسوف ؟!

سنان بين «الرشدية الإسلامية» و«الرشدية اللاتينية»

الأستاذ الدكتور / محمد عمارة



لقد أرادت النهضة الغربية الحديثة - بالوضعية.. العلمانية - وعقلانية التنوير اللادينية - إقامة قطيعة معرفية مع اللاهوت النصراني، وحذف «جملته المعترضة» من سياق تطورها الحضاري، لتأسيس نهضتها الحديثة على ترانها الإغريقي.. فقدمت لذلك نظرية الحقيقتين؛

لأرسطو- وليس من الرشدية - التي قدمها ابن رشد في إبداعه الخاص.. ومن هنا جاءت جنابة النظرة الجزئية، وحيدة الجانب، لهؤلاء الذين لم يروا من ابن رشد سوى الشروح على أعمال فيلسوف اليونان.

وإذا كان فرح أنطون - وهو طليعة العرب الذين نقلوا هذه النظرة المغلوطة إلى لغتنا العربية - إنما صنع ذلك وهو يؤسس - مع مجموعة من المثقفين الموارنة الذين سعا - تحت

أ- العقلية العلمية الوضعية.. التي تؤسس عليها النهضة.

ب- والدينية - التي لا تخضع لمناهج العلم، ولا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية.

ولقد نسبوا القول بالحقيقتين إلى ابن رشد.. وسمى فريق من رواد هذه الدعوة أنفسهم «بالرشديين».

ولقد كانوا - في الحقيقة - منطلقين من الأرسطية - كما رأوها في شروح ابن رشد



فرح انطون

الفكرى بين خيارى النهضة: الغربى .. والإسلامى،
وتحرير حقيقة مذهبه فى التأويل، تبياناً لحقيقة
مكانه من مذاهب الحكمة وتيارات الإصلاح.

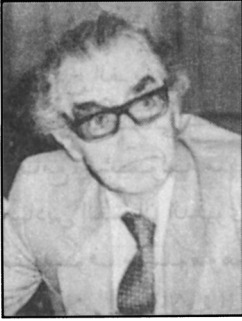
الدعوى

يقول أصحاب هذه الدعوى - «الجديدة -
القديمة» التى تربط ابن رشد بمقولات «الرشديين
اللاتين»، وتأسيس التنوير الغربى والعلمانية
الغربية: إن الاتهامات التى أصدرها أسقف باريس،
فى مارس سنة ١٢٧٧، والتى حرمت ثلاث عشرة
قضية فكرية للرشديين اللاتين .. ومنها:

- ١- إنكارهم علم الله للجزئيات الحادثة ..
- ٢- وإنكار العناية الإلهية فيما يخص الأفعال
الإنسانية ..
- ٣- وقولهم بقدوم العالم ..
- ٤- وتقديم الفلسفة على الشريعة ..
- ٥- وإنكارهم الخوارق والمعجزات
- ٦- وقولهم بحقيقتين مختلفتين، فلسفية
ودينية، وصادقتين معا ..

مظلة السلطة الاستعمارية فى بلادنا إلى إحلال
النموذج الغربى فى النهضة والتقدم - النموذج
الوضعى العلماني - محل النموذج الإسلامى -
الجامع، بشمولية منهاجه، بين الدين وسائر
ميادين العمران الدنيوى .. فسعى إلى الاحتماء
بفيلسوف مسلم، وهو يقدم الخيار الحضارى
للإسلامى إلى الأمة المسلمة .. فإن خلفاء فرح
أنطون - الذين تجاوزوا «وضعته المنطقية» التى
جاورت بين «الدين» و«العلم» مع الفصل
بينهما - إلى «الوضعنة المادية» التى تتجاوز
«الدين» بتأويله، فتخضعه للعلم والعقل -
إخضاع إلغاء، وليس وقوفاً عند الفحص والنظر
والفقه - هؤلاء الخلفاء يصنعون اليوم - فى
مواجهة تعاضد ظاهرة الإحياء الإسلامى - ذات
الصنيع مع ابن رشد .. صنيع الاستدعاء القسرى
لفيلسوف قرطبة، لجعله «الساتر» الذى
يتحصنون به، وهم يحاولون إقامة قطيعة معرفية
مع الإسلام، وذلك بإحلال التنوير الغربى -
الوضعى - والعلمانية الغربية - اللا دينية - محل
الوحي والغيب والشريعة، عزلاً للسماء عن
الأرض، وإحلالاً «للدن الطبيعى» محل الدين
السماوى، واستبدالاً عاماً وكاملاً «للنسبى»
«بالمطلق» و«للعقل» «بالنقل»، و«للسلطة
البشرية» «بالسيادة الشرعية» - بحسبان هذه
الثنائيات، فى الإسلام، كما هى فى الفكر
الغربى، من «المتقابلات .. المتناقضات».

ولقد سلكوا إلى ذلك أبواباً عدة، فى مقدمتها،
ومن أهمها باب التزييف لمذهب ابن رشد فى
التأويل! .. حتى لقد صوروا دعوتهم إلى إحياء



د. مراد وهبه

يُخضع الدين للعقل بفضل ما لدى العقل من قدرة على التأويل من أجل الكشف عن المعنى الباطن للنص الديني الذي يتفق ومقتضيات العقل. وأعتقد أن هذا المفهوم عن التأويل لابن

رشد هو الذي أصبح

مقبولاً في أوروبا، بل أصبح أساساً لما يسمى بـ «الهرمنيوطيقا» أي علم التأويل»^(٢).

ونحن لن نقف «مكتفين» في رد دعوى تأسيس ابن رشد لعلم التأويل، بمعناه الوضعي الغربي – والذي يعني تجاوز الدين وإخضاعه للعقل – لن نقف عند تناقض هذه الدعوى مع ما قاله صاحبها من أن هذا التأويل الغربي قديم قدم الفلسفة اليونانية «فالهرمنيوطيقا Hermeneutics لها علاقة بهرمس Hermes.. والهرمنيوطيقا واحد من مؤلفات أرسطو – عن الهرمنيوطيقا – Peri Hermeneus»^(٣).

وإنما سنعمد إلى الإبداع الفكري لابن رشد، عارضين مقولات «الرشدیین اللاتین» على هذا الإبداع، لنرى هل هناك نسب حقيقي بين هذه المقولات وبين فكر أبي الوليد؟.. ولنتبين حقيقة الموقع الفكري لفيلسوف قرطبة من مذاهب النظر وتيارات الفكر ومذاهب الأمم في التقدم والنهوض.

يقولون إن هذه القضايا هي أفكار ومقولات رشدية.. وأن أهمها هو نظرية «الحقيقة المزدوجة»، ومفادها: إمكان صدق نتيجتين متناقضتين في آن واحد، أي إحداها صادقة في مجال العقل والفلسفة، والأخرى صادقة في مجال الإيمان الديني.. وأن فلسفة ابن رشد – هذه – قد أفرزت تياراً رشدياً في أوروبا أسهم في الإصلاح الديني وفي التنوير»^(١).

بل لقد تجاوزوا هذه الحدود لهذه الدعوى – التي سبقهم إليها فرح أنطون – إلى ادعاء أن ابن رشد «قد أخضع الدين للعقل.. بالتأويل».. وهو ادعاء يفضي إلى أن ابن رشد قد تجاوز وألغى الحقيقة الدينية، عندما اعتمد – بالتأويل – حقيقة واحدة، هي الحقيقة العقلية.. ورأوا أنهم بهذا التجاوز قد اكتشفوا ما لم يكتشفه فرح أنطون.. فلقد «اتجه فرح أنطون إلى ضرورة الفصل بين العلم والدين. ووجهته في ذلك أن العلم يوضع في دائرة «العقل»، لأن قواعده مبنية على المشاهدة والتجربة. أما الدين فيوضع في دائرة «القلب» لأن قواعده مبنية على التسليم بما ورد في الكتب من غير فحص في أصولها، ومعنى ذلك أن لكل منهما دائرة يتحرك فيها بحرية كما يشاء دون أن يكون أحدهما تابعا للآخر».

ويضيف الدكتور مراد وهبة – متجاوزاً دعوى فرح أنطون فيقول: «وفي رأبي أن هذا الاتجاه مخالف لما يذهب إليه ابن رشد، إذ أن ابن رشد

(٢) المرجع السابق. ص ١٥٥، ١٤١.

(١) [مدخل إلى التنوير] ص ١٣٤، ١٣٥، ١٤١.

(٣) المرجع السابق. ص ١٣٩.



العلم الإلهى بالجزئيات

والأوثان .. فالخلق لله .. والتدبير لغير الله :

﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ رَبِّكُمْ هَذَا إِلَهُكُمْ وَهَذَا إِلَهُكُمْ ﴾^(٧)

ولقد كان فكر ابن رشد، فى هذه القضية إسلامياً خالصاً .. فالله - سبحانه وتعالى - عنده، عالم بالجزئيات، كما هو عالم بالكليات .. لكن هذا العلم الإلهى مفارق لعلمنا الإنسانى، لأن علمنا الإنسانى صادر عن الموجودات، ومُسبب عنها، ومتغير بتغيرها، ومعلول لها .. بينما العلم الإلهى سبب فى وجود هذه الموجودات .. فالمغايرة ليست بين الكلى والجزئى فى العلم الإلهى .. وإنما هى بين كل العلم الإلهى وبين علم الإنسان ..

« إن علمنا معلول للمعلوم به، فهو مُحَدَّث بحدوثه، ومتغير بتغيره، وعلم الله - سبحانه - بالوجود على مقابل هذا، فإنه علة للمعلوم الذى هو الموجود، فمن شبه العلمين أحدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصهما واحدة، وذلك غاية الجهل .. وكيف يُتَوَهَّم على المشائين أن يقولوا إنه - سبحانه - لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات، وهم يرون أن الرؤيا الصادقة تتضمن الإنذارات بالجزئيات الحادثة فى الزمان المستقبل، وأن ذلك العلم المنذر يحصل للإنسان فى النوم من قتل العلم الأزلئ المدبر للكل، والمستولى عليه؟! .. »^(٨) « فالعلم القديم إنما

لقد كان إنكار « الرشديين اللاتين » علم الله - سبحانه وتعالى - للجزئيات الحادثة، هو فهمهم لمقتضى التصور الأرسطى لنطاق فعل الذات الإلهية .. فالله، فى ذلك التصور، قد خلق العالم، وحركه، ثم أصبح لا يدرى من أمر تدبيره شيئاً .. فهو كصانع الساعة، الذى انتهت علاقته بها بعد صنعه لها .. ومن ثم فهو لا يعلم ما يحدث فى هذا العالم من جزئيات .. وليس هكذا التصور الإسلامى لنطاق فعل وتدبير ورعاية الذات الإلهية لكل الموجودات .. فالله ليس مجرد خالق للعالم، وإنما هو أيضاً مدبر للكون المادى والاجتماعى البشرى .. والقرآن يقدم هذا التصور :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤)

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^(٥)

فى مقابل التصور الوثنى الجاهلى - المماثل للتصور الأرسطى - :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٦)

والذى جعلهم يرجعون بما وراء « الخلق »، من التدبير والعلم بالجزئيات الحادثة . إلى الطواغيت

(٥) طه: ٤٩، ٥٠.

(٧) الأنعام: ١٣٦.

(٤) الأعراف: ٥٤.

(٦) العنكبوت: ٦٣.

(٨) [فصل المقال] ص ٣٩. وانظر كذلك [تهافت التهافت] ص ١١٠، ١١٢، ١١٤.



أولهما: دليل العناية الإلهية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجل العناية به..

وثانيهما: اختراع الله - سبحانه وتعالى - جواهر الأشياء والموجودات.. فقال عن دليلي «العناية» و«الاختراع»: «إنه إذا استقرئ الكتاب العزيز، وجدت الطريقة الشرعية - التي نبه الكتاب العزيز عليها، واعتمدها الصحابة - للإقرار بوجود «البارئ» - سبحانه - تنحصر في جنسين:

أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه: دليل العناية.

والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه: دليل الاختراع»^(١١).

وفى علاقة «العناية الإلهية»، والتقدير والقضاء الإلهيين، بالأفعال الإنسانية، لا يدع ابن رشد مجالا لأى شبه بين مذهبه الإسلامى وبين المذاهب المادية والوضعية للتنوير الغربى.. فهو يقطع بأن الإرادة الإنسانية، فى الفعل والترك، إنما يتدخل فى إيجادها وفى تحديد نطاق فعلها العوامل، والظروف والأسباب والملابسات التى خلقها الله خارج الإنسان ومن حوله، بل وفى داخله، مما لا دخل للإنسان الفاعل فيها.. فالإرادة والفعل الإنسانيين محكومان بخلق الله

يتعلق بالموجودات على صفة غير الصفة التى يتعلق بها العلم المحدث، لا أنه غير متعلق أصلا»^(٩).

وإذا كانت التصورات الأرسطية والوثنية - وكذلك التصور النصرانى - لنطاق فعل الذات الإلهية، والتى تراه مجرد خالق للعالم، غير مدبر له، فندع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، هى المنطلقات للتصور العلمانى، الذى يحرر العالم من حاكمية الشريعة الإلهية.. فإن قطع ابن رشد بأن «الله - تبارك وتعالى - هو الفاعل للكل، وموجده، والحافظ له - وهو المدبر للكل، والمستولى عليه»^(١٠).. يجعله على النقيض من التصور العلمانى لنطاق عمل وفعل وتدبير الذات الإلهية، ومن ثم ينفى علاقة فكره بتأسيس العلمانية الغربية.. كما ينفى علاقة هذا الفكر الرشدى بمقالة الرشديين اللاتين فى نفى العلم الإلهى بالجزئيات..

علاقة العناية الإلهية بالأفعال الإنسانية

وإذا كان «الرشديون اللاتين» قد أسسوا تنويرا وضعيا وماديا يقف بالإنسان عند حدود هذا العالم، منكرًا العناية الإلهية فيما يخص تدبير الانسان وأفعاله الإنسانية.. فإن ابن رشد - الذى رفض أدلة المتكلمين التى استدلوا بها على وجود الذات الإلهية - قد حصر هذه الأدلة فى دليلين اثنين:

(١٠) المصدر السابق. ص ٣٩، ٤١.

(٩) ضمنية فى العلم الألهى [فصل المقال] ص ٧٦.

(١١) مناهج الأدلة ص ١٥٠، دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.





الأسباب التى خلقها - الله تعالى - فى داخل
أبداننا .

والنظام المحدود الذى فى الاسباب الداخلة
والخارجة، وأعنى التى لا تخل، هو القضاء
والقدر الذى كتبه الله - تعالى - على عباده وهو
اللوح المحفوظ (١٢).

هكذا جعل ابن رشد (العناية الإلهية)
محيطة بالإنسان، ترعاه، وتدبر أمره، وتسهم
فى تحديد فعله وتركه، بل وتسهم فى صنع إرادة
الفعل والترك لدى الإنسان .. فأين من هذا
المذهب الرشدى «والرشدية الإسلامية» إنكار
العناية الإلهية عند «الرشديين اللاتين»؟! .

وفى ضوء هذا الربط الرشدى بين الأفعال
الإنسانية الإرادية وبين العناية الإلهية، نرى
مذهب ابن رشد فى السببية .

فعلى حين اجتمعت مذاهب التنوير الغربى
«اكتفاء الطبيعة بذاتها» واستغنائها - فى إفراز
المسببات - بالأسباب الذاتية، الموجودة فى
ظواهرها وقواها، عن أية أسباب فوق الطبيعة
ووراءها .. نجد لابن رشد، فى السببية، مذهباً
إسلامياً، يرد كل الأسباب الطبيعية إلى مسبب
الأسباب وموجدها - سبحانه وتعالى - فهو، فى
تقرير العلاقة بين الأسباب والمسببات، ينبه
على أن رفع هذه العلاقة - علاقة السببية - أو
إنكارها يوقعنا فى مذهب «الصدف»
و«المادية»، فىقول: إنه «متى رفعنا الأسباب

وعنايته وقضائه وقدره .. «فالله - تبارك وتعالى
- قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء
هى أضداد .. لكن لما كان الاكتساب لتلك
الأشياء ليس يتم لنا إلا بمواتاة الأسباب التى
سخرها الله لنا من خارج، وزوال العوائق عنها،
كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين
جميعاً .. بإرادتنا، وموافقة الأفعال التى من
خارج لها، وهى المعبر عنها بقدر الله .

وهذه الأسباب التى سخرها الله من خارج
ليست هى متممة للأفعال التى نروم فعلها أو
عائقة عنها فقط، بل هى السبب فى أن تريد
أحد المتقابلين . فإن الإرادة إنما هى شوق يحدث
لنا عن تخيل ما، أو تصديق بشئ . وهذا
التصديق ليس هو لاختيارنا، بل هو شئ يعرض
لنا من الأمور التى من خارج .. ولما كانت
الأسباب التى من خارج تجرى على نظام
محدود، وترتيب منضود، لا يخل فى ذلك
بحسب ما قدرها بارئها عليه، وكانت إرادتنا
وأفعالنا لا تتم، ولا توجد بالجملة إلا بموافقة
الأسباب التى من خارج، فواجب أن تكون
أفعالنا تجرى على نظام محدود، أعنى أنها توجد
فى أوقات محدودة، ومقدار محدود . وإنما كان
ذلك واجباً لأن أفعالنا تكون مُسَبَّبة عن تلك
الأسباب التى من خارج، وكل مُسَبَّب يكون عن
أسباب محدودة مقدرة، فهو، ضرورة، محدود
مقدر . وليس يُلغى هذا الارتباط بين أفعالنا
والأسباب التى من خارج فقط، بل وبينها وبين

والمسببات لم يكن ها هنا شيء يرد به على القائلين بالاتفاق، أعنى الذين يقولون: لا صانع ههنا، وإنما جميع ما حدث فى هذا العالم إنما هو عن الأسباب المادية» (١٣).

فالقول بعلاقة الأسباب بالمسببات - برأى ابن رشد - لازم لكل مؤمن بوجود فاعل وموجد للوجود - وهذا نقيض المذاهب المادية - ولكن قيام علاقة السببية بين الأسباب والمسببات لا يعنى، عند ابن رشد، إنكار الفعل الإلهى، المُسَبَّب لجميع الأسباب، والقائم عليها، وفوقها.. وبهذا يجمع ابن رشد بين فعل الأسباب وبين سلطان خالقها عليها - ومن ثم على المسببات - وهو ما غفل عنه الباطنية وبعض المتكلمين.

وفى صياغة هذا المذهب - الذى ينهى الخلاف المفتعل حول السببية فى الفكر الإسلامى - يقول ابن رشد: «وإنما الذى قاد المتكلمين من الأشعرية إلى هذا القول - نفى علاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات - الهروب من القول بفعل الطبيعة التى ركبها الله فى الموجودات التى ههنا، كما ركب فيها النفوس، وغير ذلك من الأسباب المؤثرة. فهربوا من القول بالأسباب لئلا يدخل عليهم القول بأن ههنا أسبابا فاعلة غير الله».

ثم يقدم ابن رشد الحل لهذا الذى أشكل على بعض المتكلمين، فيقول: «وهيهات، لا فاعل ههنا إلا الله، إذ كان مخترع الأسباب،

وكونها أسبابا مؤثرة هو بإذنه وحفظه لوجودها. وأيضاً، فإنهم خافوا أن يدخل عليهم من القول بالأسباب الطبيعية أن يكون العالم صادراً عن سبب طبيعى، ولو علموا أن الطبيعة مصنوعة، وأنه لا شيء أدل على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة فى الإحكام، لعلموا أن القائل بنفى الطبيعة قد أسقط جزءاً عظيماً من موجودات الاستدلال على وجود الصانع العالم، بجحده جزءاً من موجودات الله. وذلك أن من جحد جنساً من المخلوقات الموجودات فقد جحد فعلاً من أفعال الخالق - سبحانه - ويقرب هذا من جحد صفة من صفاته.

إن من جحد كون الأسباب مؤثرة بإذن الله فى مسبباتها فإنه قد أبطل الحكمة وأبطل العلم، وذلك أن العلم هو معرفة الأشياء بأسبابها، والحكمة هى المعرفة بالأسباب الغائية، والقول بإنكار الأسباب جملة هو قول غريب جدا عن طباع الناس» (١٤).

وبهذا المذهب الرشدى فى «العناية الألهية».. وفى السببية التى وضعها فى إطار العناية الألهية - يقف ابن رشد على النقيض من مذهب «الرشديين اللاتين»، الذين أنكروا العناية الألهية لأفعال الإنسان.. وعلى الضد من فلسفة التنوير الغربى - المادية والوضعية - التى قررت «اكتفاء الطبيعة بذاتها» نافية التأثير فيها والتدبير لها من فوقها وورائها.

(١٣) المصدر السابق. ص ٢٠٠.

(١٤) المصدر السابق. ص ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٣١.



مواقف إسلامية

دروس .. في بناء الرجال

للمستاذ الدكتور / محمود عمارة

حدثني الأحنف أنه قدم على عمر بن الخطاب -
رضي الله عنه - عند فتح «تستر» فقال يا أمير
المؤمنين: إن الله قد فتح عليك «تستر» فقال رجل
من المهاجرين: يا أمير المؤمنين: إن هذا - يعني
الأحنف - الذي كف عنا بني مرة حين بعثنا رسول
الله ﷺ في صدقاتهم. وقد كانوا هموا بنا.

قال الأحنف:

فحبسني عمر عنده. بالمدينة سنة:

يأتيني كل يوم وليلة. فلا يأتيه عني إلا ما
يحب.

فلما كان رأس السنة. دعاني فقال:

يا أحنف: هل تدري لم حبستك عندي؟
فقلت: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عمر:

إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عليم.

فخشيت أن تكون منهم. فاحمد الله يا

أحنف!

كان فتى من «طىء» يجلس إلى «الأحنف»
وكان يعجبه.

فقال له يوماً: يا فتى:

هل تزين جمالك بشيء؟ قال: نعم:

إذا حدثت .. استمعت.

وإذا عاهدت .. وفيت.

وإذا وعدت .. أنجزت.

وإذا ائتمنت .. لم أخن

فقال الأحنف:

هذه المروءة حقاً!

مفتاح شخصية الأحنف

كان الأحنف - رضي الله عنه - صريحاً: ظاهره
كباطنه .. وإذا كان من تفاضل بين ظاهر الإنسان
وباطنه .. فإن تزين الباطن بالقيم الجميلة أفضل
وأنبل:

قال مصعب بن الزبير:



وفى رواية: قال عمر:

يا أحنف: إني قد بلوتك وخبرتكَ. فرأيت
علانيتك حسنة.
وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك^(١).

الأحنف يذل فطرته

وفى هذا الموقف الذى نحن بصدد التعليق
عليه. وفى حوارهِ مع هذا الفتى تنكشف لنا
طبيعته الصريحة الجلية.. حين يعجبه الجمال
البادى.. لكنه الجمال مع إيقاف التنفيذ حتى
يكون له من جمال الباطن وشاح!
وعلى هذا المحور كان حديثه مع الفتى فى هذا
الموقف.

والذى نطالع من دروسه مايلى:

تواصل الأجيال

إن الأحنف الشيخ يدنى منه ذلك الفتى الذى
آثره على غيره ليكون جليسه وأنيسه.
وهكذا تتواصل الأجيال فيما يشبه النهر الذى
لا يكف عن الجريان عبر المستقبل الواعد:
يحضر الفتيان مجالس الأشياخ.. هذه المجالس
التي تتحول إلى دروس فى الدعوة لا يحس فيها
المدعو بضغط أو إكراه..

وإنما هى اللفتة العابرة.. أو اللمسة غير
المباشرة.. والتي تتفتح بها مدارك الجيل على
حقائق الأشياء التي لا تتمكن من قلوبهم فى قاعة
الدرس.. بقدر ما ترسخ فى مجالس الأنس!

نفت نظر

ويلفت الأحنف نظر الشاب الذى قد يفتن
بشبابه.. إلى جمال هو أبقى وأثقل فى الميزان
وهو: جمال المبادئ.

فلا بأس أن تكون حسن الهيئة. منسق
الهندام. جميل الطلعة.. ولكن قبل هذا.. وفوق
هذا لابد أن تحمل فى صدرك قلباً سليماً.
وأن يكون فى هذا القلب من عواطف الخير ما
تسعد به الحياة والأحياء.

وإذا كان بعض الناس لهم ألسنة ولهم أقلام
تغرف من قلوبهم لتصير حبراً على الورق.. فإن
رجال المبادئ يتقدمون خطوة أخرى.. ليصبوا
هذه المبادئ عملاً يربط جفاف الحياة.. وجفاء
الأحياء.

إن المعادن تتفاضل:

١ - بالجواهر.

٢ - بالصانع.

أما فيما يتعلق بالبشر: فإن أصل الناس
واحد.. والصانع واحد.

وإذن فلا تفاضل بينهم من هذه الجهة.. وإنما
التفاضل بالتقوى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾^(٢).

إن مجرد اللسان اللافظ.. والقلب الحافظ لا
يكفى لتحقيق الجمال.

(٢) الحجرات (١٣).

(١) رواه الحافظ مصعب من طريق أبى نعيم.





مقياس.. ومقياس

إن مقياس التفاضل اليوم هو: الأناية والمنفعة الشخصية.

وقياسها: كل ما يشتهى وينفع..

الكل يتفانى فى سبيل: الجمال. والنسب. والنشب!

أما شريعة الحق كما تبدو من فحوى توجيه الأحنف فهو:

كل ما يحقق الكرامة ويعم نفعه البشرية.

وقد تجاهلنا ذلك فكان ما كان: الظلم، والكبرياء، والتباغض، بقدر ما يحقق مقياس الحق ما يلى: الحب. والتعاون على البر والتقوى..

وهنا تكون الحضارة.. بعكس ما تفرزه الأناية من تفرقة عنصرية يعانى منها عالم اليوم..

هذا العالم الذى وكله الله - تعالى - إلى نفسه.. فمضت به إلى غير مدى.. وعلى غير هدى، فماذا حدث؟

صارت الحياة - بالتعبير الاقتصادي « شيكا » بلا رصيد.. وما أكثر العمائر التى تشق الفضاء شقا.. وما أكثر الحظائر المكتظة بالخيول المسومة ولكن.. لا بركة فيها!!

معنى المروءة

وقد استجمع الفتى خلال المروءة.. التى كانت مزيجا مباركا من المبادئ.. مما يفرض على المربين أن يوجهوا حملة التطهير إلى الباطن.. وهذا ما فطن إليه سلفنا الصالح فركزوا عليه.. لا إنكارا على من يتمتع بنعيم الدنيا.. وإنما توجيهها إلى استثمار ما به يكون الإنسان إنسانا..

يقول ابن الجوزى فى صيد الخاطر « ٤٥٩ » : تأملت خصومات الملوك . وحرص التجار . ونفاق المتزهدين .. فوجدت جمهور ذلك على لذات الحس . وإذا تفكر العاقل فى ذلك .. علم أن أمر الحسيات قريب . يندفع بأقل شيء . وأن الغاية منه لا يمكن نيلها . وإن بالغ .. عاد بالأذى على نفسه أضعاف ما ناله من اللذة : كمن يأكل كثيرا .

فالسعيد من اهتم لحفظ دينه . وأخذ من ذلك بمقدار الحاجة .

واعجبا !!

هذا الملبوس : إذا كان وسطا .. خَدَمَ .. وإذا كان مرتفعاً خَدِمَ !

فإن نظر إليه اللابس معجبا به .. فإن الله لا ينظر إليه حينئذ . والمشروب : إن كان حراما .. فعقابه أضعاف لذته .

فعليك بالتوسط ، وتفكر فى أحوال السلاطين : كم قتلوا ظلما . وكم ارتكبوا حراما . وما نالوا إلا يسيرا من لذات الحس .. فانقشع غيم العمر عن حشرات الفضائل الفائته .. وحصول العقاب)
فاحذر...

وأعلم انه : ليس فى الدنيا أطيّب عيشا من منفرد عن العالم .. بالعلم فهو أنيسه وجليسه .. قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة ، لا عن تكلف ولا تضييع دين ، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها ، والتحف بالقناعة باليسير . إذ لم يقدر على الكثير .



القافلة تسير

ولقد سارت قافلة الإيمان مستوعبة هذه المعاني ..
فوصلت بإذن الله - تعالى - إلى مرفأ اليقين ..

روى: أن سعد بن ضمرة الأسدي .. لم يزل
يغير على « النعمان بن المنذر » يستلب أمواله .
حتى عيل صبره . فبعث إلى « ابن ضمرة »
يقول :

إن لك عندي ألف ناقه .. على أن تدخل في
طاعتي . فوفد عليه . وكان صغير الجسم .
فاقتحمته عينه . وتنقصه .

فقال :

مهلا أيها الملك ! إن الرجال ليسوا بعظم
أجسامهم . وإنما المرء بأصغريه : قلبه . ولسانه . إن
نطق .. نطق ببيان . وإن صال .. صال بجنان .. ثم
أنشأ يقول :

يا أيها الملك المرجو نائله

إنى لمن معشر شم الذرى زهر

فلا تغرنك الأجسام .. إن لنا

أحلام عاد .. وإن كنا إلى قصر

فكم طويل : إذا أبصرت جثته

تقول : هذا غداة الروع ذو ظفر

فإن ألم به أمر فأفظعه

رأيت خاذلا للأهل والزمر

فلما انتهى قال له النعمان : صدقت . فهل لك
علم بالأمور ؟ قال : إنى لا نقض منها المفتول .
وأبرم منها المحلول . وأجيلها حتى تجول . ثم أنظر
فيها إلى ما تؤول . وليس للدهر بصاحب .. من لا
ينظر في العواقب . قال :

فتعجب النعمان من فصاحته وعقله .

ثم أمر له بألف ناقه . وقال له : يا سعد إن
رحلت وصلناك .

فقال : قرب الملك .. أحب إلي من الدنيا وما
فيها .

فأنعم عليه وأدناه .. وجعله من أخص ندمائه
وهكذا فرض .. سعد .. احترامه على الملك .. لا

بسيفه البتار .. ولكن بخلقه العظيم الذى به كسب
الجلوة .. واتخذ له فى ديوان الملك موقعا متميزا .

إن القيادة لا تنال أبدا .. بالمظهر .. ولا
بالدعوى .. وإنما هى فقط .. بالتقوى .

وهذا هو الفتى الشاب .. محمد الفاتح ..
دللنا على الطريق : فبعد أن فتح القسطنطينية
قال : لا يؤمنا فى الفجر إلا رجل صلى الفجر
جماعة . ولم يتخلف منذ كلف !

ولم يتوفر هذا الشرط إلا فى القائد الفاتح ..
فصلى بهم .. ولقد كان « صلاح الدين » يصحب
ولديه : العادل والفاضل ليكونا معه فى مسجد
عمرو بن العاص يطلبان العلم هناك !

الأحنف وأخلاق السيادة

ولقد كان الأحنف فى توجيهه للفتى منطقيا
مع نفسه :

فقد روى أن رجلا قال له : بم سدت قومك ..
مع أنك لست بأشرفهم . ولا بأصبحهم وجها ولا
بأحسنهم خلقا ؟

فقال له الأحنف :

سدت قومى بخلاف ما فيك يا ابن أخى !

فقال له : وما ذاك ؟





وإذن .. فما أصعب المهمة .. مهمة إصلاح القلب الذى لا ينظر الله إليه إلا وهو فى أفضل حالاته ..

فإذا نجحت البداية .. بدأ السير فى الاتجاه الصحيح

وما أكثر ما تخذعنا المظاهر عن المخابر:
وربما كان الثوب وزرا .. ولو كان تحت الركبة .. فقد يغتر صاحبه ناظرا إلى غيره من عل .. ظانا أنه هو الملتزم وحده!

جذور الموقف

ولقد كان الأحنف يستلهم سنة رسول الله ﷺ وهو يرشد ذلك الفتى:

فليس الجمال فى ذاته عيبا .. لكن العيب هو الاكتفاء به!

إن الأحنف لم يعترض على جمال الفتى .. ولكنه يلفت نظر الشباب فى شخصه إلى أن الشخصية لا تتم كمالا إلا بكنز آخر مدفون فى الأعماق هو: منظومة الأخلاق .. الأمر الذى يفرض على الشباب أن يكون من اهتمامهم فى بؤرة الشعور .. ومن ثم ففى هذا الكنز وحده .. فليتنافس المتنافسون يقول ﷺ:

« لا تنظروا إلى من هو فوقكم . وانظروا إلى من هو أسفل منكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله (٣) » .

وفى رواية: (إذا رأى أحدكم من فضل عليه فى الخلق والرزق) .

قال: بتركى من أمرك مالا يعنينى . وعناك من أمرى مالا يعينك!

ولئن كان لدى السائل شىء من الجفاء .. فإن هناك منصفين يعودون بالحق إلى نصابه . ومنهم .. هشام بن صفوان الذى سأل هشام بن عبد الملك بم بلغ فيكم .. الأحنف ما بلغ؟ فقال: إن شئت أخبرتك بخلة واحدة .. وإن شئت بخلتين . وإن شئت بثلاث . قال: فما هى؟ قال: أما الخلة: فكان من أقوى الناس على نفسه ..

وأما الخلتان: فكان موقى الشر .. ملقى الخير .
وأما الثلاث:

فكان لا يحسد ولا يبخل . ولا يبغي .

من ملامح المنهج الإسلامى التربوى

من ملامح المنهج الإسلامى فى بناء الرجال .. ما يبدو من توجيه الأحنف للفتى:

فالأحنف - رحمه الله تعالى - لم يعترض على جمال الفتى .. وإنما اعترف به ..

لكنه يريد أن يرتفع به إلى أفق أعلى .. وجمال أبقى يريد أن ينتقل به من الجمال .. إلى الكمال .. وبهذه اللمحة المعبرة الموحية .

إن رجلا من العابدين لم يكتشف أن بقلبه خلا إلا بعد ثلاثين عاما قضاها فى العبادة .. فأكد بذلك صعوبة الإبحار فى خضم هذا القلب .. حتى يصير سليما معافى من علل الباطن .



إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم^(٤). وعندما خرج قارون (على قومه فى زينته).
عندما خرج عليهم مستعليا.. غارقا فيها.. مدلا بها.. كانت هناك ردود فعل مختلفة:

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾^(٥).

وهذا هو منطق السطحيين الذين انبهروا بما شاهدوا.. والذين تصدى لهم الذين أوتوا العلم والإيمان:

لقد رأى الفريقان «قارون» فى زينته.. رأوه بالعين الباصرة.

ولكن العوام وقفوا عند السطح البادى.. حيث قيدتهم هذه الزينة الصارخة.

أما أهل العلم فقد تجاوزوا رؤية البصر.. إلى نظرة البصيرة حين أدخلوا العقل طرفا فى القضية:

لقد فكروا.. وقدروا.. ولم تأسرهم الرياش البادية.. ناصحين العوام بأن هناك ما هو أغلى من هذه الزينة التى ترون وهو: ثواب الله

وينتهى الموقف إلى سقوط الغرور.. الذى ابتلعت الأرض.. فى لحظة من زمان.. وتستيقظ بصائر المخدوعين.. مقرين بصحة ما قرره العلماء المخلصون:

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُهُ لَأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكُنَّ لَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾^(٦).

والحديث الشريف الذى معنا يمكن لهذا المعنى فى قلوب الذين آمنوا.

فكما أن الإسلام حريص على صحة الإنسان الجسمية.. فهو أحرص على صحته النفسية.

حين ينهاه عن النظر إلى من فضل عليه فى الرزق. أول المال. أو الحسب لأن الإنسان - كما يقول ابن جرير وغيره.

إذا رأى من فضل عليه فى الدنيا. طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله - تعالى.

وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود فى الغالب.

وأما إذا نظر فى أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها.. ظهرت له نعمة الله - تعالى - عليه.. فشكرها. وتواضع. وفعل فيها الخير.

وهذا معنى: «فإنه أجدر ألا تردوا نعمة الله».

بين الرؤية.. والنظر

ويلاحظ أن الرواية الأخرى تقول: «إذا رأى أحدكم...».

(٥) القصص (٧٩).

(٤) رواه مسلم ج ١٦/ ١٢١.

(٦) القصص (٨٢).





.. إلى من هو أفضل

فإن ما ترونه أغنى منكم وأقوى .. ليس بالضرورة «أفضل» منكم .. فقد يكون الفارق بينك وبين الغنى والقوى شاسعا .. لكنه بالمقياس الأخلاقي .. تحت قدميك .. وإذن .. فلا بأس من الجمال يأسر الرجال .. لكن البأس كل البأس أن نقف عنده .. ناسين جوهره الحقيقي .

فلا تسترسلوا مع خواطر النفس لو رأيتم جمالا .. أو مالا .. وبخاصة إذا علمتم أن ذلك الظاهر ليس له وزن عند الله - تعالى .

«ان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٧) .

إن الفقر إلى الله - سبحانه - هو عين الغنى :

فأفقر الناس إلى الله .. أغناهم به . وأذلهم له .. أعزهم .

وأضعفهم بين يديه .. أقواهم . وأجهلهم عند نفسه .. أعلمهم بالله .

وأمقتهم لنفسه .. أقرهم إلى مرضاة الله» (٨) .

شاهد من الواقع

ونذكر ذلك الرجل الذى كان يحزنه أن يمشى حافيا .. فلما دخل المسجد .. وجد رجلا مقطوع القدم .. فحمد الله - تعالى - والذى لا يحمد على مكروه سواه . وهذا المقطوع نفسه .. إذا نظر إلى من قطعت يده

يعنى إذا انبهر لمجرد رؤية نعم الغير .. فراعته أحجامها وتنوعها .. إذا حدث ذلك .. فليحول اتجاه بصره .. إلى من هو دونه ..

ثم ليدخل عقله طرفا فى القضية .. ناظرا بعين بصيرته ليتأكد له أنه وإن فضل عليه ألف .. فهو أفضل من عشرات الألوف ..

فالرؤية بالعين المجردة .. وإن فرضت عليه مشاهد .. تراءت له .. إذا كانت الرؤية البصرية طارئة لا يملك الإنسان دفعها .. فإن النظر .. يعنى : التفكير .. والموازنة .. واختيار الواقع .. وأنت واصل بهذا التفكير وتلك الموازنة إلى المعنى الذى قرره الشاعر القائل :

لو كانت الأزواق تجرى على الحجا

هلكن إذن .. من جهلهم .. البهائم !

واقعية الحديث الشريف

والحديث الشريف لا ينكر على المسلم أن يتمنى مثل ما للغير .. ولكنه يحميه من الاسترسال مع أمانيه .. فرارا بك من الهموم التى سوف تأكل عافيتك !

هذه الهموم التى سوف تتحول إلى مخزون من الحقد .. الذى هو أعظم عيوب العقلاء .. وإنه لمرعى الحمقى .

من فقه الحديث

ولاحظ من فقه الحديث الشريف أن يقول :

« لا تنظروا إلى من هو فوقكم »

أنه لم يقل :

(٨) طريق الهجرتين/٤٢.

(٧) مسلم ج ١٦/١٢١.





سبيل النجاه

وسبيل النجاه ألا نكتفى برؤية العين ..
فالحواس خادعة .. وإنما هي البصيرة .. هي
النظر .. كما أشار الحديث .. هذا النظر إلى من
هم دوننا .. لنظفر بهذه الحقيقة وهي :

إن أفقر الناس إلى الله : أغناهم به .. وأذله
لهم .. أعزهم .. وأضعفهم بين يديه .. أقواهم ..
وأجهلهم عند نفسه : أعلمهم بالله .. وأمقتهم
لنفسه .. أقربهم إلى مرضاة الله (١٠) .

القلوب .. والقوالب

إن العبرة بما فى القلوب .. لا بما تحويه الجيوب !
فكل ما شئت .. والبس ما شئت ما أخطأتك
خصلتان : سرف .. ومخيلة .
وإن الله - تعالى - يحب أن يرى أثر نعمته على
عبده ..

والخيل نعمة : وبعض الخيل : ستر .. يتعهدها
الرجل لمصلحته . وبعضها أجر .. يتعهدها الرجل
للجهاد . وبعضها وزر يتعهدها صاحبها للخيل !
فالفرس : هي .. هي .. ولكن ما فى قلب
صاحبها هو الذى يعطيها قيمتها .

وكذلك : التلفاز .. والسيارة : فهما للرجل
كالخيل : هو بذاته .. وهى بذاتها .. لا شئ
فيهما .. ولكن المهم : كيف نستغلها ؟ ولماذا ؟

تلك هى القضية ! فالعبرة بالخباير .. لا
بالمظاهر .. بما يستكن فى القلوب .. لا بما يبدو فى
القوالب .

مع رجله .. سوف يحمد الله - تعالى - كما
حمده أخ له من قبل . أجل سوف يحمد الله
الذى أخذ عضوا .. لكنه أبقى أعضاء .

من ثمرات النظر

سوف ينتهى به التفكير إلى الاقتناع بما
قرره العلماء وهو : لا تتكالب على الدنيا ..
فإنك فيها تنال ما قدر لك من رزق .. فى
عمرك الذى سوف تعيشه .. وبعد ذلك :
ستحاسب على رزقك . وعمرك . فاشغل
نفسك بما قدمت لغد . نafs أهل الآخرة -
ودعك من أهل الدنيا

إن المال : غنى أرباب الدنيا : الذى فيه
يتنافسون . وإياه يطلبون وحوله يحومون . ولا
أحب إلى الشيطان . وأبعد من الرحمن .. من
قلب ملآن بحب هذا الغنى .. والخوف من
فقدته .

قال بعض السلف : إذا اجتمع إبليس
وجنوده .. لم يفرحوا بشئ كفرحهم بثلاثة
أشياء :

مؤمن .. يقتل مؤمنا . ورجل .. يموت على
الكفر . وقلب .. فيه خوف الفقر . وهذا الغنى
محفوف بفقرين : فقر قبله . وفقر بعده . وهو
كالغفوة بينهما (٩) .

ويصير الأمر على ما يقول الشاعر :

وتنقضى الحرب محمودا عواقبها

للسابرين .. وحظ الهارب الندم

(١٠) المرجع والموضع السابق.

(٩) طريق الهجرتين / ٤٢ - ٤٣ .





الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامي

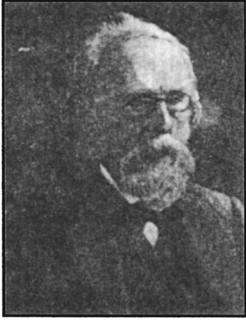
تأليف

د / محمد ياسين مظهر صديقي



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



تيودور نولدكه

للإسلام، وإما عن هذه الأسباب الثلاثة مجتمعة .

وقدم المؤلف أمثلة لهؤلاء المستشرقين اللامعين في ميدان الثقافة العربية والإسلامية، مثل

(لامانس) الذى يقرر: أن الوحي الإلهي كان نتيجة أضغاث أحلام،، وحُدس ذاتي، بينما يرى غيره أن نزول الوحي كان نتيجة غيبوبة طارئة، أو لخداع حسي، أو هلوسة وهذيان . وطائفة ثالثة من المستشرقين ترى أن الوحي ملازم لحالات الهستيريا . ومن هؤلاء المستشرقين (نولدكه) الذى يرى أن الوحي كان نتيجة لحالات عصبية، حين تنتهى يحدث الوهم، على الرغم من أن الغرب يتوج هذا المستشرق مفسرا للقرآن الكريم .

وكذلك كتب (وليم موير) أن الرسول ﷺ قد انتابته الشكوك والشبهات فيما يصله من إلهام، حتى ظل حائرا، ويرجع ذلك إلى الطعام الذى كان يأكله الرسول ﷺ على الرغم من أن الغرب توج هذا المستشرق بجعله مؤرخ الإسلام .

كما ذكر المؤلف أن كثيرا من المستشرقين يزعمون أن القرآن من صنع محمد، وأنه استفاد فى صناعه من تعليمات الإنجيل والتوراة فى منطقة الشام . غافلين عن أن القرآن الكريم جاء مصدقا ومكملا للتعليمات الإلهية الصحيحة الموجودة فى التوراة والإنجيل وجميع الصحف السماوية، وغافلين عن أن الشرائع التى تنزلت على جميع

لما أدرك أعداء الإسلام من المستشرقين وأذئابهم خطر التواصل بين المسلمين وتراثهم الخالص من الشوائب، كان من أسلحتهم الماضية لصرف المسلمين وغير المسلمين عن الإسلام . . العمل الدائب على تشويه الإسلام، إما بتقديم مقوماته وقيمه فى هيئة تنفر منها، والصد عنها، وإما بتقديم تراثه - بأشخاصه وأفكاره - فى صورة مهينة، تفقد الشخصيات الإسلامية تأثيرها الفعال، وتصرف عن الاقتداء بها، وتجعل الفكر الإسلامى سطحيا هزيلا، لا دور له فى النمو الحضارى . وتصمم سلوكيات المسلمين بالانحراف والضعف، والصدور فيها عن الدوافع الشخصية النفعية .

ولذلك حرص كثير من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغير المسلمين على كشف هذا الصنيع التشويهي والتزييفي الذى ابتلى به التاريخ الإسلامى منذ بدايات الحروب الصليبية، حفاظا على تجلية الحقيقة، وإيمانا منهم بأن ذلك ضرورى فى الإسهام بنفخ روح الحياة فى الصحوة الإسلامية، وتمكين المسلمين من أداء دورهم الحيوى على نحو ما رأينا فيما ذكره مؤلف هذا الكتاب .

رفض البعثة النبوية

وتحت عنوان (البعثة النبوية) ذكر المؤلف أن أكبر اعتراض أثاره المستشرقون هو اعتراضهم على الوحي الإلهي لمحمد ﷺ، مقررا أن هذا الاعتراض ناشئ، إما عن عدم درايتهم بالمصادر الإسلامية، وإما عن جهلهم بحقيقة الوحي الربانى . وإما عن تعصبهم الدينى وعداوتهم



نقدم للقرآن الكريم من جهل تام بكثير من نصوصه، وتجاهل للمنهج العلمى الذى أصّلوه فى شتى الميادين النقدية الأخرى .

فالناظر إلى اعتراضاتهم على القرآن الكريم يلاحظ ما وراءها من قصور فى فهمهم، وعدم إدراكهم للسور والآيات المكية والمدنية . وعدم فهمهم أحكامها . هذا إلى أن جهلهم بظروف البيئة التى واكبت نزول بعض الآيات، وما تتضمنه من تعليمات . . هذا الجهل جعلهم يرون أن القرآن جاء استجابة للبيئة العربية وتحدياتها فقط، وأن أحكامه نسبية، ترتبط بملابستها، ولا تشمل الإنسان فى جميع أحواله وبيئاته .

فجهل هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم، وتعصبهم الأعمى، صرفهم عن الوقوف على حكمة نزول القرآن منجما، وما وراء ذلك من مراعاة لحاجات الإنسان إلى الإعداد والتهيئة - دينيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا - لاستقبال ما يتضمنه من أحكام، وإلا ما استطاعت الأمة تحمله ولا استيعابه . ولو أن هؤلاء تخلصوا من الجهل، وتخلوا عن التعصب، لوقفوا على ما فى التدرج فى نزول القرآن من أدلة صدق الرسالة المحمدية .

وذكر المؤلف أن المستشرقين - استمرارا منهم فى حبس أنفسهم داخل الغرض المتعصب - ينكرون - أو يتجاهلون - تدوين القرآن الكريم فى العهد النبوى، ويصرون على أن التدوين كان فقط على عهد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ولو أنهم تخلصوا من الغرض والتعصب الأعمى، واحتكموا إلى الأسس العلمية المقررة لرأوا أن الروايات المتواترة تشهد على أن القرآن الكريم تم

الأنبياء السابقين كانت مناسبة لزمانهم وظروفهم ومستواهم الحضارى، ثم جاءت الشريعة المحمدية مكتملة، لا تتحمل التغيير ولا التبديل، بينما العقائد والأصول الدينية لدين محمد تتفق تماما مع العقائد والأصول الدينية التى قدمها جميع الأنبياء السابقين، كما تنبه إلى ذلك ورقة بن نوفل العالم المسيحى، والنجاشى إمبراطور الحبشة المسيحى، وعبدالله بن سلام العالم اليهودى .

ولو أن هؤلاء المستشرقين التزموا بأصول البحث التى قرروها، لرأوا أن شهادات المعاصرين - فيما يتعلق بنزول الوحي على محمد ﷺ - قد تجاوزت الحد كثرة وتواترا، من ناحية الشهادة التاريخية، ولرأوا أن معارضى محمد قد اعترفوا برسائله ﷺ رغم أنهم ينكرونها بالسنتهم، ولرأوا أنهم أمامه - ﷺ - أمام حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها، فقد عرف أهل شبه الجزيرة العربية جميعهم تقريبا حق الرسالة التى قدمها لهم، واعترفوا بالكلام المنزل عليه، وآمنوا به، من كل ما يؤكد أن هؤلاء المستشرقين أمام أكبر حقيقة تاريخية تلزم المؤرخ المحايد أن يعترف بها ، وتفرض عليه عدم إنكارها، إلا إذا نحى حياده العلمى جانبا، واستسلم لتعصبه الأعمى الذى يقوده بعيدا عن الأصول البحثية المقررة . والمنهج العلمى المحايد الذى يتشددون به دائما، ويتوهم كثير من باحثينا أن الغربيين ملتزمون به .

والاعتراض على القرآن الكريم

وكما كشف المؤلف مناحى الغرض، والتعصب الأعمى، والجهل الفاضح فى موقف المستشرقين من نبوة محمد ﷺ كشف ما فى



وزنيرة، وأم عبيس. وقد بلغ المشركون فى تعذيب بعضهم درجة وضع الأحجار الضخام الملتهبة على صدورهم والكى بالنار فى مواضع عديدة من أجسامهم، وضرب بعضهم على الرأس حتى تفجرت منها الدماء.

وكما أوقع التعذيب بالمستضعفين أوقع برجال من الأسر المعروفة على يد أقاربهم، كما حدث لعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد العدوى، وغيرهم كثير من السادة والسيدات.

بل إن الرسول ﷺ لم يسلم من بعض هذا الإيذاء الذى طوره مشركو مكة، فأصابوا به بنى هاشم جميعهم - من أسلم منهم ومن لم يسلم - حيث حاصروهم مع المسلمين فى شعب بنى هاشم، وقاطعوهم اجتماعيا، واقتصاديا مدة طويلة أملا منهم فى أن يلجئوا المسلمين إلى الرجوع عن الإسلام.

ويعلل المؤلف ذلك الموقف من المستشرقين بأن بعضهم قصد من وراء ذلك التبرير لفرار بعض حوارىي المسيح - عليه السلام - وغدرهم به وقت الشدة، وأن بعضهم أرادوا توجيه الأنظار بعيدا عما حدث من حركات غير أخلاقية فى صحراء سيناء من المتآمرين ومثيرى الفتن على سيدنا موسى - عليه السلام.

ويرى أن هؤلاء المستشرقين يتجاهلون - فى سبيل أغراضهم تلك - أن ما قامت به قريش فى مكة من تضيق الخناق على المسلمين، وحصارهم وتعذيبهم كان من أبرز الأسباب التى ألجأت المسلمين إلى الهجرة للمدينة، وترك

تدوينه فى العهد النبوى، وأن الخليفة الأول أبا بكر الصديق - بناء على طلب عمر بن الخطاب - كون جماعة من الصحابة لتدوين القرآن فى شكل كتاب، حفظ لدى أم المؤمنين حفصة، ثم قام عثمان - رضى الله عنه - بإعداد نسخ من هذا المصحف، وأرسلها إلى أمصار الدولة الإسلامية، حتى يجنب القرآن أى اختلاف، ويظل محفوظا على نسق واحد بالكتابة، والنطق، والحفظ.

ولكن هؤلاء المستشرقين ومن جرى وراءهم نقبوا وراء أى شبهة، ونفخوا فيها باسم التحليل العلمى والنقد التاريخى، ليضخموها، كى يخدعوا بها الضعاف، ويغرسوا بها الشك فى نفوسهم.

والتشكيك فى تعذيب المسلمين فى مكة

وكان تعرض المسلمين فى مكة لشتى ألوان التعذيب مما تناوله المؤلف من الأحداث التى حاول المستشرقون منحها، بقصد التهوين من صمود المسلمين الأوائل، فقد ادعى عدد من المستشرقين أن الإيذاء الذى أوقعه المشركون بالمسلمين فى مكة إنما كان مقصورا على السخرية، والتعريض والهجوم بالكلام والشتائم، وزعموا أن الروايات التى تتعلق بتعذيب المسلمين فيها مبالغة من المؤرخين المسلمين، متجاهلين ما تصرح به الروايات الموثقة من أن عددا من الصحابة - وبخاصة الضعفاء منهم - كانوا بلا حول ولا قوة، وأنهم تعرضوا لإيذاء يحطم الصخر، ويلزل الجبال. ولعل من أشهر هؤلاء المعذبين: بلال بن رباح الحبشى، وخباب بن الأرت التميمى، وعمار بن ياسر، ووالداه ياسر وسمية،





سهور، وحاولوا أن يقتسموا معهم أملاكهم وأراضيهم، وأشركوهم معهم فى التجارة والزراعة.

٢ - أن المهاجرين رفضوا الاعتماد على ضيافة الأنصار وثرواتهم، فقد انصرف كل منهم - تجارا و حرفيين وعمالا - إلى مباشرة حرفته وعمله، فكانوا وسيلة مؤثرة فعالة فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى المدينة، على نحو ما صنع عبدالرحمن بن عوف الزهرى، الذى شكر مضيفه سعد بن الربيع، وطلب منه أن يدلّه على طريق السوق، حيث بدأ يستغل مهارته التجارية، فتحقق من كسبه فى أيام قلائل ما مكنه من أن يتزوج، وكذلك صنع كثير من المهاجرين.

٣ - أن التحليل والنقد التاريخى للسرايا التى أمر بها ﷺ على مدى سنتين من وصوله إلى المدينة، يوضح أن أيا منهم لم يكن بدافع اقتصادى، بل كان الهدف منها كلها سياسيا تبليغيا، فقد كان رسول الله ﷺ يهدف إلى عقد معاهدة صداقة وتعاون مشترك مع جيرانه، وقد تم ذلك على عهده ﷺ.

وكان الهدف - إلى تلك الغاية السياسية - قصد جمع المعلومات، والوقوف على الظروف الجغرافية لبعض الأماكن، كما حدث فى واقعة (نخلة) كما كان الهدف فى بعض المهمات عملا حربيا خالصا، فالذى دفع إلى مهمة «عسفان» إنما هو مواجهة الهجوم المكى على مراعى المدينة، مما اضطر معه المسلمون إلى القيام بتلك المهمة.

٤ - أن الواقع التاريخى ينفى التوجه الاقتصادى، فالأماكن التى شهدت هذه المهمات

أرضهم التى ألفوها وعاشوا فيها. مخلفين وراءهم أملاكهم ومنازلهم وتجاراتهم، وأسباب حياتهم المختلفة.

وتزييف ادواف الهجرة

ويبرز المؤلف موقف المستشرقين وأتباعهم من هجرة المسلمين إلى المدينة، حيث جعلهم الغرض الجامع يشيعون أن الذى دفع المسلمين المكين للهجرة إلى المدينة إنما هو سوء أحوالهم الاقتصادية، فخرجوا إلى المدينة لا يملكون مالا ولا متاعا. ويشيعون أن المسلمين فى المدينة كانوا سيئى الحال مثل المكين، فكان المكين عبئا ثقيلا على المدنيين. ساءت بهم الحياة الاقتصادية.

ويخلص هؤلاء المستشرقون من هذا الزيف إلى غرضهم الأسمى، وهو الزعم الكاذب أن محمدا ﷺ لم يجد أمامه من سبيل سوى أن يتبع طريقة المعيشة القديمة، باستخدام أسلوب الإغارة على القوافل التجارية، والإغارة على القرى المجاورة، فكان ذلك منه ﷺ بدءا لسلسلة الغزوات والسرايا الى استمرت طويلا، والتى كانت تقوم على غنائمها الحياة المدنية كاملة.

وينبرى المؤلف لتبيين ما فى هذه المزاعم من التزوير المغرض الذى وجد فيه المؤرخون الماركسيون فرصتهم ليؤكدوا دور العوامل الاقتصادية فى التاريخ الإسلامى.

فيذكر أن هذه الادعاءات يكشف زيفها وقائع عديدة قررتها الروايات التاريخية المتواترة ومنها:

١ - أن أنصار المدينة قد أظهروا تضحيات مثالية، حيث استضافوا إخوانهم المهاجرين لعدة



اليهم، فألبس الإسلام ثوب اليهودية. فتبعهم فى الاحتفال بصوم يوم عاشوراء، وجعل البيت المقدس قبلة المسلمين فى الصلاة، وأحل ذبيحتهم والزواج من نسائهم، فلما رفضوا تلك المحاولات منه ﷺ بما سيطر عليهم من غرور وعجرفة، وعصبية دينية، وشعور بالتفوق الاقتصادى والاجتماعى - بدأ يعارضهم وينقدهم نقدا عقليا مقرونا بمواجهتهم بحزم وشدة، فأوضح ما هم عليه من إفراط وتفریط، وما أدخلوه على التوراة من تحريف وتبديل، وما قاموا به من تحايل على الأحكام الإلهية، تيسيرا لانغماسهم فى المساوىء، وتجاوزهم الحدود الإلهية فى المعاملات وغيرها.

وادعوا أن معارضته ﷺ - لليهود عمليا تمثلت فى فرض صوم رمضان بدلا من يوم عاشوراء، والتوجه فى الصلاة إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس ومع استعراض المؤلف هذه الادعاءات الكاذبة، أخذ فى استعراض أدلة زيفها وفسادها، فذكر أن فرض صوم رمضان لا علاقة له بصوم يوم عاشوراء، لأن صوم رمضان فريضة، وصوم يوم عاشوراء نفل، ولأن المسلمين مازالوا يصومون هذا اليوم باعتباره سنة، ولو أنه ﷺ قصد معارضتهم لحرم صوم هذا اليوم. كما إن حل ذبيحة أهل الكتاب - وليس ذبيحة اليهود وحدهم - وحل الزواج من النساء الكتابيات لم يطرأ عليه أى تغيير، ولو أنه - ﷺ - أراد معارضتهم لحرم ذبيحتهم، ولحرم الزواج من نسائهم،

وهذا يعنى - كما ذكر المؤلف - أن المستشرقين وأعداء الإسلام حاولو إعطاء بيانات خاطئة عن الإسلام، بقصد مسخ التاريخ الإسلامى، وإظهاره

كانت بعيدة عن طرق التجارة، والمهام الموكلة إلى القائمين بها، كانت فى مناطق محدودة، ولمدة معينة، حتى إنه لم يقع صدام مع القوافل فى معظم الأحيان، فيما عدا سرية (نخلة) بل إن هذه السرية لم تكن إلا لمعرفة الظروف، والتعرف على أحوال المنطقة. ونظرا للظروف التى تغيرت فجأة حيث تم الهجوم على فصيلة من جند المسلمين - اضطر المسلمون إلى الاستيلاء على القافلة المكية.

ومع ذلك... فإن رسول الله ﷺ أظهر عدم رضاه عما حدث، ولم يلمس بيده مال الغنيمة حتى غزوة بدر.

من هنا... يتبين أن المهمات الأولى كانت بهدف تبليغى دعوى سياسى، ولا أثر هناك للدفاع الاقتصادى، على ما صرح به النص القرآنى فى الآيات من ٥ إلى ٢٠ من سورة الأنفال، وعلى ما أوضحته الأحاديث النبوية التى رواها البخارى ومسلم، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة الحديث، وما قرره سير الأحداث والوقائع والغزوات كلها، من أن أول أهداف رسول الله ﷺ فيها جميعها كان إعلاء كلمة الله، والجهاد فى سبيل الله.

العلاقات مع اليهود

ويلاحظ المؤلف أن معظم المستشرقين ومن تابعهم من المؤرخين - فى سبيلهم إلى مسخ التاريخ الإسلامى - قدموا علاقة النبى ﷺ باليهود فى هيئة بعيدة كل البعد عن الحقيقة، لكنهم صاغوها فى هيئة خادعة، حيث ادعوا أن النبى ﷺ حاول اجتذاب اليهود إلى الإسلام بالتقرب



سبيله إلى تحقيق ذلك المبدأ عقد معاهدات صداقة بينه وبين القبائل المحيطة بالمدينة والمقيمة داخل المدينة من اليهود وغيرهم، دون الدخول فى الإسلام، فكان ما عرف باسم (صحيفة الرسول)

والمقتضى هذه الصحيفة تخلص رسول الله ﷺ من بعض قبائل اليهود الذين خانوا العهد، مثل قينقاع بما أثاروه من النزاع والفتن.

والنضير بتآمرهم على رسول الله ﷺ ومحاولتهم قتله، وقريظة بما كان منهم من نقص للمعاهدة فى وقت حرج ودقيق، وتعاون مع جيوش الأحزاب المتداعية لحرب المسلمين.

وعلى الرغم من أن ما اتخذته الدولة من إجراءات ضد القبائل اليهودية كان بسبب خروجهم على ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ عمد المستشرقون إلى تضخيم تلك الإجراءات من جهة، ومن جهة أخرى إلى إغفال جرائمهم التى ارتكبوها فى حق الدولة الإسلامية، والزعم أن تلك الإجراءات اتخذت ضدهم بسبب تمسكهم بديانتهم اليهودية، مغفلين أن أكثر من عشرين أسرة يهودية بقيت بعد ذلك فى المدينة، ولم تتخذ ضدها أية إجراءات سياسية أو اقتصادية، ومغفلين فى الوقت ذاته أن صفحات التاريخ الإسلامى شاهد عادل، وحكم فصل على أن المسلمين لم يغدروا بأحد، وحافظوا على صيانة معاهداتهم وشروطها بكل أمانة وإنصاف، كما يشهد بسمو سلوكهم الأعداء الذين هزموا.

وكما حاول المستشرقون النفاذ بمفترياتهم من خلال العلاقات اليهودية، حاول التسلسل بتلك المفتريات من خلال وصفهم نظام الحكم فى

مخالفا فى كل شئ للدين اليهودى والمسيحى، تقريراً لنظرتهم الخاطئة التى ترى أن الإسلام والمسيحية واليهودية ديانات منفصل بعضها عن بعض.

وإنهم أغفلوا فى سبيل ذلك - ما قرره القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة من أن جميع الأديان التى جاء بها جملة الأنبياء تتفق - فى أصولها - مع الإسلام، وأن علماء تلك الديانات ورهبانها هم الذين قاموا بتحريفها ومسحها بما يبتعد بها عن الحقيقة.

وأغفلوا أن الإسلام - من هذا المنطلق - يعترف بالدين اليهودى والدين المسيحى قبل تحريفهما، لصدورها جميعاً من منبع واحد، كفل اشتراك جميع الديانات السماوية فى الأصول والعقائد، لعدم الحاجة البشرية إلى تغييرها، مع اختلافها فى بعض الشرائع والقوانين استجابة لما يستلزمه الزمان وظروف الناس من تغير.

ولو أن هؤلاء المستشرقين قصدوا الحقيقة، لأمعنوا النظر المحايد فى تلك العلاقات، فعرفوا ذلك الذى غاب عنهم أو تجاهلوه، وأغمضوا أعينهم عنه، ليسلم لهم ما قصدوا إليه من تشويه وتزييف، ومسح.

حول الإجراءات التشريعية والتنفيذية

فى المدينة

ويلفتنا المؤلف إلى حرص الرسول ﷺ على جعل المؤاخاة أساس المجتمع فى المدينة ليخلص المجتمع الإسلامى من الامتيازات القبلية، وليقيمه على مبدأ «نحن» بدلاً من «أنا وأنت» وأنه فى





بالموافقة على أحدا أمرين، إما قبول الإسلام والتزامهم بفرائضه وأحكامه، وإما البقاء على دينهم مع الاعتراف بالتفوق السياسى للدولة الإسلامية، والدخول معها فى معاهدة صلح وأمان، وعدم عدوان .

ورفض عالمية الرسالة الإسلامية

ويذكر المؤلف أن المستشرقين وأتباعهم - فى تقويمهم رسالة محمد ﷺ يرتكزون على مزاعم تحافى الثوابت التاريخية، وتتجاهل النصوص الإسلامية، وتغفل المقررات المنطقية، وتعمى عن الواقع الصارخ، ويناقض بعضها بعضا .

فهم يدعون أن محمداً ﷺ كان رسولاً للعرب دون غيرهم، وأن رسالته كانت مقصورة على المنطقة التى عاش فيها، وأنها كانت وقفا على زمانه فقط، ويوغلون مع الأوهام والضلال، فيدعون أن ما جاء به محمد ﷺ إنما هو انقلاب أو ثورة، وأنه لا شرف له ﷺ فى ذلك، لأن المجتمع العربى كان متعطشا لهذه الثورة الاجتماعية والأخلاقية، وحين وجد هذا المجتمع إمكانات قدوم مثل هذه الثورة فى شكل الإسلام رحب به، وقبله .

ومع أن هؤلاء المستشرقين - وفى مقدمتهم مونترجرى وات، وريتشارد بيل - قد واجهوا صعوبة فى إثبات مزاعمهم وأفكارهم تلك .. تجاهلوا تماما كل الروايات الإسلامية المتوارثة وصرفوا النظر عما تضمنه الكتاب المقدس من أدلة وشواهد، وعملوا على تأويلها بما يتوافق مع مقاصدهم الضالة .

المدينة، فاخترع بعض المستشرقين - وعلى رأسهم (مونترجرى وات) - نظرية فحواها : أن النظام الذى أقامه محمد ﷺ فى المدينة قد قام على أسس قبلية وفاقية، تضم تقريبا تسع قبائل كبيرة، كانت تمثل تسع وحدات سياسية، من بينها وحدة تضم المهاجرين، وعلى رأسها محمد ﷺ وكان لكل قبيلة من الثمانى الأخرى رئيس، فكان هؤلاء الرؤساء الثمانية متساوين معه فى المرتبة والمكانة، ولم يكن له عليهم أى أفضلية .

ويضيفون إلى ذلك محاولة أخرى، ليقرروا من ورائها أنه لم يكن هناك دولة إسلامية تحكم جميع القبائل الأخرى، وأنه ﷺ لم يكن حاكما للمدينة .

وهؤلاء المستشرقين - فى محاولاتهم وافتراءاتهم تلك - يغفلون جميع الروايات التاريخية الثابتة بالتواتر، ويغفلون - فى سبيل ذلك - عما تقوم عليه محاولاتهم من تناقض، وأباطيل، وزيف .

ففى بيعة العقبة اعترف مسلمو المدينة برسول الله ﷺ زعيما وقائدا، مثلما اعترف به مسلمو مكة بعد الهجرة، فكان ﷺ بعد الهجرة رئيس جميع المسلمين بلا استثناء، وبعد دستور المدينة أصبح - ﷺ - القائد السياسى للمدينة بأكملها بما فيها من يهود وغيرهم، فاليهود - على الرغم من عدم اعترافهم بمحمد رسولا - قد أقرروا بزعامته السياسية بمجرد موافقتهم على الصحيفة السياسية، فكان هو الحاكم الأعلى للمدينة، والقائد الدينى والسياسى للجميع . وقد التزم - ﷺ - فى تحقيق ذلك - نهجا سياسيا محددا، يقوم على العدل والإنصاف ، حيث طالب العرب

وغطفان - إنما أسلمت لتنال الرفعة السياسية . ومبالغة منهم فى الترمويه والتزييف راحوا يرتبون قوائم بقبائل مهاجرى مكة وأسرهم، مسقطين منها أسماء كثيرة من الرجال، ومغفلين أسماء النساء تماما، حتى كأنهم لا يعترفون بوجودهن، ولا بدورهن الحيوى . وكان قصد هؤلاء المستشرقين من وراء ذلك : أن يثبتوا دعوى ضعف انتشار الإسلام فى المرحلة المكية .

ومن هنا . . أغفلوا إسلام أبى ذر وقبيلته وجارتها قبيلة أسلم، وأغفلوا إسلام كثير من القبائل الأخرى، مثل خزاعة، وأزد شنوءة . وأهم من هذا كله أغفلوا إسلام معظم أهل المدينة، وتجاهلوا أنهم شرفوا بالإسلام فى العهد المكى، حيث أسلم معظم قبائل الأوس والخزرج قبل الهجرة من مكة، حتى كان كل بيت مدنى بيتا للإسلام، من كل ما يقرر هذا أن النجاح الشامل إنما كان من ثمار كفاحه ﷺ فى مكة .

الإسلام دين ودولة

ويذكر المؤلف أن المستشرقين وأذئابهم إنما رأوا محمدا ﷺ فى مكة رسولا، وفى المدينة حاكما سياسيا، لأنهم حبسوا أنفسهم داخل التصور الضيق للدين الذى تعارفوا عليه فى أوروبا ولأنهم - بتعصبهم وجهلهم - يفتقرون إلى الحس التاريخى، فالإسلام يقوم على عدم التفرقة بين الدين والدنيا، ومطالعة الحياة المدنية لرسول الله ﷺ تقرر أنه قام بتشكيل الأمة، وتنظيم الحكومة الإسلامية طبقا لما جاء به القرآن الكريم، مما يصبغ

وإلى هذا وذاك . . رفض هؤلاء المستشرقون كل ما يشهد بعالمية الرسالة المحمدية فى إنسانيتها، على الرغم من وجود هذه الجماعات الضخمة من البشر مختلفى الجنسيات والمواطن التى تدين بالإسلام اليوم، وتعترف به ﷺ رسولا للناس كافة وعلى الرغم من بقاء القرآن الكريم محفوظا إلى اليوم بما يتضمنه من أدلة الإعجاز المتنوعة، من كل ما يؤكد أن هؤلاء المستشرقين بعيدون كل البعد عن المناهج العلمية المقررة، والأصول البحثية القديمة والحديثة، وأنهم مستغرقون فى الإصرار والعناد والتغاضى عن جميع الحقائق والشواهد اليقينية .

وهؤلاء المستشرقون - فى سبيلهم لدعم أوهامهم الضالة - هونوا من درجة انتشار الإسلام فى العهد النبوى، فذكروا أن نشر الإسلام فى العهد النبوى قد تم على نطاق محدود جدا، زاعمين أن الحياة النبوية فى مكة كانت محدودة النجاح، وأن محمدا فى المدينة لم يستطع أن يقوم بالتبليغ لا بظطراره إلى مواجهة قريش وغيرها من القبائل فى حروب مستمرة .

ولكى يدعموا هذه المزاعم قسم بعضهم حياة الرسول ﷺ قسمين، فجعلوه رسولا مكيا مرة، ورسولا مدنيا مرة أخرى، ثم قرروا أنه فى مكة بدأ رسولا، بينما بدأ فى المدينة قيصرا وحاكما سياسيا، حيث أنهى الرسالة فى المدينة، وأبطل تبليغ الدين، وقضى معظم وقته فى الحرب، وفى إقامة للتنظيم السياسى، حتى إن القبائل التى اعتنقت الإسلام - مثل هوازن



مغفلين - فى الزعم الأول - أن الدولة الإسلامية قامت منذ البداية دولة مدنية ونتيجة للمهام الأولى، والمعاهدات، والصحيفة النبوية، والغزوات والسرايا أخذت تتسع تدريجيا فى جميع الجهات، حتى إذا كانت غزوة بدر اتسعت الدولة بسرعة جهة الحدود الغربية وبعد غزوة الخندق وخيبر وصلت حدودها الشمالية إلى مدى بعيد، وبعد فتح مكة وحنين وغزوة الطائف ضمت إليها المناطق الشرقية والجنوبية، حيث أصبحت تضم شبه الجزيرة العربية بأكملها، وكان الجميع يطبقون أحكام الرسول ﷺ فى كل المعاملات السياسية والنظامية.

ومغفلين - فى الزعم الثانى - أنه ﷺ أسس نظاما عسكريا ومدنيا وماليا، وكان هو القائد الأعلى فى نظام الجيش، مع نقل مسئوليات الجيش إلى نوابه المختارين وفى النظام المدنى تم تقسيمه إلى نظام مركزى، ونظام إقليمي مترابط، فكانت شئون الحكم تدار بالتعاون بين المسئولين المحليين والإقليميين ومسؤول الحكومة المركزية، تحت إشرافه ﷺ وإرشادات الأحكام القرآنية. وفى النظام المالى كان هناك عمال الصدقات المركزيين يقومون بتحصيل الزكاة والصدقات من المسلمين، والجزية والخراج من غير المسلمين، ثم يقومون بإرسال نصيب الحكومة المركزية - وهو الخمس - إلى المدينة وكذلك كان يصنع العمال المحليون، حيث يجمعونها لدى الوالى أو الحاكم.

ولا ريب فى أن هذا الإحكام والدقة فى النظام إنما كان ثمرة من ثمار كون الإسلام دينا ودولة فى وقت واحد.

السلوك السياسى بالصبغة الدينية. كما تقرر أن كل مقام به ﷺ من غزوات وسرايا كان فى سبيل تقوية الإسلام، من كل ما يصبغ السلوك الدينى بالصبغة السياسية.

وإلى هذا وذاك.. فإن الرسول ﷺ فى أثناء كفاحه العسكرى والسياسى لم يتوقف عن بذل جهده فى تبليغ الإسلام ونشره، سواء بدعوة اليهود فى المدينة، أو بدعوة ما بقى من القبائل العربية على غير الإسلام، أو بإرسال الدعاة للتبليغ بالدين فى مختلف المناطق.

ولكن الهوى المضل أعمى هؤلاء المستشرقين عن رؤية الحقيقة، وصرفهم عن فهم طبيعة السياسة النبوية ومتغيراتها.

كما إن زعم هؤلاء المستشرقين أن أكثر القبائل العربية لم يقبلوا الإسلام خصوصا اليهود والنصارى.. هذا الزعم مانشأ إلا عن هذا الجهل والتجاهل، لأن الواقع الموثق يقرر أن جميع القبائل كان يدور فى داخلها صراع بين الإسلام والكفر، حيث أسلم من كل قبيلة بعض بطونها وأسرها، بينما ظل بعضها الآخر على دين آبائه. ولكن تعصب المستشرقين سمح لهم بأن يعترفوا بذلك، لأنهم وجدوا فيها اعترافا منهم بأن من المسيحيين من قبلوا الإسلام عن رغبة وطوعية.

ومن ظلام هذا المزاعم الاستشراقية تولد زعمان آخرون، قرروا فى أحدهما: أن الدولة الإسلامية كانت محصورة فى وسط الجزيرة العربية، لم تشملها جميعها. وقرروا فى ثانيهما: أن الدولة الإسلامية كانت تفتقد المركزية، إذ كانت تقوم على النظام القبلى القديم.



وإيران، ثم الإغارة على المناطق الإسلامية بتعصيد من الحكومات هناك، فلم يكن هناك مفر من تقدم الجيوش الإسلامية للهجوم على المناطق المغيرة، وكذلك كان الحال على جبهة الشام، فقد قام عمرو بن العاص، وخالد بن سعيد بسلسلة من الإجراءات التأديبية ضد المرتدين والبلغاة من قبائل قضاة و كلب وغيرهما، حيث تطور الأمر إلى اصطدام مع القبائل الموالية للبيزنطيين.

وعلى الرغم من وضوح هذه الدوافع أبى المستشرقون وأتباعهم إلا أن يخرعوا من الأسباب والدوافع ما يشوه صورة الإسلام، ويسىء إلى المسلمين، ويجعلهم مجرد طامعين فى عوائد الخراج والجزية، حتى تطور الأمر بهم إلى الثورة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

وبعد:

فالكتاب - على قلة عدد صفحاته - زاخر باستعراض ما خلعه المستشرقون وتلاميذهم على أحداث المرحلة النبوية والخلافة الراشدة من تزوير وتزييف، وما ألبسوها من خيالاتهم المريضة من أباطيل وضلال.

وقد حاول المؤلف - فى هذا الاستعراض - أن يرد على هؤلاء المستشرقين، ويدفع مزاعمهم الضالة، ولكن حجم الكتاب - على ما يبدو - وقف به دون بسط هذه الردود، فجاءت مجملته الإجمال الخلل فى كثير من الأحيان، واكتفى باستعراض الأحداث والقضايا التى استغلها المستشرقون ليشوهوا

ثم أى علاقة بين هذا النظام المركزى المفصل فى دقة وإحكام، وبين النظام القبلى الذى يزعمه هؤلاء المستشرقون.

وخفاء الرسول ﷺ

وذكر المؤلف أن ما صنعه المستشرقون وتابعوه من تزييف ومسح فى السيرة النبوية، صنعه مع تاريخ الخلفاء الراشدين، فبدلوا جهودهم المتوالية لمسح الأحداث المتعلقة بمؤسسات الخلافة، انطلاقاً من تعصبهم الأعمى .. وعداوتهم الحاقدة للإسلام، وجهلهم الفاضح بطبيعة التوجهات الإسلامية، ففسروا ما كان من أحداث واختلافات بين الصحابة بأنها كانت نتيجة المطامع الشخصية، وفسروا ما كان من ارتداد بعض المسلمين بأنه عصيان سياسى، ورغبة فى التحرر من التسلط السياسى والعسكرى للخليفة، وأن ذلك كان دليلاً على أن تلك القبائل لم تقبل الإسلام إلا فى الظاهر فقط. وعللوا انتشار الفتوحات الإسلامية فى بلاد الفرس والروم بأنه كان استناداً للطاقة العسكرية الضخمة التى خلفتها حروب الردة، حيث اضطّر الخلفاء الراشدون إلى ذلك لتخليص الدول من مشكلة الفرائض العسكرية.

ووفق منهج المؤلف .. كشف زيف هذه المزاعم جميعها، وبين ما تقوم عليه من تضليل وخيالات وهمية، ونبه إلى تجاهل هؤلاء المستشرقين ما كان من لجوء المرتدين والمتمردين إلى المناطق الخاضعة للعراق

ولعل الذي أوقع المؤلف في هذا الخطأ هو شدة تهمسه لموضوعه، لأنه لم يكن في حاجة إلى تعمد مثل ذلك الخطأ، فقد دفع مزاعم المستشرقين في قضية تحويل القبلة بدفوع قوية. وما كان عليه إلا أن يستهجن تجاهل المستشرقين - في هذه القضية - ما صرح به القرآن الكريم في قوله - تعالى - : مخاطبا رسوله ﷺ :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

هذا إلى أن المتأمل في الشكل الفني للكتاب يلاحظ أن المؤلف - بعد تبويبه وتفصيله - قدم موضوعه في هيئة تجهد القارئ وتضلله عن المقاصد السامية التي تضمنها الكتاب. كما إنها أصابت المؤلف نفسه بقسط وافر من الإجهاد والإعنات، تمثلت في اضطراره إلى التكرار في بعض الأحيان، وخلط بعض الموضوعات ببعض.

بيد أن هذه الهنات لا تمثل شيئا كبيرا أمام ما بذله المؤلف من جهد، وما قدمه من فكر واضح، ورأى حاسم، ورؤى يجب أن يلم بها القارئ المسلم وغير المسلم، فالحق أحق أن يتبع، وعلى الله قصد السبيل.

والتأمل في نهج المؤلف يلمس أنه متحمس لموضوعه تحمسا أوقعه في خطأ ما كان يصح أن يقع مثله فيه، على الرغم من وضوح الحقيقة، واشتغالها، ففي أثناء دفعه زعم المستشرقين أن رسول الله ﷺ جعل بيت المقدس قبلة للمسلمين ليغري اليهود بالدخول في الإسلام بعد الهجرة.. في دفعه هذا الزعم قال ص ٦٦ : « ويعرف طلاب السنوات الأولى من دارسى التاريخ الإسلامى أن تحويل قبلة المسلمين في الصلوات الخمس عن بيت المقدس قد تم قبل عدة سنوات من الهجرة في وقت لم تكن هناك لقضية إرضاء اليهود أو مهادنتهم مكان، ولم تكن فكرة الهجرة إلى المدينة حتى قد وردت على الخيال ».

ولو أن المؤلف تأنى قليلا قبل أن يقول ذلك، ونظر فيما تضمنته كتب الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ وما أثر من أسباب النزول، وما ذكرته كتب السيرة النبوية.. إذن لعرف أن تحويل القبلة كان في المدينة بعد الهجرة، ويتوج هذا كله مارواه الإمام مالك - بإسناده - عن سعيد بن المسيب أنه قال : « صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين (١) ».

(١) الموطأ: كتاب القبلة حديث ٧ وصحيح البخارى: كتاب الصلاة، حديث ٣١ وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث ٢ والرسالة للإمام الشافعى، فقرة ٣٦٦ بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.
(٢) البقرة (١٤٢).



أمنهات الكتب العلمفة فف التراث الإسلامف

كتاب
الصفوان

تألف

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

مؤتاذ الكثر / أأأ فؤاد باشا



التعريف بالمؤلف

أبو عثمان عمرو بن بحر، الملقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، أديب وعالم موسوعي اشتهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، وشغف منذ نشأته بالبصرة بالقراءة وتحصيل المعرفة حتى إنه اعتاد أن يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها ليطلع الكتب التي لا يقدر على اقتنائها، مما ساعده على أن يلم بمختلف العلوم والمعارف، ويحصل على ذخيرة وفيرة من ثقافة عصره ومعارف السابقين.

تتلذذ الجاحظ على أكابر اللغويين والفقهاء وعلماء الكلام، وخالط الناس على اختلاف طبقاتهم، فأخذ الفصاحة من شفاه العرب ودرس اللغة والأدب والشعر والأخبار على أشهر علماء البصرة أمثال: أبي عبيد بن المثني، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، ودرس النحو على الأخفش، ودرس علمي الكلام وأصول المعتزلة على أبي اسحق النظام، ثم انتقل إلى بغداد وأفاد من علمائها كثيراً، واتصل بالحكام والأمراء والخلفاء فأكرموا وقدروا فضله ونبوغه وأحلوه المكان اللائق بأدبه وعلمه. عاصر الخليفة المهدي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنصور والمستعين والمعتز، وتوفي عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م في البصرة بعد أن جاوز عمره التسعين عاما.

وقد خلف الجاحظ مؤلفات عديدة في شتى مجالات المعرفة، وصلت حوالى ثلاثمائة كتاب ورسالة، مزج فيها جميعاً بين العلم والأدب، فلم يقتصر - فيما يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام»- على ذكر البراهين النظرية، بل استعان بالتاريخ والشعر وبما يعرف من أحداث، وما جرب هو نفسه من تجارب.. ومزج ما تعلم بما قرأ،

وبما سمع، وبما شاهد، وبما جرب.. ووضع هذا كله في أسلوب سمح فضفاض يزيد طلاوته تقديره للنادرة الحلوة والفكاهة العذبة. ولعل أبلغ وصف لتراث الجاحظ ما قاله «أبو الفضل بن العميد» الوزير من أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً: فقد كان يهزأ بالخرافات والآراء الشائعة غير المعقولة، وأظهر في كتابه «البخلاء» موهبته كناقد ساخر لمجتمعه، حيث تناول البخل والبخلاء من منظور حوارى جدلى صور فيه أخلاق الناس وطبائعهم فى مجتمع البصرة وفى حياتهم العادية، فاعتبر بهذا الكتاب رائداً من رواد القصة القصيرة والأدب الواقعى. وفى كتابه «البيان والتبيين» تصدى للشعوبية ودعا إلى وحدة الأمة وتماسك عناصرها وأجناسها على أساس العقيدة، وفى كتابه «المحاسن والأضداد» قارن بين حضارة العرب والعجم موضحاً جوانب التكامل والتميز بأسلوب متفرد. أما كتابه «الحيوان» فهو موسوعة أدبية وعلمية شاملة تستحق أن نتوقف عندها ونتحدث عنها بشيء من التفصيل.

أهمية كتاب الحيوان للجاحظ

جاء كتاب الحيوان خليطاً من المعارف العامة والملاحظات الخاصة، حاول فيه أبو عثمان أن يوفق بين العقيدة وبين التفكير العلمى وما يقبله العقل الإنسانى، متخذاً من الكون بكل ما فيه برهاناً على ما يقول. والحيوان اتجاه جديد عند العرب فى بحث حقائق الكون، لم يهتم به الإنسان كثيراً فى العصور القديمة، إلا فيما يحتاج إليه فى طعامه أو كسائه أو مداواته، أو استخدامه فى تيسير أعماله ونشاطاته المختلفة.

غاية الجهد في تحرى الحقيقة وإيصالها إلى الناس، وبعد التثبت والتجربة والعقل والبرهان ليكون الحكم فى النهاية أقرب إلى الحق والصحة.

وأدرك الجاحظ المفهوم الحقيقى لعملية تطور الفكر البشرى، ودور العقل والإرادة فى دفع هذه العملية إلى الأمام باستمرار، فقال فى كتابه الذى بين أيدينا: «وينبغى أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا. على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا، كما أن من بعدنا يجد من العبر أكثر مما وجدنا». وأكد مراراً فى كتابه على أن الفرق ما بين الإنسان والحيوان إنما يتمثل فى القدرة على التفكير وصولاً إلى حرية الاختيار، فهو يقول: «إن الفرق بين الإنسان والبهيمة، والإنسان والسبع والحشرة، والذى صير الإنسان إلى استحقاق قول الله - عز وجل -:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾^(١).

ليس هو الصورة، وأنه خلق من نطفة وأن أباه خلق من تراب، ولا أنه يمشى على رجليه ويتناول حوائجه بيديه، لأن هذه الخصال كلها مجموعة من البهائم والجانين والأطفال والمنقوصين... والفرق الذى هو الفرق إنما هو الاستطاعة والتمكين، وفى وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة وليس يوجب وجودهما وجود الاستطاعة...».

ومن هنا نلاحظ أن أبا عثمان كان ينطلق فى بحثه من مسلمة الإيمان، فهو يرى أن البحث فى هذه الكائنات على اختلافها حجماً وتكويناً ووظيفة يعتبر وسيلة من وسائل الاعتبار والتأمل فى حكمة الخالق من

وكان الجاحظ سباقاً إلى إدراك أهمية ما نسمية اليوم «الثقافة العلمية للجميع». فهو يؤمن بأن العلم مشترك إنسانى، ليس ملكاً لأمة دون أمة، وأنه إنما وضع ليفيد منه جميع الناس على اختلاف أجناسهم ونحلهم ويقول مؤكداً هذه الغاية من تأليف كتابه:

«وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأعم وتتشابه فيه العرب والعجم لأنه وإن كان عربياً أعرابياً وإسلامياً جماعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علم الكتاب (القرآن) والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة. ويشتهي الفتيان كما يشتهي الشيوخ، ويشتهي الفاتك كما يشتهي الناسك، ويشتهي اللاعب ذو اللهو كما يشتهي المجد ذو الحزم، ويشتهي الغفل كما يشتهي الأريب، ويشتهي الغنى كما يشتهي الفطن...».

ومصادر كتاب الحيوان هى مصادر ثقافة العصر الذى عاشه الجاحظ، وما أضاف إليها من خبراته ومعارفه ومشاهداته، فقد أخذ عن اليونان والهنود والفرس، وتأثرت ثقافته بما أخذ واقتبس عن هذه الأمم، لكنه كان نزاعاً إلى التجديد، فهو لا يرى بأساً بأن يدخل العربية عنصر من عناصر آداب الأمم المعروفة فى عصره المشهورة بالعلم والحكمة والأخلاق والآداب، ويقول فى ذلك: «... وقد نقلت كتب الهند، وترجمت حكم اليونان، وحوّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً... وقد نُقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرية إلى قرية، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهت إلينا، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها...». وهذا يعنى أن أبا عثمان بذل



صفاته، وكان حيناً يقدم على ذبح الحيوان وتفتيش جوفه وقناصته، ومرة كان يدفن الحيوان فى بعض النبات ليعرف حركاته، ومرة كان يذوق الحيوان، وفى أوقات كان يبيع بطن الحيوان ليعرف مقدار ولده، كذلك كان يجمع أصداد الحيوان فى إناء واحد مع بعضها البعض ليعرف تقاتلها ويلاحظ سلوكياتها، كما مارس التشريح على بعضها ليتعرف على أحشائها ووظائفها. وكان يفتح الأرحام ليرصد مراحل تطور الأجنة وأشكالها وأعدادها.

وأجرى الجاحظ بنفسه تجارب الارتباط الشرطى على كلب محبوس للتعرف على ذكائه ورد فعله، فكان سابقاً بذلك عالم البيولوجيا «بافلوف» بعدة قرون. كما قارن بدقة بين سلوك القرد والإنسان. واكتشف تأثير الهرمونات على الجسم، ولاسيما هرمون الذكورة الذى تفرزه الخصية فى الرجل والحيوان. وطبق نظريته على الحيوان المخصى بالذات، وسجل ملاحظاته بشأن لحم الحيوان المخصى بقوله: «لذا ورطباً وطيباً إن كان عضلاً صلباً». وبيّن أن الإخصاء يسقط الشعر من الجلد ويجعل الجلد أملس رقيقاً وصافياً فى اللون، ويتغير الصوت ونبراته لدى المخصى، وكان وصفه يتوافق مع رأى علم وظائف الأعضاء الحديث.

ومن الناحية النظرية كان الجاحظ سابقاً إلى القول بمفهوم نظرية التطور فى الحيوان، ولكن على أساس قدرة الله - تعالى - فى تدرج الكائنات للنوع الواحد، بخلاف ما جاء به دارون من مفهوم الانتخاب الطبيعي فى كتابه «أصل الأنواع» فقد أكد الجاحظ على أن الصور الأصلية للأنواع تفرعت إلى صور جديدة بالتكوين المتدرج لخصائص جديدة ساعدتها على التكيف مع الظروف البيئية التى تعيش فيها.

هذا التنوع العجيب فى خلق الكائنات، فالنمل لا يقل شأنًا فى تمثيله حكمة الخالق عن الفيل أو الإنسان.. بل ربما هو أكبر شأنًا فى ذلك، إذا اعتبر الإنسان بالخفى والدقيق من الأمور، ويقول فى ذلك:

«.. ونحن نرى أن التمثيل ما بين خصال الذرة (أى النملة) والحمامة والفيل والبعير والثعلب والذئب أعجب. ولسنا نعى أن للذرة ما للطاووس من حسن ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه، ولا أن لها غناء الفرس فى الحرب والدفع عن الحرم. لكننا إذا أردنا مواضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس، والحس اللطيف من الشئ السخيف، والنظر فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجن والملائكة، لم نذهب إلى ضخم البدن وعظم الحجم ولا إلى النظر إلى الحسن ولا إلى كثرة الثمن..»

ولذلك اتسعت موسوعة الجاحظ لتشمل كل ما عرفه الجاحظ من حقائق علمية ومعارف فى المعتقدات والمذاهب وعقائد العامة وأقاصيصهم ونوادير الأعراب وأشعار العرب وأقوال الحكماء، مهما بدت لعين الناظر ضئيلة فى قيمتها المعرفية.

والجاحظ فيلسوف طبيعى سار على غرار النظام فى منهج تحرير العقل واعتبار الشك والتجربة أساساً للبحث قبل الإيمان واليقين. ويزداد المنهج التجريبي عند الجاحظ وضوحاً وتأكيداً عندما نعلم أنه كان يلجأ دائماً إلى التجربة ليتحقق بنفسه من صحة نظرية من النظريات أو رأى من الآراء. ولكل تجربة عنده هدف وغرض، ففى بعضها كان يقطع طائفة من الأعضاء ليرى هل ستعود وينمو بدلاً منها، وفى بعضها كان يعطى الحيوان جرعات مختلفة من السموم والمواد الكيميائية ويلاحظ تأثيرها على الحيوان، وحيناً كان يرمى بتجربته إلى معرفة بيض الحيوان والاستقصاء فى

كتاب الحيوان للجاحظ أننا نحاول إثبات ممارسة الجاحظ للمنهج العلمي التجريبي كما يمارسه العلماء المعاصرون، فالجاحظ من علماء القرن التاسع الميلادي، وليس من الإنصاف أن نقيمه بمقياس العصر الحاضر، ولكننا نذهب إلى تأكيد ما يحمله من صفات الباحث المدقق والعالم المحرب في مرحلة مبكرة من تاريخ التفكير العلمي، فهو من رواد الحقيقة ويحاول الوصول إليها عن طريق التجربة وإعمال العقل، بل كان في كثير من الأحيان يشك في النتائج التي يتوصل إليها ويستمر في الشك وتكرار التجربة، ويدعو إلى ذلك كله حتى تثبت صحة النظريات والآراء، وتتجلى له الحقيقة ويتعرف على مواضع اليقين والحالات الموجبة لها.

ترجمة المصطلح العلمي عند الجاحظ

من ناحية أخرى لا يقتصر كتاب «الحيوان» للجاحظ على أنه موسوعة تشتمل على شتى المعارف، بل إنه يصلح أن يكون مصدراً من مصادر اللغة والبحث في المصطلح العلمي. ذلك أن أبا عثمان قد أفاد كثيراً من ثراء اللغة العربية الزاخرة بالألفاظ والتعابير عن الأشياء والألوان والأصوات بجميع هيئاتها وأشكالها ودرجاتها، ولم يدخر وسعاً في البحث في أصول العربية عن أنسب الألفاظ والتعابير التي يمكن أن تخدم العالم الطبيعي، خاصة وأن عامة المترجمين الأوائل لم يكونوا يتقنون العربية إتقاناً كافياً لتأدية المعاني المطلوبة لترجمة المصطلحات العلمية. ونجده، على سبيل المثال، يصنف الحيوان إلى فصيح وأعجم، فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان، ومن الأعجم «مايرغو، ويشغو، وينهق، ويصهل، ويشجع (أو يشمخ)،

وسجلت موسوعة الجاحظ إشارته المبكرة إلى مفهوم الهندسة الوراثية وتحسين النسل (الأيوجينا) عندما تحدث عن التهجين المولد وعبر عنه بالنتاج المركب، ومن ذلك قوله: «إننا وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل». وعرف النتاج المركب بأنه ولادة بين جنسين مختلفين من الحيوان ومن الناس، والنتاج المركب ممكن بين عدد من أجناس الحيوان: بين الذئب والكلبة، بين الحمار والفرس، بين الحمام البري والحمام الأليف، ثم هو غير ممكن بين عدد آخر من أجناس الحيوان كالتيث والنعجة، أو كالبقرة والجاموس على قرب ما بينهما في الشكل.

ولقد ميز الجاحظ بين الأمور الواقعية في مجال النتاج المركب وبين الخرافات والأباطيل التي انتشرت في أيامه، فيقول: «وقد تجاسر ناس على توليد أبواب من هذا الشكل (ويقصد به التهجين بين أنواع حيوانية بعيدة بنسبها عن بعضها) فادعوا أموراً ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان.. ومثل هذه الأقوال لا يحققها الامتحان (التجربة) وما عندنا معرفة بها». وتشكك الجاحظ في الأقوال حول تسافد الكلاب مع الثعالب، والثعالب مع الهرة الوحشية، وسقّه هذه الأقوال بعد تفنيدها، ووصف أهلها بأنهم ناقلون غير مدققين، ومقلدون غير مطبقين. ورأى الجاحظ أن أرسطو لم يثبت بعض الأمور بالعيان والسماع والامتحان والتجربة، وقد أتى في كتاب «الحيوان» على بعض أقوال أرسطو في الحيوان ففندها وأظهر نواحي الضعف فيها، وأوضح كيف أن أرسطو لو لجأ إلى التجربة لتحقيقها لما قال بها ولما أتى على ذكرها.

وينبغي ألا يفهم من مناقشتنا لبعض محتويات

أهم المؤلفات المحققة للجاحظ

١- البيان والتبيين

- حققه حسن الفاكهاني ومحمد الزهرى الغمراوى، القاهرة، المطبعة العلمية، ١٨٩٥م، مجلدان.

- حققه محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة الجمالية، ١٩١٤م، ٣ مجلدات.

- حققه عبدالسلام هارون، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨م، ١٩٥٠م، ج ١: ٤٤٣ ص، ج ٢: ٣٧٢ ص، ج ٣: ٣٨٤ ص، ج ٤: ٤٠٢ ص.

٢- التاج فى أخلاق الملوك:

- حققه أحمد زكى باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٤م، ٢٨٣ ص.

- حققه إبراهيم الزين، وأديب عارف الزين، بيروت: دار الفكر ودار البحار، ١٩٥٥م، ٣٤٤ ص

- حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٧٠م، ١٩١ ص

٣- المحاسن والأضداد والعجائب والغرائب:

- حققه فان فلوتن، ليدن: بريل، ١٨٩٨م، ٤١٦ ص.

- صححه محمد أمين الخانجي، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٦م، ٢٦٠ ص.

- حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للطباعة والنشر، ١٩٦٩م، ٢٣٧ ص.

٤- البرصان والعرجان والعميان والحولان.

- حققه محمد مرسى الخولى، القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٢م، ٤٦٢ ص.

ويخور، ويبغم، ويعوى، وينبح، ويزقو، ويضغو، ويهدر، ويصفر، ويصوصى، ويقوقى، وينعب، ويزار، وينزب، ويكش، ويعج (أو يبح) .. فالعالم بحاجة ماسة إلى عالم دقيق باللغة التى يعبر بها عن علمه، وقد استطاع الجاحظ أن يوسع إطار العربية ليستعمل على كثير مما جدَّ على الفكر فى عصره، لكن دون تضيق على نفسه أو على العلم الذى هو بصدده، فما لا يوجد له مقابل فى العربية من أسماء أجنبيه، يضعه بلفظه الأجنبى وبحروف عربية، وهو المنهج الذى يتبعه العلماء الآن عند ترجمة المصطلحات العلمية إلى العربية، أو تعريبها.

وهكذا جاء كتاب «الحيوان» للجاحظ موسوعة شاملة أفاد منها كل من جاء بعده، وحظيت باهتمام الكثيرين من العلماء والمؤرخين والباحثين، لكن أبا عثمان يعتذرفى تواضع جم عن أوجه القصور فى إتمام هذا الكتاب الذى استغرق تأليفه سنين طويلة، موضحاً أسباب ذلك بقوله: «وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجواهر والطفرة والتولد والمداخلة والغرائب والتماس، لكان أسهل وأقصر أياماً وأسرع فراغاً لأنى كنت لا أفزع فيه إلى تلقط الأشعار وتتبع الأمثال واستخراج الآى من القرآن والحجج من الرواية، مع تفرق هذه الأمور فى الكتب وتباعد ما بين الأشكال .. فإن وجدت فيه خللاً من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشئ فى غير موضعه، فلا تنكر بعد أن صوّرتُ عندك حالى التى ابتدأت عليها كتابى...».



- حققه فوزى عطوى، دمشق: مكتبة محمد حنين النورى، د.ت. ٧ مجلدات.

٧- البخلاء:

- حققه فان فلوطن، ليدن: بريل، ١٩٠٠م، ٢٢٧ ص.

- حققه أحمد العوامرى وعلى الجارم، القاهرة: وزارة المعارف العمومية، ١٩٣٨م، ج ١: ١٩٢ ص، ج ٢: ٢٥٩ ص

- حققه طه الحاجرى، القاهرة، دار الكاتب المصرى، ١٩٤٨م، ٥٠٧ ص.

- حققه محمد على الزغبى، بيروت، مكتبة العرفان، ١٩٥٥م، ج ١: ١١٣ ص، ج ٢: ١٤١ ص
- حققه أحمد ظافر كوجان، دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٦٣م.

- حققه فوزى عطوى، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م، ٣١٥ ص.

- حققه عبدالسلام هارون، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م، ٦٨٦ ص.

٥- مقتطفات وترجمات من آثار الجاحظ

- حققه ريشر وشوتوتجارت، ١٩٣١م، وهى تضم ٢٩ رسالة للجاحظ.

٦- الحيوان:

- حققه محمد بدر الدين النعسانى الحلبي: القاهرة: المطبعة الحميدية، ١٩٠٥م، ج ١: ١٩٨ ص، ج ٢: ١٣٦ ص، ج ٣: ١٧٠ ص، ج ٤: ١٥٧ ص، ج ٥: ١٧٧ ص، القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٠٧م، ج ٦: ١٧٧ ص، ج ٧:

- حققه عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٩٤٠-١٩٤٧م، ج ١: ٤٨٠ ص، ج ٢: ٤٨٣ ص، ج ٣: ٥٤٨ ص، ج ٤: ٥٠٣ ص، ج ٥: ٦١١ ص، ج ٦: ٥١٥ ص، ج ٧: ٥١٦ ص، ج ٨: ٣٣٤ ص.

مراجع للاستزادة

١- قدرى حافظ طوقان، العلوم عند العرب: سلسلة الألف كتاب (٤)، مكتبة مصر، القاهرة، مقدمة المؤلف بتاريخ ١٩٥٦م

٢- د. ودیعة طه النجم، منقولات الجاحظ عن أرسطو فى كتاب الحيوان، نصوص ودراسة، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م

٤- د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى، دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة ١٩٩٧م

٥- عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م

٦- د. عبدالحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، دار المعارف ١٩٨٠م.



انظّموا أوطاننا أسراً

للشاعر / محمد مصطفى حمام

رأى الدين، فى قضايا التعدد والتقييد مصوراً فى شعر حسن للأستاذ / محمد مصطفى حمام.

تَزَوَّجُوا ، وانظّموا أوطاننا أسراً	لا تتركوا وطن الأمجاد منتثرا
لا تجعلوا البيت والتزويج مشكلة	ويَسْرُوا من أمور العيش ما عسرا
لا تخشوا الفقر، كم من أسرة شبت	عِزّاً ومالاً ، وفرد خاب وافتقرا
ولا تخافوا شقاقاً فى بيوتكمو	بل اضمروا الحب يبق الحب منتصرا
فإن تعاضمكم خلف وأعْضَلَكُم	فخالفوا أمر التفريق إن أمرا
واستخلصوا حَكَمًا من أهلِكُم وخذوا	من أهلها حَكَمًا واسترحموا القدرا
ولست أرضى سوى الأهلين محكمة	وليبق سِرِّى وسر البيت مُدْخِرا
فإن قضى الله تفريقاً فنازلة	إن تلق صبراً فطوبى للذى صبرا
وربما كان فى التفريق منفعة	قد يبرأ الجسم من عضو إذا بُترا
حياتنا صفحات تلك واحدة	منها فذا رابع فيها وذا خسرا



وَمَنْ يُعَدِّدْ زَوْجاً دُونَ مَلْجَأَةٍ
لَيْسَ التَّعَدُّدُ إِلَّا رُخْصَةٌ فَإِذَا
مَنْ يَنْتَقِصْ حَقَّ أَوْلَادٍ لثَانِيَةٍ
وَفِي التَّعَدُّدِ إِنْ أَدْرَكْتَ حَكْمَتَهُ
مَنْ لِلْمُطَلَّقةِ الْحَسَنَاءِ يَعَصُمُهَا !
وَلِلْأَرَامِلِ، وَالْأَحْزَانِ تَعَصِّرُهَا
وَمَنْ لَأُمِّ الْيَتَامَى، هَلْ تَقْوَتْهُمْ
وَمَا الْغَطَاءُ لِمَنْ زَلَّتْ وَسَاوَرُهَا
وَمَا السَّبِيلُ إِلَى ذُرِّيَةِ نُجُبٍ
هُوَ التَّعَدُّدُ يَهْدِي الْفَارِقِينَ إِلَى
هُوَ التَّعَدُّدُ كَمْ آوَى الْيَتِيمَ وَأَشَدَّ
هُوَ الْحَلَالُ الَّذِي يَنْفَى الْحَرَامَ وَكَمْ
عَدُّدٌ إِنْ اسْتَطَعْتَ لَكِنْ عَادَلاً لَبَقَاءً
وَاحْكَمْ رَعَاكَ اللَّهُ بِالْحُبِّ الصَّحِيحِ
وَاسْأَلْ ضَمِيرَكَ فِي أَمْرِ التَّعَدُّدِ، لَا
إِذَا جَرَّوْتَ عَلَى قَاضِي السَّمَاءِ فَلَنْ

فَقَدْ أَتَى بِضِرَارٍ أَوْ أَتَى ضَرَرًا
أَسْرَفَتْ فِيهَا رَكِبْتَ الْحَقَّ وَالْخَطَرَ
لَمْ يَلْقَ مِنْ رَبِّهِ عَفْوَاً إِذَا اعْتَذَرَ
بِرُّ رُخَى وَجَبَرَ لِلذِّى كُسِرَا
وَلِلْعَوَانِسِ تَفْنَى عَمَرُهَا ضَجْرًا !!
وَالْحَزَنُ يَفْتِكُ بِالْأَعْوَادِ إِنْ عَصِرَا
بِالْخَدِّ مُعْتَصِرًا وَالْقَدِّ مُهْتَصِرًا !!
مِنَ الْفَضِيحَةِ طَيْفٌ يَرْسِلُ النَّذْرَا
إِنْ كُنْتَ زَوْجَ عَقِيمٍ حَظَّهَا عَشْرَا !
بِرُّ الْأَمَانِ وَيَبْنِي بَيْنَنَا أَسْرَا
بَاهِ الْيَتِيمِ وَكَمْ وَاسَى وَكَمْ سَتْرَا
حَمَى مِنَ الْفُحْشِ أَنْثَى أَوْ حَمَى ذَكَرَا
لَا تَعْطِينَ الْهَوَى سَمْعاً وَلَا بَصَرَا
تَجِدُ مَغْنَاكَ لَا غَيْرَةَ يَشْكُو وَلَا غَيْرَا
تَلْجَأُ لِقَاضٍ وَلَا تَسْتَأْذِنُ الْبَشَرَا
تَكُونُ يَوْماً بِقَاضِي الْأَرْضِ مَزْدَجْرَا



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

هجر القرآن

قال ابن القيم: هجر القرآن أنواع:

أولاً: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه.

ثانياً: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه.

ثالثاً: هجر تحكيمه والتحاكم إليه.

رابعاً: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

خامساً: هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب.

وكل هذا داخل في قول الله - تعالى -:

﴿يَرْبِ إِن قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١)

حقا

على قدر حبك الله يحبك الخلق، وبقدر خوفك من الله - تعالى - يهابك الخلق.

يستغفر الله من الحمد لله

قال السرى السقطي: منذ ثلاثين عاما وأنا في الاستغفار من قولي مرة: الحمد لله فليل له: وكيف ذلك؟

قال: وقع ببغداد حريق فاستقبلني أحد الناس قائلاً: نجا حانوتك فقلت: الحمد لله!! فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت حيث أردت لنفسى الخير دون الناس.

يربطون الحجارة

دخل أعرابي مدينة لأول مرة، فهاجمته كلابها وكادت تعضه، فأراد أن يأخذ حجرا من الأرض فاستعصى، فقال: لعن الله أهل هذه القرية يطلقون الكلاب، ويربطون الحجارة.

(١) الفرقان (٣٠).



أخى

لاتلتمس من مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا عن مساويكما
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكما

لا تكونوا من جابرة العلماء

قال سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه :
« تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له
الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن علمتموه
العلم، ولا تكونوا من جابرة العلماء، فلا يقوم
علمكم بجهلكم ».

الليل.. قبل النهار

سئل ابن عباس: هل الليل كان قبلها أو النهار؟
فقال: أرأيتم إلى السموات والأرض حين
كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؟
ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار.

دعاء

يارب لاتجعل قدمى تزل فى الطريق إليك
ولا قلبى يضل فى التطلع إليك، أنت العون الذى
أبتغيه، والخير الذى أتمناه فى الدنيا والآخرة.

مباراة.. وصفية.. صوفية

دخل أربعة من الصالحين على أبى يزيد
البسطامى فقدم لهم قدحا من غسل عليه شعرة؟
فقال الأول: العقل أصفى من القدح،
والعلم أحلى من العسل، والصدق أدق من
الشعرة.

وقال الثانى: الجنة أصفى من القدح،
ونعيمها أحلى من العسل، والصراط أدق من
الشعرة.

وقال الثالث: قلب المؤمن أصفى من
القدح، وكلام الله أحلى من العسل، والحق
أدق من الشعرة.

وقال الرابع: الإسلام أصفى من القدح،
وخلو الطاعة أحلى من العسل، والورع أدق من
الشعرة.

وقال أبو يزيد البسطامى: المعرفة أصفى من
القدح، ومحبة الله - تعالى - أحلى من العسل،
وخوفه أدق من الشعرة.

اذهب فأنت حر

قال بخيل لغلامه: هات الطعام وأغلق
الباب، فقال: يا مولاي هذا خطأ، أغلق الباب
أولا، ثم أقدم الطعام، فقال له: اذهب فأنت
حر، لعلمك بأسباب الحر.



الشاعر الحافية :

الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العسيرة المحمدية

دكتور / محمد إبراهيم الجبوشي

الشعر هبة من الله يضيفها على من يشاء من عباده، فتنتطق بها ألسنتهم، وتعبّر عن أشواقهم وآمالهم وآلامهم، وتسجل نعم الله في الأرض وفي السماء، ومنهم من يستغل هذه النعمة في توجيه النفوس إلى الخير، والكشف عن آثار القدرة الإلهية في الأرض وفي السماء وفي النفس الإنسانية، مستلهماً قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعَدُّونَ ﴿٢٢﴾ فَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾.

فدافعوا عن الحق، ونطقوا بالحكمة، وأرشدوا إلى طريق الهدى والصواب، وعبروا عن أشواق النفس الإنسانية، وتطلعوا إلى السموات والرقى والصفاء والنقاء. وقد عرف التراث العربي العديد من هؤلاء منذ فجر الدعوة الإسلامية، والعصور التي تلت ذلك الفجر حتى أيامنا هذه، وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله - سبحانه -:

﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾.

(١) الذاريات الآيات من (٢٠ : ٢٣).

(٢) الحج الآية (٢٤).



ومنهم فريق آخر استغل هذه الملكة أسوأ استغلال فأذى الناس، وتعرض للحرمان، وسلقهم بلسانه وشعره حتى خافوه، وتحاشوه خشية أن ينالهم من شره، ويصيبهم من أذاه، وهؤلاء هم الذين عناهم الله - تعالى - بقوله:

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٣).

وقد عرفت العصور المتتابعة نماذج من الفريقين، فمن الأولين حسان، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، الذي يقول للرسول ﷺ:

نبئت أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة

القرآن فيه مواعظ وترتيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم

أذنب وقد كثرت في الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلول

ومن الفريق الثاني الخطيئة الذي لم يسلم أحد من لسانه حتى إنه إذا لم يجد أحدا يناله بلسانه هجا نفسه، فقد خرج ذات يوم، وقد هاجت شرته، لعله يجد أحداً يطوقه بلسانه كما تفرغ الحية سمها فيمن يسوقه سوء حظه إلى طريقها، فلم يجد أحداً، فكأنما بلسانه ألم بضربه، فلما لم يجد أحداً مرّ ببئر فنظر فيها فبدا له خياله في الماء، فقال:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلمتا
بشر فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه
فقبّح من وجهه وقبح حامله
ولم تسلم زوجه من لسانه، فقال:

أطوّف ما أطوّف ثم آوى
إلى بيت قعيدته لطاع

حتى أمه التي أوصى الله بها، وأمر الرسول بالإحسان إليها، وجعل الجنة تحت أقدامها، لم تسلم من الخطيئة الذي وسمها بأقبح الصفات وأعلنها بيبغضه لها مما يشعر عن خلل نفسي في تكوينه، فقال:

جزاك الله شراً من عجزوز

ولقائك العقوق من البنينا

تنحى فاجلسى منى بعيدا

أراح الله منك العـالمينا

إغريالا إذا استودعت سرّاً

وكانونا على المتحدثينا

ألم أظهر لك البغضاء منى

ولكن لا أخالك تعقلينا

حياتك ما علمت حياة سوء

وموتك قد يسرّ الصالحينا

وقد هجا الزبرقان بن بدر فشكاه لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - الذي ألقى به في الحبس لما تناول الزبرقان تناولا قاسيا في قوله له:



دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاس

وهدهد بقطع لسانه حتى لا ينال أحدا بسوء،
وقد قال أكثر من قصيدة يستعطف بها عمر حتى
سمع قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فبكى عمر لما سمع هذه الأبيات، فعفا عنه
واشتري منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم
في قصة ليس هنا مجال عرضها.

تلك هي آثار الشعر في البناء والهدم، والخير والشر،
والحب والبغض، والمدح والهجاء، والرضى والغضب،
ولقد قال رسول الله ﷺ في تأثير الكلام نثرا وشعرا:
«إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة» (٤).

وشيخنا - رحمه الله - قد وهبَ ملكة شعرية
مبدعة، وكان الشعر يجري على لسانه، ويتدفق
من خاطره دفاقا كالنبع ينبثق منه الماء الصافي
عذبا رويًا، والذي يقرأ مراحل حياة الشيخ -
رحمه الله - يدرك عن يقين أنه كان قادرا على أن
يجعل كلامه كله شعرا يفيض عنه تلقائيا كما
يفوح العطر من الزهر وينبعث الضياء من
الشمس، وينهمر الماء من السحاب.

والدارس للطاقة الشعرية عند الشيخ - رحمه
الله - لا بد له أن يقف على إنتاجه كله، ويراجعه
مراجعة المتأنى الدارس حتى يستطيع أن يعطى

صورة صادقة لهذه الطاقة الخلاقة التي أفاضها الله
على الشيخ، واحتوتها القصائد التي هتف بها على
مدى عمره الطويل المبارك، وليس ذلك متيسرا
للباحث الآن حتى يقدم دراسة مستوعبة لهذا
التراث الطيب الغزير، فهناك القصائد التي قالها في
شبابه، والتي سماها الحصاد، نازلا إلى قول النبي
ﷺ: «وהל يكب الناس في النار على مناخرهم
يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم» (٥). ويفهم من
هذه التسمية أن الشيخ - رحمه الله - ليس راضيا
عن اتجاهاتها؛ لأن فيها مافى الشباب من اندفاع
وقوة، وفي ذلك يقول تحت عنوان «ندمت»:

استغفر الله إني قد ندمت على

ما كان من بعض أقوالي وأشعاري

قد قلت ما قلت جهلا أو بمعذرة

وقد أنبت، فهب لي رب أوزاري

ولكن الدارسين لتراث الشيخ يرون أنها تمثل مرحلة
من مراحل النضج الشعري للشيخ - رحمه الله -
ولهذا فإنني أهيب بالإخوة القائمين على نشر تراثه أن
يعملوا على إخراجها كاملة حتى تهيب للدارسين فرصة
للقوف على التطور الفني لشعر الشيخ.

وهناك القصائد التي قالها بعد مرحلة
الشباب، والتي سماها «هشيم المحتظر»، وهناك
المجموعة التي أطلق عليها «أنسام طوى»
والمجموعة التي أعطاها اسم «في حضرة الله»،
والمجموعة التي عنوانها «المولد المحمدي».

كل هذا الإنتاج الغزير غير ميسر للباحث
الاطلاع عليه الآن، وليكون البحث وافيا عن

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٦/٥).

(٤) الموطأ (٩٨٦) وأحمد ٢٦٣/٤.



مكانة الشيخ الشاعرية لا بد له أن يَطَّلِع على هذا الانتاج الوافر.

والموجود بأيدينا الآن هو «الجزء الأول» من ديوان «البقايا» والجزءان الأول والثاني من ديوان «المثاني». وسنحاول جهد المستطاع أن نقدم تصوُّراً للشيخ شاعراً راجين أن يتهياً في المستقبل للباحثين كل ما قاله الشيخ في مجال الشعر، وهو شئ كثير له قيمة أدبية رفيعة، واتجاه متميز تحتاج الحركة الأدبية المعاصرة أن تقف على اتجاهاته لتكشف للباحثين عن مجالات جديدة لها قيمتها الفنية في الشعر المعاصر، وحينئذ سيعلم الدارسون للأدب، والمعنون بالحركة الشعرية المعاصرة أن هناك شاعراً موهوباً، لم يتكلف الشعر، وإنما كان يغلبه الشعر فيسجله حينما يفيض به قلبه كالنبع رائقاً عذباً نقياً حتى اللحظات الأخيرة التي كان فيها يودع الحياة، وهذا أمر يثير الإعجاب حقاً، حينما تجد شاعراً، وهو يتهياً للقاء ربه يفيض قلمه بهذا السحر الحلال في شعر عذب رائق يتدفق يرسم الطريق لمن سيمحمل الراية بعده.

مع كبار الشعراء

ظهرت الطاقة الشعرية المبدعة لدى الشيخ - رحمه الله-، وهو لما يزل طالباً في الأزهر حتى إن كبار الشعراء كانوا يطلبون لقاءه وهو ما يزال يافعا، حينما يطلعون على ما يفيض به قلمه ظناً منهم أنهم سيلقون شاعراً قد أنضجته السنون، ومن ذلك لقاءه مع حافظ إبراهيم حيثما نشر أبياته التي ينتقد فيها ظاهرة النذور لأهل الصلاح من الموتى، والتي يقول فيها:

أحيأؤنا لا يرزقون بدرهم

وبألف ألف ترزق الأموات

من لى بحظ النائمين بحفرة
قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجرى حولها
بحر النذور وتقرأ الآيات
ويُقال هذا القطب باب المصطفى
ووسيلة تقضى بها الحاجات

يقرأ الشيخ -رحمه الله- وهو لما يزل طالباً-
هذه الأبيات وحافظ آنذاك شاعراً ملاً الدنيا وشغل
الناس، فينشر رداً عليها فيه الحكمة، ويُعد النظر،
وتوجيه الشاعر إلى ما فاتته التنبيه إليه، فيقول:

ما كل حيّ كان أهلاً بيننا
للرزق حتى يحسد الأموات
فلربّ ميت كان أنفع للورى
من ألف حيّ ليس فيه حياة
أوليس رزق الميت هذا عائد
حتماً إلى حيّ له حاجات
فالفضل كل الفضل للميت الذي

يهب الحياة لشبهه من قد ماتوا
ولم يكد (حافظ) يطلع على أبيات الشيخ
الشاب حتى أخذ يبحث عنه يريد أن يتعرف
عليه، لأن أبياته تدل على شاعر جهير، ولما
التقى به إذا به يكتشف أنه طالب بالأزهر، فهناه
وشجعه، وتودد إليه، وكانت هذه بداية مشجعة
لمن كان يريد أن يكون له في عالم الشعر موطئ
قدم؛ ولكن الشيخ الشاب آنذاك لم يكن يعنيه
إلا أن يشير إلى أن هؤلاء الأموات الذين ينتقد
حافظ البذل إلى مدافنهم كانوا نافعین للمجتمع
في حياتهم، ويمتد نفعهم أيضاً إلى أفراد المجتمع



حافظ إبراهيم



أحمد شوقي

واستمعت لأول مرة إلى محاضرة في التصوف الإسلامي شدتني إلى السيد المحاضر شداً عنيفاً، فما أن انتهى حتى تقدمت إليه بإلحاح مع بعض أعضاء الدورة، فسألته: نريد أن نعرف فضيلتكم؟ فإذا به يقضى لحظات ثم ينظر إليّ قائلاً:

فضيلتي أننى مقررٌ
بأن شأنى هو الرذيلة
أخاف ذنبى رجاء ربى
وليس لى دونها فضيلة
فكتبت هذا وكتبه زملائى بشغف، ثم قلت:
إنما نريد أن نعرف الاسم، فسكت هنيهة، ثم قال:

ماذا تفيد من اسمى
وهمٌ يجرُّ لَوهمٍ
قد ضللتنا الأسماءى
جهلاً فحسبك علمى
وكتبنا مشدوهين، ثم أقسمت عليه أن يذكر
اسمه؛ فإذا به يقول:
اسمى محمد واسمى
إذا أردت زكى

بعد ممتهم، فهم خير ألف مرة من أحياء، لكنهم بالنسبة للناس أموات لا يرجى من ورائهم نفع لضعيف، ولا عون لمحتاج، فهم أولى بأن يسموا أمواتاً، وكان ما يبدو فى شعره من قوة وأصالة ونضج داعياً إلى كبار الشعراء أن يلتقوا به، ويتعرفوا عليه، حتى إن (شوقى) كان يعجبه ما ينشر للشيخ فى مجلة (أبوللو) فطلب لقاءه وشجعه وأثنى على شعره، وقدمه لجلسائه من رجال الشعر والأدب، وهكذا كان شعره هو الذى يقدمه لكبار الشعراء والأدباء فى صدر شبابه، وقد قرأ له العقاد قصيدة سينية نشرت فى مجلة الفجر التى كان يشرف عليها، فلفتت انتباهه إلى أن هذا لا بد أن يكون إنتاج شاعر متمكن، فطلب إلى سكرتير تحرير المجلة أن يسعى لتحديد موعد يلتقى فيه بالشيخ الشاعر الشاب.

والحقيقة أن الطاقة الشعرية التى كان يتمتع بها الشيخ -رحمه الله- كانت طاقة فذة تجذب إليها كل من يقف على إنتاجها، ولولا أن الشيخ انصرف عن الشعر، واتجه إلى العلم والدعوة والتصوف لكان أحد كبار الشعراء فى عصرنا، ويصدق عليه قول الإمام الشافعى -رضى الله عنه-:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى

لكنت اليوم أشعر من لبيد
كانت شاعرية الشيخ -رحمه الله- تلفت الأنظار إليه فى أى مكان حلّ فيه، قال أحد الأئمة: كنت عضواً بإحدى دورات التدريب العالمى للأئمة والوعاظ بمدينة البعوث بالقاهرة،



يا ليت أنى باسمى

هذا وذالى حارى

عدوت قدرى إن قد

زعمت أنى شىء

وانطلق من بيننا كالسهم، لا يلوى، ولا ندركه، فكانت لحظات ربانية بحق عادت بنا عملياً إلى عهد السلف الصالح، وقصصهم الغريبة، ورقائهم العجيبة.

الذى يطالع ديوان «البقايا» يلاحظ أموراً تأخذ بلبه، وتستولى على تفكيره، كيف تحقق لصاحب الديوان هذه الميزات الفريدة التى تنطق بها قصائده:

أول هذه الأمور: السهولة الممتنعة والعاطفة المتدفقة التى تملك القلب وتأسره.

وثانيها: النفس الطويل الذى يتجاوز المائة من الأبيات فى قوة متماسكة، وسهولة أسرة وعاطفة جياشة.

وثالثها: الوفاء للقيم والأخلاق والإخوان.

ورابعها: السماحة التى تشعر القارىء أنه يمشى فى رياض من المحبة والسماحة وحسن الصلة بالخالق - جل وعلا.

وخامسها: أن الصوفى الحقيقى ليس معزولاً عن أحداث بلده ولا قضايا أمته، وإنما يعايشها، ويشارك فيها ويضرب المثل لغيره كى يقتدوا به.

فالسهم الممتنع قاسم مشترك فى كل قصائد الديوان، ولكننا لانستطيع أن نقدم الديوان كله دليلاً على هذه الميزة، ولذلك سنختار ما يقنع القارىء والمستمع ومن ذلك قصيدة تضرع وإنابة:

يارب أذنبت لـكن

فى خيفة منك ربى

قد كان قلبى يبكى

وأنت أدرى بقلوبى

وأنت أدرى بصـدقى

منى وأدرى بكذبى

يا غافر الذنب إنى

قد اعترفت بذنبى

يا قـابل التوبـ صـلنى

واقبل بفضلك توبى

مـالى إـليك شـفـيع

إلا اعترافى وحبى

والستـر منك دليـل

على قـبـولى وقـربى

عـجـبت واللـه منى

وطاش واللـه لـبى

وأذهلنى قـضايا القـد

ضـاء فى غـيب غـيبى

فكيف أمضى لـخطب؟

يلوح فى إثر خطب؟

وكيف أنجـو بـلطف

من بـعد لطف يـلـبى؟

وكيف أبـأس لـكن

يـحـقق اللـه إـربى

فليس يهـتك سـتـرى

وليس يـنـضح عـيـبى

لـكننى من شـقـقائى

أضـل بـابى ودربى



لازلت فى التيهه أمضى
لغير وجهه وصوب
تبددت فلسفاتى
وضاع جدى ولعبى
يا رب هل من سعى
إليك يكشف كبرى
ظلمت قبل شبابى
واليوم أظلم شيبى
وذاب قلبى من خـ
فى، وحسرتى أى ذوب
أنى أثيم مقـ
قد ضاق بى كل رحب
بكيت حتى بكانى
قساة أهلى وصحبى (٦)
وتمضى القصيدة على هذه الوتيرة الآسرة التى
يشعر قارئها أنها تعبر عن ذات نفسه، وأنه يحاور
ذاته فى لغة رشيقة آسرة ثم يختم الشيخ قصيدته
بمقطع يتجه فيه إلى خالقه - جل وعلا - يعبر فيه
عن اعترافه بالذنب وخوفه من ربه، وشعوره
بالأرق حينما يتذكر ما أقدم عليه من خطايا،
ولكن ذلك كله لا يمنعه من أن يؤمل فى الحصول
على النجاة والفوز بالعفو من العفو الغفور
ويعرض ذلك كله فى سهولة، ورشاقة فى التعبير
فيقول:
يارب أذنبت لكن
فى خيفة منك ربى
كم أرقبتنى الخطايا
ولست بالمتأبى

هل من نجاة لعبـ
على المعاصى مكـ
يارب عفوـك أرجو
إن نلت ذاك فحسبى (٧)
وقد يعالج الشيخ بعض القضايا التى شغلت
أفكار المتكلمين والفلاسفة مثل قضية الجبر
والاختيار، فيعرضها فى قالب غاية فى الوضوح
كأنه يهمس إليك وأنت تقرأ القصيدة، فتشعر
بالوضوح والطمأنينة كأنك تقرأ مناجاة بين
حبيبين. يقول تحت عنوان « حيرة وابتهال »:
ترى هل أنا مجـ
هنا أم أنا مخـتار
فإن أنا كنت مخـتارا
فكيف يروقنى العـار
وكيف أقـارف الآثا
م؟ والديان جـبار
وإن أنا كنت مجـبورا
ففـفـم تمسنى النار
كذلك حدثتني النفس
واحترارت كما احتاروا
ولكنى حسمت الأمر
فالأقـدار أقـدار
وسلمت الأمـور له
وللتـسليم أسـرار
فأشرق باليقين على
ظلام النفس أنوار
إلهى أخـجلتني منك
أوزار وأوضـار



يقول فى اللوحة التاسعة، وجعل عنوانها
(رسالة والد):

ولدى يرعـاك مـولا
ك، فقد صرت وليه
سبح النيل بأمجـاد
ك، والشمس المضيئة
والرياض الزهر فى وا
ديك والأرض الروية
والعمارات العوالى
والربوع الأزهرية
والصحارى والبحارى
ومغـانى الأزيكىة
والحكومات الدوانى
والشعوب الأجنبيةة
أنت فى سـيناء لكن
لم تفارق أصغـرية
فالصـوارىخ تدوى
والصـدى فى أذنيـه
وحشـود النار والنور
ترأى لى جليـه
وغبار القصف بالطور
سرى فى رئتيـه
وأرى شـخصك يا بنى
مائل فى مقلتيـه
بطلا يسكب أمـجادا
وفـخر فى يديه
يا باعث أيام .. جـالوت
وحطين الهنيئة^(٨)

وطوف بى على الأبوا
ب آمـال وأوطار
وإنى إن أكن أجـرمت
مـالى قط إصـرار
وإنك يا إله العـرش
غفـار وسـتار
وخفـتك من ذنوبى تلك
حتى كـدت أنهار
فرحت ألوذ بالأعـذار
والأعـذار أقـذار^(٨)
أما النفس الطويل فى الديوان عدة قصائد،
وسنختار قصيدة (إلى ولدى المقاتل المصرى)،
وفىها ترى الفيض المتدفق، وتعطيك المثل العملى
على أن التصوف لايعنى أن تنعزل عن الحياة،
وإنما تشارك فيها، وهكذا كان الشيخ -رحمه
الله-، فقد كان يتردد على الجبهة قبل معركة
العشر من رمضان ويعيش مع الجند حتى أنزل الله
نصره، وقد سجل الشيخ -رحمه الله- آثار هذه
الزيارات فى ملحمة من ثلاث عشرة لوحة تضم
أكثر من مائة بيت قدم لها نشرًا بالكلمات التالية:
«لى فى الجبهة أبناء من الصلب وأبناء فى الله،
وكل من فى الجبهة أولادى، وأنا لا أتفرغ للشعر،
ولكنه يغلبنى قهرا فى بعض الأحيان وهذه
القصيدة كانت نوعا من الهيمنة التى لم أستطع
الفكاك منها إلا بعد أن رفعت قلمي عن آخر بيت
فيها .. فإذا هى لوحات فنية شعرية شتى متعاقبة
لكل منها وجه وروح مستقل، فهى هديتى إلى
هؤلاء الأبناء الأبطال .

(٨) يشير إلى موقعه حطين التى انتصر فيها صلاح الدين على الصليبيين وعين جالوت التى انتصر فيها قطز على التتار - راجع ديوان
البقايا ص ٥٩، ٦٠.



الإمام الزيلعي

ومنهجه الفقري في نصب الرأية

لدكتور / محمد الهيم الفيومي

حياته

هو الإمام، الفاضل البار، المحدث المفيد، الحافظ المتقن، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن أيوب بن موسى الحنفي الزيلعي، رحمه الله.

الزيلعي، نسبة إلى «زيلع» بلدة على ساحل الجبشة، قاله السيوطي في «اللباب» وإليها نسبة شيخه فخر الدين الزيلعي، الفقيه، صاحب «تبيين الحقائق، في شرح كنز الدقائق» في ست مجلدات كبيرة، ونسب إليها عدة رجال من علماء زيلع الحنفيين، وترجم لبعضهم في كتاب «قلادة النجر» في وفيات أعيان الدهر^(١)، للشيخ أبي محمد محمد الطيب بن عبد الله، من علماء القرن العاشر للهجرة.

قال تقى الدين بن فهد المكي، في ذيل «تذكرة الحفاظ»، للذهبي: تفقه، وبرع، وأدام النظر والاشتغال، وطلب الحديث، واعتنى به، فانتقى، وخرج، وألف. وجمع، وسمع على جماعة من أصحاب النجيب الحرائي، ومن بعدهم: كالشهاب أحمد بن محمد بن فتوح التجيبي «مسند الإسكندرية»، والشهاب أحمد ابن محمد بن قيس الأنصاري «فقيه القاهرة والإسكندرية».

وقال تقى الدين أبو بكر التميمي في «الطبقات السنية»^(٢). اشتغل، وسمع من أصحاب النجيب، وأخذ عن الفخر الزيلعي، شارح الكنز، وعن القاضي علاء الدين التركماني، وغيرهما، ولازم مطالعة كتب الحديث إلى أن خرج أحاديث الهداية، وأحاديث الكشف، فاستوعب ذلك استيعاباً بالغاً.

(١) نسخته الفوتوغرافية في - ست مجلدات كبيرة - في دار الكتب المصرية، تحت رقم (١٦٧) - من التاريخ.

(٢) نسخته المخطوطة في التيمورية، من دار الكتب المصرية، تحت رقم (٥٤٠) من التاريخ، في - أربع مجلدات.



المرفوعة خاصة، فأكثر من تبين طرقها، وتسمية مخرجيها على نمط ما فى أحاديث الهداية، لكنه فاته كثير من الأحاديث المرفوعة التى يذكرها الزمخشري بطريق الإشارة، ولم يتعرض غالبا لشيء من الآثار الموقوفة.

وقال الأستاذ الكوثري: والزيلعى أعلى طبقة من العراقي، وعمله هذا معه - أى مرافقته فى التخارج - يدل على ما كان عليه من الأخلاق الجميلة والتواضع، وتخاريجه شهود صدق على تبحره وسعة اطلاعه فى علوم الحديث، من: معانيه، وأسماء رجاله، ومتونه، وطرقه، وقد رزقه الله الانتفاع بها، والتداول بأيدى أهل العلم بالحديث على مدى القرون، وكان بعيدا عن التعصب المذهبي، يحشد الروايات، وقد لا يتكلم فيما له كبير مجال.

وقال الشيخ «محمد أنور الكشميري، ثم الديوبندي» رحمه الله تعالى: كان الحافظ جمال الدين الزيلعى، من المشائخ الصوفية، الذين ارتاضت نفوسهم بالمجاهدات والخلوات، وتزكت قلوبهم عن الرذائل والشهوات، كما

قال فى الدرر «يعنى به الحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة»: ذكر لى - شيخنا العراقى - أنه كان يرافقه فى مطالعة الكتب الحديثية، لتخريج الكتب التى كانا قد اعتنينا بتخريجها، فالعراقى لتخريج أحاديث الإحياء، والأحاديث التى يشير إليها الترمذى فى الأبواب، والزيلعى لتخريج أحاديث الهداية، والكشاف، فكان كل منهما يعين الآخر، ومن كتاب الزيلعى فى تخريج أحاديث الهداية استمد «الزركشى» فى كثير مما كتبه من تخريج أحاديث الرافعى.

وكان من منهجه كما يذكر ابن حجر العسقلانى ما صورته - بعد أن ذكر غالب ما نقلناه هنا من الدرر منه - جمع تخريج أحاديث الهداية، فاستوعب فيه ما ذكره صاحب الهداية من الأحاديث، والآثار فى الأصل، وما أشار إليه إشارة، ثم اعتمد فى كل باب أن يذكر أدلة المخالفين، ثم هو فى ذلك كثير الإنصاف، يحكى ما وجده من غير اعتراض، ولا تعقب غالبا، فكثير إقبال الطوائف عليه، واستوعب أيضا فى تخريج أحاديث الكشاف^(٣) ما فيه من الأحاديث

(٣) وقد أخطأ النواب، صديق حسن خان فى كتابه.. الأكبر - فى أصول التفسير، حيث جعل تخريج أحاديث «الكشاف» للحافظ ابن حجر، وتلخيصه للحافظ الزيلعى، وذكر هذه الأوصاف - التى ذكرها ابن حجر لتخريج الزيلعى - لتخريج ابن حجر، فعكس الأمر، ونبه عليه، الفاضل الشيخ النسكنوى فى.. تعليقات الفوائد البهية.. والعجب أنه كيف خفى عليه هذا! مع أن ابن حجر ولد بعد وفاة الزيلعى بأحد عشر عاماً، فكيف يمكن أن يلخص الزيلعى كتاب ابن حجر؟! ولم يكن هو عند ذاك فى عالم الوجود، وكثير له فى تراجمه أمثال هذه الأوهام.



مزارات الأولياء، وقبور الصالحين بالقاهرة، كالسخاوى، وغيره، إلا أن على باشا مبارك فى «الخطط التوفيقية» ذكر عند ذكر، شارع باب الوزير، فى ص ١٠٣ - ج ٢، عطفة الزيلعى، وقال: عرفت بضريح الشيخ الزيلعى المدفون بها، اهـ، ولم يعينه من هو، فوصلت إلى العطفة المذكورة الواقعة فى - شارع المحجر - برفاقة صديقى المحترم الشيخ عبدالمجيد الدسوقى عطية، وبمساعدة الأستاذ الفاضل إبراهيم بن مختار الزيلعى، فالفينا فى آخر العطفة بيتا مغلقا، واطلعنا إلى شبكته، فإذا هو مكتوب على غلاف المرقد الشريف: هذا مقام الإمام عبدالله الزيلعى، وكان خارج البيت فوق الباب، كتابة فى حجر منحوتة، فقرأنا فيه كلمة: عبدالله وكلمة «الزيلعى»، ولكن كان فى القلب شىء، فاستظهرت بالأستاذ «حسن قاسم» عالم هذه الآثار، فذهب وقرأ اللوح، بعد أن أتعب نفسه، فإذا هو «أبو عبدالله» المتوفى عام ٨٢٩، فاتضح أنه غيره، ثم الأستاذ «حسن قاسم» يجزم بأن ضريحه بقرافة القاهرة، بباب النصر، بيد أنه اندثرت المقبرة هنا، فلا يعرف اليوم قبره أحد، والله أعلم.

نصب الراية لتخريج أحاديث الهداية

من أهم كتب الإمام الزيلعى وهو من الكتب الرائدة فى ميدان فقه السنة الحنفى هذا الكتاب - إنه - كما أصبح ذخيرة نادرة

كان من أكابر المحدثين الحفاظ، بحور العلم والحديث، وترى من آثار تركية نفسه أنه لا يتعصب لمذهبه شيئا، بل يمشى مع الخصوم، ويسايرهم بغاية الإنصاف.

ويقول الشيخ المحقق ابن الهمام، صاحب «فتح القدير» وهذا بخلاف الحفاظ ابن حجر، فيتطلب دائما مواقع العلل، ويتوخى مواضع الوهن من الحنفية، ولا يأتى فى أبحاثه ما يفيد الحنفية، ويقول شيئا، وهو يعلم خلاف ذلك، ولا يليق بجلالة قدره ذلك الصنيع، وحاشاى أن أغض من قدر الحفاظ ابن حجر الذى يستحقه، وإنما هى حقائق ناصعة، ووقائع ثابتة، يجب على الباحث الناقد أن يعرفها.

وفاته ومكان دفنه

أما وفاة هذا الإمام الجليل، فقد اتفقت كلمتهم، ممن ترجم له - كابن حجر، وابن فهد، والسيوطى، والتميمي، والكفوى - على وفاته فى «المحرم سنة اثنتين، وستين، وسبع مائة» ٧٦٢ - هجرية وزاد ابن فهد تعيينه: «بالحادى عشر من المحرم»، ولم يتعرض أحد منهم لذكر تاريخ ولادته، ولم أظفر بها، مع تتبع، ودفن بالقاهرة، واتفقت به كلمة من تعرض لوفاته والعجب أنه لم يعين أحد قبره، ولا جهته، من أصحاب التراجم، ورجال الطبقات، والمؤلفين، فى خطط القاهرة، وآثار مصر: كالمقريزى، وغيره، والمتصدين لذكر



تفقه على أئمة عصره، كمفتي الثقلين، نجم الدين «أبى حفص عمر النسفى» وابنه أبى الليث، أحمد النسفى «والصدر الشهيد «حسام الدين عمر» والصدر السعيد «تاج الدين أحمد» و«أبى عمرو عثمان البيكندى»، تلميذ شمس الأئمة «السرخسى» وغيرهم.

وأقر له بالفضل، والتقدم، أهل عصره، كالإمام فخر الدين - قاضى خان - وصاحب المحيط، وصاحب الذخيرة، والشيخ زين الدين العتাবى، وظهير الدين البخارى، صاحب «الفتاوى الظهيرية» وغيرهم. توفي رحمه الله - تعالى - سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ٥٩٣ هـ.

الهداية

صنف كتابا سماه «بداية المبتدى» جمع فيه كتابى: القدورى، والجامع الصغير للإمام محمد بن الحسن الشيبانى، وزاد عليهما مسائل عند الضرورة، ثم شرحه بكتاب سماه «كفاية المنتهى» فى ثمانين مجلدا، ثم اختصره فى كتاب سماه «الهداية» صنف «الهداية» فى ثلاث عشرة سنة، وبقي صائما فى عهد تأليفه لهذا الكتاب، لم يطلع على صومه أحد. قال إمام العصر، المحدث، الشيخ «محمد أنور الكشميرى الديوبندى» رحمه الله:

للمذهب الحنفى - كذلك أصبح ذخيرة ثمينة لأرباب المذاهب الأخرى، من المالكى، والشافعى، والحنبللى، فكما أن الحنفية يفتقرون إليه فى التمسك بعراها الوثيقة، كذلك أصحاب سائر المذاهب لا يستغنون عنه أبدا.

ولا بدع لو قلت: إنه دائرة المعارف العامة، لأدلة فقهاء الأمصار، حيث أحاط بأدلتها، فلا يرى الباحث فيها بخسا ولا رهقا.

ومنها: أن هذا الكتاب الفذ، خدمة جليلة للأحاديث النبوية - على صاحبها الصلوات والتحيات - أكثر مما هو خدمة للمذهب الحنفى، فليكن أمام الباحث الحثيث، أنه كما يحتاج إليه الفقيه المتمسك بالمذهب، كذلك يحتاج إليه المحدث. فأصبح مقياسا ونبراسا للفقهاء، والمحدثين.

ومنها: أنه نفع الأمة فى الأحاديث، بتعقبها بجرح وتعديل، مع سرد الأسانيد، ثم ذكر فقه الحديث وفوائده، فالفقيه البار، يفوز بأربه من فقه الحديث، والمحدث الجهد، يقضى وطره من أحوال الرواة، ولطائف الأخبار، والتحديث.

أما عن صاحب الهداية فيقول الحافظ عبدالقادر القرشى فى «الجواهر المضيئة» على ابن أبى بكر بن عبدالجليل الفرغانى، شيخ الإسلام، برهان الدين المرغينانى، العلامة المحقق «صاحب الهداية» ا، هـ.



ليس في أسفار المذاهب الأربعة كتاب بمثابة كتاب «الهداية» في تلخيص كلام القوم، وحسن تعبيره الرائق، والجمع للمهمات في تفقه نفس، بكلمات كلها درر وغرر.

وقال: وقد صدق من قال من بعض أفاضل الشيعة: إن كتب الأدب العربي في المسلمين ثلاثة: التنزيل العزيز وصحيح البخاري وكتاب «الهداية» ١. هـ.

ذكر صاحب كشف الظنون من شروح الهداية، والتعليقات عليها والتخاريج لأحاديثها، قدرا كبيرا يجاوز ستين شرحا.

أما شرح الزيلعي للهداية المسمى «نصب الراية - لتخريج أحاديث الهداية» للإمام الحافظ الفقيه الناقد الشيخ «عبدالله بن يوسف الزيلعي».

فيميز شرحه بأنه لا يتعصب لمذهب بل يجد فيه الحنفى صفوة ما استدل به أئمة المذهب من أحاديث الأحكام، ويلقى المالكي فيه نقاوة ما خرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» و«الاستذكار» وخلاصة ما بسطه عبدالحق في كتبه، في أحاديث الأحكام، والشافعي يرى فيه غربلة ما خرجه البيهقي في «السنن» و«المعرفة» وغيرهما وتمحيص ما ذكره النووي في «المجموع» و«شرح مسلم» واستعراض ما بينه ابن دقيق العيد في «الإمام» و«الإمام» و«شرح العمدة» وكذلك الحنبلي يلاقى فيه وجوه النقد في «كتاب

التحقيق» لابن عبدالهادي، وغير ذلك من الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، بل يجد الباحث فيه سوى ما في الصحاح، والسنن، والمسانيد والآثار والمعاجم من أدلة الأحكام أحاديث في الأبواب، من مصنف ابن أبي شيبة - أهم كتاب في نظر الفقيه - ومصنف عبدالرزاق، ونحوهما.

من أقوال أئمة الجرح والتعديل، ومن كتب العلل المعروفة، وهذا مما جعل لهذا الكتاب ميزة عظيمة بين كتب التخاريج.

والذي ينظر في منهج كتاب شرح الهداية تيقن أن الحنفية في غاية التمسك بالأحاديث، والآثار في الأبواب كلها، لكن لا تخلو البسيطة من متعنت يتقول فيهم، إما جهلا، أو عصبية جاهلية، فمرة يتكلمون في أخذهم بالرأى، عند فقدان النص، مع أنه لا فقه بدون رأى، ومرة يرمونهم بقله الحديث، وقد امتلأت الأمصار بأحاديثهم، وأخرى يقولون: إنهم يستحسنون ومن استحسنت فقد شرع.

والشرع لله وحده، إنما الرسول صلوات الله عليه - مبلغه، وقصارى ما يعمل الفقيه فهم النصوص فقط، فمن جعل للفقيه حظا من التشريع، لم يفهم الفقه والشرع، بل ضل السبيل، وجعل شرع الله من الأوضاع البشرية، وحاشى لله أن يجعل للبشر دخلا في شرعه ووحيه.

شكر النعمة ومجودها

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف

٢

أما شكر الله على نعمه، والاعتراف لله بفضلله، والامتنان لأوامر الله ونواهيه، والالتزام بطاعته، واستخدام هذه النعم فيما يرضى الله، فإن ذلك يكون سبباً في جزاء الشاكرين بدوام نعم الله واستمرارها عليهم، بل وفي زيادتها ونمائها، وسبباً في نجاتهم من غضب الله ونقمته وعذابه الذي ينزل على الجاحدين لنعمه، يقول الله - تعالى: ﴿ نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾^(١).

وعندما أنعم الله - سبحانه وتعالى - بنعمه الكثيرة على سيدنا موسى - عليه السلام - التي منها أنه اصطفاه واختاره من بين الناس الموجودين في زمانه برسالته، وبتكليمه لله - تعالى - بغير واسطة:

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾^(٢) طلب الله من سيدنا موسى أن يقابل هذه النعم العظيمة بالشكر، يقول الله - تعالى:

﴿ قَالَ يَمْشُوا عَلَى أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلْمِي فَخَذُوا مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣).

ولأن دوام النعمة واستمرارها، بل وزيادتها ونمائها مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بشكر الله عليها، والاعتراف بفضلله، واستعمال هذه النعم في الطاعة وفيما يرضى الله... ذكر سيدنا موسى قومه بنعم الله الكثيرة عليهم، وأن الله نجاهم من ظلم وقهر فرعون وحاشيته وأتباعه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، ويقتلون أبناءهم الذكور، ويبقون على الإناث فقط إلا لألهم، وطلب من قومه مقابلة هذه النعم بشكر الله والاعتراف بفضلله عليهم، ويبيّن لهم أن تقديم الشكر لله على نعمه يكون سبباً لزيادتها ونمائها، وحذرهم في الوقت نفسه من سوء عاقبة جحود نعم الله، واستعمالها في غير ما يرضى الله، وأن ذلك يكون سبباً لعذاب الله يوقعه عليهم عقاباً لهم.

(١) القمر (٣٥).

(٢) النساء (١٦٤).

(٣) الأعراف (١٤٤).



أوفيكُم إيَّاهَا، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلو من إلا نفسه» (٥).

.. ولأن شكر الله على نعمه بإخلاص، والاعتراف بفضلِهِ عن يقين، من الصفات الحسنة التي تلقى القبول والرضا من الله - تعالى - أثنى الله - جل وعلا - على سيدنا نوح - عليه السلام - لأنه كان كثير التضرع والدعاء في السراء والضراء، وكان ممن يشكرون الله على نعمه، فضرب الله به المثل لقوم سيدنا موسى لإثارة عزائمهم نحو الإيمان، وحثهم على الإقدام على فعل الأعمال الصالحة، وليتخذوه قدوة حسنة في شكر الله على نعمه، يقول - تعالى :

﴿ذَرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٦)

ولقد خص الله - سبحانه وتعالى - بعض الأنبياء بنعم جليلة قصرها عليهم... فمنح بفضلِهِ وإحسانِهِ سيدنا داود عِلْمَ الزبور، وعِلْمَ صناعة الدروع، ومنح بكرمه سيدنا سُلَيْمَان عِلْمَ منطق الطير والحكم السديد بين الناس، فقابلاً هذه النعم بالاعتراف بها، ودعاء الله أن يلهمهما المداومة على شكره، والتوفيق إلى العمل الصالح الذي يرضاه، وأن يمنع عنهما كل ما يؤدي إلى كفر هذه النعم، وأن يحسن خاتمتهما بقبولهما ضمن عباده الصالحين الذاكرين الشاكرين، يقول الله - تعالى :

وأوضح سيدنا موسى لقومه أن شكرهم للنعمة أو جحودهم لها لا ينفع ولا يضر الله - تعالى - فهو غنى عن العالمين، وإنما أثر ذلك يعود عليهم هم، يقول - الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ كُفَّكُمْ مِنْ بَلَاءٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ ۖ وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُوكُمْ وَلَنْ شُكِرْتُمْ لِأَنْزِدْنَاكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابَ لَشَدِيدٍ ۖ﴾ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيرٌ حَمِيدٌ (٨).

وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ فيما رَوَى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال : « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص الخيط، إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم

(٥) سنن أبي داود، تاريخ البخاري ٤ / ٣٤٠.

(٤) إبراهيم ٦، ٧، ٨.

(٦) الاسراء (٣)



عن شكرها بالقول والعمل، يقول الله - تعالى:

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾ (١٠).

والرسول ﷺ يحض على تقديم الشكر لمن يقدم المعروف والمساعدة والعون، فعن النعمان ابن بشير - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب».

وإذا كان ذلك مطلوباً لمن يقدم الفضل من البشر فمن باب أولى تقديم الشكر لله - جل وعلا - على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى. وقصة الأبرص والأقرع والأعمى التي يحكيها لنا رسول الله ﷺ فيها العبر والعظات لأولى الألباب، وترشدنا إلى أن نعم الله على عباده هي اختبار وابتلاء وامتحان لهم: فمن وفق في الاختبار واجتاز الامتحان بنجاح، نال رضاء الله واستحق دوام تلك النعم وزيادتها، ومن تعثر في الاختبار ورسب في الامتحان حرّم رضاء الله واستحق زوال تلك النعم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰ أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْهُ أَنْطِقَ الطَّيْرَ

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَخُشِرَ

لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

حَتَّىٰ إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيَّ وَإِذْ أُنْزِلَ قَالَتْ نَمْطِلُ بِتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا

مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِطَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكُمِ قَوْلُهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ (٧).

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى لا يفتر عن شكر الله بالقول والعمل، ليلاً ونهاراً، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه» أى تتشقّق فقالت له عائشة: «يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟.. فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً» (٨).

وإظهار نعمة الله والحديث عنها والإخبار بها مطلوب للاعتراف بفضل الله، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بذلك، يقول - تعالى:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٩)، كما أمر الله بنى

إسرائيل بذكر نعم الله عليهم، والقيام بأداء حقوقها، والإكثار من الحديث عنها، والإعلان

(٨) أخرجه مسلم (٢١٧٢/٤).

(١٠) البقرة (٤٠).

(٧) النمل (١٥: ١٩).

(٩) الضحى (١١).



فمن أبى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة في بنى إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أى شئ أحب إليك؟.. قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذى قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطى لوناً حسناً، وجلداً حسناً، قال الملك: فأى المال أحب إليك؟.. قال: الإبل أو قال البقر، شك إسحاق فى الأبرص والأقرع، قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر، قال: فأعطى ناقة عشراء فقال: (الملك): بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع فقال: أى شئ أحب إليك؟.. قال: شعرٌ حسن ويذهب عنى الذى قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً، قال: فأى المال أحب إليك؟.. قال: البقر، فأعطى بقرة حاملاً فقال: (الملك): بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى فقال: أى شئ أحب إليك؟.. قال: أن يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأى المال أحب إليك؟.. قال: الغنم، فأعطى شاة والدا، فأنثج هذان ووكد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته (السابقة) فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بى الجبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رَدَ عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فَرَدَ الله إلىّ بصرى، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله «لا أشق عليك برد ما تأخذه وتطلبه من مالى لله» فقال (الملك): أمسك مالك فإنما ابتليتكم، فقد رضى عنك وسُخِطَ على صاحبك» (١١).

اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلَّغُ عليه فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأننى أعرفك ألم تكن أبرص يقذركَ الناس! فقيراً! فأعطاك الله؟.. فقال: إنما ورثت هذا المال كابرّاً عن كابر. فقال (الملك): إن كنت كاذباً فَصَيَّرَكَ الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع فى صورته (السابقة) فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال (الملك): إن كنت كاذباً فَصَيَّرَكَ الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى فى صورته وهيئته (السابقة) فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الجبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى رَدَ عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى، فقال: قد كنت أعمى فَرَدَ الله إلىّ بصرى، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله «لا أشق عليك برد ما تأخذه وتطلبه من مالى لله» فقال (الملك): أمسك مالك فإنما ابتليتكم، فقد رضى عنك وسُخِطَ على صاحبك» (١١).

اللهم اكتبنا من الشاكرين لنعمك، المعترفين بفضلك، الخاضعين لعزتك، المسلمين لقدرتك، الراجين لعفوك، السائلين لكرمك، الطامعين فى رحمتك، المستظلين بظلك يوم لا ظل إلا ظلك.



صرخته في وادٍ

٢

لمؤسّس / مجدى عبدالمحميد بشير

قدمنا في العدد السابق رسالة القارئ الأمريكى التى يقر فيها بما أنعم الله عليه من نعم المركب والملبس والسكن، التى لا تتوافر لكثير من البشر فى وقت واحد والتى يبن فيها مدى الفجوة الكبيرة بين الأثرياء والفقراء.

وحتى تزداد الصورة وضوحاً نقدم للقراء سطوراً أخرى أدلى بها قارئ برازيلي من الذين لم يتأثروا بالطنين الإعلامى السمج الذى لا هم له إلا ترديد مزاعم اليهود والصهاينة المجانبية للحق على طول الخط يقول القارئ البرازيلي: «برغم تأثرى الشديد بضحايا الحدث المروع وما نتج عنه من دمار فليس بمقدورى أن أفهم أو أستوعب أو حتى أقتنع بوجهة النظر التى تنفقر إلى العقلانية والمنطق والتى تشوبها مسحة أحادية الجانب لا تظهر فقط إلا نصف الحقيقة وتتغاضى تماماً عن النصف المهم.

أمريكا تجنى وتحصد ما زرعت من آلام ومعاناة للآخرين. إن كل ما حدث لم يكن سوى نتاج طبيعى للعملة التى تسعى أمريكا بدأب فى فرضها على العالم لتكون بديلاً شرعياً لحقبة استعمارية انتهت ولم تكذ الشعوب تلتقط منها أنفاسها بعد وعلى كل حال - والكلام لا يزال للقارئ البرازيلي - إذا كان الجناة هم الفلسطينيون فلا ينبغى أن يغيب عن بال أى منا ما يعانى ذلك الشعب

إنها وجهة النظر التى تسود الإعلام الغربى والأمريكى بشكل عام وهى تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تركز الاتهام على واحد من الجناة فقط لا تريد أن تتعداه بحال فالجناة لديها إما حماس أو حركة طالبان أو الفلسطينيون» ثم يستطرد القارئ البرازيلي ويقدم لنا بشكل مكثف وبأسلوب مركز وجهة نظره التى نرى أنه حرى بنا عرضها بكل تجرد وحيادية فيقول: «ربما كانت



يعلو صوتها يوماً بعد يوم ويصر المغتصبون على أن يصموا عنها الآذان».

وبعد فله در الشرع الإسلامى الحنيف الذى حذر نبيه المصطفى ﷺ من النظرة الأحادية الجانب ونهى فى أكثر من موضع عن الكيل بأكثر من مكيال، ودعا على الدوام إلى وحدة المعايير والمقاييس والعدل المطلق فى التعامل مع كل القضايا، فمن منا لا يذكر يوم سرت المرأة المخزومية فتشفعوا إليه ﷺ بحبه وابن حبه أسامة بن زيد حتى لا يطبق عليها حد القطع فيتلون وجهه الشريف ويحمر غضباً ويقول: «أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة» ثم يخطب الناس فيقول: «أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

أجل تشخيص للداء ووصف للدواء، إنه الشرع الشريف الذى لا يتميز فيه إنسان بسبب قوته أو ماله أو حاله أو سلطانه أو لونه، إنما يتميز بتقواه وعمله الصالح، فهل يدرك تلك الحقيقة أولئك الذين اغتروا بقوة لا محالة زائلة والذين ساندوا الظلم فلا مناص لهم من أن يجرفهم الظلم فى طريقه؟

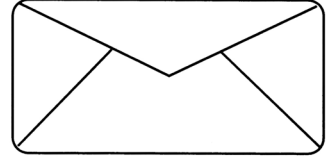
المسكين من إسرائيل التى تمارس عليه أقصى أنواع التطهير العرقى وأشد أساليب الاضطهاد الدينى وهدم المساكن وتجريف المزروعات وقتل الشيوخ والنساء والأطفال وهى أمور لا حيلة لهؤلاء الناس معها ولا ذنب، لأنها فى حقيقتها نتيجة لأحداث سياسية وتقسيمات استكبارية تلت الحرب العالمية الثانية التى كان لأمريكا فيها دور فعال تمثل فى اعترافها بالكيان الصهيونى فور الإعلان عن نشأته وأما إن كان الجناة - والكلام أيضاً لا يزال للقارئ البرازيلى - هم من يزعمون أنهم متطرفوا أفغانستان أو طالبان فلا بد أن نذكر أن هذا البلد يعيش وضعاً حرجاً صعباً والسبب أنه فى السنوات التى تلت الحرب الباردة وفى أثنائها كان ذلك القطر المنكوب ضحية بل فريسة للغزو السوفيتى المتوحش والزحف الأحمر الشرس من جهة ووقوداً لا ينفد لحروب قبلية دموية آثمة تغذيها من طرف خفى أو ظاهر الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى.

ثم يختم القارئ البرازيلى الجريء رؤيته الثاقبة قائلاً: لقد سئمت أشد السأم ومللت من وسائل الإعلام التى تهيمن على كل الأفكار هناك دون أن توردها حرفاً واحداً يقدم تعرية ونقداً تاريخياً واجتماعياً لوجهة النظر التى تتعمى عن الحقائق، تلك الحقائق التى



رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ **عبد الفتح سيد جمعان**



رسالة هذا العدد وردت من القارئ سمير عبد الكريم فتح الله مدير المتابعة الفنية والتقارير العلمية بالجلس الأعلى للأثار وسط الدلتا. يقول فيها:

بعدها أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلى ورأى بعض آيات ربه الكبرى بصبحه جبريل عليه السلام بعد ذلك عرضت عليه النار ورأى فيها إناساً يعذبون على حسب معاصيهم ثم رأى فى الجنة أناساً يتنعمون والسؤال هو: هل تم حساب هؤلاء وهؤلاء فأدخل المذنبون النار وأدخل المتقون الجنة؟ أم أنهم أدخلوا بغير حساب انتظاراً ليوم الحساب الآتى لا ريب فيه وهل سيعودون إلى الأحداث ليخرجوا منها عندما ينفخ فى الصور يوم القيامة وهل سيحاسب هؤلاء مرة ثانية لأنهم لم يدخلوا النار أو الجنة بغير حساب وثمة سؤال آخر هل رأى الرسول هذه المرائى رأى العين وليست وهمية.

وأخيراً هل الانبياء الذين رآهم الرسول فى السموات السبع سيعودون إلى قبورهم ليقوموا مع سائر البشر للحساب يوم القيامة أفيدونا أفادكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسول الله عندما جاء فى صورة رجل ليعلمنا أمور ديننا قال للرسول ﷺ ما الإيمان؟ فأجابه صلوات الله عليه: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله اليوم الآخر... فقال له صدقت، وكلمة اليوم الآخر تشمل كل ما ذكرته لم مما سبق.

على أن القرآن الكريم ظل يتنزل فى مكة ثلاثه عشر عاماً يقرر هذه العقيدة ويؤكد لها ضمن عقائد

وفى بداية الاجابة أشكر الأخ السائل اهتمامه بأمور الدين ورغبته فى معرفة حقائقه التى قد لا تخطر على بال كثير من الناس.

ثم أقول له إن الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار وصراط وميزان وحوض وكوثر الإيمان بكل هذا عنصر مهم من عناصر الإيمان عموماً كما جاء فى الحديث الصحيح الذى سأل فيه سيدنا جبريل سيدنا



الإسلام الأخرى فكثير فيه الحديث عن يوم القيامة بصورة متباينة وأساليب شتى وأطلق على اليوم الآخر أسماء كلها تهز القلوب وتقرع الأسماع فهو الطامة والصاخة والحاقة والقارعة وهو يوم الزلزلة ويوم الفصل ويوم القيامة ويوم التناد ويوم التلاق ويوم الفزع الأكبر وهو اليوم الذى يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهو اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ويوم الدين والجزاء، وقد جمع كثير من المؤلفين والمفسرين أحوال هذا اليوم ومراحله وما يجرى فيه فى كتب قيمة منهم القرطبى فى التذكرة والشيخ سيد قطب فى مشاهد القيامة، لذلك كان من الطبيعى أن يرى الرسول ﷺ رأى العين بعض المثل والنماذج والصور لطوائف من المعذبين والمنعمين فى ليلة الإسراء والمعراج الذى رأى فيها صلوات الله عليه بعض آيات ربه الكبرى ولا شك أن الثواب والعقاب والجنة والنار من هذه الحقائق والآيات الكبرى وأؤكد أن ما رآه الرسول ﷺ حقيقة هى مثل ولا تتجاوز عالم المثل أشبه ما تكون بالصور والمشاهد التى عرضها القرآن الكريم ليوم القيامة الأمر الذى حدا ببعض علمائنا الأفذاذ ومؤلفينا الكبار أن ينكر رؤية رسول الله ﷺ لهذه المرئى ليلة الإسراء ويذهب إلى أنه ﷺ رآها مناماً فى ليلة أخرى فيقول رحمه الله ورضى الله عنه «وقد رويت سنن أن رسول الله ﷺ رأى فى هذه الرحلة صوراً شتى لأجزية الصالحين والظالمين

وتناقلت كتب السيرة رواية هذه الصورة الجليلة على أنها وقعت ليلة الأسراء والمعراج، والحق أن ذلك كان رؤيا منام فى ليلة أخرى من الليالى المعتادة كما ثبت ذلك فى الصحاح^(١) ويخالفه فى ذلك المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألبانى فيقول «يشير إلى حديث سمرة بن جندب عن البخارى فى أماكن من صحيحه ولكن هذا لا ينفى أن يكون ﷺ رأى ليلة الأسراء بعض الأجزية بل هذا هو الواقع كما فى حديث أنس -رضى الله عنه: لما عرج بى ربه عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم، أخرجه أحمد وسنده صحيح.

ومادامت هذه مثل وصور وليس لأناس بعينهم فلا يقال هل حوسب هؤلاء أم لا وهل سيعادون إلى قبورهم ثم يحاسبون مرة أخرى يوم البعث والنشور أم لا.

ثم أن هذه المثل لم تقتصر على ذكر المعذبين والمنعمين بل اشتملت على مرأى أخرى ترمز إلى طبيعة الدين الإسلامى ووحدة الأديان كلها وإلى تكوين الفرد المسلم النقى والأسرة الطاهرة والمجتمع النقى من ذلك أنه ﷺ قال: «فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فأخترت اللبن فقال جبريل للرسول ﷺ اخترت الفطرة، ويعلق الشيخ البوطى على هذا فيقول: «وفى اختيار النبى ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمهما له جبريل عليه السلام دلالة قوية على أن الإسلام هو دين الفطرة

(١) فقه السيرة للداعية الكبير الراحل الإمام الغزالى رحمه الله ص ١٤٤.





أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه
والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر

ومن يفز بحبيب الله يأتم
وعلى هذا فالمرائي والصور التي رآها الرسول ﷺ
ليلة الأسراء والمعراج ليست كلها للمنعمين المعذبين
وإن كانت جميعها رموزاً لما يجب أن يكون عليه
الدين من الصفاء والنقاء والطهر والعفاف والرفعة
والقوة فالذى يزرع ويحصد في وقت واحد كلما
حصدوا عاد زرعهم كما كان يرمز إلى المجاهدين
الذى يعملون على قوة الإسلام، والذين يعرضون عن
الطعام الطيب ويأكلون الطعام النجس الخبيث يرمزون
إلى الزنا وكذا صور اللاتى يعلقن من ثديهن كل
ذلك يرمز إلى استنكار الزنا ويدعوا إلى ما ينبغي أن
يكون عليه المجتمع المسلم من طهر، وهذه الدعوة إلى
الطهر موجهة إلى الأسرة كلها وتتكامل مع الطعام
الطاهر والاعراض عن الشهوة والأقبال على الجد
والجهد وفى هذا الجو العفيف النظيف تتكون
الأجيال الصالحة التى تستطيع أن تحمل أمانة السير
بالمجتمع فى طريقه الصاعد إلى الخير^(٤).

والخلاصة أن كل ما رأى النبى ﷺ ليلة
الأسراء كان رأى العين حتى الأنبياء لكنها رموز
ومثل هذا والله أعلم وبه التوفيق وصلى اللهم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أى الدين الذى ينسجم فى عقيدته وأحكامه كلها
مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصلية فليس
فى الإسلام شئ يتعارض والطبيعة الأصلية فى
الإنسان ولو أن الفطرة كانت جسماً ذا طول وأبعاد
لكان الدين الإسلامى الثوب المفصل على
قدره^(٢). ومن المرائى التى رآها الرسول ليلة الأسراء
ولا صلة لها بالعذاب والتعذيب أنه ﷺ رأى امرأة
مزينه حاسرة عليها من ألوان الزينة ما لا يعلمه إلا
الله فأعرض صلوات الله عنها حين نادته وتعرضت
له وفى هذا رمز للزهد فى الدنيا وزينتها لكنه كما
يقول الدكتور عبد العزيز كامل - ليس زهداً سلبياً
عاجزاً ولكنه زهد القادر الذى يرتفع بوجوده فوق
شهوات الدنيا إلى العمل الدائب من أجل غاية
كبرى^(٣).

ومن الأمور التى تشير إلى انتشار الإسلام فى
البقاع التى انتشرت فيها الأديان السماوية السابقة
نزول الرسول ﷺ بأمر جبريل عليه السلام وصلاته
فى سيناء حيث ناجى موسى ربه وفى بيت لحم
حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام.

ومما يدل على وحدة الدين كله لقاءه صلوات
الله عليه وسلامه بالأنبياء جميعاً وإقرارهم
برسالته وإمامته حيث قدموه جميعاً ليصلى بهم
إماماً فى المسجد الأقصى وفى هذا اعتراف من
الرسل بأنه خاتمهم وإمامهم وأن رسالته مهيمنه
على كل الرسالات ومصدقة لها وناسخة لها
جميعاً وصدق الشاعر:

(٢) فقه السيرة للبوطنى ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) مواقف إسلامية للدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف الأسبق ص ١٢٤ من سلسلة أقرأ.

(٤) المرجع السابق ص ١٢.



جريدة بالسنة^(١)



لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^(٢)
 أشهد أن لا إله إلا الله، القائل:
 ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾^(٣)، وأشهد أن سيدنا
 محمد أرسول الله، أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً، فصلوات الله
 وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المخلصين، وأتباعه المؤمنين؛
 ﴿ وَيَشِرَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾^(٤).

هذا الناقع افتري على الإمام البخاري في أكثر
 من جهة، فألقى ظلاً على صدقه في الرواية مع
 أن البخاري هو الرجل الثقة الأمين الحافظ،
 الذي قضى حياته في خدمة السنة، وسهر
 الليالي في تمحيصها، وطوى الفياض والقفار
 في سبيل التثبت من نصوصها.
 ونسب هذا الناقع إلى الإمام البخاري ما لم

يا أتباع محمد ﷺ :
 نعت ناقع منذ حين في بلد عربي فتهجم
 على سنة سيد الأنام محمد ﷺ، وحاول
 التشكيك في أصح كتاب بعد كتاب الله -
 عز وجل - وهو صحيح الإمام البخاري الذي
 أجمعت الأمة المؤمنة على أنه أصدق كتاب
 بعد القرآن الكريم، ومن أعجب العجب أن

(١) أُلقيت في يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٨ أبريل سنة ١٩٦٦ م.

(٢) الفرقان «١».

(٣) النساء «٨٠».

(٤) الأحزاب «٤٧».

وكم من عائب قولاً صحيحاً

وآفته من الفهم السقيم

إن الحديث يقول: «اختلاف أمتي رحمة»، وهذا النص لا يصعب فهمه على أكثر من وجه مقبول وجميل، فالاختلاف الموصوف في الحديث بأنه رحمة ليس اختلافاً في الأصول أو العقائد والفرائض، وإنما هو اختلاف في الفروع ووسائل التطبيق التي تختلف باختلاف البيئات والعصور والأزمان ولا جدال في أن الناس قد اختلفوا في الفهم والإدراك، وأنهم يختلفون، وأنهم سيختلفون، ولو أردنا أن نحمل الناس على أن يكونوا جميعاً في كل شيء «صوراً طبق الأصل» من نموذج واحد، لما سار دولاب الحياة، ولا تجلت الهمم والعزائم، ولا ظهرت الحقائق أو الدقائق، ولا تبدت سماحة الإسلام الذي جاء بالنصوص العامة الكلية الصالحة لكل زمان ومكان، وترك أمام الأفهام والعقول مجالات في فهمها واستنباط مدلولاتها، ومراعاة ظروف الحياة عند تطبيقها، وبذلك تتوافر عناصر البقاء والخلود أمام شريعة أرادها الله أن تظل قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك قال خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز: «ما سرنى لو أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة» أي لم تظهر سماحة الدين وسهولته، لأن هذا راعى ظروف القوى، وذاك راعى ظروف الضعيف، وهذا لاحظ حالة الصحيح، وذاك لاحظ حالة العليل، وهكذا، ومن وراء هذه الجهود المتعددة المستقصية لألوان

يقله، فكان مفترياً فوق تطاوله وخبث مقصده، ثم تقاصر عقله عن فهم نصوص نبوية، فشطح في تفسيرها ونطح، فجمع على نفسه أكثر من سبة، وكسب لها أكثر من مذمة، ولعله حسب أنه سيهدم شيئاً من جلال مكانة البخاري في أنظار المؤمنين، ولكن كيده ارتد إلى نحره، وكانت نعقته سبباً في مسارعة الكثيرين من المؤمنين إلى تمجيد البخاري والدفاع عنه والترديد لسيرته العطرة، ولو كان البخاري اليوم حياً لما ساءه مثل هذا التطاول، فهو القائل رضى الله عنه - : «المادح والذام عندي سواء»، والبخاري وهو فوق هذا قد أعطى أمثال ذلك المتطاول درساً في أدب الحديث وصيانة الحرمات، وبخاصة حرمة من مات، فقال: «أرجو أن ألقى الله - عزوجل - لا يطالبني أنى اغتبت أحداً» وليت هؤلاء يعتبرون ويتعظون ويذكرون قول من قال:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى

إني أخاف عليكم أن تلتقوا

وَمَنْ خَلَطَ هذا الناعق الذي يهرف بما لا يعرف أنه قال: إن البخاري روى حديثاً لا يمكن قبوله ولا تصور معناه ولا نسبته إلى رسول الله ﷺ وهو قوله: «اختلاف أمتي رحمة»^(٥)، وهذا الحديث أولاً غير موجود في صحيح البخاري، لأن الذين رواه أئمة آخرون غير البخاري، وهو حديث حسن، ومعناه لا غبار عليه، وإذا كان ذلك المتهجم على السنة لم يستطع فهمه فما أجدره بأن يتذكر قول القائل:

(٥) اتحاف السادة المتقين ١/ ٢٠٤، ٢٠٥.

الاستنباط بقدر الطاقة تكون هذا التراث الإسلامي الضخم الذي تفخر به أمة محمد ﷺ حتى تقوم الساعة، وهذا هو الإمام مالك يضع كتابه العظيم «الموطأ» الذي ضمنه ما جمع من السنة وما اهتدى إليه من الرأي، فيطلب منه الخليفة هارون الرشيد أن يعلقه له على الكعبة، وأن يحمل جميع الناس على ما فيه من آراء، فيرفض الإمام ذلك ويقول للخليفة: «لا تفعل فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وعند كل منهم علم، وكل منهم على صواب».

ومن الميسور أيضاً أن نفهم هذا النص: «اختلاف أمتي رحمة» على أساس أن اختلاف مذاهب الناس في البحث والإدراك والاستنباط يؤدي إلى خير، لأن هذا يتيح فرصاً أمام حرية التفكير، فيكون هناك استعراض واسع لوجهات النظر المختلفة، والحقيقة بنت البحث، وكل باذل جهداً في التفكير مشكور مأجور، ما دام مخلصاً طاهر النية، ومن هنا ظهرت القاعدة الإسلامية المشهورة: من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، وهي قاعدة تعد أروع الأمثال في تكريم التفكير، وتقدير المجتهدين للوصول إلى حقائق الأمور، وفوق هذا نجد حجة الإسلام الغزالي سنة ٥٠٥ هـ يفسر هذا الحديث تفسيراً آخر^(٦) بقوله: «الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاش وهلك أكثر الخلق، فانتظام أمر الكل، وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل على صنعة واحدة لتعطلت

البواقي وهلكوا، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ: (اختلاف أمتي رحمة) أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف». وهذا تفسير يذكرنا بما ينادى به المجتمع المعاصر من التزام «التخطيط» الذي يقتضي أن تتوزع الهمم والطاقات على مختلف الحرف والصناعات، حتى تتحقق للناس الأسباب اللازمة لتوفير مطالب الحياة وضرورات العيش، ومن هنا ندرك ما في حديث الرسول من رمز بليغ وإشارة دقيقة، وما تفسير الغزالي السابق له من براعة وذكاء، فلولا اختلاف الناس في مذاهب العمل ومسالك الحياة لتعطلت شئون، وفسدت للمعاش وجوه وأسباب، وهكذا سخر الله العباد فيما أراد، وكل ميسر لما خلق له، وفوق تدبيرنا لله تدبير.

يا أتباع محمد ﷺ: إن من الأغرار من يحسب أنه يستطيع إفناء الجبل الشامخ إذا عجز عن صعوده، ولو أن من جهل شيئاً تلمس الأسباب إلى تعلمه، بدلاً من المسارعة إلى انكاره لكان هذا أليق بالعقل وأجدي على الإنسانية، ولن يضير سنة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه أن يجهلها جاهلون، أو يفترى عليها مفترون، فستظل بإذن الله عالية هادية، وسنظل نردد قول الرسول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(٧). والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(٦) انظر كتاب الإسلام والاقتصاد ص ٧٧.

(٧) مجمع الزوائد ١٢٦/٤، ١٢٧.

﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استنفاء أثار الفقر

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ محمد الدريني الجزار

● سؤال من بعض الطلبة المبعوثين

والوافدين :

هل تجب الزكاة على أثاث المنزل وما فيه من ثلاجات وتلفزيون وأدوات حديثة؟ وهل تجب الزكاة على مصوغات وجواهر المرأة التي تستخدمها في الزينة؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :
فلا زكاة على أثاث المنزل وما فيه من ثلاجات وتلفزيون وأدوات حديثة إذا كانت للاستعمال .
لأن شرط زكاة المال النماء وهذه الأشياء وإن كانت أموالاً إلا أنها للاستعمال في المنزل .

وقد نص الفقهاء على أنه لا زكاة في دور السكنى وثياب البدن، وأثاث المنزل ودواب الركوب وسلاح الاستعمال، ومثل ذلك الأدوات المنزلية المسئول عنها إلا إذا اتخذت للتجارة،

فحينئذ تنتقل إلى عروض التجارة، فتجب فيها الزكاة لتحقق شرط النماء .

وأما مصوغات المرأة وجواهرها التي تستعملها للزينة فقد قرر جمهور الفقهاء فيما عدا أبو حنيفة وأصحابه أنه لا زكاة في الحلى المباح كالسوار للمرأة . . أما الحلى المحرم كالذهب للرجل فتجب فيه الزكاة . ويرى الشافعي - رحمه الله - وجوب الزكاة في حللى المرأة إذا كان فيه إسراف والحنفية يوجبون الزكاة فيها مطلقاً إذا بلغت نصاباً ونحن نميل لرأى الجمهور . والله أعلم .

● سؤال عن رأى الأئمة الأربعة في صلاة الجنازة وهل تقرأ فيها الفاتحة وسورة من القرآن الكريم أم الفاتحة والدعاء فقط ؟ .. وهل تستوى الأنثى والذكر في هذا ؟ .

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،
فصلاة الجنازة عند الحنفية ليس فيها قراءة قرآن أصلاً..
فالثناء بعد التكبيرة الأولى، والصلاة على النبي ﷺ
بعد التكبيرة الثانية، والدعاء للميت بعد التكبيرة
الثالثة.. والسلام بعد التكبيرة الرابعة.

وقال الشافعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ركن
من أركانها والأفضل قراءتها بعد التكبيرة الأولى، وله
قراءتها بعد أى تكبيرة، ومتى شرع فيها بعد أى
تكبيرة وجب إتمامها.

والحنابلة مثل الشافعية، يرون قراءة الفاتحة ركناً من
أركان صلاة الجنازة ويجب أن تكون بعد التكبيرة
الأولى.

أما المالكية فيرون أن قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة
مكروهة. والدعاء بعد التكبيرة الثالثة عند جمهور
الأئمة، ويرى المالكية أن الدعاء واجب عقب كل
تكبيرة حتى الرابعة على المعتمد ولا فرق في صلاة
الجنازة بين الأنتى والذكر - إلا في الدعاء - فيجعل
الصيغة فيها للمؤنث مثل أن يقول: «اللهم اغفر لها
وارحمها» وفي الرجل يقول: «وأبدله زوجاً خيراً من
زوجه» ولا يقول ذلك بالنسبة للأنثى.

وإن كان طفلاً يقول: «اللهم اجعله لنا فرطاً اللهم
اجعله لنا ذخراً وأجراً، اللهم اجعله لنا شافعاً ومشفعاً»
وليس المصلى ملزماً بصيغة خاصة في الدعاء، بل
يدعو بما شاء إن لم يحسن الدعاء المأثور، والله أعلم.

● سؤال من السيد / محمد عطية الحسيني

يقول فيه :

أرجو أن تتكرموا فتقرروا رأى الدين الحنيف في
مذهب البهائية وحكم معتنقيه؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . أما
بعد فنفيد : -

أولاً : فإن مذهب البهائية مذهب باطل ضال مضل
ليس من الدين الإسلامى في شىء، بل إنه ليس من
اليهودية ولا النصرانية وباقي الأديان السماوية، ومن
يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً خارجاً عن دين
الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد
تخالف الإسلام ويأبأها كل الإباء منها، ادعاء النبوة
لبعض زعماء هذا المذهب، والألوهية لبعض آخر وأن
الإيمان فى رأيهم هو متابعة هذا المذهب، والكفر فى
جحده. وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان إلي غير
ذلك من الخرافات.

ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره
وعلى ذلك فمعتنق مذهب لا يرث غيره مطلقاً ولا
يورث.

ثانياً : لهذا صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦٣
لسنة ١٩٦٠ م بحل المحافل البهائية ومصادرة أموالهم
ومراكزهم. والله - تعالى - أعلم.

● سؤال من السيد / خالد عطية حسن يقول

فيه :

تقدم شاب لخطبة فتاة وقدم لها شبكة ذهبية قيمة
وهذا أخرى وبعد ذلك فسخ الخطبة فهل له حق فى
الشبكة أم لا؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى
آله وصحبه ومن والاه. وبعد فنفيد بأن : الشبكة إذا
لم تكن جزءاً من المهر أو المهر المتفق عليه فإن كان
الفسخ من جهة الخاطب فليس له حق فى الشبكة



●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بالاطلاع علي السؤالين المذكورين أعلاه بأنه لا يجوز شرعاً في تلك الحالتين والله تعالى أعلم.

● السؤال مقدم من السيد الأستاذ فتحي

زهران

يقول بعض الناس : إن بناء القبر بالطوب الأحمر تشاؤم بدخول من دفن فيه النار فهل هذا صحيح ؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن دخول الجنة أو النار رهن بالإيمان والعمل ومشئئة الله - تعالى - وليس للقبر من حيث إنه مادة دخل في هذا الموضوع، ومع ذلك استحسّن العلماء ألا يكون فيه شيء دخل النار كالآجر وهو الطوب المحروق جاء في تفسير القرطبي ج ١٠ - ص ٣٨١ قوله : ويكره الآجر في اللحد وقال الشافعي : لا بأس به لأنه نوع من الحجر، وكرهه أبو حنيفة وأصحابه لأن الطوب الأحمر لإحكام البناء، والقبر وما فيه للبلى فلا يليق به الإحكام وقد حرم ابن حزم تخصيص المقابر أو بناءها بالطوب الأحمر المحرق بالنار.

ويؤيده ما جاء عن زيد بن أرقم أنه قال لمن أراد أن يبنى قبر ابنه ويجصصه (الطلاء بالجير المعروف) جفوت ولفوت، لا يقربه شيء مسته النار . هذا إذا لم تكن الأرض رخوة أو ندية فإن كانت كذلك فلا حرمة ولا كراهة والله - تعالى - أعلم .

وإنما تعتبر كهدية لا يجوز له أخذها لأن الفسخ من جهته وإن كان الفسخ من جهة العروسة فله استرداد الشبكة كاملة وإن كانت الشبكة هي المهر أو جزءاً منه فله أيضاً استرداد الشبكة أو المهر لأن المهر لأجل الاستمتاع بالزوجة وهذا لا يكون إلا بعد العقد . هذا والله أعلم .

وإن كان هناك بعض الآراء التي تفيد بأن الفاسخ من حقه استرداد الشبكة فهذا فيه ظلم للفتاة لأن الفسخ فيه تجريح لكرامتها، أما إذا كان هناك أسباب جوهرية لا يستطيع الفاسخ أن يبوح بها فمن حقه استرداد الشبكة . هذا والله أعلم .

● رداً على الاستفتاءين الواردين بطريق الفاكس لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر من المواطن الدكتور عثمان حسين المحولة إلي صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بإعداد الرد عليهما .

وبالاطلاع على الاستفتاءين تبين أن الأول يقول فيه : أنا متزوج منذ سبع سنوات ولم يرزقني الله بأطفال حتى الآن وكل التحاليل الطبية أكدت أن السبب الرئيسي هو عدم وجود بويضات لدى زوجتي ولدى سؤالين :

الأول : هل بالإمكان شراء بويضة من امرأة أخرى وتخصيبها بسائل المنوى قبل وضعها في رحم زوجتي كما تحدث الآن هذه العملية في معظم الدول الأوروبية .

الثاني : إذا كانت الإجابة بلا في السؤال الأول فهل بإمكانني الزواج من امرأة ثانية ثم أخذ بويضة منها بموافقتها ثم تخصيب البويضة بسائل المنوى ووضعها في رحم زوجتي الأولى وما الحكم ؟.

بين المجلنة.. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

عندما تعجز الكلمات عن التعبير



الشهيدة الفلسطينية إيمان حجو

جمعني لقاء مع الشاعر فهمي سند وهو شاعر متميز نشرت له مجلة الأزهر عدداً من القصائد، فبادرته متسائلاً عما كتبه عن الأحداث الأخيرة في فلسطين، ولكن الرجل أجاب والألم يعتصر قلبه: الأحداث أكبر بكثير من الكلمات، الظلم فاق الحدود والكلمات تعجز عن التعبير.

وفي مساء ذلك اليوم وأنا أتابع ما يحدث في الأرض المحتلة، أتحوّل من قناة إلى قناة لمزيد من المتابعة

استوقفتني أنشودة وطنية وكأنها امتداد لما قاله صديقي الشاعر، فقد انتهت الأنشودة ببيت يقول:

ياخير جند الأرض قاطبة

الله ناصركم إن تنصروا الله

ولا شك أن هذه كلمات تدعونا إلى أن نذكر

قول الله تعالى:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

محمد / ٤٧

ولا شك أن خير أجناد الأرض هم جنود الحق، هم الجنود الذين لا يغضبون لأنفسهم وإنما يغضبون إذا انتهكت حرمة الله ومقدساته، هم

عندئذ سترفرح حولها تلك الأرواح الطاهرة التي بذلها أصحابها فداءً للوطن العزيز وقبل كل شيء فداءً لأولى القبلتين وثالث الحرمين.

وأعتقد أنه من الضروري لتفعيل هذا المطلب الشعبي أن يصدر مجمع البحوث الإسلامية ودار الإفتاء فتوى تؤكد على ضرورة التضامن مع الشعب الفلسطيني ومقاطعة كل من يعين إسرائيل على طغيانها. ولعل ذلك ينطلق من قول الرسول الكريم صلوات الله عليه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

متفق عليه

الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم لنصرة الحق ولرفع الظلم.

وإذا كانت الكلمات قد وقفت عاجزة أمام أعمال الإبادة التي يواجهها أبناء وأطفال فلسطين، أقول إذا عجزت الكلمات عن التعبير، فقد حان وقت العمل، والعمل الجاد إذا أردنا أن يكون الله ناصرنا.

لا بد أن نعمل على عودة فلسطين، وما بها من مقدسات.

والعمل الذي تؤديه الشعوب هو أقوى بكثير وأكثر تأثيراً وأمداً مما تفعله الجيوش فعلينا تبني سياسة المقاطعة، لكل المنتجات التي تأتي من أمريكا وبالطبع من إسرائيل، ويجب أن تكون تلك المقاطعة انطلاقة من مبدأ نصرة الحق.



لم تسلم
الحيوانات
ولا الطيور
ولا الديار من
همجية
اليهود

بالإضافة إلى جمع التبرعات والتأكد من وصولها إلى هؤلاء المحاصرين في فلسطين، والتأكد أن يد اليهود لا تمتد إليها بالتدمير أو الاستيلاء.

ولا بد أن تستمر المقاطعة ويستمر الدعم للشعب الفلسطيني حتى يرفع صبي مثل محمد الدرة أو زهرة مثل وفاء إدريس راية فلسطين فوق القدس لترفرح عزيزة أبيه.

صرخة شباب مسلم

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾

البقرة / ١٩١

وفي أيامنا هذه يعتدى اليهود الظالمون على المسلمين في فلسطين، يذبحون الأطفال والنساء، يقتلون الشيوخ والضعفاء، لا تأخذهم في ذلك شفقة ولا رحمة، تجردوا من الإنسانية، غلظت أكبادهم، قست قلوبهم فهي كاللحجارة أو أشد قسوة، فكان حقاً على جميع المسلمين أن ينفروا سراعاً لنجدة هؤلاء المظلومين ودفع عدوان الظالمين، فهيا يا أمة الإسلام ويا شباب المسلمين وكونوا كأسلافكم الأمجاد نصرة للحق وتآزراً عند الشدائد وتسانداً في الملمات والتفافاً حول راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، واستمسكاً بعروة التعاون والتضامن يكتب الله لكم القوة والمنعة والعزة والغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

وحشاً للمسلمين في جميع بقاع الأرض للعمل على استعادة المسجد الأقصى كانت هذه الصرخة من القارئ محمد أحمد محمود كامل - إمام وخطيب بمطروح - يقول :

يجب علينا جميعاً أن نتذكر قضية المسجد الأقصى ولا ننساها أبداً، لا ينبغي أن يصبح الأمر الواقع من قتل لشباب فلسطين وهدم لبيوتهم وغير ذلك من أسباب الذلة والمهانة للمسلمين أمراً مفروضاً علينا ونتقبل هذا بهزيمة نفسية منكرة ويصبح اليهود سادة المسجد الأقصى وسادة أرض النبوات، اليهود الذين قتلوا الأنبياء والذين حرقوا الكلم عن مواضعه والذين يقتلون أبناءنا كل يوم بالعشرات، والذين يهدمون بيوتنا بالطائرات والصواريخ لا يجوز أبداً أن يتوقع منهم السلام، من هنا يجب علينا الجهاد بكل الوسائل الممكنة استجابة لقول الله تعالى :

الاعتماد على النفس

النفس، فالعمل يحقق للإنسان العزة والكرامة. والله - تعالى - يقول :

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة المنافقون : الآية ٨)

الرسالة الثانية نقدمها للقارئ محمد محمود عطار / طالب ماجستير - كلية التربية - طنطا يقول :

الاعتماد على النفس هو الطريق المؤدى إلى صون كرامة المسلم. والعمل وسيلة من وسائل الاعتماد على



وجعل نضال الإنسان من أجل عمارة الأرض
وتقدم الحياة هدفا نتعبد به لله رب العالمين.
والله تعالى يقول:

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ
وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
(سورة العنكبوت: الآية ١٧)

والاعتماد على النفس في طلب الرزق لا يتعارض
مع الاعتماد على الله، ولقد نهى الفاروق عمر بن
الخطاب الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على
الصدقات حين قال: «يا معشر الفقراء: استبقوا
الخيرات، ولا تكونوا عيالا على المسلمين».
وما أعظم الإسلام الذي جعل الكفاح من أجل
تحقيق أمن الحياة وسلامها صلاحا وعبادة ودينا..

مراسلات أدبية

بين حافظ وشوقي

أرسل شوقي إلى حافظ أبياتاً تعبر عن لوعته في منفاه بالأندلس، ورد عليه حافظ بأبيات من
الوزن والقافية وقد رأى الأستاذ هلال الحبشى من خريجي كلية اللغة العربية بالمنصورة أن
يتحف القراء بما دار بين الشاعرين، ونحن ننشر ما بعثه إلينا شاكرين له همته الأدبية،
وراجين من القراء أمثال هذه المطارحات
قال شوقي:

عهد الوفاء - وإن غبنا - مقيمين
شيئاً نبيل به أحشاء صادين
ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

يا ساكني مصر إنا لا نزال على
هلا بعمثتم لنا من ماء نيلكم
كل المناهل بعهد النيل آسنة

ورد عليه شاعر النيل «حافظ إبراهيم» بهذه الأبيات قائلا:

صاد ويسقى رباً مصر ويسقينا
ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا
وقد نأينا وإن كنا مقيمين

عجبت للنيل يدري أن بلبله
والله ما طاب للأصحاب مورده
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه



من الأخطاء الشائعة

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ .

آل عمران / ٩٢

٣- من الخطأ: رأيت إنسانة تعنى امرأة .

الصواب: رأيت إنسانا بدون تاء وذلك لأن الإنسان يطلق على الذكر والمؤنث، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ .

البلد / ٤

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ .

العاديات / ٦

٤- من الخطأ: امرأة سافرة الوجه .

الصواب: امرأة سافر الوجه لأن الصفات الخاصة بالمؤنث لا تحتاج إلى علامة تأنيث والسفور خاص بالنساء، وكذلك: امرأة عاقر، وناشر.

نود الإشارة إلى أن قصيدة «رثاء شهداء قطار الصعيد» التي نشرنا بعضاً من أبياتها في العدد السابق، هي للمقاريء الشيخ حبش حسن حسين شعبان خطيب طنسا . الذي نشكره على خطابه ونفيده أن عدم نشر قصيدته كاملة ألجأنا إليه الضرورة، ويسعدنا مواصلة النشر له مستقبلاً .

المحرر

أما المقاريء الأستاذ / إبراهيم نصحي محمد المدرس الأول بالأزهر كراديس - ديرب نجم فيواصل عرض الأخطاء الشائعة يقول:

هناك أخطاء شاعت بين المتحدثين بالعربية ونريد أن نلقى الضوء على بعض منها:

١- من الخطأ أن تقول: تخرج إبراهيم من كلية اللغة العربية .

والصواب: تخرج إبراهيم في كلية اللغة العربية، وجاء في لسان العرب: وقد خرج في الأدب فتخرج. إذن فليس فيه معنى الخروج الذي يقابل الدخول .

فمعنى تخرج: تعلم وتأدب وتدرّب . راجع لسان العرب مادة خرج .

٢- ومن الخطأ أن يكتب بعض الطلاب: أرجوا نقلى إلى معهد الزقازيق، ونرجوا الموافقة .

والصواب: أرجو - ونرجو . لأن القاعدة: لا تثبت الألف أمام الواو إلا إذا أفادت الجماعة في فعل الأمر والفعل المضارع المجزوم أو المنصوب بحذف النون قال - تعالى -:

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾

يوسف / ٩٣

وقال تعالى:



للأستاذ / محمد الشرقاوي

هذا هو الإسلام

- ١- الإسلام دين الإنسانية جمعاء - لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي .
- ٢- الإسلام وتكريمه للعلم والعلماء - للأستاذ الدكتور / إبراهيم جميل بدران .
- ٣- الإسلام وموقفه من غير المسلمين - للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم .
- ٤- الإسلام وقضايا المرأة - للأستاذ الدكتور / جمال الدين محمد محمود .
- ٥- الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب - للأستاذ الدكتور / عبدالرحمن العدوي .

قرر مجلس مجمع البحوث الإسلامية في جلسته الثامنة (طارئة) بتاريخ ٢١/٣/٢٠٠٢م عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان (هذا هو الإسلام) في الفترة من ١٦ - ١٩ أبريل ٢٠٠٢م .

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ورئيس المجمع وبحضور السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

وقد تم تحديد موضوعات المؤتمر والأبحاث التي تم اختيارها من قبل السادة أعضاء المجمع للكتابة فيها وبيانها كالاتي .





- ٢١ - الإسلام كرم الإنسان - لفضيلة الأستاذ الشيخ / على محمد فتح الله .
- ٢٢ - الإسلام يدعو للتعاون والتكافل - لفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد أحمد البيومي
- ٢٣ - السلام فى نظر الإسلام - للأستاذ الدكتور / محمود زقزوق .
- ٢٤ - الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف - لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور .
- ٢٥ - الإسلام وموقفه من المذاهب - للأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة .

قرارات مجلس مجمع البحوث الإسلامية

هذا وقد عرض على مجلس المجمع فى ذات الجلسة مذكرة لجنة التعريف بالإسلام بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ١٣ / ١ / ٢٠٠٢م بشأن كتاب الدكتور / ميرفت عمر - أمينة اللجنة القومية لليونسكو المتضمن موضوع الأخلاقيات فى إجراء البحوث البيولوجية والطبية والأخلاقيات فى تقنيات نقل وزرع الأعضاء والأنسجة البشرية .

وبعد المناقشة وبحث الموضوع قرر المجلس إرسال بيان مجلس المجمع فى موضوع نقل الأعضاء وتمسكه برأيه السابق فيه .

ثم عرض على المجلس مذكرة لجنة القرآن الكريم بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ١٦ / ١ / ٢٠٠٢م بشأن ما تم نشره فى جريدة صوت الأزهر (الصفحة الأخيرة) ضمن عدد (١١٤) ، ١١٥) بتاريخ ٣٠ / ١١ / ٧ ، ١٢ / ٢٠٠١م المتضمن عبارة وآية قرآنية تسمى إلى القرآن الكريم حيث لا يتيسر قراءتها للقارئ العادى وقد أحاط المجلس علما بالمذكرة .

- ٦ - الإسلام دين الإنسانية جمعاء - للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم .
- ٧ - الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب - للأستاذ الدكتور / عبدالفتاح الشيخ .
- ٨ - الإسلام وحقوق الضعفاء - للأستاذ الدكتور / عبدالله النجار .
- ٩ - الإسلام وفقه الأقليات - للأستاذ الدكتور / عبدالمعطى بيومي
- ١٠ - الإسلام دين التوسط والاعتدال - لفضيلة الأستاذ الشيخ / فوزى الزفاف
- ١١ - الإسلام دين الحضارة - للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي .
- ١٢ - الإسلام وموقفه من غير المسلمين - للأستاذ الدكتور / محمد رأفت عثمان
- ١٣ - الإسلام والعلاقات الدولية - للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
- ١٤ - الإسلام والتنمية الاقتصادية - للأستاذ الدكتور / محمد شوقى الفنجرى
- ١٥ - الإسلام يؤيد تعاون الحضارات لا تصادمها للأستاذ الدكتور / محمد عمارة مصطفى
- ١٦ - الإسلام والمتغيرات العالمية المعاصرة - لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد محمد الراوى .
- ١٧ - الإسلام ورعايته لحقوق الانسان - لفضيلة للأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل .
- ١٨ - الإسلام يؤيد تعاون الحضارات لا تصادمها - للأستاذ الدكتور / أحمد كمال أبوالمجد .
- ١٩ - الإسلام وحرمة الدماء - للأستاذ الدكتور / حامد عبدالحميد جامع .
- ٢٠ - الإسلام وقضية الأصالة والمعاصرة - للأستاذ الدكتور / طه مصطفى أبو كريمة .



المؤتمر الإسلامي يتجاهل اقتراحاً باستخدام سلاح النفط

لم يبحث الاجتماع الطارئ الذي عقدته منظمة المؤتمر الإسلامي في العاصمة الماليزية «كوالالمبور» الاقتراح المقدم من العراق وإيران بشأن تحويل النفط إلى سلاح إسلامي ضد الدول المؤيدة لإسرائيل وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبرر وزير خارجية السعودية رفض الاقتراح في حديث له مع صحيفة «لوموند» الفرنسية: إن العرب بحاجة ماسة إلى نفطهم لأغراض التنمية وأنهم إذا أرادوا تعزيز أنفسهم أمام الهجمة الإسرائيلية فلا خيار أمامهم سوى الاستمرار في استغلال نفطهم وغازهم.

وأضاف: إن إسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة وأنه ليست هناك أي بلد في العالم يمكنه القول للدول العربية «نحن مستعدون لتزويدكم بكل ما تحتاجون من سلاح ومال ومن دون موارد نفطية.

وبدا واضحاً من ردود فعل الدول - الإسلامية - المشاركة أن الاقتراح الذي لم يكن مدرجاً على جدول الأعمال لقي استجابة فاترة من الدول - الإسلامية - الأعضاء المصدرة للنفط وفي طليعتها دول مجلس التعاون الخليجي.

نقلا عن جريدة الحياة اللندنية

٢٠٠٢/٤/٣

ثم عرض على المجلس مذكرة لجنة البحوث الفقهية بمحضرها رقم (٥) الدورة رقم (٣٨) بتاريخ ٢٠٠٢/١/٩م بشأن كتاب السيد أحمد محسن المصري - مدير الإدارة العامة للشئون الإدارية - بوزارة الداخلية عن اعتبار الحج والعمرة من قبيل السياحة الدينية التي تخضع في تنظيمها لقانون شركات السياحة وبعد المناقشة قرر المجلس: الموافقة على ما جاء بالمذكرة من أن الحج والعمرة من العروض الدينية التي يلزم المسلم بأدائها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والتكاليف الشرعية لا تعد من قبيل السياحة بالمعنى العصري المتعارف عليه بمعنى الرفاهية.

تشكيل فصائل للمتطوعين الروس للدفاع عن إسرائيل

كشفت مصادر روسية عن بدء تشكيل فصائل للمتطوعين الروس للدفاع عن إسرائيل، وقالت إن قيادة الجيش الإسرائيلي ستصدر أوامرها في القريب العاجل بشأن ضم الجنود والضباط الروس السابقين ممن حاربوا في أفغانستان والبلقان والشيخان وغيرها من المناطق الساخنة إلى فوج خاص سيحمل اسم «الفوج الروسى».

وقالت صحيفة «كوميرسانت» الوثيقة الصلة بالأوساط اليهودية بحكم تبعيتها للملياردير اليهودي «بوريس بيريزوفسكى» - إن هذه الفكرة اقترحت قبل قرابة الشهر من جانب عشرات الجنود والضباط الروس السابقين ممن يستوطنون اليوم الأرض الفلسطينية المحتلة.

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٣/٢٤



جثته خارج بيته وهى نماذج من حالات تتكرر باستمرار دون أن يكون هناك ما يدل على انتهائها فى الأمد القريب .

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢ / ٣ / ٢٤

وفى باكستان:

مقتل اثنين فى هجوم بقنبلة على مسجد

ذكر شهود عيان فى مدينة « تشامات » الباكستانية أن اثنين قتلوا وأصيب نحو « ٣٥ » آخرين فى هجوم بقنبلة على أحد مساجد المدينة الواقعة على الحدود مع أفغانستان .

وقالت الشرطة : إن رجلين ألقيا القنابل - أثناء خروج المصلين من المسجد وفرا هاربين . وقال شاهد عيان :

« أن الناس تجمعوا خارج المسجد بعد الصلاة عندما ألقى المهاجمان القنابل » وأغلقت كل المتاجر والأسواق أبوابها احتجاجا على الهجوم .

عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢ / ٤ / ٣

الشرطة الهندية تقتل إسلاميين فى كشمير

قالت الشرطة الهندية فى الشطر الذى تسيطر عليه من كشمير أنها قتلت بالرصاص ما أسمتهم بالمتشددون الإسلاميين والذين كانوا متحصنين داخل مسجد منهية بذلك حصارها المسجد والذى استمر ١٢ ساعة وهذه هى المرة الثالثة فى غضون شهرين يحتمى ثوار فى مسجد فى المنطقة

ومازال مسلسل الاعتداء على المساجد

فى أنحاء العالم مستمرا

تعرض مسجد فى منطقة « بوسانسكى دوبييتسا » بشمال البوسنة إلى عدوان جديد مؤخرا وقال شهود عيان أقدمت مجموعة مجهولة على كسر أبواب المسجد ونوافذه وإشعال النار فى محتوياته وقد تسبب ذلك فى خسائر مادية كبيرة ولم يسجل الحادث سقوط ضحايا .

وقال شهود عيان إن « عمر فيلادجيتش » رئيس المجلس الإسلامى بمنطقة « بوسانسكى دوبييتسا » اتصل بالشرطة وقوات المطافىء التى سيطرت على الحريق - وأضاف شهود العيان أن الاعتداء تم بعد أن أنهى المسلمون احتفالا بذكرى السنة الهجرية حضره مفتى « بينالوكا » الشيخ « أدهم تشامجيتش » وتعد حادثة مسجد بوسانسكى دوبييتسا واحدة من عشرات الحوادث ضد المساجد فى مناطق السيطرة الصربية والكرواتية فى البوسنة والهرسك وليست المساجد وحدها هى التى تتعرض للعدوان بل إن بيوت المسلمين كثيرا ما تتعرض للحرق وإطلاق نار من قبل المتعصبين الصرب والكروات وقد سجلت فى المدة الأخيرة حوادث قتل تعرض لها المسلمون العائدون حديثا لديارهم فى سربيرينتسا - شرق البوسنة - حيث أحرقت امرأة تجاوزت السبعين داخل بيتها واغتصبت فتاة فى السابعة عشرة بمدينة « فيشى غراد » - غرب البوسنة - قبل قتلها وقتل أحد المسلمين فى مدينة « بالى » - ٣٠ كيلو متر شرق سراييفو معقل صرب البوسنة سابقا حيث وجدت





الخامس فى الإسلام عبر لسان وأسلوب قريب
من لغة الغرب ومفاهيمه .

نقلا عن جريدة الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٣/٢٤

اكتشاف مقبرة جماعية بها « ١٦١ » مسلما

فى البوسنة

عشرت السلطات البوسنية على مقبرة جماعية جديدة بها « ١٦١ » قتيلاً فى منطقة « كوترفرش » بمناطق الحكم الذاتى الصربى داخل البوسنة وقالت مصادر اللجنة الوطنية للبحث عن المفقودين : إن الضحايا كانوا من المدنيين الذين اعتقلهم الصرب سنة « ١٩٩٢ » فى مدرسة ابتدائية بمنطقة « جرابوفيتسا » التابعة لبلدية « كوترفرش » وقال لقاضى « حلمى أحمد وفيتش » الذى أصدر الإذن بنيش المقبرة الجماعية وإخراج رفات الضحايا بأنه توجد ثلاثة أماكن أخرى وصلتنا معلومات عن وجود مقابر جديدة بها .

من جهة أخرى شكا العائدون المسلمون إلى مقار سكنهم بمنطقة « كوترفرش » بعد عشر سنوات من التهجير من أن بلدية المنطقة التى يسيطر عليها الصرب تطالبهم بدفع فواتير الماء والكهرباء عن السنوات التى لم يكونوا موجودين فيها بمنازلهم وقال أحدهم : يطالبوننا بمبلغ ٢٠ ألف يورو وجميع الذين عادوا « ٢٧٠ » عائلة فقط ولا نملك هذا المبلغ وقال « محمد سباهيتش أحد العائدين : نعيش هنا بدون ماء والمشاكل تتفاقم باستمرار ونحن ندعو المجتمع الدول لحل هذه المشاكل مع الإدارة الصربية .

الشرق الأوسط

٢٠٠٢/٤/٣

المتنازع عليها فى جبال الهيمالايا وهى محور مواجهة عسكرية بين الهند وباكستان .

نقلا عن جريدة الحياة اللندنية .

٢٠٠٢/٣/٢٠

التليفزيون الأسترالى يث برنامجا

عن الحج

« مشاعر جياشة تتحول بها مظاهر التوحيد والابتهاال والألفة إلى ما يشبه الإحساس العميق الذى يشبه الحلم لكنه ليست حلما بل حقيقة تدخل إلى الخيلة لتستقر بها طويلا فى رحلة تدوم وتدوم لأنها رحلة العمر » .

بهذه الكلمات تستهل البرفسورة المحاضرة فى جامعة لندن البريطانية « آمنة فيشر » الكلام عن تجربتها الأولى أثناء تأدية فريضة الحج التى يستعرضها الشريط الوثائقى التسجيلى « الحج : رحلة العمر » والذى عرضه قناة « أى بى سى » الأسترالية أخيرا من ضمن البرنامج المعروف « كومباس » بالتزامن مع انتهاء موسم الحج لهذا العام .

والبرفسورة فيشر هى واحدة من « ٦ » شخصيات إسلامية ثلاث نساء وثلاثة رجال من الجالية البريطانية يرافقهم الشريط الذى قامت بإنتاجه شبكة « بى بى سى » البريطانية أثناء مراحل تأديتهم لفريضة الحج انطلاقا من العاصمة البريطانية مورا بمحطات المناسك فى مكة وعرفة وصعيد منى وغيرها وقال بعض النقاد الأستراليين المتابعين للإنتاج الإعلامى والوثائقى عن الإسلام فى مرحلة ما « بعد ١١ سبتمبر » : إن الشريط حقق نجاحا وإقبالا من الجمهور الأسترالى والغربى لإطلالة على الركن



أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

تنظيم النسل يعالج بالإقناع والفهم السليم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً من الدعاة من دولة الفلبين من الجنسين برئاسة السيد / سادودام سانى مدير الصحة بإقليم ماندنو بالفلبين والسيد إسماعيل إبراهيم المستشار الدينى بأوقاف الفلبين ترافقهم الدكتورة ميرفت محمود الأستاذ بالمركز الإسلامى الدولى للدراسات والبحوث السكانية وذلك ضمن برنامج الدراسات الذى يعده مركز البحوث والدراسات السكانية الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف .

ونحن لا نقول بالمنع أو التحديد أو التعقيم فهذا حرام .

وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول هذا الموضوع ثم سلم كل واحد من السادة الضيوف نسخة من كتيب تنظيم الأسرة .

شكر الحضور فضيلته على الشرح الذى قدمه، وقدموا الشكر والثناء على البعثات الأزهرية التى يوفرها الأزهر الشريف لدولة الفلبين منذ أكثر من خمسين عاماً لتعليم المسلمين أمور دينهم ودنياهم .

الإمام الأكبر يؤكد:

الأزهر القلعة الحصينة للحفاظ على القرآن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد أعضاء مجلس النواب بالجمهورية اليمنية، ممثلين عن لجنة التعليم العالى والبحث العلمى ولجنة الصحة العامة والسكان ولجنة الزراعة ولجنة الدفاع ولجنة الحريات برئاسة الأستاذ / محمد نجيب سيف رئيس الوفد ويرافقهم السيد السفير / عبدالعزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية اليمنية بالقاهرة، وذلك ضمن المشاركة فى برنامج الزيارة

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف شارحاً لهم رأى الدين فى تنظيم الأسرة، وأنه جائز شرعاً مادام ذلك باتفاق الزوجين، وطبقاً لما يقرره السادة الأطباء، وذلك فى حالة عدم تحمل الزوجة للحمل لأسباب طبية، كما يجوز للزوجين إطالة فترة الانجاب لتستعيد الزوجة صحتها من حمل سابق ويكون ذلك باتفاق الزوجين، كما يجوز تنظيم الأسرة طبقاً لظروف الزوجين الاجتماعية،



سواء عن طريق إرسال العلماء للدول، أو عن طريق استقبال أبناء المسلمين لتعليمهم بالأزهر الشريف الذى هو القلعة الحصينة للحفاظ على القرآن وعلومه على مدى أكثر من ألف عام.

باكستان قطعة من مصر

ومصر قطعة من باكستان

● استقبال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / جام كرم وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق بدولة باكستان، فيدرالى وسناتور فى البرلمان الباكستانى .

رحب فضيلته بالضيف قائلاً: نحن نعتبر دولة باكستان قطعة من مصر ومصر قطعة من دولة باكستان، ومصر تقف إلى جانب دولة باكستان منذ القدم، ونحن كأخوة مسلمين نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وندعو لدولة باكستان بالسلام والأمان والاستقرار، ولدينا من باكستان طلاب يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة على منح من الأزهر وبقائمون فى مدينة البعوث الإسلامية التى يسكنها طلاب من خمس وتسعين دولة، كما أن للأزهر بعثة من العلماء يعلمون أبناء باكستان اللغة العربية والشريعة الإسلامية منذ زمن بعيد .

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء مشيداً بجهود الأزهر الشريف ذلك الصرح العظيم الذى له مكانته العالية لدى أبناء باكستان بصفة خاصة ولدى أبناء المسلمين فى كل مكان .

كما قدم شكر حكومة باكستان للسيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية والحكومة

العلمية للقاهرة فى إطار مشروع صندوق الأمم المتحدة للسكان .

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بدولة اليمن الشقيقة وحضارتها العريقة وتاريخها المشرف وخدمتها للإسلام والمسلمين، وشرح لهم نظام الدراسة فى الأزهر الشريف وأنه يقوم على الفهم السليم للإسلام والمحافظة على القرآن الكريم وعلى اللغة العربية التى هى لغة القرآن وعلى سنة سيدنا رسول الله ﷺ وعلى دراسة الفقه الإسلامى بدون التحيز لمذهب معين والدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب الأعمى، وأضاف فضيلته قائلاً: بأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مسلم، لأن الأصول والأسس واحدة ولا خلاف عليها، وإن وجد شئ من الخلاف فهو فى الأمور الفرعية وليس فى الأركان .

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الحضور وكانت حول تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه وقد أوضح فضيلته أن الاختلاف فى الفهم يرجع إلى عدم فهم الأمور فهماً سليماً، لأن تنظيم الأسرة مسألة اجتهادية، ومن يفهم الدين الإسلامى فهماً صحيحاً يعلم أن الإسلام ضد التحديد بمعنى المنع، وكذلك ضد التعقيم، وضد أى أسلوب فيه الجبر أو الإكراه، وإنما مسألة تنظيم النسل متروكة للزوجين وتعالج بالإقناع وبالفهم السليم وبالطريقة التى يراها الزوجان مناسبة لهما .

شكر الضيوف فضيلته على حسن اللقاء وعلى المعلومات التى قام بشرحها، وأشادوا بدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين وتثقيفهم وتوضيح صحيح الإسلام للمسلمين فى شتى أنحاء العالم

وقد أبدت الضيفة إعجابها بحديث فضيلته وتواضعه الجم، كما أبدت إعجابها وسرورها بتواجدها في مصر والأزهر الشريف قائلة: إن مصر بلد ذو حضارة عريقة، وشعبها طيب، وقيادته الدينية متسامحة ونقية.

الإمام الأكبر يستقبل القائم بأعمال المدير الإقليمي لشئون اللاجئين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / فينسنت كوشتل القائم بأعمال المدير الإقليمي لمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين يرافقه السيد / كريم الأتاسي رئيس قسم الإعلام فى الشرق الأوسط.

رحب فضيلته بهما مشيداً بجهود المفوضية من أجل خدمة اللاجئين الذين أضيروا فى أنفسهم وأموالهم، وأصبح من المحتم على كل عاقل أن يقدم لهم يد المساعدة حتى ينالوا حقوقهم كاملة غير منقوصة، وأن الأزهر الشريف يؤيد هذه الجهود.

أعرب الضيف عن سعادته وشكره لهذا اللقاء وجهود الأزهر الشريف فى خدمة الطلبة الوافدين وتقديم المساعدة لهم وتوفير فرص الدراسة والإقامة، وطلب الضيف تقديم التوعية للناس من أجل إظهار الجانب الدينى السمح لتحمل وجود اللاجئين الذين أجبرتهم الظروف على هجر بلادهم حتى يقل العبء النفسى لهؤلاء اللاجئين.

وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يحرص على ذلك كل الحرص ومصر تستضيفهم بكل أدب وسماحة واحترام وتقدم لهم المعونة التى تسترهم وتحميهم، وسوف أ دعم ذلك برفع

مصر وشعبها وأزهرها الشريف للمواقف الإيجابية تجاه قضية فلسطين، وأعرب عن تضامن باكستان مع الشعب الفلسطينى من أجل حل مشكلته كذا حل مشكلة كشمير، كما أعرب الضيف عن تطلعه لزيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدولة باكستان فى القريب العاجل.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة / هازل ماكليون عمدة مسسوجا بكندا ترافقها السيدة / أريس البرسن مديرة مكتبها، رحب فضيلته بهما ودار الحديث حول التعريف بالأزهر الشريف ومراحل التعليم المختلفة به والكرليات التابعة لجامعة الأزهر التى بلغت أكثر من سبعين كلية فيها جميع التخصصات، وأعربت عمدة مسسوجا عن تقديرها لمصر وللأزهر الشريف لمكانته العالية فى العالم وأشارت إلى أن ولاية مسسوجا بكندا يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٠ ألف نسمة ويوجد بالولاية ثلاثة مساجد كما تضم مدرستين إسلاميتين وقالت: إن ذلك له أهمية للمسلمين لممارسة شعائر دينهم وتعليمهم بكل حرية.

وقد أثنى فضيلته على هذا التسامح الذى يسود ولاية مسسوجا بكندا، وأنها تفتح أبوابها لكل من يعمر وينبى وينمى ويرتقى بالمكان الذى يعيش فيه، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى دارت حول تعدد المذاهب الإسلامية موضحاً بأن جميع المذاهب تأخذ من كتاب الله ومن سنة رسوله الكريم وهى لا تختلف فى أصل من أصول الدين، وحول سؤال عن علاقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقدااسة البابا شنودة، أوضح فضيلته بأن العلاقة بينهما علاقة ودية قوية تسودها المحبة والأخوة، وأن الزيارات بينهما متبادلة فى المناسبات المختلفة.

وقد وجه الحضور إلى الاستعانة بالأبحاث والكتب التي صدرت في محاربة المخدرات

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول إمكانية الاستعانة بعلماء الدين في برنامج العلاج من الإدمان، وأوضح فضيلته أن إدارة الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف لا تدخر وسعاً في تلبية هذا المطلب ونحن على استعداد لإرسال السادة العلماء لتوضيح هذه المسائل، وحول سؤال عن دور المسجد في تصحيح مفاهيم الشباب وعصمتهم من الانحراف الفكرى أجاب فضيلته بأن المساجد تعمل طبقاً لخطّة أعدتها وزارة الأوقاف والعلماء الموجودون بالمساجد على مستوى علمى عال، ومؤهلين للتصدى لأى انحراف فكرى عن طريق النصح والإرشاد، كما أجاب عن أسئلة حول عائد البنوك، وزكاة المال، والقروض، والعقيقة، وغير ذلك من الأسئلة التي طرحت.

الإمام الأكبر يستقبل سفير أستراليا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / روبرت نيوتن سفير أستراليا بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير جديد لبلاده بالقاهرة، وقد رحب فضيلته بالضيف متمنياً له إقامة طيبة فى مصر وأن يوفقه الله فى عمله .

وقد أثنى السيد السفير على الأزهر الشريف وشيخه قائلاً: إن الأزهر هو المعهد العلمى الدينى المعروف فى شتى أنحاء العالم كمنارة دينية وعلمية، وطلب السيد السفير نبذة عن مواكبة الأزهر للتحديث الذى يشهده العالم الآن وأجابه فضيلته بأن الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام تمتاز الدراسة فيه بالتوسط والاعتدال والبعد عن

صوت الأزهر إلى المسئولين لتقديم كافة السبل لمساعدة ومعاونة اللاجئين .

شكر الضيف فضيلته على إيضاح صورة الإسلام لدى وسائل الإعلام وخاصة الإعلام الغربى كما أعرب عن رغبة المفوض السامى للأمم المتحدة لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وقد رحب فضيلته بأنه على استعداد لاستقبال الضيف فى أى وقت يحضر فيه إلى مصر، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف .

شيخ الأزهر يؤكد على أهمية محاربة المخدرات والمسكرات

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السادة أعضاء المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية للدورة رقم ٣٠ من الدول العربية برياسة الدكتور / نادية جمال رئيس شعبة البحوث الكيميائية والبيولوجية بالمركز والمشرف على برنامج التدريب العربى لمكافحة المخدرات .

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مثنياً على جهود العاملين فى مجال محاربة المخدرات وما يضر بعقل الإنسان أو ماله أو عقيدته أو كرامته أو شرفه، لأن الإسلام يحرم ذلك تحريماً قاطعاً والأزهر الشريف يؤيد ذلك العمل الذى من شأنه محاربة المخدرات والمسكرات بكل أنواعها لما فيها من أضرار بالغة وخطيرة على عقل الإنسان وبدنه، ومن أجل ذلك كانت المحاربة للمحافظة على النشء وعلى شباب الأمة وخدمة للدين وللوطن وللمجتمع الذى نعيش فيه حتى يعيش الناس فى جو صحى ونظيف .

الحرية، وحق العقيدة، وحق الرد على الظالمين والمعتدين الذين يعتدون على الأموال والأنفس والمنازل كما يحدث الآن في فلسطين، فشارون وزمرته يهدمون البيوت ويقتلون الأبرياء ويحاصرون القرى الآمنة ويقتلعون الزروع والأشجار، ويهاجمون المستشفيات ولا يقدمون المساعدة الطبية للمحتاجين والمصابين. فالجهاد في الإسلام هو الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه فما يفعله الفلسطينيون جهاد، وما يفعله شارون وزمرته إرهاب لأنهم يعتدون على الأرض وعلى العرض.

الإمام الأكبر يؤكد:

الإسلام يهديه بالسلام لمن يهديه بالسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر مهيد مرأتو موتيلان وزير التربية والتعليم بمنطقة الحكم الذاتى لمسلمى الفلبين والوفد المرافق ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف كمنارة لأبناء المسلمين وبخاصة أبناء الفلبين الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح، وأوضح فضيلته أن لدى الأزهر مبعوثين من العلماء فى الفلبين بالخطط والمناهج الدراسية والكتب التى تدرس فى الأزهر الشريف للاستعانة بها فى تعليم أبناء المسلمين هناك على غرار ما يدرسه الأزهر فى مصر، لأن الدين الإسلامى دين رحمة وسلام وتعاون وأنه يمد يده بالسلام لكل من يمد يده بالسلام، وقدم فضيلة الإمام الأكبر دعوة للسيد الوزير لحضور المؤتمر الذى سيعقده الأزهر الشريف تحت عنوان [هذا هو الإسلام] فى ١٦ من ابريل ٢٠٠٢ وأن يشارك فى المؤتمر بالكتابة فى أحد الموضوعات المطروحة بالبرنامج.

التعصب الأعمى والعنصرية المقيتة، والإسلام يعتبر الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة والدراسة به تدعو إلى نشر الأمان والسلام والتعاون، وتبادل المنافع بين الناس، وشرح فضيلته مراحل التعليم بالأزهر منذ الحضانة وحتى الجامعة ويتعلم فيه الطلبة والطالبات، والأزهر يدرس المواد التى تدرس فى مراحل التعليم الأخرى إلى جانب حفظ القرآن الكريم والتوسع فى المواد الشرعية والعربية وبذلك يسير وفق التطور الذى يشهده العالم.

وقال الضيف: إن دولة أستراليا مجتمع منفتح وبه أعداد كبيرة من المسلمين ومن غيرهم من كل الجنسيات وقال: إنه جاء للأزهر لتوثيق التعاون وللمساهمة فى فتح مجالات مفيدة لبلدينا، وأعرب فضيلته عن ترحيب الأزهر بكل تعاون مثمر من شأنه تبادل المنافع التى أحلها الله بين الناس، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

ويستقبل سفير سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد السفير / تى توبا سفير سنغافورة بالقاهرة وذلك بمناسبة توليه عمله كسفير جديد لبلاده فى القاهرة، رحب فضيلته بالضيف قائلاً: إن سنغافورة من الدول الصديقة والأزهر يستقبل طلاباً من دول العالم ليتعلموا سماحة الإسلام ويسره ووسطيته فى كل مراحل التعليم من الحضانة وانتهاء بالجامعة ثم يعودون إلى بلادهم وقد تسلحوا بالعلم النافع ثم يقومون بدورهم فى تعليم أبناء بلادهم، وتطرق الحديث إلى تفسير معنى الجهاد، وأجاب فضيلته أن أقرب تفسير للجهاد هو الدفاع عن الحقوق مثل حق



قرار شيخ الأزهر رقم (١٩٠) لسنة ٢٠٠٢م

شيخ الأزهر :

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها والقوانين المعدلة له .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ المشار إليه .

وعلى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ .

وعلى قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

وعلى ما انتهى إليه رأى الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بجلستها المنعقدة بتاريخ ٢٠٠١ / ٢ / ٤ ملف رقم (٥٧٠ / ٦ / ٨٦) من أن الاختصاص المفوض للوزير يختص بشئون الأزهر بمقتضى القرار الجمهورى رقم ٤٠٠ لسنة ١٩٩٩ يعقد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وعلى ما انتهى إليه رأى لجنة الوظائف القيادية بالأزهر الشريف بجلستها المنعقدة بتاريخ ٢٠٠١ / ١٢ / ١٣

قرر

المادة الأولى:

اعتباراً من تاريخ صدور هذا القرار يعين فى الوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب وذلك لكل من السادة

١- فضيلة الشيخ / محمد عبد الرحمن على عباس رئيس الإدارة المركزية لمنطقة القاهرة الأزهرية .

٢- فضيلة الشيخ / محمود طه محمود لولح رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الإسكندرية الأزهرية .

٣- فضيلة الشيخ / عبدالصبور أمين عبدالرازق هيكل رئيس الإدارة المركزية للتعليم الإعدادى .

المادة الثانية:

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار .



that creatures whether they are animals, plants or minerals, are subject to one permanent and natural law. Each is characterized by certain elements and belongs to certain groups. In animals for instance, we find that the breed of Arabic horses is preferable to any other in the world. In minerals, we find that steel is the hardest sort of iron. And the human being is a kind of animal. Some human beings have superiority over others. These superior beings differ in their numbers from one country to another. Thus a country that has more supreme beings amongst its inhabitants must have superiority and authority over the rest. The Count's theory depends on the following principles;

1. An unknown supreme power has chosen a certain race to be entrusted with power and leadership.
2. Learning is the means of knowledge and superiority.
3. History records only heroes and they are our only leaders to whom we submit our obedience.
4. Nations have an urgent need to expansion, as a result of increase in products and birthrate.

De Goulios theory comes to a conclusion that people who have white skin and pure blood must be the subject of one great empire that is to govern the whole world.

We don't deny that some people are superior to others, but the standard of superiority is neither race nor blood; it is their culture and education. The Quran says;

"And we raise some of them above others in rank". "Az-Zukhruf (32)

De Goulio considers blood and race to be a criterion for superiority and he forgets that Egypt, Iraq, Syria and Yemen were the cradles of ancient civilization. They were all prosperous at a time Europe was still living in the dark ages. And it is regretful to tell that the Count's theory was received with great enthusiasm in Europe in general and Germany in particular. Germans began to look with envy at the colonies that used to be occupied by England, Holland and France. Fredric Neitchie was also influenced by De Goulio's theory and this influence was evident in the Superman. All Germans were deceived by this lie and they thought themselves to be superior to other peoples; a bitter fact that caused the two world wars to break out.

Half a century after De Goulio's superstitious theory, people began to realize its destructive influence.

At last, they knew that the theory was a mere fable. And Europeans started a new look to happiness. They realized that equality, as enacted in Islam, is the only means to happiness. That is why Mr. Jipp was right when he said that Islam is still capable of offering a great service to mankind; no other institution whether religious or social, can bring equality among all the different races.





When the sunshine of Islam arose, equality was its first foundation; and it was marvelous from Umar (may Allah be pleased with him) to apply such a law in that age when Islam was in complete power. Thus even at that time, Umar preached equality guided on by Quran and Sunna.

The prophet (peace and blessing of Allah be up on him) stated the right of equality in his last pilgrimage, when he said:

"O people, your God is One; you are all the descendents of Adam and Adam was created from dust (earth). God favours only the righteous ones, for you are all equal, no difference between a red and a white. Now let God bear witness that I have informed you". It was said that Umar once saw a blind man begging and when he enquired about him, he came to know that this man was a Jew. "Why are begging"? Umar asked.

"Tribute, need and age", the Jews replied.

Then Umar took him to his own house and satisfied his needs at that moment. Then he sent to the one who keeps Muslim's money saying that those from whom we used to take tribute when they were.

Young should not be treated shamefully now that they are old.

It was also said that some people were waiting for permission to enter Umar's house. Among them were chiefs and slaves. When permission was granted, Bilal, Ammar and Sohaib went in first; that made Abu Sofian very angry and he said:

"I had never been humiliated like this before"

And When Sohaib saw that reaction, he asked "Why are you so angry? We are both (chiefs and slaves) had the permission to enter, and they were faster in answering the invitation. If you envy them here (at Umar's), God will provide them more in Heaven.

These are the ideal principles of Islam.

Muslims proclaimed equality according to the teachings of Quran and Sunna; not teachings imported from the French revolution as some ignorants say. The French revolution does called for freedom, equality and fraternity, but only to be confined to Europe. Freedom is for the West and not the East; the East must be occupied and humiliated. Of course, we all know about racial discrimination in Europe. In America itself, the Negroes of the south have suffered and are still suffering from racial discrimination.

Hereunder is a brief summary of the racial discrimination Theory in order to show its inhuman influence, for it was the cause of the destructive two-world-wars.

Count De Goulio, a French writer wrote a theory concerning human races. He stated in it that people must be classified according to their races. He said that those who have white skin have the priority in the field of civilization and progress. He even said that the white race differs according to the purity of their blood. There is what is pure and what is mixed blood, he said. He went on saying





The Fabulous Tale Of The Racial Discrimination Between The East And The West

By: Dr. M. R. El Baiomi

Mr. Jipp, the British orientalist says in one of his books:

"Islam is still capable of offering a great service to humanity. No other institution, whether religious or social, can bring equality among all the different races. The great Islamic communities in Africa, India, Indonesia; and the small ones in China and Japan; all show that Islam is the only power to bring unity among all sects and races of the world. If the East and the West disagreed, Islam would be the only resource we have to go back to in order to make peace between them "

Mr. Jipp's words are clearly obvious. He believes that equality among people is the only solution that may put an end to dispute and controversy as in Islam human beings are all equal. It is wonderful to know that the religion of Islam in its early Renaissance was the only law that declared equality among people wherever they were. In Islam righteousness is the only standard for superiority and all people are the descents of Adam and Adam was created from dust (earth). However, when we revise the history of other countries that were in power whether before or after Islam, we will see that each used to ascribe superiority to itself.

The Greek education, literature and philosophy flourished and were known all over the world. Even the Renaissance in Europe was due to it, but Greek thinkers viewed themselves with an eye of mightiness and superiority. They declared that other peoples were savages and barbarians. Plato in his (Republic) divided people to classes of masters and slaves, the first to govern and the second to be enslaved. Then Plato was followed by Aristotle who said in his (Politics) that it is not wrong for the Greeks to govern the barbarians. He also said that slaves would become savage and impudent if you treat them kindly. He added that Asian people are willing to be governed and enslaved whereas the Greeks are free and proud sect of people. He also wrote that the inhabitants of the cold regions are less intelligent and more courageous than other peoples. At last he came to a conclusion that the Greeks are the most favoured race in the world . The most disadvantageous thing is that his book was studied all over the world and his opinions were taken for granted.

Then the wheel of age turned round and the Romans began to declare that those who are not of Roman descent are savages and barbarians. Moreover, they proclaimed superiority over other sects such as Germans, and Celts. Romans and Greeks both forgot that civilization firstly arose from the East. Principle of philosophy were founded near the Nile borders. Besides, the Romans and Greeks had their Alphabets borrowed from Syria and Lebanon.



﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

سورة النازعات (٤٠ / ٤١)

﴿But for him who fears the standing before his Lord, and restrained himself from impure evil desires and lust. Verily paradise will be his abode.﴾ [An-Naziat: 40-41]

Allah also stated:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ سورة الرحمن (٤٦)

﴿But for him who fears the standing before his Lord, there will be two gardens (i.e. in paradise).﴾ [Ar-Rahman: 46]

When the second man mentioned his story, Allah rewarded him by widening the opening in the cave. His good deed was behind his deliverance and salvation.

Finally, the third man mentioned that he gave the labourer his due right although at the beginning the labourer refused the amount of maize agreed upon between them. He gave away to the labourer the cows and the shepherd he had brought after sowing that amount of maize and selling the yield. He was honest and fair. As a matter of fact, he sets a good example that those who combat avarice and those who are niggards and hide the favors that Allah had bestowed on them will be surely punished.

When the third man told his story, the opening in the cave was made wider. Then, the rock moved away completely. Consequently, the three men were finally released due to their obedience to Allah.

This Hadith is a true guidance for us. We must always take whatever the Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, brings us and give over whatever he forbids us. We must fear Allah, for Allah is strict in punishment.

Reference

An article entitled "Good Deeds Relieve Distress" by Sheikh Al Gebali, Al Azhar Magazine (Zul Hijja, 1422 A.H. March 2002).



The Hadith shows how the invocation of a person who is dutiful to his parents was fulfilled. The first man preferred his parents to his kids. Although his kids had been crying out of hunger, he disliked feeding them before his parents. He let his parents enjoy their sleep and didn't disturb them. He understood that at their old age they would get irritable if anybody woke them up before they finished their sleep.

The man had to wait with the milk in his hand to feed his parents as soon as they wake up. Although he worked hard looking after his sheep in the morning, he sacrificed his night's rest for the sake of his parents' comfort and for Allah's satisfaction. While making supplication to Allah in the cave, he was sure that Allah was All-Aware of his true intention because Allah knows all what the hearts conceal. On mentioning his story, Allah rewarded him by letting the rock that blocked the cave move a little.

Usually, parents love their children more than anything in the world and dutiful children do their best to please and satisfy their parents and provide comfort for them. However, their love to their parents is equal to their parents' love for them. This man forgot his feelings towards his kids completely to please his parents.

The second man abstained from committing a sin with the woman he loved most. When she reminded him of Allah and that he must fear Him, he left her. Although she was in a pressing need for money, she feared Allah and begged the man to let her. He saw that she remembered Allah at this time of difficulty, while he himself was at ease. So, he let her go out of fear from Allah.

Allah stated in the Qur'an:





theirs, continued till the day dawned. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, then I pray for you to make a way out through which we can see the sky. So, Allah made for them an opening through which they could see the sky. Then the second person said: “O Allah! I had a female cousin whom I loved as much as a passionate man loves a woman. I tried to seduce her but she refused till I paid her one hundred Dinars. So, I worked hard till I collected one hundred Dinars and went to her. But when I was about to have a sexual intercourse with her, she said: O Allah’s servant! Be pious to Allah! Do not deflower me except legally (by marriage)! So I immediately stood and left her. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, then I pray for you to make a way out for us. So, Allah made a way out for them with the amount of two thirds of the blocked way.

As for the third, he said, “O Allah! I employed a labourer against an amount of maize, and when he had finished his job, I gave him his due pay, but he refused taking it. Then I kept on sowing that maize for him (several times) till I managed to buy with the price of the yield some cows and their shepherd. Later on, the labourer came to me and said: (O Allah’s servant! give me my right. I said (to him): “Go and take those cows and their shepherd”. Then, he said you make a mockery of me. I said I make no mockery of you but this is your own. O Allah! If you consider that I had done that for nothing except seeking Your face, I pray for you to make a way out for us. So, Allah made a way out for them and the rock was removed completely from the entrance of the cave. (AlBukhari, Book of Addab)





Good Deeds

By: Hanan Abdou El Tahtawy

Allah is the sole Creator, The Provider, and The One in whose hand is the disposal of all affairs. Islam calls for love and obedience to Allah and having confidence in His mercy. Allah highly rewards those who do good and supports them at times of distress. Muslims must honor their parents, abstain from unlawful relation, avoid injustice and give everybody his due rights. Allah helps those who do such deeds and puts an end to their trouble. Moreover they will be highly rewarded in the Hereafter.

Narrated Abdullah Ibn Umar, may Allah be pleased with them, that Allah's Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, said: "While three persons were travelling, they were overtaken by rain and they took shelter in a cave in a mountain. Then a rock fell over the entrance of the cave and blocked it.

They said to each other: "Think of such good (righteous) deeds which you did for Allah's sake only, and invoke Allah by giving reference to those deeds so that Allah may relieve us from our difficulty." One of them said: "O Allah! I had my parents who were very old, and I had small children and I was working as a shepherd. When I return to them at night and milk (the sheep), I used to start giving the milk to my parents before my children. One day, I went far away in search of a pasture (for my sheep), and when I returned home it was late at night so found my parents sleeping. I milked (my sheep) as usual and brought the milk vessel and stood at their heads, and I disliked to wake them up from their sleep, however, I didn't give the milk to my children before my parents, though my children were crying (from hunger) at my feet. So this state of mine, and



**AL-AZHAR
MAGAZINE**

Safar 1423 A. H



**ENGLISH
SECTION**

APRIL, 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth.”*

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

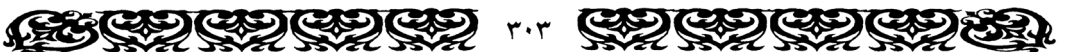
Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine





الفهرس

- إسرائيل تجربنا لحرب أمريكا ١٢٩
- المحرر.....
- قدموا النص القرآنى (الافتتاحية) ١٣٢
- للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى.....
- تفسير سورة البقرة ١٣٧
- لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.....
- السلم ١٤٢
- لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى.....
- مات المعتصم ١٤٨
- لفضيلة الأستاذ الشيخ/ الطاهر الحامدى.....
- النفوذ اليهودى فى أمريكا ١٥٢
- للاستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد.....
- بين الصحف والمجلات ١٥٧
- إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى.....
- غدا ينطق الحجر ١٦١
- للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين.....
- من أجل مواجهة أكثر فعالية ١٦٨
- للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق.....
- فلسطين وسياسة أمريكا ١٧٥
- للشاعر الكبير الأستاذ/ فؤاد الخطيب.....
- قصة العبد؛ وامثنياء ١٨٠
- بقلم/ عابر سبيل.....
- لسنا أبرهانيين ١٨٧
- للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى.....
- الأمة الوارثة وبشائر التمكين فى الأرض ١٩٠
- للدكتور/ حمدى فتوح والى.....
- حضارة قوم نوح ١٩٥
- للدكتور/ على أحمد على.....
- القرآن دستور الإسلام ٢٠٢
- للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم.....
- الآثار النفسية فى أسلوب القرآن الكريم ٢٠٨
- للاستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى.....
- اغتيال إسلامية فيلسوف ٢١٤
- للدكتور/ محمد عمارة.....
- دروس فى بناء الرجال ٢٢١
- للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٢٢٩
- كتاب الشهر: ٢٢٩
- الهجمات المفرضة على التاريخ الإسلامى ٢٤١
- عرض ونقد أ. د. إبراهيم عوضين.....
- أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى ٢٤٨
- للاستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا.....
- أنظمو أوطاننا أسرا ٢٥٠
- للشاعر/ محمد مصطفى حمام.....
- طرائف.. ومواقف ٢٥٢
- لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم.....
- الشيخ محمد ركنى إبراهيم ٢٦٠
- للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجبوشى.....
- الإمام الزيلعى ٢٦٥
- للاستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى.....
- شكر النعمة وجودها ٢٦٩
- لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف.....
- صرخة فى واد ٢٧١
- للاستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير.....
- رسالة.. و..رد ٢٧٤
- لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان.....
- خطبة الجمعة: جهلة بالسنه ٢٧٧
- لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى.....
- استفتاءات القراء ٢٨٠
- تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.....
- بين المجلة والقارىء ٢٨٥
- إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة.....
- أنباء العالم الإسلامى ٢٩٠
- للاستاذ/ محمد الشرقاوى.....
- أنباء مكتب شيخ الأزهر ٣٠٣
- لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى.....
- القسم الإنجليزى ٣٠٤



١٩
٢٠٠٢
٢٠٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر
- في ذكرى المولد النبوي
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- المؤتمر الثاني عشر لجمع البحوث الإسلامية
- هذا هو الإسلام
- من طاعة الله وعبادته
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- من ملامح المنهج الإسلامي في الدعوة
- للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
ومصدر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩ هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في طبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مكثرت التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢٠٢

ت: ٦٦٣٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٢٣ هـ يونيو ٢٠٠٢ م - الجزء الثالث السنة الخامسة والسبعون

فى ذكرى المولد النبى

نعم إن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وقد تكون الأسوة مطمئناً محدوداً يستطيع الوصول إليه إذا انتمت إلى عظماء الرجال من غير الأنبياء، ولكنها بالنسبة إلى الأنبياء بعامة مطمئناً بعيد المدى وبالنسبة إلى محمد ﷺ أشد بعداً، ولا يسوقنى إلى هذا القول عاطفة دينية لأتجد سنداً من البرهان الواضح، ولكنى أؤكدته عن يقين، حين أعرض من حياة رسول الله بعض المواقع التى تفجأ القارئ بغرابتها، فيظل حائراً يلتبس أسباب التعليل فلا يجد، ويعيد الفكر مرة وثانية وثالثة لينتهى إلى أن رسول الله فذ فى بابه، فقد صنعه الله على عينه، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

إن الرسول إنسان تزحمه الحياة ببلائها، فيكابد من الصعاب المهرقة ما لا يستطيع تحمله إلا بعون الله وتأييده ومن هذه الصعاب ما يرجع إلى الأمور العامة فى صراع الخير والشر، واصطدام الهدى بالضلال، وقد يكون العبء فيه مشتركاً بين الرسول ومن حوله من أتباعه المخلصين، وهنا يتوزع الخطب فلا يرمى بثقله فوق كاهل واحد، كما قد يكون العبء خاصاً بمحمد ﷺ وحده، إذ يتغلغل إلى أعماق الأعماق من مشاعره حين يصاب فى فلذة من أفلاذ كبده، فيحس ما يحسه الأب الشفيق من قارص الألم، ومرير الشجوى، ويخيل لصاحب النظر العادى أن نبى الإسلام فى هول خطبه سيثأر لنفسه بالانتقام إذا قدر. وله الحق أن ينتقم ممن بغى دون حق، ثم تكون العقاب أن يجد الآثم الصفح والعفو والمغفرة! وممن؟ ممن وتره فى أعز إنسان لديه أليست الأسوة فى هذا المجال مطمئناً بعيداً!! بل أقول إنه مطمئناً عسير، إلا على من اختاره الله لهداية الناس وقال فى شأنه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

سوى «الأسوة الحسنة»

العفو.. العفو

العفو فضيلة تقتعد الذروة الرفيعة بين الفضائل الإنسانية، لأن صاحبها ينتصر على غرائز الانتقام حين يسكت ألسنة الحفيظة، وتصمت عن هواتف الشار، وينظر إلى واثره الأثيم، نظرة الشفق الرحيم، حيث توحى الدلائل بأنه سيكون بين شقى الرحى جزاء لما اقترفت يده، ولن يكون العفو فضيلة خلقية رفيعة، إلا إذا كان صاحبه ذا قدرة مهيمنة يستطيع أن يبطش بها دون تردد، فمن يعفو عن واثره دون اقتدار عليه، فهو متهم فى صفحه، كذلك لا يكون العفو فضيلة خلقية رفيعة إلا إذا شمل العدو الخصيم، فالأب الذى يعفو عن جرم ولده، والصديق الذى يغضى عن زلة صديقه، والزوج الذى يتسامح عن هنات زوجته، وأمثال هؤلاء جميعاً لن يكونوا من كبار العافين عن الناس، إذ يبسطون سماحتهم على من يستشعرون نحوهم حنان القربى، وزلفى المودة، لأن لديهم من الدواعى النفسية ما يرجع جانباً على جانب، أما العفو العظيم فهو من تصببه فى أعز الناس لديه دون أن يسلف ما يستحق النكال، إذ يكون اعتداؤك بغياً صريحاً، ثم تقع فى قبضته وقد دارت الأرض بك دوران المغشى عليه من الفرع، فلا تجد غير التسامح العاطف والصفح الغفور، هنا يكون العطف ذروة عالية لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فإذا أردت المثال لبعض مانعيه فلتسمع!

كانت السيدة «زينب» أولى بنات رسول الله ﷺ ذات ملامح تقترب كثيراً من ملامح أمها السيد خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، وهى بعد ذات حنو على أخواتها باعتبارها الفتاة الكبرى، فكان والدها العظيم يخصها لذلك بحب يلمس تأثيره فى نفسه، وحين ارتحلت أم المؤمنين إلى عالم الغيب، قامت الفتاة الكبرى مقام أمها، رغم زواجها من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع، إذ كانت تكثر زيارة المنزل الأول، وقد أسلمت منذ جهر والدها بالدعوة، لأنها تعلم من صدقه وإيمانه ما رأت شواهد رآى العين، فما كان لها أن تتلكأ وإن تلكأ زوجها بعض الوقت لأشياء يميل إليها، فهى ذات رأى لا يمس، على أن الزوج رحب بإسلام زوجته، تاركاً لها حرية الاعتقاد، كما تركت له أن يبطئ



حتى يطمئن، ثم هاجر محمد ﷺ إلى المدينة، ولم تستطع زينب أن تترك منزلها وولديها بمكة! فكانت تجدد من الشوق لوالدها والحنين إليه مثل مايجد، واشتد كربها حين أعلنت قريش الحرب على رسول الله في الموقعة الأولى ببدر، ونفر المكيون وفيهم زوجها أبو العاص - إلى المدينة لاستئصال المسلمين، ولانسل عن لوعة السيدة المؤمنة زينب بنت محمد حين جعلت تفكر في مصير المعركة؟! أفينتصر المسلمون ويقتل زوجها أبو العاص أم ينتصر الشرك ويقضى على والدها الحبيب! لقد اتجهت إلى الله تعالى في خشوع دامع راجف وهي تقول: اللهم انصر أبنى، واردد على زوجي سليماً!! وباله من دعاء يحمل من دقيق المعاني ما يعجز القلم عن الإفصاح!

ثم دارت الدائرة على المشركين، ووقع أبو العاص بن الربيع أسيراً، وانطلق ذوو المنهزمين في مكة يرسلون الفداء المالي، إذ لكل أسير فداؤه، وجاء النبأ إلى الزوجة الوفية فعرفت أن الله قد استجاب دعائها، ولم تشأ أن تجعل الفداء مالاً من خالص الذهب والفضة كما فعل سواها وهي بعد ذات ثراء وافر، فأبو العاص تاجر مشتهر الغنى، ولكنها نزعت فلادتها التي أهدتها لها أمها ليلة الزفاف، وبعثت بها إلى أبيها!! وفوجئ رسول الله بقلادة السيدة خديجة التي يعرفها جيداً توضع بين يديه، قال أصحاب السيرة: فأخذته رقة شديدة، وقال في تأثير عميق، وفي نبرات حزينة: «إذا رأيتم أن تردوا لها فلادتها، وتعفوا عن أسيرها، فافعلوا!!» ثم نادى أبو العاص وقال له: احمل القلادة إلى صاحبته على شرط أن تبعث بزينب إلي! هذا عهد بيني وبينك! أفسامع أنت؟ قال: نعم، وستجني إليك متى ذهبت!

كان الزوج وفيماً بعهد فسرعان ما أبلغ زينب رغبة أبيها، فما وجدت بداً من الاستجابة ولم يطق أن يتحمل ساعات الوداع، فأمر أخاه «كنانة بين الربيع» أن يصحبها إلى المدينة، وكان كنانة شجاعاً رامياً للنبل، حامياً للظعينة إذا جد الجد، ولكن الريح لم تسر رخاء، إذ نشر هبار بن الأسود ناقماً غاضباً، يريد أن يفجع رسول الله في فلذة كبده، فاعترض الراحلة مخترطاً سيفه، ونخس البعير نخسة قاسية، فسقطت زينب، وصادف سقوطها صخرة صلدة، وكانت ذات حمل، فأسقطت جنينها، وجرى دمها يسيل، وهال كنانة ما وقع ففوق النبل إلى هبار وجماعته، ورأوا منه ذا حمية وانتقام، ففروا هاربين! ولكن زينب أدركها الضعف، فخارت قوتها، وذوت بشاشتها، وقدمت إلى المدينة ودمها يسيل!

حزن رسول الله لما شاهد! لقد كان يتوقع أن يرى ابنته سعيدة نضرة، تقبل عليه في بهجة وعناق ولكنه وجد الصفرة الكابية، والألم الصارخ، والصمت الحزين، ولانسل عن مشاعره الغاضبة التي أرسلت نغمته على هبار بن الأسود المعتدى، فأعلن أنه هدر دم! وهو إعلان مشتهر بين الناس، يوقع جزاء لمن اعتدى عن بغى!! وليت شعري ماخطب هذا المعتدى! أيريد أن يثأر لقتلى بدر؟ ومن؟ من سيدة لم تشترك في حرب!! أتلك هي الرجولة في منطق! وهبه انتهى إلى ما أراد! أفيحرز مجدداً؟ وقومه يعرفون أنه انتصر على سيدة عزلاء!! ذات حمل ثقيل!





لم تكن أيام زينب بالمدينة ناعمة راضية إذ كانت تعتادها عقابيل تلك السقطة الأليمة، ووالدها يراها تشحب وتهزل، فيعتصم بالصبر، ويعلم الله أى ألم كان يعتصر فؤاده الشفيق، وأى غضب كان يعصف بمشاعره، ولكن الأمور تجري كما أراد خالق الكون أن تسير، ولا بد من الإذعان للمكروه، وقد حل فعلاً بزينب حيث ارتحلت إلى ربها، ويقول مؤرخو سيرتها العاطرة: إن عواقب السقطة الدامية كانت فاتحة مرضها الطويل حتى جاءها اليقين!

ودارت الأيام ففتحت مكة، وأصبح رسول الله سيد النهى فيها والأمر، وأيقن هبار بن الأسود أن ساعة الانتقام قد أزفت، لأن دمه مهذور من يوم زينب، فحاول الفرار في كل متجه ولكنه أيقن أن الغلبة للإسلام، وأن جنود محمد ﷺ تلاحقه أنى سار!! فلم يجد بداً من أن يهجم على عرين الأسد، أياً كانت العاقبة، فوقع البلاء خير من انتظاره فتقدم إلى سيد المرسلين يقول له فى انكسار: يانبي الله، لقد هربت منك فى البلاد، وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك، وصفحك عمن جهل عليك، فاصفح عن جهلى، فإننى مقر بسوء فعلى، معترف بذنبى!!

لاشك أن رسول الله تذكر مأساة زينب حين واجه هباراً، ولاشك أن الحزن قد عاوده ساعتئذ على ما أصابها! وهو الآن فى موقع القدرة من عدوه الجانى! وأى أب سواه لم يكن ليصفح هكذا دون انتظار! وإذا صفح فبعد تأنيب زاجر، وإيجاع ناقم، ولكن نبي الله يرتفع عن مؤشرات الموقف، فيقول فى تودة: «إذهب يا هبار فقد عفوت عنك» قالها والصحابة دهشون، إذ كانوا لا يتوقعون!

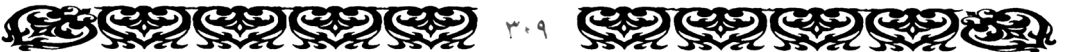
المال.. المال

حين قال الإمام البوصيرى فى برده:

وراودته الجبال الشمم من ذهب

وفضة فأراها أيما شمم

لم يقصد المعنى الحرفى للبيت، لأن الجبال فى مكة والمدينة لم تكن من ذهب وفضة، ولكنه فكر فى زهد الرسول عن الطيبات وهى ملء يده، زهده فيما اجتمع له ذات غزوة من ثراء فياض ملأ الوادى الفسيح بشعابه الممتدة ثم لم يأخذ منه شيئاً! والبرهان ساطع لامجال فيه لأدنى شبهه، ففى غزوة حنين شاء قائدنا المشرك مالك بن عوف أن يسوق مع المحاربين نساءهم وأطفالهم وأموالهم وما يملكون من أنعام ليكون ذلك أدعى إلى حماسة قومه فلا يفرون عن الميدان ساعة الهول ويتركون الأطفال والنساء والأموال، لذلك سال الوادى بشعابه زاحراً بالمال العينى من ذهب وفضة، والمال الحى من رقيق وحيوان، وهى غلطة حربية شنيعة لأن المنهزم إذا فكر لا يفكر إلا فى نفسه أولاً، ثم دارت الدائرة على المشركين بعد جهاد مرير ذاق فيه المسلمون أشد البلاء بدءاً ثم قطفوا النصر خاتمة والأمور بعواقبها المنتهية لابسائرها المبتدئة، وقد وقع فى أيدى المنتصرين ماساق المشركون من مال وعتاد،





وهو شئ لانظير له فى زمنه، إذ ترك الفارون أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف من النساء والبنين! أفندرى . عزيزى القارئ ماأخذ الرسول من هذا الفيضان الزاخر؟

لم يأخذ درهماً واحداً! وخص به جميعه المؤلفه قلوبهم من أعداء الأمس، وفيهم من شمت بالمسلمين فى الجولة الأولى فقال: الآن بطل السحر لن تقوم لمحمد قائمة بعد اليوم!! وإن عجباً أعجب العجب أن يحوز هؤلاء كل ماغنم، حتى غضبت بعض الأنصار، وهم زادة الإسلام وحماته، وعرف رسول الله ما أثارهم من غضب فترضاهم بما شفى الصدور .

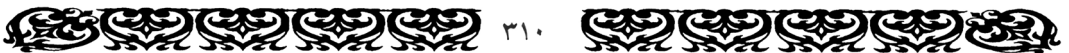
جاء فى كتاب «الإمتاع» للمقرئى: أن أباسفيان - وهو زعيم المؤلفه قلوبهم - رأى من الغنائم ما بهره فقال لرسول الله ﷺ: أصبحت أكثر قريش مالاً! أعطني مما غنمت يا رسول الله! فقال ﷺ: «يا بلال، زن لأبى سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل» . فقال أبوسفيان: «ابنى معاوية يا رسول الله؟» فقال: «زنوا له أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل» فقال أبوسفيان: «ابنى يزيد يا رسول الله؟» فقال: «زن له يا بلال أربعين أوقية، وأعطه مائة من الإبل» فقال أبوسفيان: إنك لكريم، فذاك أبى وأمى والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ثم سالتك فنعم المسالم أنت!

وجاء صفوان بن أمية، فأعطاه الرسول مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة ثم رآه يرمى شعباً مملوءاً نعماً وشياها، فقال له: أأعجبك هذا الشعب ياأبا وهب؟ فقال: نعم قال: هو لك بما فيه، فقال صفوان: إن الملوك لاتطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبى!

هذا المال الزاخر لم يرجع منه رسول الله لنفسه ولا لأهله بشئ! وكان يقنع الناس جميعاً أن وجود بالنصف، بل كان المنتظر أن يشيع السابقين الأولين من المهاجرين والذين أتوا وآووا ونصروا من الأنصار، ثم يرضى المؤلفه قلوبهم ببعض ماأخذوه، والبعض من هذا الفيضان كثير كثير، ولكنه رجع خالى اليد عامر القلب، وقد هجم عليه بعض الأعراب ساخطاً، وانتزع رداءه الشريف من فوق جسمه، وطالبه ببعض المال بعد أن وزعه، فقال الرسول: أدوا إلى أيها الناس! فوالله لو كان عدد شجر تهامة نعماً لقسمتها عليكم، ثم لاتجدونى بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً .

وهنا نتساءل: ما صنع الرسول، وهو رئيس المنتصرين، وسيد الجزيرة العربية بالرجل الذى قد تهجم عليه فى غلظة، ونزع رداءه من جسمه دون مراعاة لأدنى لياقة أو أدب! أما كان فى استطاعته أن يأخذه بالشدة بعد أن تجاوز كل حد، والكلمة كلمته، والمسلمون رهن إشارته! إنه لم ينظر للأمر من وجهة بشرية تعاقب المسئ بمثل ما يعاقب من أجرم وتهور! ولكنه علم ما يجره الضعف الإنسانى على الناس من اندفاع، وأنه أولى بأن يقدر هذا الضعف حق قدره، فيغفر للمسئ كى يراجع نفسه دون تأنيب! أليس هو المثل الكامل!

إن الشعاب الممتلئة بالغنائم يوم حنين، هى التى عناها البوصيرى فى بيته السالف، حين صور





الحقيقة فى ثوب خيالى زادها إشراقاً ولألة! وأى شمم أعلى ذروه من شمم نبيّ، يترك الفيضان الزاخر، ويرجع إلى بيته وليس عليه غير ثوبه، فيحاول أن يغتصبه منه أعرابى عجول، ثم لا يسمع غير العتاب الرقيق! ولا يرى غير النظر الشفيق!

الخبرة النفسية

هذه الخبرة النفسية بضعف أولى الضعف، جعلت رسول الله ينتظر الشر من الأشرار، ولا يستبعد وقوعه، وحثمت عليه إذا وقع الشر أن يعفو ويصفح إلا فى حد من حدود الله متى شاع الجرم واشتهر، وكانت مواقفه ترجمة صادقة عن شعور العفو الصادق، والعفو الصادق صفة كلية تجمع صفات جزئية كثيرة. فصاحب العفو حلیم رحيم حصيف، أما أنه حلیم فلأنه كظم غيظه أمام السيئة الواضحة، وأما أنه رحيم فلأنه قد تغمد الإساءة بعطفه وحنانه، وأما أنه حصيف فلأنه وقف على الأعماق المستترة فى النفوس، فرأى ما يمتزج بها من الهدى والضلال وتوقع السقوط فى الإثم تارة، كما توقع النجاة منه تارة أخرى، وهكذا كان العفو معنى كلياً، وشجرة ذات فروع وأغصان.

ورسول الله حريص على أن يوضح العفو بالفعل والقول، أما الفعل فقد عرفنا من وقائعه ماسطرناه فى هذا المقال، وهو مثال من عشرات، وأما القول فما أكثر ما حث رسول الله ﷺ على العفو وما أكثر ما تلا من آيات الكتاب فى التسامح والغفران، بل ما أجمل ما أبرز من مزايا العفو فى حوار قصصى يأخذ باللب كان يقول فيما رواه مسلم -رضى الله عنه:-

عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية! قال: اللهم لك الحمد على زانية. لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غنى! قال: اللهم لك الحمد على غنى. لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد على زانية.. وعلى غنى، وعلى سارق، فاتى فقيل له: أما صدقتك فقد قبلت، أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها، ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقة». .

فالرسول فى هذا النمط القصصى البديع يفتح باب العفو عن السارق والزانية، ويقاس بهما أشباههما بل يفتح باب الأمل على من وقف السد الهائل فى طريقه فعاقه أن يسير، والمثل الكامل للإنسانية مبشر قبل أن يكون منذراً، وغارس للأمل فى أرض يتعهد بها بالرى والتسميد حتى تؤتى أكلها الطيب! ولنا نحن المسلمين فى سلوكه المثالى أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، فهل نستطيع؟

د. محمد رجب البيومى



هَذَا هُوَ الْإِسْلَام

مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني عشر

تحت رعاية

السيد رئيس الجمهورية

٥:٣ من صفر سنة ١٤٢٣ هـ

١٦:١٨ من أبريل سنة ٢٠٠٢ م

تابع المؤتمر

أحمد السيد تقي الدين





هذا المؤتمر

أخى جـاوز الظالمون المدى

فحق الجهاد وحق الفدا

مطلع لواحدة من أروع قصائد الشاعر الشهير «على محمود طه».. وجدت كلمات القصيدة ترن في أذني وأنا أجلس داخل قاعة المؤتمرات الكبرى بمجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر.. القاعة ضخمة وهائلة حقاً.. ولكنها ضاقت بأعداد هائلة من علماء الأزهر تدفقت من شتى محافظات جمهورية مصر العربية، فضلاً عن طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية، وجامعة الأزهر، وجمع حاشد من الطلبة الوافدين الدارسين بشتى الجامعات المصرية يضاف إليهم صفوة الصفوة من علماء الأمة الإسلامية الذين لبوا جميعاً دعوة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر لحضور هذا المؤتمر الذى جاء انعقاده فى أدق مرحلة تمر بها الأمتين الإسلامية والعربية، فى ظل هجمة شرسة على الإسلام، من أعدائه ومن فى قلوبهم مرض، واشتدت حدتها بعد أحداث نيويورك الشهيرة بأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م إلى أن وصلت إلى حد إلصاق التهم الظالمة بالإسلام وأهله، بل أعلن الرئيس الأمريكى «جورج دبليو بوش» الحرب الصليبية على الإسلام بشكل سافر صريح لا يحتمل أى تأويل أو لبس.

وبدورها أعلنت إسرائيل الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية الحرب على الإسلام داخل الأراضى المحتلة بفلسطين فمضت تعربد وتقتل وتحرق، غير عابئة بالمواثيق والقيم الإنسانية، معيدة إلى الأذهان مذابح هولاءكو البشعة فى بغداد والشام قبل انكسار التتار أمام الجيش المصرى فى عين جالوت.

هذه الكلمات ليست من إنشائى، وإنما هى كلمات التقطتها من أحاديث جانبية كثيرة كانت تدور بين علماء الأمة الإسلامية انتظاراً لافتتاح المؤتمر.

اللافت للنظر أننى لم ألمس أى نبرة تشاؤمية فى أحاديث علماء الأمة الذين زاد عددهم على المائتين، وخاصة وفد علماء فلسطين الذين كان من السهل على الجميع تمييزهم بعماماتهم المميزة ومنهم سماحة الشيخ يوسف جمعة سلامة القائم بأعمال وزير الأوقاف والشئون الدينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك، والشيخ تيسير رجب التميمى قاضى قضاة فلسطين.. هذان الرجلان تحديداً كان من السهل على جميع الحضور أن يدرك مدى قوة وارتفاع معنوياتهما التف جمع غفير حولهما يسألونهما عن أخبار إخوانهم فى فلسطين، والرجلان يطمئنن الجميع فى ثبات بأن الجميع فى فلسطين قد جعلوا من قول الله - عز وجل - :



ومن أندونيسيا جاء الدكتور محمد شهاب رئيس مجلس العلماء الأندونيسي حيث قدم بحثا بعنوان «الإسلام دين العدالة الإنسانية» ومن المغرب الباحث الإسلامي الشهير الأستاذ الدكتور محمد الكتاني عضو أكاديمية المملكة المغربية والذي جاء بحثه بعنوان «الإسلام دين العقل والحوار».

غير أن أكثر ما لفت نظري ودل على مدى ما بلغت قوة تلاحم أمتنا الإسلامية في هذا المؤتمر هو بحث بعنوان «الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف» ويحمل اسم «آية الله عبد الأمير قبلان» نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بלבنا. . لقد حرص فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي على أن

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)

شعارا لهم يدفع عنهم أى إحساس بالانكسار أو اليأس والجميع على ثقة بوعد الله .

ولفت نظري أيضا وأنا أقرأ جدول أعمال المؤتمر مشاركة عدد كبير جدا من الدول العربية والإسلامية في أعمال المؤتمر أبرزهم فخامة الرئيس مأمون عبد القيووم رئيس دولة المالديف الذى حرص على تلبية دعوة فضيلة الإمام الأكبر، والمعروف أن سيادته من خريجي الأزهر، بل وقام بإعداد بحث شارك به فى أعمال المؤتمر بعنوان «الإسلام دين العدالة والسماحة والرحمة» .

(١) آل عمران (١٣٩).

على علماء الأمة أن يشحنوا قلوب الأمة، وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء على هؤلاء المعتدين في جميع صلواتهم حتى تحيا الأمة من جديد».

جلست استمع إلى تلك الكلمات، وغيرها سمعته من الشيخ كمال جعيط «مفتى تونس»، وعلى بن السيد عبدالرحمن آل هاشم مستشار الشؤون القضائية الدينية بدولة الإمارات العربية المتحدة، والدكتور إبراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي من سلطنة عمان.. وغيرهم وغيرهم.. لا مجال ولا مكان لليأس بل الأمل كل الأمل في غد مشرق جديد على الأمة الإسلامية.

نحج المؤتمر قبل أن يبدأ فقد أنعش القلوب وأحيا الأمل في الصدور.

وضجت جنبات القاعة بتكبيرات الحضور من علماء الأزهر فقد وصل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمصاحبة الأستاذ الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء والذي أنابه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى حضور المؤتمر وإلقاء كلمة نيابة عنه، وكان فى الكوكبة فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف، والسيد / عبدالله السالمى وزير أوقاف سلطنة عمان، والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى الديار المصرية، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر.

وتبدأ أعمال المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية «هذا هو الإسلام» أو مؤتمر «الأمل».

يكون هذا المؤتمر عنواناً وتأكيداً على تلاحم الأمة الإسلامية وتماسكها فى وجه ما يراد بها من مخططات فوجه الدعوة لكل علماء الأمة على اختلاف مذاهبهم الدينية، فالموقف لا يحتمل الخلاف والتفريق، بل يحتم أن يكون شعار المرحلة هو قول الله - تعالى :-

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٠﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

تمتت شفاه الحاضرين بهذه الآيات الكريمة وهم يشاهدون العمامات الشيعية المميزة داعين لفضيلة الإمام الأكبر بالتوفيق فى عمله ومسعاها لجمع شمل علماء الأمة.

وفى أحد جنبات القاعة التف عدد من وعاظ الأزهر حول الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى، الذى كان حريصا على تنبيههم لأهمية دورهم فى المرحلة الراهنة بقوله: «لابد أن نلجأ إلى الله - عز وجل - بالدعاء على الظالمين، إن خطباء المنابر عليهم أن يدعوا على اليهود من فوق المنابر، لا تستهينوا بهذا الأمر فهو لون من ألوان الجهاد، إنه الجهاد الروحى، لابد أن تدعوا عليهم بأن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وأن ينزل عليهم بأسهم وأن يعيد إليهم سهامهم المسمومة إلى صدورهم، يجب

كلمة الافتتاح



فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر

فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف موضحا أسباب انعقاد هذا المؤتمر ، ومرحبا بضيوفه الكرام فقال :

حين يلبس الباطل ثوب الحق ، وتدلهم الخطوب ، يحتاج الناس إلى من يحدد لهم المفاهيم ويهديهم إلى الطريق القويم .

من أجل هذا كان هذا المؤتمر ، مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر : «هذا هو الإسلام» . جاء هذا المؤتمر ليبين للناس الحقائق ، ويزيل ما علق بالإسلام من أباطيل ، فقد لبس الباطل ثوب الحق ، وتاه الناس ، وأصبحوا فى حاجة إلى من يحدد لهم المفاهيم ، ويبين لهم الحق من الباطل ، والناس دائما عندما تختلط الأمور يلجأون إلى العلماء ، وهم أحق الناس بأن يبينوا الحق من الباطل .

لهذا رأى مجمع البحوث الإسلامية أن ينعقد هذا المؤتمر الذى جمع هذه النخبة من العلماء ليقولوا كلمتهم .

هذا المؤتمر الذى كان فكرة راودت فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، ووجدت من الصعاب ما وجدت ، ولكن فضيلته أصر على أن يتم هذا المؤتمر فى الوقت المحدد له ، وفى فترة وجيزة تم الإعداد له على أعلى مستوى .

لذا اجتمعت هذه النخبة من علماء المسلمين ليقولوا كلمتهم .. أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يكتب التوفيق لمؤتمرنا إن شاء الله .



كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

ألقاها نيابة عن سيادته الأستاذ الدكتور/ عاطف عبيد

رئيس مجلس الوزراء

كُل ذلك بأسلوب يُقْنِعُ كُلَّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ،
وَيَرُدُّ عَلَى كُلِّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.

إنَّ شريعةَ الإسلامِ قد اعتبرتَ الناسَ جميعاً
من أبٍ واحدٍ ومن أمٍّ واحدةٍ، ومن الآياتِ
القرآنيةِ التى أكَّدتْ هذه الحقيقةَ قولُ الله -
تعالى - :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

وقال - تعالى - فى أولِ آيةٍ من آياتِ سورةِ
النِّساء :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَوْا وَلَدَافٍ مِنْهَا
رُؤُوسًا وَبَيْنَ مِنْهُمُ رِجَالٌ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً﴾ (٢).

وقد تَضَمَّنَ هذا النداءُ للناسِ جميعاً
تَنْبِيْهُهُمْ إِلَى أَمْرَيْنِ :

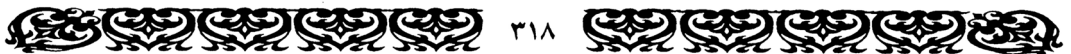
السادة أصحابُ الفضيلةِ والسماحةِ والمعالى
الحفل الكريم

إِنَّهُ لِيُسْعِدَنِي أَنْ أُرْحِبَ بَكُمْ فى مصرَ، وفى
ضيافةِ الأزهر الشريفَ، حيثُ تَعْقِدُونَ
مؤتمرَكم الثانى عشرَ، فى تلكَ الظروفِ
العَصِيبَةِ التى يتعرضُ لها الإسلامُ لكثيرٍ من
التُّهَمِ الباطلةِ، خصوصاً بعد أحداثِ الحادى
عشر من سبتمبر من العامِ الماضى.

وقد كان من توفيقِ الله - تعالى - لكم،
أيها العلماءُ الأجلاءُ، أن اخترتمُ عنواناً
حكيماً لهذا المؤتمرِ، ألا وهو : « هذا هو
الإسلام »، وقد جعلتمُ الهدفَ الأساسى من
هذا المؤتمرِ : بيانَ وتوضيحِ سماحةِ الإسلامِ
وعدالتهِ، وكيف أنه الدينُ الذى يُعْطِى كُلَّ
ذِى حَقِّ حَقِّهِ، وأَقَمْتُمُ الدليلَ الناصعَ على

(٢) النساء (١)

(١) الحجرات (١٣)





﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٣).

أى: وتعاونوا - أيها الناس - فيما بينكم على كل ما هو خيرٌ وطاعةٌ لخالقكم. ولا تتعاونوا على ارتكاب القبائح والعدوان. فإن التعاون على الطاعات والخيرات وتعمير الأرض يؤدى إلى الرقى والسلام والأمان. أما التعاون على الإثم والعدوان فيؤدى إلى التأخر والفساد والخسران.

والحقيقة الثالثة التى قررتها شريعة الإسلام: هى: تكريم الإنسان. وتسخير هذا الكون لخدمته ومنفعته. ويكفى لتأكيد هذه الحقيقة قول الله - تعالى -:

الأمر الأول: وحدة الاعتقاد بأن ربهم واحد لا شريك له، فهو الذى خلقهم من نفس واحدة.

والأمر الثانى: وحدة النوع والتكوين، إذ الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم، قد جاءوا جميعاً من أصل واحد. هو «آدم» - عليه السلام -.

والحقيقة الثانية التى أكدتها شريعة الإسلام: أن الناس جميعاً قد أوجدهم الله فى هذه الحياة، لى يعمروها بالقول الطيب، وبالعمل الصالح، وبالسلك الفاضل، وبالتعاون النافع. ويتبادل المصالح التى أحلها الله - تعالى - فيما بينهم فقال:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْأَحْمَرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٤).

ومن مظاهر هذا التكريم لبني آدم سواء أكانوا من الذكور أم من الإناث: أنه خلقهم في أحسن تقويم. كما قال - سبحانه -:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٥).

وأنه ميّزهم بالعقل، وبالنطق، وبالأستعدادات المتعددة التي جعلتهم أهلاً لحمل الرسالة والأمانة، التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال.

وأنه سخّر الكثير من مخلوقاته لمنفعتهم ولمصلحتهم، وأنه - عز وجل - أعطاهم من نعمه ما لا يحصى، وبسبب هذا التكريم فضّلهم على كثير من المخلوقات تفضيلاً عظيماً.

والحقيقة الرابعة التي أكّدها شريعة الإسلام هي: أنها أعطت لكل إنسان حقه في الحياة الحرة الكريمة. وفي طلب العلم، وفي حق التعبير عن رأيه بالأسلوب الحكيم، وبالوعظ الحسن، وبالمجادلة بالتي هي أحسن.

وأنها صانت نفسه وعرضه وأمواله وجميع حقوقه من أي عدوان عليها.

ويكفي شريعة الإسلام فخراً في حماية

النفس الإنسانية، وفي صيانتها من أي عدوان عليها، إنها اعتبرت أن من يقتل نفساً واحدة، فكأنما قتل الناس جميعاً، وأن من امتنع عن قتل نفس واحدة، وحافظ على حياتها وعلى حرمتها، فكأنه قد حافظ على حياة وعلى حرمت الناس جميعاً.

يكفي شريعة الإسلام فخراً أن رسولها محمداً ﷺ هو القائل: «الإنسان بُنيانُ الله، ملعونٌ من هدم بُنيانَ الله».

يكفي شريعة الإسلام فخراً أنها قررت أن من يدافع عن حقوقه، وعن حرّيته. وعن كرامته الإنسانية. وعن أمواله، وعن دينه، وعن أرضه، وعن عرضه، وعن مقدّساته، ثم يموت في حالة دفاعه عن حقوقه التي كفّلها الله - تعالى - له فهو شهيد.

ففي الحديث الشريف، يقول رسول الله ﷺ: [مَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ عَرْضِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ] (٦).

وعندما جاء إلى النبي ﷺ رجلٌ فقال له: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجلٌ يريد أن يأخذ مالي؟ قال له ﷺ: [لَا تُعْطِهِ مَالَكَ..] فقال الرجل: أرأيت إن قاتلني؟ قال ﷺ: «قَاتِلْهُ»

(٥) التين (٤).

(٤) الإسراء (٧٠).

(٦) البخاري ١٧٩/٣.



﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٨)

أُمِرْتُ بِالْعَدْلِ الْعَامِ، مَعَ الْغَنَى وَمَعَ الْفَقِيرِ، مَعَ الْقَوَى وَمَعَ الضَّعِيفِ مَعَ الْقَرِيبِ وَمَعَ الْبَعِيدِ، مَعَ الْأَصْدِقَاءِ وَمَعَ الْأَعْدَاءِ.. وَإِذَا كَانَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ قَدْ جَعَلَتْ فَضِيلَةَ الْعَدْلِ فِي أَسْمَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، فَإِنَّهَا فِي الرِّقَّةِ ذَاتِهِ قَدْ جَعَلَتْ رَذِيلَةَ الظُّلْمِ فِي أَحْطَى دَرَكَاتِ النُّقْصَانِ.

وَيَكْفِي لِتَحْرِيمِ الظُّلْمِ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»^(٩) وَقَوْلُهُ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١٠) وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ فَقَالَ لَهُ ﷺ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتَهُ؟ قَالَ ﷺ: «هُوَ فِي النَّارِ».

وَالْحَقِيقَةُ الْخَامِسَةُ الَّتِي قَرَّرَتْهَا شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ، هِيَ: أَنَّ فَضِيلَةَ الْعَدْلِ عَلَى رَأْسِ الْفَضَائِلِ الَّتِي أُمِرْتُ بِهَا شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ. لَقَدْ أُمِرْتُ بِالْعَدْلِ فِي الْأَقْوَالِ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ -:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾^(٧).

وَأُمِرْتُ بِالْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -:

(٨) النساء (٥٨).

(١٠) أحمد ٩٢/٢.

(٧) الأنعام (١٥٢).

(٩) البخاري ٩٤/٦.



إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا» (١١).

والحقيقة السادسة التي أكدتها شريعة الإسلام هي أنها أمرت أتباعها أن يُقيموا علاقاتهم مع غيرهم على السَّلام وعلى الأمان، وعلى التعارف، مادام هذا الغير يبادلنا هذا السَّلام، وهذا الأمان وهذا التعارف. ويكفي لتعريف العالم أجمع بهذه الحقيقة قول الله - تعالى -:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١٢)

يكفي لتعريف العالم أجمع بهذه الحقيقة قوله - عز وجل -:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ وَلَا تَعَدُّوا﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعَدِّينَ ﴿ (١٣).

إن الإسلام يمدُّ يده بالسَّلام إلى كلِّ من يمدُّ يده إليه بالسَّلام، ويمدُّ يده بالأمان إلى كلِّ من يمدُّ يده إليه بالأمان، ويمدُّ يده بالتعاون النافع إلى كلِّ من يمدُّ يده إليه بالتعاون النافع.. إننا نؤمن بتعاون الحضارات لا بتنافرها، نؤمن بتقارب الحضارات لا بتباعدِها. نؤمن باتصال الحضارات لا بتصادمِها..

والحضارات كأمواج البحر تعلو وترتفع وتسمو وتنفع، في الأمم التي يكثر فيها عدد

العلماء العقلاء. وتَنخِضُ وتَضْمَحِلُ وتتراجع الحضارات في الأمم التي يكثر فيها عدد المتعصِّين الجُهلاء.

لَا مانع لدينا من أن ينتفع الغرب بحضارة الشرق، وأن ينتفع الشرق بحضارة الغرب، مادامت هذه الحضارة تجمع ولا تفرق، وتبني ولا تهدم، وتعمّر ولا تخرب، وتصلح ولا تُفسد، وترزهر معها القيم الشريفة. والأخلاق الفاضلة، والآداب القويمة، والاستقامة على طريق الحق والخير والكمال.

السادة العلماء الأجلاء - الحفل الكريم:

هذا هو الإسلام في نقائه وفي صفائه.

هذا هو الإسلام في عدالته وفي سماحته.

هذا هو الإسلام في رحمته وفي أمانته.

هذا هو الإسلام في أحكامه وفي هدايته.

هذا هو الإسلام في حريه وفي سلمه.

هذا هو الإسلام في قيمه وفي آدابه.

هذا هو الإسلام في موقفه من غير المسلمين.

هذا هو الإسلام في تكريمه لبني آدم أجمعين.

والله يهدي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته



كلمة السيد / مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف



أصحاب المعالي والفضيلة، والسعادة،
الضيوف الكرام!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
فيسعدني - باسمي وباسم الوفود المشاركة
في هذا المؤتمر - أن نتقدم بالشكر والتقدير،
إلى فخامة الرئيس محمد حسني مبارك رئيس
جمهورية مصر العربية، وفضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر، وعلمائه، ومسؤوليه، وإلى
حكومة وشعب جمهورية مصر العربية، لما

ثم ألقى السيد / مأمون عبد القيوم رئيس
جمهورية المالديف كلمة الوفود:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله
وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

السيد مندوب رئيس الجمهورية الدكتور
عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، فضيلة
الشيخ الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد
سيد طنطاوي، شيخ الأزهر، رئيس المؤتمر،

لقيناه جميعاً من حسن استقبال، وكرم ضيافة،
وجميل رعاية.

كما أنا نشكر الإمام الأكبر على تكريمه
بتوجيه الدعوة لنا، لحضور هذا المؤتمر
الإسلامي العالمي الهام «هذا هو الإسلام»
الذي يعقده مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر.

أيها العلماء الأفاضل والسادة الأعزاء !

إن مبادرة الأزهر بتنظيم هذا المؤتمر، قد
جاءت في وقت تواجه فيه الأمة الإسلامية
تحديات خطيرة، ويسعدنا أن الداعي إلى
هذا المؤتمر، هو الأزهر، أزهر العلم
والمعرفة، أزهر العطاء والسخاء، أزهر الأمل
والنور، أزهر التاريخ والبطولة، الذي بعلمه
وعلمائه، حافظ على الإسلام وعلومه
وثقافته، دون إفراط وتفريط، ودون تشدد
وتعسف، منذ أكثر من ألف عام.

إن للأزهر فضلاً كبيراً على العالم
الإسلامي؛ فهناك الآلاف من أبناء المسلمين،
الذين يدرسون في كليات الأزهر المختلفة،
ويتخرجون فيها كل عام، ثم يعودون إلى
بلادهم، حاملين المعرفة الإسلامية
الصحيحة، ويؤدون الرسالة الملقاة على
عاتقهم على الوجه الأكمل، عملاً بقول
الحق - تبارك وتعالى - :

﴿لَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى :

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وهناك أيضاً بعثات الأزهر، وأساتذته
ودعاته، الذين يقومون بواجبهم العلمي
والديني في أرجاء المعمورة، وقد أحسن الشاعر
حين قال :

إن للعلم أزهرًا يتسَامى

كسَمَاء ما طاولتها سماء

كما كان للأزهر وشيوخه وعلمائه، دور
بطولي عظيم، في الدفاع عن الإسلام، وشعب
مصر في مختلف العصور، ومن ذلك ما قام به
شيوخ الأزهر وعلماءه الأكابر، أثناء الحملة
الفرنسية في مصر، مما كان له الأثر الكبير في
إجبار الجيش الفرنسي، على الانسحاب من
مصر العزيزة الأبية.

والحقيقة أنه كلما ادلهم الخطب، وعظم
الأمر، كان للأزهر دور بارز في تعبئة الشعب
المصري تعبئة روحية قوية، كي يصمد أمام
العدو حتى النصر، ومن ذلك ما حدث أثناء
العدوان الثلاثي على مصر، منذ ما يقرب من
خمسین عاماً .

أيها السادة العلماء، والإخوة الكرام :

ان أخطر التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية
في هذه المرحلة الحرجة من تاريخها الطويل، تلك
الأحداث التي تجري على أرض فلسطين الشقيقة،

(٢) آل عمران (١٠٤).

(١) التوبة (١٢٢).



جاهدين، لتحقيق مزيد من التقدم والرخاء للوطن الأم.

ولا يخفى على أحد، ان الفضل في هذا السلام الاجتماعي، الذي تنعم به مصر الحبيبة، يرجع - بعد الله سبحانه وتعالى - إلى قائد هذا البلد الأمين وزعيمه، الرئيس محمد حسنى مبارك، فالرئيس مبارك، بما حباه الله من حكمة وحصافة، وصدق وإخلاص لمصر وشعبها الأصيل، قد أرسى قواعد بنية اجتماعية وسياسية، كفلت لمصر، مجتمعاً يعيش فيه المسلمون وغيرهم في مودة وسعادة واطمئنان.

أيها السادة العلماء، والإخوة الكرام:

أريد أن أقول، قبل أن أنهى كلمتى هذه، إننى فخور بكونى من أبناء الأزهر ومن خريجيه، وبأننى قد تلقيت علومى على مشائخه وأساتذته الكبار، جزاهم الله خيراً!

قال الزعيم مصطفى كامل: (لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً)، وأنا أقول: (لو لم أكن أزهرياً لوددت أن أكون أزهرياً).

وقال الشاعر أحمد شوقي:

قم فى قم الدنيا وحى الأزهر

وانثرا على سمع الزمان الجوهرا

وأنا أقول:

أكرمتمنى يا أزهر الخير الذى

جمت محاسنه ولم تك مقصرا

يارب أنعم أزهرأ وكنانة

من خير ما تجزى الكريم تخيرا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

من قتل وتعذيب، وتشريد لشعبها البطل، وهدم للمنازل والخيمات، وانتهاك وتدنيس للأماكن المقدسة فى أراضيها، وفى مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين. إن هذا يتطلب من الأمة الإسلامية تكاتف شعوبها، وتماسك صفوفها، وتضافر جهودها، لمساندة شعب فلسطين الباسل، وتقديم كل ما يمكن تقديمه من معونات مادية ومعنوية فى نضاله البطولى من أجل حريته واستقلاله وسيادته على أراضييه.

ومن تلك التحديات أيضاً، الحملة الإعلامية الظالمة، التى تقوم بها قوى البغى والضلال فى العالم، للنيل من الدين الإسلامى الحنيف، ومقاصده النبيلة، والادعاء بأن الإسلام دين يدعو إلى القتل والتخريب وإرهاب الآمنين، ومحاربة أتباع الأديان الأخرى.

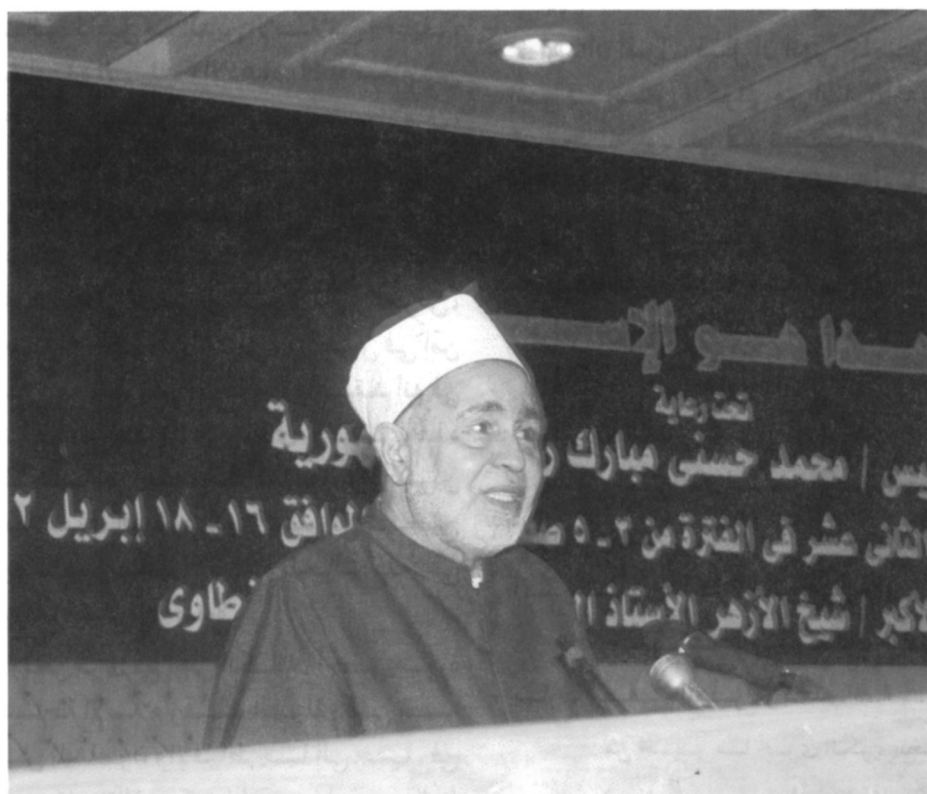
ولاشك أن هذا ادعاء باطل، فالإسلام دين يدعو إلى الحرية والسماحة، وتكريم الإنسان، والحفاظة على النفس والعقل والمال والعرض، واحترام حقوق الآخرين، والعيش فى أمن وسلام مع الطوائف الأخرى، وأعتقد أنه فى استطاعة هذا المؤتمر، الذى تحضره هذه الكوكبة من جهازة العلماء والمفكرين الإسلاميين، أن يقوم بدور كبير فى تصحيح الأوضاع، وتقديم الإسلام للعالم كله، فى صورته الحقيقية الوضاعة.

ونحن نرى فى أرض الكنانة، أجمل صورة لسماحة الإسلام وقيمه النبيلة؛ ففي مصر يعيش المسلمون والأقباط جنباً إلى جنب، فى إخاء ووثام وتآلف، كمواطنين صالحين، يعملون



كلمة

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي



نفسه بشرنا بأنه ما دام هذا الدفاع من أجل نصرة الحق، والدفاع عن المظلوم، وعن كل ما يجب الدفاع عنه، بين الله عز وجل أن نصره قريب لأن هذه هي السنة التي لا تتخلف ولا تتبدل، ما دام هناك العزيمة القوية، والإيمان العميق، وشرف المقصد والثبات على الحق، ومباشرة الأسباب التي تؤدي إلى النجاح. محال ثم محال أن يخلف الله وعده، وهو القائل:

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (٢).

إنه نصر مزدوج، نصر في الحياة الدنيا ونصر: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (٣) لأجل هذه المقاصد أقمنا هذا المؤتمر الذي يحضره صفوة الصفرة من علماء العالم الإسلامي، وقدمت عشرات الأبحاث لبيان وجه الإسلام الجميل، أبحاث تناقش:

الإسلام دين الهداية والسماحة والسلام.

الإسلام ورعايته لحقوق الإنسان.

الإسلام شرع الجهاد وحارب الإرهاب.

الإسلام يدعو إلى الحوار والتعارف.

وغيرها من الأبحاث والموضوعات المهمة التي تبين وجه الإسلام السامع، وسيستمع العالم بأكمله إلى الكلمة الصادقة التي سيعبر عنها العلماء الراسخون في العلم، كل في مجال تخصصه، لبيان أن الإسلام هو الدين الذي يعطي كل ذي حق حقه، مبينين سماحة الإسلام وعدله، مبينين احترام الإسلام لحقوق المسلمين وغير المسلمين.

والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السيد ممثل رئيس الجمهورية، رئيس مجلس الوزراء، السادة الحضور، ضيوفنا الأعزاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه لقاءات لم تقم من أجل متعة فائتة، ولا من أجل شهوة عابرة، وإنما هي لقاءات من أجل إعلاء كلمة الحق، ومن أجل أن نتعاون جميعاً على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

رأى مجمع البحوث الإسلامية أن يعقد مؤتمره الثاني عشر في هذه الأيام العصيبة، وأن يكون موضوع هذا المؤتمر «هذا هو الإسلام» في جماله ونقائه وسموه. في عدالته، في سماحته، في شريعته التي تقف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر، وتقف في وجه الظالم الباغى حتى يندحر.

ما أكثر الاتهامات الكاذبة التي وجهت إلى الإسلام، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، ورأينا أن من الواجب علينا كعلماء أن نظهر الحقيقة، وأن نبين أن الإسلام دين يعطي كل ذي حق حقه، وأن نبين أن الإسلام دين يأمر أتباعه أن يدافعوا عن حقوقهم، وإذا قصرُوا في هذا، فإن الله - سبحانه - سيحاسبهم عن هذا التقصير وهو القائل:

﴿إِنَّ اللَّهَ

يَذْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾

أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (١).

فقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا، وفي الوقت



وتحدث الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف عن: مفهوم العدل في التصور الإسلامي فقال:

العدل وينفر من الظلم. ولا ندعو قول الحق إذا قلنا إن العدل يُعد

ضرورة حياتية لا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة حقيقية بدونه.

والإسلام عندما يدعو إلى العدل فإنه بذلك يدعو في الوقت نفسه إلى حرية الإنسان وكرامته وتأكيد حقوقه الإنسانية العامة. فالكفاح من أجل رفع الظلم عن المظلومين وإقرار العدل، وبالتالي إقرار الكرامة الإنسانية، يُعد واجباً إنسانياً وواجباً دينياً في الوقت نفسه.

ولذلك جاء الأمر بالعدل ومقاومة الظلم في القرآن الكريم صريحاً لا يحتمل التأويل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(١)، كما جاء أيضاً في الحديث القدسي المشهور: [يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...]^(٢).

مفهوم العدل في التصور الإسلامي يمكن أن يبحث من جوانب مختلفة، أو منطلقات متعددة. فهناك مثلاً منطلق علم الكلام الإسلامي وما قاله علماء الكلام في قضية العدل، وبصفة خاصة لدى المعتزلة الذين اشتهروا بأنهم أصحاب التوحيد والعدل، ويمكن أن يبحث أيضاً من منطلق الفكر الفلسفي الإسلامي الذي جعل العدل أحد أمهات الفضائل، بل جعله على رأس الفضائل، ويمكن أن يبحث كذلك من منطلق التاريخ الإسلامي لبيان مدى تطبيق قيمة العدل في تاريخ المسلمين. ولكن قبل كل ذلك وبعده يأتي بحث مفهوم العدل في التصور الإسلامي من منطلق المصادر الأساسية للدين الإسلامي، ونعني بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وفي البداية نود أن نشير بصفة عامة إلى أنه من المعروف أن العدل يعد لدى كل الشعوب والحضارات قيمة من القيم الكبرى التي ينبغي على الإنسان أن يسعى إلى تحقيقها في هذا العالم من أجل خير الإنسان وسعادته. والإنسان في أصل فطرته الصافية يميل إلى

(٢) صحيح مسلم، البر والصلة والآداب، باب ١٥.

(١) النحل: ٩٠.



أجل تحقيقه والعمل على إقراره. فالإنسان بدون العدل لا يستطيع أن يحيا حياة حقيقية على هذه الأرض. والعدل بوصفه قيمة مثالية ليست شيئاً دون أن يكون هناك إنسان يعمل على تحقيقها في عالم الواقع. فالعدل ضروري للإنسان مثلما أن الإنسان ضروري لتحقيق العدل.

والعدل قيمة لا تتجراً؛ فالمرء لا يمكنه أن يطلب العدل لنفسه وفي الوقت نفسه يريد إبعاده عن نفسه ثانية بارتكابه الظلم في حق الآخرين، فالناس جميعاً قد خلقوا من نفس واحدة - كما يقول القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاللَّهُ الَّذِي لَهُ نَسَاءُ لَوْنٌ بَدِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٤).

وعلى هذا الأساس يبنى التضامن بين الناس والذي يقتضى العدل للجميع. فنحن مشتركون جميعاً في الإنسانية ذاتها، ونحن جميعاً ننحدر من نفس واحدة. ومن هنا يشير القرآن الكريم إلى:

﴿أَنَّهُمْ مِنْ فَكَلٍ نَفْسًا يَغَيِّرُ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٥).

وهذا الأمر الديني يعزز الجانب الإنساني الذي يركز على الطبيعة الإنسانية النقية التي تميل إلى العدل وتنفر من الظلم. وتضافر الجانب الديني مع الجانب العقلي يقوى عزم الإنسان وتصميمه على سلوك سبيل العدل ومقاومة الظلم في شتى صوره وأشكاله.

ويستطيع المرء أن يتبين بوضوح أن العدل - كما جاء في القرآن الكريم - يتجلى في الرحمة الإلهية التي تعم العالم كله بما فيه ومن فيه كما يقول القرآن الكريم:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٣)، تلك الرحمة التي لا تفرق بين الناس الذين هم جميعاً خلق الله يحكم بينهم بالعدل ويشملهم برحمته. وكل إنسان مطالب بالسعى إلى إقامة العدل والأمل في تحقيقه من منطلق الرحمة الإلهية.

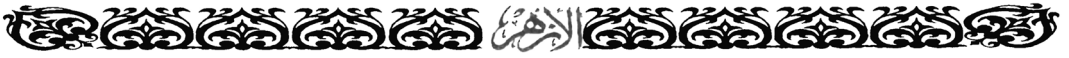
وعند التأمل في مفهوم العدل يتضح لنا أن للعدل جانبيين لا يجوز أن ينفصل أحدهما عن الآخر. فالإنسان من حيث طبيعته، أى من حيث هو كائن عاقل في حاجة إلى العدل يطلبه ويسعى إليه. ولكن هناك وجهاً آخر للعدل يسير جنباً إلى جنب مع حاجة الإنسان له وطلبه إياه، ونعني بذلك أن العدل نفسه يحتاج إلى الإنسان بوصفه كائناً عاقلاً حراً من

(٤) النساء (١).

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٥) المائدة: ٣٢.





والعدل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحرية الإنسان. ومن أجل ذلك فإن فهم التصور الإسلامى للعدل يتوقف على فهم الدور الحاسم للحرية فى الإسلام.

وبجد المرء إشارة لذلك - على سبيل المثال - فى التأصيل الفقهي للحكم فى قضية يدور الأمر فيها حول الحرية. فلو حدث نزاع بين مسلم وغير مسلم حول طفل - وقال المسلم: هذا الطفل عبدى. وقال غير المسلم: إن هذا الطفل ابنى فعلى القاضى أن يحكم فى هذه الحالة بإثبات بنوة الطفل للأب غير المسلم نظراً لأن الطفل بموجب هذا الحكم سيكون حراً وليس عبداً^(٦).

ويمكن القول بأن هذا التأكيد على حرية الإنسان كان يتردد فى التاريخ الإسلامى دوماً عندما تنطلق الشكوى من العدوان على الحرية، والذي كان يحدث بين الحين والآخر. وفى هذا الصدد نشير إلى تلك العبارة المشهورة التى أطلقها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب فى مواجهة العدوان على حرية بعض الأفراد من جانب بعض أصحاب النفوذ حين قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟». وقد قال ذلك بمناسبة حادثة مشهورة تتصل بوالى مصر عمرو بن العاص فى ذلك الوقت.

ولا يجوز فى نظر الإسلام أن يحمل الظلم البادى فى العالم الإنسان على اليأس من تحقيق العدل، فهذا اليأس قد يؤدى به إلى سلوك مغاير للعدل. وينبغى على الإنسان بدلاً من ذلك أن يدرك أن كمية الشر مهما كثرت فإنها لن تستطيع أن تحو الخير من الوجود مهما قلت كميته، وسيظل دائماً هناك من يسير فى طريق العدل والرشاد مهما كثرت ظلمات الشر والفساد. وينبه القرآن إلى ذلك بقوله:

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٧).

وهنا ربط بين اتباع الحق والعدل. فالذى يعدل لأنه يتبع الحق يكون فى وسعه فهم الآيات الإلهية التى تمتلئ بها الوجود وتمتلئ بها النفس الإنسانية:

﴿سَرُّهُمْ أَيْنَمَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٨).

ومن هنا يشير القرآن إلى أن الله قد بين الآيات لهؤلاء الذين تمتلئ قلوبهم باليقين:

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَخِذْهُوَ غِيظًا مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوَامَانِمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي^(٩)

وكما سبق أن أشرنا فإن العدل لا يتجزأ. وهذا ما يطالب به القرآن فى صراحة ووضوح.

(٧) الأعراف: ١٨١.

(٨) آل عمران (١١٨).

(٦) حاشية ابن عابدين، ج ٤ ص ٤٦٥، القاهرة ١٣٢٥هـ.

(٨) فصلت (٥٣).





وتحدث الأستاذ الدكتور أسامة الباز المستشار
السياسي لرئيس الجمهورية عن: المفتريات
التي يروج لها البعض عن الإسلام، قال:

من الظواهر القديمة الجديدة أن بعض
الدوائر دأبت على محاولة النيل من
الإسلام وتشويه صورته، وقد تركزت هذه
المحاولات أساساً في الغرب، وإن كانت قد
ظهرت في أماكن متفرقة أخرى. ويبدو أن
السبب في ظهور تلك الحملات
واستمرارها عبر القرون يتخلص فيما يلي:

أولاً: إما التعصب والتحيز ضد كل ما
هو مختلف عن الغرب أو ما هو غريب عن
المجتمعات الغربية، وقد يكون هذا التعصب
دينيًا أو ثقافيًا أو عنصريًا، وربما كان
انعكاساً للشعور باختلاف المصلحة بين
الأمة الإسلامية والغرب، أو نابعا من
افتراض غير مبرر بأن الحضارة الغربية
متفوقة على الحضارة الإسلامية.

ثانياً: وقد يرجع هذا الوضع لسبب
آخر، وهو الفهم الخاطيء أو السطحي
للإسلام والجهل بجوهره وتعاليمه، وعدم
القدرة على فهم نصوص القرآن والأحاديث
النبوية فهما صحيحا، وذلك لصعوبة اللغة
العربية وعدم القدرة على ترجمة النصوص
بدقة.

وقد يكون العنصر الثالث هو أن البعض
يخلطون بين الإسلام وبين سلوك بعض من
ينتسبون إلى هذا الدين في حقبة معينة
وتحت ظروف خاصة.

وأخيراً فقد يكون هذا راجعا إلى تقصير
من المسلمين في إعطاء فكرة صحيحة عن
عقيدتهم، سواء من ناحية الطرح النظري
أو في الواقع العملي الذي يعيشه الناس
ويلمسونه.

ولكي نتعرف على أبعاد هذا التحدي الذي
نواجهه يجب أن نستقرئ أو نستعرض معاً
الصورة المنطبعة عن الإسلام والمضمون الذي



والسياسية التي كانت قائمة في صدر الإسلام دون أن تتوفر لديهم أى رغبة فى تطوير أسلوب حياتهم والاستفادة بما يحققه المجتمع الإنسانى من تقدم وتحديث (حادثة modernism)، ودون الالتفات إلى الظروف المتغيرة والواقع المتغير المتطور.

ثالثاً: أن الإسلام يقوم على تداخل الدين بالدولة، وهو ما يؤدى إلى التمسك بمفاهيم جامدة للسلطات وكيفية الفصل بينها، ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب، على أساس أنها يجب أن تكون لله وحده، بعكس الغرب وكثير من مناطق العالم الأخرى التي نحت نحوه، فقد تخلص هذا وأولئك من الخلط والتداخل بين الدين والدولة وحرصت دساتيرهم على النص فى موادها الأولى على مبدأ الفصل بين الدين والدولة.

ويقول بعض الشراح فى الغرب أن الأحكام المسلمين يستطيعون استخدام هذا الخلط بين الدين والدولة للزعم بأنهم يستمدون السلطة والصلاحيات من الله - تعالى - لا من الشعب، وبذلك يتخلصون من مسئولياتهم أمام الشعب ومثليه.

رابعاً: أن الإسلام يركز على الجنس وينظر للمرأة نظرة متدنية بدائية، ولا يضعها مع الرجل على قدم المساواة، بل يعاملها كما لو كانت فى نصف مرتبة الرجل، وهو ما يتبدى

ينسب له زورا وبهتانا، إما من غير المسلمين - وهذا هو الغالب - وإما من بعض المسلمين الذين يعطون أنفسهم الحق فى التحدث باسم الإسلام دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، أو ربما كانوا مدفوعين فى هذا بالهوى والغرض، والرغبة فى تحقيق مصالح أو مكاسب دنيوية، حتى ولو سلكوا فى هذا سبيلاً يترتب عليه النيل من الإسلام والتشهير به وخدمة أغراض أعدائه الحريصين على مهاجمته ومعاداته بالباطل.

ما هى عناصر تلك الصورة التى يروج لها البعض عن الإسلام

أولاً: أنه دين يقوم على التعصب وعدم التسامح ويرفض الاعتراف بغيره، ويقسم الناس بين مؤمنين به وكافرين يُصنّفون كأعداء لا يمكن قبولهم والتعايش معهم.

ومن الأطروحات التى تقدم فى هذا الصدد أن الإسلام يقسم العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، أو دار الإيمان ودار الكفر، أو إلى إسلام وجاهلية.

ثانياً: أن الإسلام يحول دون انتهاج سبيل التحديث والتطوير، بسبب جموده وتركيزه على التراث مما يربط المسلمين بالماضى ويصرفهم عن التطلع إلى المستقبل بدليل أن بعض المسلمين ينادون بالعودة إلى القواعد والأحكام والأوضاع الاجتماعية





من أحكام الإسلام المتعلقة بالميراث أو الشهادة :

﴿لِّلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (١).

رجلان أو رجل وأمرأتان

ويفرض عليها أن ترتدى الحجاب وتقع بيتها، وتعيش تحت رحمة الرجل، الذى يستطيع بإرادته المطلقة أن يتزوج بأكثر من واحدة أو يطلق أيا من زوجاته بإرادته المطلقة.

خاصاً : أن الإسلام لا يعرف المواطنة، ولا يعترف بالمساواة بين أبناء المجتمع الواحد فى الحقوق والواجبات، لأن الفرد ينتسب إلى الأمة الإسلامية، وليس لدولة بمعناها العصرى الذى استقر عليه العرف الدولى منذ قرون.

سادساً : أن الإسلام دين يركز على الوعيد والتهديد والزجر، ويتسم بالقسوة فى التعامل مع جسم الإنسان، ومن أمثلة هذا : قسوة الحدود التى نصت عليها الشريعة الإسلامية :

- القتل .
- والصلب .
- والرجم .
- قطع اليد .
- قطع الأيدى والأرجل من خلاف .

سابعاً : أن الإسلام دين لا يعترف بحقوق الإنسان فلم يرد بشأنها نص فى القرآن أو السنة الشريفة .

ثامناً : أنه دين يتسم بالإيمانية الغيبية والاتكالية، والتسليم بالقضاء والقدر والسلبية، بدلاً من الاحتكام إلى العقل وإعمال المنطق الذى يقوم على أسس موضوعية قابلة للتحليل والتمحيص والاختبار .

تاسعاً : أنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وهو ما يؤدى إلى الإرهاب ويضفى عليه شرعية دينية وأخلاقية واجتماعية فى أوساط المسلمين .

وهكذا نجد كثيراً من المفكرين والمسؤولين فى الغرب يتحدثون عن «الإرهاب الإسلامى» . ويستدلون على هذا ببعض العمليات التى قام بها مسلمون إما دفاعاً عن النفس أو سعياً لاسترداد الحقوق المغتصبة أو لتحرير الأرض، أو بما يقوم به بعض المسلمين دون وازع دينى أو لأغراض دنيوية أو انطلاقاً من مفاهيم خاطئة، ثم يحاولون نسبة أعمالهم ومقاصدهم إلى تعاليم الإسلام ورغبتهم فى نصره الأمة الإسلامية .

مثال حديث : أسامة بن لادن والمبرات التى ساقها لتفسير عداته للغرب وخاصة الولايات

(١) النساء : (١١).





المتحدة وإصراره على إلحاق الضرر به وإيذائه بدعوى أن العالم ينقسم إلى فسطاطين .

عاشراً: غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام السياسى الإسلامى، طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله - تعالى - وطالما أن الناس يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وهو ما يستوجب قيام النظام السياسى على أساس فكر واحد مستمد من الإسلام، تسيطر عليه فئة تدعى لنفسها صفة «الجماعة الإسلامية» .

حادى عشر: أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد، وهكذا ظلت نظم وأحكام إسلامية عديدة متمسكة بالجمود وعدم الاستجابة إلى التطورات والمستجدات التى يشهدها المجتمع فى كل حقبة زمنية .

ثانى عشر: أن الإسلام عقيدة عدوانية، يحض المؤمن على قتل أى كافر يلتقى به أو يصادفه فى الطريق، لأنه لا يعطى البشر حرية اختيار عقيدتهم ولا يسمح بالتعايش بين أتباع الأديان المختلفة .

ثالث عشر: أنه نظراً لصرامة وجساسة المتطلبات التى يضعها الإسلام على كاهل المؤمنين، فإن الملاحظ أنه كثيراً ما يتسم سلوك المسلمين بوجود هوةٍ شحيقة بين القول والعمل، والمظهر والخبر، وكثير من المسلمين يحرصون حرصاً زائداً على أداء الفرائض والنوافل والشعائر، دون أن ينعكس هذا على

سلوكهم الحياتى وقيمهم وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين، وبذلك يصبح الإيمان طقوساً غير ذات مضمون، لا تنعكس على أخلاقيات المؤمنين والمعايير التى يطبقونها فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين .

وطالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة، فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التى تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور فى الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكى نمنعهم من مهاجمة الإسلام .

بل يكون واجباً علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التى تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام - هو خاتم الرسالات - هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان .



صوت من أمريكا



وتحدث الدكتور/
حسان تحتوت
من المركز
الإسلامي لجنوب
كاليفورنيا
لوس أنجيلوس.
فقال:

استراتيجيا لقبوله: يكفي أن تعرضه للناس بصدق
وتقول هذا هو الإسلام «فتكون أدبت وأعدرت،
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.

ويكون بيان.. هذا هو الإسلام «أوجب في
الظروف التي تتعرض فيها صورته للتشويه من قبل
عدو ماكر أو صديق قاصر.. كما هو الحال بعد
أحداث سبتمبر الماضي في الولايات المتحدة، على
ساحة العالم كله، لكن بشكل مركز على الجبهة
الأمريكية، وهو ما ارتأيت أن أشارككم فيه
مؤقركم هذا، الذي يتجه خطابه ولا شك إلى
المسلمين وغير المسلمين عربا وغير عرب،

لم تكن مهمة الرسول ﷺ أن يدخل الناس
الإسلام ولكن أن يبلغه لهم"

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ ﴾ (١).

ولم يقصر الله - سبحانه وتعالى - هذه المهمة
على النبي وحده بل كذلك على من تبعه في حياته
أو بعدها..

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ

عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٢).

ولا يحتاج الإسلام فوق البلاغ لمن يقهر الناس
على اعتناقه أو يتخذ من ظروفهم البيئية ضاغطا

(٢) يوسف (١٠٨).

(١) المائدة (٩٩).



د. حتوت

فسدت فسد،
ألا وهى
أمريكا .

وأبدأ بما لا بد
أنه أثار جزعكم
ولهفتكم وهو
الحوادث التى
تعرض لها

المسلمون - بل

أشباه المسلمين شكلا كالسيخ الهنود والمسيحيين
من الشرق الأوسط، والتهديدات والعدوان على
الأفراد أو المساجد. هى حوادث مؤسفة ولا شك
ولكنها وإن كثرت لا تخرج عن ظاهرة الحوادث
الفردية، يرتكبها الأغرار والأشقياء والطائشون.
ومن العادية فى نشرات الأخبار أن تلميذا يفتح النار
على زملائه أو يقتل أستاذه أو يعدل لنسف مدرسته..
وقد خفتت خاصة بعد أن جرم القانون حتى إيذاء
مشاعر المسلمين فيما يسمى جريمة الكراهية. ثم
أثنى بالحديث عن الشعب الأمريكى فى مجمله
وفى قطاعاته العريضة. وأشهد أن فيه كثيرا من
النبيل ومن المحبة. من أول عرض الجيران على
جيرانهم المسلمين أن يتسوقوا لهم إن تخرجوا من
الخروج، وانهالت رسائل التضامن والتلاحم،
وحذروا الحكومة أن تعيد مع المسلمين غلطتها مع
اليابانيين الأمريكان عندما اعتقلتهم فى حربها مع
اليابان مما اضطرها فيما بعد إلى الاعتذار ودفع
التعويضات. وذات يوم غزير المطر كنت أخطب
الجمعة فى مسجدنا فإذا مظاهرة مسيحية كبيرة

مترجماً إلى السنة أخرى أولها الإنجليزى، ومن أولى
من الأزهر بأن يتحدث عن الإسلام وباسم الإسلام
والوفاء بواجبات الريادة والزعامة فى مشارق الأرض
ومغاربها؟ أصاب الناس الفرع الأكبر عند وقوع
الأحداث.. لا لأن ذلك جديد على العالم فالعالم
ملئ بالتخريب والتهديد وتقتيل الأبرياء، ولكن
لأنه كان جديدا على أمريكا التى استقرت لها القوة
والمنعة والشعب الأمريكى يحيا داخل حدوده ماديا
ومعنويا لدرجة كبيرة فى إحساسه بباقي العالم
إحساس باهت.

صدم الشعب الأمريكى كله والمسلمون
الأمريكان جزء منه وليسوا أجانب كما يحلو
للكثيرين أن يتصوروهم. كان الشعب الأمريكى
فى عنان واحد من الارتياح والألم لما أصاب البلاد
والعباد.. لكن الشعب الأمريكى يمتاز بين شعوب
العالم المعاصر بأنه ليس وحدة متجانسة، فهو -
فيما عدا الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين -
كتلة جاءت من المهاجر تنتظم أعراقا وأجناسا
وألوانا متفرقة، ثم استطاعت أن تنصب الموازين
التي أفضت بها إلى أمة واحدة ذات كيان وثقافة
وشخصية متميزة، ولكن دون أن تضيق باختلاف
الخصائص والمنطلقات والأمزجة.. ولهذا أسفرت
حوادث سبتمبر عن اتضاح جبهات ذات معالم،
أحب أن أوجز لكم عنها، وما دنا نحمل الأزهر
مسئولته العالمية فلا بد أن نعينه على دراسة خريطة
العالم وتضاريسها، خاصة أمريكا، فإنى لأحسب
أن فى العالم الآن مضغة إن صلحت صلح وإن



إلى صناديق الانتخابات ينذرهم بالويل والثبور بعد أن ظهر أن الانتخابات قد تحسمها الأعداد القليلة.. لقد كان رأس مالهم دائما إقناع الأمريكي أن المسلمين همج متوحشون لا ينبغي أن يكون لهم إلا نصيب الهمج والمتوحشين. فما الحيلة وهناك ملايين من الأمريكيين المسلمين لا يريدون همجا ولا متوحشين واليمين المسيحي الصهيوني حلف معهم وهجومهم لا هوادة فيه وعلى كافة الأصعدة على المسلمين ونبي المسلمين وقرآن المسلمين وإله المسلمين. أسمعتم عن تصريح وزير العدل بأن إله المسلمين يريدك أن ترسل ابنك ليموت من أجله بينما إله المسيحية يرسل ابنه هو ليموت من أجلك! وسمعتم عن الاستشهادات الناقصة والمتويزة والمنزوعة من سياقها من القرآن الكريم للزعم بأن الإسلام دين عنيف! وفي الأخير وكأنا تملكهم الغيرة على الدين فتحوا جبهة الجدل عن الألغام البشرية بين شباب الانتفاضة في فلسطين، وهل هي انتحار مقيت أو استشهاد حميد، وهو موضوع اختلفت فيه الآراء بين المسلمين وغير المسلمين، ولعلمهم يريدون به إحراج خطيب مسلم في ظروف تكتنفها الحساسية والتربص، ونقول لهم إن السؤال أكاديمي ليس له مردود عملي فسواء أمدحت هؤلاء الشباب أم قدحتهم فإن الحقيقة العلمية هي الجديرة بالاعتبار، وهي التي تقول إن من غير الطبيعي أن يتصرف الناس تصرفات

ترفع لافتات بأننا جئنا لحماية المركز الإسلامي والوقوف بجانب إخواننا المسلمين والمسلمات، ورفضوا الدخول لاتقاء المطر رغم أن بينهم عجوزا على مقعد متحرك.. ولما تحرش أشقياء ببعض المسلمات المحجبات قامت مظاهرة نسائية مسيحية كلهن يرتدين الحجاب.

هذا فيض من غمر.. أما على صعيد الجاليات الدينية فلم يسبق لنا أن تلقينا هذا العدد من الدعوات للمحاضرة عن الإسلام في كنائس النصارى بل وبعض معابد اليهود.. وقد أثمرت سياسة الحوار مع أهل الأديان الأخرى خيرا كثيرا في هذه الظروف، مع أننا حين بدأنا منذ خمس عشرة سنة، اتهمنا بعض إخواننا المسلمين بالمرور بل بالكفر. وما ذهبنا إلى تجمع ديني أو جامعي أو ثقافي إلا وأعجب القوم بالإسلام وقالوا لم نكن نعرف!

ولنا في الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي انتصارات هي من فضل الله، ولكنه صندوق مفاتيحه بأيدي غيرنا ولعلها تستحق الدراسة الجادة من قبل المسلمين.

والآن أقلب الصفحة إلى منظر مختلف تماما.. الصهيونية واليمين المسيحي المتطرف والمتطرف خاصة والعياذ بالله، حيث يؤدي الصهيونية ويهودها أن ينكسر احتكارها للأذن الأمريكية والعقل الأمريكي وظهور مسلمين يحسنون الفهم والعرض والشرح، عمل إرهابي بالنسبة لهم، وتعرف المسلمين أخيرا طريقهم





طبيعية في ظروف غير طبيعية وأن العلاج ليس المدح أو القدح ولكن أن نهىء للناس الظروف الطبيعية.

بل نقول لهم بكل وسائل الاتصال والإبلاغ المتاحة: إن الحاجة ماسة لا إلى رجل السياسة بل إلى رجل الدولة، الذى يستطيع أن يدرك المنعطف التاريخي الخطير الذى يشهده العالم وهو استنابات سلالة بشرية استبد بها القهر وهى كذلك لا تهاب الموت، ورأيناها تجاوز الشبان الفلسطينيين إلى الشبابات، فإن استمرت فستصل إلى الكهول، فإن استمرت فستتجاوز حدود فلسطين، وأنذاك لن تستطيع قوة عسكرية أو تشريعات قانونية أو أحلاف دولية أن تصادرها، فالبدار البدار إلى حل منصف لقضية فلسطين لأن التأخير قد يكون باهظ الثمن.

وأخيرا وليس آخرا نتحدث عن المسلمين. ويسألنا إخواننا فى بلاد المسلمين كيف يمكن تحسين صورة الإسلام بالغرب، فالحق أن صورة الإسلام بالغرب تصنعها صورته فى الشرق إلى حد كبير، التى لا تخلو لما ينبغى أن نواجهه بأمانة ونعمل على إصلاحه. كذلك تأخذ العاطفة بتلابيبنا أحيانا فنتجه إلى ما لا يثبت أمام الفكر الواعى والتمحيص الهادئ فى ظل الشريعة التى تعتبر ظروف الزمان والمكان والإمكان، فى الوقت الذى نعزف فيه خطوات عملية هادئة ولكن مؤثرة إن حافظنا فيها على الالتزام والنفس الطويل. ولقد أدركنا أيضا أن

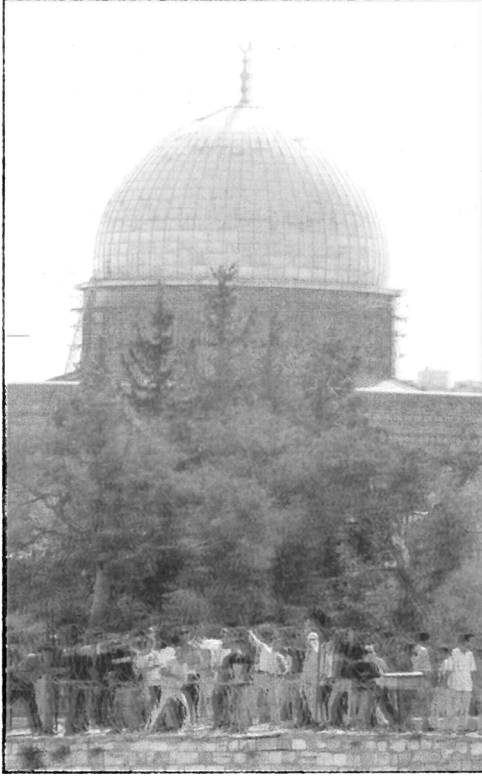
حماس المسلمين لدينهم يتجاوز كثيرا معرفتهم بهذا الدين وأخلاقه وأحكامه، والمسلم الجاهل المتعالم أضر بالإسلام من العدو المخترف.

ثم ائذنوا لى حضراتكم أن أصارحكم أننى وقد بلغت سبعينأتى المتقدمة خلصت إلى أن أزمة المسلمين الكبرى هى أزمة الحب. ولا أفضل ففى فطنتكم غنية، بل كنت مرة أحاضر فى أمريكا ولاحظت غياب الحب بين المسلمين على مستويات شتى، وانبرى لى بعدها شاب من إياهم يقول: إن الحب كان لأجل هوليوود ونحن هنا لأجل الإسلام يا دكتور حتحات ! نمودج لعقلية شرط الإسلام عندها أن تكره. وصدعته بقول النبى ﷺ، (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا).

ثم لا تحسبوا يا سادتى الكرام أن حديثى هذا إليكم دردشة ضيف أو أسمار غريب، فالحق أننى فى قرارة نفسى أحس أن كل كلماتى هذه هى حديث عن الأزهر، فأبعاد رسالته هى العالم، ومداها هو التاريخ، وهو الجدير بأن يتجمع من حوله ومن ورائه المسلمون يصوغ منهم أمة الإسلام الحق ويجدون فيه زعامتهم المنشودة التى تتكلم فينصت هذا العالم.

أما فى أمريكا بعد أن يرسب التراب ويهدأ الغبار سيستبين الناس أن الله قد غرس للإسلام شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،





وقال سماحة الشيخ / يوسف جمعة سلامة
القائم بأعمال وزير الأوقاف والشؤون
الدينية، بدولة فلسطين خطيب المسجد
الأقصى المبارك عن: الإسلام دين العدالة
والرحمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام
على سيد المرسلين، محمد ﷺ وعلى آله
وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر الشريف - حفظه الله - رئيس
مجمع البحوث الإسلامية - رئيس المؤتمر.

أصحاب المعالي والسماحة والفضيلة، أيها
الأخوة الأكارم.

أحييكم تحية من عند الله مباركة طيبة، تحية من
المسجد الأقصى المبارك الذى بارك الله حوله، تحية
من أرض فلسطين، أرض الأنبياء، أرض البطولات،
أرض الشهداء، وبهذه المناسبة فإننى أنقل إليكم
تحيات أشقائكم المرابطين فى بيت المقدس وأكناف
بيت المقدس، الذين يتعرضون للحصار والقتل
والتشريد، كما أنقل إليكم تحيات أخيك
الرئيس / ياسر عرفات المحاصر فى مقره برام الله
معلنين أننا شعب واحد، وجزء من أمة واحدة،
مثمنين مواقفكم الداعمة للشعب الفلسطينى
المرابط، ووقفتمكم المشرفة معه حيث كان لهذه
الوقفة الكريمة عظيم الأثر فى صمود شعبنا
المرابط فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:

إنه لشرف لى أن أحضر هذا المؤتمر العتيد
الذى يعقد فى أرض الكنانة بعنوان «هذا هو
الإسلام» للرد على محاولات تشويه الإسلام،
والعمل على إظهار سماحة الإسلام وعدالته،
والوجه المشرق لهذه الرسالة السماوية
العظيمة حيث سيتولى العلماء الأجلاء،
والأساتذة الأفاضل الحديث عن ذلك من خلال
بعض الموضوعات المطروحة وسأتحدث - إن
شاء الله - حول موضوع [الإسلام دين العدالة
والسماحة والرحمة].



القوة أكثر مما تحترم الحرمة، والإنسانية في ظلمات بعضها فوق بعض، يفتك القوى بالضعيف، ويأكل القادر حقوق العاجز، ومع ذلك عرف العرب في جاهليتهم حلف الفضول..^(٦) (أن ينصروا المظلوم ويقفوا معه حتى يأخذ حقه من الظالم، وذلك الحلف الذي قال فيه الرسول ﷺ لو دعيت إليه في الإسلام لأجبتة)^(٧).

وجاءت رسالة الإسلام، رسالة العدل والمساواة، حيث أشرقت الأرض بنور ربها وارتفعت كلمات رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا)^(٨).

ومن قبل ذلك كله كان المثل الرائع على عهد النبوة لتطبيق العدل دون أن يميل مع القريب، أو يحيف مع الشنآن، ونضرب لذلك مثالين:

أولاً: عندما جاء أسامة بن زيد يشفع لخزومية سرقته.. فكانت كلمات رسول الله ﷺ نوراً يهدي من بعده: (إنما أهلك الذين من قبلك أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد،

ولأهمية العدل في الإسلام وردت مادة (العدل) في القرآن (٢٨) مرة، ووردت كلمة القسط المرادفة لها (٢٥) مرة.

وللحث على العدل قال الله - تعالى - :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)

وقال تعالى :

﴿وَأَقِمْ وَدَانَ اللَّهِ حَيْثُ الْمَقْسُطِينَ﴾^(٢).

والإقسط هو العدل، والمقسطون هم العادلون، وقد أمر الله بالعدل في الأحكام كما أمر به في الأقوال، يقول تعالى :

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٣).

وقال تعالى :

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^(٤).

كما ورد في سنة الرسول ﷺ كثير من الأحاديث تحث على العدل وتشجع عليه وتدعو إليه، يقول رسول الله ﷺ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»^(٥).

وكانت البشرية قبل بزوغ فجر الإسلام تعرف العدوان أكثر مما تعرف الحق، وتحترم

(٢) سورة الحجرات، الآية (٩).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٥٢).

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ١٣٣.

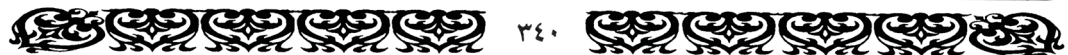
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه.

(١) سورة النحل، الآية (٩٠).

(٣) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٥) أخرجه مسلم.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه.





والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها^(٩).

ثانياً: كان ذلك عندما تواطأ بعض المنافقين على اتهام يهودى ظلماً بسرقة وقعت بالمدينة من رجل من المنافقين يقال له «طعمة بن أبيرق»، فنزلت الآيات من السماء تنتصف لليهودى وتتهم أولئك المتآمرين - وهم جيرانه وأقاربه - بالخيانة، وذلك ما نزل من قوله

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا^(١٠) وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا^(١١) وَلَا تَجِدُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا^(١٢)﴾.

وسار الصحابة على هدى نبيهم محمد ﷺ فى ذلك:

* فكان عدل عمر فيما يفعله مع الأمير الغسانى الذى لطم مسلماً فهشم أنفه حيث قال عمر: إما أن ترضيه وإلا أقدته منك، قال جبلة: تُقيده منى وأنا ملك وهو سوقة، قال عمر: إن الإسلام سوى بينكما، قال جبلة: إني رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية فردد عمر ما قاله، قال جبلة إذن أتَنْصُرُ، فقال عمر إذن أضرب عنقك...^(١١).

* وكان عدل على إذ وقف أمام عمر مع يهودى فلما كناه عمر غضب على، وكانت كتابة عمر إلى قاضيه يعلمه العدل بين الناس والمساواة بينهم.

فضيلة شيخ الأزهر /

أصحاب المعالي والسماحة والفضيلة /

أيها الأخوة الأكارم /

لقد أنعم الله - سبحانه وتعالى - على البشرية جمعاء برسالة سيدنا محمد ﷺ هذه الرسالة التى ختم الله بها الرسالات، وجاءت كاملة شاملة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا^(١٢)﴾.

هذه الرسالة السماوية نزلت على سيدنا محمد ﷺ فى بطحاء مكة وفى خلال فترة وجيزة وبفضل الله وعونه، وإذ بهذه الرسالة تنتشر انتشاراً سريعاً فى أرجاء المعمورة.

هناك من يقول: إن الإسلام انتشر بالسيف. هذا قول خاطئ فالإسلام لم ينتشر بالسيف، ولا بالقوة، ولا بالعنف، لأنه لو انتشر الإسلام بالسيف لزال الإسلام يوم أن زال السيف.

(١٠) سورة النساء الآيات (١٠٥ : ١٠٧).

(١٢) سورة المائدة الآية (٣).

(٩) متفق عليه.

(١١) القصة واردة فى كتاب التاريخ، وسيرة عمر رضى الله عنه.



﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١٥)

عندما نتصفح كتب التاريخ فإننا نجد صفحات مشرقة عن التسامح الإسلامى، مع أهل الديانات الأخرى، وعن الأسلوب الطيب فى احترام الآخرين.

إننا نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يرفض أن يصلى فى الكنيسة التى عرض عليه أسقف بيت المقدس أن يصلى فيها لماذا؟ حرصاً من عمر على بقاء الكنيسة لأصحابها، فقد قال للأسقف: لو صليت هنا لو ثب المسلمون على المكان وقالوا: هنا صلى عمر وجعلوه مسجداً!!

كما نلاحظ المعاملة الطيبة من المسلمين تجاه أهل الكتاب وهذا ما دفع الكثير من أهل الكتاب للدخول فى هذا الدين الجديد لأنهم وجدوا فيه ضالتهم من السماحة واليسر والمحبة والأخوة.

فهذا رسول الله ﷺ وقد مرت عليه جنازة يهودى فقام النبى ﷺ لها، فقليل له: إنها جنازة يهودى فقال: «أليست نفساً»^(١٦).

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يرى شيخاً متوكئاً على عصاه وهو يسأل الناس، فسأل عنه فقليل إنه كتابى، وفى رواية - نصرانى - فقال: «خذوا هذا وضرباءه

فهذه بريطانيا كانت الشمس لا تغيب عن ملكها بفعل السيف، فلما زال السيف زالت لكن سيف الإسلام - على حد قول هؤلاء - زال، ولكن بفضل الله ورحمته نرى وجوهاً جديدة تدخل كل يوم فى دين الله أفواجا.

إن الإسلام قد انتشر بالأخلاق، وبالقدوة الصالحة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، هذا ما تحلى به التجار المسلمون يوم طافوا البلاد بأخلاقهم الكريمة وصفاتهم الطيبة، فدخل الناس فى دين الله أفواجا.

إن الحرية الدينية شىء شرعه وابتكره ديننا الإسلامى الحنيف ..

إن صيحة:

﴿لِيَعْمَلْ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ

مِمَّا أَعْمَلُوا أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١٣).

هذه الصيحة لم تعرف إلا فى كتابنا العظيم، وإن صيحة:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١٤)، هذه الصيحة لم

تعرف إطلاقاً فى ملة أخرى.

كانت أوروبا قبل القرآن وبعده، وكان العالم كله يعيش فى برك من الدم، وصراع آثم حول إكراه الناس على العقائد حتى جاء القرآن الكريم يقول للناس:

(١٤) سورة الكافرون الآية (٦).

(١٦) أخرجه الإمام البخارى.

(١٣) سورة يونس الآية (٤١).

(١٥) سورة البقرة الآية (٢٥٦).





الدين، قد يشور نقاش بين هؤلاء وأولئك من الأتباع المتحمسين، وهنا نرى تعاليم الإسلام صريحة في التزام الأدب والهدوء:

﴿وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢٠)
فالأخوة الإنسانية هي الأساس الذي تقوم عليه علاقات الناس حيث إن القرآن الكريم وضع دستوراً للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أياً كانت ديانتهم كما في قوله تعالى:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨)
﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَيْكُمْ إخراجكم أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٠).

والعهدة العمرية التي أرسى قواعدها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- مع بطريق الروم صفرونيوس في السنة الخامسة عشر للهجرة تمثل لوحة فنية في التسامح الإسلامي الذي لا نظير له في التاريخ، التسامح بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين الحبيبة، هذه العلاقة الطيبة التي مازالت وستبقى - إن شاء الله - ونلاحظها أيضاً في بلاد عديدة كأرض الكنانة وغيرها.

إلى بيت المال فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شيبته وتركناه عند شيبه» (١٧).

وروى أن عبد الله بن عمر -رضى الله عنهما- ذبحت في بيته شاة فقال: أهديتم لجارنا اليهودي منها، قالوا: لا، قال: أهدوا إليه، فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (١٨).
إن صيحة:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (١٩).

تظهر عظمة هذا الدين، تظهر مدى مخاطبته للعقول لتختار بين طريق الإيمان وطريق الكفر، طريق الخير وطريق الشر، طريق الحق وطريق الباطل.

فالإسلام لم يفرض على النصراني أن يترك نصرانيته، أو على اليهودي أن يترك يهوديته، بل طالب كليهما -مادام يؤثر دينه القديم- أن يدع الإسلام وشأنه، يعتنقه من يعتنقه، دون تهجم مر، أو جدل سيء.

إن التسامح الذي عامل به الإسلام غيره، لم يعرف له نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام، وفي مجتمع يضم أناساً مختلفي

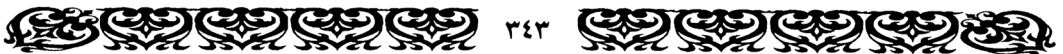
(١٨) أخرجه الإمام البخاري.

(٢٠) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

(١٧) كتاب الخراج لأبي يوسف.

(١٩) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢١) سورة الممتحنة الآيات (٨ - ٩).





وفيما يصر اليهود على الإساءة للسيد المسيح - عليه السلام - ويصفونه حاشاه - بأقذع الأوصاف ، فإن القرآن الكريم يعترف له بالنبوة ومعجزة التكلم في المهد حيث يقول تعالى :

﴿ فَادْنَاهَا مِنْ يَحْيَىٰ ۖ فَلَا تَحْزَنُ ۚ فَاذْجَلْ رَبُّكَ بِحَدِّكَ سَرِيًّا ۚ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِعِصِّ النُّجَلِ ۖ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ۚ فَكُلْ وَاشْرَبْ ۚ وَفَرَىٰ عَيْنَا فِيمَا تَرَىٰ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا ۖ فَقُولِي ۖ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۖ ﴾ (٢٤) .

ويقول تعالى في نفس السورة :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ۖ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ۖ أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ ۖ وَالزَّكَاةِ ۖ مَا مِثْلُ حَيَاتِي ۖ ﴾ (٢٦) وَبَرَّ ابْنُ لَدِي وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ (٢٧) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ (٢٨) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ ﴾ (٢٩) .

وبالإضافة إلى ذلك أقول : إنه في أول عهد الإسلام قبل الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة جرت معركة طاحنة بين الروم المسيحيين والفرس المجوس ، كان النصر فيها للمجوس المشركين .

وفرح المشركون في مكة بذلك النصر وشمتموا بالروم ، فيما ابتأس المسلمون بسبب هزيمة المسيحيين من أهل الكتاب .

والمؤسف أن جهل شريحة واسعة من أهل الغرب المسيحي بحقيقة الدين الإسلامي ، جعل أفراد هذه الشريحة يعادون المسلمين ، ويكونون أكثر قرباً من اليهود الذين يكونون عداءً تاريخياً لكل من المسيحيين والمسلمين على حد سواء ، في حين أن الإسلام يميز تماماً بين اليهود والمسيحيين ، فيعتبر « اليهود والذين أشركوا أشد عداوة للذين آمنوا » ، في حين يصف القرآن الكريم النصارى بالقول :

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتِيلِينَ ۖ وَرَهْبَانًا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ ﴾ (٢٢) .

واليهود يصفون السيدة مريم العذراء - عليها السلام - بأوصاف سيئة في حين أن القرآن الكريم يصفها بأجمل وأطهر العبارات في مواضع عديدة ويعتبرها أفضل نساء العالمين قاطبة في عصرها ، حيث يقول الله - عز وجل - في محكم آياته :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۖ ﴾ (٢٣) .

والملاحظ هنا أن كلمة « اصطفاك » تكررت مرتين في الآية الكريمة ، وهذا ما يحتم على المسلم المؤمن أن يضع السيدة مريم العذراء - عليها السلام - في المرتبة المقدسة التي تستحقها .

(٢٢) سورة آل عمران الآية (٤٢) .

(٢٣) سورة مريم الآيات (٢٤ : ٢٦) .

(٢٤) سورة المائدة الآية (٨٢) .

(٢٥) سورة مريم الآيات (٢٤ : ٢٦) .





ولما نزلت الآيات الكريمة التى تقول :

﴿الْم ١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

فقد ابتهج المسلمون بهذا النصر .

فضيلة شيخ الأزهر /

أصحاب المعالي والسماحة والفضيلة /

أيها الأخوة الأكارم /

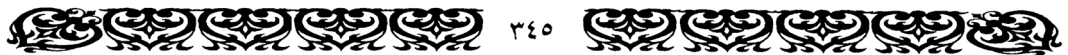
وها هو الشعب الفلسطينى مسلمين
ومسيحيين يقف اليوم فى خندق واحد، حيث
إن الإرهاب الإسرائيلى لا يفرق بين مسيحي
ومسلم، وأن قنابل الاحتلال وطائراته موجهة
ضد المسلمين والمسيحيين معا فكما تضرب
القدس والخليل، فهى تضرب بيت لحم، وكما
تعتدى على رام الله والبيرة وجنين، فهى
تعتدى على بيت ساحور، وكما تهاجم
طولكرم ورفح وجباليا، فهى تهاجم بيت
جالا .

إن الهجمة الشرسة التى يتعرض لها الشعب
الفلسطينى فى هذه الأيام قد يتمت الأطفال ،
ورملت النساء ، ودمرت البيوت والمصانع
والمؤسسات ، وجرفت المزارع والبيارات ،

وهاجمت مقرات السلطة الوطنية الفلسطينية
حيث إن قوات الاحتلال تتبع سياسة الأرض
المحروقة التى لا تبقى ولا تذر، حيث وصلت
هذه الاعتداءات إلى المقدسات الإسلامية
والمسيحية، حيث منعت المسلمين من الوصول
إلى المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه،
وإغلاق المسجد الإبراهيمى فى الخليل أمام
المصلين، وقصف العديد من المساجد فى
نابلس، وجنين، وطولكرم، والخليل، وبيت
لحم، ورفح، وغزة، وخان يونس، وجباليا
وغيرها من المحافظات، كما امتدت هذه
الاعتداءات إلى كنيسة القيامة حيث منعت
سلطات الاحتلال المسيحيين من الاحتفال
بأعيادهم، كما أنها تحاصر كنيسة المهد فى
بيت لحم، وتقتل وتعتدى على العلماء
المسلمين، ورجال الدين المسيحي .

ومع ذلك فإن القيادة الفلسطينية تسير على
خطى العهدة العمرية، وتتمسك بها، وتسير
على هديها حيث إنها تعمل جاهدة على تشكيل
وفد إسلامى مسيحي مشترك لتظهر للعالم
العلاقة الوثيقة بين أفراد الشعب الواحد . إن
الأوضاع الراهنة فى فلسطين خطيرة جداً، ونحن
بحاجة إلى دعم الأشقاء فى الأمتين العربية
والإسلامية ليبقى هذا الشعب المربط متمسكاً
بحقوقه، مربطاً على أرضه، مدافعاً عن عقيدته .

(٢٦) سورة الروم الآيات (١ - ٦) .

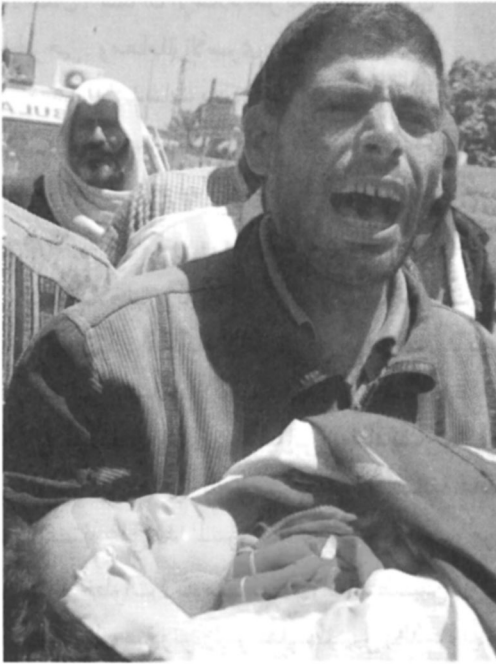




﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَدْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٢٧)
كلنا ثقة بالله، بأن الليل مهما طال فلا بد
من بزوغ الفجر، فما بعد العسر إلا اليسر، وما
بعد الضيق إلا الفرج، وإن الفرج آت بإذن الله،
رغم المشككين، رغم الحاقدين، رغم أعداء
الإسلام كلهم، وكما قال الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
إذا الإقدام كان لهم ركابا
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إننى أنتهز هذه المناسبة ومن خلال علماء
الأمة أن أنقل أصدق آيات الشكر والتقدير من
الشعب الفلسطيني الم رابط ومن القيادة
الفلسطينية وعلى رأسها الأخ الرئيس / ياسر
عرفات رئيس دولة فلسطين إلى الشعوب
العربية والإسلامية على وقفها المشرفة مع
أشقائهم فى فلسطين، هذه الوقفة وهذه
التبرعات الكريمة التى تبين بأننا أخوة فى
السراء والضراء، وأننا أمة واحدة هى الأمة
العربية والإسلامية وأننا ننتظر مستقبلاً زاهراً
بإذن الله، وإن شاء الله سنصلى معاً وسوياً فى
المسجد الأقصى المبارك وقد تحرر من أيدي
المحتلين:



كلمات متفرقة

● الشيخ تيسير التميمي «قاضي قضاة

فلسطين» :

إن ما يحدث اليوم للأمة الإسلامية يستوجب على العلماء القيام بدورهم القيادي حتى تعود للأمة العزة والكرامة أمام العدوان الإسرائيلي المدعوم بلا حدود من أمريكا، خاصة وأن المسلمين يتعرضون لحرب اصطنعها أعداء الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، بدعوى تهم باطلة ألصقتها الغرب بالإسلام من أجل الهيمنة على مقدرات الأمة الإسلامية.

ومن يستعرض كل ما أقرته المواثيق الدولية بشأن حقوق الإنسان سيتأكد أنها شعارات ليس لها واقعية في التطبيق، وإنما تطبيق فقط لفرض الهيمنة الاستعمارية على العرب والمسلمين لصالح أمريكا، ومن ورائها إسرائيل، فأمريكا تكيل بمكيالين، فتعتدي على الدول باسم محاربة الإرهاب وتسمى الكفاح المشروع إرهاباً في مواجهة مجازر بشعة لم يسبق لها الحدوث على مر التاريخ، فالاحتلال الإسرائيلي دفن مئات الشهداء في مقابر جماعية أمام مرأى العالم، ولذلك فإن ما يحدث في فلسطين وصمة عار في جبين المجتمع الدولي كله.



وهناك منظمات دولية وعلى رأسها الصليب الأحمر رفضت تقديم مساعدات للشعب الفلسطيني في جنين، مع أن لها فروعا في فلسطين، بادعاء عدم استطاعتهم الوصول للفلسطينيين بسبب الجنود الإسرائيليين، ويأتى ذلك في الوقت الذى تتعرض فيه فلسطين لحرب إبادة فى ظل صمت دولي، لأنه حين يتعلق الأمر بالعرب والمسلمين تتجمد المواقف والمعاهدات الدولية.

إننا إذا عقدنا مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام وبين ما يحدث في فلسطين سنجد نقيضين على طول العمر، فالإسلام نهى عن قتل الأطفال والنساء، بينما نجد أن نصف قتلى الفلسطينيين على يد إسرائيل من النساء والأطفال، كما أن الإسلام أمر بعدم قتل العزل والجرحى، ومعاملة الأسرى بكل رعاية، كما أمر برعاية المقدسات بينما نجد إسرائيل تقتل

العزل وتمنع وصول المساعدات الطبية للإجهاز على الجرحى وتعزل الأسرى، وتنكل بهم، وتعتدى على المقدسات، بل وتحولها إلى ملهى كما حدث في يافا.

● الأستاذ الدكتور محمد سعيد البوطي «سوريا»:

إن الإسلام ليس به إرهاب، والغرب يعرف ذلك، ويعرف أنه دين العدالة الذى بنى أعظم حضارة استفاد منها الغربيون، المشكلة لا تكمن فى أن هناك شيئا يجهله الغرب، ومن ثم فليس هناك داع أن نكرر الحديث عن صفات الإسلام، لأن المشكلة هي أن هناك خطة صهيونية تتكون من أمرين، الأول: إفشال المشروع «الأورو أسيوى» الذى يهدف إلى إيجاد تقارب بين أوروبا وآسيا، من خلال شبكة من الخطوط البرية السريعة، لأن هذا لو حدث سيمثل قوة اقتصادية هائلة ومتحررة من الشبكة الصهيونية، وأما الأمر الثانى، فهو القضاء على هذا المشروع أو أى مشروع متحرر من القبضة الصهيونية.

هناك خطوات لا بد منها لنصرة الفلسطينيين، أولها مقاطعة إسرائيل وأمريكا وقطع دابر البذخ والترف من حياتنا اليومية وتوجيهه للفلسطينيين والدعاء لهم بالاستمرار.



المشير/ سوار الذهب

● المشير عبدالرحمن سوار الذهب «الرئيس الأسبق لجمهورية السودان»:

إننا نعيش الآن وضعاً متأزماً يملؤنا بالإحباط، خاصة وأننا نرى أمماً أخرى مثل البرلمان الأوروبي، يعاقب إسرائيل بعقوبات اقتصادية، في حين لم يتحرك العالم العربي والإسلامي، على الأقل بنفس تلك الخطوات، ولهذا ندعو إلى أن تتوحد الأمة العربية، ولا نقصد بذلك الجيوش، وإنما الموقف والكلمة والعمل.

● الأستاذ الدكتور / عبدالحسن بن عبد الله التركي «أمين عام رابطة العالم الإسلامي»: إننا في أزمة يتعرض فيها الإسلام إلى هجمة شرسة، وهذا يتطلب

عدم الاكتفاء بتوجيه الخطاب للمسلمين فقط، بل للأمم الأخرى لتوضيح أن الإسلام هو رسالة إلهية ختم الله بها الرسالات، وهو دين العدل والرحمة، حتى مع غير المسلمين، فخطاب الأمة الإسلامية في داخلها أمر ضروري لإصلاح وحل كل المشكلات، لأنه كلما بعد المسلمون عن رسالتهم ظهرت الانحرافات.

إن الهجوم اليوم على الإسلام ليس أمراً جديداً، وإن التحديات التي ظهرت بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ يمكن معالجتها من خلال تشخيص واقع الأمة الإسلامية من خلال رؤية واقعية، والعمل على إصلاح الواقع الداخلي لها، والتعاون بين المسؤولين والعلماء، وتنشيط المراكز والجمعيات الإسلامية وفق منهج الوسطية الإسلامي.

● الشيخ محمد كمال الدين جعيط «مفتى تونس»:

إن الأحداث الجسام التي يمر بها عالمنا اليوم أدت إلى قيام تكتل واسع بزعامة الولايات المتحدة، غايتها محاربة الإرهاب، وفي نفس الوقت توجهت أصابع الاتهام بغير دليل إلى المسلمين عامة، وزادت الدعوة إلى محاربة الإسلام، كما تم ترويج مفاهيم خاطئة أُلصقت بهذا الدين، لذلك أصبح لزاماً على العلماء أن يتصدوا لهذه الشبهات.

● المستشار على عبدالرحمن آل هاشم «مستشار الشؤون القضائية والدينية بدولة الإمارات العربية المتحدة»: إن السلام في تعاليم الإسلام ضرورة من ضرورات الحياة الحرة الكريمة بين أجناس البشر، وفي الوقت نفسه، فالإسلام يُمقت البغى ويحارب العنف ولقد دعا الله - تعالى - رسوله ﷺ إلى إيثار السلام، ثم كفل له النصر والتأييد إذا فكر أحد في خصومته.

إن الله بعث المسيح عيسى بن مريم بالرحمة، وجعل في قلوب أتباعه الرأفة، ومن ثم فإن من يوقدون نار الفتنة والحروب متسترين وراء الصليب في زحف صليبي عارم لغزو الشرق ونهب ثرواته وهؤلاء ليسوا من أتباع عيسى - عليه السلام - بل هم مدعون كاذبون.



تَقْسِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

البقرة: ٢٣٤

وقوله: ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ - بالبناء للمجهول - أى تقبض أرواحهم فإن التوفى هو القبض .

يقال : توفيت مالى من فلان واستوفيته منه أى قبضته وأخذته . قال - تعالى - :

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ^(١) أى يقبض الأنفس ويأخذها إليه بالموت حين انتهاء آجالها .

والمعنى : والذين يتوفاهم الله - تعالى - منكم - أيها المسلمون - ويتركون من خلفهم أزواجاً . فعلى هؤلاء الأزواج اللائى ارتبطن برجالهم ارتباطاً قوياً متيناً ثم فرق الموت بينهم وبينهن، عليهن أن

(١) سورة الزمر: (٤٢).

وقوله:

﴿وَالَّذِينَ﴾ اسم موصول مبتدأ.

و ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ صلتته، و ﴿مِنْكُمْ﴾ فى

موضع النصب على الحال من الواو فى:

﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ و ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ وما بعده خبر

عن الذين والرباط محذوف والتقدير: يتربصن بعدهم أربعة أشهر وعشرا.

والتعبير بقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾

تعبير دقيق حكيم أى: عليهن أن يمنعن أنفسهن عن النكاح وعن التزين وعن الخروج من منزل الزوجية - إلا إذا كانت هناك ضرورة لهذا الخروج - مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وذلك لأن المرأة المؤمنة الوفية يأبى عليها دينها ووفائها لزوجها المتوفى عنها، أن تعرض نفسها على غيره بعد فترة قصيرة من وفاته، فإن هذا أمر مستهجن فى شرع الله وفى عرف العقلاء من الناس. إذ هذه المدة التى جاءت فى الآية التى حددها الله - تعالى - لمعرفة براءة الرحم من الحمل، وهى التى تخف فيها مرارة الفراق بين زوجين ربط الله بينهما برابطة المودة والرحمة.

ولقد ألغى الإسلام بهذا التشريع عادات جاهلية ظالمة للمرأة فقد كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها تغلق على نفسها مكانا ضيقا فى بيتها وتقضى فيه عاما كاملاً حداداً على زوجها فأبطل الإسلام

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

أى: عليهن أن ينتظرن انقضاء عدتهن فيحبسن أنفسهن عن الزواج وعن التزين وعن التعرض للخطاب مدة أربعة أشهر وعشر ليال، وفاء لحق الزوج المتوفى، واستبراء للرحم.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: هذا أمر من الله - تعالى - للنساء اللاتى يتوفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال. وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن وغير المدخول بالإجماع، ومستند هذا الإجماع فى غير المدخول بها عموم الآية الكريمة، وهذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن وصححه الترمذى أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها فقال: أقول فيها برأى فإن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطأ فمنى ومن الشيطان. والله - تعالى - ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملاً.

وفى لفظ: لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل بن يسار فقال: سمعت رسول الله ﷺ قضى به فى بروع بنت واشق. ففرح عبدالله بذلك فرحا شديدا. ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهى حامل فإن عدتها بوضع الحمل لعموم قوله - تعالى -:

﴿وَأُولَئِذَا أَجْمَلُ أَبْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٢)

وكان ابن عباس يرى أن عليها أن تتربص بأبعد الأجلين من الوضع أو أربعة أشهر وعشرة أيام للجمع بين الآيتين (٣).

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) سورة الطلاق (٤).



ذلك، ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ما ثبت في الصحيحين عن أم حبيبة وزينب بنت جحش - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا»

والإحداد هو ترك الزينة، وعدم التعرض للخطاب، وعدم الخروج من منزل الزوجية إلا لضرورة. وفي الصحيحين أيضا عن أم سلمة أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكتحل؟ فقال: «لا - مرتين أو ثلاثا - ثم قال: إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة».

قال ابن كثير بعد أن ساق هذين الحديثين «قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا - أى مكانا ضيقا من البيت - ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر سنة» (٤).

وقال بعض العلماء: وقد حد الشارع للمتوفى عنها زوجها عدة هي في جملتها أكثر من عدة المطلقات، لأن تلك ثلاثة قروء تجيء عادة في نحو ثلاثة أشهر. وهنا يرد سؤالان:

أولهما: لماذا كانت العدة في المتوفى عنها زوجها بالأشهر دون الحيض فلم تجعل أربع حيضات بدل ثلاث؟ ولماذا كانت الزيادة؟ ولم نجد أحدا تصدى لبيان الحكمة في

جعلها بالأشهر، ويبدو لنا أن الحكمة التي تدركها عقولنا - وإن كانت الحكمة السامية قد تعلو على مداركنا: هي أن عدة الوفاة تكون للمدخل بها وغير المدخل بها وللصغيرة والكبيرة، والأساس فيها هو الحداد على الزواج السابق الذى انتهى بوفاة أحد ركنيه، فلزم أن يكون بأمر يشترك فيه الجميع مادام السبب واحدا في الجميع. وفوق ذلك أن العدة في الوفاة لو قدرت بالحيض وهو أمر لا يعلم إلا من جهة المرأة، فرما تدفعها الرغبة في الزواج إلى الكذب فتدعيه وهو لم يقع، وفي المطلقات العدة حق للمطلق فيستطيع أن ينكر عليها، أما في حال الوفاة فصاحب الحق الأول قد مات وصار الحق لله خالصا. فحد ذلك الحق بالأشهر والأيام حتى لا يكون مساعا للكذب وادعاء مالم يحصل، لأن الأيام والأشهر تعرف بالكتاب والحساب وليست أمرا يعرف من جهتها فقط.

أما الجواب عن الأمر الثانى وهو: لماذا كانت العدة بالوفاة أكثر في الجملة من العدة الناشئة عن الطلاق؟ فيبدو بآدى الرأى من الفرق بين حال الطلاق وحال الوفاة أن الطلاق نتيجة شقاق.

فالحداد على الزوج الذى ينشئه ليس قويا، ومعنى براءة الرحم وإعطاء الزوج فرصة للرجعة يكون أوضح في معنى العدة، ويكفى لذلك نحو ثلاثة أشهر. أما حال الموت فمرارة الفراق فيها أوضح وأشد، ومعنى الحداد فيها

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٨٥.



بعد ذلك أيها المسلمون أو أيها الأولياء - فى ترك هؤلاء الزوجات الأرامل يفعلن فى أنفسهن ما تفعله المرأة الراغبة فى الزواج من التزين والتجمل ولكن بالطريقة التى يقرها الشرع، وترضاها العقول السليمة، والأخلاق المستقيمة.

وقوله: ﴿يَا لَمَعْرُوفُ﴾ متعلق بفعلن،

أو حال من النون أى حالة كونهن متلبسات بالمعروف ومفهومه أنهن لو خرجن عن المعروف شرعا بأن تبرجن وأظهرن ما أمر الله بستره فإنه فى هذه الحالة يجب على أوليائهن أن يمنعهن من ذلك.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ أى أنه محيط

بدقائق أعمالكم لا يخفى عليه منها شئ فإذا وقفتم أنتم ونساؤكم عند حدوده أسعدكم فى الدنيا وأجزل مثوبتكم فى الآخرة، وإن تجاوزتم حدوده عاقبكم بما تستحقون

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٦)

وبذلك نرى الآية الكريمة قد رسمت للناس أفضل وسائل الحياة الشريفة، فأرشدت المرأة التى مات عنها زوجها إلى ما يحفظ لها كرامتها، ويدفع عنها ما يتنافى مع العفة والشرف والوفاء.

يغلب معنى براءة الرحم، ولذا تجب على المدخول بها وغير المدخول بها، وإن الشارع قد جعلها لذلك أطول من عدة الطلاق.

وقد يرد سؤال ثالث وهو: لماذا حددت العدة بأربعة أشهر وعشر؟ وإن تقدير الأعداد كما يقرر الفقهاء أمر توقيفى خالص لا يجرى فيه القياس ولكن ليس معنى ذلك أنه لا حكمة فيه، وأن الحكمة يقررها العلماء فى أمرين:

أولهما: أن الأشهر الأربعة هى التى يظهر فيها الحمل ويستبين، وقد جعلت العشر بعدها للاحتياط.

وثانيهما: أن مدة أربعة الأشهر هى المدة التى قررها الشارع أقصى مدة للحرمان من الرجال. ولذلك جعل الإيلاء مدته أربعة أشهر.. فكان من التنسيق بين الأحكام الشرعية أن تجعل مدة الإحداد على الزوج فى حدود هذه المدة ومقاربة لها فى الجملة^(٥).
وقوله:

﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

بيان لما يترتب على انتهاء المدة التى حددها الشرع للمرأة التى مات عنها زوجها. أى: فإذا انتهت المدة التى حددها الشرع للمرأة التى مات عنها زوجها لتتجنب فيها التزين والتعرض للنكاح. فلا حرج عليكم

(٥) تفسير الآية الكريمة لفضية الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبو زهرة مجلة «لواء الإسلام» العدد الثامن السنة السادسة سنة ١٩٥٢.

(٦) سورة الشعراء: (٨٨، ٨٩).



توجيهات تربوية من القرآن الكريم

د. سنان / محمد مصطفى البسيوني

فيما يروى عن خاتم النبيين ﷺ حديث يردده المسلمون كل يوم من فوق المنابر، وفي أنهار الصحف، يتغنون به في ترنم وتغيم، دون أن يتعدى الشفاه إلى القلوب أو يتخطى آفاق الأقوال إلى ساحات الأعمال.

ذلكم هو الحديث الشريف الذي يقول: «تركتم فيكم ما إن تمسكت به لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله وسنتي»^(١). بل لقد صار هذا المعنى النبوي الهادي أنشودة مطربة يحملها الأثير عبر المذياع أحيانا، أو التلفاز أحيانا أخرى متمثلاً في بيت من إلاميات «شوقي» يصف فيه منذ ما يقرب من قرن من الزمان ما آلت إليه أحوال المسلمين:

بأيمانهم نوران، ذكرؤ سنة فمبالهم في حالك الظلمات؟

وكان مسلمي هذا العصر قد ابتلوا بداء الكلام ثم لم يهتدوا بعد إلى دواء العمل الجاد الواعي الذي أراد له دينهم الحنيف.

في كل زمان ومكان يتمثل في وصايا الحكيم لقمان لولده وهو يعظه، وإنه لدستور يتألف من مواد حكيمة وضوابط محكمة يتصل بعضها ببعض في نظام سماوي عظيم وسياق رباني قويم.

ونحن الآن بصدد بعض ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فإن المتدبر لكتاب الله - عز وجل - والمتأمل فيه ليجد من بين آياته البينات دستوراً هادياً للشباب

(١) موطأ مالك (٨٩٩).



وهذه العظة القرآنية الهادية معين لا ينضب
ينبغي على المربين أن ينهلوا منه ما شاءوا حين
يريدون أن يتعرفوا على الطريقة المثلى للدعوة إلى
الحق، ويمكن للشباب أن يتأسسوا به حين يريدون
أن يستووا على الصراط المستقيم.

ولسنا في مجال عرض سيرة ذلك الرجل
الصالح الذي تروى بعض كتب التفسير عنه أنه
خير بين النبوة، والحكمة فاختار الحكمة، ويكفيها
هنا أن نحاول تذوق وصاياه الإنسانية الخالدة
لولده، ونعرضها - قدر الطاقة - أمام شبابنا المعاصر
الحائر، لعله يهتدى بها نبزاً وضاً ينتشله من
دوامة التيارات المتصارعة التي تحيط به من كل
مكان.

ولئن كانت هذه الوصايا قد صدرت عن
لقمان إلا أن ذكرها في كتاب الله المجيد يدخلها
ضمن التوجيهات القرآنية التي يسوقها القرآن إلى
الناس كافة في كل زمان وفي كل مكان، ومن
ثمة فما أحرانا بمدارستها بل ما أجدنا
بممارستها، والإلحاح عليها الإلحاح كله بين أبنائنا
وبنائنا في هذا العصر المادى العجيب الذى
أصبحت فيه القيم الأخلاقية الأصلية أشبه
بالعاديات الدارسة التي ينفذ عنها الناس الغبار
بين حين وآخر ليعرضوها - على أحسن الفروض -
في متحف قديم يرتاده هواة التحف، وعشاق
«الأنتيكات» للتسلية والتسرية، دون التأسي
والاقتداء.. حتى لقد جرفت المادية القاتلة - أو
كادت باسم العلم البريء - كل المعنويات الرفيعة،
والأخلاقيات المنيعة.

وأخطر ما نتج عن ذلك من عواقب أثيمة،
ونائج أليمة ما نرى عليه كثيراً من الشباب التائه
اليوم بين انحراف التطرف وانحراف المخدر،
ومتاهات التمزق والضياع.

ألا يلفتنا هذا إلى وصايا لقمان في القرآن
الكريم فنضعها منا موضع التذكر الدقيق، والتدبر
العميق؟

إن الوالد عندما يعظ ولده فإنما هي العظة
الخالصة، والنصيحة المخلصة النابعة من الكبد إلى
فلذته، ومن القلب إلى سويدائه ومن العين إلى
إنسانها.. وهى - إلى هذا - ثمرة التجربة الحية،
والخبرة النقية يغذوها الوالد ولده شهية سائغة
غنية بعناصر الحياة والنماء.

وليس شك في أن مثل هذه النصيحة الأبوية
المجردة سداها الصدق المحض، ولحمتها الأمانة الحقة
لأنها صادرة عن والدية مفطورة، وحنو مطبوع.

وناھيك بالوالد الذى آتاه الله الحكمة إصابة
فى القول وصدقاً فى العمل وهو يعظ ابنه، لا
شك فى أنه يغذوه مزاجاً شهيياً من حنكة العمر،
ودقة الفكر، وثراء التجربة، وهكذا كان لقمان..
أنظر إلى قول الله - عز وجل:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٢).

ثم تأمل كيف تتضمن الحكمة شكر الله
عليها، وكيف يكون الكفر مقابلاً للشكر؟ ألا
تذكر قول الله - تعالى:





﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٣).

إن من البدائة الساطعة أن يعزو الحكيم النعمة للمنعم، وأن يعترف بالهبة للوهاب وإلا فقد الحكمة وسار مسار «قارون» الذي لم يعرف الفضل لعالم الغيب والشهادة ولم ينسب العلم لوأهبه العلم فانتحل العلم لنفسه عندما سئل عن ماله فأجاب في صلف وغرور

﴿إِنَّمَا أَوْفَيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمِي عِنْدِي﴾ (٤) وإذا بالقرآن الكريم يرد عليه في رد مفحم مبين:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ (٥).

عجباً ألم ﴿يَعْلَم﴾ مدعى «العلم» بالنهاية المهلكة لأسلافه الهالكين؟

وكما يرفض المنطق السليم أن يجتمع العلم وادعائه في آن، فإنه كذلك يأبى أن تلتقى الحكمة والكفران.

وليس من شك في أن لقمان كان أحرى بشكر الله - سبحانه وتعالى - على نعمة الحكمة التي آتاه إياها، ولعل من صور هذا الشكر أن يبادر الرجل إلى نفع غيره من هذه الحكمة التي هي أقرب إلى التكليف منها إلى التشريف؟ فشرع ينقل ثمار حكمته الطيبة إلى ولده، أحب الناس

إليه، وأقربهم منه وأولى الناس بالاستجابة له.. وإن صاحب الرسالة دائماً ليتوق إلى أن تضيء رسالته للأقربين من ولده وعشيرته عليهم يكونون له معواناً على السير بهذا الضياء إلى الآخرين.

أو لم يخاطب الله - سبحانه وتعالى - رسوله الكريم بقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٦) ولعل لقمان كان يريد أن يصبح ولده مثلاً سلوكياً يحتذى لحكمة أبيه؟ ينقل إلى الناس بسلوكه القويم، ما لقنه أبوه من فكره الحكيم.. يقول لقمان لابنه:

﴿يَبْنِي لِأَشْرِكٍ بِاللهِ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَطُلُمٌ عَظِيمٌ﴾ (٧)

فما أجمل.. وما أجل!! أن يستهل الحكيم حديثه ببناء «يا بني» فيستحضر عند ولده الرباط الدموي والروحي المتين الذي يصل الوالد بولده، وكذلك يعالج بقوله هذا اللين الرقيق ما قد يصيب الولد من نفور عنيد ينأى به عن النصح الرشيد.. ولئن طُلب الاستهلال اللين في حديث موسى الكليم مع فرعون الطاغية:

﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٨).

فإن هذا اللين أحرى بأن يكون التمهيد الطبيعى الحانى للتوجيه الأبوى الرحيم.. وما أجل أن يبدأ لقمان وصاياه لابنه بالوصية العظمى والموعظة الكبرى وهي روح العقيدة

(٤) القصص (٧٨).

(٦) الشعراء (٢١٤).

(٨) طه (٤٤).

(٣) إبراهيم (٧).

(٥) القصص (٧٨).

(٧) لقمان (١٣).



ولبها، فيحثه على التوحيد الذى سعى أحيانا
«مفتاح المفاتيح» من آمن به بكل ما يترتب

عليه من شعور الدنيا والآخرة حيث يستشعر فى

أعماقه العبودية لله وحده الواحد الأحد فيستقيم

أمره ويستوى سلوكه، وكلما ازدادت عبوديته لله

وحده ازدادت سيادته على الناس جميعاً.

وعلينا أن نتأمل بعد ذلك اقتران عبادة الله

والإيمان به بذكر الوالدين والأمر بالإحسان

إليهما..

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وَفِصْلًا فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٩)

وهو أمر أكدته القرآن فى آيات أخرى كما نجد

فى سور البقرة والنساء والأنعام.

كما قرر القرآن الكريم أهمية إحسان المرء

إلى والديه وإسداء المعروف إليهما فى الدنيا

بالحلق الكريم والحلم النبيل حتى وإن بذلا

معه الجهد الجهد لحمله على الشرك بالله -

عز وجل - لأن الدنيا إن هى إلا رحلة قصيرة

على الأرض لا تؤثر فى الحقيقة الأصيلية الخالدة

ولأن الحساب على هذا ليس من شأن المرء

ولكنه من أمر الله يوم القيامة حيث يفر المرء

من أخيه وأمه وأبيه.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ

لَكَ بِهِ، عِلْمٌ فَلَا تُقْبِلْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

وَأَنْتُمْ سَبِيلٌ مِّنْ أَنَابٍ إِلَىٰ شُرَكَائِكُمْ فَأَنْتُمْ كُفْرًا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠).

(٩) لقمان (١٤).

(١٠) لقمان (١٦).

(١٠) لقمان (١٥).

(١١) لقمان (١٦).



وهو قبل هذا وبعد هذا عليه أن يصدق نفسه فيكون القدوة الناطقة والأسوة الصادقة فلا يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، ولا ينهى عن شيء ويأتى مثله، وليس شك في أن هذا يحتاج من المربي إلى مجاهدة للنفس أى مجاهدة، وارتقاء بالذات أى ارتقاء واصطبار على الناس أى اصطبار... إن ذلك من عزم الأمور :

﴿يَبْنِيْ اَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَاَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبَرَ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْاُمُوْرِ﴾ (١٢) .

ولهذا تفيض حكمة الأب وهو يعظ ولده فيمس أدق الأمور السلوكية التى ينبغى أن يتحلى بها الابن فى حياته بين الناس وحسن استخدامه لأنعم الله عليه لأن حمد المنعم لا يتم على وجهه إلا بحسن استخدام النعم فيما خلقت له . فنعمة العلم لا يمنحها الخالق للعالم لكى يتناول بها على خلقه، ونعمة المشى لم تُهيأ للإنسان لكى يدك الأرض بقدميه وهو يعلم أنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً، ونعمة الكلام لم تيسر لصاحبها لكى يحولها إلى صراخ وصياح يؤذى بها خلق الله .

وكم نرجو للشباب فى هذا المجال أن يتدبر نصائح لقمان الهادية لولده عندما يحثه على الالتزام بأداب السلوك فيهيّب به ألا يلوى عنقه - كالإبل المصابة بداء الصعر (١٣) - عتوا وتيها واستكباراً، وألا يرفع صوته فى صخب ممقوت إذ

لو كان الصوت المرتفع مرغوباً فيه لكان أولى بهذا صوت الحمار الذى هو أقبح الأصوات وأكثرها إزعاجاً . ألا ترى أنه يبدأ بالزفير وينتهى بالشهيق؟؟ (١٤) إن أقرب ما يدل عليه ارتفاع الصوت وحدته هو أن صاحبه قد فقد الثقة فى نفسه، وفى حجته، وهو يغطى هذا بقوة حنجرته فيرفع عقيرته فى غلظة منفرة، وزعاق مقيت، ولو كان قوى الحجة، واضح اليقين، سديد البرهان، إذن لمخاطب الناس فى نبرات مهذبة وقرائن مرتبة تنطق بالحق فى سكينه واطمئنان .

﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا اِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ﴾ (١٥) وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنَّ اَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٥) .

وإننا لفى عجب شديد حيث نرى بين أيدينا دستوراً ساقه الله لنا رحمة بنا، وراحة لنا، لكى نربى أبناءنا وفق هداه، ثم نسعى - فى عناد شديد، وعنت جهيد - لابتكار دساتير «شبابية» أخرى وضعية لا تقيم المعوج، ولا تهدى الضال، جاهلين ومتجاهلين توجيه الخالق الذى هو أعلم بخلقهم، وأدرى بصنعتهم :

﴿اَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٦) .

ألا تلفتوا أحوال شبابنا اليوم إلى رعايتهم وهدايتهم وفق ما أراد الله .

(١٢) لقمان (١٧) .

(١٣) الصعر: داء يصيب البعير يلوى منه عنقه .

(١٤) يروى أن البدء بالزفير والانتها بالشهيق هو من صوت أهل النار، وعن سفيان الثوري - رضى الله عنه - أن صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار فإنه يصيح لرؤية الشيطان ولذلك سماه الله - عز وجل - منكراً «النسفى»

(١٦) الملك (١٤) .

(١٥) لقمان (١٨، ١٩) .



سُبْحَانَ طَائِعَةِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ تَحْلِيلُ الطَّيِّبَاتِ وَتَحْرِيمُ الْخَبَائِثِ

د. أستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِنِّيَا تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ، لَيْعِزَّ اللَّهُ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (١).

في الآيات السابقة لهاتين الآيتين، وجه القرآن الكريم دعوته للناس جميعاً أن يستمتعوا بما في الأرض من الحلال الطيب ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان إلا أن جماعة من هؤلاء لم يستمعوا إلى دعوة الله ولم يهتدوا بهديه، وإنما اتبعوا ما وجدوا آباءهم عليه دون تمييز بين الطيب والخبيث، والحلال والحرام، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن ثَمَرِ الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ (٢).

(٢) سورة البقرة (١٦٨ : ١٧١).

(١) سورة البقرة (١٧٢ ، ١٧٣).

ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك^(٤)، والطيبات: هى التى يستلذ بها الناس ويستطيبونها من الحلال ويقول الرازى فى تفسيره الطيب فى الأصل هو ما يستلذ به ويستطاب، ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه، لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه، والحرام غير مستلذ لأن الشرع يزجر عنه وفى بيان الرسول ﷺ أن الله وجه الأمر إلى رسله كما وجهه للمؤمنين بالأكل من الطيبات، فى هذا البيان ما يشير إلى أهمية الحرص على الطيبات وأنه أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب على المؤمنين أن يحرصوا عليه غاية الحرص، ولذا فإن الأمر به جاء قبل الأمر بعمل الصالحات قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾.

وأن المال الطيب والأكل من الحلال يكون سببا للعمل الطيب وقبوله عند الله - تعالى - والمال الحرام، والأكل منه يورث العمل الخبيث ولا يقبل لصاحبه عمل ما.

وقد روى أن سعد بن أبى وقاص قال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال النبى ﷺ: (يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده أن العبد يقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت - أى حرام - فالنار أولى به)^(٥).

بعد ما وجه الدعوه السابقة إلى الناس عامة، وجه الدعوة إلى المؤمنين وحدهم، وقد ناداهم بالوصف القائم فيهم وهو وصف الإيمان الذى يقتضى أن يستجيب له المؤمن، وأن يكون مهتديا بهدى الله، بعيدا عما حرم الله، وأن ينتبه المؤمن بعد بيان ما سبق، فلا يلتفت إلى ما كان عليه لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال: أرأيت أولئك العاصون الحمقى الذين أحل الله لهم خيرات الأرض وطيباتها، ولكنهم أحلوا بعضها وحرموا بعضها وهنا جاء الأمر بأكل الطيبات بعد بيان أحوال أولئك ليأكل المؤمنون من طيبات ما أحل الله ولا يضيقوا على أنفسهم كما ضيق أولئك.

وإن هذا الأمر الذى أمر الله - تعالى - به المؤمنين من الأكل من الطيبات، قد أمر به أيضا المرسلين - عليهم السلام - عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٣)

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام

(٤) أخرجه أحمد ٢/٣٢٨.

(٣) سورة المؤمنون (٥١).

(٥) مجمع الزوائد ١٠/٢٩١.



﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ بيان من الله - تعالى - بأن شكر الله عبادة، فإن الله يعلم أنهم يعبدونه، وهم بالفعل يعبدونه فبين بقوله:

﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أن شكر الله صاحب الفضل والإنعام على نعمه ورزقه وإباحة الطيبات من أهم وسائل العبادة، كما أن هذه العبادة كما يقول الألوسي: بمنزلة التعليل لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له لأنكم تخصصونه بالعبادة، وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وهي لا تتم إلا بالشكر، لأنه من أجل العبادات، ولذا جعل نصف الإيمان وورد من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: يقول الله - تعالى -: (إِنِّي وَالْإِنْسَ وَالْجَنُّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ أَخْلَقْتُ وَيَعْبُدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيَشْكُرُ غَيْرِي.....) وبعد أن ذكر الطيبات وأمر بالأكمل منها بين أنواعاً من الحرام فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ، لَغَيْرِ اللَّهِ﴾

وقد جاء التعبير هنا بصيغة القصر التي تفيد حصر الحرمة في الأمور المذكورة مع العلم بأن هناك أموراً محرمة أخرى، وذلك

بل إنه لو تقرب إلى الله أو تصدق بالمال الحرام فإنه لا يقبل من صاحبه، ففي الحديث: «من أصاب مالا من مآثم فوصل به رحمه أو تصدق به، أو أنفقه في سبيل الله، جمع ذلك جميعاً ثم قذف به في نار جهنم»^(٦).

وقال ﷺ: (لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول)^(٧) وفي قوله تعالى:

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة فلو جرى الحديث على الأسلوب الأول في التكلم لقال واشكرونا، ولكنه التفت ليصرح باسم الله - تعالى - لتربية المهابة، وشكر الله - تعالى - على نعمه عبادة أمر بها الله - تعالى - في قوله:

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ وقوله:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا إِلَيَّ وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(٨)

والشكر طريق لزيادة النعمة، قال سبحانه:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٩). وطريق

أيضاً لرضاء الله على الإنسان وفيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» وفي قوله تعالى:

(٧) مجمع الزوائد ١/ ٢٢٧.

(٩) سورة إبراهيم (٧).

(٦) إتحاف السادة المتقين ٦/ ٩.

(٨) سورة البقرة (١٥٢).





وتحليل ما حللته وأما النوع الثانى وهو ما كان محرماً بسبب التوجه به لغير الله وهذا السبب روحى يجافى سلامة العقيدة والاتجاه لله الواحد وهو المذكور فى قوله تعالى:

﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ ومع هذا فإن شريعة الإسلام عرفت باليسر والسماحة وجعلت الضرورات تبيح المحظورات فأحلت لمن اضطر لهذه المحرمات أن يأكل منها بالقدر الذى تنتفى معه بالضرورة دون أن يتجاوزها أو يتعدى حدودها:

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

فالدین یسر لا عسر قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (١٠).

ولذا ختم الآية بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ومن رحمته أنه

أسقط الحرمة ورخص فى تناول هذه الأمور وقت الضرورة وهذه الأمور كانت محرمة فى التوراة إلا أن اليهود كتموا الآيات الدالة على تحريم بعضها رغبة منهم فى كسب مادی هو فى زعمهم كثير ولكنه عند الله قليل ولذا عقب الآيات على ما سبق ببيان أنهم صائرون إلى النار وكأن ما يأكلونه هو نار فى بطونهم.

لرد اعتقادهم أن هذه الأشياء حلال وهو رد بأبلغ وجه وأقوى صورة مؤكدة، فالخصر مقيد بما اعتقدوه حلالاً بقرينة أنهم كانوا يستحلون ماذكر.

وهذه الأمور المحرمة منها ما كان تحريمه لعله فيه، وسبب منع حله ومنها ما كان تحريمه لغير علة فيه فالميتة والدم ولحم الخنزير معروف أن الميتة والدم تأباهما النفوس السليمة واستثنى من الميتة السمك والجراد للحديث الذى أخرجه ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عمر - رضى الله تعالى عنه - «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وقد ألحق بالميتة أيضاً ما قطع من حى للحديث الذى أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى واقد الليثى قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطع من البهيمة وهى حية فهى ميتة» والدم وقيد فى سورة الأنعام بالمسفوح وخص لحم الخنزير مع أن سائر جنسه حرام لأن معظم ما يؤكل من الحيوان هو اللحم وباقى أجزائه تابعة له ويدل - أيضاً - على أن عين الخنزير حرام سواء ذكى أم لم يذك هذا وقد اكتشف العلم الحديث أن بالخنزير بعض الديدان الشديدة الخطورة وقد سبق القرآن العلم الحديث إذ حرم الخنزير فى أوائل القرن الهجرى الأول وشريعة لها هذا السبق لجديرة بالثقة بها وتحريم ما حرّمته



مواقف سلامية

من ملاحم المشرك لله سلاحي في الدعوة

للمستاذ الدكتور / محمود محمد عمار

كان صلح الحديبية - بعون الله تعالى - فتحاً بيننا.. هياً به سبحانه الظروف لتنتقل الدعوة عبر الحدود.. ناشرة ظلها على الدنيا كلها.. فكان أن كتب ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام.. في إطار من الحكمة والموعظة الحسنة عز نظيره.

وإذا كانت مواقف الأمراء قد تباينت.. فإن موقف المقوقس في مصر.. كان من أبرز المواقف التي كشفت عن لون من الحوار اتسم بالحكمة والمودة كرد فعل للدعوة وافته على جناحين من المودة والرحمة.. فاض بهما قلب الرسول بما طبع عليه من رافة ورحمة.. صادقت قلوباً رحيمة كواديها الرحيب الخصيب، قلوباً تؤمن حين تؤمن على نحو نزول الجبال ولا يزول إيمانها فإذا لم يحن إيمانها.. كانت عند حسن الظن بها؛ كريمة في ضيافتها حكيمة في ردها.

ولقد وقع اختياره ﷺ على «حاطب بن أبي بلتعة» ليكون سفيره إلى المقوقس.. والذي تسلم خطاب الرسول ﷺ ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط.

سلام على من اتبع الهدى: أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام.. اسلم تسلم يؤتكَ

الله أجرَك مرتين، وإن توليت فإنما عليك إثم القبط.

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١).

(١) آل عمران «٦٤».

فماذا فى الرسالة من معان؟

إنها دعوة صادقة .. هادئة .. تحمل المقوس
مسئولية فردية واجتماعية .. مسئولية
إسلامه .. وإسلام شعبه معه .

فإن هو أسلم .. فله ثوابه المضاعف ..
وإلا .. فقد باء بالإثمين معا .. وتأتى الدعوة
الكريمة مشمولة بالحكمة .. والمودة، لا
تسمع فيها جلجلة الألفاظ .. ولا ترى فيها
من زخرف البيان ما يخطف الأبصار، وإنما
ترى .. وتسمع .. نداء الحق يفرض نفسه على
المدعو .. بلا إثارة وبلا تزويق .. وذلك واضح
من مضمون الرسالة والتي تطالعنا بما يلي :

١- ناداه ﷺ «بعظيم القبط» وما فى ذلك
من تحب وتلطف به ثم سلم عليه تسليما
ينشئ فى قلبه الأنس .. ثم محاولة التجاوب
مع مضمون الرسالة النبوية .

وهو درس فى الدعوة يلجأ فيه الداعى إلى
الاعتراف مبدئيا أو مرحليا بموقع المدعو الذى
هو حاكم البلاد فعلا .. ثم محاولة الصعود به
إلى أفق أعلى .. وهو ما تكفلت ببيانه الآية
الكريمة ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ .

٢- فقد خاطبت القبط بنداء حبيب
لديهم هو : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ .

٣- وهم بحكم هذه الأهلية مدعوون إلى تأمل
هذه الحقائق التى ضمت عليها الآية الكريمة ..
والتي هى بلاشك موضع وفاق بين الراشدين من
أتباع الرسل -أو هكذا ينبغى أن تكون- وهى :

أ- التوحيد : ﴿الْأَنِيبُ إِلَّا اللَّهُ﴾ .

ب- رفض الشرك ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ .

ج- الاعتزاز بالكرامة الإنسانية .. فلا
نتركها تذوب فى دوامة الطغيان والاستعباد

﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

٤- فإذا لم تحدث الاستجابة المطلوبة .. بل
المتوقعة .. فقد أدى الدعاة واجب البلاغ ..
وبلا صدام .. وتبقى من الأخوة بقية تجمعنا
فيما يشبه التعايش السلمى : لكم دينكم ..
ولى دين .

٥- ولا تخاطبهم الآية الكريمة قائلة :
«فإن توليتم» لكنها تؤثر أسلوب الغائب
«فإن تولوا» إشارة -والله تعالى أعلم بمراده-
توحى بالبعد عن مواجهتهم بمعنى التولى
والإعراض .. وما قد يثمره من إعراض قد
يصدم إحساس القوم .. فتتوقف قنوات
الاتصال .

٦- ثم تؤثر الآية الكريمة التعبير بالحرف
«إن» وما تفيده من شك فى التولى عن دعوة
هذا شأنها .. فلعل فى هذا تحريضا على
الإيمان .

٧- ولو حدث وتولوا .. فما علينا بعد أن
أديننا واجبنا .. والمطلوب فقط : أن ينصفونا
من أنفسهم بالشهادة بأننا قد بلغنا ..
ليتحملوا وحدهم نتيجة الإعراض .

٨- فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الآية
مدنية : أعنى أنها نزلت يوم أن كان للإسلام
دولة وجيش ونظام .. ومع ذلك لم تبح



الرسالة .. وحكمة الرسول معا فقال لحاطب :
أحسننت جوابا .. أنت حكيم .. جاء من
حكيم

وهنا تتأكد القاعدة القائلة : أرسل
حكيمًا .. ولا توصه .. وكان ذلك الحكيم ..
حاطبًا - رضى الله عنه - والذى يعلمنا
نجاحه فى سفارته ضرورة أن نؤهل للدعوة
رجالها .. الذين لا يقتصر دورهم على
مخاطبة الوجدان .. بالكلام الرنان .. وإنما مع
ذلك .. وقبل ذلك مخاطبة العقل ..
بالبرهان !

البرهان الذى ملك -هنا- على المقوقس
أقطار نفسه .. فقرر دراسة الرسالة بعمق ..
انتهى باعترافه بحقيّة الإسلام وحكمة رسوله
فيما يلى :

قال لحاطب - رضى الله عنه - إني قد
نظرت فى أمر هذا النبى فوجدت أنه لا يأمر
بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه أى لا
يأمر بمنكر ولا ينهى عن معروف ولم أجده
بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب .

ووجدت معه آله النبوة -أى مؤهلاتها-
وهى : إخراج الغائب المستور والإخبار
بالنجوى وسأنظر فى أمره وأمرى

وهكذا يجرى الله - تعالى - الحق على
لسان المقوقس فيما يشبه التكذيب الرسمى
لكل دعاوى الكفار حينئذ .

وكان اعترافه رسالة إعلامية موجهة إلى
الكذابين أحبطت مفعول دعاياتهم الوثنية

للمسلمين فرض عقيدتهم بالقوة .. تبين لنا
كيف أن الإسلام من القوة بحيث لا يفرض
نفسه بالقوة .. وإنما ينتصر دائما بقواه
الذاتية .. وبها يشق طريقه عبر المستقبل .
وتبقى قوة السلاح .. مرصودة : إرهابا
للعُدو .. وتأديبا له إذا دعا للجهاد داع .

من ثمار الحكمة

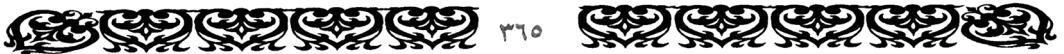
وقد وجد المقوقس نفسه أمام رسول كريم :
يعرض الحقائق فى ثقة وبساطة .. وعمق ..
ووضوح .

ولما لم يجد للتجريح ظلا فى الرسالة
النبوية سأل حاطبًا - رضى الله عنه - عن
السّر فى تنزهه ﷺ عما ألفه المقوقس فى
خطابات القمم .. لاسيما إذا اتجه الخطاب إلى
المخالف فى الدين .

وذلك قوله لحاطب - رضى الله عنه - : ما
منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من
خالفه وأخرجه من بلده !

ويجيبه حاطب - رضى الله عنه - قائلا :
ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله ؟
فما باله حين أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه
ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى
رفع الله إليه ؟ !

ووجد المقوقس نفسه مرة أخرى أمام سفير
فقيه .. أريب .. يعبر بمنطقه أصدق تعبير عن
صاحبه ﷺ .. فاكتملت فى ذهنه صورة
الكمال البشرى الذى بدا فى حكمة





الكاذبة الخاطئة .. بفضل داعية كان سلاحه القرآن .. الذى ينبغى أن نجتمع اليوم حول حقائقه .. متحدين .. لنفرض على الدنيا احترامنا بهذا القرآن الذى أدب الأمة فأحسن تأديبها .. كما قال أحد الباحثين:

«إن أدب القرآن هو أدب الحياة المناضلة بشرف. البناء بسمو. المكافحة بتفائل. المدافعة ببأس. المهاجمة بحق. المتعاملة بحب. المتعاونة بوفاء. المرحاة بوقار. المتنعمة باعتدال. العزيزة بتواضع. القوية برحمة. العاملة بقناعة. المترسسة بشورى. المرءوسة بيقظة. الحاكمة بحزم. المسالمة بحذر. المتحضرة بخلق. المتعبدة بعلم. الماشية على الأرض ونظرها فى السماء»^(٢).

وهذه خصائص الداعية المسلم متمثلة فى حاطب - رضى الله عنه - والذى أثمرت حكمته ثمرتها ثم توجت بمجموعة من الهدايا .. هدايا المقوقس تعبيرا ماديا عن إعجابه بالإسلام .. ورسوله ثم سفيره.

لقد عاد .. بالرسالة .. والهدايا .. بعد أن ترك على أرض مصر قبساً من نور النبوة مباركا.

وأسأل نفسى الآن:

ماذا لو كان كتاب الرسول ﷺ نذيرا مدمما؟

وماذا لو كان سفيره فظا غليظ القلب .. ثم رفض أن يأخذ ويعطى فى حوار مثمر هادف بحجة أن المقوقس طاغية لا يستأهل شرف الحوار مع داعية مسلم؟

أغلب الظن .. لو حدث هذا:

١- سوف يغلق الباب أمام شعب بأسره فيحرم من الإسلام.

٢- سوف يقتل السفير أو يطرد على الأقل .. ومن ورائه دعوة لم تجد من يحسن عرضها .. ولكن الحكمة فرضت نفسها .. فأتت أكلها .. فدخل شعب مصر فى دين الله أفواجا .. وتجلي البون الشاسع بين ظلم الرومان .. وعدل الإيمان على نحو ما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية

فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وما عجب هذا التفاوت بيننا

فكل إناء بالذى فيه ينضح

وباليت قومى يعلمون أنه بالكلمة الطيبة .. والموقف الحكيم .. قد نحقق للدعوة نصرا تسير بذكره الركبان ..

ولقد كان من رحمة الله - تعالى - بهذه الأمة أن بقيت هذه الروح سارية المفعول .. فنال الحكماء باللين أضعاف ما ينالونه بالغشم .

(٢) د. السباعي، علمتى الحياة «ص ١٩٠».





أَهْدِيكَ النِّحْيَةَ ضَارِعًا

لفضيلة الشيخ / محمد أحمد الطاهر الحامدي

ألقيت هذه القصيدة في ربيع الأول
سنة ١٣٧٩ هـ

تحتفل «مجلة الأزهر» بالتراث القريب، كما تحتفل بالتراث البعيد ومن خير ما تقدمه في مناسبة المولد النبوي هذه القصيدة الروحية التي تبرز الحب المتصل بين رسول الله ﷺ والصفوة من عارفيه، ولكل مقام مقال .

د . محمد رجب البيومي

وذخيرتي في الحشر عند لقائي
إن خفت أي كـريهة وبلاء
يا موئل الضعفاء والبؤساء
في الجود أكبر همة وعطاء
لم يعمل قدر الترب والخصباء
ما كان إلا مثل قطرة ماء
وقضيت كل حوائج الفقراء
بالرى حـافـلة بكل رواء
وهي الكفيلة وحدها بشفائي

أيصـيـبـني ضـيم وأنت رجائي
أرجوك في الدارين يا علم الهدى
يا ملجأ العاني وجابر كـسره
يا باذل المعروف من كف لها
لو قدر التبر النفيس بجودها
أو قيس ما تهب الملوك بفيضها
كف وسعت العالمين بها ندى
مالي بورد البحر وهي مليئة
وعلام التمس الشفاء بغيرها

هذا الشراب وهذه صهبائي
هذا مدار سعاداتي وهنائي
في العيش لا والله أي صفاء
لحمد بمحبة وولاء

ياساقى الصهباء خل شرابها
هذا الشراب العذب حب محمد
لولاه لم تطب الحياة ولم أجـد
لم أدر كيف يعيش من لم ينتسب

وسلوت كل رياضـه الغناء
أعيت بهن قـريحتي وذكائي

الشعر يامولاي كنت جفوته
وصرفت عنه خواطري لحوادث



لعطائك الممنوح للشـعـراء
وأعود للإنشاد والإنشاء
واجعله بدء جوائزى وعطائى

لكن أشواقى إليك وحاجتى
أوحت إلى بأن أعاود نظمـه
فأدم رضاك على ياخير الورى

هو فى الحقيقة رفعتى وسنائى
شرف الملوك وعزة الأمراء
مافاتنى من منصب وثناء
ومآلهـا لتـصـرم وفناء

إنى أمت إليك بالنسب الذى
نسب الطريق ولا أقيس بعـزه
إن صح لى هذا فليس بضائرى
ماقيمة الدنيا وقدر نعيمها

والحكماء والعلماء والأدباء
كلا ولا لك رفعة بشنائى
لنداك فى السراء والضراء
أو كنت ذا سقم فأنت دوائى

ياسيد العظماء والأمراء
والله ما بك حاجة لمدايحى
لكن أنا المحتاج ياغيث الورى
إن كنت ذا فقر فأنت لى الغنى

وألوذ عند القبـة الخـضراء
ميمون عطفك يا أبا الزهراء
من كثرة العثرات والأخطاء
شيئا يليق هناك غير بكائى
والله من كرم ومن إغضاء
وأست لواعج مهجتي الحراء
ويخيب قاصد سيد الكرماء

لما وفدت إليك التمس الرضا
وأويت للحرم الأمين وبغيـتى
ووقفت أهديك التحية ضارعا
وبكيت من ثقل الذنوب ولم أجـد
ألفيت عندك كل ماأملتـه
جبرت مواهبك العزيزة خاطرى
أيرد محسوب النبى سميـه

يازين أهل الخـضـرة العلياء
تدهو الخطوب أمائل الشفعاء

ياغيث كل العالمين وغوثهم
يافاتح باب الشفاعة عندما





وسما عن الأشباه والنظراء
بل فوقها فى رونق وبهاء
وتباشرت بك سائر الأحياء
ضاقَت برقعة أرضها الجدباء

بجبينك المتألق الرضاء
أهلاً بمقدم أسعد السعداء
ماحى الضلالة كاشف الغماء

وخفضت رأس الملة العوجاء
بالحكمة النبوية العصماء
قد كان قبلك واهى الأرجاء
وهديتهم لمسالك العقلاء
ضلوا الطريق لقلّة البصراء
بطش العداة ولا أذى الجهلاء
من قسوة وعداوة وجفاء
ضيما ولا يخشى من البأساء

شتى الخطوب كثيرة الأعباء
وسواعدى وقواى بالإعياء
وأنا الضعيف ممزق الأحشاء
لم ألق أى مشقة وعناء
أوفى الحظوظ وأوفر الآلاء
وأمدنى بعزيمة ومضاء

يا واحدا ساد البرية كلها
يا طالعا كالشمس غرة وجهه
سعدت بمولدك العوالم كلها
وأتى لمكة غيثها من بعد ما

أهلاً بمولدك السعيد ومرحبا
أهلاً بطلعة خير من وطئ الثرى
أهلاً بروح الكون سر وجوده

لما بعثت رفعت أعلام الهدى
قومت ميزان العقول وزنتها
وبنيت للتوحيد صرحا شامخا
كانت عقول الناس قبلك فى عمى
فأتيتهم بالحق أبلج واضحا
ودعوتهم لله لا متتهيبا
لم يثن همّتك العلية ما بهم
من كان يرعاه الإله فلا يرى

حملت يامولاي ثقل مهمة
ثقلت على جهدى ومست كاهلى
لم أدر كيف حملت ثقل مهمتى
لكن إذا وجهت لى نظر الرضا
من كان محمولا عليك فحظه
فاشدد بعطفك ما وهى من همتى



لَسْنَا إِرْهَابِيَّينَ

حَرِيَّةُ الْإِعْتِقَادِ فِي الْإِسْلَامِ

لِلْمُسْتَاذِ الْكَبِيرِ / عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُطْعَنِي

ومن الأسباب التي يستند خصوم الإسلام إليها الآن - ومن قبل - ليوهموا الناس أن الإسلام دين إرهابي دموي، متعطش للدماء، من هذه الأسباب اتهامهم الإسلام بأنه لا يسمح لعقيدة غير عقيدة الإسلام بالوجود، وأن طبيعته التوسعية تستهدف دخول كل الأمم والشعوب ولو بالقوة فيه؟ وهذا الذي يروجه خصوم الإسلام يبرأ منه الإسلام براءة الشمس من السواد. فلا القرآن، ولا الحديث النبوي، ولا السلوك الإسلامي التاريخي في صدر الإسلام الأول، والعصور التالية له - إلى الآن - لا شيء من هذه المصادر نجد فيها أثراً لهذه الدعوى، بل على عكس ما يدعون نجد حرية الاعتقاد في الإسلام، أحد خصائصه الكبرى التي عرف بها، وإن أنكر الحاقدون.

الْقُرْآنُ

فمن الآيات التي تقرر حرية الاعتقاد في القرآن . قوله تعالى :

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ (١).

وقوله تعالى :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢)

وقوله عز وجل :

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٣)

هذا هو الأصل الذي أرساه القرآن، كتاب الإسلام الأول.

ولا يقدح في هذا الأصل، مثل قوله تعالى :

(٣) الغاشية «٢١، ٢٢».

(٢) البقرة «٢٥٦».

(١) الكهف «٢٩».



﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ (٤)

لأن الجهاد أعم معنى من القتال، يكون بالحوار والجدل ومواجهة شبهاتهم بالحق المزيل لها. أما القتال فيكون بحمل السلاح، وهو لا يكون في الإسلام إلا لمواجهة قتال أو خطر فعلى.

وفى القرآن آيات أخرى تدعم إرساء هذا المبدأ، وهو حرية الاعتقاد في الإسلام.

السنة

عاش رسول الله ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة داعياً إلى الله - عز وجل - ولم يؤثر عنه أنه توعد أو هدد أحداً بالقتل إذا لم يؤمن بما جاء به، ولا الله أمره بهذا. بل حصر الله مهام دعوته في «البلاغ» الواضح، وكان مما قال الله له في هذا الشأن:

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٥).

وقال: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (٦).

أما سيرته ﷺ في هذا المجال، فحدث عنها ولا حرج.

وأول ما نشير إليه ما صنعه مع اليهود بعد الهجرة إلى المدينة، وكان الإسلام قد بلغهم، أنه لم يجبرهم على اعتناق الإسلام، وإنما عقد لهم عهداً بين ما فيه ما عليهم وما لهم، وجعلهم طائفة من طوائف المجتمع المدني الإسلامي.

وفى ظل هذا العهد منح الإسلام اليهود حرية البقاء على عقائدهم، وممارسة شعائرتهم الدينية في حرية واسعة النطاق.

ولم يؤثر أن أحداً من المسلمين تحرش بهم، أو ضيق عليهم باعتبارهم يهوداً تخالف عقائدهم عقائد الإسلام ولكن لما نقضوا العهد، وطعنوا في الإسلام، وتآمروا عليه، أجلاهم المسلمون عن المدينة، هذا باعتبارهم جماعات أصبحت مصدر خطر على حاضر الإسلام ومستقبله ولو كان الإسلام لا يسمح لوجود عقيدة غير عقيدة الإسلام أو يجبر غير المسلمين على اعتناق الإسلام، لكان له مع اليهود موقف آخر.

وكذلك صنع الإسلام في حياة صاحب الرسالة ﷺ مع نصارى تغلب ونجران، وهم كانوا من مواطني الجزيرة العربية، صالحهم وتركهم على عقيدتهم ومنح هؤلاء المخالفين لعقيدة الإسلام، الحرية التامة في ممارسة شعائرتهم الدينية وفق عقيدتهم. ولو كان الإسلام يضيق بمخالفه في العقيدة لكان له - كذلك - مع نصارى تغلب ونجران موقف آخر. وما صنعه ﷺ داخل حدود الجزيرة العربية مع اليهود والنصارى، صنعه خارجها، فكان لا يرغب أحداً على اعتناق الإسلام، ولكن إما أن يسلموا اختياراً، وإما أن يميلوا إلى التصالح، وإما أن يختاروا القتال وكانت هذه هي منهج الخلفاء الراشدين من بعده.

ولم يؤثر أن المسلمين في أى عصر من العصور أعلنوا الحرب على غيرهم لإجبارهم على الدخول في الإسلام. ومن يدعى شيئاً من ذلك فعليه الدليل.

(٦) فاطر «٢٣».

(٥) الرعد «٤٠».

(٤) التوبة «٧٣».





مكاتبات صاحب الرسالة

أعد قراءة الرسالة، وابحث بين سطورها، هل تجد فيها كلمة واحدة فيها تهديد أو وعيد للنجاشي وقومه بشن الحرب عليهم إن لم يدخلوا في الإسلام؟

قد يقول قائل: نعم. فيها ما يدل على التهديد وهى عبارة «أسلم تسلم» لأن معناها: إن لم تسلم لا تسلم. ونقول: هذه نصيحة لا تهديد. والمراد منها: السلامة فى الآخرة من الخلود فى النار، وليس معناها السلام من سيوف الإسلام فى الدنيا.

إن الرسالة لم ترتب على اقتناع النجاشى الدخول فى الإسلام أى عقوبة دنيوية عاجلة. بل قال له: «فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك» والإثم يعاقب الله عليه فى الآخرة. وليس من اختصاص أحد، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. رسولاً كان أو غير رسول.

ثم انظر إلى دقة التبليغ فى قوله: «فعليك إثم النصارى من قومك».

فالنصارى كانوا يفترشون مساحات واسعة من الأرض، والنجاشى ليس مسئولاً إلا عن النصارى المقيمين تحت رعايته، لا عن غيرهم من نصارى العالم.

فهذا هو الإسلام يُقرأ لكل ذى بصر بكل وضوح لن يظفر حاقد عليه أن يعثر على أدنى شبهة تدينه بالإرهاب أو الحجر على عقائد المخالفين لا فى مصادره التشريعية، ولا فى مواقفه التاريخية. فهو يرعى حرية الاعتقاد، وحرية الاعتقاد فيه ضوابط، هى موضوع الحلقة الآتية بإذن الله - تعالى -.

وبقى من السنة النبوية برهان قاطع على سماحة الإسلام، وإقراره الناس على عقائدهم - بعد البلاغ - وخلوه من جبر الناس بالقوة على اعتناق الإسلام ذلك البرهان يتمثل فى مكاتبات صاحب الرسالة ﷺ إلى ملوك الأمم ورؤساء الشعوب والعشائر فى أطراف شبه الجزيرة العربية وخارجها ونعرض أولاً نموذجاً من تلك المكاتبات، ثم نتبعه بتعقيب كاشف عما فيه من سمات سماحة الإسلام:

كتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى النجاشى عظيم الحبشة، وكان نص هذا الكتاب هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبى إلى النجاشى الأصحم عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله، فإنى أنا رسوله. فأسلم تسلم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٧).

فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك».

هذه الرسالة تنتهج نهج عشرات الرسائل النبوية التى بعث بها محمد ﷺ إلى قادة الطوائف التى كانت تدين بغير الإسلام فى ذلك الوقت، أو لا دين لها.



الإسلام وحقوق الإنسان

د. ساذ الدكتور / عبدالغفار حامد لعل

١

يعد الإنسان - في نظر الشريعة الإسلامية - خليفة الله في الأرض ينميها ويرقيها ويرتفع بها موازناً وموائماً بين الحياة المادية والحياة الروحية في ظل تقوى الله والقيم والمبادئ التي تحكم السلوك الإنساني.

فكل ما يحكم المجتمع في شتى المجالات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً يعود إلى منطق إسلامي، وتنظيم حياة الإنسان ونشاطه يقوم على هذا الأساس الذي يؤدي فيه كل فرد دوره فيعيش ويعمل وينتج في مقابل حصوله على الأمن والسلامة والعدالة والحرية المنضبطة التي لا تؤدي إلى الفوضى أو ضياع الحقوق.

«اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٢).

وإن ارتباطنا بالإسلام يثرى حياتنا المستقبلية ومعرفتنا بما جاء به تدحض إفك المبطلين.

إن دراسة حقائق التاريخ الإسلامي ونصوصه المقدسة تكشف بناء حقيقياً للحياة في مجالات السياسة والاجتماع والعلم والثقافة وارتباط ذلك كله بمبادئ الأخلاق ينبغي أن يكشف للجماهير في أنحاء العالم لمعرفة حقيقته الخيرة وأن تبدو صفحاتها البيضاء الناصعة للإخصائيين والباحثين العلميين والمثقفين.

والعقيدة الإسلامية تقى الإنسان والكون وما يجري فيه من الاضطراب حرصاً على سلامته وأمنه واستقراره في صورة جياشة بالحركة والطهر والنقاء والارتباط بالخالق - جل وعلا - الذي لا يغفل عن خلقه والذي هو مع الإنسان في كل لحظة من حياته أو سانحة من فكره أو عمل يقوم به :

﴿ مَا يَكُونُ ﴾

مِنْ تَجَوَّيْ نَلْتَنَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

(٢) أخرجه أحمد ١٣٢/٢.

(١) المجادلة (٧).



وبذلك يظهر نقاء جوهر الإسلام ورسالته فى إصلاح الحياة وتقدمها .

وحقوق الإنسان قد اهتمت بها المنظمات العالمية منذ نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات . واحترام هذه الحقوق وعدم انتهاكها أو مخالفتها، وذلك - فى الغالب - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وكان هذا نتيجة لما ذاقته الشعوب فى النصف الأول من هذا القرن من ويلات الحروب، وماحل بالدول والبلدان من آثار الحركات النازية والفاشية من قتل وتعذيب وتشريد .

وكانت نهاية الحرب العالمية أملاً فى أن يسود جو جديد من العدل والإنصاف وإحلال السلام والأمن فى العالم .

وإذا كان العالم قد اتجه هذا الاتجاه لتقنين بعض حقوق الإنسان وحراستها اتجاهاً مادياً بحثاً فإن الإسلام قد سبق هؤلاء باثنى عشر قرناً (إن نظرنا إلى بعض إعلانات سابقة لحقوق الإنسان قد ظهرت منذ أكثر من مائتى عام مثل إعلان حقوق الإنسان والمواطن الذى ظهر سنة ١٧٨٩م فى ٢٦ أغسطس) ولكن الواضح أن سبق الإسلام لما ظهر من وثائق لحقوق الإنسان بلغ مايقارب أربعة عشر قرناً .

وإن ما جاء به الإسلام من حفاظ على حقوق الإنسان جاء ممثلاً للتوازن بين الاتجاه المادى والاتجاه الروحى الإيمانى فإذا كانت حقوق الإنسان - فى الأعراف الدولية - مجرد حقوق مدنية فإنها فى الإسلام واجبات تكليفية يثاب المرء على تنفيذها ويؤاخذ على مخالفتها .

ولو رجعنا إلى الوثائق التى صدرت لرعاية حقوق الإنسان فى الغرب - فى أوربا وأمريكا - وقارات العالم والمعاهدات الدولية والمجالس التى تكونت لذلك ووازناً بين ما ظهر منها وما جاء به الإسلام لوجدنا ما يبهرننا من عظمة المبادئ الإسلامية وتكريم الإنسان فى الإسلام .

لقد جاء الإسلام فوجد الإنسان يعانى من الامتهان والمذلة فى دول كانت توصف بالحضارة والمدنية كالإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومية، وانعكست آثار ذلك على البيئات الأخرى فى الجزيرة العربية وماحولها .

فسفك الدماء والحروب الطاحنة تأكل الأخضر واليابس والعدوان على الأعراض والأموال والأولاد يتم دون وازع وكان يسود فيهم مبدأ (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وكما قال زهير :

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

كان القوى يسخر الضعيف ويستولى على مقدراته دون مقابل إلا من فتات العيش وكان يرزح تحت قهر الآخرين ولا يجد من يحميه .

وكان بالجزيرة العربية شئ من الرق الذى يجعل الأرقاء مستعبدين لسادتهم يتحملون شاق الأعمال من أجلهم ويذوقون ألوان العذاب كما أن أرباب الغنى يسومون الفقراء الخسف فهم يمثلون العمال الذين يكدون من أجل راحة الأغنياء، وكان بعض العرب يقتلون أولادهم خشية الفقر، ويثدنون البنات خشية العار .



لذا يعد من مفاخر حقوق الإنسان في الإسلام:

١- تكريم الإنسان وتحقيق المساواة بين بنى جنسه:

فقد جعل المولى - سبحانه - الإنسان خليفة في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ (٣)

وفضله على كثير من مخلوقاته فقال:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۖ﴾ (٤)

فأشار إلى تمييزه بمزايا العقل والتفكير وما ينشأ عن ذلك من السيطرة على مافى الأرض، وتسخيره لخدمته والتطور فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن إلى غير ذلك.

والإنسان الذى كرمه الله هو الإنسان مطلقاً لافرق بين جنس وآخر ولا بين أبيض وأسود ولا بين صاحب دين وغيره فالكل سواء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۖ﴾ (٥)

وهم يرجعون إلى أصل واحد، يقول الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۖ﴾ (٦)

والنفس الواحدة التى يرجع اليها كل بنى آدم هى آدم - عليه السلام.

وقد أشار الرسول ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع إلى هذا المبدأ الهام من تكريم بنى آدم ومساواتهم فى الحقوق والواجبات فلا تفاضل بالأحساب والأنساب - كما هى دعوى الجاهلية والطبقية - يقول ﷺ: «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم أشهد» (٧).

فالناس سواسية فى الإنسانية، حكاماً ومحكومين، وأغنياء وفقراء، وذوى حسب وغيرهم، وذوى مناصب وسواهم، والذى يعاملون على أساسه فى التفاضل هو العمل الصالح.

وقد مر عالمنا بما يسمى بنظام الرق كما حدث فى الدولة الرومانية التى قسمت الناس إلى أحرار وعبيد، وأخضعت من سمتهم العبيد لسلطة الأقوياء الذين يزعمون أنهم أحرار، وبعد ثورات العبيد ظهر نظام آخر هو

(٤) الإسراء (٧٠).

(٦) النساء (١).

(٣) البقرة (٣٠).

(٥) الحجرات (١٣).

(٧) أخرجه أحمد ٤١١/٥.





وظهر النظام الاشتراكي والماركسي تحت مسمى تحقيق العدل والمساواة والحرية لكن في الواقع أن شيئاً من ذلك لم يتحقق بل ضاعت حقوق الأفراد كالأرث وغيره .

ولذلك فنحن لسنا مع من يقول : (إن الإسلام جاء بأحسن مافى الرأسمالية وأحسن مافى الاشتراكية أو الشيوعية) .

٢- حق الحياة :

قدس الإسلام الحياة البشرية وعدها حقاً لايجوز العدوان عليه، فبناء على المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات ومنع سيطرة طبقة على أخرى أو إنسان على آخر لايجوز في الإسلام سلب حياة أحد، بغير حق وبناء على ذلك جاءت العقوبات الرادعة لمن تسول له نفسه العدوان على بنى الإنسان سواء كان بعيداً عنه أو قريباً .

فمن قتل إنساناً عمداً قتل قصاصاً :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾^(٨)

وعقوبة القصاص مؤدية إلى حفظ الحياة وإلى ردع المجرمين وتخويفهم من ممارسة عدوانهم على أرواح الآخرين :

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٩) .

كما وضع في حال القتل الخطأ روادع أخرى بتقدير الدية والكفارة :

نظام الإقطاع الذى يقسم الناس إلى أغنياء وفقراء، ويخدم الفقراء الأغنياء بالعمل فى إقطاعاتهم وصناعاتهم مقابل الزهيد من الرزق، وقد انتشر هذا النظام فى بقاع كثيرة من العالم .

لكن الإسلام أعلن تكريم الإنسان مطلقاً وحرر العبيد بطرق معروفة فى كتب الفقه الإسلامى منها الكفارات .

وقضى الإسلام على الإقطاع بنظام التوريث الذى يفتت الثروة ولايجمعها، وحرم الإسلام استغلال الإنسان للآخر أو تسخيريه دون مقابل .

ولما ظهر النظام الرأسمالى إثر احتكاك أوروبا والعرب المسلمين فى الحروب الصليبية (القرن الحادى عشر الميلادى) واستمر قرنين (من ٤٩٢هـ - ٦٩١هـ) نشطت على أساسه أوروبا بكثير من الصناعات والحرف على يد الطائفة البرجوازية فظهر فى النظام الرأسمالى (حق الإرث وحق التجارة والاستثمار للأفراد وإعطاء كل جهده وثمرته) وهذه الحقوق أقرها الإسلام لكنه لم يقر نظام الاحتكار الذى برر نتيجة هذا النظام وأدى - مع أسباب أخرى - إلى ظلم العمال وإلى أخطار نجمت عن تنافس أصحاب الأعمال بما أدى إلى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ م - ١٩٤٥ م .

(٨) البقرة (١٧٨).

(٩) البقرة (١٧٩).



﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ﴾
 ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
 أَوْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٤﴾.

وجاء كذلك قول الحق - تبارك وتعالى -
 عن قتل الأولاد:

﴿قُلْ﴾
 تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ
 شِئْتُمْ بِإِلَافٍ كَثِيرَةٍ لَّعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ
 الَّتِي مَلَئَتْكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي
 مَآظِلُهَا مِنْهَا وَآبَاءُكُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي
 حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾

وقد شرع الجهاد لرد الاعتداء على النفس
 والدين:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾
 وَلَا تَقْتُلُوا أُولَٰئِكَ لَئِيْضًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾
 وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفَنَاءُ
 أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقْتُلُوكُمْ
 فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ فَإِنْ أَنَّهُوَا
 فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
 الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُوَا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
 بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ فَصَاصٌ فَمَنْ أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
 عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
 الْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
 مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ
 أَهْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
 وَهُمْ مُّؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ
 مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِيهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ
 فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُّتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠﴾.

وبذلك قرر الإسلام القصاص في القتل
 العمد، والدية والكفارة في القتل الخطأ،
 وبين أن الكافر الذي تعاهد مع المسلمين
 يعامل في القتل الخطأ معاملة المسلم من
 الكفارة والدية.

وقد روى البخارى أن النبي ﷺ قال: «من
 قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» (١١).

كما نهى الإسلام عن قتل الأولاد خوفاً من
 الفقر ونعى باللائمة على من يئد البنات قال
 تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾
 وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ عَنْهُمْ خَطَاً كَبِيراً ﴿١٢﴾.

وقال - عن وأد البنات:

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿١٣﴾.

وقال:

(١١) البخارى ٢٤/٨.

(١٢) التكوين (٨، ٩).

(١٣) الانعام (١٥١).

(١٠) النساء (٩٢).

(١٢) الإسراء (٣١).

(١٤) النحل (٥٨، ٥٩).

(١٦) البقرة (١٩٠ : ١٩٤).



وقال سبحانه :

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(١٧)
﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١٨)

أنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم ومازعموا، وإنى موصيك بعشرة: لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرمًا، ولا تقطعين شجراً مثمرًا ولا نخلاً ولا تحرقها ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بقرة إلا لماكلة ولا تجبن ولا تغلل.

فمن له عهد لأبأس بصلته والبر به والرحمة، ونهى الإسلام عن قتاله وكانت قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر قد جاءت إليها بهدايا وهي مشركة فلم تقبلها فنزلت الآيتان .

وقد نهى ﷺ عن المثلة وقد مثل المشركون في غزوة أحد بسيد الشهداء حمزة ابن عبدالمطلب وحزن لذلك النبي ﷺ لكنه لم يقابل هذا بالمثل ونهى أن يترك الميت نهبا للوحوش والطيور بل تدفن كما دفنت جثث قتلى بدر في القليب وهو بئر جاف، ويهتم الإسلام بالأسرى فلا يجيعهم كما يفعل الأعداء، قال تعالى :

ومن حفاظ الإسلام على الأنفس ومظاهر العمران وقت الحرب ماورد من أحاديث يوصى فيها النبي ﷺ بالرفق وعدم قتال من لا يقاتل، كقوله ﷺ : « لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا امرأة ولا تغلوا ولا تغدروا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »^(١٨) وفيه : « ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الذرية »^(١٩) ويقول أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان الذى بعثه أميراً على الجيوش الذاهبة إلى الشام : « إنك ستجد قوماً زعموا

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(٢٠)
ونهى النبي ﷺ عن قتل الأسير بالتجويع والتعطيش كما نهى عن تعذيب المرضى محافظة على إنسانيتهم .

(يتبع)

(١٧) الدر المنثور ٢٠٥/١

(٢٠) الإنسان (٨).

(١٧) الممتحنة (٨، ٩).

(١٩) أخرجه أحمد ٣٥٨/٥



الإسلام يخاطب المستقبل

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

مستوى الحاجة إلى التبرير، فإنهم لا يثرثرون حول هذه القضية طويلاً، لأنها من التوهج بحيث تبدو بادية أو كالباهة!!

الإسلام يخاطب المستقبل: هذه قضية تؤكدها روايد عديدة: هو كذلك لأنه «فطرة إلهية».. وهو كذلك لأنه «روح ومادة».. وهو كذلك لأنه «ثابت ومتغيرات».. وهو كذلك لأنه «خاص وعام».. وهو كذلك لأنه «دنيا وآخرة».. بعبارة واحدة: هو كذلك لأنه «شمول»!!

هو «فطرة إلهية»: أى قانون ربانى، يضع الزمان والمكان ضمن مفرداته الهائلة، وما دام القانون والزمان والمكان جميعاً خلقاً من خلق الله، فلا يمكن أن يقع بينها صدام من أى لون، إلا إذا شوه الزمان وجهه فارتدّ إلى زمان ردىء بلا منطق وبلا فحوى.. أو شوه المكان وجهه فارتدّ إلى مباءةٍ للانحدار وتخريب كل ما هو جميل على الأرض.. فى هذه اللحظة فحسب، يمكن أن يقع صدام مروع بلا حدود بين ما هو زمان وما هو مكان من جهة، وبين الإسلام كقانون يفرض على الزمان والمكان شروطه النظيفة من جهة أخرى!!

١ إذا قلنا: إن الإسلام يخاطب المستقبل، فليس معنى ذلك أنه يهدر الماضى لأن هذا الماضى هو قاعدة انطلاقه الأولى، وليس معنى ذلك كذلك أنه يهدر الحاضر لأن هذا الحاضر هو جدلية الفعل التى يصير بها إلى المستقبل.. وإنما معناه أنه دين الماضى والحاضر والمستقبل، وأنه بهذه الوضعية الفذة قادر على مخاطبة كل الكون، ووضع الحلول لما يشكل على الإنسان فى الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد وكل مناشط الحياة.

٢ وقد لا يفكر المسلم طويلاً فى هذه الوضعية الإسلامية الفذة، ربما لأنه مطمئن إلى شمولية إسلامه بلا حدود.. ولكنه قد يجيب عن أسئلة حول طبيعة هذه المقولة، لأن من صميم رسالة المسلم أن يناقش مع الآخرين كل القضايا وكل المقولات، وأن يجيب عن كل أسئلتهم الحائرة أو المغامرة!!

وليس لقاء الإسلام بالمستقبل شيئاً غائماً إلا فى أدمغة الذين يفكرون بهوى الحضيض أو حضيض الهوى إذا شئنا أن نقول، أما الذين يعرفون للفكر قداسته، ويضعون الحقائق فوق مستوى الشك، أو فوق مستوى العبث، أو فوق

الوجودى أبعاده التاريخية.. ومن هنا كان المسلم الحقيقى إنساناً متعادلاً وقادراً على إعادة التعادل إلى كل ما يهتز من مناطق الحب والخير والجدوى فى حياة الوجود.. وبهذه المثابة «تعادلية الروح والمادة»، كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى يستطيع -بجسارة رائعة- أن يخاطب المستقبل، لأنه لا يدخل السباق بقدم واحدة، ولا يطير إلى غاياته بجناح باسل وجناح مهيب، وإنما يلبي حاجة الطبيعة البشرية إلى روافد المادة، ويفتح أمامها ما تراحب من فعاليات الروح.

هو مادة من حيث يحرس حرصه الكامل على أن يدفع المسلم فى اتجاه احتياز الوجود بأسره، وتسخير ما فى الأرض لطاقاته الفاعلة، والاستمتاع التنظيف بكل ما فى الكون من مباحج ولذائذ وجماليات.. وهو بذلك يتيح لإنسانه المسلم أن يكون على صداقة حميمة بكل ما يمنحه المستقبل من معطيات.

وهو روح من حيث يضع الجدوى فى قلب الحركة، والغاية فى قلب الوسيلة، والتعالى فى قلب المغالبة اليومية.. أى يضع الروح فى قلب المادة.. لأن الواقع التاريخى إذا انفرد بروح المباراة المادية تحطم عند أول صدام فى أول معركة، أما إذا أخلد فى قمة عنفوان الصدام إلى روح الملاينة فى المخاشنة، وإلى دفاء الحب فى قمة الصراع، وإلى صوت الرحمة فى طوفان الغلاب الوحشى.. فإن المردود النهائى سيكون تعقبلاً فاهماً لحركة الاندفاع، وضبطاً كابحاً لجنون النوازع الهابطة، وتسديدها إلى أعلى حتى لا تفقد عينها فى آبار الظلام!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه روح ومادة!!

على أننا لا نريد أن ننسى أن الإنسان هو المحور الواعى فى حركتى الزمان والمكان. ومادم ذلك كذلك فإن لجوء الإنسان إلى الإسلام يبدو حتمية وجودية بلا فكاك، لأن عرضية القوانين البشرية الحاكمة لا تتيح له أن يتأمل ذاته أو يتأمل الكون ولا تسلحه بإمكانات اليقين والقرار فى الأرض، ولا تعطيه هذا الحس الرسالى الذى يضعه فى إمامة القوى الحية الموجودة فى الوجود.. أما فى حمى الإسلام فإنه يتمدد حتى يصبح هو والآخريين، والآن والمأ بعد، والذات والموضوع.. أى يصبح جذر المعادلة الوجودية، وهذا فحوى خلافته لله فى الأرض.. أى أن وجود الإنسان فى الإسلام حركة طبيعية كبزوغ القمر أو فيضان الأنهار.. ووجود الإسلام فى قلب الإنسان حركة طبيعية كذلك، كولادة النهار من الليل، وولادة الليل من النهار!!

وإذن فتناغم الوجودين: الإنسانى والإسلامى، أى الكونى والعقدى، حتمية وجودية بادهة، إن اهتزت - من خلال العبث الإنسانى بحكمة القوانين آنأ- فهى صائرة إلى القرار واليقين بلا تخلف على الإطلاق.. وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه فطرة إلهية!!

والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «روح ومادة»، وهو يستجيب فى طبيعته لحركة الخلود من خلال هذه الوضعية الفذة، فإذا كانت الأديان الأخرى تميل إلى شاطئ وتهمل كل الشاطئ الآخر، فإن الإسلام يحفظ على المعادلة الوجودية اتزانها، ويعطى للروح آفاقها العالية، وللتحقق المادى

والإسلام يخاطب المستقبل لأنه « ثوابت ومتغيرات »: ثوابت تقف في التاريخ محوراً لحركة التاريخ، كالألوهية والنبوة والعقائد والفرائض.. ومتغيرات تدفع موج الزمن إلى مزيد من التجدد، وجدل الواقع إلى مزيد من الإبداع، وذلك في سائر منادح الحياة.. فرق واحد صميمي بين ثوابت الإسلام ومتغيراته من جهة وثوابت غيره ومتغيراته من جهة أخرى.. فالإسلام يحدد الثابت على أنه لا يقبل مجرد فرضية من فرضيات التغيير، ويحدد المتغير على أنه حركة تستلهم وجودها الصائر من قلب حركة الثابت.. بمعنى أن الألوهية في الإسلام - مثلاً - لا تقبل التغيير على الإطلاق، وأن الفكر السياسي والاجتماعي والفني والاقتصادي في الإسلام يستلهم الواقع الثبوتي الإسلامي الذي لا يقبل الاهتزاز، على الرغم من جريان ذلك الفكر بأنماطه المتعددة في مجرى التطور والاستحالة!!

وبهذه المثابة - حقائق الثبات وحقائق التغيير - كان الإسلام قادراً على مخاطبة المستقبل، لأنه من جهة لا يضيع المحور الثابت الذي يجذر وجوده في الوجود، ولأنه من جهة أخرى لا يرفض الجدل الحياتي الذي يستفيد بشروطه، ويفيد بشروطه كذلك..

وحين يضع الإسلام « الثابت » في مواجهة « المتغير » يعصم المتغير من سلوك الدروب

المشبوهة النازلة، لأنه يعدل من حركة اندفاعه على ضوء هذا الثابت بلا ملال، ويأخذ من تجارب الحيد عن هذا الاتجاه، وتجارب الالتزام بهذا الاتجاه ما يؤكد - في المستقبل - خطواته على طريق الحب والفحوى والاعتصام بالأنقى وينأى بها عن مزلق الحقد والعبث والتهاتر المريض!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه ثوابت ومتغيرات!!

والإسلام يخاطب المستقبل لأنه « خاص وعام »: خاص لأنه علاقة حميمة بين الإنسان المسلم واللّه، وعام لأنه لا يغلق نافذة تطل على أية أرض وأى إنسان، فقط يريد الإسلام أن ينشر جناحيه على أرض نظيفة، وأن يضع يده في يد إنسان ملتزم يرفض أن يدمر في داخله ممالك التفكير السديد!!

إن الأرض التي تحمي وثنا يعبد، أو خرافة تشيع، أو طبقيّة تتأله، لا يتعامل معها الإسلام ولا يرضى أن يتعامل معها إلا بالمنطق الذي يكسر فيها شهوة العناد والإلحاد!! والإنسان الذي ينحني لبشر، أو يتعبد لمادة، أو يجن أمام فكر، لا يتعامل معه الإسلام ولا يرضى أن يتعامل معه إلا بالمنطق الذي يهزم فيه خواءه وانحناءه!!

من هنا كان الإسلام تكويناً خصوصياً يفضي إلى تكوينات عمومية، وهو يحرص في حركته دائماً على تحقيق هذين الجناحين

—حين يتأملون— واقعاً واقعاً، وواقعاً محتملاً، فيزرع تصور المحتمل فيهم نزوعهم إلى المستقبل، وشوقهم إلى التجاوز، وتطلعهم إلى الجراءة على المجهول!! وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه دنيا وآخرة!!

والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «شمول»: أى لأنه يتحدد فى مسئوليته عن كل الكون وكل



الحياة، حتى عن الجانحين عن سوائه، حتى عن المعاندين لمنطقه، حتى عن الذين يرفعون فى وجهه كل خناجر الحقد الأسود.. ولو أن الإسلام كان دعوة عرقية لتعصب للون ضد كل الألوان، ولو كان دعوة إقليمية لأغلق حدوده على أتباعه ودون كل البشر، ولو كان دعوة راعشة لتوقى أن يطرح نفسه على كل فكر العالم القديم والحديث والآتى.. ولكنه شىء مختلف تماماً.. لأنه فطرة إلهية، ولأنه روح ومادة، ولأنه ثوابت ومتغيرات، ولأنه خاص وعام، ولأنه دنيا وآخرة ولأنه شمول.. وكل هذه المحاور التى تشكل بعض جوهر الإسلام تؤكد له شموليته، وعجز أى من الماضى وحده أو الحاضر وحده، أو المستقبل وحده أن يكون إطاره الوحيد.. وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل.. كما يخاطب الماضى والحاضر.. من خلال هذه المسلمات!!

فى المعادلة الواحدة، فلا الخصوصية تعزل نفسها عما يتغياها الإسلام من طموح إلى الأشمل ولا العمومية تعزل نفسها عما يحتفظ به الإسلام لنفسه من خصوصية بلا نظائر، إنه هنا يرنو إلى توازن حقيقى بين ما هو خاص وما هو عام بلا تفريط هنا وبلا إفراط هناك وهذا يؤكد بداهة أن الإسلام يخاطب المستقبل لأنه خاص وعام!!



والإسلام يخاطب المستقبل لأنه «دنيا وآخرة»: دنيا تمتلىء بالفاعلية والحركة وتجاوب الأشياء والأحياء، وآخرة تعطى للمجال آماداً أوسع، وللطموح مشروعية أنظف، وللכל أن يعمل اليوم فى رقابة الغد، وأن يحصد غداً ما يزرع الآن.. وبهذه المثابة كان الإسلام أرحب وعياً للظاهرة الوجودية وللظاهرة الإنسانية على السواء، لأنه لم يحصر الواقع كله فى مجرد حياة دنيا آفلة، وإنما أدخل فى المعادلة — بقانون عادل تماماً وحكيم تماماً— حياة أخرى أوسع وأرحب، فإذا بالبشر يتعاملون بمنطق من سيمتاز غداً إذا أدركه الآن فوت، ومن سيثاب فى الآخرة إذا حقق فى الدنيا فعلاً يضىء على طريق البشر شمعات!!

أن يدخل الإسلام الآخرة —هكذا— فى المعادلة، هذا معناه أن لا يقتتل البشر على الدنيا حتى الدمار، وأن يتجاوزوا محدودية الآن ليمدوا طموحهم للما بعد، وأن يتأملوا



فلسفة العقوبات في التشريع الإسلامي

د. أستاذ الدكتور / عبد الحليم مهنى

يمكن الإلمام بأهم ما يتعلق بالعقوبات في الإسلام كما يلي:
النوع: من حيث النوع العقوبات في الإسلام على ثلاثة أنواع:
أولاً: القصاص، وهو العقوبة المحددة للجناية على الغير، في النفس أو في أحد الأعضاء.
ثانياً: الحدود، وهي عقوبات محددة لجرائم معينة، هي: الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر والإفساد في الأرض.
ثالثاً: التعزير، وهو عقوبة يفوض الحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء في تقديرها على من يرتكب جرماً لا يدخل في نطاق القصاص أو الحدود، فيقدرها بما يحقق الغرض من العقاب، سواء بالسجن أو الضرب أو اللوم أو الغرم المالى أو غير ذلك.
وقوانين العقوبات المعمول بها حالياً والتي تتعلق بكل ما ليس من باب القصاص أو الحدود تعد من قبيل التعزير.

الحقوق

من حيث ملكية الحق في العقاب تنقسم العقوبات في الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم هو حق لله - تعالى -، بمعنى أن الله هو صاحب الحق في العقاب، ويترتب على ذلك أنه لا يملك أحد العفو عن الجاني إذا ثبتت عليه الجناية في هذا النوع، وهي خمسة حدود: حد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد شرب الخمر، وحد الإفساد في الأرض الذى يسمى - أيضاً - حد الحراة، وحد قطع الطريق، وفي كل حال فالتسمية في هذا

الحد مأخوذة من صفة الجريمة، فقد وصفها القرآن بأنها إفساد في الأرض، وبأنها محاربة لله ورسوله، ومن الناحية الواقعية هي قطع الطريق، وهذا الحد عقوبته واجبة، ولكن تحديدها متروك للحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء، لأن جرائم قطع الطريق مختلفة، فقد تتضمن القتل أو السرقة أو الاغتصاب، أو الترويع، فالعقاب متروك للحاكم يقدره حسب نوع الجريمة، وحسب الوسيلة التي يراها أجدى في تحقيق الأمن للمجتمع، ولكون الحاكم مفوضاً في هذا النوع فإن بعض فقهاء الإسلام يعدونه من التعزير وليس من

الحدود، بينما الفقهاء الذين يعدونه من الحدود ينظرون إلى مبدأ العقاب فيه حيث هو واجب ولايجوز العفو فيه إذا ثبتت الجريمة، والتفويض منصب على نوع العقوبة، وليس على مبدأ العقاب .

والأمر المهم هنا هو أن هذه الحدود كلها حق لله لأن الجناية فيها تتجاوز المساس بحقوق الأفراد إلى المساس بأمن المجتمع كله سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ففيما يتعلق بالزنا لو تصورنا مثلاً شخصاً يقف في ناصية شارع ليتحرش بالنساء ويغريهن بالفساد، فجنايته على اللاتي يتحرش بهن وعلى أهلهن جناية مباشرة، ولكنه يجنى على أهل الشارع جميعاً جناية غير مباشرة حيث يخافون جميعاً على نساءهم وبناتهم، وفي حال السرقة لو تصورنا لصاً في حي من الأحياء، فإذا سطا هذا اللص على بيت فإنه يكون قد جنى على أهل البيت جناية مباشرة، ولكنه يجنى على أهل الحي أو البلدة جميعاً حيث يتوجس كل منهم خيفة على بيته من السرقة فتكون جناية اللص على أهل الحي أو البلدة جناية غير مباشرة، وفي حالة شرب الخمر، فإن الشارب يجنى على عقله وعلى نفسه بالسكر وبالأضرار الصحية جناية مباشرة، والنفس بكل مكوناتها ملك لله وليس لصاحبها، وفي حال السكر فإن السكران وهو في غير وعيه قد يجنى على غيره في العرض أو المال فتكون جناية مباشرة على المجنى عليهم، كما أن كل المحيطين بالسكران لا يتحقق لهم أو لهن الأمن على العرض أو المال فتكون الجناية حينئذ غير مباشرة، وكذلك القذف، فهو اتهام بالزنا، وهو جناية مباشرة على المتهم أو المتهم بالزنا وعليهما معا إن وضحهما الاتهام، ويترتب على هذا الاتهام التشكيك في نظافة عرض المتهمه وشريكها، فضلاً عن التشكيك في النسب، وهو أيضاً جناية غير مباشرة

على المجتمع المحيط بمن وجه إليهم الاتهام نتيجة صلتهم بمن وجه إليهم القذف، وأيضاً خوفهم أن يلحقهم أو يوجه إلى أعراسهم قذف حين يشيع القذف في المجتمع، والوضع في حالة قطع الطريق أوضح، فهو جناية مباشرة على من قطعت عليه الطريق، وجناية غير مباشرة على المجتمع من حيث فقدانه أمن الطريق وهنا موضع التأمل في حكمة التشريع الإسلامي في جعله جرائم الحدود حقاً لله لا يملك أحد حتى المجنى عليهم أو الحاكم العفو عن الجاني، لأن الجناية حينئذ لو كانت مقصورة على المجنى عليه لا تلحق أو لا تهدد غيره لكانت الجناية حقاً شخصياً (مدنياً) يملك المجنى عليه أو نائبه العفو عن الجاني، ولكن كل جنایات الحدود كما رأينا في أمثلتها تصيب بطريق غير مباشر أمن المجتمع المحيط بالجاني والمجنى عليه على نفسه أو عرضه أو ماله، لذلك كانت العقوبة فيها حقاً لله لا يملك أحد العفو فيها، ولم يكن القانون الوضعي مخطئاً في تعليل عدم جواز العفو في عقوبة الجنایات بأنها حق المجتمع، وإن كان التطبيق أى تحديد العقاب جائراً عن التشريع الإسلامي جوراً شديداً .

٢ - والقسم الثاني من العقوبات هو القصاص، وهو حق للناس، فالمجنى عليه في القصاص هو صاحب الحق في تنفيذ العقوبة أو العفو عن الجاني، وذلك في الجناية على الأعضاء، فإذا قطع أحد يد شخص آخر فالمجنى عليه هو صاحب الحق، أما في الجناية على النفس بالقتل فإن الحق ينتقل إلى الورثة فيصبحون هم أصحاب الحق في تنفيذ العقوبة أو العفو عن الجاني، ويتم ذلك كله عن طريق الحاكم أو نائبه وهو القضاء .

والنوع الأول وهو جرائم الحدود يقابله في التشريعات الوضعية القانون الجنائي الذي يكون

أهداف العقوبات

لا خلاف حول أن العقوبة جزاء عن جرم ارتكب، فليس هناك خلاف من الناحية التشريعية، ولكن يوجد خلاف بين بعض الفقهاء حول فلسفة العقوبات أو حول فهمهم للحكمة فيها، فيما يعرف بتعبير: هل العقوبات زواجر أم جوابر؟ بمعنى أن بعضهم يرى أن الهدف من العقاب هو زجر الآخرين حتى لا يحاول أحد تكرار هذه الجريمة، فحينما يرى العقاب منصبا على المجرم يرتدع ولا يقدم على الجريمة، وبعضهم يرى أن الهدف من العقاب هو إنزال الجزاء بالمجرم فيكون هذا تكفيرا للذنب الذي ارتكبه بمزاولة الجريمة، فالعقوبة حينئذ تجبر الخلل الذي أحدثه ارتكاب الجريمة في تدين مرتكبها، فيصبح بعد العقوبة طاهرا من هذا الذنب.

وفى القرآن الكريم ما يشير إلى الاتجاهين، فأحيانا يشير إلى الزجر كقوله -تعالى- في سياق عقاب الزانيين:

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فهذا أمر صريح بأن تكون العقوبة علنية في جمع من الناس لتكون زجرا لكل من تسول له نفسه مزاولة هذه الجريمة، وأحيانا يشير القرآن إلى أن العقوبة مجازاة للجاني حيث يقول سبحانه:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾^(٢).

العقاب فيه حقا للمجتمع فلا يملك أحد العفو فيه حين تثبت الجناية.

أما النوع الثاني وهو القصاص فيقابل في التشريعات الوضعية القانون المدني الذي يعالج الحقوق المدنية التي تتميز بأن صاحب الحق فيها يملك تنفيذ العقوبة كما يملك العفو عن الجاني أو الخصم كما في حالة الدائن والمدين.

والفرق كبير بين نوعية هذا الحق في التشريع الإسلامي والتشريعات الوضعية الحديثة، فالحقوق المدنية في التشريعات الوضعية تدور حول الحقوق المادية والأدبية، أما في التشريع الإسلامي فيضاف إلى ذلك التعدي على النفس وعلى الأطراف والأعضاء التي يعبر عنها بجرائم القتل وجرائم العاهات.

وسنرى أن للإسلام حكمة اجتماعية شديدة الأهمية في جعله القصاص حقا مدنيا.

٣ - القسم الثالث من العقوبات في التشريع الإسلامي التعزير، وهو حق للحاكم أو من ينوب عنه فيما يتعلق بالعقوبات وهو القضاء باعتباره مسئولاً عن تنظيم الحياة الاجتماعية وحمايتها وإصلاحها، ومعنى ذلك أن عقوبات هذا القسم في حقيقتها حق للمجتمع، والحاكم نائب عنه.

فإذا كانت الجريمة أو المخالفة لا تدخل في نطاق أحد القسمين السابقين فعقوبتها تسمى تعزيرا، وهي حينئذ غير محددة، لأنها لو كانت محددة لكانت ضمن أحد القسمين السابقين الحدود والقصاص، فالحاكم أو من ينوب عنه هو الذي يملك تحديدها، ويملك تنفيذها أو العفو عنها حسبما تقتضيه المصلحة العامة، ويتحقق به الهدف من العقوبة.

(٢) سورة المائدة (٣٨).

(١) سورة النور (٢).



وحيث نال جزاء جريمته يسقط عنه ذنب هذه الجريمة.

فالخلاف ليس حول كون العقاب جزاء على الجريمة، وإنما حول مسألة الزجر عن تكرار الجريمة أو التكفير عن ذنبها، ولكن عند إلقاء نظرة على روح التشريع الإسلامى كله فيما يتعلق بالعقاب نجد القصد الأوضح دائماً هو الزجر عن مزاولة الجريمة تحقيقاً لصلاح المجتمع الذى هو هدف كل الشرائع السماوية، الذى انصبت عليه كل جهود الأنبياء والمرسلين والمصلحين فى تاريخ البشرية وذلك لما يأتى:

١ - تكفير الذنوب عند الله طريقه دائماً هو التوبة إلى الله وليس العقاب، فحينما يشعر المجرم بالندم ويتوب إلى الله فيما بينه وبين نفسه فهذا سبيل الغفران عند الله بينما لو تصورنا مجرماً يصير فيما بينه وبين نفسه على تكرار مزاولة الجريمة فمهما نزل به من عقاب فلا يتصور أن يكون العقاب تكفيراً لذنبه وهو مصر على معاودته.

٢ - من الملاحظ بوضوح أن التشريع الإسلامى لا يصير على تنفيذ العقوبة إلا بوصفها آخر الحلول، بل نراه دائماً يلتمس الوسائل لتفادى تنفيذ العقوبة، ففى كل جرائم الحدود نجد الحديث النبوى (ادرأوا الحدود بالشبهات) فمع ارتكاب الجريمة التى توجب الحد ومع تحقق وقوعها إلا أنه إذا وجدت أية شبهة يستفيد الجانى فى موقفه فإن التشريع يترك جانب ثبوت الجريمة مع أنه أقوى، ويميل إلى جانب الشبهة مع أنه أضعف، فتسقط العقوبة، كالسارق الذى تثبت عليه السرقة ولكن توجد شبهة مع أنه سرق بسبب الجوع أو

الحاجة الضرورية الملحة، فتسقط عقوبة الحد، وكذلك فى عقوبة القصاص، فمع ثبوت الجريمة على الجانى إلا أن التشريع دائماً يدعو إلى العفو عنه، بل يجعل الترغيب فى العفو أول ما يعرض على المجنى عليه، وكذلك فى حد المفسدين فى الأرض كقطاع الطرق نجد التشريع الإسلامى يحدد صنوفاً رادعة عفيفة من العقاب، ولكنه يلغى كل هذه العقوبات مهما تعظم الجرائم إذا جاءوا تائبين من تلقاء أنفسهم قبل أن يقعوا فى قبضة السلطة، ففى القرآن:

﴿ إِنَّمَا

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ ۝

ومن أمثلة الدعوة إلى العفو عن الجانى فى القصاص قوله - تعالى -:

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۝ (٤) .

وأمثلة إلغاء عقوبة الحدود لوجود الشبهة كثيرة تنفيذاً للحديث الشريف المشار إليه (ادرأوا الحدود بالشبهات) ومن ذلك أن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- عطل حد السرقة فى العام الذى حدث فيه المجاعة فى المدينة فى خلافته، وقد أقر الصحابة والمسلمون هذا الحكم فأصبح إجماعاً.

(٤) سورة الشورى (٤٠).

(٣) سورة المائدة (٣٣، ٣٤).





دَعْوَةٌ إِلَى الْعَرَبِ^(١)

لِلرُّسُلِ كَالنَّجْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٢)

علت صيحة كالرعد دوى هزيمها	تحمى صداها واتقاه غريمها
ألت ، بأسماع الطغاة فزلزلت	وحز قلوب المؤمنين أليمها
هفت من فلسطين إلينا فنبهت	نياما قلاها كهفها ورقيمها
وسالت لها منا حقود قديمة	على الغاصب الباغي يجيش كظيمها
لقد جحد الباغي فلسطين حقها	وأسرف فى جور عليها ظلومها
لها الله من مهضومة غيل أمنها	و حال عذاباً خفضها ونعيمها
تقاعس عنها حين ضيمت وليها	وأسلمها للحادثات حميمها
وكان لها فى العرب لولا جمودهم	حسام إذا ما اهتز ربع خصيمها
بنى يعرب تدعوفها لأجبتهم	سليبة حق أثختها كلومها
أبوتكم ترنو لكم من قـبورها	وتدعوكم أنجادها وقرومها
هم جاهدوا فى الله حتى توطدت	ديارهم أمناً وقـرت تخومها
مضوا فى الدنا شرقاً فأسلم فرسها	وساروا بها غرباً فأسلم رومها

(١) نظمت ونشرت فى الأهرام سنة ١٩٤٧ قبل استيلاء الصهيونيين على الجزء الأعظم من فلسطين: وقد مضى قرابة ستين عاماً، والحال ينتقل من سىء إلى أسوأ، ولم يتغير شىء غير أن أمريكا حلت محل إنجلترا، والله الأمر من قبل ومن بعد.

(٢) شاعر عربى كبير تولى رئاسة تحرير «مجلة الهلال» حقبة طويلة والقصيدة من ديوان (أنداء محترقة).



لهم ذكريات يعبق المسك إن سرت
فسيروا على هدى الجدود فإنهم
دعتكم فلسطين وقد ضاق سجنها
وحلت بها من وعد بلفور ظلمة
مرابعها الفيح الضواحك أصبحت
حدائقها نهب الذبول زهورها
تبكى الغصون الذوايات طيورها
فأضحت وقد كانت مناظر جنة

ويذهب بالألباب سكرًا شميمها
سماوات حق لا تغيب نجومها
وزاد أساها قيدها وشكيمها
من الليل يعمى المبصرين بهيمها
يؤثر نيران الشجون وجومها
وأشجارها نهب الرياح هشيمها
ويرثى لورود الذابلات نسيمها
تهيج دموع الأوفياء رسومها

بنى يعرب حان التأهب فاشحدوا
وكونوا كما كان الألى أنحبوكم
إذا اتسع إليهم العظيم حملنه
فلسطين باب البيت روع أمنها
قرابتنا الأدنون يستصرخونكم
سراعاً بنى العرب الجحاح إنها
ومما الموت سم في الشفاء وإنما
فلا توجلوا من مودة ليس بعدها
بكم غدرت إنكلترا فترقبوا
وثقتم بها حتى تبلج نضرها

عزائمكم حتى يصح سقيمها
نفوساً كباراً واسعات همومها
وقمن به حتى تضيق جسومها
وديس - وأنتم تنظرون - حريمها
فبئست عيون ليس يصحو نؤومها
حياة هوان ما يطاق جحيمها
أراها حياة لا تطيب سمومها
سوى جنة فيحاء طاب نعيمها
بقية غدر سوف تهيم غيومها
ونيل لها بعد الشمس صرومها





بها خدع الشرق الغرير وغره
وكان تبيع الكاذبين فهل رأى
فيا أسفا للعرب كيف تبدلت
غدت في الدنا ذيلا وكان من الدنا
أقاويل إفك قالهن زعيمها
مواثيقهم تبلى ويفنى رميمها
عزائمها ضعفاً وجهلاً علومها
بمنزلة الرأس الكبير قديمها

فلسطين ما غير الجهاد مطية
وليس سوى الأرواح بعد وسيلة
فلا تعدلى عنها إلى الخطة التى
ولا تطلبى بالقول حقاً مضيعاً
لقد سفرت إنكلترا وحليفها
وخلفهم الشذاذ من كل بقعة
رنت لسماء القدس منهم طماعة
إذا عرجوا فيها ونحن حماتها
ونحن أناس يشهد السيف أننا
لنا فى الأمور المدلهمات فطنة
وما كان فتح الإنكليز سوى الردى
وجندهم كانت لدينا ولم تنزل
لنا أنفس بالناس جد رحيمة
سنقسو ذياداً عن حقوق بلادنا
ليعلم جزار الشعوب بأننا
إلى الجدد يفضى وخدها ورسيمها
يبلغك الحق الهضم قويمها
عواقبها ما إن يطاق وخيمها
فبالسيف يسمو للعلو من يرومها
بأوجه مئين كالجليد أديمها
نفت لؤمهم حتى استراح كريمها
نواظر يقذى الناظرين دميمها
وكانوا شياطيناً فنحن رجومها
به حين تعوج الأمور نقيمها
وطول أناة لا يخيب حكيمها
وإن زعموه نعمة نستديمها
أمارات شؤم لا يسر قدومها
وتقسو إذا ما ضيم يوما رحيمها
وننشدها حتى يرد هضمها
ضراغم غاب لا تلذ لحومها



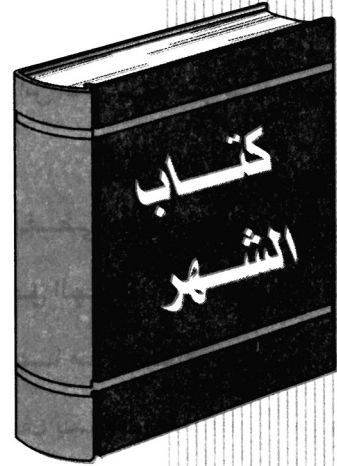


حوار حول رواية

وليمة لأعشاب البحر

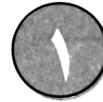
للدكتور

السيد أحمد فرج



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



فى دعوته تلك كثير من التلاميذ الذين تكاثروا وتشعبوا فرقاً، بين ملتزمين بالقيم الإسلامية، ومبالغين فى التطبيق. بيد إنها ظلت حرية تدور فى المحور الإسلامى، ولا تخرج عن إطاره العام.. إلى أن نهضت طائفة من أبناء الأمة أتيح لهم أن يتصلوا بالحياة الأوروبية، وقارنوا بين ما رأوه وما عليه الحال فى داخل البلاد الإسلامية تحت ظلال الحكم القائم على الظلم والعسف والجور تحت مظلة الإسلام، فامتدحوا ما رأوا هناك، وبالع بضعهم فى الإعجاب بما رأى حتى بلغ درجة الافتتان. فلم يروا الحرية هناك فى أعماقها وشتى أبعادها، وإنما وقفت رؤيتهم عند حدود السطح الزاهر المشرق الجذاب، فقاموا يدعون إليها متوسلين بتصوير الواقع الفرنسى خصوصاً الباريسى، وما عليه الناس هناك فى سلوكهم الشخصى، والاجتماعى... إلخ، كما صنع الشيخ رفاعة الطهطاوى، وخير الدين التونسي. ومن هنا نشب الخلاف، وتولدت القضية فى العصر الحديث. ولم يكن الخلاف فى هذه القضية حول التسليم بحرية الأديب فى تعبيره وعدم التسليم بذلك فحسب، بل امتد الخلاف ليدور حول مدى هذه الحرية ونوعها، وهل هى حرية مطلقة أم مقيدة، ونوع هذه القيود، ومصدرها... إلخ.

والتأمل المنصف يرى أن ذلك الخلاف لم يكن خلافاً عصبياً، فقد عرف المجتمع الإسلامى هذا الخلاف منذ القرن الأول الهجرى. بيد إنه - فى الغالب - لم يخرج على الإطار الإسلامى العام، وكل ما هنالك أن بعض الاتجاهات تحد من تلك الحرية فى داخل الإطار الإسلامى، وبعضها الآخر يطلقها

لم تكن رواية (وليمة لأعشاب البحر) أول الأعمال الإبداعية التى اشتجرت حولها الآراء، واحتدمت بسببها المناقشات ولن تكون آخرها؛ فالكيان البشرى مفطور على الاختلاف الناشئ عن اختلاف المشارب، وتباين الرؤى والآراء، وتعارض الأفكار، وتقابل العواطف والميول والرغبات:

﴿وَمَا كَانَ

النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١)

فالفصل الحاسم بين المختلفين مرجأ إلى يوم القيامة، حتى يؤتى الاختلاف ثمرته، ويتحقق منه ما أراده فاطر الخلق - سبحانه وتعالى - من إظهار الحق، ودحض الباطل، حتى لا ينتشر الفساد.

﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو

فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

حرية الأديب وأبعاد الاختلاف فيها

ولقد كانت الحرية من أبرز قضايا العصر التى ثار حولها الخلاف، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن أثارها فى أوائل هذا العصر حين دعا إلى طرح ما أدخل على الأمة فى إسلامها من البدع التى لا تمت إلى الإسلام بأى صلة، ونبذ كل ما فرضته المصالح الشخصية لبعض الحكام من أخلاقيات وقيم، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح فى عهد ازدهار الإسلامى الخالص، وتابع ابن عبد الوهاب



حملته رموزه من معان وإحياءات مشحونة بالقوى الانفعالية والشعورية المتدفقة من ذات الأديب المبدع.

فارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط القائم على التلازم يجعل من الأدب وشيجة قبرى تعرف الإنسان بأخيه الإنسان، وتفتح أمامه مغاليق الحياة، وتهديه السبل فى شعاب الحياة ودروبها؛ فتتوطد الصلات بين الإنسان والكون من جهة، وتتوثق الروابط بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى، فلا مكان للعبثية فى الإبداع، ولا يصح أن يخلو إبداع من مقصد إنسانى يسهم فى الترقى بالإنسان.

وارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط - فى إبداعه وفى تلقيه - يفرض على الإنسان أن لا يخرج عن حدود المنعم عليه تجاه المنعم؛ فلا يصح من الإنسان الأديب أن يركبه الغرور، أو يستبد به تعالى، أو يسيطر عليه التكبر، أو يقوده الانخداع ويغفل عن قيمة النعمة التى منحه المنعم إياها، فيهمل حفظها ورعايتها، أو يغفل عن دور تلك النعمة ورسالتها، والإفادة منها.

وارتباط الأدب بالإنسان هذا الارتباط - مبدعا ومتلقيا - هو الذى فرض على المبدع أن يراعى مقتضى الحال، وأن يجعل من الفطرة الإنسانية السليمة إطارا يحدد مسار الأدب ونشاطه من جهة، وميزانا يقوّم النتاج الأدبى ويهذبه، ويلزمه بضوابط الحق والجمال والخير من جهة أخرى، حتى لا يتفلسف من عناصر الكيان الإنسانى الثلاثة: المعرفة، والوجدان، والسلوك.

إلى غير ذلك من الارتباطات التى تقرر أن الأدب يخدم الإنسان، وليس العكس، وأن على

مادامت مقيدة بالإطار العام على نحو ما يراه الدارس فى تاريخ الفرق الإسلامية وفكرها.

وهكذا.. نقل إلى الإسلامية العربية صورة من الصراع المحتدم بين الأوروبيين حول حرية الأديب وعدم حريته لتجد فريقاً ثالثاً يتمسك بالحرية الإسلامية، ويدعو إليها، ويدافع عنها.

وفى زحمة هذا الخلاف والصراع تشعبت الآراء، وتعددت الاتجاهات، مع أن الجميع يكادون يلتقون عند نقطة واحدة، ولو أنهم لتحديد المفاهيم، إذن لما وجدوا خلافاً، ولما كان هناك صراع فى هذا الميدان، ولكنه عنف التعصب المثير.

فالذى يعرف أن الأدب نشاط إنسانى - بكل أبعاد هذا النشاط - يدرك أنه لا قيمة للتعبير الكلامى بدون مبدع يقصد أن يعبر بإبداعه عن أحاسيس الإنسان ومشاعره نحو أحداث الحياة، وظواهر الكون ليتفاعل معها، ويعايشها، ويدرك ما تكنه من أسرار، ويسعى لاكتناه ما قد تخفيه عليه من تلك الأسرار.

ويدرك أنه لا قيمة لهذا التعبير إذا لم يكن ثمة إنسان يتلقاه، ويتمثل معاناة مبدعه، ويتلمس مقاصده، ويجد فيه ذاته، أو يتعرف من خلاله على ما يجهل من أسرار الحياة، ودقائق الخلجات النفسية.

فالإنسان - أولاً وأخيراً - هو مصدر الأدب ومحوره، وهو مستودعه ومتلقاه؛ بمعنى: أنه المتأثر الذى ينطلق لسانه أو قلمه بالتعبير عما يضطرب فى داخله من الانفعالات، سواء كان الإنسان هو موضوع الأدب أم غير الإنسان.

والإنسان - كذلك - هو غاية الأدب ومتلقاه، ومتوجّهه ومنتهاه الذى ينتهى إليه الإبداع الأدبى بما





الفنية لا يعوقه معوق، ولا يقومه مقوم؛ فالروائي فنان مبدع يجب أن تكفل له الحرية المطلقة حتى يتمتع بفننه، ويستكمل بناءه الإبداعي.

والدكتور الذى نهض بعبء هذا الحوار الشاق المضنى ليس متطفلاً على ميدان التحكيم، ولا غريباً عليه، ولكنه واحد من المتخصصين فى الدراسات النقدية الجامعية، فهو أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة المنصورة، وقد قدم دراسته فى كتاب يحتوى على اثنتين وعشرين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، نشر دار الوفاء سنة ٢٠٠٢م، وأقام هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول، وأربعة ملاحق، حاور فيها أصحاب الوجهتين المتقابلتين فى تقويم الرواية.

وقد عمل الدكتور على أن يلتزم فى حوارهِ الحيدة المطلوبة من الناقد الجاد، فاستعرض - فى المقدمة - أبرز صفات طرفى المواجهة، فقرر أن الحوار بدأ بين تيار يمثل التفكير الملتزم بتعاليم الإسلام، وتيار وصف نفسه بتيار المثقفين التنويريين، وأن هذه المواجهة اجتذبت إلى الساحة أطرافاً أخرى، كان لها أثر فاعل فى دعم هذا التيار أو ذاك. وكان فى مقدمة تلك الأطراف الوسيطة أكبر هيئة تشريعية فى البلاد، المتمثلة فى مجلس الشعب ولجنته الدينية، وأكبر مؤسسة دينية إسلامية فى مصر، المتمثلة فى الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، ومجموعة من المفكرين والكتاب الصحفيين وغير الصحفيين ذوى الميول والمشارب المختلفة، أو المحايدين ممن استدعاهم الموقف إلى الإدلاء بدلوهم.

وقرر أن هذا الحوار انتهى بسكوت أكثر الأطراف عن الكلام إلا أصوات ما عرف بجبهة المثقفين التنويريين التى وجهت كل سهام غضبها إلى قلب

الأديب المبدع أن لا يغفل عن وظيفة الأدب وأن لا يطلق لنفسه عنان الحرية، محتجاً بشرف الدور الذى يقوم به؛ فشرف الدور الذى يقوم به الأديب المبدع مستمد من حفاظه على ثوابت الفطرة الإنسانية، فمادام محافظاً على تلك الثوابت، دافعاً عنها كل زيف، داعياً إليها، حاضاً على التمسك بها... أقول: مادام المبدع كذلك كان مؤدياً دوره، مستحقاً من مجتمعه الحياة والرعاية.

من هذا المنطلق اتسم الخلاف حول أى عمل يصدر عن الإنسان أدبياً كان أو سلوكياً بسمة المطاطية والاتساع، حتى بدا المختلفون حول الأعمال الإبداعية فى هيئة القطيعة، فهذا فى أقصى اليمين، وذاك فى أقصى اليسار، حتى كأن لا التقاء.

حوار حول رواية (وليمة لأعشاب البحر)

ومن هنا.. احتاج المختلفون فى تقدير العمل الأدبى إلى رأى منصف واع يعيد إلى المختلفين توازنهم والتقاءهم على كلمة سواء.

وهذا - فيما أرى - دور المحاور الذى يعيد النظر فيما يقوله كل طرف، حتى يقفنا على المرتكز الخالص الذى يفك الاشتباك، ويقرب إلى الصواب أو يجمع المختلفين عليه.

ومن هنا... نهض الدكتور السيد أحمد فرج ليؤدى دور الناقد الصادق - أو الميزان العادل - كى يفصل بين وجهتين متناقضتين كل التناقض؛ إحداهما ترى فى الرواية خروجاً على الجادة، وتفتلتاً من عقيدة الإسلام وقيمه وأخلاقياته. والأخرى ترى أن الرواية إبداع فنى يجب أن يترك فيه للمبدع حبله على غاربه، حتى يحلق مع رؤاه



و (مهيار الباهلي) شيوعي عراقي، مأخوذ بعصور التنوير اللوثرى وما شابهها، ويسخر من الزكاة.

بل إن تلك الماركسية جعلته يستل (فله بو عتاب) من صفوف النضال الثورى الجزائرى ليجعل منها العاهرة المقدسة التى بَاعت كل ما تملك بدءاً من الشرف، وانتهاء بالله والثورة، حتى إن (آسيا الأخضر) المفتونة بأبيها المناضل الجزائرى الشهيد قد انحدر بها الكاتب من سماء النضال، وقوة الإرادة إلى درك العشق والفساد، حيث أصبحت مهبط شهوة الرجال الشبقيين، و (منار) أختها تجاهر بحب الفرنسيين، وبغض العرب، والحاج (محمد) نموذج المسلم العربى فى تصور الكاتب لا يعرف من الدين إلا قشورا.

ومن هذا الاستعراض يقرر الدكتور أن شخصيات الرواية منتقاة بعناية مقصودة، وأن الكاتب صنعها على عينيه، وهىأها لإعلان الرفض المطلق للدين، ولكل موروث من قيم وأخلاق، وأهل هذه الشخصيات لرفض أشكال الحكم العربى.

ويقرر الدكتور أن الرواية نوع من الفكر العبثى الذى يؤدى إلى اللاشئ، والذى يطالب بتدمير كل شئ، لإقامة ماركسية لينينية فى الوطن العربى.

ويدعم الدكتور ما قرره فى شأن الرواية بما أضفاه عليها واحد من مشاهير النقاد العرب الماركسيين - وهو محمود أمين العالم - فى قوله: «هى رواية «تعبّر عن رفض مطلق، بل إدانة مطلقة للأوضاع العربية الراهنة، والقيم الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية السائدة فيها، والمهيمنة عليها.»

وحياذ الدكتور المحاور فرض عليه أن لا يقصر استعراضه على الكشف عن هوية الراوى والرواية،

الأزهر، تاركين الحديث عن الرواية؛ لإعلان انتهاء دور الأزهر، مُدَّعين أنهم وحدهم من دون الناس هم المثقفون، وأنهم وحدهم من دون الناس القادرون على صنع الإبداع وتقويمه، فأضفوا على أنفسهم خصائص كهنوتية غريبة عن البيئة الإسلامية.

الرواية والراوى وليد ماركسى

وفى الفصل الأول (الرواية: الإنسان والجغرافيا والتاريخ) استعرض الدكتور عناصر الرواية استعراضاً شمل الكاتب بتقديره واحداً من عناصرها الأساسية التى تقوم عليها؛ شأن كل عمل فنى، إذ الأعمال الفنية لا تنفصل بأية حال عن مبدعها، فهى انعكاس لأفكاره، ومعرض لآرائه ومعتقداته، وبعض من نبضه الوجدانى.

وكان من أهم ما حدد به معالم الكاتب أنه سورى الميلاد، ماركسى العقيدة، علوى المذهب، خرج من سوريا فراراً من نظام سياسى بغيض، أو رغبة فى العمل بجزائر المليون شهيد، التى تمثلت حلماً فى خيال الشباب العربى، بعد نجاح ثورة التحرير من الاحتلال الفرنسى.

وأنه احتفظ لنفسه بكراهية ضمنية مباشرة، أو إسقاطية للبلاد العربية، ظهرت فى قوله: «فى العراق وسوريا ومصر وسائر البلاد العربية لا يوجد غير السلب والنهب والقتل والأكاذيب، والحكام العرب حلاليف وطغاة وأعداء لشعوبهم».

وأن ماركسيته بعثته على السخرية من الثورة الجزائرية، وكل الثورات العربية لأنها لم تكن ماركسية، وجعلته يضفى على أبطال روايته الصبغة الماركسية؛ فمهدى جواد يفخر بأنه ملحد يضع الشرف وأخلاق المسلمين فى مؤخرته،



وذكر الدكتور أن هؤلاء قد سبق إلى وهمهم أنهم - وقد ألبسوا أنفسهم ثوب الكهنوت الثقافى - أصبح فى مقدورهم إصدار صكوك المنح والمنع ليجعلوا منها دستوراً يحسم كل أمر يتصل بالثقافة والإبداع؛ وتوجوا أنفسهم - بمقتضى ذلك - بتاج الثقافة والتنوير الذى لا يصح أن ينازعهم فيه منازع، وقرروا - كذلك - أنهم وحدهم سدنة الإبداع القادرون على صنعه وقراءته وفهمه، وتحويد من يجوز له الاقتراب من حرم الإبداع، وقرروا - بتلك السلطة - أن علماء الأزهر يجهلون الأعمال الإبداعية، لدرجة العجز عن قراءتها، وفهم سككها، وأن كاتب هذه الرواية - على ما فيها من إسفاف أخلاقى، وتهافت فنى، وانحطاط تعبيري - من كبار الأدباء.

استنفار التنويريين للدفاع عن الرواية

ورصد الدكتور طرفاً من الأحداث التى استغلها التنويريون فى استنفار أعوانهم للدفاع عن الرواية وكتابتها، فذكر أن الاستنفار بدأ عندما نشرت صحيفة (الأسبوع) خبر الوليمة الفاسدة، ولكن النار اشتعلت، والعواصف هاجت عندما نشر الدكتور محمد عباس فى جريدة (الشعب) عن تلك الرواية مقالته المثيرة، الذى بدأ أثره فى ثلاث شعب؛ أما الشعبة الأولى فتمثلت فى طالبات وطلبة جامعة الأزهر الذين أهاجهم الأمر، فظاهروا ثائرين. وأما الشعبة الثانية فتمثلت فى مجلس الشعب الذى عالج الأمر عن طريق لجنته الدينية، ورفع الأمر إلى الأزهر الشريف مرجع الأمة الدينى ليقول كلمة الإسلام فى الرواية. وأما الشعبة الثالثة فتمثلت فى وزارة الثقافة وأجهزتها المعاونة التى انبرت تقرر أن

فأضاف إلى ذلك ما يراه مخلصاً للراوى من موقفه العبثى التدميرى، فيقول: «لو أن الكاتب أشار إلى السلبيات دون أن يهدم الأشياء والأفكار دون ما غاية أو هدف لأعطى الحق فى أن يقول كلامه، ولكنه صور العالم العربى لا عقلانياً، معطوباً، منهوباً، مستلباً، فى حالة حصار من جهل أهله، وقهر حكاهمه.»

ولفت الدكتور النظر إلى أن ماركسية الراوى أوقعته فريسة الأسلوب التقريرى، الذى بدا فى حرصه على دعوة العقل العربى إلى اعتناق الأفكار اللينينية التى أضفت عليها من القدسية ما جعل منها كهنوتاً، حتى ليخيل للقارئ أن من بين يديه بياناً شيوعياً مطولاً يفسر بيان ماركس / انجلز المختصر؛ فبينما يقدر الراوى تعاليم ماركس ولينين الإلحادية، يزدري العقائد الدينية، ويسخر من الأخلاقيات العربية والإسلامية، وعادات العرب المنبعثة من تعاليم الإسلام فى جميع صفحات الرواية السبعمئة، فيجرفه ذلك إلى الإعلان عن جهله بالقيم الكاثوليكية، متوهماً أنها تحض على العهر والشذوذ.

من ثمار الثقافة الوزارية

وفى الفصل الثانى (الثقافة والصحافة والقراءة والنقد وصلك البراءة والأزهر الشريف والزيتون) ذكر الدكتور أن دور الثقافة - منذ أصبح للثقافة وزارة ومجلس أعلى - اقتصر على التكرار البيغائى لألفاظ الحداثة والتنوير، وتولى أمرها جماعة ممن فتنوا ببريق الألفاظ الطنانة، واستجابوا لإغراء الغازى المستعمر، فباعوا كل شىء نظير ألقاب لا تخدع إلا الصغار، ومنح لا تدوم.





والمسؤول عن نشر الرواية يدافع عنها وعن مؤلفها، ويزعم أنها توزع منذ عشر سنوات .

والمؤلف لا يخفى جرأته على الاقتراب من المحرمات الدينية والسياسية والجنسية، واتهامه بالإلحاد، وأنه محل شبهة في كل بلاد العالم العربي، وأن رواياته ممنوعة من النشر في البلاد العربية منذ اثني عشر عاما .

ومع هذا التباين والتعارض الصارخ بين أجهزة الوزارة والوزير والمؤلف .. صدر من الوزارة - بجميع مؤسساتها - صك براءة الرواية، مصرحاً بأن الوزارة لم تمنح إلى الباطل بنشر الرواية، ولكن العيب فيمن لم يتعلموا قراءة الإبداع، وتصدوا لإبداء الرأي فيها .

حتمية الاحتكام إلى الأزهر الشريف

وذكر الدكتور المحاور أن هذا التعارض والاختلاف تطور حتى كاد يصل إلى الاشتباك؛ فمن نعتوا أنفسهم بالمتقنين والتنويريين ينصبون أنفسهم دون غيرهم سدنة للثقافة، ويتهمون الآخرين بعدم فهم الرواية، حتى تحولت القضية من رفض رواية، ونقد الرفض إلى ساحة سجال غير أدبية إن لم تكن غير أخلاقية، حيث تحول المنعوتون بالمتقنين إلى شتامين بذائين؛ من كل ما دفع المسؤولين الرسميين في الدولة إلى الاحتكام للأزهر الشريف .

فقد سارعت مباحث أمن الدولة بإرسال الرواية إلى مجمع البحوث الإسلامية في ٦/٥/٢٠٠٠ لبيان ما بها من مخالفات شرعية، وإبداء الرأي فيها .

ثم أرسل رئيس مجلس الشعب إلى مجمع البحوث الإسلامية كتاباً بهذا المعنى في ١٣/٥/٢٠٠٠، ولم يكن أمام مجمع البحوث الإسلامية إلا أن يعرض الموضوع على لجنة البحوث

مؤلف الرواية مؤلف متميز، وأن الرواية قيمة إبداعية عالية، وأنها صدرت في طبعات كثيرة في العالم العربي، ويتم توزيعها حالياً في طبعتها السورية الصادرة في ٢/٥/٢٠٠٠، بينما جاء في بيان الوزير أن الرواية مسحوبة من الأسواق من منتصف نوفمبر سنة ١٩٩٩ أي بمجرد صدورها عن إحدى مؤسسات وزارة الثقافة، وأنه شكّل لجنة برئاسة شيخ النقاد المصريين الدكتور عبدالقادر القط لمعرفة الرأي في الرواية .

ثم ظهر الوزير في بث مباشر على شاشة القناة الأولى في التلفزيون في مساء الاثنين ٨/٥/٢٠٠٠ ليصرح بأن الرواية تصدر من سنة ١٩٨٣ في طبعات عربية، وفي مصر الآن لا توجد نسخ منها في السوق بعد سحبها، وستشكل لجنة من علماء ونقاد، وعلماء دين تدرس الرواية من كل جوانبها، خاصة الجانب الإبداعي، وما يتصل بالدين؛ فنحن لا نقبل التطاول على الدين، أو خدش المجتمع، وسنحدد الموقف بعد تقرير اللجنة .

وفي حديث مع صاحب الرواية نفسه جاء في (أخبار الأدب في ٧/٥/٢٠٠٠) قال: لقد دفعت ثمن جرأتي على الاقتراب من المحرمات كثيراً، فقد تم منع قصصى وروايتي - وعلى رأسها (وليمة لأعشاب البحر) التي تم منعها من الدخول إلى معظم البلاد العربية لمدة ١٢ عاماً... لقد عشت في بيئة تحاربنى على المستوى الديني، ويقولون: إنني ملحد .

وهكذا تفجرت التناقضات المثيرة للحيرة والشكوك:

الوزير يظهر مدافعاً عن الدين، وعن التقاليد الاجتماعية الراسخة .

تحويل المعركة لإرهاب الأزهر والأزهريين

ولاحظ الدكتور أن مثقفي وزارة الثقافة التنويريين لما جوبهوا بهذا الإيضاح الحاسم من الأزهر لاذوا بالفرار من ميدان الحوار الباحث عن الحقيقة، ولجأوا إلى سلاح الإرهاب والتزيف المضلل؛ أملاً منهم في أن يسكتوا بذلك صوت الحق، ويكتموا فم الأزهريين، فعلا صراخهم - وليس حوارهم - بالتهديد والوعيد المنطلق من فرض المعايير النقدية التي توافق أهواءهم، وتفرض إبعاد غيرهم، مثل:

١ - تقسيم الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال منهج أدبي .. وليس من خلال مؤسسات سياسية أو دينية .

٢ - لا يجوز قراءة جزء من الرواية منفصلاً عن السياق العام .

٣ - التنبيه إلى العواقب بعيدة المدى لهذا المنهج في التعامل مع الإبداع الأدبي .

ولم يكتفوا بإصدار تلك الصكوك العامة، ولكنهم أتبعوها باتهامات صريحة في صحيفة (أخبار الأدب) الصادرة في ٢١/٥/٢٠٠٠، فزعموا أن الأزهريين لا علاقة لهم بالإبداع الأدبي، ولذلك هم - في رأيهم - لا يستطيعون قراءة الإبداع الأدبي ولا تذوقه ونقده، وزعموا أن الدكتور أحمد عمر هاشم - رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب - بإعلانه رأى اللجنة الدينية - قد ساهم في إشعال المظاهرات . ثم زعموا أن الحكومة وجدت في هذه الزوبعة فرصة لتشغل الناس عن فشلها الاقتصادي، وفشلها في علاج أزمة السيولة، وما خلفته من مشكلات، وفرصة كذلك لتخلص من حزب العمل الذي لا يكف عن إثارة الشغب في جريدته؛

الفقهية لإبداء الرأي، وفي ١٧/٥/٢٠٠٠ تم عرض تقريرى اللجنة، والرواية نفسها على مجمع البحوث الإسلامية، مجملاً فى التالى :

أولاً: إن وزارة الثقافة خالفت ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦٤، وخالفت ما قطعت به الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب رأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقرير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات؛ فلم تستطلع رأى الأزهر أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فى الرواية من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة .

ثانياً: أن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر جميع المقدسات الدينية وتهينها بما فى ذلك ذات الله - سبحانه - وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، واليوم الآخر، والقيم الدينية .

ثالثاً: أن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فادحاً، بالدعوة إلى الجنس غير المشروع، واستعمال الألفاظ البذيئة بلا حياء .

رابعاً: أن الرواية لم تكتف بذلك، بل حرصت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب، ووصفتهم بأقبح الأوصاف .

خامساً: من كل ما سبق اتضح أن ما ورد فى الرواية خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية والآداب العامة، والقيم القومية، ويثير الفتنة، ويزعزع تماسك وحدة الأمة .. ويضع على عاتق من نشر هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز، والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعياً .



الانحلالية المتفلتة من أوامر الخلق، المتجاهلة قيم الإسلام، فوضح كثيرا من الحقائق المهمة التي أرادوا طمس معالمها، والتخلص منها؛ ومن أبرزها دور الأزهر ومكانة الأزهريين، ومحاولتهم اتهام الأزهر بتجاوز حدوده، فقال:

١ - إن الأزهر لم يتجاوز حدوده بأية صورة من الصور؛ إذ لم يفرض نفسه على الموضوع ابتداء، ولكن المؤسسات الرسمية في الدولة هي التي طلبت رأيه، وبيان ما اشتملت عليه الرواية من مخالفات شرعية، كما جاء في كتاب مباحث أمن الدولة، وكتاب مجلس الشعب.

ولو أن الأزهر لم يلب تلك الطلبات لكان قد تجاوز حدوده، وأهمل واجباته تجاه الدولة وتجاه الأمة.

فالحقيقة المطموسة هي أن وزارة الثقافة هي التي تجاوزت حدودها، حين نشرت مثل هذه الرواية دون استطلاع رأي الأزهر أو مجمع البحوث مخالفة مقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ولائحته التنفيذية، ومخالفة القوانين المتصلة بحماية حق المؤلف، وتنظيم وزارة الثقافة، ومخالفة ما قرره الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

٢ - إن قيام الأزهر بأداء واجبه لا يشبه من قريب ولا من بعيد ما كانت عليه الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر من هيمنة كهنوتية؛ فالفارق شاسع واضح بين هذا وذاك؛ لأن الأزهر - بجميع مؤسساته - يرفض الكهنوت؛ إذ الإسلام لا يعرف الكهنوت؛ ولا سيطرة لإنسان باسم الإسلام على إنسان آخر.

«يتبع»

فحركات الحكومة - بزعم هؤلاء المثقفين - جناحها الديني بكامل هيئته المتمثلة في شيخ الأزهر، وجامعته، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الشئون الدينية، والفقهاء الجاهزين بفتاوى تحت الطلب.

بل إن مثقفي وزارة الثقافة اشتطوا في تطاولهم على الأزهر خاصة، فشحنوا كتاباتهم بعبارات وألفاظ تجافي الحقيقة ولا تعرف الآداب العامة، وقاموا بشن حملة شعواء تدعو إلى التخلص من الأزهر، كما تخلصت أوروبا في القرن الثامن عشر من الكنيسة.. ومن هنا توالى على الأزهر مقالات السب والازدراء، زاعمين أن الأزهر وعلماءه يزحفون بالأمة الإسلامية إلى الخلف نحو عصور الجهل والظلام.

الحقيقة التي أراد التنويريون طمسها

وأطال الدكتور في استعراض ترهات مثقفي وزارة الثقافة وأباطيلهم التي عملوا على إلباسها ثوب الحقيقة، وسخروا - في نشرها - الصحف القومية وغيرها؛ أملاً منهم في أن يحقق لهم ارتفاع الصوت بالأباطيل والبذاءات ما تصبو إليه أفئدتهم، من هدم الأزهر وطمس معالمه.

ثم أخذ يحاور هؤلاء سالكاً في حوارهم معهم أسلوب الحوار الجماعي تارة، وأسلوب الحوار الفردي تارة أخرى، معتمداً في حوارهم على عرض المزمع الجماعي أو الفردي بما تضمنه من تهافت وسخف وانحطاط في التفكير والتعبير، ينم عن انحطاط في الأخلاق والسلوك. ومن هنا.. أخذ في مناقشة هذا المزمع وتفنيد تفنيده ثائراً مرة، وهادئاً مرات، واضعاً صوب عينيه الوصول إلى الحقيقة وتجليتها، وإبراز معالمها، وكشف نواياهم السيئة، ومقاصدهم



من مختارات مجلة الأزهر *

فِرْعَوْنٌ

بقلم الأستاذ الكبير / فكري يس *

إعداد الشيخ / على ماس عبد الرهيم

١. أصل اللفظ ومعناه:

قال المسعودي: إنه لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية. وقال الراغب: فرعون اسم أعجمي، وقد اعتبرت عرامته (شدته وتجبره وصعوبة خلقه) فقل: تفرعن فلان، إذا تعاطى فعل فرعون. وجاء في اللسان والقاموس: الفرعنة: الكبر والتجبر، والدهاء والنكر، وكل عات فرعون، والعتاة الفراعنة، وهو ذو فرعنة: أى دهاء وتكبر. ويقال: فرعون على وزن فعلون، وفرعون (بضم الفاء وفتح العين) وفرعون (بضمهما) وهى لغة نادرة.

وهو ممنوع من الصرف فى قول بعضهم، لأنه لاسمى له، كإبليس فيمن أخذه من إبليس، قال ابن سيده: وعندى أن فرعون هذا العلم أعجمي، ولذلك لم يصرف. وهو اسم لكل من ملك القبط ومصر فى الزمن

القديم، وقيل: هو لقب لمن ملك العمالقة، ككسرى ملك الفرس، وقىصر ملك الروم، وخاقان ملك الترك، وتبع لملك اليمن، والنجاشى لملك الحبشة. وقيل: إنه اسم ذلك الملك بعينه، وهو صاحب موسى - عليه السلام.

والإطلاق الأول هو الأظهر، لأنه يتفق وماجرى عليه العرف بين المؤرخين قديما وحديثا من تسمية العصر التاريخى الذى يبتدىء بظهور «مينا» وينتهى بانتهاء الأسرة الحادية والثلاثين بعهد الفراعنة، وتاريخ الفراعنة، ومن عدم إطلاقهم ذلك على أى عصر من العصور التاريخية الأخرى، ولأن الواقع يؤيد أن الدول التى ملكت مصر بعد أيام الفراعنة كانت من سلالات أخرى غير السلالة الفرعونية، وكانت لهم فى الحكم والملك والحضارة صبغة وطابع تخالف صبغة الفراعنة وطابعهم.

(**) من كبار علماء الأزهر الشريف.

(*) عدد ربيع الآخر سنة ١٣٥٨هـ.



٢. أصل الفراعنة:

ولعله لم يعد في فراعنة الأنبياء، لأن الأمر لم يزد بينه وبين سليمان في حصول تلك المصاهرة، بخلاف ما كان بين إبراهيم ويوسف وموسى وهرون وبين فراعنتهم من حوادث سجلها التاريخ، وعُنت بها الكتب المنزلة.

ونحن متحدثون هنا عن فراعنة الأنبياء بما استطعنا أن نصل إليه بشأنهم، بعد البحث والاستقصاء، وبعد الرجوع إلى أهل الذكر في هذا الموضوع الغامض الدقيق.

٤. فرعون إبراهيم:

يغلب على ظن الجمهور من المشتغلين بتاريخ مصر القديم بحثاً وتأليفاً، أن ذهاب إبراهيم - عليه السلام - إلى مصر كان زمن أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة، ويحكى بعضهم إجماع العلماء على ذلك، ولكنهم جميعاً لم يستطيعوا إلى الآن إقامة الدليل الكافي على تعيين الملك الذي جاء إبراهيم إلى مصر في عهده.

فذهب بعضهم إلى أنه «أسرتش الأول» ثانياً ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو الذي أشركه معه أبوه «أمنمحت الأول» في الحكم، بقصد تدريبه على إدارة شئون البلاد، ومن أشهر آثاره مسلة عين شمس، وقد بقي في الحكم من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٣٥ قبل الميلاد. وذهب آخرون إلى أنه «أمنمحت الثالث» سادس ملوك الأسرة الثانية عشرة، وهو صاحب أعمال عظيمة، وآثار فخمة، واستمر في الملك من سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٠١ قبل الميلاد.

هناك آراء كثيرة في نسب الفراعنة، وأرجح الآراء الحديثة الرأي، الذي أخذ به معظم المؤرخين الحديثين، وهو رأي الأستاذ «برستد» معلم التاريخ المصرى القديم، وتاريخ المشرق بجامعة شيكاغو، وذلك أن المصريين الأولين الذين كانوا يقطنون مصر قبل أجداد «مينا» قوم من سكان أفريقيا المعروفين باللوبيين، أما أجداد «مينا» فقد ثبت أنهم قول ساميو الجنس، قدموا إلى مصر من آسيا، وينسبون إلى سام بن نوح - عليه السلام - ويدل على ذلك أن ما وصل إلينا من لغتهم يغلب فيه العنصر السامى على غيره، وقد امتزج العنصران : الأفريقى والأسىوى، واندمجت الولايات الصغيرة تدريجياً، حتى تكونت منها مملكتا الشمال والجنوب، ولما ظهر مينا تمكن من ضم المملكتين، وكون منهما مملكة مصرية عظيمة، كان هو أول الفراعنة الذين جلسوا على عرشها. ثم تتابعت الأسرات والملوك إلى أن انقرضت دولة الفراعنة سنة ٣٤٠ قبل الميلاد، بعد أن حكموا وادى النيل نحو ٤٠٠٠ سنة.

٣. فراعنة الأنبياء:

ذكر ابن الجوزى أن فراعنة الأنبياء ثلاثة: فرعون الخليل، وفرعون يوسف، وفرعون موسى، وهو فرعون هرون.

وذكر بعض المؤرخين أن سليمان بن داود - عليهما السلام - تزوج بنت أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين، وأتى بها إلى مدينة داود.





فى غير موضع منه، وعرض لها فى كثير من آياته وسوره، ولعل السر فى هذا - والله أعلم - هو تبيان ماوقع على بنى إسرائيل فى ذلك العهد من ظلم واضطهاد، وما أصابهم من بطش وعنف، وما قاموا به من نضال وكفاح، وتذكير الناس بفضل الله على عباده، ورحمته بخلقه، وتفصيل جهود الأنبياء وما بذلوه من عناء ومشقة فى سبيل تبليغ دعوتهم، وإيراد هذه المعانى وما يشبهها فى أساليب مختلفة، وعبارات متنوعة، ليكون ذلك أعمل فى النفوس، - وأملك للقلوب، وأبلغ فى التأثير.

أدرك موسى - عليه السلام - عهده ملكين من ملوك الأسرة التاسعة عشرة يقال للأول منهما: «فرعون الاضطهاد» لأنه اضطهد بنى إسرائيل، وقسا فى معاملتهم، وشدد الوطأة عليهم، ويقال للثانى: «فرعون الخروج» لأن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فى عهده.

فأما فرعون الاضطهاد، فهو رمسيس الثانى، المعروف برمسيس الأكبر، وقد ولد موسى فى زمنه، وتربى فى بيته، بعد أن التقطه آل فرعون من نهر النيل الذى كان قد ألقى فيه بإلهام من الله - تعالى - لأمه، وكانت قد وضعت فى سبط من البردى، لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أنه يقى من التماسيح وغيرها من الحيوانات الضارة.

وقد شيد رمسيس كثيراً من المباني فى جميع أنحاء البلاد، ونقش عليها أخبار حروبه وانتصاراته، فأكسبه ذلك شهرة فائقة فى التاريخ، جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه

والكتب العربية تدعو فرعون إبراهيم «سنان» وتذكر له نسبا يصل إلى نوح - عليه السلام - وسنتحدث عن قصته مع إبراهيم حين الكلام على إبراهيم - إن شاء الله تعالى.

٥- فرعون يوسف:

يرجح المؤرخون أن قدوم سيدنا يوسف - عليه السلام - إلى مصر، وحدث ما حدث له، كان فى عهد الأسرة السادسة عشرة.

ويذكر بعض المؤرخين المعاصرين أنه لم يبق شك فى أن يوسف الصديق - عليه السلام - قد دخل مصر فى عهد الأسرة السادسة عشرة.

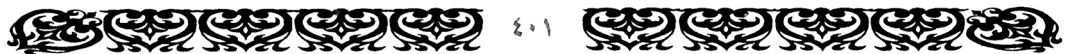
أما ملوك هذه الأسرة، فهم من قوم فاتحين، أغاروا على مصر حوالى سنة ١٦٥٧ قبل الميلاد، وهم الذين يدعون باليونانية «هيكسوس» أى الملوك الرعاة، ويسمون فى الكتب العربية بالعمالقة.

ولم يعرف من ملوك هذه الأسرة الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين إلا ملك واحد، يسمى باللغة المصرية القديمة «إبابى» والعرب يدعونه «الريان بن الوليد» والمؤرخ مانيتون يدعوه «أبوفيس» وهو الذى وفدت فى أيامه السيارة التى باعت يوسف بن يعقوب إلى «فوتى فارع» المذكور فى التوراة «قوطيفار» - عزيز مصر.

وقد انتهى أمر يوسف مع هذا الفرعون إلى أن جعله أميناً على خزائن الأرض.

٦- فرعون موسى:

تحدث القرآن عن فرعون موسى أكثر مما تحدث عن غيره من فراعنة الأنبياء، فذكر قصته





أعظم ملوك مصر، وبلغ من إعجاب خلفه به؛ أن عشرة منهم سمووا أنفسهم باسمه على التوالي.

وكان قد بلغه ماهو مشهور في بنى إسرائيل يومئذ من أنه سيخرج منهم غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه، كما كان يخشى أن ينضم بنو إسرائيل إلى أعدائه ويمالئونهم عليه إن حدثت حرب، خصوصا أنهم صاروا عدداً عظيماً، ونموا وتكاثروا، فاضطهدهم، وزاد في تعذيبهم، وسخرهم في تشييد المباني، واستخدمهم في أخس الصنائع، وأدنا الحرف، وأمر بذبح أبنائهم، وطرحهم في البحر، واستحياء نسائهم:

﴿إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَ هُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

واستمر في معاملتهم على هذا المنوال إلى أن مات بعد أن حكم ٦٧ سنة.

ومما يعرف عنه أنه كان جميلاً وضيئاً، وقد تزوج بكثيرات ولدن له نحو المائتين من الأولاد، وقد دفن في مقبرة بيبان الملوك، ثم نقل إلى الأقصر، لأسباب غير معلومة، ثم نقل إلى متحف بولاق.

وأما فرعون الخروج، فهو «منفتاح الأول» الابن الثالث عشر لرمسيس الأكبر، وقد أشركه معه أبوه في الحكم قبل وفاته، وأخذ ولاية العهد وهو

مسن، وقد عاصر موسى وهو يتربى في بيت أبيه. وكان منفتاح مولعا بتشديد المباني كأبيه، وكان يمحو أسماء الملوك من الآثار التي شيدها وينقش اسمه مكانها، وقد فعل ذلك بكثير من آثار أبيه نفسه، ولولعه بتشديد المباني، ظل مع بنى إسرائيل على الاضطهاد الذي بدأه أبوه، ثم أرسل الله إليه موسى وهرون لدعوته إلى عبادة الله، وأظهر له معجزاته، فأبى، فخرج موسى بقومه بنى إسرائيل من مصر، بعد استئذان منفتاح في ذلك، ولكن بعد خروجهم بقليل ندم فرعون على خروجهم، فجمع فرسانه وجنوده، وجد في اللحاق بهم، ليعيدهم إلى الذل والعبودية، فأمر الله موسى أن يضرب البحر، فضربه فانقلب، وعبره هو وقومه حتى انتهوا إلى الشاطئ الثاني، فاتبعهم فرعون وجنوده، فغرقوا في الجزء الشمالي من البحر الأحمر، وغشيه من اليم ما غشيه، وأضل فرعون قومه وماهدي، وقد أظهر الله - تعالى - بدن منفتاح على وجه الماء بعد الغرق، ليصدق بنو إسرائيل أنه قد مات.

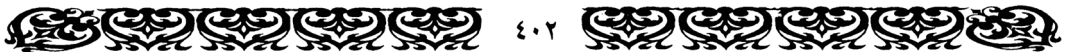
وقد بنى منفتاح لنفسه قبرا في بيبان الملوك، ولكنه لم يدفن فيه، ووجدت جثته مع غيرها من الجثث في قبر أمنتحتب الثاني بالأقصر.

ولقد جاء إظهار بدنه، والعثور على جثته، ووجودها الآن بالمتحف المصري، متفقا كل الاتفاق مع ما أخبر به القرآن الكريم في قوله:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ (٢)

(٢) يونس «٩٢».

(١) القصص «٤».



حَضَارَةُ قَوْمِ نُوحٍ

الدكتور / على أحمد على



لم تخل الحياة في قوم نوح من فنون ، وهى الصناعة كانتا فنونا يدوية :
فأما العمارة فقد تمثلت - فى حياتهم - فى تلك البيوت التى ابتنوها لسكناهم .
و«نوح» عليه السلام ، وهو يتضرع لربنا - عز وجل - طلبا لمغفرته ورضاه ، يقول :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾^(١).

وكان فى بيته (تنور) أى فرن ، ولم يكن نوح بدعا فى قومه بالبيت والتنور ، فقد كانوا مثله ،
فهى بيوت وتنانير . وإذا ، فقد عاش قوم نوح .. أسراً ، فى بيوت ، لا هملا فى كهوف .
ووجود (التنور) فى هذه المنازل يعتبر إشارة صريحة إلى ما تمتع به القوم من مستوى اجتماعى
رفيع أبسطه أنهم عرفوا «الخبز» على شكل ما : من بر أو شعير أو غيرهما مما لا نستطيع تحديده .
على أية حال ، لم يكن التنور رفها لا معنى له ، وإنما كان ضرورة تؤكد معرفة القوم (للنار)
واستخدامهم لها ، كما أنه - بالتالى - دلالة واضحة على أن قوم نوح لم يفترسوا اللحم نيئاً ، بل
طعموه منضجاً على النار . إن «النار» منزلة حضارية متقدمة جداً فى إقصاء من عرفها عن البدائية ،
ودلالة على ارتفاعه درجات فى سلم الحضارة كما سيجىء .

ولابد - لنا .. كذلك من لفظة إلى بيوتهم ، سواء كانت أكواخا ، أو أرفع مستوى من الأكواخ ، إن
القرآن الكريم سمى مسكن نوح (بيتاً) ، والأنبياء - جميعاً - عادة يقطنون بيوتا متواضعة للغاية .
ولانشك فى أن هذه البيوت كانت صالحة للمأوى ، تقيهم شر البرد ، وشر الحر على سواء ، ولقد
نكون من السذاجة بدرجة تخذل عقولنا إذا قلنا : إن بيوت أكابر القوم كانت كبيوت فقرائهم من كل
وجه ، لاسيما وأن القوم قد عرفوا (فن النحت) وبرعوا فيه ، وأدنى عطاء لهذه المعرفة أن تتمثل صناعة
البيوت لديهم وبنائها شيئاً من الجمال يضيفه عظماء القوم على بيوتهم .

(١) نوح (٢٨) .



ثم هل كل ما لديهم من عمارة يتمثل في بيوتهم...؟

نقول: لا ندرى.

وهل كانت معبوداتهم من الأوثان قد أنشأوا لها بيوتا - بدورها - أم أقاموا أنصابها في العراء...؟

أمر لا نقطع فيه بإجابة، والأمر محتمل، ولسنا بمستطيعين - في شأن العمارة - أن نتعدى بيوت القوم، ولكننا نعتبر معرفتهم ببناء التنور درجة حضارية مهمة.

الزراعة: ولقوم نوح نشاطهم الزراعى: عرفوا الزراعة، وعرفوا سقيها، وحصادها بدليل بيان نوح لهم عما في الإيمان بالله - وحده - من نعمة استكثار الخير فيهم، وزيادة محصولهم من البساتين، وتوالى زيادة الأنهار، يحكى المولى - عز وجل - كل ذلك في قول نوح:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَافَاءَ ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَجَعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ (٢).

وهذه الآيات الكريمة جمعت أصول الاقتصاد اللائق بحياة القوم في عصرهم:

فمعرفتهم بالنبات وزراعته: حرفة يدوية - بدورها، تقدمهم بوفرة في المال، وتعينهم على تكوين الأسر لراغبي الزواج وغير ذلك.

أموالهم: وثم جزء من مالهم نعرفه بسهولة، قائم وموجود في حياة القوم، نعنى به الماشية من الحيوان الأليف، فأما المال من قطع معدنية، فلا

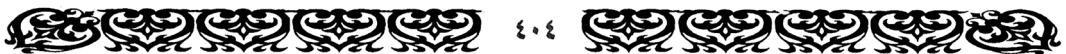
سبيل أمامنا إلى إقرار وجوده، فعلمه عند الله - جل علاه - فأما الزرع والأنعام والماشية فهي مُتَمَوِّل ذو قيمة عالية في المجتمع الزراعى وغير الزراعى على أية حال. ومن البداهة - تلقائيا - أن يوجد - بينهم - البيع والشراء، لاستحالة أن تنصور أن أغنياءهم كانوا يكتفون بجمع حصادهم، ثم يحتضنونه حتى يفنى، لاشك كان بينهم مجال لتبادل شىء من هذا الحصاد، يتم فيهم بالطريقة التى يرضونها فى (التبادل السلعى) إذا لم يكن هناك معدنٌ ما يمثل قطعا نقدية.

ولحياة الزراعة دورات نوعية لا بد أن القوم كانوا على وعى بها، وتلك معرفة تضم إلى ما سبق من نشاطهم فى (حرفة البناء).

ثم إن قوم نوح لم يعيشوا عرايا تستر عوراتهم أوراق الشجر، بل من السفه أن نقول ذلك، لقد عرف القوم صناعته: الغزل والنسيج بشكل ما، بدليل أنهم كانوا يرتدون الثياب وبعضهم كان (يرفل) فيها، ونصر على (رفل) بعضهم فى ثيابه بدليل ما فعلوه استهزاء بنوح ودعوته، ففى شكايته إلى ربه - عز وجل - هذا اللون من استهزائهم، قال - عليه السلام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝١٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝١٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۝١٧ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝١٨﴾ (٣)

ويعنى ذلك أن ثياب هذا الفريق كانت من السعة بحيث يمكنه رفعها وطبها ونشرها حسب





ما يريد ليخفى بها وجهه ضيقا بنوح ودعوته .
حتى كأنهم يتقززون من رؤيته .

فما أعظم حلم الأنبياء! وما أكبر قلوبهم!.. ونقول
- في ثيابهم - ما قلناه في بيوتهم - فلا بد كان هناك
شيء ما يعلو بثياب الأغنياء عن أثمان الفقراء .

النحت : ثم ليس كل ما لديهم من حرف مقصورا
على : البناء ، والزراعة والغزل والنسج وما تتطلبه من
أعمال وأدوات ، فقد برع القوم في (فن النحت) ..
ولازال إلى يومنا هذا فنا يدويا وصناعة غير آلية
وبخاصة في الحجر ، وإتقانهم لهذه الخبرة متمثل فيما
تركوه من أوثان .

وبداهة : فإن النحاتين - من قوم نوح - لم يصنعوا
خمسة تماثيل فقط ، ثم اعتزلوا العمل بعدها ولابد
أنهم أكثروا من صناعتها لتحل (نسخ) منها بيوت
القادرين .

وصناعة النحت تستلزم ، البراعة في إتقان « النقش »
و« التصوير » أعنى إبراز الوثن على صورة جمالية
بشكل ما ، لاسيما وأن هذه الأوثان كانت صورا لرجال
صالحين ، فلا بد أن تحمل وجها وعينين وأنفا
وشفتين .. إلخ ، ومن هنا يرتبط فن النحت بفني
النقش والتصوير . وكل ما لا نستطيع الخوض فيه بشأن
هذا النحت هو « الألوان » : هل أضافوا الألوان إلى
منحوتاتهم أم اكتفوا بصب دماء القرابين الخاصة بها
عليها ؟

ومن هنا .. أيضا .. كان النحت أبغض شيء في
الإسلام ؛ لأنه الصناعة الأولى التي مالت بالناس إلى
الوثنية وأبعدتهم عن عبادة الله وحده ، ولانزال حرمة
النحت قائمة فيما يتخذ معبودا من دون الله - عز
وجل .

لنترك أول صناعة عصى الإنسان فيها ربه ، واتخذ

- من صنع يديه - معبودا دون الخالق - جل علاه -
لننظر : هل كان في القوم صناعة ، أو صناعات آخر
تضاف إلى ما تقدم .. ؟
نقول : نعم !

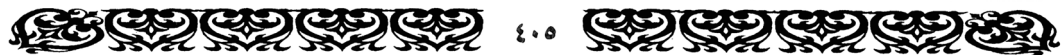
على كيفية ما ، ساذجة ابتداء ، ثم تأخذ مكانها
شيئا فشيئا من التحسين ، فإنه لابد - بداهة - من
أدوات للزراعة ، تعين وتيسر إمداد الأرض بالماء .

ثم تيسر جمع المحصول باستعمال آلات للحصاد -
مهما كانت أولية - تيسر جمع المحصول وتصبح
العمل فيه حتى ينتهى إلى (حبه) ثم استخدام هذا
(الحب) غذاء ، فقد كان للقوم تنانير يمكنهم فيها
صنع طعامهم .

وذلك كله يعنى أن قوم نوح كانوا على علم بشيء
من الصناعات الأولية ، لاسيما صناعة « النجارة » نقول
ذلك حتى لا نميل إلى اعتبار نوح - عليه السلام - هو
(النجار) الوحيد في القوم .

نعم ، قد يكون هو النجار الوحيد الذى صنع سفينة
عجيبة من طوابق ، لكن الحرفة كانت موجودة ، ولو
تمثلت في أدنى آلة تذر الحصاد .

ويعطينا القرآن الكريم لمحة تقدمية عن
(الحديد) عند نوح - عليه السلام ، فقد
استخدم « المسمار » فى صنع السفينة ، وصناعة
السفن الخشبية لا تحتاج إلى المسمار فحسب ،
نعم ، إن المسمار يربط ألواحها بالهيكل ، لكن
تبقى الشقوق والمساحات المستطيلة بين لوح
وآخر ، وهى مهما كانت ضعيلة لابد من إحكام
سدها بنسيج من خيوط نباتية مفتولة بإحكام
تُحشى بها هذه المساحات وغيرها ، كيلا ينفذ
منها الماء ، والمسمار وهذه الخيوط وغيرها أشارت



إليه الآية الكريمة - الخاصة بنجاة نوح والمؤمنين معه، قال تعالى:

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ (٤).

يقول المفسرون: الدسر: ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحداها: دسار ككتاب - أهـ.

وليس لأحد أن يدعى أن نوحا - عليه السلام - وحده، هو الذى عدّ الحديد وصنع المسمار، وأن قومه فراغ منهما.

ومما يثير الانتباه فى حياة قوم نوح أن القرآن الكريم لم يرمهم بمنقصة إلا فى أمرين:

أ- تكذيبهم للرسالة السماوية على يد نوح - عليه السلام - أى (كفرهم).

ب- وازدراؤهم الفقراء وشموخهم عليهم، أى (كبرهم) وما يؤدى إليه هذا الكبر من بلاء.

وإذا كان للكبر سلوك أثيم يتمثل فى طغيان صاحبه، واستباحته لنفسه العدوان على الضعفاء... إلا أننا نستطيع أن نؤكد - مطمئنين: أن هذا المجتمع لم يمارس رذيلة ذات فاحشة فشت فى القوم كما فشت رذيلة الجنس المثلى، فى قوم لوط - عليه السلام - أو قطع الطريق والنقصان فى الكيل والميزان اللذين فشوا فى قوم شعيب - عليه السلام.

والعجيب أن الوضع فى قوم نوح يكاد أن يكون هو هو فى قوم عاد ثم قوم ثمود.

وإذا كان مجتمع قوم نوح خلا من ممارسات الفواحش العلنية الأثيمة، فقد يحملنا ذلك على اعتبار

أن أسلوب حياتهم اليومية وأخلاقهم وعاداتهم قد اتسم بشئ من الرتابة التى لا يجد الباحث فيها شيئا يلفت النظر، وذلك أمر قاطع الدلالة على أن قوم نوح تمتعوا بحياة اجتماعية أرقى مستوى مما عليه بعض مجتمعات اليوم، هذه المجتمعات التى حوت دساتيرها (نصوصا) صريحة تبيح الفاحشة بل أرادت إحدى الدول من هذه المجتمعات أن تحمل العالم على تطبيقها.

لقد أخذ قوم نوح - عليه السلام - بكفرهم وكان كفرهم مناط عذابهم.

وعن علومهم وآدابهم

تقابلنا - أولا - لغتهم: كانت لغة فصيحة راقية جدا كفيلة بالتعبير عما فى صدورهم، على أى حال أرادته نفوسهم من جد وهزل، من حكمة أو سخرية، وحسبنا - فى ذلك - ما قدمه لنا الخالق - عز وجل - من نماذجها فى حوارهم لنوح - عليه السلام - وبخاصة فى سورة: هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

ونلاحظ - على هذه اللغة - نفس الطابع الذى لاحظته دارسو الفلسفة فى السوفسطائيين عصر سقراط، فقد كانوا أهل بلاغة وفصاحة، بل تصدوا لتعليم الشباب هذه البلاغة بالمضمون الذى أرادوه فاستطاعوا قلب الحقائق، وتسويغ الباطل عن طريق (تعويم) اللفظ بتفريغها عن معناه الموضوع له، ثم تقديمه - بعد ذلك - فيما يشبه «القضايا» لينتهوا به - ليس إلى نتيجة منطقية - بل إلى نتائج مرغوبة، قررتها نفوسهم سلفا^(٥).

(٤) القمر (١٣).

(٥) راجع لأحمد أمين، وزكى نجيب محمود - قصة الفلسفة اليونانية ص ١٠٥ - مطبعة دار الكتب ١٩٣٥

متبعي ذى الفضل، لا أن يعظموهم، إذ يرونهم منافقين في كثير من الأحيان.

لكنها سفسطة قوم نوح.
ألا ما أحلمه عليه السلام

ثم إن لغة بهذا المستوى لابد أن تنتج أدبا، فإن بينهم شباب، وحب، وزواج، ثم هناك أوثان ليس بعيدا أن يكون في هؤلاء وهؤلاء قصص، وإن كنا لا نعلمه، وإذا كان الأدب صدى المشاعر الإنسانية في الدرجة الأولى، فإن من التفاهة العقلية أن ندعى فراغ القوم منها... إننا - فعلا - لا نستطيع أن نقدم شيئا من أدب القوم، لكننا - بيقين - لا نستطيع أن نحرمهم منه.

فأما علم القوم - في هذا العهد السحيق - فرفيع، سواء منه ما علموه من محيطهم أو ما حدثهم به نوح - في دعوته فأعلمهم إياه، وهذا العلم بشقيه يعتبر في هذا العهد العلم البشري القياسى بغير شك، فمن ذلك علمهم:

بأطوار الجنين في رحم أمه، ففي دعوة نوح:

﴿ مَا كُنَّا لَنَرْجُوَنَّ لَكَ وَلَا نَخْلُقُكَ أَطَوَّارًا ﴾^(٩)

وإنه لعلم افتقده كثير من البشر حتى عهد قريب، ثم إن نوحا - عليه السلام - لينتقل بهم إلى الخلق الأول حيث كان خلق الإنسان من طين موضحا أنهم لم يخلقوا عبثا، بل إنهم مسئولون ومجازون.

وهذا الطابع هو الذى نجده فى الملائكة من قوم نوح، فقد قالوا - لنوح:

﴿ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَاذِبُوا الرَّاى وَمَا نَرْنَى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ ﴾^(٦).

ثلاث مقدمات ينتهون بعدها إلى القول فى نوح وتابعيه: ﴿ بَلْ نُنَبِّئُكُمْ كَذِبًا ﴾^(٧).

وأى المقدمات الثلاث لا ينتهى بحال إلى هذه النتيجة:

فتمائل البشرية بين الرسول وقومه لا ينفى أن يكون رسولا، وليس بين أيديهم دليل من عند الله - عز وجل - يعطيهم الحجة على وجوب أن يكون المرسل إليهم ملكا، ولو كانوا هم ملائكة لجاءهم رسولهم ملكا، لقد مضى قضاؤه سبحانه أن يكون رسول القوم منهم، ويتحدث بنفس لسانهم. قال - تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتَكُونَ لَهُمْ ﴾^(٨)

كذلك لم تحكم البشرية على فقراء الناس بالكذب، فليس كل فقير كاذبا، وليس كل غنى صدوقا، فكما وجدنا (المثلية) فى البشرية لا تمنع الرسالة، فالفقر - أيضا - لا يمنع صدق الفقير، ولا يمنع أن يكون للفقير رأى ناضج عن روية وإعمال فكر يتبع به صاحب الحق ويؤيده.

ثم متى اشترطت الحكمة على الناس ألا يقبلوا صدق الصادق منهم إلا إذا كان ذا فضل ونعمة عليهم؛ بل المعروف بين الناس أن يغضوا من قيمة

(٧) هود (٢٧).

(٩) نوح (١٣، ١٤).

(٦) هود (٢٧).

(٨) ابراهيم (٤).

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (١٠).

ولانجد القوم أنكروا على نوح ما بسطه لهم من آثار قدرته - تعالى - من مثل: خلق الله - تعالى - لسموات سبع اكتنزت دنياها بالنجوم، وشع بها ضياء الشمس ونور القمر (١١) وصارت السماء مددا للأرض بالسقيا، فازينت الأرض بالنبات والزهر والشجر وأعانتهم نعمة الله على حياة رغبة مطمئنة وحياة آمنة مستقرة فيها المال والبنون:

﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (١٢).

وسبق أن أشرنا إلى علوم لهم اكتسبوها بحكم (الحاجة) في نشاطهم لحياتهم.

وعن التاريخ

فالقدر اليقيني لدينا يتمثل في أنهم آخر سلالة، آدمية جمعها كيان مدني، وحياة مستقرة إلى أن كفرت بنعمة الله - جل علاه - وتمردت على وحدانيته، فورث نوح الذرية من بعدهم.

وهلك قوم نوح. واستبقى - سبحانه - أمرهم - فيمن بعدهم، عبرة وهدى لمن شاء

أن يستقيم ولقد سبقت إشارتنا إلى علم عاد - قبيلة هود - بأمرهم، ثم كان من بعد عاد أقوام على علم بهم، ليس - في محيطهم فحسب، بل انتقل العلم بهم إلى الفراعنة في عهد موسى . . على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيها هو مؤمن آل فرعون يعظ قومه مذكرا إياهم بمآل الكفر بالله، يقول:

﴿يَقُولُوا إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۖ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (١٣).

وكم - في بطون الأهرام - من علم وثيق، دفنه أعداء التوحيد!!

وبعد:

فهذه حضارة قوم نوح سجلناها بقدر ما أفاء - سبحانه وتعالى - علينا من علم اقتبسناه من الوحي الصادق: كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ .

ولانزال - بمشيئة الله تعالى - دارسين لأمرها - أمام ما قدمه الغرب من دراسات في هذا السبيل لنتبين هدى الله، وعنايته بهذا الإنسان منذ خلقه بعيدا عن مفترضات الهوى، وضلال الظنون، فيآلى لقاء مع التصحيح.

(١١) راجع الآيتين ١٥، ١٦ من سورة نوح.

(١٣) غافر (٣٠: ٣١).

(١٠) نوح (١٧، ١٨).

(١٢) نوح (١١: ١٣).

اغتيال إسلامية فياسوف ؟! (٣)

الديبراع الرشدي في تصور العالم وفي حلقة الفلسفة بالدين

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

أما دعوى قدم العالم، التي قال بها « الرشديون الثلاثين »، ومن بعدهم كل المدارس الوضعية والمادية، فلسفة التنوير الغربي، فإن ابن رشد يقدم فيها مذهبا يخرجها من هذا الاستقطاب الذي قام إزاءها بين الفلاسفة القدماء وبين المتكلمين الإسلاميين.. فيقول:

« وأما مسألة قدم العالم، وحدوثه، فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين من الأشعرية وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعا للاختلاف في التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء. وذلك أنهم اتفقوا على أن هاهنا ثلاثة أصناف من الموجودات، طرفان، وواسطة بين الطرفين. فاتفقوا في تسمية الطرفين، واختلفوا في الواسطة.

تسميته قديما. وهذا الموجود مُدرك بالبرهان، وهو الله - تبارك وتعالى - الذي هو فاعل الكل ومُوجده والحافظ له - سبحانه وتعالى - قدره.

وأما الصنف من الموجود، الذي بين هذين الطرفين، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شيء، أعنى عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره.. فهذا الموجود قد أخذ شبهها من الوجود الكائن الحقيقي، ومن الوجود القديم، فمن غلب ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً، ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث، أسماه

فأما الطرف: فهو موجود وُجد من شيء غيره، وعن شيء، أعنى عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعنى على وجوده. وهذه هي حالة الأجسام التي يُدرك تكوينها بالحوس، مثل تكون الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات، وغير ذلك. فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع، من القدماء والأشعرية، على تسميتها محدثة.

وأما الطرف المقابل لهذا، فهو: موجود لم يكن من شيء، ولا عن شيء، ولا تقدمه زمان. وهذا - أيضا - اتفق الجميع، من الفرقتين، على



البشرى التى تجاوزها إلى الميتافيزيقا، والتى جاء التنوير ليأخذ بيده إلى الوضعية التى تحصر المعارف الحققة فى العالم والواقع، وتقف بسبل هذه المعارف عند العقل والتجربة.. فلا غيب فى مصادر المعرفة، ولا وحى ولا وجدان فى سُبُل اكتسابها..

ولهذه المنطلقات والمواقف الثابتة فى فلسفة التنوير الغربى، كان تقديم الفلسفة - وهى ثمرة عقلية - على الشريعة الدينية - بل، إذا شئنا الدقة، إحلال الفلسفة محل الشريعة، واتخاذها «شريعة عقلية» بدلا من الشريعة السماوية.. والاستغناء عن الشريعة كمصدر للقانون «برد القانون إلى أصول فيزيقية وتاريخية»!!

كذلك أنكر هذا التنوير الخوارق والمعجزات، انطلاقا من مبدأ اكتفاء الطبيعة بذاتها، وإنكاره وجود موجود غير مادى، مفارق للطبيعة، قادر على تبديل القوانين الطبيعية والأسباب الذاتية بالخوارق والمعجزات.

هذا هو موقف التنوير الغربى من العقل.. ومن علاقة الفلسفة العقلية بمبادئ الشريعة الدينية وبالخوارق والمعجزات..

فهل كانت فلسفة ابن رشد - عبر «الرشديين اللاتين» - مؤسسة لهذا التنوير؟! - كما يدعى «التنويريون الجدد» فى واقعنا الثقافى هذه الأيام!؟

مُحدَّثاً. وهو فى الحقيقية، ليس مُحدَّثاً حقيقيا ولا قديما حقيقيا، فإن المُحدَّث الحقيقى فاسد ضرورة، والقديم الحقيقى ليس له علة^(١).

فابن رشد، هنا، يقدم - فى الخلاف حول قدَم العالم وحدوثه - مذهبا ثالثا، فيه حل للخلاف الذى أحدث استقطابا بين الفلاسفة وبين بعض المتكلمين.. وليس قائلا بالقدم الحقيقى للعالم.. وهو مذهب يجعله على النقيض من مذاهب التنويريين، الماديين والوضعيين.. ذلك أنه ينتصر، بهذا المذهب، للفكر الإلهى الذى جعل العالم وسائر الموجودات مخلوقة للخالق الواحد القديم.

علاقة الفلسفة بالشريعة

لقد جعل التنوير الغربى شعاره: «إنه لا سلطان على العقل إلا للعقل».. ولم يكن ذلك لمجرد الانتصار للعقل فى مواجهة اللاهوت الكنسى. وإنما كان ذلك لأن فلسفة هذا التنوير كانت «وضعية ومادية»، تقف عند معارف وحقائق هذا العالم وحده، عالم الشهادة، التى رأت العقل قادرا على أن يستقل بإدراكها دون عون من الوحى والدين.. ولأن هذا التنوير كان وضعيا فى كل الحالات، وماديا فى بعض الحالات، فهو لم يستغن - مجرد استغناء - عن معارف وحقائق عالم الغيب، وإنما أنكر أن تكون هذه المعارف جديرة بما هو ضرورى للمعارف من الصدق والوثوق.. فهى عنده، طور طفولة العقل

(١) [فصل المقال] ص ٤٠ - ٤٢.

مجرد عن المادة فى ذاته، مقارن لها فى فعله»^(٤).

وإذا كان الغرب قد عاد ويعود - بسبب «الفيزياء الذرية المعاصرة التى نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مَادى فى القرن التاسع عشر» - عاد ويعود إلى تبني النظرة الإسلامية لمفهوم العقل .. وقال علماء منه: «فياله من أمر مثير أن نكتشف أن العالم يستطيع، بدوره، أن يؤمن عن حق بوجود الروح .. وإذا كان العقل والإرادة غير ماديين، فلا شك أن هاتين الملكتين لا تخضعان بالموت للتحلل الذى يطرأ على الجسم والدماغ كليهما»^(٥).

فهل نعود نحن - بالادعاءات - إلى صب ابن رشد فى القوالب الوضعية والمادية، التى يراجعها ويتراجع عنها اليوم كثير من الفلاسفة والعلماء الغربيين؟!.

● وكذلك الحال عند مقارنة الموقف الرشدى من علاقة الفلسفة بالشرعية بنظيره التنويرى الغربى .. فابن رشد لا يحل الفلسفة العقلية محل الشرعية الإلهية - كما يصنع الماديون الغربيون .. ولا يجعلهما متجاوزتين ومنفصلتين انفصال الغرف المعزولة - كما يرى الوضعيون - وإنما يؤسس الفكر عليهما معاً، بعد التوفيق والمؤاخاة بينهما .. ولهذا المقصد عقد ابن رشد كتابه المنهجي [فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال] ..

● إن مفهوم العقل، عند ابن رشد، مخالف لمفهومه عند فلاسفة التنوير الغربى .

فعلى حين يقول «دولباك» [١٧٢٣ - ١٧٨٩م]: «إن الفكر وظيفة الدماغ» .. ويقول «كابانيس» [١٧٥٧ - ١٨٠٨م]: «إن الدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء»^(٢) .. نجد ابن رشد ملتزماً بالرؤية الإسلامية التى رأت العقل «ملكة» و«لطيفة ربانية»، وليس عضواً فى جسد الإنسان .. «فالعقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة .. إن العقل ليس يُنسَبُ إلى عضو مخصوص من الإنسان .. وليس يكون قولنا فى الإنسان: إنه عالم، كقولنا: إنه يبصر، فهو يبصر بعضو مخصوص وأما إذا لم يكن للعقل عضو يخصه فَبَيَّنَ أن قولنا فيه: عالم، ليس من قبيل أن جزءاً منه عالم .. وذلك أنه ليس يظهر أن ههنا عضواً خاصاً من عضو من الأعضاء كالحال فى قوة التخيل والفكر والذكر، وذلك أن مواضع هذه معلومة من الدماغ»^(٣).

فالعقل ليس «الدماغ»، الذى يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء .. وإنما هو - على عكس التصور المادى لفلسفة التنوير الغربى - كما عند ابن رشد - «ملكة إدراك الموجودات بأسبابها» .. وكما عند الشريف الجرجانى [٤٧٠ - ٨١٦ هـ - ١٣٤٠ - ١٤١٣م]: «جوهر

(٢) [تهافت التهافت] ص ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠.

(٢) [مدخل إلى التنوير] ص ٥٦، ٦٣، ٦٤.

(٤) [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٥) أغروس، جورج ن، ستانسيون [العلم فى منظوره الجديد] ص ٣٩، ٤٢، ٤٣، ترجمة.

فهو يعلن - صراحة .. وفي الكثير من النصوص، والعديد من الكتب - أن هناك «أموراً إلهية تفوق العقول الإنسانية»، مثل «مبادئ الشريعة» و«المعجزات»، وأن «كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الإنسانية» .. وأن واجب الكافة، عامة وخاصة، جمهوراً ومتكلمين وحكماء، هو «التسليم بها والتقليد فيها، والاعتراف بها مع جهل أسبابها» .. ومن لا يسلم بهذه المبادئ الشرعية والمعجزات فهو كافر زنديق!

نعم .. يسوق ابن رشد هذا الموقف الإسلامي - المناقض لفلسفة التنوير الوضعية والمادية - في نصوص واضحة الدلالات، فيقول:

فالخطأ في الشرع على ضربين:

إما خطأ يُعذَرُ فيه من هو أهل النظر في ذلك الشيء الذي وقع فيه الخطأ، كما يُعذَرُ الطبيب الماهر إذا أخطأ في صناعة الطب، والحاكم الماهر إذا أخطأ في الحكم، ولا يُعذَرُ فيه من ليس من أهل هذا الشيء.

وإما خطأ ليس يُعذَرُ فيه أحد من الناس، بل إن وقع في مبادئ الشريعة فهو كافر، وإن وقع فيما بعد المبادئ فهو بدعة، وهذا الخطأ الذي يكون في الأشياء التي تُفْضَى جميع أصناف طرق الدلائل إلى معرفتها، فتكون معرفة ذلك الشيء بهذه الجهة ممكنة للجميع، وهذا مثل الإقرار بالله - تبارك وتعالى - وبالنبوءات، وبالسعادة الآخروية والشقاء الآخروى. وذلك أن هذه الأصول الثلاثة

وفيه قدم هذا الموقف - الذي لا يحل الفلسفة محل الشريعة .. ولا الشريعة محل الفلسفة .. ولا يفصلهما عن بعضهما - وإنما ينطلق من النظرة القرآنية التي علّمتنا أن الله هو الذي أنزل «الكتاب» و«الحكمة»، أى جعل للإصابة مصدراً جاء به الوحي إلى الأنبياء والرسل .. ومصدراً يستقل به العقل الإنسانى .. فهما - الإصابة في النبوة .. والإصابة في غير النبوة - هدايتان من الخالق الواحد للإنسان المُسْتَحْلَف في إقامة العمران .. فهما أختان رضيعتان، ليس بينهما تناقض أو شقاق .. وفي ذلك يقول أبو الوليد: «إن الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرضيعة .. وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجواهر والغريزة»^(٦) .. فهل يجوز أو يسوغ حشر هذا الموقف الرشدي في قوالب التنوير الغربى المادى والوضعى؟! والإدعاء بأن «ابن رشد يخضع الدين للعقل بفضل ما لدى العقل من قدرة على التأويل»؟!^(٧).

الموقف من الخوارق والمعجزات

وإذا كان التنوير الغربى - لوضعيته وماديته - قد أنكر الخوارق والمعجزات، فإنه قد اتخذ هذا الموقف لأنه قد رآها خارجة عن الإدراك العقلى، وهو قد نفى صفات المعرفة والحقيقة والصدق والعلم عن كل ما لا يدرك بالعقل والتجربة المحسوسة .. وجعل شعاره: «لا سلطان على العقل إلا للعقل».

أما موقف ابن رشد، من هذه القضية، فهو على النقيض من موقف التنويريين الغربيين،

(٧) [تهافت التهافت] ص ١٢١، ١٢٢.

(٦) [فصل المقال] ص ٤٥، ٤٦.



موجود؟ وهل السعادة موجودة؟ وهل الفضائل موجودة؟ .. [وعندهم] - أنه لا يُشك في وجودها، وأن كيفية وجودها هو أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية والعلة في ذلك أن هذه هي مبادئ الأعمال التي يكون بها الإنسان فاضلا ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة، فوجب أن لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة .. والذي يقول القدماء في أمر الوحي والرؤيا إنما هو عن الله - تعالى - بتوسط موجود روحاني ليس بجسم، وهو واهب العقل الإنساني عندهم، وهو الذي يسميه الحذاق منهم العقل الفعال، ويسمى في الشريعة ملكا .. ».

فعلى حين أسس التنوير الغربي العلم على الواقع، المدرك بالعقل والتجربة، مع إنكار معارف الغيب وطرق المعرفة الشرعية .. تحدث ابن رشد عن تسليم الفلاسفة القدماء بمبادئ الشريعة - في الألوهية .. والنبوة .. والسعادة والشقاء الأخرويين - وبالمعجزات - التي تعجز العقول الإنسانية عن الاستقلال بإدراك كيفية وجودها .. ولذلك فهي تحتاج في إدراك ذلك إلى الوحي - الذي سلم به الفلاسفة القدماء - بل ورأوه واهب العقل الإنساني !.

ولأن هذا هو موقف الفلاسفة الإلهيين القدماء، من مبادئ الشريعة، ومن المعجزات .. كان دفاع ابن رشد عن موقفهم هذا في رده على الإمام الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م] - وهو رد

تؤدي إليها أصناف الدلائل الثلاثة، التي لا يعرى أحد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها بالذي كُلف معرفته، أعنى: الدلائل الخطابية، والجدلية، والبرهانية. فالجاحد لمثل هذه الأشياء، إذا كانت أصلا من أصول الشرع، كافر، معاند بلسانه دون قلبه، أو بغفلته عن التعرض إلى معرفة دليلها، لأنه إن كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي» يريد: بأي طريق اتفق لهم من طرق الإيمان الثلاثة .. ».

فالجحد لمبادئ الشريعة كفر، لا عذر لصاحبه من الخاصة كان أو من الجمهور .. وجزاؤه - عند ابن رشد - القتل .. فهل في هذا المذهب الرشدي تأسيس للتنوير الغربي، الذي استبدل الدين الطبيعي بالدين الإلهي؟!.

والمعجزات التي أنكرها التنويريون، لأن العقل لم يدرك أسبابها .. يراها ابن رشد - كمبادئ الشريعة - مما لا يُعذر إنسان في عدم التصديق بها .. وجاحدها، عنده، زنديق يجب قتله .. وفي ذلك يقول:

«أما الكلام في المعجزات .. فقدماء الفلاسفة يرون أنها من مبادئ الشرائع، والفاحص عنها والمشكل فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم، مثل من يفحص عن مبادئ الشرائع العامة، مثل: هل الله - تعالى -





تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين فى العلم، فعرض له تأويل فى مبدأ من مبادئها، فيجب عليه أن لا يصرح بذلك التأويل، وأن يقول فيه كما قال تعالى:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾^(٨).

هذه حدود الشرائع، وحدود العلماء^(٩). فمبادئ الشريعة والمعجزات «أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية».. وواجب العلماء الراسخين فى العلم - الذين عقلوا وجود الخالق للأسباب القادر على إحلال أسباب أخرى غير معتادة تؤدي إلى معجزات وخوارق ومُسَبِّبَات أخرى غير معتادة - أن يعترفوا ويسلموا ويقلدوا فى هذه الأمور التى لا تستقل العقول الإنسانية بإدراك «كيفية وجودها».. وحتى إذا عرض للراسخين فى العلم تأويل فى شىء من ذلك فواجب أن لا يصرحوا بذلك التأويل.. فليس فرضاً على العقول الفحص فيما لا قبل لها بإدراكه.. وإنما فرضها أن تقول كما قال الله - تعالى:

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾^(٨).

فهل هناك حد أدنى من الفقه والصدق والعدالة العلمية لدى الذين يضعون هذا الفكر الرشدى فى سلة التنوير الغربى الوضعى والمادى!؟

يؤكد على موقفهم هذا من مبادئ الشريعة ومن المعجزات.. قال:

«وأما ما نسبته - [الغزالي إلى الفلاسفة] - من الاعتراض على معجزة إبراهيم - عليه السلام - [تحول النار عندما ألقى فيها إلى برد وسلام] - فشئ لم يقله إلا الزنادقة من أهل الإسلام، فإن الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع، وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ، وواجب على الناظر فى تلك الصناعة أن يسلم مبادئها، ولا يتعرض لها بنفى ولا إبطال، كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك، لأن المشى على الفضائل الشرعية هو ضرورى عندهم، ليس فى وجود الإنسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وأن يقلد فيها، فإن جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان، ولذلك وجب قتل الزنادقة، فالذى يجب أن يقال فيها: إن مبادئها أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية، فلا بد أن يعترف بها مع جهل أسبابها، ولذلك لا تجد أحداً من القدماء تكلم فى المعجزات، مع انتشارها وظهورها فى العالم، لأنها مبادئ تثبتت الشرائع، والشرائع مبادئ الفضائل، ولا فيما يقال بعد الموت.. فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلاً بإطلاق، فإن

(٨) [تهافت التهافت] ١٢٤ : ١٢٥.

(٨) آل عمران: ٧.



من أعلام الأزهر

الشيخ محمد حافظ سليمان

للأستاذ / حمدي أبو السعود أحمد علي



الشيخ/ محمد حافظ سليمان

● الداعية الإسلامي الشيخ محمد حافظ سليمان على مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر سابقاً. أحد الذين كرسوا حياتهم كلها في الدعوة إلى الله بعلمه وأفقّه الواسع في تحليل القضايا الإسلامية ومنهجه المتميز في الخطابة على المنبر ومن خلال الندوات واللقاءات الدينية فيجذب إليه السامع لما لحديثه من بلاغة في لغته ودقة أسلوبه.

حياته

● كان الميلاد في الخامس عشر من شهر سبتمبر ١٩١٤، بقرية أولاد يحيى الحاجر بمركز دار السلام بمحافظة سوهاج، والتحق بمدرسة أولاد يحيى الحاجر «الأولية» ومكتب الدوادية بجرجا حيث حفظ القرآن الكريم وهو في التاسعة من عمره ثم التحق بمعهد أسبوط الديني حيث حصل على شهادتي الابتدائية والثانوية الأزهرية وأثناء هذه الفترة انهمك الفتى على حفظ القرآن بالقراءات السبع فظهرت عليه علامات النبوغ والعبقريّة

ونهل من كتب التراث في شتى العلوم اللغوية والدينية والأدبية ما شاءت به قريحته، ويقرأ التفاسير ويقف أمام المذاهب المختلفة ليكون فيما بعد رؤاه الخاصة ومذهبه المستقل المستنير النابع من آيات الله والسنة ومذاهب وفكر الأئمة السابقين. ثم حصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٩٤٥م، ثم إجازة الوعظ والدعوة، ثم عين بعد التخرج واعظاً عاماً بالأزهر بمراكز

الجماعات الإسلامية في السجون في ذلك الوقت وأحدثت صدى واسعاً في تصحيح المفاهيم الخاطئة.

كما أنه من خلال عمله سافر إلى عدد من الدول منها سوريا رئيساً للبعثة الإسلامية وغزة وكوريا الجنوبية بدعوة رسمية من رئيسها حينذاك واستطاع أن يكون خير سفير لمصر في تأديته لمهمته في الدعوة وأسلم على يديه الكثيرون.

كان عضواً بمجلس محلي المحافظة عدة مرات ثم انتخب بمجلس الأمة من عام ٦٤ إلى ٦٩، حيث كانت له بصماته الواضحة حيث تقدم بعدة اقتراحات منها تطوير إذاعة القرآن الكريم وتم تنفيذه لتحمل مشعل التنوير والثقافة الإسلامية إلى العالم أجمع، وتعيين خريجي كلية الشريعة والقانون في الوظائف القضائية، وتمت الموافقة عليه وكانت له مواقف في العمل الاجتماعي أظهرت رجولته ونبله أيام السيول: التي اجتاحت دار السلام فتحول منزله إلى غرفة عمليات لمساعدة الأهالي والشد من أزهرهم وأشاد به د. محمود الشريف وزير التنمية المحلية حينذاك لموقفه الرائع وجهده الوفير في احتواء الأزمة ودعمه للوحدة الوطنية في أحداث الكشح وهكذا تكون معادن الرجال إبان الأزمات.

وانطلق بآفاق علمه بعيداً عن التشدد والمغالاة في الدين فكان كالسيل المنهمر في حديثه وإذا كتب انطلق القلم بين أصابعه طلقاً سهلاً متمتعاً بأسلوبه السهل الممتع والقدير.

البلينا وجرجا ودشنا، ثم مفتشاً عاماً للوعظ بمحافظة سوهاج عام ١٩٥٢م.

ثم مراقباً عاماً بالأزهر على مستوى الجمهورية عام ١٩٦٤م، ثم مديراً عاماً للوعظ والدعوة عام ١٩٧٠م، وحتى عام ١٩٨٤م، وفي هذه الأثناء عين مستشاراً دينياً للحزب الوطني وعضواً في المجالس القومية المتخصصة.

وعن مشواره في الدعوة الإسلامية قال: «قد كان فضل الله على كبريا وعطاؤه كريماً أن جعلني ممن يقومون بواجب الدعوة إلى الله - تعالى - قرابة نصف قرن من الزمان وكنت مؤمناً بأن الدعوة الإسلامية فريضة دينية ورسالة كبرى سامية خالدة لا يقدر على حملها المهازبل من الناس ومن فضل الله عليّ أن وفقني في كل عمل أسند إليّ ببركة المرحوم والدي الورع التقى الذي نذرني لله»

وكان رحمه الله عالماً يمتلك من العلم والבלاغة والحجة ما يجعله عبقرياً والخطابة المشورة والفضل في كل أمور الدنيا والدين.

وقدم كماً هائلاً من الأحاديث للإذاعة والتليفزيون وخاصة إذاعة القرآن الكريم في التفسير والحديث وشتى الأمور الدينية ومقالاته الكثيرة في الصحف والمجلات الدينية كالأهرام والأزهر ومنبر الإسلام ونور الإسلام حيث كان مديراً لها إلى أن ترك العمل وأحيل إلى المعاش كما أنه أصدر كتابيه «عظمة الإسلام» و«الحج والعمرة» وأثناء عمله في مجال الدعوة، شارك مع علماء الأزهر في الحوارات التي تمت مع

أعماله

المبدول والنتائج التي تحققت. فهو بعد ذلك يصف ما آل إليه حال الفاسدين الذين بلغ حالهم حد يأس المجتمع منهم ولكنه نجح فيما فشل فيه المجتمع وتحول هؤلاء إلى سعادة الاقتداء بالصالحين. ويقول عنه الشاعر الكبير «محمود بكر هلال».

أقبل الشيخ كالشفاء لدى السقيم
وكالأمن في الفؤاد الخجل
كنت فينا ولا تزال إماماً

عبقري الحجا خطيبا وفيصل
يصف شاعرنا زيارة هذا العالم الجليل لبلدته
موضحا أثر الزيارة وعظمة الزائر وقدره لجهوده
العلمية والدينية وقد منحه الرئيس محمد حسنى
مبارك رئيس الجمهورية جائزة الدولة التقديرية
عام ١٩٨٤م.

وفاته

بعد حياة حافلة بالموافق والعبير إنتقل إلى
رحمة الله في يوم السابع عشر من ذى الحجة
١٤١٩هـ، الموافق الثالث من أبريل ١٩٩٩م،
ودعت سوهاج علما من أعلامها ورمزا من
رموزها وشمعة ظلت مضيئة بالنور والدفع
والحماس والقدوة وتبقى خصاله وتبقى ذكراه
للأجيال القادمة.

رحمه الله عالمنا الجليل وأسكنه فسيح جناته.

● المجلة: نرجو أن تتاح الفرصة لأحد
تلامذة الشيخ أن يكتب عن الراحل
الكريم بما يوفيه بعض قدره.

خير الناس أنفعهم للناس من هذا المنطلق أسهم
فى إنشاء المعاهد الأزهرية على مستوى الوجه القبلى
وخاصة بمركز دار السلام لينتشر العلم بين ربوعها
وينهل أبناؤها من علمه الفياض لحمل مشعل التنوير
وشاء الله أن يكون فى بلاد شرقى النيل التى تحد غربا
بالنيل وشرقا بالصحراء معاهد أزهرية لا يخلو منها
ناحية ففى قريته، أنشأ عدة معاهد ابتدائى-
إعدادى- ثانوى- معهد للفتيات، تكلف ما يقرب
من ٢ مليون جنيه ويعتبر معهدا نموذجيا وبجواره
مسجد تحفة فنية إسلامية كما أسهم من خلال
عمله فى الحد من ظاهرة الثأر فى الصعيد وإتمام
الصلح بين المتخاصمين وأن يرفرف السلام على
أهلها والعيش فى أمان واستقرار، يقول عنه الشاعر
الكبير إبراهيم النجارى:

يا أمة فى العلم كم لك آية
فى الصالحات الباقيات وكم يد
جاهدت للأخلاق تنشر فضلها
وأرحت قومك من شرور المفسد
كم آثم اتخذ الخلاعة ديدنا
وطريد خلق فى الحياة مشرد
وقيته غى الهوى وهديته
سبل الرشاد فكان أسعد مقتدى

يوجز شاعرنا دور هذا الداعية فى بلاغة تعطى
الرجل بعضا مما يستحقه فيشبهه الشاعر عالمنا بأنه
أمة وحضارة تركت من الأثر والآيات الصالحات
الكثير مما دعم الأخلاق وفضائلها وهزم المفسد.
مستخدما تعبير (جاهدت) دليلا حيا على الجهد

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الشاعر والمأهون

أتى شاعر المأمون فقال: لقد قلت فيك شعراً.
فقال: أنشدنيهِ: فقال:

حياك رب الناس حياكا
إذ بجمال الوجه رقাকা
بغداد من نورك قد أشرقت
وأورق العود بجودواكا
قال: فأطرق المأمون ساعة، وقال: يا أعرابي،
وأنا قد قلت فيك شعراً:

حياك رب الناس حياكا
إن الذي أملت أخطاك
أتيت شخصاً قد خلا كيسه
ولو حوى شيئاً لأعطاك
فقال: يا أمير المؤمنين الشعر بالشعر حرام
فاجعل بينهما شيئاً يستطاب، فضحك المأمون
وأمر له بمال.

حقاً

يا أيها الأُمى قد علمتنا
وهديت فينا أنفساً وعقولاً
شاء الإله لنا النجاة فخصنا
بك هادياً ومعلماً ورسولاً
«علية الجعار»

الهم.. بالمعصية

لم يؤاخذ الله - تعالى - أحداً من خلقه على
الهم بالمعصية إلا في المسجد الحرام:

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُطْلَمِ نَذْقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١)
لأنه المكان المقدس الذي يجب أن يكون فيه
الإنسان نقي القلب طاهر النفس، صافي السريرة،
خالصاً بكلّيته لله، فمن ينتهك حرمة الملك في
حماء جدير بالجحيم والعذاب الأليم.

كم فقار ظهرك؟

قال رجل لأعرابي: ما أحسبك تعرف كم
تصلي في كل يوم وليلة؟
فقال له: فين عرفت أتجعل لى على نفسك
مسألة؟

قال: نعم!!

قال:

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع
قال: صدقت.. هات مسألتك.
قال له: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدرى.
قال: فتحكم بين الناس، وتجهل هذا من
نفسك.



اللهم أنت غياثي فبك أستغيث، وأنت
ملاذئ فبك ألوذ، وأنت عياذي فبك أعوذ،
أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك
ونسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك.

قالوا...

- عجبت لمن يقنط، ومعه الاستغفار.
- رب قريب أبعد من بعيد، وبعيد أقرب من
قريب والغريب لم يكن له حبيب.
- لا تستح من القليل فإن الحرمان أقل منه.
- من لم يصبر على كلمة سمع كلمات.
- من هانت عليه نفسه، فهو أهون على غيره.
- من سلمت سريره سلمت علانيته.
- خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا
عليكم، وإن عشتهم حنوا إليكم.
- ما أحسن الموت إذا حان الأجل.
- الغضب على من لا تملك عجز، وعلى من
تملك لؤم.

الشكوى لغير الله

قال الأحنف بن قيس: شكوت إلى عمي
وجعاً في بطني فنهرنى، ثم قال: يا ابن أخي لا
تشك إلى أحد منازل بك، فإنما الناس رجلان:
صديق تسوؤه، أو عدو تسره.
يا ابن أخي: لا تشك إلى مخلوق مثلك لا
يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن أشك إلى
من ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عنك.
يا ابن أخي: إحدى عيني هاتين ما تبصرت بها
سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة، وما اطلعت على
ذلك امرأتى أو أحد من أهلى:

﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّفَ إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢).

منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

لذكر الله وتسبيحه منزلة سامية، ومكانة عالية، به تصفو النفوس، وبه ترقى الروح إلى الدرجات العلى حب الله والتعلق بذاته والإخلاص في عبادته، وبه تأنس القلوب فلا تشعر بوحشة، وبه تمتلئ حياة الذاكرين فلا يحسون بفرغ ولا وحدة، وبه تتخلص الأفئدة من التعلق بالدنيا فلا تتشغل بمتاعها الزائل وشهواتها الفانية، فقد وجه الذاكرون جهدهم كله إلى ما يحبه الله ويرضاه في كل وقت وأن أضاء الليل وأطراف النهار.

﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِم مَّحَرَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (١).

ويبين ابن القيم - رحمه الله تعالى - منزلة الذكر وأهميته فيقول: وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دأب ما يترددون.

منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تدأبنا بذكر كرم

فتترك الذكر أحياناً فننتكس

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكريات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به لهب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقه انتكست



وقيل: الذكر هو: التخلص من الغفلة والنسيان، يقول الراغب: «الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان».

وقد وردت كلمة «الذكر» في القرآن الكريم على معان كثيرة، ذكر أهل التفسير: أن الذكر في القرآن الكريم جاء على أوجه منها:

أحدها: الذكر باللسان. ومنه قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٢).

الثاني الذكر بالقلب: ومنه قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(٣).

وقيل هو الندم.

الثالث: الحديث. ومنه قوله - تعالى:

﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٤)، ومثله:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥).

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾^(٦).

النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون... يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورا.

وفى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقلها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقاءه واشتياقا، به يزول الوقر عن الأسماك، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

ويطلق الذكر على معان كثيرة منها: الصلاة لله - تعالى - والدعاء إليه، والطاعة، والشكر، والدعاء، والتسبيح وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسبيحه وتحميده وتكبيره والثناء عليه بجميع محامده.

(٢) آل عمران (١٣٥).

(٥) مريم (٤١).

(٢) البقرة (٢٠٠).

(٤) يوسف (٤٢).

(٦) مريم (٥١).





الرابع: الخبر. ومنه قوله تعالى:

﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(٧).

الخامس: العظة. ومنه قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

فَتَحْنَأْ عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٨).

السادس: الوحي. ومنه قوله تعالى:

﴿فَالْتَلَيْتَ ذِكْرًا﴾^(٩).

السابع: القرآن. ومنه قوله تعالى:

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾^(١٠).

الثامن: التوراة والكتب السابقة. ومنه

قوله تعالى:

﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١١).

التاسع: الشرف. ومنه قوله تعالى:

﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(١٢).

العاشر: الطاعة. ومنه قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١٣).

أى أطيعونى أغفر لكم.

الحادى عشر: البيان. ومنه قوله تعالى:

﴿أَوْعِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١٤).

الثانى عشر: الصلوات الخمس. ومنه تعالى:

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾^(١٥).

الثالث عشر: صلاة الجمعة. ومنه قوله تعالى:

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾^(١٦).

الرابع عشر: صلاة العصر. ومنه قوله

تعالى:

﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾^(١٧).

الخامس عشر: الرسول. ومنه قوله تعالى:

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١﴾ زَسْوَلاً﴾^(١٨).

وهذه الآيات التى استشهد بها لهذه

المعانى تحملها وغيرها.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - جاء

الذكر فى القرآن على عشرة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقا ومقيدا. وذلك

كقوله تعالى:

(٨) الأنعام (٤٤).

(١٠) الأنبياء (٥٠).

(١٢) الزخرف (٤٤).

(١٤) الأعراف (٦٣).

(١٦) الجمعة (٩).

(١٨) الطلاق (١٠، ١١).

(٧) الكهف (٨٣).

(٩) الصافات (٣).

(١١) النحل (٤٣).

(١٣) البقرة (١٥٢).

(١٥) البقرة (٢٣٩).

(١٧) ص (٣٢).



التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الأبواب دون غيرهم كقوله تعالى:

﴿إِن كُفِيَ
خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِتْلِفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَةً
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُثُوبِهِمْ (٢٩).

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال وروحها، فقد قرنه بالصلاة كقوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٣٠)، وكذلك قرنه بالصيام وبالجماع وغيرها.

وللذكر درجات، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر ثناء أو دعاء أو رعاية، فأما ذكر الثناء فنحو « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ، وأما ذكر الدعاء فنحو

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣١).

وأما ذكر الرعاية فمثل قول الذاكر: « الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي ».

الدرجة الثانية: الذكر الخفي. وهو الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة.

الدرجة الثالثة: الذكر الحقيقي. وهو شهود ذكر الحق إياك، والتخلص من شهود ذكرك. وقد سُمي هذا الذكر حقيقياً، لأنه منسوب إلى الرب - تعالى - فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقي، وهو شهود ذكر الحق عبده.

وللذكر دلالات عامة. قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكير في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكالييف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح، هو أن تصير مستغرقة في الطاعات. ومن ثم سُمي الله الصلاة ذكراً فقال:

﴿فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣٢).

ونقل عن بعضهم قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء. وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا.

(٣٠) طه (١٤).

(٣٢) الجمعة (٩).

(٢٩) آل عمران (١٩٠، ١٩١).

(٣١) الأعراف (٢٣).



الأمويون

وتأكيدهم لحرية القدس الإسلامية

للمستأذ الدكتور / محمديهم الفيومي

بعد أن آلت مقاليد الخلافة إلى معاوية نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، وكان نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق خيرا على فلسطين التي أصبحت قريبة من مركز السلطة وازدهرت بذلك حضاريا واقتصاديا كما أن معاوية الذي ظل حاكما للشام لمدة تقرب من العشرين عاما كان قد تعلم حب بيت المقدس ورغم حدوث محاولة لاغتياله في المدينة فقد كان يحرص على زيارتها كلما أتى إلى فلسطين وفيما بعد قام المسلمون بجمع أقوال معاوية في بيت المقدس.

فقد قال عنها المسلمون فيما قال معاوية: إن المدينة المقدسة ستكون المكان الذي يبعث فيه الناس ويجمعون يوم الحساب، وإنها أيضا مكان يتطهر من يعيش فيه وتضفى عليه القداسة وأن الشام جميعها هي أرض الله المختارة التي سيعود إليها أفضل عباده كما روى - أيضا - أن معاوية قال في خطبة له في الحرم ما معناه: إن الله يحب البقعة الواقعة بين جداري ذلك المسجد أكثر من أي مكان في العالم، وقيل - أيضا - إن المسلمين الذين يتعبدون في الحرم القدسي بإمكانهم أن ينقلوا هناك قداسة مكة رغم بعدهم عنها.

وبعد وفاة معاوية استفحل الشقاق في الإمبراطورية الإسلامية لأن بعض الرعايا المسلمين رفضوا خلافة ابنه يزيد وفي عام ٦٨٠م قاد الحسين بن علي حفيد الرسول ﷺ عصيانا ضد الأمويين انتهى بمذبحة بشعة راح هو وأتباعه القليلون المستضعفون ضحيتها في كربلاء في العراق وأصبحت كربلاء منذ ذلك الحين مدينة مقدسة للشيعة الذين اعتقدوا أن الأمة يجب أن يحكمها آل بيت الرسول ﷺ ورغم قداسة كربلاء فإن الشيعة كانوا يبجلون الأئمة من نسل سيدنا محمد ﷺ وعلى.

وبعد وفاة معاوية استفحل الشقاق في الإمبراطورية الإسلامية لأن بعض الرعايا المسلمين رفضوا خلافة ابنه يزيد وفي عام ٦٨٠م قاد الحسين بن علي حفيد الرسول ﷺ عصيانا ضد الأمويين انتهى بمذبحة بشعة راح هو وأتباعه القليلون المستضعفون ضحيتها في كربلاء في العراق وأصبحت كربلاء منذ ذلك الحين مدينة مقدسة للشيعة الذين اعتقدوا أن الأمة يجب أن يحكمها آل بيت الرسول ﷺ ورغم قداسة كربلاء فإن الشيعة كانوا يبجلون الأئمة من نسل سيدنا محمد ﷺ وعلى.



ويعتقد وفاة يزيد تمكن ابنه مروان الأول ٦٨٤ - ٦٨٥ م ثم ابنه عبد الملك ٦٨٥ - ٧٠٥ م من إرساء قواعد الحكم الأموي في سوريا وفي انحاء الإمبراطورية فيما بعد وبدأ عبد الملك وكان واليا على قدر عال من الكفاءة، عمليا باستبدال أنظمة إدارية عربية بأنظمة الإدارة البيزنطية والفارسية أى بملكية مركزية.

وبعد أن تمكن من إرساء نوع من السلام والأمن بدأ يولى مدينة بيت المقدس التى كان مولعا بها مثل غيره من الأمويين اهتمامه فقام بإصلاح أسوار وبوابات المدينة التى كانت قد دمرت وبنى دار الإمامة مقر حاكم إيلياء قرب الحرم غير أن أعظم إسهاماته فى المدينة كانت بلاشك قبة الصخرة التى أصدر الأمر بتشيدها عام ٦٨٨ م فقد أبرزت أن للإسلام أماكنه المقدسة وكان هناك أيضا الخط العربى ذو القوة والجمال غير العاديين بيد أنه لم يكن لدى الإسلام مبان أو نصب تذكارية وكانت بيت المقدس مدينة تملؤها الكنائس الفخمة، ومن ثم شعر المسلمون بأن هناك ما ينقصهم فى هذا الصدد ولابد أنهم أحسوا برغبة فى أن يبرهنوا للمسيحيين أن لديهم رؤية واضحة بإمكانهم التعبير عنها فقد لاحظ الجغرافى والمؤرخ المقدسى وهو من مدينة القدس وكان يكتب فى القرن العاشر الميلادى أن كنائس بلاد الشام على درجة ساحرة من الجمال وأن قبة «القيامة» كانت من العظمة والروعة بدرجة خشى معها عبد الملك أن تبهر عقول المسلمين ولذا رغب

المسلمون فى إقامة ميدان أو نصب تذكارية تصبح أعجوبة العالم ومن هنا أمر عبد الملك ببناء قبة جديدة تتحدى قبة القيامة على التل الغربى وأيضا كنيسة الصعود المرموقة على جبل الزيتون والتى كانت تتلأأ بريقا حينما تضاء ليلا لدرجة أصبحت معها أحد المشاهد الرائعة فى بيت المقدس، ولكى يتأكد أن البناء الإسلامى الجديد سيكون على نفس الدرجة من الروعة وظف عبد الملك حرفيين ومهندسين من بيزنطة ومن المحتمل أيضا أنه أوكل إلى اثنين أو ثلاثة من المسيحيين مهمة الاشتراك فى التشييد غير أنه رغم إسهام أهل الذمة فإن ذلك الصرح الإسلامى الأول العظيم يحمل رسالة إسلامية لا يخطئها أحد.

واختار الخليفة أن يبنى القبة حول الصخرة البارزة من دكة المعبد الهيرودى فى اتجاه الركن الشمالى للدكة.

وأصبح اليهود والمسلمون ينظرون إلى الصخرة على أنها أساس المعبد ومركز العالم ومدخل جنة الفردوس ومصدر الخصوبة وتلك صور ارتبطت جميعها بالأماكن المقدسة للديانات التوحيدية كما أن المسلمين شعروا منذ الأيام المبكرة لبناء تلك القبة أن زيارتهم لها تعود بهم إلى حالة التناغم الفردوسى الأولى.

وكُرس كل النقوش تقريبا داخل القبة والتى تعلو الأقواس والأروقة الداخلية للآيات القرآنية التى تنكر الفكرة القائلة بأن الله اتخذ ولدا وتلك الآيات موجهة لأهل الكتاب

وبعد أن تمكن من إرساء نوع من السلام والأمن بدأ يولى مدينة بيت المقدس التى كان مولعا بها مثل غيره من الأمويين اهتمامه فقام بإصلاح أسوار وبوابات المدينة التى كانت قد دمرت وبنى دار الإمامة مقر حاكم إيلياء قرب الحرم غير أن أعظم إسهاماته فى المدينة كانت بلاشك قبة الصخرة التى أصدر الأمر بتشيدها عام ٦٨٨ م فقد أبرزت أن للإسلام أماكنه المقدسة وكان هناك أيضا الخط العربى ذو القوة والجمال غير العاديين بيد أنه لم يكن لدى الإسلام مبان أو نصب تذكارية وكانت بيت المقدس مدينة تملؤها الكنائس الفخمة، ومن ثم شعر المسلمون بأن هناك ما ينقصهم فى هذا الصدد ولابد أنهم أحسوا برغبة فى أن يبرهنوا للمسيحيين أن لديهم رؤية واضحة بإمكانهم التعبير عنها فقد لاحظ الجغرافى والمؤرخ المقدسى وهو من مدينة القدس وكان يكتب فى القرن العاشر الميلادى أن كنائس بلاد الشام على درجة ساحرة من الجمال وأن قبة «القيامة» كانت من العظمة والروعة بدرجة خشى معها عبد الملك أن تبهر عقول المسلمين ولذا رغب





وتحذرهم من الأقوال غير الدقيقة والخطيرة
عن الله :

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١).

ولابد أن تلك النقوش القرآنية قد وافقت
اليهود فلم يحدث أن نظر اليهود إلى مشروع
تشيد ذلك البناء الإسلامى على جبل المعبد
الخاص بهم نظرة ذعر بل أن مؤلف
« أسرار الخاخام سيمون بن يوحنا » اليهودى
عام ٧٥٠م يرى البناء مقدمة للعصر المسيانى
لله كما امتدح سيمون الخليفة المسلم لكونه
محبا لإسرائيل قام بترميم تصدعات صهيون
وتصدعات المعبد فهو ينحت جبل موريا
ويقوى منه ويقوم بتشيد مسجد هناك على
صخرة المعبد بيد أنه كان لصخرة القبة رسالة
أخرى لليهود .

والرسالة المتضمنة هى أن اليهود ليسوا
أبناء إبراهيم الوحيدين وعليهم -أيضا- أن
يتذكروا أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل
كان مسلما .

أما الأمر المؤكد احتمالا فهو أن القبة
كانت تأكيداً للهوية الإسلامية ولم يقصد بها
كما يقول البعض صرف المسلمين عن الحج

إلى مكة التى كانت ماتزال فى أيدي الزبير
وكان مؤرخ القرن التاسع العراقى « يعقوبى »
هو أول من افترض تلك النظرية وأخبرنا أن
الأروقة الدائرية صممت من أجل الطواف
وكما يقول : فقد بدأ الناس يطوفون حول
« الصخرة » كما يطوفون حول الكعبة
واحتمال صحة هذا القول ضعيلة فممرات
القبة شديدة الضيق بحيث لا تسمح بأداء
شعيرة الطواف المعقدة بالإضافة إلى أنه لو
كان هدف الخليفة استبدال مكة لصار الأمر
أكثر يسرا لو أنه شيد بناء يماثل الكعبة بدلا
من تجشم مشقة تصميم تلك القبة المعقدة
ولا ينسب أحد آخر من مؤرخى تلك الفترة
ذلك المقصد غير الورع للخليفة الذى كان
لابد وأن يصدم العالم الإسلامى كله كما أن
عبد الملك لم يظهر سوى شعور الورع العميق
تجاه مكة والكعبة أما يعقوبى فكان من أشد
معارضى الأمويين ولا نملك سوى نبذ تلك
النظرية كفكرة دعائية خالصة .

ولو كانت القبة مجرد خدعة سياسية أو
قصد بها إحراز فوز على الذميين لما
استحوذت على أفئدة الشعب الإسلامى
وبدلا من ذلك فقد أصبحت القبة نموذجا
لجميع المباني الإسلامية فيما بعد فحينما كان
المتعبدون والحجاج يدخلون ذلك المبنى كانوا
يجدون فيه رمزا كاملا للطريق الذى كان
عليهم أن يسلكوه ليجدوا الله .

(١) النساء (١٧١).

لضيقة واستطالته بدرجة أكبر مما يجوز، وقام الخليفة أيضا بإصلاح جدران هيروود المساندة وتعلية أطوالها غير أنه لم يستطع مماثلة حجم الأحجار الهيرودية الضخمة كمابنى أيضا صفوفًا من الأعمدة تشبه إلى حد ما تلك التي توجد هناك الآن وأخيرًا تمت إزالة المناطق السكنية الموجودة إلى جوار الحرم حتى يتسع المكان لإقامة بعض المباني الملكية الفخمة كما أعيد بناء البوابات التي تقع في الطرف الجنوبي للرصيف، وشيدت مجمعات من أبنية عامة كان أكثرها روعة قصر ضخيم مكون من طابقين صممت جدرانها حول فناء يتوسطه ويصل دور القصر العلوى بالحرم جسر يؤدي مباشرة إلى داخل المسجد الجديد. وامتدت سلسلة من المباني ذات الأعمدة إلى الغرب والشمال بطول الجدار الغربى المساند وكان هناك نزل للحجيج وحمام عام ومعسكرات وأبنية عامة أخرى وأخيرًا تمت إعادة تشييد جسر هيروود القديم المؤدى إلى الحرم من طريق يعرف اليوم بطريق السلسلة وكان ذلك أكبر المجمعات العمرانية التي شيدها الأمويون على الإطلاق.

ومما لاشك فيه أن المدينة جذبت اهتمام ابن الوليد سليمان ٧١٥ - ٧١٧م بدرجة كبيرة وفى هذا الصدد يقول مجيرالدين: إن سليمان كان يخطط للعيش فى بيت المقدس ولجعلها عاصمة ملكه ويا ليتة فعل.. وكان ينوى إحضار ثروة ضخمة وعدد كبير من السكان إلى هناك ومثل الملك سليمان الذى سُمى على اسمه كان ابن الوليد يحب أن

أما القبة ذاتها، والتي ستصبح ملمحًا للعمارة الإسلامية فهي رمز التحليق المتسامى فى اتجاه السماء لكنها أيضًا تعكس التوازن الكامل للتوحيد فسطحها الخارجى والذى يتجه صعودًا نحو لانهائية السماء هو نسخة مطابقة تمامًا لبعدها الداخلى وهى تصور بذلك كيف يتوافق الإلهى والبشرى والعالم الباطنى والظاهرى ويكمل بعضهما البعض مثل شقّى رضى وحدة كلية ويوحى اللون الأزرق فى الفن الإسلامى أى لون السماء باللامتناهى بينما يدل اللون الذهبى على المعرفة والتي هى الملكة التى يصل من خلالها الإنسان إلى إدراك الخالق.

ولقد أقيمت قبة الصخرة فى موقع أولى قبلتى المسلمين وعرفت تلك البقعة مركزاً روحانياً، ومن المعتاد أن يشير المسلمون إلى الأماكن التى قام فيها إبراهيم وداود وسليمان وإلياس بالصلاة فى الكهف أسفل القبة.

الوليد بن عبد الملك وتجديد المسجد الأقصى

ففى عام ٧٠٥م خلف الوليد أباه عبد الملك واستمر فى تصعيد قداسة وجلال الحرم القدسى ومن ثم أمر فى عام ٧٠٩م بتشيد مسجد جديد يحل محل مسجد عمر وأقيم على نفس موقع المبنى الحالى للمسجد الأقصى وخلافًا لقبة الصخرة تعرض ذلك المسجد للتدمير مرارًا وأعيد بناؤه وأحدثت به تغييرات فقد دمر زلزال مسجد الوليد بعد بنائه بفترة وجيزة ولم يتبق منه سوى القليل ونحن نعلم أنه كان له مقصورة من الرخام وأعمدة وفيما بعد أصبح المبنى موضع انتقادات



وحمص ودمشق ومدن أخرى كإجراء وقائي ثم أصاب القدس تدمير أشد حينما تعرض لزلزال أتى على المدينة عام ٧٤٧م وتساقط جدارا قبة الصخرة الشرقى والغربى وكذلك تهدم مسجد الوليد والقصر الأموى وكنيسة قسطنطين نيا وقد قتل فى هذا الزلزال كثير من المسلمين الذين كانوا يسكنون قرب الحرم ولاذ باقى السكان بالتلال لمدة تقارب الأسابيع الستة خوفا من التوابع وكان الزلزال كان نذيرا بسقوط الحكم الأموى .

ومن المعروف أن أبناء العباس عم النبى ﷺ قد استمروا يتحدثون الأمويين مدة طويلة من قاعدتهم فى حميمة عبر نهر الأردن ثم تحالفوا عام ٧٤٩م مع أبى مسلم الخرساني الذى نجح فى توحيد كل معارضى الخليفة فى حزب واحد وفى يناير الحقت بالخليفة مروان الثانى الهزيمة النهائية على نهر الزاب شرق دجلة وبعد فترة وجيزة حدثت مذبحة لمن تبقى من الأمويين فى انتيباترس فى فلسطين وقتل مروان بن محمد فى مصر وبعدها صار أبو العباس السفاح أول خليفة عباسى غير أن العباسيين نقلوا عاصمتهم إلى المدينة الجديدة بغداد وكان لذلك آثار خطيرة على بيت المقدس كما سنرى .

وبعد :

فإنه بعد عرضنا لكتاب : القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث لمؤلفته .. كارين ارمسترونج الذى ترجمه إلى العربية د. فاطمة

يستقبل الناس على جبل المعبد بينما يجلس أسفل بناء ذى قبة قرب قبة الصخرة فرش بالسجاد والوسائد والأرائك، غير أن خطته لجعل بيت المقدس عاصمة لم تسفر عن شيء فقد كان موقع المدينة غير ملائم على الإطلاق كمركز لإمبراطورية شاسعة، وتحقق سليمان من ذلك حينما قام بتأسيس مدينة جديدة هى رام الله قرب اللد، والتي أصبحت العاصمة الإدارية لجند فلسطين واستحوذت تلك المدينة على جزء كبير من قوة وازدهار بيت المقدس ونقلت تلك الخصائص المقدسة إلى المدن الساحلية .

فمنذ الأيام المبكرة كان المسلمون يميلون لإقامة عواصمهم بعيدا عن الأماكن الأكثر قداسة فى المنطقة .

فحتى اليهود والذين لم يكن لديهم أية شكوك حول قداسة المدينة فضلوا العيش فى رام الله وكانت جماعة اليهود فى رام الله أكبر كثيرا من مثيلتها فى بيت المقدس .

وبدأت الإمبراطورية الإسلامية تعيش فى حالة اضطراب شديد فى منتصف القرن الثامن الميلادى ففى عام ٧٤٤م أغتيل الخليفة الوليد الثانى وتمردت القبائل فى جندى فلسطين والأردن ضد ولده يزيد واستمرت المعارضة لموقفه المتسامح من الذميين بعد قمع الثورة بمدة طويلة كما استمر التمرد فى الشام ضد مروان الثانى خليفة يزيد وحدث أثناءه أن دمر الخليفة أسوار بيت المقدس





تاريخية. وسياسية فى عرض قصة شعب ضائع وكشف لقوى الغدر والخيانة والتسلط والبغى على أمة عزلاء لا تملك شيئاً إلا فورة تتميز بالغضب العادل لقضية عادلة أسقطته على جحر تود أن تقده من حطب جهنم لترسله شواظاً ونحاساً من نار عليا فلا تنتصر... ودولة البغى الظالمة التى كانت بالأمس شتيت قطعان ضل راعيها فقابلت ثورة الحجارة براجمات الصواريخ والدبابات والطائرات.

من هنا جاء كتاب القدس يفضح مؤامرات الغرب وبلغت أمانة الكاتبة حد الإنصاف فوقفت مع القضية موقفاً عادلاً؛ ولقد كانت دقيقة فى تحرى مصادرها التاريخية والدينية والسياسية.

وإذا كانت الدعوى بالكمال قائمة فقط مع الله فإن حق الخطأ يلزم كل إنسان فالكاتبة وكتابها لا يتنزهان عن الخطأ والفكر الإنسانى بتقلبه أبداً بين الخطأ والصواب.

لذلك نقول: إن الأخطاء التى صادفها من قبيل النقص الإنسانى وليس من قبيل العمد المنهجى الذى يؤول الأحداث التاريخية وفق رؤى سابقة ومن هنا كان اعتزازنا بالكتاب وعرضه.

نصرود. محمد عنانى ونشر ١٩٩٨ وحين أخذنا فى قراءته ومطالعته راعنا دقة الترجمة العربية فى حسن العبارة وجزالة اللفظ والتحرى الدقيق فى الالتزام بالمصطلحات التاريخية. وتقويم بعض المعانى التى قد توهم القارئ وتوقعه فى حيرة بين التاريخ والقرآن فيفصل بينهما المترجمان تعديلاً للفكرة بالتعليق فى الهامش إما من التراث الإسلامى التاريخى وإما بآية من القرآن الكريم وإذا كانت دينية تخص الأنبياء وخاصة عيسى وقضية الصلب. أو التاريخ الإسلامى مع الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من الأمويين، إلى ذلك كله رجع المترجمان إلى المرجعية الإسلامية التاريخية، فلهما الشكر على اختيارهم الكتاب وعلى دقة ترجمته على ما تكلفا نصبا فى سبيل التوثيق العلمى لبعض الرؤى الغربية ولا سيما أن قضية القدس خليفية وأزمتها التاريخية بين العرب وإسرائيل - كما قدمنا - وساسة الغرب، وما يجرى حولها اليوم هو من قبيل المناورات المسكنة والاستفزازات الخشنة الرديئة ولا يصح إدراجه فى باب المفاوضات.

أما صاحبة الكتاب: فقد بذلت جهداً علمياً حين اختارت لكتابها موضوع القدس فالموضوع يشكل أزمة بكل معانى الكلمة:

مغالطات إسرائيل ومقائمه التاريخية

د. سنان / صلاح عبد الرحيم محمد

يزعم اليهود الصهاينة أنهم حينما دخلوا فلسطين عام ١٩٤٨ لم يدخلوها محتلين غاصبين، بل فاتحين محررين، مدعين - افتراء - أن الفلسطينيين هم غرباء عنها، قلباً للحقائق، وتزييفاً لوقائع التاريخ التي تؤكد عروبة فلسطين.

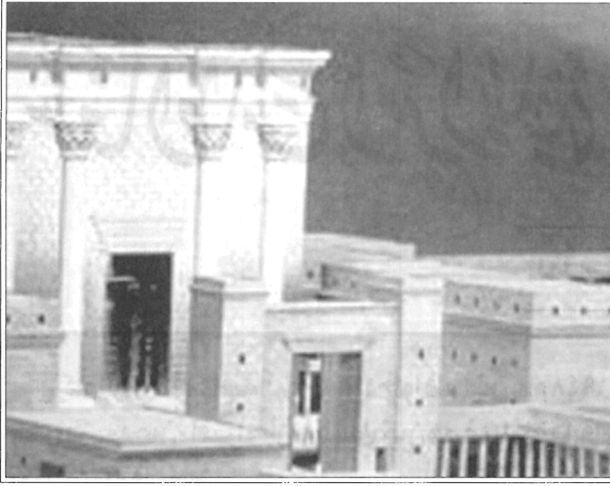
ولم تقتصر مزاعمهم عند هذا الحد، بل تواصل دعايتهم المضللة بإطلاق أباطيلهم، وترويج ترهاتهم، ونشراً أكاذيبهم بأن فلسطين حينما وطأتها أقدامهم، كانت أرضاً بلا شعب، لشعب بلا أرض ليفرسوا، في أذهان العالم، أن الفلسطينيين ليست لهم جذور فيها. لذلك فإن إسرائيل تسعى، في خبث ودهاء، منذ اغتصابها فلسطين التاريخية، واحتلالها الضفة الغربية، وقطاع غزة إلى الترويج لقولة: «إن إسرائيل ماجأت لتحتل أرضاً، بل لتسترد حقاً»، وفي هذا الإطار الصهيوني تحاول دولة الكيان الصهيوني أن تبدو - أمام العالم - أنها صاحبة حق في فلسطين لتضفي نوعاً من الشرعية على وجودها الزائف.

دولة إسرائيل الآن، هي امتداد لمملكة داود، التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، برقعته الجغرافية الواسعة وبحدودها المترامية الأطراف.

ولا يسعني في الرد على هذا الزعم إلا أن أدع المؤرخين ليكشفوا زيفه، إذ يذكرون أن داود عندما فكر في غزو القدس «يبوس»، وجه حملة عسكرية بقيادة ابن أخيه «مؤاب»، حاصرت المدينة فترة طويلة إلى أن تم الاهتداء إلى نفق، كان اليبوسيون العرب -

وانطلاقاً من مخطط هذه الدعاوى الكاذبة، سوف ألقى الضوء على عدة مغالطات يهدف الكيان الصهيوني إلى ترسيخها في ذاكرة الرأي العام العالمي، من خلال آلهة الإعلامية التي نجحت إلى درجة كبيرة في تحسين صورة إسرائيل في عيون العالم الغربي الذي يدعم الوجود الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، في غيبة إعلام عربي متهاك.

المغالطة الأولى: «يزعم قادة إسرائيل أن



نموذج هيكل اليهود المزعوم كما تصوره وأعدوه للبناء فعلاً على
انقاض المسجد الأقصى

وأقام حضارتها، بناتها الأولون اليبوسيون العرب، وهذا في حد ذاته تأكيد لعروبتها في عهدها الأول، أما بصدد فترة حكم داود للقدس، وهي أربعون سنة، فإنني أتساءل ماقيمة أربعين عاماً حكم فيها داود حتى يزعم اليهود أن دولتهم اليوم هي امتداد لمملكة داود؟ ويتخذون من ذلك سنداً لدعوى احتلالهم فلسطين، رغم قصر هذه الفترة إذا ما قورنت بثمانمائة عام حكم العرب المسلمون خلالها الأندلس، وخلفوا فيها حضارة عربية زاهرة مازالت ملامحها باقية حتى الآن، ومع ذلك لم يطالبوا بحقوقهم في الاستيلاء عليها، كما يفعل يهود إسرائيل في فلسطين، كما يؤكد المؤرخون أن داود أثناء حكمه كان تابعاً للفينيقيين العرب في لبنان، وفي أحيان أخرى كان تحت السيادة المصرية. ومن جهة أخرى فإن مملكة داود لم تكن

بناة القدس - قد حفروه، فتسللت من خلاله قواته إلى داخل المدينة، وبذلك تم الاستيلاء عليها، وسماها داود «مدينة داود». وبفضل روح المقاومة التي أبدتها أهل القدس بقيت هذه المدينة في أيديهم حتى السنة الثامنة من حكم داود. هذا وقد ظلت القدس اليبوسية محافظة على عروبتها وحضارتها العربية الأصلية فترة حكم داود القصيرة (١٠١٠ ق.م - ٩٧٠ ق.م)، التي لم تتجاوز أربعين سنة، منها سبع سنوات في حبرون (الخليل)، وثلاثة وثلاثون سنة في القدس

(يبوس). واللافت للنظر أن القدس لم تستسلم للغزاة الجديد، بل ظلت تقاوم في شموخ وشمم الغزو العبراني لها، ويشير المؤرخون إلى أنه عندما استولى داود على القدس (يبوس) كان قد مر على بنائها نحو ثلاثة آلاف سنة، كما كان قد مضى على الوجود اليبوسي العربي فيها حوالي أربعة آلاف سنة، مما يؤكد العديد من الحقائق:

الأولى: أن تاريخ القدس، موغل في القدم لم يبدأ باستيلاء داود عليها في القرن العاشر قبل الميلاد كما يدعى اليهود.

الثانية: أن أصحاب القدس الأصليين هم اليبوسيون العرب الذين تسمت القدس باسمهم (يبوس)

والثالثة: أن استيلاء داود على القدس اليبوسية كان احتلالاً لأرض عربية، عمرها،



الثانى فيقول: «وكل ملوك العرب وولاة الأرض»^(٣). كما نعقب بالنص التالى بما يثبت أن اليهود كانوا غرباء على فلسطين والقدس فيقول سفر يشوع: «أما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم. فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى اليوم»^(٤) ومن هذا النص نرى أن القدس (أورشليم) كان يسكنها اليبوسيون العرب قبل اليهود، عندما حاول «بنو يهوذا» اقتلاعهم منها. وجدير بالذكر أن اليبوسيين العرب الذين أشار إليهم سفر يشوع هم بناء القدس الأولون منذ ستة آلاف سنة من الآن، والتى تسمت القدس باسم جدّهم الأعلى «يبوس». وقد ظلت القدس معروفة بهذا الاسم (يبوس) قبل محاولة القبائل العبرية من بنى يهوذا غزوها، فقد جاء فى سفر القضاة مانصه: «وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر قال الغلام لسيدة تعال نتميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها فقال له سيده لانتميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بنى إسرائيل هنا»^(٥) وإذا تأملنا هذا النص، وقرأناه جيداً نجد أنه يكشف العديد من الحقائق:

الأولى: أن القدس (يبوس) مدينة اليبوسيين. الثانية: أن اليبوسيين العرب هم

واسعة المساحة، مترامية الحدود كما يتوهم اليهود بل كانت مساحتها محدودة، تمتد من جبل الكرمل شمالاً إلى الخليل جنوباً، بينما ظل الساحل من شمال يافا إلى جنوب غزة بيد الفلسطينيين تحت حكم مصر. أما شمال عكا فقد كان مع ساحل لبنان موئل الفينيقيين العرب بعيداً عن حكم داود.

المغالطة الثانية: «يزعم يهود إسرائيل أن فلسطين والقدس أرض يهودية، ولا يمكن التخلي عن أى جزء منهما، كما لا يمكن تقسيم القدس بينهم وبين الفلسطينيين فى أى تسوية قادمة».

فى الحقيقة أن هذه المغالطة تفيض كذباً، وافتراءً لأن اليهود يتجاهلون حقائق التاريخ، إذ أن صلة العرب بفلسطين والقدس، هى صلة ضاربة يَجْذُورُها فى أعماق التاريخ بشهادة كتاب اليهود المقدس، الذى بين أيديهم الآن، والذى تبين نصوصه، صراحة، التواجد العربى فى شمال الجزيرة العربية، وبخاصة فى فلسطين، فقد كان للعرب بها دول وممالك، وهذا ما يشير إليه سفر أدمياء فيقول: «وكل ملوك العرب اللفيّ السّاكنين فى البرية»^(١).

وجاء أيضاً فى سفر حزقيال إلى مايشير إلى العرب فيقول: «العرب وكل رؤساء قيثار»^(٢). ونقرأ أيضاً فى سفر أخبار الأيام

(٢) حزقيال ٢٧ : ٢١.

(٤) يشوع ١٥ : ٦٣.

(١) أرمياء ٢٥ : ٢٤.

(٣) أخبار الأيام الثانى ٩ : ١٤.

(٥) القضاة ١٩ : ١١ - ١٢.



ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً^(٦) أى أن المساحة التى أقيم عليها الهيكل اليهودى لم تكن كبيرة جداً بل لا تعدو أن تكون مساحة لمعبد عادى لا يستدعى من إسرائيل هذه الضجة الإعلامية الهائلة التى تثيرها أمام العالم، بالإضافة إلى أن المؤرخين يذكرون أن هذا الهيكل الذى يتذرع به يهود اليوم لم يتم بناؤه داخل الحرم القدسى الشريف، بل خارجه، وهذه نقطة هامة ينبغى الالتفات إليها.

وأود أن ألفت الأنظار إلى أن هذا الهيكل اليهودى «المعبد» قد تعرض إلى الهدم والتدمير عدة مرات، فقد دمره البابليون على يد «نبوخذ نصر» عام ٥٨٦ ق. م، وعلى يد «تيطوس» القائد الرومانى عام ٧٠ م، وأيضاً على يد «إيلبيوس هادريان» القائد الرومانى عام ١٣٥ م بعد أن حرم على اليهود دخول القدس التى سماها «إيليا كابيتولينا» ومن هذا الوقت صار الهيكل اليهودى أثراً بعد عين. وجدير بالذكر أن السيد المسيح - عليه السلام - قد أشار إلى خراب الهيكل بقوله: «ياأورشليم ياأورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً^(٧) كما أكد السيد المسيح تدمير هذا الهيكل ومحوه من الوجود بقوله: «الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض^(٨)» كما نجد «جوستاف

أهل القدس اليبوسية، والمقيمون فيها لم يشاركهم أحد من بنى إسرائيل فى سكنها.

الثالثة: أن ييوس (القدس) وصفها سيد الغلام الإسرائيلى بأنها مدينة غريبة بالنسبة إليهما حيث لا يسكنها أحد من بنى إسرائيل، مما يؤكد أن بنى إسرائيل غرباء عنها، وفى هذا تفنيد صريح للمغالطة الثانية.

الرابعة أن هذا النص التوراتى شهادة يهودية، لا تقبل الجدل، على أن القدس عربية أرضاً وسكاناً، كما يؤكد عروبتها أيضاً ما ذكره المؤرخون من أنه قد تعاقب على حكم القدس وفلسطين فى تاريخها القديم، ملوك وحكام عرب مثل ملكى صادق، وأدونى صادق، وسالم اليبوسى، وعبد خيبا، وكلها أسماء عربية تنهض دليلاً واضحاً على عروبة فلسطين والقدس.

المغالطة الثالثة: «يزعم اليهود فى إسرائيل أن حائط البراق الشريف المسمى عندهم «حائط المبكى» هو البقية الباقية من هيكل سليمان، إذ يعتقدون أن المسجد الأقصى بنى فوقه، وهم يتعللون به لفرض السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسى الشريف، المسمى عندهم «جبل البيت».

تشير التوراة وهى كتاب اليهود المقدس إلى أن الهيكل الذى بناه سليمان لم تزد أبعاده على ستين ذراعاً طولاً، وعشرين ذراعاً عرضاً، وثلاثين ذراعاً ارتفاعاً فيقول سفر الملوك الأول: «والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله

(٨) متى ٢٤ : ٢.

(٧) متى ٢٣ : ٣٧ - ٣٨.

(٦) الملوك الأول ٦ : ٢.

إسرائيل قرار هذه اللجنة وهو قرار دولي ؟ لأنها لا تحترم قوة القانون، بل تمارس قانون القوة خياراً وحيداً للاستيلاء على أراضي وممتلكات الغير، إذ لازالت إسرائيل تسعى إلى الاستيلاء على الحرم القدسي الشريف لإعادة بناء الهيكل اليهودي استناداً إلى مقولة صهيونية تقول: « لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل ».

وأختم حديثي بالقول بأن إسرائيل من أجل تحقيق أطماعها التوسعية في إقامة دولية يهودية من النيل إلى الفرات، تواصل مسلسل أكاذيبها، ومغالطاتها، وإيهام الدنيا كلها بأن ما تقوم به الآن على الساحة الفلسطينية ما هو إلا لحماية نفسها من الإرهاب الفلسطيني الذي يهدد استراتيجيتها الأمنية، وهي بذلك تسوى بين حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والإرهاب، وهذه مغالطة أخرى تروج لها لكسب عطف، وتأييد العالم في عدوانها على الشعب الفلسطيني. لذلك تقع على الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة مسؤولية كشف زيف هذه المزاعم والدعاوى الكاذبة لتوعية هذه المجتمعات بحقيقة قضايانا العربية والإسلامية حتى يكون لنا أنصار، ومؤيدون فيها، لنصرة حقوقنا العربية والإسلامية في مواجهة المخطط الصهيوني لتزييف الحقائق.

لوبيون» في كتابه « حضارة العرب » يشير إلى أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا أكذوبة، وأنه ليس هناك ما يدل على وجود ما يسمى بالهيكل. وفي إطار الأطماع الإسرائيلية في الحرم القدسي الشريف سعت حكومة باراك - عقب محادثات كامب ديفيد الثانية عام ٢٠٠٠ - إلى دفع أمريكا لتقديم اقتراحها بشأن السيادة على الحرم القدسي الشريف الذي هو من بنات أفكار إسرائيل والذي يقسم السيادة على الحرم القدسي إلى ثلاث سيادات: الأولى سيادة إسرائيلية على حائط المبكى « حائط البراق الشريف »، والحى اليهودى، والفراغات تحت أرض الحرم القدسي التى تدعى إسرائيل - باطلاً - أنها مكان الهيكل اليهودى. والثانية سيادة فلسطينية على المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة. والثالثة ما يسمى بالسيادة لله على ساحة الحرم القدسي الشريف. وهنا نتساءل لماذا تسعى إسرائيل - بدعم أمريكى - إلى تقسيم السيادة بين الإسرائيليين والفلسطينيين ؟ والإجابة معروفة وهى إعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى، رغم أن إسرائيل تعلم جيداً أن حائط المبكى المزعوم « حائط البراق » وهو الجدار الغربى للحرم القدسي الشريف والساحة التى أمامه المقابلة لحارة المغاربة تؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسي الشريف، وهو ملك إسلامى بموجب قرار اللجنة الدولية عام ١٩٣٠م التى حسمت النزاع فى هذه القضية بأحقية المسلمين العرب فى الحرم القدسي الشريف وأنه ملك لهم. ولكن لماذا تتجاهل

قصة العذر

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَكْبَرُ ! هَلَكْتَ خَيْبَرُ (*) !

لُؤْسُ تَازٍ / أَمِيرُ التَّاجِ

خرج النبي ﷺ من المدينة لغزو خيبر في بقية
الحرم من السنة السابعة وفتحها في صفر

١
مر «كنانة بن الربيع» على «حيى بن أخطب» سيد بني النضير فرآه واجما ينكت الأرض بعود
في يده ثم يصعد الطرف بين الفينة والفينة في حصون خيبر.
فقال كنانة: أرى هذه القرية قد راعتك بحصونها، وحلت من فؤادك محلا. طب نفسا وطابت خيبر!
قال حيى: وكيف تطيب نفسي؟ وهانحن أولاء منذ ثلاث سنوات نعيش في غير أوطاننا مشردين في
الآفاق. وونحن الذين بنينا «يثرب» بأيدينا، فأصلحنا أرضها، وأجرينا ماءها، وغرسنا جناتها، وأقمنا حصونها،
وترانا اليوم ننزل في غير دارنا، ونأكل من غير زادنا، لأن محمدا افتتحها علينا، وأخذها عنوة منا!
لله تلك الأيام العزيزة التي قضيناها هناك أعزاء أشداء!!
كنا نقاتل الأوس بالخرج، ونقاتل الخزرج بالأوس، ونسعر نيران العداوة بينهما ونمدهما بالأسلحة
ويمدوننا بأموالهم فهايزالون في تناقص وقناء، وما نزال في نعمة سابغة، وسيادة دائمة.
ولكن جاعنا ذلك الساحر الطريد، ففرقهم عنا، ونفر موالينا ولا ندرى كيف جمع بين قلوبهم الفائرة،
وغسل أحقادهم الثائرة، وشفى جراحهم الناعرة، وجعلهم أمة واحدة يأكل بهم اليهود والعرب.

إلى ركن شديد. أما بنو قينقاع فياحسرتاه على
ما أصابهم، فعندما أخرجوا من المدينة قصدوا
(أذرعات) فتناولتهم أوبعة الشام، فما انقضى

قال كنانة: ولكننا أحسن حالا من بنى
عمومتنا فلقد أخذنا من أموالنا ما تحمله دوابنا
ونزلنا بخيبر هذه القرية ذات البروج المشيدة فأويننا

(*) مجلة الرسالة ٤/٣/١٩٤٠.



الحول على نسمة تحت الشمس منهم!

- ونسيت «قريظة» إن قلبي ليطفح بالنيران
كلما ذكرتهم! ماذا جنوا حتى يحكم محمد
السيف في رقابهم؟ ويح يثرب! خلت من يهود!
- وكأنك أنت الذى جنى عليهم يا حىي،
حركتهم ليثوروا على محمد وينبذوا له عهده
وأطمعك فى ذلك اجتماع الأحزاب عليه، ولكنه
سرعان ما خذل الأحزاب، وفت فى عضدهم،
وسرعان ما انقلب محمد على بنى عمنا، فشفى
غيطه منهم.

- أجل: أردت أن يطعن محمد بخنجرين،
أقتلها الذى يأتيه من وراء ظهره! ولكنى كلما
دبرت كيدا أبطله بسحره. وكأنه ملهم يوحى إليه!!
- أو تشك فى أنه النبى؟ وأنت من أهل
العلم والكتاب

- كلا، ما ارتبت فيه، ولكنه جاءنا من العرب
وحسبناه من إسرائيل! كيف نتبعه فيعلو به
أجلاف الأعراب على أهل الكتاب؟ لا ورب
موسى لا نلقى إليه القياد أبدا، وسنظل على
بغضه وحربه حتى نفنيه أو نفنى دون ذلك.

- أظن الرجل الذى خضعت قريش له وطلبت
منه السلام فى «الحديبية» ينكسر لنا؟ ما أظنه
أسكت قريشا إلا ليثور علينا وعلى قبائل العرب،
أليس هو الذى يقول:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا كلمة
الإسلام فإذا قالوها حقنوا منى دماءهم».

- ولكن قريشا لم تقلها.

- ستقولها يوم أن يجلب عليها بخيله ورجله،
ويخيرها بين الكلمة أو السيف.

- ونحن أتركنا ههنا؟

- إخاله سيتعقبنا

- أو بلغك نبأ؟

- أما من محمد فلا، كيف يدرى الناس من
أمره شيئا وهو حول قلب؟ إذا أراد أن يحارب
شمالا اتجه جنوبا!

- ومن أدراك إذن بما تقول؟

- إنها رؤيا رأتها بنتك التى تحتى فأولتها

- صفية بنتى! إنها لترى وكأنها ترى بعينها!
ماذا رأت الخبيثة!

- كأن قمرا من السماء سقط فى حجرها.

- إنه وأيم الحق محمد!



اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصددقنا ولا صلينا

فاغفر فداء تلك ما أبقينا

وألقينا سكينه علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إنا إذا صياح بنا أبينا

وبالصياح عولوا علينا

على توقيع هذا النشيد المطرب، وترجيع
صوت الحادى البين سارت قافلة المسلمين تحت
ظلال الراية البيضاء تتبع محمد بن عبدالله،
وما زالت تصعد وتهبط حتى تراءت للعين
حصون خيبر شامخة تشق السماء وقد لفها
غلس الدجى، وعلى قيد أميال منها وقف النبى





أبى طالب» فكأنما رأى ملك الموت يدلف إليه.
فقال:

- تبا لكم! ألا فتى غير هذا يحمل اللواء؟

والله ما ذقنا العذاب إلا تحت لوائه!

أخرجنا من بيوتنا بيثرب، وها هو ذا جاء
يخرب قريتنا!!

فلمحه الإمام يتكلم بصوت خفيض، فقال له:
- ماذا تقول يا عدو الله!؟

قال حبي: وماذا تريدون منا - معشر المسلمين
- ألم يكفكم أن أخرجتمونا من ديارنا وأموالنا؟
فجئنا وحططنا رحلنا بهذه القرية، فما كدنا
نستنبت ريشنا بعد أن قصصتم أجنحتنا حتى
جئتم إلينا بخيلكم ورجلكم، فيألى أى أرض
نهرب من شركم!؟

قال على: ألسنت يا عدو الله الذى جمعت
علينا الأحزاب من كل فج، فصرنا فى أضيق من
كفة الحابل، ولم تكتف بذلك حتى هجت
قريظة فنبذوا إلينا عهدنا فى ساعة العسرة فوقفنا
بين شقى الرحى. وحسبت أنك بذلك قضيت
علينا، ولكن الله ربنا مشئت شملكم، وكتب
على أيدينا قتلكم.

قال حبي: إنكم لن تصلوا إلينا، فأنتم فى
الأرض ونحن فى السماء، إن سهمكم لن يخرق
حجرا، وخيلكم لن تكون طيرا فامكثوا ما شئتم
أن تمكثوا وإن لنا فى كنوزنا وخيراتنا لسعة

قال على: أتحسب أن حصونكم ما نعتكم!؟
إن الذى ذك الجبل تحت أقدام موسى هو الذى

يتأملها فوقف الركب معه، فرفع يديه يناجى ربه
ويقول:

« اللهم رب السموات وما أظللن، ورب
الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما
أضلن، ورب الرياح وما أذرين، فيأنا نسألك
خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها،
ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها»
وأمضى المسلمون ليلتهم على مرأى منها،
فلما أصبحوا قام النبي يقول:

« الله أكبر، الله أكبر، هلكت خيبر! إنا إذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

وانطق المسلمون يكبرون، وكأنهم كلما
رفعوا بالتكبير أصواتهم، بالغلوا فى إظهار
إخلاصهم لبارئهم، وإن من الجبال لما يهتز
لتكبيرهم ودعائهم، وإن منها لما يتصدع من
خشية الله.

فقال لهم النبي: «أربعوا على أنفسكم،
إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون
سميعا قريبا وهو معكم».



وخرج عمال خيبر إلى مزارعهم فراعهم
جيش المسلمين فرجعوا إلى أهلهم يصيحون:
- محمد والخميس!

وفزعت خيبر وأغلقت أبوابها، وظل
المسلمون يحاصرونها ويضيقون عليها، ومن
برج مشيد أطل «حبي بن أخطب» على نجيش
المسلمين فرأى الراية البيضاء فى يمين «على بن



قال : ومن تنتظرين؟

قالت : القمر المنير!!

قال : أطمعين في رسول الله؟! لشد ما خدعتك نفسك، وحدثتك الأمانى، أبعد علج من علوج يهود تطمحون إلى الطاهر الطيب؟! قالت : إن الكريمة كفء الكريم .

وسمع النبي بحديثها فاخترها لنفسه زوجا وجعل لحدية بنت عمها .

وبنى النبي بعد أيام بها، وهو في طريقه إلى المدينة تحت قبة ضربت لها . فلما انبثق نور الفجر وخرج النبي لصلاته، رأى «أبا أيوب الأنصارى» متوشحا سيفه قريبا من بيته فقال له : مالك يا أبا أيوب؟

قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وهى امرأة قتلت أباه وزوجها وقومها وكانت حديثه عهد بكفر فخفتها عليك

فقال النبي : «اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى» .

وحدث صفية بذلك فقالت :

والله يا رسول الله لأنت أعز على من أبى وأمى وأنا على دينك .



وباتت قريش بمكة تتسمع أخبار الرسول مع خيبر، وتمنت أن تدور الدائرة على المسلمين، فتكفيهم يهود شر قتالهم، وبينما كانوا يرصدون الطرق لعلهم يقفون على خبر يبل غلتهم، ويطفئ

يخسف بها الأرض . فالتقى على سواء وكأنى بكم يا بنى النضير بعد ليال، فطاحت رءوسكم، وأصبحتم طعمة للطير والسباع فأسلموا تسلموا .

قال حبيى : لن يأخذ منا وعيدكم شيئا

قال على : وأنتم لا تعجزون الله، يا خيل الله اركبى!!

واستمر المسلمون أياما يحاصرونهم، فلما أجهدوهم نزل اليهود إليهم يبارزونهم، فدارت الدائرة عليهم فأسرت رجالهم، وسبيت نساؤهم وذرياتهم .

قال على لحبيى وهو مقدم للقتل : أغنى عنك حصنك شيئا! لولا أويت إلى ركن شديد!

قال : وما هو؟

قال : ربك الذى نسيت، ودينه الذى أنزل! ونبيه الذى أرسل!

قال : خذ رأسى إن كانت لك به حاجة

قال : أجل، إن السيف ليضحك حينما يجز رقاب أعداء الله



وتقدم « دحية الكلبي » إلى صفية بنت حبيى وقال لها :

تعالى يا ابنة حبيى ! لقد وجدت فيك عروسى التى أنتظرها فأمسك بيدها، فانفلتت منه كالمهرة العربية وقالت له : ومن تكون أنت؟

قال : رجل من بنى كلب .

قالت : لست هناك! مالك وسيدة قريظة والنضير؟!



أوار غيظهم رأوا قادما فى شملة أعرابى من بعيد
فتبينوه فإذا هو «الحجاج بن علاط السلمى» .

قالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر!

قال لهم : وما ذاك؟

قالوا : بلغنا أن القاطع خرج إلى خيبر وهى بلد
يهود وريف الحجاز .

- بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم

- إيه يا حجاج!

- هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل
أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد
أسرا، وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة
فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم .
فصاحت قريش طربا، وقالوا لأنفسهم، قد
جاءكم الخبر! وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم
به عليكم، فيقتل بين أظهركم .

قال الحجاج : فأعينونى على جمع مالى بمكة،
وعلى غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب
من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار
إلى ما هنالك .

قالوا : لك ما تحب وترضى، وأعانوه حتى جمع
ماله كله فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبر
جاء الحجاج وهو جازع .

وقال له :

- ويحك يا حجاج! ما تقول؟

- أكاثم أنت على خبرى؟

- إى والله!

- فالبث على شيئا حتى يخف موضعى، ثم
سار إليه العباس فقال له الحجاج : الخبر والله على

خلاف ما قلت لهم، خلفت رسول الله، وقد فتح
خيبر، وخلفته والله معرسا بابنة ملكهم، وما
جئتكم إلا مسلما .

ولكن قريشا تحسبنى لا أزال على دينها فاطو
الخبر ثلاثا، حتى أعجز القوم، ثم أشعه، فإنه
والله الحق .

قال العباس : ويحك! أحق ما تقول؟

- إى والله .

- ولكنك كذبت الناس، ودينك لا يسمح
بالكذب .

- استأذنت الرسول فى أن أقول فأذن، وكانت
حيلة لأجمع مالى وأخرج من بين أظهرهم إلى
غير رجعة . والآن أذهب

- على عين الله

فلما كان بعد ثلاثة أيام تخلق العباس وأخذ
عصاه وخرج يطوف بالبيت .

قالت قريش : يا أبا الفضل : هذا والله التجلد
لحر المصيبة .

قال : كلا والله الذى حلفتكم به، لقد فتح
محمد خيبر وأعرس بابنة ملكهم، وأحرز
أموالهم .

قالوا : ومن جاءك بهذا الذى تزعم؟

قال : الذى جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل
عليكم مسلما، فأخذ ماله، وانطلق لمحمد
وأصحابه ليكون معه .

قالوا : يا لعباد الله! أما والله لو علمنا لكان لنا
وله شأن أولى له! أنفلت عدو الله!

قال العباس : الله أعلم بعدوه ووليه! ..!



مغامرات عقيبا

للروائي الصهيوني يهودا بورلا

للمكتور / محمد حسن عبد الحائق

عقيبا فتى يبلغ العاشرة من عمره، أدخله والده «الحيدس» الكتاب اليهودي - بالأناضول حيث كان يعمل حدادا ويصنع أدوات الفلاحين هناك، ولكن المدرس طلب الأب وأخبره بأن ابنه فهمه ثقيل والأفضل أن يخرج من الدراسة كي يساعده في عمله، وفعلا نفذ الأب وصية المعلم وصحبه معه بين جبال الأناضول، «وكانت تعاير وجه الولد تشير إلى الغربة فهو أحمر الشعر أبيض الوجه فاغر الفم (ص ١١)، وكان الفتى يسأل والده عن مواعيد الأعياد اليهودية (ص ١٥) وكانت روح الفتى تبدو وكأنها جزء من واقع الخليقة، وأكثر قرباً للصخر والجبل، للذئب والبومة (ص ١٦) ويسأل والده أسئلة كثيرة عن الطبيعة وخالقها، ثم يسأله عن الله ومن رآه. فيجيبه الوالد:

- الصديقون الكبار فقط هم الذين يرونه، لأنهم محبوبون في السماء، وهم الذين يعرفون التوراة المقدسة (ص ١٨) وعندما وصل عقيبا إلى سن البلوغ ١٣ سنة، وأصبح مكلفاً دينياً، حاول والده أن يعيده للحيدر ولكنه قال له: إنني أحب الجبال وأفضلها على التوراة.

ويقول عقيبا: تعلمت اليهودية وامتلات دماء يهودية (ص ٢١) وأقاموا له حفلة التكليف الدينية «برمتسفا» وسأله الحاخامات عن بعض الأمور الدينية ثم سألوه عن علم إسرائيل فقال لهم: «إن علم إسرائيل مقدس لشعب مقدس لإله مقدس» (ص ٢٥).

قراءة
في
الأدب
الصهيوني



تغير بسبب هذه الحادثة: فقد كان عقيبا في (بروساه) وذهب لشراء بطيخة من أحد الدكاكين التي يملكها مسلم تركي، فوجد يهوديا ممسكا بطيخة يتفحصها، والبائع التركي ينهره قائلا له: يهودى خسيس!! ثم غرس التركي السكين التي بيده في بطن اليهودى حيث وقع مدرجا بدمائه وعلى الفور جرى التركي هاربا، وتبعه عقيبا وطارد المسلم ولحق به، ولما رأى الأتراك ذلك طاردوا عقيبا وأخذوا فى الصياح: «امسكوا هذا اليهودى» ضربه كثير من الناس حتى حضرت الشرطة وقبضوا عليه بعد أن سرقوا نقوده.

ومنذ ذلك اليوم تحول البشر فى عينيه إلى حيوانات مفترسة.. إلى ثعابين قاتلة.. حتى الآن لم يعرف ما الذى اقترفه.. وحتى عندما قادوه إلى المحكمة.. وجد القضاة أترك، افتروا عليه وشهد الجميع ضده، وحكم عليه بالسجن لمدة شهر (ص ٥٧-٥٨). ويتعلق قلبه بـ «أنهيط» الأرمنية، والتي لام نفسه كثيرا على حبه لها وقال: كيف أتعلق بامرأة من الأغيار. وبعد هذا التجوال يخرج عقيبا بحكمة لم يتعلمها فى يوم واحد ألا وهى: «إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وأنه لا يسبب الشر للإنسان إلا لسانه» وقد قال لأصدقائه عندما حذروه من قطاع الطرق: لا أخشى اللصوص ولا الشياطين (ص ٦٤). وعندما أراد أن يذهب إلى قونيا.. قابله عديد من اللصوص وأخذوا ما معه، فأخذ يقرأ التوراة فى سره ثم صرعههم جميعا (ص ٦٧). وكان يعرف المستتر، يفحص الأواني والقلوب

ويكبر عقيبا قويا معافا ولم يحتك إلا بنوعين فقط هما الحيات والتيوس الكبيرة، كان يقاتلها حتى الموت سواء بيده أم برأسه (ص ٢٦)، ومن لم ير حرب عقيبا مع التيوس لم ير منظرا دراميا مفرحا فى حياته (ص ٣٦) وكان يسأل والده: - متى سيأتى المسيح؟ فقد قال لى الحاخام أبرماجى أن المسيح سيأتى وستكون هناك معجزات كثيرة وسوف تحدث عجائب الرب.... وتقوم حروب كثيرة ونكون نحن المنتصرون وبعد ذلك يأخذنا المسيح إلى الأرض المقدسة (ص ٣١). وما أن وصل عقيبا إلى سن العشرين حتى تنصل من والده وتركه فى كبره، وكان يتجول بين الجبال فى بلاد الأناضول ولا يحضر إلى منزل والديه إلا نادرا فى الصيف، جاب جميع الجبال سيرا على الأقدام وقد قلقت الأم على ابنها، لأنه لم يطلب الزواج قط، أما عقيبا فكان لا يعير المرأة أدنى اهتمام، (ص ٤٥) حتى لجأت أمه إلى المنجمين اليهود حيث صنعوا له بعض الأعمال وسقته ماءها دون أن يدرى (ص ٤٨)، وعلى وجه العموم فقد تقمصت عقيبا روح عكره. واعترف لوالده قائلا: «إن هناك أصواتا تناديني تتحرك داخلى تطلب منى الخروج باسم الله للبحث، ومغادرة المكان، وعندما سأله والده البحث عن ماذا؟ قال له لا أعرف ولما حاول والده أن يثنيه عن رأيه رفض قائلا: حرفتى فى يدي.. خبزى فى يدي، أعطانى الله مزيدا من القوة والبطولة وبإرادته أثنى الحديد وأحطم الشجر، وأخلع الأشجار من الأرض.... لماذا أخاف (ص ٥٥).

وكان قلب عقيبا سليما مع الله ولكنه قد



يؤمن بأن كل شيء مكتوب في السماء، ورمز الخير في يديه، وما أسعده أنه وصل إلى هذه البلدة في (عيد رأس السنة اليهودية) ويصل إلى المعبد مباشرة، وقد اتضح له أن كل ما مر عليه قد حكم به عليه من السماء، فبعد أن قتل ثلاثة من اللصوص في الجبال، ولم يعرف أحد من قتلهم رأى الجميع يشكرون الله يهودا وغير يهود على من خلصهم من هؤلاء الأثمين، لأنه حتى السلطة لم تستطع النيل منهم، (ص ٦٨) ويذهب إلى (نحاس) مثله يصنع الدلاء ويعرف منه قصته، حيث قال له: يا عقيبا بسببك زاد فقرى فقد بعث منذ شهور الدلاء لأهل القرية، ولم أجد من أبيع له، فيحزن عقيبا ويعتذر له ويعطيه الدلاء التي معه لبيعها ويرزق من مكسبها، ويعرف منه أنه يهودى من أزمير، وفي شبابه تزوج امرأة تركية واعتنق دين (محمد) وبعد ذلك ندم ندما كبيرا وعاد إلى دين آبائه وهو يعول أسرة كبيرة ثم يعطيه ليرة ذهبية ويهم بالرحيل، ولما سألته من أنت؟ مبعوث من السماء؟ فيجيبه عقيبا أنا عصفور السماء أتجول في البلاد (ص ٧٣) ويصفه الأديب قائلا: «كان يشعر بأن هناك خيطا من الفضل والنجاح ممتد من إرادة الخالق على نيته وعمل يديه (ص ٧٦). ويزور أمه بعد بضعة أشهر ويقول لها: إن أحلامي هنا مشوشة، أما أحلامي في الجبال كالليقظة تماما ويحكى لها حلما: «بأن صحبه .. رجال عجائز تتدلى لحاهم إلى ركبهم كالإنسان القديم وأركباه على ظهر حيوان ربما كان أسداً أو دبا أو ذئباً كبيراً،

وصعدوا به إلى الجبال المكسوة بالثلوج حتى في أيام الصيف، وقالوا له: إنهم يصعدون به إلى جبال (أرارات) بتركيا وقالوا له: إنه سوف يرى (نوحا) وهو مستريح لم يمت، وموجوداً مع بشر كثير من أبناء سام وحام وبافث وقد وصل هو قبلهم، لكنه أحس أن البهيمة التي ركبها قد شاخت، وخاف أن تقع، ورفع يده وخطبها خبطة قوية على رأسها وأماتها... حينئذ استيقظ (ص ٨٢-٨٣) كان يحس بأن الله في عونته وأنه يقف بجواره وهو الذى أظهر له محاسن العالم وعبوبه. ولم تمر ليلة إلا وبرى فيها حلما: كما لو كان هناك وميض من روح يوسف (عليه السلام) بداخله فقد كان يفسر الأحلام لكل الناس، وازداد حبه لأنهيى الفتاة الجميلة غير اليهودية وقد وصف (عقيبا) محبوبته (أنهيى) قائلاً: إنها ابنة الله التي نزلت من السماء! (ص ١٠٩) ولكنه علم بأن محبوبته في خطر. ففي مدينة (سموم) شرق الأناضول على شاطئ البحر الأسود يسكن الأغا محمود كاظم وهو ابن عم السلطان عبد الحميد، يبلغ الخمسين من عمره، وهو رجل سيئ السمعة، ويقال: إن السلطان عبد الحميد قد استولى بالخدعة على حق والده في كرسى الحكم، وكذلك محمد كاظم وأهل بيت أبيه، وأصدر أمراً بطردهم من العاصمة ولكنه أعطاهم أموالاً ومقاطعات كثيرة شرق الأناضول، وكان الأغا والذي تسمى المنطقة باسمه رجلاً مستهترا طاغيا زير نساء، وكان السلطان عبد الحميد يخشاه هو وأهله. ويقال إن هذا الأغا الطاغية راحت نفسه إلى حليلة





إلى هنا.. إلى هذه القرية؟ من رتب الأمور، لماذا جعلت قلبي ينجذب إليها.. أحبها كما أحب أمي، كما أحبك وأكثر ألف مرة (ص ١٢٥) ويُقابل (أنهيط) وتقول له بأن الكلب الأغا يبحث عني، وإن وجدني سأنتحر ويرد عقبيا قائلاً: فليمت ١٠٠ كلب مثله ولا تمس شعره من رأسك (ص ١٣٢) وسرت إشاعة بأن الأغا يبحث عن أنهيط في هذه القرية، وخاف الجميع وطمأنهم عقبيا، وذلك في عرس أخت صديق عقبيا (ورطان) حيث حضر أربعة فرسان من قبل الأغا يبحثون من (أنهيط) وقد قرر عقبيا الخلاص من الأغا بعيداً عن الأرمن في مكان كله أتراك (ص ١٤٦).

وقد وصل (عقبيا) إلى خيمة الأغا ورفاقه، وتحدث معهم باللغة التركية، وطلب العمل عندهم فأدخلوه للأغا ولما سأله عن اسمه رد عقبيا: إسمي مصطفى. الست أرمنيا فيرد عليه: مسلم والحمد لله ويسأله: لماذا جئت إلى هنا: لقمة العيش، فأنا يتيم وليس لي أهل ومن صغرى أتجول بين الجبال.. وفي النهاية طبلوا منه العمل عندهم، وبدهاء شديد تفانى في خدمتهم وأخبرهم بأنه لم ير في حياته فتاة أجمل من (أنهيط).. فأبلغوا الأغا بأن مصطفى رأى أنهيط ويعرف مكانها، ويسأله (الأغا) عنها فيصفها لهم، ويخبرهم بأنها تقيم في مدينة بعيدة عن مكانها الحقيقي. وقرررو السفر فوراً وقال الأغا ورجاله «إن عين الله ترعانا» وهي التي أرسلت (مصطفى) كي يخبرنا

حاكم تركي وأراد أن يتزوجها، فغضب الحاكم وقاضاه لكن الأغا أرسل حراسه وأمرهم بقتله وهكذا أثار الرعب في البلاد كلها، ولما رأى الأغا (أنهيط) التي أحبها عقبيا، أراد أن يتزوجها، وأرسل ٢٠٠ مجيدة^(١) ذهبية لوالدها، لكنه رفض، وحاول الأغا عدة مرات دون فائدة، وأخيراً هدد والدها بأنه سيخطفها، ثم قام والدها بتهريبها سرا، وقد عرف (عقبيا) بأن هذا الأغا الحقيقير الوغد اعتاد أن يقضى فترة الصيف والربيع في الجبال (ص ١١٣) ويدور حوار بين عقبيا وصديقه (ورطان)، حيث يقول ورطان:

— لماذا تخضعون وتسكتون أيها اليهود...؟ ألم تشعروا بأنكم مثل الديدان، ألم ينكل الأتراك باليهود؟ وفي روسيا: ألم يذبحو اليهود.

فيرد عليه عقبيا: حقا إنك تقول الحقيقة.

ويقابل عقبيا أنهيط ويقول لها بأن الله قد اختاره لأمر ما لا يدري كنهه، (ص ١٢٣) وطوال تجواله لم ينس يوم السبت، فقد كان يتحول فيه إلى درويش.

وفي مناجاة لربه يقول: هبني الصواب وسأفعل ما تريد، لا شيء في قلبي الآن إلا أنت والفتاة (أنهيط)، لكنها أرمنية (من الأغيار)... ضع في قلبها اليهودية، وأنا سأجعلها يهودية كما ينبغى (ص ١٢٤).

ولكنك ستقول لي: يا عقبيا.. من وضع في قلبك أن تدخل رأسك بين الأغيار الحمقى؟ ولكنك تعرف، لم أبحث عنها، من أحضرني

(١) نوع من العملة المتداولة في تركيا آنذاك وهو الجنه المجيدى نسبة إلى السلطان التركي عبد المجيد.





على غير العادة وكذلك كثيرا من أنماط الصراع وهى رواية (صنعت خصيصا كى تزيد حماس الشباب اليهودى الذين يطلبون المساواة مع الأبطال الأسطوريين) فنحن أمام بطل يهودى يبحث عن مكانه فى العالم، وطريقه مفروش بأعمال البطولة والإنقاذ وشخصيته قريبة من الأبطال الأسطوريين من وجهة النظر اليهودية الصهيونية البحتة، وصورة الأديب على أنه أمى طاهر روحه أكبر من عقله.

إن الشعب اليهودى وهو يرمز للبطولة اليهودية السفاردية والبطولة الجسدية فهو مثل شمشون له جسد قوى. ويقول أكبر ناقد أدبى لديهم ويدعى «جرشون شيكد».

لقد اختار له الأديب خطوطا مسيحية للبحث عن الله، وفى النهاية نرى خطوط أيوب فبقوة ضميره يناضل لتعديل الوجود حتى أنه يثور على الله ويمدحه الصهيونى المتطرف «يوسف شاه لابان» فيقول:

«إنه الآن وبعد حرب الاستقلال، حيث اندلعت البطولة الإسرائيلية بوضوح مفاجئ نجد أن عقبا موصوف للشعب اليهودى كبشرى خلاص».

وقد ركز على مفهوم الرب لدى اليهود، فهو خاص بهم وحدهم يساعدهم على قتل غير اليهود وقد أكد الأديب دون وعى منه على أن التملق والكذب والقتل والخسة هى من سماتهم.

ونرى أن البطل الذى اختاره صغيرا وقت كتابة العمل سنة ١٩٣٩ ربما هو نفسه شارون اليوم.

بمكانها. وبعد وصولهم للمدينة نام الأغا ورجاله فى غرفتين بأحد الفنادق ويتسلل عقبيا إلى محل عطاره ويطلب من صاحبه مساعدته فى عقار يجعله ينام نوما عميقا، وفى اليوم التالى وبعد تناول العشاء المصحوب بالمشروبات غير البريئة، يضع عقبيا كل المسحوق الذى معه للأغا فى كوب القهوة، ولما نام الجميع تسلل عقبيا إلى غرفة الأغا وخنقه وحمله وقذف به من الطابق الثانى وتسلل إلى فراشه، ثم يسود الفندق هرج وصياح، ويوقظونه من نومه المصطنع ويخبرونه فيبكى ويلطم الحدود (ص ١٢٩)، وفى الصباح عرف من حاشيته أنهم سينقلوه إلى مدينة (قيسارس) حيث يدفن فى قصره (ص ١٥٠) وفى هذه الأثناء حل عيد الغفران اليهودى، فصام عقبيا دون أن يخبر أحداً وكان يشكر الله ويطلب منه أن يغفر له لانتهاكه الأيام المقدسة، وأن كل ما فعله لانقاذ نفس بشرية، وبعد الدفن تظاهر عقبيا بالحزن العميق على الأغا، وأعطته زوجة الأغا خمسة ليرات ذهب.

ويقول الأديب: من أعطاه لسان التملق ليخدع النذل؟ من وضع الإلهام فى قلبه ليخرج فى الظلام ويحمل الجثة، تبارك الله!! تبارك الله الذى أرسل ملاكه أمامه ليكون عوناً له فى الضيق.

وبعدها يعلم أن حبيبته سافرت إلى فرنسا وتزوجت ابن عمها الأرمنى الذى يقيم هناك، وتركت له رسالة بأنها أحبته كأخ وخاب ظنه (ص ١٥٣).

لقد تناولت هذه الرواية كثيرا من المحاور

سقوط الأقنعة

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

تأتى ذكرى مولد النبي ﷺ هذا العام ^(١) وأمتة يلغها سواد العار والهزيمة، سألت نفسي لماذا تنتكس الأمة هكذا؟ ولماذا تصبغ الأمة فى ذيل قائمة الخلف والهوان؟

مع أن الله - تعالى - يقول ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢) هل لأن شرط الإيمان تخلف، لو قلت هذا لجأرت حناجر بالشجب والرفض ولكن أقول: هل خلعت الأمة ثوب العزة ولبست ثوب الذلة والهوان طواعية واختياراً أم أنها أكرهت عليه؟ لماذا أصبحنا شعوباً تافهة لا يشغلها إلا كل تافه ولا يثيرها إلا كل مهرج ولا تحركها إلا نزوة أو شهوة؟ انزلت الأمة وهوت من قمة كانت ملك يديها وهوت إلى قاع يراد لها بفعل أعدائها واستسلمت كأنها رضيت بهذا الهوان فى القاع.. إن الأمة تحرق تاريخها كله واستسلمت ولم يعد لديها صاحب رأى أو عزيمة كأنها فراشات أو جنادب منجذبة تهوى إلى مصدر الضوء تحسب أنه يهديها فى ظلام الطريق وما درت أنه نار تحرقها وتغرق تراثها.

(٢) المنافقون (٨).

(١) ١٤٢٣ هـ.



سيدى يا رسول الله، فلماذا يراد لنا أن نترك ديننا؟ هل فى هذه المبادئ من عيب؟! تارة باسم الحداثة يريدون أن يقطعوا صلتنا بالصدر الأول، ولماذا وهم يتمرغون تحت أقدام الظلمة والجبارين فى الأرض: بوش وشارون؟

أيها العرب المسلمون إذا لم تهبوا للدفاع الآن فثقوا أنكم لستم فى مأمن لما يحدث للفلسطينيين مهما نأت الديار ومهما قيل لكم إنكم حزم رضا الجبابة الفجرة. هل يدرك العالم أن إسرائيل تدبر لعرفات الآن مؤامرة لتقدمه للمحاكمة كمجرم حرب وأنه سند للإرهاب؟ أقول لكم سوف يحدث هذا ويحكم عرفات كمجرم حرب على اعتبار أنه يساعد الإرهاب! وهكذا أصبح المجاهدون إرهابيين، وعرفات أصبح يساند الإرهاب والذى يدافع عن بلده إرهابيا وقد نصبح يوما ونرى دولا مثل سوريا والمملكة العربية السعودية واليمن وليبيا يقدم رؤساؤها بنفس التهم، حيث إن الطاغوت الأكبر وصفها بأنها دول تساند الإرهاب وبالتالي من الممكن أن تنالها عدالة التضليل السائدة فى العالم اليوم، وأرى أنه ليس للعالم العربى ملجأ إلا الشعوب وليس أمام الشعوب إلا أن تتكاتف من أجل

وإننى أعتقد أن الأمة تنوء بإثمها وإثم العالم الضال كله، هى مسئولة بحكم خاتمة الرسالة وعالميتها وشمولها مسئولة عن هداية العالم إلى طريق الحق والهدى. لما كانت تقدر المسئولية وتحمل عبئها.

لماذا تأخرت وضعفت وأصابها الخوار وترعرع فى قلبها الخوف وما عادت تؤمن أنها صاحبة الريادة فى مواجهة هيمنة الغرب الشرسة لأنها نسيت رسالة سيد الخلق ﷺ.. كان أصحابه يموتون ولا يقبلون الخنى كان الرجل يطوى ضاويا ولا يكذب ولا ينافق.. لماذا أصبحنا نقتات النفاق والكذب ونشرب الهوان فى سبيل الخبز؟ لماذا أصبح طعامنا أعز علينا من مبادئنا ولم يعد منا من يقول: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» ولم تعد لنا حرة ولم تعد لدينا أئداء مصونة؟!

حدث أيام الخليفة الماجد عمر بن الخطاب أن أرسل سعد بن أبى وقاص كنوز الفرس ألقيت بين يديه فى مسجد الرسول ﷺ وصار يقلبها بين يديه وهو يقول: «والله إن قوما أدوا هذا لأمناء» فقال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه وكان يجلس إلى جواره -: «لقد عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا» وهذا مقياس النجاح.

هذا هو ديننا وهذه بعض ثمار رسالتك يا



خرطكم على الحوض - يوم القيامة -
لِيُرْفَعَنَّ رجالٌ منكم ثم ليختلجن دوني
فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا
تدرى ما أحدثوا بعدك^(٣)، ماذا أحدثوا لقد
سقطت الأقنعة عن كل المسلمين والعرب
شعوبا وحكاما ولا نملك غير المقاطعة
السلبية بالامتناع عن كل ما هو أمريكي
طعاما أو شرابا حتى نحس بأننا أمة تتحرك
ومازال بنا نبض نحيا به، وهذا كل ما
نقدمه اليوم وإلا فسوف تدور الدائرة علينا
ولا يتصور واحد أنه سوف ينجو من
الطوفان ولا نجاة إلا في سفينة العزة
والكرامة من أجل الحياة.

ولا يقولن أحد مثل ما قال ابن نوح يوم
الطوفان سأوى إلى جبل يعصمني من الماء
فلا عاصم من شراسة الصهيونازية إلا
سفينة العزة والكرامة فلقد سئمنا ألقاب
الزعامة واللقاءات التاريخية في المرحلة
المصيرية فقد سقطت الأقنعة عن كل
الزعماء وتبخرت كل اللقاءات والمؤتمرات
الهم اهد حكامنا إلى مافيه صلاحهم
وصلاحنا.

والله ولى التوفيق

القضية ولا تطالب بالتصدي للقوة
الغاشمة وكل ما نطالب به العرب:
«المقاطعة» وهو سلاح سلبي، لا يمكن لقوة
أن تجبر العرب على التخلي عنه إن أرادوا
هم أن يستعملوه، إن أموال أغنياء العرب
التي بخلوا بها على شعوبهم ووضعوها في
بنوك أوروبا وأمريكا هل من الممكن
إعادتها؟ ولو أن أمريكا جمدها وحبست
الأرصدة فماذا هم فاعلون؟ ولن يلجئون،
لمجلس الأمن؟! لم يعاد هناك أمن ولا أمان
ماذا تنتظرون من الغرب؟ هذه الأمة أمة
سيدنا رسول الله ﷺ إنها غيرت وبدلت
وتنكبت طريق العزة والكرامة.

تذكرت قول رسول الله ﷺ وهو يصف
حوضه يوم القيامة، وقد سبق المؤمنين إليه
يعد لهم الدلاء ويهيء لهم المكان ليسقيهم
بيده الشريفة، ولكن أناسا يفتالون قبل أن
يصلوا إلى الحوض فينادى رسول الله ﷺ:
«أصحابي أصحابي» ويسمع الجواب بأنهم
ليسوا بأصحاب لأن أساس الصحة الالتزام
بالمنهج وهؤلاء بدلوا وخانوا وسقطوا في
أحوال الكذب والنفاق والجبن والخداع..
يقول النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري: «أنا

(٣) أخرجه البخاري (٨، ١٤٨).



حول مصداق التفسير

للدكتور / توفيق العبدى أبو أوى

الحمد لله الذى أنزل الكتاب وجعله بيننا من أوثق الأسباب الموصلة إلى العزيز الوهاب، والصلاة والسلام على محمد ﷺ علم الهادين وخير من أناب، وبعد؛ فلا شك أن العمل التفسيري - بما هو استنباط لمعانى القرآن ومحاولة لتبيين مراد الله - تعالى - منه - قائم على أصول متينة ودعائم ثابتة، ومحكوم بضوابط ومعايير «علمية» تحدد مساره وتضبط مسالكه، وتكبح جماح جياذ القول فيه أن تشتط في ارتياد مراتع محض الرأي وتخروصات الظن وتعسفات الفهم، وبذلك تضمن له سبيل السداد والدقة، وتضفى عليه لبوس المشروعية والقبول.

عنده، لا يدعى فى ذلك إحاطة أو إضافة، كل ما يرجوه: حسن قراءة فى هذه المصادر، وهو حتى فى هذا ليس بدعا أو بكرا، وإنما هو عمل مسنون وقول مسبق، وأجدنى بمحل الاضطرار إلى أن أقدم بين يدى العرض كلمات تكون توطئة لمرامه وكشفا عن مجارى القول فيه، وذلك ينتظم النقاط التالية:

١- بخصوص التسمية: لم تجر عبارة العلماء فى تسمية هذه المصادر على لفظ واحد، فالراغب^(١) يسميها: «الدلالات التى يحتاج إليها المفسر» ويطلق عليها بدر الدين الزركشى^(٢)

والمقال -الذى أقدم له الآن - متصل الأسباب بتلك الأصول والضوابط، فى محاولة منه لاستعراض الخطوات التى يتحتم على المفسر انتهاجها فى عمله، حيث يستهدى أثناءها بتلك الأصول المرجعية، وهى الأصول التى جرى الكثيرون على تسميتها بـ «مصادر التفسير»، ولا بد من القول بدءاً بأن طريقة العلماء -علماء التفسير- فى عرض هذه المصادر، وكيفية صياغتهم لها، واختلاف استقراءاتهم لها، كل أولئك يثير حولها غير قليل من الغموض والإشكال، وذلك ما يحاول المقال تجليته والوقوف

(١) مقدمة الراغب بذيلى تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار ص ٤٢٢.

(٢) البرهان ١٥٠/٢، وتبعه على ذلك من المحدثين جمال الدين القاسمى -رحمه الله- فى تفسيره ٧/١.



«التفسير باللغة» و«بالمقتضى من المعنى»^(٨)، والزركشى ضرب صفحا عن تفسير القرآن بالقرآن، وبأقوال التابعين - وإن كان قد ذكرها في كتابه^(٩)، وموقفهما هذا يحتاج إلى تفهم، ويشير الاستفسار، وقد مزج الذهبي بين هذين الاستقراءين ليخرج باستقراء جامع شامل هو الذى عليه مسار هذا المقال.

٢- يتم عرض هذه المصادر على نحو تغيب معه «الشخصية العلمية» للمفسر، بحيث يصبح مجرد ناقل جامع لا يتصرف فى وجوه المعارف التفسيرية الماثورة، ولا تكون له «مواقف» من الآراء الاجتهادية، وبذلك يتم إغفال عملية التفسير نفسها وكيف تتم وكيف «يوظف» المفسر أثناءها هذه الأدوات التفسيرية^(١٠)، ولقد كان هذا سببا فى تداخل «مصادر التفسير» مع «شروط المفسر»، وهو تداخل وإن سوغه ما بينهما من اتصال وارتباط حتى إن كلا منهما يمكن إدراجه ضمن «شروط التفسير»، إلا أن هناك فرقا دقيقا يفصل بينهما، ويمنع من التسوية بينهما، ذلك أن شروط المفسر هى «التكوين الثقافى اللازم للمفسر قبل أن يشرع فى عملية التفسير»، أما مصادر التفسير فهى جملة ما يرجع إليه من استكمال «شروط المفسر» أثناء العملية التفسيرية وبعبارة أخرى: فشروط المفسر تفترض موجودة لدى المفسر، وهى التى تؤهله لمزاولة

«أمهات المأخذ» وهى واردة فى كلام الإمام ابن تيمية^(٣) فى سياق الحديث عن «أحسن طرق التفسير»، وأدرجها ابن جزى^(٤) ضمن ما أسماه «وجوه الترجيح بين أقوال المفسير»، وكما اختلفت عبارات الأولين فى تحديد الاسم لهذه المصادر، فقد تغايرت إطلاقات المحدثين عليها، فالحسين الذهبي^(٥) يسميها «مصادر التفسير»، وأوردها الطاهر بن عاشور^(٦) ضمن «استمداد عدم التفسير» وأسماها د. محسن عبد الحميد^(٧) «الأصول النقلية والعقلية»، وهذا الاختلاف فى التسمية جعلنى أعدل عن تفكيك هذا المركب الإضافى «مصادر التفسير»، والتعريف بجزئيه، على غرار ما يفعل عادة فى مثل هذه المصطلحات ذات التركيب الإضافى، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الاختلاف لم يكن لفظيا - إذن لهان الأمر، إذ لامشاحة فى الاصطلاح - ولكنه راجع إلى اختلاف فى التبع والاستقراء لهذه المصادر، ولذلك وجدنا ابن تيمية يقتصر من طرق التفسير على أربعة مصادر: تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، أما الزركشى فيقع عنده ترتيب مأخذ التفسير على النحو التالى: النقل عن النبى ﷺ، ثم الأخذ بقول الصحابة ثم الأخذ بمطلق اللغة، ثم التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، فابن تيمية لم يعرج فى استقرائه على

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ص ٩٣.

(٣) مقدمة فى أصول التفسير ص ٩٣.

(٥) التفسير والمفسرون ١/ ٢٧٣ وكذا يسميها خالد العك فى كتابه أصول التفسير لكتاب الله المنير.

(٧) دراسات فى أصول التفسير ص ١٠٩.

(٦) التحرير والتنوير ١/ ١٨.

(٩) البرهان ١٥٦/٢ وما بعدها.

(٨) مقدمة أصول التفسير ص ٩٣ وما بعدها.

(١٠) دراسات فى القرآن ص ١٣٤.



العمل التفسيري ويتم «توظيف» الشروط أثناء العملية التفسيرية تحت عنوان «مصادر التفسير» ومن هنا، كان الإدماج بين الأمرين غير دقيق ولا سليم^(١١).

٣- هناك تشابه كبير قائم بين مصادر التفسير، ومصادر التشريع من حيث الترتيب، وكلاهما يجد مستنده في حديث معاذ المشهور^(١٢) لما بعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلى اليمن، وهو حديث على اشتهاره وشيوعه على ألسنة الأصوليين خاصة - قد نص على تضعيفه، وغمز سنده جهابذة كبار من المحدثين، وعلى رأسهم الإمام البخارى، حسبما بسط القول فيه المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألبانى^(١٣) - رحمه الله تعالى - ومهما يكن، فإن القصد إلى القول بأن إيقاع ترتيب مصادر التفسير على وفاق مصادر التشريع كانت له انتقادات فى صيغة طرح هذه المصادر وإقامة بنائها.

ومصادر التفسير - تباعا - مرتبة على مراتبها عليه علماء التفسير وهى: القرآن الكريم، السنة النبوية، أقوال الصحابة، أقوال التابعين، اللغة، العقل الاجتهادى.

وأود طرح ملاحظتين اثنتين تتعلقان ببعض حيثياته وجوانبه فأقول:

١- يلاحظ خلال عرض هذه المصادر تصنيف السنة فى العمل التفسيري بعد

الكتاب وإنزالها منه منزلة الاجتهاد منهما فكما أنه لا يجوز الاجتهاد مع وجود النص فى الكتاب والسنة، فكذلك لا يلجأ إلى السنة إلا بعد أن يفتقد الحكم فى الكتاب، وهو تصور فى غنى عن بيان مجافاته للصواب، لما سبق من أن السنة تأتى مفصلة لمجمل القرآن ومقيدة لمطلقه، وغير ذلك من وجوه البيان فلا يلتزم -والأمر على هذا- إرجاء الرجوع إليها إلى حين الانتهاء من الكتاب، بل الواجب على المفسر أن ينظر فى الكتاب والسنة معا نظرا واحدا.

٢- جعل مصدر «العقل» أو «الاجتهاد» مصدرا مستقلا وقسيما للمصادر النقلية برأسه، وهذا يجعل الأمر مستشكلا غامضا وهو ما دفع بعض الباحثين إلى أن يعترض على صيغة هذا الطرح محتجا بأن ذلك يوهم غياب عنصر العقل فى المصادر السابقة، ويصور المفسر أثناء استعانتة بالمصادر النقلية مجرد ناقل أمين، وجامع حفيظ حتى إذا بلغ هذا المصدر أعمل فكره وأطلق لعقله العنان فى النقد والتمحيص، وهو لاشك تصور أوافق الباحث على استشكله دون الاعتراض عليه، وطنى -والله أعلم- أن مرد ذلك إلى اعتبار مصادر التفسير بمصادر التشريع فى أن الاجتهاد إنما يصح فى غير مورد النص فكما أنا لانجتهاد إلا عند فقدان النص فكذلك لا يكون

(١١) مقال الأستاذ زيد بوشعراء بمجلة الهدى ١٥ السنة ١٩٨٦م.

(١٢) الحديث أخرجه أبو داود فى الاقضية وابن ماجة فى المناسك والإمام أحمد وغيرهم.

(١٣) ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٨٦/٢.

مصادر أخرى تعينه على الدقة في أداء عمله التفسيري، وأعنى بذلك هذا التراث التفسيري الهائل، والأعمال التأويلية الجبارة للأسلاف - رحمهم الله - فإن لها أهمية بالغة لما تشتمل عليه من كم هائل للمأثور، ولما لها من قيمة تاريخية كبيرة في استعراض آراء الأقدمين واختلاف أنظارهم وكل ذلك - لاشك - يساعد المفسر على حسن الفهم والدقة في إصابة المعنى، كما لا يأتى المفسر أن ينظر في كتب الفقه والعقائد وغيرها من مدونات العلوم التي تختزل عليه كثيرا من مكاره الطريق في ميدان البحث، وتوقفه على بيئة الأمر في كثير مما وقع الكلام حوله مما له اتصال بتفسير كتاب الله، على ألا يسترسل في ذلك ويعتمد إلى تكديس هذه العلوم والاستطراد بها في غير ما يحقق غرض التفسير الذي يضع في أولى غاياته التنبيه على مواطن الهداية القرآنية في آيات الذكر الحكيم.

وختاماً، فإذا لم يكن لهذا العرض في مصادر التفسير سوى التوصل إلى دقة صياغة الإشكال بشأنها وحسن طرح الاستفسار حولها، فذلك حسبه وهو مما لا يحتقره، ولا يستصغره ويقوى هذا الشعور عنده أن معرفة الإشكال هو في حد ذاته كسب وأى كسب، وهو يمثل الخطوة الأولى لتجاوز ما أشكل وتوضيح ما أبهم.

والله - تعالى - هو المسئول أن يمنحنا حسن الفهم ويوفقنا إلى سبيل الرشاد، ويقينا معرة الخطأ، ومزالق الشطط، إنه تعالى سميع مجيب.

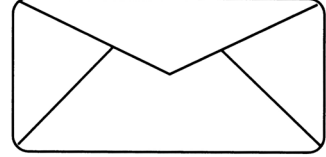
للاجتهاد مجال في التفسير إلا عند تعذر المأثور من المنقول. وهذه النظرة قاصرة في تفهم معنى الاجتهاد الذي لا ينحصر مجاله فيما لانص فيه، بل يتسع مفهومه ليشمل تعقل معانى النصوص وإشاراتها ولوازمها العقلية وإيقاع التأويل فيما بينها، وعلى هذا فلا يصح جعله مستقلا عن المصادر النقلية طالما كان له حضور في مختلف مراحل العملية التفسيرية، ولعله قد روعى في هذا التفكيك الإجرائي والفصل المنهجي بين هذه المصادر الأهمية والأحقية في التقديم مما لا ينفى التداخل فيما بينها، وأن بعضها يأخذ برقاب بعض أثناء العمل التفسيري، وبذلك يكون ترتيب هذه المصادر قد روعى فيه مكانتها لامكانها في حيز العملية التفسيرية.

إن هذه المصادر تعتبر أصولاً منهجية عديدة وضوابط علمية ثابتة تنأى بالمفسر عن الخطأ والشطط وتكأله بعين الرعاية أن يسرح في تيهاء بيداء من التأويلات المعسوفة والفهومات المنكوسة التي تبتعد بالآيات عن الفهم الصحيح والتفسير السديد وهي بذلك تعتبر ملزمة لكل عمل تفسيري جاد، وكل حركة تجديدية في ميدان التفسير تأنس من نفسها الغناء عن هذه المصادر تعتبر غير مقبولة شرعاً بل هي داخلية في متاهات التفسير المذموم، ولكن هذا لا يعنى أن يقتصر المفسر على تلك المصادر وحدها بل عليه - خاصة بعد امتداد الزمن وتطاول الأمد وتوالى التأليف في ميادين العلوم الشرعية والفكر الإسلامى - أن يكون على بيئة مما يستجد من



رسالة.. و.. رد

لفضيلة الشيخ /عبد الفتاح سيد جمعان



الصلاة على النبي ﷺ

رسالة هذا العدد وردت من القارئ حاتم موسى.. يقول فيها:

مع رسالتى هذه كتاب «دلائل الخيرات» أرسله لكم لتقفوا على ما به من البدع حيث إنه من حيث المضمون اشتمل على كثير من التمجيد والتعظيم المبالغ فيه لسيدنا محمد ﷺ لدرجة كبيرة تقربه عيادا بالله إلى الذات الالهية.

هذا من حيث المضمون أما من حيث الشكل فهو يشابه إلى درجة كبيرة مع كتاب الله الشريف «يقصد المصحف» حيث إنه مقسم إلى أجزاء وأحزاب على شاكلة القرآن الكريم.

لذلك أرجو التنبيه على خطر مثل هذه الكتيبات المجانية التى توزع مع بعض الكتب والمجلات وتحذير المسلمين من أخطارها لأنها تؤثر بشكل كبير على القراء ذوى الثقافة الإسلامية المحدودة.

خروج على الدين وإن كان به بعض المبالغات
وسأجعل ردى عليك منحصر فى أمور:

الأول: فى حكم الصلاة على النبي ﷺ، قال
القاضى عياض فى كتابه (الشفافى شمائل
صاحب الاصطفا) ﷺ: (اعلم أن الصلاة على
النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت
لأمر الله - تعالى - بالصلاة عليه، أى فى قوله:

بداية أقول للأخ السائل شكر الله غيرتك على
الدين واهتمامك بتنقيته من أى شائبة كما أشكر
لك ثقتك فى مجلتك مجلة الأزهر والقائمين عليها
فهى كما قلت فى رسالتك منبر من منابر الإسلام
الذى يحتاج إليه كافة المسلمين لتبصيرهم وتوعيتهم
بمبادئ الإسلام الحنيف لكنى مع ذلك أقول: هون
عليك فالأمر أيسر مما تظن فليس فيه بدعة منكورة ولا

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

وحمل الأئمة والعلماء له - أى الأمر - على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبرى أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة، ثم قال فى نفس الموضع: قال القاضى أبو الحسن بن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب فى الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتى به مرة من دهره مع القدرة على ذلك، وقال القاضى أبو بكر بن بكر: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها ثم قال: وقال أصحاب الشافعى الغرض منها الذى أمر الله - تعالى - به ورسوله ﷺ هو فى الصلاة «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته» (٢) واستكمالا للفائدة أسوق إليك يا أخى السائل بعض ما قاله بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وأكتفى بما قاله القرطبى وهو مفسر مالكى المذهب من القرن السابع الهجرى، قال رحمه الله: هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ فى حياته وموته وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب فى جهته فكرة سوء أو فى أمر زوجاته والصلاة من الله رحمته

ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره ثم قال: أمر الله - تعالى - عباده بالصلاة على نبيه محمد ﷺ دون أنبيائه تشريفا له ولا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه - الزمخشري - أى نقلا عن الزمخشري - فإن قلت: الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة أم مندوبة قلت: بل واجبة وقد اختلفوا فى حالة وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره ﷺ وفى الحديث «من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله» ويروى أنه قيل له: يا رسول الله أرايت قول الله - تعالى -:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

فقال النبى ﷺ هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمنى عنه ما أخبرتكم به، إن الله - تعالى - وكل بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصل على إلا قال ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله - تعالى - جوابا لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى على إلا قال الملكان: لا غفر الله لك وقال الله - تعالى - لذينك الملكين: آمين، ومنهم من قال: تجب فى كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله وآخره (٣) ومنهم من أوجبها فى العمر مرة كما فى الشهاداتين والذى يقتضيه الصلاة عند كل ذكر كما ورد فى الإخبار فى ذلك وجاء فى القرطبى أيضا وروى المسعودى عن عون بن عبد الله عن أبى فاتحة عن الأسود

(٢) شرح الشفا بتحقيق حسنين محمد مخلوف ح ٣ ص ٧٢٦ وما بعدها.

(١) الأحزاب (٥٦).

(٣) عللوا ذلك بقولهم إن الله - تعالى - يقبل الصلاتين فى أول الدعاء وآخره وهو - سبحانه - أكرم من أن يترك ما بينهما.

فإذا جاءت الصلاة على النبي ﷺ رفع الدعاء وقال النبي ﷺ: (من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب) وذكر الدارقطني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أنه قال: (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم) (٤).

وقال المفسر الألوسي - من مفسري القرن الثالث عشر الهجري - في تفسير الآية نفسها: إنها كالتعليل لما أفاده الكلام السابق من التشريف العظيم الذي لم يعهد له نظير والتعبير بالجملة الإسمية للدلالة على الدوام والاستمرار وذكر أن الجملة تفيد الدوام نظراً إلى صدرها من حيث هي جملة وتفيد التجدد نظراً إلى عجزها من حيث إنه جملة فعلية فيكون مفادها الصلاة وتجدها وقتاً مؤقتاً وتأكيدها بـ «إن» للاعتناء بشأن الخبر وقيل لوقوعها في جواب سؤال مقدر هو: ما سبب هذا التشريف العظيم؟ وعبر بالنبي دون اسمه ﷺ على خلاف الغالب في حكايته - تعالى - عن أنبيائه - عليهم السلام - إشعاراً بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر... إلخ ثم ساق الألوسي كثيراً مما ساقه القرطبي (٥).

ونقل لك - أيضاً - بعض ما قاله الشيخ محمود محمد خطاب السبكي في كتابه الفقهي «الدين الخالص» يقول - رحمه الله: (الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد ركن عند الشافعي وإسحاق وروى عن أحمد واختاره ابن العربي المالكي لما في حديث فضالة ابن عبيد أن النبي ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم

عن عبدالله أنه قال: «إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قالوا فعلمنا قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ونبيك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وروينا بالإسناد المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: عدهن في يدي رسول الله ﷺ وقال: عدهن في يدي جبريل وقال: هكذا أنزلت من عند رب العزة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وتحنن على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد - وقال القرطبي أيضاً: ثبت عنه ﷺ أنه قال: (من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً وقال سهل بن عبدالله الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات لأن الله - تعالى - تولاهم وملائكته ثم أمر بها المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: الدعاء يحجب دون السماء حتى يُصلى على النبي ﷺ

(٤) تفسير القرطبي ط دار الشعب ص ٥٣١٤ وما بعدها حتى ص ٥٣١٨ بتصرف.

(٥) تفسير الألوسي المسمى روح المعاني ج ٢١ ص ٧٥ وما بعدها.



واجب بلا شك، وهذا الكتاب لو قرئ في أسبوع ما عطل عن شيء بقى أن اعترف بأن الكتاب تضمن أسماء لرسول الله ﷺ غير واردة في الصحاح وإن كانت مأخوذة من أوصاف له صلوات الله عليه وألقاب ثابتة بالكتاب والسنة وهذا لا يجعله يصنف في دائرة البدعة، أما الشبهة التي اعترت الأخ السائل وهو أن التعظيم المبالغ فيه لرسول الله ﷺ يجعله قريباً من الذات الإلهية فهذا بعيد كل البعد عن تفكير ووجدان المسلمين فالمسلمون مهما كانت ضحالة ثقافتهم لا يختلط عليهم الأمر بين ذات الله العلية وبين شخصية الرسول البشرية فكل فقرة أو دعوة تبدأ بهذا الدعاء «اللهم صل على سيدنا محمد.. الخ» فكيف يستقيم أن يلتبس أمر الذات الإلهية التي يدعوها الإنسان أن تصلى وتسلم على رسوله بأمر النبي ﷺ الذي ندعو له بالرحمة من الله لأن صلاة الله على نبيه رحمة كما قال العلماء.

أما عن الشق الخاص بشكل الكتاب من حيث التقسيم وأنه يتشابه مع المصحف الشريف فهذا بعيد جداً كذلك لأن من إعجاز القرآن الكريم أنه لا يتشابه مع غيره من الكلام الآخر لا نطقاً ولا خطاً، أما من حيث النطق فلو سمعته الأمي غير المسلم لعلم أنه قرآن ومن حيث الخط فإن القرآن له خط خاص لا يشبهه مع أى خط آخر وهو المعروف بالرسم العثماني وله علم خاص يدرس ضمن علوم القراءات والقرآن الكريم، وهو مختلف كل الاختلاف عن الخط العادي والذي تكتب به المصحف والكتب الأخرى فطب نفساً يأخى وإطمئن فلن يأتي من وراء هذه الكتب - إن شاء الله - ضرر على عقائد المسلمين، وختاماً أكرر شكرى لك وسلام الله عليك ورحمته وبركاته.

يدعو بما شاء» أخرجه أبو داود والبيهقي وصححه الحاكم والترمذي، وعن أبي مسعود الأنصاري - رضى الله عنه - أن بشير بن سعد قال للنبي ﷺ: أمرنا الله أن نصلى عليك فكيف نصلى عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم» أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي وصححه.

وهذا يدل على أن فرض الصلاة عليه ﷺ في الصلاة كان معروفاً عندهم قال ابن قدامة: وظاهر مذهب أحمد وجوبها فإن أبا زرعة الدمشقي نقل عنه أنه قال «كنت أتهيب ذلك ثم تبينت فإذا الصلاة واجبة» ١. هـ (٦).

الثاني: بعد أن عرفت أن الصلاة على النبي ﷺ عبادة بل من أجل العبادات كما مر بك فلا يمكن لأحد أن يقول إن الصلاة على النبي ﷺ والتي تضمنها كتاب «دلائل الخيرات» بدعة وقد مر بك ما نقلناه من كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب - رضى الله عنه - وهو من كبار المحاربين للبدع في العبادات والعبادات على السواء وقد تعمدت أن أنقل ما قاله اثنان من المفسرين في الصلاة على رسول الله أحدهما من القرن السابع الهجري والثاني من القرن الثالث عشر لأؤكد لك أن هذا أمر اتفق عليه العلماء في القديم والحديث وفي كل المذاهب على أنى لا أنكر أن هذا الكتاب «دلائل الخيرات» اشتمل على صيغ كثيرة من الصلوات لكن من قال إن الاكثار من العبادة يحيلها إلى بدعة إلا أن تحول بين فريضة ثابتة أو تعطل عن أمر

(٦) الدين الخالص ٢ ص ١٦٧ وما بعدها.



فى أجواء السعادة

لمُستأذ / مجدى عبد الحميد بشير

ما من مناسبة تزكى فى النفس الإحساس الغامر بالسعادة أكثر من مناسبة مولد الرسول الكريم محمد ﷺ لما أرسى دينه الحنيف على دعائم العدل والمساواة ولما أشاع من مظاهر التكافل الاجتماعى المبني على أسس متينة من المحبة المتبادلة والمودة المطلوبة بين الإنسان وأخيه الإنسان وهى أو اصر ووشائج يدفع إليها ويحفظها وحدة التكوين وأصل المنشأ فكلنا لآدم وآدم من تراب. وحتى لا تتشعب بنا المسالك نطرح سؤالاً هو صلب موضوعنا يقول: ما هى السعادة؟ هل تتمثل فى الحياة والحرية واللهاث خلف المتاع الشخصى؟؟ ومع علمنا الجازم بعجزنا عن الإلمام بكنه السعادة وجوهرها إلا أننا نؤكد أن السعادة لم تكن يوماً فى اللذة الحسية ولا فى الترفيه والتسلية كما أنها لا تنحصر فيما يحققه الإنسان من إنجازات أو ما يحرز من نجاحات أيا كان مستواها ولا فى الثروة الطائلة مهما كلس من أموال وحاز من عقارات. وأخيراً فإن ما يحسه الإنسان من نشوى عابرة تعتريه أو ما يستسلم له من خيال مجنح بعيد كل البعد عن السعادة التى يطمح إليها. إن المعادلة القائلة بأن السعادة لا تشتري بالمال معادلة تثبت الأيام صحتها يوماً بعد يوم، لكن للعلماء التجريبيين رأى فى السعادة نطرحه حتى ولو اختلفنا معه فهم يرون مثلاً أن مقدار هرمون الأدرينالين فى اللاعب يمكن أن يبين مستوى الضغط لدى الإنسان وهو ما يقلل من سعادته كما أن بعض القياسات الكهربائية لعضلات الوجه يمكن أن تستخدم - كما زعموا - فى التمييز بين الابتسامة المزيفة وتلك الصافية النابعة من نفس مضغمة بالسعادة الحقيقية وهى استنتاجات تريد أن تخضع السعادة لمقاييس مادية وتحصرها فى قوالب محسوسة تحيد بها عن مسارها الصحيح.



والدرس الذى استخلصته الدول التى حققت
الثراء الفاحش هو ما لخصه الشاعر فى قوله :

ولست أرى السعادة جمع مال

فقد ثبت أن كلا من شعوب أيسلندا وهولندا
والدنمارك يستشعر أكثر من ٩٢٪ من أفرادها
السعادة رغم أن مستواها الاقتصادى يقل كثيراً
عن دول مثل أمريكا والمانيا التى يسود أفرادها
الاكتئاب والأمراض النفسية المختلفة كما أن الثروة
الطائلة لم تحقق لليابانيين والصينيين وكل أتباع
بوذا وكونفوشيوس السعادة المرجوة ومن هنا
أكدت كل التجارب والخبرات أن السعادة شعور
خفى ينبعث من داخل الفرد نفسه وأنه ينبغى
الفصل التام بين المال والسعادة. إذن فأين تكمن
السعادة؟؟

لقد اتضح أن كل البشر عرضة للظروف المواتية
وغير المواتية وأن السعادة وغيرها من المشاعر أمور
متداخلة من الصعب فصل بعضها عن البعض
الأخر.

وإليك بعض الأمثلة التى تعينك على توضيح
ما ذهبنا إليه فالذين يكسبون جوائز اليانصيب
يجتاحهم شعور بالسعادة يفوق غيرهم لكنها
سعادة زائفة لأنها لا تدوم طويلاً لارتكازها على
ما حرم الله ومخالفة ما أودع - سبحانه - فى فطرة
الإنسان من بغض الحرام وعدم الاطمئنان إليه، أما
ذلك الشخص بعد أن يفيق من وهم أغرقه فى
سعادة وقتية مزعومة تراه يصطدم بالواقع بعد أن
فشل فشلاً ذريعاً فى التواءم مع ما شاء من قصور
هشة سرعان ما أودت بها رياح الحقيقة العاتية
وأواجهها الصاخبة. ومثل آخر تتداخل فيه
المشاعر وتختلط ألا وهو الزواج وتكوين الأسرة

وتحمل المسؤولية فكلها ليست لحظات سعادة
خالصة لما يشوبها أحياناً من منغصات ومكدرات
سرعان ما تزول وهى أمور لا مناص منها ولا فكاك
إذ هى من طبيعة الحياة وكذا ما يحصل الإنسان
عليه من ترقيات وما يوكل إليه من تكليفات كلها
أمور مردها إلى طبيعة المتلقى الذى إما أن تسعده
المسؤولية أو يجد فيها عبئاً ثقيلاً يتمنى لو لم
يثقله حمله وأما أولئك الذين شاءت لهم
أقدارهم أن يعاشوا أنواعاً من الإعاقة لا يستطيع
أحد أن ينكر ما يغمر الغالبية العظمى منهم من
سعادة مبعثها الرضا بقضاء الله والأمل فى
المستقبل والرغبة فيما عند الله. بيد أن هناك أمراً
أكدت كل الدراسات أنه العامل الأساسى فى هدم
السعادة واقتلاعها من جذورها ألا وهو الفراغ
المحض وبشكل أكثر دقة البطالة التى لها القدرة
التى لا تبارى على أن تلتهم الشعور بالسعادة
وتغرق الإنسان فى مأس لا ينجيه منها إلا أن يجد
عملاً ينفع به نفسه ويفيد به غيره والخاصة :- أن
الكل يحوم حول السعادة فيصيبها أحياناً وأحياناً
يخطئها فهل معنى ذلك أن السعادة أمر خاضع
للمزاج الشخصى؟؟ تقول دراسات الهندسة
الوراثية: إن المزاج الشخصى أمر مهم وقد تم
دراسة وقياس مستوى السعادة والانبساط لدى
مئات من التوائم وتبين منها أن التوائم تامة
التشابه تحس مستويات متشابهة من السعادة حتى
ولو لم يكن منشأ التربية واحداً وحتى مع
اختلاف مستويات الخبرة التى مر بها كل منهم
وبرغم أهمية التركيب الجينى لكل منا إلا أنه ليس
الفيصل فى موضع السعادة وأن الكلمة الأخيرة
فى هذا الشعور الرائع الجميل لم يقلها أحداً بعد



أخيه في الله عبد الرحمن بن عوف أن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوجها بعد أن تنتهي عدتها ويعرض عليه في كرم وسخاء أن يقاسمه ماله فيرد عليه بن عوف في إباء وعزة نفس: بارك الله لك في مالك وأهلك ويقول: «دلوني على السوق» فيتاجر ويبيع ويشترى حتى يصبح من أكثر المسلمين ثراءً وغنى، إنها كما ترى مباراة في حسن الخلق المستند إلى حسن العمل ثم انظر أكرمك الله إلى الدعوات المخلصة الأمانة التي يتجه بها المهاجرون والمؤمنون عموماً إلى الله حيث يقول سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

ففيها اعتراف بأفضلية من سبقه إلى الإيمان وأن هذا السبق لا ينبغي أن يكون بحال مبعث غلٍ أو حقد أو حسد بل هي الحبة الخالصة لله وفي الله وهي الأساس والمهد الذي تنشأ فيه السعادة الحقة وترعرع.

إن السعادة الجديرة بإنسانية الإنسان هي إسعاده لغيره وتفضيله لسواه على نفسه إنها الأريحية التي تنتزع الأنانية وتعلي مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، لأنه إن خلصت النيات فلن يكون هناك أدنى تعارض بين صالح الفرد والجماعة فهدفنا جميعاً هو عبادة الله وحده وأن يحب كل منا لأخيه ما يحب لنفسه وتلك هي السعادة الحقيقية.

وأن سعادة الفرد لا علاقة لها البتة بمستواه المادي. فلا الثروة ولا المرحلة العمرية ولا الذكورة أو الأنوثة ولا الجنس أو اللون يمكن أن يحدد درجة سعادة الإنسان وكذا كل النظريات والأطر لن تقدم الجواب الشافي على ماهية السعادة.

لكن هناك مفهوماً للسعادة لم تتناوله الدراسات العلمية المادية للسعادة وطرحه الدين الإسلامي على بساط البحث مؤكداً أنه العلاج الناجع والبلسم الشافي الجالب للسعادة والفاتح بابها على مصراعيه لمن أراد الدخول فيه والانضواء تحت لوائه، إنه ببساطة ودون إسهاب الإيثار وتفضيل الغير على النفس ونكران الذات الذي يقابل أو لا يقابل بالامتنان والشكر والتقدير والإكبار ولقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى الدقيق للسعادة في مجتمع المسلمين الوليد في المدينة المنورة التي أسسها الرسول الأعظم ﷺ على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي كان مبعثها الراسخ الرغبة فيما عند الله والثوبة يقول الله - عز وجل -:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْفِقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فالأنصار - رضوان الله عليهم - يعاملون إخوانهم المهاجرين بالحب ويستقبلونهم بالإيثار وتفضيلهم على أنفسهم إنه الإيثار الذي دفع بسعد بن الربيع الصحابي الجليلي أن يعرض على





بيان القرآن .. عن تكوين الإنسان

للدكتور محمد خطاب (*)

دائما ما انشغل الإنسان - قديما وحديثا - بتساؤلات حائرة مبهمة؛ عن وجوده، وأصل تكوينه، ونهايته، ومصيره بعد الموت ونهاية الحياة الدنيا.

وقد جمع العلماء والفلاسفة؛ هذه المبهمات المحيرة.. في صورة تساؤلات مستمرة عن قضايا الوجود الكلية.. عن أصل الكون وكل الوجود، وعن نشأة الحياة، وما بعد الموت. أو اختزلوها في أسئلة تشرد دائما في الوعي الحاضر وفي التراث.. كل حين. مثل: ماذا قبل؟ وكيف؟ ومتى؟ وماذا بعد؟ وأين؟

فمبلغ البشر من علم أى شىء هو الظن.

والله - سبحانه وتعالى - يقرر:

ومن ثم فلا سبيل للإنسان .. رغم البحث . وبعد ذلك إلا من كتاب الخالق المجيد . فهو مصدر الحقيقة عن كل شىء، وعن كل مخلوق، وعن الإنسان، وعن كل ما كان وما هو كائن وما يكون . فقد بين الله - سبحانه وتعالى - بأسلوب بليغ وكلام معجز؛ في آيات محكمات .. أن الإنسان مخلوق من اجتماع أربعة عناصر تكوين متباينة . قد جمعها الواحد في تركيبة بديعة .. فارق الإنسان بها كل من سبقه من المخلوقات وكل ما سبقه من الخلائق .. إذ خلقه الله في آخر مرحلة من مراحل الخلق الستة .

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾ (١).

وما كان متخذًا كذلك أيا من خاضوا أو يخوضون فيما لا يعرفون ولا سبيل لهم إلى معرفته، ولا إدراك. حقائقه، أو حتى مجرد العلم عنه .. بعيدا عن الروحي المعصوم .

فالعلم بحقائق الأصل والتكوين، ووقائع الماضي الدفين، ولطائف الماد والمصير والأجل، بل بدقائق الحاضر وكل ما يقع؛ لا يكون إلا من علم عالم الغيب والشهادة، وعن طريق الوحي المحفوظ . وإلا

(١) الكهف: ٥١ .

(*) الكاتب استشارى جراحة .

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٢﴾

برغم ما يتداوله علماء الإنسان عربا وأعاجم - بعيدا عن هدى القرآن - من أن الإنسان مادة فقط في أحوال متعددة، أو مادة وحياة، أو روح وجسد، وبرغم الخلط بين مفاهيم النفس والروح والحياة.. والنظر إليها كمتراذفات لما وراء الجسد، بل لما وراء المادة والطبيعة. وبرغم زعم الماديين أن هذه كلها؛ ما هي إلا تفاعلات مادة، أو صور لها.. لم تتح للإنسان آلات وأدوات الإحساس بها، أو كشفها والإمساك بها.

وقد وجدت - بفضل الله - تفصيل طبيعة هذه العناصر الأربعة جليا واضحا في آيات القرآن، ونجد ذكرها - عنصرا بعد آخر - سانحا محكما في كلماته؛ تتأبى على الاشتباه، وتستعصى على الغموض، يجليها الله لمن يتدبر قرآنه.. على النحو الآتي:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ﴿٣﴾

إشارة إلى أصل مادة البدن. ليس بدن آدم فقط.. باعتبار بداية الخلق من تراب، بل بدن كل بشر.. بما في جسد كل منا من عناصر تراب جسد أبينا آدم، وعلى وجه التحقيق.

وفى قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ

نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ﴿٤﴾

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ﴿٥﴾

إشارة إلى ماء الحياة؛ العنصر الثانى من عناصر تكوين الإنسان. وإشارة إلى الحياة.. أولى قواه. إذ جعل الله من الماء كل شىء حى.. من عوالم النبات والحيوان.. قبل الإنسان.

وفى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلَاسِلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّتَسَوِّنٍ ﴿٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴿٧﴾

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِّنْ صَلَاسِلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ﴿٧﴾

إشارة إلى دخول عنصر النار إلى الطين الناتج من خليط التراب والماء. لتتغير طينة جسد الإنسان بالنار تغيراً غير معكوس، تفارق به خصائص الطين الظاهرة وصفاته، وخصائص الطين اللازب الذى كان فى المرحلة السابقة على دخول النار.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ ﴿٨﴾

مع احتفاظ كل بشر بكل من صفات تراب البدن وماء الحياة، برغم استمرار آثار نار التسوية.. لا تفارق تراب الطين وماءه؛ ما بقيت فيه حياة. وإلا فارقته حياته؛ إذا برد البدن، أو قلت حرارته عن حدها الموزون.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ ﴿٩﴾

﴿ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ ﴿١٠﴾

(٤) الفرقان: ٥٤.

(٣) الروم: ٢٠.

(٢) السجدة: ٦، ٧.

(٧) الرحمن: ١٤.

(٦) الحجر: ٢٨، ٢٩.

(٥) الأنبياء: ٣٠.

(١٠) السجدة: ٩.

(٩) الحجر: ٢٩، ص ٧٢.

(٨) الصافات: ١١.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ (١٢).

و﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ (١٣)

ونعلم من كتاب الله استدلالا.. أن عالم النبات مركب من التراب والماء :

﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَاهَا عَلَيْهِا

الْمَاءَ اهْزَلَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾ (١٤)

إذ أنزل للنبات الماء.. وله منه حياة :

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (١٥).

ونعلم أن الحيوان بأنواعه وأجناسه.. مركب من التراب والماء والنار. إذ له من التراب بدن. وبالماء حياة - ككل شيء حي - . وله بالنار نفس حيوانية. وهى حيوية عالية، فارق بها حدود عالم النبات المقيد بصفات الماء والطين. بما للحيوان من انفعالات نفس، وطاقة.. تفوق قوة الحياة. كأنها حياة لكل حيوان بعد حياته النباتية، أو مبالغة فى الحياة التى سلفت فى كل شيء حي، ثم انتقلت بذات صفاتها فى النبات إلى الحيوان ثم إلى الإنسان.

ثم يكرم الله آدم وزوجه وبنيه بنفخة من روح النور، ينشئ الله بها أعم البشر، خلقا آخر وعالما فريدا وجنسا فضيلا، جمع الله فيه بين الأغنياء، وألف فى كيانه بين الأضداد. إذ أقام من الطين بدنا حيا، ثم نفخ فيه نورا بعدما سواه بالنار.

وتفصل آيات القرآن.. هذه المراحل تفصيلا؛ يراه علماء الأجنة.. إعجازا فى الخلق والبنیان،

إشارة إلى نفخة النور فى قبضة الطين وخليط الماء والتراب والنار.. فى قطعة الصلصال كالفخار، ثم فى مضغة اللحم والدم والعظم فى كل رحم حى وبطن أنثى البشر.

وبهذه التركيبية البديعة المستحدثة على عوالم الكون؛ تجتمع لكل إنسان.. خصائص النور والتراب والماء والنار. ففى كل منا.. ثلاث قوى، تتواجد بصفاتها وآثارها على استقلال فى تراب البدن. بحيث تضيف كل من قوى الروح والنفس والحياة.. سبع صفات متباينة متفاضلة إلى صفات البدن السبعة؛ المستمدة من تراب الأرض، بما فى جسد كل منا من عناصر الأرض.. حصر العلماء منها أكثر من أربعين عنصرا بسيطا، كالحديد والفسفور والنيتروجين والكربون والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم، ويمرض الجسد إن حرم من أيها طويلا بل قد يهلك البدن ويموت صاحبه.

ليجتمع للإنسان من صفاته ما يفارق به عوالم المخلوقات الأخرى البسيطة - كالملائكة - أو الأبسط منه تركيبا - كالجن - والأقل منه تعقيدا - كالنبات والحيوان - بسائر الأنواع والأجناس.

إذ نعلم من الوحي كذلك؛ أن عالم الملائكة بأنواعه ومراتبه.. مخلوق من عنصر النور، مجردا عن التركيب والتعقيد والخلط والإضافة. كما فى حديث رسول الله ﷺ (١١). (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ) ونعلم من القرآن.. أن الجان مخلوق من لهب خالص ونار مخصوصة :

(١٣) الحجر: ٢٧.

(١٢) الرحمن: ١٥.

(١١) رواه: مسلم وأحمد؟

(١٥) الأنبياء: ٣٠.

(١٤) الحج: ٥.



ويفصل علماء الكلمة والمعنى .. ما فيه من إعجاز
البلاغة والبيان ..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٦﴾﴾

وصفات حياة الإنسان .. هي مظاهر الحياة في كل
شيء حي، نجدها بذات ظواهرها في عالم النبات
والحيوان .. على تفاوت في الشدة والآثار، لتكون في
الإنسان على أكمل وجه وأحسن ما يكون:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١٧﴾﴾

أما صفات النفس البشرية^(١٨) .. فهي غرائز حيوية
الحيوان، بما في بدنه من عنصر النار، التي تحفظ حرارة
البدن مستقرة، بلا مثيل في النبات والأحياء الدنيا.
وصفات النفس كذلك .. من جنس صفات عالم
الجن .. إذ خلقه الله من مارج من نار.

ويبقى أن نقرر أن صفات الروح .. علوية
ملائكية؛ لطبيعة نورها الخالص العالی. وأن
الإنسان بهذا التكوين .. ليس شيطانا ولا ملاكا،
وما هو بحيوان، ولكنه إنسان.

ولعنصر النور هنا سبع خصائص، هي صفات
للإنسان بآثار الروح فيه، ومظاهرها عليه. وبروح
النور ألهم الله النفس المسواة تقواها. ومن أجلها

أسجد الله لآدم الملائكة، وسخر الله له ولبنيه ما
في السموات وما في الأرض. ولهذا البناء
الإنساني المعجز .. كرم الله بني آدم وحملهم في
البر والبحر وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا
- في مرحلة حياة دنيا - قدرها الله عليه .. بلاء
بها وابتلاء، قبل دار القرار.

قد يعيش الإنسان حياته الدنيا لشهواته ..
بغرائز الحيوان؛ محروما من نور الروح، وقد تنحدر
به نفسه الأماراة بالسوء - طبعاً وجبلة - إلى درك
أسفل من بهيمة الأنعام وأشقى من مردة
الشياطين.

أو يرقى بروح النور .. إلى ما فوق مراتب
الملائكة والروح؛ إن أفاد من نور ربه، وواعظ الله
في قلبه .. يهديه إلى الصراط المستقيم، فيمشي
على الأرض بنور الله يسمع به ويبصر، ويطاول
الملائكة في الملأ الأعلى. ومن أجل ذلك كانت
نفخة الروح والتكريم.

وبهذا البيان من رب الإنسان في القرآن .. عن
تباين قوى الروح والنفس والحياة وتكامل أدوارها؛
نصبح على أعتاب فهم صحيح لحقيقة الإنسان؛
يفتح باباً أوسع إلى مزيد دراسة، لمعرفةنا بأنفسنا.
ومن ثم أدعو إلى استحداث فرع علم يتخصص
في بحوث الروح مستقلاً عن علوم النفس
والحياة. والمسلمون أولى بهذا العلم، بما عندهم
من هدى القرآن.

(١٧) التين (٤).

(١٦) المؤمنون: ١٢-١٤.

(١٨) في النبات إذا حياة فقط بما في بدنه من تراب وماء. وفي الحيوان حياة ونفس بما زاد في تركيبه من نار، وفي الإنسان حياة ونفس
وروح. فالإنسان بذلك نموذج الكون الكبير ومجمع الخلائق.

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتني

المقاطعة هي السلاح الذي يملكه كل مواطن بسيط يرغب في دعم ومساندة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة في مواجهة العدوان الإسرائيلي الفاشم.

المقاطعة هي السلاح الذي يملكه كل مواطن بسيط يرغب في القتال ضد إسرائيل وحلفاء إسرائيل.

لقد تطورت أساليب الحرب كثيراً عما ألفناه.. إننا ونحن في داخل منازلنا نستطيع أن نلحق أكبر الضرر بالكيان الإسرائيلي بمقاطعته ومقاطعة حلفائه بشكل من الممكن جداً أن يجعل العالم كله يبتعد عن إسرائيل خوفاً على اقتصادياته وشركاته وأمواله.. فهلا فعلنا!!

هذا الشهر نتناول الحديث عن موضوع الساعة:

المقاطعة

على استخدام سلاح المقاطعة لإسرائيل وأمريكا، ليس بدافع الوطنية فقط، وإنما لأن ذلك واجب ديني، مسعول عنه كل مسلم.

يقول الله - تعالى:

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَلَمُوا أَعْلَانًا إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١).

في جريدة عقيدتي الأسبوعية، كتب الدكتور محمد عبدالحليم عمر مدير مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر تحت عنوان:

المقاطعة الاقتصادية لأمريكا وإسرائيل

واجب ديني

ومما قال فيها: إذا كان الأمر لم يجد صداه على مستوى الحكومات، فإن الشعوب هي القادرة

(١) الممتحنة (٩).

إن رجال الأعمال فى العالم العربى هم الجهة المرشحة لقيادة هذا التحالف، وإقامة تجمع يستند إلى المصالح التجارية هى المدخل الصحيح فى هذه الظروف. وإذا كانت أمريكا تحفظت سابقاً على المنظمات القائمة لخدمة أهداف دينية وسياسية، فإنها اليوم ترفضها تماماً.

٢٠٠٢/٤/٢٤

● وفى جريدة (الشرق الأوسط) كتب أحمد الربيعي محذراً من سياسة مقاطعة المؤتمرات التى تشارك فيها إسرائيل، قال:

إذا كان العرب سيقاطعون المؤتمرات الدولية بسبب وجود إسرائيلى فيها فإن هذا سيجعل إسرائيل منفردة فى الساحة الدولية بدءاً بالأمم المتحدة وانتهاء بالمؤتمرات الدولية والإقليمية الكبرى، ونحن على يقين أن وجود فاروق الشرع فى مؤتمر فلنسيا كان أفضل وأكثر فائدة من مقاطعته، وكان باستطاعته، وهو الوزير المحترف، أن يرد على شمعون بيريز وأكاذيبه وكان يستطيع على الأقل أن يبين للأوروبيين وجهة النظر العربية والسورية فى الوضع فى الأراضى المحتلة ويساعد على كشف جرائم إسرائيل.

هناك معركة محتدمة فى المجتمع الدولى، والعرب - كل العرب - يجب أن يكونوا فى أول الصفوف ويتخلوا عن سياسة المقاطعة،

وبالتالى فإن من يتعامل مع العدو يكون موالياً له ويكون ظالماً حسب تقرير الآية، وإذا كانت إسرائيل تمارس العدوان بالفعل بقتل إخواننا من فلسطين، وإخراجهم من ديارهم فإن أمريكا تظاهر على قتلهم، وإخراجهم، بإعانة الإسرائيليين بالمال والسلاح ثم بإجهاض القرارات الدولية التى تدين إسرائيل، وتحاول منع عدوانهم كما حدث باستخدام أمريكا حق الفيتو ضد قرار إرسال قوات دولية لحفظ السلام فى فلسطين.

(٢٣/٤/٢٠٠٢م)

● وفى جريدة الحياة اللندنية كتب (داود الشريان):

إن حاجة العرب والمسلمين إلى لجنة «إيباك عربية» أصبحت مطلباً ضرورياً بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر)، والاعتماد على الأسلوب القديم وترك الحوار العربى - الأمريكى مشتتاً فى عشرات المنظمات التى يخضع بعضها لتوجهات دول وأفراد ومنظمات صغيرة، يجب أن يتغير، والبداية الصحيحة لهذا الهدف هى توحيد كل المنظمات العربية والإسلامية فى منظمة واحدة، وإيجاد ائتلاف عربى - إسلامى لمواجهة التدمير الذى تتعرض له صورة العرب والمسلمين، وإيجاد علاقة جديدة مع أمريكا الرسمية والشعبية.



وجاءت انتفاضة سبتمبر ٢٠٠٠ لتفجر الوضع مرة أخرى وتنادى الشعوب العربية بعودة استغلال هذا السلاح بصورة أكثر فاعلية.

وطبقاً لبيانات المكتب الرئيسى للمقاطعة العربية، فإن الخسائر التى تكبدتها إسرائيل بسبب المقاطعة أخذت فى التراكم حتى بلغت (٩٠) مليار دولار منذ بداية المقاطعة، وحتى عام ١٩٩٩.

كما جاء تأكيد أهمية هذا السلاح فى تقرير لجريدة «الجارديان» البريطانية عن تأثير سلاح المقاطعة الذى رفعته الشعوب العربية منذ اندلاع الانتفاضة فى سبتمبر ٢٠٠٠ حيث انخفضت مبيعات الأغذية والمأكولات الأمريكية بنسبة ٣٥٪ وانخفضت مبيعات شركة «بروكتراند جامبل» صاحبة منتجات اريال وبامبرز بنسبة ٢٠٪، كما وصلت خسائر شركة كوكاكولا فى مصر إلى ٢٦٠ مليون جنيه العام الماضى، كما انخفضت مبيعاتها فى الإمارات بنسبة ٢٠٪، وقضى هذا السلاح على سلسلة «سينسبرى» فى مصر، حيث سحبت من السوق المصرى بعد خسائر بلغت ١٠ ملايين جنيه استرلينى، كما تراجعت مبيعات محلات الأغذية السريعة الأمريكية (كنتاكى - هارديز - ماكدونالدز - بيتزا) بنسبة تتراوح بين ٥ -

وإذا كانت لدى سورية اعتبارات أخرى فكان من المفترض أن يكون لبنان فى مؤتمر فلنسيا ليحقق مصالحه مع الأوروبيين وي طرح قضيته السياسية أمام العالم. وليس من مصلحة دمشق ولا بيروت عدم تقدير ظروف كل بلد، فالتطابق فى المواقف قد يضعف بدلاً من أن يقوى!!

● وفى جريدة آفاق عربية أعدت (شيرين يونس) دراسة ركزت على أهمية دور سلاح المقاطعة الاقتصادية ضد إسرائيل والدول والشركات المتعاونة معها.

وما جاء فى هذه الدراسة:

يخطئ من يظن أن حديث المقاطعة كان عشية تفجر الانتفاضة الثانية يوم ٢٨ من سبتمبر عام ٢٠٠٠، ولكنه سلاح تم تطبيقه منذ مايو ١٩٥١، عندما اتخذت الجامعة العربية قرارها بإنشاء المكتب التنفيذى للمقاطعة العربية، وأوكلت إدارته إلى مفوض عام مقره الرئيسى فى دمشق.

وكانت مهمة مكتب المقاطعة وضع قائمة سوداء كل ستة أشهر بأسماء الشركات الإسرائيلية، فيما يعرف بالمقاطعة المباشرة أو المؤسسات والبلدان التى تتعامل مع إسرائيل، وهى المقاطعة غير المباشرة، وأثبت هذا السلاح فاعليته وتأثيره، خاصة خلال الخمسينيات، والستينيات.



يعانى هؤلاء من التعنت الاسرائيلى الذى يمنعهم من التوجه للمستشفيات . وهذا التعنت كان قائما وإن كان بدرجة غير ملحوظة منذ الايام الاولى لقيام السلطة الفلسطينية حيث كانت قوات الاحتلال تمنع بعض المرضى احيانا من عبور الحواجز الى المستشفيات والعيادات الطبية ومنهم من قضى نحبه بسبب سوء حالته .

لكن هذا الوضع تفاقم بشكل خطير منذ بداية انتفاضة الاقصى قبل حوالى عشرين شهرا وتفاقم اكثر واكثر واصبح مأساويا مع بداية العدوان الاسرائيلى الآخير فى التاسع والعشرين من مارس الماضى .

تفاقم الوضع من عدة نواح .. الأولى .. فرض القيود الاجرامية .. وليست الصارمة فقط على التحركات عبر الحواجز ومازالت هذه القيود تظهر عقبة اخرى وهى عدم وجود سيارات إسعاف كافية بعد ان سرت قوات الاحتلال معظم السيارات المملوكة للهلال الأحمر الفلسطينى او دمرتها وجعلتها غير صالحة للاستخدام .

يؤكد الدكتور مصطفى البرغوثى مدير الإغاثة الطبية الفلسطينية ان عشرات المرضى يموتون يوميا عند الحواجز بسبب القيود التى تفرضها اسرائيل وذلك منذ عدوان التاسع والعشرين من مارس الماضى . ويلخص البرغوثى المشكلة بقوله .. لقد أصيب النظام

١٠٪، وقررت نقابة الصيادلة مقاطعة منتجات شركة « ليللى » الأمريكية للأدوية عندما كشفت عن دعمها للمستوطنات الصهيونية فى الأراضى الفلسطينية .. بالإضافة إلى ما سبق تتضح أهمية المقاطعة، إذا علمنا أن حجم المبادلات التجارية بين إسرائيل والدول العربية بلغ حوالى ٩٩,١ مليون دولار فى الفترة من يناير وحتى سبتمبر ١٩٩٩م، وذلك مقابل ٩١,٣ مليون دولار حتى نفس الفترة عام ١٩٩٨م .

معاناة الفلسطينيين .. لاتنتهى..!!

وبعيداً عن المقاطعة العربية المأمولة تتواصل معاناة الشعب الفلسطينى البطل، حول هذه المعاناة كتب هشام عبدالرؤوف فى جريدة الجمهورية :

فى كل يوم تتضح وجوه جديدة للمأساة التى يعيشها الشعب الفلسطينى المنكوب بواحد من أبشع أنواع الاستعمار الاستيطانى التى عرفها تاريخ الانسانية .

وإحدى الفئات التى تعانى بشدة من جراء الاحتلال الاسرائيلى هى فئة المرضى .. والمقصود بهؤلاء ليس الذين يصابون فى الاعتداءات الاسرائيلية ويتركهم جنود الاحتلال ينزفون حتى الموت فهذا موضوع آخر. لكن المقصود هنا هم المرضى بامراض مزمنة او الذين يصابون بأمراض مفاجئة .



الصحي في فلسطين بالشلل التام.

وهناك عدة قصص توضح عمق المأساة مثل المواطنه فهيمه ابو الرب المقيمة في قرية جلبون بقضاء جنين حيث اصيبت في الثاني عشر من ابريل الماضي بجلطة في المخ وعبثا حاولت اسرتها الاتصال بالهلال الأحمر الفلسطيني وبالصليب الأحمر الدولي فاكد المسؤولون فيهما انهم ممنوعون من التحرك ونقل المواطنه الى أحد المستشفيات ووسط هذه المحاولات اليائسة كان الوقت المناسب لتلقى العلاج قد انقضى وتحولت الجلطة الى شلل، هذا رغم ان محل اقامتها لايبعد عن مستشفى جنين اكثر من ١٢ كيلو مترا.

وهناك حالة اخرى للمواطن احمد محمود ابو سيف المقيم بالقرب من نابلس والذي ودع الحياة قبل ايام عن ٥٥ عاما والسبب عدم اجراء جلسات غسيل كلوى يحتاج الى ثلاثة منها اسبوعيا كان يجريها في جنين او نابلس.

وكان من المفروض ان تجرى له جلسة غسيل كلوى في اليوم الثاني من اجتياح مدينة نابلس. وعبثا حاولت اسرته الاتصال بالهلال الأحمر الفلسطيني والصليب الأحمر.. لكن الاجابة جاءت واحدة وهي.. نحن ممنوعون من التحرك. وحاولت الاسرة نقله بنفسها في سيارة مملوكة لها.. لكن

قوات الاحتلال منعتها رغم وجود تقرير باللغة العبرية. يشرح حالة الأب.

وكم كانت معاناة الاسرة رهيبه وهي ترى الأب المسكين ينتفخ جسده ويتغير لونه الى الأزرق حتى تغير شكله واخيرا جاءت رحمة السماء وصعدت روح الاب المسكين الى خالقها.. ويقول ابنه ان هناك ٤٠ حالة فشل كلوى على الاقل في المنطقة المحصورة بين نابلس وجنين توفى اصحابها لمعاناة مماثلة.. ولايعرف ما اذا كانوا لايزالون احياء. ام انهم لحقوا بابيه

حالة اخرى صاحبها المواطن محمد ابو الرب الذى اصيب بجلطة مفاجئة في القلب في احدى قرى الخليل. وعندما فحصه الطبيب اكد اهمية نقله الى المستشفى بسرعة.. ورغم ان اقرب مستشفى لمحل اقامته يبعد نصف ساعة فقط.. لكنها تحولت الى ساعتين بسبب الحواجز الاسرائيلية وتوفى المواطن اثناء الانتظار وعاد به أهله لدفن جسمانه.

وحتى الطفلة «ليلي» المقيمة في نابلس والتي لايتجاوز عمرها عاما ونصف العام.. مرضت فجأة ولم يسمح جنود الاحتلال بنقلها الى المستشفى حتى ماتت عند احد الحواجز وعادوا بها ليواروها قبرها.

بين المجلد .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

وصية شهيد فلسطيني

فقد توفرت على الكتاب، أتحص ما فيه وألم بجوانبه ومراميه.

وقد وجدت في الكتاب - بحق - جهدا يستحق مؤلفه أن يعتز به، فالواضح أنه لم يألو جهدا ولم يدخر وسعا ليخرج الكتاب في هذه الصورة القشبية.

وإذا كان أي عمل لابن آدم لا يسلم من النقد حتى من ذاته، إذا عاود مراجعته بعد مرور الزمن، فيجد أنه كان من الأفضل لو ترك هذه النقاط أو أضاف تلك. من هذا المنطلق فإنني لم أجد سببا لما ورد في ص ٦٨ : ٧١ وهو حديث في داخل الطائفة التي تقل الشعراء المشاركين في مهرجان الشعر الأول في دمشق الذي أقيم في مايو عام ١٩٥٩م وكان بينهم هاشم الرفاعي إلا أن المؤلف لم يقدم في هذا الحديث شيئا قاله الشاعر «موضوع البحث».

ثم هذا الاستطراد عند ذكر استقبال الشاعرة

تلقيت بمزيد من الاعتزاز والتقدير من الزميل الفاضل الأستاذ / السيد عبدالحكم، الباحث بمجمع البحوث الإسلامية كتابا من تأليفه بعنوان «الشاعر الإسلامي الشهيد - هاشم الرفاعي - حياته وقضية مصرعه».

ثم زارني الأستاذ المؤلف بعد ذلك عدة مرات متقاربة لم تتسع في أغلبها لأكثر من السلام، ساعد على ذلك وجودنا للعمل معا في مبنى واحد، هو مبنى مجمع البحوث الإسلامية، الذي نسأل الله أن يجعله دوما زخرا للأمة الإسلامية.

غير أنني كنت ألح ظلال ابتسامة تتوارى خلف كلمات التحية والاطمئنان، وكأنه يقول: لقد أهديتك كتابي لتقرأه، لا لتصنفه ضمن زخائر مكتبتي!!

ولما كنت أخشى أن يفاجئني بسؤال أتوقعه، وهو: ما رأيك في الكتاب؟

السورية طلعت الرفاعي لوفد الشعراء المصري .
حتى أنه نسي هاشم الرفاعي وراح يتحدث عن
الشاعرة طلعت الرفاعي على مدى الصفحات
من ٨٤ حتى ص ٩٠ ذكر فيها شيئاً عن الشاعرة
ورسالتها الجامعية ثم خوضها الانتخابات ثم
الرقية التي حفظتها عن أمها .
وإن كنا لا نقلل أبداً من قيمة هذه المعلومات ،
إلا أن مجالها كتاباً آخر عن الشاعرة طلعت
الرفاعي نأمل أن يوفق الله المؤلف إلى تأليفه ،

يقول هاشم الرفاعي

لَمْ يَبْقَ مِنْ ظِلِّ الْحَيَاةِ سِوَى رَمَقٍ
قَدْ أَشْرَقَ الْمَصْبَاحُ يَوْمًا وَاحْتَرَقَ
جَفَّتْ بِهِ آمَالُهُ حَتَّى اخْتَنَقَ

وَمَضَيْتُ تَلْتَمِسُ الطَّرِيقَ إِلَى غَدِكَ
سَلُوبُهُ آمَالُ الْكَهُولَةِ وَالشَّبَابِ
وَحِكَايَةُ يَغْلَى بِأَسْطَرِّهَا الشَّقَاءِ
وَجَرِيْمَتِي كَانَتْ مُحَاوَلَةَ الْبَقَاءِ
أَنَا مَا اعْتَدَيْتُ وَلَا ادْخَرْتُكَ لَاعْتِدَاءِ

بَيْنَ الضُّلُوعِ جَعَلْتُهُ كُلَّ الْمُنَى
وِظْمَيْتُ عَمْرِي .. ثُمَّ مِتُّ بِلا شَرَابِ
أَلْقَيْتُ بِهِ أَيْدِي الْحَيَاةِ لِلْمَحْنِ
بِيَدِي دَفَنْتُ أَخْيَاكَ فِيهِ بِلا كَفْنِ
إِلَّا الدَّمْعَاءَ ، وَمَا أَلَمَ بِي الْوَهْنُ

فَلَأُنْنِي حُمَلْتُ فَقْدَهُمَا .. مَعَاً
وَلَدْتُ أَضْيَع .. وَبِلَدَةٍ رَهْنُ الْعِذَابِ
يَجْنِي السَّنا وَالزَّهْرَ حِينَ يَجُوبُ حَقْلًا
وَالْيَوْمَ قَدْ دَهَمَتْ لَكَ الْأَحْدَاثُ أَهْلًا
وَمَرُوجُكَ الْخَضْرَاءُ تَحْنِي الْهَامُ . ذُلًّا

فَهَنَّاكَ أَرْضُكَ كَانَ يَزْرَعُهَا أَبُوكَ
فَالْإِلَامُ تَتْرُكُهَا لِأَلْسِنَةِ الْحَرَابِ ؟

أَنَا يَا بَنِيَّ غَدًا سَيَطْوِينِي الْغَسَقُ
وَحَطَامِ قَلْبٍ عَاشَ مَشْبُوبَ الْقَلْقِ

فَإِذَا نَفَضْتَ غِبَارَ قَبْرِي عَنْ يَدِكَ
فَاذْكُرْ وَصِيَّةَ لَاجِيءٍ تَحْتَ التُّرَابِ
مَأْسَاتُنَا مَأْسَاةَ نَاسٍ أَبْرِيَاءَ
حَمَلْتُ إِلَى الْآفَاقِ رَائِحَةَ الدَّمَاءِ

لَكِنْ لَثَارِ نَبْعُهُ دَامَ .. هُنَا
وَصَبَغْتُ أَحْلَامِي بِهِ فَوْقَ الْهَضَابِ
كَانَتْ لَنَا دَارٌ ، وَكَانَ لَنَا وَطَنُ
وَبَدَلْتُ فِيْ أَنْقِصَاذِهِ أَغْلَى ثَمَنٍ
إِلَّا الدَّمْعَاءَ ، وَمَا أَلَمَ بِي الْوَهْنُ

إِنْ كُنْتُ يَوْمًا قَدْ سَكَبْتُ الْأَدْمَعَا
جَرَحَانِ فِي جَنْبِي : تَكَلَّلْتُ وَاغْتَرَابِ
تِلْكَ الرَّبُوعُ هُنَاكَ قَدْ عَرَفْتُكَ طِفْلًا
فَاضَتْ عَلَيْكَ رِيَاضُهَا مَاءً وَظِلًا
وَمَرُوجُكَ الْخَضْرَاءُ تَحْنِي الْهَامُ . ذُلًّا

هَمْ أَخْرَجُوكَ فَعَدَّ إِلَى مِنْ أَخْرَجُوكَ
قَدْ ذُقْتُ مِنْ أَثْمَارِهَا الشَّهْدَ الْمَذَابِ



إن جئتها يوماً وفي يدك السلاح
فاهتف على سمع الروابي والبطح
وطلعت بين ربوعها مثل الصباح
إني أنا الأمس الذي ضمد الجراح
ليك يا وطني العزيز المستباح
من أحرقوا مأواه في جنح الظلام
أولست تذكرني؟ أنا ذاك الغلام
بلهيب نار حولها رقص الذئاب
لفت حياتي بالدخان وبالضباب

لا تبكين، فما بكت عين الجناه
فارجع إلى بلد كنوز أبي حصاه
هي قصة الطغيان من فجر الحياة
قد كنت أرجو أن أموت على ثراه
أمل ذوى، ما كان لى أمل سواه
ومضيت تلمس الطريق إلى غدك
فاذا نفضت غبار قبري عن يدك
فأذكر وصية لاجيء تحت التراب
سلبوه آمال الكهولة والشباب

ولننظر إلى المعاني السامية التي قدمها الشاعر والمستمدة من الشريعة الإسلامية السمحة التي تعطر أركان القصيدة، ولنتأمل قول الشاعر «أنا ما اعتديت ولا ادخرتك لاعتداء» فالمسلم ليس من طبعه العدوان ولا يحث ابنه عليه وهو معنى مستوحى من قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

والمعاني والصور التي قدمها الشاعر بصفة عامة قريبة الجنى لا تحتاج إلى مزيد شرح لصدورها عن عاطفة صادقة مفعمة بالإيمان.

فقط أقول ما أشبه اليوم بالبارحة، وإذا جاء قول الشاعر عام ٥٨: بيدي دفنت أخاك بلا كفن، فاليوم يدفن شارون أسراً كاملة بلا كفن وبلا مقابر.

وفي نهاية تلك العجالة بقى أن نقدم تعريفاً عن هذا الشاعر الفذ، إنه: السيد جامع هاشم مصطفى الرفاعي الشهير بهاشم الرفاعي ولد في عام ١٩٣٢م - على ما حققه الأستاذ المؤلف - بقرية إنشاص الرمل بمحافظة الشرقية، وتلقى تعليمه الأزهرى بمعهد الزقازيق الدينى حيث التحق به عام ١٩٤٧م ثم التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٥٦م وظل بها حتى لقي مصرعه في الأول من يوليو عام ١٩٥٩م وقد تبوء الشاعر منزلة رفيعة بين شعراء وأدباء عصره، رشحته لأن يكون ضمن وفد مصر الذين شاركوا في مهرجان الشعر بدمشق وهو بعد لم يزل طالباً.

وأخيراً أقدم الشكر للزميل الفاضل الأستاذ السيد عبدالحكم الذى أتاح لنا هذه الإطلالة على الشاعر والأعمال الأدبية التي تركها، وجمعها هذا الكتاب الذى لو لم يشتمل إلا على هذه القصيدة - التى قدمناها - لكفت بياناً لشاعرية كاتبها. وسبباً لأن يأخذ الكتاب مكانه البارز فى المكتبة العربية.



إدراك معنى الحياة

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٧﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

سورة الرحمن الآيتان رقم ٢٦ / ٢٧ ولقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذكروا هازم اللذات ومفرق الجماعات ».

رواه الترمذی

رابعاً: إدراك حقيقة الإسلام بمعرفة أصوله وفروعه وأحكامه وحلاله وحرامه كما قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة الزمر الآية رقم ٩

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

سورة طه الآية رقم ١١٤

خامساً: إدراك حقيقة الجاهلية بالتعرف على أفكارها ومذاهبها وعاداتها وتقاليدها لتأمين من الانزلاق فيما نهى الله عنه.

اللهم اجعلنا ممن يتأدبون بأدب الإسلام ويسيرون على نهجه . . آمين.

من كلمة للقارئ الشيخ / خيرى محمد أبو الروس / إمام وخطيب بكفر الجرايدة - كفر الشيخ نقدم هذه الكلمات:

لكى تتوجه الحياة كلها للإسلام ونعيش له لابد أن ندرك عدة أمور:

أولاً: إدراك الغاية من الحياة كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » سورة الذاريات الآية رقم ٥٦.

ثانياً: إدراك قيمة الدنيا كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين:

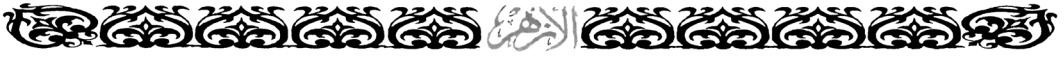
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَمَهْوٌ﴾

سورة الحديد الآية رقم ٢٠

ولقد روى أن الرسول ﷺ « مريوما على (مزيلة) ونادى أصحابه قائلاً « هلموا إلى الدنيا » ثم أخذ خرقة قد بليت وعظماً قد نخرت وقال « هذه هى الدنيا ».

رواه الترمذی

ثالثاً: إدراك حتمية الموت كما قال تعالى فى قرآنه وهو أصدق القائلين:



دليل وبرهان حي

الكريم هي كلام خالق هذا الكون رب العالمين والمهيمن والمدبر المسيطر على العالم لا شريك له ولا ولد بدليل صمت الآلهة المزعومة - التي ابتدعها البشر - التي لم تتحرك للدفاع عن مراكزها بالرغم من توالى نزول آيات الكتاب الكريم التي تشير إلى أن الله :

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ و ﴿ مَلِكِ الْمُلْكِ ﴾ .

وأنه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

وبالرغم من النجاح المتواصل لهذه الدعوة طوال بعثة الرسول (٢٣ سنة) وطوال ١٤ قرناً من الزمان ودخول ملايين البشر ودخول الدول والممالك في دين الله .

٥- أن هذه الآية الكريمة دليل حي ومستمر ومتواصل على صحة هذا الدين يهتدى بها البشر على مر العصور والأزمان وفي كل مكان وكلما قرأوا هذه الآية الكريمة .

٦- أن تكون القراءة والعلم والتعلم دستوراً للأمة الإسلامية وهادياً ونبراساً لها لكي تنشر دين العدل والأمن والأمان في الأرض .

الدكتور أحمد شوقي عرفة .. يقدم ما جال بخاطرته حول قوله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

العلق : ١

يقول : اقتضت مشيئة الله - سبحانه وتعالى - أن تكون أولى كلماته إلى محمد ﷺ عبده الله ورسوله الذي اصطفاه لرسالته إلى العالمين :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

أن تحمل إلينا أموراً منها :

١- أن تكون وصيته - ووصيته واجبة التنفيذ - إلى من سيتبعون دينه هي القراءة والعلم والتعلم .

٢- أن تكون دليلاً على أن هذا القرآن هو من كلام الله إذ لا يعقل أن يكون محمد بن عبد الله الأُمِّي هو مؤلف هذا الكتاب كما يدعى المكذبون وأن يبدأ كلامه بكلمة اقرأ وهو من بلد أمي لا يقرأ ولا يكتب إلا فيما ندر .

٣- أنه سبحانه هو الذي خلق الإنسان والكون ولا أحد ولا شيء غيره يخلق شيئاً .

٤- أن هذه الآية وما تبعها من آيات القرآن

اقرأ في العدد القادم بمشيئة الله تعالى

« بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها »

لابن أبي جمرة الأنديسي



يا سيد الدنيا

يواصل القارئ أحمد حمدي والى .. الطالب بمدرسة الهدى والنور الثانوية بالمنصورة
إبداعاته ويقدم في هذا العدد هذه المشاركة البديعة احتفاء بمولد سيد الخلق - ﷺ .

يا سيد الدنيا وأنت الأكبر	بك يا بن عبد الله نفسى تَفْخَرُ
أنت الذى كنت العظيم بهديه	منك الشمائل والفضائل تظهرُ
يا أيها الأُمى علمت الورى	أن المكارم فى رحابك تزهَرُ
أنت الذى حُمِلَتْ أعظم شرعة	فغدت بها أم القرى تتبخترُ
يا أيها المقدام سيفك بارقُ	ورمّاح جندك فى المعارك تزارُ
عفواً فقومك فى البداية كذبوا	ولجهلهم بجميع فعلك أنكروا
فالات رمز الشرك أضحت ربهم	ولربى الأعلى بذلك أجدرُ
كانوا بصحراءٍ تفح رمالها بالقيظ	والأجساد فيها تصهرُ
فأتيت والخيرات غيثٌ هاطلُ	فكأنهم من بعد جذبٍ أمطروا
إن كان خوف العار وأد بناتهم	فالعار كل العار فيها دبوا
لما رأى الشيطان دينك غالباً	أضحى اللعين بغيظه يتفجر
وهب الإله لصحب أحمد عزة	والنصب والأصنام راحت تُقهَرُ
أنت الحبيب وأنت رمزٌ للعلا	وبك النجاة إذا تدانى الخشرُ



للأستاذ / محمد الشرقاوى

مواجهة ما تدعيه من خطر يواجهها بسبب الإرهاب على حد زعمها .

جدير بالذكر أن من بين المتطوعين عدداً من غير اليهود، وإنما هم من المؤمنين بالفكرة الصهيونية كعقيدة سياسية .

سيقوم هؤلاء المتطوعين بشغل الوظائف والأعمال التى شغرت فى أعقاب استدعاء إسرائيل الاحتياطي، مما أثر بالسلب على العديد من المؤسسات المدنية .

يذكر أن المنظمات الصهيونية العاملة

مهاتير محمد ينتقد منظمة المؤتمر الإسلامي ويتهمها بالعجز

اتهم مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي منظمة المؤتمر الإسلامي بالعجز، وشن هجوماً لاذعاً على المسلمين بسبب ما اعتبره تواكلاً وعجزاً عن الفعل المضاد بشأن المجازر الصهيونية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة .

متطوعون من جنوب أفريقيا يسافرون إلى إسرائيل لدعمها

بدأت أعداد من المتطوعين من يهود جنوب أفريقيا فى التوجه إلى إسرائيل، وذلك استجابة لنداء الحكومة الإسرائيلية لدعمها فى



المستثمرون المصريون يقاطعون

الدولار الأمريكي

انصرف معظم المستثمرين المصريين عن التعامل بالدولار الأمريكي مفضلين التعامل بالعملة الأوروبية الموحدة «اليورو» كإجراء يدخل فى نطاق المقاطعة الاقتصادية التى تتبناها مختلف فئات الشعب المصرى حاليا ردا على التأييد الأمريكى للسلوكيات الإجرامية الإسرائيلية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة.

الولايات المتحدة تنسحب من اتفاقية

محكمة جرائم الحرب

تخلت الولايات المتحدة عن تعهدها بدعم الاتفاقية الخاصة بإنشاء محكمة جرائم الحرب الدائمة بدعوى تضمن الاتفاقية بعض العيوب غير المقبولة.

ذكر «بيير ريتشارد» المندوب الأمريكى الخاص بجرائم الحرب أن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقية التى وقعت عليها قبل عامين لن يؤثر على الهدف من إنشاء المحكمة.

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن الولايات المتحدة تخشى من محاكمة مسئولين أمريكيين بتهم تتعلق بارتكاب جرائم حرب.

كما يتردد أن من بين أسباب الانسحاب الأمريكى اعتراضها على فكرة محاكمة

بجنوب أفريقيا كشفت فى الفترة الأخيرة عمليات جمع التبرعات، حيث نشرت فى مئات المحال والمتاجر صناديق مخصصة لهذا الغرض.

إسرائيل تمنع رفع الأذان

فى الحرم الإبراهيمى

منعت قوات الاحتلال الإسرائيلى رفع الأذان فى الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل عبر مكبرات الصوت، بدعوى إزعاج المستعمرين الإسرائيليين، حيث يخضع ٢٠٪ من المدينة للسيطرة الإسرائيلية.

كما تعرضت قوات الاحتلال لأئمة الحرم واعتدت على بعضهم بالضرب.

جدير بالذكر أن الحرم الإبراهيمى يعد ثانى أهم مسجد فى فلسطين بعد الحرم القدسى الشريف، ويعد الإجراء الإسرائيلى بمثابة تصعيد ضد المسلمين بصفة عامة، وأهالى المدينة بصفة خاصة، حيث تواصل سلطات الاحتلال منع المصلين المسلمين من دخول الحرم الإبراهيمى الشريف منذ الحادى والعشرين من أبريل الماضى، وذلك بدعوى إعادة تقييم الإجراءات الأمنية داخل الحرم والقيام بأعمال صيانة، بينما تسمح للمستوطنين بدخول المسجد وتدنيسه.





أكد البيان ان هذه الحادثة تدل على جرائم الحرب التي ارتكبت بحق المعتقلين الذين أعدموا بدم بارد وبوحشية لم يسبق لها مثيل .

أوضح البيان ان عددا من المواطنين من بينهم معاقون تم إعدامهم داخل منازلهم بعد هدمها عمدا فوق رؤوسهم ، إضافة إلى آخرين تركتهم قوات الاحتلال ينزفون تحت الأنقاض .

ناشد «نادى الأسير» المؤسسات الحقوقية الدولية والمجتمع الدولي بالعمل الجاد والفاعل للكشف عن المزيد من جرائم حرب ارتكبتها جنود الاحتلال خلال اجتياحهم للمخيم .

نصف مليون لاجئ.. عادوا لأفغانستان

علنت وكالة غوث اللاجئين الدولية أن عدد اللاجئين الأفغان العائدين إلى بلادهم تجاوز الآن نصف مليون شخص .

نقل راديو لندن عن مصادر الوكالة الدولية القول ان معظم العائدين جاءوا من باكستان حيث شرع في تنفيذ برنامج العودة الطوعية منذ شهر مارس الماضي في حين عاد حوالي ثلاثين ألفا من إيران .

من المعروف أن مليوني لاجئ أفغانى مسجلون في باكستان و ١,٥ مليون في ايران ، وتخطط مفوضية الأمم المتحدة العليا لشئون اللاجئين للعودة الطوعية لنحو ١,٢ مليون لاجئ من كلتا الدولتين في غضون العام الحالى .

مسؤولين إسرائيليين فى مقدمتهم رئيس الوزراء الإسرائيلى «إرئيل شارون» عن اتهامات بشأن قتل الأسرى المصريين فى حرب ١٩٦٧ ، ومجازر صبرا وشاتيلا فى لبنان ، والانتهاكات الحالية بالأراضى الفلسطينية المحتلة .

إعانات عاجلة للطلاب الفلسطينيين المقيمين بهـ مصر

تم توزيع إعانات عاجلة للطلاب الفلسطينيين المقيمين فى مصر ، والذين تضرروا من عدم وصول تحويلات مالية من ذويهم بالأراضى الفلسطينية المحتلة من جراء الحصار الشديد الذى يفرضه الاحتلال الإسرائيلى .

قام بتوزيع هذه الإعانات المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية .

قوات الاحتلال أعدمت ٣٣ بينهم ست نساء فى جنين

كشف «نادى الأسير» الفلسطينى عن أن قوات الاحتلال الإسرائيلى أعدمت ثلاثة وثلاثين فلسطينيا دفعة واحدة خلال إحدى عملياتها الإجرامية داخل مخيم جنين من بينهم ست نساء .

أوضح النادى فى بيان أصدره ان قوات الاحتلال اعتقلت ٣٣ شخصا من بينهم ست نساء أثناء اجتياح المخيم فى الأول من أبريل الماضى ، وقامت بإعدامهم .



أنباء مكاتب شيخ الأزهر

الإمام الأكبر:

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإسلام دين الوسطية والاعتدال

خمس وتسعين دولة لا فرق بينهم وبين الطلاب المصريين حتى يعودوا إلى بلادهم وقد حصلوا على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف ويقومون بعد ذلك بتعليم أبناء بلادهم، كذا يقوم الأزهر الشريف بإرسال البعثات من العلماء والمدرسين على نفقة الأزهر الشريف ليقوموا بتعليم أبناء المسلمين في بلادهم ويلقون المحاضرات وخطب الجمعة ويؤمونهم في الصلاة، وللأزهر معاهد أزهرية في بلاد كثيرة مثل السنغال وباكستان وجنوب أفريقيا وغير ذلك من البلدان ونرسل لهم الكتب والمناهج والمدرسين من الأزهر فرسالة الأزهر على مدى أكثر من ألف عام رسالة علمية تعليمية عالمية سامية.

وأوضح فضيلته أن الإسلام هو دين السلام يحترم النفس البشرية ويصونها ولا يعتدى عليها، ويحافظ عليها للمسلم ولغير المسلم، للأبيض وللأسود لمن في الشرق ومن في الغرب، ومن في الشمال ومن في الجنوب.

والإسلام دين الوسطية والاعتدال والسماحة، والأزهر يعلم أبناء المسلمين ويوضح للناس جميعاً أن الإسلام ينبذ

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفد الطلبة الدارسين بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة وهم من جامعة سراييفو بجمهورية البوسنة من كلية الدراسات الإسلامية وكذلك طلبة من طاجكستان وجورجيا، وكوريا الجنوبية، وقد حضروا لمصر لدراسة علوم القرآن الكريم والشريعة وأصول الدين واللغة العربية.

رحب فضيلته بالسادة الحضور شارحاً لهم دور الأزهر الشريف في حفظ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية واللغة العربية، والدراسة في الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط وإظهار سماحة الإسلام ومعاملاته حتى مع غير المسلمين مسترشداً بآيات القرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة.

كما أوضح فضيلته دور الأزهر الشريف في تعليم أبناء المسلمين جنباً إلى جنب مع إخوانهم من الطلبة المصريين حيث يدرسون على منح من الأزهر ويققيمون في مدينة البحوث الإسلامية التي يسكن بها طلاب من



الإرهاب والاعتداء على الآمنين كما يبين أن الناس جميعاً خلقهم الله من أب واحد وأم واحدة، وطلب منهم أن يتعارفوا ويتعاونوا ويتبادلوا المنافع فيما بينهم قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢).

وأوضح أن الإسلام يحرم قتل النفس قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٣).

وأوضح أن الأزهر الشريف أصدر بيانا عقب أحداث ١١ سبتمبر أوضح فيه الفرق بين الجهاد والإرهاب، وأن ما بينهما كما بين السماء والأرض، فالجهاد شرعه الله - عز وجل - للدفاع عن الدين والمقدسات وعن الأرض والعرض وعن الحريات وعن الكرامة الإنسانية ودفع الظلم والاحتلال، وأن الإرهاب هو ما تقوم به إسرائيل من قتل للمجاهدين الذين يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم وعرضهم وكرامتهم وحريتهم، وما يفعلونه للرئيس عرفات من حصار وإهانة وإذلال فهذا هو الإرهاب بعينه.

كما أجاب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف عن بعض الأسئلة والاستفسارات التي دارت حول التواجد الإسرائيلي وإحلال السلام ودور الأزهر الشريف في التصدي لذلك مبينا بأن تواجد إسرائيل منذ المؤتمر الصهيوني الأول واختيار أماكن لإقامة وطن لهم وادعائهم بما يسمى بأرض الميعاد وكانت تلك الأماكن لا تشمل أرض فلسطين مما يثبت زيف ادعائهم بأرض الميعاد، ثم كان الاجتماع الثاني عام ١٩٠٧ واختيار فلسطين لتكون هذه الأرض وكانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني، حيث أعطى الإنجليز أرض فلسطين لليهود، تحت زعم وعد بلفور لتكون وطناً لهم وكان ذلك عام ٤٧ وصدر قرار التقسيم، وقامت حرب ٤٨، وتلتها حرب ٥٦، ٦٧، ٧٣ وخلال تلك الأحداث لم يلتزم اليهود بالعهد ولا بالمواثيق.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً في التصدي لما يحدث من عقد لقاءات مع المؤسسات والهيئات ولجان الحوار وإصدار البيانات التي توضح المفاهيم وتدين الإرهاب وتظهر صورة الإسلام السمحة.. حضر اللقاء فضيلة الشيخ على فتح الله المستشار التعليمي لفضيلة الإمام الأكبر وفضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجي المشرف العام على مدن البعث الإسلامية.

(٢) المائدة (٢).

(١) الحجرات (١٣).

(٣) الأنعام (١٥١).



الإمام الأكبر يستقبل

وفد الحزب العربى الفلسطينى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من الحزب العربى الفلسطينى برئاسة السيد / عبدالوهاب الدراوشة، رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف موضحا لهم بأن الأزهر الشريف شيخه وعلماءه وطلابه وشعب مصر بل وحكومتها ورئيسها يتابعون الأحداث لحظة بلحظة على أرض فلسطين، مبينا أهمية التعاون والتكاتف للتصدى لما يحدث، وأن القوة الظالمية الغاشمة لن تستطيع أن تناصر الحق، وإنما الصمود، وقوة العزيمة والثبات والشجاعة هى السبيل للوصول والحصول على الحقوق التى شرعها الله للإنسان من حق الحرية والكرامة ومن حق تحرير الأرض ودفع الظلم والرسول ﷺ بين أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. ونحن مسئولون أمام الله - عز وجل - أن نقف بجوار إخواننا فى فلسطين وأن نساعدهم ونؤيدهم ونؤازرهم بكل أنواع المساعدة، بل ونتواصل معهم حتى يحصلوا على حقوقهم كاملة غير منقوصة.

شكر الحضور فضيلته على دور مصر وأزهرها الشريف وشعب مصر وحكومته الرشيدة ورئيسها الذى لا يألو جهدا فى مناصرة الشعب الفلسطينى المجاهد، وأن تصريحات فضيلتكم لوسائل الإعلام المختلفة وتوضيح أن الجهاد فى الإسلام حق من أجل

السلام والحرية وإيضاح معنى الشهادة بقول فضيلتكم «إن كل من يفجر نفسه فى عدوه المغتصب فهو شهيد» فهذا كله يعطينا قوة ويعطى شبابنا ثباتا على الحق وصلابة فى الدفاع عن الأرض والعرض. كما نقلوا تحيات السيد الرئيس ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية لمصر وأزهرها موضحين بأن اليهود لا يفرقون بين مسجد وكنيسة ولا بين مسلم ومسيحى فالقتل والدمار والتخريب والتعذيب سمتهم وديدنهم، وفى نهاية اللقاء طالبوا بإفساح المجال لأبناء فلسطين للدراسة بالأزهر وزيادة المنح الدراسية لهم، رحب فضيلته بتلبية كل طلباتهم موضحا لهم أن الأزهر يستقبل أبناء فلسطين للدراسة به وهم مع إخوانهم المصريين وقد أشاد فضيلته بمعهد غزة الدينى الأزهرى الذى أنشئ منذ أكثر من سبعين عاما لتعليم أبناء شعب فلسطين الشقيق.

الإمام الأكبر يستقبل سفير سنغافورة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور محمد سيد طنطاوى الدكتور / تى توبا سفير سنغافورة بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وقد أوضح فضيلته للضيف أن الجهاد شريعة الله للدفاع عن الدين والمقدسات والحرىات والأموال وهى حقوق مشروعة، فالجهاد دفاع عن حقوق مشروعة حق الرد على الظالمين المعتدين المغتصبين الذين يعتدون على الأموال وعلى الأنفس وعلى المنازل كما



التي تربط بين مصر ودولة بلجيكا والمكانة التي تحتلها بلجيكا فى أوروبا، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين فى شتى بقاع العالم أمور الدين الخفيف وإظهار يسره وسماحته ووسطيته وصلاحيته لكل زمان ومكان، ثم يعودون إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه لأبناء بلادهم وذويهم .

وحول سؤال عن دور الأزهر الشريف فى الأحداث الجارية أوضح فضيلته موقف الأزهر الشريف وأنه يحق الحق ويبطل الباطل ويبين للناس أن العدوان على الآمنين الأبرياء لا تقره شريعة الإسلام، وما يحدث فى فلسطين الآن من عدوان على الآمنين واغتصاب للأرض وللعرض وتخريب للمساكن وتجريف للأراضى الزراعية واعتداء على أماكن العبادة سواء كانت للمسلمين أم للمسيحيين، ومحاصرة للسيد الرئيس ياسر عرفات فهذا هو عدوان أثيرم ويحدث ذلك تحت سمع وبصر العالم المتحضر، والفلسطينيون الذين يدفعون الظلم عن أنفسهم هم مجاهدون وما يحدث من عدوان من الجانب الإسرائيلى على الفلسطينيين من اغتصاب وقتل وتخريب هو ظلم وعدوان وهو الإرهاب بعينه بكل صوره وأشكاله، وأرى أنه من المناسب الآن أن تأتى قوات دولية، من دول مثل أمريكا وأوروبا وبلجيكا وباقي الدول، المهم أن تكون قوات دولية شرعية تفصل بين الجانبين ولو بالقوة، ثم تأتى بعد ذلك المفاوضات والمناقشات، وطالما حسنت النوايا فلا بد من أن يصلوا إلى الحل .

يحدث الآن فى فلسطين، وأن شارون وزمرته وعصابته يهدمون البيوت ويقتلون الأبرياء ويحاصرون القرى الآمنة ويحرقون الأراضى الزراعية ويهدمون البنية الأساسية ويقتلون الأشجار ويهاجمون المستشفيات ولا يقدمون المساعدة الطبية لمن يحتاج إليها من المرضى والمصابين بل يذهبون إلى المستشفيات ويعدمون الأدوية، ويتركون الجثث فى الشوارع ويمنعون الفلسطينيين من دفنها، فالجهاد فى الإسلام هو الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه وهو ما يقوم به إخواننا فى فلسطين، وأما ما يفعله شارون وزمرته فهو إرهاب وأشاد السيد السفير بدور مصر المحورى فى المنطقة، وقال: إن الأزهر الشريف وجامعته لهما دور عظيم فى معالجة القضايا المعاصرة بوسطية واعتدال .

ويستقبل وفد مجلس نواب بلجيكا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد مجلس النواب فى بلجيكا برئاسة السيد / هيرمان دى كرو والسيد سفير بلجيكا بالقاهرة، وقنصل بلجيكا والوفد المرافق وهو مكون من ممثلى رئيس مجموعة الحزب الاشتراكى ورئيس مجموعة حزب الأحرار، ورئيس مجموعة الاتحاد الشعبى، وعضو الحزب الاشتراكى المسيحى وعضو حزب الخضر، وذلك فى إطار زيارتهم لجمهورية مصر العربية ضيوفا على مجلس الشعب المصرى .
رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى أزهرها الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة



الإمام الأكبر يستقبل وفداً إيرانياً

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ / السيد حميد المحمدى المستشار القانونى لرئيس رابطة الثقافة والعلاقات بمدينة قم الإيرانية، رحب فضيلته بالضيف فى مصر والأزهر الشريف مشيداً بدولة إيران وبعلمائها وبسعيها الدءوب للتقدم والرقى .

قدم الضيف شكر وتقدير بلاده لمصر رئيساً وحكومة، وشعباً وللأزهر وعلمائه لما يقدمونه للقضية الفلسطينية من دعم ومساندة كما نقل تحيات وشكر آية الله مكارم شيرازى أحد العلماء الكبار الذين لهم حق الفتيا فى إيران وطلب الضيف الاطلاع على مناهج وخطط التدريس والتعليم فى الأزهر الشريف فى كل المراحل ليتمكن الاستفادة منها فى إيران .

الإمام الأكبر يستقبل قاضى قضاة فلسطين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ تيسير التميمى قاضى قضاة فلسطين حيث نقل إلى فضيلته شكر وتقدير وتحيات السيد الرئيس ياسر عرفات على الجهد المتواصل والعمل الدءوب من أجل القضية الفلسطينية ومن أجل الشعب الفلسطينى على مدى أربعة حروب من عام ٤٨ للآن .

رحب فضيلته بالضيف قائلاً: إن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية لا تدخر وسعاً فى مساعدة

وحول سؤال عن: هل مصر دولة إسلامية؟ أجاب فضيلته: نعم مصر دولة إسلامية ترعى مواطنيها من مسلمين ومسيحيين وكل من يحمل الجنسية المصرية له حق ممارسة الشعائر الدينية فى أماكن العبادة وله حق التعليم وله كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات أيضاً ولكن لكل إنسان عقيدته ولا إجبار على العقائد، فالمسلم يصلى فى الجامع، والمسيحى يذهب للكنيسة وهناك مساواة تامة، فلدينا وزراء مسيحيون وقادة بالجيش مسيحيون وتعلمون أن حرب العاشر من رمضان أكتوبر ٧٣ أكبر مثال على ذلك، فقائد الجيش الثانى الميدانى فى المعركة كان مسيحياً، ونحن فى مصر فى البيت الواحد يسكن به المسلم والمسيحى وأنا أتزاور مع البابا شنودة وتربطنا به علاقات أخوية ونحضر معا اللقاءات والحوارات والمحاضرات .

وحول سؤال عن تصادم الحضارات، أوضح فضيلته بأنه ليس مع من يقول بتصادم الحضارات، وإنما الحضارات عند العقلاء تتعاون ولا تتصادم، وتتكاتف من أجل خدمة الإنسانية، ولكل دولة حضارتها وكل دولة تأخذ من حضارة غيرها وتعطى من حضارتها .

شكر السيد رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء ووصفه بأنه رجل دين عظيم فى بلد عظيم .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف .

حتى يتمثلوهم ويقتدوا بهم، وأن تكون دعوتهم إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تكون مجادلتهم بالتى هى أحسن كقول الله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ مَا لَيْتَ هِىَ أَحْسَنُ﴾ (٥).

وحذرهم من خطورة الفتوى بغير علم وقال: إن الفتوى قد تتغير باختلاف الزمان والمكان والعرف والحال ولنا فى سيدنا رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة وذلك دليل على سماحة الإسلام وشريعته السمحة، وبين أن هناك أمورا مقررة ثابتة وهذه لا اجتهاد فيها، وإنما الاجتهاد فى الفروع فقط ولمن له حق الاجتهاد وهو المؤهل لذلك الذى تفقه فى الدين عملا بقول الله تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٦).

مشيرا إلى أن الاجتهاد لا يكون إلا فى الأمور التى تقبل الاجتهاد، فلا يصح فى الأمور الثابتة ولا فى النصوص القطعية الثبوت أو الدلالة أو الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لأحد القضاة «ولا يمنعنك قضاء قضيت به بالأمس ثم راجعت فيه نفسك

ومناصرة أى دولة شقيقة وخاصة شعب فلسطين وحمل فضيلته الضيف التحية والتقدير للسيد الرئيس ياسر عرفات لشجاعته وصموده أمام هذه الاعتداءات الغاشمة والطاغية والغير مسبوقه وقال: إن الشعب الفلسطينى بصموده وثباته لابد أن ينتصر، ونحن معه بكل ما أوتينا من قوة وندعمه ونتعاون معه بكل أنواع المعاونة والمساعدة:

﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ بَصُرَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤)

الدورة السادسة والخمسين لأئمة

ودعاة العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخرج الدارسين بالدورة العالمية التدريبية السادسة والخمسين للأئمة والدعاة الوافدين من دول العالم الإسلامى والتى استمرت ثلاثة أشهر اعتباراً من ٢٠٠٢/٢/١ وعددهم ٣١ إماما وواعظا من دول: مالى، بنجلاديش، الكنگو الديمقراطية، كينيا، النيجر وقد تلقوا التدريبات على أمور الفتيا والمحاضرات فى العلوم الشرعية والإسلامية واللغوية على أيدى السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة وجههم فيها إلى أن يكونوا قدوة طيبة لأبناء بلادهم

(٥) النحل (١٢٥).

(٤) الحج (٤٠).

(٦) التوبة (١٢٢).



الكريم وتعليم العلوم الشرعية والعربية إلى جانب المواد الأخرى التى يدرسها أبناء التربية والتعليم فى المدارس ويدرس العلوم الحديثة مثل الكمبيوتر ومعامل اللغات مؤكداً على الشعر الذى يقول فيه « ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم » وأشاد فضيلته بدولة الإمارات العربية المتحدة وتعاونها المثمر مع شقيقتها مصر وأزهرها الشريف فى المشروعات التعليمية، ومشيدا بالعلاقات الودية الطيبة بين السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وبين سمو الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وقام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية والتقديرية على الطلبة المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم والمواد الأخرى وعلى شيوخ المعاهد المسئولين عن العملية التعليمية.

تدريبات

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم ٤٣٨ لسنة ٢٠٠٢ بالموافقة على إسناد وظيفة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية إلى فضيلة الشيخ / شوقى حسن نويجى .

● كما أصدر فضيلته القرار رقم ٤٥٦ لسنة ٢٠٠٢ بنذب فضيلة الشيخ / محمود إبراهيم درويش للقيام بعمل وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق .

وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم والرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل» .

ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير على الخريجين وفى نفس الوقت تم افتتاح الدورة السابعة والخمسين للائمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى تبدأ اعتباراً من ١/٥/٢٠٠٢ وعدددهم ٢٤ إماماً وواعظاً من دول : أندونيسيا، وكوت ديفوار، الكاميرون، تايلاند، وسيرلانكا، غانا، وبنجلاديش .

حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف والسادة سفراء الدول، والسفير نائب مدير الشؤون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية .

معاهد أزهرية جديدة

– افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجمع الشيخ زايد النموذجى الأزهرى بمدينة الشيخ زايد بالسادس من أكتوبر وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أن هذا المجمع الأزهرى يعتبر صرحاً من صروح الأزهر الشريف لأنه يحافظ على حفظ القرآن





Abu Sufyan told him that he neither tell lies nor betray others. Hercules said: "For what did he call?"

Abu Sufyan told him that he bids people to worship Allah Alone with no associate, and abandon our fathers' beliefs. He orders us to keep up prayer, honesty and maintain strong family ties".⁽¹⁾ The testimony, which the archenemy of the Prophet gave, left Hercules wonder-struck.

Do you find that there is a testimony greater than this? The situation is critical and the questioner is a king of power and authority asking a spiteful man whose answer reveals the full conviction in the truthfulness of Muhammad's Prophethood. Do you find an ideal messenger greater than the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, and is there a testimony truthful than this? There is no testimony in the history of the great similar to it.





things) they say; yet surely they don't cry lies to you, but the unjust (people) repudiate the signs of Allah ﴿

[Al-Anam (Cattle): 33]

When the Prophet received Allah's command to call his relatives to Islam and warn his kinsmen the nearest kin, he climbed the mountain and called: "O Quraysh, when they gathered he said: "You see, if I were to tell you that there were some horsemen in the valley planning to raid you, will you believe me? He said: "I am: I'm a warner to you before a severe torment". Abu Lahab promptly replied: "Perish you all the day! Have you summoned us for such a thing?" The verses were immediately revealed on that occasion:

﴿Would the hands of Abu Lahab be cut up, and would he be cut up (too)!﴾

[Al-Masad (Palm-Fibers):1]

When the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, sent a letter of call to Hercules, king of Rome. Incidentally, Abu Sufyan Ibn Harb, who by that time had not embraced Islam, was summoned by Hercules to ask him many questions about Muhammad and his call. Abu Sufyan's testimony went as follows:

Hercules asked Abu Sufyan about Muhammad's descent. Abu Sufyan told him that he descends from a noble family.

Hercules said: "Did any one of his family assume kingship?"

Abu Sufyan told him that no one of his family assumed kingship.

Hercules said: "What is the character of his followers?"

Abu Sufyan told him that his followers are those deemed weak with numbers ever growing.

Hercules said: "Did he tell lie or betray?"





No one, however, dared to say something regarding his morals or hurl him with treachery or attribute lying in speech or breaking promise to him. Whosoever claimed prophecy and said Allah has revealed to me, he claimed infallibility and innocence from all causes of corruptions and evils. Was not it suffice that Quraysh's reply to the Messenger mentioning matters untruthfully done by the Prophet and testifying that he broke promise or being treacherous in their riches or belying them in something said to them? Quraysh spent their property and sacrificed themselves in fighting him till a lot of them had been killed and wounded, but they couldn't stain or brand his great manners. All the Prophet's conditions, affairs and guidance are apparent and well known to the people, his enemies and lovers and every thing was revealed to them. One day, Quraysh's leaders met together in their council, among them was Al-Nadr Ibn Al-Harith who was a dept and sophisticated and knowledgeable of experiences, then the Prophet was mentioned, and he said to them: "O Quraysh, Muhammad's matter had troubled you, and you failed to make up an opinion regarding him. Muhammad had been brought up among you till he reached maturity of age. He was the most beloved, truthful and honest man to you, so when he displayed his matter on you, you accused him of magic, poetry and insanity. I swear by Allah that there is nothing of what you had mentioned in his speech".

Abu Jahl was an archenemy to the Prophet. He said to him one day: "O Muhammad, I will not say that you are a liar, but I deny what you had come with and called for. Then, Allah revealed this verse:

﴿We already know that surely it indeed grieves you (the





The Real Grace Is The Enemy's Testimony

A part of a lecture delivered (in Arabic) by:

The Islamic caller: S. S. An-Nadwi

I would like to attract your attention to another matter: The messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, didn't spend all his lifetime among his companions. He spent forty years in Mecca before mission. In Mecca, there were the polytheists of Quraysh. The Prophet transacted and dealt with them in all life affairs by day and night. This is the daily life, including give and take, which can reveal one's manners so that people can know its corruption or goodness. It is a life of long way, many curves and rough tracks intercepted by depressions made by man including treachery, breaking promise, eating up the riches of people untruthfully, hurdles of trick, treason, giving insufficient measure, denying rights, and breach of promise.

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, transcended all these thorny roads sound and pure not tainted by what afflict the common people, to the extent that they called him the truthful and trustworthy. After the Prophet's mission and claiming prophecy, Quraysh saved their riches and deposits with the Prophet due to their great confidence in him. In reality, you know that when the prophet migrated to Mecca, he left Ali Ibn Abi Taleb in his place to repay deposits to its people. Quraysh was at intense enmity with him and left no stone unturned: They boycotted, repelled him from his path, and threw the entrails of an animal on his back during prayer, throwing him with stones, called him poet and witch, refuting his opinions.





on the day of Badr, blaming them on denying knowledge about the Prophet and inevitably he is triumphant over them and the victory to his religion is imminent, by Allah, you had known that vindicating him is a duty. They justified their situation as that day corresponds to Saturday, chiding them saying: "There is no Saturday for you". Since it had been superceded by the successive Shariah coming after Musa. He recommended as saying: "If I become afflicted, I donate my riches to Muhammad doing whatever he wills". He fought on Uhud's day and was honored by martyrdom, the Prophet attested to him as saying: "Mukhayreeq is the best of Jews".

Part of Inimitability Signs

One of inimitability signs Allah, glory be to Him, guided people to Islam who embraced various sects and creeds, among them were the worshippers of idols, deniers, worshippers of fire and others belonging to the People of the Book (Bible and Gospel). Besides, the difference of tongues, colors, homelands, cultures and races, among them was the Persian, Roman, Sudanese, Abyssinian, Arabian and Israeli. This is the miracle of his call as Allah said:

﴿Surely I'm the Messenger of Allah to you altogether.﴾

[Al-Araf (The Battlements): 157]

The nascent state established a humanitarian community under the banner of the Messenger. People of all races still entering the religion of Allah in troops, and praise be to Allah, The Lord of worlds.





They were scorned by the context of the Qura'n due to their bad course in life, since most of them retreated from embracing Islam being proud and envious that the message being in Bani Isma'il Ibn Ibrahim and not in the ancestors of Bani Yaqu'b Ibn Ishaq Ibn Ibrahim; this is the devastating pride and killing envy.

Fulfilling covenant and a small piece about the elite

A lot of dignitary and venerable religious leaders from Seeds of Israel fulfilled Allah's covenant, including: Abd Allah Ibn Sallam from the offspring of Joseph, may Allah be pleased with him, who said to his aunt on the day of the prophet's advent, he is the brother of Musa Ibn Imran, Allah pay tribute to him in the Qur'an, since he admonished the Arab polytheists saying you know that he is the messenger of Allah sent to people with the truth in order to deter them from their pride and arrogance, Allah, glory be to Him, said:

﴿Say, "Have you seen that in case it is from the Providence of Allah, and you have disbelieved in it, and a witness from among the Seeds of Israel testifies to its like, and has believed, and you wax proud. Surely, Allah doesn't guide the unjust people.﴾

[Al-Ahqaf (The Sand-Dunes):10]

This noble verse included praise to the people of knowledge applying it, and those who are humble for the sake of Allah and comply under the banner of the Messenger, with despising disbelief and aggression and incorrect meditation in pursuit of right.

The generous jurist martyr, Mukhayreeq, one of Bany Thalaba. He is well remembered when he blamed his clan from the Seeds of Israel for not supporting the messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and believing in him when Mecca's polytheists mobilized their power to take revenge



believe in the Arab illiterate Prophet. Every adult male or female has to believe in the prophet, be under his banner, vindicate his religion and follow his Sunnah; whosoever is reluctant, he is from losers.

In the light of glad tidings

In the light of glad tidings, signs and indications, history witnessed a great movement of announcing glad tidings that he is about to appear, the seal of all prophets and messengers. The monks and rabbis started talking about him and looking eagerly to his advent and break his dawn.

Therefore, immense number of the People of the Book came to Syria and parts of the Arabia asking and searching for news and talking about the prophet's near coming, whose name and characteristic of time mentioned in the verses of the Divine revelation.

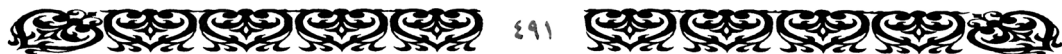
If dispute intensified between the Seeds of Israel in Yathrib and the adjacent quarters and the Arab poletheists from Al-Aws and Al-Khazraj, they menaced them with the prophet's imminent coming and as soon as he appears, they will believe in him since he is the brother of Musa Ibn Imran, so that they would become impregnable power making them worthy of victory over the Arab polytheists.

Allah mentioned their story in Surat Al-Baqarah (The Cow):

﴿And as soon as a Book came to them from the Providence of Allah, sincerely (verifying) what was with them-and they

aforetime prayed for an opening over the ones who disbelieved-yet, as soon as there come to them what they recognized, they disbelieved in it; so the curse of Allah is on the disbelievers.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 89].





and kindness, they see for the first time that there is no authority for self over another self, there is no self shall has benefit or harm to another self and there is no self shall be encumbered by the encumbrance of another self. Every man shall be pledged for whatever he has earned and responsible before Allah. Allah needs neither intermediary nor intercessor between him and his servants to be merciful for them. Allah knows their secret and private conference. He sees whatever is overt or covert of their affairs. If the servant said: "O My Lord". Allah will say: "My servant, here! I'm at your service!"

The Islamic conquest was mercy, light and complete blessing.

A Light from Zamzam

Before mission, Khaled Ibn Said Ibn Al-Ass saw a light emanated from Zamzam will lit to him till Yathreb's dates appeared to him. He related it to his brother, Amr, who said to him that the wall was dug after being effaced. This light will issue out from the household of Abd Al-Mutalib.

This light spurred Khaled Ibn Said to embrace Islam. After migrating, he embraced Islam following Abu Bakr. He was ranked as the third, the fourth or fifth among the outstrippers. He migrated with his brother Amr and their wives to Abyssinia, may Allah be pleased with them.

A light from Bible and Gospel

It is the glad tidings about his character, may the blessing and peace of Allah be upon him, that he is about to come and the signs of his birth through the Divine revelation to all Prophets, Messengers and the Heavenly Books including Bible and Gospel.

Allah, The Lord of heavens and earth and The Sustainer of all creatures, took pact with the Prophets and Messengers to





are not called terrorism in his custom! It is wonderful that all these war crimes and atrocities made him in the sight of U.S. president, George W. Bush, a peace man and how the Palestinian president, sieged by troops armed to the teeth and intimidated by launching missiles against his headquarters, be asked to stop terrorist acts.

﴿And definitely let not the ones who have disbelieved reckon that We reprove them only (because) it is charitable for themselves; surely We only reprove them that they might increase in vice, and they shall have a degrading torment.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran): 178]

The Sun Of Guidance Lit The Universe

By: A. M. Tahoun

He is the light that shined upon the world and brought as good tidings by Prophets. People were eager to a new dawn as Amina daughter of Wahab said: "When Muhammad was born, there was a light that issued out of my pudendum and lit the palaces of Syria".

Ibn Ishaq said: "A group of the Prophet's companions, may the blessing and peace of Allah be upon him, said to him: "O Messenger of Allah, tell us about yourself?" He said: "I'm the invocation of my father Ibrahim and the glad tidings of my brother Isa, and when my mother was pregnant, she dreamt that a light got out and lightened the palaces of Syria".

This light symbolizes the universality of his message, as Allah has given him the conquest of countries to which the Islamic Caliphate was moved in Bani Omya's era. The callers to Allah and conquest armies flowed from these countries till they reached the Mediterranean shore from the European side, encompassed it from both sides. People were cheerful about the blessings of the call to prayer in Muslim Spain, Sicily, France and Italy. People also knew the light of knowledge and the Qura'n's guidance. They were reassured by justice, humbleness





« Whenever they kindle fire for war, Allah will extinguish it and they endeavour (diligently) in the earth doing corruption; and Allah doesn't like the corruptors»

[Al-Maidah (The Table): 64]

By Dr. Ibrahim Al-Assil

Genocide war, launched by Ariel Sharon using all kinds of sophisticated weapons, all sorts of killing, mutilation and demolition of houses over the heads of their residents, is directed to armless young men, children, women, and elderly people. Not only did he use tanks, F 16 fighters, helicopters, mortar artillery, missiles and bulldozers to demolish houses and infrastructure, but also to tear the bodies of martyrs into remainders and bury them in the bowels of earth in order to hide his cruelty.

In addition, he prevents ambulances from performing its humanitarian role towards the wounded and injured, depending on U. S. absolute support. The world views daily on T.V. the demolished buildings over the heads of their owners, mutilating young men, sieging them, including Palestinian authority men, topped by the Palestinian president Yaser Arfat. The siege includes preventing the blockaded from food, water and separating them from the external world.

It is wonderful that all these acts, contrary to the simplest principles of civilization and religions, are encouraged by the majority of the Israeli people, including religious leaders claiming adherence to the Bible texts, about which Allah, glory be to Him, said:

«Wherein there is (a) guidance to and a light.»

[Al-Maidah (The Table): 44]

Sharon attempts to deceive the world and his people through branding the defense about rights and uprising against occupation and injustice as terrorism, while what he does is not terrorism. Such acts as demolition of buildings, arresting young men blindfolded and severely beaten, leaving the wounded bleeding till death and preventing the sick and the pregnant women from reaching hospitals





AL-AZHAR
MAGAZINE

Rabee'a Awwal 1423 A. H



ENGLISH
SECTION

MAY. 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

**“Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth.”**

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University



الفهرس

● في ذكرى المولد النبوى (الافتتاحية)	● من أعلام الأزهر:
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٣٠٦	الشيخ محمد حافظ سليمان
● مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر	للأستاذ/ حمدى أبو السعود ٤١٥
متابعة/ أحمد تقى الدين ٣١٢	● طرائف.. ومواقف
● تفسير سورة البقرة	للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤١٨
لفضيلة الإمام الأكبر ٣٥٠	● منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته
● توجيهات تربوية من القرآن الكريم	لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفراف ٤٢٠
للأستاذ/ محمد مصطفى البشبيونى ٣٥٤	● الأمويون وتأكيد هوية القدس الإسلامية
● من طاعة الله وعبادته	للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ٤٢٥
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٣٥٩	● مقالات إسرائيليه وحقائق تاريخية
● مواقف إسلامية	للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٤٣١
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ٣٦٣	● قصة العدد
● أهديك التحية ضارعا (قصيدة)	للأستاذ/ أحمد التاجى ٤٣٦
لفضيلة الشيخ/ محمد أحمد الطاهر الحامدى ٣٦٧	● قراءة فى الأدب الصهيونى
● لسنا إرهابيين	للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ٤٤١
للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ٣٧٠	● سقوط الأقنعة
● الإسلام وحقوق الإنسان	لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٤٤٦
للأستاذ الدكتور/ عبدالغفار حامد هلال ٣٧٣	● حول مصادر التفسير
● الإسلام يغايب المستقبل	للأستاذ/ توفيق العبرى ٤٤٩
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٣٧٩	● رسالة.. و..رد
● فلسفة العقوبات فى التشريع الإسلامى	لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ٤٥٣
للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفى ٣٨٣	● فى أجواء السعادة
● دعوة إلى العرب (قصيدة)	للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٤٥٧
للأستاذ/ كمال النجمى ٣٨٧	● بيان القرآن عن تكوين الإنسان
● كتاب الشهر	للدكتور/ محمود خطاب ٤٦٠
حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر	● بين الصحف والمجلات
عرض وتقديم د.د. / إبراهيم عوضين ٣٩٠	للأستاذ/ محمود الفشنى ٤٦٤
● فرعون	● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ فكرى ياسين ٣٩٩	للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٤٦٩
● حضارة قوم نوح	● أنباء العالم الإسلامى
للدكتور/ على أحمد على ٤٠٣	للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٤٧٥
● اغتيال إسلامية فيلسوف	● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للدكتور/ محمد عمارة ٤٠٩	لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٤٧٨
	● القسم الإنجليزى ٤٨٥



الأهرام

مجلة شريعة جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وسر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطبع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢، نصر

ت: ٨٥٩٩ ٦٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر
- النص القرآني هو الفضيل
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي
- في الأصول القرآنية للتربية
- للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب
- سماحة الإسلام
- للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز
- لفضيلة الشيخ / الطاهر العامدي

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيه مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠ ☎

ربيع الآخر ١٤٢٣هـ - يوليو ٢٠٠٢م - الجزء الرابع - السنة الخامسة والسبعون

النص القرآني

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾^(١).
 نقرأ بعض الدراسات التاريخية التي تمت إلى كتاب الله، إذ تحدث القرآن عن فحواها، بما يجب أن يكون منطقاً فصلاً لا جدال فيه، فلا نجد ما يدل على أن الباحث قد بذل جهده في إيضاح الحقيقة على وجهها الذي جاء به القرآن الكريم بل تراه وهو المسلم العربي يذكر عدّة روايات تخالف ما جاء في الذكر الحكيم، ويترك المسألة دون حسم، بل يترك القارئ غير البصير في حيرة مما يقرأ، لا يدري إلى أي منحى يتجه، إذا لم يكن لديه من الحصانة الإسلامية ما يردّ عنه الأوهام المتخيلة، وأنت تحار في تعليل ذلك النهج المريب، إذ لو صحّ أن يسلك من قوم يضطغنون على الإسلام فإن اضطغانهم عليه يفصح ما يقومون به من تدليس، أما أن نكتب البحوث التاريخية ذات الاتصال الأكيد بنصوص القرآن، ثم نبتر النتائج بترأ، أو نلوى المقدمات ليأ، لنندع القارئ في مهبط الريح، فهذا ما ينكره أسلوب البحث النزيه، لأن حقائق القرآن ثابتة أكيدة، وما عرفنا في كتاب الله نصاً واحداً يجانب الصواب الواضح، حتى نتهرب عامدين من ترجيح النص الكريم، وإبطال ما عده، لاسيما إذا كان لدينا الدليل الحاسم من الآثار الشاهدة، المنقوشة على الجدران، والتي لم تستطع الدهور المتطاولة أن تطمس حقائقها المتفقة مع ما ينطق به كتاب الله، نقول هذا لمن يترددون في التصديق من غير المسلمين، أما الباحث المسلم فلا مجال لديه للانتظار حتى نعثر على أثر قديم، لأنه يعلم يقيناً أن كتاب الله:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢).

س هو الفصل

مثل كاشف

نعلم جميعاً أن سبأ مملكة يمنية من بلاد العرب السعيدة، وأن ملكتها قد زارت سليمان -عليه السلام- وقد حكى القرآن الكريم في سورة النمل حديث هذه الزيارة وما انتهت إليه من إسلام الملكة بعد اقتناع، إذ تسلسلت الأحداث مبتدئة بغيبة الهدهد عن موضعه، حين تفقد سليمان الطير فلم يجده، فسأل عنه متوعداً، ولكن الغائب قد جاء بخبر جديد عن سبأ، إذ رأى الهدهد امرأة تملك الناس، وقد أوتيت من كل شيء حظاً، ولكنها كقومها يعبدون الشمس من دون الله، وهذا ما شغل سليمان فبعث إليها بكتابه يدعوها إلى مملكته مسلمة طائعة، ولم تكن بلقيس ذات استبداد وتفرد، فجمعت قومها لتقول لهم: ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون، وطبيعي أن يُبدوا استعدادهم للدفاع، ولكن الملكة الحازمة آثرت السلام فأرسلت بهدية ثمينة إلى الملك الحكيم، ظانة أنها بهديتها، تمنع الشقاق، ولكن سليمان كان يصر على أن ينقذ سبأ من الشرك، فحذر وتوعد بجنود لا قبل للقوم بها، فأذعنت لمشيئة الملك، وحضرت إليه لترى وتسمع ما أقنعها بضلالها فقالت:

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)

هذا بعض ما أشار إليه القرآن من حديث بلقيس، وقد أكدت الآثار السبئية حقائقه بما سنشير إليه بعد، وما أظن باحثاً صادق النظر، يرى الأثر الشاهد، ثم يلجأ إلى الإنكار، فإذا



كان الباحث مسلماً، وألم بالقصة في كتاب الله، وما بسطه المؤرخون في الكتب الثابتة، وتأكد مما سجلته النقوش منذ عشرات القرون، فليس له أن يترك الأمر دون ترجيح.

ولكننا نرى الباحث يذكر الرواية الإسلامية، ويصفها بالرواية العربية ليقربها بأسطورة تزعم أن ملكة حبشية جاءت من أفريقيا إلى أورشليم، لتزور سليمان، وموجز هذه الأسطورة التي سردها الباحث مسرد التاريخ الواقعي الذي لم يُزخرقه الخيال الواهم، أن ملكة إثيوبيا كانت ذات حظ باهر من الجمال، وأنها سمعت من البحارة الذين يترددون على أورشليم بحكمة سليمان وعظمة سلطانه، وكان لها من ثرائها الطائل وإبلها القوية وسفنها الواسعة التي تكون أسطولاً بحرياً ضخماً ما حُب إليها أن تزور سليمان، حاشدة ما يبهر من الخيول والبغال والإبل محملة بغرائب الهدايا ونفائس الأعلاق، وقد رحب بها سليمان أبلغ ترحيب، وأفرد لها جناحاً خاصاً في قصره، وجعل يكثّر من زيارتها متحدثاً بما أنعم الله عليه من السلطان إذ عرف منطق الطير، وملك أمر الريح، وسخر الجن والشياطين لبناء هيكله، ثم تزوجها وأنجبت منه ولداً أسمته (منليك) ومعناه ابن الحكيم وقد شب في كنف والده فتعلم منه الحكمة حتى إذا اشتد عوده رجع إلى الحبشة ليكون ملكاً بعد وفاة أمه، ومن نسله جاءت الأسرة الحاكمة في الحبشة التي كان آخر ملوكها الإمبراطور هيلاسلاسي، وقد جاء في نفس الدستور الإثيوبي - لعهد - أنه من سلالة سليمان الحكيم ابن داود، من سبط يهوذا، وهو الأسد القاهر المختار من الرب، ملك ملوك إثيوبيا!

هذه خلاصة مركزة لما ذكره الباحث، عقب الرواية الأولى وقد ترك الأمر دون تعقيب!! فهل كان يظن أن الأسطورة المُلَفَّقة، تقف مع النص القرآني في مستوى واحد، وإذا جاز لمن كتبوا سير ملوك الحبشة أن يبتدعوا من الأوهام ما يشاءون، أيجوز لنا أن ننظر إلى النص القرآني وكأنه تأليف بشري يخطئ ويصيب!

ضباب كثيف

على أن ما ملأ به الباحث كتابه من شكوك متكررة في أكثر ما بأيدينا من تاريخ اليمن، يُلقى ضباباً كثيفاً يغمر الحقائق الثابتة، فمن الجائز أن تكون المصادر العربية لم تستوف هذا التاريخ في عصوره البعيدة، شأن أكثر التواريخ في العالم القديم ومن الجائز أن يكون فيما كُتب عن هذا التاريخ البعيد تضارب يقذف بالحيرة الشديدة في نفس من لم يألف هذا التضارب المتكرر في الروايات المتناقضة، ومن الجائز أن يصح قول ابن خلدون في مقدمة الجزء الأول من تاريخه أن من الأخبار الواهية ما ينقله المؤرخون عن أخبار التبابعة إذ





كانوا يغزون بلاد البربر بأفريقيا، وأنهم امتدوا بالغزو إلى أقصى بلاد الصين، ودوّخوا بلاد الروم، لأن وقوع اليمن بين بحر الهند من الجنوب، وبحر فارس من الشرق وبحر السويس من الغرب، مما يبعد أن تنتقل الجيوش إلى أفريقيا وأقصى آسيا دون أن تحتل ما تزحف عليه من الممالك، ولم ينقل أحد من مؤرخي هذه البلاد أن التبابعة قد عبروا بها فضلا عن أن يملكوها!

أقول من الجائز أن يكون ما ذكره ابن خلدون^(٤)، وأكده الأستاذ نيكلسون فيما بعد صحيحا لا لبس فيه، ولكن ذلك كلّ بعيد كلّ البعد عن الحقائق الثابتة في تاريخ سليمان وبلقيس، وما قامت به الملكة المسلمة من رحلة استكشافية انتقلت بها من الكفر إلى الإيمان، وقد كان انتقالها من سبأ لا من الحبشة حيث يمتد الطريق في الجزيرة العربية بين صنعاء وأورشليم، دون أن توجد العوائق التي أشار إليها ابن خلدون في حديثه عن التبابعة! وأين حديث التبابعة من حديث بلقيس! فهذا الضباب الذى يثيره الباحث حول التاريخ اليمنى، لا يعصف بالحقائق التى تسطع فى نور الشمس واضحة سافرة، وإذا كان التاريخ فى عصره القديم قد تعرّض لتزيّد، فليس جميعه ملفقا أو حتى القصص الخيالية، ولكن منه ما يستعصى على الهدم، وما يخضع للشك والتوهين.

ليسوا وحدهم

على أن العرب ليسوا وحدهم الذى دَوّنوا تاريخ اليمن القديم، فنحن نعلم أن المؤرخ اليونانى استرابون قد كتب فصلا رائعا عن مدن العرب، وهو من أوائل من أسماوا بلاد اليمن بالبلاد السعيدة، ذاكرا ما حفلت به قديما من الرفاهية والازدهار الحضارى حتى أن اليمنيين كانوا يحرقون الأعواد الفواحة فى الوقود ذات الرائحة الجذابة بدلا من الأعشاب، كما أن بطليموس المؤرخ الجغرافى قد خصّ هذه الربوع بتفصيل شاف لما أجمله استرابون، وتوالى المحدثون من الرحالة الأوروبيين كى يكتشفوا الآثار فى مأرب، ومنهم من نقل كثيرا من الألواح والأحجار لتجد مكانها فى المتاحف الأثرية شاهدة بالحضارة السبئية، وقد تحدث (أرفود) سنة ١٨٤٣ وهاليفى (١٨٦٠) (وجلازر) سنة ١٨٨٠ عن آثار بلقيس، وعن الأدوات العظيمة التى قام حولها سد مأرب ليحفظ المياه، إذ رأوا آثار السد، ورسموا موقعه، ووصفوا ما غمره من الأتربة بعد تقادم العهد، وفى متحف (ترمي) بروما كثير من آثار السبئيين، وقد أفردت كتب أوروبية تحدثت عن آثار سبأ، حيث يضيف التالى

(٤) الجزء الأول من المقدمة ص ١٢.



لسابقه جديدا مما يتمخض عنه الكشف العلمى، إلى أن ظهرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٤/١٠/١٩٨٣ معلنه عن الكشف الجديد عن معبد بلقيس ناقلة صورتين للمعبد والسد وذلك تحت عنوان جهير يقول: (آثار سبأ تتأكد بالدليل المادى كما وردت فى القرآن الكريم) وقد أكدت هذه الآثار رحلة بلقيس إلى بيت المقدس، وعبادة السبئيين للشمس قبل أن يهتدوا لعبادة الله، فماذا عسى أن يقول من يتجاهلون الحقائق، وقد أيدت بالدليل، وإذا كان أباطرة الحبشة يجدون فى انتسابهم إلى بلقيس وسليمان الحكيم، ما يثبت عراقتهم الأصلية فى حكم أثيوبيا، فيؤكدون أسطورة لا تنهض على أساس ما، أفما يكون من حق المؤرخ أن يكشف الرغبة عن الصريح.

سد مأرب

يرجح كثير من المؤرخين والمفسرين معا أن بلقيس هى التى أشارت ببناء سد مأرب، إذ عمدت إلى الجبال المنفرجة ذات الشعب، فأقامت السدود الحائلة دون تدفق المياه وضياها فى القفار، لتظل زاخرة وراء السدود، وقد أقيمت على هيئة أبواب ثلاثة بعضها فوق بعض، فيُفتح الباب الأعلى عند ارتفاع المد، ثم يفتح الباب الثانى عند توسطه، فإذا انخفض المستوى فُتح الباب الثالث، فاستمرت المياه بهذا الترتيب على مدى العام، حتى تسقط الأمطار فى العام التالى فتتكرر الدورة دون انقطاع، هذه السدود لها آثارها الباقية إلى اليوم، وقد أخذت لها المصوّرات المتعددة لتحدث عن تاريخها الغابر، ولولا ما أحدثه السد من ازدهار حيوى ما كانت سبأ فى ماضيها الغابر ذات حداث ومروج تصديقا لقول الله - عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ۝٥﴾.

والجنتان هما الضفتان المتقابلتان على ضفاف السد الممتد، فكل ناحية تُعتبر جنة قائمة بذاتها، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ثم مضت بلقيس، وتقلبت الأيام بالسد فلم يقو على الصّدع المتوالى بقوة المياه الزاخرة، ولو وجد من أرباب الحكم والعلم من رأبوا الصدوع قبل أن تنهار لدام لهذه البلاد عمرانها الزاهر، ولكن ساكنيها قد أعرضوا عن الحق، وأهملوا الرعاية الحافظة فجاءهم سيل العرم ليشردهم فى البلاد النائية أيدي سبأ، ولعل المناسبة واضحة جلّية بين هذه الآيات المبتدئة بقول الله - عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾.

وبين ما سبقها من حديث سليمان - عليه السلام - إذ قال الله - عز وجل :

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾^(٦).

إلى قوله عز وجل :

﴿فَلَمَّا خَرَّيْنَتِ الْجُنُودَ أَنْ لَوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٧).

لأن سبأ المزدهرة العامرة في عهد بلقيس كانت ثمرة من ثمار نبي الله سليمان، حيث أنقذهم من عبادة الشمس وهداهم إلى الإسلام، فاستطاعت الملكة المؤمنة أن تؤدي دورها العمراني واثقة من فضل الله ورعايته، فلما تحدثت الآيات السابقة عن سلطان سليمان، توألى الحديث القرآني عن سبأ التي سعدت بالإيمان على يده، فازدهرت وأينعت، ثم حادت عن السبيل بعد أمدٍ ما فلاقت سوء المصير، وهذا ما ينطق به قول الله :

﴿فَاعْرِضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْمَلٍ خُمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾^(٨).

ولنا بعد هذا كله في حاجة إلى أن نقول إن حديث الملكة الحبشية من أساطير الأولين.

د. محمد رجب البيومي

(٧) سبأ: (١٤).

(٦) سبأ: (١٢).

(٨) سبأ: (١٦، ١٧).



الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف

- كلمة السيد رئيس الجمهورية
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف

إعداد: أحمد تقى الدين

كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف



العلماء الأجلاء

الأخوة والأخوات

فى هذه الليلة المباركة، يطل من جانب الأفق نور وضياء ..
حينما تحل على أمتنا وعلى العالم كله ذكرى نبي كريم، بعثه
الله رحمة للعالمين، وجعل منه أسوة لجميع المؤمنين .. ينهلون
من سيرته العذبة، ويلتمسون الهداية والرشد بمتابعته فى أحواله
كلها .. فى السراء وفى الضراء، وفى اليسر والعسر على السواء .

فى ذكرى الاحتفال بالمولد النبوى
الشريف وجه السيد الرئيس محمد
حسنى مبارك رئيس الجمهورية كلمة إلى
الأمة الإسلامية أكد فيها أن العالم اليوم
أحوج ما يكون إلى الرسالة الإسلامية
العظيمة وأنها العاصم الوحيد للبشرية
من أهوال الصراع وويلات الحروب وظلم
الأقوياء للضعفاء .
وفى ما يلي نص الكلمة التى ألقاها سيادته :



كلمة نتعاهد فيها جميعاً على الإيمان بالله وكتبه ورسله، لا فرق بين أحد من رسله، وعلى أن نقيم العدل وننشر الرحمة، ونجنى للسلام ونتعاون على البر والتقوى ونقف صفاً واحداً ضد الظلم والإثم والعدوان.

فأما النبي الكريم الذي نحتفل بذكرى مولده فحسبنا أن نشير من سيرته إلى أمور ثلاثة:

أولها إيمانه بربه واطمئنانه إلى صدق وعده، وثقته التي لا تهتز أبداً بنصره وتأييده حتى في لحظات الشدة والبأس التي تدعو عامة الناس إلى الشعور بالإحباط واليأس.. فهذا هو ﷺ يريد بقومه خيراً ورشداً فيذهب إليهم مبلغاً رسالة ربه ناشراً دعوته الإنسانية الكريمة، فلا يلقي منهم إلا صداً وأذى وإهانة، فيرفع يديه مناجياً ربه في ساعة الشدة، شاكياً ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، فيعززه الله بقوة من عنده ويفتح له السبل والحيل لنشر دعوته، وينصره على من عاداه، ويعزبه دين الإسلام ويضعه في أعلى الدرجات.

ومع هذا الصبر على المحن والشدائد كانت العزيمة التي لا تلين والإصرار على الحق الذي يرتفع فوق دواعي الضعف واغراء القوة فقد كان «ﷺ» مثالا للقائد صاحب الرسالة لا يقاتل طلباً لمغنم أو استعراضاً لقوة أو استعلاء على الآخرين ولذا لم يدركه الغرور في ساعات النصر فنراه عام الفتح داخلاً مكة التي آذته واخرجته يحف به جيش من عشرة آلاف من المسلمين فيمنح أهل قريش الأمان والسلام ويعلم أصحابه الا

وقد اعتدنا - نحن المؤمنين بالله وكتبه ورسله - اعتدنا أن تكون لنا مع هذه الذكرى في كل عام وقفة، تتجدد معالمها بتجدد التحديات التي تواجهنا، وتتواصل فيها الآمال الكبيرة التي تملأ عقولنا وقلوبنا في حياة أفضل ملؤها المحبة والإخاء، تقوم على العدل والانصاف والتساوي في الحقوق والالتزامات، وتسعى لتحقيق الترابط بين الأمم والمجتمعات وللحيلولة دون دعاوى الكراهية والبغضاء، في إطار من الإيمان الصادق بالرسالة السامية التي حملها لنا رسولنا الكريم، والرعى المتجدد بخصوصياتنا الدينية والثقافية والتاريخية، التي تشكل رصيدنا القومي الذي نسهم من خلاله في إثراء التعاون والتكامل بين أبناء البشرية جمعاء.

وقد حرصنا في كل عام على أن تكون لنا وقفتان لاتنفصل إحداهما عن الأخرى.. وقفه مع صاحب هذه الذكرى النبي الكريم ﷺ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، ثم شهد له بالكمال الإنساني فخاطبه قائلاً:

﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. ووقفه أخرى مع الرسالة الإسلامية العالمية الخالدة التي جاءت رحمة للناس وتخفيفاً عنهم، وترشيداً وهداية لمسيرة الإنسانية كلها مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. تلك الرسالة التي حملت نداءً إلى كل الأمم والشعوب أن:

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ﴾.





يصفون هذا اليوم
بأنه يوم الملحمة
الذى اذل الله فيه
قريشا وإنما يصفونه
بأنه يوم المرحمة
الذى اعز الله فيه
قريشا .

وثانى مانشير
اليه من أمور أنه
« ﷺ » كان نبيا
يوحى اليه وكان -
مع ذلك - قمة فى

قدرته أو يزيد عن طاقته .. ودعا اصحابه إلى أن
ييسروا ولا يعسروا وأن يبشروا ولا ينفروا وعلمهم
أن يأخذوا من الأعمال مايطيقون .. وقد جمعت
عائشة رضى الله عنها هذا التوجه النبوى الكريم
بقولها : « ماخير رسول الله بين أمرين إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثما » .. ولعلنا والإسلام من
حولنا تشوه صورته وينسب إلى أهله واتباعه
التشدد والعنف وإكراه الناس على ما لا يريدون لعلنا
أن نبرز للناس من حولنا هذه القيمة الإسلامية
العظيمة قيمة التخفيف عن الناس والتيسير عليهم
حتى نعطى الصورة الصحيحة عن الإسلام ويقبل
المسلمون على الحياة برؤوس مرفوعة وقلوب
مطمئنة وثقة بالنفس تعزز من وضعهم بين الأمم
والشعوب وتعطيهم القوة والمنطق اللازمين لكى
تستمر الحضارة الإسلامية فى احتلال مكانتها
المرموقة بين الحضارات .

الإنسانية تمتلئ حياته بكل ماقتلىء به حياة
سائر الناس من يسر وعسر ومن راحة وعناء ومن
حزن وفرح ومن علاقات بأهله وعشيرته فقدم
لنا المثل والقدوة الحسنة وترك لنا دليلاً إن
اتبعناه صلحت أمورنا وتعاضم شأننا وتعاضم
معه شأن الإسلام والمسلمين .. وبهذه البشرية
اقتربت سيرته الطاهرة من عقول المؤمنين برسالته
ومن قلوبهم فسهلت عليهم اتباعه والتأسى به
ولذلك لاتزال سيرته الشريفة تعيش حية بيننا
ولاتزال أقواله وافعاله تمس شغاف القلوب ..
فإذا قابلتنا فى حياتنا الصعاب وأحاطت بنا
المتغيرات رجعنا إلى سيرته نتخذ منها الأسوة
ونجد فى إرشاده القيم الأتس والأمن والسكينة
والثقة بالله وبالنفس .

أما الأمر الثالث فى سيرته العطرة أنه كان ميسراً
ومبشراً فى الأحوال كلها فلم يأمر أحداً بما يجاوز



الرسالة الخالدة

أيها العلماء الأجلاء

الاخوة والأخوات

أما الرسالة الخالدة التي أنزلت على صاحب هذه الذكرى فهي رسالة السماء إلى أهل الأرض حملها عبر التاريخ موكب قدسى مهيب من الأنبياء والرسل كلهم يقول لقومه أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره وكلهم يأمر قومه بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغى وهى أمور عظيمة جمعتها آية قرآنية واحدة صلحت ولانزال صالحة لبناء مجتمعات إنسانية فاضلة تحكمها قيم إنسانية رفيعة .

ومعاذ الله - أيها الأخوة والأخوات - أن تقف هذه الرسالة اليوم فى موقف الدفاع أو يقف اتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار .. كيف وهى رسالة تحمل الخير كله وتقيم العدل كله وتنشر السلام كله وتعلم الأولين والآخرين أنهم جميعاً لآدم، وأنهم لايتفاضلون بينهم بجنس أو لون أو مال أو جاه، وإنما يتفاضلون بالتقوى وبما يقدمه بعضهم لبعض من عون .

نحتاج إليها اليوم

وما نظن الدنيا كانت فى يوم من أيام تاريخها محتاجة إلى هذه الرسالة العظيمة حاجتها إليها اليوم، وقد نُسيت كلمات الله، وتجنّى عليها الجاهلون، وعمل على تشويه

صورتها من لا يرقبون فى أحد ذمة ولا عهدا .

وحسبنا أن نضع أمام أنفسنا وأمام الدنيا كلها أن هذه الرسالة الخالدة قد تفردت بأمر ثلاثة هى العاصم الوحيد للبشرية اليوم من أهوال الصراع وويلات الحروب وظلم الأقوياء للضعفاء .

تفردت بإعلانها وحدة الأصل الإنسانى، وإلحاحها عليه فى وجه محاولات الاستعلاء والهيمنة ودعاوى التفوق على الآخرين . وتفردت بإعلانها حقيقة التنوع والتعدد فى الوجود الإنسانى .. فالناس وإن كانوا جميعاً لآدم . فإن الله تعالى جعلهم شعوباً وقبائل، ولو شاء سبحانه لجعلهم أمة واحدة .

وتفردت بأن جعلت هذا التنوع والتعدد سبيلاً لغنى التجربة الإنسانية ولثراء الحضارة الإسلامية ، كما جعلت منه سبباً للتعارف والتفاعل والتعاون ودافعاً للتنافس والتسابق على فعل الخير وأداء ما ينفع الناس .

وعلىنا جميعاً فى الأمتين العربية والإسلامية أن نبرز هذه الحقائق الكبرى عن نبينا الكريم، وعن تفرد الرسالة الإنسانية التى حملها للدنيا، والتى لانزال - وسنظل - نحملها من بعده، دعاة للخير وللعدل والسلام، ودعاة للتعارف والتواصل، مؤمنين بأن العالم اليوم فى أشد الحاجة إلى أن يرهف السمع لكلمات السماء، وأن يهتدى برسالات الأنبياء، خاصة وقد استولت على كثير من العقول دعاوى الطغيان الذى لا يبرره



الغير فى الدين أو الشقافة أو القيم لايمنى
تلقاتنا معاداتنا للآخرين، بل يمنى أهمية اتباع
نهج رسولنا الكريم بالحوار معهم باستخدام
العقل والمنطق، دون غلو أو تطرف فى اطار من
تسخير التنوع البشرى لدعم قوى التفاهم
والتعاون بين الديانات والحضارات .

وبذلك وحده يؤدى الخطاب الدينى
الصحيح دوره المنشود فى بناء مجتمع مترابط
قائم على التعاون والتكافل تسوده روح
السماحة والمحبة ويسهم فى نشر الرسالة
الخالدة لديانتنا الإسلامية السمحاء .

أيها الإخوة والأخوات ..

فى هذه الليلة المباركة التى نحتفل فيها
بذكرى مولد خاتم الأنبياء، ونحتفل معها
بذكرى المصطفين الأخيار من رسل الله
وأنبيائه عليهم صلوات الله .. نرفع أكفنا
بدعاء ينبعث من أعماق القلوب .. أن
يرفع الله من شأن أمتنا الإسلامية .. وأن
يعززها فى مواجهة ما تتعرض له من افتراءات
وادعاءات .. وأن يظهر الحق ويدحر الظلم
والعدوان .. وأن يمنحنا القوة والعزم
والإصرار على أداء الرسالة التى حملنا الله
إياها يوم اختارنا لنكون من أتباع رسوله
الكريم .

كل عام وأنتم وأمتنا كلها بخير وعز
وسلام ..

دين ولا تفره عقيدة، والذى يقوم على القوة
والسلطة والهيمنة على الآخرين، وبعد أن
أوشكت كثير من القلوب أن تبتعد عن قيم
العدل والسماحة والمساواة، استغلالات الأوضاع
وقتية، وتحقيقا لمكاسب دنيوية زائلة لن
تلبث أن تزول مع زوال ما يساندها من عرض
دنيوى زائف .

السادة العلماء :

لقد كان لنا لقاء مبارك كهذا اللقاء فى ليلة
القدر من شهر رمضان الماضى، وكان من
حديثى إليكم وإلى من شاركونا ذلك اللقاء
دعوة وضعتها أمانة بين أيديكم، لنأمل معا
فى مضمون الخطاب الدينى الذى يتوجه به
العلماء والخطباء إلى جماهير الناس وفى
أسلوب ذلك الخطاب . ولست فى حاجة إلى
أنؤكد لكم - ولجماهير أمتنا العربية
والإسلامية - أن هذه الدعوة تنبع من كوننا
وحدنا أصحاب الحق الأول والأخير فى تحديد
عناصر ثقافتنا وعقيدتنا وقيمنا استنادا لرؤية
واضحة ومعتدلة لديانتنا الإسلامية ولسيرة
نبينا الكريم، تبرز خصوصيتنا القومية التى
مكنتنا عبر التاريخ من أداء دور إنسانى
تنويرى انتفعت به سائر الحضارات، وتزيد من
عمق الوعي الصحيح لدى كل مصرى وكل
مصرية بالدين وبمقاصده وأهدافه الكبرى التى
نزل بها وحى السماء، وتبرز أن اختلافنا عن





كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وفى كلمته أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الإسلام يشجع العلم النافع لإعلاء قدر الفضائل، ويرفض استخدامه فى الشر أو إذلال البشرية.

وقال: إن الشباب مطالب بأن يغضب لدين الله والحفاظ على المقدسات وذلك يحتاج منه إلى الفهم، وليس له أن يتعصب لأمر شخصى مستخدماً سلاح الباطل.

وإن المسلمين حكاما ومحكومين مطالبون بعرض الإسلام على الدنيا كلها بشكله السمع وجوهه المستنير، وأن يخاطبوا كل مجتمعات الغرب بعقل وحكمة، والرد على تساؤلاتهم، بل واتهاماتهم للدين بوعى وفهم ومنطق وبلغة تناسب العصر.

وطالب فضيلته المسلمين فى كل العالم بالتأسى بالرسول الكريم ﷺ فى القول والفعل، ذلك أنه إذا كان المربى والقائد تقاس عظمته بمقدار تأثيره فى أتباعه، فإن النبى ﷺ قد ربى أتباعه خير تربية جعلتهم بشهادة الله - عز وجل - خير أمة أخرجت للناس.

لقد ربى النبى ﷺ أتباعه على الصدق، لأن الصدق فى الأقوال وفى الأفعال يدل على القوة فى الذات، وفى السلوك، والصدق صفة من صفات الله - عز وجل - وصفة من صفات رسله الكرام، وصفة من صفات الرسول ﷺ، وصفة من صفات الأخيار.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر العرب والمسلمين بالتجمع حول قضاياهم ونصرة دينهم والتعاون بين بعضهم من منطلق أن أهل الباطل يتجمعون دائما حول باطلهم، لذلك فأهل الحق - عربا ومسلمين - لابد أن يكونوا يدا واحدة خاصة فى ظل العالم الواحد والعولمة.

وقال: إن على المسلمين أن يدركوا طبيعة العصر الذى يعيشون فيه من صراع القوى والقوة، وأن يستعدوا بكل جدية للتعامل مع الغير بالعلم والمعرفة والقوة - أيضا - حتى يتحقق إعلاء كلمة الدين وتنهض الأمة.

وأكد أنه لا خلاف بين جميع الأنبياء والرسل عبر كل العصور والرسالات والأديان، ولكل دعوة ظروفها، وإذا كان هناك خلاف فهو فى الفرعيات وليس فى الأصول، وأن العقل هو الأداة الرئيسية فى المعرفة من أجل توصيل الرسالة الصحيحة.

وطالب فضيلة الإمام الأكبر رجال الدعوة الإسلامية باتباع منهج التدرج فى الدعوة فى كل مراحلها وإخلاص العبادة لله، والتحلى بمكارم الأخلاق، وأن يكون ذلك درساً لكل الناس فى

رضى الله عنها -: « كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق » أى تعين المظلوم وتعين من هو فى حاجة إلى العون .

ويصور النبى ﷺ سلسلة التعاون بينه وبين الرسل السابقين فيقول: « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله وكمله، إلا موضع لبنة - أى إلا موضع حجر منه - فكان الناس يطوفون حول هذا البيت ويقولون: ما أجمل هذا البيت وما أحسنه، هلا وضعت فيه هذه اللبنة؟! ويقول الرسول: « فانا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين والمرسلين » فينبغى أن يكون منهج الرسول ﷺ هو منهج الحكام والمحكومين حتى تنهض شعوبنا وتتقدم كما أراد الله - تعالى - لها، فإن التعاون يقوى الأمم الضعيفة، وإن التنازع والتقاطع والتحاسد يضعف الأمم القوية .

والأزهر الشريف يا سيادة الرئيس امتثالاً لقوله الله عز وجل:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢)

يتعاون مع كل الوزارات والهيئات والمؤسسات والأفراد والجماعات، والدراسة فيه والحمد لله تمتاز بالاستقامة والاعتدال والتوسط .

لقد ربى الرسول ﷺ أصحابه وأتباعه على تحرى الحلال، والابتعاد عن الشبهات فضلا عن المحرمات، كما رباهم ﷺ على حسن الظن بالناس وعلى الصفاء والنقاء، كما ربى الرسول أصحابه على تحرى الحكمة فى أقوالهم وفى أفعالهم، لأن الحكمة ضالة المؤمن والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١)

لقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على أن يجعلوا الأصل فى حياتهم السلام، فإذا ما فرض عليهم رد العدوان ثبتوا ثبات الأبطال، ودافعوا دفاع الفرسان الشجعان، ومن أقواله ﷺ: « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاثبتوا » .

كما ربى الرسول أصحابه على التعاون والبر والتقوى لا على الإثم والعدوان .. التعاون من أجل نصره المظلوم ومن أجل ردع الظالم، التعاون من أجل نشر الفضائل، ومن أجل إماتة الرذائل، كما أن التعاون سجية من سجايا سيدنا رسول الله ﷺ لازمة، فطنت إليها السيدة خديجة - رضى الله عنها - عندما جاءها الرسول الكريم فى مطلع رسالته وقال لها: « زملونى .. زملونى .. لقد خشيت على نفسى » هنا قالت له السيدة خديجة -

كلمة وزير الأوقاف

وعندما وقعت أحداث سبتمبر من العام الماضى، كان لها انعكاسات سلبية على صورة الإسلام فى العالم، على الرغم من أن الإسلام كدين لا يتحمل بأى حال من الأحوال مسئولية بعض التصرفات التى يقوم بها بعض من ينتمون إلى الإسلام ولو رفع أصحابها شعار الدين، تماماً كما لا يتحمل أى دين آخر مسئولية ما يرتكبه بعض أتباعه من أعمال لا تتفق مع مبادئه وتعاليمه.

ومن أجل توضيح الصورة الحقيقية للإسلام أقامت وزارة الأوقاف برعاية كريمة من سيادتكم، وبالتعاون مع الأزهر الشريف المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان: «حقيقة الإسلام فى عالم متغير»، وحضرته وفود من أكثر من سبعين دولة ومنظمة إسلامية عالمية. وقد أكدت الرسالة التى تفضلتم بتوجيهها إلى المؤتمر على حقيقة أن جوهر الأديان بصفة عامة، والدين الإسلامى بصفة خاصة، يتمثل فى صلاح البشر وخيرهم وسعادتهم فى دينهم ودينهم، ونشر المحبة والإخاء والسلام فى كل مكان، ومن هنا لا يمكن أن تكون الأديان بأى حال من الأحوال مصدراً

أكد الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف فى كلمته خلال الاحتفال أن مصر كانت وستظل سنداً قوياً ودرعاً واقية لأمتها العربية وخاضت من أجل القضية الفلسطينية أربع حروب ضحت فيها بعشرات الآلاف من خيرة أبنائها من أجل استرداد الحقوق العربية.

قال وزير الأوقاف: إن مصر فى ظل القيادة الحكيمة للرئيس مبارك ستظل وفية لقضايا أمتها مدافعة عن حقوقها ولن تتخلف يوماً عن التزاماتها العربية مشيراً إلى أن ما يبذله الرئيس من جهود خارقة فى سبيل القضية الفلسطينية لأمر يقدره كل المخلصين الشرفاء من أبناء أمتنا العربية وستثبت الأيام للجميع أن رؤية الرئيس الثاقبة كانت هى الرؤية الواعية المدركة لكل الأبعاد والمخاطر والحريصة كل الحرص على المصالح العليا للأمة العربية.

لقد كانت مصر ولا تزال معنية كل العناية بقضايا أمتها العربية والإسلامية، وكان الأزهر الشريف ولا يزال هو الكعبة العلمية للمسلمين بوصفه موطن الفكر الإسلامى المعتدل الذى يعبر عن وسطية الإسلام التى لا تعرف تعصباً أو غلوّاً أو تطرفاً.



وقد كانت وزارة الأوقاف سباقة في هذا المجال، ليس فقط عن طريق الندوات التي عقدتها والمطبوعات التي أصدرتها، وإنما كذلك على مستوى اللقاءات المباشرة مع الدعاة لتطوير أساليبهم في الدعوة شكلاً وموضوعاً، والخروج من إطار الأساليب التقليدية التي لم تعد تجدى فتيلاً، وضرورة مخاطبة العقل، والارتفاع بالمستوى الثقافي الديني للجماهير، والتركيز على القيم الإسلامية الدافعة إلى تقدم المجتمع وازدهار الكون من خلال التقدم العلمي المستمر، والتواصل مع كافة الحضارات والثقافات من أجل الوصول إلى أهداف البشرية في السلام والاستقرار.

إن الدعم الذي توليه الحكومة بتوجيه من سيادتكم لقطاع الدعوة الإسلامية في مصر وتطويره قد مكّن وزارة الأوقاف من الإشراف الكامل على أربع وسبعين ألفاً وخمسمائة مسجد وزاوية في كل أنحاء مصر، وبنهاية العام المالي ٢٠٠٢/٢٠٠٣ م ستكون جميع المساجد والزوايا في جميع المحافظات قد تم ضمها بمشيئة الله لوزارة الأوقاف، وذلك ضماناً للوصول كلمة الإسلام المعتدلة إلى جماهير المواطنين.

ولا شك في أن ذلك يتطلب الأعداد الجعيدة للدعاة بالتعاون مع الأزهر وجامعته التي هي المصدر الرئيسي لتخريج الدعاة. وعلى الرغم من أن المسابقات التي تجريها الوزارة لا تأتي

للتعصب والكرامية والارهاب وترويع الأمنين.

وقد تركزت بحوث ومناقشات المؤتمر على توضيح حقيقة الإسلام، بوصفه دين الرحمة والسلام والتعايش الإيجابي بين البشر، وبوصفه دعوة للحوار بين الشعوب والحضارات، ودعوة للتعاون الفعال من أجل بناء مستقبل مشرق للبشرية جمعاء.

وفي تكامل مع أعمال المؤتمر أصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مجلداً كبيراً اشترك في تأليفه مجموعة من العلماء المتخصصين بحسب الرد الإسلامي على العديد من الشبهات القديمة والحديثة التي وجهت ولا تزال توجه إلى الإسلام.

ويسعدنا الليلة أن نقدم لسيادتكم أول نسخة من هذا الكتاب الذي سترجم إن شاء الله إلى عدد من اللغات الأجنبية ليسهم في تصحيح صورة الإسلام في داخل العالم الإسلامي وخارجه.

لقد كان للدعوة الكريمة التي وجهها الرئيس في حفل ليلة القدر في شهر رمضان الماضي لتجديد وتطوير الخطاب الديني أثرها العميق في العديد من قطاعات المجتمع. وتم طرح هذه الدعوة في العديد من المنتديات الدينية والثقافية والسياسية والأعلامية أيضاً من منطلق أن الخطاب الديني أمر يهم الجميع، كما أنه من ناحية أخرى يسهم في تصحيح صورة الإسلام في الداخل والخارج.





لقد كانت مصر وستظل سنداً قوياً، ودرعاً واقية لأمته العربية، وقد خاضت من أجل القضية الفلسطينية أربع حروب ضحت فيها بعشرات الآلاف من خيرة أبنائها، وأنفقت عشرات المليارات من الجنيهات من قوت شعبها من أجل استرداد الحقوق العربية، وإن ما تبذلونه ياسيادة الرئيس من جهود خارقة في سبيل هذه القضية منذ قيادتكم الباسلة لنسور مصر في العبور العظيم، وحتى اليوم على جميع المستويات لأمر يقدره كل المخلصين الشرفاء من أبناء أمتنا العربية، وسوف تثبت الأيام للجميع أن رؤيتكم الشاقبة في هذا الصدد كانت هي الرؤية الواعية المدركة لكل الأبعاد والمخاطر، والحريصة كل الحرص على المصالح العليا للأمة العربية، وستظل مصر بقيادتكم الحكيمة وفيه لقضايا أمتها مدافعة عن حقوقها، ولن تتخلف يوماً عن التزاماتها العربية. نسأل الله أن يحقق للأمة آمالها على يديكم، وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم، وأن يحفظكم لمصر، ويحفظ مصر بكم.

لنا إلا بأعداد قليلة من الدعاة الا اننا فى وزارة الاوقاف سعداء بهذه العناصر الجديدة الشابة التى تضخ دماء جديدة فى شرايين جهاز الدعوة الإسلامية فى مصر. وستواصل الوزارة تكثيف الدورات التدريبية للدعاة حتى نقضى على كل السلبيات فى أداء البعض منهم فى وقت قريب إن شاء الله .

إننى ليست هنا فى مقام الحديث عما تم إنجازه فى وزارة الاوقاف، ولكنى أستسمح سيادتكم فى الإشارة إلى إنجاز هام قامت به هيئة الاوقاف المصرية فى الإسهام فى المشروعات القومية الكبرى، فقد أنجزت الهيئة فى زمن قياسى استصلاح واستزراع خمسة آلاف فدان فى شرق العوينات تمت زراعتها بالمحاصيل المختلفة، وتواصل الهيئة استصلاح بقية المساحة المخصصة لها، والتى تبلغ عشرين ألف فدان طبقاً للبرنامج الذى أعدته فى هذا الصدد عن طريق بعض الشركات الوطنية المتخصصة، وكلنا فى شوق لتشريف سيادتكم لهذه المنطقة للاطلاع على هذا الإنجاز المشرف الذى يسهم فى دعم الاقتصاد الوطنى .

تَقْسِيمُ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ كُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٣٥

وقوله - تعالى - : ﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾ أى : لو حتم وأشترتم به . من التعريض الذى هو ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ، ويصلح للدلالة على غير مقصوده ، إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وأصله من عرض الشيء - بضم العين - أى جانبه ومن أمثلته

والتعريض فى خطبة النساء أساليبه مختلفة، وما ذكره العلماء فى هذا الشأن أن يقول الرجل للمرأة: إني راغب فى الزواج أو أن يقول لوليها: لا تسبقنى بها إلى غيرى.

ومن أساليب التعريض ما فعله النبى ﷺ مع السيدة أم سلمة، فقد دخل عليها وهى متأيمه من زوجها أبى سلمة فقال لها: «لقد علمت أننى رسول الله وخيرته وموضعى فى قومي» فكان كلامه خطبة لها بأسلوب التعريض.

ومنها ما ذكره صاحب الكشاف عن عبد الله ابن سليمان عن خالته - سكينه بنت حنظلة - قالت: دخل على أبوجعفر محمد بن على وأنا فى عدتى فقال: قد علمت قرابتى من رسول الله ﷺ وقرابتى من جدى على بن أبى طالب، وموضعى فى العرب، وقدمى فى الإسلام.

قالت: فقلت: غفر الله لك يا أبا جعفر! أخطبني فى عدتى وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أو قد فعلت إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله ﷺ وموضعى» (٢).

وقوله - تعالى -:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ

إِلْخ معطوف على ما قبله فى الآية السابقة لأن الكلام فى الآيتين فى الأحكام المتعلقة بعدة النساء.

و ﴿مَا﴾ فى قوله: ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ﴾ موصولة.

أن يقول الفقير المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك.. وهو يقصد عطاءه.

و ﴿خُطْبَةُ النِّسَاءِ﴾ مخاطبة المرأة أو

أوليائها فى أمر زواجها.. والخطبة - بكسر الحاء كالجلسة - مأخوذة من الخطب أى الشأن لأنها شأن من الشئون وقيل من الخطب لأنها نوع - مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب المرأة. والمراد خطبة النساء اللائى فارقهن أزواجهن.

و ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أخفيتم

وأسررتم من الإكنان وهو الإضمار من غير إعلان. والمعنى: ولا حرج ولا إثم عليكم أيها الرجال المبتغون للزواج فى التعريض بخطبة المرأة أثناء عدتها لتتزوجوهن بعد انقضائها، كما أنه لا إثم عليكم كذلك فى الرغبة فى الزواج بهن، مع إخفاء ذلك وستره من غير كشف وإعلان لأن التصريح بالخطبة أثناء العدة عمل يتنافى مع آداب الإسلام، ومع تعاليم شريعته، ومع الأخلاق الكريمة، والعقول السليمة، والنفوس الشريفة.

قال القرطبى: قال ابن عطية: «أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص فى تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت على أن الكلام معها بما هو رث و ذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز وكذلك ما أشبهه وجوز ما عدا ذلك. ولا يجوز التعريض لخطبة المطلقة طلاقا رجعيا إجماعا لأنها كالزوجة. وأما من كانت فى عدة البينونة فالصحيح جواز التعريض لخطبتها» (١).

(١) تفسير القرطبى ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٨٢.



استثناء مما يدل عليه النهى لا تواعدوهن مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا، وهى ما تكون بطريق التلويح والتعريض .
وفى قوله سبحانه :

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بيان لما جبلت عليه النفس البشرية من ميل فطرى بين الرجال والنساء، والإسلام لا ينكر هذا الميل وإنما يهذب ويوقمه ويصقله بأدابه الحميدة، وتعاليمه السامية .

وقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ استدراك على محذوف دل عليه :

﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أى : فاذكروهن :

﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ .

قال القرطبى ما ملخصه : واختلف العلماء فى المراد بالسرى فى قوله - تعالى - : « ولكن لا تواعدوهن سرا » ف قيل معناه نكاحا ، أى لا يقل الرجل لهذه المعتدة تزوجينى بل يعرض إن أراد ، ولا يأخذ ميثاقها وعهدها ألا تنكح غيره فى استسار وخفية . هذا قول جمهور أهل العلم .
و« سرا » على هذا التأويل نصب على الحال أى مسرين - وسمى النكاح سرا لأن مسببه الذى هو الوطء مما يسر - وقيل السر الزنا ، أى لا يكون منكم مواعدة على الزنا فى العدة ثم التزوج بعدها . أى لا تواعدوهن زنا . واختاره الطبرى . ومنه قول الأعشى :

فلا تقرين جارة إن سرها

عليك حرام فانكحن أو تابدا

و ﴿ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ بيان لما ، و ﴿ أَل ﴾ فى النساء للعهد والمعهودات من الزوجات اللائى سبق الحديث عنهن فى الآيات التى قبل هذه .

و ﴿ أَوْ ﴾ فى قوله : ﴿ أَوْ أَكَنَنْتُمْ ﴾ للإباحة أو التخيير ، ومفعول أكن محذوف يعود إلى ما الموصولة فى قوله : ﴿ فِيمَا عَرَّضْتُمْ ﴾ والتقدير : أو اكنتموه . و ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ متعلق باكنتكم .
وقوله - تعالى - :

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ كالتعليل لما قبله وهو قوله :

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ﴾ إلخ . ونهى عما يردى ويفسد ، وإباحة لما لا ضرر فيه .
أى : علم الله أنكم يا معشر الرجال ستذكرون هؤلاء النسوة المعتدات بما لهن من جمال ومن حسن عشرة ومن غير ذلك من شئونهن وأن تفكروا فيهن وتهفوا إليهن نفوسكم ، والله - تعالى - فضلا منه وكرما قد أباح لكم أن تذكروهن ولكنه ينهاكم عن أن تواعدوهن وعدا سريا بأن تقولوا لهم فى السر ما تستحيون من قوله فى العلن لقبحه ومنافاته للشرع .

وقوله : ﴿ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾





أى: «فتزوجها أو ابتعد عنها. وقيل السر الجماع»^(٣).

والذى تطمئن إليه النفس أن كلمة «سرا» صفة لموصوف محذوف أى لا تواعدهن وعدا سريا، وأن النهى هنا منصب على كل مواعدة سرية، يقال فيها كل ما ينهى عنه أو يستحيا منه فى العلن، لقبحه أو لأن أوانه لم يحن بعد، إذ السرية أو الخلوة بين الرجل والمرأة لا تؤمن مزالقها. وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»^(٤) وأن المراد بقوله:

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو التعريض بالخطبة، وإظهار المودة بطريقة لا تفضى إلى محرم.

قال صاحب الكشف فى قوله:

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا فإن قلت بم يتعلق حرف الاستثناء؟ قلت: بلا تواعدهن. أى لا تواعدهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة: أى لا تواعدهن إلا بالتعريض^(٥). ثم قال - تعالى -:

﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾

العزم: القطع والتصميم، يقال عزم على الشئ إذا صمم وعقد القلب على فعله، وهو يتعدى

بعلى وبنفسه فيقال: عزم الشئ وعزم عليه.

وعقدة النكاح: الارتباط الموثق به. وأصل العقد الشد، والعهود والأنكحة تسمى عقودا لأنها تعقد وتوثق كما يوثق بالحبل.

والمراد بالكتاب هنا الأمر المكتوب المفروض وهو العدة التى حدد الله لها وقتا معينا.

والأجل: هو نهاية المدة التى قرررها الشرع للعدة.

والمعنى: لا يسوغ لكم يا معشر الرجال الراغبين فى الزواج من النساء اللاتى فارقهن أزواجهن أن تعقدوا العزم نهائيا فى أثناء العدة على أن تتموا الزواج بعدها، بأن تحول الخطبة من التعريض إلى التصريح، أو تبتوا فى أمر الزواج بتا قاطعا بمواعدة أو نحوها، إذ العاقل لا يستعجل أمرا قبل حلول وقته، وإنما الذى يسوغ لكم أن تتموا عقد الزواج بعد انتهاء العدة وبعد أن يكون جو الأحزان قد فتر وجفت حدته.

والنهى عن العزم على عقد النكاح نهى بالأولى عن إبرامه وتنفيذه، لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهى عنه كان الفعل أنهى، فهو كالنهى عن الاقتراب من حدود الله فى قوله:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾^(٦).

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد أباحت شيئين، ونهت عن شيئين: أباحت التعريض

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ٢ ص ٢٨.

(٦) سورة البقرة الآية (١٨٧).

(٣) تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٩٠.

(٥) تفسير الكشف ج ١ ص ٢٨٤.



وما تهجس به خطرات قلوبكم من مقاصد
واتجاهات، فاحذروا أن تقصدوا ما هو شر، أو
تفعلوا ما هو منكراً، واعلموا أنه - تعالى -
غفور لمن تاب وعمل صالحاً، حلیم لا يعاجل
الناس بالعقوبة، ولا يؤاخذهم إلا بما كسبوا.

فالجملۃ الکریمۃ تحذیر وتبشیر، وترغیب
وترهیب، لکی لا يتجاسر الناس على ارتکاب
ما نهى الله عنه، ولا يياسوا من رحمته متى
تابوا وأتابوا.

هذا، وقد أجمع العلماء على تحريم نکاح
المرأة فى عدتها، وإذا حدث مثل هذا النکاح
ودخل بها فرق بينهما وفسخ النکاح.

ويرى جمهور العلماء أنها تصیر محرمة
عليه تحريماً مؤبداً، ولا يحل له نکاحها
کذلك لأنه استحل ما لا يحل فعوقب
بحرمانه، کالقاتل يعاقب بحرمانه من ميراث
المقتول. وقيل: يفسخ النکاح ويفرق بينهما
فإذا انتهت العدة حلت له ولم يتأبد
التحريم. ولكل فريق أدلته المبسوطة فى كتب
الفقه.

وبذلك تكون الآية الکریمۃ قد أرشدت
الناس إلى ما يقره الشرع، ويرتضيه الخلق
الکریم، ونهتهم عما يتنافى مع تعالیم
الإسلام بأسلوب حکيم جمع بين الشدة
واللين، والخوف والرجاء، حتى يشوب
المخطئون إلى رشدهم ويقنعوا عن خطئهم.

بالخطبة للمرأة أثناء عدتها، كما أباحت إخفاء
هذه الرغبة فى الأنفس وحديثها بها. ويشهد
لذلك قوله - تعالى -:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾

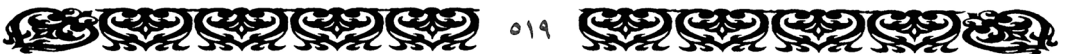
ونہت عن المواعدة سرا إلا أن يقولوا قولاً
معروفاً عن طريق التعريض، أو أن يسار الرجل
المرأة بالقول المعروف الذى أباحه الشرع
وارتضته العقول السليمة، والأخلاق
الفاضلة، بأن يعدها فى السر بالإحسان إليها
والاهتمام بشأنها والتكفل بمصالحها حتى
يصير ذكر هذه الأشياء الجميلة مؤكداً لذلك
التعريض. أما الشئ الثانى الذى نهت عنه
فهو العزم على عقدة النکاح قبل انقضاء
العدة. ويشهد لهذا قوله - تعالى -:

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَقْرَبُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾

وبعد هذه الأوامر والنواهي ختم الله - تعالى -
الآية بقوله:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

أى: اعلّموا أيها الناس أن الله - تعالى -
يعلم ما يجول فى نفوسكم من خير أو شر،



في الأصول القرآنية للتربية

للمستاذ الدكتور / مصطفى رجب

وسوف نتناول في السطور القادمة قضية تربية من منظور إسلامي بحث، هي قضية المسؤولية التربوية للآباء. وقبل أن نشرع في تناولها نشير إلى أن هناك عدة مسلمات في القضية هي:

١- أن الكتابات التربوية الحديثة - ذات المنطلقات الغربية المادية - تشير دائما إلى الدور التربوي للأسرة ولا تعلق المسؤولية التربوية في رقاب الآباء وحدهم، وهي في هذه النظرة تستند إلى واقع اجتماعي مغاير نسبيا لواقع المجتمعات المسلمة التي لا تخرج فيها المرأة للعمل إلا في أضيق الحدود وللضرورة. انطلاقا من التشريع القرآني الحكيم الذي أناط المسؤولية المادية عن الأسرة بالآباء في قوله - تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (٢).

٢- إن هذه النظرة الإسلامية للرجل بوصفه مصدر كسب الأسرة ومورد دخلها لا تعنى انتقاصا من قدر المرأة أو حطا من شأنها. فقد حفظ القرآن الحقوق المادية لطرفي الأسرة كاملة غير منقوصة إذ قال تعالى:

تستمد الدراسات التربوية العربية الحديثة مصطلحاتها وأكثر مفاهيمها ونظرياتها العلمية من الفكر التربوي الغربي، الذي نعلم جميعا أنه فكر مادي النشأة نفى الغاية. وقد هم فريق من الباحثين التربويين العرب المعاصرين بدراسة أصول التربية من منظور إسلامي إلا أن كثيرا من دراساتهم لم تحقق أهدافها، فهي تعبط ولا تفوص تدور ولا تعمق، توميء ولا تتلمس ومن ثم فقد غامت لديها الرؤى وسرعان ما تبخرت ولم يبق منها سوى النكري الطيبة والنيات الحسنة. وفي رأينا أي دراسة تربوية إسلامية تحتاج - لكي تحقق لها المصداقية - إلى قواعد منهجية علمية تنطلق من محورين:

الأول: هو القرآن الكريم ممثلا في دراسات المفسرين العميقة المؤصلة المتقاة من شوائب الإسرائيليات والموضوعات.

الثاني: السنة النبوية الصحيحة ممثلة في شروطها الأصلية المتقاة أيضا من الدخيل والمندسوس.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (٦).

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (٤).

وقال أيضاً:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ﴾ (٤).

سعى الآباء إلى الحصول على الولد

وقد توقف بعض العلماء أمام هذين الموقفين العجيبين: فهو يسأل ربه غلاماً، فلما جاءته البشارة بالغلام دُهِش وتعجب وتساءل عن الكيفية؟ فقال بعض العلماء: كان بين سؤاله وورود البشـرى أربعين سنة (٧) وقال بعضهم: بل تساءل عن الطريقة التي سيهبه الله بها الولد؟ هل يهبه إياه في حالة الشيخوخة أم سيرده إلى حالة الشباب ثم يهبه؟ فهو ليس تسأولاً على سبيل الاستبعاد أو الاستنكار وإنما هو تسأول التعجب المشوب بالفرح والسرور (٨).

إن حب الذرية مفطور في النفس الإنسانية فقد اقتضت حكمة الخالق - عز وجل - أن يجعل المال والبنين زينة الحياة وأن يجعل العلاقة الجنسية بين الزوجين هي وسيلة الحصول على البنين، فلا غرابة أن يكون تشريع الزواج هو المنبع الطبيعي للتكاثر البشري. وقد بين القرآن الكريم أن من شأن الإنسان دائماً أن يسعى للحصول على الولد. فقد قصّ علينا في سورة مريم كيف دعا نبي الله زكريا - عليه السلام - ربه:

وحتى لا يذهب الظن بعيداً فيتوقع القارىء الكريم أن زكريا - عليه السلام - حين دعا فقال:

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ إنما قصد أحداً من الناس فإننا نذكر القارىء بآيات سورة آل عمران التي جاءت صريحة في تأكيد دعوة زكريا - عليه السلام - إنما قصد بها الذرية فقد قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿١﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ مِنْ وِرَآئِي وَكَانَتْ أَمْرًا قِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٢﴾ يَرْتَفِئُ وَيَرْضَى مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٥).

فلما جاءته البشـرى أذهلته المفاجأة فتساءل متعجباً:

﴿هَٰذَا لَكَ دُعَاؤُكَ رَبَّيُّ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٩).

(٤) النساء (٣٢).

(٣) النساء (٧).

(٦) مريم (٨).

(٥) مريم (٤ : ٦).

(٧) بدر الدين بن جماعة «ت ٥٧٣٣» كشف المعاني في التشابه من المثاني، تحقيق د. عبدالجواد خلف، باكستان: جامعة الدراسات الإسلامية في كراتشي ١٩٩٠، ص ٢٤٦.

(٨) الرازي «محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ت ٥٦٦٦» غرائب أي التنزيل. ط ٢ تحقيق إبراهيم عطوة، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٥ م ص ٢١٠.

(٩) آل عمران (٣٨).



تعالى - أن يورث الإمامة لأبنائه من بعده . قال تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَبَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾

﴿ وَبَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿ (١٢) .

ومعلوم أن الإمامة التي نالها إبراهيم - عليه السلام - هي النبوة والشرف العظيم الذي اختصه الله تعالى به . قال الإمام الفخر الرازي :

« إن الله - تعالى - لما وعده بأن يجعله إماما للناس حق ذلك الوعد فيه إلى قيام الساعة، فإن أهل الأديان - على شدة اختلافها - يعظمون إبراهيم - عليه السلام - ويتشرفون بالانتساب إليه إما في النسب، وإما في الدين والشرعية . . وقال بعضهم : إنه تعالى أعلمه بأن في ذريته أنبياء فأراد أن يعلم هل يكون ذلك في كلهم أم بعضهم فأعلمه سبحانه وتعالى أن فيهم ظالما لا يصلح لذلك » (١٣) .

وقد تكرر هذا الطلب في القرآن الكريم على لسان إبراهيم وابنه اسماعيل - عليهما السلام - فقد دعوا الله - تعالى - أن ينعم على ذريتهما بنعمة الإسلام إحساساً منهما بأن هذه خير دعوة يدعو بها أب لأبنائه . قال تعالى على لسانهما معا :

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ (١٤)

قال الإمام القرطبي : « إنه لم يدع نبى إلا لنفسه

وقد ذكر القرآن الكريم في غير موضع أن الإنعام على الإنسان بالذرية الصالحة نعمة كبرى من النعم الجليلة، ومن ثم فقد امتن الله بها على إبراهيم - عليه السلام - فقال :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ (١٥) .

ومن الأدعية التي وردت في القرآن الكريم :

﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ (١٦) .

فطلب الذرية إذا فطرة فطر الله الرجال عليها، فالسعى إليها ليس غريبا على النفس الإنسانية لأن البنين والمال زينة الحياة الدنيا كما قال القرآن الكريم، وإحساس الإنسان بأن له أبناء كثيرين يشعره بالقوة والسيطرة لأنه يستعين بهم في قضاء حاجاته، ويشعر بأن عمره ممتد ببقائهم من بعده .

اهتمام الآباء بمستقبل أبنائهم

إذا وهب الله للإنسان الأبناء فإنه يجتهد في رعاية مصالحهم ويسعى لتوفير الحياة الكريمة لهم، ويرشدهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة ويسعد بهم إذا كانوا أقوياء، ويشفق عليهم إذا آنس منهم ضعفا .

وقد حكى القرآن الكريم مواقف كثيرة للأنبياء مع أبنائهم ظهرت فيها هذه المعاني الكريمة . مثل نبى الله إبراهيم - عليه السلام - الذى دعا الله -

(١٠) العنكبوت (٢٧) .

(١١) الأحقاف (١٥) .

(١٢) الفخر الرازي «محمد بن عمر ت ٦٠٤هـ» مفاتيح الغيب ج ٤ «٢م» ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م، ص ٤٤ .

(١٤) البقرة (١٢٨) .

(١٢) البقرة (١٢٤) .



عليهم أن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة» (١٧).

المسئولية التربوية للأباء

وإذا كان الآباء هم الذين يسعون إلى إنجاب الذرية ويجهدون في سبيل إسعادها، فإن مسئوليتهم عن تربية أبنائهم تصبح واجبا شرعيا عليهم القيام به ويمكننا من خلال نصوص القرآن الكريم - وحدها - أن نستنبط حدود تلك المسئولية ونجمله فيما يلي:

أولاً: النصح لهم:

وذلك ببيان طريق السعادة أمامهم ولفت انتباههم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة كما نرى في قوله تعالى:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِأَسْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاتِنَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٨).

وقد تكرر هذا الموقف في موضوع آخر ذكره القرآن الكريم على لسان إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - في الآية السابقة على الآية المذكورة قال تعالى:

ولأمته - إلا إبراهيم فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمته - لهذه الأمة. وحكى الطبري أنه أراد

بقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ العرب خاصة، قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن دعوته ظهرت في العرب وفيمن آمن من غيرهم (١٥).

مما سبق يتضح أن:

١- طلب الولد مشروع لكل أب لأنه بوجود الأولاد تصبح حياة الإنسان أكثر سعادة وبهجة.

٢- وأن من طبيعة الآباء أن يدعوا لأبنائهم بالخير ويؤثروهم بكل ما يرون فيه خيرا لهم في دنياهم وأخراهم.

وقد نص القرآن الكريم على أن الإنسان إذا خشى على أبنائه من بعده أن ينالهم ضيم أو يقطع عليهم ظلم فإن عليه أن يتقى الله حق تقاته وخصوصا في معاملته للأيتام من غيره فقال تعالى:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١٦)

قال الزمخشري - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «المراد بهم الأوصياء أمروا بأن يتقوا الله وأن يخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفا على ذريتهم لو تركوهم ضعافا، وشفقتهم

(١٥) القرطبي «محمد بن أحمد الأنصاري، ت ٦٧١هـ» الجامع لأحكام القرآن، ط ٣، ج ٢، «١م»، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ص ١٢٦.

(١٦) النساء (٩).

(١٧) راجع في اعتراض ابن عطية على الطبري:

- ابن عطية الأندلسي «عبدالحق بن غالب ت ٥٤٥هـ» المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي في فاس، ج ١ توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٩٩٢ ص ٣٥٩.

- الزمخشري «محمد بن عمر ت ٥٢٨هـ» الكشف عن حقائق التنزيل ج ١ بيروت: دار الفكر ١٩٧٧ م ص ٥٠٣ و ٥٠٤.

(١٨) البقرة (١٢٣).



﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٩).

ثانياً: تربيتهم على الفضائل:

من واجب الآباء أن ينشئوا أبناءهم تنشئة صالحة وذلك بتعويدهم على الاستقامة في السلوك، وبيان طرق الكسب الحلال أمامهم، وتطبيعهم بالطبائع الخيرة كما يظهر ذلك في وصية لقمان لابنه في القرآن الكريم قال تعالى على لسان لقمان:

﴿يٰبَنِيَّ أَقْرِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَمَّاكَ بِهِ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ (٧) وَلَا تُصْعِقْ ذَلِكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٠﴾.

ثالثاً: تعليمهم آداب السلوك:

إن الوظيفة التربوية للآباء تعليم الأبناء آداب السلوك الاجتماعي المقبول ويدل على ذلك قوله تعالى مخاطباً المؤمنين:

﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَفْزِنُوا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبِسُوا الْعِلْمَ وَالْجَاهَ لَمَنِ السُّعْيُ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ فِي الْمُنَافَقَةِ هُمُ السَّادُونَ فِيهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١) وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا ﴿٢٢﴾.

ويتصل بهذا أيضاً ما فصلته آيات القرآن الكريم مما يتعلق بإبداء الزينة بين المحارم، وتنظيم دخول وخروج الأفراد في الأسرة.

فإذا خرجنا خارج دائرة الأسرة وجدنا من واجب الآباء التربوي أن يعلموا أبناءهم صلة الرحم والاهتمام بذوى القربى والعطف على المساكين وأبناء السبيل ومن شابههم.

رابعاً: تعليمهم طرق الكسب الحلال:

والمستقرى لآيات القرآن الكريم يستطيع أن يستنبط من دلالاتها العامة أن على الآباء أن يرشدوا أبناءهم إلى الكسب الحلال حتى تكون لديهم ثروة يعفون بها أنفسهم عن الحرام ويعيشون بها عيشة راضية فقوله تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

وقوله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا أَحْضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢٣).

خامساً: رعاية مطالب النمو:

ومن المسئولية التربوية للآباء رعاية مطالب نمو الأبناء جسمياً ونفسياً واجتماعياً، وتهيئة ما يتطلبه ذلك النمو من حاجات واستعدادات نفهم ذلك من قوله تعالى:

﴿وَابْتَغُوا الْيُسْرَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (٢٤).

(٢١) النور (٥٨).

(٢٠) لقمان (١٧ - ١٨).

(١٩) البقرة (١٣٢).

(٢٣) النساء (٦).

(٢٢) البقرة (١٨٠).



العدل (*)



(**)

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري

إعداد الشيخ / على حارس عبد الرحيم

عن أبي هريرة، رضى الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل». رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح. ذكره الحافظ المنذرى.
يتعلق بشرح هذا الحديث أمور: (١) بيان معنى الحديث إجمالاً. (٢) بيان معنى العدل. (٣) آثار العدل بين الناس، وفضل من عدل.
(١) الغرض من هذا الحديث تحذير الرؤساء والأمراء من المظالم والاستهانة بالحقوق المنوطة بهم، والا كانوا من الظالمين الذين يستحقون العقوبات.

وقوله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلخ» ليس الغرض منه تحديد هذا العدد كما هو معروف من الأحاديث الأخرى؛ فقد وردت أحاديث صحيحة تدل على وجوب العدل مع كل مرءوس ولو كان واحداً: قال ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيتها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته». رواه البخارى ومسلم. فهذا الحديث صريح فى أن كل فرد من الأفراد مطالب بتحقيق العدل بنسبة ما يكلف به من الأعمال، سواء كان مع نفسه أو مع غيره ولو كان واحداً. وسيأتى فى تعريف معنى العدل بيان هذا. وإنما اقتصر الحديث الذى معنا على ذكر العشرة لأن هذا العدد كان أقل عدد يرأسه أمير غالباً عند العرب.

(*) من مختارات «مجلة الأزهر»، عدد شهر شعبان ١٣٥٩، المجلد الحادى عشر.

(**) عضو جماعة كبار العلماء.



(٢) أما معنى العدل فهو معروف بين الناس، وهو ضد الجور والظلم، ولكن علماء الأخلاق بحثوا في معنى العدل بحثاً دقيقاً، فقالوا: إنه صفة من صفات النفس الخلقية الفاضلة التي يترتب عليها أداء الحقوق المشروعة لمستحقيها كاملة، بحيث لا يظلم أحد في شيء من الأشياء التي أقرها له الدين وجعلها مقصورة عليه. وهذه الصفة الخلقية الفاضلة تظهر آثارها في ثلاث قوى نفسية: وهى القوة الشهوية، والقوة الغضبية، والقوة العقلية. ولهذا عرفوا العدل بأنه التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في هذه القوى، فمتى اعتدلت هذه القوى كان صاحبها عادلاً. مثال التوسط في الشهوات هو أن يقف معها عند الحد الذى أمره به الدين والعقل، فلا تحمله شهوته على الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وأنفسهم، ولا تذهب به إلى ما يضره في خلقه أو دينه أو بدنه؛ ولا تحمله على ما نهاه عنه الدين من حقد وحسد وغير ذلك. فمن توسط في هذه الشهوة سواء كانت شهوة جاه أو مال، أو منصب أو لذة من اللذات البدنية، واقتصر على ما هو مشروع منها، فقد ملك زمام العدل مع نفسه ومع الناس. أما إذا طغت عليه شهوته فحملته على الخروج عما أمره الله به، وزينت له الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وحقوقهم العامة أو الخاصة، فقد باء بأقبح الآثام وكان من الظالمين الطاغين. هذا هو نتيجة الإفراط في الشهوات، ويسمى عند علماء الأخلاق خلاعاً أو مجنوناً.

وأما الإفراط في ترك الشهوات الطبيعية التي خلقها الله - تعالى - لمصالح وحكم، كإهمال الجسم من الغذاء الحلال الضروري والنظافة وغيرهما، فإنه يترتب عليه

وقد ورد ما يدل على ذلك في الأحاديث الصحيحة: فمن ذلك ما روى البخارى معناه في حديث طعام أبى بكر الذى كان أعده لبعض فقراء أهل الصفة فأكلوا منه ولم ينقص شيئاً، فأخبر بذلك النبى ﷺ وكان عنده وفود من قبائل العرب، فأمر أبا بكر بإحضاره وقدمه لهؤلاء الوفود وأجلس عليه كل عشرة مع رئيسهم، فأكلوا جميعاً حتى شبعوا. وهكذا، فقد كان عدد العشرة هو أقل عدد يستحق أن يكون له رئيس.

أما قوله: «إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً» فمعناه أنه يؤتى به وهو مقيد بقيد من حديد فى عنقه أو فى يده. يقال: غله غلا بالضم، إذا وضع فى رقبته أو فى يده غلا من حديد.

وقد يقال إن هذا بظاهره ينافى الأحاديث التى تدل على أن الإمام العادل يكون محوطاً بعناية الله - تعالى - ومشمولاً برحمته من أول الأمر، فقد ورد أن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله» وأول هؤلاء السبعة الإمام العادل؛ فكيف يتفق هذا مع ظاهر هذا الحديث الذى يفيد أن كل أمير عشرة يؤتى به مغلول اليدين والعنق، وفى ذلك من الإهانة والتعذيب مالا يخفى؟.

والجواب: أن معنى الحديث تحذير الرؤساء والأمراء من الظلم، وحثهم على العدل. فالذى يؤتى به مغلولاً إنما هم الظالمون.

ومعنى «لا يفكه إلا العدل»: أن العادلين آمنون من هذه الإهانة، بل هم منعمون من أول أمرهم لأنهم متصفون بالعدل، ومادام العدل ملازماً لهم فهم منفكون عن كل ما يصيب الظالمين من جزاء. فالعدل وقاية لهم من كل ما يمس الظالمين من عقاب، ووسيلة للنعيم الخالد وحسن الجزاء.



وَأما ترك الغضب فإنه يترتب عليه الجبن وعدم المبالاة بالتعدى على الأعراض والأنفس والأموال، وذلك خروج عما يقتضيه العقل والدين .

ومثال التوسط فى القوة العقلية، هو أن يقف الإنسان مع عقله وتفكيره موقف المتدبر للأمور على ما هي عليه، التأمل فى أسرار الكون ونظمه وما جاءت به الشرائع الإلهية من حكم واعتقاد . فمن وقف مع عقله هذا الموقف كان متوسطا بين البلادة والغرور . ويشتمل ذلك على ثلاثة أمور: حكمة الاعتقاد، وحكمة العمل، وحكمة الأخلاق . فأما حكمة الاعتقاد، فأولها توحيد الله - تعالى - وتنزيهه عن كل مالا يليق به . وهذا متوسط بين ذيلتين: الأولى نفى الألوهية رأسا، أو اعتقاد إلهين أحدهما معطل كما تقول الثنوية . وأما حكمة العمل فهي أداء الواجبات بلا إفراط أو تفريط، وهذا متوسط بين ترك العمل رأسا، والمبالغة فيه، كما إذا ترك التمتع بما أباحه الله له من حلال طيب . وأما حكمة الأخلاق فهي كالجود المتوسط بين الإسراف والشح .

فهذا إيضاح ما ذكره علماء الأخلاق من الفلسفة فى تعريف العدل . وقد عرفت أن العدل معروف بين الناس؛ وأن كل إنسان يشعر بما يحق به من ظلم وإن تفاوتت مدارك الناس فى تقدير الظلم والعدل . فالرئيس الذى يتصرف فى دماء الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم العامة والخاصة، لا يجهل معنى العدل والظلم، وليس فى حاجة إلى معرفة هذه الدقائق . وإذا سألته لماذا يظلم هذا لا يعدم مبررا يبرر به ظلمه . ولكن الواقع أن العدل والظلم لا يخفيان على أحد، وأن الرئيس العادل أو الظالم لا يخفى أمرهما وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

السقم الذى يحول بين المرء وبين أداء وظيفته المطلوبة منه للمجتمع الإنسانى . ومثل ذلك إهمال شهوة الفرج وإماتتها، وهى مودعة فى النوع الإنسانى لغرض التناسل وتكثير سواد الأمة، وإعدادها للقيام بما هو مطلوب منها، إلى غير ذلك من المصالح العامة والخاصة التى تقتضيها الشهوات الطبيعية فى الإنسان . فمن أفرط فى شهوته كان ظلما، ومن فرط فيها كان جامدا، ومن توسط كان عادلا .

ومثال التوسط فى الغضب، هو أن يضبط نفسه ولا يطيع غضبه فى الخروج عما يقتضيه العقل والدين، فلا يغضب إلا إذا انتهكت الحرمات العامة أو الخاصة: بأن يتعدى أحد على دينه أو عرضه أو ماله أو نفسه، أو رأى منكرا من المنكرات التى نهى الله - تعالى - ورسوله عنها . فالغضب لذلك ممدوح، ولا بد منه لبقاء النوع الإنسانى . والتوسط فى الغضب يسمى شجاعة؛ والشجاعة وسط بين الجبن وبين التهور . ومن كان كذلك فإنه يملك نفسه ويصرفها عن إيذاء الناس وظلمهم، والتعدى على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ويحمله على إعطاء كل ذى حق حقه، ويدفع عن نفسه وعن دينه وعرضه عدوان الناس؛ وبذلك ينجو من عار الجبن، وعدم الغيرة على عرضه وماله ودينه .

أما الإفراط فى الغضب فإنه يترتب عليه أسوأ الآثار وأشنعها، فإن الذى يحمله غضبه على الخروج عن الدفاع عن هذه الأمور التى أمر الله بصيانتها والدفاع عنها، يكون ظلما لا محالة، لأنه لا يبالى بأن يؤذى الناس فى أموالهم وأعراضهم، بل وفى أنفسهم، تشفيا وانتقاما بدون مبرر، وذلك شر وبيل لا يقره الدين ولا العقل، ولا يرضاه الله ورسوله .





معه سوى ذلك فليرفعه إلى، فوالذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ! فوثب عمرو بن العاص أحد الأمراء فقال : يا أمير المؤمنين : أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فادب بعض رعيته إنك لمقصنه منه ؟ قال : إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ! وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم (الغياض جمع غيضة ، والغيضة مكان يجتمع فيه الماء ثم يقل فينبت فيه الشجر) . وكان - رضى الله عنه - يباشر أحوال رعيته بنفسه ليقوم بينهم العدل بقدر ما يستطيع . وكان يؤثر رعيته على نفسه وولده عند نزول الشدائد والإحزن .

وما نحن بقادرين على أن نذكر في هذا المقام ما كان عليه عمر - رضى الله عنه - من عدل شامل لجميع أفراد الرعية . ولكن كان من آثار هذا العدل أن قامت الدولة الإسلامية في عهده على أساس ثابت قد وضعه رسول الله ﷺ من قبل ، فقوى الإسلام في عهده ، وانهارت الدولتان اللتان كانتا تسودان العالم يومئذ ، وهما الفرس والرومان .

وبالجملة ، فالدين الإسلامي قد أمر المسلمين بإقامة العدل بينهم أمرا صريحا ، وهدد الظالمين تهديدا شديدا ، ولعنهم لعنا كبيرا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ ﴾ (١) .

والله يهدى المسلمين إلى سواء السبيل ؟

(٣) أما آثار العدل بين الناس ، فهي سعادة المجتمع ، وصلاح أفراده في كل شأن من شئونهم . فمتى عدل الرئيس القائم على مصالح جماعة من الناس ، وحارب العوامل التي تحول بينه وبين إقامة العدل ، فإنه يكون قد ظفر بالسعادة هو ورعيته التي يحوطها بدون نزاع . ولهذا كان قوام الدين الإسلامي في صدر الإسلام ، على رجاله الذين يقومون بالعدل ويتوخونه في كل صغيرة وكبيرة . فكان الرئيس منهم ينسى شخصه وولده وأعز شيء عليه في سبيل إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه . ولو شئنا أن نذكر أمثلة لذلك من عدل حكام المسلمين الأولين لطال بنا المقام كثيرا ؛ ولكن لا بأس من أن نورد شيئا من ذلك عسى أن يكون فيه عظة وعبرة للمسلمين الذين ينالون حظا من الرياسة .

فمن ذلك ما روى عن الحسن قال : « جئ إلى عمر - رضى الله عنه - بمال فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين ، فجاءت ، فقالت : يا أمير المؤمنين أنشدك حق أقربائك من هذا المال ، وقد أوصى الله بالأقربين . فقال : يا بنية : حق أقربائي في مالي ، وأما هذا فمال المسلمين ؛ غششت أباك ، ونصحت أقربائك ، قومي ! فقامت والله تجر ذيلها » .

ومن ذلك ما روى من أنه - رضى الله عنه - جمع عماله ، وجمع رؤساء القبائل معهم ، ثم قال لهم : « إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا وجوهكم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتكم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم ، ويحفظوا دماءكم وأعراضكم ، ويقسموا بينكم فيعكم ، فمن فعل



رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَبَابِهِ

لِلرَّسَّادِ / مُحَمَّدٍ حَسَنِ دَرَّازٍ

شب رسول الله ﷺ، والله - تعالى - يكلؤه ويحفظه من أقدار الجاهلية، لما يريد به من كرامته وبعثته، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم، حسبا، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، أكملهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، والسلوك الذي يندس الرجال. سموه «الأمين» لما جمع الله عز وجل فيه من الصفات الحميدة، كالعلم والصبر والعدل والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء. شهد له بذلك ألد أعدائه النضر بن الحارث حيث يقول: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا والله ما هو بساحر، قال ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم، حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه، ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان - قبل أن يسلم -: هل كنتم تنهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله - عز وجل -.

حتى أكرمنى الله - عز وجل - برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة، فأسمر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك، حتى جئت أول دار من مكة، أسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست لذلك، فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظنى إلا حر الشمس، ولم أقض شيئاً، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، مثل ذلك، وكان ﷺ لا يأكل ما ذبح على

حفظه الله - تعالى - فى صغره من كل أعمال الجاهلية التى جاء شرعه الشريف بضدها وبغضت إليه الأوثان بغضاً شديداً، حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عبادها، قال ﷺ: «لما نشأت بغضت إلى الأوثان، وبغض إلى الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، كل ذلك يحول الله - سبحانه وتعالى - بينى وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء بعدها،



يتزوجها، وكانت أوسط نساء قريش نسبا، وأعظمهن شرفا، وأكثرهن مالا، ذكر ذلك رسول الله ﷺ لأعمامه، فذهبوا معه إلى عمها عمرو بن أسد، فخطبها أبوطالب، وخطب فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم - عليه السلام -، وزرع إسماعيل - عليه السلام - وضئضى معد، وعنصر مضر، وجعلنا سدنة بيته، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا، وجعلنا حكام الناس، ثم إن ابن أخى هذا، محمد بن عبدالله، لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا، وإن كان فى المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، وعارية مستردة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل، وقد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم «السيدة» خديجة، وقد بذل لها من الصداق «كذا».

ومن مواقفه فى مكة قبل البعثة قصته مع «بحيرى» الراهب، فقد خرج أبوطالب فى ركب تاجرا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، صب به رسول الله ﷺ، فرق له، وقال: والله لأخرجن به معى، ولا يفارقتى، فخرج به معه، فلما نزل الركب «بصرى» من أرض الشام، وكان بها راهب فى صومعته، يقال له «بحيرى» وكان إليه علم النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون به، ولا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا قريبا من صومعته، صنع لهم طعاما كثيرا، وذلك لأنه رأى رسول الله ﷺ فى الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا

النصب، وحرّم شرب الخمر على نفسه، مع شيوع ذلك فى قومه شيوعا عظيما.

ولم يرث - صلوات الله وسلامه عليه - عن والده شيئا ذا بال، بل ولد يتيما عائلا، فاسترضع فى بنى سعد، ولما بلغ مبلغا يمكنه أن يعمل، كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع فى البادية ولما رجع إلى مكة كان يرعاها على قراريط لأهل مكة روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه -، قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت؟ قال: «كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة».

ولما شب ﷺ كان يتجر، وكان شريكه فى التجارة السائب بن أبى السائب، وكانت السيدة خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال فى تجارتها، وتضاربهم إياها، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج فى مالها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل مما كانت تعطى غيره من التجار، فخرج ﷺ فى مالها مع غلامها ميسرة وباع سلعته واشترى ما أراد، فلما قدم على خديجة بما لها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا، وكان ميسرة يقول: إذا كانت الهاجرة واشتد الحر تظله الغمامة.

لما لمست السيدة خديجة بركته ﷺ بعثت إليه: يا بن عم، إنى قد رغبت فىك لقرابتك، ووسطتك فى قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك. ثم عرضت عليه أن



عنه، فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عنده من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني قال له: ما هو بابنك، ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حامل به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فخرج به عمه أبوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهيمون بذلك ليسقفوها، ويهايون هدمها، وقد كانت رضما فوق القامة، فأرادوا تسقيفها، لأن نفرا سرقوا كنز الكعبة، وكان البحر قد رمى بسفينة رجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها وأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبضي نجار، فتهيا لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة كل يوم تتشرق على جدار الكعبة، وكانوا يهايونها، فبينما هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تفعل، بعث الله إليها طائرا فاخطفها فذهب بها فقالت قريش: إنا نلرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا، عندنا

فنزلوا في ظل شجرة قريبة منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتجمعت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فأمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم، فقال رجل منهم: والله يا بحيري إن لك لشأنا اليوم، ما كنت تصنع هذا لنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ قال بحيري: صدقت، فقد كان ما تقول، ولكنكم ضيوف، وقد أحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيري في القوم لم يجد الصفة التي يعرفها، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا: يا بحيري ما تخلف أحد ينبغي له أن يأتيك، إلا غلاما هو أحدث القوم سنا، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقام رجل فأحضر رسول الله ﷺ وأجلسه مع القوم، فجعل بحيري يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده، كان يجدها عنده من صفته، فلما فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيري فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه، فقال ﷺ: لا تسألني باللات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيري: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم أنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا، فقال أبو أمية بن المغيرة المخزومي وكان عامئذ أسن قريش كلها: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم، فرفضوا.

فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رآه قالوا: هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فبسط ثوبه، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، ثم اصطفى من كنانة قريشا، ثم اصطفى من قريش بنى هاشم، ثم اصطفانى من بنى هاشم^(١)، وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانية عشر ذراعا، وكانت تكسى القباطى، ثم كسيت البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف.

عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية، فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو الزهرى فتناول حجرا من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، ثم إن قريشا تجزأت الكعبة، فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم، وكان شق الحجر لبنى عبدالدار وبنى أسد وبنى عدى.

وهاب الناس هدمها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فى هدمها، فأخذ المعول، ثم قام عليها، وهو يقول: اللهم إنا لا نزع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله صنعنا، فهدمنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه، حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم - عليه السلام -، فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة، أخذ بعضها بعضا، فأدخل رجل من قريش عتله بين حجرين ليقع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس.



سماحة الإسلام

سماحة التشريع الإسلامي سر انتشاره

د. سنان الدكتور أحمد عمر هاشم

من أبرز سمات التشريع الإسلامي: سماحته ويسر أحكامه، فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تنفير، بل فيه اليسر والرحمة، والخير والتبشير. والذي يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها، وأوضح صورها ونماذجها في العقيدة والعبادة والمعاملة.

السماحة في العقيدة

فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جانحة ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومرة.

وليس في عقيدته إيمان بما جاء به البشر، بل إيمان بما أنزل الله على رسوله:

﴿أَمَّا الرَّسُولُ فَمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

وليس في عقيدته عصبية ممقوتة بل احترام لما أنزله الله وإيمان به، واحترام لجميع رسل الله - تعالى - وإيمان بهم دون تفريق بين أحد من رسله:

﴿كُلُّ عَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ لَا نَفَرٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (٢).

السماحة في العبادات

أما في العبادة: فهي عبادة ميسورة، في وسع كل إنسان أن يأتي بها، فلا صعوبة فيها، ولم يكلف الله - تعالى - عباده إلا بما هو في وسعهم:

﴿لَا يَكُفُّ لَكُمْ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٣).

وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٤).

(٤) سورة الحج (٧٨).

(٣) سورة البقرة (٢٨٦).

(٢، ١) سورة البقرة (٢٨٥).





السماحة في الوضوء والصلاة

فمن لم يستطيع الوضوء بالماء لتعب أو مرض أو جرح يمنعه من الماء، أو لأنه لم يجد الماء بل فقده، شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر:

﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ (٥).

وشرع الله الصلاة وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على القيام أن يصلي من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعود أن يؤديها مضطجعا ولغير القادر على أدائها مضطجعا أن يؤديها بإشارة رأسه، ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيه، ولغير القادر على ذلك.. يجرى أركان الصلاة على قلبه، ولا يتركها مادام عقله ثابتا، لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل التيسير ورفع الحرج، أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات السابقة؟ إنها الرحمة الإلهية:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٦)

السماحة في الصوم

فقد رخص الله - تعالى - للمريض والمسافر سفرا طويلا أن يفطر، ويقضى الصوم فى أيام أخرى قال تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فَدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ نَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧).

وكذلك رخص للحامل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام أخرى.

السماحة فى الحج

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة، بل أوجبه الله - تعالى - مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٨)

السماحة فى المعاملات

إذا نظرنا إلى سماحة الإسلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى، يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى » (٩).

وإقراراً لروح السماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، ينبئنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن ثمرة ذلك فى الآخرة، حيث يتجاوز الله - تعالى - عن عباده الذين يتجاوزون، ويتسامحون مع عباد الله، روى البخارى بسنده أن حذيفة - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ: « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئا؟ قال: كنت أمر فتيانى أن ينظروا الموسر، ويتجاوزوا عن المعسر. قال: فتجاوز الله عنه ». وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: « من أراد أن

(٧) سورة البقرة (١٨٤).

(٦) سورة البقرة (١٨٥).

(٥) سورة المائدة (٦).

(٩) رواه البخارى.

(٨) سورة آل عمران (٩٧).



تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر» (١٠).

سماحة الإسلام مع غير المسلمين

كما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات، فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١١)

بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ماداموا فى دار الإسلام، وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية، حماية لهم وتمكيناً لعبادتهم، حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة.

ولتنظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة» (١٢).

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه -: (أوصيكم بزمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم). وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال:

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ لَهُمْ﴾ (١٣)

وشرع الزواج بالمرأة الكتابية، ولا رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال تعالى:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (١٤).

ومما يدل على انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وبين رجل من أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على - رضى الله عنه - درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شريح قائلاً: إنها درعى ولم أبع ولم أهب. فسأل القاضى شريح الرجل الكتابى قائلاً: «ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟»

فقال الرجل: «ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب» فالتفت القاضى شريح إلى الإمام على - رضى الله عنه - يسأله:

«يا أمير المؤمنين هل من بينة؟» فضحك على وقال: «أصاب شريح ما لى بينة» فقضى بالدرع للرجل، وأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. أمير المؤمنين يديننى إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين. انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على - رضى الله عنه -: (أما إذ أسلمت فهى لك).

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى،

(١١) سورة الممتحنة (٨).

(١٢، ١٣) سورة المائدة (٥).

(١٠) أخرجه أحمد ٢/٢٣.

(١٢) رواه البيهقى.

ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يجلى هذه الحقيقة:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١٥) وأيضاً لا حرج فيه ولا مشقة:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١٦).

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(١٧)

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب، أموراً مطلوبة من المسلمين فى معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر فى دائرة التعاون والتضامن، فلا يسئ إحداهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد فى الوطن الواحد.

أُرساحة الإسلام

إن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم فى دين الله أفواجا، هو منهاجه الرابى، الذى أنزله رب العزة - سبحانه وتعالى - على رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - هذا المنهاج الذى أمر الله - تعالى - فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هى أحسن.

لا إكراه فى الدين

إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا قال الله - تعالى:

مع رجل من أهل الكتاب، ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعى، والبينة على المدعى واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة.. إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه، ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع، فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء.. وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. ويعترف ويقر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه - جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: (أما إذ أسلمت فهى لك).

إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته، حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هى التى قربت الإسلام إلى الناس، وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجا.

أما صور التعصب الممقوت التى يساء فيها إلى الإسلام، فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه.

(١٧) سورة البقرة (١٨٥).

(١٦) سورة الحج (٧٨).

(١٥) سورة البقرة (٢٥٦).

للإسلام فقال: «إنه ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، وقد أصبح أحب البلاد إلى، وما كان من وجه أبغض إلى من وجهك، وقد أصبح أحب الوجوه إلى، وما كان من دين أبغض إلى من دينك، وقد أصبح أحب الأديان إلى، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله» ودخل الإسلام بفضل سماحة النبي ﷺ.

من أجل هذا قاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح ففي الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية» (٢٢) ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب، بل إنه شمل حتى المشركين، فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، قال الله - تعالى -:

﴿وَأِنْ أَحَدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْنِغْهُ مَأْمِنُهُ﴾ (٢٣)

سيادة القانون

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو سبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: «ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى لعهد ذى عهدا، فلست منه وليس مني» (٢٤) وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن، وحتى لا تكون الحياة فوضى، فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان، حتى على الفاجر أو من كان معاهدا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله، ولسنا

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمِ الْبَاقِيَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٨)

وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (١٩)

وقال سبحانه لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون الذى ادعى الألوهية:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢٠).

وعندما خافا أن يبطش بهما، بين الله - تعالى - أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما فى دعوتهما، فالله - سبحانه - يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذى لا ينفر، فقال - تعالى - ردا عليهما -:

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى﴾ (٢١)

وقد ضرب رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه

- أروع الأمثلة فى التسامح، وكان لين الجانب، طيب المعاملة سمحا فى كل الأمور حتى مع أعدائه الذين حاربوه من قبل، كما حدث مع ثمامة بن أثال الذى عرض عليه الإسلام ثلاث مرات، وكان لا يقبل فى كل مرة، حتى أمر النبي ﷺ بإطلاق سراحه، فكان هذا العفو والتسامح سببا فى دخول الرجل فى الإسلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله... وأقر الرجل بما كان عليه قبل هذه المعاملة السمحة من قبل، من عداوة وكراهية

(٢٠) سورة طه (٤٤).

(١٩) سورة البقرة (٢٥٦).

(١٨) سورة النحل (١٢٥).

(٢٢) أخرجه أبو داود ٥١٢١، شرح السنة ١٢٢/٣.

(٢١) سورة طه (٤٦).

(٢٤) رواه مسلم.

(٢٣) سورة التوبة (٦).



وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمر
كلمته الماثورة: «متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحرارا».

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصرى الأمة من
المسلمين وغير المسلمين، ومن رسالة سيدنا عمر
ابن الخطاب - رضى الله عنه - إلى قاضى القضاة
أبى موسى الأشعرى قال له: (آس بين الناس فى
وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع
شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك)
فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين، حتى ولو كان
أحدهما غير مسلم، وقد روى أن يهوديا خاصم
سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - إلى
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى أمير
المؤمنين عليا - رضى الله عنه - بقوله: (قف يا أبا
الحسن، فبد الغضب على على - رضى الله عنه -
فقال له عمر - رضى الله عنه -: أكرهت أن نسوى
بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟ فقال
على - رضى الله عنه -: لا، ولكنى كرهت منك
أن عظمتنى فى الخطاب، فناديتنى بكنيتى، ولم
تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى).

وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب،
وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذى لا يقر
العصبية، ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين،
بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم.

وهذا المنهاج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان
الأخرى هو سر عظمة الإسلام، وسر ذيوعه
وانتشاره فى ربوع المعمورة.

مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر، وبمراتب مقاومة المنكر التى أخبر بها الرسول
ﷺ حين قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره
بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع
فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (٢٥).

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطى نفسه
الشرعية والحق فى ضرب الناس، أو إكراههم باسم
الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسيء إلى الإسلام
وإلى سماحته.

عدالة الإسلام

وقد عنى الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر
سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لهم
كفالة فى بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر
بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل - وهو شيخ كبير
ضرب - فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟
فقال: يهودى، فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال:
أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده إلى
منزله، وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال
فقال له: «أنظر هذا وأضرابه، فوالله ما أنصفناه أن
أكلنا شبيبته، ثم نخذه عند الهرم».

وما حدث فى تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل
الذمة، بل إن حدث أى تجاوز كان يعالجه الإسلام
فى الحال، فعندما شكأ إلى عمر أحد الأقباط ابن
والى مصر، عمرو بن العاص الذى لطم ابنه عندما
غلبه ابن القبطى فى السباق، وقال: أنا ابن
الأكرمين، أسرع عمر - رضى الله عنه - بإحضار
والى مصر وابنه وأعطى عمر الدرة لابن القبطى



إلى الرائد العظيم .. فهو وحده جهة الاختصاص فى إعادة الطمأنينة إلى القلوب ..

وقد ظهرت حكمة النساء فى أمرين:

أولاً: فى قرارهن ألا يذهبن جميعاً فيما يشبه المظاهرة التى تثور فيها الانفعالات .. فلا تستبين فيها وجهات النظر.

ثانياً: فى حسن اختيارهن لممثلتهن الشرعية .. والتى كان اختيارها دليلاً على حكمة من اختارها.

وذلك لما ظهر من حكمتهما التى بدت فى:

أ- حسن عرض القضية.

ب- القضية التى تطرحها مدعومة بأدلتها.

ج- وفوق ذلك كله فهى تسأل مسترشدة لا معاندة .. تسأل عن السبب فى تفضيل الرجال على النساء .. مع أن الجميع متساوٍ فى العقيدة .. والشرعية .. والنشأة.

فما سبب التفضيل؟

الرد الإلهى

ويجئ الرد الإلهى .. اعترافاً بالحوار كمبدأ وسبيل إلى الحق .. ثم بما يقضى على توتر الأعصاب .. بفصل الخطاب .. فقد نزلت الآية الكريمة:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

قال الرجال: نرجو أن نُفَضَّلَ على النساء فى الآخرة .. كما فُضِّلنا فى الميراث.

وقالت النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال .. فنحن أحوج .. لأن ضعفاءهم أقدر على طلب المعاش^(٤).

وهكذا بدأ الجدل مبكراً ومع بزوغ الإسلام حول حقوق كل من الرجل والمرأة. فكان هذا الحوار غير المباشر بين عنصرى الأمة .. والذى لم يتجاوز إحساس المرأة بحقوقها فى المغفرة جبراً لخطأها .. ثم طمع الرجال أن يكون التفضيل فى الميراث مقدمة للتفضيل فى الآخرة.

ثم صار الرجاء مسموعاً .. وعلانية .. عن طريق هذا الاستفسار من قبل أم المؤمنين .. أم سلمة - رضى الله عنها - التى تريد فيه توضيحاً أكثر لموقف المرأة .. مع التسليم سلفاً بحكم الله - تعالى -

ثم انتهى الأمر أخيراً ليكون همّاً اجتماعياً .. شغل النساء جميعاً حتى اجتمعن وقررن إرسال إحداهن إلى الرسول ﷺ .. فكان هذا الحوار الذى يعبر عنه هذا الحديث الشريف: فعلى أى نحو كان هذا الحوار؟ وكيف ارتفع إلى درجة كانت مثلاً لكل من أراد أن يتخذ إلى الحق سبيلاً؟ وإذا كانت الحكمة تقول:

اعرف فى أى طريق تسير .. لتعلم إلى أية غاية تصير .. فقد عرّفت النساء طريقهن ..

(٥) النساء (٣٢).

(٤) النيسابورى.



بل إنها واحدة من محررى العبيد ..
وعليها أن تعد كل مصة .. كل مرة ألقمت
وليدها ثديها .. لتدرك .. كم أحييت من
نفوس ؟
إنه شئ يسابق الخيال .. ويعجز عن تصويره
الخيال .

من دروس الموقف

قال المحققون : لا يجوز للإنسان أن يقول : اللهم
اعطني دارا مثل دار فلان .. وزوجة مثل زوجة
فلان .

وإن كان هذا غبطة لا حسدا .

بل ينبغي أن يقول : اللهم اعطني مايكون
صلاحاً لى .. فى دينى ودنياى
والأمر على مايقول تعالى :

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (٦)

أجل .. للرجال نصيب من نعيم الدنيا وثواب
الآخرة فينبغى أن يرضوا بما قسم الله لهم وكذا
للنساء .

فلا ينبغى إضاعته بالحسد المذموم، لأن
المقصود الأول لمدير العالم وخالقه هو :
الإحسان إلى عبيده . والجد إلىهم . وإفاضة
أنواع الكرم عليهم .. فمن تمنى زوال ذلك .. فكأنه
اعترض على الله - تعالى - فيما هو المقصود
بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين .

وما يزال الحوار مستمرا

ومع ذلك .. فقد كان من أمانة ممثلة النساء أن
تُصرَّح بكل مايعتمل فى صدرها .. وفاء للحق
أولا .. ثم لمن اخترنّها ثانياً ..
وهاهى ذى تقول :

وقد سبقنا الرجال بالجهاد .. فمآلنا ؟

الالتزام بالحق

لقد نزلت الآية الكريمة قبل ذلك ناهية عن
تمنى نفس ما للغير .. فاستسلمت المرأة لأمر
الله - تعالى .

فلما رأت فى الجهاد مايمكن أن يكون
سوقا للخير حُرِّمَ منه .. وضَّح لها الرسول
ﷺ حظ المرأة من الثواب إزاء ماكان
للرجل .. إلى الحد الذى لو رضيت فيه المرأة
بقدر الله - تعالى - لكان لها من الأجر مثل
ما للعايد .. المجاهد ..

لقد تصورت المرأة أنها تصادف فى حياتها
آلما لايعانيها الرجل، ومع ذلك فهى أقل منه
ثوابا ..

ولكنه ﷺ يكشف لها عن أمور لو عرفتها
النساء ماكان بهن من حاجة إلى مؤتمر .. ولا
إلى وافدة .. فهى فى حملها فى عبادة من
أشق العبادات : الصوم .. والقيام ..

وعندما يضربها الطلق .. فإن أجرها
عندئذ بغير حساب .. فهو فوق الحصر ..
وأجزل مما يتصوره البشر ..



التمن الزهيد.. والعائد المفيد

أجل .. إن الفضل لمن رضى .. ثم كان مع ذلك حَصِيْفاً .. يستطيع بقليل من حطام الدنيا أن ينال من الفضل ما الله به عليم:

شتم رجل عليا بن الحسين - رضى الله عنه - فرمى له بخميصة كانت عليه . وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جُمع له خَمس خصال محمود:

الحلم . وإسقاط الأذى . وتخليص الرجل مما يُبعده عن الله - تعالى - وحمله على الندم والتوبة . ورجوعه إلى المدح بعد الذم . اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير .

مجالات التنافس الحقيقية

وإذا كان المسلم يبحث عن سعادته .. فيم تكون .. فهذا حقه .. لكن واجبه أن يعي هذه الحقيقة:

أن مراتب السعادة إما نفسانية نظرية: كالذكاء . والحدس . وحصول المعارف والحقائق؛ أو عملية: كالأخلاق الفاضلة؛ وإما بدنية: كالصحة . والجمال . والعمر؛ وإما خارجية:

كحصول الأولاد النجباء . وكثرة العشائر والأصدقاء: والرياسة التامة . ونفاذ القول . وكونه محبوباً للخلق . حسن الذكر . مطاع الأمر .

فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله - تعالى - وبعضها مما يُظَن أنها كسبية .

وأيضاً: ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضاً على الله وَقَدْحاً في حكمته سبحانه (٧).

فالمفروض: أن يرضى المسلم ابتداءً بقضاء الله - تعالى - ولن يُرفع قضاء حتى يُرضى به أما بعد:

فهل بقيت أمنية النساء - كما قالت أم المؤمنين أم سلمة، هل بقيت كما هي؟

هل ما تزال النساء في شخصها يتمنين أن يكنَّ رجالاً؟!

الجواب:

بالعكس، فإن وفرة ثواب المرأة لثبوت رغبة الرجل في مثل ثوابها وحتى التي لا تحمل ولا تلد .. فإن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله .

والحقيقة التي تفرض نفسها بعد ذلك كله .. أنه لا مساواة .. ليست هناك في الإسلام قضية بين الرجل والمرأة تحمل هذا المصطلح .

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

ومن المساواة .. ألا تكون مساواة .. وأن تبقى العين عينا .. والأذن أذنًا ..

ولافضل لإحداهما على الأخرى .. ولكن الفضل لمن رضى .. ثم أدى الذي عليه في موقعه .. وعندئذ .. سوف تحلّق الأمة بجناحين في جو السماء .



ذُخِرَ يرفع . ولا قصرَ بينى . ولا غرسَ يجنى .
وإنما فخرها : عدو يُغلب . وثناءٌ يجلب ..
وجُزُرُ تنحر . وحديث يذكر . وجود على
الفاقة . وسماحة بقدر الطاقة » .
فلقد ذهب الذهب .. وفنى النشب .
وتمزقت الأثواب . وهلكت الخيل العُراب ..
وكل الذى فوق التراب تراب .
وبقيت المحاسن تُروى وتنقل . والأعراض
تجلى وتصل .

فانتعلم صناعة الحب

إن الإسلام العظيم حريص على تنقية
القلوب من أوشابها .. مانع من أن يكون
المسلم باخعا نفسه ليحصل على ما يشتهى ،
فمجال التنافس واسع .. وساحة السباق
مفتوحة والمهم أن تبدأ فى سعيك .. إلى
أملك .. شريطة أن تُفرِّغ القلب من سلبية
الحسد .. ويستوى فى ذلك أن وصلت .. أم
لم تصل إن استطعت فكن عالما
فإن لم تستطع .. فكن متعلما .
فإن لم تستطع فأحب العلماء .
فإن لم يطاوعك قلبك .. فلا أقل من
أضعف الإيمان : ألا تُبغضهم !!
وهكذا .. يدعوك الإسلام لتصعد إلى
القمة .. التى تتسع للجميع
فإن لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى
ماتستطيع .

وبالحقيقة : كلها عطاء منه تعالى . هذا
ماقاله النيسابوى - رحمه الله - ولكنه يعلل
هذه النتيجة الأخيرة بما نلخصه فيما يلى :
فعندما يخطر ببالك مشروع ما ، فلكى
تنجز هذا المشروع .. لا بد من تيسر أسباب
حصوله ..
ثم تنحية العوائق من طريقه ، والذى هيا
لك الأسباب .. ونحى من طريقك المعاطب ..
هو الله - سبحانه وتعالى .

وقبل ذلك .. فهو - سبحانه - الذى
أقدرك على الاختيار بترجيح داع على داع .
فالأمر والخلق له - سبحانه - وتعالى .
لكن دور الإنسان هو السعى الدءوب فى إطار
هذه الدائرة .. سعيا يبتغى به حسن العاقبة .
وذلك قوله تعالى :

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٨) .

الطبيعة العريضة

وحتى إذا لم يكن تدين .. فإن العربى
بفطرته مشغول بأهداف أكبر من مظاهر
الدنيا .. حتى لا تكون معركته من أجل لقمة
الخبز .. وكفى ..
وهو ماينبغى أن يسارع إليه .. مدفوعا
بعقيدته ، وبفطرته . يقول لسان الدين
الخطيب :
« العرب لم تفتخر قط بذهاب يُجمع ، ولا



اغتيال إسلامية فياسوف؟! (٤ من ٥)؛

التأويل الرشدي : عربي؟ أم غربي؟!

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

ليس هناك مذهب إسلامي - في الأصول أو في الفروع.. في الفقه أو في الفلسفة وعلم الكلام - لم يقل أعلامه وعلماءه بالتأويل، على نحو من أنحاء التأويل.. وفي عدد من النصوص - القرآنية، والنبوية - وفي بعض القضايا والمشكلات.

وبعبارة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م].

- الذي بلغ في التعقيد والتنظير للتأويل، وفي التفصيل لمراتبه ودرجاته ما لم يبلغه أبو الوليد ابن رشد - والذي كان ابن رشد نفسه مقتدياً به في مبحث التأويل - على عكس ما يظن الكثيرون! بعبارة الغزالي، فإنه « مامن فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطرب إلى » التأويل « فالحنبلي مضطرب إليه وقائل به.. وكذلك الأشعري والمعتزلي » على تفاوت بينهم في الاقتصاد والتوسط والتوغل في مواضعه^(١).. ومع اتفاق الفرق على الدرجات الخمس في التأويل: الوجود الذاتي.. والوجود الحسي.. والوجود الخيالي.. والوجود العقلي.. والوجود الشبهي.. « واتفاقهم » أيضاً على أن جواز ذلك التأويل موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر^(١).

وعلى مذهب الغزالي هذا - الذي جعل
التأويل « جائزاً » عند « قيام البرهان على استحالة
الظاهر ».. أى في بعض المواضع، لا في كل
الأمر - سار ابن رشد.. فاستشهد على أنه
« لا يقطع بكفر خرق الإجماع في التأويل » إذا
كان الإجماع ظنياً، بآراء الغزالي وإمام الحرمين

(١) [يفصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص ٩-١١. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧ م.

- الجسوينى - [٤١٩ - ٤٧٨ هـ - ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م].. وأشار إلى سبق الغزالي إلى تحديد مراتب التأويل.. (٢) ونبه على أن للتأويل العربى أى فى اللغة العربية - ضوابط حددتها هذه اللغة، فهو لايجوز إلا فى المواطن التى تتوفر فيها للنص هذه الضوابط اللغوية، وذلك عندما قال: «ومعنى التأويل: هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز، من تسمية الشيء بشيئيه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عدت فى تعريف أصناف الكلام المجازى» (٣).

كما نبه ابن رشد على الإجماع الإسلامى على أن التأويل جائز فى بعض نصوص الشرع، فلقد «أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل» (٤).. فما ثبت فيه «الإجماع بطريق يقينى لم يصح» فيه التأويل (٥).

كما نبه على وجود شواهد فى النصوص تعين مواطن التأويل ومواضعه.. فكان «ظاهر الشرع» هو سبيل من سبل التحديد لمواطن «التأويل» لأنه مامن منطوق به فى الشرع، مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان إلا إذا اعتبر وتصفحت سائر أجزائه، وُجد فى ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل، أو يقارب أو يشهد (٦).

وخلص إلى أن المقصد من التأويل القائم «على قانون التأويل العربى» هو «الجمع بين المعقول والمنقول» (٧).

وليس إحلال المعقول محل المنقول:
هكذا أعلن ابن رشد التزامه بالمذهب الاسلامى فى التأويل:

أ- التأويل «جائز»..

ب- فى المواطن التى يقوم فيها البرهان على استحالة الظاهر..

ج- وبشرط تحقق شروط اللغة العربية فى المجاز - الذى تخرج فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها..

د- وفيما لم يثبت فيه إجماع يقينى على أن المراد هو ظاهر الألفاظ..

هـ- وبترشيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل فى بعضها.

و- ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول - لا المقابلة بينهما، والانحياز لأحدهما، تجاوز للآخر أو نفيا له ومع كل هذه الضوابط التى أحاط بها ابن رشد قضية التأويل.. رأينا أنه يؤكد على أن هذا التأويل هو حق للخاصة من الراسخين فى العلم، لا يُصرح به للعامة، ولا يُثبَت فى الكتب الجمهورية - حتى ولو كان تأويلا صحيحا، مستجمعا لشروط التأويل وضوابطه «فهذا التأويل ليس ينبغى أن يصرح به لأهل الجدل، فضلا عن

(٢) المصدر السابق. ص ٣٢.

(٥) المصدر السابق. ص ٣٢.

(٧) المصدر السابق. ص ٣٢.

(٢) [فصل المقال] ص ٣٤، ٣٥، ٤٦.

(٤) المصدر السابق. ص ٣٢.

(٦) المصدر السابق. ص ٣٢.



الجمهور، ومتى صُرح بشئ من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها.. أفضى ذلك بالمُصرِّح له والمُصرِّح إلى الكفر.. فليس يجب أن تُثبَّت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة.. وأما المُصرِّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر^(٨).

ولقد حدثنا ابن رشد عن أن تشدده هذا في ضرورة «الاقتصاد في التأويل».. وفي جعله «موقفا ذهنيا خاصا لا يصرح به المتأول»، إنما كان مذهب الصدر الأول للإسلام والمسلمين، وأن التخلي عنه قد أصبح بدعة أدت إلى اضطراب أمر الأمة، وإشاعة الفرقة والتكفير وفي صفوفها.. فقال:

«إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل - (التي ثبتت في الكتاب العزيز) - دون تأويلات فيها، ومن كان منهم وقف على تأويل لم ير أن يصرح به.

وأما من أتى بعدهم، فإنهم لما استعملوا التأويل قلَّ تقواهم، وكثر اختلافهم، وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا. فيجب على من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة، أن يعمد إلى الكتاب العزيز، فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شئ مما كلفنا اعتقاده، ويجتهد في نظره إلى ظاهرها ما أمكنه من غير أن يتأول من ذلك شيئا، إلا إذا كان التأويل ظاهرا بنفسه، أعنى ظهورا مشتركا

الجمهور، ومتى صُرح بشئ من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها.. أفضى ذلك بالمُصرِّح له والمُصرِّح إلى الكفر.. فليس يجب أن تُثبَّت التأويلات الصحيحة في الكتب الجمهورية، فضلا عن الفاسدة.. وأما المُصرِّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر^(٨).

إذن فإقامة الثقافة العامة، والفكر الجمهوري، وتأسيس النهضة الحضارية على التأويل - كما حدث في التنوير الأوروبي، والنهضة الغربية - هو - في رأى ابن رشد - كفر من المتأولين أصابوا به من أشاعوا فيهم هذا التأويل؟!..

وفيما يتعلق بعالم الغيب ومبادئ الشريعة، وكل ما لا يستطيع العقل الاستقلال بإدراك كنهه، أوجب ابن رشد أخذه على ظاهره، دون تأويل، لأن هذه المواطن، عنده، مما تُعَلَّم بنفسها، بالطرق الثلاث للتصديق: الخطابية.. والجدلية.. والبرهانية.. ولذلك «لم نحتج أن نضرب له أمثالا، وكان على ظاهرة، لا يتطرق إليه تأويل. وهذا النحو من الظاهر إن كان في الأصول فالتأويل له كافر، مثل من يعتقد أنه لا سعادة أخروية ها هنا ولا شقاء، وأنه قصد بهذا القول أن يسلم الناس بعضهم من بعض في أبدانهم وحواسهم، وأنها حيلة، وأنه لا غاية للإنسان إلا وجوده المحسوس فقط.. إن ها هنا ظاهرا من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله في المبادئ فهو كفر، وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة..»^(٩).
ففي هذا النص يقطع ابن رشد بكفر تأويل

(٨) المصدر السابق. ص ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢. وانظر كذلك ص ٥١. و[مناهج الأدلة] ص ٢٤٤، ٢٤٥.

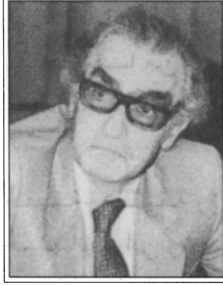
(٩) المصدر السابق. ص ٦٥.

(٩) المصدر السابق. ص ٤٧، ٤٨.

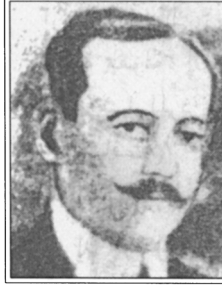




زكى نجيب



مراد وهبه



فرح انطوان

للجميع...»^(١٠).. ذلك أنه «لما تسلط على التأويل فى هذه الشريعة من لم تتميز له هذه المواضع، ولا تميز له الصنف من الناس الذى يجوز التأويل فى حقهم، اضطرب الأمر فيها،

وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضاً، وهذا كله جهل بمقصد الشرع، وتعدّ عليه»^(١١).

ذلك هو مذهب ابن رشد فى التأويل - وهو مذهب أكثر محافظة من مذهب الغزالي فيه - على عكس ما يظن كثيرون من الذين يقابلون بين الرجلين دون فقه لجمال إبداعهما فى هذا الموضوع -؟! ^(١٢)

ولقد أدرك حقيقة هذا المذهب الرشدي - فى التأويل - الدكتور زكى نجيب محمود، فقال «إن ابن رشد يريد أن يضيق حدود التأويل بحيث لا نلجأ إليه إلا فيما لا حيلة لنا أمامه إلا أن نؤول ظاهر الشريعة فيه. وحتى فى هذه المجالات الضرورية سنجد فى ظاهر الشريعة مواضع أخرى تؤيد تأويلنا»^(١٣).

لكن الذين أرادوا «التستر» بابن رشد لإيهام الأمة المسلمة أن تأويل فيلسوفها المسلم هو ذاته تأويل فلاسفة التنوير الغربى، قد قفزوا على حقائق وضوابط هذا المذهب الرشدي.. فادعى فرح انطوان: «إن «التأويل الذى لجأ إليه ابن رشد.. باب واسع يسع كل الآراء والتعاليم»^(١٤).. وانتقد الدكتور مراد وهبة رأى زكى نجيب محمود، قائلاً: «إنه يطمس ملامح التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن، فيقضى على مقولة التأويل»^(١٥).. وادعى ما ترفضه نصوص ابن رشد - التى سبق وأوردنا طرفاً منها.. ادعى أن ابن رشد - على عكس الغزالي - قد «أوجب التأويل فى كل الأمور»^(١٦).. فوقف - مراد وهبة - مع فرح انطوان بعيداً عن فقه

(١١) [مناهج الأدلة] ص ٢٤٩.

(١٢) نرجو أن نوفق لدراسة مقارنة بينهما فى هذا البحث، تبديداً لوهم «عقلانية ابن رشد» و«لا عقلانية الغزالي»!

(١٣) أعمال مهرجان ابن رشد - الجزائر سنة ١٩٧٨م.. انظر [مدخل إلى التنوير] ص ١٢.

(١٤) [فلسفة ابن رشد] ص ٦٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(١٥) [مدخل إلى التنوير] ص ١٢.

(١٦) المرجع السابق. ص ١٥١.



آراء ابن رشد والغزالي في التأويل، لأنهما - وهبة.. وأنطون - قد انطلقا من تراث «الرشديين اللاتين» لا من إبداعات الغزالي وابن رشد!..

ويشهد على تلك الحقيقة - حقيقة رؤية «الرشديين اللاتين» بحسبانهم ابن رشد - تلك الأخطاء التي وقع فيها أستاذ الفلسفة الدكتور مراد وهبة - والتي يستغرب وقوعها من طالب فلسفة - من مثل قوله: «إن الغزالي يدخل من بين العوامل الأساسية في تفسير محنة ابن رشد المتجسدة في محاكمته ونفيه وحرق مؤلفاته»^(١٧).

فابن رشد لم يحاكم.. ومحنته كانت لأسباب سياسية، غلفت بأغلفة فكرية.. ثم، كيف يكون الغزالي من عوامل محنة ابن رشد وإحراق مؤلفاته.. وهو - الغزالي - كان مضطهدا في المغرب والأندلس - حيث عاش وامتحن ابن رشد - وكتبه قد أحرقت هناك، وظل فكره ممنوعا لسنوات أطول بكثير جدا من سنوات محنة أبي الوليد!

وإذا كان ابن رشد قد أفرد كتابه المنهجي (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) لإثبات المؤاخاة بين العقل والنقل.. بين الفلسفة والشرع، اعتمادا على التأويل، الذي سار فيه على القواعد التي

أرساها الغزالي.. فمن أين أتى الدكتور مراد وهبة بمقولة: إن (فصل المقال) كتاب «كرسه ابن رشد للرد على الغزالي» مثل: (تهافت التهافت)^(١٨).. مما يوحى بغربة الرجل عن هذا التراث الذي يشير إلى عناوين كتبه!..

إن الرجل.. عندما كتب قصة الفلسفة - قد اختزل إبداع أمتنا، في سياق التراث الفلسفي الإنساني، بأقل من سطرين!..

وهو فيما كتبه أخيرا عن ابن رشد كانت عينه على مقولة يريد أن يروج لها، وهي «أن مفهوم ابن رشد عن التأويل قد أحدث تأثيرا في بزوغ حركتين فلسفيتين في أوروبا، هما الهرمنيوطيقا - (علم التأويل) والتنوير»^(١٩).. وذلك ليجعل من تأويل ابن رشد «التأويل التنويري الوضعي»، الذي ينصب على وجود الله، وعالم الغيب، والنبوت، ومبادئ الشريعة.. والذي يهدف إلى إحلال «الدين الطبيعي» محل «الدين الإلهي».. والذي يلغى «المنقول» لحساب «المعقول».. وصولا إلى إحلال النموذج الغربي في التقدم والنهوض محل النموذج الإسلامي في النهضة والإصلاح!..

وهي مقاصد تقطع الطريق عليها إبداعات ابن رشد، التي أشرنا إلى طرف منها في هذه الصفحات!..

(١٨) المرجع السابق. ص ١٤٥.

(١٧) المرجع السابق. ص ١٤٥.

(١٩) المرجع السابق. ص ١٢٨.



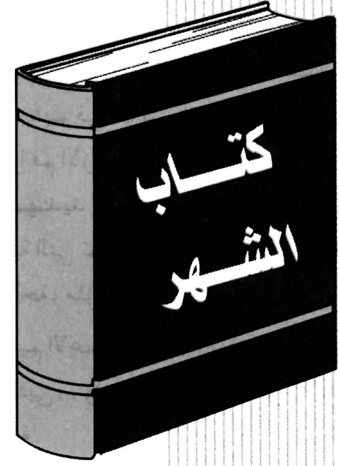


حوار حول رواية

وليمة لأعشاب البحر

للككتور

السيد أحمد فرج



عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



تحويل المعركة لإرهاب الأزهر

وقد لاحظ الدكتور في أثناء حوارهِ أن مثقفى وزارة الثقافة التنويريين لما جوبهوا بهذا الإيضاح الحاسم لاذوا بالفرار من ميدان الحوار الباحث عن الحقيقة، ولجأوا إلى سلاح الإرهاب والتزييف المضلل، أملا منهم فى أن يُسكتوا بذلك صوت الحق، ويكمنوا فم الأزهرين؛ فعلا صراخهم -وليس حوارهم- بالتهديد والوعيد، المنطلق من فرض المعايير النقدية التى توافق أهواءهم، وتستلزم إبعاد غيرهم من الساحة، مثل زعمهم:

١- أن تقييم الأعمال الأدبية يجب أن يتم من خلال منهج أدبى .. وليس من خلال مؤسسات سياسية أو دينية.

٢- أنه لا يجوز قراءة جزء من الرواية، منفصلاً عن السياق العام.

٣- أن هذا المنهج فى التعامل مع الإبداع الأدبى له عواقب بعيدة المدى.

ولم يكتفوا بإصدار تلك الصكوك العامة، ولكنهم أتبعوها باتهامات صريحة، فزعموا -فى صحيفة (أخبار الأدب) ٢١/٥/٢٠٠٠ بأن الأزهرين لا علاقة لهم بالإبداع الأدبى؛ فهم فى زعمهم- لا يستطيعون قراءة الإبداع الأدبى، ولا تذوقه ونقده. وزعموا: أن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب قد ساهم فى إشعال المظاهرات، وذلك بإعلانه رأى اللجنة الدينية. ثم زعموا: أن الحكومة وجدت فى هذه الزوبعة فرصة لتشغل الناس عن فشلها الاقتصادى، وفشلها فى علاج أزمة السيولة، وما خلفته من مشكلات. وفرصة كذلك لتتخلص من حزب العمل

مع حيدة الدكتور السيد أحمد فرج -فى حوارهِ هذا- وقفنا على عدة أمور، أهمها:

١- هوية كاتب الرواية، ومدى وقوعه فريسة الفكر الماركسى الذى انطلق الكاتب به يسخر من جميع الثورات العربية، لأنها لم تكن ماركسية المنزع، ويسخر من المعالجات الإسلامية للفقر بفريضة الزكاة؛ لتعارض ذلك مع المعالجة الماركسية، ويرحب بالسلوك الانحلالي، ويبرز مفرداته بالتفصيل المثير.

٢- عبثية الرواية، بما تطالب به من تدمير كل شىء، ورفض مطلق لجميع الأوضاع العربية الراهنة وإدانة لها، وبما تدعو إليه من رفض للتقيم الأخلاقية والاجتماعية، والعقائدية السائدة بين أمتنا.

٣- وقوع الكاتب فريسة الأسلوب التقريرى، الذى بدا -أولاً- فى حرصه على دعوة العقل العربى إلى اعتناق الأفكار اللينينية بما لها - فى نفسه- من قداسة، وسلطة كهنوتية. والذى بدا -ثانياً- فى ازدراء العقائد الدينية والأخلاقيات العربية والإسلامية. والذى بدا -ثالثاً- فى الإعلان عن جهله بالتقيم الكاثوليكية؛ إذ توهم أنها تحض على الدير والشذوذ.

٤- نهوض مثقفى وزارة الثقافة لمؤازرة الكاتب، والدفاع عنه، والترحيب بروايته، والتهجم الوقح على كل من تصدى للرواية وكشف عوارها، خصوصاً الأزهر الشريف ومؤسساته الذى أدانهم إسلامياً وقانونياً، وكشف خروجهم على مقتضى القانون، وتبديدهم المال العام فى أمور تعارضها الأمة، ويرفضها دينها.

معالمها، وكشف نواياهم السيئة ومقاصدهم الانحلالية المتفلتة من أوامر الخلق، المتجاهلة قيم الإسلام؛ فوضح كثيراً من الحقائق المهمة التي أرادوا طمس معالمها، والتخلص منها.. ومن أبرزها دور الأزهر. ومكانة الأزهريين، ومحاولتهم اتهام الأزهر بتجاوز حدوده، فقال:

١- إن الأزهر لم يتجاوز حدوده بأية صورة من الصور؛ إذ لم يفرض نفسه على الموضوع ابتداءً، ولكن المؤسسات الرسمية في الدولة هي التي طلبت رأيه، وبيان ما اشتملت عليه الرواية من مخالفات شرعية، كما جاء في كتاب مباحث أمن الدولة، وكتاب مجلس الشعب.

ولو أن الأزهر لم يلب تلك الطلبات لكان قد تجاوز حدوده وأهمل واجباته تجاه الدولة، وتجاه الأمة.

فالحقيقة المطموسة هي أن وزارة الثقافة هي التي تجاوزت حدودها، حين نشرت مثل هذه الرواية، دون استطلاع رأي الأزهر أو مجمع البحوث مخالفة مقتضى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١، بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها ولائحته التنفيذية؛ ومخالفة القوانين المتصلة بحماية حق المؤلف، وتنظيم وزارة الثقافة، ومخالفة ما قرره الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة.

٢- إن قيام الأزهر بأداء واجبه لا يشبه من قريب، ولا من بعيد ما كانت عليه الكنيسة الأوروبية في القرن الثامن عشر من هيمنة كهنوتية؛ فالفارق شاسع واضح بين هذا وذاك؛ لأن الأزهر -بجميع مؤسساته- يرفض الكهنوت، إذ الإسلام لا يعرف الكهنوت، ولا سيطرة الإنسان باسم الإسلام على إنسان آخر.

الذى لا يكف عن إثارة الشغب في جريدته؛ فحركت الحكومة -بزعيم هؤلاء المثقفين- جناحها الديني بكامل هيئته المتمثلة في شيخ الأزهر، وجامعته، ومجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الشئون الدينية، والفقهاء الجاهزين بفتاوى تحت الطلب.

بل إن مثقفي وزارة الثقافة اشتطوا في تناولهم على الأزهر خاصة، فشحنوا كتاباتهم بعبارات وألفاظ تجافي الحقيقة، ولا تعرف الآداب العامة، وقاموا بشن حملة شعواء، تدعو إلى التخلص من الأزهر، كما تخلصت أوروبا في القرن الثامن عشر من الكنيسة.. ومن هنا توالى على الأزهر مقالات السب والازدراء؛ زاعمين: أن الأزهر وعلماءه يزحفون بالأمة الإسلامية إلى الخلف، نحو عصور الجهل والظلام.

الحقيقة التي أرادوا طمسها

وأطال الدكتور في استعراض ترهات مثقفي وزارة الثقافة وأباطيلهم التي عملوا على إلباسها ثوب الحقيقة، وسخروا -في نشرها- الصحف القومية، وغيرها؛ أملاً منهم في أن يحقق لهم ارتفاع الصوت بالباطيل والبذاءات ما تصبو إليه أفئدتهم، من هدم الأزهر، وطمس معالمه.

ثم أخذ يحاور هؤلاء سالكاً في حوارهم معهم أسلوب الحوار الجماعي تارة، وأسلوب الحوار الفردي تارة أخرى، معتمداً في حوارهم على عرض المزمع الجماعي أو الفردي بما تضمنه من تهافت وسخف وانحطاط في التفكير والتعبير، ينم عن انحطاط في الأخلاق والسلوك. ومن هنا.. أخذ في مناقشة هذا المزمع وتفنيد تفنيده أثراً مرة، وهادئاً مرات، واضعاً صوب عينيه الوصول إلى الحقيقة وتجليتها، وإبراز



٣- إن المؤسسات التعليمية بالأزهر تعنى بالفنون والآداب وغير ذلك من شعب الثقافة، منذ أصبح مؤسسة تعليمية، وقد تطورت عنايته بذلك فى كل عصر، وفق متطلباته، فكان هو المنارة التثقيفية البارزة فى العالم العربى والإسلامى على امتداد تاريخه. وجميع من تتلمذ عليهم هؤلاء الزاعمون إن هم -فى الحقيقة- إلا من ثمار الأزهر. وفروعه الجامعية من كليات اللغة العربية، وكليات الدراسات العربية والإسلامية وغيرها من الكليات والمعاهد التى تعنى بدراسة الآداب والفنون فى شتى صورها؛ فليس علماءه غرباء على الأدب الروائى إبداعاً ونقداً، كما زعم مثقفو وزارة الثقافة. والواقع الماثل -بما يضمه من مبدعين ونقاد أزهريين- خير شاهد على ذلك.

٤- إن اتهام الأزهر بالاسترابة المسبوقة إزاء الأعمال الإبداعية أحد أسلحة الإرهاب الثقافى الذى تمارسه وزارة الثقافة، منذ سيطر عليها الملحدون والماركسيون من أدعياء الأدب والفن. ولا أدل على ذلك من الوضوح الكاشف فى البيان الصادر من مجمع البحوث الإسلامية وغيره من البيانات؛ فلم يؤثر عن علماء الأزهر تحريم حلال، ولا تحليل محرم، وإنما هم يلتزمون بالتعريف بالحكم الشرعى فيما يطلب منهم إبداء الرأى فيه.

٥- إن الزعم أن الأزهر يقبل طلابه بأدنى المجاميع ما أبعد المتخرجين فيه عن الإبداع وأضعف ثقافتهم.. هذا الزعم باطل من كل وجه؛ فالحقيقة أن الكليات غير الأزهرية المعنية بالأدب والفن -والتي تخرج فيها هؤلاء الزاعمون- هى التى تقبل طلاباً فى أدنى قائمة المجاميع وفقاً لقانون العرض والطلب، وليس كليات اللغة العربية والدراسات العربية والإسلامية، فما زالت تلك هى كليات القمة فى جامعة الأزهر، ولم يصبها

بعد ما أصاب كليات الآداب ودار العلوم فى الجامعات غير الأزهرية، بل إن أقسام اللغة العربية فى كليات الآداب تقبل أدنى مجاميع ذوى المجاميع الأدنى الذين ألقى بهم فى سلة كليات الآداب.

فالأمر -فى الإبداع ونقده والثقافة عموماً- ليس أمر المجاميع الدراسية الذى ظن مثقفوا وزارة الثقافة أنهم باختراعه وإصاقه بالأزهر يستطيعون النيل من الإمكانات الإبداعية لدى الأزهريين.. وبالتالي يكملون رسالتهم الإلحادية الساعية لإقصاء كل متدين عن المجالات الثقافية كما هو واضح من تسلطهم المستبد والمقيت على كل المنافذ الثقافية فى مصر ليمنعوا من النفاذ إليها أى مثقف إسلامى. على الرغم من استغلالهم فى أثناء ذلك بظل الدولة التى تدين بالإسلام واقعياً ودستورياً.

٦- إن من يتعمق النظر إلى جميع من استنفروا لتلك الحملة الشنعاء والشعواء ضد الأزهر وعلمائه يقف سريعاً على هوياتهم، ويتبين وسائلهم الإرهابية، ويتعرف على مصادر أسلحتهم، ومن يدعمهم فى العلن وفى الخفاء ليحققوا لهم مأرباً طالما سعوا إليه منذ بدأت الحملات الصليبية، وبذلوا فى سبيله الأموال الطائلة، والمناصب الشامخة، والجوائز العينية، والشهادات الدائعة، والمنح الضخمة، التى تسلب عقول التافهين، وتملك عليهم ألبابهم، فلا يترددون لحظة فى أن يسلسوا لهم القياد، ويضعوا أنفسهم رهن إشارتهم.

شهادات مجايدة تدين الرواية ومثقفى الوزارة

ولم يقف الدكتور - بحواره هذا- عند حدود المناقشة الجادة البصيرة، ولكنه أبى إلا أن يدعم





كله، وتراثهم الأخلاقي الملتزم بتعاليم الدين، فإننا لا نقبل -ولن نقبل- التخلص من تراثنا الديني، ولا تراثنا الأخلاقي، والقيمي الملتزم بالإسلام.

٢- واستعرض ما ذكره الأستاذ فهمي هويدي في كتاباته المنشورة بجريدة الشعب ١٩/٥/٢٠٠٠ وبجريدة الأهرام ٢٣/٥/٢٠٠٠ مقررًا أن حملة مثقفي وزارة الثقافة تحولت إلى حملة إبادة للتفكير الإسلامي، وترفع شعار التنوير والثقافة بحجة أن التفكير الإسلامي لم يعد صالحاً للعصر.

فلم يعد -بذلك التحول- معترك الجدل قائماً حول (الوليمة) العفنة، ولكنه ارتكز على تقويم التفكير الإسلامي.

ورأى أن وراء هذا التحول تلك المؤسسات والهيئات الدولية التي وقفت من قبل -وتقف- وراء كل من يسعى لتحقيق سلام مع إسرائيل يوافق المفهوم الإسرائيلي والغربي للسلام، وهذه المؤسسات والهيئات تغدق العطاء لكل من يستجيب لها؛ فتمنح الجوائز العالمية، والألقاب المفخمة لمن يسير في هذا الطريق، وتحجبها عن لا يستجيب، كما يؤكد ذلك الواقع الماثل.

وطالب بأن يعود الحوار إلى ميدانه الحقيقي، لتناقش الرواية المناقشة النقدية الشريفة، القائمة على الأسس النقدية الجادة، لتبين ما تضمنته الرواية من ألفاظ وعبارات تزرى بالله - عز وجل - وتزرى بالنبى ﷺ وتزرى بالقرآن الكريم.

ولتبيان مغالطات لجنة الحكم على الرواية المشكلة من قبل وزارة الثقافة، وتكشف ترهاتهم وأباطيلهم وعبثهم وتلاعبهم بالحقائق، حتى قرروا أن غيرهم لا يقدر على فهم (وليمة لأعشاب البحر)؛ لأنهم - على حد تعبيرهم- يقرءونها قراءة دينية، تبين تماماً

حواره ذلك بآراء بعض الأعلام من أهل الفكر والقانون. وغيرهم من المثقفين الأصلاء.

١- فاستعرض ما ذكره الشاعر فاروق جويده في مقال (الثقافة الجادة) المنشور بالأهرام ٧/٥/٢٠٠٠م، حيث نبه إلى وجود أقلام دأبت عمداً على الهجوم على الإسلام، وحذر من الشرك الذى ينصبه هؤلاء الذين يربطون بين الإسلام والإسلام، ويحرضون الدولة على الإيمان.

ثم قرر أن هؤلاء الذين نعتوا أنفسهم بالمثقفين هم أخطر على الوطن؛ لأنهم وجهوا اتهامات باطلة إلى علماء الأزهر الشريف، فوصفوه بالجمود، متصورين أنهم بالهجوم على الأزهر الشريف، وعلى المقدسات الدينية يقصدون إسقاط هيبة المثل العليا التى قادت حركات التحرير الوطنية؛ حتى لا يجد شباب الأمة أسوة يهتدون بها.

واستنكر الشاعر فاروق جويده أن يكون سب المقدسات الإسلامية إبداعاً، ينشر على حساب الشعب، ومن أمواله، كما استنكر أن تروج الحرية نماذج للشذوذ الفاضح، وحذر مما يجره إعلان الحرب على مقدسات الدولة، ومعتقدات الناس من شرور وعنف واضطراب.

وأوضح الشاعر أن مثقفي وزارة الثقافة وتنويريها متأثرون بما وصل إليه فكر الغرب الذى تحرر من الدين ومن الروابط الاجتماعية، على الرغم من الاختلاف البين بين البيئة الإسلامية والبيئة الغربية التى بنى فيها الفكر على أسس تراكمت فى ثقافة الغربيين، منذ استبدت الكنيسة بالأمر، متذرعة بالدين وسلطانه، مما لم يوجد له مثيل فى البيئة الإسلامية، ولن يوجد.

فإذا كان الغربيون قد تخلصوا من تراثهم الدينى



الجزائر للعمل بالتدريس، كما إن الكاتب نفسه عمل مدرساً بالجزائر بعد فراره من سوريا .

واستعرض الدكتور العوا النهج الفني للرواية استعراضاً مستفيضاً، وضح منه أن الرواية طويلة بدون داع، وأنها قليلة القيمة، سخيفة الأسلوب، متهاكة في بنائها اللغوي والدرامي معاً، وأنه لا فرق بين شخصيات الرواية وشخصية الكاتب نفسه؛ فهي تقدم شخصيات مسلوية الإرادة، غارقة في الجنس والخمر، على نحو ما كشفه (حيدر حيدر) نفسه في اعترافاته وأحاديثه الصحفية، فمن يقرأ تلك الأحاديث ويقرأ الرواية يجد قربي شديدة بين الشخصيتين .

ويخلص الدكتور العوا من ذلك كله إلى أن الكاتب مسئول عن كل كلمة وردت بالرواية، سواء كانت بقلم الكاتب السارد، أو بلسان الشخصيات . ثم يقرر أن هذه النصوص تقع تحت طائلة قانون العقوبات التي تجرم التعدي على الأديان والمقدسات، والشعائر الدينية .

٤- وختم الدكتور دعم حوارهِ باستعراض آراء شيخ كتاب الصحافة وكبيرهم الذين لهم شهادة على التاريخ العربي المعاصر وذلك لعدم انتمائه إلى أحد التيارين المتخاصمين .

فذكر أن الأستاذ محمد حسنين هيكل نبه إلى الصلة بين كاتب تلك الرواية وكاتب رواية (آيات شيطانية) في انتمائهما إلى المذهب الشيعي، ونبه إلى الصلة بين الروائيتين في تضمنهما اعتداء على مقدسات المسلمين، ونبه إلى الصلة بين المدافعين عن الروائيتين؛ فالروائتان يدافع عنهما تيار علماني يحرسه إعلام قوى في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، ثم بقية دول الغرب .

قراءة التنويريين الذين يرون أن الإيمان بما لا يحس إظلام؛ فترك الإيمان بكل غيبى، والاعتماد على الحس فقط هو التنوير والاعتماد على المادة دون الروح وتحكيم العقل المجرد، دون الوحي . . تنور، وتنوير، واستنارة؛ مقلدين في ذلك أعلام التنوير في فرنسا في القرن الثامن عشر، الذين كانوا لا يخفون إلحادهم - بل كانوا يتباهون به - لأنهم توهّموا أن الإنسان يستطيع أن يصنع عالمه بالعقل وحده، وبالاعتماد على المحسوس المادى، دون الغيبى .

فحرية التعبير التي يطالبون بها ليست حرية تعبير، ولكنها حرية سب المقدسات الدينية وازدراءها، والتهكم بها، فإذا علا صوت يقول لهم: اتقوا الله . أخرجه من دائرة المثقفين المتنورين إلى دائرة الإطلاميين المتأمرين على الوطن، والمنظمين لخلايا الإرهاب .

٣- واستعرض مداخلة الدكتور محمد سليم العوا - أحد المفكرين القانونيين الإسلاميين المعتدلين - الذى قرر: أن القضية عرضت أمام أكبر مؤسسة تشريعية في البلاد - وهى مجلس الشعب - وعرضت أمام أكبر جامعة تهتم بأصول الدين وشئونه وعلومه - وهى الأزهر الشريف - وأحيلت إلى القضاء، وقال كل من هؤلاء كلمته .

والذى رأى أن الرواية بالغة الطول، وأنها وضعت على أساس (أيديولوجي) يؤكد مسئولية كاتبها عن كل كلمة وردت فيها، سواء في السرد أو في الحوار على لسان الشخصيات؛ فالمؤلف الشيوعى الشيعى عمد إلى الإغلاء من شأن الفكر الشيوعى، فاختر لها شيوعيين شيعيين مثله في المذهب والاعتقاد، فقد التزم الكاتب بذلك ليسقط أزم خصوصياته في نفسه على الرواية، فاختر عراقيين فروا من العراق إلى

وبذاته، واستغراقها في الدعارة والخمر والمخدرات، فضلاً عن الأزمة الاقتصادية؛ لأن الوزارة دفعت فيها من المال أضعاف ما جنته منها من أموال في ظروف كانت البلاد فيها تعاني من أزمة السيولة النقدية.

للأزهر مكانته في نفوس الأمة

ويخلص الدكتور في الفصل الرابع من هذا الحوار (الأزهر يحكم ولا يحكم عليه) ليقرر:

١- أن للأزهر الشريف في القلوب حباً، وفي النفوس احتراماً؛ فقد استه من قداسة الإسلام؛ لأن علماءه وشيوخه برة بمن يلتمس ضوعاً من علوم الدين، فقد رعو الأمة الإسلامية بعلمهم وفقهم أكثر من ألف سنة، وتقدموا طلائع النور والتقدم والمدنية على مر التاريخ في مصر والعالم الإسلامي.

٢- أن الأزهر ليس سلطة تنفيذية، ولا سلطة قضائية، ولكنه عقل اجتهاد الأمة وقلبها؛ يلجأ إليه الحكام والشعب إذا ما التبس عليهم أمر في شئون دينهم ودنياهم، فيجتهد علماءه بالرأى الشرعى الموافق لأحكام الشريعة الإسلامية.

وهذا ما كان من الأزهر الشريف في قضية رواية (وليمة لأعشاب البحر) فقد قرر مجلس الشعب إحالة الأمر إلى الأزهر الشريف فاجتهد علماءه ليقدموا الرأى الشرعى، وحكم الشريعة الإسلامية فيما تضمنته الرواية من أفكار وعبارات تمس الدين والخلق ومعتقدات الأمة.

٣- أن الأزهر الشريف لم يتجاوز حدود الحقوق الممنوحة له، ولا الواجبات المنوطة به، فهو المؤسسة العلمية التي تعنى بالعلوم الدينية، كما أنه مؤسسة تعليمية تربوية من أهم مؤسسات الدولة، تدرس فيه شتى علوم المعرفة، من الدعوة والإرشاد والإعلام، والتشريع، والقانون، والإدارة، والمعاملات، واللغة

ولفت النظر إلى أن القوانين البريطانية تسمح لمن يشاء بإنكار الدين، لكنها لا تسمح بإهانة الدين؛ لأن ذلك يخرج عن مبدأ الحرية. وقد حكم القضاء الإنجليزي على رواية (آيات شيطانية) بأنها أهانت المسلمين. والعجيب أن أحداً لم يعترض على حكم القضاء الإنجليزي لا باسم الإبداع ولا باسم الحرية؛ لأنه حكم قضائى.

ثم ذكر الدكتور: أن الأستاذ هيكمل خلص في النهاية إلى أن ما أثير حول (الوليمة) في مصر لا صلة له بقضية حرية النشر التي يتباهى بها من تلفحوا بالشفافة؛ لأن الرواية صدرت من وزارة مسئولة، لا من دار نشر خاصة، ولو أنها نشرت في لبنان مثلاً لكانت قضية حرية، ففي لبنان يستطيع أى كاتب أن يكتب، ويستطيع أى ناشر أن ينشر، وأمر الكتابة متعلق بحق الكاتب في التعبير. أما حق الناشر في النشر فهو عملية تجارية بحتة، بلغة السوق في لبنان، لكن هذا لا يلغى حق النقد؛ لأن المجتمع الذى يمنح الكاتب حرية النشر يمنعه من الإساءة إلى الناس الذين يمثلون المجتمع ذاته.

ثم إن نشر هذا العمل بمصر بواسطة وزارة الثقافة يعد قراراً بتزكية (الرواية) عن رغبة في تعميم محتواها؛ ولذلك تم دعم نشرها مادياً، فقد تكلف طبعها ثلاثة أضعاف المبلغ الذى بيعت به؛ فالمشكلة - كما قال هيكمل - ليست في النشر أو عدم النشر، وإنما المشكلة في جهاز دولة مسئول عن الثقافة، كُلف بتقديم الأنفع والأرفع، قد قام بتقديم هذه الرواية.

وهكذا - كما يقدر الأستاذ هيكمل - أصبح مجرد خطأ طبع رواية ونشرها بواسطة أجهزة وزارة الثقافة أزمة، بل أزمات، أزمة تمثلت في تناول الرواية على المقدسات، وأزمة تمثلت في سوقية أسلوب الرواية

ولقد كان هذا وذاك عاملاً مؤثراً دفع الدكتور المحاور إلى التكرار في كثير من الأحيان؛ استجابة لتكرار المواقف والأشخاص، مما أثقل كاهل الكتاب، على الرغم من قلة عدد صفحاته، فأجهد القارئ إجهاداً بالغاً، اضطره للعودة إلى ما قرأ المرة بعد الأخرى، حتى يلم بالحوار في شتى أبعاده.

ولعل حرصه على استعراض مختلف الأقوال والكتابات التي تناولت الموضوع، وإسناد كل قول إلى قائله كان وراء ذلك التكرار.

كما دفعه تحمسه للفصل في تلك القضية إلى وضوح انحيازه لطرف. مما قد يوحى بأنه انحياز المتعصب.. ولكن المتأمل يجد أنه في الحقيقة ليس انحيازاً، ولكنه أثر من آثار وقوفه على ما في وجهة مثقفي الوزارة من تضليل وإرهاب.. كسا أحكامه بثوب الانفعال، والخروج على مقتضيات القضاء العادل النزيه؛ فالدكتور -مهما استطاع التحكم في عواطفه وانفعالاته- إنسان أولاً وأخيراً، لم ولن يحوله كرسى القضاء إلى حجر أصم؛ فالكذب الصراح، والتضليل الذي حملته الصيحات الصادرة من كهنة وزارة الثقافة ومن والاهم.. هو الذي رفع من حرارة انفعالات الدكتور في حوار له تلك الدرجة الموحية بالمتعصب، وإلا لما كان في حاجة إلى ذكر كل الآراء والمداخلات، وتوضيح وجهة نظر كل فريق.

وكانت وسيلة الدكتور في التخفيف عن قارئه، والوصول به إلى ثمرة الحوار.. ذلك الأسلوب البياني الدقيق، الذي التزمه في حوار من مبدئه إلى منتهاه.

﴿وَلْيَنْصُرُوا اللَّهَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١)

العربية وآدابها، واللغات المختلفة، والفلسفة والمنطق؛ والطب والهندسة، وغير ذلك من كل ما يهييء له النهوض بدوره الإسلامي والوطني المنوط به، ويؤكد أن كلمته وحده هي الكلمة الحاسمة، وأن كلام غيره، لا يسلم من شائبة النقص والضعف، والبعد عن الصواب.

وبعد :

فالدكتور المحاور لم يقف في حوار له عند ذلك الحد من الإجمال والإيماء، بل لقد عزز حوار بالأمثلة الصريحة والكاشفة من الإدعاءات والمبدعين، والمرتشين والمخلوعين من أصولهم، المهولين لهشاً وراء منحة أو جائزة، أو شهادة تنتفخ بها أوداجه.

كما عزز حوار بالاستعراض الموجز لأربع مداخلات مهمة، أوضح بها أبعاد القضية في توجيهاتها المختلفة.

حيث استنكر فاروق جويده أن يكون سب الدين إبداعاً، وأن يكون التحلل من قيم الإسلام ومعتقداته حرية.

واستنكر فهمي هويدي تحويل الحوار من ميدانه الأصل، وجعله حملة لإبادة التفكير الإسلامي، والحجر عليه باسم الحرية والتنوير.

وقرر الدكتور العوا مسئولية الكاتب عن كل كلمة وردت في الرواية مسئولية قانونية.

وقرر الأستاذ هيكل أن القضية لا صلة لها بحرية النشر، وإنما هي قضية وزارة مسعولة عن أموال الشعب، أنفقت تلك الأموال في سبيل هدم قيم الشعب ومقدساته وأخلاقياته، في وقت تعاني فيه الدولة من أزمة اقتصادية طاحنة.

قصة العرد

الحظُّ السَّعيدُ

بقلم / عابر سبيل

قال هارون بن ملول، لو عاش أحمد بن طولون، ورأى خمارويه يبذل هذه الأموال الطائلة في غير نفع ملموس، لكان له معه موقف جاد يهديه سواء السبيل، لقد وقفتُ على تشييد مسجد أحمد بالقطائع، ووُكِّلَ إليَّ إعداد ما يتطلب من الصخر والحديد والخشب والصاج، فكنت ألقى محاسبة دقيقة من الحاكم، إذ كان لا يسمح بأدنى تبذير، بل كان يتعقب الأسعار من خلفي، ليضمن إلى أني ألزم جانب الاقتصاد، وكلّ ما أقام أحمد من العمائر والخطط كان وليد ضرورة ملزمة تعتمد الصالح العام في مظهره الطبيعي، وكان يسير ليلاً لينقد مالا يوافق مشربه، وأذكر أنه عثر مرّة على كومة من الآجر تُركت أسبوعاً دون أن تستغل، فدعاني مستفهماً في حدة، فقلت له: إنَّ يومها مدّخر لوقته، حيث ننتفع بها في السطح الأعلى، فعضَّ على شفته وقال: تذكر هذا فقد أقلقتنى! فما ظنك بأحمد؟ إذا علم من وراء الغيب أن ابنه قد أنشأ بالقطائع بستاناً لا عهد

كان أحمد بن دعيم يجلس مع صديقه هارون بن ملول في أمسية هادئة يتبادلان الحديث، وكلاهما ذوشأن في الدولة الطولونية فأحمد ممّن تولوا أمور الإدارة في الدولة، فنهى وأمر، وقرب وباعد، وهارون من كبار التجار الذين اعتمد عليهم الأمير في التصدير والإيراد، وكانت جهوده حاسمة حين يشح النيل بمائه، ويقلّ المحصول الزراعي، إذ يساعد الدولة على محاربة الغلاء بيعاً وشراء، وقد نمت ثروته، وانتفع بجاهه وماله كثيرون، ثم مضى أحمد بن طولون إلى ربه، وانتقل الحكم إلى ولده خمارويه، فلم يرَيا لديه من الحظوة ما كانا يعهدان لدى أبيه، فأثرا السلامة واكتفيا بما جمعا من عقاريهما أسرتيهما بما تبغيان، ولكنهما يكتان في أعماقهما بغضا لخمارويه، فإذا اجتمعا في مجلس خاص، وأمنا استراق السمع، تنقّسا ببعض النقداً فأشاروا إلى ما ينكران من أعمال الحاكم في استخفاف بقدره، وتهاون بما يأتي ويدع من الأمور.



رفعت الأبواب سارعت إلى مكانها المؤلف دون تلكؤ، وأنا أعرف أن ما يقدم لها من اللحوم فى يوم واحد، يكفى فقراء المدينة دون استثناء!

قال أحمد بن دعيم: تتحدث عن البستان وحديقة الحيوان وتنسى بيت الذهب، لقد شاءَ لخمأرويه إسرافه المتلاف أن يطلى جدران قصره بالذهب، فقلْ لى بريك كم يتكلف الجدار الواحد، فإذا نظرتَ إلى ما يمتلئ به القصر من التماثيل والنصب ثم إلى القبة الفسيحة التى تظلّل القصر، وهى أيضا مذهبة كالجدران، ثم أحصيت ما يبذل فى مجالس الطعام والشراب وهى لا تنقطع فى يوم! إذا نظرتَ إلى ذلك كله! فماذا تقول؟!

ضحك هارون بن ملؤل ضحكة السآخر ثم قال: لقد تحدثنا عن الأسود، ولكننا لم نشر إلى أسد (أم آسية) فهل علمت قصتها معه!

قال أحمد: أم آسية قابلة القصر، وصاحبة الأمر لدى نسائه وجواريه، وذات الحظوة البالغة لدى سيدة القصر، بل لدى خمأرويه نفسه! ألها قصة مع الأسود؟ وما علاقتها بدار السباع؟ فقال هارون: لقد تناقل الحراس قصتها متعجبين ذاهلين، فقد وقعت بين أنياب الأسد، وطاف حولها رائحا غاديا، ولم يمسه بسوء! أتراها ولىة مباركة كما يدعون؟!

قال أحمد، فصلّ الأمر بجميع ملايساته، فأنا أقدر هذه السيّدة وأريد أن ألم بما كان! فرد هارون فى تؤده: علمت أنها حملت رسالة إلى خمأرويه من سيدة القصر، فعرفت

للناس بمثله جمع به من ألوان الزهور وأنواع الورد والزعفران ما خلب وأدهش، وقد كسا النخيل نوحاسا مذهبا، وجعل تحت النحاس ميازيب من الرصاص ينبثق منها الماء بترتيب رائع، وكانت الورود تتخذ فى وضعها سطوراً من الكتابة، بحيث تؤلف جملا يقرؤها الناظر متعجبا، ولها عمال يقومون على تشذيبها إذا طال غصن، فغير موضعه عن حيّزه الطبيعى، ليبقى المدلول واضحا، وكأنه كتب بالمداد على صحيفة بيضاء! وقد جعل فى جانب كبير من البستان حديقة واسعة للحيوان والطيور، جمعت عشرات الحيوانات المستأنسة، ثم بدا له فأحضر الحيوانات المفترسة من الوحوش الكاسرة، وبنى لها دارا خاصة تعرف لدى العامة بدار السباع، وقد رسمت فى أبنية متصلة الحجرات كل حجرة تستقل ببيت يسع سبعا ولبوته، وله باب يفتح فى أعلاه، وفيه طاق صغير، يدخل منه العامل الموكل بخدمة الأسد، ليجدّد الطعام والماء، وإذا أراد سائس السبع تنظيف المنزل من فضلات ساكنه، رفع الباب من الأعلى، وصاح بالسبع ليخرج إلى القاعة الخارجية ثم يغلق الباب، ليهيئ المكان على عهده الأول من النظافة، فيكنس الزبل، ويبدّل الرمل، ويغسل الحوض وملؤه ماء، ويضع ألد طبقة من اللحم، للسبع وأنشاه، ثم يخرج، ويرفع الباب من الأعلى، وحينئذ يتوجه الوحش إلى مقره، وهو يعلم ما يصنع صاحبه من أجله، وقد تستمر الوحوش ساعات فى الطرقات الخارجية ترح وتلعب فى بهجة، حتى إذا





إذ يقاربها في السنّ والشعور والأمانى، ولكنه فوجئ بأن الخليفة نفسه، يرغبها لذاته، فكانت صدمة أولى، ولكن السياسة لا ترحم!

– نعم يا أخى إن السياسة لا ترحم فقد رأى خمارويه ما عاناه والده في شقاقه مع بغداد، حين ناوأ جيوش الموفق، وحين أفتى المفتون بلعنه على المنابر، وحين أعلنوا انشقاقه ومروقه، وأنه يتولى الحكم اغتصاباً، وقد اضطر ابن طولون أن يواجه اللعن باللعن وأن يعلن مُروق الموفق، ويجمع المُلأ في مصر على أنه لم يعد ولياً للعهد بعد أن حاصر الخليفة وضيق عليه، وكم أرق أحمد بن طولون من ليالٍ طوال يتخوف العاقبة ويحاذر أن تهب الرياح بما لا يود، ثم استقام له الأمر بعد عذاب طويل، وكأن خمارويه قد أحسّ أن الخلافة لا تزال متطلّعة إلى مصر وأنها بسبيل واضح من معاداتها، فأراد أن يوثق الصّلة بالمصاهرة وقد وجد ابنته ذات جمال وأدب وفطنة، فتقرب بها إلى ولي العهد، وما دار بخاطره أن الخليفة وعنده عشرات الجوارى في قصره، يرغب أن يتزوج من فتاة تصلح أن تكون حفيدته! وما كان لأبى الجيش أن يخالف اتجاه المعتضد، لأنه حينئذ سينسف بكلمة واحدة، كل ما بناه من الآمال، ورسمه من الخطط، وهنا جاء دور أم آسية في إقناع قطر الندى لترضى بالواقع الشاق.

فسأل هارون: وأين كانت أم قطر الندى حتى تتولى الأمر امرأة مهما قيل في

أنه يتنزه في دار السباع، وكانت حريصة أن تبّلع الرسالة في أسرع وقت، فانطلقت إلى حديقة الحيوان ظانة أن الأمير بحراسه وبطانته في مأمن من الوحوش، وإذن فلا عليها أن تذهب، وما كادت تطأ الطريق الأول، حتي وجدت نفسها أمام أسد ضخم، فوقعت مغشياً عليها، ونامت دون حراك، وجاء الأسد فدار حولها، وجعل يتشممها دون أن يقربها بسوء! ثم جاء الحارس سريعاً، فصحب الأسد إلى مكانه وبعث بنفر من الخدم يحملون الماء، وعصارة الورد، فرشوا وجه السيدة حتى أفاقت! وذهبوا بها لتستريح!

قال هارون: عجيب أمر هذا الأسد، كيف يرى الغذاء الشهيّ ويتعفّف عنه! أهذا معقول؟

فعاجل أحمد يقول: لقد تناقشنا في هذه الحادثة، فقال لنا بعض ذوى الخبرة من خادمي الأسود، إن الأسد بنوع خاص بين السباع، لا يقرب الطعام إلا إذا جاع! فهو لا يهجم على كل فريسة تحين، وقد وقعت أم آسية في قبضته وهو ملئ مكتظ، فسلمت منه! ولها أجل لم ينقض بعد!

فردّ هارون: أعرف أن أم آسية كانت ذات تأثير على قطر الندى حين اعتزم والدها أن يزفّها إلى الخليفة المعتضد، وبسياستها الهادئة قربت الفتاة إلى قلب أبيها بعد جموح.

فقال أحمد بن دعيم، لقد كانت ورطة شاقة واجهت الفتاة وأباها معا، لأن خمارويه رأى أن تزف الفتاة إلى وليّ العهد (المكتفى)





الطائش مما يوقع الألم فى نفوس من يرون
الأموال تهدر فى الريح كالهباء .

لقد قالت أم آسية : إن خمارويه قدّم لابنته
أريكة ذهبية مكونة من أربعة مقاعد من التبر
الخالص، وعليها قبة من الذهب تتدلى منها
عقود لؤلؤية، كما أنها حملت فى الجهاز
مائة هون من الذهب الخالص! فإذا كانت
معدات المطبخ من الذهب! فما ظنك بالملبس
والمضجع والمجلس! مائة هون من الذهب
الخالص! بماذا تسمى هذا يا هارون .

فابتسم هارون وقال: أتسألنى أنا؟ وأنت
تعرف أنى تاجر أتعامل بالدينق والقيراط!
لقد كدت أخرج عن صوابى يا رجل!

قال أحمد: لقد كدت أضحك وأنا أسمع
أن آسية تقول: كنّا فى رحلتنا إلى بغداد مع
الأميرة، نعاملها كأنها طفلة فى المهد، نحملها
ولا نتركها تسير على الأرض، ونجعلها طوال
الطريق كأنها فى قصر أبيها لم تبرحه، لأن
الهودج الكبير الذى يقلها كان كأنه حجرة
واسعة تحملها عشرة من البغال، تسير الهوينى
وفق خطة يرسمها الحادى، فإذا بلغت القصر
المشيد، وجدت ما يذكرها بقصر أبيها وكأنها
تنتقل فى حجراته دون اختلاف!

فسأل هارون: وماذا قدم الخليفة المعتضد
مهرًا للفتاة!

فقال أحمد: الحق أنه أصدقها ألف ألف
درهم!

فصاح هارون: ثمن ما يضم المطبخ: أليس
يضم مائة هون من الذهب الخالص؟!

صلاحها وانقيادها ليست من الأسرة
الطولونية، بل وليست من ذوات الحسب
الأصيل فى البلاد .

فرد أحمد بن دعيم يقول: الذى يظهر من
مجرى الأحداث، أن زوجة خمارويه ووالدة
قطر الندى لم تكن مرحبة بزفاف ابنتها
الصغيرة للكهل الكبير، وكأنها نقت ذلك
كلّ النقمة، وإذا لم تستطع إقناع نفسها،
فإنها لن تستطيع إقناع الفتاة! وماذا تقول:
أترغبها فى السلطان والمال والمجاه! كل ذلك
عند والدها فى مصر، ولن تطمع فى أكثر
منه! وهنا لجأ خمارويه إلى أم آسية، إذ كانت
قريبة من قلب قطر الندى تقوم على رعايتها
خادمة مطيعة، ومهما يكن فقد تم الأمر
وزوّجت الفتاة! وبذلت أموال مصر فى عرس
مترف، لم يسمع بمثله أحد من قبل إلا فى
النادر الشاذ!

فقال هارون: يا أخى ولا فى النادر الشاذ،
هل سمعت أن أحد بنى عشرين قصرا فى
الطريق بين مصر وبغداد لتستريح الفتاة فى
كل مرحلة، فتجد نفسها أمام قصر جديد
أعدّ خاصاً بإقامة يومين أو ثلاثة أيام! عشرون
قصرًا، لكل قصر حجراته وأثاثه وخدمه،
وطعامه وشرابه، وغلمانه وجواريه! أهذا عقل
أم نزق؟

فرد أحمد قائلا: نرجع ثانية إلى أم آسية
فأذكر أنها كانت فى موكب الأميرة، بل
كانت فى الصف الأول من حاشيتها، وقد
رأت هذه المظاهر البالغة، وتحدثت عنها فى
براءة، إذ لا تدرك أن إذاعة مثل هذا الإسراف





ابتسم هارون بن ملول ثم قال: أكثر أخبارك عن أم آسية، فكيف حظيت عندها، حتى تأتي إليك فتعرف عنها أنباء خمارويه وقطر الندى، وما دق من شئون السفر وطرائف العرس؟

فعجل أحمد يقول: كأنك لا تعرف صلتى بأم آسية منذ كنا صغيرين! لقد كان منزلانا متجاورين وكنت زميلاً لزوجها راشد فى التجارة حتى فرّق بيننا الموت!

فقال هارون: أعرف زوجها راشد وأعرف ما بينكما من صداقة، ولكن السرّ العجيب الذى طفر بأم آسية إلى قصر خمارويه لم يأتنى بعد!

صاح أحمد: كيف يا رجل - وهو أمر متعالم مشهور!

فردّ هارون: إن كان ما قيل عن عنايتها بسيدة القصر حين وضعت ولدها الأخير، فذلك ما يستغرب!

إذ يستبعد أن يجئ خمارويه بأم آسية لتكون مشرفة على مولد الطفل ويترك الشهيرات من القوابل، ولم يُعرف عن أم آسية أنها قابلة من قبل!

قال أحمد: الأمور بيد الله يرفع من يشاء ويضع من يشاء! وقد أتت رفعة أم آسية من أقرب الأبواب، حين أذن الله لها بالإسعاد!

فقال هارون: أريد أن أعرف الأمر كما كان! وعند جهينة الخير اليقين!

فابتسم أحمد وقال: هى قصّة ذات عبرة لمن اعتبر، ودونك فاسمّع!

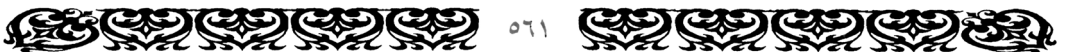
- فعاجله صاحبه يقول: رويدك يا أخى! أتظن هذه الآلات الذهبية ستدخل المطبخ لحظة واحدة، إن لها مكانها المهيأ فى خزانة القصر! وهذه أكبر غنيمة ظفرت بها بغداد، وقد علمنا أن الخليفة احتفل بزفافه احتفالاً لم تشهده عاصمة الرشيد من قبل، وقد نزل شيبان بن أحمد بن طولون عم الفتاة أكرم منزل بين أمراء الخلافة، فكانوا يلتفون حوله فى سرور ونشوة، وكأن كل واحد منهم كان يطمع فى زوجة مماثلة، فهو يتزلف إلى شيبان ليحوز رضاه.

صاح هارون: يتزلف إلى شيبان! واحر قلبى عليه، أن والده لم يكن ليثق به فى شىء، وإن أخاه يبث حوله الأرصاد، ولا يعطيه أدنى سلطة فى مصر، وحسبه أن يأكل وأن يشرب وأن ينام! بل حسبه أن يكون واجهة مشرفة إذا لزم الأمر! وها هو ذا قد سار إلى بغداد فى ركب الأمرية نائباً عن أبيها، فالعم والد، ولولا احتياج الدولة لخمارويه، بل لولا خوفه من أحد معارضيه أن ينتهز فرصة رحيله، فيشق عصا الطاعة عليه لكان فى صدر الموكب دون سواه! ما علينا منه فقد رحل وعاد

قال أحمد: وعاد أكثر من ذهب!

فقال هارون: عاد الأكثر، لم لم يعد الباقون جميعاً!

فرد أحمد، علمت من أم آسية، أن منهم من ذهب إلى الحج وأن منهم من رأى أن يقيم شهوراً بعاصمة الخلافة، وفيهم من أوصاه خمارويه بالبقاء بعيداً عن الأنظار، ليرصد أمور الدولة هناك، ويخبره بما يراه!





وليس معها أحد، فهل تسمحين بمعاونتها، فتوجهت من فورها إلى المرأة وهى فى أشد حالات الألم، فجعلت تشجعها بما تعودت النساء أن يفعلن فى هذا الموقف، ثم أذن الله فتم الوضع على وجه سريع! فُعِد ذلك من مهارة أم آسية.

كان هذا الرجل من خدم القصر عند (خمارويه) وتصادف أن زوجة الأمير قد تعسرت فى وضع تال، وأحضر أبو الجيش من المتمرسات من عجزن عن راحتها، فقال الخادم: أنا أعرف امرأة ماهرة هى أم آسية فعجل خمارويه بحضورها، وسرعان ما جاءت متحيرة ذاهلة لا تدرى ماذا تصنع.

قالت أم آسية [فى حديث يرويه أحمد بن دعيم لصاحبه هارون بن ملول:

«دخلت على سيدة القصر، والناس يستقبلوننى كأننى أفعل المعجزات، فملكتم أمرى بعض الشئ ووضعت يدي قارئة الفاتحة على بطنها فسكن ما بها من الألم، فصاح خمارويه، قدومك مبارك يا أم آسية، فقلت: دعوها، واذهبوا، وسيأتى الله بالبشرى.

ثم سقطت من عيني الدموع، وأنا أقول فى سرى رباه لا تفضحنى بين الناس أنا عاجزة إلا بك، أنا مستورة فلا تكشف أمرى، ثم توضأت وصليت، وبالغت فى السجود، وكنت لا أستطيع تمام الكلمات لما يغلبنى من الدموع!

وسمعت أنين السيدة، فنهضت وأنا استنجد باسم الله، وحاولت معها ما تحاول

حين مات راشد التاجر ترك لأم آسية بنتين صغيرتين، ولم يترك من العروض غير ما استنفدته ديونه على الناس، فأصبحت الزوجة ما بين يوم وليلة مسكينة بائسة تكاد تسأل الناس، وقد اجتهدت فى تربية الدواجن، وحملت الأقفاص إلى الأسواق ساعية وراء الرزق، فكانت لا تبلغ القوت إلا بالجهد الشاق وإذا ضاق بها الأمر لجأت إلى أختها (سكينة) زوجة التاجر (نعمان) فجعلت تستعطفها بما تسمح به من عطاء على قلتها! وكانت كلما حفزتها الحاجة واتجهت لسكينة قالت فى أدب: أقرضينى يا أختى أرزا أو خبزاً أو عدة دراهم وفق حاجتها، فكانت أختها تعطيهما ممتعة، وكأنها تقول لها: لقد أكثرت من الطلب فلا تحضرى بعد الآن!

وفى ذات ليلة ذهبت أم آسية إلى أختها سكينة، وابتدأت تقول عبارتها الشهيرة (أقرضينى يا أختاه) وكان فى سكينة حدة فصاحت بها: كل يوم تقولين: أقرضينى كأنك ستقومين برء ما تأخذين! فمن أين يأتى إليك ما تقومين به عند القضاء! ألا تقولين كلمة أخرى!

فوجمت أم آسية، وقالت: إن الله - عز وجل - قادر على أن يجعلنى أقضى الدين، وله خزائنه التى لا تنفد فصاحت بها سكينة: هذه أحلام الصغار!

وخرجت أم آسية منكسرة الخاطر ذليلة النفس، فقابلت فى الطريق رجلاً حزينا يكاد يبكى فقال لها: امرأتى تطلق فى صعوبة،



وطار الخبر إلى أختي سكيئة فجاءت إلى مع المهنتات ولمست ما أنا فيه من إقبال جاوز مدى الظن فقدمت إليها قطعة كبيرة من الذهب الخالص، وقلت: هذا سداد الدين يا أختاه، لقد قلت لك أقرضيني وأنا أعلم أن خزائن الله لا تنفذ، فسكتت كالحائرة، وقالت: كأنك لا تزالين عاتبةً على، فصحت كلاً ولك عندي مزيد، فإذا احتجت مالا فهو طوع يمينك، لا قرضا بل هبة، فجلست متخاذلة تحاول الكلام فلا تستطيع وأردت أن أسرى عنها بما يمتنع، فقلت: القصر فسيح، وأنا وابنتاي فحسب! فتعالى معى لك طابق خاص ملك يمينك، فنهضت وقبلتني بين عيني!

قال هارون: وما علة بقائهما فى قصر ابن طولون طيلة اليوم ولها منزل خاص!

فقال أحمد: أصبحت سيدة القصر - لأمر أراده الله - تتفاءل برؤيتها، وانتقل التفاوض إلى أبى الجيش بتأثير صاحبتة، فأخذ يتعهدا بالسؤال ويجد السرور فى وجه زوجته بلقائها فيهش وينبسط ولا أدل على منزلتها من اختيارها لمصاحبة قطر الندى لتكون مؤنس الوحدة، ورفيق الرحلة! وما أظنّها أدخرت وسعاً فى قضاء مهمتها، ولولا أن سيدة القصر حتمت عليها أن تعود، لبقيت فى قصر الخلافة ببغداد مع الأميرة الحسناء!

سكت الرجلان هنيهةً، ثم قال هارون: وتزوركم أم آسية ولا تنساكم مع ما انتقلت إليه من جاه وسلطان.

فصاح أحمد: مهلا يا أختى! فإن لها نفساً شريفة، وخلقاً كريماً، وقد جزاها الله أحسن الجزاء.

القبالات، فأذن الله بالفرج، وهل وجه الطفل الجديد، وانتقلت البشوى إلى أبى الجيش، فجاء سريعاً كالطائر، فقلت لها: يا سيدتى، أسألك بالله أن تبتسمى فى وجهه ليسر، فلما دخل خمارويه ولمح ابتسام زوجته ورأى، الطفل بين يديّ، أخذه فقبله، ثم قال لى: قدومك سعيد يا مباركة! لن تتركى القصر من الآن، وسألنى عن منزلى وعن حالتى فغلبنى الدمع ولم أنطق، وكانت فيه فراسة، فألم بما أكن، وهنا قال: لك منزل خاص بجوارى، وهو مهيباً بما تريد من الأثاث والخدم، ولك ألف دينار عاجلة! وما كادت صديقات السيدة وأصدقاء خمارويه يعلمون ما صنعت، حتى جعلت هداياهم تتوافد على الأم وفيها أنفاس التحف، وأغلى الجواهر، فجمعت ذلك كله، وقالت هو منى لأم آسية فأنا لا أريد شيئاً، وصاحت بزائراتها: أكرمنها جميعكن.

ذهبت إلى منزلى الجديد، وقد امتلأ بالذخائر، وفيها ما لم أشهده من قبل، بل مالا أعرف قيمته الحقيقية إذ لا عهد لى به، وكأن أبا الجيش قد أدرك ما أضمر من الحيرة، فأرسل من يخبرنى تحقيقه ما لى، فإذا أنا ذات كنوز من الحلى! وإذا خادم تتبعنى، لتكون خاصة بالمنزل، وأخرى لتقوم على إعداد الطعام، وثالثة لتقوم على غسل الملابس وحفظها، فتشجعت وذهبت إلى أبى الجيش شاكرة، وقلت له: سيكون أكثر يومى فى قصرك الكريم، ولست بحاجة إلى خادومات، فتفرس فى وجهى قليلاً، وقال: لك ما تشائين.

قيمة الكلمة

للكتور/عبد المنعم عبد الله حسن (*)

أَقْدَرُ قِيَمَةِ الْكَلِمَةِ ** وَكَمْ أَرْغَى لَهَا حُرْمَةً
وَأَعْلَمُ أَنَّهَا الْأَخْلَا ** قِ وَالْيَثَاقُ وَالذِّمَّةُ
حَبَّابُهَا لِلَّهِ لِلْإِنْسَانِ ** نَ فَيَضًا ، إِنَّهَا نِعْمَةٌ
فَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ صَارَتْ ** عَلَى شَفَةِ الْمَدَى حِكْمَةٌ
وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ رَفَعَتْ ** عَلَى إِجْزَازِهَا - أُمَّةٌ



يُضِيءُ الْحَقُّ أَحْرَفُهَا ** فَتَمْضِي تُشْعِلُ الْهَمَّةُ
تَهْزُزُ الْأَرْضَ وَالْدُنْيَا ** وَتُعْلِي الْحَقَّ لِلْقِيَمَةِ
تَتَوَجَّهَ وَتَنْشُرُهُ ** وَتَرْفَعُ فِي الْفَضَا عِلْمُهُ
وَتَهْزِمُ بَاطِلًا شَرِسًا ** فَتَمْحُو بِالْهُدَى جُرْمَهُ
تُطَهِّرُ مِنْهُ دُنْيَانَا ** وَتَطْوِي بِالْفَنَاءِ اسْمَهُ



(*) أستاذ أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالمنصورة.



وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ تَدْعُو *** بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمَةً
فَبِالْمَعْرُوفِ تَأْمُرُنَا *** بِأَمْرِ الدِّينِ مُهْتِمَّةً
وَتَنْهَى الْأَثِمَ الْعَاصِي *** لِيَتَرُكَّ تَائِباً إِثْمَهُ
وَمَنْ مِمَّنْ دَعَا أَسْمَى *** وَأَوْفَى فِي الْهُدَى قِسْمَهُ ؟
وَأَحْسَنُ فِي الْوَرَى قَوْلًا *** يُعْطِرُ قَلْبَهُ وَقَلَمَهُ



وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ جَمَعَتْ *** عِدَى فِي النَّاسِ مُخْتَصِمَةً
تُزِيلُ بِوَقْعِهَا حِقْدًا *** وَتُطْفِئُ فِيهِمْ حُمَمَهُ
وَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ مَسَّحَتْ *** عَنِ الْمَحْزُونِ مَا غَمَّهُ
وَكَمْ مِنْ بَائِسٍ رَقَّتْ *** لَهُ تُعْطِيهِ مَا حُرِمَهُ
أَحْسَ بَدْفِئِهَا طِفْلاً *** يُعَانِقُ بَالِنِي أُمَّهُ



وَلَفْظٌ جَاءَتْ تَغْدُو *** بِهِ الْأَرْحَامُ مُنْصَرِمَةً
يُعَكِّرُ صَفْوًا فِدَةً *** وَيَسْئِفُكَ لِلْوَفَاءِ دَمَهُ
فَكَمْ مِنْ لَفْظَةٍ أَدَمَتْ *** فُؤَادًا فَاحْتَسَى أَلَمَهُ
وَبَاتَ مُؤَرِّقًا سَهْدًا *** يُعَانِي بِالْأَسَى هَمَّهُ
وَلَفْظٌ بَثَّ لِي شَهْدًا *** وَلَفْظٌ دَسَّ لِي سُوءَهُ





وَفِي الْقُرْآنِ آيَاتٌ ** تُرِيكَ فَوَارِقَ الْكَلِمَةِ
فَطِيْبَةٌ لَهَا أَصْلٌ ** تُعَانِقُ لِلْعُلَا نَجْمَهُ
وَتِلْكَ خَبِيْثَةٌ غَارَتْ ** مِنْ الْأَكْوَآنِ مُنْعَدِمَهُ
فَبَبَوْنُ شَاسِعٌ تَلْقَى ** بِهِ الْإِصْبَاحَ وَالظُّلْمَهُ
فَهَلْ نَلْقَى ضِيَا الْكَلِمِ ** سَاتٍ فَجْرًا يَقْهَرُ الْعَتَمَةَ؟!



أَقْدَرُ قِيَمَةِ الْكَلِمَةِ ** فَفِيهَا الْأَمْنُ وَالْعِصْمَةُ
وَفِيهَا الْحُبُّ دَقَاقًا ** وَفِيهَا الْبِشْرُ وَالْبَسْمَةُ
فَإِنْ طَهُرْتَ فَقَدْ أَضَحْتَ ** قُلُوبَ النَّاسِ مَلْتَأِمَةً
تُوحِّدُهُمْ فَلَا تَلْقَى ** صُفُوفَ الْخَلْقِ مُنْقَسِمَةً
وَلَا حَافِيٍّ وَلَا غَادِرٌ ** وَلَا الْأَخْلَاقُ مِنْهُ زَمَةً



أَقْدَرُ قِيَمَةِ الْكَلِمَةِ ** فَإِنْ ثَمَّارَهَا جَمَّةٌ
لَنَا مِنْ حُلُوهَا قُطْفٌ ** لَنَا فِي ظِلِّهَا النَّسِيمَةُ
وَكَمْ بِبَيَانِهَا دَرْسٌ ** يَبْلُغُ لِلوَرَى عِلْمَهُ
أَدَاةُ الْكَاتِبِ الْعِمْلَاقِ ** قِطْرٌ يُطْلِقُ حَوْلَهَا قَلَمَهُ
وَيَلْقَى الشَّاعِرُ الْمَوْهَ ** سَوْبٌ فِيهَا الْوَقْعُ وَالنَّعْمَةُ
فَيَرْسِمُ لَوْحَةً مِنْهَا ** وَمَا أَحْلَى بِهَا رَسْمَهُ



الخطبة المثالية في سرارة النقد

د. أحمد محمد منطور (*)



كنت أود الحديث في هذا المقال عن الخطبة المثالية بين التاريخ والنقد من منطلق أن التراث العربي يحفل بذلك الفن القوي الأثير المؤثر في حياة الناس، وكان للعرب فيه صولة وجولة ولهم في مقوماته فكرة ونظرة، ولكني رغبت في أن يقتصر الحديث على ما يتصل بهذه المثالية من ناحية النقد وإن كنت أعرج على التاريخ بحثاً عن الشاهد، راجياً أن يكون في هذا الحديث ما ينهض بتلك الإطلاقة التاريخية على فن الخطابة، وأن يكون لدى القارئ الحرص على التنقيب عن ذلك فيما يتصل بالخطابة العربية من ناحية الدرس مثل «البيان والتبيين» للجاحظ، و«البرهان في وجوه البيان» لإسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب و«العقد الفريد» لابن عبدربه، أو النص مثل ذلك الكتاب الجهير الصوت الذي جمع فيه صاحبه الأستاذ أحمد زكي صفوت عيون خطب العرب، والمسمى «بجمهرة خطب العرب».

وهي بهذا المفهوم تقوم على عناصر محددة، هي: الخطيب، والمستمع، والخطبة، والإلقاء. ويتوج هذه العناصر تلك الغاية التي يهدف هذا الفن إلى إيجادها وهي تحقيق الإقناع والاستمالة. وسنحاول تحديد أوجه المثالية في هذه الأشياء بما يساعدنا على الكشف بصفة عامة عن طبيعة المثالية التي نشدها في الخطابة من الناحية الفنية. فالخطيب يشترط فيه أن يتصف بعدد من الصفات التي يمكن أن نقسمها إلى صفات:

وبداية أود أن أنبه إلى أن مدخلنا لهذا الحديث ينبع من نقطة فهمنا لفن الخطابة ورسالته؛ من منطلق أن رسالة أى شىء تؤثر في طبيعته وتنعكس بدون شك على أدواته ووسائله التي تسعى إلى تحقيق هذه الرسالة، فالخطابة هي: فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته. أو هي فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة.

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية اللغة العربية.



ويأتى بدلا منها بمرادفها لأنه كان أُلثغ فى النطق بها على نحو فاحش شنيع^(٢).

ومنها: رباطة الجأش وثبات الجنان: فقد نقل أبو عثمان الجاحظ فى البيان والتبيين عن صحيفة الهند بعض آلات البلاغة فى الخطابة، وهى: أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ (ج ١ ص ٩٢). وقد كان العرب كذلك يمدحون الخطيب بثبات الجنان، وذلك من منطلق أن الحيرة والدهشة والهيبة تؤدى إلى الإرتاج والإجبال، وتورث الحصر وحبسة اللسان، وتعصف بقدرة الخطيب على الاحتفاظ بالمعلومات^(٣).

ومنها: الشجاعة الأدبية، ويقصد بها شجاعة الرأى والوقوف فى وجه الطغاة، وشجاعة الاعتراف بالحق والقدرة على التصرف ضد معارضيه، وشجاعة حمل أمانة الكلمة واللسان. وقد بلغ رسول الله ﷺ الغاية فى ذلك، عندما علم بأن أناسا يتحدثون فى شأن عمه العباس - رضى الله عنه - فوقف بينهم خطيباً قائلاً: ألا إن عم الرجل صنو أبيه، من آذى العباس فقد آذانى، وفى مواجهته لموقف الأنصار بعد غزوة حنين، فقد ظنوا أن الرسول أجزل العطاء لقريش لأنهم أهله، فقام فيهم خطيباً ووأد الظن فى مهده حين بين لهم فضلهم ودعا لهم وأخبرهم بأنه ﷺ عائد معهم إلى المدينة^(٤).

خلقية خلقية، وصفات علمية معرفية، وصفات مهارية مكتسبة. وتأتى فى مقدمة الصفات الأولى صفة الموهبة والاستعداد الفطرى فهى النواة التى ماتزال تنمو وتتعدها بالرى والغذاء وننحى عنها عوامل الضعف حتى تصبح شجرة يانعة وبدون ذلك الاستعداد الفطرى فإنه من الصعب أن يوجد الخطيب الناجح كما أن المعرفة بقواعد الشعر لا تنشئ شاعراً مجيداً، وقدما سأل معاوية بن أبى سفيان صحار بن عياش العبدى بقوله: ما هذه البلاغة التى فيكم، فقال: شئء تحيى به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا^(١).

ومنها: سلامة النطق وجهارة الصوت: وذلك أن أداة الخطيب الأولى هى اللسان الناطق، ووسيلته هى الصوت المعبر، ولذا لزم أن تكون تلك الأداة سليمة وهذه الوسيلة قوية حتى ينجح فى الأداء ويحدث الأثر المطلوب فى نفوس سامعيه، وقد كان العرب يفضلون فى الرجل أن يكون جهير الصوت واسع الأشداق - لا المتشدد - ويصفون المتفوه ذا البيان بأنه أشدق كما شهر بذلك عمرو بن سعيد الأموى، كما كان الخطباء منهم يتعهدون مواطن العيب لديهم فى النطق ويتحاشونها، كما أثر عن واصل بن عطاء أنه كان يتحاشى الكلمات التى بها حرف الراء

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة طه ١٦ ص ٩٦.

(٢) ينظر: السابق ص ١٢٢، ص ١٤. ومن مدح بجهارة الصوت العباس بن عبدالمطلب - رضى الله عنه.

(٣) ينظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د. عبدالجليل عبده شلبى، دار الشروق ط ٢ ص ٤٢.

(٤) ينظر: البيان النبوى، د. محمد رجب البيومى، دار الوفاء للطبع والنشر ص ٨٨. وسيرة النبى لابن هشام، طبعة دار التحرير، ج ٤ ص ٨٤.



قراءته لغة وأدبا وديناً، وخلقاً، وعلماً وفناً، ونظرية وتطبيقاً، وتاريخاً وحاضراً، وفكراً وسلوكاً. فإنه متى استبحر في وقوفه على هذه الأشياء كون لنفسه زاداً من المعرفة والثقافة تغزر به معانيه وتسمو به أفكاره، وتقوى به أدلته ويقدر به على التصرف في وجوه القول والاستعانة بألوان البيان في إضفاء الجدة والطرافة على معالجته لموضوعه، ويملك أقطار سامعيه بهذه الإحاطة الواسعة بألوان المعرفة فيأنسون لما يأتي به من فكرة، ويتجاوزون مع ما يدعو إليه من اتجاه.

ومنها: الإلمام الجيد بأبعاد موضوعه الذي يعالجه، وهى صفة أخص من سابقتها وتختلف عنها، فإذا كانت الأولى تمثل المعين الذى يحتاج منه الخطيب دلائل المعرفة العامة فإن هذه تقترب من الموضوع فكرياً لتجعله يلم بحقائقه التى تشكل جوهر المعانى التى يتطلبها، والوقوف على التيارات والآراء التى تتصل بموضوعه، والتعرف على الأشباه والنظائر وما يدخل وما لا يدخل معه فى خطبته حتى يتبلور الخط الفكرى لموضوعه رؤية واضحة ومعالجة مستوعبة متكاملة الأطراف.

ومنها: التعرف على طبيعة الموقف وما يناسبها من وجوه القول والبيان، وتلك صفة تبدو أكثر خصوصية والتصاقاً بالخطبة من سابقتها، وهى محور البلاغة كما مر بنا قديماً فى تعريفها بأنها: مراعاة الكلام لمقتضى الحال، وذلك يحتم على الخطيب أن يميز بين ما

ومنها: حسن الخلق، فالخطيب رائد لسامعيه، وداع إلى الحق والخير والفضيلة، وحسن خلقه كالمقدمة لسامعيه التى تحمل على الاقتناع بقوله، ولذا وجدنا أرسطو يقرر أن أمانة الخطيب ونزاهته لهما أكبر الأثر فى قوة الإقناع. وقد يقول قائل إن حسن الخلق صفة تسبق الخطابة وقد لا يعرف الناس من أمر الخطيب شيئاً فيخدعون بطلاقة لسانه وروعة بيانه، وأقول ما قاله زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وسينعكس أثر ذلك على قوله فى خطبته فيطلق لسانه فى الناس وغير ذلك من الأمور الدالة المفصحة عن أنه من أى معين يحتاج.

ومنها: حرارة العاطفة وقوة الشخصية: والمقصود بذلك أن يمتلك الخطيب نفساً مؤمنة بقضيتها صادقة فى الدفاع عنها، راغبة فى النجاح فى مهمتها. وأن يستمد كلماته من قوة نفسه وروحه، فإن ذلك يدفعه إلى أن يهز أوتار قلوب سامعيه وأن يغزو مواطن التفكير فى عقولهم، ويحدث ما أحدثه أبوبكر فى المسلمين فى خطبته بالسقيفة، وقد دلنا على ذلك الحسن البصرى عندما قال لواعظ لم تؤثر به موعظته: يا هذا إن بقلبك لشرأ أو بقلبي^(٥).

ومن الصفات العلمية المعرفية

الثقافة الواسعة: ذلك أن المعارف الإنسانية تتشابك، والخطيب فى حاجة إلى أن ينمى

(٥) فن الخطابة. د. أحمد محمد الحوفى، دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٤ ص٢٦.



يقوله فى المدح والتهنئة، وما يقوله فى الرثاء والتعزية، وأن يفرق بين موقفه باعتباره خطيباً سياسياً يدعو إلى فكرة أو يناهض رأياً آخر، وموقفه وهو خطيب دينى يهذب النفوس وينير البصائر، وألا يخلط بين أن يكون محاوراً مناظراً لخصم أمامه وبين أن يتحدث إلى جمهور كبير فى قضية عامة، فلكل من هذه المواقف المتباينة من الوسائل والأدوات - أسلوباً وفكراً - ما يحقق الغاية المرجوة منها، وبدون معرفة الخطيب الجيدة لذلك تطيش سهامه ويعجز عن الوصول إلى ما يريد .

ومنها : دراسة نفسية السامعين، فمعرفة الخطيب لنفسية السامعين، وميولهم الفكرية، ومستواهم الاجتماعى، تعينه فى التعرف على تلك المفاتيح التى تفتح له مغاليق النفوس وأبواب العقول، وتمكنه من أن يقترب من نفوسهم ويمتزج بروحهم فيقوى على تشخيص الداء ووضع الدواء المناسب لهم، وإذا كان يخاطب قوماً لا يعرفهم فعليه أن يدرك منذ البداية أنه أمام سامعين يتكونون من طبقات شتى ومستويات عدة، ففيهم الكبير والصغير والمتعلم والامى والفقير والغنى ومن يمكن أن يكون خصماً أو يكون ولياً، ومن ثم فعليه أن يسلك مسلكاً وجدانياً يثير الرغبة فى الاستماع والإحساس بالخطيب، فإذا ما عرف أن من أمامه أسلم له قيادة يأخذ فى الموازنة بين عنصر الإقناع والاستمالة ويتدرج فى غرس أفكاره وقد

أيقن أنه أمام تربة صالحة للغرس والإثمار . ولدينا شواهد كثيرة فى أدبنا العربى تنبئ بأهمية تلك الصفة على النحو الذى تجده فى خطبة أبى بكر الصديق يوم السقيفة حين اعترف للأنصار بالفضل وللمهاجرين بالسبق، وخطبة عدى بن حاتم الطائى فى استنفار قومه لمناصرة على بن أبى طالب حيث أغراهم بخيرى الدنيا والآخرة معاً، وخطبة معاوية فى المنادة بتولية ابنه يزيد من بعده وحسن تمهيدته للأمر الذى يريده، وخطبة الحجاج الثقفى بعد مقتل عبدالله بن الزبير فى أهل مكة وقياسه ما حدث لابن الزبير بجوار الكعبة على ما حدث لآدم فى الجنة^(٦).

ويتصل بذلك ملاحظة الخطيب لحال سامعيه حتى لا يملوا كلامه ويرفضوه جملة وتفصيلاً، ولذلك قال عبدالله بن مسعود: حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك . (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤) .

ومنها : سعة المحفوظات الأدبية من مآثور القول وجيد الكلام عند العرب شعراً ونثراً، وامتلاكه ثروة لغوية وفيرة تمكنه من اصطفاء الكلمات وتخير الألفاظ التى تنهض بما فى نفسه وتأخذ بأقطار سامعيه، والحفظ الجيد لكتاب الله - تعالى - وحديث الرسول ﷺ إن كان فى موقف الخطابة الدينية، فهما الجناحان اللذان لا يستطيع الخطيب الدينى أن يحلق بدونهما أو أن يبلغ شأوه البعيد فى

(٦) ينظر: الخطب والمواظ، محمد عبدالغنى حسن، دار المعارف بمصر ط ٢ ص ٢٠.





فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر^(٧)

ومنها: القدرة على الحوار والاحتجاج، ذلك أن الخطبة قد تأتي في صورة لون من المناظرة، وحينئذ فإن الخطيب عليه أن يجيد السماع لحجج الخصم، وأن يستدعي الأدلة والبراهين التي تمكنه من إفحام خصمه، وذلك لن يتأتى له إلا بدراسة سبل الاستدلال وكيفية تنفيذ الأدلة، وبالقدرة على الاستنباط والقياس والاستعانة بمرويات التراث وأحداث الحاضر، وقد قطع العقل العربى فى هذا الجانب أشواطاً بعيدة تدل على مكانته فى هذا الجانب، وإذا تتبعنا حركة الذهن عند المعتزلة فى مناظراتهم التى كانوا يجرونها مع خصومهم أو يدرّبون بها أبناءهم، أو نظرنا إلى مناظرة الخوارزمى لبديع الزمان الهمذانى أو مناظرات الفقهاء للمتكلّمين فى العصر العباسى أو مناظرة الكسائى وسيبويه فى النحو أو المناظرات الإبداعية التى تخيلها الجاحظ فى رسائله وكتبه نقف على زاد وفير من تلك المادة التى تنمى فىنا القدرة على الحوار والاحتجاج.

– ومنها البراعة فى تلوين الأداء الخطابى وفقاً للمقام، وذلك أن الأداء الخطابى كما سنعرف تتلون طرق الإلقاء فيه بين تدفق وإبطاء وحماسة ونجوى، وتقرير وسرد. ومن الواجب تدريب الخطيب ذاتياً أو تعليمياً على التعرف جيداً على تلك المواقف التى

هذا الميدان، وذلك فضلاً عما ذهب إليه العرب من أهمية أن تزين الخطبة بذكر شىء من القرآن الكريم، وتسميتهم الخطبة التى لم توشح بالقرآن الكريم وتزين بالصلاة على النبى ﷺ «الشوهاة».

ومن الصفات المهارية المكتسبة

– التدريب على سرعة البديهة والقدرة على الارتجال فالخطيب جندى فى ميدانه ومن الواجب عليه أن يكون يقظاً قادراً على مواجهة المواقف الصعبة بعقل ذكى وخيال وثاب ولسان طلق وبيان أخاذ، يستوى فى هذا أن يكون ذلك الموقف الذى يجابهه قبل الشروع فى الكلام أو أثناء إلقاء خطبته، أو أن تكون تلك البديهة يستعين بها فى الرد على معارضيّه أو يربط أجزاء الكلام إن غاب عنه خيط الموضوع حتى لا يبدو مشتمت الذهن أمام سامعيه، وفى قراءة تاريخ الخطابة ما يعين الخطيب فى التعرف على وجوه التصرف فى كل موقف. ونضرب مثلاً واحداً لذلك تاركين الزيادة للمستزيد بالرجوع إلى كتب التراث فقد روى أن قتيبة بن مسلم كان يخطب فى خراسان وهو يتقدم فى فتوحاته بها فسقط القضيب من يده، فثناءه أصدقاؤه وتفاءل أعداؤه، وشعر قتيبة بذلك، فتناول القضيب من على الأرض وقال: ليس الأمر على ما ظن العدو وخاف الصديق، ولكن كما قال الشاعر:

(٧) فن الخطابة، السابق، ص ٢٤.



والخطيب يواجه عقولاً تتباين ثقافتها واتجاهاتها، ونفوساً تتعدد ميولها ورغباتها. ومن ثم تأتى أهمية الجانب المتعلق بالخطيب فى هذا العنصر، إذ هو ريان السفينة وعليه أن يعالج الموقف ببراعة حتى يصل بسفينته إلى مرافئ النجاح، وأن يضع نصب عينيه الحقائق التالية المتعلقة بمستمعيه، وهى: أن سلطان الوجدان أقوى تأثيراً على الجماعة من سلطان الفكر، وأنها يسرى فى تكوينها روحاً عامة تجمع بين أفرادها، وأنها تتطلع إلى ما يتمتع به الخطيب من صدق وإخلاص فى دعوته كى تمنحه التفاعل معه فى خطبته، وأنها فى حاجة إلى أن يجذب انتباهها بمقدمة رائعة تبعث فى نفوسهم الارتباط به منذ البداية، وإلى أن يحرك الخطيب حواسها بما يملكه من أدوات الخيال والتصور والترغيب والترهيب، والتهويل والتشويق، والحيوية والجذب، والاستثارة وبث التأمل فى العقول. وأنها تريده أن يكون يقظاً متنبهاً للغاية التى يريد أن يصل إليها وأن يأتى ببناء خطبته قوياً متماسكاً حتى لا يلتوى الحديث به وبمستمعيه فى سراديب الاستطراد المملول، ومن يضمن للخطيب إن كان كذلك أن يجد السامع الذى يصبر عليه حتى يعود إلى محور موضوعه وهو لا يعرف كيف ولا أين ولا متى يعود؟! «

«يتبع»

يتدفق فيها أو يبطىء، ويحتد أو يسامر، ويقرر أو يسرد، وأن يعطى فكرة جيدة عن الجمل والأساليب التى تعينه فى كل ذلك من كونها قصيرة أو متوسطة، ذات شحنات عاطفية أو فكرية، إنشائية أو خبرية. وأن يعلم أن القراءة الواعية لموضوعه قبل إلقاء خطبته تساعد على التلوين فى الأداء تضخيماً وترقيقاً وسكوتاً ووصلاً ونبراً وتعجباً إلى غير ذلك من الألوان.

ومنها: الإصابة فى القول وعدم التكلف فى التعبير، وذلك يأتى من المتابعة الجيدة للخطيب والنظر فى معالجته لموضوعه حتى يبرأ من الإسهاب وتشعب القول، وقد سئل عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال: «إنك إن أوتيت تقرير حجة الله فى عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على السامعين، وتزيين المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الآذان، المقبولة عند الأذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت من الله كثير الثواب»^(٨).

٢- وفى عنصر المستمع قد يقول قائل: وكيف يتسنى لنا أن نوجد مستمعاً مثالياً يكون من هؤلاء الذين قال الله فيهم:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٩)

والمقام مقام حمل على الإقناع والاستمالة،



لسنا إرهابيين (٣)

ضوابط حرّية الاعتقاد في الإسلام

للمستاذ الدكتور / عبد العظيم الطعنى

حرية الاعتقاد في الإسلام أمانة قوية تدفع عن الإسلام الاتهام بالعنف والإرهاب، وهذه الحرية ليست مطلقة بحيث يستوى الإيمان والكفر عند الله، لذلك كان لابد من ذكر ضوابط هذه الحرية، لينجلي الحق لذى عينين وفي ما يأتى بيان موجز لهذه الضوابط.

وفي القرآن الكريم آيات يضيق المقام عن ذكرها تفرق بين الإيمان والكفر، والمؤمن والكافر.

الثانى: أن حرية الاعتقاد في الإسلام مكفولة بالنظر إلى علاقات الناس بعضهم ببعض، فليس لأحد كائنا من كان، أن يجبر أحدا على اعتناق عقيدة هو بها كافر، ولو كانت عقيدة الإسلام، أما عند الله - عز وجل - فالمؤمن من أهل الطاعة والرضوان، والكافر مغضوب عليه ملعون.

هو عند الله كالأنعام بل هو أضل، وفي ذلك يقول أحكم الحاكمين:

الأول: أن هذه الحرية مقصورة على الحياة الدنيا، أما عند الله، وفي الحياة الآخرة، فإن الإيمان والكفر، والمؤمن والكافر لا يستويان، ومصير المؤمن غير مصير الكافر، وفي ذلك يقول رب العزة:

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَخْنَ سُلُوفُهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنْفَخْنَ خُلْدِيَّ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوفٍ ﴿١٨﴾﴾ (١).

(١) هود (١٠٥ : ١٠٨).



إلى الإسلام أم لم يمل . بل يعتبرون أى مخالفة لما تقوله الكنيسة، ولو فى مسألة علمية كونية . خروجاً عن الملة يستحق صاحبها أبشع صور التنكيل والعقاب، فقد أحرقوا (برونو) مجرد أنه تابع جاليليو فى القول بدوران الأرض حول الشمس . وهى مسألة علمية بحتة، لا صلة لها بأصول الاعتقاد .

وهذا ما حدا ببرجال الثورة الفرنسية أن يقولوا فى واحد من شعاراتهم الثورية، منذ أكثر من مائتى عام :

«اشنقوا آخر ملك، بأمعاء آخر قسيس»
رامزين بهذا الشعار إلى القضاء على رجال الكنيسة الذين سيطروا على ضمائر الشعوب، وعلى الملوك الإقطاعيين، الذين سيطروا على أجسام رعاياهم واستعبدوهم .
نسى خصوم الإسلام ذلك وراحوا يكيلون التهم للإسلام بلا ضوابط .

ونسوا - كذلك - ما كانت تقوم به كنيسة القرون الوسطى فى الغرب، من تعذيب مؤلم لمن تحوم حولهم الظنون، حيث كانت الكنيسة، تحفر حفرة عميقة، وتغرس فيها أسياخاً مدببة الرءوس، ثم يلقي فيها الضحايا فتغرس رءوس الأسياخ المدببة فى أجسامهم، ويظلون فوقها تنزف دماؤهم حتى الموت ! أليس هذا إرهاباً لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية جمعاء ؟!

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا النَّبِيِّاتِ أَنْ يُتَّخَذَ لَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢)

الثالث : إن حرية الاعتقاد فى الإسلام فى الحياة الدنيا، مكفولة لغير المسلمين، الذين ورثوا عقائد أخرى غير الإسلام عن آبائهم وأمهاتهم، أما من ولد من أب مسلم، وظل على الإسلام بعد بلوغه سن التكليف فإن حكمه يختلف عن أصحاب العقائد الأخرى، كما هو معروف فى شأن المرتد عن الإسلام، لأنه يُنصح ويعان على دفع الشبهات التى حملته على الارتداد فإن أصر على ارتداده بعد تبين الحق له . فإنه يقتل، إذ لا عذر له، كما جاء فى الأحاديث النبوية الصحيحة، وفى السنة العملية فى صدر الإسلام الأول .

فالكفر الموروث لا شأن لنا به، وإنما شأننا بالكفر الطارئ عن من كان مسلماً فلا حجة إذن لخصوم الإسلام فى قتل المرتد، واعتباره دليلاً على إرهابية الإسلام، لأن هذا شأن من شئون الإسلام الداخلية .

والعجيب أن الذين يتهمون الإسلام بالإرهاب مستندين إلى مبدأ قتل المرتد، ينسون الجرائم البشعة، التى ارتكبوها فى «محاكم التفتيش» ضد من تحوم حولهم الشبهات أنه خرج عن عقائدهم، سواء مال





حروب الردة

ومما يلغطون حوله كثيرا فى هذا الشأن، حروب الردة التى شنها أبوبكر - رضى الله عنه - على الذين ارتدوا عن الإسلام عقيب وفاة النبى ﷺ، ويعتبرونها اعتداء على حقوق الإنسان، وحجرا على حرية الناس حينذاك فى الاعتقاد؟

والحق أن تلك الحروب داخلية فى الإطار الذى أشرنا إليه من قبل من التفرقة بين الكفر الموروث، وبين الكفر الطارئ على من كان مسلما ثم ارتد، والذى نضيفه - هنا - أن أبا بكر - رضى الله عنه - أخلص فى النصح لأولئك المرتدين، قبل من يشن عليهم الحرب، وأنه لم يحاربهم إلا بعد أن تبين أنهم مصرون على كفرهم.

فقد أرسل أبوبكر أحد عشرة جيشا إلى القبائل والعشائر المرتدة وحرر رسالة أو بيانا بصيغة واحدة، وأعطى كل قائد جيش صورة منه، ليتلوها على أسماع القبيلة، التى أرسل إليها، وفيما يلى فقرات من تلك الرسالة.

«... وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه، بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان».

«وإنى قد بعثت إليكم (فلانا) فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه

إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقر.. وعمل صالحا قبل منه، وأعانه عليه. ومن أبى أمرت بقتاله على ذلك.. وأن يسبى النساء والزراى، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام».

«وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم. والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا يكفون عنكم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم.. وإن أقرأوا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغى لهم».

● ونستخلص من نصوص هذه الوثيقة التاريخية ما يأتى:

● أن المرء لا يقاتل ولا يُقتل حتى يُنصح ويدعى إلى الإسلام، ثم يمتنع عن الرجوع إليه.

● إذا رجع المرتد إلى الإسلام قبل منه، ثم يؤمر بالعودة إلى العمل بشريعة الإسلام.

● إن أبا بكر أمر أن تداع رسالته هذه مبالغة فى النصح لهم.

● إنه لم يأمر بقتال المرتدين أو قتلهم ابتداء، بل جعل أمرهم بأيديهم فإن رجعوا إلى الإسلام فليس لأحد سلطان عليهم، وإن أبوا كانوا هم الذين اختاروا القتال والقتل، وهذا قمة الإنصاف.

● إن أبا بكر فرق بين الكفر الأصى، والكفر الطارئ بعد حصول الإيمان. وليس بعد ذلك سماحة يمكن أن يلام الإسلام على قصور فى الوصول إليها.

الإسلام وحقوق الإنسان

المؤلف: الأستاذ الدكتور / عبدالقادر هادي



حق احترام الحياة الخاصة وصون الأعراض

حرص الإسلام على احترام الحياة الخاصة فمنع دخول بيوت الغير إلا بالاستئذان فقال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آزِجُوا فَآزِجُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ (١).

وأمر باستئذان الخدم ونحوهم والذين لم يبلغوا الحلم من أبنائنا على أهلهم وعلى غيرهم في ثلاث أوقات من قبل صلاة الفجر وحين يضعون ثيابهم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، كما حرص الإسلام على صون أعراض الناس وعدم كشف أسرارهم بالغيبة والنميمة والتجسس فقال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَخِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾﴾ (٢).

وإن تناول الأعراض ممقوت في الإسلام ويعد أفظع من جريمة الربا فقد قال النبي ﷺ يوماً لبعض أصحابه : «أتدرون أربى الربا؟ قالوا : الله ورسوله أعلم.. قال : أربى الربا عند الله استحلال عرض مسلم» (٣).

ويجب على من ينقل إليه ذم أو تجريح يقال في حق إنسان ألا يقبله من يقوله له بل يعرض عن الإثم والتضليل كما قال تعالى :

(٢) الحجرات (١٢).

(١) النور (٢٧، ٢٨).

(٣) الترغيب والترهيب ٣/ ٥٠٥.



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَوَيْحٌ لَّكَ ۖ فَتَعَيِّنْ لَهُمْ سُبُلَ مَخْرَجِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ سَاهُونَ﴾ (٤).
 أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَتِهِمْ فَتُصْحِرُوا لَهُمْ مَا فَطَّرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ وَذَرْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥).

ويقول النبي ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.. قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أ رأيت إن كان في أخى ما أقول. قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» (٥) وينبه القرآن الكريم على أن المغتاب وصاحب البهتان يتحمل وزرا وإثماً عظيماً، يقول الله تعالى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ ۗ وَهُوَ مُخَوِّضُهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَلْزَمُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٦).

ويقول الرسول ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله - تعالى - ما يلقي بها بالآ يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله - تعالى - لا يلقي بها بالآ يهوى بها في جهنم» (٧).

حق صون المال

قد منع الإسلام الاعتداء على مال الغير، فمنع أى نوع من أنواع اغتصاب المال والاستيلاء عليه بالباطل دون حق، يقول تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ ۖ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ (٨).

ويقول الرسول ﷺ - فى خطبته العالمية - : «أيها الناس إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم أشهد» (٩). وحرّم أخذ الأموال دون رضا أصحابها أو رضا المجتمع الذى يملكها يقول ﷺ: «أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت اللهم أشهد» (١٠). قال ﷺ: «من اقتطع مال امرئ مسلم لقى الله - عز وجل - وهو عليه غضبان» (١١).

حق كسب المال والاستمتاع به

كانت النظم والمعتقدات قبل الإسلام تنهى الناس عن السعى لكسب المال والتمتع به وبملذات الدنيا لكن عقيدة الإسلام أباحت للناس أن يكسبوا الأموال سعياً فى الأرض ودعوة إلى العمل إذا كان ذلك من طريق حلال مشروع وللإنسان أن ينفق منه فى مأكله ومشربه وملبسه ويؤدى مايجب عليه من حقوق شرعية كالزكاة والصدقات وغيرها، قال تعالى:

(٥) سنن البيهقى ٢٤٧/١٠، فتح البارى ٤٦٩/١٠.

(٧) البخارى ١٢٥/٨، وأحمد ٣٣٤/٢.

(٩) من خطبة النبي ﷺ فى حجة الوداع.

(١١) البخارى ١٦٢/٩، وأحمد ٢٨٩/١.

(٤) الحجرات (٦).

(٦) النساء (١٠٨).

(٨) النساء (٢٩).

(١٠) أحمد ٤٢٣/٣.





﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ (١٢)

وقال عز حكمه :

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (١٣)

فالحرية فى ذلك مكفولة شريطة ألا يتلف المال بما يفسده أو يطغى به على الآخرين أو يمنع حقوقهم أو ينفقه فى المحرمات قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (١٤).

وإذا كانت بعض المذاهب والأيدلوجيات كالرأسمالية تترك الحرية مطلقة للفرد يكسب- كما يشاء- ومن أى طريق ويتمتع كما يشاء وينفق كما يريد، فإن الإسلام قد نظم سلوك الفرد فى هذه النواحي بحيث لا يتجاوز التصرفات التى تفيد نفسه وتفيد مجتمعه وإخوانه أصحاب الحقوق فى ماله .

وبعض الأيدلوجيات كالاشتراكية تجرده من حقوقه فى التملك وتجعله جزءاً من الدولة وأن الفرد آلة داخل جهازها الكبير لا يملك إلا بعض الأشياء الصغيرة من المتاع والمنقولات، لكن الإسلام حافظ على التوازن

بين حياة الفرد والجماعة ونظمها .

ومنع الإسلام نجاسة الأموال، وذلك عن طريق الكسب غير المشروع والحصول على المال الحرام من أى طريق، وحرم الرسول ﷺ مسلك عمه العباس فى جمع المال عن طريق غير شريف- وكان من أثرياء مكة ومرابيها- يقول ﷺ : « إن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبدالمطلب » (١٥).

وأباح الإسلام للإنسان حق الإرث والتوريث يقول تعالى :

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١٦).

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِى كَرِهْتُمْ خِطَ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (١٧)

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكُلِّ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا مِنْهُ نِصْفٌ مَّا تَرَكَ وَهِيَ تَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ (١٨).

ويبين القرآن الكريم حب الإنسان للمال :

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (١٩).

وميله إلى جمعه وعدم التوسع فى انفاقه :

(١٢) البقرة (١٦٨).

(١٤) الإسراء (٢٧).

(١٦) النساء (٧).

(١٨) النساء (١٧٦).

(١٣) البقرة (٢٦٧).

(١٥) من خطبته ﷺ فى حجة الوداع.

(١٧) النساء (١١).

(١٩) العاديات (٨).



﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا أَنْمَسَكُمُ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾ (٢٠).

حق التكافل الاجتماعي وحق الكفاية

يكفل الإسلام للإنسان ما يكفيه من العيش بتهيئة العمل النافع له ومن لا يتوافر له ذلك لعجز أو ضيق ذات اليد فإنه لا يترك كذلك بل له حق على أهله وذوى قريابه الأغنياء أن يوفروا له ما يكفى حياته، (صلة الرحم ونحوها).

وقد شرع الإسلام الزكاة وجعلها ركناً من أركان الإسلام لتكون سبيلاً إلى كفاية الفقير مئونة الحياة يقول تعالى عن المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٢١).

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٢٢).

فالزكاة فرض:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (٢٣).

ومن لم يؤدها توعد الله بالعقاب الأليم. ويقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٤) يَوْمَ يُخَيَّرُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَتَّكُونَ بِهَا جِاهَهُمْ وَجُودَهُمْ وَظُهُورَهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٢٤).

ومن لم يخرجها مختاراً أخذت منه عنة. ويذكر بعض الفقهاء - كالشافعي - وجوب كفاية الفقير طول عمره، وكان عمر - رضى الله عنه - يقول: «إذا أعطيتهم فأغنوا» ومن التكافل الاجتماعي أن يقوم الأغنياء بمساعدة الفقراء بما يكفيهم من منطلق قول الرسول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٢٥). وقوله «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (٢٦). ونفى الإيمان عمن يبيت وهو شعبان وجاره جائع.

وإن المجتمع الإسلامى مجتمع متكافل متراحم يمد يده للمحتاجين حتى من غير المسلمين فعمر فرض ليهودى محتاج فى بيت مال المسلمين نصيباً.

(٢٠) الإسراء (١٠٠).

(٢٢) النمل (٢).

(٢٤) التوبة (٣٤، ٣٥).

(٢٦) أحمد ٢٧٠/٤.

(٢١) المؤمنون (٤).

(٢٣) النور (٥٦).

(٢٥) البخارى ١٢٩/١، ١٦٩/٣.

حرية الاعتقاد والتكليف في الإسلام

إن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٢٧).

﴿أَفَأَنْتُمْ تُكْرِهُونَ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ

فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٢٩).

وقد جعل الله - تعالى - للإنسان عقلاً يتأمل في الشواهد والأدلة، وحواس وقدرة جسمية تمكنه أن يعرف طريق الهدى من طريق الضلال :

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ

﴿١﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٣٠).

والقول بأن الإسلام استخدم السيف في إكراه الناس على الدخول فيه دعوى زائفة روج لها أعداء الإسلام، وأما قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) (٣١). فلفظ الناس الوارد فيه ليس عاماً فلا يقصد به الناس جميعاً، وإنما المقصود به أناس بأعيانهم وهم أهل مكة من المشركين - هؤلاء الذين آذوا المسلمين في أنفسهم وأهليهم وأموالهم ونهبوهم وطردوهم من ديارهم فقال تعالى :

﴿أُوذِنَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

لَقَدِيرٌ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْتَ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (٣٢).

لكن الإسلام يطلب ممن لم يدخل فيه ألا يعتدى على أهله بالفعل أو بالقول، فلا يسئ إلى الدين ولا ينال من قيمه ومثله العليا إلا رد الإسلام على العدوان.

حق الحرية الاجتماعية

لاشك أن الحرية تدل على قيمة من تعطى له والإنسان كائن اجتماعي كرمه مولاه فأعطاه هذه الميزة، وإذا كانت الأنظمة البشرية تحد من حرية الإنسان في مناحي حياته الطبيعية في الإقامة والتنقل والسكن والمشرَب والفكر، فإن الإسلام أعطى الأفراد حرية في ذلك مع بعض القيود التي تنظم السلوك الفردي حتى ينسجم مع سلوك الجماعة.

والحرية في الإسلام مكفولة بمراقبة الله - سبحانه - لابنظريات أشخاص - كأفلاطون أو سارتر- أو مؤسسات - كتلك التي أقامت الثورة الفرنسية.

والحرية في الإسلام تسمح للإنسان أن يعبر عن طاقاته وفكره مع الأمانة والمسئولية والإخلاص والضمير، وللإنسان الحق في الدفاع عن نفسه إذا ما ظلم ولكن بشروط وضوابط فلا

(٢٨) يونس (٩٩).

(٣٠) البلد (٨ : ١٠).

(٣٢) الحج (٣٩، ٤٠).

(٢٧) البقرة (٢٥٦).

(٢٩) الكهف (٢٩).

(٣١) البخاري ١/١٣، ٩/١٣٨.



وعلى هذا فالقائلون بأننا نعطي من العمل بمقدار مانأخذ من الأجر مخطئون مفارقون لمعنى الحرية الحقيقية وقد جاء الإسلام بهذا واضحاً حينما حدد أن الإنسان حر في عمله لكنه يتحمل مسئولية التقصير قال تعالى :

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٦) وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى (٣٧) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (٣٨)﴾ .
 ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٩)﴾ .
 ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٤٠)﴾ .

حق المرأة في التكريم والعمل على قدم المساواة مع الرجل

فهى عنصر من عناصر المجتمع، وهى صنو الرجل والمكمل له، وهما يتقاسمان أمور الحياة ولاستقيم بدونها وإذا كانت الشرائع والقوانين السابقة قبل الإسلام حطت من شأن المرأة وسلبت منها حقوقها فإن الإسلام كفل لها جميع حقوقها المدنية والاقتصادية والثقافية وغيرها كالرجل تماماً .

وقد أباح الإسلام للمرأة أن تسهم بجدها ونشاطها فى تسيير دفة الحياة وتكتسب خبرات ومهارات فى شتى الميادين وأن تتثقف وتتعلم وأن تعمل فيما يناسبها من الأعمال

يكذب فى شئ ولا يفترى على الآخرين، وقد ورد عن النبى ﷺ أنه كان إذا أتاه خصمان يتنازعان فى حق يقول لهما : « إنما أنا بشر ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فإذا قضيت لأحدكم بشئ من مال أخيه ظلماً فإنما اقتطع له قطعة من النار » (٣٣) .

وحق الإشهاد ثابت لكلا الخصمين شريطة عدالة الشهود فإن ثبت كذبهم يرجع على الشهود بالحد أو التعزير كما يقول الفقهاء .

وللإنسان حرية العمل والمشاركة فى نهضة الأمة فإذا ترك عملاً فلأنه فاسد ضار وإذا عمل عملاً فلأنه صالح مفيد والإسلام يريد أن يكون الإنسان غير مسلوب الإرادة حتى يكون ذا دور فعال فى الحياة لتتقدم وتنهض وليس للإنسان حرية فى الإهمال أو التقصير فى الأعمال أو محاولة إلحاق الضرر بالعمل الذى يقوم به مما يضر بالآخرين أو بالأمة أو يؤدى إلى ضياع مقدراتها باسم الحرية فى العمل أو أداء مايسطيعه، فإن مسئولية الإنسان وبقطة ضميره وإيمانه يدعوه إلى عامل الخلق الذى يوجه عمله إلى الاستقامة .

فالإسلام جعل حرية الإنسان قائمة على المبادئ التى ترتكز على التقوى وإحسان العمل «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (٣٤) . فالعقيدة والعمل متلازمان وعلى أساسهما يثاب الإنسان .

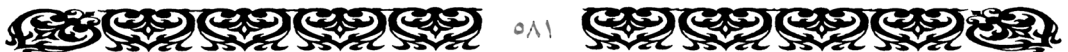
(٣٤) مجمع الزوائد ٩٨/٤ .

(٣٦) المذكر (٣٨) .

(٣٣) أحمد ٣٣٢/٢ .

(٣٥) النجم (٣٩ : ٤١) .

(٣٧) فاطر (١٨) .



وقد كانت المرأة فى صدر الإسلام تتولى التعليم والثقيف، فقد كانت المرأة فى صدر الإسلام تتولى التعليم والثقيف، فقد كانت امرأة من بنى عدى تعلم السيدة أم المؤمنين حفصة الخط وأصول الكتابة، روى مسلم وأبو داود عن حفصة أنها قالت: دخل على النبى ﷺ فقال لى: ألا تعلمين هذه الرقية كما علمتك الكتابة» (٣٨).

وكان للسيدة نفسية بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن على بن أبى طالب مجلس علم كان يحضره الإمام الشافعى ويذكر المقرئ فى نفح الطيب أن جارية تعلمت النحو واللغة والعروض وفاقته سيدة فى ذلك وكانت تحفظ كتاب الكامل للمبرد والأمالى للقالى وكانت تدرس لطالبى العلم.

وقد دعا النبى ﷺ إلى العناية بالمرأة فقال: «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق وعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما النساء عندكم عوان فاتقوا الله فى النساء، واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم اشهد» (٣٩).

حق التفكير والتعليم

خاطب الإسلام العقل ووجهه إلى التفكير فى ملكوت السموات والأرض:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ يَمَافُتَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَدْرِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤٠).

وكثيراً ما يوجه الخطاب القرآنى إلى العقل الواعى عند ذوى الألباب.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَّا يَذَّكَّرُ مِنْ كُلِّ مَنْ

عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٤١).

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٤٢).

وفى القرآن الكريم دعوة إلى التفكير:

﴿وَسْأَلُونَكَ مَاذَا ابْنُفَقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٣).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤).

ودعوة القرآن إلى العلم كثيرة:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٥).

ويقول الحق - سبحانه - لنبيه ﷺ:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (٤٦).

(٤٠) البقرة (١٦٤).

(٣٩) الطبرى ٤/٢١٢.

(٣٨) أخرجه مسلم وأبو داود.

(٤٣) البقرة (٢١٩).

(٤٢) الزمر (١٨).

(٤١) آل عمران (٧).

(٤٦) طه (١١٤).

(٤٥) الزمر (٩).

(٤٤) الأنعام (٥٠).



المنظومة الشمسية هي المرادة بالسموات السبع في القرآن الكريم فكيف يصح ذلك التأويل مع أنهم أدخلوا في السيارات السبع الأرض؟ ثم قد اكتشفت فلكيات أخرى لم تكن معلومة عند المتقدمين (مثل فلك النجيمات وأرانوس ونبتون وبلوطس وغيرها من المذنبات والشهب) .. ونجد كشوفاً أخرى تظهر خطأ هذا الربط .

وقد فسروا الدخان بالسديم في خلق السموات .

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ

﴿٥١﴾

فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٥٢﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿٥٣﴾

والنظرية السديمية قال بها « سويدنبرج » وفصلها « لابلاس » وبها فسرت نشأة المنظومة الشمسية من السديم (مادة غازية ملتهبة) وهكذا نشأت النجوم، ولكنها مجرد نظرية محتملة لا يقينية. يمكن أن تتعرض للثبوت أو النفي فيما يأتي من الزمان .

ثم إن التفسير العلمي للقرآن ينبغي أن يُتَريث فيه ولا يدخل مجاله إلا من يملك أدوات المفسر والمجتهد .

ويقول ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» (٤٧) . وقال ﷺ : (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) (٤٨) وقال : (إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء) (٤٩) .

وقال : (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) (٥٠) .

والعلم هنا بمعناه الواسع العلم الديني والعلم الدنيوي فالدخول إلى العلوم الحديثة أمر إلهي فيؤخذ منها ما يفيد المسلمين في حياتهم الدنيوية .

فالقرآن الكريم يأمرنا بالنظر ومعرفة العلوم المتاحة وألا نتخلى عنها لأنها من صميم ما يدعو إليه الإسلام .

ولكن ينبغي ألا نفرط في الربط بين قضايا العلوم الحديثة وآيات القرآن، لأن ما اتصل إليه العلوم الحديثة مجرد احتمال قابل للتغيير والصواب والخطأ، وهذا وإن صح ربط بعضه بالقرآن فلا يجوز أن تقول إن كل مستحدث في العلم جاء في القرآن الكريم .

فبعض من يرى وصل العلم الحديث بالقرآن يدعى أن السيارات السبع في

(٤٨) اتحاف السادة المتقين ٢٦٨١ .

(٥٠) اتحاف السادة المتقين ٢٦٤٧، الترغيب والترهيب ١٠٥/١ .

(٤٧) الطبراني ٢٤٠/١٠ .

(٤٩) البيهقي ٢٢/٧ .

(٥١) فصلت (١١، ١٢) .

حقوق الإنسان .. رؤية أمريكية

للستاذ / أحمد السيد فتح الدين

وعقدت مؤتمرات متعددة كلها تكيل الاتهامات للحكومات العربية والإسلامية وتتهمها بانتهاك حقوق الإنسان، وبدأت تظهر دعوات جديدة عن ضرورة تحديث الإسلام وتطويره، ليصبح مواكبا للعصر فما كان يحدث منذ أكثر من ١٤٠٠ عام لا يمكن أن يسمح به اليوم .. هكذا يقولون!! وركز دعاة حقوق الإنسان حملاتهم على مصر باعتبارها مركز الإشعاع الإسلامى فى العالم كله من جانب، فضلا عن ثقلها السياسى الذى يضعها فى مصاف الزعامة وسط الدول الإسلامية من جانب آخر.

وتناسى أدعاء حقوق الإنسان حقائق هامة متعددة يمكن إجمالها فى أن هناك انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان أبشع وأشنع فى شتى دول العالم.

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر- والتى اعتقد أنه لا يمكن الجزم على وجه اليقين بمسؤولية جهة بعينها عنها- اختفى دعاة حقوق الإنسان تماما من الساحة وأعلن التحالف «الأوروبأمريصهيونى» الحرب على الإسلام شعوبا وعقيدة وثقافة.

ووضع الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش حجر الأساس للحملة الصليبية على الإسلام وعلى الشعوب

قضية حقوق الإنسان واحدة من أهم القضايا التى كثر الحديث حولها خلال القرن المنصرم، وحظيت دول الشرق الأوسط وبخاصة الإسلامية منها باتهامات حادة بأن حكوماتها تمارس انتهاكات متعددة لحقوق الإنسان.

وفى فترة من الفترات تركزت هذه الاتهامات على جمهورية مصر العربية حيث تعددت تقارير متعددة عن انتهاكات لحقوق الأطفال الذين يمارسون أعمالا شاقة تتنافى مع طبيعتهم البريئة، فضلا عن قضية ختان الإناث التى قفزت فى فترة من الفترات لتتصدر اتهامات منظمات حقوق الإنسان.

وهناك من تحدث عن انتهاكات بحق المرأة- فى مصر أيضا- فيزعمون أنها لا تحصل على قسط وافر من التعليم.

كما تحدثوا عن أن الإسلام يجيز للرجل أن يتزوج بأكثر من زوجة فى حين أنه لا يمنح نفس الحق للمرأة، وأن الشريعة الإسلامية منعها من المساواة مع الرجل فى الميراث.

الإسلامية كلها مسئولية هذا الهجوم- وأفغانستان الواقعة بين كثافة إسلامية هائلة حيث تركيا والجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى المنحل وإيران وباكستان وبنجلاديش والهند وإندونيسيا وماليزيا والعراق ودول الخليج البترولية؟

المهم فى الموضوع أن دعاة حقوق الانسان اختفوا تماما لم يعد هناك من يتحدث عن قضية ختان الإناث فى مصر، ولا قضية تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية ولا الظلم الواقع على المرأة المسلمة من جراء عدم مساواتها بالرجل فى الميراث.. لماذا؟

لأن الولايات المتحدة وحلفاءها فى إسرائيل والهند وروسيا قرروا معالجة الأمر بأنفسهم وتصفية هذه الشعوب التى دخل بعضها ضمن التصنيف الأمريكى الشهير «محور الشر».

فبعد ليبيا وسوريا وإيران أصبح البعض يتحدث عن السعودية واليمن. فى حين لم يرصد أحد حتى يومنا هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية أحرزت مكاسب عسكرية هائلة من وراء تفجيرات نيويورك فى مقدمتها تحويل مدينة قندهار الأفغانية بكاملها إلى قاعدة عسكرية أمريكية، بل لعلها أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى العالم كله تراقب من خلالها نشاطات الدول الإسلامية بوجه خاص مثل باكستان وتركيا وإيران خاصة الأولى والثالثة حيث دخلت الدولة الأولى إلى

الإسلامية فقامت قواته بدك مالم يدمره الروس فى أفغانستان وقاموا باقتلاع جذور الحياة منها وحولوا شعبها إلى لاجئين مشردين وسط خرائب أرضهم فى حين واصل الروس حملتهم الشرسة فى الشيشان مستغلين انحسار الضوء عن مأساة الشعب الشيشانى بعد انشغال الرأى العالم العالى بحادث ١١ سبتمبر.

وفى الجنوب حصل المتطرفون السيخ والهندوس على الضوء الأخضر من حليفهم بوش لإنهاء قضية كشمير وتصفية شعبها بدعوى أنه شعب إرهابى تربطه علاقات مع تنظيم القاعدة!!

بداية أقول أو أتساءل من المستفيد ومن الخاسر من أحداث ١١ سبتمبر؟

وأطرح سؤالاً آخر: لماذا لم ينفذ أسامة بن لادن تفجيرات ١١ سبتمبر فى تل أبيب مثلاً بدلاً من نيويورك؟ أعتقد لو فعلها لكانت أمور كثيرة قد تغيرت لأن إسرائيل لا يمكن أن تتحمل نوعاً من هذا الهجوم الذى كان بالتأكيد سيصيب ساكنيها بالهلع ويدفعهم دفعا نحو الفرار من تلك الأراضى التى زعم من زعم أنها ميراث بنى إسرائيل!!

بل لعل بن لادن كان سيصبح حينها بطلاً قومياً تتغنى المظاهرات الحماسية باسمه!!

السؤال الرئيسى: لماذا فى الولايات المتحدة تحديداً حدث هذا الانفجار؟ ولماذا تم اختيار بن لادن- الذى ترتب عليه تحميل الشعوب



وأفنى الحياة من ربوعها يسير شارون على
نفس الدرب فيقوم بضرب الضفة الغربية
بالطيران والمدفعية وفى الطريق غزة .

بل أين أسامة بن لادن نفسه؟ هل هو
حقيقية أم قصة سينمائية تم تصويرها
وإخراجها فى «هوليوود» أين أسامة بن لادن؟
ومن الذى صنعه ودربه على الإرهاب إن كان
حقا شخصية لها أصل فى الواقع المحسوس؟
فقط مجموعة من شرائط الفيديو تم بثها عن
طريق محطة فضائية ناشئة ذات توجهات أقل
ما توصف به بأنها غير مريحة .

كيف تستطيع محطة فضائية ناشئة أن
تنجح فيما فشلت فيه الولايات المتحدة :
تحديد مكان بن لادن وتصوير حديث له يذاع
للعالم كله .

وإذا كان بن لادن هو الذى أرسل الأشرطة
فكيف يتسنى له ذلك وسط الحصار
والضربات الجوية والبرية والبحرية؟ وما هى
أهداف أسامة بن لادن من تسجيل وإذاعة
هذه الأشرطة؟ هذه الأشرطة نجحت فقط فى
تبرير الضربات الأمريكية على أفغانستان فهى
وإن لم تتضمن اعترافا صريحا بالمسؤولية عن
تفجيرات « ١١ سبتمبر » إلا إنها حملت
إشادة بتفجيرات نيويورك ومن نفذوها وهو
الأمر الذى كان كافيا من وجهة النظر
الأمريكية، فى تبرير ضرب أفغانستان، ثم
فلسطين فيما بعد .

مراسل مجلة News Week^(١) وجه سؤالاً

نادى الدول النووية وتسعى الثالثة إلى نيل
بطاقة العضوية العاملة فيه .

أما تركيا فهى نقطة التمثيل بين قارتى
أوروبا وآسيا، والولايات المتحدة وباعتبارها
زعيمة للتحالف «الأورو أمريصهيونى» لا
يمكن أن تنسى أن تركيا فى وقت ما كانت
دولة عظمى مرهوبة الجانب وقد تسعى إلى
استعادة ماضيها، كذلك تتيح لها هذه
القاعدة التجسس على أعدائها التقليديين
«روسيا والصين» .

وفضلا عن ذلك أصبحت الولايات المتحدة
الأمريكية هى الدولة الوحيدة فى العالم التى
تنفرد بتصنيف الدول إلى دول «شر» ودول
«خير» ودول إرهابية ودول متعانة، وظهر
المصطلح الأمريكى الشهير «من ليس معنا
فهو ضدنا» وهكذا مطلوب من العالم كله
وفى مقدمته العالم الإسلامى أن يكون عالما
أمريكيا حتى ينجو من شبهة اتهامه بالإرهاب
والشر .

فهل حقا تعرضت الولايات المتحدة لخسائر
من جراء هجمات نيويورك المزعومة أم جنت
من وراء ذلك مكاسب هائلة؟

ويبدو أن إسرائيل «طفل أمريكا المدلل»
أدركت اللعبة وقررت أن تستفيد منها إلى
أقصى درجة فحاكت النموذج الأمريكى
تماما .

وكما قصف بوش أفغانستان بالقنابل



جنين، ولكن هذه المرة منع الصحفيين ووكالات الأنباء من الاقتراب والتصوير، ومنع لجنة تقصى الحقائق التي شكلتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار لمجلس الأمن من الذهاب لمعاينة المذبحة على الطبيعة، مما يعطى صورة بشعة عن حقيقة الوضع فى مخيم جنين تماما كما فعل الأمريكيون فى أفغانستان..

والآن شارون يتهم المملكة العربية السعودية بدعم أسر شهداء جنين ببضعة قروش تعاونهم على إزالة آثار العدوان، تلك الآثار التى يرغب شارون ألا تزول حتى يصاب الشعب الفلسطينى باليأس والإحباط ولا يكون أمامه إلا أمران لا ثالث لهما إما الخنوع والخضوع والاستسلام، وإما مغادرة الأرضى نهائياً.

تلك هى الرؤية الأمريكية الصهيونية لحقوق الإنسان المسلم بوجه عام والعربى بوجه خاص، وأصبح شعارهم: «هؤلاء القوم يجب أن يخضعوا لنا» ولكن ما لا يعلمه هؤلاء أننا أمة موعودة بالنصر مادامنا مؤمنين شاءوا ذلك أم أبوا، وعدنا الله ولن يخلف وعده:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢)
صدق الله العظيم، صدق الله العظيم،
صدق الله العظيم.

إلى «إيفى إيتام» وهو جنرال سابق فى الجيش الإسرائيلى ومتطرف مغال فى تطرفه «حسب وصف المجلة»: إسرائيل تتعرض لضغوط قوية من الولايات المتحدة للانسحاب هل يمكنكم أن تصدوا أهم حلفائكم؟

رد «إيفى إيتام» بقوله: أنتم «الولايات المتحدة» ركبتم طائرات ب ٥٢ التابعة لكم وضربتم كل شئ تحت غيوم أفغانستان، لم تكثرثوا بالمدنيين، لم تعيروا أى اهتمام بالبنية التحتية لتلك البلاد، لقد شعرت بأن بوسعكم القيام بهذا لأنكم شعرت بأنكم آمنون من الانتقاد الدولى، ولعدة أسابيع لم تسمحوا لوسائل الإعلام بالدخول إلى أفغانستان، وقد احتجتم إلى الوقت، نحو سبعة أشهر، سأقول لكولين باول ألا يكون لديه معيار أخلاقى مزدوج.

والآن توجه إسرائيل الاتهامات إلى المملكة العربية السعودية بدعم الإرهاب ودليلها على ذلك أن المملكة العربية السعودية تقدم معونات لأبناء الشعب الفلسطينى، أبناء المقهورين الذين جرى ذبحهم بشكل جماعى بشع نشرت صورته وكالات الأنباء مثل مذابح مخيم صابرا وشاتيلا، تلك المذبحة التى أكدت تحقيقات لجنة كاهاناه الإسرائيلية مسئولية السفاح الصهيونى أرئيل شارون وزير الدفاع الصهيونى آنذاك عنها.

ولم يتورع السفاح عن تكرار المذبحة فى

لأجى، ينشد ووطنًا

للشاعر الكبير الأستاذ / خير الدين الزركلى (*)

- دُمُوعٌ مِّنْ تِلْكَ الَّتِي تَذْرِفُ؟ ** وَقَلْبٌ مِّنْ، هَذَا الَّذِي يَوْجِفُ؟^(١)
 إِنْ كَانَ إِنْسَانًا فَهَلَّا صَفَى ** إِلَيْهِهِ مَن يَرْحَمُ أَوْ يَرَأْفُ؟^(٢)
 أَمْ لَيْسَ فِي النَّاسِ لِمُسْتَنْصِفٍ ** مَن نَاصِرٍ يَعْطِفُ أَوْ يُنْصِفُ؟^(٣)
 جَرَدَهُ مِّنْ بَأْسِهِ غَادِرٌ ** وَسَامَهُ الذَّلَّةُ مُسْتَضْعَفُ؟^(٤)
 أَلَقَتْ بِهِ الْأَيَّامُ فِي هُوَةٍ ** أَيْسَرُ مَا يَلْقَى بِهَا الْمُتَلَفُ؟^(٥)
 يُصَارِعُ الْحِدْثَانُ جَيَاشَةً ** كَأَنَّهُمَا فِي فَيْلَقٍ تَزْحَفُ؟^(٦)
 إِنْ رَدَّ مِنْهَا مُوجِفًا خَطْبُهُ ** عَاجِلُهُ مِّنْ خَطْبِهَا مُوجِفُ؟^(٧)
 هَبَّتْ تَوَاسِيِيهِ ذَرَارِيَهُ ** وَبَيْنَهَا الْهَالِكُ وَالْمُشْرِفُ؟^(٨)
 يَقُولُ عَانِيَهُمْ، وَوَجْهَهُ الدُّجَى ** كَوَجْهِهِ، مُكْتَتِبٌ مُّغْضِفُ؟^(٩)
 أَمَا إِلَى الْأَفْلَاكِ مِنْ وَثْبَةٍ ** تُمَحِّقُ فِيهَا الشَّمْسُ أَوْ تُنْسَفُ؟^(١٠)
 مَا أَعْدَلَ الذَّرَّةَ صَعَاقَةً ** تَفْعَلُ مَا لَا يَفْعَلُ الْمُرْهَفُ؟^(١١)

(*) قيلت هذه القصيدة منذ خمسين عاماً وكأنها قيلت الآن، والشاعر الكبير خير الدين الزركلى من كبار الشعراء، وسفير المملكة العربية السعودية بالمغرب سابقاً.

- (١) يوجف: يضطرب. (٢) صفى: مال. (٣) مستنصف: يطلب الإنصاف.
 (٤) مستضعف: بكسر العين: يعده ضعيفاً. (٥) هوة: حفرة، المتلف: الهلاك. (٦) الحدثان: صروف الدهر، فيلق: جيش.
 (٧) الموجف: الباعث على الاضطراب الشديد. (٨) ذراريه: نسله، المشرف: القريب من الهلاك.
 (٩) مغضف: منكشف. (١٠) تنسف: تكسف. (١١) المرهف: السيف.



لا خَيْرَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أُنْبَتَتْ * * * وَلَا بِأَهْلِيهَا وَمَا زَخَرُفُوا (١٢)
الْمُسْتَنْزِلُ الْحُرُّ، وَالْمَزْدَرَى * * * عَالِي الدُّرَا، وَالْأَوْضَعُ الْأَشْرَفُ (١٣)



مَعَاشِرٌ عَزَّتْ لَهُمْ أَنْفُسٌ * * * تَأْبَى الدَّنِيَّاتِ وَتَسْتَنْكِفُ (١٤)
أَنْفُسٌ أَحْرَارٌ ثَقَالِ الْخَطَى * * * إِنْ خَفَ يَوْمَ الرُّوعَةِ الْخَوْفُ (١٥)
مَنْبِئُهُمْ عَدْنَانٌ أَوْ جُرْهُمُ * * * وَأُمَّهُمْ بَلَقِيسُ أَوْ خِنْدِفُ (١٦)
لَمْ يَرْتَضُوا بِالْهُونِ فِي أَرْضِهِمْ * * * يَأْبَى مَقَامَ الْهُونِ مِنْ يَأْنَفُ (١٧)
خَلَوْا تَرَاثَ الْعِزِّ لَمْ يَحْفَلُوا * * * وَاسْتَوْدَعُوا الْأَقْدَارَ مَا خَلَفُوا (١٨)
مَبِيتُهُمْ فِي حُفْرَةٍ قَفْرَةٍ * * * تَكَادُ مِنَ الْأَوَائِهِمْ تُخَسِّفُ (١٩)
لَا عَاصِمٌ إِنْ عَصَفَتْ زَعَزَعُ * * * وَلَا وَقَاءٌ إِنْ هَمَى صُيِّفُ (٢٠)
مَصْبَحُهُمْ هَمٌّ، وَمَمْسَاهُمْ * * * غَمٌّ، وَمَضْحَاهُمْ ضَنْىٌ مُدْنِفُ (٢١)
تَوَاطَأَ النَّاسُ عَلَى نَبْلِهِمْ * * * كَأَنَّهُمْ دَرَاهِمُ زَيْفُ (٢٢)
كَمْ وُوعِدُوا، وَمَا وَفَى وَعْدُ * * * وَشَرُّ مَنْ وَعَدَكَ الْمُخْلِفُ (٢٣)
لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ لَمَا رُوعُوا * * * فِيمَ يُرَاعُ الْأَعْزَلُ الْأَضْعَفُ (٢٤)
بَيْنَ التَّعَمُّلَاتِ وَبَيْنَ الْمُنَى * * * فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ مَرْقِفُ (٢٥)
يُثَرِّثُ السَّاسَةَ مِنْ حَوْلِهِمْ * * * هَذَا يُمْنِيهِمْ وَذَا يَلْهَفُ (٢٦)

(١٤) الدنيات: الصغائر.

(١٧) الهون: الذل.

(٢٠) زعزع: رياح شديدة.

(٢٣) وُوعِدُوا: قدمت لهم الوعود.

(١٣) المستنزل: الدليل، المزدري: المحقر.

(١٦) يريد بجرهم وبلقيس: قحطان.

(١٩) لاأوائهم: ما يلقون من الشدة.

(٢٢) تواطأ: أجمع، زيف جمع زائف.

(٢٥) التعلمات: ما يموه لهم من الوعود.

(١٢) زخرفوا: أبدعوا من الزينة.

(١٥) الروعة: الفزع.

(١٨) خلوا: تركوا، يحفلون: يهتمون.

(٢١) ضنى: مرض، مدنف: مسقم.

(٢٤) الأعزل: من لا سلاح معه.

(٢٦) الساسة: السياسيون، يلهف: يبلع الحقوق.





كَأَنَّهُمْ حَقْلٌ تَجَارِبُهُمْ * * * وَلَيْسَ مِنْ يَانِعَةٍ تُقْطَفُ (٢٧)

أَطْبَةُ حَوْلَ ضَنْ شَرَحُوا * * * جُثْمَانُهُ وَعَيْنُهُ تَطْرِفُ! (٢٨)



وَلِلْسَيَّاسَاتِ أَحَابِيلُهَا * * * لَا مُنْصِفَ فِيهَا وَلَا مُسْعِفُ (٢٩)

لُغَاتُهَا غَيْرُ لُغَى نَاسِنَا * * * وَعُرْفُهَا غَيْرُ الَّذِي يُعْرِفُ (٣٠)

يَدُورُ مَنْ حَلَقَ فِي جَوْهَا * * * فِي فَلَكٍ أَنْجُمُهُ رُجْفُ (٣١)

لَا تُدْرِكُ الْعَيْنُ الْأَعْيَبَهَا * * * وَلَا يُحِسُّ السَّمْعُ مَا تَهْرِفُ (٣٢)

وَأَهْلُهَا إِنْ وَاْعَدُوا أَخْلَفُوا * * * مِيعَادَهُمْ، أَوْ عَاهَدُوا لَمْ يَفُوا

الظُّلْمُ فِيهَا، الْعَدْلُ فِي غَيْرِهَا * * * وَالْمُقْسِطُ الْمُؤْتَمَنُ الْمُجْحِفُ (٣٣)

وَالْمُسْتَعَادُ الْقَوْلُ، مَمْلُوءُهُ * * * وَالْأَحْكَمُ الْمُسْتَلْهَمُ، الْأَسْخَفُ (٣٤)



مَدَّتْ بِسَاطِ الْعَطْفِ مِنْ رَفِقِهَا * * * وَاللَّاجِئُ الْمَحْرُومُ مُسْتَعْطِفُ (٣٥)

تُطْعِمُهُ الزُّقُومَ، كُلُّ هَانِيَا * * * أَمَامَكَ السُّمُّ أَمَا تَغْرِفُ (٣٦)

مَوْطِنُكَ الدُّنْيَا... وَإِنْ يَبْغِهِ * * * فَبَيْتُهُ قَاعٌ بِهَا صَفْصَفُ (٣٧)

مُشَرَّدٌ كَأَنَّهُ أَكْزَرَةٌ * * * يَحْبِسُهَا اللَّاعِبُ أَوْ يَقْذِفُ (٣٨)

تَنْقُلُهُ الذُّكْرَى إِلَى عَهْدِهِ * * * فِي الْمَوْطِنِ الْحَقِّ فَيَسْتَشْرِفُ (٣٩)

(٢٩) أحابيلها: المراد مكانها.

(٢٨) أطبة: جمع طبيب، ضن مريض.

(٢٧) يانعة: زهرة ناضرة.

(٣٢) تهرف: تكذب.

(٣١) حلق: طار.

(٣٠) عرفها: ما تعارفت عليه.

(٣٥) مستعطف: يطلب العطف.

(٣٤) الأحكم: ذو الحكمة.

(٣٣) المقسط: العادل.

(٣٨) أكرة: ما يلعب بها.

(٣٧) يبغيه: يطلبه، صفصف: خال قفر.

(٣٦) الزقوم: مر الطعام.

(٣٩) يستشرف: يتطلع.





وَتَسْتَعِيدُ الْأَمْسَ أَحْلَامُهُ ** وَهُوَ الرُّضِيُّ الْعَيْشِيَّةُ الْمُتَرَفُّ (٤٠)
 أَيَّامَ نَعْمَاهُ، وَظِلُّ الْحِمَى ** مُنْبَسِطٌ، دَانِي الْجَنَى، مُورِفٌ (٤١)



وَيَحَ اللَّيَالِي.... فِي تَصَارِيفِهَا ** يَضِلُّ رَأَى الْأَكْنِيسِ الْمُحْصِفِ (٤٢)
 حَمَقَاءُ يَمْضِي حُكْمُهَا ضَلَّةً ** كَمَا يَسُوسُ الْخَنَعَ الْحُيْفُ (٤٣)
 عَابِثَةٌ إِنْ كَدَرْتُ أَوْصَفْتُ ** لَا بِالْهَوَى وَلَا الْهُدَى تُوصَفُ
 جَرَعْتُ الْعَلَقَمَ مِنْ نَفْسِهِ ** عَنْ وَرْدٍ غَيْرِ الْمُشْتَهَى تَعْرِفُ (٤٤)
 وَبَاتَ مَنْ طَابَ لَهُ عَيْشُهُ ** وَقُوَّتُهُ الطَّحْلُبُ وَالْحُرْشُفُ (٤٥)
 ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ لَهُ ** وَأَنْقَلَبَ الْفُلُكُ الَّذِي يَجْدِفُ (٤٦)
 النَّاعِمُ الْهَانِيءُ فِي أَمْسِهِ ** يَسْتَرْقِدُ الْيَوْمَ وَيَسْتَرْدِفُ (٤٧)
 يُثِيرُهُ الْحَقْدُ عَلَى دَهْرِهِ ** وَيَنْشَنِي فِي قَيْدِهِ يَرْسِفُ (٤٨)
 الْجُوعُ وَالْعُرَى يُنِخَانُهُ ** وَالشَّرَفُ الضَّائِعُ يَسْتَوْقِفُ (٤٩)
 مَا اسْتَنْطَقَ الْأَجْيَالُ مُسْتَرْشِدٌ ** بِمَا طَوَتْ عَنْهُ وَمَا تَكْشِفُ (٥٠)
 إِلَّا أَجَابَتْهُ تَجَارِيِبُهَا ** كَأَنَّهَا مِنْ غَيْبِهَا تَهْتِفُ (٥١)
 مَا لِلتَّصَارِيفِ بَقَاءٌ عَلَى ** حَالٍ، لِكُلِّ مِحْنَةٍ مَصْرِفُ (٥٢)

(٤٠) وهو الرضى: الواو للحال أى حال كونه راضياً. (٤١) مورف: ظليل.

(٤٢) المحصف: الحصف صفة للرأى.

(٤٣) الخنع: جمع خانع وهو الخاضع، الذليل. الحيف: جمع حائف وهو الظالم.

(٤٤) تعرف: تنصرف.

(٤٥) الحرشف: نبات خشن لا يؤكل.

(٤٦) يجدف: يسير فى الماء.

(٤٧) يسترفد: يطلب العطاء وكذلك يستردف.

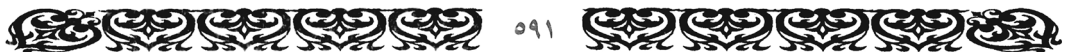
(٤٨) يرسف: يمشى مشية المقيد.

(٤٩) ينخانه: المراد يخضعانه.

(٥٠) استنطق: طلب الإجابة نطقاً.

(٥١) غيبها: عالمها المحجوب.

(٥٢) التصاريف: صروف الزمن، مصرف: نهاب.





الشُّرُّ بِالشُّرِّ لَنْ يَصْطَلَى ** وَالْخَيْرُ بِالْخَيْرِ لَنْ يُسْلَفَ^(٥٣)
بِرَاءَةُ الْجَانِي عِقَابُ لَنْ ** لَا يَقْرُبُ الْإِثْمَ وَلَا يَقْرَفُ^(٥٤)



مَرَرْتُ بِالْقَوْمِ وَقَدْ خَيَّمُوا ** وَالرَّيْحُ فِي أَيْمَانِهِمْ تَعَصِفُ^(٥٥)
جَحَافِلُ مُنْبَثَّةٌ فِي الْفَلَآ ** كَأَنَّهُمَا هَيَاكِلُ تُرْصَفُ^(٥٦)
أَحْمَدُ طُولُ السَّغْبِ أَنْفَاسُهَا ** كَالْجُمُرِ فِي رَمَادِهِ يُغْلَفُ^(٥٧)
ضَامِرُهَا يُوشِكُ أَلَا يُرَى ** ضَالَّةً، وَقَرْمُهَا أَعْجَفُ^(٥٨)
إِنْ شَاقَّ لَهُمْ لَحْنٌ فَأَنَاتُهُمْ ** تُشْجَى، وَأَوْتَارُ الْحَشَا تَعْرِفُ^(٥٩)
لَيْسُوا بِأَحْيَاءَ وَلَكِنَّهُمْ ** تُسْمَعُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَحْرَفُ!
شَقَّ عَلَى التَّوْرَةِ مَا نَابَهُمْ ** وَغَضِبَ الْإِنْجِيلُ وَالْمُصْحَفُ
وَاضْطَرَمَّتْ آفَاقُ أَجْوَانِهِمْ ** وَخُضِبَتْ تَحْتَ اللَّطَى الْأَسْفَى^(٦٠)
جَيَّرَتَهُمْ وَأَهْلُهُمْ حَوْلَهُمْ ** مَا إِنْ لَهُمْ عَنْ نَصْرِهِمْ مَحْرِفُ^(٦١)
إِنْ يَثَّارُوا، فَالْجُرْحُ دَامٍ، وَمَا ** يَمْحُو دَمًا إِلَّا دَمٌ يُنْزَفُ^(٦٢)



(٥٣) يسلف: يقدم.
(٥٤) يقرف: يخالط.
(٥٥) خيموا: نصبوا الخيام.
(٥٦) جحافل: جموع كالجيوش، ترصف: تبني.
(٥٧) السغب: الجوع، يغلف: يوارى.
(٥٨) قرمها: بطلها، أعجف: هزيل.
(٥٩) تغنى: كسيت بالدم.
(٦٠) خضبت: كسيت بالدم.
(٦١) محرف: منصرف.
(٦٢) دام: يسيل وينزف.

اليهود في الإعلام الأمريكي

للمستأذ / صلاح عبد الرحيم محمد

تعتمد معظم وسائل الإعلام والاتصال العالمية المسموعة والمرئية، والمقروءة اعتماداً كبيراً في أخبارها على خمس وكالات أنباء عالمية هي: «رويترز» في لندن، ووكالة الأنباء الفرنسية في باريس، ووكالة تاس في موسكو، ووكالة الأسوشيتدبرس، واليونايتدبرس إنترناشونال في الولايات المتحدة الأمريكية، واللافت للنظر أن معظم هذه الوكالات الإخبارية تخضع لهيمنة اليهود عليها، إذ يلاحظ في الولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة اليهود المشتغلين في مجال الإعلام تربع على خمس وعشرين في المائة من إجمالي العاملين في هذا المجال، سواء كانوا محررين، أو كتاباً ومنتجين للبرامج في الشبكات الإخبارية وتشير مجلة «فانيتي فير»، في تحقيق صحفي لها في أكتوبر ١٩٩٤، إلى ملوك صفوة الإعلام من اليهود فتقول: «إن نصف الصفوة الإعلامية وعددهم ١٢ إعلامياً هم من اليهود الذين يمثلون صفوة القوة الإعلامية الأمريكية» وفي هذا السياق نجد «يوجين فيشر» مدير العلاقات الكاثوليكية اليهودية بالجلس القومي لأساقفة الكاثوليك الأمريكيان يقول: «إذا كانت هناك قوة يهودية فهي قوة الكلمة، قوة كتاب أعمدة الرأي العام، وصانعي الرأي العام، إذ أن مجتمع اليهود هو مجتمع متكلم، لديه الكثير ليقوله، وإذا كان باستطاعة أي أحد أن يشكل الرأي العام فهو ولا شك قادر على صنع الأحداث أيضاً، وفي هذا الإطار توجد مجموعة من الكتاب اليهود البارزين يأخذون على عاتقهم مهمة الدفاع عن اليهود وإسرائيل يأتي في صدارتهم الثلاثي اليهودي «ويليام صافير، و«إبراهيم روزنتال»، من جريدة نيويورك تايمز، و«ريتشارد كوهين»، من جريدة واشنطن بوست وثمة مجموعة من المجالات التي تفرد مساحات كبيرة للمسائل ذات الاهتمام اليهودي نذكر منها «نيويورك»، و«نيويورك ريفيو أوف بوكس»، و«ديسنت» وهي مجلات تتناول موضوعات متنوعة تختص بالشئون اليهودية مما يتيح لها أن تنقل وجهات نظر الطائفة اليهودية إلى الرأي العام الأمريكي لكسب تأييده.

و(النيويورك بوست)، و(صن تايم)، جدير بالذكر أن شبكات الإذاعة والتلفزيون الأمريكية يهيمن عليها أيضا أكبر ثلاثي إعلامي يهودي هم «ويليام بيلي» شبكة سي.بي.أس، و«دافيد سارنوف» شبكة إن.بي.سي، و«ليونارد جولدنسون» شبكة إيه.بي.سي وقد تحولت هذه الشبكات الإخبارية الثلاثة إلى صناعة إعلامية مرموقة بفضل هذا الثلاثي الإعلامي اليهودي الذي يهيمن على إدارتها، ورئاسة تحريرها،

ولم تقتصر الهيمنة اليهودية على مجال الإعلام الصحفي والبت الإذاعي والتلفزيوني بل امتدت أيضا إلى الإعلام السينمائي، فقد اكتسب يهود هوليوود ثقلاً سياسياً فريداً، إذ نجد العديد من الأسماء الإعلامية اليهودية البارزة ذات الشغل السياسي في مدينة السينما الأمريكية أمثال «ليوفاسر مان» رئيس مجلس إدارة شركة أم. سي. إيه - M.C.A، و«باربرا استرايساند» ويؤكد الكثيرون أن اليهود هم الذين ابتكروا صناعة السينما فيقول المؤرخ «نيل جيلر» في كتابه «إمبراطورية من صنعهم» عام ١٩٨٨ «صحيح أن كاميرا السينما ابتكرها شخص غير يهودي، ولكن حلم صناعة السينما في هوليوود تحقق على أيدي عدد من المهاجرين اليهود، فقد رأوا أن هذه الكاميرا يمكن استخدامها لرواية القصص والحكايات، فبادروا ببناء الاستوديوهات، وابتدعوا نظم

ومن أشهر الصحف التي يمتلكها اليهود جريدة «نيوريباليك» التي يمتلكها، ويرأس تحريرها «مارتين بيريز» وهذه الجريدة تحتفظ لنفسها بحق الهجوم على أي جماعة أو أي فكرة باستثناء جماعتين فقط هما إسرائيل والشواذ، وبرغم أن جريدة «نيويورك تايمز» ليست من أكبر الصحف توزيعاً في أمريكا، أو حتى في مدينة نيويورك، لكنها تكتسب أهميتها من أن قراءها هم من أبرز الشخصيات نفوذاً، وهي من أكبر الصحف ذيوياً وشهرة فقد اشتراها اليهودي «أدولف أوكس» عام ١٨٩٦، ويعتلى قمته الآن «أرثر سالزبرج» الذي نشأ في أسرة من أب يهودي وأم مسيحية، وقد جرى تعميده في طفولته، ولكنه يؤكد أن ٩٩٪ من الناس يعتبرونه يهودياً.

ومن جانب آخر يؤكد «أرثر سالزبرج» أن جريدة نيويورك تايمز ملكية يهودية ولكنها ليست جريدة يهودية إذ يقول: «نحن أمريكيون من أصول يهودية، ولنا يهوداً نعيش في أمريكا» كما يسيطر اليهود على صحيفة (الواشنطن بوست) التي تلي جريدة (نيويورك تايمز) في المرتبة الثانية من الأهمية، وترجع أهمية هذه الصحيفة إلى انتشارها في أجهزة الحكومة الأمريكية التي تتحكم في رسم سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كما تمتد الهيمنة الإعلامية اليهودية على جريدة (الديلي نيوز)،



المزيد من التعويضات، ومن جهة أخرى فإنهم قاموا بإنتاج العديد من الأفلام التي تزعم بأن فلسطين أرض يهودية، وبأن أراض الضفة الغربية وغزة ليست محتلة، بل هي أراض متنازع عليها لطمس عروبة فلسطين، وإيهام العالم من خلال هذه الأفلام المضللة أن فلسطين ١٩٤٨ هي أرض محررة لتضليل الرأي العام، وتزييف الحقائق التاريخية ويجدر ذكر أن اليهود قد استغلوا أيضاً سيطرتهم على الصحافة السينمائية بهدف الدعاية التي تمجد دولة إسرائيل وتثنى على قياداتها الحاكمة، فقد نشرت مجلة «فانيتي» الفنية السينمائية نداء يحمل توقيع ١٧١ سينمائياً، معظمهم من اليهود يعلنون فيه عن تبرعهم بمبالغ كبيرة لدعم الحملة الانتخابية لعدد من المرشحين للكونجرس الأمريكي المتعاطفين مع إسرائيل وقد حمل هذا النداء العبارات الآتية:

- «مساندة المرشحين الذين يؤمنون بإسرائيل قوية لا يخدم اليهود فقط، بل يخدم الأمريكيين أيضاً».

- «إن أفضل طريقة للدفاع عن المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط هي انتخاب ٥٠ عضواً في الكونجرس يؤمنون بأن بقاء إسرائيل هو أكبر ضمانة أكيدة لمصالح أمريكا هناك».

- «إن قوة إسرائيل من قوة أمريكا».

وبالرغم من النفوذ اليهودي المهيمن على

التوزيع، وأقاموا دور السينما في كل الولايات الأمريكية ويتصدر هؤلاء اليهود «أدولف سوكر» و«ويليام فوكس» و«صامويل جولدوين»، و«لويس ماير»، و«كارل لاميل» و«ماركوس لوى» والأخوة «وارنر».

وقد شارك هؤلاء السينمائيون في تحويل هذا الابتكار التكنولوجي (كاميرا السينما) إلى صناعة سينمائية تدر عليهم بلايين الدولارات، بالإضافة إلى إسهامات هذه الصناعة الإعلامية في خدمة أهداف الصهيونية العالمية، وتصوير إسرائيل بأنها واحة الديمقراطية في محيط عربي متخلف. وتمدنا بعض الإحصائيات بأن أكثر من ٩٠٪ من المشتغلين في مجال الإعلام السينمائي الأمريكي، إنتاجاً، وإخراجاً وتصويراً من اليهود لذلك يمكن القول أن صناعة السينما في أمريكا هي صناعة يهودية في الدرجة الأولى لا ينازعهم فيها أحد وفي الحقيقة أن اليهود بحكم هيمنتهم على الإعلام السينمائي، استغلوا قضية اضطهاد النازية الألمانية لليهود والمحارق التي يزعمون أنهم تعرضوا لها، فأنتجوا العشرات من الأفلام التي تبالغ في تصوير العنف النازي، وشراسته، ومدى الظلم الذي ألحقته النازية الهتلرية بآبائهم، وأجدادهم في الشتات الألماني، لاستدراار عطف الرأي العام العالمي وكسب تأييده لدولة الكيان الصهيوني، ودعمه لها، وابتزاز الألمان للحصول على



بالتطبع من عوامل النجاح فى العمل الإعلامى، فيقول اليهودى «مورلى صافير» فى هذا الصدد: «إن كل محاولات فهم أسباب هذه الظاهرة تعيد للأذهان «بروتوكولات حكماء صهيون» التي جعلت من نفوذ اليهود فى الحقل الإعلامى صورة نمطية تلتصق بهم دائما إذ يقول البرتوكول الثانى: من خلال الصحافة اكتسبنا نفوذاً، ولكن أبقينا أنفسنا فى الظل» وهذا البرتوكول يشير إلى الهيمنة اليهودية على وسائل الإعلام، ومدى تأثيرها فى تشكيل رأى العام وتوجيهه الوجهة التى تحقق للصهيونية أهدافها فى تكتم وسرية.

وجدير بالذكر أن بعض الصحفيين اليهود المحايدين قد تعرضوا لبعض المضايقات من جانب القيادات اليهودية فى أمريكا بسبب موضوعيتهم فى عرض قضايا الصراع العربى الإسرائيلى، فقد حدثت أول مواجهة علنية بين زعماء اليهود الأمريكان وإحدى المؤسسات الإخبارية عام ١٩٧٣ عندما قام «روبرت بير بوينت» بتقديم تعليق إخبارى فى شبكة سى.بى.إس عن قوة اللوبى اليهودى أذيع بعد فترة قصيرة من قيام إسرائيل بإسقاط طائرة ركاب ليبية فوق سيناء قتل فيها ١٠٦ أشخاص مدنيين وقارن «بير بوينت» فى تعليقه بين رد الفعل الأمريكى تجاه هذا الحادث وبين رد الفعل الشديد الذى أظهرته الإدارة الأمريكية عقب حادث

مختلف وسائل الإعلام الأمريكى إلا أن هذه الوسائل لاتولى اهتمامها الكبير بأمور الطائفة اليهودية، وتترك هذه المهمة لما يُعرف «بالصحافة اليهودية» وهى عبارة عن مجموعة صغيرة من الدوريات العرقية والدينية التى تشمل مئات الصحف الأسبوعية، وعدداً من المجلات الشهرية، والربع سنوية، والتى تتولى نشرها الاتحادات والمنظمات اليهودية على الصعيدين الدولى والمحلى فى الولايات والمدن الأمريكية، ونلفت النظر إلى وجود عدد قليل من هذه الدوريات يتميز بالطابع السياسى مثل مجلة «مومنت» الشهرية التى تصدر فى واشنطن، و«جويش بريس» فى بروكلين بنيويورك، وهى صحيفة يمينية متطرفة، أما الباقي فهى مجلات تمتلئ بأخبار المعابد، وتشيد بإسرائيل وتمجدها.

ويتساءل البعض عن سر انجذاب اليهود إلى الاشتغال بالإعلام، وتأتى الإجابة على لسان بعض الصحفيين اليهود إذ يذكرون أن ثمة عدداً من النظريات تفسر ذلك منها: أن فشل اليهود فى الحصول على اعتراف غيرهم بهم، قد يدفعهم للعمل فى مجال الإعلام ليحصلوا على هذا الاعتراف، والقبول من الآخرين وثمة نظرية أخرى تقول: إن العمل الإعلامى يجد جذوره فى التقاليد الثقافية اليهودية حيث تربي الأسرة اليهودية أطفالها على المهارة اللغوية، والبراعة التصويرية، وهى



وسائله إلا أن المذابح الجماعية التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية خاصة مجزرة جنين، لم يكن من الممكن التغاضي عنها أو إخفاءها كلية من جانب الإعلام الأمريكي، بعد أن نقلت القنوات الفضائية صورة هذه المذابح التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، فكان من الضروري لبعض الصحف الأمريكية أن تقوم بنشرها - برغم ما يؤدي ذلك إلى غضب القيادات اليهودية الأمريكية - حتى لاتفقد مصداقيتها أمام الرأي العام واستكمالاً لهذا السياق فإنني أختتم حديثي بالقول: إن المنظمات اليهودية في أمريكا قامت بتشكيل لجنة دائمة باسم «لجنة التصحيح الإعلامي» مهمتها مراجعة كل ما تنشره الصحافة الأمريكية، أو تبثه شبكات الإذاعة والتلفزيون من أخبار تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، وهي لا تتورع في وصف كل من ينال اليهود أو إسرائيل بسوء، بمعاداة السامية، وملاحقته حتى لو أدى ذلك إلى قطع مصدر دخله أو اغتياله وهذا ما يتطلب وجود لوبي عربي وإسلامي له صحافته التي تتحدث باسمه للدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، على الساحة الأمريكية حتى لا تنفرد الصحافة اليهودية بالاستحواذ على الرأي العام الأمريكي.

«أوليمبياد ميونيخ» الذي قتل فيه (١١) رياضياً إسرائيلياً، وختم تعليقه الأخبارى بالقول: إن الفارق يوضح المعيار المزدوج الذي تكبل به أمريكا الأمور بين العرب وإسرائيل، والسبب كما يقول المعلق الإخبارى هو النفوذ السياسى لستة ملايين يهودى فى أمريكا وقد أثار هذا التعليق غضباً جارفاً بين قيادات المنظمات الصهيونية، فبادرت على أثر ذلك «لجنة مكافحة تشويه الصورة» بتجنيد أنصارها، وحشد مؤيديها لتقديم الشكاوى لمكاتب شبكة سى.بى.إس، التي أذاعت هذا التعليق الإخبارى، واعتبرته هذه اللجنة اليهودية تجاوزاً للخطوط الحمراء هذا وقد طلب «مؤتمر الزعماء» مقابلة رئيس قسم الأخبار بالشبكة الإخبارية «ريتشارد سالانت» الذى أمر بإجراء تحقيق داخلى مع المعلق «روبرت بير بوينت» إرضاء للدوائر الصهيونية التي تريد إسكات الحق، وقمع كل صوت ينادى بالعدالة ومن ناحية أخرى فقد تدهورت العلاقة بين الصحافة الأمريكية، وقيادات المنظمات اليهودية فى أمريكا لنفس الأسباب السابقة عقب الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢، ووصلت هذه العلاقة بين الطرفين إلى ما يشبه الحرب بسبب قيام بعض الصحفيين الأمريكان المحايدون بوصف ما حدث فى صبرا وشاتيلا بأنه مجزرة، فقامت الدنيا لذلك ولم تقعد. وبالرغم من الهيمنة اليهودية على الإعلام الأمريكى بمختلف

نصوص صريحة

نهاية إسرائيل مَحْنُومَة

للدكتور / محمد فتوح والي

بنفس جريحة، وكبد مقروحة، تابعت المحرقة البشعة، التي أشعلها اليهودي العاقد وعصابته الملعونة من أحفاد القردة والخنازير وعبد الطاغوت.. وتمنيت لو أسعفتني عيني بالبكاء لتخفف عني بعض ما أجد من لدعة الألم، وحرقة الكمد. ولوعة الأحزان.

وإمام بشاعة المأساة لم أجد لي مفرعا إلا إلى كتاب الله أقلب صفحاته وأبرد لهب قلبي في روضاته فكان لي -برحمة الله- ما أردت ووجدتني أسبح في ظلال الآيات الأولى من سورة الإسراء في قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ عُثُلُوكَ كَبِيرًا ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَوْكَرَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ ۝ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا أَجُورَهُمْ ۖ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مِمَّا عَصَوْا ۚ وَتَنبِيْرًا ۖ ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُرَحِّمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ (١).

الآيات وهي قوله تعالى: ﴿وقضينا﴾ فوجدتها في لسان العرب (٢) بمعنى: عهدنا وأنهيينا وأبلغنا ومنه قوله تعالى:

وأعدت قراءة الآيات في تدبر ومهل وتوقفت بعد كل آية كمن يستحلب في فمه طعاما لذيذا يخشى عليه الانتهاء ووقفت عند أول كلمة في

(٢) لسان العرب ج ٥ ص ٣٦٥.

(١) سورة الإسراء- الآيات من ٤ إلى ٨.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَآتَ﴾

دَابِرَهُنَّوَلَاءَ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴿(٣)﴾.

أى أعلمناه فعلمت أن هذا الإقضاء والإبلاغ كان إلى بنى إسرائيل فى كتابهم عن طريق نبيهم موسى - عليه السلام - وهو إلام لهم بما سيكون من أمرهم فى مستقبل أيامهم.

ورجعت أستأنس بقلم صاحب الظلال - رحمه الله - فوجدته يقول: « وهذا القضاء إخبار من الله - تعالى - بما سيكون منهم، حسب ما وقع فى علمه إلا لاهى من مآلهم، لا أنه قضاء قهرى عليهم، تنشأ عنه أفعالهم فالله - سبحانه - لا يقضى بالإفساد على أحد:

﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (٤) إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن فما سيكون - بالقياس إلى علم الله - كائن وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد، ولم يكشف عنه الستار ثم يقول صاحب الظلال: « ولقد قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين، وأنهم سيعلمون فى الأرض المقدسة وسيضطرون وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد، سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرمتهم ويدمرهم تدميرا» (٥).

ووجدتنى أمام هذا الكشف الإلهى لما سيقع من هؤلاء القوم فى مستقبل أيامهم، أستروح نسيمات الأمل فى عدل الله الذى قامت عليه السموات والأرض وأجد

طعم الراحة وبرد اليقين فقد أدركت أن وراء هذا الإفساد والإهلاك والإحراق الذى أوقعه هؤلاء المجرمون بأهلينا فى فلسطين، مصيرا مخيفا قد وصلوا إليه بأيديهم واستوجبوا إيقاعه بهم، ونزوله بساحتهم فكان عزائى عن ألم الشكل ولوعة الحزن والقهر، هو أن هذه المشاهد الرعبية والأحداث الرهيبة كانت شرطا ضروريا لكى يتحقق وعيد الله فيهم، وينزل بهم عقابه وعذابه.

لكننى أفقت من تلك اللحظة الجميلة المريحة على خاطر يقول لى: لقد كان ذلك تاريخا قديما مضى وتلك أمور قد تحققت وانقضت على مدى تاريخهم الطويل.

وشعرت لهذا الخاطر بانقباضة فى صدرى، ورحت استنطق القرآن واستشهد التاريخ فوجدت القرآن قد حدد الإفساد بمرتين اثنتين: الأولى والآخرة ولم يقل الأولى والثانية لتشعر أن بعدها ثالثة ورابعة. ومن يدقق النظر فى الآيات ويحسن التأمل فى التاريخ يجد أن هذا الإفساد لا يقع منهم إلا بعد علو وتمكين بحيث يمكنهم من قهر غيرهم وتدمير حياتهم بصورة يشعر بها أهل الأرض جميعا ويجدون أثرها ألما فى نفوسهم ومرارة فى خلوقهم وهذا هو المفهوم من قوله تعالى:

﴿لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ فهى الأرض كلها وما كان لبنى إسرائيل أن يوقعوا ذلك الإفساد وهم طوائف مقطعة فى الأرض إذ سيكون فسادهم عندئذ محصورا بحدود إمكاناتهم كطائفة تحكمها دولة وهذا يؤكد أن كل مرة من الإفساد لابد أن يسبقها علو وتمكين وهؤلاء اليهود لم تقم لهم دولة

(٤) الأعراف (٢٨).

(٣) سورة الحجر آية ٦٦.

(٥) فى ظلال القرآن، سيد قطب ج٤ ص ٢٢١٣ الطبعة السابعة - دار الشروق.



قاسم وغيرها من المدن التي شاهدت أبشع المجازر في التاريخ الحديث، وقبل أن أنقل وصف التوراة لعملية غزو مدن فلسطين قديما أنقل هذا النص التوراتي الذي يخاطب به الرب شعب إسرائيل:

«وحرّموا «أى أهلكوا» كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها إنما الفضة والذهب وآتية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة الرب» (٦).

وقد جاءت عملية الغزو تطبيقا عمليا لهذه الأوامر المقدسة في زعمهم وإليك الصورة كما سجلتها التوراة: «وأخذ يشوع «مقيدة» في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرّم «أهلك» ملكها وكل نفس بها، لم يبق شاردا، وفعل بملك «مقيدة» كما فعل بملك «أريحا» ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة، وحارب لبنة فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها، لم يبق شاردا، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى «لخيش» ونزل عليها وحاربها وضربها بحد السيف، وكل نفس بها حسب كل ما فعله بلبنة ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها وضربوها بحد السيف وحرّم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش ثم صعدوا إلى حبرون «الخليل» وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها لم يبق شاردا حسب كل ما فعل بعجلون فحرمها وكل نفس بها

في تاريخهم كله إلا مرتين اثنتين: المرة الأولى بعد خروجهم من التيه ودخولهم الأرض المقدسة وإقامة دولتهم الأولى على يد نبي الله داوود ومن بعده نبي الله سليمان -عليهما السلام- بعد محاولات مستميتة قام بها أهل البلاد الأصليون وهم قبائل: الفلسطينيين واليبوسيون وقبائل أخرى كنعانية في مواجهة «يشوع» غلام موسى -عليه السلام- الذي قاد شعب إسرائيل بعد سنوات التيه التي قضوها في سيناء عقوبة لهم على جبنهم الفاضح في مواجهة أهل فلسطين وفي أثناء تلك العقوبة مات هارون -عليه السلام- وتبعه أخوه موسى بعد ثلاثة أعوام ولم يكتب لهما دخول فلسطين وأكمل المهمة بعدهما «يوشع بن نون» الذي تسميه التوراة «يشوع» وقد استطاع «يشوع» بمن معه من بنى إسرائيل أن يوقع هزائم ساحقة بقبائل الكنعانيين من الفلسطينيين واليبوسيين والمؤابيين بسبب انقسام تلك القبائل على نفسها وبسبب استماتة بنى إسرائيل في القتال واستخدامهم لأبشع الوسائل وأشرس الأساليب بصورة من الوحشية لم تعرف البشرية لها مثيلا إلا فيما نراه اليوم من أفعالهم في غزوهم الجديد لمدن فلسطين «أما كيف غزا اليهود فلسطين أول مرة فالتوراة تكفيها مؤونة إلقاء الضوء على هذه القضية، قضية الشعب اليهودي الفريدة في التاريخ والتي لا مثيل لهمجيتها وشراستها وحقدتها إلا فيما يفعلونه في غزوهم الجديد لأرض فلسطين في المرة الثانية في رام الله وجنين والخليل ونابلس وطولكرم وبيت لحم وغزة وأريحا وغيرها من مدن الضفة وغزة.. ومن قبلها مدن حيفا ويافا وعكا وصور ودير ياسين وكفر

(٦) سفر يشوع: الإصحاح السادس.



فى طرد القبائل الوطنية، كما أنهم تركوا بعضها فى أوطانها دون تحرش ولذلك قامت فيما بعد ممالك المؤابيين والعونيين والأيدوميين والتي كانت مستقلة بصفة عامة»^(٩).

ولم يستطع العبريون إقامة دولتهم على أرض فلسطين إلا على يد الملكين الجليلين: داود وسليمان —عليهما السلام— سنة ١٠١٦ ق. م واستمرت هذه الدولة مدة ثمانين عاماً فقط هى المدة التى حكم فيها داود وسليمان. وحيث إن فترة داود وسليمان هى الفترة التى يفتخر بها اليهود، ويدعمون بذكرها دعواهم بأنهم ملكوا كل الأرض «من نهر مصر إلى الفرات» فهى بحاجة إلى إلقاء بعض الضوء، ويكفيها المؤرخ البريطاني «جفرين» مؤونة هذه المهمة فيقول: «لقد حكم داود نحواً من أربعين عاماً من تاريخ سنة ١٠١٦ ق. م وخلفه سليمان وحكم ما يماثل هذه المدة. وبعد هذين انهار كل شىء. ولا بد أنه اقتضى داود أن يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الأول من فترة حكمه لكى يبلغ أوج سلطانه. أما سليمان فقد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من ممتلكاته أو يفقدها. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة وهذا هو أقل ما يمكن لنا أن نسقطه عقلاً من مجموع فترتي حكم سليمان وداود. وعندئذ يتبقى سبعون عاماً.. ولم يحدث إلا فى بحر هذه السبعين سنة أن سيطر العجاف على شىء يقرب من ثلثى البلاد»^(١٠).

وضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شارداً بل قتل كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل فضربهم يشوع من قادش يرنيع إلى غزة وجميع أرض جوش إلى جبعون»^(٧).

وقد حلل العلامة المؤرخ جو ستاف لوبون العلل الكامنة وراء تلك الوحشية قائلاً: «إن عدد بنى إسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم فى مصر وحرمانهم الهائل فى التيه مما جمع بينهم واقتطعهم فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التى دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن»^(٨) وبإمكانك أن تضع أسماء المدن الجديدة اليوم فى الضفة وغزة مكان أسماء تلك المدن القديمة وترى هل تغير أسلوبهم ولك أن تستبدل اسم شارون ورابين وبيروز وبيجن وغيرهم من قادة إسرائيل اليوم بأسماء شاؤول ويشوع وغيرهم من قادة إسرائيل فى المرة الأولى ليتأكد لك بوضوح وجلاء أننا أمام عقيدة عميقة الجذور بعيدة الغور تحرك هؤلاء الوحوش وتدفعهم دفعا لتركوا بلادهم التى جاءوا منها رغم ما بها من رغد فى العيش وأمان واستقرار ورغم ما يتمتعون به من مناصب عالية ومكانة رفيعة ليستجيبوا لنداء تلك العقيدة الدموية الكافرة.

وبهذا الأسلوب الدموى الوحشى استطاع اليهود أن يقيموا دولتهم الأولى بعد هذا الغزو الوحشى سنة ١٢٢٠ ق. م لكنهم «لم ينجحوا

(٧) سفر يشوع الإصحاح العاشر.

(٨) غوستاف لوبون: اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى، مطبعة الحلبي، القاهرة سنة ١٩٧٠ ص ٣٥.

(٩) غوستاف لوبون ص ٣٤.

(١٠) جفرين، ج م ن، «فلسطين إليكم الحقيقة» ترجمة خليل الحاج مراجعة د. محمد أنيس، دار الكاتب العربى، القاهرة سنة ١٩٧١ ج ١ ص ٤٢.



« حزقيال » وحطم القدس نهائياً سنة ٥٩٧ ق م . ويسجل التلمود أن هذا التدمير لم يكن « إلا عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها وفاق حدود ما يطيقه الإله العظيم، وعندما رفضوا أن ينصتوا للكلمات وتحذيرات إرميا . . . » ولقد وجه النبي إرميا كلامه إلى بختنصر قائلاً: « لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التى ساقتهم إلى هذا العذاب » (١٢).

ولقد سجل القرآن عليهم بعض جرائمهم التى لو انفردت منها جريمة لكانت كافية لإبادة أمة كاملة، وهل هناك جريمة أعظم من الشرك بالله وعبادة العجل من دون الله فبرغم وقوع المعجزات وتواتر الآيات، وظهور البينات . من فرق البحر، ومعجزة العصا وتفجير الحجر - اثنتا عشرة عينا - على عدد أسباطهم - ورفع الجبل فوقهم كأنه ظلة - وإحيائهم بعد موتهم - كل ذلك لم يلن قلوبهم، ويهز أفئدتهم ليعلموا التوحيد الخالص لربهم، وإنما مالت قلوبهم إلى عبادة العجل :

﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ (١٣)

لقد منحهم نعمة فجحدوها، وأخذ عليهم عهوده فغدروها . وأنزل عليهم كتبه فحرقوها . وبدلوها . وأرسل إليهم رسله فكذبوه وقاتلوه .

ولم يكد سليمان يموت حتى انقسمت دولته إلى جزئين يهودا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال، وعقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان تتخاصمان وتتنازعان فى قتال دائم عنيف . وبعد أن كثر فسادهم وعم شرهم، وتفاقم ضررهم وخطرهم حتى صاروا سبب إزعاج دائم لمن حولهم من الأمم، هجم الآشوريون الدمشقيون عليهم وحاصروا مملكة إسرائيل ثمانية عشر شهراً، حتى سقطت فى أيديهم فى بداية سنة ٧٢١ ق م . فأصبحت إسرائيل منقرضة سياسياً . وبعد تحطيم إسرائيل أرسل الآشوريون سكانها إلى الشرق واستبدلوا بهم سكاناً جدداً، ومن ثم اختفى سكان مملكة إسرائيل من التاريخ، واندمجوا تماماً مع الشعوب المجاورة فى مناطق النفى .

يقول غوستاف لوبون معللاً لأسباب إهلاك تلك الدولة « كانت تلك الدولة مسرحاً لأفطع الفجائع، وما كان يقع فيها من اغتصاب ومذابح واستعانة بالأجنبي، كل ذلك أثار ازدراء الأمم المجاورة دوماً، فلم تنفك هذه الأمم تطالب بإبادة بؤرة الفوضى والتمرد تلك » (١١).

وأما مملكة يهودا فقد دمرت تماماً على يد الملك البابلي نبوخذنصر « بختنصر » وأخذ معه إلى بابل ملكها « يواقيم » وعشرة آلاف من أهم السكان، وكان منهم النبي

(١١) غوستاف لوبون ص ٤٠.

(١٢) انظر تاريخ فلسطين القديم ظفر الإسلام خان - دار النفائس ص ٥٩.

(١٣) سورة البقرة آية ٩٣.





فاستحقوا غضب الجبار ولعنته، واستوجبوا عذابه ونقمته. قال تعالى يعدد بعض جرائمهم:

﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ ثَبَتْنَا عَلَيْهِمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ (١٤).

ومصائب هؤلاء المجرمين في كتاب الله مشهورة معلومة ولهذا فقد عاملهم الله بعدله فسلط عليهم من عباده قوما أشرار سفكوا دماءهم، وخربوا ديارهم، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم ورجالهم وذرياتهم. وهم البابليون اتباع بختنصر ومن يومها لم تقم لهم قائمة. ولم تجتمع لهم كلمة. ولم تعلن لهم دولة - إلى أن جاء هذا العصر فرأينا اجتماع كلمتهم وقيام دولتهم، وتداعيتهم إلى الأرض المقدسة، مرة أخرى وتهيؤ الأسباب لهم، باجتماعهم وتفرقنا - وقوتهم وضعفنا. . فعلمت أننا أمام قول الحق - سبحانه وتعالى -:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ (١٥) وظهر لى واضحا جليا أن الإفساد الأول قد وقع عندما قامت دولتهم الأولى - وأن الإهلاك الأول قد حدث عندما أفسدوا في الأرض، وأن الله اختار عباده له من البابليين والآشوريين فكانوا عصا قدرته - وأداة نقمته.

ثم شاء الله - تعالى - أن يتم وعده لكى يقع وعيده بإيقاع الإفساد الثانى أو المرة الآخرة كما وصفها القرآن الكريم. فهيأ لهم أسباب التمكين

ورد لهم الكرة على من حولهم. وقد حدد الحق - سبحانه وتعالى - مظاهر القوة في تلك الكرة في عناصر ثلاثة: في المال والبنين والسلاح.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَنَفِيرًا﴾ (١٦).

ومن يتأمل الآية الكريمة يجد مصداق ذلك فيما جرت به الأقدار في عصرنا هذا، فقد رد الله لليهود الكرة، وسخر لهم من يدهم بالمال، فتدفقت الأموال عليهم من أبناء جلدتهم، ومن أهل دينهم، بل إن الأموال لتصل إليهم من أيدي أعدائهم، سواء علموا بذلك أم جهلوا، أرادوا ذلك أم كرهوا. عن طريق بيوت المال العالمية التى أحسن اليهود التسلل إليها، والسيطرة عليها. ولو رأيت براعتهم في إدارة المال. واستحداث الأنظمة الربوية، حتى تحولت أموال العالم إلى جيوبهم - لأدركت مصداق قوله تعالى:

﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ وإذا تأملت سيول المستوطنين اليهود وهى تتدفق إلى أرض فلسطين أفواجا وجماعات وغالبهم من الشباب، الذين هم فى سن العمل والإنتاج، والكترة الساحقة منهم من الرجال ذوى التخصصات الدقيقة والنادرة: كعلوم الذرة، والفيزياء، والرياضيات وغيرها، أدركت مصداق إمدادهم بالبنين، أما تفوق اليهود العسكرى وقدرتهم على صنع أعقد الأسلحة، وأشدّها فتكا، وترسانتها النووية التى تباهى بها العالم فهو أكبر دليل على تحقق قوله تعالى:

(١٥) الإسراء (٦).

(١٤) النساء (١٥٥، ١٥٦).

(١٦) الإسراء (٦).





﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرْنَفِيرًا﴾ والنفير كما نعلم هو.
آلة الحرب.

لكن الجديد الذى نلاحظه فى قضية نهاية
اليهود: هو أن يأتوا من أنحاء الأرض إلى
فلسطين. وأن يكون مجيئهم فى صورة
جماعات. وأن يكون مجيئهم ذلك علامة على
قرب نهايتهم، وتحقق وعيد الله فيهم وهو ما نجده
واضحا جليا فى قوله تعالى:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ (١٧).

فى لسان العرب: جمع ملتف «مجتمع ملتف
من كل مكان» ليكونوا هدفا للإهلاك والتدمير
على يد عباد الله يسلطون عليهم، فيقهرونهم
ويجبهون وجوههم بالمساء والذل، ويدمرون ما
يغلبون عليه من مال وديار، ويدخلون المسجد
الأقصى ويحررونه مصداقاً لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَهُمْ
وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلُوا بُرْيَاءَ﴾ (١٨)

وهو ما نراه فى أرض المعراج الطاهرة
المباركة من ظهور فئة من المجاهدين الصادقين
المخلصين، باعوا أنفسهم لله واشتروا بها الجنة
وأقبلوا على ربهم فى عرس ملائكى طاهر
فأصابوا إسرائيل بالذعر، وأوقعوا بقلوبهم
الرعب. وأظهر الله على أيديهم المعجزات

وأظهر فيهم الكرامات ورأينا فيهم مصداق
حديث رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة
حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ
اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر
والشجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى
خلفى: تعال فاقتله إلا الفرقد فإنه من شجر
اليهود» (١٩).

ولقد كنا نقرأ هذا الحديث ونعجب
ونستبعد وقوع مثل تلك الكرامات فى أيامنا
هذه حتى طلعت علينا صحيفة «آفاق عربية»
بما نصه حرفيا: بتاريخ ٩/٥/٢٠٠٢م من
حديث للشيخ أحمد ياسين عبر الهاتف
موجها كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع
بمحافظة الغربية وسمعه مئات الحاضرين: «إن
بشائر النصر قد رأيناها بأعيننا: حيث إن
رجال المقاومة فى «رام الله» ظلوا يطاردون
أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم
خلف الأشجار فأنطق الله الشجر - حدث
والله - وقال لهؤلاء الأبطال: «هذا اليهودى
ورائى» ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة
ويقتلونه ..» ثم يختم الشيخ كلامه قائلا:
«إنه حديث رسول الله ﷺ» (٢٠).

ونحن نقول مع الشيخ «صدق يا سيدى
يا رسول الله، وإنا بك لمؤمنون وإنا بحديثك
لمصدقون .. وإنا بزوال إسرائيل لوائقون.

(١٨) الإسراء (٧).

(١٧) الإسراء (١٠٤).

(١٩) صحيح مسلم، بشرح النووى ج١٨، المطبعة المصرية ومكتبتها ص٤٤

(٢٠) صحيفة آفاق عربية ٩/٥/٢٠٠٢م.



فرق.. تسد

لعبة صهيونية قديمة

بقلم

الدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

لقد دأب اليهود على تشتيت شمل أى أمة يحلون بها إعمالاً لمبدأ فرق تسد، وهو مبدأ نراه واضحاً من خلال عرضنا لقصة «رؤية بطرس» للأديب الصهيونى «يهودا بورلا» الذى يقول:

فى إحدى القرى الصغيرة فى جبل الناصرة يسكن بطرس المسيحى والذى يمتلك محلاً صغيراً يبيع فيه الساعات ويقوم أيضاً بإصلاحها، ومع بداية موسم الشتاء وهطول الأمطار، وفى وقت الظهيرة لمح أهل القرية رجلاً غريباً فى ملبسه يعبر الشارع جيئةً وذهاباً دون أن يتحدث إلى أحد، ولكن يبدو من مظهره أنه يهودى من إحدى المستوطنات الزراعية الموجودة بالجليل وبخاصة أن كل سكان هذه القرية من المسلمين والمسيحيين وليس بينهم يهودى واحد. وتساءل الجميع ما الذى أتى به إلى هنا؟ فمنذ وقت طويل ومنذ اندلاع أحداث الدماء فى البلاد لم يطأ الشارع رجل يهودى قط؟

مناقشة
وتحليل
للأدب
الروائى
الصهيونى



سؤاله . فارتبك بطرس وترك الساعة التي في يده وقال له : آسف ، لم أكن أقصد أى شيء حاشا لله ، سألت بنية طيبة ، ورأى اليهودى ملامح الأسف على وجه بطرس فقال له : لا عليك يا مسيو بطرس ليس فى قلبى شيء ولست أخفى أى شيء (٢٦٥) .

فقال له بطرس : اليوم الخامس عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ وهل تحول المسيو بطرس فجأة إلى جاسوس ؟ وأخذ يضحك ثم عاد وقال له إننى شاكر لك ثقتك بى .

فأجابه ميخا : فى الكيبوتس ١٢٣ نسمة .

— يزيد الله فى عددهم ويقويهم ، أنا أفهم كيف يعاونكم النساء فى كل الأعمال ، لديكم طرق لحياة جديدة .. لقد تفوقتم على اليهود أبناء زمانكم وحتى على المسيحيين الأوائل .

— ماذا تريد أن تقول يا بطرس ؟

— أريد أن أتساءل : فى أيام المسيحيين الأوائل .. ألم يتسلل العداء إلى القلوب وكذلك الكره فى أيام المسيحيين الأوائل وخاصة حين زاد العداء بينهم وبين اليهود .. ألم يقل عيسى بنفسه هناك « البكاء والصبر بالأسنان » أما الآن فلديكم فى الكيبوتسات الكل مجدد من البداية ، من الأساس . نعم أنا أسمع وأراقب كل شيء وطوال الأيام .

— لو سمحت ما قصدك وما الذى تراقبه ؟

— أى شيء : نقى ، ظاهر ، اجتماعى ، عام .. ليس دينى ، أنا مسيحى ، ولكننى مسيحى من

فتوجه إليه أحد الرجال البارزين فى الشارع وسأله ، فأجابه الرجل بلغة عربية ركيكة ، بأنه أتى لزيارة القرية العربية لأنه يحب العرب ، وأنهم أخبروه بأن فى هذه القرية محلات تبيع بضاعة جيدة وأنه يريد شراء ساعة قيمة ، فقاده ثلاثة رجال إلى محل كتب عليه « بطرس مهون » صائغ وساعاتى (ص ٢٦٣) ، وعندما دخل إلى المحل ، حياه صاحب المحل بالفرنسية كعادته فى مخاطبة الأجانب ، وأخذ الإثنان يتجاذبان أطراف الحديث باللغة الفرنسية دون أن يعيرا الرجال الذين صحبوه أى اهتمام ، ووقف الرجال كالتائهين ، وقبل أن ينصرفوا كانوا يتغامزون فيما بينهم إذ قال أحدهم : إنهم من طينة واحدة ، وقال الآخر : إن الطيور على أشكالها تقع ، وقد دافع أحدهم عن بطرس قائلاً : إنه إنسان خير (*) وليس هناك أحسن منه فى القرية كلها ، وهذا هو الأساس عندى . وأخذ بطرس يعرض ما لديه من بضاعة على المنضدة التى أمامه وميخا اليهودى يحاول أن يمنعه من عرض كل ما لديه وأنه يثق به تماماً . وأخبره بأنه يسكن الكيبوتس الذى يقع أسفل الجبل فقال بطرس : إننا جيران ولكننا جيران بعيدين جداً على الرغم أن المسافة بيننا لا تتعدى ساعة ونصف ، إننا نرى من هنا كل الكيبوتس مثل كف اليد ، إنه « يشاهد كل شيء مزدهراً » زاهر جميل ، فلديكم مزارع وحقول ، إنكم مجتهدون جداً ، فمنذ عشرة سنوات كانت صحراء قاحلة ، والآن لديكم كل شيء ، لقد حولتم الصحراء إلى جنة عدن وبالمناسبة : كم عددكم فى الكيبوتس ؟

وانتظر ميخا اليهودى برهة ولم يرد على

(*) وردت بالعربية.





له: إن هناك شيئا ما يربطهما، وعندما سأله بطرس عن عمله فى الكيبوتس، قال:

- إننى أرفعى الغنم.

- إنها حرفة الأنبياء عندكم موسى، وداود ويعقوب، خذ الساعة ولن أحصل على ثمنها الآن لأننا فى بداية اللقاء ويودعه ويفترقان.

وفى نفس اليوم وفى المساء يحكى ميخا لقومه من اليهود ما حدث له مع بطرس المسيحى فنهره أحدهم وقال له: ألا تعلم أنه فى فترة أول هطول الأمطار تعيث عصابات من العرب على وجه الأرض وليس من الضرورى الذهاب إلى قراهم والخروج تجاه المنجمين كما خرجت أنت أيضا تجاه الثعابين.

وقال آخر: إنه إنسان غير محترم، دائما تجده فى المكان الذى لم تزرعه فيه. واختلف الجميع فى تقييم الموقف. واحتج ميخا غاضبا:

لو سمعتم قول الرجل فى كلامه علينا، عن خليقتنا، عن مستقبلنا، ببساطة كنتم تسرعون إليه، واختلفوا بين مؤيد ومعارض، وفى النهاية قال أحدهم: علينا أن ندرس احترامه أو الارتباب فيه، فقد اتضح من عدة حوادث فى هذه الأسابيع أن العصابات العربية تمارس التجسس وهم يعرفون متى يطيب لهم ذلك.

فقاطعهم «ميخا» قائلا:

«إنه رجل طيب، وإن وجدنا لنا عشرة عرب مثله سوف يكونون لنا أساسا للبناء» فاقترحوا عليه ألا يذهب بمفرده كى يدفع ثمن الساعة.

وفى نهاية الأسبوع آلم الكيبوتس حادث الأتوبيس الذى خرج من مدينة الجليل، فقد

نوع خاص، مسيحى تقريبا، لى وجهة نظر وآراء خاصة عن المسيحية، أما أنتم فشئ آخر. إنكم شئ جديد.

- مثل ماذا؟ وما هو الجديد فى رأيك؟

- أنتم بأنفسكم تعرفونه، أنا لا أنتظر ملكوت السماء ولا مملكة سماء عيسى، إنكم فى كل صورة تحققون بعمل عظيم روح عيسى لأنها نفس روح اليهودية لأنبيائكم.

- وهل تؤمن بنا إلى هذا الحد وأننا سنصل إلى عظمة كتلك؟

- نعم (أخفض صوته)، إنكم تطلبون من الأمم المتحدة مدينة يهودية لأنفسكم، هنا، فى مكان ميلادكم القديم وهذا هو الأساس. فأنتم محتاجون لحق تقرير المصير السياسى كى تستطيعوا أن تكبروا وترتقوا وتحققوا أهدافكم وغاياتكم. وببساطة كى تحافظوا على وجودكم، كى لا يصبح اليهود لعبة فى أيدي حثالة البشر... فإن بشرا بهذه الأخلاق لابد أن يكونوا أحرارا غير متعلقين بالآخرين.

- اسمعنى يا بطرس، لى سؤال: هل يوجد فى القرية أناس آخرون مثلك يفكرون قليلا أو كثيرا مثلك فى العلاقة بيننا وفى مستقبلنا؟

- هذا سؤال صعب ولا يمكن الإجابة عنه باختصار، وعلينا أن نتحدث بإسهاب، والوقت غير مناسب (فقد دخل عليهما ثلاث نسوة مسلمات محجبات، وقابلوا بطرس ببشاشة الوجه!!) (٢٦٨).

واستأذن ميخا كى يعود إلى الكيبوتس ولكنه وعد بطرس بأن يلقاه مرة أخرى. وقال



داود فى القدس فى مكان مركز القيادة العليا
البريطانية، ووضعوا القنابل، قلت فى نفسى ..
سيكون النصر فى النهاية لليهود ويحكى
لليهودى قصة حياته وجاء فيها:

«إن الكوكب لم يشرق على سرير أمى مثلما
أشرق على سرير «عيسى» عند ولادته، بل
حدثت مصيبة كبرى، فقد ماتت أمى لحظة
ولادتى مثل «راحيل» عند ميلاد «بنيامين» ...
ولم يتزوج أبى بعدها، كان والدى فرنسيا، تعلم
فى باريس فى الدير ليصبح قسيسا، ثم ترك
الدير وعندما بلغ والدى الثالثة والعشرين من
عمره هاجر إلى فلسطين واستقر فى الناصرة ..
أما أنا فقد تركت المدرسة فى الثانية عشرة من
عمرى، وعلمنى والدى، ساعتين فى الصباح
وساعتين فى المساء. درست العهد القديم
والعهد الجديد، ثم درست القرآن وكذلك
الكتب الفرنسية.....» ويشيد بالعهد القديم
«التوراه» وينتقد العهد الجديد «الأنجيل»
فيقول عن العهد القديم:

«إنه مكتبة تنتصب كفندق فخم، مرتفع،
واسع، متعدد الأجزاء أما العهد الجديد: بناء
كبير بنيته الخارجية منسيه وحتى الداخلية،
ومداخله وبابه ونوافذه مصنوعة من نوع غير
منسى».

أما القرآن: «إنه قاعة كبرى، ملاذ لمشردى
الصحراء، ظل لمتعبى النفس، وهو مغزول
ومنسوج من خيوط مجدولة منتوفة من أجساد
حيوانات مختلفة» (٢٧٣).

وبخبت شديد يجرى الأديب على لسان
بطله المسيحى هذه العبارات حيث يقول:

هاجمه العرب بوابل من الرصاص وقد طرح كثير
من ركابه، وقتل خمسة بينهم طفلان صغيران،
وبعد خمسة أسابيع وفى ١٣/١١/١٩٤٧
أرسل ميخا خطابا إلى بطرس يحكى له فيه
بالتفصيل المصيبة التى حلت بهم، ويعتذر عن
الحضور لتزايد الأخطار فى الطرق ... ويطلب
منه الكتابة بإسهاب، وأن يجيب عن سؤاله
القديم .. هل هناك من يشبهك فى تفكيرك من
العرب؟ وكيف يرى مصير اليهود فى البلاد وعن
الوجود المكتئب الذى يغلفه؟ وما هى الأفكار
التي تحملها فى طلبك عن آمال حياه السلام بين
كلا الشعبين فى البلاد: العرب واليهود؟

وعلى أن أقول لك بأننا نحن اليهود على
وجه العموم وحزبى على وجه الخصوص نتطلع
بكل نية طيبة لحياة السلام والعمل المشترك مع
العرب، وأشعر بأن لديك ما تخبرنى به بهذا
الخصوص.

ويرسل بطرس رسالة مطولة إلى ميخا
يستهلها بعبارة «حبيبى الغالى رجل الحق»
السيد ميخا وجاء فى الرسالة ما يلى:

● فليستهتر للصوص العرب كما يستهترون
فى نهاية الأمر سوف تنتصرون.

● إنى أؤمن فى قرارة نفسى بأن اليهود سوف
يخرجون منتصرين.

● بالإضافة إلى حقوقكم، وقوتكم
الأخلاقية، لديكم أيضا القوة لمجابهة الأعداء
العرب.

● فى اليوم الذى قام فيه رجال جيش الدفاع
الإسرائيلى فى وضح النهار باقتحام فندق الملك

عام. فمن بين حوالي ٧٠ مليون عربي بالتقدير، ١٥٠ مليون مسلم بالتقريب لا يوجد رجل واحد فيه بقية من روح يرفع صوته، صوت واحد من أجل إنقاذ اليهود، أليس هذا واقعا، ولكن هذا هو طابع الأنانية العربية (٢٧٩).... وتعجبت كثيرا بتقسيم فلسطين إلى دولتين منفصلتين، أو دولة يهودية ذات قوميتين، وهذا خطأ كبير كمن يصهر الحديد والزجاج معا أو أن تضع في قفص واحد نمر مع كبش، حينئذ سيكون العداء بين كلا الشعبين (٢٨٠).

أنظر كيف وقف ممثلو كل البلاد العربية كالأسود ضد معظم شعوب العالم لغلق كل الطريق وسد كل ثغرة وتحطيم كل محاولات إقامة دولة اليهود ص (٢٨١).

ويقوم «ميخا» اليهودى بدعوة «بطرس» المسيحى لزيارة المستوطنة، ويشيد بطرس بما رآه فى الكيبوتس ويقول: إنه مصنع لإنتاج بشر أصحاء فى أجسادهم وعقولهم، كى يقتدى به أبناء البشر.. إنكم جديدون فى الشرق، وليس لديكم مفهوم صحيح عن ماهية الإسلام، هل العرب المسلمون والعرب المسيحيون متساوون فى أعينكم...؟ إنهما مختلفان تماما، المسيحيون سوف يفهمونكم، إن لم يكن اليوم فغدا أو بعد غد. إن عيسى هو لحمكم وروحه من روحكم.. وسوف يأتى اليوم وتقوم حركات مسيحية داخلية قديرة، تولد نهضة أوروبية ممزوجة بروح اليهودية والمسيحية.. لأنها إنسانية خالصة (٢٨٦).

لكن الإسلام: ما هو المفهوم الروحانى الجديد - ولو أقل القليل - الذى أتى به، ولم تعرفه اليهودية أو المسيحية من قبل؟

«نصحنى أبى قائلا: لقد علمتك معارف مختلفة، وقد سبقك علماء كثيرون منذ آلاف الأجيال التى مرت ناقشوا فيها أمور الدين، كى أوضح لك كل ما هو صعب، ولكن فيما يتعلق بأمور الدين والايمان أريد أن تبقى على ما أنت عليه مثلما بقيت أنا، بمعنى أن تجد نفسك بنفسك.. أنا مسيحي بكل شىء وبلا شىء وقد قال لى أبى وهو على فراش الموت:

«إن وصل تفكيرك إلى ما يصل، فأنت حر بأن تؤمن بما تؤمن به ولكن لا تتحدث علانية بأقوال ضد الكنيسة.. وإن أحسست فى قرارة نفسك بإضاعة داخلية وسمو وحينئذ تستطيع أن تكتب أفكارك ضد الكنيسة وقد سبق أن قلت لك بأننى كلما أمسكت القلم لا أستطيع الكتابة...» (٢٧٧) وفى بلاد البحر الأبيض المتوسط يوجد عديد من المسيحيين لهم عقول راجحة وروح سامية يشعرون مثلى بطيبة اليهود ومستقبلهم، ولا يستطيعون الإعراب عن رأيهم خوفا من رد فعل المسلمين!!

ويوجد بين المسلمين فى كل بلاد البحر الأبيض المتوسط رجال معرفة وشعراء وأدباء وأصحاب شعور أخلاقي ولكنهم كشعب، كأمة، فهم نوع خاص بين الأمم، ليس لأنهم أعداء أو متعصبين لدينهم وإيمانهم، وليس بسبب أمجادهم القومية المتطرفة، ولا لأنهم يتوقون للاحتلال مثلما حدث فى أيامهم الأولى لأن هذه الصفات موجودة لدى شعوب أخرى.

أما المسلمون فهم نوع خاص من ناحية الأنانية الخاصة بهم، ليس هناك أنانية بالمفهوم القومى كتلك التى عند العرب المسلمين، والمسلمين بوجه

ولقد الصهيونية وأتباعها، فقد لجأ الأدباء إلى كافة الوسائل لتحقيق كل ما هو عربى وفطنوا إلى أن العرب مسيحيون ومسلمون، فحملوا لواء القطيعة بينهم وبثوا بذور الفرقة وذلك طوال الأجيال.

ونحن بصدد أحد هذه الأعمال التى عمد فيها الكاتب إلى اختيار بطله مسيحي يدعى بطرس وأخذ يجرى على لسانه ما يريد أن يقوله هو، أساء فيه للقرآن الكريم المنزه الذى هو رحمة للعالمين، وأساء فيه أيضا إلى عيسى - عليه السلام - ثم هاجم الإسلام بخسة ليست جديدة عليهم.

أما الجديد، فزمن كتابة هذه القصة عام ١٩٤٧ قبل قيام دولتهم، وواكبت قيامها وناقش فيه إمكانية التعايش بين العرب واليهود فى المنطقة، وهل يمكن قيام معاهدة سلام، وموقف العالم المسيحي وتأنيده لهم، وعمل صدع بين العرب المسلمين والعرب المسيحيين. وأفكار وآراء متطرفة على يد بطله المسيحي، بصفاقة غير معهودة والمسيحيون براء منه ومن أقواله.

ولسنا هنا بصدد تذكيرهم بما فعلوه بالمسيح - عليه السلام - وبما فعلوه فى العالم أجمع ويكفى أن أقول لهم: لا تنسوا أن العالم أجمع لفظكم وذقتم الذل والهوان على يديه ولم يسعكم إلا العالم الإسلامى الذى عشتم بين أحضانه، وفى النهاية تنكرتم له، والتاريخ خير شاهد، وشبح أعمالكم السيئة والدينية سلاحكم إن لم يكن اليوم فغدا وإن غدا لناظره قريب.

لقد أحضر الإسلام مع البحث الفلسفى الدينى وتفسير آيات القرآن: الخراب، الدم، الانتقام، ولهذا لا تبثوا بناءكم مع المسلمين فليبنوا وحدهم.

ويسأله اليهودى: هل سنبقى للأبد منعزلين عن العالم الإسلامى حتى وإن كنا جيران مرتبطين بهذه البقعة من العالم.

والإجابة: حتى يقوم بين المسلمين أنفسهم نقد ذاتى وألا يصموا آذانهم لكل كلمة نقد واحدة تجاههم، فعن أسفار التوراه كتبت آلاف البحوث النقدية ولكن عن القرآن الذى ليس به أية فكرة إنسانية جديدة.. لم يكتب حتى اليوم على يد عربى مسلم واحد ولا سطر نقدى واحد تجاهه.

وفى النهاية يشكرهم على حسن الحفاوة ويودعهم.

وبعد شهرين وصل ميخا كرئيس عرفاء فى جيش الدفاع الإسرائيلى مع مجموعة من الجنود ويتوجه إلى محل بطرس، فيجده مقلولا.

ويعرف من جيرانه أن عصابات العرب اغتالوه منذ شهرين فور حضوره من الكيبوتس اليهودى.

تعليق:

عمد الأدباء اليهود إلى الإساءة لكل من هو غير يهودى. حتى وإن اختاروا أبطال أعمالهم من جنس من يتجنون عليه.

وكما هو معروف لدى الجميع فقد عاش العرب طوال أجيال تحكمهم التقاليد العربية الأصلية والعادات واللغة والآمال والأمانى.. يستوى فى هذا المسلم والمسيحي.

هوامش

على كلمة الدكتور أسامة الباز

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

لا شك أن الإسلام يتعرض هذه الأيام لأخطار جسام، وأنا لا أخشى من الأخطار المحدقة بالإسلام بسبب أن خصومه يملكون من أدوات القتل والتدمير ما يملكون. وإنما أوجل أشد الوجل، وأفزع أكبر الفزع عندما أرى المسلمين يتحللون من عهودهم مع الله، وينزعون عنهم لباس التقوى ويروج بينهم الزيف، فأرى كثيراً من الماكرين يتخفى وراء مراسم الدين، وهو فارغ الباطن من حقيقة الدين خصوصاً إذا عرفت أن بعض هؤلاء يرتمون في أحضان التدين يدارون به عاهات نفسية وعقلية، أو يعوضون نقصاً أو حاجة مادية.

وبينما أنا غارق مستغرق في تأملاتي وأفكاري وهمومي، إذ أبصرت صاحبي يقبل عليّ بعد طول غياب مرحباً، يقول: ما الذي يشغلك عني يا صاحبي؟

قلت: كأني لست في حاجة إلى تبرير غيابي عن صاحبي، أظن أن ما نعيش فيه ونعانيه من هموم - وهو غير خاف على أحد - كافٍ لانشغال أي منا عن الآخر، بل لانشغال أي منا عن نفسه!!

قال: أي هم ذلك الذي يشغلك عنا أو يشغلك عن نفسك، وأنا أعرف أنك رجل قوى الإيمان بالله، شديد الارتباط به، وأحسب أن الهموم لا ترد ساحتك.



د. اسامة الباز

قلت على الفور: يبدو أنك
جنحت بعيدا في فهم ما أقول،
حتى لقد خيل إليك أن همومي
تنحصر في دائرة الهموم
الحياتية، ولذلك قلت ما قلت.

قال: نعم. وهل ثمة هم غير
هذا يشغلك؟ عجب أمرك.

قلت والغيظ يملؤني، وأنا
أعالج كتمانته: بل أنت
وأمثالك عجب أمرهم، كيف
لا يشغلكم ما يحدث حولكم
من أحداث وحوادث تزلزل
الجبال؟ أو كيف تشاغلتم

عنها؟ وتساءلت في مرارة: وهل أمثالك كثيرون لا يشغلكم
ما يصيبني بهمي، ويثقل كاهلي.

قال في تشاقل مميت: نعم نحن كثير.

قلت وأنا أتحاشى المواجهة: سامحك الله، لكن اسمح لي أن
أسألك: هل تناولت الأمة مخدرا أفقدها الإحساس بالألم، أم أنها
ماتت فلم تعد بين الأحياء.

قال صاحبي: ما الذي دهاك! أنظر ما تقول؟!

قلت: هل رأيت أو سمعت عن أمة في طول التاريخ وعرضه يُسجن
فيها رئيسها، لا بفعل شعبها وذلك - إن كان - فمحمود في سجل
الشرف والنضال. أما إن كان ذلك بفعل عصاة مارقة، تزعم أنها دولة،
هل رأيت أو سمعت ذلك؟ دعني أقول لك: ليتهم قتلوه، لأن القتل أو
الاغتيال يقدر عليه أى صعلوك تافه، وهو بعد لا يُذل المقتول ولا يُهينه،
أما أن يُحبس رئيس دولة على مرأى من العالم فتلك مهانة لا تحتمل.



نعم، ليتهم قتلوه، ففي القتل راحة له وصون لعزة أمة، وكرامة شعب من هوان يستنزفها، فلا تبقى لها عزة أو تكون لها كرامة، والله - سبحانه وتعالى - يبدل جلود العصاة في النار حتى يذوقوا العذاب:

﴿كُلَّمَا نَفِضَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(١).

ولقد نادى العصاة في نار جهنم مالكا، خازن النار، طالبين الموت، حتى يستريحوا من هذا الهوان الأليم:

﴿وَنَادَوْا أَيْمَنُكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾^(٢).

فكان الجواب برفض الطلب والرجاء حتى يبقى الهوان والعذاب:

﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَعِكُمْ﴾^(٣).

يا لشدة العذاب! أن يصبح الموت أمنية بعيدة المنال، كان ذلك في النار للعصاة، وأحسب أنه اليوم قد يصبح أمنية لأمة المسلمين.

قلت لصاحبي: ألا يصيبك هذا بغم وهم؟! ألا ترى صباح مساء الفلسطينيين يساقون للاعتقال أمام بصر العالم وسمعه، فلا يرمش له طرف؟ قل لى بربك، وقل للعدالة العالمية الكالحة: كيف كان الوضع فى فلسطين عام ١٩٤٧؟ ولمن كانت الأرض، وأين كانت عصابات الصهيونية؟ ألم تغتصب الأرض بمؤازرة بريطانيا ومباركة أمريكا؟ فكيف لو طلب صاحب الحق حقه؟ هل يلام؟ ولو أنه أهين وضرب لو دافع عن نفسه أيسمى إرهابيا؟ هل يعقل أن تسطر بيانات الإدانة للعمليات الفدائية من السلطة الفلسطينية؟ أى عدالة ياربى؟ بل أى هوان نعيشه!!

قال صاحبي متأثرا مشفقا: عافاك الله، أحس كأنك تحترق.

(٢) الزخرف (٧٧).

(١) النساء (٥٦).

(٣) الزخرف (٧٧).





قلت : ليس من أجل ذلك فحسب ، لكنها هموم تجمعت ، هذا أحدها ، ولا أستطيع أن أقول إنه أسوأها ، فلست أعرف أيها السيئ ، فكلها شديد السوء ، أما ثاني الهموم ، أنا بهذا الميزان الجائر نُصنف كأمة ، وإن شئت فقل : نُحاكم ، فأمام العالم نحن سفاحون ، إرهابيون قتلة ! هل رأيت ؟ والصهيوننازي شارون رجل سلام ، هل ثمة ظلم أسوأ من هذا ؟ ! ولعل الأسوأ أن الإسلام ذاته فى مجال الدراسة والتنظير توجه له انتقادات بهذا الميزان الجائر ، ولعل السوء الأقبح والعُهر الفاجر أن يُسمى ما يوجه للإسلام تحليلاً علمياً ، ودراسات منهجية جادة ، تعرض فى ندوات للدراسة وقاعات البحث ، ولك أن تسأل ، أو تبكى ، أو تحزن ، أو تتألم ، وتسأل نفسك : هل هذه عقول منصفة ودراسات جادة حقيقية ؟ أم أنها مسرحيات هزلية ؟

أما أنا فأقول : إنها مسرحيات هزلية فاجرة يُراد لها أن تخدع البسطاء من الناس ، وأن تروج بين جمهور المسلمين .

قال صاحبي : اسمح لى أن أقول لك : أنا لم أعد أفهم عنك ، فما الذى تريد أن تقول على وجه التحديد ؟

قلت : فى مؤتمر جاد عفيف - المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المنعقد فى الفترة من ٣-٤ من صفر ١٤٢٣هـ الموافق ١٦-١٧ من أبريل ٢٠٠٢م - تحدث الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية حديثاً جاداً وعميقاً ونظيفاً ، يستحق الدراسة المتأنية والردود الواعية الهادئة ، والعمل على نشرها بين المسلمين أنفسهم حتى تتضح الحقيقة لذى عينين .

قال : من الظواهر القديمة الجديدة أن بعض الدوائر دأبت على محاولة النيل من الإسلام ، وتشويه صورته ، وقد تركزت هذه المحاولات أساساً فى الغرب .

وأرجع هذه الظاهرة واستمرارها إلى عدة أسباب :

أولاً : التعصب والتحيز ضد كل ما هو مختلف عن الغرب .





ثانياً: الفهم الخاطئ أو السطحي للإسلام والجهل بجوهره،
وتعاليمه.

وأخيراً: تقصير المسلمين في إعطاء فكرة صحيحة عن عقيدتهم،
سواء من ناحية الطرح النظري، أو في الواقع العملي الذي يعيشه
الناس ويلمسونه من المسلمين أنفسهم.

ثم ذكر عناصر هذه الصورة التي يروج لها الغرب عن الإسلام، في
وعى وجرأة نغبطه عليها، ونحمدها له، ونسأل الله أن تكون في
ميزان حسناته، وأن يكون ما قاله رادعاً لضعاف النفوس، كما نرجو
أن يكون حافزاً للذين يدافعون عن الإسلام ومثله وشعائره، فيرفعون
هاماتهم في فخر واعتزاز ولا يبطئون رؤوسهم كأنهم يبررون
سوءات يودون سترها عن الناس.

قال - د. د. اسامة - : وطالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة، فإنه
يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التي تقوم على
الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعي نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن
بعض جوانب القصور في الفكر الإسلامي والممارسة الإسلامية، أو
نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفي حقائق
معينة أو نحجبها عن الآخرين لكي نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجباً علينا أن نأخذ المبادرة في التصدي لتلك المزاعم
والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط
التي تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن
نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام
ومنتقديه هم في الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هي أن الإسلام - خاتم
الرسالات - هو دين الحق والعدل والتقدم، الذي يحض على العلم
والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم
والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان. أ.هـ.
وسوف نتناول عناصر الصورة التي يروج لها البعض عن الإسلام،
عنصراً عنصراً - وهي عشرة عناصر - حتى يظهر الصبح لدى





عينين، ونزيع الغبار الذى يُشار فى وجه الدين الوضاء الحنيف، ونقيم الحجة على المرجفين، وهم كما أشار إليهم الدكتور الباز بحق: إما من غير المسلمين، وإما من بعض المسلمين الذين يعطون أنفسهم الحق فى التحدث باسم الإسلام دون أن يكونوا مؤهلين لذلك، وربما كانوا مدفوعين بالهوى والغرض، والرغبة فى تحقيق مصالح أو مكاسب دنيوية، حتى وإن سلكوا فى هذا سبيلا يترتب عليه النيل من الإسلام، والتشهير به، وخدمة أغراض أعدائه الحريصين على مهاجمته ومعاداته بالباطل.

وأول هذه المزاعم الباطلة أن الإسلام دين يقوم على التعصب، وعدم التسامح، ويرفض الاعتراف بغيره، ويُقسم الناس بين مؤمنين به وكافرين، ويصنفون كأعداء لا يمكن قبولهم أو التعايش معهم، ونحب أن نقول - بادئ ذى بدئ: إن الذين يرمون الإسلام بالتعصب لم يحسنوا إلى أنفسهم كما توهموا، ولم يسيئوا إلى الإسلام كما أحبوا، لأنهم فضحوا أنفسهم بكشف سرائرهم، وما أصابوا الإسلام كما أرادوا.

إن الإسلام برئ من التعصب، ولن نأتى بشاهد من صدر الإسلام الأول، فإن أبغض شئ إلى نفوسهم أن يرتبط المسلمون بفترة صدر الإسلام الأول، فكراً ومنهجاً، ولذلك فهم يعملون بكل الوسائل على الحيلولة بين المسلمين وبين هذه الفترة

إن شواهد السماحة قائمة فى تاريخ الإسلام كله، اليوم كما هى الأمس. كما أن شواهد التعصب كامنة فى نفوس أعدائه، بادية فى تاريخهم القديم والحديث، ولن نحكى لهم قصة اليهودى مع سيدنا عمر بن الخطاب عندما كان كهلاً يتسول مقدار الجزية، فأمر بأن توضع عنه الجزية، ويصرف له من بيت المال ما يكفى حاجته.

ولن نحكى لهم كيف عمل أهل الكتاب فى بلاط الخلفاء أطباء، وفى بيت المال خزنة وصيارفة، وهم على دينهم، لم يُطلب منهم - ولو بالترغيب أن يتركوا دينهم حتى يحافظوا على مكانتهم أو مكانهم من الخلفاء، لكننا نذكر لهم ما فعلوه بالأمس القريب فى البوسنة والهرسك





مراد هوفمان

من تنكيل بالشعب المسلم، لا لشيء إلا من أجل دينهم، وأن ميلوسوفيتش الزعيم الصربي الذي يُحاكم اليوم كمجرم حرب لم يفعل ما فعله إلا على مرأى من العالم كله بمساعدة أوروبا وأمريكا، بل ماذا لقي جارودي الفيلسوف الفرنسي الشهير بعد أن أعلن إسلامه؟ لقي من ألوان الاضطهاد حتى قُدم للمحاكمة أكثر من مرة، وحُكم عليه بغرامات مالية فوق طاقته، فضلا عن

مقاطعة دور النشر لما يكتب، بعد أن كانت تتلهف على مؤلفاته !! لماذا؟ لأنه مسلم، أو لأنه أسلم.

ثم هل يذكر الغرب أو الشرق هوفمان، إنه ألماني مسلم، كان قبل إسلامه قد تقلد أعلى المناصب، كان سفيراً لألمانيا في المغرب، ثم سكرتيراً لحلف الناتو، وبعد إسلامه، وإعلانه، ونشر كتابه: مذكرات ألماني مسلم جُرد من جميع مناصبه، وأُهيل عليه التراب وأردية النسيان.

كل ذلك وغيره كثير، يتضح معه أن دعاوى حرية الفكر وحرية العقيدة للاستهلاك الدعائي، ولشغل أذهان ضعاف النفوس من العالم الإسلامي.

قال صاحبي: حسبك فأنا أحب أن أسألك.

قلت: دعك من الأسئلة الآن، فإن الأمر أخطر وأكبر مما تتخيل، إن الغرب بكل مؤسساته العسكرية والفكرية والاقتصادية يعمل للسيطرة على الشرق الإسلامي بخبث شديد ووقاحة أيضا، أما الخبث فعانيناه ونعانيه، وأما الوقاحة، فإنه برغم القسوة والشراسة التي يتعامل بها مع القضايا الإسلامية فإنه يدعى الحيدة، ويزعم المنطق، وأنه يبغى للشعوب الخير في كل ما يقدمه.

إن كل ما يفعله الغرب ليس المقصود به إلا تفتيت الشعوب الإسلامية.



يقول الدكتور محمد خليفة حسن: يعتبر مجال العقيدة الإسلامية من أهم المجالات التي اهتم بها المستشرقون، ووجهوا لها النصيب الأكبر في دراساتهم، وذلك للبحث عن الوسائل والعوامل التي يمكن تطويرها لهدم هذه العقيدة وتخريبها، وتشويه أصولها، فمنذ ظهور الإسلام، وانتشاره في العالم، اكتشف الغرب أنه خطر يهدد النصرانية في عقر دارها، وعندما اكتشف الغرب فشله في المواجهة السياسية والعسكرية مع المسلمين، ولم يتمكن من وقف الإسلام وانتشاره السريع في البلاد النصرانية. منذ ذلك اتجه إلى دراسة الدين الإسلامي دراسة متعمقة من أجل وضع الخطط لنقده وتجريحه وتخريبه، وتشويه صورته، وتشكيك المسلمين أنفسهم في دينهم وعقيدتهم، وهذا الجانب، جانب العلوم العقيدية الفكرية عن الإسلام أخذ يتطور مع السنين حتى أصبح علما أو علوما، جعلوا لها مدارس ومناهج، وما الاستشراق ومقارنة الأديان، ومعاهد الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية إلا ثمرة من ثمار الهجوم على الإسلام^(٤).

قال صاحبي - وكأنه يفيق من غفوة -: إذا المسألة أكبر من مجرد اتهامات.

قلت: إن الغرب حاول بكل الطرق القضاء على الإسلام، والسيطرة عليه بأحط الوسائل، وفي كثير من الأحيان لابد من غطاء دعائي إعلامي للخداع والتضليل، تارة حقوق الإنسان، وتارة الديمقراطية، وتارة لأنه يهاجم أوكار وعصابات المخدرات والإرهاب، وهو لا يتورع أن يستخدم كل هذه الوسائل القذرة، وينتهك كل المبادئ - إن كانت عنده مبادئ - للسيطرة على البلاد الأخرى، وهي دائما الشرق الإسلامي.

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل: «إن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مولت عملياتها لسنوات طويلة من تجارة المخدرات، وأن الولايات المتحدة ليست بعيدة عن انتهاك حقوق الإنسان في مواقع كثيرة من العالم،

(٤) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية للدكتور محمد خليفة حسن، وانظر الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي، وانظر الغزو الفكري للدكتور محمد عمارة.





وأن بعض أقرب الأصدقاء من واشنطن ليسوا من أنصار الديمقراطية وأحبابها»^(٥).

إن حقوق الإنسان والديمقراطية، وغيرها، وغيرها، مسميات وسائل للدخول بها إلى الإسلام، ومهاجمته، وإضعاف المسلمين بكل الحيل، والاستعمار مستعد لتحطيم كل أصنامهم، مادام في ذلك طريق لإضعاف الإسلام، لكنه يتمسك بهذه الدعاوى كحيل تنطلي على بعض المنتفعين منه، لجعلها ذريعة لتفتيت المجتمع الإسلامي، وهو يعمل بكل الوسائل، لتغيير قيم المسلمين، حتى ينشأ جيل يتخذ النموذج الأمريكى مثلاً وقدوة، والإسلام هو الدين الوحيد الذى احترام الأديان الأخرى وناقشها، فى كتابه: القرآن الكريم، وأبطل حججهم، وكل ما طالبهم به هو الصدق فى عرض الحقائق التى يعلمونها، فلو أنهم عرضوا الحقائق وأعلنوها لانتهدت المشكلة، لكنهم يخفون الحق ويجادلون بالباطل، وطمس الحق عمل برع فيه الغرب الصليبي.

قلت لصاحبي: يجب أن نفرق بين الصليبية والمسيحية، التى هى دين سماوى نؤمن به، كما أن اليهودية دين سماوى أيضاً. أما الصهيونية فهى عنصرية مرفوضة.

نقول لأهل الكتاب جميعاً كما قال الله - تعالى - :

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

وإلى لقاء آخر نتتبع فيه التهم التى وجهها الغرب للإسلام وذكرها الدكتور الباز.

(٥) مصر والقرن الواحد والعشرون، ورقة فى حوار، ط دار الشروق ١٩٩٤.

(٦) البقرة (٤٢).



قَوْلُ الْحَقِّ.. أَمْ.. لُغْوُ الْمَفْتَرِينَ

للدكتور/ على أحمد على

قدمنا للقارئ في عددي: «صفر وربيع الأول» حديثاً مفصلاً في «حضارة قوم نوح» وقد بسطنا القول في هذه الحضارة بُغْيَةً أن نكون -ابتداءً- على يقين من ازدهار شتى ثمارها في القوم: علما وأدبا وفنا وصناعة، ثم لكي ننطلق -من بعد ذلك- إلى ما وراءهم من قوم آخرين، هم أقرب إليهم نسبا وحالا، كان منهم «الإنسان الأول». هذا الإنسان الذي كان وثيق الصلة بالكون كله، لنرى: كيف أبدع الله -تعالى- الكون ثم الإنسان، عن خَلْقٍ وعلمٍ ويقين. وكيف قدمهما التاريخ الطبيعي عن تصور وافترض دون علم أو يقين.

أن يلتمسوه فيرتاد بهم آفاق علم راشد مستقيم، لكنهم اعتبروا الدين كله ذا نبع واحد، لا فرق بينه وبين الكنيسة في شيء.

ومن هنا اختاروا لأنفسهم علما ابتدعوه، رأوا -من خلاله- الوجود كائنا استمد وجوده من ذاته لذاته^(١). دون ما سبب سابق أنشأه وأحياه، ودفع به إلى الوجود، وبذاته أيضا أخذ (يتطور) حتى انتهى إلى ما هو عليه؛ وهكذا:

استبدلوا هذه الذاتية بـ «الخالق». واستبدلوا «التطور» بـ «الخُلُق».

وفي الحق أننا إذا استثنينا بضعة فلاسفة، نقول: لقد كان العالم -قبل استقرار عصر النهضة في القرن السادس عشر- مطمئنا إلى اعتقاده بـ «خَلْقِ الكون» وبالتالي إلى «خالق» أنشأه.

ولقد يكون للآم حينذاك، وقبل هذا العصر، معتقدات شتى في «الخالق» جُلُّ علاه- لكن الإجماع قائم على وجوده، حتى إذا ضاق الملاء من علماء أوروبا وفلاسفتها بالكنيسة وسلطانها، وما بثته فيهم من أساطير -طرحوا «الوحي» كله من علمهم، وازوروا عن أي وَحْيٍ أمين كان يمكنهم

(١) راجع إلى جانب قصة الجنس البشري للدكتور هندريك، تاريخ الإنسان الطبيعي لإلياس الغضبان، ص ٢٠ - ٣٠. المطبعة العصرية ط الثانية تقديم مارس ١٩٢٤.



وذلك ما سوف نقرأه سريعا - بمشيئة الله تعالى - على يد متخصص من علمائهم.

وقد طرحوا لذلك كله «فروضا» إلى جانب «التطور» وأوها ضرورة في إرساء هذا الكيان من علمهم، ونترك للقارئ بعدئذ الحكم على هذه الفروض وما آلت إليه من تطور ووجود.

وإلى القارئ حديث القوم عن «الكون والإنسان» فيما أسموه:

تارة «بالتاريخ الطبيعي للإنسان» أو «قصة الجنس البشري» أو ما سردته كتب الحضارة في نفس المقام.

وعن كتاب «قصة الجنس البشري» نقتبس الحديث مع حرص شديد على الاختصار الجامع للمعنى مع المحافظة التامة على نص اللفظ كما هو في مصدره، دون أن نقحم نفسنا عليه، أو على مضمونه بحال. ولقد اضطررنا اضطرارا إلى إضافة ضرورية يجدها القارئ بين قوسين مربعين ليسا من متن الكتاب.

قال مؤلف «قصة الجنس البشري» د. هندريك ولم فان لون:

«ما زال حظنا من العلم ضئيلا، ولكننا بلغنا المرحلة التي تمكننا من التكهن بجملة أشياء تكهننا فيه نصيب من الحقيقة غير قليل... سأقص عليك - في هذا الفصل: كيف مهد المسرح لنشأة الإنسان معتمدا - في ذلك - على أصدق الروايات» [وهذا حديثه في تلك الفقرات] قال:

١- في البدء كان الكوكب الذي نعيش عليه.. كرة كبيرة من مادة ملتهبة، أو قُل: غمامة

من الدخان، تسبح في الفضاء.. ثم احترق سطح هذا الكوكب.. حتى همد، وغطته طبقة رقيقة من الصخور، وانهمر المطر على هذه الصخور.. سيولا لا تنقطع حاملة معها الغرين إلى الأودية الكامنة بين الصخور القائمة على الأرض... وأخيرا حانت ساعة بزوغ الشمس، فطلعت على هذا الكوكب، فإذا هو مغطى بقليل من برك موحلة قدر لها أن (تتطور)... فتستحيل إلى المحيطات.. في مشارق الأرض ومغاربها.

٢- ثم.. انبعثت الحياة مما كان ميتا وطفئت (٢) «الخلية الحية الأولى» فوق مياه البحر، وظلت هذه الخلية ملايين السنين... تكتسب صفات خاصة تُيسر لها سبيل البقاء على الأرض... وكان بعض الخلايا قد تأصل في الرواسب الغرينية، ثم أصبح (نباتا).. أثر بعضه التنقل من مكان إلى آخر (فَمَتَ) له (أرجل) وأخذ يدب على طول قاع البحر بين النباتات، وكان بعضها مغطى بقشور، ويعتمد على السباحة طلبا للقتل، ثم أخذت تعمر المحيطات بعشرات الآلاف من (الأسماك).

٣- رَبت [أى النباتات] وتكاثر، فتركبت البحر كارهة، واتخذت لها مواطن جديدة في المستنقعات وعلى سفوح الجبال، وتضخمت... وأصبحت (شجيرات وأشجاراً) ثم عرفت كيف تتفتح عن (زهر جميل) اجتذب (النحل) و(الطيور المختلفة) التي حملت معها (البذور) إلى جهات بعيدة فمالبت سطح الأرض أن تغطي بالمرج الخضري.

(٢) هكذا هي، ولعل المؤلف يقصد: (وطافت).. لكنها هكذا في الاصل.. والله اعلم.

[وعن عودة إلى الأسماك المتطورة عن نبات قال]:

٤- على أن بعض الأسماك بدأ أيضا يغادر البحر، وتعلم كيف يتنفس برئتيه، ويطلق على هذه الكائنات (البرمائيات) .. فأصبح بعضها (زواحف) .. كالعظاية^(٣) وتطورت أرجله، ونما حجمه .. وعمر الأرض بمخلوقات هائلة الجثة عرفت بأسماء العظاية الهائلة .. والسماكية .. والراعدة. وبدأ بعض الزواحف يعيش على قمم الأشجار ... وكان محتاجا إلى التنقل بسرعة من فنن إلى فنن، فاستعاض بجزء من جلده بشيء يشبه المظلة، وجعل من ذيله أداة توجهه وأخذ (يطير) حتى (تطور) إلى طير حقيقي .. وهلك جميع الزواحف في زمن قصير، ولا نعرف السبب في ذلك.

[وفي الطريق إلى نشأة الإنسان .. قال]:

٥- ثم سكن العالم كائنات انحدرت من هذه [الزواحف]، ولكنها كانت بعيدة الشبه عنها، ذلك أن صغارها كانت تتغذى من (أثداء) أمهاتها، أطلق عليها العلم اسم (الثدييات) .. كسّت أجسامها بالشعر .. فكانت الأنثى منها تحمل بيض صغارها داخل جسمها إلى أن تفقس .. ونوع من هذه الثدييات تعلم كيف يقيم جسمه جميعا على قوائمه الخلفية .. وأصبح أقدر المخلوقات على الصيد، والعيش في

كل مناخ، ودرج على التنقل جماعات زيادة في سلامته، وتعلم كيف يأتي بصرخات عجيبة، ثم يستخدم هذه الأصوات الخلقية في الحديث.

هذا المخلوق كان أول أجدادك من أشباه الإنسان، وإن تعذر عليك تصديق ذلك.

٦- لا نعرف إلا النذر اليسير عن الإنسان الحقيقي الأول. .. كان السلف الأقدم للنوع الإنساني حيوانا ثدييا سمح المنظر عظيم القبح .. كان صغيرا جدا، ورأسه ومعظم جسده وذراعه وأرجله مغطاة بشعر طويل خشن، وكانت أصابعه رفيعة جدا، ولكنها قوية مما جعل يديه أشبه شيء بأيدي القردة، وكانت جبهته منخفضة، وفكه أشبه بفك الحيوان المفترس، وكان لا يتخذ له لباسا، ولم ير نارا إلا لهيب البراكين الثائرة. كان يعيش في ظلام الغابات، [ويأكل] أوراق الشجر وجذور النباتات، وانتزع البيض من برائن الطير يقدمه لصغاره .. قد يستطيع أن يصيد عصفورا، أو كلبا برياً صغيراً، أو فأراً، ويلتهم صيده نيئا. ولم يكن الإنسان الأول يدرك معنى الوقت، ولم يكن يشيد بيوتا لسكنائه^(٤). اهـ



هذه هي قصة الكون والإنسان كما أوردها د. هندريك، وهي هي فيما كتبه - بأسلوب أكثر سرّداً - صاحب تاريخ الإنسان الطبيعي^(٥).

(٣) السلحفاة.

(٤) د. هندريك ولم فان لون - قصة الجنس البشري ١-٧ إلى ١٢ مطابع الشعب ١٥.

(٥) إلياس الغضبان - تاريخ الإنسان الطبيعي ص ١٧-٣٦ المطبعة العصرية ط٢ / ١٩٢٤م.

وتجدها هي هي بأسلوب مختلف لدى كتاب الحضارات من الغربيين.

وبعد:

فكم من استفهام يتزاحم في أذهاننا أثناء وعقب مطالعنا لهذا العرض الذى يصور فيه د. هندريك مذهب المؤرخين الطبيعيين فى نشأة الكون، ويسوقه لنا فى مقدمة مأسماه بـ « قصة الجنس البشرى ». وهم - جميعاً - يصرون عن تكهن ضرورة فقدان مذهبهم مرجعاً وثيق العلم تركه بين أيديهم هذا العهد العتيق، فلا غرابة أن تُشحن أذهاننا بفيض من الأسئلة التى لا نجد لديهم سبيلاً إلى الإجابة عنها، ولا نجد فى أنفسنا - صبراً فى السكوت عليها.

وكيف السكوت إزاء قصورها عن إمدادنا بالقناعة فيما جنحت إليه من تصوّر فى الكون أو الإنسان أو غيرهما؟ واكتفت بأن تضع بين أيدينا خيالها فى هذا الكون كله، وكأنها تقول لنا: ليس من حق أحد السؤال فيه؛ لكننا يجب أن نقول:

إن القوم فى (تكوين) الأرض لم يتوصلوا إلا إلى قياسات «فرضية»^(٦) كما هو متوقع.

واختلط الأمر حين أرادوا حساب (عمر الكون) فجعله بعضهم بليونى سنة، وآخرون ما

بين عشرة إلى عشرين بليون سنة^(٧)، والأمر كذلك فى ظهور الإنسان على سطح الأرض^(٨).

فإذا جاوزنا الكون والأرض إلى الإنسان قرأنا شيئاً آخر لأولئك العلماء؛ فقد رأى بعضهم أن أول إنسان دبّ على الأرض كان «خنثى» وآخرون رأوه «أنثى» ولم يسأل أى الفريقين نفسه: وأى شىء يمنع أن يكون «ذكراً»^(٩) ألأن التوراة والإنجيل والقرآن قالوا: كان رجلاً^(١٠)؟

يبدو أن الميدان فسيح لمن أراد أن يقول، فيقول ما شاء أن يقول.

لقد كنا - باختصار - أمام عرض يصدم بعنف فطرة الإنسان، تلك الفطرة التى قبع فى ضميرها إيمان راسخ بحتمية السبب والنتيجة لكل شىء فى الوجود، فلكل نتيجة سبب، ولكل سبب نتيجة، فكيف تتقبل هذه الفطرة إيماناً بخلية تظهر فجأة فى الماء، ثم تصير نباتاً، ثم ينمو لبعضه أرجل، فيصير أسماكاً وزواحف، ثم ينحدر عن تلك الزواحف تدييات يرتقى بعضها فيكون إنساناً؟! فإذا تساءلنا أمام هذا العرض: أين الله، خالق كل شىء، والسبب وراء أى موجود؟ لا نجد... لا نجد؛ لأن ذلك مذهب الطبيعيين، وما هذا العرض لهندريك وأشياعه فى ميزان الإيمان إلا لغوُ المفتريين.

ولله الأمر - من قبل ومن بعد - قول الحق الذى فيه يمترون.

(٦) إلياس الغضبان - مرجع سابق ص ١٩.

(٧) راجع للدكتور منصور حسب النبى - الكون والإعجاز العلمى للقرآن ص ٣٢٤، ٣٤٩ دار الفكر العربى بلا تاريخ.

(٨) نفس المرجع ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(١٠) تكوين - ٧/٢ من العهد القديم.

انظر فى الملحقات كورينثوس ١٥/٢٢، ورومية ٥/١٤.

القرآن الكريم - البقرة - ٣٠، ٣١.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أحببت أن أذيقك طعم الظلم

روى أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب، فعلمه حتى فاق في العلوم، فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقق أنوشروان عليه، فلما ولي الملك، قال له: ما حملك على ما صنعت من ضربى يوم كذا وكذا ظلما؟ قال: لما رأيته ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبىك، فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم، فقال أنوشروان: زه (١)

بحق سودك قومك

دخل ضمرة بن أبى ضمرة على النعمان، وكانت به دمامة شديدة، فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمع بالمعبدى خير من أن تراه، فقال: أيها الملك: إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان، قال: صدقت وبحق سودك قومك.

سياسة الحجاج

كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه عن الطريقة التى يتبعها فى حكمه، فأجابه بقوله: إنى أدنيت السيد المطاع فى قومه، ووليت المجرب الحازم فى أمره، وقلدت الخراج الموفر لأمانته، وقسمت لكل خصم من نفسى قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتى ونظرى، وصرفت السيف إلى النصف المسىء، والثواب إلى المحسن البرىء، فخاف المريب صولة العقاب، وتمسك المحسن بحظه من الثواب.

لأغمن من أمرك بهذا

كان لبعض النساك شاة فرأها على ثلاثة قوائم، فقال: من فعل هذا بها، فقال غلامه: أنا فعلته، قال: ولم؟ قال: لأغملك بها، فقال: لأغمن من أمرك بهذا، اذهب فانت حر.

(١) كلمة تدل على الإعجاب، وإذا قالها الملك لأحد أعطى ألف دينار جائزة.



الزمان

قال الشيباني: أتنا أبو مياس الشاعر ونحن في جماعة، فقال: ما أنتم فيه؟ قلنا: نذكر الزمان وفساده، قال: كلا الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

أرى حللاً تصان على رجال

وأخلاقاً تزال ولا تصان

يقولون الزمان به فساد

وهم فسدوا وما فسد الزمان

الرجل الثقيل

قال رجل الحكيم: ما رأيك في الرجل الثقيل؟ فقال الحكيم: هو أثقل على الروح من الحمل الثقيل، قال الرجل، وأي علاقة بين الروح والحمل الثقيل؟ فقال الحكيم: ذلك لأن الحمل الثقيل تشارك الروح الجسم في حمله، والرجل الثقيل تنفرد الروح بحمله.



اللهم أعنا على الموت وكرهته، والقبر وغمته، والصراط وزلته، ويوم القيامة وروعته.

حقيقة

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

قالوا..

- العديم من احتاج إلى لئيم.
- لن تسلم من الناس حتى يسلموا منك.
- الكلام فيما ينفعك خير من السكوت، والسكوت عما يضرّك خير من الكلام.
- إذا جهل عليك الأحق فالبس له سلاح الرفق واللفظ
- من قطع عليك الحديث فلا تحدّثه، فليس بصاحب أدب.
- من العجب أن لا ترضى عمن ابتغى رضاك، وأعجب من ذلك أن تسخط عليه.
- الحاسد يفرح بزلتك، ويعيب صوابك.
- الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدّثون بأحسن ما يحفظون.

حكمة

إن الأمور إذا التوت وتعقدت
نزل القضاء من السماء فحلها
فأصبر لها فاعلها ولعلها
ولعل من عقد الأمور يحلها





الحياء ظواهره وأقسامه

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف

الحياء ملاك الخير، وسنام الفضل، وزينة المرء، يضاف على صاحبه الوقار والهيبة، ويلبسه ثوب الورع والتقوى، ما تحلى به إنسان إلا رفع من شأنه وعلا من قدره، وما فقدته شخص إلا حط من شأنه، وهوى في الحضيض قدره، فعن أنس رضي الله عنه. قال: قال ﷺ: (ما كان الفُحْشُ في شيء قط إلا شأنه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه) ^(١).

والتغيب في الحياء مطلوب، فمن كلام بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحي منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهب من القلب لم يبق فيه خير.

وفي الأثر: أوحى الله - عز وجل - إلى عيسى عليه السلام: «عظ نفسك، فإن تعظت، وإلا فاستحي مني أن تعظ الناس» ^(٢).

(٢) المستدرك ٦١٥/٢.

(١) أخرجه أحمد ١٦٥/٣.





٣- وحياء الإجلال : وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه .

٤- وحياء الكرم : كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطولوا الجلوس عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا .

٥- وحياء الحشمة : كحياء على بن أبي طالب - رضى الله عنه - أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذئى لمكان ابنته منه . « قال على: كنت رجلا مذاء فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: « فيه الوضوء »^(٣) (مذاء: أى كثير المذى وهو البلبل اللزج الذى يخرج من الذكر عند ملاعبة النساء، ولا يجب فيه الغسل، وهو نجس يجب غسله، وينقض الوضوء) .

٦- وحياء الاستحقار، واستصغار النفس : كحياء العبد من ربه - عز وجل - حين يسأله حوائجه، احتقاراً ل شأن نفسه، واستصغاراً لها . وقد يكون لهذا النوع سببان : أحدهما : استحقار السائل نفسه . واستعظام ذنوبه وخطاياها .

الثانى : استعظام مسئئوله « وهو المولى عز وجل » .

٧- وأما حياء المحبة : فهو حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه فى غيبته حاج الحياء من قلبه، وأحس به فى وجهه ولا يدرى ما سببه .

وقال يحيى بن مُعَاذ : « من استحيا من الله مُطِيعاً، استحيا الله منه وهو مُذْنِبٌ »

قال ابن القيم فى شرح قول يحيى بن معاذ السابق :- « من غَلَبَ عليه خُلُقُ الحياء من الله حتى فى حال طاعته فَقَلَبَهُ مُطَرِّقٌ بين يدي ربه إطراراً مُستَحِجّاً خجلاً، فإذا واقع ذنباً استحيا الله - عز وجل - من أن ينظر إليه فى تلك الحالة لكرامته عليه . . وأما حياء الرب - تعالى - من عبده، فذلك نوع آخر لا تُدركه الأفهام، ولا تكيّفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال، فإنه تبارك وتعالى حيى كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحيى أن يُعَذِّبَ ذا شبيبة شابت فى الإسلام » .

وللحياء مظاهر وأقسام، قال ابن القيم : قُسِّمَ الحياء إلى عشرة أوجه : حياء جنائية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استحقار النفس (استصغارها)، وحياء، محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحيى من نفسه .

١- فأما حياء الجنائية : فمنه حياء - آدم عليه السلام - لما فرَّ هارباً فى الجنة .

٢- وحياء التقصير : كحياء الملائكة الذين يُسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك .

(٣) أخرجه أحمد ٨٢/١ .



دائماً الآيات الكريمة التي تدل على رؤية المولى - عزوجل - لعباده: ظواهرهم وبواطنهم، وعلى كونه رقيباً عليهم، وذلك قوله سبحانه:

﴿الرَّعْلَمُ بِأَنَّهُ يَرَى﴾ (٤).

وقوله عز من قائل:

﴿يَعْلَمُ حَآيَةَ الْآعِينَ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٥)

وقوله جل شأنه:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٦).

وآيات أخرى كثيرة وردت في هذا المعنى، وجاء في حديث جبريل المشهور: «ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...» (٧)

وقال ابن القيم في شرح العبارة السابقة: يعنى أن العبد متى علم أن الرب - تعالى - ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه سبحانه، فيجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة، وذلك كمثّل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده، فإنه يكون نشيطاً فيه، محتثلاً لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده، والله - عزوجل - لا يغيب نظره عن عبده، فإذا ما غاب نظر العبد عن كون المولى ناظراً إليه توّكّد من ذلك قلة الحياء والقحة، هذا ولاستقباح الجنابة الناشئة عن الحياء درجتان أخريان:

وكذلك يعرض للمُحِب عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له روعةً شديدة. ومنه قولهم «جمال رائع» وسبب هذا الحياء والروعة مما لا يعرفه أكثر الناس. فإذا فاجأ المحبوبُ مُحِبَّهُ، ورآه بغتة، أحس القلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعة وخوف.

٨ - وأما حياء العبودية: فهو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدره أعلى وأجل منها. فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩ - وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو إحسان. فإنه يستحيى مع بذله حياء شرف نفس وعزة.

١٠ - وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه، حتى كأن له نَفْسَيْن، يستحيى بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء. فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر.

والحياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه ذلك إلى تحمل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجنابة والنفور من المعصية، ويسكته عن الشكوى. لاستحضاره

(٥) غافر «١٩».

(٧) البخارى ١٤٤/٦.

(٤) العلق «١٤».

(٦) النساء «١».



بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يُثَنُّون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفَعوه، وعلى ذلك فالحياء فى قوله ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير»^(٨) هو الحياء الحقيقى .

وقد ثبت أنه ﷺ كان أشدَّ حياء من العذراء فى خدرها، وهو لنا فى ذلك قدوة، لا يقوم دون غضبه شىء إذا انتُهكت حُرُمات الله .

قال الحسن البصرى: «الحياء والتَّكْرَم خَصْلَتَانِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، لَمْ يَكُنَا فِي عَبْدٍ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِمَا» .

وقال الفضيل بن عيَّاض: «خمس من علامات الشَّقْوة: القسوة فى القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة فى الدنيا، وطول الأمل» .

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «إن مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق التَّأْسَى فى طاعة الله، وإعطاء السائل، ومكافأة الصنيع، وصلة الرحم، وأداء الأمانة، والتَّذَمُّم للجار، والتَّذَمُّم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء» .

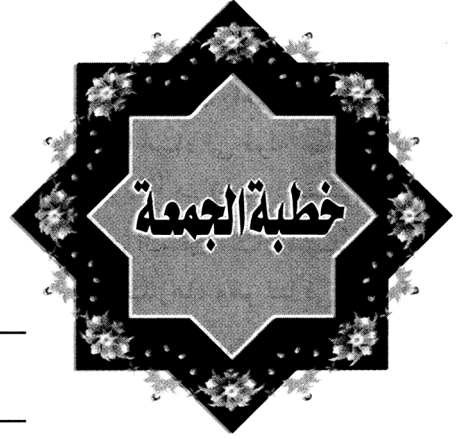
دنيا: وهى الاستقباح الحاصل على ملاحظة الوعيد .

عليا: وهى الاستقباح الحاصل عن المحبة .
وقد يُطرح سؤال: هل الحياء يمنع صاحبه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟؟ وقد أجاب عن ذلك صاحب «فضل الله الصمد»: فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحى أن يواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف فى العادة، فأقول: إن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخَوَرٌ ومَهَانَةٌ، وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيها ومجازا، وإنما يكون الحياء حقيقيا حيث يكون قُبْحُ المُسْتَحْيَا منه حقيقيا، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو فى الحقيقة حَسَنٌ، ولا الانقباض عما هو فى الأصل قبيح ولكن الانقباض عنه يؤدى إلى ما هو أقبح منه، مثال ذلك ما يقع من بعض خمرات النساء، يعرض لها فاجر فى خَلوة يحاول استكراهها، فتنبض نفْسُها عن أن تستغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجرا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوع ذلك ليس

(٨) البخارى ٣٥/٨، وأحمد ٤٢٧/٤ .



حضارة الزناب



لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله، عدل وأمر بالعدل والقسطاس، وسوى في النشأة بين جميع الناس وألغى فوارق الألوان والأجناس؛

﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾^(١)

« لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى »^(٢).

نشهد أن لا إله إلا أنت، تتنقم بلا إجحاف، وتكرم بلا إسراف، وأنت العلي الكبير، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبداً ورسولك، آخى بين العرب والعجم، وألف بين السادة والخدم، فكان رسول الكرامة الإنسانية، وحافظ الهيبة للبشرية، مجدد قيمة الإنسان، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأسرته، والفائزين بشرف صحبتته، والمستمسكين بهديه وسنته؛

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

يا أتباع محمد ﷺ :

مهما طال التبجح والادعاء بأنها ذات حضارة ومدنية، وهؤلاء الذين أعمى الله بصائرهم فلا يدينون دين الحق، ولا يؤمنون بالإسلام، قد أوتوا ما أوتوا من علم وقوة، وسيطروا على ما سيطروا عليه من خيرات وأسباب، وعلوا في الأرض علواً كبيراً، ومع ذلك ظلوا

إذا غضب الله على أمة معرضة عنه، تتابعت منها الخمازي والسيئات، حتى تبدو شوهاء نكراء، تقيم من نفسها الدليل على خستها، وتقدم البرهان في ذاتها على أنها لا تستحق الحياة الفاضلة أو التكريم الإلهي،

(٣) البقرة (٥)

(٢) أحمد ١٤/٥

(١) الحجرات (١٣)

منحطين انحطاطاً روحياً شنيعاً؛ وكان الله - سبحانه - قد أتاح لهم كل هذه الوسائل والأسباب، بينما حرمهم نعمة الإيمان ليريهم رأى العين أنهم بدون نصره أذلاء، وبدون هديه أخساء، وبدون تأديبه سفهاء:

﴿أَمْ لَمْ يَلَمْزْ إِلَهُ عَزَّوَالَهُ سَبَّحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤)

ألا تقرؤون أيها السادة؟.. لقد نشرت الصحف أن أربعة آلاف من البيض الأمريكيين «المتحضرين المهذبين المثقفين جداً» ثاروا في إحدى ضواحي «شيكاجو» على عائلة زنجية مسكينة، نزحت إلى هذه الضاحية واستأجرت شقة فيها، وسبب هذه الثورة أن هؤلاء البيض المؤدبين الراقين جداً في شعورهم لا يريدون أن يعيش بجوارهم أحد لونه أسود، وقد قامت مظاهرات من الآلاف الأربعة استمرت ثلاث ليال كاملة، وأخذ المتظاهرون الأبطال جداً يقذفون مسكن الأسرة الزنجية المسكينة التي كل جريمتها أنها ولدت سوداء البشرة، أخذوا يقذفون المسكن بالمواد المحرقة حتى أشعلوا فيه النار، ثم عمدوا إلى تحطيم نوافذ المسكن كله، وإلقاء الأثاث في الشارع ثم أحرقوه... وهكذا فلتكن خسة المتحضرين، وهكذا فلتكن مدنية الذئاب وهكذا فليكن رقى الوحوش، وإلا فلان!.. وهؤلاء الوحوش أيها السادة هم مع شديد الأسف القبلة التي يتجه إليها بعض كبرائنا ليستمدوا منهم الثقافة والمدنية وأصول الحرية وقواعد التربية والأخلاق، وهؤلاء مع شديد الأسف هم الذين يضحكون على ذقون سوانا بمساخرهم البهلوانية التي يسمونها هيئة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو الضمان الاجتماعي أو محكمة العدل الدولي أو ميثاق الإنسان والحريات

والمساواة بين الناس... وهؤلاء هم مع شديد الأسف أئمة لبعض الناس في السياسة والأدب والاجتماع!..

أين تذهب هذه الخسة أو تجيء أمام هدى الله المبين، وتكریم الإسلام لقيمة الإنسان، وسحقه لعصبيات الجنس واللون والوطن، وتسويته بين الناس جميعاً لأنهم من أصل واحد ولرب واحد؟ وأين هذا اللؤم الوضع من سماحة الإسلام وتعظيمه للعبيد والموالي والإماء فالرسول صلوات الله عليه يقول في مولاه زيد بن حارثة الذي كان عبداً وفي ابنه أسامة: «وأيّم الله إن كان خليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحكم» (٥). ويقول الرسول لأسامة: «أنت أخونا ومولانا» (٦) ويعده من أهله، ويقدمه في الحب على غيره، ويأمر أهله بحبه ولقد أعطى عمر بن الخطّاب أسامة هذا عطاء أكثر من عطائه لابنه عبد الله، فسأله ابنه: لم فضلت أسامة عليّ، فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ فاجاب عمر: لأن زيدا كان أحب إليّ رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامة أحب إليّ رسول الله منك، فأثرت حب رسول الله على حبي، وكان بلال بن رباح الحبشي الأسود أول مؤذن في الإسلام، وأخبر عنه الرسول بأنه يمشي أمامه في الجنة، وأنه سمع صوت نعليه حين مشيه، وعنه يقول عمر: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعني بلالاً -».

وهذا سالم مولى أبي حذيفة المملوك الفارسي جعله الرسول أحد أربعة هم أئمة الناس في قراءة القرآن وقال عنه عمر حين طعنه أبو لؤلؤة: لو كان سالم حياً لوليته خلافة المسلمين!.. وهذا صهيب العبد الرومي يقول عنه الرسول: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، وهذه أم أيمن مولاة الرسول، الأمة التي ورثها

(٤) الطور (٤٣).

(٥) البخاري ١٦٠/٨.

(٦) البخاري ٢٢٣/٣، وأحمد ١١٥/١.



الإسلام، وهذه مثلاً فرنسا التي تتاجر صباح مساء بالفاظ الإخاء والحرية والمساواة، وتدعى أنها أم الثورات الإنسانية، ومثبتة الحقوق البشرية، هي نفسها التي تريد أن تستأصل الملايين من أبناء الجزائر العربية المسلمة، لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن يعيشوا عرباً مسلمين، في حرية واستقلال!.. وقد آن للبشرية الحائرة أن تكفر بكل غدار، وأن تأخذ بعنق كل مفتر كذاب، وأن تهدم بيدها الصالحة المصلحة ما أقامته ذئاب البغي من فخاخ للكرامة الإنسانية وقبور للحقوق البشرية:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١٢)

وآن للمسلمين بصفة خاصة أن يكفروا بكل ميثاق إلا ميثاق الرحمن، وأن يعرضوا عن كل ينبوع إلا ينبوع القرآن، وأن يسخروا من كل تدجيل، ويقبلوا على هدى الرسول، ثم يحملوه إلى الناس قائلين: هذه مضخة الإطفاء وقارورة الدواء وزورق الإنقاذ قد جاءكم من الله نور:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٤).

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. سلوا ربكم التوفيق يستجيب لكم.

عن أمه، أعتقها الرسول، وكان يبرها مبرة الوالدة ويقول عنها: «أم أيمن أمي بعد أمي» (٧) ... ثم يصنع الرسول صلوات الله وسلامه فيقول: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفهم ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه» (٨).

وها هو ذا يشاهد صحابياً من صحابته يخاصم آخر ويسبه بقوله: يا ابن السوداء فيغضب الرسول ويقول لصاحبه: «طف الصاع إنك امرؤ فيك جاهلية، كلكم بنو آدم ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح» (٩) ... ولا عجب فهو الذي يقول عن المتكبرين من الخلق: «إنه ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» (١٠)، «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» (١١).

يا أتباع محمد ﷺ:

هذه هي حضارة الذئاب وهذه هي سماحة الإسلام، فأى الفريقين خير وأهدى سبيلاً؟.. إن كذبة الساسة وطغاة السادة في الأرض يخدعوننا عن بهتانهم ببريق مظاهرهم وزور حديثهم، ثم يأتون الكبائر في هضم الحقوق وإهدار الكرامات وإزهاق الحريات، وتسخير الملايين كالعبيد أو الأغنام في سبيل شهوة مجنونة أو لذة مخبولة، وهم في سبيل ذلك يصطنعون فروقاً من الدماء والألوان والطبقات لا يقرها الله ولا يعرفها

(٩) أحمد ١٦١/٥.

(٨) البخاري ١٩/٨.

(٧) كنز العمال ٣٤٤١٧.

(١٢) الإسراء (٧٠).

(١١) أحمد ١٥٣/٣.

(١٠) مجمع الزوائد ٢٦٤/١٠.

(١٤) النحل (١٢٨).

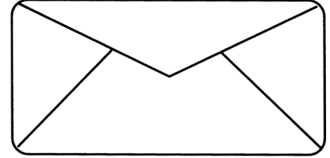
(١٣) النساء (١).





رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتح سيد جمعان



في هذا العدد نرد على رسالتين من رسائل القراء الأعزاء:

الرسالة الأولى من الأخ القاريء الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بكلية الزراعة جامعة المنصورة يسأل فيها عن السبب الذي جعل الشباب هذه الأيام عاقين قاطعين للرحم إلى الدرجة التي صار فيها هذا العقوق ظاهرة اجتماعية ذلك أن شاباً (يبدو أنه صهره أو قريبه) له ست أخوات مات والداهن وقد تركا لهن ثروة كبيرة عبارة عن مشاريع تجارية وعقارات ومحال تجارية، وهذا الأخ يعيش بعيداً عن أخواته يمارس نشاطاته التجارية في مدينة أخرى وقد استولى على تركة الوالدين مدعيًا أن أبيه قد كتب له كل الممتلكات قبل وفاته.

ويسأل الأخ إبراهيم: ما حكم الشرع فيما فعله الوالد قبل وفاته. إذا كان قد فعل. وما واجب الابن في هذه الحالة، ويرجح الأخ السائل أن الأب قد حرر توكيلاً حال حياته لابن لا استعماله في المشاريع التجارية التي كان يعمل فيها مع أبيه وأغلب الظن أنه استغل هذا التوكيل بعد موت أبيه في نقل ممتلكاته إليه.

وفي ختام الرسالة التي استغرقت صفحتين (فولسكاب) يقول: أرجو التوضيح حتى يتسنى لهؤلاء البنات أن يقضن على الحقيقة من الوجهة الشرعية.

منها إذ لو كن حريصات على وده وصلته ما فعل شيئاً مما فعله - يبدو أنهن في غمرة الانشغال بأزواجهن وأولادهن نسين كل شيء حتى الوالدين واني لأرجو أن يكون هذا الخاطر لا أساس له .

وأيّ ما كان الأمر فإن ما فعله الوالد - لو كان قد فعل - خطأ جسيم وإثم عظيم لا يقره الشرع بحال

بداية أقول للأخ السائل : شكر الله لك حسن ظنك بالجملة والقائمين عليها وبى شخصياً، ولا يسعني إزاء ذلك إلا أن أقول « اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون » ثم أهمس في أذنه لقد هجس في نفسي هاجس أن البنات كن بعيدات عن أبيهن حال حياته خاصة في السنوات الأخيرة





قول الله - تعالى - فى الحديث القدسى للرحم حين تعلقت بالعرش وعاذت بربها من القطيعة «أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك» .

ثم أقول له ما قلته مرة لواحد فعل له أبوه ما فعله أبوك لك وكان له أخوات مثل أخواتك (لم فعل أبوك لك هذا أليس الحب هو الذى دفعه إلى ذلك؟ فقال: بلى فقلت له: وهل تحب أباك كما كان يحبك؟ قال: نعم. فقلت له: إن أباك الآن يعذب فى قبره بسبب فعلته تلك فإن كان حبك له صادقاً ففى إمكانك أن تخفف عنه برد الأمر إلى نصابه واعتبار ما كان كأن لم يكن وإعطاء أخواتك حقهن فى ميراثهن من تركة أبيك) فاستجاب الشاب على الفور وتنازل عن كل ما كتب له أبوه بيعاً صورياً وكان شيئاً كثيراً وعندئذ اقترحت على الأخوة أعضاء المجلس العرفى الذين كانوا معى أن يعتبر ما فعله أبوه كأنه وصية على رأى من يجيز الوصية للوارث دون الحاجة إلى إجازة بقية الورثة والذى أخذت به المحاكم الشرعية هذه الأيام فأعطيناه ثلث التركة وقسمنا الثلثين الباقيين بينه وبين أخواته وقد كان هذا الشاب الفلاح شهماً فأبى أن يأخذ شيئاً أكثر من نصيبه الشرعى .

فيا أخ إبراهيم اعرضوا على هذا الأخ هذا الحل فلعله يقبله ويغنيكم عن اللجوء إلى المحاكم ومشوارها الطويل جداً فإن أبى فليعلم أن هذا المال لن ينفعه وسيبده الله فى الدنيا ولا يبقى له منه إلا المرارة والندم والحسرة والعذاب فى الدنيا والآخرة .

من الأحوال ولا أظن العرف والقانون يرضيان به فهو على فرض حدوثه منه عودة إلى الجاهلية الأولى حيث كانوا يحرمون البنات من الميراث، ويقولون: لا يرث إلا من حمل السيف ودافع عن العشيرة فأبطل الله هذه العادة الجاهلية بقوله تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١).

وقد كان السبب فى نزول هذه الآية حادثة تشبه الحالة موضوع السؤال فلما نزلت انتهى الصحابة - رضوان الله عليهم - عما نهاهم عنه ربهم ثم عادت الجاهلية تطل بقرونها بعد أربعة عشر قرناً من مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم وذلك لأن المسلمين تركوا الدين فصاروا إلى ما هم عليه الآن من فرقة وذلة وهوان .

ويمكن للبنات الست أن يرفعن أمرهن إلى القضاء العادل - الرسمى أو العرفى - ويطلبن من الأخ الذى يزعم أن الأب قد باع له أداء اليمين على أنه دفع للأب ثمن ما اشتراه وأين ذهب هذا الثمن، ولى كلمة أوجهها لهذا الابن القاطع للرحم أذكره فيها بقول الله تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢).

فالإفساد فى الأرض قرين لقطيعة الرحم وهب والديك لم يترك شيئاً أما كان من الواجب عليك أن تصل أخواتك اللاتي ليس لهن أخ سواك أما سمعت





مناجاة قلب

للمُستأذ / مجدى عبد الحميد بشير

إليك يا الله يا ذا الجود والعطاء والكرم والسخاء، يا صاحب الفضل
والإنعام والمنة والإكرام، يا من أوجدت من عدم وأمددت وأغنيت ذا عدم
ووهبتنا من كل ما سألناك، إليك تتوجه أرواحنا شوقاً وهياماً وشكراً وامتناناً
أن حبوتنا السنا تشكرك وقلوبنا تذكرك تحب بحبك من أحبك وتعاذى
بعداوتك من عاداك. إليك يا ذا القوة والجبروت والعزة والرهبة يا بارئ
النسم وشافى السقم ومذهب السأم يا عز كل ذليل وقوة كل ضعيف وسميرى
فى الوحشة وأنيسى فى الوحدة هبنا من فيضك كيف نتسامى وفى حبك
كيف نتبارى وكيف نخلص لك الدين وكيف نفرذك وحدك بالضراعة
والابتهاال.



ويوقر صغيرنا كبيرنا مانحن من لاشيء خلقنا
نتفاخر به إلا الطين والماء نقف على أعتابك
وندنوا رويداً رويداً من رحابك فلا تردنا
خائبين واجبر كسرنا وأمح في حبك خلافتنا
اسمح لأجنحة السلام أن ترفرف ولنسمات
الوئام أن تنشر على العالم ما يخفف من
أعبائه الثقال ويلطف . يارب لقد صنعت
خليقتك في ثوب من الجمال والإبداع وحسن
الصنعة والإتقان وأردت لها أن تعيش في
تآلف وانسجام لكن أشباح الظلام سرعان ما
أثارت الخلافات ونفثت في الكون سموم
الانقسامات هدفها ألا تترك للسعادة موضعاً
ولا للهناء موطئاً فأدرك عبيدك يارحمن
يارحيم، يارب كيف يسوغ للأقوياء الفتك
بالضعفاء وقد قال رسولك ﷺ : « أبغوني في
الضعفاء فهل تنصرون وترزقون وتجبرون إلا
بضعفائكم » كيف يسوغ لمن تسلط وتشيطان
أن يهاجم بكل العنف والقسوة والضاوأة أنا
سا لا شاغل لهم إلا ذكرك ولاهم لهم إلا
التفكر في بدائع صنعك لقد فاق فعل البشر
بعضهم ببعض فعل الحمر الضالة والإتن
المتوحشة بعضها ببعض فالصراعات طمت
والنزاعات عمت والحروب نشبت أما آن لهذه
الإنسانية التعسة أن تضمد جراحها وتلملم
شعثها وتعيش أفراحها وتذكر منالها ذلك
ممكن ويسير بنظرة من رضاك ياحنان يامن أن
يامن تقابل السوء بالإحسان وتعلم المحبين أن
مايشرى الحياة هو البعد عن الجحود والنكران

أيها الحق الصراح يامن تؤتي الروح من
لدنك غذاءها وشرابها القراح وعطرها
الفواح يامصدر كل الحقائق ومنبع كل
الدقائق يامن أقمت الحياة على أسس العدل
وابتدرت خلقك بالفضل والرحمة ألهمنا
الإخلاص في السر والعلن والقصد في الغنى
والفقر وكلمة الحق في الرضا والغضب
والثبات حين تزل الأقدام، و الصمود حين
تتداعى الأركان، وامنحنا عند البلاء الصبر
والسلوان، يارب يامن وعدت من خافك
جنتين واحدة في الدنيا وثانية في الآخرة
مكافأة على ماوفقت إليه وثوابا لما أرشدت
إليه إليك يامن أردت لخلقك أن يعيشوا
متحابين متوادين متآلفين متكاتفين، زد
خلقك إحساساً بمحبتك يأسوا جراح
الإنسانية المعذبة ويكون البلمس الشافي
لمشاكلها المتفاقمة، يامن أشربت أرواحنا
عبادته وفطرت قلوبنا على اللجوء إليك،
ياخالقنا يارازقنا يامدبر أمورنا ومن بيده
مصابرنا وبين أصابعه قلوبنا، ثبتنا على اليقين
بك والتسليم لك والثقة فيما عندك حتى
نكون أوثق بما عندك مما في أيدينا والافتناع
أنك أنت وحدك الضار النافع .

يارب ردنا إليك رداً جميلاً وحبب إلينا
الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر
والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين
فضلاً منك ونعمة، ألهمنا النضج والرشد
والفهم والفتنة حتى لا يأكل كبيرنا صغيرنا





والإسراع الحثيث إلى العرفان والشكران.

يارب إليك قلوبنا تصبوا وأرواحنا تهفوا
وبك أنفسنا متعلقة وفي ظلال دوح عفوك
الوارف مطمئنة مستكنة فاسمع تدأب
أرواحنا تستغيث بك وتلج في الرجاء لديك
وتدب في اللجأ إليك في صلوات خاشعة
بقلوب موحجة وأنفس إليك فزعة وأرواح
حولك لاهثة متسارعة متدافعة فليس لنا إله
سواك فندعوه، ولارب غيرك فنناجيه يا نصير
المظلومين ومعين الفقراء ياعون المساكين
يا غاية الملحين أعد للدنيا السلام وامنح أهلها
الصفاء والوئام أعنا على أن تخلص منا
النيات وتصدق منا ونتسامى بك عن دنى
الحاجات وترتفع إلى عز الكرامات، اللهم
وحد صفوف المسلمين وألف بين قلوب
المؤمنين ووحد غايات الموحدين أعد للبشرية
ما فقدت من أخوة وصب في أخلاقها
ما بددت من فتوة وبث في أحشاء سلوكيات
أبنائها النخوة والمرؤة، ارفعنا ولا تضعنا
أكرمنا ولا تنهنا أعطنا ولا تحرمنا كثرنا
ولا تقللنا ارفعنا فلا نكبوا وذكرنا آلاءك فلا
نسها ونعمائك فلا نلهوا أعطنا من التوفيق
وسداد الرأي وصوابه مانته خطى به كل
العقبات أغدق علينا من نفحاتك وأسبغ
علينا من بركاتك وهب لنا من الأسباب
ما يجعلنا ننتفع كل الانتفاع بما سخرت لنا

من نعم وخولتنا من أعطياتك يارب، أضف
من وافر قوتك وعظيم توفيقك إلى ما بأنفسنا
من حماس وهى وإرادة هشة ونقى أنفسنا من
الخور والوهن واجعلها مترعة بالجرأة والإقدام
ولا تحرمنا الشجاعة الأدبية أن نقر ونعترف
بأخطائنا فنصلح من أمورنا مافسد ويعتدل
من أحوالنا ما اعوج اجعل بلادنا آمنة مطمئنة
فيسخاء رخاء تعيش فى ازدهار وانتصار
وترفل فى حلل العز والفخار ارفع رؤوسنا
عالية واجعل راياتنا ترفرف فى شموخ وإباء
لأنها رايات نسجت من قيم زامنها النبل
وكللها حلو الشمائل ورصعها كريم السجايا،
يارب بارك جهودنا المتواضعة وحقق لنا الآمال
واجعل الخطوة الواحدة منا تربو على كفاح
أجيال وأجيال.

يارب لقد قلت وقولك الحق ووعدت
وعدك الحق:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

ونحن سلمنا لك الأمور ووضعنا بين يديك
الأمانى مشفوعة بصادق العمل وخالص النية
فانجز لنا اللهم ما وعدت يامن فجرت الماء تحت
قدمى إسماعيل لما استغاثت أمه برحمتك فجر
ينابيع الخير تحت أقدامنا فضعفنا ظاهر بين
يديك وعوذنا لا يخفى عليك يامن سترتنا فيما

(١) الأعراف «٩٦».





بالفضل والإحسان وبالعلم وبالجبر لا
بالحساب غفرانك اللهم ورضوانك يا من مننت
على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار
والذين اتبعوهم باحسان فقلت :

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَدِّمِينَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

ويا من وعدت المؤمنين بالفضل والفوز
والرحمة والرضوان أدخلنا تحت لواء نبيك
ﷺ واحشرنا في زمرة ولا تحرمنا رؤيته
واسقنا من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة
لانظمأ بعدها أبداً وأخرى يارب لاننسى أن
ندعوك بها أن تبلغنا أياها فقد قلت :

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٣).

فاجعلنا من الذين مننت عليهم بالحسنى
وهى الجنة والرضوان ومن أكرمتهم بالزيادة
وهى النظر إلى وجهك الكريم فمن فاز بمرك
بلغ المنى ونال المراد ونعم بالخلود والنعيم
المقيم أمين .

مضى لاترفع عنا سترك فيما بقى اجعل
مستقبل أيامنا مضيئاً مثيراً بمعونتك يارب
يسر أمورنا واشرح صدورنا وحقق أهدافنا،
وبرحمتك يارحمن أزل العثرات من طريقنا
وأسقط إلى الأبد حواجز البغض والكراهية التي
تعرقل فيض نهر نقاءنا . يارب امنحنا من
صائب البصيرة ما يجعل الرؤى لدينا صافية
رائقة لا يشوبها كدر يارب ألهمنا فى الجهالة
حلماً حتى نكون أهلاً لما علمتنا من خلق كريم
تتسع صدورنا فيه إلى أن نعطي من حرماننا
ونعفو عمن ظلمنا ونحسن إلى من أساء إلينا
يامن أنجيت إبراهيم من النيران أنجنا وأجعل
ابتلاءات الحياة هينة لينة على قلوبنا ثم كن بنا
رءوفاً رحيماً عطوفاً كريماً رضا بقضاءك حتى
لأنحب تعجيل ما أخرت ولاتأخير ما عجلت
واجعل العدل بيننا شعاراً والفضل لنا دثاراً
والحكمة مؤلاً، نستعيز بك فأعذنا ونستغيث
بك فأغثنا ونلوذ بجناحك فلاتطردنا، أنت
حصننا فكيف نخاف وحرزنا الذى به نتمسك
اعتصمنا بحبلك ورجونا رفدك وانخنا رحالنا
ببابك وأنت الكريم المفضل والقوال الفعال
وصاحب النوال . واحتكمنا لفضلك فعاملنا





بين المجلد.. والقارى

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

اقتراء على ديننا الحنيف

● أرسل القارىء م.م.ع.. القاهرة، رسالة حملت الكثير من الثناء لإدارة تحرير المجلة لما وصلت إليه المجلة من ازدهار..... إلخ.

وقد أرفق برسالته رسالة أخرى طلب إبداء الرأي فيها حيث إنها وردت إليه بالبريد، وتنتهى بمطالبة حاملها بتصويرها عشرين نسخة وتوزيعها على الآخرين، حتى يأتيه الخير، وإن لم يفعل فعليه أن ينتظر الشر. ويسأل: هل يصور الورقة ويوزعها أم لا؟

والرسالة المرفقة تحت عنوان «إحدى معجزات القرآن الكريم تقدمها للمسلمين واليهود والنصارى».

نقدم للقارىء سطورها الأولى ليكون على بينة من الأمر، نقول الرسالة المرفقة:

«إنهيار مركز التجارة العالمى بمدينة نيويورك فى ١١/٠٩/٢٠٠١م والذى يقع على ناصية شارع «جرف هار» بولاية نيويورك وفى هذا يقول رب العزة قبل ١٤٠٠ سنة وقبل أن يأتى العالم بشارع «جرف هار» ويقام فيه هذا المبنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ رِجْهَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة التوبة آية ١٠٩ (١).

(١) أوردت الرسالة أن هذه الآية (١٠٨). والصواب (١٠٩). (٢) هكذا فى الرسالة، والصواب أن يقول: (نجد أن الآية من سورة التوبة تقع).





وبالبحث في المصحف الشريف نجد أن تقع الآية^(٢) من سورة التوبة في الجزء رقم (١١) يوم الانهيار.

● رقم السورة في المصحف الشريف (٩) شهر الانهيار.

● عدد كلمات السورة من أولها وحتى نهاية الآية (٢٠١) عام الانهيار.

فسبحان الله العلي القدير فهل للملحدين ومن ليس لهم دين أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له الذي أخبرنا بكل الأحداث في كتابه الكريم منذ ١٤٠٠ سنة على لسان نبيه الأمين محمد ﷺ.

أعزائي المسلمين والمسلمات..

هذا خطاب موجه من المملكة العربية السعودية إلى كل المسلمين في أنحاء العالم من الشيخ / أحمد خطيب مسجد الرسول ﷺ. إنه في يوم الجمعة بعد أن ختم القرآن الكريم «ونام في منامه رأى»^(٣) الرسول «عليه الصلاة والسلام» يقول له في هذا اليوم مات من الدنيا ٦٠٠٠ مسلم ولم يدخل أحداً (٤) منهم الجنة فالزوجات لا تطعن أوامر أزواجهن والأغنياء لا يساعدون الفقراء والناس لا تؤدي المناسك المطلوبة منها كما ينبغي والمسلمون لا يصلون الصلوات بانتظام يصلون كل على حده والشيخ أحمد يقول لكم هذا لا يصح إن كنتم مسلمين حقاً.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا﴾^(٦).

وقال جل شأنه:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٧).

فمن حيث المبدأ فإن ما حدث في أمريكا في الحادى عشر من سبتمبر شيء محزن بكل المقاييس.

وقد تأثرت نفوسنا للأشلاء التى أخرجت من مبنى التجارة العالمى تماما كما تأثرت لأشلاء الفلسطينيين التى أخرجت من جنين!!

وفى الحقيقة فقد شعرت باستياء شديد عند قراءتى لهذه السطور، وهى إن دلت على شيء فإنما تدل على أن كاتبها يستخف عقول المسلمين!! بالإضافة إلى ما تحمله تلك الرسالة من افتراء على القرآن الكريم بتحريف معانيه وفقا لهوى مغرض، ولا تخلو - أيضا - من تقول على رب العزة - سبحانه وتعالى - الذى لا يأمر عباده إلا بالخير، يقول رب العزة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

وقد حرم الله قتل النفس، وجعل من قتل نفسا كأنما قتل الناس جميعا، قال تعالى:

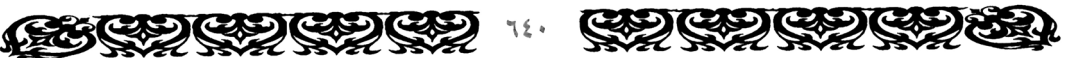
(٣) الصواب أن يقال: رأى فى منامه.

(٤) الصواب أن يقال: أحد.

(٥) النحل (٩٠).

(٦) المائدة (٣٢).

(٧) الأنعام (١٥١).





والآن نقول: إن كاتب الرسالة استخدم عبارة «جرف هار» ليشير بها الى اسم شارع وهذا كلام لم يقل به عاقل!! ولنتأمل المعنى، وفقا لما تقتضيه اللغة فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ﴾

وقبل أن نستكمل ما قاله الله تعالى، نجد أن المعنى الذى يتبادر إلى الذهن: أم من أسس بنيانه على غير تقوى من الله. ولما كان القرآن كلام الله المعجز الذى تتحدى به فصحاء العرب، فإننا نجد التعبير القرآنى يقول:

﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَاكِ
فَأَتَاهَا بِهٖ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

لأن البناء على غير تقوى لا بد أن ينهار «وينهار من تلقاء نفسه لا بفعل فاعل» فالأساس غير متين.

وقبل أن نستكمل الرد على هذه الرسالة، نقدم ما قاله أهل العلم والرأى فى تفسير هذه الآية قبل ماحدث بسنين نقلا عن التفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر، يقول:

والمعنى: أفمن أسس ببيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس على قاعدة هى

وهذه المشاعر النبيلة التى يجب أن تتحرك فى كل نفس بشرية علمها لنا رسول الله محمد ﷺ فحين مرت جنازة، قام لها وقام معه الصحابة، فقال أحد الصحابة إنها ليهودى!! فقال - صلوات ربى وتسليماته عليه -: أليست نفسا؟! (٨).

نعم، يا رسول الإنسانية، إنها نفس، ومنك تعلمنا احترامها!

مرة أخرى أقول: إن الذين قتلوا فى مركز التجارة العالمى أنفس لا بد أن نتأثر لما أصابها، لأننا مسلمون، وهكذا علمنا رسولنا الكريم! ونعود للرسالة لنبين ما حملت من افتراء مفضوح لا يمكن أن يصدر بحال من الأحوال من مسلم يحب دينه، وأغلب الظن أنها من مغرض يستخف عقول العامة من المسلمين ويشوه بها صورة الإسلام أمام غير المسلمين. فقد «أكد السفير ويليام روو رئيس مؤسسة أمريكا - الشرق الأوسط للخدمات التعليمية والتدريبية أن المنظمات الأمريكية الموالية لاسرائيل فى الولايات المتحدة تشن حملات عداوية ضد العرب وتبث معلومات مشوهة للرأى العام الأمريكى عن الشرق الأوسط...» (٩).

ونحن لا نستبعد أن تكون هناك منظمات أخرى من هذا النوع هدفها تشويه صورة الإسلام والمسلمين!! وبث معلومات مشوهة ضد الإسلام داخل وخارج الوطن.

(٨) رواه الخمسة ماعدا الترمذى.

(٩) راجع صحيفة المساء الصادرة فى ٢٠٠٢/٦/٢م ص٢.





الإحصاء، غير أن الباحث استخدم أسلوباً عبثياً لأنه لا يقوم على أساس علمي محدد، وبذلك تسقط نتائجه، لأنه أسس على هوى نفس مغرضة.

وحتى لا نترك ريبة لمستريب نقول:
يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين في الآية ٣٦ من سورة التوبة:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾

فالمستقر بالقرآن والسنة أن عدة الشهور عند الله هي الشهور العربية، فبأى منهج استخدم الباحث شهر سبتمبر في بحثه؟! نقول: من هنا يسقط الاستدلال بجميع الأرقام التي استخدمها (٢٠٠١، ١١، ٩).

أما مسألة إحصاء عدد كلمات السورة حتى نهاية الآية يجعلني أتساءل: هل عدُّ «صاحب الرسالة» حرف الجر كلمة؟ وإن جاءت حروف الجر متصلة بما بعدها وكذلك الضمائر، فكيف قام بعدها؟ فالموضوع ليس مجرد «عد» إنما المنهج هو الأساس!!

هذا هو الجزء الأول من الرسالة، محاولة توفيق، أقصد «تلفيق» لأرقام بعينها لتخدم هدفاً في نفس مغرضة. فالجزء الأول بعيد عن روح الإسلام وتعاليمه السمحة وبعيد عن المنهج العلمي

أضعف القواعد وأرعاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك. وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى.

فإن قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت:

لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجاء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها.

ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل منه على حقيقة الباطل»^(١٠).

ومن هنا يتضح للقارئ أن البناء معنوي، وأن مسألة البحث عن اسم للشارع الذي يقام عليه هذا المبنى المعنوي نوع من العبث.

وبقيت إشكالية بسيطة جاءت من البحث في المصحف الشريف - كما ذكر صاحب الرسالة حيث - ادعى أن الجزء الحادي عشر الذي تقع فيه السورة يشير إلى يوم الحادث.

وأن رقم ٩ الدال على ترتيب السورة في المصحف يشير إلى شهر سبتمبر وأن عدد كلمات السورة من أولها إلى نهاية الآية يشير إلى العام.

وهذا النوع من البحث ينتمي إلى علم

(١٠) راجع التفسير الوسيط للقرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر مجلد ٦/٤٠٥ الطبعة الأولى يناير ٩٧، نهضة مصر.



بالتأكيد أكثر من هذا الرقم المذكور بكثير!! وهو يعلل عدم دخولهم الجنة لأنهم لم يؤدوا المناسك المطلوبة « كما ينبغي » وهو بذلك يخرج عن روح الإسلام، فالله تعالى يقول:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١١).

بقي أن نقول: إن الله تعالى يقول:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعَمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١٢).

والرسول ﷺ يقول:

تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتي» (١٣).

أبعد هذا يحار المسلمون أمام ورقة من هنا أو من هناك ..

أيها الناس .. لقد كفيتم

وأخيراً أقول للقارىء م.م.ع: أرجو أن يكون الأمر قد اتضح أمامك، وعلمت أن مسألة تصوير الرسالة وتوزيعها لا يرجى من ورائها غير إضاعة مال المسلمين ووقتهم، وإبعادهم عن صحيح الدين، فديننا دين عقل وعمل، وما ارتقى الأولون بهذه الأمة إلا بالفهم الصحيح للدين وبالعقل، وأخيراً نشكر لك حسن ظنك بالقائمين على المجلة، والله الموفق.

الذى يرتضيه أهل البحث والعلم.

أما الجزء الثانى فهو نوع من الكذب الصراح الذى يكشف نفسه بنفسه.

ففى معرض التأكيد على أن الرسالة صادقة نسبها كاتبها إلى الشيخ أحمد خطيب مسجد الرسول وهو نفس الاسم الذى تحمله مثل هذه الرسائل منذ زمن بعيد وقد قمت بالرد على رسالتين من قبل آخرها منذ عام تقريبا والأخرى تسبقها بحوالى خمس سنوات وكانت مجلة الأزهر قد قدمت ردا قبل ذلك بخمسين عاماً أو يزيد.

وجميع تلك الرسائل تحمل اسم الشيخ أحمد خطيب مسجد الرسول. وكأن خطيب مسجد الرسول لابد أن يكون اسمه «أحمد»!!

والرسالة على ما بها من أخطاء لغوية ونحوية متعددة فى نصفها الثانى، فقد خرجت مرة أخرى عن روح الإسلام وعن الحقائق التى نعيشها، فهو يقول «إنه فى يوم الجمعة مات ستة آلاف مسلم ولم يدخل أحد منهم الجنة».

وهذا الرقم يخالف الواقع الذى نعيشه فالمسلمون يبلغ تعدادهم اليوم ما يزيد على ١٢٠٠ مليون نسمة يموت منهم كل يوم

مساجلة أدبية

ثم يتحول بريد هذا الشهر إلى دوحة للشعر نستهلها بهذه المساجلة الأدبية من اختيار الأستاذ هلال الحبشى من برهمتوش - دقهلية، يقول:

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام فى بيته بالحجزة سنة ١٩١٨م فذهب صديقه محمد الهراوى الشاعر المعروف ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يا رئيسَ الشعـرِ قُلْ لى	ما الذى يَقْضى الرئيس؟
أنت فى الجـيـزة خَافِ	مثلما تخفى الشموسُ
زاهدٌ فى كل شىءٍ	مطرقٌ ساءَ عَـبُوسُ
قد جَفَرَتِ الشعـرُ حتى	حَدَّثَتْ عَنْكَ الطروسُ
وهَجَرَتِ الناسَ حتّى	ساءلوا أين الأنيسُ؟

فأجابه الشاعر حافظ إبراهيم على البديهة أيضاً:

أنا فى الجـيـزة ثاوٍ	ليس لى فـيها أنيسُ
أنكر الأتـسَ مَكَانى	ونأى عـنـى الجـلـيسُ
لـيس يـدري من رآنى	أطـلـيقُ أمَ حـبـبـيسُ

إعلان الفداء

ويشارك الأستاذ / حمدى أبوإسماعيل مدرس بالأزهر بقصيدة نختار منها هذه الأبيات .
حيث يقول:

اليـوم أعلـن أننى	قـد بعـتُ روحى لـإله
فـالـبـغى عـمَّ الرُّبـا	والظلم جـاوز مـنتـهـا
والقـلب لا يـرضى بـذل	فـالـله لـلعـز اصـطفـاه

لن نركع

ومع تزايد سقوط الشهداء، والشهيدات دفاعاً عن القدس ومع مرارة الشعور بضياح الحق كتبت القارئ / نوال صلاح إبراهيم النجار - بالثانوية العامة - بمدرسة أطفيح الثانوية تقول :

والظلم كـؤوسٌ تـتـجـرّع	الحق الموروث يُضـّـيـع
والقـسـدس تمزّق وتقطع	والأقـصـى مـذبـوح بـاكٍ
بل يصـرخ لكن من يسمـع؟!	الطفـل العـربى ينادى
ويمـزّق (إيـمـان) المدفع	فتـصـيب (الدرة) طـلقات
ذهبت للمـوت ولم ترجع	و(وفاء) عروس الشـهداء
فألمّ به حدثٌ مـفـجـع	والموت تـلقّف (تيسيراً)
فـتـلـبى قـدراً لا يُمنع	وينادى (آيات) جـهاد
بالجنّة فى شـرف أرفع	شـهداء الأقـصى منزلكم
كى يُرجع حـقاً قد ضـيـع	الطفـل غداً يحـمل حـجراً
والشـعب يـرـوع ويـرـوع	وشباب فلسطين انتفضوا
تصـرخ وتئن وتـتـوجـع	القـسـدس تنادى فى ألم
فشـمـوس الحـرية تسطـع	فلننهض هـيـا لنجـاهد
فـالـغـفلة ماضٍ لن يرجع	يا أهل الأمـة أن قوموا
والمسـجد بالـله تشـفّع	وعـروبـتنا صـاحت هُبوا
نـاصـرك الله فـلا تـفـزع	يا طفـل الأقـصى يا ولدى
لن نخـضع أبداً لن نركع	يا ولـدى لا تـيأس إنـّا
لن نخـضع أبداً لن نركع	لن نخـضع أبداً لن نركع



إلى طفل من جنين كان يبحث عن أسرته نحت أنقاض المهيم

ويرسل الأستاذ / أسامة كامل الخربى - عضو رابطة الأدب الإسلامى :
هذه القصيدة التى تفيض بالعاطفة الجياشة، وتتميز بعدم التكلف ولا ينقصها اللفظ الجزل، يقول فيها:
فى أى بحرٍ من بحار الهولُ تبعثُ ناظرِيك؟ فى أى موجٍ من دماء القصف تتعبُ راحتيك
وبأى أذانٍ تواجهه ما يُروِّعُ مسمَعِيك؟
أتراك تبحث فى الركام على أبيك؟ أتراك تسأل فى الحطام على أخيك؟
عن وجهه أمك .. عن زميلك .. عن ذويك؟
عن كِسرةِ الخبز التى حرموك منها من شهور؟ عن قطرةِ الماء التى قطعت عن الشعب الأسير؟
عن بُقعةِ الضوء التى حُجِبَتْ عن الليلِ الضرير؟
فَتَشْ مَلِيًّا يا حبيبى بين أشلاءِ الضحايا فَلَقدْ تصادف وجهه أمك أو ذراعاً فى البقايا
ولقد تُصادف أسرةً سُحِقَتْ وصارت كالشظايا
ورَفَعَتْ شيئاً من ركام البيت كالجُبِّ الخفيف فرأيتَ مقبرةَ المئات من الضحايا والألوف
فَصُعِقْتَ مما قد رأيت وما تسرب للأنوف
دفنوا جميعاً تحت أنقاض المنازلِ نائمين وأنت مُجَنَزَةٌ لتُكْمِلَ قصة الموت المهين
ولكى تُدارى فى الخفاءِ جريمةَ العصرِ المشين
أهى القيامةُ .. أم مشاهدتها تَبَدَّتْ فى «جنين»؟ أهى البشاعة قد تجلَّتْ فى زحوف الغاصبين؟
أهى الإبادةُ حين تَسْخَرُ من غُشاءِ المسلمين؟
هذا هو النَفْطُ الذى مِنَ الإله به عَلَيْنَا قد عاد طائرةً من الأعداءِ تهدم ما بَيْنَا
قد عاد صاروخاً يُفَجِّرُ فى الخيمِ إنْ أبَيْنَا
لا تبك أمك أو أباك أو العـروبةَ وارفع إلى الرحمنِ كَفْكَ للضراعةِ والثوبةِ
إنَّ الذى كتب البلاء هو الذى يَمْحو كُروبه





أريدك إنساناً

ومن الشعر الاجتماعي وردت هذه القصيدة للـ **استاذ / حسن شعبان** نقدم منها هذه الأبيات:

لو أن قـيـاس الإنسان	بالمال وبالجمع الفـانـي
فبكم من مـلأ خـزائنه	باللؤلؤ أو بالمرجـان
فأنا فنان لا أحـسـد	وأحب علو البنيـان
لكنى أريدك إنـسـاناً	تملك إحـسـاس الإنسان
والدنـيا كـما تـعلم لـيـسـت	بالقـيـمة عند الرـحـمـن
فـفـاخـلُ مع ربك لحظـات	وتدبر آي القـرآن
لا تـيأس فـالـعـمـل الصـالـح	يـجـعـلك ثـقـيـل المـيـزان

من الأخطاء الشائعة

أما الرسالة الأخيرة فيواصل القارئ: إبراهيم نصحي محمد - مدرس أول بالأزهر ديرب نجم، حديثه عن الأخطاء الشائعة فيقول:

١- من الخطأ أن تقول: شجب «فلان» أعمال إسرائيل الإجرامية. والصواب: استنكر، لأن الإنكار ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه - راجع مادة «نكر» في لسان العرب.
٢- من الخطأ: كنس العامل المعهد بالمكنسة بضم الميم وأو بفتحها. والصواب: مكنسة: بكسر الميم لأنها اسم آلة «على وزن مفعلة».

٣- من الخطأ: أن تقول: مبروك النجاح. والصواب: مبارك. قال تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾. الانعام/ ٩٢.

٤- من الخطأ: هذا البئر واسع.

والصواب: هذه البئر واسعة: قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾. الحج/ ٤٥.

٥- من الخطأ أن تقول: زوجة «فلان» صالحة. والصواب: زوج بدون تاء. قال تعالى:

﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾. البقرة/ ٣٥.

● نعتذر إلى الإخوة القراء الذين لم نستطع نشر أعمالهم، ونوالى النشر في الأعداد القادمة.

من أنباء مجمع البحوث الإسلامية

اعداد الأستاذ / محمود الفشنى

- أولاً : بشأن اشتراك مصر فى إعادة ترميم الآثار البوذية بأفغانستان قررت اللجنة :

« أن تعاون مصر حالياً على ترميم هذه التماثيل وإعادةتها بعد ترميمها إلى ما كانت عليه قد يتجاوز البعد السياسى والثقافى لمصر إلى البعد الدينى ذى الجذور العميقة فى العالم الإسلامى مما قد يكون له - إن تم - مردوده السلبى على مكانة مصر الدينية العالمية فى العالم الإسلامى فى وقت تزداد فيه الهجمة الشرسة على الإسلام من مختلف الديانات والثقافات » .

- ثانياً : بشأن طلب رأى الشرعى فى نشر رفات جثة سيدة بريطانية توفيت بوادى الملوك بالأقصر... قررت اللجنة « أن الإسلام يحرم حرق جثث الموتى ومايتبعه من نشر

● اتخذ مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته المنعقدة يوم الخميس ١٨ من ربيع الأول ١٤٢٣ هـ - ٣٠ من مايو ٢٠٠٢ م عدة قرارات أهمها :

- عدم تداول كتاب بعنوان « النص المؤسس ومجتمعه ج ١، ج ٢ » تأليف / خليل عبد الكريم .

- عدم تداول كتاب بعنوان « قضية فكرى عبدالحق » تأليف / محمود بطروخة .

- عدم التصريح بالتمثيل مشاهدة أو سماعاً لسيناريو رواية بعنوان « ظلال خطية » تأليف / سمير نوار .

- عدم تداول كتاب بعنوان « القرآن الأسلوب والمحتوى » إصدار هيئة الإذاعة البريطانية - وهو باللغة الإنجليزية .

● كما اتخذت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية بعض القرارات فيما عرض عليها من بعض المسائل أهمها :



٣ - إن الشريعة الإسلامية تسوى فى عقوبة هذه الجريمة بين الرجل والمرأة وتوقع الحد الشرعى على الزانى والزانية بعد ثبوتها ثبوتاً شرعياً لأشبهة فيه فإن وجدت شبهة فى الثبوت كما قررتة الشريعة تركت للقاضى تحديد العقوبة التعزيرية المناسبة .

٤ - إن ماجاء فى القانون الفرنسى والمواد المنقولة منه من سقوط العقوبة أو إيقافها إذا طلب الزوج أو طلبت الزوجة ذلك أمر لاتقره الشريعة الإسلامية، ويتنافى مع مقاصدها فى حفظ العرض والنسل ويخالف الدستور الذى ينص فى مادته الثانية على « أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع » .

وبناء على ماتقدم ترى اللجنة :

عدم الموافقة على الاقتراحات المقدمة لمخالفتها لنصوص الشريعة الإسلامية وترى أن منهج قانون العقوبات يختلف تماماً عن المنهج الشرعى الذى يسوى فى عقوبة جريمة الزنا بين الرجل والمرأة وبين الزوج والزوجة ولايقبل تنازل أحدهما عن حق العقاب لأنه من حقوق الله - تعالى - ولايفرق فى العقوبة بحسب مكان الجريمة أو زمانها .

ولذا فإن الواجب أن تعدل المواد المذكورة بما يتفق مع الشريعة الإسلامية .

والله أعلم

للفرات وذلك تكريماً للإنسان فى حال حياته أو مماته » .

- ثالثاً : بشأن الاقتراحين المقدمين من عضوين بمجلس الشعب لإصدار وثيقة تأمين شاملة على راكبي وسائل النقل والمواصلات . قررت اللجنة :

أن مشروع القانون المعروض بصيغته الحالية بشأن التأمين على الركاب المستخدمين للمواصلات البرية يمثل فى حقيقته تأميناً تعاونياً بين الركاب وهو من مقاصد الشريعة فى التكافل الاجتماعى .

- رابعاً : تدارست لجنة البحوث الفقهية المشروع المقدم من عضوين بمجلس الشعب المصرى، والخاص بعقوبة التلبس بالزنا من أحد الزوجين واقتراحهما تعديل المواد المتعلقة بذلك رغبة منهما فى تسوية العقوبة بين الزوج والزوجة فى هذه الجريمة .

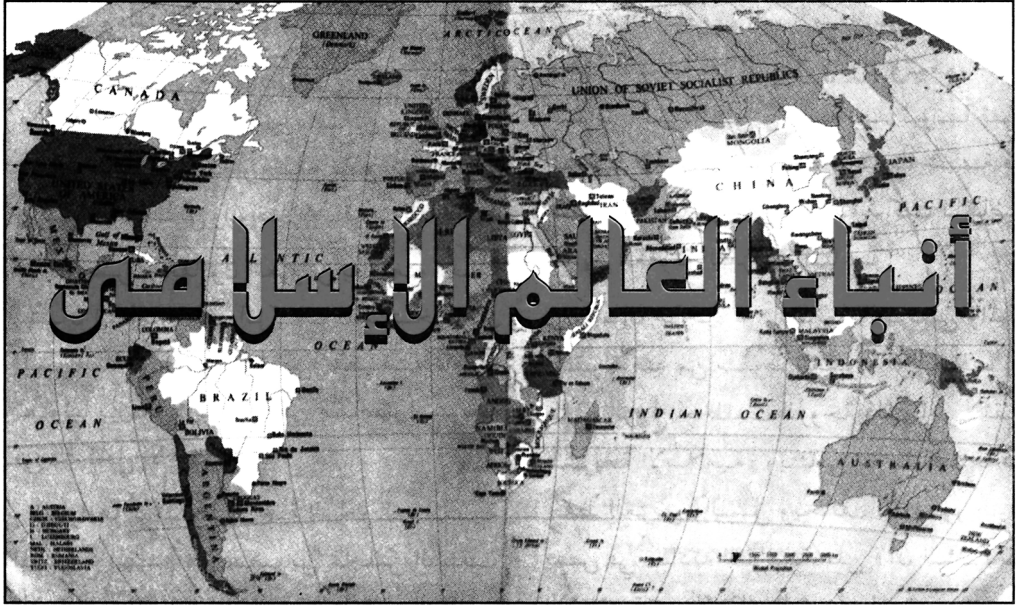
وانتهى رأى اللجنة بالإجماع إلى ما يأتى :

١ - إن جريمة الزنا من الكبائر التى حرمها الله - تعالى - بقوله :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝١١﴾

٢ - إن هذه الجريمة تتعلق بالنظام الإسلامى العام وهى من حقوق الله الخالصة ولا عبرة فيها برضا الزوج أو الزوجة أوعدم رضائهما ولا بمكان وقوعها سواء فى منزل الزوجية أو فى غيره .





للأستاذ / محمد الشرقاوى

حقيقة الإسلام فى عالم متغير

الإسلامية وخارجها بضرورة التعريف الصحيح بالإسلام وتعاليمه، وإبراز حقائقه التى تبلى دعوته وتقيم حجته وترد عنه الشبهات وخاصة الحقائق التالية:

- أ - تأكيد الإسلام على التكامل بين الجوانب الروحية والمادية فى حياة الإنسان .
- ب - تكريم الإسلام للإنسان باعتباره خليفة الله فى إعمار الأرض بصرف النظر عن جنسه ولونه وعقيدته . وهذا التكريم ينسحب على الإنسان حياً وميتاً .

* انعقد المؤتمر الرابع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية « حقيقة الإسلام فى عالم متغير » فى الفترة من ٨ : ١١ - ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ٢٠ : ٢٣ مايو ٢٠٠٢م .

- وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات نصت على :
- ١ - التأكيد على خصوصية القيم والتقاليد الإسلامية وضرورة المحافظة عليها فى مواجهة تيارات العولمة .
 - ٢ - يوصى المؤتمر المؤسسات العلمية والفكرية والثقافية والإعلامية فى داخل البلاد



٦ - يؤكد المؤتمر رفضه لكل المحاولات التي تستهدف التسوية بين الإرهاب وممارسة الحقوق المشروعة للشعوب في تقرير مصيرها والكفاح لتحرير أرضها .

٧ - يأمل المؤتمر أن تزول كل الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف بين بعض الدول العربية حتى يتم تعظيم إمكانات الأمة الإسلامية الروحية والمادية في مواجهة التحديات التي تواجهها .

٨ - يؤكد المؤتمر على موقف الإسلام الثابت من اعتماد الحوار أساساً للعلاقات بين الدول والشعوب والحضارات والأديان من أجل ترسيخ دعائم الأمن والاستقرار والسلام . ومن هنا يرفض المؤتمر كافة الدعاوى التي تجعل الصراع بين الحضارات ركيزة وانطلاقاً لحملات ضد الإسلام والمسلمين .

٩ - يؤكد المؤتمر ضرورة تكثيف الحلقات النقاشية مع العلماء مع غير المسلمين في سائر بلدان العالم حيث أثبتت تجربة هذه الحلقات أثناء انعقاد هذا المؤتمر فائدتها وأهميتها البالغة في تمكين كل طرف من الوقوف على رأى الطرف الآخر وتصحيح بعض المفاهيم الخاصة وتوضيح بعض الأمور الغامضة ويوصى المؤتمر بتكوين فريق عمل من العلماء الذين يجيدون اللغات الأجنبية لمواصلة النقاش في مثل هذه الحلقات في الداخل أو في الخارج .

١٠ - حتى يكون لحوار الأديان والحضارات فائدة وثمرة مرجوة يوصى المؤتمر بمراجعة المعلومات الواردة عن الإسلام في الكتب المدرسية في البلاد الغربية .

ج - تفرد الإسلام بجعله التعددية والتنوع والتمايز والاختلاف في الملل والشرائع والألسنة والألوان والأجناس سنة من سنن الله التي لا تبدل لها ولا تحوّل .

د - تفرد الإسلام بالتأكيد على حرية الاعتقاد وعدم الإكراه في الدين، وجعل هذا الاعتراف عنصراً أساسياً في صحة عقيدة المسلم .

هـ - إقرار الإسلام منذ ظهوره لحقوق الإنسان الأساسية دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية . ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية أن تلتزم في التطبيق العملي لحقوق الإنسان بأحكام الإسلام .

و - التأكيد على أن الدعوة إلى الإسلام بنص القرآن الكريم تتم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن .

٣ - إقرار الإسلام لمبدأ المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في الحقوق والواجبات طبقاً لقاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» . مع تطبيق قوانين دينهم وملتهم في مسائل الأحوال الشخصية .

٤ - يناشد المؤتمر الدول غير الإسلامية تمكين الأقليات الإسلامية من ممارسة مختلف الحقوق والحريات الواردة في المواثيق الدولية وتطبيق نظمهم الإسلامية في الأحوال الشخصية فيما لا يتعارض مع النظام العام في الدولة .

٥ - يؤكد المؤتمر على أن الشرعية الدولية تقرر حق كل الشعوب المحتلة أو طانها في اللجوء إلى كافة الوسائل المشروعة لتحرير أرضها وتقرير مصيرها والحصول على استقلالها، كما أن الشرعية الدولية تطالب المجتمع الدولي بتوفير المساعدة المادية والمعنوية لحركات التحرير الوطني .





الدولية التي تحمى حقوق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال. كما يدعون جميع القوى الفاعلة في العالم وهيئة الأمم المتحدة إلى الإسراع في اتخاذ الوسائل الكفيلة لحماية الشعب الفلسطيني الأزل من تلك الأخطار.

بعد فشل حرب الإبادة الحمالات التنصيرية تجتاح البوسنة

حذر الشيخ «مصطفى سيريتش» مفتي البوسنة من تنامي نشاط الجماعات التنصيرية في بلاده وقال: إنه يوجد في البوسنة حالياً أكثر من مائتي منظمة تنصيرية تسعى لبث أفكار مسمومة ومغلوطة عن الإسلام بين شعبنا ومحاولة تغيير عقيدتهم إلى معتقدات أخرى.

وأضاف مفتي البوسنة: أن ذلك يأتي في إطار توظيفهم لكافة الإمكانيات والإغراءات والضغط لتحقيق مآربهم مما يجعل بعض أفراد الشعب غير قادر على المقاومة أمام كل هذه الظروف خاصة وأننا نعاني من أزمة الخلل الاقتصادي والمعتقدي لدى بعض الناس كنتيجة طبيعية للمرحلة التاريخية القاسية التي مر بها شعب البوسنة من انتهاكات لحقوقه وأعراضه.

وقال الشيخ «مصطفى سيريتش» للأسف الشديد كل هذه الأمور في مجملها هي الأدوات التي تتحرك من خلالها الجماعات التنصيرية لبث أفكارهم ومحاول إقناع المسلمين بإمكانية تغيير أوضاعهم للأفضل وتحسين مستوى معيشتهم. وطالب مفتي البوسنة الدول العربية والإسلامية بتكثيف جهودهم وإمكانياتهم

١١ - يوصى المؤتمر الدول والشعوب والعلماء والمثقفين في كل مكان في العالم بالتعاون والتضامن والعمل على تفعيل المبادئ والأسس التي أقرتها الشرعية الدولية وتطبيقها على جميع الدول دون استثناء.

١٢ - يناشد المؤتمر كلا من الهند وباكستان تسوية الخلاف بينهما بالطرق السلمية عن طريق الحوار حفاظاً على علاقات الجوار بينهما بما يضمن الأمن والاستقرار في المنطقة لمصلحة شعوبها.

١٣ - يوصى المؤتمر بإنشاء قناة فضائية إسلامية لشرح حقائق الإسلام باللغة الإنجليزية للشعوب الغربية والجاليات الإسلامية في البلاد الأجنبية.

١٤ - يؤكد المؤتمر ما سبق وأعلنه في المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية خاصاً بالقضية الفلسطينية من دعم وتأييد لانتفاضة الشعب الفلسطيني في الدفاع عن النفس وحق تقرير المصير. ويدعو المؤتمر الشعوب الإسلامية إلى مد يد العون لهذه الانتفاضة بكل ما تملكه الشعوب من وسائل حتى يتوقف العدوان وينال الشعب الفلسطيني حقه المشروع في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

كما يدعو المؤتمر الحكومات والمنظمات الإسلامية والهيئات الدولية إلى التصدي إلى كل محاولات الإبادة والتشريد التي يتعرض لهما الشعب الفلسطيني المجاهد وما يتعرض له المقدسات الإسلامية والمسيحية في الأراضي الفلسطينية المحتلة من انتهاكات صارخة تتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق والاتفاقيات



والجامعيات الأدبية والصحفية وطلاب الدراسات الشرقية الإسلامية، فى الجامعات المصرية وعديد من الأدباء والطلاب الأجانب والعرب المقيمين بالقاهرة وأعضاء سفارة جمهورية باكستان فى مصر.

الصين وروسيا تقودان خطة عمل لمحاربة المد الإسلامى

نجحت مجموعة شنغهاى الخماسية فى استقطاب دولة أوزبكستان الإسلامية وبدأت فى تدشين منظمة إقليمية جديدة بهدف محاربة المد الإسلامى فى آسيا الوسطى وتعزيز الروابط التجارية والاستثمارية بين الدول الأعضاء وكانت المجموعة قد بدأت منذ خمسة أعوام بداية متواضعة كهيئة للتوسط فى النزاعات الحدودية وكانت تضم أصلاً خمس دول هى الصين وروسيا وقازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان.

وصرح الرئيس الصينى « جيانج زيمين » أن ما أسماه بالسته الطيبين وقعوا اتفاقية لمحاربة التطرف العرقى والطائفى وتعزيز التجارة والاستثمار فى منطقة تتمتع باحتياطيات نفطية كبيرة تسببت فى إحياء منافسات دولية لبسط النفوذ عليها وأضاف الرئيس الصينى أن توقيع اتفاق شنغهاى وضع على حد زعمه الأساس القانونى للتصدى المشترك للإرهاب والنزعات الانفصالية والتطرف ويعكس تصميمًا حازماً من جانب الدول الست على ضمان الأمن القومى.

لحفاظ على الهوية الإسلامية لشعب بلاده ومقاومة ضغوط مثل هذه الجماعات التنصيرية التى تتفشى بصورة خطيرة فى مناطق عديدة من العالم.

١٥ ألف مسلم استشهدوا فى الشيشان

أشارت مصادر غير رسمية فى الشيشان أن أكثر من ١٥ ألف مسلم قد استشهدوا فى تلك الجمهورية الإسلامية منذ بدأ الروس حملتهم العسكرية ضد الشيشان.

الحذير بالذكر أن المصادر العسكرية الروسية الرسمية أشارت إلى أن عدد القتلى من الشيشان - الذين أسماهم الروس بالانفصاليين - ١٣ ألف قتيل منذ أكتوبر ١٩٩٩م - كما ذكرت وكالة انترفاكس للأنباء - أما بالنسبة لخسائر الروس فلا تستبعد المنظمات الروسية أن يبلغ عدد القتلى أكثر من ٨ الاف قتيل وآخر رقم رسمى لخسائر الروس يقول أن القتلى الروس حوالى ٣٥٠٠ شخص.

احتفال فى جامعة الأزهر بذكرى العلامة

«محمد إقبال»

تحت رعاية الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر عُقدت فى كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر ندوة لإحياء الذكرى الرابعة والستين للعلامة الفيلسوف محمد إقبال وحضرها كوكبة من رجالات الأزهر وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية ولقيف من المحبين والمهتمين بفكر «إقبال» من مختلف الهيئات والنقابات

أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

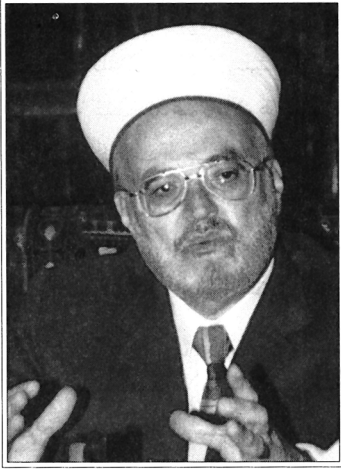
علينا أن نغلق الثغرات التي تحمل للإسلام العدا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور / عصام أحمد البشير وزير الأوقاف والإرشاد الدينى بالسودان يرافقه المستشار الثقافى بسفارة السودان بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقه بالأزهر الشريف ودار الحديث من جانب الضيف حيث قدم التحية لفضيلة الإمام الأكبر من السيد الرئيس / عمر البشير رئيس جمهورية السودان ومن نائبه ومستشاريه وشعب السودان وأنهم جميعا يؤيدون جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام والمسلمين والذى ظهر واضحا فى المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر تحت عنوان [هذا هو الإسلام] والذى استطاع أن يجمع علماء المسلمين من شتى أقطاب الدول ونحن نعتبر الأزهر قبلة المسلمين وقبلة العالم الإسلامى، وقدم شكره

على إرسال الأئمة والدعاة والعلماء للسودان خلال شهر رمضان المعظم من كل عام وفى ذلك تواصل وتوحيد للمسلمين فى مواجهة الهجمات الغربية الشرسة، وكذلك إظهار الهدف السلمى للمسلمين لتحقيق السلام الاجتماعى والتعايش للأقليات غير المسلمة طبقا لما كفلته القوانين التشريعية، ونحن نعتبر أنفسنا جنودا للتصدى لما هو حادث من أجل إحياء التضامن وتحريك آليات التعاون والتنسيق لتوحيد الصف العربى .

وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء الجنود من السودان للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة . كما طلب فتح المجال للدراسات العليا، وإشراك الأئمة والوعاظ والدعاة بالسودان فى الدورات التدريبية لأئمة العالم الإسلامى فى الأزهر الشريف، وأيضا طلب إمداد السودان بالكتب والأبحاث والمراجع التى يصدرها الأزهر الشريف لتكون مرجعا يستفاد بها فى مجال الدعوة الإسلامية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أن مصر والسودان تجمعهم صلات



الشيخ عكرمة صبرى

إسرائيل إخفاءه عن أنظار العالم والمجتمع الدولى لشدة جسامة، وقال: إن الشعب الفلسطينى سىظل بمقاومته

درا للأمة العربية والإسلامية.

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة والوفد المرافق له، وقد أكد فضيلته على أن ما يحدث فى الأراضى الفلسطينية يُحرِّك ضمائر ومشاعر الشعوب فى العالم جمع، الأمر الذى من شأنه خلق مشاعر العداء التى تتولد فى الأجيال القادمة للجانبين، وأكد على تأييده التام للشعب الفلسطينى ومقاومته المشروعة ضد المغتصب الغاشم.

تنسيق علمى بين الأزهر وجمهورية اليمن

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ / قاسم الأعجم وزير الأوقاف اليمنى يرافقه السيد / عبدالعزيز الكميم سفير اليمن بالقاهرة حيث دار الحديث حول التنسيق بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف باليمن فى مجال الدعوة والخطابة، والتعاون بين الأزهر الشريف ومعاهد اليمن، وطلب الوزير مناقشة الموضوعات الخاصة بالدراسات الجامعية وتحويلها إلى دراسات عليا، وأكد السيد الوزير على

الأخوة منذ القدم، والتعاون بينهما قائم ومستمر وممتد، ونحن حينما نصدر فتوى فإنما نراعى فيها كل الجوانب لتكون أفعالنا ذات رؤية مستقبلية، ولا بد من تحديد المفاهيم أولاً، وعلينا أن نتعاون ونتكاتف لنتصدى لمن لا يملك أدوات الفتوى، ومن يفتون بغير علم، حتى لا تسوء صورة الإسلام أمام الغرب، وعلينا أن نغلق الثغرات التى تحمل للإسلام العداء، وهى حملات ضارة، وإن اجتماعاتنا ومناقشاتنا إنما تكون من أجل إزالة الجمود، والاختلاف فى الرأى القابل للمراجعة مطلوب لإظهار الرأى الراجح الذى يتم من خلال الوصول إلى الآراء المواكبة للتطورات التى يشهدها العصر، ودار الحديث حول القضية الفلسطينية وما أثير حول من يفجر نفسه فى أعدائه واتفق على أنها عمليات استشهادية، دفاعاً عن النفس والعرض والأرض. ووعد فضيلته بتلبية طلبات السيد الوزير لدولة السودان الشقيقة، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ شوقى نوبجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يستقبل مفتى القدس

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس والوفد المرافق الذى أشاد بموقف الإمام الأكبر والأزهر الشريف ومصر رئيساً وحكومة وشعباً لوقوفهم ومساندتهم لحق الشعب الفلسطينى المشروع فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، موضحاً أن ما يحدث من جرائم إسرائيلية على أرض فلسطين من قتل وتعذيب وهدم للبيوت على سكانها وتجريف للأرض الزراعية وهدم للبنية التحتية لا تستطيع

شكر فضيلته الضيف على التعاون المثمر بين مصر وأزهرها الشريف وسلطنة عمان الشقيقة وتربط البلدين روابط المحبة والتعاون والإخاء .

الإمام الأكبر يؤكّد:

علينا أن نتعاون ونتكاتف حتى يكون الله معنا

● كما استقبل فضيلته معالي الدكتور / عبدالسلام العبادي وزير الأوقاف والشئون الدينية الأسبق بالأردن ودار الحديث حول مكانة الأزهر الشريف قبله المسلمين العلمية، والمجهودات المبذولة من جانب الأزهر لتوحيد جهود المسلمين لمواجهة الهجمات الشرسة من خلال الأفكار المسمومة الموجهة للمسلمين ظلما وعدوانا .

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام هو في خدمة الإسلام والمسلمين وسيظل عطاؤه مستمرا - إن شاء الله - للرد على الشبهات وتصحيح المفاهيم المغلوطة وسيظل علماءه يؤيدون واجبه ونحو خالقهم ونحو أمتهم، وندعو الله صفوفنا، وعلينا نحن أن ننسق جهودنا، وأن نتعاون وأن نتكاتف وأن نكون جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، حينئذ يكون الله معنا بعونه ونصره .

سنة معاهداً أزهريّة في جنوب أفريقيا

● كما استقبل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف / عبدالحميد خبير رئيس مجلس اتحاد العلماء في جنوب أفريقيا، والشيخ / إبراهيم جبريل رئيس مجلس القضاء

الاستعانة بخبراء من الأزهر للاستفادة بهم في إنشاء المعهد الديني الذي سينشأ باليمن، ويماثل في دراسته كلية الدعوة بالأزهر ومدة الدراسة به أربع سنوات، بهدف الوصول إلى الفهم الديني الصحيح لتوصيله للناس بالطرق المعتدلة، نظرا لكثرة المذاهب في اليمن مؤكدا على أن الأزهر الشريف هو المنارة التي تضيء لنا في اليمن الطريق منذ أكثر من ١٠٠٠ عام .

وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى أن الدراسة في الأزهر تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى، والأزهر يدرس جميع المذاهب الفقهية المختلفة بكل موضوعية .

وقال فضيلته : نحن نجزم بأن الكل مسلم، ومستحيل أن يوجد اختلاف في الأصول وهذه طبيعة العقلاء .

وفي نهاية اللقاء وجه السيد الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة اليمن وهذه رغبة السيد الرئيس على عبدالله صالح رئيس جمهورية اليمن والسادة علماء وشعب اليمن .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية عمان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي الوزير / يوسف بن علوي وزير خارجية سلطنة عُمان ودار الحديث حول دور الأزهر الشريف ومواقفه الإيجابية تجاه القضايا الإسلامية التي يشهدها العالم اليوم، مشيدا بدور الأزهر في تعليم أبناء المسلمين صحيح الدين الإسلامي وسماحته، ويسره، وسهولته وأن الأزهر الشريف له مكانة الريادة الدينية والتعليمية لدى أبناء المسلمين في العالم .

برئاسة الدكتور / نادية جمال المشرف على البرنامج وقد ألقى فضيلته محاضرة بعنوان « رأى الدين فى مشكلة المخدرات » وقد أوضح فضيلته أن هذه اللقاءات من شأنها توثيق التعاون من أجل خدمة المسلمين، وأن الشرائع السماوية والرسالات التى أنزلها الله - سبحانه وتعالى - إنما هى لسعادة البشرية وليس لشقاءها، وأن الشرائع السماوية جميعها أحلت للناس الطيبات من الرزق وحرمت عليهم الخبائث لقول الله - تعالى :

﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾ (١)

وشريعة الإسلام نهت أن يحل الإنسان ما حرمه الله - عز وجل - أو أن يحرم الإنسان ما أحله الله - عز وجل - كما أنها أباحت للناس التمتع بالطيبات من الرزق سواء فى ذلك ما يتعلق بالمأكول والمشرب والملبس لقول الله تعالى :

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (٢)

كما أنها حرمت الفواحش ما ظهر منها وما بطن فى الأقوال والأفعال وعلى الإنسان أن يستمد كل أموره وأفعاله من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وشرح فضيلته رأى الدين فى مشكلة المخدرات بجميع أنواعها وصورها وأشكالها وكلها تندرج تحت الفواحش، وبين أن الخمر أم الخبائث ويندرج تحتها كل مسكر فهو حرام لما يترتب على ذلك من أضرار مالية وجسدية فهى مفسدة للمال ومفسدة للصحة

الإسلامى بكيب تاون بجنوب افريقيا، ودار الحديث حول التنسيق بين الأزهر الشريف وجنوب افريقيا، وأشاد الضيفان بدور الأزهر الفاعل فى تعليم أبناء المسلمين فى جنوب افريقيا العلوم الدينية والعربية وعلى رأسها القرآن الكريم من خلال المعاهد المنتشرة والتى أنشأها الأزهر الشريف وعددها ستة معاهد أزهرية تسير على خطط ومناهج الأزهر الشريف فى التعليم، وقدما الشكر للأزهر وعلماؤه الذين يؤدون واجبهما بإتقان فى هذه المعاهد من أجل تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم من مصادرها الأساسية القرآن والسنة وطلبا إيفاد اثنين من محفظى القرآن الكريم من الأزهر لأحد المعاهد الدينية بجنوب افريقيا لتحفيظ الطلاب القرآن الكريم وتعليمهم التجويد والقراءات. حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

المخدرات تندرج تحت الفواحش

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووفد الدارسين بالدورة الحادية والثلاثين من البرنامج التدريبي العربى لمكافحة المخدرات الذى ينظمه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية المشارك فيه ضباط الشرطة العاملين فى مجال مكافحة المخدرات، وأمن الموانئ، والمسطحات المائية، والقضاء العسكرى، والشرطة العسكرية، وضباط حرس الحدود والسواحل، ومأمورى الجمارك، واخصائى العامل من الطب الشرعى وأطباء الصحة النفسية من مصر والدول العربية



الإمام الأكبر يتلقى دعوة لزيارة الفلبين

● كما استقبل فضيلته وفداً من وزارة خارجية الفلبين برئاسة السيد / لاورو باجا وكيل وزارة الخارجية وبحضور السيد السفير / شولان بريما ثيرا سفير الفلبين بالقاهرة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف بالقاهرة وتمنى لهم إقامة طيبة، وأشاد فضيلته بالعلاقات الطيبة بين مصر والفلبين وبين الأزهر الشريف وبين المؤسسات الدينية بالفلبين وكذلك وأوضح أن لدى دولة الفلبين بعثة من علماء الأزهر يعلمون أبناء المسلمين في الفلبين، ويوجد طلاب من الفلبين يدرسون بالأزهر الشريف، وهم حوالي ٤٥ طالباً على منح من الأزهر الشريف، ومن جانبه نقل رئيس الوفد تحيات رئيسة دولة الفلبين وحكومتها إلى فضيلة شيخ الأزهر، كما نقل دعوة رئيسة دولة الفلبين لفضيلته لزيارة الفلبين لما لهذه الزيارة من أثر هام وفعال لربط وتقوية أواصر الصداقة بين الشعبين، وخاصة أن للأزهر الشريف دوراً هاماً وبارزاً في مجال الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية، ويظهر هذا واضحاً وجلياً من خلال الطلبة، الذين يدرسون بالأزهر، حيث ينقلون لبلادنا سماحة الإسلام ويسره وكذلك من خلال السادة علماء الأزهر. وقد طلب الضيف زيادة المنح الدراسية للطلاب في الفلبين وكذا زيادة التعاون الثقافي والتعليمي. شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على الدعوة ووعد بدراساتها تمهيداً لتبليتها، كما وعد بزيادة المنح الدراسية.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / أسكار موسينوف سفير كازاخستان بالقاهرة بمناسبة انتهاء مدة عمله كسفير

ومضرة بالعقل والنواحي الاجتماعية والخلقية والنفسية، وثبت ذلك بالأدلة من جانب الأطباء المتخصصين.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول حكم شرب الدخان، ومتى يكون القصر في الصلاة، وحكم الصلاة والفائنة وكيفية قضائها، إلى غير ذلك من الأسئلة التي طرحها أعضاء الوفد.

مسئول يمنى يؤكد:

الأزهر هو المنهل العلمى الوسطى لبلدان العالم أجمع

● كما استقبل فضيلته الدكتور عبد الولي الشميرى المندوب الدائم للجمهورية اليمنية لدى جامعة الدول العربية بالقاهرة وقد رحب فضيلته بالضيف مشيداً بعمق العلاقة بين مصر واليمن الشقيق، وبعلماء اليمن الذين نكن لهم كل تقدير واعتزاز، وأشار إلى أن لليمن حضارة عريقة والأزهر يفتح أبوابه لأشقائه من اليمن لتلقى العلم النافع في الأزهر الشريف، وقد أثنى الضيف على مصر وأزهرها الشريف قائلاً: نحن نعتبر الأزهر هو المنهل العلمى الوسطى لبلدان العالم أجمع، وأن علماء اليمن وطلاب العلم يكونون كل حب وتقدير واعتزاز لمصر وللأزهر الشريف ويحملون المشاعر الطيبة للأزهر ولشيخه ولمصر وقدم إهداء لفضيلة الإمام الأكبر من ديوانه فى الأدب العربى.





السيد / إيرنست هنسكن رئيس لجنة السياحة بالبوندستاج وثمانية من أعضاء اللجنة ترافقهم السيدة / فايده كامل رئيس لجنة الثقافة بمجلس الشعب المصرى والدكتور / محمد صالح عضو مجلس الشعب وعضو لجنة الثقافة، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات الودية بين البلدين، وقال: إن عددا كبيرا من علماء الأزهر سافروا إلى ألمانيا وحصلوا على الدكتوراه، ومن جانبه أشاد رئيس الوفد بما لاقاه من ترحيب وأكد على أن لقاء الوفد بفضيلة شيخ الأزهر له معنى خاص ومن شأنه أن يعمق العلاقات وهو جزء من الحوار الألمان للحضور إلى مصر هذا البلد العظيم للتعرف على الحضارة المصرية القوية فى مجال الآثار والتاريخ أكثر من أى بلد آخر، وأشار إلى أن كلمة فضيلة شيخ الأزهر مسموعة لدى شعوب العالم حيث إنكم تحملون على عاتقكم مسئولية استتباب الأمن والأمان فى هذه المنطقة، وقال: نحن نعقد آمالاً كبيرة على فضيلتكم ونحن كبرلمانيين يهمننا دعم التفاهم بين حضارتينا لأن ذلك يؤدى إلى علاقات أكثر وأكثر، والدين يتوجه إلى روح الإنسان ورغبته فى التعايش بين الأديان، ونحن كأصحاب أديان نؤمن بالله وهو شئ مشترك بيننا.

وقال فضيلة شيخ الأزهر: إن الإسلام يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة

لبلاده، رحب فضيلته بالضيف وأثنى على جهوده ونشاطه فى الفترة التى قضاها بالقاهرة وتعاون المتمر مع الأزهر الشريف ودار الحديث حول إنجازات الأزهر الشريف لأبناء كازاخستان الذين يتعلمون بالأزهر على منح، وكذلك الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر للعلماء والأئمة من كازاخستان، وشكر الضيف هدية مصر لأبناء كازاخستان والمتمثلة فى معهد نور مبارك بمدينة كازاخستان الذى يعتبر منارة لتعليم المسلمين الإسلام الصحيح وأمور الدين الحنيف ويعتبر فرعا من فروع الأزهر الشريف وبه معلمون وأساتذة يدرسون المناهج الدينية والعربية مما يوفر فرص التعليم للمسلمين فى كازاخستان.

كما قدم الشكر أيضا لفضيلة شيخ الأزهر على مواقفه المعتدلة تجاه القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة والفتاوى التى يقدمها بحكمة واقتدار، وطلب الضيف إمداد المعهد بالكتب الدينية وبالمناهج الأزهرية، كما طلب زيادة حضور العلماء والأئمة من كازاخستان بالدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر كل ثلاثة شهور، ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة كازاخستان وذلك لرغبة المسلمين هناك ولتقوية أواصر المحبة وقد وافق فضيلته على طلبات السيد السفير.

مسئول بالبرلمان الألماني:

كلمة شيخ الأزهر مسموعة لدى شعوب العالم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد لجنة السياحة فى البوندستاج الألماني «البرلمان الألماني» برئاسة

المقاييس، ونحن ننشد العدالة بين أبناء المجتمع
الإنساني كله

وقدم الضيف لفضيلته هدية عبارة عن
ميدالية البرلمان تحمل صورة البرلمان وصورة النسر.

ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الشريف يرافقه فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر الشريف والسيد المستشار
محمود أبو الليل محافظ الجيزة معهدا للفتيات
بمدينة أطفح محافظة الجيزة ويضم المراحل
التعليمية الابتدائي والإعدادي والثانوي ويتكون
من ثلاثين فصلا وبه معمل حديث ومكتبة وأقيم
على مساحة أربعة آلاف متر مربع وتكلف مليوني
جنيه.

كما قام فضيلته بافتتاح مجمع الخليل
الإسلامي بمدينة أطفح بالجيزة والذي يتكون من
ثلاثة طوابق ويشتمل على مسجد ومركز
لتحفيظ القرآن الكريم ومستشفى طبي مجهز
بأرقى الخدمات الطبية ويقوم المجمع بتوزيع مبالغ
مالية على الأيتام بالمنطقة. كما قام فضيلته
بتوزيع جوائز مالية على الطلاب من حفظة القرآن
الكريم وفي كلمته طالب فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر بضرورة تبرع القادرين من أبناء الوطن
لبناء المدارس والمعاهد الأزهرية ودور العلم
للتخفيف عن الدولة ولخدمة أبناء المسلمين كما
شهد ندوة دينية أكد فيها أن حفظ القرآن الكريم
هو الأساس في التعليم الأزهرى وشعارنا هو
« ليس بأزهري من لا يحفظ القرآن الكريم ».

والقرآن يؤكد ذلك في أول آية في (سورة
النساء) قول الله تعالى :

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَتَقْوَاهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٢)

وهي الحقيقة الأولى في الإسلام.

وثانياً : أن الله - سبحانه وتعالى - أوجد
الناس ليتعاونوا والتعاون يوكد الأخوة الإنسانية
والمودة والمحبة

ثالثاً : أن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون
- نحن في مصر مسلمين ومسيحيين نتساوى في
الحقوق والواجبات، ونقول : إن الحضارات عند
العقلاء تتعاون وتتآزر وتتكاثر، ونؤمن بأن
للشرق حضارته وللغرب حضارته، ويجب أن
يأخذ كل من حضارة الآخر، والعقلاء يقولون
بتعاون الحضارات ولا يقولون بتصادم الحضارات،
ونرحب بتبادل الزيارات وتبادل المنافع فيما بيننا.
وأكد الضيف على أن هناك تشابهاً كبيراً بين
مصر والمانيا، فكلمة الكنيسة مسموعة وعدد
المسيحيين ٥٥ مليوناً من الكاثوليك
والبروتستانت ويوجد ثلاثون مليوناً بدون عقيدة
وهي نسبة كبيرة

وطلب الوفد من فضيلة شيخ الأزهر زيارة
المانيا للمرة الثانية، كما بارك الوفد خطوات
فضيلته في تصديده للإرهاب الذي هو وباء العصر
وهي مسئولية عظيمة

وعقب فضيلة الإمام الأكبر بقوله : إن الإرهاب
نكبة دينية ودنيوية ونحن نحاربه لأنه جريمة
إنسانية وخلقية، واجتماعية وقانونية بكل



«So whosoever of you disbelieves after that, then he has readily erred away form the level way.» [Al-Maidah (The Table : 12)]

The result of this great compact and generous promise turned to be unexpectedly terrifying as stated in Allah's words

«So, for their breaking their compact, We cursed them and made their hearts hard, they pervert the Wordings from their contexts, and they have forgotten a portion of what they were reminded, and you will not cease viewing some treacherous (act) on their part, except a few of them . Yet be clement towards them and pardon; surly Allah loves the fair—doers» [Al-Maidah (The Table : 13)]

Muslims' adherence to Islam, clinging to their Book and believing in the sublimity of their religion: creed, law and system, mean Muslims' completion for the successor nation's components as well as the ability of this nation to handle leadership without taking side with a certain kind, color, language or race except the side of Allah's only path.

Testifying that we are Muslims means inheriting the Book, taking leadership and declaring that Allah is the only Ruler. All this means the beginning of getting the nation ready to shoulder the burdens of leading humanity by Allah's creed. Allah, addressed His Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, as saying:

«(And (endure) patiently under the Judgment of your Lord, (for) then surely you are under Our Eyes, and hymn with the praises of Your Lord when you rise up)». [At-Tur (The Mount): 48]

The Prophet succeeded in bringing people out the darkness into the light so that they became the men of the Hereafter and tomorrow, who wouldn't like exaltation in the earth nor corruption. They became the straight equitableness for people; Allah established them in earth and became a shield of protection for humanity. The Prophet appointed them as his successors and joined the Highest Companion satisfied and delighted at his nation and message. If humanity found who guided it to Allah in the past, then who would be the reformer of the pagan ignorance of this age?





clearly announce the position of Islam among all the laws on earth as stated by Allah and wanted them to be.

Islam ignored by the West that began to fight aggressively aiming at eliminating it in such a hostile way. Islam ignored by its own people who carry its name as they turn their backs to it and receive the evils of the West thinking that they are blessings. What can Muslims expect to find at people who cut their relations with their Lord and declared war against their Creator? When Allah invited them to believe in Him, they disbelieved; when took compact with them, they betrayed; when entrusted them with His books, they distorted them; and when entrusted them with His law they broke and ruined it. So, they deserved to be driven out of His mercy, deprived of His care and they no more deserve to be entrusted with His trust or deliver His call.

The story of Allah's appointment of the population of the Book as successors is stated in His Book. Allah aimed, by narrating this story, at guiding us to meditate, reconsider carefully and to show His blessings on us; He protected us from what He has befallen on them and warned us from what they have fallen into, namely, replacing belief with disbelief. Allah, glory be to Him says:

‘And indeed Allah already took compact with the Seeds of Israil, and We sent forth among them twelve chieftains. And Allah said, “Surely I am with you, indeed in case you keep up the prayer, and bring the Zakat and believe in My Messengers and rally to them in assistance and lend to Allah a fair loan, indeed I will definitely expiate for you your odious deeds, and indeed I will definitely cause you to enter Gardens from beneath which Rivers run.” [Al-Maidah (The Table : 12]

This is the text of the compact which Allah, glory be to Him, took with the Seeds of Israel. This clear-termed compact implies a generous promise motivating the right souls to achieve fast and apply well; the generous promise to care for, reward, include in His mercy, eliminate sins and let into His paradise.

However, Allah, in addition to this generous promise, warns them not to disobey Him and threatens whoever doesn't apply with unbearable banishment as stated in His saying:





*** The Successor Nation...And The Glad Tidings Of Establishment**

By: Dr. H. F. Waly

Muslims' present state calls for whoever is able to reinstate their belief in themselves, confidence in their past and hope in future. Muslims are in bad need to whoever is able to reinstate their belief in this religion which they carry its name and ignore its identity and take it by inheritance than by knowledge and assurance.

This need becomes more pressing concerning these aggressive attacks launched against Islam in various shapes and multiple ways all gathered by the intensive desire to eliminate this religion, law, creed and system of life. These attacks are motivated by a new hope, old grudge and the absence of thinking among some Muslim scholars who were upbrought on the Western ideas saturated with its philosophy and educated in its schools. Consequently, the West felt that it is so easy to achieve their task, hold their grip, promote their creed and finish off the remainders of the Islamic law.

The West, since the fall of communism, principles and law, has no law to fear its influence, avoid its danger and possesses all the factors of leadership and superiority other than Islam. To the West, the danger of Islam lies in its tremendous ability in convincing minds, entertaining souls and penetrating easily through hearts. Moreover, it lies in its possession of the sovereignty, leadership and superiority factors despite confusions of the West which failed in addressing minds and pleasing hearts. These reasons distinguishing Islam filled the West's heart with terror and urged it to adopt the strong aggressive attitude towards whatever implies strength, distinction or possessing the leadership factors, material and moral, on earth. Therefore, it puts on an imaginary mask made by cunning to hide this hostility. In addition, it, professionally, prepared for its publicity and cunning made the world's mind ready to accept it so, it began to declare war against terrorism as a pretext and in reality practises war against Islam. Hence, I felt obligated to

*
An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.





despite what they are spending of riches and efforts, as Allah says:

﴿Surely the ones who have disbelieved expend their riches to bar from the way of Allah; so they will soon expend them; (and) these will be (a cause) of regret for them, and thereafter they will be overcome.﴾

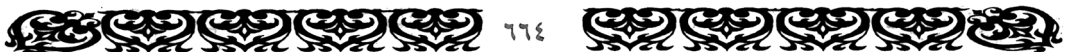
[Al-Anfal (The Spoils) War Gains): 36]

Islam strengthened the basis of call with principles derived from sociology and psychology, making the path of wisdom an indispensable matter, taking care in Muslims for fear that good qualities in them, including zeal, enthusiasm and love of persuasion, should turn to psychological recklessness, not totally related to Islam, as they are the factors for disappointment and antipathy. The prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, suffered a lot from what he saw of people's adherence to their traditions, stickness to heritage and persistence on asking him for a verse to which their necks subject, Allah knew that all this was nothing but a mere intransigence to right, rather than asking for evidence, so, Allah revealed on His Messenger:

﴿And in case their veering away from you is greatly (annoying) to you, so in case you are able to seek out a tunnel in the earth or a ladder in the heaven , (and) then you would come up to them with a sign – and if Allah had so decided, He would indeed have gathered them to the guidance. So definitely do not be one of the ignorant.﴾ [Al-Anam (Cattle): 35]

Islam asked for taking interest in humanitarian principles even in the state of war, as it demanded Muslims to inform their enemies even if they were obliged to be involved in war. Moreover, Islam commanded them not to be excessive in killing as taking revenge, not to put the injured to death and not to kill whoever surrenders. If they captured a number of the enemy, they have to give them the fairest lodging and show kindness towards them as the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: "I command you to show goodness to your captives".

Did history of human kind witness such a glorious biography and merciful principles?





love of conviction, and the glory of sovereignty are combined together to gain new supporters for the nascent religion. If the adherents of this religion have no religious starting point, all these qualities shall regress and turn to barbarity with no extent quenching its thirsty. Similarly, the callers of the former creeds, even the ones who prohibited carrying arms and self-defence, accompanied the conqueror armies; if the soldiers completed their military act, they would assume the task of making the vanquished enter their religion. If they refused, they would be put to the sword. In this way, not only did they kill millions of nations, but also they annihilated nations entirely. There is an example in America's history.

Though Islam had been destined to inherit all religions, it drew up a religious base, in which its humanitarian principles are reflected. This had a great effect on its spread and making nations love it. The first basis laid down by Islam in this regard is Allah's saying:

﴿Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition, and dispute with them in the way (which is) fairest. Surely, your Lord is the One (Who) knows best the ones who have erred away from His way and He is The One (Who knows best the right-guided (ones)).﴾

[An-Nahl (The Bee): 125]

Allah, commands call to be with wisdom, justice, knowledge, patience and all sound words corresponding to right. If wisdom became of no avail and the called one transmigrated the spirit of arrogance and intransigence, he should be dealt with fair wisdom. If fair wisdom didn't benefit him, then by the debate and using argument in the best ways in sticking to the manners of argument and considering the adversary's dignity.

Some people wonder about this verse regarding the necessity of taking interest in all these high morals towards people not of their religion and who have nothing in their lives urging Muslims to deal with them in such a way.

Don't you see those who use in their call heinous methods such as kidnapping the minors, tempting the patients and the needy, manipulating the ignorant. How does their biography affect their call? Only resulting in nothing but disappointment



Islam Disseminated The Humanitarian Principles

By the great scholar: M. F. Wajdy

Allah, glory be to Him, knows that people, even they agreed in instinct and mind intuitions, the spoiling factors such as straying upbringing, genetics effect, imitation hegemony, ignorance and fanaticism prevent a lot of them from subjugation to unified principles of the right religion. Consequently, nations remain entirely believing in contradictory religions and discrepant creeds. Allah, praise be to Him, knew that the Islamic nation shall be neighboring, dealing, and dominant over these nations, so His wisdom required laying down principles for this state of social life to be applied by Muslims in dealing with them, where He laid down a general principle as He said:

«Allah doesn't forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them, surely Allah loves the equitable ones.»

[Al-Mumtahanah (The Women Tested):8]

That is, Allah doesn't forbid you to deal fairly with non-Muslims, who have no intention of driving you out from your homes or religion, to be just in dealing with them, since Allah loves the just ones.

This is a principle not known to humanity before Islam. The followers of each religion deemed the renegade to be shed with impunity. So, if he fell in their hands, they would kill or enslave him. The Roman nation, succeeded by Muslims in rule, remained not allowing any foreigner to enter its land even for trade, unless he obtained an official license or was under the protection of one of their leaders.

With the advent of Islam, the situation suddenly changed where foreigners enjoyed protection and welfare as Muslims. The tourist and merchant moved safely in the country with no fear on his self and riches. This is the largest reason helping millions of foreigners entering the religion without call, in addition to the truthful human principles under the umbrella of the Islamic State.

The most conspicuous aspect, in which the virtuous principles are reflected, is that of call. The jealousy, enthusiasm,



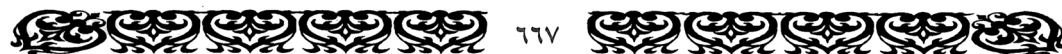


of magicians' and priests. Then, the ruler remains having power over people through attributing himself to deity.

We stress all this since all the majority of university professors talk about good manners, transaction rules, and human relations as things separated from religion. If this is true for some contemporary religions, Islam is the source and spring of morals to Muslims as the Islamic moral is not a social term changeable in some time and reverted to its first image in another one. As those who believe that civilization methods are enhanced by some morals and reversed by others according to conditions and circumstances since morals in Islam are general circles that include details. These circles have room for virtues while get narrow for vices depending on pure formation of man and the ability to change circumstances and conditions. Moreover, these circles are widening till they embrace all good deeds and beneficence as well as they stand firmly against the calls of decadence and disintegration, and you shall never find any alteration to the enactment of Allah.

Professors, explaining, writing and discussing, have to know that the majority of their learners are Muslim ones. In addition, they have to be aware that the trust of their religion commits them to present Islam's view in all subjects dealt with. It is established that humanities is deeply rooted in the field of scientific authorship. There are many Muslim scholars remarkably contributed in these studies, so why did we neglect their circulating books and focus totally on foreign sources; some opposing Islam publicly and others in secret.

We ask all the authors of humanities in all its various fields to study Islam in its right books then present besides its view, what are they presenting of views. Moreover, the judgment of Islam has to be explicit and conspicuous before Muslim students, since untruthfulness does not come to it and they have to follow its right path.





certificate, you would have to judge that there is no difference regarding religious knowledge between secondary student joining university and a young man not received any religious study. Where we observe that young man knows by the virtue of his religious surroundings whatever is necessary concerning the observances and morals in general not depending on learning nor making use of guideline.

This student who is not versed in religion joins university to learn humanities as it were learnt adeptly by his professors making Europe's books their only reference. If the student completed university and excelled in the bachelor degree, he would be sent to European college and may continue postgraduate studies at his university then receive the philosophy of doctorate in the field of his specialization. Therefore, he got acquainted with his speech, theories and references within an entire foreign scope not related to Islam then be appointed as a teacher, an assistant professor, then a professor at the university to explain his subject as characterized by the materialistic Europe without seeking Islam's view concerning what is taught to Muslim students. Here comes the disastrous catastrophe, for example, the individual dealing with the origin of religion, will find it in the opinion of sociologists as the result of myths and superstitions imposed by special authorities to be finally as rituals, observances and laws,

The reader shouldn't believe that I exaggerate or make mockery, but I talk about a tangible and painful reality, where I read various college notes, some of which relating to the history of education, others to sociology and others make the history of law. The different notes, related to various sciences, talk about something in man's history known as the religious stage. The different notes clarified this stage saying: "After the flood, man settled earth. He saw in nature's sights what had terrified him as he heard thunder, saw lightning, the action of fire and the destruction of torrents. All this drove him to believed in gigantic power terrified and frightened him, then he submitted, feared and imagine this enormous and terrifying power as gods. So, thunder, lightning, sun and seas became gods of major power then human figures claimed attribution to these deity assuming power as that





Put The Qur'anic Text First

By: Dr. M. R. Al-Baiomi

We keen on the progress of social studies as we suggest that the multiple compilations revolving around this subject are useful and beneficial, since any serious study is useful to man. Some serious university studies appeared taking a great deal of interest in purposeful research. We have the right to mention our special impressions around these compilations, but we shan't deal with the names of books and authors as our aim is not to criticize and defame but to attract attention to important aspect ignored by the majority of them, despite its paramount importance.

In humanities, the university student receives the notes of his professors then he understands them very well so that he can succeed at the end of the year. In his superficial point of view, it is entirely right, where one can't imagine that a great professor among the teaching staff publishing a specialized book in his discipline and teaches its chapters, then this book be of view showing only a certain view without dealing with the opposite ones. The presented view may be wrong requiring the neglected aspect to be presented so that a comprehensive and accurate view be established. But what we read in the college notes doesn't offer the right view in tackled studies. So, at the end of the year, the student will have only a limited amount of knowledge, as well as it may be of gross deficiency if it dealt with a serious aspect of the history of the religious creed without guiding to the right path.

First and above, we should declare right publicly without any fear to acknowledge that most writers dealing with humanities, including education, sociology, psychology, civilization and ethics restricted their Islamic knowledge to what they had learned in secondary stage. They only knew about the realities of Islam what is familiar with the secondary student in Arab countries, which is an amount not sufficient to present a truthful idea about Islam. If we added to this that the majority of those people were not examined in the religious education, whereas some regulations in many Arabic countries provide that exam in religious education has to be restricted to the pre-general





Islam: The Religion of Civilization, Modernity and Human Rights.

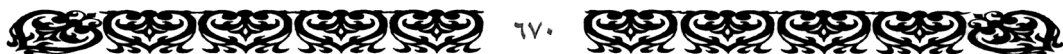
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

At present, a severe war is launched against Islam. This war neglects the essence and cares only about the appearance, because appearance - according to the views of Islam's enemies - deserves care and concern. Those always repeat the slogan of human rights, though there is no religion or positive law that maintained and interested in human rights like Islam. Through their superficial, spiteful and malicious view about Islam, they only see the rights of the criminal and falsify the rights of the victim. To them, putting the criminal on trial is a violation to human rights. Then, they go farther in their slurs and claim that the western civilization is far better than the Islamic one. However, they know better than others that the Islamic civilization is a comprehensive humanitarian one in which knowledge is linked to good manners and belief with freedom and tolerance.

To the West, terrorism is only reflected and represented in Islam. Their declarations exposed what the West bears of hidden grudge and severe hostility. The ongoing campaign - to distort the image of Islam and brand it with weakness and terrorism - motivates Muslims to be aware of what is plotted against them and their religion and to join ranks jointly and collectively to confront this war aiming at eradicating the Muslims' identity and existence. They should not fear enemies' power even if it appears tremendous. Allah, the Al-Mighty said:

﴿How often a little community has overcome a much (larger) community by the permission of Allah; and Allah is with the patient (ones).﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 249]





**AL-AZHAR
MAGAZINE**

Rabiul Akher 1423 A. H.



**ENGLISH
SECTION**

July 2002

﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰىنَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدٰىنَا اللّٰهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University



الفهرس

- النص القرآنى هو الفيصل، الافتتاحية،
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٤٩٨
- الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٥٠٤
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥١٥
- فى الأصول القرآنية للتربية
للاستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ٥٢٠
- السنة: العدل
لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى ٥٢٥
- إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم ٥٢٥
- رسول الله ﷺ فى شبابه
للاستاذ/ محمد حسن دراز ٥٢٩
- سماحة التشريع الإسلامى سر انتشاره
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٥٣٣
- مجالات التنافس الشريف
للاستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٥٣٩
- التأويل الرشدى: عربى؟ أم غريبى؟
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٥٤٤
- كتاب الشهر: حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر
عرض وتقديم أ.د/ إبراهيم عوضين ٥٤٩
- قصة العدد: الحظ السعيد ٥٥٧
- قيمة الكلمة، قصيدة،
للاستاذ الدكتور/ عبد المنعم عبد الله حسن ٥٦٤
- الخطابة المثالية فى مرآة النقد، ١،
للاستاذ الدكتور/ أحمد محمد حنطور ٥٦٧
- ضوابط حرية الاعتقاد فى الإسلام
للاستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ٥٧٣
- الإسلام وحقوق الإنسان
للاستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال ٥٧٦
- حقوق الإنسان... رؤية أمريكية
للاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٥٨٤
- لاجئ ينشد وطننا
للاستاذ/ خير الدين الزركلى ٥٨٨
- اليهود فى الإعلام الأمريكى
للاستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٥٩٣
- نهاية إسرائيل محتومة
للاستاذ/ حمدى فتوح والى ٥٩٨
- فرق.. تسد
للاستاذ/ محمد حسن عبد الخالق ٦٠٥
- هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦١١
- قول الحق.. أم.. نفو المقتربين
للاستاذ/ على أحمد على ٦٢٠
- طرائف.. ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٢٤
- الجيأ مظاهره وأقسامه
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٦٢٦
- خطبة الجمعة: حضارة الذئاب
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٦٣٠
- رسالة.. و..رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح جمعان ٦٣٣
- مناجاة قلب
للاستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٦٣٥
- بين المجلة والقارئ
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ٦٣٩
- من أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد/ محمود الفشنى ٦٤٨
- أنباء العالم الإسلامى
للاستاذ/ محمد الشرقاوى ٦٥٠
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٦٥٤
- القسم الإنجليزى ٧٧١

١٤٣٤
١٤٣٥
١٤٣٦
١٤٣٧
١٤٣٨
١٤٣٩
١٤٤٠
١٤٤١
١٤٤٢
١٤٤٣
١٤٤٤
١٤٤٥
١٤٤٦
١٤٤٧
١٤٤٨
١٤٤٩
١٤٥٠
١٤٥١
١٤٥٢
١٤٥٣
١٤٥٤
١٤٥٥
١٤٥٦
١٤٥٧
١٤٥٨
١٤٥٩
١٤٦٠
١٤٦١
١٤٦٢
١٤٦٣
١٤٦٤
١٤٦٥
١٤٦٦
١٤٦٧
١٤٦٨
١٤٦٩
١٤٧٠
١٤٧١
١٤٧٢
١٤٧٣
١٤٧٤
١٤٧٥
١٤٧٦
١٤٧٧
١٤٧٨
١٤٧٩
١٤٨٠
١٤٨١
١٤٨٢
١٤٨٣
١٤٨٤
١٤٨٥
١٤٨٦
١٤٨٧
١٤٨٨
١٤٨٩
١٤٩٠
١٤٩١
١٤٩٢
١٤٩٣
١٤٩٤
١٤٩٥
١٤٩٦
١٤٩٧
١٤٩٨
١٤٩٩
١٥٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- الازدواج النفسى فى حياة الفرد
- للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- الأمة الإسلامية بين مرحلتى الاستعمار والنفاق
- للدكتور / عبد العظيم عويس
- هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز (٢)
- لفضيلة الشيخ / الطاهر العامدى
- فى عداوة أمريكا وصداقتها
- للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطمى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
٨٥٧٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩ هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحادى
سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ - أغسطس ٢٠٠٢ م - الجزء الخامس - السنة الخامسة والسبعون



من أمراض المجتمع

الازدواج النفسى

نلاحظ أن الأمراض النفسية تزداد انتشارا بتقدم وسائل الحضارة، إذ نرى أبناء هذا الجيل أسرع إلى التوتر، وأقرب إلى الانفعال ممن عاشوا فى الجيل الماضى، بل إن أبناء الجيل الواحد يفترقون صحة وهدوءا بالقياس إلى أماكنهم من القرى والمدن، لأن ساكن القرية أهدأ نفسا، وأروح خاطرا إذا قرن بساكن المدينة، وأمريكا اليوم أكثر بلاد الله رفاهية واستمتعا، ولكن الأمراض النفسية تنتشر فيها بنسبة تجذب الانتباه، وفى إحصائية عالمية لحوادث الانتحار ما يثبت اشتداد الأزمات النفسية لدى المرفهين من ذوى الثراء، وأذكر أنى قرأت قصة غريبة تشير إلى هذا المعنى، إذ كان أبطالها ممن تبرموا بالعيش فى دول المدنية فأروا أن يهجروا المجتمع الصاخب إلى جزيرة هادئة تقربهم من حياة البداوة الراكدة، وفى ظلال الهدوء الشامل، والحاجات الأولية، الميسرة وجدوا الاطمئنان، وتركوا رفاهية العصر غير نادمين.

وأكبر ما يعانیه إنسان العالم المتحضر اليوم أنه مرتبط بقيود لا يستطيع التخلص منها، وأشد هذه القيود حرجا فى نفسه أنه لا يفصح عن ذاته أصدق الإفصاح، فهو يضطر فى كثير من أحواله إلى أن يقول ما لا يعتقد، وكأنه ممثل يتقمص على المسرح شخصية سواه، ولسنا نقول: إن جميع الناس يفعلون ذلك، بل نقول: إن كثيرا منهم يضطرون إلى التمثيل على مسرح الحياة، بحيث يعانون آلاما شاقة فى كتمان عواطفهم الحقيقية، فقد يبغض الزميل زميله، ولكنه مضطر إلى أن يتقبل أخطاءه دون تعليق، وقد يفرض عليه رئيسه من الأعمال ما لا يجد مبررا للقيام به، ولكنه يكبت إحساسه الداخلى متظاهرا بالسرور، وربما اندفع إلى تمجيد ما يكره، فإذا خلا إلى نفسه صلى حربا أليمة من التأنيب والزجر، وتكرار هذه المواقف تتآزم حياته، ويراها عبئا ثقيلا يود



فى فى حياة الفرد

الخلاص منه، وهذا فى محيط العمل الخارجى وحده فإذا رجع إلى منزله لم يسترح من التمثيل وقتاً يُعيد الصفاء، بل يضطر إلى مجاملة الزوجة أو ترضية الولد، أو تهدئة الأب بما يعلم أنه كاذب فى تقريره، وهكذا تتوالى الضغوط على كثير من الناس، دون أن يجدوا بعض التنفيس ولا بد من الانفجار حين تشتد الضغوط، ويغلى الموقد بالماء.

ازدواج مؤلم

إن حالة الازدواج النفسى التى تجعل لصاحبها مظهرين مختلفين، حين يرى فى سريره رأياً خاصاً، يضطر إلى أن يعلن سواه، هذه الحالة تتطلب العلاج الحاسم وأول خطوات العلاج أن يحاول الإنسان تجربة الصدق شيئاً فشيئاً فهو مضطر إلى أن يخلو بنفسه خلوة عاقلة، تجعله يستعرض ما كان بأمسه من المتناقضات، وليفرض فى هذه الخلوة أنه شخص محايد لا يميل إلى اتجاه دون اتجاه، ثم لينظر ماذا كان سيحدث من الخطر لو أنه التزم الصدق فى أكثر ما يأتى ويدع، ونقول الأكثر لا الجميع كيلاً نلجأ إلى اشتداد يتعذر معه الوصول إلى الوضع المريح، إنه يجد من زملائه الذين لا تزيد قدرتهم المادية والاجتماعية عنه فى شىء من لا يسلكون مسلكه الخادع، ولكن أمورهم فى الحياة قد انتظمت على الإخلاص الصريح فلم تتقهقر علاقاتهم الأخوية مع الناس بل عرف عنهم الصدق، فكانوا موضع الثقة من ناحية، ونجوا من الانفعال المتأزم، واللوم النفسى المستمر من ناحية ثانية، لأن كل إنسان فى أعماق نفسه يحترم الفضائل الخلقية، وإن جانبها وسار ضد اتجاهها، لأنه فى هذه المجانبية يعتقد انحرافه، ويرى الإنسان المستقيم أهدى سبيلاً، وأرفع منزلة.

وهذه أولى خطوات العلاج، إذ هناك فرق بين إنسان يصبر على انحرافه مع علمه بخطئه، وآخر ينقم على انحرافه، ويتلمس خطوات النجاة، فإذا قارن هذا المرائي بين نفسه وبين غيره، متبرما بموقفه، فإنه سيصل إلى تفضيل الاتجاه الصادق وسيأخذ بأسبابه شيئا فشيئا، وتمر الأيام فيعود إلى المسلك المريح، ثم عليه بعد ذلك أن يتخذ صديقا مخلصا يبادل له المودة، ويجعله أمينا على أسراره ومشكلاته، ليكون موضع اعترافه ومجال التخلص مما يكتنم من الأمور، فمبادلة الرأي في ثقة وإخلاص بين المتصادقين، تخفف كثيراً من التوتر النفسي وتكون بخارا يتصاعد فيمنع الضغط، ولا بد أن لصديقه هو الآخر مشكلاته، وسيأنس إليه في سره ونجواه، فيطلعه على منغصات أحواله، ويجد الزميلان المخلصان في تبادل المشاعر وتجاوب الأحاسيس ما يعصف بهذا الكتمان المؤلم، وقد يؤدي في أكثر أموره إلى خير النتائج السارة، لأن الإنسان يرى الرأي لأخيه مجردا من شتى المخاوف المتوهمة، فيضع أمامه الصورة الحقيقية في مكانها الصحيح أما صاحب المشكلة نفسه فقد تختلط الرؤية في عينيه فلا تأخذ مظهرها الواقعي لما يجسمه له الحرص الدقيق من أوهام لا تتمثل في غير نفسه، وهنا يكون الصديق الأمين ميزانا عادلا للرأي السديد، كما يكون من جهة أخرى موضعا للاسترواح النفسي، وموطنا مطمئنا للثب والإعلان.

ذوالوجهين

على أن ذا الوجهين يغفل ناحية هامة، لو تدبرها تمام التدبر، ما تكلف هذا الرهق الشاق في تدليس مشاعره، وهي أن الناس أذكياء، ولهم عيون تصل إلى الأعماق الدفينة، فهم يعرفون جيدا من يتخذ الوضوح المريح سبيله في الحياة فيثقون فيه، ويطمئنون إلى مسيرته، كما يعرفون من يحاول أن يخدع مجتمعه بكتمان حقيقته والظهور بغير مظهره الطبيعي، فيرمقونه بعين البغضاء ويتعدون عن مجاوبته قدر ما يستطيعون على حين يظن أنه قد أخفى عنهم تياره النفسي الهائج في صدره، وكأنه بذلك لا يخدع غير نفسه، وإذا تمت له بعض وجوه الخديعة في مفتتح معاملاته فإنه سرعان ما يتجلى على وضعه السيء فتشيع عنه العيون، وبدل أن يكتسب مزايا التقدير في نفوس عثرائه فإنه سينقلب إلى عكس ما يأمل.

فالصدق النفسي إذن سبيل الراحة المطمئنة داخلا وخارجا، ففي الداخل يأمن الصادق صراع النفس، وتائب الضمير وسهد الليل مفكرا مضطربا وفي الخارج يجد الصادق من أسرته الخاصة بمنزله، والعامه بمجتمعه من يهشون للقائه ويفرحون بمؤانسته، ويمنحونه الثقة التي بها يتملك النفوس، ويأسر القلوب، ولا أنكر أن لدى كل فرد من أموره الخاصة ما يجب أن يكون موضع الكتمان، لأن كشف الجروح المتقيحة في الجسم للناس، يجلب الامتعاض والزرابة لا أن يسعف



بالبرء والشفاء ونحن لا ننقد من يخفى ضرورياته متبعاً سنة الحذر، ولكننا ننقد من يعيش طيلة حياته ممثلاً، يظهر في كل أدواره على غير حقيقته فيورث نفسه اضطراباً ويزعزع الثقة فيه بين معاشريه وهي أغلى ما يحرص عليه ذوو الاتجاه القويم، ولن ينقذه مما به غير سلام نفسى يستشعر به برد الراحة، لأن هدوء النفس يعمل على إزالة التوتر، ويساعد على التفاؤل المطمئن فى معترك الحياة، والسلام النفسى ليس كلمة تقال دون جهد جاهد يبعث على تحقيقها، ومن واجبنا أن نتحدث عنه ببعض التفصيل ليتضح لبابه الصريح.

السلام النفسى

وكما يكون السلام فى العالم كله مصدر خير وتقدم ورفاهية، وتكون الحرب مصدر شر وبلاء ومحن، كذلك يكون السلام داخل النفس البشرية مصدر هناء وراحة، وعنوان استقرار وسكينة، ويكون القلق والاضطراب داخل هذه النفس مصدر توتر وانفعال يمنعان الطمأنينة، فالذى فقد سلامه النفسى يكابد حرباً أهلية فى صدره، فهو فى نومه يتقلب جنباً إلى جنب وفى يقظته متأزم بعض شفتيه ويفرك يديه ويكلم نفسه، وإذا استمر التأزم أمداً طويلاً فإنه يفضى بصاحبه إلى حياة خير منها الموت!

لذلك كان البحث عن السلام النفسى هدف المصلحين من أساطين الاجتماع وعلماء النفس، وله عياداته الصحية وأطبائوه المعالجون ولكن الإنسان قبل كل شىء، هو العامل الأول فى البرء والشفاء، فلا بد لكل من يواقع تأزماً، أو يعانى توتراً أن يكون طبيب نفسه أولاً، لأن الأسباب النفسية المسببة للقلق لا بد أن يكون المريض مصدرها الأول، وقد تدل الأعراض طبيب الأمراض الجسمية على حقيقتها فى الجسم، فيبادر إلى العلاج وفقاً لما يرى بعينه، ويلمس بأشعته وتحليله، أما مريض النفس فلا بد أن يساعد طبيبه بإبداء كل ما يحس، والتزام الصدق كل الصدق فيما يقول.

ونحن فى هذا المجال نشير بوجه عام إلى أهم الأسباب التى توجب القلق المتوتر فى النفس والتى نوصى بتجنبها قدر المستطاع، فكما يعرف مريض الجسم بواعث علته فيعمل على تجنبها، فكذلك على صاحب هذا التأزم أن يبتعد عن بواعث القلق والتوتر فتكون الوقاية حينئذ خيراً من العلاج.

الطموح الكاذب

أول بواعث هذا التوتر هو الطموح الكاذب، بمعنى أن يتطلع الإنسان إلى ما فوق قدرته المحدودة، فإذا لم يجد لتطلعاته منفذاً للتحقق، تكدر خاطره وعبس وجهه وانتقل إلى التوتر المتأزم يوماً بعد يوم، ونحن لا نمنع أن يكون الإنسان ذا أمل مشرق يسعى إلى



تحقيقه، فالأمل مصباح منير يهذى إلى السعادة النفسية فى طريق الحياة، ولكن الأمل أملان، أمل معقول يكون تحقيقه فى مستطاع الإنسان لو واصل السير ودأب على النضال لأن الوسائل متوقعة والعواقب منتظرة، وهذا الضرب من الأمل هو ما يحلم به الإنسان السوى الذى يعيش فى أرض الواقع مفتوح العينين، يقظ الفؤاد.

أما النوع الثانى فهو الأمل الكاذب، الذى لا تنهى الوسائل المشروعة إلى تحقيقه بحيث يتطلب قدرات ومعونات لا تتيسر فى منطق الواقع، وهنا يكون الأمل مصدر تعاسة لأن صاحبه خيالى لا عملى، والخيال قد يريح النفس لحظات من زمن ولكنه وهم لا يثمر تحقيق الأمل، فإذا أراد الإنسان أن يكون بعيدا عن التأزم النفسى فليتجنب هذا الطموح الكاذب لأنه بتطلعه إلى ما لا يملك تحقيقه، يشعر بإحساس من فقد شيئا عزيزا كان فى يده، ثم يمتد وهمه فيحس أنه فقد حقه الطبيعى، وإرثه الشرعى، فهو إذن مظلوم مضطهد، وقد وقفت الحوائل المسدودة دون أن ينال حقه المشروع، فإذا تمكنت هذه الخواطر من نفسه، فقد حلت الحرب النفسية محل السلام الهادئ، وقد أصبح صاحبنا برما بالحياة ضائق الصدر، ينظر إلى الناس جميعا وكأنهم غصبوا إرثه المتخيل، واستولوا على حقه المزعوم.

إفراط الندم

والباعث الثانى للتوتر النفسى هو الإفراط فى الندم على ذنب ارتكب أو موقف ضاعت فرصته القريبة فلم تسعد بما كان يتوقع والحق أن ظاهرة الندم صحية مفيدة، لأنه فى حقيقته ثمرة مراجعة واعية لما سلف من الأخطاء، وبهذه المراجعة تتضح الصورة فى أوضح قسماتها، فيعرف الإنسان مواضع الضعف والسقوط ويسارع فى تجنبها، فالندم ظاهرة صحية دعت إليها مواعظ الدين، وحكم الأخلاقيين، ولكن الإفراط فى الندم، وهو ما يسميه النفسيون بعقدة الذنب إذا تمكن من الإنسان قلب حياته من صباح إلى مساء، فالذى يستمر على تخطئة نفسه، تخيل ما سيلقى من الشرور فى مستقبله، عليه أن يصحح موقفه سريعا فيعرف أن الخطأ من طبيعة الإنسان وليس من الكارثة أن يقع فيه، ولكن الكارثة كل الكارثة فى الإصرار عليه، ومحاولة العودة إليه، لذلك كانت التوبة بابا جديدا للهدوء ونسيان الماضى، والتطلع إلى غد مشرق وضئ يتسم بالصواب والسداد وقد يكون الفشل فى الماضى، مدعاة ندم متأزم دون أن يقوم الفاشل بأخطاء تسبب إخفاقه ولكن ظروف مجتمعه قد أوقعته فيما لا يد له فيه، وهنا يجب على الإنسان الطبيعى أن يكون سعيدا بينه وبين نفسه لا أن يكون تعسا شقيا، لأن أسباب الفشل لم تأت عن تقصير أو قصور، وإذا ارتطم به فعليه أن ينجو منه ناسيا إياه ومتطلعا إلى أفق بهيج.





المقارنات العميقة

وأسوأ ما يجلب التأزم للإنسان أن يعقد المقارنات بينه وبين من سبقوه في مجال التقدم من زملائه، فقد يكون الرجل سعيدا برزقه، مكتفيا بدخله، مطمئنا لوظيفته وفي كل ذلك ما يُطمئن ويقنع، ولكنه يعرف من إخوانه من سبقوه إلى ما يظنه مجال الظهور والارتقاء، فيغمر نفسه بكدر لا مبرر له، وقد يمتد تفكيره في هذه المقارنة، فينتقل من الصفاء إلى الضجر والضيق، وتعبس في وجهه مشارق الحياة دون باعث حقيقي على هذا العبوس، وينقلب إلى أهله مريضا أو كالمريض، لا يطبق الكلام المسترسل، ولا يأنس بالحوار المبتسم، فإذا سألته: هل جدّ جديد سبب هذا التأزم؟ لم تجد في واقعه الملموس أنه انحدر من مكان إلى مكان، أو قوبل بشر يتهدهد بعاقبة سيئة، أو فقد عزيزا يحرس على بقائه، ثم هو مضطر في بعض حالاته أن يخفي سر آلامه كيلا يواجه بالاعتراض من الصديق، أو الشماتة من العدو، فيزداد الأمر بلاء، لأنه مع الكتمان المتأزم يزيد النار لهيبا في أنحاء صدره، ولا منجاة من هذا كله إلا بالنظر الواقعي إلى أمور الحياة، ومعرفة أنها مجال للشذوذ، والاستثناء في بعض أمورها وأن الشاذ لا قياس عليه، وأن الاستثناء موضع تصحيح لا موضع تثبيت، وبذلك تنتهي المقارنة بين الزملاء إلى الصفاء لا إلى الشقاء.

هذه بعض بواعث القلق النفسي، وبمحاولة البعد عنها يتحقق السلام الراضى والصفو المريح، وقراءة سير القانعين من علماء السلف، ونبهاء العصر الحاضر، تنتقل بالقارئ إلى القدوة الصالحة، فيهدأ بعد اضطراب، ويرتاح بعد لغوب.

د. محمد رجب البيومي

تَقْسِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ
قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
﴿٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا
الَّذِي بَيْنَهُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧



طلاقها منه لتنتفع به، جبراً لخطرها، وتعويضاً لما نالها بسبب هذا الفراق.

و ﴿التَّوَسُّعُ﴾ هو الغنى الذى يكون فى سعة من غناه. يقال: أوسع الرجل إذ كثر ماله، واتسعت حاله. و ﴿الْمُقْتِرُ﴾ هو الفقير الذى يكون فى ضيق من فقره. أقتّر الرجل أى افتقر وقل ما فى يده.

والمعنى: لا حرج عليكم فى طلاقكم للنساء قبل أن تدخلوا بهن وقبل أن تقدروا لهن مهراً معيناً، وليس من حقهن عليكم فى هذه الحالة أن يطالبنكم بالصدّاق، وإثماً من حقهن عليكم أن تمتعهن بأن تدفعوا لهن ما ينتفعن به كل على حسب حاله وطاقته، فالأغنياء يدفعون ما يناسب غناهم وسعتهم، والفقراء يدفعون ما يناسب حالهم.

وقوله: ﴿مَتَعَايَ الْمَعْرُوفِ﴾ أى أعطوهم ما يتمتعن وينتفعن به بالقدر المتعارف عليه بين العقلاء، فلا يعطى الغنى ما لا يتناسب مع غناه ولا مع حال المرأة التى طلقها، ولا يعطى الفقير شيئاً تافهاً لا يسمى فى عرف العقلاء متاعاً كما أنه لا يكلف فوق استطاعته، لأن المتاع ما سمي بهذا الاسم إلا لأنه يتمتع به وينتفع به لفترة من الزمان.

وقوله: ﴿حَقَّاعِلِ الْمُحْسِنِينَ﴾ تأكيد لهذا التمتع الذى هو من حق المرأة على الرجل الذى طلقها قبل أن يدخل بها وقبل أن يسمى لها مهراً.

قوله - تعالى -: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ أى ما لم تجمعهن ولم تدخلوا بهن والمس فى الأصل معناه: اللمس، ويقال فيما معه إدراك بحاسة اللمس ثم أطلق على سبيل الكناية على ما يكون بين المرء وزوجه من جماع ومباشرة وعلى غير ذلك مما يكون فيه إصابة حسية أو معنوية. وهذه الكناية من ألطف الكنايات التى تربي فى الإنسان حسن الأدب، وسلامة التعبير، وتجنبه النطق بالألفاظ الفاحشة. وقد تكرر هذا التعبير المذهب فى القرآن الكريم ومن ذلك قوله - تعالى - حكاية عن مريم:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ (١)

والمراد بالفريضة هنا المهر الذى يفرضه الرجل على نفسه للمرأة قبل الدخول بها والمعنى: لا إثم عليكم أيها الرجال إذا طلقتم النساء لأسباب مشروعة، وبطريقة مرضية، قبل الدخول بهن، وقبل أن تقدروا لهن مهراً معيناً.

ثم بين - سبحانه - ما للمرأة على الرجل فى هذه الحالة فقال:

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ
قَدَرَهُمْ وَعَلَى الْقُدْرَةِ مَتَّعَايَ الْمَعْرُوفِ حَقَّاعِلِ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله - تعالى -: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أى ملكوهن ما يتمتعن به، ويدخل التسلية والسرور على نفوسهن. وأصل المتعة والمتاع ما ينتفع به الإنسان من مال أو كسوة أو غير ذلك، ثم أطلقت المتعة على ما يعطيه الرجل للمرأة من مال أو غيره عند

(١) سورة آل عمران الآية ٤٧.





الدخول بها وقبل تقدير مهر لها ينشئ جفوة ممضة بين المرأة وبين مطلقها، وقد يسىء هذا الفراق إليها وإلى أسرته، فكان هذا الحق الذى جعله الله للمرأة على الرجل هو التمتع، تسرية نفسها، وتعويضا عما أصابها بسبب هذا الفراق، وتلطيفا لجو الطلاق وما يصاحبه من جفاء وبغضاء، واستبقاء للمودة الإنسانية بين الطرفين، وإزالة لما عسى أن يقوله البعض من أنه ما طلقها من طلقها إلا لشيء.

ولا شك أن إنهاء الحياة الزوجية قبل الدخول فيها، لضرورات اقتضاها هذا الإنهاء، أخف وأيسر من إنهاؤها بعد الدخول فيها. قال الجمل ما ملخصه: وقوله:

«**عَلَى التَّوَسُّعِ قَدَرُهُ**» جملة من مبتدأ وخبر وفيها قولان: أحدهما: أنها لا محل لها من الإعراب بل هى استئنافية بينت حال المطلق بالنسبة إلى يساره وإقتاره.

والثانى: فى محل نصب على الحال وصاحب الحال فاعل متعوهن. والرباط بين جملة الحال وصاحبها محذوف والتقدير: على الموسع منكم.

و **﴿مَتَّعًا﴾** منصوب على المصدر.

و **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾** جار ومجرور صفة له.

و **﴿حَقًّا﴾** صفة ثانية لقوله:

﴿مَتَّعًا﴾ أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله.

وعامله محذوف وجوباً والتقدير: حق ذلك حقاً^(٣).

أى: هذا التمتع حق ثابت على المحسنين الذين يحسنون إلى أنفسهم بامثالهم لأوامر الله، وبترضيتهم لنفوس هؤلاء المطلقات اللاتى تأثرن بسبب هذا الفراق. فالآية الكريمة ترفع الإثم عن الرجال الذين يطلقون النساء قبل الدخول بهن وقبل تسمية المهر لهن، متى كانت المصلحة تستدعى ذلك، وتبين الحقوق التى للمرأة على الرجل فى هذه الحالة.

قال القرطبي: قوله - تعالى -:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

إلخ هذا أيضاً من أحكام المطلقات، وهو ابتداء إخبار برفع الحرج عن المطلق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أو لم يفرض ولما نهى رسول الله ﷺ عن التزوج لمعنى الذوق وقضاء الشهوة، وأمر بالتزوج لطلب العصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام الصحبة وقع فى نفوس المؤمنين أن من طلق قبل البناء قد واقع جزءاً من هذا المكروه، فنزلت الآية رافعة للجناح فى ذلك إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن^(٢).

وقوله: **﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾**

معطوف على **﴿تَمْسُوهُنَّ﴾** المنفى، أى لا حرج عليكم فى تطليقكم النساء فى حالة عدم الدخول بهن وعدم تقدير مهر معين لهن.

وقوله: **﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدَرُهُ﴾** إلخ تشريع حكيم وتوجيه شديد، لأن فراق المرأة قبل

(٢) تفسير القرطبي ج ٣ صفحة ١٩٦.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ صفحة ١٩٣.





أى: وإن طلقتم يا معشر الرجال النساء من قبل أن تدخلوا بهن وتباشروهن، ومن بعد أن قدرتم لهن صداقاً معلوماً، فالواجب عليكم فى هذه الحالة أن تدفعوا لهن نصف ما قدرتم لهن من صداق، إلا أن تتنازل المرأة عن حقها فتتركه لمطلقها بسماحة نفس، بأن تكون هى الراغبة فى الطلاق، أو يتنازل الذى بيده عقدة النكاح وهو الزوج عن حقه بأن يدفع لها المهر كاملاً أو ما هو أكثر من النصف لأنه هو الراغب فى الطلاق. وجملة ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لِهِنَّ فَرِيضَةً﴾ فى موضع نصب على الحال من فاعل:

﴿طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ أو من مفعوله. أى وإن طلقتموهن حالة كونكم فارضين لهن المهر أو حالة كونهن مفروضاً لهن المهر.

والفاء فى قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ واقعة فى جواب الشرط، والجملة فى محل جزم جواب الشرط، و«نصف» مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فالواجب نصف، أو مبتدأ محذوف الخبر أى فلهن نصف، وقد صرحت الآية الكريمة بوجوب النصف، ولم تصرح بوجوب دفعه، لأنه قد يكون قدم لها المهر كله أو بعضه، فكان التعبير بالوجوب بياناً للحكم حتى يسترد المطلق ما دفعه زيادة عن النصف إن أراد ذلك، أو يكمل لها النصف إن كان قد دفع أقل منه. وقوله:

﴿إِلَّا أَنْ يَعْقُوبَ أَوْ يُعْقَبَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال. و﴿يَعْقُوبُ﴾

هذا، ويرى بعض العلماء أن المتعة واجبة للمرأة على الرجل فى حال مفارقتها قبل الدخول بها وقبل تسمية المهر، لأن الآية الكريمة قد أكدت ذلك وجعلته حقاً ثابتاً لا يجوز التحلل منه قال - تعالى:-

﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

ويرى بعضهم أنها مستحبة، لأن التعبير بالمحسنين يدل على أن المتعة غير واجبة وقد رجح المحققون من العلماء الرأى الأول وقالوا: إن الإحسان لا ينافى الوجوب الذى دل عليه الأمر يؤيد هذا قوله:

﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾.

فقد جعل الله المتعة على الفريقين كل فريق على حسب طاقته وقدرته. والمتعة تختلف باختلاف الأحوال من يسار وإعسار، يقدرها القاضى على الرجل على حسب حالته كما يقدر النفقة.

والصالحون من الناس هم الذين يبذلون المتعة للمطلقة بسخاء ومودة، ولقد أثر على الحسن بن على -رضى الله عنهما- أنه متع امرأة طلقها بعشرة آلاف درهم، فلما تسلمت هذا المال الوفير قالت: «متاع قليل من حبيب مفارق».

ثم بين - سبحانه - حق المرأة فيما لو طلقت قبل الدخول بها وبعد تسمية مهر لها فقال - تعالى:-

﴿وَأِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لِهِنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْقُوبَ أَوْ يُعْقَبَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾





المهر، وإذا تنازل أحد الطرفين عن جزء من حقه لصاحبه كان هذا التنازل حسناً. لأن هذا التنازل والتسامح يضيف على جو الطلاق لوناً من المودة والتقارب بين النفوس التي ألمها الفراق بتلك الصورة، فاحرصوا -أيها الناس- على هذا العفو بأن يتنازل كل فريق منكم لصاحبه عن شيء من حقه، ويتسامح معه، فإن ذلك أقرب إلى تقوى القلوب، وصفاء النفوس، ولا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض بالإحسان، وحب الخير وجميل الذكر، فالله -تعالى- بصير بأعمالكم وسيحاسبكم عليها، وسيجازي كل نفس بما عملت.

فالجلمة الكريمة توجيه حكيم للناس إلى ما يدفع عنهم التشاحن والتباغض والتخاصم خصوصاً في حالات الطلاق التي هي من أشد الأحوال دفعاً إلى هذه الرذائل.

ولقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي صوراً مشرقة لهذا العفو والفضل من ذلك ما ذكره الإمام الزمخشري من أن جبير بن مطعم دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتاً له فتزوجها. ثم طلقها قبل أن يدخل بها وبعث لها المهر كاملاً. فقال له: لم تزوجتها؟ فقال: عرضها على فكرهت رده. فقيل له: فلم بعثت بالصدق كاملاً؟ قال: فأين الفضل.

وروى أن أحد الصحابة تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول بها فأعطاهما الصداق كاملاً، فقيل له في ذلك فقال: أنا أحق بالعفو منها^(٤).

وهكذا نرى مبلغ استجابة السلف الصالح لتوجيهات القرآن ووصاياهم، فأين المسلمون اليوم من هذه الوصايا والأحكام؟

«يتبع»

فعل مضارع والواو فيه لام الفعل، ونونه ضمير جماعة الإناث فهو هنا مبني على السكون في محل نصب بأن. ووزنه يفعلن أى: فلهن نصف المهر الذي فرضتموه لهن في كل حال إلا في حال عفو المطلقات أى إبرائهن لكم وتنازلهن عن هذا الحق، أو في حال عفو الذي بيده عقدة النكاح، وهو الزوج المطلق -عند الأحناف والشافعية- لأنه هو المالك لعقد النكاح وحله، والمراد بعفوه أن يزيد على نصف المهر المقرر.

ويرى المالكية أن الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المرأة لأنه هو الذي بيده عقدة النكاح ثابتة، وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم فقط.

ويكون المعنى على هذا الرأي: عليكم يا معشر الرجال أن تدفعوا للنساء نصف المهر إذا طلقتموهن بعد أن قدرتم لهن مهراً وقبل أن تمسوهن إلا أن يتنازل النساء عن هذا الحق، إذا كن يملكن ذلك، أو يتنازل أولياؤهن إن كن لا يملكن حق التنازل، كأن تكون البنت صغيرة، أو غير جائرة التصرف.

وقد دل كل فريق على مذهبه بما هو مبسوط في كتب الفقه.

ثم حبب - سبحانه - إلى الناس التسامح والتعاطف فقال:

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

أى: من حق المرأة المطلقة على مطلقها أن يدفع لها نصف المهر إذا كان الطلاق قبل المباشرة وبعد تحديد

(٤) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٨٦ بتصرف يسير.

الرَّهْنُ (*)

السنة

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الرهْنُ يركب بنفقته إذا كان مرهونا، ولبن الدريشرب بنفقته إذا كان مرهونا، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة» وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «اشترى رسول الله ﷺ من يهودى طعاما ورهنه درعه» رواهما البخارى.

يتعلق بشرح هذين الحديثين أمور: (١) بيان معنى الرهن (٢) شروطه (٣) حكم الانتفاع بالمرهون سواء كان أرضا أو دارا للسكنى أو حيوانا أو غير ذلك (٤) لماذا رهن النبي ﷺ درعه عند اليهودى مع أن المسلمين كانوا يومئذ كثيرين وهو كان سيدهم بدون منازع؟

(*) من مختارات مجلة الأزهر - ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ هـ.



بحسب ذلك الدين. هذا وقد اصطلاح الفقهاء على تسمية مالك العين (راهن)، وتسمية صاحب الدين الذى يأخذ الرهن فى نظير دينه (مرتتهن)، ومن هذا تعلم أن العين المرهونة قد تسمى رهنا وصاحبها الذى رهنها يسمى راهنا، وصاحب الدين يسمى مرتتهنا.

(٢) أما شروط صحة الرهن، فمنها العقل، فلا يصح أن يكون أحد المتعاقدين (الراهن أو المرتتهن) مجنوناً، وهذا الشرط متفق عليه طبعاً، ولا بد منه فى جميع العقود. ومنها البلوغ، فلا يصح أن يكون أحدهما صبياً غير مميز، لأنه فى حكم المجنون باتفاق أيضاً. أما الصبى المميز فإنه يصح أن يكون راهناً أو مرتتهناً لأنه يعرف معنى المعاملة ويدرك ما يترتب عليها من منافع ومضار، ومع هذا فإن عقده لا ينفذ إلا إذا أقره الولى، وفى ذلك من الحيلة ما لا يجعل بين عقد وليه وعقده فرقاً ما دام المرجع فى النهاية للولى، ولذا اتفق الأئمة على هذا ما عدا الشافعية، فإنهم هم الذين قالوا: إن رهن الصبى لا يصح ولو كان مميزاً ولو أذنه وليه. وعلى كل حال فالخلاف فى هذه المسألة هين. ومنها أن لا تكون العين المرهونة غير معينة بحدودها، فلا يصح رهن المشاع سواء كان عقاراً أو عروض تجارة، أو حيواناً، أو غير ذلك، وهذا الشرط انفرد به الحنفية، وخالفهم غيرهم، فقالوا إنه يصح رهن المشاع. مثلاً إذا كان لشخص دين على آخر، فله أن يرهن له بدينه جزءاً من داره المملوكة له مقابل ذلك الدين سواء كان شريكاً له فى هذه الدار أو لا، فإذا ملك شخصان داراً فإن لأحدهما أن يرهن نصيبه المشاع لشريكه كما إذا كان يملكها وحده، وكذا إذا كان يملك شخص تجارة من

(١) يطلق الرهن فى اللغة على الثبوت والدوام، ومن ذلك قولهم: نعمة راهنة بمعنى دائمة وثابتة، كما يطلق على الحبس، ومنه قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (١) أى رهـنـ

وحبس بكسبها بحيث لا ينفك عنها عند الله - تعالى - سواء كان خيراً أو شراً. والمراد المبالغة فكأن النفس هى عين الرهن، وقد يطق على نفس العين المرهونة، فإذا وضع شخص عيناً عند شخص آخر لتتوب مناب ما أخذه منه من مال أو غيره فإنه يقال لتلك العين رهن، مثلاً إذا اقتترض شخص من آخر مائة جنيه ووضع عنده دار لتتوب مناب الجنيهات فإنه يقال لهذه الدار رهن. وكذا إذا أخذ منه ناقة ووضع عنده نورا لينتوب مناب ناقته، فإنه يقال لهذا الثور رهن. وأما معنى الرهن فى الشرع فهو: «جعل عين لها قيمة مالية فى نظر الشرع وثيقة بدين بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو أخذ بعضه من تلك العين». وهذه العبارة معناها ظاهر معروف عند الناس، وإن كان فى بعض ألفاظها خفاء يفهمه طلبة العلم، وذلك لأن الغرض منها أن يستدين شخص من آخر ديناً ويجعل له فى نظير ذلك الدين عقاراً من أرض أو نحوها، أو حيواناً محبوساً تحت يده حتى يقضيه دينه، ذلك هو المعنى المراد، فمعنى قولهم: وثيقة: شئ متوثق به، مأخوذ من وثق كظرف إذا صار وثيقاً محكماً، وذلك لأن الدين أصبح بحبس هذه العين محكماً لا يسع المدين إلا سداذه أو تضييع عليه هذه العين كلها أو بعضها





قمح أو عسل أو نحو ذلك، فإن له أن يرهن جزءا مشاعا منها، مثلا إذا كان لشخص محل تجارة (دكان) به بضاعة من قماش أو غيره، فله أن يرهن بعض هذه البضاعة كنصفها أو ثلثها مشاعا، ومثل ذلك ما إذا كان يملك جملا أو حمارا، فإن له أن يرهن بعضه مشاعا، وقد عرفت أن هذا الحكم لم يخالف فيه سوى الحنفية، فإنهم قالوا إنه يجب أن يكون المرهون متميزا، فلا يصح رهن المشاع سواء كان يحتمل القسمة أو لا، وسواء رهنه لأجنبي أو لشريكه، فلو كان لشخص دين على آخر، وكان شريكا له في داره أو في أرض زراعية، فإنه لا يصح له رهن نصيبه لشريكه إلا بعد القسمة وفرض نصيب كل منهما، ومنها أن تكون العين التي يراد رهنها موجودة وقت العقد، فلا يصح رهن الثمرة التي لم توجد، فإذا رهن شخص ثمر حديقته قبل وجوده فإنه لا يصح لأن مالكة لا يقدر على تسليمه وقت العقد، وهذا متفق عليه بين ثلاثة من الأئمة، وخالف المالكية، فقالوا إن رهن غير الموجود فعلا جائز، وإن كان لا يجوز بيعه، على أنهم اختلفوا في ذلك، فقال بعضهم إذا كان المرهون معدوما وقت العقد بالكلية فإنه لا يجوز رهنه، وذلك كثمر الحديقة قبل بروزه (طرحه)، أما إذا برز ولو كان صغيرا فإنه يجوز رهنه باتفاق. وبعضهم قال: يجوز رهن المعدوم بالكلية. فلو رهن شخص ثمر حديقته سنين كثيرة، فإن الرهن يصح، وكذلك إذا رهن ولد الناقة وهو في بطنها فإنه يصح. ومحل هذا الخلاف عندهم ما إذا علق الرهن على عقد آخر من عقود البيع أو القرض. مثلا أن يقول شخص لآخر بعثك هذه الناقة بثمن كذا إلى أجل كذا بشرط أن ترهن لي ثمر حديقتك سنتين أو أكثر أو أقل أو يقول له أقرضتك عشرين جنيها بشرط أن ترهن لي ما تنتجه

غنمك سنة أو سنتين، فهذا الرهن هو المختلف في صحته عند المالكية. أما إذا رهن ثمر الحديقة، أو ولد الناقة التي في بطنها بدون أن يعلقه على شيء آخر فإنه يجوز بلا خلاف عندهم. فإذا رهن ثمر الحديقة قبل أن يظهر صلاحه فإنه يصح، وينتظر حتى ينضج، ثم يأخذه إن لم يرد له دين الرهن.

وقد يقول بعض الناس: ما حكم بيع ثمار الحدائق والنخيل قبل بروزه (طرحه)، فإن هذا الحكم كثير الوقوع بين الناس، وقد اعتاد المسلمون أن يتبعوا في معاملاتهم القوانين الوضعية بدون نظر إلى ما نقله أئمة الدين من القواعد والأحكام، وفي ذلك من الجراءة على هجر قواعد الإسلام ما لا يخفى والجواب: أنه يجب على المسلمين أن يستمسكوا في جميع معاملاتهم بقواعد دينهم، ويصرفوا أنظارهم عن القوانين الوضعية التي قد تضربهم أكثر مما تنفعهم. أما حكم بيع الثمار قبل أن يظهر صلاحها أو قبل (طرحها) فإليك بيانه:

اتفق أئمة المذاهب على أنه لا يصح بيع الثمار قبل أن تبرز ويظهر صلاحها، وظهور الصلاح يكون بأمر قد فصلها علماء المذاهب. منها اللون وهو علامة لصلاح البلح والعناب، ومنها الطعم كحلاوة القصب وحموضة الرمان، ومنها النضج ويظهر في البطيخ والتين فمتى نضج فإنه يظهر صلاحه، ومنها الاشتداد كالقمح والشعير، فمتى قوى حبه واشتد فقد ظهر صلاحه. ومنها الطول والامتلاء كالملوخية والفصولياء واللوبياء. ومنها انشقاق الغلاف كالقطن والجوز. فهذه الأوصاف علامة لظهور الصلاح عند الشافعية. وقد وافقهم المالكية في كثير منها فقالوا: إن ظهور صلاح البلح والعناب باصفراره أو احمراره، ويلحق به القاوون والحرش والعجور (العبد اللاوى)





نرى أرباب الأملاك يبيعون ثمار حدائقهم ونخيلهم قبل بروزها ولا يبالون بأحكام شريعتهم مع أنها مطابقة للعقل وموافقة للمصلحة من جميع جهاتها، إذ من الواضح الجلي أن الشجر قد لا يثمر أو قد تتسلط عليه آفة تعدم ثمره قبل أن يشتد وفي ذلك من الضرر على المشتري ما لا يخفى. أما المالك فإنه مكلف عقلا وشرعا بأن يبيع سلعة ينتفع بها المشتري، فليس من قواعد التعامل بين الناس أن يبيع المالك شيئا معدوما أو يبيع شيئا محتمل الوجود والعدم. ولا يقال إن البائع لم يجبر المشتري على الشراء فهو الذى قذف بنفسه فى هذا المضيق، لأننا نقول: إن الشريعة الإسلامية فرضت على البائع أن يتعفف عن التغرير والإجحاف، فإذا وجد شخص مجازف يريد أن يشتري منه ما لا يحل له بيعه فإنه يحب عليه ألا يوافق على هذا، وبذلك تتوثق صلات المودة بين الناس، وتزيد وسائل الثقة بينهم.

(٣) أما حكم الانتفاع بالمرهون فينبغى أن يكون محل عناية ونظر دقيقين. وذلك لأن علاقته بالربا ظاهرة، فإن الذى يقرض شخصا مقدارا من النقدين بفائدة كالذى يرهن عقارا أو نحوه فى نظير مبلغ ثم ينتفع بهذا العقار، لأن الانتفاع بالعقار هو الفائدة التى يأخذها رب المال على قرض المال. ولهذا منع الشافعية الانتفاع بالمرهون بتاتا، فليس للراهن أن ينتفع عندهم بالمرهون على أى وجه. وفائدة الرهن فى هذه الحالة هى توثيق الدين وضمانه بحيث إذا لم يؤد الرهن فى الموعد المحدد فإنه يجبر على سداذه. أما بعض الأئمة فإنهم رأوا أن الانتفاع بالرهن يمكن أن يفارق الفوائد الربوية، فيصبح الانتفاع بالمرهون متى أمكن أن يفارق عقد الربا، وذلك بأن يرهن له العين ويأذن له فى الانتفاع بها بشرط أن لا يذكر ذلك فى عقد الرهن.

والدميرى (الشهد)، وبعضهم يقول: إن هذه الأنواع لا يلزم فيها الاصفرار بالفعل بل يكفى أن تقرب من الاصفرار، والأمر فى ذلك سهل، أما البطيخ فظهور صلاحه يكون بتلون لبه بالأحمرار أو الاصفرار، وعلى هذا فلا يصح بيع البطيخ الذى لونه أبيض إلا إذا كان ذلك اللون طبيعيا له فلا ينافى حلاوته. وبالجمله فظهور صلاح الفاكهة عند المالكية مداره على إمكان الانتفاع بها، ولو بعد قطعها بزمن كاللوز فإنه يصح بيعه وهو أخضر لم يستو لأنه يمكن وضعه فى تبن أو نخالة أو نحو ذلك فيستوى، وما ذكره من تفاصيل العلامات الدالة على ظهور الصلاح فإنما يقصدون منها ذلك. مثلا القمح والحبوب فإنهم يقولون: إن ظهور صلاحه بيبسه وانقطاع سقيه بالماء بحيث لو سقى بالماء لا ينتفع به، وهذا معنى إمكان الانتفاع به لأنه فى هذه الحالة يكون (فريكا) إذا كان قمحا، ويكون حبا ينتفع به إذا كان غير قمح. أما الحنفية فإنهم يقولون: إن ظهور صلاح الثمرة هو أن يؤمن عليها من العاهات والفساد، فمتى اجتازت الثمرة الأدوار التى تكون فيها عرضة للفساد بسبب الآفات الجوية وغيرها فقد ظهر صلاحها وصح بيعها منفردة عن غيرها، أما إذا لم يظهر صلاحها بهذه الحالة فإنه لا يصح بيعها منفردة مطلقا. والحنابلة يقولون: ظهور الصلاح فى الثمر هو أن ينضج ويطيب أكله، وفى الحب هو أن يشتد أو يبيض، وإذا اشترى ثمرة لم يتوفر فيها هذان الشرطان فإنه لا يصح شراؤها إلا إذا اشترط قطعها فى الحال.

ومن هذا تعلم أن أئمة المذاهب قد أجمعوا على أنه لا يصح بيع الثمار والفواكه قبل أن تبرز على أشجارها ويظهر صلاحها بحيث يمكن الانتفاع بها. ومن الأسف أن هذا الحكم مهممل تمام الإهمال فإننا





ومتى أذنه بالانتفاع فإنه لا يصح له الرجوع بعد ذلك . وهذا هو رأى أكثر الحنفية، وقالوا: إن لذلك نظيرا، وهو ما إذا اقترض من شخص قرضا ثم أهدى له هدية، فإنها إذا لم تكن مشروطة فى العقد كانت جائزة. أما إذا اشترطها فى العقد فإنها تكون مكروهة فقط. وأظن أن فى هذا رأى سعة، لأن الناس يصعب عليهم أن يتركوا أموالهم بدون استثمار خصوصا فى هذا الزمن الذى غلبت فيه المادة، وقد تقف مصلحة الشخص المالية إذا لم يرهن جزءا من ملكه يسد به حاجته الضرورية. فرأى جمهور الحنفية فى ذلك مناسب لهذا الزمان بدون نزاع. أما المالكية فإنهم أجازوا الانتفاع بثمره المرهون ونتاجه بثلاثة شروط:

(٤) أما كون الرهن جائزا فذلك مما لا خلاف فيه، فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع. فقد عرفت فى الحديث الثانى أن النبى ﷺ قد رهن درعه عند اليهودى. ومما لا ريب فيه أن رسول الله ﷺ كان قادرا على الحصول على كل ما يمكنه من زخارف الحياة الدنيا وزينتها، وكان قادرا أن يختص بكل ما فيه مظاهر الملك وأبهة السلطان، ولكنه رسول الله حقا، فقد عرف الدنيا حق معرفتها، وقدر ما يترتب على شهواتها وملذذاتها حق قدره، فرفض من نعيمها الزائل وشهواتها المغرية ما لا فائدة فيه للمجتمع الإنسانى. ولهذا كانت تأتية الأموال أكواما فيوزعها على مستحقيها بدون أن يأخذ منها كثيرا أو قليلا. ولقد روت زوجة السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنهم كانوا يمشون الشهر والشهرين بدون أن يوقدوا فى بيتهم نارا، وكانوا يعيشون على الماء والتمر، فلا عجب أن يرهن رسول الله ﷺ درعه عند اليهودى لغرضين: أحدهما أنه ﷺ قد انصرف عن مظاهر هذه الحياة الدنيا وزخارفها مع أنه هو الذى كانت تهتز لذكركه عروش القياصرة، وكانت تجبى إليه الأموال أكداسا مكدسة. ثانيهما للإشارة إلى ما عليه الدين الإسلامى من سماحة وتساهل مع أهل ذمته من الكتابيين، فإنه لا يفرق فى المعاملة بينهم وبين غيرهم حتى فى الأمور الشخصية التى يصح أن تكون مقصورة على المقربين من المسلمين، ولكنه ﷺ أراد أن يكون قدوة للناس فى قوله وفعله. فعليه الصلاة وعليه السلام.

(أحدها) أن يكون الدين بسبب البيع لا بسبب القرض. مثال ذلك أن يبيع شخص لآخر دارا أو أرضا زراعية أو عروض تجارة أو نحو ذلك بضمن مؤجل فيرهن له فى نظير ذلك الدين عينا لها فائدة فإن لصاحب الدين وهو المرتهن فى هذه الحالة أن ينتفع بفائدة هذه العين المرهونة. (ثانيها) أن يشترط المرتهن (صاحب الدين) أن تكون منفعة العين المرهونة له، فإن تطوع له بها الراهن فإنه لا يصح. (ثالثها) أن تكون مدة المنفعة التى يشترطها معينة، وغرض المالكية من ذلك إنما هو الفرار من الربا، وذلك لأنه إذا أقرضه مائة جنيه مثلا، وrehن له بها فدانان وانتفع بغلته، كان ذلك فائدة ربوية لأن الفائدة فى هذه الحالة تكون فى نظير القرض. أما إذا باع له فدانان بمائة جنيه مؤجلة فقد أصبحت المائة جنيه دين بيع لا قرضا. فإذا رهن منه دارا فى نظير ذلك الدين وانتفع به فإنه يكون جائزا لأن المنفعة ليست مقابلة للقرض، وإنما هى مقابلة لدين البيع. وقد وافق الحنابلة المالكية على هذا الحكم، فقالوا: إن كان سبب دين الرهن



هوامش

على كلمة الدكتور أسامة الباز

لفضيلة الشيخ / الطاهر الخامري

٢

تروى كتب التاريخ قضاءً قضى به عمر بن الخطاب وعقوبة أنزلها بمن ارتكب جرماً؛ هذا القضاء تاج شرف وفخار على رأس القضية جميعاً، بل هو تاج شرف للإنسانية، بل إن الإنسانية لن تفتخر على الحيوان - إن صح هذا التعبير - إلا بأمثال هذه المعاني الفاضلة التي غرسها عمر وأسسها في قضاؤه النبيل.

قضى عمر بن الخطاب بالتعزير على رجل أخذ يحد شفرته بعد أن أضجع شاته ليذبحها.

وقضى عمر عليه بالتعزير لأنه كان حرياً به أن يتحلى بالرحمة في معاملة الحيوان فلا يحد الشفرة أمامها فإن في ذلك إيلاء للحيوان.

ونحن نعلم أن المستغربين الكارهين لقيم الإسلام ومثله يضيقون بأن تكون شواهد مثلنا وحياتنا من صدر الإسلام، ويتهمونا بأننا منغلَقون جامدون، حصرنا التاريخ في فترة محدودة ونرفض التطور، نقول لهم: هل قدمتم مثلاً يحتذى لم نحاول الأخذ به؟ فلماذا ما دمتم لم تقدموا الأفضل والأمثل - ولا حتى المقارب - تعيينون علينا أن نتعلق بالأفضل والأمثل؟.

نحن نعلم أنكم تضيقون بفترة الصدر الأول للإسلام لا لأنها قديمة، ولكن لأنها مسلمة محمدية، أما لو كانت يونانية أو سكسونية أو رومانية



لهللتم لها، أما وأنها مسلمة فتلك داهية ومصيبة لا تحتمل. إن عمر بن الخطاب عزز الرجل لأنه كان ينبغي عليه أن يحد شفرته بعيدا عن الشاة المهيئة للذبح، أما وأنه أضجعها للذبح وأمام عينيها أخذ يحد شفرته، فإنه عذبها بما فعل، ففي قانون عمر هو رجل قاس يستحق العقوبة ويستأهل التعزير لأن نبينا ﷺ قال: «إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة»^(١) وقال العلماء الفقهاء في دين عمر: إن إحسان الذبحة أن يحد الذابح الشفرة فلا يذبح بشفرة غير حادة. وقالوا أيضا: إن إحسان الذبحة أن يعرض على الشاة الماء. وقالوا: إن إحسان الذبحة ألا يذبح شاة أمام أخرى معدة للذبح. هذا ليس كلاما نعرضه في مجال الجدل أو للاستهلاك أو للذرائع نبرر به تدخلا سافرا أو فاجرا في شئون أمة إنما هو الواقع في حياة وثقافة أبناء أمتي.

قال صاحبي - وكأنه يريد أن ينبهني إلى الالتزام بالواقع وعدم الإفراط في ادعاء المثالية لي ولقومي: مهلا لا داعي للمبالغة والإفراط، فنحن في مجال البحث والعلم، فأين ما نحن فيه من واقع أمتك وثقافتها؟

ثم أردف مجاملا، ملاطفا: أرجوك لا تغضب مني، فأنا عهدتك تحب صراحتي ونقاشي وترفض المجاملة على حساب الحقيقة.

قلت شاكرا لصاحبي ثقته في: أسأل الله أن أكون عند حسن ظنك، ثم أردفت: ليس فيما قلته لك مثالية خيالية أو ادعاء يخالف الواقع، إنما هو الواقع بعينه بلا تزيد أو خيال، فتلك ثقافة أصيلة درجنا عليها منذ نعومة أظفارنا، ففي السنة الأولى من المرحلة الابتدائية بالأزهر كانت تدرس هذه المسائل في كتب الفقه في باب «الذكاة» ومعناها الذبح، وليست «الزكاة» زكاة المال فإن هذه بالزاي والأخرى بالذال ففي هذا الباب عرفنا شروط الذبح وآدابه وكيفيته ونحن في المرحلة الابتدائية، فهل اعتبر إذا تحدثت الآن عن إحسان الذبح ما هو وكيف يكون تظن أنني متزيد مجادل أتكلم للاستهلاك.

إنها ثقافة أصيلة نتعلمها منذ نعومة أظفارنا في معهدنا العريق الأزهر الشريف، قد تقول: إن واقع المسلمين الآن يوحى بعكس هذه الشقافة

(١) مسلم، كتاب الصيد ١٥٤٨/٣، رقم ٥٧.



الأصيلة وبعبكس التعلالم النبيلة ! أقول لك : صدقت ففما تقول؁
فالمسلمون تركوا تعلالم دفنهم والتمسوا المدنية فى ثقافات وحضارات
وافدة غير أصيلة . قال صاحبى : أراك تكاد تخرج عن الموضوع؁ وأحرى بنا
أن نعود إلى ما نحن بصدده مما ورد فى مقال الدكتور البار .

قلت مرحبا : لا بأس فلنرجع إلى مقال الدكتور البار نتبع نقاطه التى
ذكرها وقد كنا تناولنا فى المقال السابق الادعاء الأول بأن الإسلام دين يقوم
على التعصب؁ ولنعد إلى باقى الادعاءات ونناول بعضها اليوم على قدر ما
يتاح؁ نسأل الله التوفيق والعون؁ وكما يقول المثل العربى : « ما أشبه الليلة
بالبارحة » .

فقد كان أسلافهم ممن كفروا بالتنزفلى على سفدنا محمد ﷺ يبررون
إنكارهم للرسالة بأنهم لم يشاهدوا ما نزل على رسول الله ﷺ حفن نزوله
فحكى الله عنهم هذا الضلال المبفن وهذه العلة السخيفة فقال :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُتُبٍ فِي قُرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢)

وقالوا فى عناد أشد سُخفا من سابقه : إن الذى يتلقى عن الله وفسلف عنه
لا ففقل أن ففكون بشرا بل لابد أن ففكون ملكا . ففدحض الله هذا القول
الواهى فى استفهام إنكارى بلفف : لو أنزل الله ملكا هل ترونه ؟ .

بل لابد أن ففعله الله فى صورة رجل حتى فمكنكم مشاهدته والأخذ
عنه؁ فكفف فمكنكم أن تعرفوا أنه ملك فى صورة رجل أو أنه إنسان
أصلا ؟ يقول الله :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْبَسُونَ ﴾ (٣)

(٢) الأنعام (٩)

(٣) الأنعام (٧)





والشبه التي نتناولها اليوم من الثانية حتى السابعة نذكرها حتى يكون القارئ الكريم متبعاً لما نتناوله :

ثانياً : أن الإسلام يحول دون انتهاج سبيل التحديث والتطوير ، بسبب جموده وتركيزه على التراث مما يربط المسلمين بالماضى ويصرفهم عن التطلع إلى المستقبل بدليل أن بعض المسلمين ينادون بالعودة إلى القواعد والأحكام والأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة فى صدر الإسلام دون أن تتوفر لديهم أى رغبة فى تطوير أسلوب حياتهم والاستفادة بما يحققه المجتمع الإنسانى من تقدم وتحديث « حداثة modernism » ، ودون الالتفات إلى الظروف المتغيرة والواقع المتغير المتطور .

ثالثاً : أن الإسلام يقوم على تداخل الدين بالدولة ، وهو ما يؤدى إلى التمسك بمفاهيم جامدة للسلطات وكيفية الفصل بينها ، ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب ، على أساس أنها يجب أن تكون لله وحده ، بعكس الغرب وكثير من مناطق العالم الأخرى التي نحت نحوه ، فقد تخلص هذا وأولئك من الخلط والتداخل بين الدين والدولة وحرصت دساتيرهم على النص فى موادها الأولى على مبدأ الفصل بين الدين والدولة .

ويقول بعض الشراح فى الغرب : إن الحكماء المسلمين يستطيعون استخدام هذا الخلط بين الدين والدولة للزعم بأنهم يستمدون السلطة والصلاحيات من الله - تعالى - لا من الشعب ، وبذلك يتخلصون من مسؤولياتهم أمام الشعب وممثليه .

رابعاً : أن الإسلام يركز على الجنس وينظر للمرأة نظرة متدنية بدائية ، ولا يضعها مع الرجل على قدم المساواة ، بل يعاملها كما لو كانت فى نصف مرتبة الرجل ، وهو ما يتبدى من أحكام الإسلام المتعلقة ، بالميراث أو الشهادة :

﴿لِّلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٤) .

رجلان أو رجل وامرأتان - هكذا فى الأصل .

(٤) النساء (١١)





ويفرض عليها أن ترتدى الحجاب وتقع بيبتها، وتعيش تحت رحمة الرجل، الذى يستطيع بإرادته المطلقة أن يتزوج بأكثر من واحدة أو يطلق أيا من زوجاته بإرادته المطلقة.

خامساً: أن الإسلام لا يعرف المواطنة، ولا يعترف بالمساواة بين أبناء المجتمع الواحد فى الحقوق والواجبات، لأن الفرد ينتسب إلى الأمة الإسلامية، وليس لدولة بمعناها العصرى الذى استقر عليه العرف الدولى منذ قرون.

سادساً: أن الإسلام دين يركز على الوعيد والتهديد والزجر، ويتسم بالقسوة فى التعامل مع جسم الإنسان، ومن أمثلة هذا: قسوة الحدود التى نصت عليها الشريعة الإسلامية:

● القتل.

● والصلب.

● والرجم.

● قطع اليد.

● قطع الأيدى والأرجل من خلاف.

سابعاً: أن الإسلام دين لا يعترف بحقوق الإنسان فلم يرد بشأنها نص فى القرآن أو السنة الشريفة

ثم قلت لصاحبى أحب أن نتفق على نقاط محددة حتى تكون مناقشتنا مجدية.

أولاً: هل تعتقد أن الغرب يحب شعوب الدول الفقيرة أو ما يسميه العالم النامى، والشعوب العربية والإسلامية بالذات ويرجو لها الخير؟

قال: لا.

ثانياً: أليس هؤلاء المنكرين الطاعنين على الإسلام هم سلالة المستشرقين «جولد تسيهر» وإخوانه من الحاقدين على الإسلام؟

قال: بلى.

ثالثاً: أليس هؤلاء الطاعنون هم أبناء الدول التي استعمرت بلاد الشرق ودحا من الزمن ولم تترك بلادنا إلا بعد أن نهبت خيراتها وبعد نضال طويل وكفاح مرير كلفنا الأموال والأنفس، ونحمد الله أن هذا الكفاح تم قبل زمن العولة البغيض الذي سمي فيه الكفاح إرهاباً.

رابعاً: أرجو أن تسأل علماء الأخلاق والدراسات الإنسانية: هل القيم الإنسانية تتغير تبعاً للظروف أم أن ثمة قيماً علياً غير قابلة للتغيير أو التبديل أو التلون تبعاً للظروف أو المصالح؟.

مثلاً: الصدق، والعدل، والوفاء، قيم علياً ثابتة أم عملات كاسدة تتأرجح في زمن العولة صعوداً وهبوطاً تبعاً للسوق والمصالح؟

واسمح لي أن أقول لك لماذا نحن مجبرون على أن نجاري هؤلاء السفلة عندما يقولون حداثة وديمقراطية ومسميات أخرى ملعونة، لماذا نلون أهدافنا حتى يرضوا عنا؟ لماذا نكون نحن حداثيون وديمقراطيون؟ ومعدرة في كلمة «السفلة»، لأنني لا أجد ما يناسب أفعالهم إلا هذا؛ لأنهم لا يعتقدون أن شعوبنا تستأهل الحرية والكرامة، ولذلك قال «نهر» في رسائله لابنته «انديرا» وهو مسجون في عصر أسلاف «توني بليز»: «إن الغرب يعتقد أن الحرية والديمقراطية فراء ثمين لا يناسب أبناء المناطق الحارة» فهل تجد يا صديقي كلمة تناسب طباع هؤلاء الناس إلا ما قلته لك؟ على أي حال لماذا يتهاجمون على الإسلام ويزعمون أنه يصنف الناس والبلاد إلى: ديار حرب وديار إسلام؟ وبماذا يسمون إذن ما يفعله «بوش» إمبراطور رعاة البقر عندما يصنف العالم والدول إلى دول يسميها محور الشر ودول حليفة وأخرى عدوة؟ وتحت أي بند يكون هذا التصنيف: دول تساعد الإرهاب وأخرى تؤي الإرهاب ومن لم يحارب الإرهاب فهو ضدهم؟ عندما كنا نكتوي بنار الإرهاب المصنوع في بلادهم وحذر رئيسنا من الإرهاب لم يلتفتوا فلم يكن الأمر يعنيهم في شيء، أما وأن النيران لحقت ثيابهم فباتوا يصرخون يركضون في كل اتجاه.

بالله عليك، من قال: إن الإسلام يحول دون انتهاج سبل التحديث والتطوير؟ إنه زعم باطل، إننا نؤمن أن هناك ثوابت في القيم الأخلاقية لا

تغيير، إنما عندهم العدل يتغير ويتلون، وما كان جائزا ومباحا في حرب الاستقلال الأمريكية ضد البريطانيين المغتصبين أصبح غير جائز ومفروض إذا قام به الفلسطينيون ضد المغتصبين اليهود! أى عدالة هذه وأى أخلاق؟!

أما عن التحديث والحداثة فى مجال التكنولوجيا، فنحن لا نرفضه واعترف فعلا أننا متخلفون عنهم، لكن ليس كله بفعل أيدينا؛ لأن أحد أسبابه النهب الاستعماري البشع لمقدرات بلادنا وثرواتنا بفعل أوروبا وأمريكا.

أما عن «ثالثا»: وهو تدخل الدين بالدولة ورفض نسبة السلطة أو السيادة للشعب.

وأیضا «خامسا»: أن الإسلام لا يعرف المواطنة ولا يعترف بالمساواة بين أبناء الوطن الواحد، ونرجىء رابعا لنتناولها مع سابعا.

قال صاحبى: مهلا، الحق أن هذه المآخذ فى حاجة إلى توضيح وإبانة؛ ليس دفاعا عن الإسلام فقط، لكنها فى حاجة إلى توضيح لأبناء الأمة الإسلامية، حيث إن ما ورد يكاد يكون واقعا إسلاميا نعيشه فعلا.

قلت لصاحبى: إن الأمر فى رأى قبل أن يكون فى حاجة إلى ردود ومناقشات هو فى حاجة إلى علاج الشخصية العربية المسلمة؛ لأن الشخصية العربية المسلمة أصابها خور وضعف، وإحساس بالدونية، وذلك جد خطير.

أولا: إن الغطرسة الأمريكية تبغى أن تشكل العالم كله وفق هواها وتبعا لمصالحها وهذا ليس خافيا على أحد مسلمين وغير مسلمين وهى تمقت أى حضارة وأى نموذج إنسانى وكرهها للحضارة الإسلامية والنموذج الإسلامى أشد.

فهى تكره أى عادة أو تصرف إسلامى، لكنها تقبل وتبارك عادات الآخرين، وإلا فبماذا تفسر رضاها ولو بالصمت عن عبادة البقر فى الهند، وأكل الكلاب فى كوريا، والسجود لبوذا فى جزء كبير من آسيا،



ومباركتها الطاقية اليهودية رمز التعصب والعدوان ومع هذا يصيبها الذعر لو أن امرأة ارتدت الحجاب الإسلامي .

وقولهم: إن الإسلام لا يعترف بالمساواة هرطقة عرفناها من المستشرقين، وإلا فبالله قل لي: هل كان العالم يعرف عن المساواة شيئاً قبل الإسلام؟ أليس المسلم هو الذى يتلو ويردد على أسماع العالم حوله لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؟
قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٥).

هذا النص المقدس يجعل كل دعوة للمساواة بعده عالة عليه، وإن قول المصطفى ﷺ «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .. كلكم لآدم وآدم من تراب» (٦) إن كل حديث عن المساواة يصبح لغوا لا معنى له إن لم يترسم خطى نبي الإنسانية محمد ﷺ .

إن ما تفعله الغطرسة الأمريكية يتنافى مع العدل والديمقراطية المزعومة إلا إذا كانت قيمة العدل قد تغيرت تبعا لقانون الحداثة، ومبادئ الديمقراطية أباحَت التدخل السافر فى شئون الغير، وإلا فهل من العدالة والديمقراطية أن يذيع راعى البقر على العالم كله فى غطرسة وصلف: أنه لا يرغب فى رئيس تم اختياره عن طريق شعبه؟! دعنى أقول لك: إن الغرب عندما يتعامل مع العالم الثالث لا يؤمن بمبادئ ولا بأخلاق ولا بعهود ولا بدين .

من الذى قال: إن الغربى مسيحى يؤمن بالله؟ إن الغرب الآن وأمريكا بالذات لا تعترف فى حياتها بالمسيح ولا بالإله، إن الكنائس موجودة فى أمريكا كتراث لبعض المهاجرين .

(٦) تاريخ بغداد للخطيب ٥٧/٧ .

(٥) الحجرات (١٣) .





أما عن المجتمع الأمريكى ككل فلا أظن أنه يؤمن بالله ولا بالمسيح لأن الله - سبحانه وتعالى - لا يقبل الخنا .

وعيسى ابن مريم ابن البتول الطاهرة لا يمكن أن يرضى أن تقوم جماعات باسم حقوق الإنسان تدافع عن الشذوذ الجنسى .

ولما أُلقت السلطات المصرية القبض مؤخراً على جماعات تمارس الشذوذ الجنسى قامت أكثر من خمسين منظمة تدافع عنهم بدعوى حقوق الإنسان فى الحرية .

ألم أقل لك : إن منظمات حقوق الإنسان وسيلة قدرة للتدخل فى شئون الآخرين .

وأخيراً أرجوكم أن تتأمل معى «رابعاً» و«سابعاً» فى المؤاخذات المزعومة وتأمل التناقض الوقح وهو ما يظهر واضحاً فى قولهم : إنه لم يرد بشأن حقوق الإنسان نص فى القرآن ولا فى السنة، فهل يؤمن الغرب بالقرآن والسنة؟ ولو أنا تلونا عليه القرآن كله، فهل يصدق به؟ أم أنها اللجاجة واللدد فى الخصومة، ولماذا ينكر الغرب القرآن فيما نص عليه سبحانه وتعالى فى البند رابعاً ﴿لَلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٧) وقوله تعالى فى الشهادة ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾^(٨)؟ أم أن هذه النصوص ليست من القرآن؟ إنها اللجاجة واللدد فى الخصومة والغطرسة، ولعل القارئ العربى يذكر قصة الذئب الحقيقير المستبد، والحمل الصغير الوديع ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٩) وأعتقد أن ما ذكرناه فى أول الحديث أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عزز رجلاً لأنه أخذ يحد شفرته بعد أن أضجع الشاة للذبح فهذا هو رفق الإسلام بالحيوان الذى لم يصلوا إليه رغم الدعايات والشعارات البراقة ولو أنهم طالعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأدركوا أن الدين الإسلامى هو دين حقوق الإنسان .

وإلى لقاء قادم إن شاء الله

(٩) الشعراء (٢٢٧).

(٨) البقرة (٢٨٢).

(٧) النساء (١١).



للأمة الإسلامية

بين مرحلتى الاستعمار والنفاق

للدكتور / عبد الحليم عويس

مع نهاية عصر الاحتلال العسكرى لبلاد الأمة الإسلامية ظن كثير من المسلمين أن المستقبل - فى البلاد الإسلامية على الأقل - للإسلام، وأن (الاستعمار الصليبي) الذى كان يجهل - زوراً - كلمة (استعمار) قد فقد القدرة على القيادة، وأن أهدافه فى تضليل الأمة عن طريقها الحضارى وعودتها لذاتها قد باءت بالفشل، وأن الأمة قد أصبحت مالكة لإرادتها قادرة على استلها عقيدها وتاريخها وتراثها وعبور المأزق الحضارى وصناعة مستقبل مشرق مثلما فعل اليابانيون واليهود، الذين لم يشغلوا أنفسهم بهدم عقائدهم وتمزيق صفوفهم بين متمسحين بالماضى وخائنين له، ومتمسكين بالدين ومخرفين له، ومصريين على اللغة ومفرضين فيها.. بل انطلقوا - من خلال معادلة حضارية سليمة - متمسكين بثوابتهم صانعين لمستقبلهم دون مهارات وتمزيقات وخيانات ومعميات!!

- وبينما الإسلام السمح الكريم العادل الرحيم المتوازن الحضارى الذى قدمه أسلافنا العظماء ونشروا من خلاله - بالفكر والخلق - كلمة الله الخاتمة، حتى أصبحت كلمة الإسلام هى العليا، وأصبحت حواضر الإسلام هى حضارة العلم والحضارة.

- هذا الإسلام - كذلك - بعيد وغير مطروح بالقوة المطلوبة والمطروح فقط هو إسلام المنحرفين المنهزمين.. إن يميناً وإن يساراً..!!

لكن - من بين الأم كلها - تقف أمتنا ذليلة منكسرة مبددة الطاقة مشتتة الرؤى، ممزقة الفكر والحركة، بين من يريدون (صناعة إسلام) ترضى عنه القوى المعادية للأدبانية أو اللاهوتية أو الصهيونية.. وبين من يريدون صناعة إسلام على مزاجهم يرضى ميولهم العدوانية والتحريفية والتطرفية والجمودية.

- بينما إسلام القرآن الكريم والسنة الشريفة بعيد عن هؤلاء وأولئك..



ما زالت تضيق العقود والسنوات الطوال، مرةً تحت ظلال المادية الاشتراكية، وأخرى تحت ظلال العلمانية الليبرالية.. وهى هنا وهناك تستحدث أوثاناً وأصناماً، وترفض - ولا ندرى لماذا - أن تعود إلى ربّها - سبحانه - ودينها الخاتم، وكتابها الأخير الخالد، وتستلهم ذلك كله فى صناعة حضارية لن تكون - بإذن الله - لو صّحت العزائم وظهر الرجال - أقل من حضارة اليهود واليابانيين فى الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية - أما فى الجوانب الأخلاقية والإنسانية والروحية فهى نسيج وحدها ولا يمكن أن تُقارن بغيرها.. فهى كلمة الله الخاتمة، ووحية الأخير وآخر كلماته السماوية إلى الأرض، وحجته الباقية!!



- إننا نملك تجربةً فى التاريخ سيطرت بالعدل والحب والرحمة - لأكثر من عشرة قرون.. فلماذا لا نعود إلى مفرداتها نتأملها ونسكبها فى إناء العصر الحديث.

- إننا بالعروبة المؤمنة الإنسانية - لا العنصرية - فتحنا العالم.. وأثبتنا - من خلال أفكارنا وسلوكياتنا أننا - بحق -

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(١)

- ونحن - بمنظومة الإسلام العصرية والحضارية - نجحنا فى مقاومة الاحتلال الصليبي - الذى كان يسعى لإبادة العرب والمسلمين، وقد عرف المسلمون حقيقته؛ إذ

وفى وسط هذه المحنة تقدّمت الوثنيات بديلاً عن دين التوحيد المطلق.. وظهرت الأصنام الفكرية والبشرية والمادية هنا وهناك تكاد تُعبد من دون الله، ويُضَفَى عليها من النعوت والألقاب ما لا يجوز أن يُضَفَى إلا على الله - سبحانه وتعالى - بل قد أصبح بعضهم يتحدث عن بعض القيادات البشرية وكأنه يتحدث عن معصوم فوق الأنبياء، بل أصبح بعضهم يُصرّح بأنه ينتمى إلى (أيديولوجية الشخص القائد) أو (أيديولوجية الحزب الرائد).. وقال شاعر منهم فى حزبه الذى يؤمن به شعراً لا يقال إلا فى الله (سبحانه وتعالى عما يشركون)!!

- وبدأت النعرات القومية تستعلى وتكاد هى الأخرى تُعبد من دون الله.. فهناك عبادة للأشخاص، وهناك عبادة للأحزاب، وهناك عبادة للأقوام، وهناك عبادة للتراب والإقليميات.. بل وهناك من يعبد نفسه ومصلحته المحدودة، فتراه اليوم مع الشيوعيين، فإذا ذهبوا إلى الجحيم ونفاية التاريخ لا يستحي أن ينقلب - فوراً - إلى العلمانيين الليبراليين.. ويلبس ثوب (التنوير) و(التحرير) الذى كان يلبسه قبل ذلك باسم (التقدمية) و(الحتمية التاريخية) الماركسية!!



والمهم أن الأمة الإسلامية، التى يجرّها بعض المنافقين - بإصرار - وإلحاح - بعيداً عن الإسلام،

(١) آل عمران (١١٠).



كله يعدّ المرأة المسلمة السافرة متعاونة مع الاستعمار الفرنسيّ متأثرة بغزوه الأخلاقيّ الإباحيّ.

- ومع ذلك فعندما خرج هذا الاستعمار عسكرياً - خلفه بعض العسكريين الذين فرضوا السفور بقوة القانون (الفرنسيّ) وحرّموا المحجبة من التعليم والوظائف - بطريقة إرهابية عنيفة - لا توجد - ولا يسمح لها أن توجد - في فرنسا نفسها!!

- ولم تستطع فرنسا - كنموذج آخر - أن تقهر الكتابيّ والمساجد والجامعات الإسلامية، بل بقيت هذه المنارات الإسلامية مشاعل تحفظ الإسلام عقيدة وحضارة.

- فلما خرج الاستعمارُ حُورِبَ الكتابيّ في بعض هذه البلاد حتى أصبحت شبه محظورة، ومُنِع المصلّون من تولي الوظائف، ووضعوا في قوائم المشبوهين، وصفّيت بطريقة هادئة بعض الجامعات الإسلامية العالمية لدرجة أن جامعة كبرى إسلامية في إفريقيا العربية المسلمة يُفرض فيها السفور فرضاً، وقد تقلص عددها إلى نسبة واحد على ثلاثين من عددها أيام الاستعمار الفرنسي، وحتى مسجد الجامعة الإسلامية العريقة قد اختفى (!!) وأصبحت (جامعة إسلامية) من غير مسجد (!!).



وما حدث - ويحدث في بعض بلاد إفريقيا المسلمة - يحدث مثله في بعض البلاد الإسلامية الأخرى.. لدرجة أن الناس

رأوه يُدَمَّر مؤسساتهم الإسلامية بل ومساجدهم، ومدارسهم، ويحارب دينهم ولغة قرآنهم ورموز الإسلام من الدعاة والمفكرين، ويفرض عليهم التخلف والجهل والفقر، ومع ذلك يرمى دينهم بالجمود والتخلف، ويستأجر بعض المنافقين الخونة ممن يحملون أسماء إسلامية ليتعاونوا معه على ذلك، بل ليقولوا مالا يستطيع الاستعمار أن يقوله، ويفعلوا مالا يستطيع أن يفعله، وذلك لوضوح انتمائته وعقيدته وأطماعه!!

- ومع ذلك كله، فمع بداية النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري) كان المسلمون قد بذلوا الغالي من الأنفس والأموال وأخرجوا الاستعمار الصليبي البريطاني والفرنسي والإيطالي والأسباني والبرتغالي!!..



- لكن الشيء الغريب الذي يستحق الدراسة المحايدة العميقة، أن هذا الاستعمار الصليبي الذي اضطره المجاهدون المدافعون عن دينهم وعن أوطانهم الإسلامية - أن يحمل عصاه ويرحل، كان أذكى وأعمق كثيراً من هؤلاء الذين قَاوموه.. بل إنه نجح في أن يحقق أهدافه العليا ومقاصده الحضارية بعد خروجه، أكثر مما كان قادراً على تحقيقها أثناء هيمنته على البلاد الإسلامية.. ففي بعض البلاد الإفريقية العربية الإسلامية - مثلاً - عجز الاستعمار الفرنسي عن فرض السفور على النساء المسلمات، وكان الشعب المسلم



نساعده على تحقيق أهدافه العليا ومقاصده الحضارية!!



- وأخيراً....

- إنَّ الظلم ظلم.. داخلياً كان أو خارجياً.. بل إنَّ الشاعر يجعل ظلم ذوى القربى أشدَّ إيلاًماً على النفوس.. وهو محق في ذلك، لأنَّ ظلم العدوِّ الخارجى واستعلاءه وقهره أمور متوقعة، ولا سيما إذا كان العدوُّ بعيداً عن هدى السماء والقيم السامية.

- أمَّا ظلم (الأهل) وشركاء الحضارة والوطن والدين والحاضر والمستقبل.. فهو الأمر الذى يُدْمى النفس، ويحار فى تبريره العاقل الأريب، وبخاصة وأنَّ (السفينة) - فى نهاية الشوط - واحدة، وأنَّ غرقَها سيقتل الجميع، ويهوى بهم إلى القاع...!!

- وتجربة أعدائنا معنا فى النصف الثانى من القرن العشرين - بعد الاستقلال السياسى - أكبر الأدلة على هذا الانحدار العام.. (!!) الذى نراه ونعيش أيامه الكوالح، ونتجرع فى كل يوم كؤوس الهوان، ولا يُسمح لنا حتى بإظهار الأنين، ورفع مظالمنا إلى ديوان الظالمين.

حائرون.. وبعضهم أصبح يتساءل عن جدوى خروج الاستعمار، بل بعضهم - وهذا خطأ كبير بالطبع - يفضل أيام الاستعمار، وبعضهم - ربما لأول مرة - أدرك المعنى العميق الذى جعل الله فيه المنافقين أكثر خطراً على الإيمان من الكافرين، وشرّاً منهم عندما قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ (٢).



- إنَّ (عصر النفاق) - فى بعض البلاد الإسلامية - حافظ بضرارة، ربما أكثر من رجال الاستعمار الذين كانوا يخجلون بعض الشيء - على النظر إلى الإسلام على أنه (العدوِّ الأول).. وأصبحت هذه استراتيجية ثابتة، ومهما بذل المسلمون المخلصون من توسلاتهم ووساطاتهم وتنازلاتهم من أجل تغييرها، فقد باءوا بالفشل - حتى اليوم...!!

- والسؤال هنا: ما الفرق - إذن - بين عهد الاستعمار، وعهد الاستقلال؟

- وإذا كنا سنضحى بديننا ولغتنا وحضارتنا الإسلامية، فلحساب من إذن دفع آباؤنا أرواحهم وأموالهم ثمناً للاستقلال؟

- بل لماذا أخرجنا الاستعمار إذن مادام مفروضاً علينا أن نمشى فى دروبه، وأن



لماذا كان القصاص عقاراً وليس جنائياً

للمستاذ الدكتور / عبد الحليم عفتي

القصاص ما هو؟

القصاص في التشريع الإسلامي: أن يأخذ المعتدي عليه حقه من المعتدي مماثلًا للعدوان الذي وقع عليه، سواء أكان العدوان على النفس أم على الأطراف، فإذا وقع الاعتداء على عضو كاليد أو الرجل أو الإصبع فالمعتدي عليه من حقه القصاص بأن ينال من المعتدي مثل ما وقع عليه هو من اعتداء إلا إذا عفا أو قبل الدية التي هي تعويض مادي محدد للنفس، ولكل عضو من أعضاء الجسم، والأصل أن القصاص حق للقتيل ولكن موته ينقل حق القصاص إلى ورثته.

فالقاعدة العامة في التشريع الإسلامي أن الاعتداء المتعمد جزاؤه القصاص بالمثل.

القصاص حق مدني

والحق المدني هو الذي يملك المجنى عليه العفو فيه عن الجاني لأنه حقه هو، والحق الجنائي هو الذي لا يملك المجنى عليه فيه العفو لأنه حق الله كما في التعبير الإسلامي وهو حق المجتمع كما في تعبير القانون الوضعي، وهو تعبير ليس خاطئاً.

وما قد يبدو غريباً مثيراً للتساؤل: كيف

وعلى الحاكم أو من ينوب عنه كالقضاء أن يعمل على تحقيق أمرين: أحدهما أن يتحرى بكل الوسائل المشروعة ثبوت الحق للمعتدي عليه، والآخر أن يضع سلطته في خدمة المعتدي عليه حتى يأخذ حقه، سواء بالعفو بعد المقدرة، أو أخذ الدية، أو تنفيذ القصاص، وفي القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ (١)

وأيضاً:

﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ

فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالْيَدَ بِالْيَدِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ نَصَّدَكَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ (٢).

إلى العدوان على مال الغير والرغبة في تملكه، وفي كل حال فإن مزاولة السرقة تنبع إما من نزعة شر أو من عادة تتحول إلى نزعة شر، وكذلك في سائر جرائم الحدود كالزنا وشرب الخمر والقذف، فبعضها ينبع من نزعة شر في طبيعة الشخص، وبعضها ينبع من تعود يشبه الإدمان، فيدفع صاحبه إلى مزاولة هذه الجريمة دفعا، ومن هنا يكون الخطر على أمن المجتمع، فحتى شرب الخمر الذى يبدو وكأنه سلوك شخصى لا يرتبط بالغير، هو فى الحقيقة تهديد لأمن المجتمع، لأن السكران لا يؤمن خطره على المحيطين به، وهكذا فى كل جرائم الحدود، يكون المجتمع فيها مجنبا عليه بطريق غير مباشر، لأن الجانى يكون مهيا ومستعدا لتكرار الجريمة، أما فى حالة القتل فليس من المألوف أن نجد شخصا لديه نزعة القتل لذات القتل، لأن القتل لا يحدث عادة إلا بصفته رد فعل، حيث يكون انتقاما من القتل وليس نابعا من نزعة شر.

ويمكن تلخيص هذه الحكمة أو أبرزها فيما يلى:

١- القتل لا ينبع عادة من نزعة شر، وإنما من دافع انتقام، بينما جرائم الحدود تنبع فى أغلب الأحيان من نزعة شر، أو تتحول مزاولتها إلى نزعة شر.

٢- الرغبة فى الانتقام نزعة بشرية عامة، فحينما يقتل شخص سيكون وراءه من يهدف إلى الانتقام، وكثير من المجتمعات فى أنحاء

يحكم الإسلام بأن القتل أكبر جريمة بعد الكفر ثم يجعل عقوبته حقا مدنيا يجوز العفو عن الجانى فيها، بينما يجعل جرائم أقل منه بكثير كالسرقة وشرب الخمر حقا جنائيا لا يجوز العفو فيها عن الجانى حين تثبت؟

والجواب أننا لو ألقينا نظرة تأمل على الموازنة بين الدافع إلى الجريمة فى حالة القتل والدافع إلى جرائم الحدود لسطعت لنا الحكمة فى جعل القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا، فإن الدافع إلى القتل عادة هو نعمة القاتل على المقتول وغيظه منه لسبب صدر من القتل أو حتى توهم القاتل صدوره منه، فالدافع إلى القتل أصلا هو الرغبة فى الانتقام، وليس نابعا من نزعة شر، فهو إذن سبب شخصى بين القاتل والقتيل وليس من نزعة شر يحملها القاتل بحيث يوجهها إلى غير القتل، فيقتل كل من يستطيع قتله، فإذا كان القتل بدافع من نزعة شر كالقتل فى حالة قطع الطريق أو للوصول إلى السرقة والنهب خرج حينئذ من باب القصاص إلى باب الحدود ليدخل فى حد الإفساد فى الأرض فلا يملك المجنى عليه العفو عن الجانى.

أما جرائم الحدود فيغلب عليها طابع نزعة الشر، أو الصدور عن نزعة شر، فكل جرائم الحدود فيها تهديد لأمن المجتمع على النفس أو المال أو العرض، فالسرقة مثلا قد تبدأ من الشعور بالحاجة، وقد تبدأ من نزعة أصيلة



فبدل أن تكون حالة القتل واحدة تصبح حالتين، هما القتل والقاتل، والحكمة فى القصاص أنه شرع لمنع إراقة الدماء، كقوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

ولكن كونه حقا للعباد يتيح فرصة فى كثير من الأحيان للعفو عن القاتل أو قبول الدية، فتنقذ حياة القاتل نفسه مع حسم المشكلة اجتماعيا، لأن العفو لا بد أن يصدر من أولياء الدم الذين لهم حق المطالبة بالقصاص، ويبقى عقاب القاتل عند الله.

وإذا كان أعداء الإسلام فى العالم ينشرون أن الإسلام هو دين إراقة الدماء ويتخذون من تشريع القصاص دليلا على ذلك، فلا أدري هل يجهلون أم يتجاهلون ما يسلكه التشريع الإسلامى من وسائل عديدة لإنقاذ حياة القاتل بعد ثبوت جريمة القتل عليه، وذلك فى إطار هدف معين هو المحافظة على أمن المجتمع وحسن الصلات بين أفراد، ومن هذه الوسائل دعوة أولياء الدم إلى العفو، حيث يجب على القاضى أن يعرض عليهم العفو ويرغبهم فيه بكل وسائل الترغيب، فإذا رفضوا عرض عليهم التعويض المادى وهو الدية، فإذا أصر أولياء الدم على الانتقام فإن القصاص حينئذ يكون هو الحسم للقضية اجتماعيا، مع مراعاة ما سبقت الإشارة إليه من أن القتل لا ينبع عادة من نزعة شر وإنما

العالم تدين بعادة الثأر، فيحدث شقاق وعداء فى المجتمع بين المتعصبين للقتيل والمتعصبين للقاتل، وكثيرا ما تستمر سلسلة الثأر بين الجانبين إلى آماذ طويلة، وكلما طال الأمد اتسع نطاق الشر والتخاصم.

والمعنى الذى يسيطر على المطالبين بالثأر عادة هو أنهم يشعرون بأن القاتل اعتدى على كيانهم الاجتماعى، ولا يشفى نفوسهم حينئذ إلا أن يشعروا بأنهم يملكون الانتقام من القاتل، وكون القصاص حقا مدنيا يحقق لهم هذا الشعور، حيث يجدون أن قتل القاتل حق لهم، يملكون طلب تنفيذه، ويملكون العفو عنه، فهذا الشعور يريح نفوسهم، ويجعلهم مهيين حتى للعفو عن القاتل فى بعض الأحيان.

وقد كان من أهم أسباب فشل القوانين الوضعية فى علاج عادة الثأر أنها لا تراعى مشاعر أولياء الدم «أقارب القتل» فتجعل العقوبة حقا جنائيا ليست لأولياء الدم صفة أصلية فيه، فيحاولون الانتقام بأنفسهم، ولذلك يتردد على ألسنة طالبى الثأر دائما قولهم: إنهم يريدون أن يأخذوا حقهم بأنفسهم، والتشريع الإسلامى يريح نفوسهم بإعطائهم هذا الحق وهو أن يأخذوا حقهم بأنفسهم ولكن من خلال السلطة الشرعية.

٣- لو كان القصاص حقا لله كما فى جرائم الحدود لوجب قتل القاتل فى كل الأحوال،





العرب يستخدمونه قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام فاعترف به رغبة في سلوك كل الوسائل التي تحسم جريمة القتل حتى لا تتحول في المجتمع إلى سلسلة ثارات.

والقسامة مأخوذة من القسم وهو حلف اليمين، وذلك بأن يوجد قتيل في مكان ما وتشير بعض الملبسات إلى أن قاتله من هذا المكان أو هذه المنطقة ولكن القاتل غير معروف فإذا قام هذا الاتهام في نفوس ورثة القتيل فإن القاضي يمكنهم من أن يختاروا خمسين شخصا من المنطقة التي يتهمون أهلها بأن القاتل منهم، وعلى هؤلاء الخمسين أن يحلف كل واحد منهم يمينا بالله أنه لم يقتل هذا القتيل، ولا يعلم قاتله، فإذا لم يكمل عدد المختارين خمسين أعيد تحليفهم حتى تكتمل الأيمان خمسين يمينا. والقسامة تحسم الموقف، فإن أقرباء القتيل هم الذين يختارون الخمسين شخصا، ولا يعقل عادة أن يجتمع خمسون من صفوة أى مجتمع على باطل، فهذا يريح نفوس أولياء الدم.

تضييق نطاق الجريمة

كان العرف السائد في المجتمع العربى، وفي كل مجتمعات الثأر عدم الاهتمام بشخص القاتل عند الثأر، فكثيرا ما يقتلون غير القاتل، وكثيرا ما يقتلون أكثر من شخص، ولكن التشريع الإسلامى حصر الجريمة في نطاقها الصحيح كما يلي:

من نزعة انتقام، حيث يكون القتل في أغلب الأحيان هو السبب الأصلي في الجريمة والدافع إليها، ولكن القاتل أخطأ في وسيلة استرداد حقه فلجأ إلى الجريمة.

وسائل الإثبات

نتيجة للأهمية الشديدة التي يوليها التشريع الإسلامى لجريمة القتل نجده يسلك في علاجها أسلوبا غير مألوف في أية جريمة أخرى جنائية أو مدنية، حتى لقد يبدو في ظاهر هذا العلاج شئ من تناقض، ومن ذلك أنه يلجأ إلى وسائل غير مألوفة لمحاولة إثبات الجريمة كوسيلة القسامة، ولكنه مع هذا الحرص على إثبات الجريمة نجده يحاول بعدة وسائل إنقاذ حياة القاتل بعد ثبوت الجريمة عليه، ولكن هذا اللبس أو التناقض الظاهري يتبدد حينما نعلم أن الهدف الأول للتشريع الإسلامى هو صلاح المجتمع واستقرار الأمن فيه، وكلا الأمرين، إثبات الجريمة ومحاولة إنقاذ حياة القاتل إسهام في ذلك الهدف، ووسائل الإثبات هي:

- ١- الوسائل العادية للإثبات، وهي محصورة في نوعين، أحدهما الاعتراف، والآخر الشهادة، بأن يشهد شاهدان ممن تقبل شهادتهما على الجريمة، وهما الموصوفان بالعدالة، بمعنى أنه لا يعرف عنهما انحراف خلقى أو سلوكى يخل بكرامتهما في المجتمع، ويمكن أن تنوب امرأتان عن أحد الشاهدين.
- ٢- القسامة، وهي إحدى وسائل الإثبات الخاصة بجريمة القتل، وهي أسلوب كان



التفويض وسائل العقاب

التشريع الإسلامى يوجب على القاضى فور ثبوت جريمة القتل العمد ما يلى :

١- إشعار أولياء الدم وهم الورثة الشرعيون للقتيل بأنهم أصحاب حق، وأن القاتل نفسه أصبح ملكا لهم يتصرفون فيه بالانتقام منه، أو بالعفو عنه، أو بقبول تعويض مادى هو الدية عن قتيله، وإشعار أولياء الدم بملكيتهم هذا الحق أمر فى غاية الأهمية لعلاج الأثر الاجتماعى للجريمة، فإن شعورهم بملكية هذا الحق يطفى فى العادة جذوة الغضب وشهوة الانتقام فى نفوسهم، ويجعلهم مهيين نفسيا لقبول التفاوض، ومن المعروف فى مجتمعات الثأر أن كل جرائم الثأر تنبع من هذا المعنى، فلو حكم القضاء بإعدام القاتل فإن هذا لا يشفى نفوسهم، لأنهم يريدون أن يشعروا بأنهم ينتقمون بأنفسهم، فالقانون الوضعى يتجاهل أولياء الدم أقارب القتل فى كل مراحل القضية ولا يجعل لهم أية صفة وهذا مما يزيد فى نقيمتهم، بينما التشريع الإسلامى يجعل علاجه النفسى لهذه النقطة الجوهرية محور الموضوع، من حيث جعله القضية من أساسها حقا مدنيا لأولياء الدم يملكون التصرف فيها ملكية كاملة، بل يجعل القرآن هذه الملكية سلطانا فى قوله تعالى :

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٤).

١- يجعل التشريع الإسلامى مراحل إثبات الجريمة، وكذلك تنفيذ العقاب بيد الحاكم أو نائبه كالقضاء، وليس بيد أولياء الدم وهم ورثة القتل، حتى لا تدفعهم شهوة الانتقام إلى تجاوز حقهم.

٢- يغلق التشريع الإسلامى باب العصبية القبلية وذلك من جهتين :

أ- إحداهما أنه يجعل القاتل وحده هو المسئول عن جريمة القتل، بعد أن كانت قرابته أو قبيلته كلها مسئولة، بحيث يجوز فى العرف لقبيلة القتل أن تقتل أى شخص من قبيلة القاتل.

ب- يجعل التشريع الورثة الشرعيين للقتيل فقط هم الذين لهم حق المطالبة بالقصاص، بعد أن كان حقا لقبيلة القتل كلها.

ولكن التشريع الإسلامى يوصد كل هذه الأبواب البدائية، ليقم التشريع العادل الذى يجعل المجرم وحده هو المسئول عن جريمته، ويجعل التشريع ممثلا فى السلطة هو الذى يملك محاسبته ومباشرة العقاب، ويظل الحق فى تنفيذ العقاب أو عدم تنفيذه يرجع إلى ورثة القتل.

٣- يمنح التشريع الإسلامى ما يشيع فى المجتمعات البدائية من القتل بالظنة أو مجرد الاتهام، بل لابد من ثبوت الجريمة على المجرم.





في تركة القتل، فإذا عفا أحد الورثة عن القاتل أو قبل نصيبه من الدية ولو كان أصغر نصيب في التركية يسقط القصاص وجوبا، ويخير باقى الورثة بين العفو أو الدية أو لا شئ لهم .

والتعليل لذلك أن الحياة أولى من الموت، فإذا عفا صاحب أصغر نصيب أو قبل الدية فمعناه أنه قرر حياة نصيبه في القاتل، ونصيبه الداعي إلى الحياة مهما صغر فهو أولى من كل أنصبة الداعين إلى الموت .

ومن الناحية الواقعية قد يكون بين الورثة من هو في حاجة ملحة إلى المال، وقد تكون للقتيل أرملة تعول أولادا، وقد لا تكون من أقارب القتل الذين تسيطر عليهم الرغبة في الانتقام، فتؤثر الدية على الانتقام، أو غير ذلك من الدواعي التي يسقط بها القصاص وهي غير قليلة .

٥- إذا انعدمت كل الوسائل السابقة يصبح القصاص هو الحل الوحيد لشفاء نفوس أولياء الدم وكبح جماح نزوعهم إلى الثأر والانتقام . وفي كل الأحوال فإن القصاص هو الحل الوحيد الذي لا منافس له ولا بديل عنه في علاج عادة الثأر التي تعاني منها مجتمعات كثيرة أمر المعاناة .

ولذلك كان التشريع الإسلامى أنجح تشريع في محاربة عادة الثأر، بحيث لا توجد عادة الثأر في مجتمع تطبق فيه الشريعة الإسلامية .

٢- من الرد على ما يشيعه أعداء الإسلام من دموية الإسلام أن التشريع الإسلامى يوجب على القاضى أن يبدأ أولا بعرض العفو والترغيب فيه على أولياء الدم، وكل آيات القصاص فى القرآن ترغب فى العفو عن الجانى، ومن ذلك :

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۝٥﴾ .

وتعبير « أصلح » إشارة إلى أهم أهداف العفو وهو إصلاح المجتمع بحسم الخصومة بين الطرفين بالتراضى .

٣- إذا رفض الورثة العفو يجب أن تعرض عليهم الدية وهى قدر كبير معروف من شأنه أن يجعل من يحصل عليه غنيا، وفى هذا إغراء لورثة القتل .

٤- من روائع الأدلة الواضحة على نفور الإسلام من إراقة الدم ولو كان دم القاتل نفسه أن الذين يملكون العفو أو الدية أو القصاص هم الورثة الشرعيون للقتيل يملك كل منهم من العفو أو العقاب بمقدار نصيبه

(٥) الشورى (٤٠).

مواقف إسلامية

من ذكريات امرأة بدويّة

للمستاذ الدكتور / محمود عمارة

تمهيد:

بينما كان «الحجاج» مع «الوليد بن عبد الملك» أرسلت زوجة الخليفة جارية تقول له: (لماذا تجلس مع هذا الأعرابي المسلح. وأنت في ثيابك المنزلية بغير سلاح ولا حراسة).

ولما أدرك الحجاج ذلك قال لأمير المؤمنين: (دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول. ولا تطلعهن على شرك. ولا خططك مع عدوك. ولا تشغلن بغير زينتهن. وإياك ومشاورتهن في الأمور. فإن رأيهن إلى هلاك. وعزمهن إلى وهن. ولا تسمح لواحدة منهن بأن تملك من الأمور ما يجاوز نفسها. ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها عندك. ولا تطل الجلوس معهن. فإن ذلك أوفر لعقلك. وأظهر لفضلك^(١)). وإذ يجرد «الحجاج» المرأة من كل فضل. وإذ يحرمها من كل حلية. إلا حلية الذهب والحريز.

وحين يطردها من ساحة العمل الإيجابي لتكون قعيدة البيت.. إذا كان هذا رأى الحجاج فيها.. فإن موقف اليوم رد على هذا الادعاء.. بما حققته أسماء -رضى الله عنها- من قيم.. كانت هي أصدق عنها تعبيراً.. وأشد تأثيراً.. بقدر ما أثبتت قدرة المرأة العربية المسلمة على تخفيف الهموم.. وتخفيف الدموع.. وذلك إجمال يفصله الموقف الآتي:

عن أسماء بنت أبي بكر -رضى الله عنهما- قالت: تزوجني الزبير. وما له في الأرض من مال ولا مملوك. ولا شيء. غير ناضح. وغير فرسه.

(١) مروج الذهب للمسعودي.



أعقل وأنبّل من الرجال .. وبيان لمن لا يريد بالمرأة إلا أن تكون متعة، لا هم لها إلا زينتها وتبرجها . إنها قد تترفع عن زخارف الأزياء . وألاعيب النساء . حتى تكون ركنا في بناء الأمة . وعونا على تحقيق مثلها العليا) (٣) .

وقد كانت أسماء -رضي الله عنها - كذلك : لقد كانت ناعمة العيش في بيت أبيها .. فلم يبطرها الغنى ..

ثم عانت من شظف العيش مع زوجها .. فلم يئوسها الفقر .. فكانت بهذا الثبات سيدة عظيمة :

سيدة أبوها عظيم . وزوجها عظيم . وابنها عظيم . وهي عظيمة في مواقفها ومواهبها .. عظيمة في نفسها وفي أعمالها . سيدة ذات مبدأ وفّت له . وثبتت عليه ، سيدة شاركت في أجل الأحداث ، في السلم ، وفي الحرب . سيدة كانت ربة بيت . صبرت على مره . ولم تبطر بحلوه . سيدة كان لها من نبل القلب . وكبر العقل . وثبات الأعصاب . مالم يكن مثله إلا للقليل من عظماء الرجال) (٤) .

مفتاح الشخصية

إن مفتاح شخصية الإنسان يبدو من نوعية اختياره ، ذلك بأن الهمة على قدر الاهتمام .

وقد كانت أسماء -رضي الله عنها - مولعة بالمبادئ .. لا بالمظاهر .. وهي تعلن ذلك في قولها :

فكنت أعلف فرسه . وأستقي الماء . وأخرز غربه -دلوه- وأعجن . ولم أكن أحسن أخبز . وكان يخبز جارات لي من الأنصار . وكن نسوة صدق .

وكننت أنقل النوى من أرض الزبير -التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى . وهي منى على ثلثي فرسخ . فجئت يوما والنوى على رأسى . فلقيت رسول الله ﷺ . ومعه نفر من الأنصار .

فدعاني . ثم قال : إخ -إخ -كلمة تقال للبعير لينبخره - يحملي خلفه .

فاستحييت أن أسير مع الرجال . وذكرت الزبير وغيرته -وكان أغير الناس - فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت . فمضى . فجئت الزبير فقلت :

لقيني رسول الله ﷺ . وعلى رأسى النوى . ومعه نفر من أصحابه . فأناخ لأركب . فاستحييت منه . وعرفت غيرتك . فقال :

والله حملك النوى كان أشد على من ركوبك معه .

قالت : حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس . فكأنما أعتقني) (٥) .

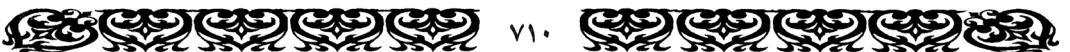
البقاء للأصلح . هذا موقف فريد : تحطمت ألف وخمسائة سنة .. وهو باق .. وماتت القرون .. ومازال حيا في ضمائرنا ..

وهو رسالة إلى بعض زوجات اليوم .. (عبرة للنساء . وأمل لمن ابتليت بالفقر من الزوجات . وإثبات لمن يحتقر النساء : أن المرأة قد تكون

(٣) رجال من التاريخ «على الطنطاوى»/٢٦ .

(٢) البخارى . الفتح ٩ / ٥٢٢٤ .

(٤) نفس المرجع والموضع .





الزوج السعيد

وإذا كانت هناك فى ردهات « القصور » من
تقول لزوجها نفاقاً :

لم أعش يوماً واحداً .. قبل ظهورك ..

وإذ يبادلها العشق الموهوم قائلاً :

لا تقل دارها بشرقى نجد

كل نجد للعامة دار

إذا كان هناك من يخدر الإحساس بهذا الزور
من القول .. فإن أسماء كانت تملك من الوفاء ..
ومن التضحية .. ومن الرؤية المستنيرة ما تعطى
زوجها .. وهى أضعف ما تكون .. تعطيه
أضعاف ما يريد !

وليت شعرى كيف يكون « الزبير » عندئذ
فقيراً .. وهو يملك هذا الوفاء .. وهذا اليقين ؟!

كيف .. وإلى جانبه من تركت المال ..
والسلطان .. ثم رضيت به زوجاً .. هو أثقل فى
الميزان من كل هذا ..

وإذا كانت هناك من نشأت مثلها فى « بيت
العز » وتريد السعادة بلا تعب .. فقد قررت هى
أن تدفع ثمنها أولاً .. مؤكدة أننا أحياناً لا
ينقصنا العلم .. ولكن ينقصنا أن نجعل من علمنا
واقعا ملموساً .

لقد كانت بزوجها .. غنية ..

وكان هو بها أيضاً غنياً ..

ولم يكن غناها فى ثروتها .. لم يكن غناها فى
أنها ملكت كل ما تشتهى .. بل لأنها زهدت فيما
تشتهى .. وآثرت القائد العسكرى .. المؤمن ..
والذى كان بعظمته يعيش خارج عصره !

(تزوجنى الزبير . وما له فى الأرض من مال .
ولا مملوك . ولا شىء . غير ناضح وغير فرسه ..)

لقد كان هناك فتیان أغنياء .. ولكنها رضيت
بمن لا يملك فى الأرض على سعتها شيئاً مما
تزدحم به !

لقد كان قائداً عسكرياً .. برتبة فارس ..

وإذ لم يملك مما فى الأرض شيئاً .. لكنه كان
يملك ما هو أقوى وأعلى مما عليها :

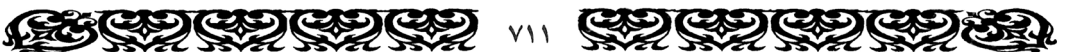
كانت له هيبة .. تكسر غرور عدوه

وعزيمة ماضية .. تفل سيفه

وإذا كانت بعض الفتيات تطلب الأجل .. لا
الأكمل .. والأغنى .. وليس الأعقل .. فإن أسماء -
رضى الله عنها - تطلب الأكمل والأعقل .. منطلقة
من يقينها بأن الزواج ليس فقط متعة أو لذة .. وإنما
هى الصحبة المباركة مع رفيق العمر .. والتى يتحقق
بها معنى السعادة كما ينبغى أن تكون :

إن السعادة ليست « أصباغاً » .. ليست شباكا
نصطاد بها الآخرين .. كما وأنها ليست ثيابا
ملونة .. وإنما هى التجانس الودود . الذى
ينعكس على الحياة فإذا هى أجمل مما يتصور
المترفون .

المترفون .. الذين يعبرون إلى « الحبيب » المزعوم
ألف نهر .. لكنهم لا يصلون إليه .. بينما « أسماء »
- رضى الله عنها - كانت تلك الفلاحة البسيطة ،
التي تجعل من الرضا وطنها ، فإذا الحياة من حولها
بستان وارف الظل .. حافل بالثمار ، إذا أرادت أن
تشجى سمعها .. فهناك تغريد الطيور .. وإذا
أرادت أن تمتع بصرها .. فهناك الأشجار والأزهار ..
كلها مزهرة .. والنجوم كلها مضيئة !





ولقد انتقلت إلى بيت الزوجية .. وكان البيت على ما وصفت .. بسيطاً .. إنها إذن مشكلة .. ولكن ما هو الحل ؟:

إن بعض الناس لا يعالجون المشكلة جذرياً .. وإنما ينظفون فناء الدار .. لكن السقف مثقوب .. يصب سيلاً من المشكلات، ولكن الزوجة هنا .. بدل أن توسع مدى المشكلة بالأنين والشكوى .. قررت أن تقتحم المشكلة بالحل العملي .. فشمرت عن ساق الجد .. متحملة مسئولية إدارة البيت .. ليتفرغ الفارس لمهمته في حماية البلاد ..

وإذا كان هناك من الناس أذلاء، يرغبون فيمن زهدوا فيهم .. وإذا كان هناك فارغون يزهدون فيمن يرغبون فيهم .. فقد حسمت «أسماء» القضية .. وقررت أن تشكر بالعمل نعمة الاقتران بمن ترغب فيه .. ويرغب فيها .. وكان شكرها في أعلى مستوياته حين جعلته عملاً دءوباً .. لا ينهض به إلا أشداء الرجال ..

ولقد كانت جديرة بهذه الشهادة:
(إن لم تصل المرأة إلى مثل ما وصل إليه الرجل .. فلها فضل إمداده وعونه) .

أبعاد شخصية المؤمنة

كانت أسماء - رضى الله عنها - تستمد عظمتها من إيمان قوى .. وعقل ذكى .. وإرادة ماضية ..

ولقد مكنها ذلك من رؤية الواقع كما هو .. ثم التعامل معه .. بإلهام البصيرة .. دون استسلام لخداع البصر ..

ويا لذات الدين .. عندما تكون نعم القرين !
إنها الصديقة التي لا تلتفت .. إلا إلى زوجها ..
إنها قاصرة طرفها على من اختارته .. وتلك هي السعادة ..

وهو معنى يذكرنا بهذا الذى سار وراء رائعة الجمال .. فقالت له : انظر لأختى .. فهى أجمل منى .. فلما التفت قالت له :
لو صدقت .. ما التفت ..

ولقد صدقت أسماء عندما أثرت الرجل .. على الدنيا .. فظفر هو .. وظفرت هى .. بالكنز الثمين ..
بينما يتدحرج عشاق الدنيا .. عند السفح ..
فكانوا كتلك « النملة » التى أحببت الجمل ..

فلما قادتة إلى جحرها .. ودخلت هى .. ولم يدخل هو .. قال لها :

إما أن تجهزى لى داراً على قدى .. وإما أن تطلبى من فى مثل حجمك !!

ويبقى أصحاب المبادئ فى القمة دائماً .. وإن تنكر لهم الزمان :

ما شاب عزمى ولا حزمى ولا خلقى
ولا وفائى ولا دينى ولا كرمى
وإنما اعتاض رأس غير صبغته
والشيب فى الرأس غير الشيب فى الهمم

ثمن الانتصار

الكرام من الناس يبذلون الدماء .. حين يستنصرون ..

ويعطون المال .. حين يستقرضون ..
وقد كانت أسماء - رضى الله عنها - رائدة من رواد هذه المدرسة :





للإنسانية كلها.. بينما المرأة العصرية اليوم..
يقتلها الملل.. والبرود، فى بلد أوروبى يدق
جرس الهاتف. فتد السيدة. فإذا خادمها
يقول لها:

كل شىء على ما يرام يا سيدتى
إلا أن كلبك العزيز.. مات!!
ولكن.. كيف مات؟
لقد قفز من النافذة..
ولماذا قفز العزيز من النافذة؟
لما شب حريق أتى على القصر كله!!
ويعنى ذلك أن حياة الكلب أعز عليها من
كل ما تملك!!

وهى واحدة من رواد مدرسة تقول لك:
إذا شب حريق فى حجرة.. وكان بالحجرة:
تمثال.. وطفل صغير.. وكان بالإمكان إنقاذ
أحدهما.. فبادر إلى إنقاذ التمثال.. لأنه لا يعوض!!
أما أسماء - رضى الله عنها - فكانت تملأ
يومها بما تعمل - وعلى تنوعه وصعوبته - فلم
يكن هناك وقت لتربية الكلاب.. ولم يكن
هناك بال مشغول إلا بالبيت.. ورب البيت..
ثم أين منها تلك المرأة التى يسمونها..
المرأة الحديدية.. لأنها استطاعت الهروب فى
غفلة الحراس!!!
لم تكن أسماء - رضى الله - عنها كتلك
المرأة هناك باردة.. جليدية!

كما لم تكن كهذه المرأة هنا حديدية..
بل كانت فوق ذلك. وأعز من ذلك.. من
خلال هذه الصورة الحية التى رسمتها بعملها
فى بيتها..

وإذا كانوا يقولون: إما أن تكون بناء.. أو
مناولاً.. فقد كانت - رضى الله عنها - تقوم
بعمل الإثنين معاً.

تستقى الماء.. تخطط الدلو.. ثم تلطف
الفرس.. والذى كانت سياسته أشق أعمالها
جميعاً، إنه فرس: مكر.. مفر.. كثير
الحركة.. فإذا حبس.. كان لديه حنين إلى
أرض المعركة.. فلم يكن يقدر على رعايته إلا
الصابرون.. ثم هى مع ذلك مسئولة عن عمل
البيت كربة منزل..

ولاحظ قيمة الصراحة التى حملتها على
الاعتراف بأنها لا تحسن إلا العجن.. أما الخبز
فلم تكن تحسنه. وكان اعترافها على نحو لا
يتوفر لكثير من النساء اللاتى يخفين
عجزهن.. فرارا من الإحراج.. ثم إنها تملك
من الشجاعة الأدبية ما يدفعها إلى الشهادة
لنساء الأنصار اللاتى كن يكفينها مئونة
الخبز..

إنها الزوجة العاملة الآلمة.. والتى لا يصدأ
جوهرها بالعمل أبداً:

إن السكين المستعملة هى التى تقطع.. أما
المهمل.. فيعلوها الصدأ الذى يتنامى بطول
الإهمال. وهى تلك المرأة العصرية التى لا دور
لها.. ومن ثم يعلوها الصدأ. لتكون عبثاً على
المجتمع بدل أن تكون عوناً له.
وبضدها تتميز الأشياء.

وأين من أسماء - رضى الله عنها - تلك
المرأة العصرية الملول..

لقد كانت أسماء بكفاحها علامة من
علامات الحضارة.. جعلت منها ملكاً



الزوجة الواعية.. الوفية

ولقد كان يكفيها ذلك العناء سببا لتركب مع الرسول ﷺ .. ولا حرج.
فهو أولاً رسول الله ﷺ
وهى ثانياً: أخت زوجته.
وزوجة ابن عمته الزبير.

ونكاد نحس لهفة نفسها إلى الركوب .. لكن تقديرها لزوجها .. واحترامها لمشاعره .. غلب كل هذه العوامل .. وتراجعت فى اللحظة الأخيرة .. معتذرة عن الركوب ..

ولا بأس أن يتعلم الرجال والنساء اليوم .. أن يتعلموا على يد امرأة واعية وفيه دروسا فى الوفاء والولاء.

إن الرسول ﷺ .. لم يتبرم بقرارها .. ليعلم الناس من بعده إلى أى حد يجب أن يكون الاحتياط .. وبخاصة أولئك الذين يتساهلون اليوم .. مع ما يسمى «بصديق العائلة» وما يترتب على ذلك من ويلات .. ومازلت أذكر ذلك الفلاح الذى قيل له:
امرأتك تجلس مع أصدقائك على حافة النهر هناك .. فقال:

لا أخاف عليها .. امرأتى رجل!

ولم يكن هذا الزوج صادقا مع نفسه:

فهو أول من يعلم أنها «امرأة» وليست رجلاً!!

ثم هو ثانياً إذا لم يكن يغار عليها .. فهو «ديوث» يقر فى أهله الخبث وهو ذلك الجمل المستنوق .. الذى يقول أمام الناس ما يريد، لكنه يعمل ما يملى عليه! ولسوف تظل زوجته بين

ولك أن تتصور «الغرب» وهو الدلو الكبير المصنوع من جلد الثور .. ثم تصور الزوجة الكادحة المفلحة وهى تعالجه ليعود كما كان .. وحببات العرق تبرق من جبينها الطهور .. وهى سعيدة بما عملت مما يسعد زوجها .. ثم بما وفرت على ميزانية البيت حين باشرت الإصلاح بنفسها .. ولم تدفعه إلى الصانع خارج الدار.

يعينها على ذلك كله أن رب البيت لا يقتل الوقت هناك فى «النادى» وإنما هو مقاتل شريف .. ثورى .. يحرس الحدود .. حتى لا يؤتى الإسلام من قبله.

الامتحان الأصعب

ولكن مباشرة الأعمال المنزلية هذه .. قد تهون، فاستحضار الماء .. وخرز الدلو .. والعجن .. كل أولئك يحقق لها مصلحة شخصية مع كل من فى البيت.

ثم هو عمل مستور داخل البيت . ولو رآها الناس لما كان فى ذلك إحراج ..

أما الإحراج حقاً فهو فى تلك المهمة التى فضلتها بعد ذلك:

١- لقد كانت تجمع النوى .. فى هجير الصحراء.

٢- ثم تحملها فوق رأسها ..

٣- ماشية على قدميها مسافة طويلة.

٤- ثم إذا عادت إلى البيت .. باشرت دقّه .. وبيدها .. لا بيد عمرو!

وما يلقى ذلك العنت إلا اللاتئى صبرن .. بل اصطبرن على مشقته ولاوائه!



وفرا من هذه الشبهات كان عليها أن تركب معه ﷺ ..

أضف إلى ذلك أن السبب الحقيقي لتبذله هنا لم يكن مردودا إلى تساهل الزوج أو بخله، وإنما كان مشغولا بالجهاد .. واحتراما لأوامر الرسول ﷺ .

ومن أجل ذلك لم يتفرغ الأزواج للاشتراك في عمل المنزل . ولضيق أيديهم أيضا .. فانحصرت الخدمة في النساء اللاتي قمن بالوظيفة خير قيام .. ليتفرغ الأزواج لمهام الجهاد .. ولم يكن العرف يعتبر ذلك عارا .

من ثمرات الحديث

يقول علماؤنا: (وفيه: أن المرأة الشريفة إذا تطوعت بخدمة زوجها بشيء لا يلزمها .. لم ينكر عليها ذلك أب ولا سلطان) .

ونقول نحن: وإذا أنكر الوالد الشاغل مركزا مرموقا اليوم .. إذا أنكر على ابنته أن تخدم زوجها .. فليأت لها بخادم .. كما فعل أبو بكر هنا حين تبرع بخادم لابنته .. تقديرا لظروف الزوج .. وعطفا على فلذة كبده التي لا يغنيها أن نمضغ الكلام .. ونردد الملام .. وإنما هي التضحية التي نجنى ثمارها نحن الآباء .. أمنا وسلاما .

ومن ثمرات الحديث ما قرره علماؤنا:

(أن كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها من خبز أو طحن أو غير ذلك .. أن ذلك لا يلزم الزوج، إذ كان معروفا أن مثلها يلي ذلك بنفسه .

بدليل أن فاطمة - رضی الله عنها - لما سألت أباها ﷺ الخادم .. لم يأمر زوجها بأن يكفيها ذلك: إما بإخدامها خادما . أو باستئجار من يقوم بذلك .. أو بتعاطي ذلك بنفسه .

الرفاق امرأة .. ولن تخدع النملة لو كتبت على « حق السكر » هذا ملح أجاج!

ولقد قدرت الزوجة هنا غيرة زوجها، وهذا التقدير مردود إلى:

أ - ذكائها الذي درست به شخصية زوجها . وما يحب وما يكره .

ب - ثم زكاؤها .. باحترام طبعه . وما هو مقتنع به .

والعجيب أن « غيرة » الزوجة لم تكن تصرفا تدافع به عن نفسها إزاء زوجها الذي قد يكون منصرفا عنها ..

ولكنها كانت « غيرة » الزوج نفسه .. والتي يجب أن تظل حقا له مصونا مكنونا .. وبخاصة في غيابه .

موقف الزوج

قال الزبير - رضی الله عنه: (والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه)

كانت وجهة نظر الزوجة العاقلة هي:

أنه مع عظيم تقديرها للرسول ﷺ .. إلا أنها:

أ - خافت من مزاحمة الرجال - بدون قصد طبعاً -

ب - وقد ينكشف منها حالة السير ما لا تريد انكشافه ..

ولكن هذا كله كان أخف على أعصاب الزوج مما حدث فعلاً:

١ - لأنها تبذلت لما حملت النوى على رأسها .

٢ - ومن مكان بعيد .

٣ - ولأنه قد يتوهم خسة النفس . ودناءة الهمة، وقلة الغيرة .



أخرى بحكم إعدادها «الفسولوجي» .
وليس معنى ذلك أن مفهوم النص القرآني يمنع المرأة من العمل في سبيل القوت . ولكن معناه أن الأصل هو : أن يسعى الرجل سعياً حثيثاً . متصلاً . لتدبير معاشه . ومعاش أسرته .
أو كما يقول الزمخشري ما معناه : (إن العمل معصوب برأس الرجل) .

وإذا تبدوا الأم على الشاشة هكذا عاملة آملة ..
فإنها تمارس دورها في التربية بالقودة .. لا بالكلام .. وسوف تخرج ابنتها من بين يديها مثلها .. ربة بيت ناجحة :

إنه إذا كانت القاعدة تقول : والأذن تعشق قبل العين أحياناً .. فإن الأمر في الطفولة يختلف : فالطفل يسمع بعينه .. قبل أن يسمع بأذنيه !

موقف أهل الزوجة

تقول أسماء - رضی الله عنها - (حتى أرسل إلى أبي بكر بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني !)

إن مشكلة المشكلات اليوم .. راجعة إلى شكوى الزوجة إلى أهلها من إرهاق العمل .. وتكليفها بما لا يطاق .. وبدل أن يدلى الأهل بدلوهم .. ينحازون للبنات انحيازاً ، يتجاوزون به الاختلاف .. إلى القطيعة .

ولكن أبابكر - رضی الله عنه - يتطوع فيتبرع بخادم لا تكفي ابنته فقط سياسة الفرس .. وإنما يكف بها بأس الشيطان الذي ينتهزها فرصة مواتية لينزغ بين الفريقين !!

ولو كانت كفاية ذلك إلى علي .. لأمره به .. كما أمره أن يسوق إليها صداقها قبل الدخول (٥) .

ولقد تحملت أسماء - رضی الله عنها - ما تحملت صابرة محتسبة على ما كان في عملها من مشقة بالغة عبرت عنها بقولها :

(وكان له فرس . وكنت أسوسه . فلم يكن من خدمته شيء أشد علي من سياسة الفرس .

(كنت أكفيه مأونته ، وأدق النوى لناضحه ، وأعلفه) .

ولقد كان أمرها على ما يقول الشاعر :

ولو كان هما واحدا لاحتملته

ولكنه هم . وثان . وثالث

وقد تحملت مسئوليتها مع أنها ابنة الصديق .. ثاني اثنين إذ هما في الغار ..

ولكن النفوس الكبيرة تقصد إلى الإحسان .. ولا تكتفى بالعدل ..

وإذا كانت النفوس كبارا

تعبت في مرادها الأجسام

ويعنى ذلك أن للمرأة دوراً في التنمية الاجتماعية والاقتصادية .. وإن كان المفروض أن يكفيها الزوج ذلك .

يقول الدكتور « عيسى عبده » تفسيراً لقوله تعالى في سورة طه :

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (٦) .

يقول : إن العمل في سبيل تدبير المعاش .. للرجال . دون المرأة . إذ تقع على المرأة واجبات



من دروس التربية

ولاحظ من دروس التربية هنا أمرين:

ان أبا بكر - رضى الله عنه - يرسل خادما

«أنشى» وليس غلاما!

وقد كانت هذه الإشارة البليغة كافية.. قبل

أن يترخص ناس اليوم حين يختارونه غلاما..

ليحدث من الفساد ما تضح به أنهار الصحف!

ثم هو لا يرسله مع الأثاث ليلة الزفاف.

وإنما يرسله بعد أن تتحرس «أسماء»

بالكفاح.. وتعايش مجموعة من القيم تعدها

للحياة الحادة بعيدا عن الدلال!! لتخرج العلاقة

بعد ذلك من البوتقة ذهباً خالصاً..

ولقد كانت تجربة «أسماء» صعبة حقاً..

وذلك ما يشير إليه قولها: «فكأنما أعتقني»!

ومع ذلك فلم يتوقف نشاطها داخل البيت!

وتظل «أسماء» - رضى الله عنها - رمزا للمرأة

العاملة.. البريئة من أمراض الملل والترهل.. بريئة

من إشراف الطبيب عليها فور التأكد من الحمل

كما يحدث اليوم.. وما يترتب عليه من ضغوط

على ميزانية البيت!

وتبقى «البدوية» دائما: سليمة الجسم..

قادرة على تجاوز العقبات بما منحنتها الحركة من

بركة فى ذاتها.. وفى بيتها.

يقول أحد الباحثين: أنا لا أزال فى دهشة من

أمر الأعرابيات فى حملهن وولادتهن.. إنها لفى

شهرها التاسع وهى أشد ما تكون ثقلًا وعناء

بجنيئها، وهى من هذا أشد ما تكون إمعانا فى

عملها أو ترحالها فى الصحارى والقفار، حتى إذا

جاءها المخاض، تنحت عن الطريق قليلاً فولدت

وقطعت حبل السرر لوليدها بالحجر، ثم لفتته

وألقته على ظهرها وتابعت السير، كأن شيئاً لم

يحدث، ولا يعلم أحد ممن فى الركب من أمرها

شيئاً، ونساؤنا المدنيات تحشد لولادتهن القابلة

أو الطبيب، والمساعدة من ممرضة أو قريبة،

وتُسعف أثناء المخاض بكل ما وصل إليه الطب

الحديث من وسائل التيسير وتخفيف الآلام،

وتعقيم الأدوات والآلات والأربطة والعلاجات،

فإذا ولدت ظلت فى فراشها فى البيت أو فى دار

التوليد أياماً لا تغادر سريرها إلا لماماً، وتظل بعد

ذلك أياماً أخرى لا تأتى من أعمال البيت إلا

بأيسرها إلا لماماً، وتظل بعد ذلك أياماً أخرى، لا

تأتى من أعمال البيت إلا بأيسرها وأخفها.

والكل يشفقون عليها أن تنزعج أو ينزعج

الوليد مدة نفاسها، خشية أن ينالها ما لا تحمد

عقباه. فما السر فى هذا الفرق العجيب بين

المدنيات والبدويات؟! أهو ترف الحضارة الذى

يُضعف فى الجسم المقاومة؟ وخشونة البدواة التى

تقوى فيه المناعة والقدرة على تحمل المشاق؟ فإن

كان هذا هو سر الفرق بين الوالدتين، فما هو سر

الفرق بين الوليدين بعد ولادتهما، مما يحتاجون

معه إلى عناية الطبيب وسهر الأم أو الخاضنة؟

أما بعد: فقد كان هذا الموقف حجراً.. حجراً

كريماً.. نحاول أن نرمى به فى البحيرة الراكدة

اليوم.. فلعل الغافلات أن يتنبهن.. وأن يعدن

حساب الربح والخسارة فى حياتهن مقارنة بحياة

البدواة وما تثمره من صحة النفس والجسم معاً!

وإذ يكتب الكتاب سيرتهم اليوم.. بالمداد..

وعلى الورق.. فإن قصة أسماء - رضى الله عنها -

تكتب قصتها، وبعرق الجبين..

وسلام عليها فى الخالدين.



بحوث اجتماعية

الوسط

في

الميزان

الخالق

لدى

المسلم

إذا كانت الفضيلة وسطاً بين طرفين.. أحدهما الإفراط والآخر التفريط فإن الفاضل هو الذي يشكل المحور الثابت العنيد الذي لا يتلاشى على الإبعاد!!!
ولأن كل الدعوات صياح ضائع في القمر ما لم تتخذ من الإنسان محوراً لها مستوعباً وناقلاً.. فقد انجنت جميعها في تعاطف وثير على صياغة هذا الإنسان المؤهل لدوريه؛ الاستيعاب.. والنقل وكانت للقرآن العظيم في هذا الصدد فلسفته الخاصة التي استطاع بها أن يصنع أنماطاً من البشر تستعصى على الذوبان والتفتيت وتصد في معارك التحدي إلى نهاية الشوط غير عابئة كثيراً بما يتناثر على جبينها من جراح.

ولقد كانت فلسفة القرآن في صياغة الإنسان على هذا النحو قائمة على أساس وضعه في المنتصف الإيجابي محوراً لكل شيء ونقطة ارتكاز لكل شيء وقاعدة انطلاق لكل شيء فهو على المستويات الخلقية والخلقية والسلوكية وسطاً قاصداً منضبط بين التدلي غير القادر على النهوض والتحليق غير القابل لمعايشة الواقع الحياتي.

ومع وقوفنا العابر مع آيتين من آيات القرآن الكريم نتبين ملامح هذا المنهج القرآني في اتئلاق وروعة واقتدار.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا

لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَتْمًا ۝﴾ (١).

(١) الفرقان (٦٧، ٦٨).

د. أستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب



رحابها إسلامه، وعن قلوب كافرة يطوّعها لإيمانه، وعن قوافل فارغة من الداخل يضيء غسقها المر، ويشرى جديها العقيم، فإذا تخطينا إطار الفرد للدولة، وإطار الانتشار إلى إطار الدفع والذود عرفنا أن للمال دوره الخطير في تصفية كل الجيوب المغيرة، والتصدى لسلحها الفاتك بأسلحة أخرى أفتك

﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٢).

إن القرآن الكريم بعد أن يلقي الضوء على ما أبدع الله في الأرض من جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه يهتف في أتباعه فاتحاً أحداق عيونهم على هذه الحقيقة:

﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣)

والقرآن لا يعطل فينا حاسة البهجة، ولا يصادم فينا طبيعة الحب للحياة ولا يكره للإنسان أن يفتح للوجود ذراعين أرحب من الوجود ولكنه فقط يدعونا إلى لون من ألوان التعقل والالتزام:

﴿يَبْنَئُ آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٤).

والقرآن يحرص على البذل ويدفع إلى امتلاك ناصية الخير ولكنه يحذر من الإسراف والخرق هادفاً من وراء ذلك إلى تربية الجماهير المسلمة على خلق القصد في كل شيء:

فهنا حملة على الإسراف «وحملة مقابلة على التقشير» حتى إذا أمكن وضع الإنسان في المنتصف العادل والعاقل. انطلق القرآن لتعزيز هذه الوضعية الرائعة بتخليص إنسانها من العبودية لما سوى الله.. وحيطة وجوده الذاتي ضد كل ما هو مدمر وقاتل.. كل ما هو متدل وجانح للهبوط.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾.

إن الإسراف المبدد لا يمكن أن يسفر عن شيء غير انهيار الخلفية الاقتصادية للفرد والمجموع مما يهدد المجتمع الإسلامي بالإفلاس والجذب، والإحباط العاجز عن كل محاولة للتصدي في مجالات الصراع.. ومن هنا كانت رعاية الإسلام «للمال» رعاية حميمة وكانت حملته الضارية على كنزه وتأليهه أروع روعة وأهدى سبيلاً.. إن المال عصب هذه الأرض.. ولكنه ليس غايتها أبداً إنه وقود القاطرة التي تشق طريقها في الزحام.. لكي تصل بالملايين إلى محطة الوصول التي عندها تشرق الشمس، ويقبل الصديق صديقه في مودة واعتناق..

ولعل مقارنة سريعة بين الإسلام - كدعوة يجب أن تهيا لها مجالات العمل في بلد مهيز اقتصادياً وبلد ناهض من هذه الناحية، تؤكد لنا أن «المال» سلاح يجب أن يتوافر للدعوة حتى تتمكن معه من مزاوله دورها الحضاري، وإشعاعها الرسالي فالمسلم الذي لا يشغله البحث الكادح عن الرغبة يمكن أن يشغله البحث الكادح عن أرض جديدة يزرع في

(٣) الانعام (١٤١).

(٢) الأنفال (٦٠).

(٤) الأعراف (٣١).





المادى وحده وإنما تنساح لتشمل التقدير فى البذل المادى والتقدير فى العطاء الفكرى والتقدير فى الشراء النفسى، لأن المقتر فى البذل المادى يصيب نفسه ويصيب المجموع من حوله بالضمور والانكماش، وبديهي أن موارد الدولة الإسلامية وكفايتها قائمة أساساً على «التعاون» المفضى إلى القوة وعلى بذل «ما فرض» من الزكاة، وغير الزكاة، فإذا وجدت العناصر المقتره التى منها يتكون الكل فى إطار الدولة كانت نتيجة ذلك اهتزاز العلاقات فى المجتمع، واضطراب الموازين فى الدولة وغياب الأساس الصامد الذى ينهض عليه البناء، مما يوحى بانهايار مرتقب لا تقف بوائقه عند حد .

﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يُخَوَّلُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَتَنَكَّفُونَ بِهَا بِجَافَاهُمْ وَجَنُوبَهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٨).

ولأن المقتر فى بذل «العطاء الفكرى» يشكل قوة جذب شريرة إلى الوراء وحاجزاً على طريق التقدم يعيق عن المضى والانطلاق، لقد نبه القرآن إلى خطورته وضراوة مسلكه ولفت إليه فى إعجاز معجز عاقداً بين تقديره وتقدير الباخل بماله ما يشبه الصلة الحميمة فى قوله تعالى :

﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (٩).

﴿وَمَا يَذَّالِقُنَّ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَأَبْنِ السَّيْلِ وَلَا يَنْبِذْ رَبُّكَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٥).

وعلى هذا المنهج القرآنى الراشد فى تربية الأفراد والجماعات سلك النبى القائد ﷺ طريقه إلى صياغة المجموع من حوله فهو القائل فى تأكيد عميق: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» (٦). وهذا وهو القائل فى إصرار «اليد العليا خير من اليد السفلى» (٧).

هذا جانب من حملة القرآن على «السرف» المفضى إلى الإجداب فإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر الذى أعلن فيه حملته القاسية على «التقدير» فى إطار هذه الآية :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

راعنا هذا الدمج فى موطن واحد بين النقيضين حتى لا يفرغ الإنسان من شىء قبل أن يهيا للامتلاء بشىء آخر. إن «الإسراف» جريمة! نعم ولكن مقابله الذى هو «التقدير» جريمة أخرى وحتى لا ينزل الفرد أو تنزل المجموع من هاوية الإسراف إلى حضيض التقدير قرن القرآن هذه بتلك . ليقيم المسلم على صراط لا خرق فيها ولا شح وإنما قوام بين ذلك «وحملة القرآن على التقدير لا تنحصر فى دائرة الشح

(٦) متفق عليه.

(٥) الإسراء (٢٦، ٢٧).

(٨) التوبة (٣٤، ٣٥).

(٧) رواه أحمد والطبرانى.

(٩) الإسراء (١٠٠).



إن قضية المال التي أثارها القرآن الكريم فى الآية السابقة توحى من حشد ما توحى بأن بعضاً من الناس قد يؤلهون «المال» فهو يحرضهم على التحليق فوق غباء هذا المنطق وإلى تمحيض العبودية لله بدءاً وختاماً فإذا فعلوا ذلك كان آحاداً فى قوافل أولئك الراشدين الذين يرتفعون بأنفسهم إلى قمة الحق وهذا منضو تحت قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .

وفوق ما تسوقه الآية بصدد «القصاص» فى النفس

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .

تشع كلماتها الإلهية معانى أخرى، فليس القتل فقط أن يعتدى إنسان على آخر، وإنما هو كذلك اعتداء الإنسان على نفسه باليأس القانط المتشائم، أو بالجريمة الخائقة المدمرة، أو بالجهل المغلق الهابط أو بالعزلة المريضة الصفراء أو بالكراهية للحياة وللأحياء على السواء.

وجميل أن يجيء التعبير القرآنى فى قوله :

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ بعد القتل مباشرة أليس الزنا قتلاً

هو الآخر؟ أليس يقتل عفاف الحرة المسلمة؟ أليس يذبح شرف الزوج الغائب ربما فى صراع مع الحياة من أجلها .. ومن أجل أطفاله الأبرياء؟ أليس يخنق نبض الإنسانية فى علاقاتنا بالنوع؟ أليس تمهيداً لخلق مجتمع لقيط تتفتح فيه أحداق الطفولة اللا شرعية على نوازع التدلى وهواتف الهبوط؟ هذه محظورات ينبه إليها القرآن :

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ !!

إن التعبير القرآنى العظيم «بخزائن رحمة ربى» يغطى الجانب المادى والجانب الفكرى على السواء لأن هذين الجانبين ينضويان بالضرورة تحت مفهوم «الرحمة» التى عنها القرآن الكريم ..

ولأن المقتر فى بذل «الثراء النفسى» هو الآخر يهدم ما بناه الله فيه من استعداد طبيعى لحب الأغيار، والتلاحم المصيرى بالآخرين فقد ألمح إليه القرآن فى أكثر من موضع :

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠)

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ (١١).

والرسول ﷺ يعطى الموقف وضوحاً رائعاً فى حديثه مع الأعرابى الذى وجده يدعو ربه قائلاً : اللهم ارحمنى وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً .. فقال له النبى ﷺ : «لقد حجرت واسعاً يا أعرابى» (١٢). إن هذا الإحياء لمناطق حب الآخرين داخل النفس كان منهج القرآن ورسوله العظيم .. مما يوحى بأن لزوجة النفس المقتر فى شتى مجالات هذا التقدير شىء يرفضه الإسلام وتأباه طبيعة المسلم !!!

لأن المسلم كما أراده الله عاقلاً لا يركب غوارب التبديد والسرف وسمحاً لا يتردى فى كهوف التبلد والإفتار .. وكان بين ذلك قواماً !!!

ويبدو التلاحم العنصرى بين الآيات القرآنية المعجزة فى انتقالها الفورى إلى الآية التالية :

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾



أمثلة من النقد العلمي

إنصاف
محدث
كبير

ابن شهاب الزهري

للمؤلف الدكتور عبد اللطيف الحديدي (*)

مما أذكره عن أستاذي الجليل الدكتور أحمد الشرباصي الأستاذ بكلية اللغة العربية، والعالم الشهير بفضلته وكثرة نتاجه العلمي أنه كان يتحدث لنا في بعض محاضرات الكلية عن السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، وهو الذي اختاره الدكتور الشرباصي مجالاً لبحثه في رسالة الدكتوراة، فأحاط إحاطة تامة بأثارة الأدبية والعلمية، وقد قال الشرباصي - رحمه الله - إن أغرب ما رآه من صنيع بعض الباحثين أن ينقل من تفسير المنار أقولاً لا ينسبها للسيد محمد رشيد رضا مع أن صاحب المنار ذكرها ليرد على خطئها، وبين ما فيها من العوار، فكان يتعجب كثيراً لهذا التسرع الذي لا يليق من باحث علمي تفترض فيه الدقة والنهل، إذ أن من الخطورة العلمية أن نحمل على الرجل قولاً لا يرتئيه.

كلية أصول الدين على الطلاب فنقل أقولاً للمستشرق المجري جولد زيهير تسيء إلى العالم الفقيه محمد شهاب الزهري، ورد عليها بالمنطق الفحم، ولكنه فوجيء بعد أيام

ثم استطرد الدكتور الشرباصي فقال: إن شيئاً من ذلك وقع للأستاذ الجليل الدكتور على حسن عبد القادر المؤلف الشهير والباحثة المعروف، حيث كان يلقي بعض دروسه في

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر.



الشيخ/ محمد رشيد رضا



الدكتور/ أحمد الشرباصي

بمن يعزو آراء المستشرق إلى الدكتور حسن عبدالقادر ويبالغ في نقده.

ثم قال الدكتور الشرباصي: فكتبت في أوائل الأربعينيات كلمة بمجلة الرسالة للدكتور حسن عبدالقادر استوضحه الرأي فيما نسب إليه فسارع بالرد الشافي معلنا أنه كان يرد على المستشرق وأن الذي ينقل عنه غير أمين.

أن الحقيقة بنت البحث وأن من الظلم أن نقطع الكلام عن سياقه. وأن ننسب إلى العالم ما لم يقل، وفي ذلك دعوة إلى التؤدة في البحث والتثبت من القول قبل أن نزل الأقدام.

من خطاب الدكتور الشرباصي

نشرت مجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٠ من يونيو سنة ١٩٤٠ خطابا للدكتور الشرباصي موجهًا إلى الدكتور علي حسن عبدالقادر قال فيه:

سمعنا وقرأنا في غير صحيفة أن الدكتور ألقى منذ حين على فريق من طلبة كلية أصول الدين درسا في مصطلح الحديث فعرض من خلال هذا الدرس بالتابعي الجليل والمحدث الصادق الإمام ابن شهاب الزهري ووصفه بالاختلاق والكذب على رسول الله ﷺ. وبأنه كان ممالكا للأمويين وبذلك اخترع جملة أحاديث تخدم قضيتهم وترفع من شأنهم ومن ذلك أن الزهري لما رأى عبدالله ابن

كان هذا منذ سنوات تزيد على ربع قرن. ثم قرأت منذ شهر بمجلة تصدر في بعض الدول العربية حديثاً عن محمد بن شهاب الزهري - رضى الله عنه - يزعم فيه كاتبه أن الأستاذ الدكتور علي حسن عبدالقادر أكد ما ينسب إلى ابن شهاب من زور وبذلك جعل التهمة ملصقة بابن شهاب والدكتور علي حسن عبدالقادر معا. وقد قال أنه أحد تلاميذ الدكتور حسن عبدالقادر بالقاهرة.

هنا تذكرت ما قاله أستاذي الجليل أحمد الشرباصي، وأخذت أبحث في مجموعة الرسالة من أوائل الأربعينيات لأنصف الرجلين معا. وأنصف العالم والحجة ابن شهاب الزهري والباحث الفاضل الدكتور حسن عبدالقادر وإذا كانت الأعمال بالنيات فقد وفقني الله إلى العثور على خطاب الدكتور الشرباصي ثم رد الدكتور حسن عبدالقادر عليه في عدد تال، وإنى أجتزئ ببعض ما في السؤال والجواب ليعلم القارىء



الحديث فى نقد الأحاديث، وأضرب لهم فى ذلك الأمثال، وكان من هذه الأمثلة ما ذكرته لهم من نقد بعض المستشرقين وهو جولد زيهري للإمام الزهري وأحاديثه التى رواها فى فضل الشام وبيت المقدس وخلاصة هذا النقد هو أن الإمام الزهري كانت له صلات وروابط بالبيت الأموى، وأن عبد الملك بن مروان كان قد منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير فبنى عبد الملك الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها، ثم أراد أن يبرز عمله هذا فوجد فى الزهري ومقامه معروف آلة لوضع أحاديث مثل الحديث المشهور «لا تشد الرحال إلا لمسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

هذا رأى المستشرق - لا رأى الدكتور عبد القادر - الذى يقول، ولكن المستشرقين أنفسهم قد فندوا هذا الرأى الخاطيء بشدة، وأعلنوا أن فيه مخالفة واضحة لحقائق التاريخ، فقد قال المستشرق فينسك فى ذلك وزعم بعضهم - يعنى جولد زيهري - وضع حديث لا تشد الرحال وهو حديث مذكور فى جميع كتب السنة المعتمدة، وذلك لكى يحل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى الكعبة، ولكى يحمى الخليفة عبد الملك فى حربه ضد ابن الزبير الثائر عليه بالبلاد المقدسة، ولكن هذا الاتهام لمثل هذا المحدث

الزبير يستقل بأمر الحجاز . وأن عبدالله ابن مروان يستولى على بيت المقدس ويرفع فى المسجد الأقصى قبة الصخرة ليصرف الحجيج إليه لما رأى الزهري ذلك اخترع أحاديث شتى فى فضل بيت المقدس، ومن ذلك قوله على لسان رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى»^(١).

قال الدكتور ذلك مع إجماع العلماء على أمانة الزهري، وصدقه وورعه ومع أن التاريخ يروى أن عبد الملك بن مروان سأل الزهري ذات يوم عن المعنى بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

فقال الزهري: هو عبدالله بن أبى بن سلول. فقال عبد الملك: لا، بل هو على بن أبى طالب، فاشتات الزهري غيظا، وقال له: لا أبا لك: أعلى تفترى أم على الله؟

ونحن نرجو أن يتفضل الدكتور بكلمة توضيح فى هذا الموضوع.

رد الدكتور على حسن عبد القادر

وفى العدد التالى من مجلة الرسالة الصادر بتاريخ ١٧ من يونيه سنة ١٩٤٠ كتب الدكتور على حسن عبد القادر رداً قال فيه:

«إنى كنت فى محاضراتى عن تاريخ علم الحديث أعنى بتعريف الطلاب طريقة البحث

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٦٦/٢.

(٢) النور (١١).

نقول عن الزهري

١- يقول الليث بن سعد قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة فذكر سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود، ثم قال: وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب الزهري لأنه جمع علمهم إلى علمه.

٢- وقال أيوب المصري أحد أئمة الحديث: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري فقال له صخر ابن حدير، ولا الحسن (يريد الحسن البصري) فقال: ولا الحسن.

٣- وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حنبل: لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن.

٤- وقال الإمام مالك: بقي ابن شهاب، وماله في الناس نظير، وكان إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها.

وتلمذة الإمام مالك لابن شهاب الزهري ذائعة مشتهرة وقد تحدث عنها الأستاذ «أمين الخولي» في الجزء الأول من كتابه (مالك بن أنس ترجمة محررة) وقال عنه ناسبا القول إلى مالك:

لما قدم ابن شهاب إلى المدينة كنا نزدحم على درج سلم بابه، وكان لبابه عتبة حسنة، فكان مالك وزملاؤه يتدافعون على العتبة حتى يسقط بعضهم على بعض، وقد جاء يوم

الكبير تسقطه الأدلة التاريخية فإن خروج ابن الزبير كان في مسنة لا تسمح للزهري بأن يكون مفتياً لأنه كان شاباً لا أهمية له، ولم يكن قد بلغ شهرته في الحديث، وكان سعيد ابن المسيب الذي روى عنه الحديث لا يزال حياً، وبالطبع لا يمكن أن يسمح سعيد بأن يستعمل استعمالاً سيئاً، خصوصاً إذا علمنا أن الزهري لم يكن وحده هو الذي روى الحديث عن سعيد.

ثم يقول الدكتور علي عبد القادر، فهل تراني بعد هذا أشك في ثقة الإمام الزهري بعد أن شهد له الأصدقاء والأعداء. وتضافرت على إمامته الأبحاث القديمة والحديثة. أم ترى أن ما نقل عنى قد حرف تحريفاً أبرأ إلى الله منه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِمِينَ﴾ (٣)

هذا، وقد أشار الدكتور الشرباصي كما أشار الدكتور علي حسن عبد القادر إلى أن الإمام الزهري ثقة قد وثقه السابقون واللاحقون من أئمة الحديث، وقد رأيت بهذه المناسبة أن أنقل عن بعض هؤلاء ما قالوه في حق هذا الإمام الجليل، وهي نقول مشتهرة أحسن الأستاذ ناجي الطنطاوي العالم التقى جمعها في بحث له مستفيض عن الإمام الزهري ومما كتبه تحت عنوان (منزلته بين العلماء).

بحوث جولدزيهر

أحسن الظن بمؤلفات جولد زيهر نفر من أساتذة الأزهر الشريف، فقاموا بترجمة كتابي «العقيدة والشريعة»، و«مذاهب التفسير الإسلامي» ومن هؤلاء من لا يجهل مكانهم العلمي، وغيرتهم الحماسية على الإسلام مثل الدكتور: محمد يوسف موسى، وعبدالحليم النجار، وعلى حسن عبدالقادر، وعبدالعزیز عبدالحق، وقد اعترفوا بما يتضمن من أخطاء صارخة مبعثها الغرض، وحاولوا الرد على بعضها في هوامش الصفحات، وأنا أرى أن الأمر كان يستدعي الرد على جميع الشبهات لا على بعضها، ليسلم القارئ غير المثقف من مكاييد المؤلف الداهية، ولا أجدني موافقا للأستاذ الدكتور عبدالحليم النجار حين قال في مقدمة ترجمته لكتاب مذاهب التفسير الإسلامي.

لا يحط من قيمة الكتاب اشتماله على قليل من النزعات التي لا يخلو منها كتاب من كتب المستشرقين لا سيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يملئها عليهم ألف ملازم، أو قصد جائر، ولو اعتمدنا ذلك سببا في إطراح هذه الكتب وإهمالها لفاتنا خير كثير.

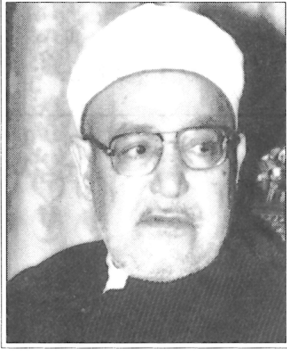
وقد كان جدير بنا أن ننبه على ذلك لولا العزوف عن الإطالة ولولا أن أعجلني انتدابي

العيد، فقلت في نفسي هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب لنفسه، فانصرفت من المصلي حتى جلست على بابي، فسمعتة يقول لجاريتته من بالباب؟ فقالت مولاك الأشقر مالك. قال أدخله. فدخلت. فقال: ما أراك انصرفت إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئا؟ قلت: لا. قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فماذا تريد؟ تحدثني. فجعل يحدثني.

كرمه وسخاؤه

قال الإمام (كان الزهري من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال (يريد أنه أنفقها على الفقراء) قال له مولى له يعظه، وقد رأيت ما مربك من الضيق والشدة. فانظر لنفسك، وأمسك عليك مالك فقال له ويحك: الكريم لا يخضع للتجارب.

وقد نزل يوما على ماء ليستقي. فقال له أهل هذا الماء: إن لدينا ثمانى عشرة امرأة عجوز ليس لهن خادم، ولم يكن مع الزهري شيء من المال فاقترض ثمانية عشر ألفا من الدراهم، وأعطى لكل امرأة ألفا لتشتري به من تخدمها وتستعين على معاشها. فقليل له: إن الناس يعيبون عليك كثرة الدين، فقال: وكم ديني؟ فقليل عشرون ألفا؟ فقال عندي أكثر من ذلك. ولا يرثنى إلا أخى!



الشيخ/ محمد الغزالي

وهو من رجال
أوائل القرن
الميلادي
الحاضر^(٤)، وله
دراسات في
القرآن وعلومه،
والحديث
وعلومه،
والفقه

وأصوله، وكتب المتكلمين، ولكنه محتال
ماهر في توليد ما يشاء من نصوص يتصيداها
من مصادر تعجبه باعتبار غايته مغالطا في
تحميلها مالا تحتتمل من المعاني عند أهل
البصيرة، ومتجاهلا اختلاف منازل تلك
المصادر في الثقة والتعويل.

لكن ترجمة تلك الكتب بمعرفة بعض
الأزهريين من غير عدة كافية، ونشرها بدون
ردود وافية، وعرض شكوك أولئك
المتشككين من أعداء الإسلام لأنظار أهل
الضاد تكون نيابة عن هؤلاء الفاتنين، وهذا
ما لا يرضاه الأزهر معقل الإسلام الأوحده فيما
نرى.

هذه كلمة تنصف الحق قبل أن تنصف
المفتري عليهم من شيوخ الإسلام الثقات.

لتدريس التفسير والحديث بكلية الآداب
ببغداد.

فهذا القول يحمل أدلة نقضه، لأن
السكوت عن رد المفتريات يؤكددها لدى
العامّة وبعض الخاصة وإذا لم تتح المدة
للمترجم أن يقوم بذلك فعليه أن يوكل من
زملائه من يشاركه العمل. وتأتى الهوامش
حافلة بالردود.

ومن الحسن أن نذكر أن المرحوم الأستاذ
الشيخ عبدالفتاح القاضي قد وضع مؤلفا
ينقد ما جاء بكتاب التفسير من المفتريات
كما أن الأستاذ الكبير الشيخ محمد الغزالي
قد وضع كتابا قيما في نقض ما جاء بكتاب
العقيدة والشرعة فألفت لهما الأنظار.

خاتمة

وأختم مقالى بما قاله الإمام محمد زاهد
الكوثرى عن مؤلفات جولد زيهري منقولاً عن
المقدمة الحافلة التى كتبها الشيخ محمد
الغزالي فى صدر كتابه.

قال الإمام الكوثرى:

ومن أخطر هذا الفريق المموه «جولد زيهري»
المجرى الدم، اليهودى النحلة العريق فى عدااء
الإسلام الماضى فى هذا السبيل طول حياته.

(٤) يقصد القرن العشرين.

اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)

هل قال ابن رشد بحقيقتين؟ دينية... وفلسفية؟

لأستاذ الدكتور / محمد عمارة

في مارس سنة ١٢٧٧م أصدر أسقف باريس «اتين نامبيه» مرسوماً كنسياً حرم فيه عدداً من القضايا الفكرية لتيار «الرشدیین اللاتینیین»، منها «قولهم بحقيقتين مختلفتين، وفي ذات الوقت صادقتين، أحدهما دينية إيمانية، والأخرى فلسفية عقلية».

وكان القول «بالحقيقتين»، وليس «بوحدة الحق والحقيقة»، هو التعبير عن مناهج الفلسفة الوضعية الغربية من الدين، وعلاقته بالعلم.. فهذه الفلسفة الوضعية ترى أن المعارف الدينية «قلبية وجدانية»، لها دورها النفعي بالنسبة للعامة من الناس، الذين لا تصبغهم الفلسفات العقلية.. بينما المعارف العلمية عقلية برهانية، تخضع للفحص والاختبار الذين لا تحتلها المعارف الدينية القلبية الوجدانية، وأن من النافع وجود حقيقتين، متجاورتين، تتجاور الغريقتين المستقلتين، لكل منهما نظامها ومعاييرها وجمهورها.. فالحقيقة الدينية الالاعقلية والالاعلمية صادقة بالنسبة لجمهورها، والحقيقة العقلية الفلسفية صادقة أو هي وحدها الصادقة بالنسبة للخاصة المتحركة لها.

جميعاً... وهذا القول بالحقيقتين هو الذي ورد النص عليه في مراسيم التحريم الكنسية لفكر «الرشدیین اللاتین».

تلك هي الفلسفة الوضعية الغربية، في الحقيقتين، التي بشر بها «الرشدیون اللاتین» في مواجهة احتكار اللاهوت الكنسي لحقائق عالم الشهادة وعالم الغيب

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجِدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣)، (٤).

فالحق واحد .. والتعدد هو فى طرق التصديق بهذا الحق الواحد .

● ولأن الحق واحد فى ذاته، والمعانى واحدة فى نفسها، ضربت للجمهور مثالاً ليدرك هذا الحق الواحد وهذه المعانى الواحدة، دون تعدد للحق أو المعنى .. فالمثالات سبل لإدراك الحقيقة الواحدة، التى يدركها البرهانيون دون مثالات .. « وأنت إذا تأملت الشرع وجدته، مع أنه ضرب للجمهور فى هذه المعانى المثالات التى لم يمكن تصورهم إياها دونها، قد نبه العلماء على تلك المعانى أنفسهم التى ضرب مثالاتها .. » (٥)

فالمعانى واحدة، والحق واحد، والمثالات طرق وسبل للتصديق بالمعانى نفسها، التى يدركها الراسخون فى العلم ويصدقون بها ذاتها دون مثالات .

● والتمايز بين الناس - حكماء - وجمهوراً .. ومتوسطين بينهما - ليس فى تمايز الحقائق والمعانى التى يدركها فريق عن الآخر .. وإنما هو فى « القدر والنصيب » الذى يستطيع إدراكه كل فريق من ذات الحقيقة الواحدة .. « فالطريقة بالشرعية التى دعا الشرع منها جميع الناس، على اختلاف فطرهم، إلى الإقرار بوجود البارى - سبحانه - والتى نبه الكتاب العزيز عليها، واعتمدتها الصحابة .. تنحصر فى جنسين: دليل العناية، ودليل الاختراع .. ولقد تبين أن هاتين الطريقتين

لكن الزعم بأن ابن رشد هو القائل بثنائية الحقيقة، لا بوحدة الحق (١) .. هو الادعاء الذى تنقضه وتفنده إبداعات فكر هذا الفيلسوف العظيم .. فالتأويل عند ابن رشد - كما سبق وأوردنا نصوصه فيه - هو سبيل إلى وحدة الحقيقة، وليس إلى تعددها، لأنه موقف من تعدد طرق ومستويات الناس فى التصديق بالحقيقة الواحدة، وليس سبيلاً لإثبات ثنائية الحق والحقيقة .. وله فى ذلك عشرات النصوص التى لا لبس فيها ولا غموض .

● فهو يؤكد على وحدة الحقيقة، فى الذات الإلهية .. وفى الشريعة الإلهية وفى المخلوقات كلها .. مع تعدد وتنوع طرق التصديق بالحقيقة الواحدة، تبعاً لتعدد جبال وطبائع الناس - جمهوراً .. وحكماء .. ومتوسطين بينهما - فيقول: « إنا نعتقد معشر المسلمين، أن شريعتنا هذه الإلهية حق، وأنها التى نبهت على هذه السعادة، ودعت إليها، التى هى المعرفة بالله - عز وجل - وبمخلوقاته، فإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذى اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق، وذلك أن طباع الناس متفاضلة فى التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأوقال الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس فى طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقوال الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقوال البرهانية . وشريعتنا قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث .. ولذلك حُصَّ عليه الصلاة والسلام بالبعث إلى الأحمر والأسود، أعنى بتضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله - تعالى - وذلك صريح فى قوله تعالى:

(٣) النحل: ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق. ص ١٣٥، ١٣٨، ١٥٠، ١٥١ .

(٥) (مناهج الأدلة) ص ١٩١ .

(٤) (فصل المقال) ص ٣٠، ٣١ .

بين مستويات العارفين بها هو في كثرة أو قلة ما يدرك كل فريق من هذه الحقيقة الواحدة.. ففي الكثرة، والتعمق يكون التفاوت والتمايز لدى الفرقاء « في معرفة الشيء الواحد نفسه » - بعبارة أبي الوليد.. القاطعة بوحدة الحقيقة مع تفاوت طرق إدراكها، والنسب المدركة منها، وعمق الإدراك لها.

● وابن رشد عندما مايز في تأليفه بين الكتب التي توجه بها إلى الجمهور - مثل - « مناهج الأدلة » - والتي وجهها إلى الحكماء - مثل - « فصل المقال » - لم يصنع ذلك لتعدد الحقيقة واختلافها باختلاف المخاطبين بهذه الكتب - كما فهم الكثيرون من عباراته.. وإنما أراد - « في مناهج الآلة » - مخاطبة الجمهور المعتقد - خطأ - مخالفة الحكمة للشريعة، فعرض لهذا الجمهور أصول الشريعة، وذلك لإثبات أنها لا تخالف الحكمة.. كما أراد - في « فصل المقال » - مخاطبة المنتسبين إلى الحكمة، المعتقدين - خطأ - مخالفة الحكمة للشريعة، فعرض لهم أصول الحكمة، وذلك لإثبات أنها لا تخالف الشريعة.. فاختصاص كل كتاب بالتوجه إلى فريق من الفرقاء، والبدء معه بعرض الأصول التي ينحاز إليها، نابع من تحيز كل فريق - أحدهما لأصول الشريعة، والثاني لأصول الحكمة - مع توهم التعارض بينهما - وذلك وصولاً، بالفريقين، كل من نقطة انحيازه، إلى إثبات الحقيقة الواحدة، وهي تأخي الحكمة والشريعة دائماً وأبداً.

وفي نص حاسم لهذه المسألة التي لعبت دوراً كبيراً في شيوع قول ابن رشد بتعدد الحقيقة

هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعنى بالخواص العلماء، وطريقة الجمهور. وإنما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل، أعنى أن الجمهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان، أعنى من العناية والاختراع، حتى لقد قال بعض العلماء: إن الذي أدرك العلماء من معرفة أعضاء الإنسان والحيوان هو قريب من كذا وكذا آلاف منفعة. والعلماء ليس يفضلون الجمهور في هذين الاستدلالتين من قبل الكثرة فقط، بل ومن قبل التعمق في معرفة الشيء الواحد نفسه. فإن مثال الجمهور في النظر إلى الموجودات مثالهم في النظر إلى المصنوعات التي ليس عندهم علم بصنعتها، فإنهم إنما يعرفون من أمرها أنها مصنوعات فقط، وأن لها صانعا موجودا. ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر إلى المصنوعات التي عندهم علم ببعض صنعتها وبوجه الحكمة فيها.

أما مثال الدهرية في هذا، الذين جحدوا الصانع سبحانه، فمثال من أحس مصنوعات فلم يعترف أنها مصنوعات، بل ينسب ما رأى فيها من الصنعة إلى الاتفاق والأمر الذي يحدث من ذاته^(٦).

فالحقيقة في طرق معرفة الذات الإلهية واحدة بالنسبة للجميع، جمهوراً وعلماء، والتفاوت هو في تفاصيل معارف كل فريق من الحقيقة الواحدة - دليلي العناية والاختراع.. كما أن حقيقة أعضاء جسم الإنسان والحيوان واحدة، والتفاضل

(٦) المصدر السابق. ص. ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤.

مخالفة الحكمة للشريعة، وذلك بعرض أصول الحكمة، وإثبات أنها غير مخالفة للشريعة.

والحقيقة واحدة.. والحق لا يتعدد، في كل الحالات، وعلى اختلاف أصناف فطر المخاطبين.



● فالقصد من «التأويل» عند ابن رشد، هو «الجمع بين المعقول والمنقول»^(٨) لأن الحقيقة في المعقول والمنقول واحدة.

● «والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق، والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل والجامع بينها»^(٩).. فالظاهر والباطن لاختلاف الفطر في طرق التصديق بالحقيقة الواحدة، وليس لتعدد الحقيقة، والتأويل جامع بين الفطر وليس معددا للحقيقة.

● و«إن مبادئ الشريعة.. مثل الإقرار بالله، وبالنبوات، وبالسعادة الأخروية والشقاء الأخروي، تفضي جميع أصناف طرق الدلائل - الخطابية، والجدلية، والبرهانية - إلى معرفتها، فتكون ممكنة للجميع»^(١٠).

● «ولا يجوز التأويل في مبادئ الشريعة - لأن التأويل هو عمل العقل في الانتقال بدلالة اللفظ من الحقيقة إلى المجاز - وفق قوانينه» وهذه «المبادئ أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية.. وواجب كل إنسان أن يسلم بها ويقبل فيها» -

باختلاف الجمهور، وتميز الكتب التي يخاطب بها كل فريق.. يقول ابن رشد: «فالصواب أن تعلم الفرقة من الجمهور التي ترى أن الشريعة مخالفة للحكمة، أنها ليست مخالفة لها. وكذلك الذين يرون أن الحكمة مخالفة لها، من الذين ينتسبون للحكمة، أنها ليست مخالفة لها وذلك بأن يُعرَّف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنههما بالحقيقة، أعنى لا على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة، وأن الرأي في الشريعة الذي اعتقد أنه مخالف للحكمة هو رأى إما مبتدع في الشريعة لا من أصلها، وإما رأى خطأ في الحكمة، أعنى تأويل خطأ عليها.. ولهذا المعنى اضطررنا، نحن، في هذا الكتاب - «مناهج الأدلة» - أن نُعرِّف أصول الشريعة، فإن أصولها إذا تُوِّملت وجدت أشد مطابقة للحكمة مما أول فيها. وكذلك الرأي الذي ظن في الحكمة أنه مخالف للشريعة يعرف أن السبب في ذلك أنه لم يحط علما بالحكمة ولا بالشريعة. ولذلك اضطررنا نحن أيضا، إلى وضع قول، أعنى «فصل المقال في موافقة الحكمة للشريعة»^(٧).

فمعنى أن كتاب «مناهج الأدلة» موجه إلى الجمهور، هو أنه رد على شبهات الجمهور المعتقد مخالفة الشريعة للحكمة، يعرض أصول الشريعة، ليثبت أنها لا تخالف الحكمة.. ومعنى أن كتاب «فصل المقال» موجه إلى المنتسبين إلى الحكمة، أنه رد على شبهاتهم التي حسبوا بسببها

(٨) (فصل المقال) ص ٣٢.

(١٠) المصدر السابق. ص ٤٥، ٤٦.

(٧) المصدر السابق. ص ١٨٤، ١٨٥.

(٩) المصدر السابق. ص ٣٣، ٣٤.



التنوير الغربى الوضعى والمادى - التى استخلصناها من كتابات فلاسفته - كما عرضها دعاته - ما يشهد على زيف دعواهم تأسيس ابن رشد لهذا التنوير.

إن من أبرز مقالات التنوير الغربى :

١- «إن الإنسان حيوان طبيعى - اجتماعى، فهو جزء من الطبيعة، وهى التى تزوده، فهو أقرب إلى الحيوان، منه إلى الله - فليس خليفة لله، خلقه، وكرمه بأن نفخ فيه من روحه، وفضله على سائر المخلوقات وسعادة هذا الإنسان دنيوية محضة، يجدها فى العاطفة والشهوة وحدهما» ..

٢- «وحصر الاهتمامات الإنسانية بقضايا العالم الراهنة، والطبيعية المحسوسة، لا العالم الآخر، أو ما وراء الطبيعة» ..

٣- «والوقوف، فى الدين، عند «الدين الطبيعى»، الذى هو إفراز بشرى من صنع العقل، لا «الدين السماوى»، المتجاوز للطبيعة .. واعتبار الشعور الدينى مزيجاً من الخوف الخرافى والرغبة فى تغيير ظروف مؤلمة» ..

٤- «وتحرير العقل من سلطان الدين، وإعمال العقل دون معونة من الآخرين، وجعل السلطان المطلق للعقل، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل وحده» ..

٥- «وإحلال العلم محل الميتافيزيقا .. وعدم تجاوز الملاحظة والتجربة إلى ما وراءهما من سبل المعرفة «النقلية» و«الوجدانية» ..

فحقائقها لا تتعدد، لإدراكها بجميع أصناف طرق الدلائل .. ولعجز العقول عن أن تدرك «كيفية وجودها، لأن هذا الوجود أمر معجز عن إدراك العقول الإنسانية» لا تستطيع أن تدرك فيه غير ما يدركه الجميع «بأصناف طرق الدلائل»^(١١).

تلك هى حقيقة «الرشدية الإسلامية»، التى عبّرت عنها إبداعات فكر ابن رشد، إذا نحن قارناها «بالرشدية اللاتينية»، التى أُلصقت مقولاتها، زورا وبهتانا، بفيلسوفنا الإسلامى إبان الصراع الذى خاضته الكنيسة الأوروبية ضد «الرشديين اللاتين» ..

وإذا كان التزوير، الذى استظل باسم ابن رشد - فى القرن الثالث عشر الميلادى - لينسب إليه نقيض فلسفته، إنما يعد «اغتيالاً لإسلامية فيلسوفنا» .. فإن هذا التزوير يعود اليوم على يد دعاة التنوير - الوضعى والمادى الغربى - محاولاً «اغتيالاً إسلامية فلسفة ابن رشد» مرة أخرى، وذلك عندما يزعمون أن «الرشدية اللاتينية» هى حقيقة فلسفة ابن رشد، وأنه هو المؤسس للتنوير الوضعى العلمانى اللادينى، الذى تبلور فى الغرب بالقرنين السابع عشر والثامن عشر .. فهم يتوسلون «بالتزوير» لنبتلع طعم «التنوير الغربى»، الذى يريدون إحلاله محل الخيار الإسلامى فى التقدم والنهوض! ..



وإذا كانت هذه الصفحات قد أبرزت تناقض «الرشدية الإسلامية» مع مقولات «الرشدية اللاتينية»، فلعل فى الإشارة إلى معالم مقولات

(١١) (تفاوتت التهافت) ص ١٢٤، ١٢٥.

والمتكلم، والفقيه، والقاضى، والطبيب أبى الوليد ابن رشد. (١٣)

فهل من علاقة حقيقية يدركها عقل نزيه، بين فكر أبى الوليد - الذى وفق بين الحكمة - وهى الإصابة فى غير النبوة - وبين الشريعة - التى هى الإصابة فى النبوة - انطلاقاً من أن الله - سبحانه وتعالى - هو مصدر الكتاب والحكمة جميعاً؟.. والذى فلسف علم الكلام الإسلامى، وبرهن بالنظر العقلى على صدق الإيمان الإسلامى؟.. كما فلسف - كفقيه مالكى - اختلاف اجتهادات الفقهاء المسلمين؟.. وقاضى القضاة، الذى عاش حياته يقضى بين الناس بشريعة الإسلام؟..!

هل من علاقة حقيقية، أو حتى متخيلة، يمكن أن تقوم بين فكر أبى الوليد وبين الخيار الحضارى الغربى المؤسس على التنوير الوضعى العلمانى؟..!

أم أن الموقع الفكرى لفيلسوف قرطبة، هو كما رآه بحق الإمام محمد عبده: «فيلسوف إلهى، ومذهبه مذهب إلهى، قاعدته العلم...؟»

نأمل أن تكون هذه الصفحات قد حملت الإجابة الشافية والموضوعية عن هذا السؤال.. وأن تكون المكانة الفكرية - البارزة.. والراسخة - لابن رشد فى النسق الفكرى الإسلامى قد نفضت عنها غبار المتغربين وشبهات أصحاب الشبهات!..

٦- «واعتبار الفكر وظيفة الدماغ.. فالدماغ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء. وليس هناك نفس فى الإنسان».

٧- «وإثارة الشكوك فى مشروعية المطلق، فالإنسان هو مقياس المطلق».

٨- «واستنباط الأخلاق من الطبيعة الإنسانية.. وحصر علاقتها بالسعادة واللذة، لا بالفضيلة والاحتياجات الروحية.. مع جعل الأولوية للإحساسات الفزيقية على المفاهيم الأخلاقية والعقلية فالأخلاق من صنعنا ومن ثمرات خبراتنا، وهى مستندة إلى الحالة الفزيقية..»

٩- «وإحلال الاجتماعية» محل «الدينية» سبيلاً لتحقيق السعادة الدنيوية - بالعاطفة والشهوة - فالطبيعة هى التى أوجدت الإنسان، والمجتمع هو المسئول عن سعادته».

١٠- «ورد القوانين إلى أصول فزيقية وتاريخية.. وتحرير التاريخ من السنن الإلهية، وتفسيره بمفاهيم طبيعية، أو مفاهيم خلقية نابعة من الطبيعة الإنسانية» (١٢).



تلك هى «الوصايا العشر» للتنوير الغربى، الوضعى العلمانى.. كما صاغها فلاسفته، وعرضها دعائه الذين يجددون اليوم محاولات أسلافهم «اغتيال إسلامية الفلسفة الرشدية»، ليتسللوا بهذا «التنوير - اللادينى» إلى عقول الأمة المسلمة، تحت ستار اسم الفيلسوف المسلم،

الحضارة الإسلامية نتفوق ولا تتراجع

لدأستاذ الدكتور أحمد عمرهاشم

لقد أقام الإسلام خير أمة أخرجت للناس على قواعد متينة وأنشأ الحضارة الإسلامية الكبرى على ركائز صينة لا يكتفى فيها بجوانبها المادية والإنسانية، ولكن ربط حضارته بالله قيوم السموات والأرض وتوجيهات رب العزة. سبحانه وتعالى. في القرآن الكريم وتوجيهات أظهر من مشى على الأرض سيدنا رسول الله ﷺ، ومن هنا فاقت هذه الحضارة الإسلامية الكبرى كل الحضارات وأخذت كل الدول التي كانت في باكورة حياتها في ثبات عميق تقتبس من حضارة الإسلام وتنقل عن طريق الترجمات والرحلات كل ما فيها فأضاعت حضارة الإسلام هذا العالم أجمع وكانت توجيهات رب العزة. سبحانه وتعالى. ألا يكتفى المسلمون بما هم عليه، بل عليهم أن يسابقوا الزمن وكان يحثهم على ما سيطلعهم عليه وما سيريه للعالم أجمع من أسرار هذا الكون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١).

حين ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدَ حِينٍ﴾ (٢) وسيرون ما في هذا الكون من أسرار أودعها الخالق العظيم، وأمر أن تقوم تلك الحضارة على إعداد القوة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (٤) فقامت

وأولى آيات الوحي الإلهي دعوة للقراءة والعلم والمعرفة والحضارة:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٢) وأشار القرآن إلى ما سيكون في الغيب وأنهم سيعلمون نبأه بعد

(٢) العلق (١).

(٤) الأنفال (٦٠).

(١) فصلت (٥٣).

(٣) ص (٨٨).

صان أيضاً حرمة النفس غير المسلمة ما دام صاحبها لم يحارب ولم يعتد :

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨)

ولم يكتف بالحفاظ على حرمة النفس المسلمة وحرمة النفس غير المسلمة بل صان نفس الحيوان والطير :

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ (٩)

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ يقول : (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها) (١٠) . يشير إلى هذه الآية :

﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ . وبنه كيف دخل رجل الجنة وغفر الله له لأنه سقى كلباً شربة ماء وكيف دخلت امرأة النار لأنها حبست هرة أفحضارة مثل هذه بما لها من معان ومبادئ تنهض عليها حضارة الإسلام على هذا النحو الذى يصون حرمة النفس المسلمة وغير المسلمة والطير والحيوان وكل ماله نفس وكل ذات كبد رطبة أفضل هذه الحضارة ترمى بأنها تتراجع؟! أفضل هذا الدين وهذه التعاليم، يُرمى بأنه دين إرهابي؟! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

إن رسول الله ﷺ، حين أسس خير أمة أخرجت للناس أسسها على الإيمان، والعدل، والحق، ونشر

الحضارة الإسلامية على أسس علمية ومادية وإنسانية تتوثق فيها روابطها وركائزها بالله قيوم السموات والأرض، وفى كل مجالاتها لا تكون معتديه ولا يكون المسلمون معتدين أبدا :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (٥)

ويحرم الإسلام - حتى فى الحروب - الاعتداء على من لم يحارب وعلى كبار السن والمرأة والأطفال وعلى المنشآت وعلى الزروع وإنسانية الحضارة الإسلامية وارتباطها بالله - سبحانه وتعالى - يجعلها كل يوم فى تقدم ويدخل فى الإسلام بسبب هذه المعانى الإنسانية مئات يعتنقون هذا الدين لأنهم رأوا رأى العين إلى أى مدى وصل الإسلام فى عظمته، أنه يحمى حق الإنسان فى الحياة وحرمة الإنسان :

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مِّمَّ خَلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٦) .

ويحمى حرمة الإنسان غير المسلم كما يحمى حرمة الإنسان المسلم بل إن رسول الله ﷺ عندما مرت أمامه جنازة وقف لحرمة الميت وقيل له : يارسول الله إنها جنازة رجل يهودى! قال : «أو ليست نفساً؟» (٧) .

أنظروا إلى أى مدى كانت إنسانية الإسلام بل إنه لم يكتف بصيانة حرمة النفس المسلمة بل

(٦) النساء (٩٣) .

(٨) المتحنة (٨) .

(١٠) أحمد ٥٤/٥ : ٥٦ .

(٥) البقرة (١٩٠) .

(٧) رواه الخمسة ماعدا الترمذى .

(٩) الأنعام (٣٨) .



ثيابه وقال على ملاً من أصحابه: إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطَّل أي تُسَوِّفون في الحقوق وراح عمر يريد أن يؤاخذ الرجل فنهاه الرسول ﷺ وقال له: «لا يا عمر أنا وهو أولى منك بغير ذلك تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء، لم يأت موعد حقه، ولكن قم وأعطه حقه الآن. فقام عمر ليعطيه حقه، فقال النبي ﷺ: «زد الرجل على حقه شيئاً» قال: لماذا يارسول الله؟ قال: «لأنك روعته وأفزعته» فلما راح ليزيد قال: أنت زيد بن سعة؟ قال: ما الذى دفعك على ما قلت على ملاً من أصحاب رسول الله ﷺ وفعلت ما فعلت مما لا يليق بمقامه؟ قال: والله يا عمر لأصدقك القول أنى رجل من أهل الكتاب وحبر قرأت الكتب القديمة وعرفت أوصاف آخر نبي يختم الله به الرسل وعرفت هذه الأوصاف فى محمد سوى وصفين كنت أبحت عنهما فما وجدتهما أن يسبق حلمه جهله وألا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً على حلم وقد أردت بما صنعت أمامكم من صنيع أن أختبره إن كان نبي آخر الزمان أم لا وقد وجدته حقاً ووجدت كل أوصاف النبوة الخاتمة فيه فأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله». ودخل الرجل فى الإسلام، ما دخل الإسلام بإكراه ولا بعنف ولا بسيف ولا بقوة ولكن دخل الإسلام باقتناع بسماحة الإسلام وبحسن معاملة رسول الإسلام ﷺ، هذا هو ديننا الحنيف ياكل مجتمعات الأرض يا من ترمونه بأنه دموى أو إرهابى أو أن حضارته تتراجع كلاً وألف كلاً فهو الدين العالمى الذى ختم به الله أديان السماء

الفضيلة، ومحو الرذيلة، أسسها على السلام والأمان والتسامح بين الجميع أسسها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى وحدة جامعة للأمة تجمعها ولا تفرقها أسسها على جوهر رسالته التى بعث بها والتى تلخص فى كلمة واحدة: «هى الرحمة» التى خاطب بها رب العزة، ووضح أنه لم يرسل إلا ليكون رحمة للجميع للمسلم وغيره وللإنسان وغيره من سائر المخلوقات، فقال سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١١) هذه

هى حضارتنا وهذه هى تعاليم عقيدتنا التى دعت إلى التراحم بين البشر جميعاً وإلى صيانة حرمة النفس البشرية وصيانة كل ذى كبد رطبة، هذه تعاليم هذا الدين الحنيف الذى يحاول أعداؤه أن يرموه بالتناقض أو التراجع أو الإرهاب، والإسلام لا يقر الإرهاب أبداً، بل على العكس يدعو إلى حماية حق النفس الإنسانية ويدعو إلى حرمة النفس الإنسانية فإن بعض الأئمة يرى أن «قاتل النفس ليس له توبة». مصداقاً لقول رسول الله ﷺ:

"أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة" (١٢). وهو لهذا يؤكد على حرمة النفس الإنسانية ويؤكد على حرمة النفس المسلمة وحرمة النفس غير المسلمة، وما انتشر الإسلام بالسيف ولا بالإرهاب ولا بالعدوان ولكن انتشر بسماحته العظيمة وبمبادئه القويمة حتى إن رسول الله ﷺ كان يتعامل بهذه السماحة مع أعدائه ومع غير المسلمين وحتى إنه لما جاء زيد بن سعنه وطالبه بهذا الحق فى حدة وشدة وأخذ بمجامع





الدول وجميع الحكام والشعوب إلى نداء العقل الذى أطلقه القائد والزعيم الرئيس / محمد حسنى مبارك من فوق منبر مصر من أرض الكنانة من بلد الأزهر حامى الإسلام والعروبة أطلقها مدوية صريحة إلى ملتقى عالمي إلى مؤتمر دولي يرأب الصدع يجمع الشمل يصفى جيوب الإرهاب فى كل مكان وليس بالعنف وليس بالقصف ولكن بالعقل والحكمة لياخذ الجانى عقوبته :

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (١٤). ونحن إذ نرى فى هذه الدعوة المخلصة الحكيمة العاقلة ما ينسجم مع شريعة السماء ومع كل شرائع السماء ندعو من فوق منبر الإسلام جميع الحكومات والرؤساء وجميع المسؤولين فى كل الأرض .

حرام عليكم أن تشتعل نيران الحرب وتعود حروب عالمية مرة أخرى تأكل ملايين البشر من عباد الله ظلماً وعدواناً لغطرسة سياسية معينة أو لبلطجة عنيفة أو لعريضة الصهيونية العالمية على أرض القدس، إننا نناشد كل المسؤولين فى كل الأرض أن يصغوا إلى نداء العقل والحكمة وأن يأتوا إلى كلمة سواء حتى يحل السلام العالمى والتعايش السلمى .

اللهم إنا نسألك أن تجمع أمتنا على الحق وأن تؤيدنا بالحق وتؤيد الحق بنا إنك سميع مجيب .
اللهم أيد قائد مسيرتنا السيد الرئيس مبارك وأيد سائر ولاة أمر المسلمين فى كل مكان إلى ما تحبه وترضاه يارب العالمين .

وشرائعها واختار رسوله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج ليكون إماماً لجميع الأنبياء والمرسلين، إعلناً لعالمية الدين وإعلناً للتعايش السلمى بين أتباع جميع الأديان على ظهر الأرض وهذا ما تدعو إليه شريعة السماء، إنها تدعو إلى السلام العالمى، وإلى التعايش السلمى، حتى لا تقصف دول أو مدنيون تحت مسمى الإرهاب وحتى لا يعتدى على دول عربية أو إسلامية أو مدنين تحت مسمى الثأر للإرهاب، فالجاني يأخذ عقوبته أما الذين لم يجنوا ولم يعتدوا فمن الظلم والعدوان أن يتهم دين أو أمة أو شعب والله - سبحانه وتعالى - رقيب وإن ربك بالمرصاد ولا يظن أحد أن قوته تحميه أو أنه يعصف بمقدرات دول أو شعوب كما يريد، فالله فوق كل القوى وفوق كل الدول وفوق كل الأسلحة مهما بلغ تفوقها، فإن فوقها رباً قادراً على كل شئ يقول للشئ كن فيكون، فهو القادر الذى يغير ولا يتغير، القادر على كل شئ، ولكن علينا أن نوثق صلتنا به ونصطلح مع الله وأن نعلم أننا حين نكون مع الله يكون الله معنا وحين ننصر تعاليم السماء وشريعة الله ينصرنا الله فهذا هو القانون الربانى .

﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١٣) .

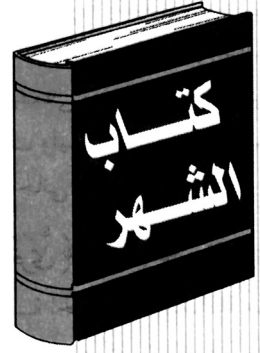
إن أمتنا الإسلامية والعربية، بل إن العالم أجمع يمر فى هذه المرحلة بمنعطف خطير بعد تداعيات بعض حوادث الإرهاب فى المنطقة وبعد التريص ببعض الدول والشعوب مما يستوجب علينا أن نكون على قلب رجل واحد وأن تصيخ جميع



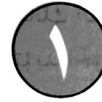


بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي

تأليف
محمد تقى الأميني



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض





لعل من أبرز خصائص الحياة في القرن العشرين.. تلك الحيرة التي أصابت إنسان هذا القرن، فملكته عليه كل أقطاره، حتى غدا ريشة تلعب بها رياح تلك الحيرة التي واصلت اشتدادها، حتى صارت إعصارا مدمرا.

فإنسان هذا القرن -وقد ورث بواكير الفتوح العلمية الجليلة التي حققها الأسلاف في القرن التاسع عشر وما سبقه - اعتقد أنه مع القرن العشرين سوف يطرح وراء ظهره حياة الفلق والتعب والشقاء، ليعيش في جنات الخلد التي طالما حلم بها وتمناها، والتي وعده العلم الحديث بقفزاته السريعة أن يكفلها له.

للخجل من الوصم بالشذوذ مكان .. حتى اتسع صدر المجتمع هناك للاحتفال المعلن بزواج رجل من رجل، بل اتسع لقبول التظاهر المعلن دفاعا عن الشواذ بزعم أنه دفاع عن الحرية، والتظاهر المعلن للدعوة إلى مؤاخذه من يعترض هؤلاء، ولحض المجتمعات غير الأوروبية على قبول الشذوذ، بدعوى التسامح والتحديث التي حملت لواءها المؤتمرات المنسوبة قهراً إلى الأمم المتحدة، دون حياة أو خجل. حتى فوجيء الناس بتلك الجرأة الوقحة التي تدعو إلى تحريم الزواج الطبيعي في السن المبكرة، وتحض على السماح بالممارسات الشاذة للرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة دون تحديد بسن.

أبرز مقاصد الكتاب

فلم تعد حيرة إنسان القرن الحادى والعشرين نابعة من تلك التناقضات الحادة فى الحياة الغربية فحسب، بل زاد من عنفها ما يمليه الغرب على الأمم غير الغربية من نظم وأفكار وسلوكيات وأخلاقيات غريبة على فطرة الإنسان، وليس لها فى هذه المواطن ما يبررها ولا ما يسيغها سوى التبرؤ من رفض الآخر، حتى أصبح إنسان القرن الحادى والعشرين بين أمرين أحلاهما مر، فهو إما

ولكننا ننظر اليوم إلى هذا الإنسان - وقد نفذنا إلى القرن الحادى والعشرين - فنرى القلق والتوجس والاضطراب والخوف تنبض به كل خلية من خلايا جسمه، على الرغم مما حققه له التطبيق العلمى (التكنولوجيا) من يسر، وترف، ووفرة، وثناء، فها هى الأرقام تقرر، والإحصاءات تعلن أن الإنسان فى الولايات المتحدة الأمريكية، وفى الدول الأوروبية الغربية - خصوصا فى الدول (الاسكندنافية) - قد تحقق له أغلى دخل فى العالم، وأنه قد توفرت لديه كل أسباب التنعم بماديات الحياة، من أجهزة معاونة، ووسائل اتصال، هيأت له تحقيق كل ما يريد، دون أن يبذل أى عناء، بل دون أن يتجشم أية حركة.. حتى توهم كثيرون أنه قد أصبح بمقدور هذا الإنسان أن يقول للشيء: كن فيكون.

وتتوالى الأنباء - فى الوقت نفسه - عن ارتفاع أعداد المنتحرين فى هذه المواطن، وازدياد الهاربين من الحياة بإدمان المخدرات والخمور، وانتشار جرائم القتل الفردى والجماعى فى المدارس والجامعات، وتفاقم ممارسات الرذائل فى شتى صورها، حتى كادت الرذيلة تصبح هى القاعدة السلوكية العامة بعد أن كسيت ثوب الحرية الشخصية، فلم يعد

وراجع الترجمة الدكتور عبدالحليم عويس من مصر، وهو أستاذ التاريخ المغربى والأندلسى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ونشرته دار الاعتصام سنة ١٩٨٢ فى تسع وخمسين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة للمراجع وعشرة فصول والكتاب - فيما أرى - تفسير مفصل لقوله تعالى :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١)

أو هو تعليل لما أصاب الإنسان من تيه وضلال، على الرغم مما حققه من كسب فى شتى مجالات الحياة المادية كفل له تفوقا علميا لم يسبق إليه - على ما يصوره له تقديره - ويمكن له من استغلال الطاقات الكثيرة الكامنة فى الأرض، والمبتوثة فى السماء، وزوده بقدرات جاب بها الأرض من أقصاها إلى أقصاها فى أقصر وقت يخطر على البال، حتى اعتقد أن زمام الأرض أصبح فى حوزته، واقتحم بها كواكب الفضاء، كوكبا بعد آخر، حتى توهم أنه يكاد يسيطر على الكون كله.. يحذره فى كل ذلك الأمل فى أن يحقق للإنسان فى الدنيا جنة تغنيه عن جنة الآخرة، وتقر فى عقله: أن لا إله، ولا آخرة، ولا حساب.

الفرور المصل

فى الفصل الأول (الحقيقة الإنسانية بين المذاهب الحديثة والتصور الإسلامى) أوضح المؤلف أن الإنسان - بما فطره الله عليه من طبائع

أن يكره نفسه على تقليد الآخر ومتابعته وإما أن يوصم بوصمة رفض الآخر.

وهكذا.. انحدر الإنسان فى القرن الحادى والعشرين إلى هوة العجز الفتاك، على الرغم مما تحقق له من قوة و ثراء، وقدرة، فلم تقدم له الفلسفات والأفكار المعاصرة ما قدمته له الانتصارات العلمية الحديثة. فلم يكن إلا أن يقع فريسة الحيرة والعجز.

وأمام هذه الحيرة المتراكمة المركبة سعى العلامة الهندى محمد تقى الأمينى لتبديد شىء من ركام تلك الحيرة بإشعاعات من ضوء الحقيقة المغيبة، أملا فى أن يوضح للإنسان طريقه، لعله يسعى لتعديل مساره، وينتشل نفسه والآخرين من ركام الضلال والحيرة، فقدم كتابه هذا (بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى).

أما العلامة الأمينى، فهو محمد تقى الدين عبدالحليم الأمينى المولود فى ٥ من مايو سنة ١٩٢٦، والمتخرج فى المدرسة الأمينية فى دلهى، حيث تتلمذ على طائفة من جلة علماء الهند، وعمل بالتدريس فى دار العلوم بندوق العلماء (بلكنو)، وغيرها من دور العلم فى الهند، حيث انتهى به المطاف فى جامعة (عليكرة).

وأما الكتاب فقد ترجمه من الهندية إلى العربية الدكتور مقتدى حسين ياسين، رئيس تحرير مجلة الجامعة السلفية ببنارس (الهند)، ووكيل الجامعة، والحاصل على الماجستير من جامعة الأزهر، والدكتوراه من جامعة (عليكرة) الإسلامية.



٤- خلو الساحة من القادة المهرة الذين يستطيعون قيادة عملية الحياة، والذين يحسنون استخدام هذه القوة، والذين يقدرّون المشاعر والعواصف تقديرا سليما.. أفقد القادة الموجودين استطاعة وضع الدليل أو الكتاب الإرشادي للحياة من موضع مرتفع عن المستوى الموجود الذي يمكن أن تسعد به الحياة.

وبتأثير هذا الوهم القاتل اعتقد الإنسان أن بمقدوره وضع نظريات بديلة تقوم بدور الإرشاد، فحولت هذه النظريات مسار الإنسان من الملاء الأعلى إلى الملاء الأسفل، كما نرى في نظرية القومية التي جعلت الوطنية الهدف الأصلي للإنسان، وكما نرى في نظرية التطور التي جعلت المادة هي الأساس الأصلي للإنسان، وحسبت الروح والعقل والشعور وغيرها من صور المادة أو من آثارها. وكما نرى في نظرية الجبلة التي جعلت طبيعة الإنسان تتضمن الطبائع الحيوانية فحسب. وكما نرى في نظرية الجنسية التي جعلت الإنسان في عداد البهائم التي تخضع لحكم الهوى. وكما نرى في نظرية الاشتراكية التي جعلت الإنسان آلة مصنوعة من المادة، إذ يرى الاشتراكيون أن طبيعة الإنسان تتغير بتغير الأحوال المادية فقط، ولا أثر للحاجات الروحية.

وهكذا.. اندفع الإنسان - بتأثير هذه النظريات - ليحل الدين السياسي محل الدين الحقيقي، وليصبح على يقين أن أصله بهيمي بعد أن كان روحيا، ولتغلب على الإنسان الطبيعة الحيوانية، فيحل التهور والاندفاع الجنسي محل العفة والشرف.

لازمة لوظيفة الخلافة - تجاوز حدوده الطبيعية، فلم يكتف بتغيير ملبسه، بل حاول أن يغير أشواق القلب وتوجهات الفكر التي كانت تنمو في كيانه، كما حاول طمس المعالم التي كانت تدل على أبعاد المكانة الإنسانية، فتحول - بذلك - عن نهج الحياة الفطرية وتطورها، متوهما أنه لم يعد في حاجة إلى مرشد يستهدي به، فقد تصور أنه - بعلمه وعقله - أصبح قادرا على ترويض الكون المحيط به، وتسخيرها لما يريد.

وليس من شك في أن الإنسان لم يصل إلى هذا التصور والتوهم مرة واحدة، بل لقد تنقل إلى ذلك في خطوات متتالية تدفعه فيها عوامل عديدة، من أبرزها:

١- إخفاق النصرانية - بلونها الجديد بعد حركة (مارتن لوتر) - في لمس أسلاك الحياة، وإيجاد التوازن بين عنصرها الأساسيين - وهما العقل والعاطفة - مما ترتب عليه انعزال الدين عن الحياة الاجتماعية والحضارية من جهة، وتسيد العقل، مع إهمال القلب من جهة أخرى.

٢- توهّم عدم الحاجة إلى الوجدان وغيره من سبل الوصول إلى الحقيقة، مما صرف الإنسان عن التعرف على طرائق الإيمان، بل صرفه عن الإيمان نفسه.

٣- اضطراب حركة الإصلاح إلى الإسراف في استيراد أمور عديدة من الحضارة الإغريقية والرومانية - بمفهومها القديم نفسه - مثل حرية الفكر والضمير، وسيطرة الفكر المادى، والإحساس الذوقى بالجمال، حتى أدى الإسراف في استخدامها إلى نتائج مؤسفة.





جانبا على جانب، ولا تحتل أى تغيير، ولا تميل
- فى الكون كله - نحو طائفة على حساب
طائفة أخرى، على ما نبه إليه الخالق جل وعلا فى

قوله:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ (٢).

وحاملو هذه التوجيهات ليسوا تجارا، ولا
زعماء سياسيين، فهم لا يراعون مصالحهم
الخاصة، ولا يرجون من الناس نفعا، بل هم دعاة
وقادة فوضوا أمرهم إلى الله - تعالى - وأوتوا من
العلم والحكمة ما يؤهلهم لقيادة الحياة.

ولكن الفلاسفة والمفكرين الخاضعين لسلطان
العقل وحده يصعب عليهم فهم هذه المكانة، إذ
يرون الإنسان بطبيعته لا يسعى إلا وراء مصالحه
الخاصة، فجميع أعماله إنما هى لطلب نفع ذاتى،
حتى إن حب الوالدين - فى تقديرهم - لا يخلو
من القصد إلى النفع الشخصى.

ولو أن هؤلاء الفلاسفة والمفكرين تلفتوا
حولهم لوجدوا فى التاريخ خير شاهد على أن
هؤلاء الهداة قد غيروا عوالم القلوب والأرواح،
وبلغوا بالإنسان منزلة العظمة والرفعة التى لا
يستطيع العالم المادى أن يتصورها.

فاطر الكون يوفر للإنسان أسباب الأمان

وخالق الإنسان إنما تكفل للإنسان بذلك،
لعلمه الأزلى بمكانة هذا الإنسان، ودوره الخلافى
الذى جعل له، فالإنسان ذو مكانة متميزة رفيعة،
تتجاوز الحدود التى يعرفها العقل، بل إن تلك

فلم يبق الإنسان ذلك الإنسان الذى يقاس
بأمانته وشرفه وعدله، بل تحول إلى نوع تتباين
أهدافه، وتتناقض بدايته مع نهايته.

فالإنسان الصالح لم يعد ذلك الإنسان الذى
يتحلى بالسمو الخلقى والعملى، بل صار ذلك
الإنسان الذى يبقى ويرتقى بالانتصار والتغلب.
أما الإنسان الفاسد فهو الذى يفشل ويخيب، ولو
كان يشبه الملائكة فى الخصال والأوصاف
والأخلاق.

دوافع الغرور المضل

ويذكر المؤلف أن الإنسان ما اندفع إلى هذا
المعترك المتصارع الخالى من الأمان والاستقرار حتى
بين الفرد وأفراد أسرته، بل بين الفرد وأهوائه
ورغباته.. يذكر المؤلف أن الإنسان ما اندفع إلى
هذا إلا حين سود العقل وحده، ولم يعترف بأى
طاقة أخرى وراء العقل أو معه.

ولأن سيادة العقل وحده تقود إلى هذا الصراع
الدائم، وفقدان الأمان.. لهذا تكفل خالق
الإنسان بأن يدعم العقل ويحميه من الانحراف،
ويحمى الإنسان من استبداد هذا العقل، وأن
يزوده بتوجيهات متوالية، تناسب مراحل الحياة
فى تغييرها وتطورها، وذلك عن طريق الرسل
المتتابعين.

وهذه التوجيهات الإلهية تختلف عن الوثائق
القديمة، إذ التوجيهات الإلهية دستور كامل
للحياة، وميثاق منضبط لها، تقوم على العدل
المطلق، والتوازن الدقيق، فلا ترجع فى الإنسان



المكانة تبدأ من حيث تنتهي حدود العقل، بل من حيث تنتهي حدود تطلعاته.

فالإنسان - دون غيره - قد تم خلقه بيد خالقه، ونفخ فيه من روحه، وهو ليس صورة متطورة للحيوان، بل هو مخلوق متفرد يفوق الحيوان. وهو عمل خالد يدل على إبداع الخالق:

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ (٦) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٣)﴾

والطاقات التي أودعت في الإنسان ليقوم بدور الخلافة ليست نتيجة لتطور الغرائز الحيوانية، بل هي أثر لنفخة خالق الكون فيه من روحه.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِيهِ (٤)﴾.

ومواهب الإنسان في الابتكار والتنسيق قد أودعت في طبيعته من أول يوم ولد فيه، لأنه ولد على الفطرة، وليست هذه المواهب نتيجة مراحل الارتقاء، بل هي:

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا (٥)﴾.

والتي هي الدستور الطبيعي. وخالق الإنسان - إلى كل ذلك - أودع الإنسان ثروات روحية متنوعة، يتغلب بها على مقتضيات الحيوانية والشهوانية:

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ (٦)﴾.

أى طريقته التي جبل عليها.

وهذا يعنى: أن خلق الإنسان قد تم على طريقة عالية جدا من ناحية الظاهر والباطن، ومن يهبط به عن تلك المنزلة، إنما يناقض حقيقته، ويتحدى كرامته.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٧)﴾.

فأصل الإنسان في نظر الإسلام أصل روحى، والإنسان بفطرته يتطلع إلى خالق الكون، لا إلى شىء من أشياء الكون مهما كان رفيعا.

ولهذا.. فإن خالق الكون قد أكرم هذا الإنسان بعلم لم يوهب لغيره من المخلوقات - وهو علم حقائق الأشياء -:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٨)﴾.

ووهب هذا الإنسان وسائل تحصيل هذا العلم، من محسوسات ومعقولات ومغيبات. وخصه من دون المخلوقات بوسائل الحصول على ذلك العلم.

ويظهر فضل هذا العلم وشرفه في أن الملائكة الذين يعملون في الكون قد أقروا بجهلهم به، واعترفوا بعجزهم عنه، فقالوا:

﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا (٩)﴾

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٩)﴾.

وباكتمال هذا التعليم، وإتمام هذا الإعداد سلم

(٤) السجدة (٩).

(٦) الإسراء (٨٤).

(٨) البقرة (٣١).

(٣) الانفطار (٦ : ٨).

(٥) الروم (٣٠).

(٧) التين (٤).

(٩) البقرة (٣٢).



وفى هذه المصانع تخرج المسلمون الذين عُنوا بدراسة الكون، واستمروا فى تسخير عناصر العلوم حتى إنهم جعلوا أوروبا تنهض فى تأسيس نهضتها الحديثة.

وعلى الرغم من أن أوروبا قبلت توجيهات الإسلام الخاصة بالكون.. نرى أنها انصرفت عن توجيهاته الحكيمة، المؤثرة الخاصة بالإنسان، واستمدت نظرتها للإنسان من سياسة الدين المسيحى المعارضة للحياة، والمعادية للإسلام عداء شديدا صرفها عن التصالح معه فى تلبية حاجات الحياة.

ومع انصراف أوروبا عن توجيهات الإسلام كانت الأمة الإسلامية التى حملت الإسلام للناس قد جاوزت عصر الشباب إلى الضعف، فلم تتمكن من تجلية هذا الدين، مع سموه وتقدمه وحيويته وكماله.

وبذلك حرم العالم الحديث التعرف على العلاج الناجع، فاكتفى باللجوء إلى الدين السياسى، ثم إلى المذاهب المادية المختلفة؛ فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار، واستبدت سيطرة العقل التى حولته إلى الغرور المضل، فظن أن بمقدوره الاستغناء عن توجيهات فطره، فوقع فى بركان نارى مخيف، وانجرف إلى مصطرع فرض عليه أن يختار أحد طريقين:

١- فإذا أن يقضى عليه بركان العقل بهزة عنيفة - متوقعة ليلا أو نهارا - يفقد معها كل ما ادخر وشيد، كما يؤكد ذلك مسار التاريخ البشرى، منذ رصدت أحداث التاريخ على اختلاف الأمم والمواطن، فهى فى جميع الأحوال أحداث متشابهة فى مجملها، ولكنها فى الآخر نهاية واحدة.

الله إليه خلافته فى الأرض وديعة وأمانة، بعد عرضها على جميع المخلوقات وإقرارها بالعجز عن حملها. وقد أدرك الإنسان أنه - بما أوتيته من مواهب علمية - قادر على حملها.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ (١٠).

وعلى هذا النحو جاء الإنسان لتسلم منصبه فى هذا العالم، وهكذا.. قام بأداء مسئوليته، ولا يزال.

ونظراً لأهمية شأن المنصب ومنزلته.. أمر خالق الكون الإنسان بالعمل فى مجالين عظيمين متكاملين.

أولهما: مجال معرفة الله.

وثانيهما: مجال الكون كله.

وتكامل المجالين يعنى: أن إهمال أحدهما يؤدى إلى إفساد العمل، وينتهى بالدمار والهلاك. وحتى لا يهمل الإنسان أحد المجالين.. احتاج إلى التوجيه التفصيلى القائم على الأحكام الصريحة، والقوانين الواضحة، المتمثلة فى الشريعة الإلهية التى يبعث بها الأنبياء - عليهم السلام.

فالأنبياء ينشئون المصانع العظيمة لبناء الشخصيات بالتعليم والتربية. ولكنهم - بمعجزاتهم - يكتبون بإشارات كلية تدل على الإمكانيات الهائلة لتسخير الكون، تاركين بقية الطريق للعقل والخبرة والمعاونة.





وأنه كان أضعف من أن يحمي نفسه، وأخذل من أن يجد له نصيرا .

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (١٤) .

النفس قطب الإنسان الأصيل

وذكر المؤلف أن علماء النفس وخبراء الاجتماع اتفقوا على أن النفس البشرية لا تتغير بتغير الأحوال والأوضاع ولا تتطور بالتطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي .

وأورد تحليله للنفس في ضوء القرآن الكريم، فذكر أن النفس تقوم على نوعين من الأسس هما: الأسس الروحية، والأسس المادية، وأن الأسس الروحية تنبت من الفطرة العالية، والأسس المادية تنبت من العناصر المادية أو الأخلاط المركبة . وبامتزاج هذين النوعين من الأسس تتكون الشاكلة، وبهذا الامتزاج يمتاز الإنسان، ويسمو على سائر الأحياء والخلائق .

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيقٌ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ هَدَى سَبِيلًا﴾ (١٥) .

وبهذا الامتزاج هيىء الإنسان لجعله خليفة فى الأرض .

وذكر: أن الغرائز التى تنشأ بالأسس الروحية تتمثل فى الخير والبر والرحمة

﴿فَجَعَلْنَاهَا حَاصِدًا كَانَتْ تَقْتَبُ بِالْأَمْسِ﴾ (١١) .

٢- وإما أن تتراءى له الفطرة الإنسانية فى هيئتها الإسلامية، فيتخلص بها من سطوة الغرور، ويعود إلى مكانه ومكانته الصحيحة، فيهدى بهدى فطره، لينظم دنياه ويعمرها بما يحقق له خيري الدنيا والآخرة .

وأقول: لقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك فى أكثر من موطن، محذرا من الانخداع فى امتداد السلطان، وقوة البطش، والتمكن المادى المثير، لافتا النظر إلى وقائع الحياة، وما تغص به من أمثلة ونماذج، فقال:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٢) .

ولم يكتف القرآن بالتنبيه العام، بل لقد خص فذكر اسم بعض من أصابته لعنة ذلك الغرور، مثل قارون الذى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (١٣) .

ولم ينظر إلى من تقدمه:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا﴾ (١٣) .

(١٢) الروم (٩) .

(١٤) القصص (٨١) .

(١١) يونس (٢٤) .

(١٣) القصص (٧٨) .

(١٥) الإسراء (٨٤) .





والعالية والغرائز المادية القوية - بالقدرة على التأثير فى المواهب المؤدية للمناصب العليا، والمرشحة للقيادة والسيادة، والإمامة والنبوة، والعزيمة الجبارة والجرأة والجسارة فى تحقيق المقاصد النبيلة، والغايات البعيدة فإذا تكونت الجبلية بامتزاج الغرائز الروحية السافلة، والغرائز المادية القوية، فإن تلك الجبلية تتمتع بالقدرة على التأثير فى المواهب المؤهلة للأمر التى تحتاج إلى الحمية والغيرة، والشجاعة والشهامة، والمخاطرة بالنفس والتحمل عليها.

وإذا تكونت الجبلية بامتزاج الغرائز الروحية العالية، والغرائز المادية الضعيفة فإن تلك الجبلية تتمتع بقلّة الاكتراث بالأمر التى تحتاج إلى العزم والجرأة والنضج، والاستقرار والثبات، وتتوافر لدى هؤلاء الإرادة لتترك الدنيا ابتغاء وجه الله إن سنحت الفرصة.

أما إذا تكونت بامتزاج الغرائز الروحية السافلة، والغرائز المادية الضعيفة، فإن تلك الجبلية تتمتع بالكسل والملل والبطء والهوان والعجز، والتنازل عن الحقوق كلها.

فالنفس - فى الرؤية الإسلامية - موجودة من بدء الحياة، وليست ثمرة للارتقاء والتطور.

«يتبع»

والتعاون والإخاء والمودة والحب والصدق، والعدل، وغير ذلك من القيم والفضائل، وأن الغرائز التى تنشأ بالأسس المادية (الحيوانية) تتمثل فى الجوع والعطش، والنشاط الجنسي، وغير ذلك من الأنشطة المادية والجسمية الأخرى، التى يتفق فيها الإنسان مع الحيوان من حيث الدوافع والشهوات، وأن الناس كلهم سواء فى الغرائز الروحية، لكنهم ليسوا سواء فى الأسس الجوهرية والغرائز المادية، بل يختلفون باختلاف الخواص والتأثيرات، من اللهفة والتهمل، ومن القتامة والصفاء.

وأن تفاوت الناس فى درجات النشاط إنما يظهر وفقاً لانسجام الأسس المادية بعد امتزاجها بالأسس الروحية، وليس فى تكوينها الاصيل، وفطرتها النبيلة.

ويخلص المؤلف من ذلك إلى أن الغرائز قسمان: غرائز حافلة بالتجاذب والتزاحم، وغرائز حافلة بالتصالح والتفاعل.

وأن هذه الجبلية فى صورة التجاذب والتزاحم، وفى صورة التفاعل والتصالح تنقسم فى كل صورة أربعة أقسام، بحسب التردد بين العلو والقوة أو السفول والضعف.

ففى حالة التجاذب والتزاحم تتمتع الجبلية - التى تكونت بامتزاج الغرائز الروحية



مَصْرَعُ ابْنِ الْقَاسِمِ

بقلم / عابر سبيل

جلس في المسجد النبوي خارجة بن زيد بن ثابت، وسالم بن عبدالله بن عمر، وكلاهما من فقهاء المدينة الأعلام، ومن يمتون إلى صحابة رسول الله بأقرب الروشائج، فأولهما ابن زيد، وثانيهما ابن عبدالله، جلسا يتحدثان عما جدّ - بعد تولية سليمان بن عبد الملك - من ظلم فادح لحق أبطالاً مغاوير، فتحوا البلاد، ونشروا دين الله في الشرق والغرب، وبدل أن يلاقوا ما يلاقيه أبطال النصر من التقدير التام، والخطوة المكافئة، قوبلوا بمثل ما يقابل الفجرة من قطاع الطريق، قال سالم بن عبدالله: ومن الذي سيرضى أن يقود الجيوش، ويواصل الجهاد، وهو يرى أن ثمرة النصر في المعارك الساخنة، وعقبى الظفر في المواقع الرهيبة قتل ونفى وتشريد، إن الذين لم يفارقوا دمشق من أبناء مروان يرفلون في المطارف الزاهية، ويسكنون القصور العالية، وتموج خزائنهم بالذهب والفضة، والذين جاهدوا في سبيل الله وأدوا كلمة الحق في أقصى البلاد لاقوا أذل مهابط الهوان، ومنهم من سال دمه بتدبير دنيء، ليقال إنه أجرم فعوقب، والله يعلم المفسد من المصلح!

فقال خارجة: وأعجب ما نراه، أن تسكت الألسنة عن الجهر بالحق، ثم تبجل من سعى في الأرض بالفساد، وتريه من مظاهر الطاعة، وتسمعه من عبارات الشاء ما يجعله



يعتقد أنه محق فيما أجرم، أين عهد جدك عمر بن الخطاب يا سالم، بل أين جدك نفسه، ليرى ما يشيب له الولدان !.

قال سالم: من أدهش المفارقات أن يفرح الوثنيون في الهند، وانجوس في بلاد ما وراء النهر، والنصارى في ربوع الأندلس بنكبات محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير كما يفرح الآن أمير المؤمنين، وحاشيته في قصر الخلافة بدمشق، فيكون الشعور واحداً بين الكافر، وخليفة الله، بل إن سليمان أهدى لهؤلاء ما برّد جوانحهم، وأضاء البسمة في وجوههم، حين جعل المخلصين من أبناء الإسلام يتحرقون غيظاً، ويلتهبون حفيظة، ولا يدرون ماذا سيفاجئهم القدر به من أهوال بعد أن تنكب حكامهم صراط الله القويم !.

فرد خارجة يقول: لقد فكرت فيما ارتكبه هؤلاء الفاتحون من جرائم يحسبها عليهم سليمان ابن عبد الملك، فإذا جميعها تنتهى إلى أمر واحد، هو أنهم كانوا بناء الدولة في عهد أخيه الوليد ابن عبد الملك، ولو كان هذا التسرع العجول بعيد النظر لعرف أنهم سيواصلون جهودهم الباسلة إذا تركهم في ميادين القتال، فيعود عليه من المجد الحافل ما عاد على الوليد على أيديهم من فتوح! ولكنه تذكر أنهم طاعوا أمير المؤمنين على البيعة لوالده، ثم شاء الله فلم تتم البيعة، وما كان لهم أن يشذوا وهم في ساحات القتال، فتتفرق الكلمة وينقسم الجيش على نفسه، وبدل أن يقاتلوا الأعداء يقع بأسهم الشديد بينهم، فيكونون فريسة سهلة للأعداء هذا ما حذروه وخافوه فأثروا الطاعة دون المروق !.

وما انتهى خارجة من قوله حتى وجد عامر الشعبى تلميذه الفقيه العالم المتمكن، يتقدم إلى مجلسهما محيياً، وقد سارع فقبل كفى خارجة وسالم في أدب يعهد أنه فيه، ثم أخذ مجلسه منهما في وقار وحياء! فقال سالم: ما وراءك من الأنباء يا عامر، فأنت تلبس الناس، وتفد إليك الأخبار من أقاصى الأرض دون حجاب !.

فأطرق عامر الشعبى إلى الأرض، وهو يقول، رحم الله عبد الملك بن مروان، فقد كان رجل بنى مروان الأوحده، وما رأينا بعده من بلغ مداه !.

فصاح سالم: نعرف أن عبد الملك كان يجالسك يا عامر، وكنت عنده ذا حظرة، وقد أوفدك إلى ملك الروم لتتحدث باسمه، وما أنت ذا تحفظ له الجميل، وتترك أحداث اليوم لتفيض في أنباء الأمس، وما تمت كوارث اليوم إلا بناء على تدبير عبد الملك ؟.

فرفع عامر رأسه مندهشاً، وقال في حيرة: كيف تمت كوارث اليوم بتدبير خليفة غاب عن الناس، وترك الأمر لسواه، أ يكون قد أرسل من قبره خطاباً، يعجل بالتنكيل بأبطال الجهاد؟! إن





الله - عز وجل - يقول :

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١) فكيف يتحمل أمير المؤمنين عبد الملك وزر ولده سليمان؟!

قال سالم : أراك تحاول التجاهل يا عامر ، ومثلك في نباهة المتيقظ ، لا يفوته ما أعنيه ، فأنت تدري أن عبد الملك قد جعل العهد للوليد ثم لسليمان من بعده ، وتطلعت نفس الوليد إلى بيعة ولده دون أخيه ، فلو أن عبد الملك لم يجعل العهد إلا للوليد تاركاً أمر الغد لتدبير الله ، ليس سليمان ، وما اشتعل غضباً على من وافقوا أمير المؤمنين الوليد ، فارتضوا بيعة ولده دون أخيه .

قال عامر : تلك سنة سنّها مروان بن الحكم ، إذ أخذ العهد لولده عبد الملك ثم لولده عبدالعزيز من بعده ، فعبد الملك مسبوق بمن حاكاه !.

قال خارجة ، وقد حدج ببصره عامر الشعبي : كأنك ترى يا عامر أن الخطأ يبرر الخطأ ، وسيجيء من الخلفاء من ينكل بأبطال الإسلام ، فيقول قوم قد سبق إلى ذلك سليمان بن عبد الملك فهو مسبوق بمن حاكاه ! أهذا رأى الشعبي العالم الفقيه ؟!

فترجع الشعبي يقول : أنا عالم فقيه بين العامة ، أما لديكما فلتميزد أتعلم ، وها أنتما تصحّحان ما أقع فيه من أخطاء ، ولا أجد ما أردّ به غير التسليم ! وإنّها لمأساة !.

فقال سالم : أخبث ما في هذه المحنة أن سليمان بن عبد الملك ، كان صريحاً في مجابهة قتيبة وموسى بن نصير بذنبيهما إذ قال للأول : قد بايعت لابن الوليد ، وقال للثاني : حملت الغنائم للوليد ، ولكنه أعلن أن مصرع القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي كان جزاء لاعتدائه على امرأة ، وهي فرية لم يقم على ثبوتها دليل واحد ، وقد وجد من الرعاع من أيده وحبّد منحاه !.

قال خارجة : جاءتني أقوال مضطربة ، لم تستقم على نهج واضح حول هذه الفرية ، وأحب أن أقف على دقائقها بالتفصيل ، فماذا عندك من أمرها يا عامر ؟!

قال الشعبي : إن الذي تحقّقه عن يقين ، أن سليمان كان يكنّ للحجاج بن يوسف أشدّ قوارص البغض ، ويراه يد أخيه وسيفه ، وبمجهوده الجبار سيصبح ولده وليّ العهد ، ولكن الحجاج مات قبل أن يدرك سليمان ثأره منه ، فانتحى بعقابه إلى كل ثقفي له صلة بالحجاج ، وإذا كان محمد بن القاسم بن محمد الثقفي من أقرب الأقرباء للحجاج ، وقد أخذ قيادة الجيش بتدبيره ، فلا بد أن يكون موضع الانتقام الجائر ! ولكن البطل الفاتح قد ملك قلوب المسلمين بما غنم من مجد ، وفتح من حصون ، وضم من ربوع .. فكيف يجروّ على اغتياله ، والمسلمون جميعاً يرددون اسمه بالثناء ،

(١) فاطر (١٨).



لا بد إذن من اختلاق فرية، والحق أن أمير المؤمنين لم يدبر الفرية بنفسه، بل فعلها سواه! تزلفا إليه، إذ لمس هواه فى الإطاحة بالبطل الشهيد.

قال خارجة: هذا مجمل يحتاج إلى تفصيل، فهات كل ما لديك!.

فردّ الشعبى يقول: لقد عزل سليمان محمد بن القاسم لأول عهده بالخلافة وولى مكانه يزيد ابن أبى كبشة، فذهب إليه بالهند ليضع الأغلال فى قدمه وكفه، ثم تعاون مع صالح بن عبدالرحمن على اختلاق فرية مسمومة تسيء إلى البطل الشهيد، إذ اتفقا على اختيار أميرة من بيت «الراجة داهر» الذى صرعه ابن القاسم فى حريرة، وبدد ملكه، لتأتى إلى دمشق فى رعايتهما، وتحدث أمير المؤمنين عن انتهاك ابن القاسم لحرمتها، والأميرة موتورة لمصرع أبيها، وذهاب ملكه على يد البطل الفاتح، وتريد أن تشفى غليلها بأمر يعود عليه بالوبال! فاستجابت لما طلب منها بتدبير الخبيثين الحاقدين، وجاءت إلى دمشق، لتسمع سليمان ما يرضيه، فأمر بالانتقام العاجل وصدر الأمر بقتل البطل دون أن يسمع له ردا على اتهام.

قال سالم: هذه فرية مفضوحة، لأن الأميرة قد وقعت سبيّة فى الأسر، ولو أرادها ابن القاسم لنفسه، لحلت له دون أن يوصف بانتهاك محرم، ولو كانت الأميرة فى قصر والدها المنتصر واغتصبها البطل كما يدعون لقبلى الفرية، ولكن الفتاة أسيرة، وأمثالها يحسن بالمئات!، فهل فرغ ابن القاسم من مشكلات الحرب وأعباء النضال فى بلد غريب، ليصبح فارسا للحسان؟!

قال عامر: وقد علمت الأميرة أن أمير المؤمنين قد قتل ابن القاسم متأثرا بما قالت، فثار عليها ضميرها، وأذاعت أنها أرغمت على أن تقول الكذب، وقد وعدّها من دبر الإفك بأن الملك سيرجع إلى أهلها لو وصمت ابن القاسم بالعار، ثم اتضح لها أن صالح بن عبدالرحمن، وابن أبى كبشة، قد خدعاها بالأباطيل، وجاء النبأ إلى سليمان، فقبل إنه ندم!.

قال خارجة: ولات حين ندامة، فقد سبق السيف العزل.

فرد سالم: لو تحقق ندمه لبادر بعقاب من توليا المكيدة وأهون مظاهر العقاب أن يعزلهما عما بيديهما من الأمر، ولكن ابن أبى كبشة قد ولى الأمر فى الهند بعد البطل، وما زال متمكنا من إمارته دون أن يزيد شبرا واحدا للإسلام فى أرض الهند، وصالح بن عبدالرحمن يقوم على أمر الخراج بالعراق، وقد اشتط فى جمع ما يرضى الخليفة ثم ما زال ناهضا بأمر الخراج! فأين الندم إذن يا عامر؟.

قال عامر: لقد تحدثت بما سمعت، وذكرت أن ندم الخليفة قول لم أتحققه، وهأنذا أسمع من الدلائل على لسان شيخى وسيدى سالم ما أبان وجه الصواب.



قال سالم: أنا أعلم أن جدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد نهى عن غزو الهند، فحين كتب إليه عامله على البحرين عثمان بن أبى العاص الثقفى يستشيريه فى غزو الهند، هدّده قائلا: يا أخا ثقيف، لقد حملت دودا على عود، وإنى أحلف بالله لو أصيب عدد من جنذك لأخذت من قومك بمثلهم.

فرد خارجة: كانت حروب الفرس والروم حينئذ مشتتة بينهم وبين المسلمين، فرأى ابن الخطاب ألا يهاجم الهند، فيفتح ميدانا ثانيا فى وقت واحد، وتلك فراسة منه، وقد تغير الوضع بعد هدوء المعارك فى فارس وبلاد الشام، فتتابعت الغارات الإسلامية على جزر الهند وسواحلها، وأخذ رجالها يستوطنون أماكن مختلفة دون أن يقوموا بمعارك حربية تذكر ثم استهيج الحجاج بما استفزّه، فقرر الغزو بقيادة محمد بن القاسم.

قال سالم: كيف أستشير الحجاج بما استفزّه يا خارجة؟ فقال سالم: هذا أمر مشتهر فكيف يغيب عنك، أأنت تعرف ذلك يا عامر؟ قلّه إذ علمت؟.

قال عامر: قبل أن أتحدث عن استفزاز الحجاج، أذكر أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أرسل واليه على العراق، وهو عبدالله بن عامر ليستكشف الهند، مع نفر من جنوده، فلما عادوا، توجه منهم حكيم بن جبلة إلى المدينة ليخبر عثمان بما رأوه، فقال حكيم: ماؤها وشل، وقرها دقل، ولقها بطل، إن قل فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا.

فقال عثمان على البديهة: أخابر أم ساجع؟! ثم انثنى عن الغزو.

ضحك سالم وقال: تأتى بالطرائف الأدبية دائما يا عامر، فتحدث عما تبع ذلك؟

قال الشعبي: حين ولى الإمام على - كرم الله وجهه - إمارة المؤمنين، اتجه ببصره إلى الهند، فأرسل جيشا بقيادة الحارث بن مرة العبدى فوصل إلى الجزر الهندية عن طريق خراسان، وظفر وأصاب مغنما، ثم انتكس الأمر عليه فقتل هناك فى مؤامرة دبّرت له، وعاد معاوية الكرة فأرسل جيشا بقيادة المهلب بن أبى صفرة، ومعه أهله من الأزد، فأبلوا بلاء حسنا فى أرض «بتّة» بين كابل والملتان، وفيهم يقول الشاعر:

ألم تر أن الأزد ليلة بيّتوا

«بتّة» كانوا خير جند المهلب

ثم عاد المهلب ليصلى معارك أخرى أشاد بها معاوية فخلفه عبدالله بن سوار، وجاهد جهادا ميمونا، حيث ضرب المثل فى المروءة والكرم والشجاعة ثم لقى الله شهيدا فى مؤامرة ثانية، وتتابعت الكتائب للاكتشاف، إذ لم ينقطع الاستطلاع فى أرض الهند، حتى جاء الحجاج فأولى





المسألة اهتمامه البالغ، وأرسل محمد بن هارون إلى جزيرة الياقوت، فوجد بها نساء مسلمات من بقايا جنود الغزو التي بدأت منذ عهد الإمام علي، وأراد ابن هارون أن يبعث ببعضهن إلى العراق كما أردن، فساق سفينة محملة بهنّ، ولم تكد تمر بميناء الديبل حتى هاجمها فريق من الجند، وصرخت امرأة من يربوع منادية باسم الحجاج، وطار الخبر إليه، فبعث إلى «الراجة داهر» أمير الديبل يطالبه برفع الاعتداء، وردّ المسلمات مكرمات، ولكنّ الأمير الهندي استهان برسالة الحجاج، وقال في رده: «قد استولى اللصوص على السفينة بمن فيها ولا أعلم شيئا» هنا كان استفزاز الحجاج، ومن هنا بدأ عزمه الأكيد على تأديب هذا المستخف، بل على غزو الهند جميعا، وأعد العدة الكافية لما يريد.

قال خارجة: لقد كنت مؤرخا يا عامر، ولكن صورة الحجاج في مرآتك مشرقة كريمة. فرد عامر يقول: أنا يا سيدي خرجت على الحجاج في حربه مع ابن الأشعث، إذ كنت وجماعة من الفقهاء ناصبه العدا، وحين تمّ له النصر، عفا عمن اعتذر، وكنت أحد هؤلاء المعتذرين، فللرجل مظالمه التي دعتني إلى الانضمام لابن الأشعث ما أنكر هذه المظالم ولا أستطيع، ولكن له مزاياه القيادية الباسلة، ومواقفه المشرفة في انتشار الإسلام بخراسان وما وراء النهر، وجزر الهند، وسواحل قزوين! يجب أن ننصف فلا نحجب حقا، ولا نتكلم بباطل، لقد كان الحجاج صاحب الخطوة الجريئة الواثبة في فتح الهند، وما كان من قبله فهو تمهيد محمود لا يبلغ مبلغ الغزو المفضى إلى النصر النهائي، وقد تمّ على يد البطل الفاتح محمد بن القاسم الثقفي، وبذخيرة الحجاج، وحسن تدبيره، ويقظته الكاملة لما يتطلب القتال من أعباء.

سكت عامر بعد أن أجاب، وسكت صاحبا بعض الوقت، وكأنهما كانا يتأملان ما قاله الشعبي، فلم يجدا به ما يُعاب، ثم قال سالم بن عبد الله: كيف أسلم الحجاج قيادة الجيش ل محمد ابن القاسم، وهو فتى في السابعة عشر من عمره؟ ومن أين له أن يعلم ما أحرزه من نجاح قبل أن يتحقق؟ أترأه كان يرى بعين الغيب؟!

فقال عامر الشعبي مبتسما: أأقول ما لدى؟ فرد سالم: ما ذكرت سؤالاً إلا لأستمع الرد فهيا.

قال عامر: إن الحجاج لا يهزل في أمر خطير كهذا الأمر، فالحرب ليست ميدان لعب ولهو، ولكنها حومة مشتعلة اللهب، والفتى الثقفي ابن عم الحجاج، وقد أرسل من قبل إلى فارس غازيا، فجاءته الأنباء عنه بما رفع قدره في نفسه، وحين صمم على الغزو بعث يستدعيه من خراسان ليوأجه العبء الكبير، وقد أمره أن يتخير من جنوده بفارس من





سيكونون أعوانه، حتى إذا قدموا عليه بالعراق كان قد أعدّ الخطة بنفسه، إذ تتجه الكتائب إلى الرى، ثم تنتظر بشيراز، لتلحقها كتائب أخرى أخذ يستدعيها على بعد، وهى فيالق من خير جنود الشام انتخبهم الحجاج عن تجربة، وكانوا أكثر من ستمائة فارس، والغريب من أمر الحجاج أنه أشرف على المؤونة الغذائية للجيش بقدر ما أشرف على العدة الحربية فجهزه بكل ما يحتاج إليه، حتى الخيط والإبرة، وقد علم أن الخل يساعد على تبرئة الجراح سريعاً، فاحتال حتى أتى بالقطن المندوف وغمسه فى ماء الخل المكثف، ليتشبع به، فإذا احتاجوا إلى الخل جاءوا بالقطن وغمسوه فى الماء ليرشح منه أعذب الخل وأجوده! أقول ذلك لأصور مدى اهتمام الحجاج بنفقات الجيش ومؤناته، لأن الذى يهتم بالإبرة والخيط، ويعمل على صيانة الخل بأدق الحيل لا يفوته شئ.

قال خارجة: فى الحجاج يقظة ونباهة، فقد عرف أن الحملة الهندية محسوبة عليه أمام أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وأن إخفاق محمد القاسم الثقفى لو تم سيحدث تأثيراً فى قصر الخلافة، إذا يقول القائلون: لقد حابى فتى مراهقاً من أبناء أسرته فجعله رئيساً لجيش يغزو الأعداء، وفيه من القادة الأكفاء، ومن ذوى الدربة المكنكة فى القتال من لا يبلغ محمد بن القاسم مبلغهم كفاية ومراساً واحتيالاً لقد عرف الحجاج ذلك، فأعد كل شئ بنفسه، وصنعه على عينه، مع اعترافنا بأنه لمس كفاءة ابن عمه، وأحاط بها عن برهان، فأراد أن يفسح له مجال التألق، ولا نعيه فى اختياره، إذ صدقت الأيام ظنه فنجح القائد الشاب نجاح الشيوخ المحنكين.

قال سالم: نريد أن نعرف كيف تمّ الأمر لهذا البطل الشهيد، فحقق ما حققه من اكتساح، تكلم يا عامر!؟

فرد الشعبى: لقد نُفذت خطة الحجاج كما رسمها بقصره، فسار الجيش إلى مكران وكانت بأيدي المسلمين فانضم إليه من بها من الجنود، ثم زحفوا إلى مدائن قنزبور وأرمائيل والديبل، فوقعت الأوليان فى أيدي المسلمين دون جهد، أما مدينة الديبل فقد كانت من الحصانة المنيعة، والجيش المدافع، والتصميم الجاد على رد المغيرين، بحيث استدعت أعنف الجهود، لأنها فوق مناعتها القوية كانت محلاً لصنم وثنى خطير يسمى «البد» يبذل الهنود أرواحهم دونه، ويردون فى سقوط الديبل محواً أكيدا لهذا الصنم المقدس، وقد عرف محمد بن القاسم قوة اعتقاد الهنود فى «البد» فصمم على أن يرميه بالمتحنيق، حيث زوده الحجاج به، وسماه العروس، وقد بلغ من ضخامته أنه كان يحتاج إلى قوة خمسمائة رجل من الأشداء ليقذف بصخوره الضخمة إلى المدى البعيد، وقد طارت هذه الصخور صوب «البد»





فسرعان ما تهاوى، وسقطت رايته الحمراء التي كانت تدور مع الريح فى الاتجاهات الأربع، ويظن الهنود أن الهواء مُسخر لها، يصدر عن أمرها فى الهبوب! وقد فوجئ الهنود بسقوط البد، فكان هزيمة معنوية سرت إلى نفوسهم فزعزعت إيمانها به! وحين تلاقى الجمعان تم النصر المبين! وقد سهل الأمر بعد ذلك فى المواقع الأخرى ومن أعنفها موقعة «مهران» التى جمع «الراجة داهر» بها كل قوته، لتكون نهاية العراك، وقد اعتمد على قوة الفيلة التى لم تكن بين العدة القتالية للمسلمين، ولكن ارتقاء الصخور من العروس فوقها، قد أحدث بها ما أحدث من الرعب، مع صواعق نارية أخذ المنجنيق يرسلها فى إصابة موفقة، ففرت الأفيال هاربة ومن ورائها فلول الجنود، إذ رأوا أن الدائرة قد دارت عليهم، ولم يبق من أمل فى النصر، وبخاصة وقد لاقى «الراجة داهر» مصرعه، فانتشر من بعده نظام الجيش أباديد.

قال سالم موجهها حديثه لخارجة: هذا هو محمد بن القاسم الذى صرّع بسيف الحقد، ولاقى جزاء سنمار، ممن كان من واجبه أن يبوئه أرقى الدرجات!.

قال عامر: لقد كان فى استطاعة ابن القاسم أن يعلن العصيان فى مكانه النازح، حين جاءه الوالى الجديد ليضع فى يده وقدمه الحديد، ولكنه اعتقد أن كفاحه البطولى سيشهد له أمام الخليفة، فرأى أن يسير إليه، ليعلم عن يقين أنه بطل من أبطال الدولة، أضاف إلى الإسلام أرضا جديدة!.

ابتسم خارجة سافرا، وقال: أضاف إلى الإسلام أرضا جديدة!! كأن ابن عبد الملك يعنيه أن ينتشر الإسلام! ولو كان هو القائم على أمره! قل غير هذا يا عامر!.

قال سالم: أرى نفسى تمتلىء من الغيط، وكنت أوتر من قبل أن أسمع من الشعبى مأساة قتيبة بن مسلم بطل الإسلام وقاتل بلاد ما وراء النهر، ولكن أحشائى ستمزق لو أصغيت إلى حديث النكبة الثانية، فلنا الله يا خارجة.

قال خارجة:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٢).

ثم استأذن الشعبى ليرتكهما فى أسف عميق.



بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

لِلشَّاعِرِ الْأَسَازِ / مَحْمُودِ الْخَفِيفِ (*)

مَا شَاءَ فَلَيْسَ خَرَبِي السَّاحِرُ * بِالْغَرْبِ، مَا عِشْتُ، أَنَا الْكَافِرُ
يَزِيدُنِي الْحَقُّ جُحُودًا بِهِ * مَا زَوَّرَ الْحَقُّ بِهِ فَاجِرُ^(١)
إِلَّا نُجُومًا فِيهِ رَجَافَةٌ * يَكَادُ يَخْفَى لَمَحُّهَا الْحَائِرُ^(٢)

●●●

يَا شَرْقُ كَمْ غَرَّتْكَ بَيْضُ الْوَعُودِ * أَلْفَتَهَا حَتَّى أَلْفَتَ الْقِيُودُ^(٣)
تَخْطُرُ فِي الْقَيْدِ عَلَى ذَلَّةٍ * تَلُوكُ فِي الْأَغْلَالِ مَجْدَ الْجُدُودِ^(٤)
إِهْنَأْ بِمَاضِيكَ وَفَاخِرِهِ * وَلَكُهُ يَا مَسْكِينُ حَتَّى يَعُودُ^(٥)

●●●

يَا ظَامِئًا يَطْلُبُ مَاءَ السَّرَابِ * اشْرَبْ عَلَى الْغَلَّةِ مُرَّ الْعَذَابِ^(٦)
يَا حَالِمًا أَغْرَاهُ طِيبُ الْكَرَى * أَبْشِرْ مَعَ الصُّبْحِ بِسُوءِ الْمَآبِ^(٧)
يَا لَاهِيًا وَيْكَ أَمَا تَتَقَى * النَّابُ وَالْمِخْلَبُ طَبْعُ الذَّنَابِ^(٨)

●●●

(*) من مجلة الرسالة العدد ٧٥٧ والأستاذ محمود الخفيف من كبار رجال التربية والتعليم بمصر وهو مؤلف تاريخي وأديب باحث توفي سنة ١٩٦١م.

(١) جحود: كفر.

(٢) لحها: ضوؤها.

(٣) غرتك: خدعتك.

(٤) لُوكُهُ: امضعه.

(٥) ويك: دعاء يراد به الحث.

(٦) الغلة: الظم الشديد.

(٧) المآب: المرجع.

قَوْمُكَ بِالْمَوْتِ أَعَزُّوا الْحَيَاةَ ** وَأَفْزَعُوا بِالْبَاسِ بَغَى الطُّغَاةَ
 فِي السَّيْفِ وَالْمُصْحَفِ بُرْهَانُهُمْ ** تَعْنُو لَهُ فِي الْعَالَمِينَ الْجَبَاةَ^(٩)
 لَا السَّيْفُ ظَلَامٌ عَسِيٌّ وَلَا ** يُرْوَعُ الْمُصْحَفَ عَاتٍ عَصَاةَ^(١٠)

●●●

فَاوَتْ بَيْنَ النَّاسِ خَوْضُ الرَّدَى ** يَا شَرْقُ هَلْ أَصْرُخُ أَيْنَ الْفِدَا؟^(١١)
 رَدُّوْا فِقْدَ جَدِّكُمْ دَهْرُكُمْ ** أَوْ فَارْتَضُوا الْخَسْفَ لَكُمْ مَوْرِدًا^(١٢)
 مَا مِنْ قُلُوبٍ أَلْفَتْ قَيْدَهَا ** إِلَّا غَدَتْ تَعْبُدُ مَنْ قَيْدًا^(١٣)

●●●

دَيْنُ الْعُلَا إِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ ** دَيْنُكَ يَا بَنَ الشَّرْقِ يَامُسْلِمُ
 دَيْنُكَ بَيْنَ النَّاسِ سَوَى فَمَا ** بَالُكَ لِلطُّغْيَانِ تَسْتَسْلِمُ!
 دَيْنُكَ إِنْ عُودَتْ لِأَحْكَامِهِ ** حَكَمْتَ لَا دِنْتَ لِمَنْ يَحْكُمُ^(١٤)

●●●

عَقِيدَةُ دَيْنُكَ لَا تَغْلِبُ ** لَا تَعْرِفُ الْبَطْشَ وَلَا تَرْهَبُ^(١٥)
 شَرِيعَةُ خَالِدَةٍ فَصَلَتْ ** دُسْتُورُهَا الْخَالِدُ لَا يُسْلَبُ
 رُوحٌ مِنَ اللَّهِ سَمَاوِيَّةٌ ** شَرْقِيَّةُ الْمَطْلَعِ، لَا تَغْرُبُ

●●●

يَا شَرْقُ حَتَّى تَلُومَ الْقَدَرَ ** وَلَا تَنْتِ تَرْنُو إِلَى مَنْ غَبَرَ؟^(١٦)
 أَنْتِ الْمَلُومُ اللَّائِمُ الْمُشْتَكِي ** كَمْ صَرَخَتْ حَوْلَكَ شَتَّى الْعَبَرِ^(١٧)
 رَضِيتَ، لَوْ أَنْكَرْتَ مَا تَشْتَكِي ** مِنْهُ، تَهَاوَى عُمُرُهُ وَاحْتَضَرَ^(١٨)

●●●

(٩) برهانهم: دليلهم، تعنو: تخضع. (١٠) عات: ظالم. (١١) فاوت: خالف.
 (١٢) رُدُّوا: أمرٌ من ورد. (١٣) تعبد: تخضع. (١٤) دُنْتُ: خضعت.
 (١٥) عقيدة: خبر مقدم، دينك: مبتدأ مؤخر. (١٦) لاتنى: لاتزال، غير: مضى. (١٧) العبر: العظات.
 (١٨) احتضر: مات.



إِلَامَ يَا شَرْقُ حَيَاةَ الْجَسَدِ ** فِي ذُلِّهَا طَالَ عَلَيْكَ الْأَمَدُ (١٩)
يَا مَوْطِنَ الرُّوحِ أَمَا هِزَّةٌ ** تُشْعِلُ مِنْ أَرْوَاحِنَا مَا خَمَدُ؟
وَيَحْكُ يَا عَانِي أَمَا غَضَبَةٌ ** لَشَدِّ مَا تُذْعِنُ إِذْ تُضْطَّهِدُ (٢٠)



يَا أُمَّةَ تَهْضُمُ أَوْطَانَهَا ** وَلَا يَنْبِي يَمْرُحُ فِتْنَانُهَا (٢١)
أَتَرْتَضُونَ الذِّلَّ؟ مَا خَطْبُكُمْ ** ذَكَتْ نَفُوسٌ مَاتَ إِيمَانُهَا (٢٢)
تَاللَّهِ مَا الْبَعْثُ سِوَى رَجْفَةٍ ** يُمَحِّصُ الْأَنْفُسَ بُرْكَانُهَا (٢٣)



وَأَسْفَا كُلَّ حِمَى مُسْتَبَاحٍ ** هَيْضَ الْحِمَى مِنْذُ فَقَدْنَا السَّلَاحَ (٢٤)
يَا فِتْيَةَ الشَّرْقِ أَلَا خَالِدٌ ** وَقَدْ تَدَاعَى قَوْمُنَا، أَوْ صَلَاحُ؟ (٢٥)
حِطِّينُ هَذَا وَقَتُّهَا فَاحْشُدُوا ** أَبْطَالَكُمْ، هَذَا أَوْ أَنَّ الطَّمَاحَ (٢٦)



أَمَا يَهْزُ الشَّرْقُ بَغْيَ عَتَا ** بَعْدَ خَفَاءِ سَيْفِهِ أَصْلَتَا؟ (٢٧)
الطَّمَعُ الْغَاصِبُ بَعْدَ لَهُ ** كُلُّ فُؤَادٍ لُؤْمُهُ أَعْنَتَا (٢٨)
مَتَى أَرَى الشَّرْقَ لَظَى حَوْلَهُ ** وَيَلَاهُ! كَمْ تُلْهَبُ صَدْرِي مَتَى!



أَيَّةَ نَارٍ أَوْقَدَ الطَّمَاعُ ** وَأَيُّ بَغْيٍ ذَلِكَ الدَّفَاعُ
مَا أَوْضَعَ الْإِنْسَانُ إِنْ لَمْ يَعُدْ ** فِي نَفْسِهِ عَنْ غِيْلَةٍ وَازِعُ (٢٩)

(١٩) الأمد: الزمن.	(٢٠) عانٍ: خاضع.	(٢١) تهضم: تُظلم.
(٢٢) خطبكم: شانكم.	(٢٣) يمحص: يكشف ويبين.	(٢٤) هيض الحمى: ذل وضعف.
(٢٥) خالد وصلاح الدين البطلان الشهيران.	(٢٦) حطّين موقعة انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين، الطماح: الطموح.	(٢٧) عتا: ظلم، أصلت: سل.
(٢٨) كل فؤاد: مفعول به مقدم لأعنتا، أعنت: اتعب وضيق.	(٢٩) وازع: زاجر.	





بِيعَتْ فِلَسْطِينَ فَيَامَوطِنَا ** فِي عَلَنٍ غَاصِبُهُ الْبَائِعُ!



بِيعَتْ وَمَا أَعْجَبَ بَيْعَ الشُّعُوبِ ** فِيمَا وَعَى التَّارِيخُ أَذْهَى الْخُطُوبِ (٣٠)

سُوقٌ بِهَا السُّوَّاسُ كَمْ زَاوَلُوا ** نَخَاسَةً هَانَتْ إِلَيْهَا الْحُرُوبُ (٣١)

كَمْ أَعْتَمَ الْغَرْبُ وَفِي أَفْقِهِ ** كَمْ بِهِرَ الْأَبْصَارُ بَرَقَ كَذُوبُ! (٣٢)



قَائِمَةٌ مِنْ عَهْدِهَا الْأَسْبَقِ ** حَرَبُ الصَّلْبِيِّينَ فِي الْمَشْرِقِ

لَمْ يَفْتُرِ الْغَرْبُ وَلَمْ يَأْلَنَا ** مِنْ حَرَبِهِ أَوْ كَيْدِهِ الْمُرْهِقِ (٣٣)

لَا تَلُمِ الْغَرْبَ عَلَى بَغْيِهِ ** اللَّوْمُ لِلْمُسْتَسْلِمِ الْمُوثِقِ (٣٤)



اللَّوْمُ لِلْجَائِثِ فِي كَيْدِهِ ** فِي مَيْعَةِ الْقُوَّةِ مِنْ سَنِهِ (٣٥)

يَضُنُّ بِالْمَالِ عَلَى وَقْفَرَةٍ ** وَبِرْتَضَى الْأَغْلَالَ فِي ضَنْهِهِ (٣٦)

إِنْ شَحَّ بِالْمَالِ أَمَا حَافَنَةً ** لِلْغَاصِبِ الْوَاغِلِ مِنْ ضِغْنِهِ؟ (٣٧)



بَاعَ فِلَسْطِينَ حُمَاةَ الْأُمَمِ ** أَهْلُ الْمَوَائِقِ رُعَاةَ الذَّمِّ

الْكَاشِفُونَ الضَّرَّ عَنْ أَرْضِنَا ** حِينَ تَغَشَّى النَّاسَ فِيهَا الظُّلَمُ (٣٨)

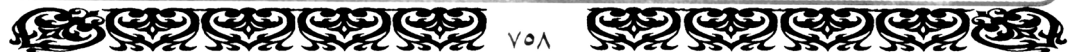
الْكَارِهُونَ الْبَغْيَ مَنْ أَنْقَذُوا ** بِالنَّارِ حُرِّيَّاتِهِمْ وَالْقَلَمِ (٣٩)



بِالذَّهَبِ الْبَاغِي اشْتَرَتْهَا يَهُودُ ** وَعُصْبَةُ الْأَمْنِ عَلَيْهَا شُهُودُ (٤٠)

الْأَمْنُ؟ مَا الْأَمْنُ سِوَى غَايَةٍ ** تُنْمِي إِلَى أَحْلَامِ هَذَا الْوُجُودِ

(٣٠) وعى: سَجَّلَ وحفظ. (٣١) السُّوَّاسُ: الساسة، نخاسة: تجارة الرقيق. (٣٢) أَعْتَمَ: أَظْلَمَ.
(٣٣) لم يألنا: لم يقصر في أذانا. (٣٤) الموثق: المقيد. (٣٥) كَنَهُ: جحده.
(٣٦) ضَنَّهُ: بخله. (٣٧) ضِغْنُهُ: حقدته وكيدته. (٣٨) الظُّلَمُ: جمع ظلمة.
(٣٩) أهل أوروبا الذين نالوا حرياتهم بالنار والكلمة الصادقة. (٤٠) عصبة الأمن: يريد مجلس الأمن الذي حابى إسرائيل.





قُلْ لِرُعَاةِ الْأَمْنِ سُحْقًا لَكُمْ ** النَّارُ لَا تُلْقُوا إِلَيْهَا الْوَقُودَ (٤١)



فِي الْأَرْضِ مَلْعُونُونَ مَا طَرَفُوا ** كَمْ بَخَسُوا الْكَيْلَ وَكَمْ طَفَّفُوا (٤٢)
فِي كُلِّ رَكْنٍ لِلرِّبَا أَكْلٌ ** بَاغٍ وَفِي كُلِّ حِمَى مَصْرَفٌ
تَاللهِ لَنْ يَفْلِحَ كَيْدُهُمْ ** مَا أَشْعَلُوا الْفِتْنَةَ أَوْ أَرْجَفُوا (٤٣)



قُلْ لِبَنَى الْمَشْرِقِ مِنْ وَاجِدٍ ** يَبْكِي وَمِنْ مُسْتَصْرِخٍ جَاهِدٍ (٤٤)
قُلْ لِرُعَاةِ الشَّرْقِ مِنْ عَلَيْهِ ** تَشَاوَرُوا فِي مَجْلِسٍ حَاشِدٍ (٤٥)
خُوضُوا الْمَنَايَا الْحُمُرَ أَوْ فَاقِعُدُوا ** مَا مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِهَا قَاصِدٍ (٤٦)



صُبُّوا عَلَى النَّارِ هُنَاكَ الدِّمَا ** لَا تَبْتَغُوا غَيْرَ الرَّدَى مَغْنَمًا (٤٧)
جَدَّ الْعَدُوِّ الْيَوْمَ فِي بَغْيِهِ ** فَأُطْفِئُوا النَّارَ الَّتِي أَضْرَمَا (٤٨)
مِنْ دِمِكُمْ إِنْ صَالَ أَعْدَاؤُكُمْ ** وَصَمِّمُوا فَالْحُرُّ مِنْ صَمِّمَا (٤٩)



يَا ابْنَ الْكُمَاةِ الْغُرَّ جَدَّ الزَّمَنِ ** وَاسْتَصْرِخَ الْيَوْمَ بَنِيهِ الْوَطَنِ (٥٠)
يَا ابْنَ الْأُلَى النَّجْدَةُ كَانَتْ لَهُمْ ** دِينًا وَكَانُوا عُصْبَةً فِي الْمَحَنِ (٥١)
أَفِقْ عَلَى الصَّيْحَةِ طَالَ الْكُرَى ** شَرُّ مِنَ الْأَجْدَاثِ هَذَا الْوَسَنِ (٥٢)



فِي الْأُفُقِ الشَّارِقِيِّ لَوْنُ الدِّمِ ** مُنُورٌ بِعَدَدِ الدَّجَى الْمُعْتَمِ (٥٣)
أَفِقْ عَلَى الْإِصْبَاحِ وَانْشُدْ لَهُ ** لَحْنًا إِلَى مَجْدِ الرَّدَى يَنْتَمِي (٥٤)
وَأَنْهَضْ إِلَى الْمَوْتِ وَخُضْ لُجْجَهُ ** مُبْتَسِمًا فِي وَجْهِهِ الْأَقْتَمِ (٥٥)

-
- (٤١) سحْقًا: بُعداً. (٤٢) بخسوا: غبنوا، المطفف: الذي يأخذ حق غيره في الوزن والكيل.
(٤٣) أرجفوا: مشوا بالشائعات. (٤٤) واجد: حزين، مستصرخ: طالب للنصرة. (٤٥) عليّة: رؤساء.
(٤٦) قاصد: معتدل. (٤٧) الردى: الموت. (٤٨) أضرم: أوقد وأشعل.
(٤٩) صمّموا: اعزموا. (٥٠) الكماة: الشجعان، استصرخ: دعا إلى الجهاد. (٥١) عصبة: يد واحدة، المحن: الخطوب.
(٥٢) الكرى: النوم، الأجداث: القبور، الوسن: النوم. (٥٣) المعتم: المظلم.
(٥٤) ينتمى: ينسب. (٥٥) الأقتم: المظلم.



عداوة أمريكا وصداقتها

للمستأذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى



قال العميد الأنصارى، وأقول:
ملخص:

- «أؤيد الدعوة الأمريكية لإعادة النظر فى مناهجنا التعليمية»؟
- «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب برغم سقوط الأبرياء»؟
- «نرتكب بحق أنفسنا خطيئة كبيرة إذا اعتبرنا أمريكا عدوة لنا»؟
- «ما المانع أن تدعو أمريكا باكستان لتغيير مناهج مدراسها الدينية»؟
- «على السعودية أن تبادر لإعادة النظر فى مناهجها التعليمية الدينية»؟
- «يجب منع طباعة كتاب إحياء علوم الدين والكبائر بسبب إساءتهما للإسلام وللمرأة»؟
- «بوش أكثر رئيس أمريكى احتراماً للإسلام، ودعا شعبه لاحترام أتباعه»؟
- «نعم، أمريكا منحازة لإسرائيل، ولكن ماذا نستفيد من عداوتها»؟
- «أرفض الإسلام الذى يفرض الإرهاب، ويجب وقف الخطباء الذين يزرعون الكراهية»؟

ليس رجلاً من «سقط المتاع»، ولكنه رمز من رموز الثقافة العربية المعاصرة، صعد سلم العلم والمعرفة إلى أقصى درجاته، وتولى منصباً أدبياً رفيعاً فى الحقل الجامعى فى بلده، ولو كان هذا الكلام الغريب صدر عن غيره من متعاطى الكتابة لما حرك لأحد ساكننا، لأننا تعودنا فى هذا العصر على تهافت فى الفكر والرأى ممن ليست لهم أهمية فى مجال الفكر والرأى، أما حين يصدر

هذا الكلام «الغريب» الذى صدرنا به هذه «الرسالة» كان محرر صحيفة «الراية» القطرية، السيد «أنور الخطيب» قد كتبه فى مقدمة حوار أجراه مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

وأشهد أننى فزعت وأنا أقرأ هذا لأول مرة، والدكتور الأنصارى كما عرفت - عزيزى القارئ -

الكلام الغريب المفزع من عميد كلية للشرعية والقانون فى أى بلد عربى أو إسلامى فهنا الوضع يختلف كل الاختلاف .

ولنبداً بالفقرات التى استخلصها المحرر فى مقدمة الحوار الذى دار بينه وبين الدكتور العميد . إنه يؤيد الدعوة الأمريكية لإعادة النظر فى مناهجنا - نحن العرب والمسلمين - الدينية .

إن دعوة أمريكا هذه مرفوضة شكلاً، ومرفوضة موضوعاً: مرفوضة شكلاً، لأن أمريكا ليست وصية علينا فتحن أمة لها سيادة على أرضها، وفى سائر شعوبها فمن الذى أعطى أمريكا هذه الحقوق يا ترى هل الدول العربية والإسلامية أصبحت ولايات أمريكية تتلقى الأوامر والنواهي من الرئيس الأمريكى جورج بوش؟ أليس هذا تدخلاً طفيلياً من أمريكا بوش، أو بوش أمريكا؟ وأما موضوعاً فلان التعليم الدينى فى العالم العربى والإسلامى هو عرض الأمة وينبثق من قيم ومبادئ دينها القويم الذى رسمه كتاب الله العزيز، وسنة الرسول الكريم، وليس للأمة مصدر سواهما يجب عليها طاعته:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (١).

طاعة الله باتباع كتابه، وطاعة الرسول فى اتباع هدية، وهما طاعتان منصوص عليهما، وإن كانت طاعة الرسول من طاعة الله.

أما طاعة أولى الأمر، وهم العلماء والأمراء، فهى طاعة مقيدة لا مطلقة، مقيدة بأن يدعونا إلى

طاعة الله ورسوله، فإن دعونا إلى معصية الله ورسوله فلا طاعة لهم علينا ولذلك قال عز وجل: «وأولى الأمر»، ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر، فدمج طاعتهم فى طاعته وطاعة رسوله، يعنى ليست لهم طاعة مستقلة عن طاعة الله ورسوله.

ومن هم أولو الأمر يا ترى؟ إن قوله - عز وجل -: «منكم» يحدد بكل دقة المراد من أولى الأمر فى الإسلام، لأن الضمير فى منكم عائد على المخاطبين فى صدر الآية: «يا أيها الذين آمنوا»، وهم المؤمنون من المسلمين. فهل الرئيس الأمريكى «جورج بوش» فرد من أفراد المخاطبين من أهل الإيمان الإسلامى، حتى يندرج فى هذا الخطاب، فيكون أحد ولاية أمور المسلمين، بل ولى أمر المسلمين الأوحى حتى على الملوك والرؤساء والأمراء فى جميع العالم الإسلامى؟

ماذا يقول الدكتور عميد كلية الشريعة فى هذا. أليس عمداً كليات الشريعة فى العالم الإسلامى هم حماة الشريعة بحسب مناصبهم؟ والدكتور العميد واحد منهم .
إن هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢).

ترسم للأمة منهجها الحكيم الذى تسير عليه فى الحياة - جامعاً مانعاً - حتى يرث الله الأرض ومن عليها.



يكن هذا إرهاباً فما هو الإرهاب يا سعادة العميد؟

سؤال نتركه بلا جواب. إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم يقول الدكتور العميد: «نرتكب بحق أنفسنا خطيئة كبيرة إذا اعتبرنا أمريكا عدوة لنا»، هذه العبارة أو هن من نسج العنكبوت الذي ضربه الله مثلاً في الضعف والوهن، وصدورها عن أستاذ دكتور عميد لكلية شريعة إسلامية، يملأ المشاعر استغراباً، والعقول استنكاراً، لأن معناها في واد، والواقع في واد آخر فهل يتصور أن يكون الدكتور العميد معزولاً عن واقع الحياة الراهنة؟ لا أظن وإنما هو لم يستمد شيئاً في حوارهِ مع الراية القطرية من الواقع، بل من وحي الخيال، أو من وجهة نظر مفصومة عن آمال الأمة وآلامها.

وأنا على يقين لو أن جهة ما من جهات استطلاع الرأي وزعت هذا السؤال على البالغين الراشدين في الوطن العربي، لأمكنها أن تحصل على الإجابة الإجماعية بذكر الأدلة الماثلة من سلوكيات الإدارات الأمريكية في غضون ٢٤ ساعة من الزمن، أذكر مائة دليل على أن أمريكا أو الإدارة الأمريكية أخطر عدو لنا.

إن خمسة وعشرين دليلاً من هذه الأدلة الماثلة تتمثل في خمس وعشرين مرة استخدمت أمريكا فيها حق الفيتو في الأمم المتحدة لحماية إسرائيل ضد العرب والمسلمين، ولولا خشية الإطالة لذكرى الـ ٧٥ دليلاً الباقية بلا توقف أو استعانة بأحد.

فهل في مقدرة الدكتور العميد أن يأتينا بدليل تحنوا له الأعناق، يبيح أو يوجب علينا الخروج عن شريعة الله المحكمة؟ أو يعترف بأن ما قاله زلة يجب الرجوع عنها.

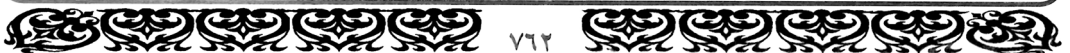
وقال الدكتور الأنصاري: «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب برغم سقوط الأبرياء». إلى هذا الحد يدافع الدكتور العميد عن جرائم «بوش أمريكا»، أو «أمريكا بوش»؟

لقد شهد العالم كله الجرائم الفظيعة الشنيعة التي ارتكبتها «أمريكا بوش» في حق الشعب الأفغاني المسلم بصفة خاصة، وفي حق الإنسانية بصفة عامة. شهدناها وعشناها عبر القنوات الفضائية. وكان ضحية تلك الجرائم هم الحفاة العراة من مسلمي أفغانستان، التي هدمت الغارات الأمريكية المجنونة منازلهم على رؤوسهم، ورأينا الجثث تنتشل من تحت الأنقاض لشيوخ ونساء وشباب وأطفال!

ورأينا مساجد تحطم، ومستشفيات تتساقط على المرضى والأطباء والمرضات.

وإلى الآن الحرب مستعرة في أرض كان لها تاريخ عريق في الإسلام، حتى الكلاب والطيور رأيناها تفرع من وحشية بوش ورجال إدارته، ورأينا جثثاً مفحمة ملقاة على الأرض. ورأينا كل شيء عرضة للتدمير في بلد أنهكته الكوارث قرابة قرن من الزمان.

برغم هذا كله يقول الدكتور العميد: «ليس من العدالة وصف ما قامت به أمريكا ضد أفغانستان بالإرهاب»، والله هذا الكلام. وإذا لم





ومؤيدوهم بفتح محلات للكوافير النساء، كى تلقى المسلمات الأفغانيات الحجاب، ويصففن شعورهن، ويضعن المساحيق على وجوههن وخدودهن، ويرتدين الملابس الأوروبية الملونة الشفافة والضيقة؟

كما سارعوا إلى فتح دور السينما والملاهى ومحلات الحلالة الرجالي لخلق اللحى .

هلا سارع بوش إلى إعادة بناء المساجد التى سواها بالأرض؟ أو المدراس التى هدمها بين عشية وضحاها أو دار الإذاعة التى أحالها أنقاضاً، أو المستشفيات التى هدمها على من فيها من مرضى وأطباء وممرضات؟

بم تسفر هذا كله يا سعادة الدكتور العميد؟ وبم تفسر الرشوة التى قدمها بوش لباكستان، لإعادة النظر فى مناهج مدارسها وجامعاتها الدينية .

وبم تفسر طلبه من الدول الإسلامية والعربية بمراقبة خطباء المساجد الناشطين وعزلهم من أعمالهم .

وبم تفسر طلبه من الدول العربية والإسلامية بإغلاق مدارس ومعاهد وكليات التعليم الدينى؟ وبإعادة النظر فى تفسير القرآن الكريم؟

ماذا أنت قائل يا سعادة الدكتور العميد : إننا لم نقل إن أمريكا عدوتنا افتراء عليها، ولكن ملف أمريكا الأسود معنا- نحن العرب والمسلمين- هو الذى حملنا على هذا الاعتقاد . ولو لم نقل إن أمريكا عدوتنا لأصبحنا فى عداد المذهوبى العقول، ولسخر منا الصديق قبل العدو . وحسبك هذه التساؤلات فما أردنا إلا مجرد التمثيل .

ومع هذا كله يتهم الدكتور العميد شعوب الأمة كلها بل وقادتها بأنها تظلم أمريكا إذا اعتبرناها عدوة لنا يا سبحان الله!؟

ونحن لم نعتبر أمريكا عدوة لنا، بل أمريكا نفسها متمثلة فى إدارات حكوماتها المتعاقبة هى التى أملت علينا بكل قوة وحسم أنها وحدها من دول الغرب عدو لدود لنا .

وإذا كان الدكتور العميد مصراً على موقفه هذا فإننا نطرح عليه هذه الأسئلة الحديثة الوقوع راجين منه الإجابة عنها بما يدعم رأيه هو، ويقوض موقف الأمة جمعاء.. .

بم تفسر القائمة التى أصدرها الرئيس بوش بالدول التى سيضربها بحجة أنها تؤوى الإرهاب وهى خمس وستون دولة كلها شرعية إسلامية إلا دولة واحدة أوروبية .

وبم تفسر تركه الحبل على الغارب لإسرائيل شارون فى تدمير الشعب الفلسطينى، وما وطنته قدماء، وما ملكته يده، وفى الوقت نفسه يعتبر فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية جماعات إرهابية يجب إبادةها فى حروب مكافحة الإرهاب .

وبم تفسر تدخل الرئيس بوش فى شئون البنوك الإسلامية زاعماً أنها تساند الإرهاب وتدعمه، لأنها توزع أموال الزكاة على فقراء المسلمين؟

أنت عميد كلية شريعة إسلامية، وتعلم علم اليقين أن إخراج الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة فهل تصرف بوش هذا حفظ للإسلام أم ضياع له؟

وبم تفسر أن أمريكا بعد إسقاط كابول فى أيدى قوات التحالف وأتباعهم سارع الأمريكان،





فقد عشت في السعودية ١٢ عاما . وكان معي أبنائي، وهم دون التعليم الجامعي . وبعضهم درس مناهج التعليم الديني من «أولى ابتدائي» حتى حصلوا على الإعدادية، ومنهم من درس المناهج الدينية حتى حصل على الثانوية العامة السعودية، وكنت أتابع معهم المواد الدينية والعربية والإنسانية بكل دقة واهتمام .

أما التعليم الجامعي وما تلاه في مرحلة الدراسات العليا بقسميها : الماجستير، والدكتوراة، فقد قمت بتدريسها طوال الـ ١٢ عاما في البنين والبنات، ومن خلال هذه التجربة الطويلة العميقة أقول :

إن السعودية لا تعلم تلاميذها ولا طلابها في التعليم الديني إلا ما أنزله الله، وبلغه رسوله المعصوم ﷺ (الكتاب والسنة)، فهل يراد منها أن تدبر ظهرها لكتاب الله وسنة رسوله؟ وماذا يبقى لها، وهي مهبط الوحي الأمين ومنشأ رسوله الكريم، ماذا يبقى لها من الإسلام إذا استجابت لمطالب بوش ودعوة الدكتور العميد؟؟

وإذا كانت هذه هي رؤية الدكتور في مناهج التعليم الديني في السعودية، فلماذا لم يسبق بدعوته مطالب بوش؟

أما كان عليه أن يتقدم بهذه الدعوة إلى ولاية الأمر في السعودية منذ تولي سعادته عمادة كلية الشريعة، أو على الأقل قبل أن يتطفل بوش ويزج بأنفه في الشؤون الداخلية لدولة ذات سيادة، لها في الإسلام تاريخ عريق؟

أما كان أحرقى بالرئيس بوش أن يدعو إلى إعادة النظر في مناهج التعليم الخلقي والثقافي في

ثم يقول الدكتور العميد : ما المانع أن تدعم أمريكا باكستان لتغير مناهج مدارسها الدينية؟

ونقول : ليس ما تقدمه أمريكا لباكستان لتغيير مناهج مدارسها الدينية دعما . بل هو رشوة، ومناهج أية دولة إسلامية، خاصة المتصلة بالدين شأن خاص بها وفريضة هي وحدها المسؤولة عن تأديتها، وأمريكا تعرف أن تلك المناهج خرجت علماء أعلاما في العلوم والفكر الإسلامي . وهذا الدعم كما يسميه العميد، أو الرشوة كما ينبغي أن تسمى، من شأنها أن تدعو الدكتور العميد للتنازل عن رأيه، الذي شذبه عن إجماع الأمة من أن أمريكا ليست عدوة لنا، وإلا لماذا تركز إدارة أمريكا على وأد شعثونا الدينية تحت بريق دولاتها الملوثة؟ لماذا لم تدعم أمريكا باكستان أو أى دولة إسلامية لتطوير مناهجها في علوم فقه الحياة : أسلحة- تجارة- صناعة- طب- علوم الفضاء- علوم البحار- علوم الطاقة؟

لماذا إزالة التعليم الديني الإسلامي؟ أمريكا رأت بعينها هدير وثورات الأحزاب الدينية قبل نشوب حربها الظالمة على الحفاة العراة من مسلمي أفغانستان فهي- إذن- تريد أن تقضى على روح الجهاد الإسلامي ليطول بقاؤها في أفغانستان؟ ومن يدري ما هي مطامع أمريكا التي لم تفصح عنها في المنطقة حتى الآن .

ثم يقول الدكتور العميد : على السعودية أن تبادر لإعادة النظر في مناهجها التعليمية الدينية . ونقول : هذا رجم بالغيب من الدكتور العميد، ويبدو أنه لم يعرف شيئا عن مناهج التعليم الديني في السعودية .



بلاده؟ وهى - بحق - جديدة بإعادة النظر! أم أن الأمر كما قال الشاعر:

قبح من الإنسان ينسى عيوبه

ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى

ثم يقول الدكتور العميد: يجب منع طباعة كتابى: إحياء علوم الدين للغزالي «والكباير للذهبي»، لأنهما أساءا إلى الإسلام وللمرأة.

ونقول: إن كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد الغزالي هو كتاب من طراز فريد فى فلسفة التربية والأخلاق فى الإسلام وفى غير الإسلام، وليس له نظير فى موضوعه، ثم إنه نموذج فريد فى هندسة التأليف والتنظيم العقلى، والأفكار التى تضمنها مبتناة على كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم ﷺ، وهو موضع تقدير عند علماء المسلمين وعند المستشرقين، ولأهمية هذا الكتاب منح الإمام الغزالي لقباً رفيع المستوى وهو «حجة الإسلام» صحيح إنه وردت فيه بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد قبض الله لهذا الكتاب «الحافظ العراقى» فخرج أحاديثه وبين درجاتها، فأصبح الكتاب خالصاً من العيوب، وتحدث فيه الإمام أبو حامد الغزالي عن أركان الإسلام الخمسة: كلمة التوحيد، والصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، مع موضوعات أخرى مهمة.

ولسنا ندرى ما هى العيوب التى أساءت للإسلام وللمرأة فى كتاب الإحياء حتى يطالب الدكتور العميد بحظر طبعة إلى الأبد؟

أما كتاب الكباير للإمام الذهبي، فموضوعه أن مؤلفه جمع فيه المعاصى المغلظة، المسماة فى

القرآن وفى السنة بالكباير والإمام الذهبي نفسه إمام من أئمة الإسلام الأعلام، ومحدث لا يشق له غبار وله فى خدمة الحديث النبوى - رواية ودراية - جهود لم تعرف لمحدث سواه، ويأتى فى مقدمتها موسوعته الضخمة «سير أعلام النبلاء» ٢٥ جزءاً ضخماً فكيف يتأتى من هذا العالم الثقة ما يسيء للإسلام أو للمرأة؟

هذا الكلام لا ساق له ولا قدم، بل هو اتهام عشوائى مرفوض، وعلى الدكتور العميد أن يبرهن للأمة على صحة دعواه الجوفاء، أو يعتذر لها عن هذا التشويه المنكر.

أو كم يقرأ الدكتور العميد قول الشاعر فى أدب المناظرة:

والدعاوى ما لم يقيموا عليها

بينات، أبناؤها أدعياء

فعلى الدكتور العميد أن ينسب دعواه هذه إلى والد وإلا ظلت - وهذا شأنها - مجهولة النسب.

ويقول الدكتور العميد: «مناهج كلية الشريعة متطورة ومنفحة، لذا لم تجد طالبا فى قطر خرج مؤيدا لابن لادن».

ونقول: الدكتور العميد يتحدث فى هذه الفقرة عن كلية الشريعة التى هو عميد فيها ولنا على هذا الكلام ملاحظتان:

الملاحظة الأولى:

إنه يحصر ما حدث من أمريكا فى أفغانستان فى مسألة فردية تتعلق بابن لادن. وهذا تقليص مجحف إلى أبعد مدى لحجم الكارثة التى صنعتها أمريكا - بوش فى كل أفغانستان



ونقول: الدكتور العميد بدا غير واقعي حتى مع نفسه في هذه العبارة، لأنه قال ما يعلم أنه ليس له قبول عند المخاطب في الوطن العربي والأوطان الإسلامية جميعاً، لأن ما أصاب الإسلام والمسلمين على يد الرئيس بوش بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لم يسبق له نظير من رئيس أمريكي سابق، وتوخياً للإيجاز، نحيل القارئ إلى ما تقدم ذكره من قائمة التساؤلات التي وجهناها للدكتور العميد من جرائم الرئيس بوش، والتمسنا منه أن يفسرها تفسيراً يقنع الأمة بأن أمريكا ليست عدواً لنا. أما الجديد الذي نقوله هنا، وفي إيجاز فهو:

ألم يصرح الرئيس بأن حربه ضد الإرهاب التي كان سيبدأها ولمدة عشرين عاماً حملة صليبية جديدة؟ والمفهوم التاريخي للحرب الصليبية أنها حرب ضد الإسلام. أم أن الدكتور العميد يسقط دلالات التاريخ من فكره؟ صحيح أنه حاول أن يتخطى هذه العقبة بأن الرئيس بوش عاد واعتذر عن هذه المقولة الحمقاء. وهذا لا يفيد الدكتور العميد في كثير أو قليل، لأن العبرة بأعمال بوش لا باعتذار لسانه، فقد خالفت أعماله أقواله «الاعتذارية» بعد ذلك بقليل. وبوش كان مكرهاً لا بطلاً حين اعتذر، لأنه كان يطمع في دخول العالم الإسلامي في تحالفه المشعوم، الذي دعا إليه في حربه المسماة «ضد الإرهاب» أو على الأقل ليضمن وقوف الدول

وباكستان، وما تنوى أمريكا- بوش القيام به ضد العالم العربي والإسلامي. أفغانستان دمرت، وباكستان أفقدها الرئيس بوش إرادتها، أو نومها تنويعاً مغناطيسياً، ثم راح يملأ عليها ما يريد، إن حصر جرائم أمريكا في هذا الحجم تجاهل مفضوح، وعور ظاهر، يراه حتى فاقدو الإبصار.

والملاحظة الثانية:

إن هذا المشهد السلبي، الذي وصف به الدكتور العميد طلاب وشباب دولة قطر الشقيقة ليس موضع فخر ولا مباهاة، فالجرائم الشنيعة التي حلت بالحفاة العرة في أفغانستان، هزت المشاعر الإنسانية كلها، وكادت تؤثر في الكتل الصخرية لفظاعتها، حتى ولو كان الشعب الأفغاني ليس مسلماً، فالظلم شديد المرارة كيف وقع، وأين وقع؟

إن الدكتور في هذه المقولة يدعو إلى بلادة الحس واللامبالاة إزاء أحداث تذيب الحديد الصلب وتفتت الصخور، ويهيئ من خلال أفكاره هذه الطريق لإزهاق روح التماسك بين مشاعر الأمة. التي صورها رسولنا ﷺ في بعض أحاديثه. كقوله ﷺ:

«مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (٣).

ويقول الدكتور العميد: بوش أكثر الرؤساء الأمريكيين احتراماً للإسلام. ودعا شعبه لاحترام أتباعه؟

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٠.



أمريكا، التي ستتخذ- كما يقول صاحب التهديد- من ضرب العالم الإسلامي تجربة ناجحة لأسلحتها الثقيلة المخزونة في ترساناتها الآن؟

فهل بعد هذا، وغيره كثير يقال إن الرئيس بوش أكثر الرؤساء الأمريكيين احتراماً للإسلام؟

وأى الرؤساء الأمريكيين قبل بوش احترام الإسلام حتى يكون هو - أعني بوش - أكثر احتراماً للإسلام من غيره.

الإسلام لم ير من بوش خيراً قط، ولو رأينا شيئاً من ذلك لقدرناه له، ولشكرناه عليه. وما تقوم به أمريكا من قروض أو معونات لبعض الدول العربية أو الإسلامية ليس دليلاً على احترامها للإسلام- كما يدعى الدكتور العميد- بل إن أمريكا لها أغراض أخرى من ورائها، يمكن الإشارة إليها في الآتي:

إنها تريد فرض ولائها وهيمنتها على من تحسن إليهم، وهذا يتناقض تماماً مع مبدأ العولة التي طرحتها أمريكا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ولست أدري هل كان الدكتور العميد يعلم؟

أو لا يعلم أن أمريكا بعد توقف الحرب في البوسنة والهرسك وجاء دور بذل المعونات، لإعادة إعمار البوسنة، من الدول المانحة عام ١٩٩٨م كانت أمريكا هي الدولة المانحة الوحيدة، التي اشترطت على البوسنة والهرسك تخفيض تسعين ألفاً من قواتها المسلحة حتى تعطيها أمريكا المعونة المتفق عليها!

بم يفسر ذلك الدكتور العميد؟ إن أدنى وأظهر تفسير له أن أمريكا تريد إضعاف القوة الدفاعية لدى أى دولة إسلامية أو عربية؟

الإسلامية مكتوفة الأيدي أمام حروب الإبادة التي سوف يشنها ضد الإسلام والمسلمين بادئاً بالحفاة العراة في أفغانستان المسلمة.

وبعد اعتذاره أعلن أنه سيضرب خمسا وستين دولة، لأنها تؤوى الإرهاب.

ثم تعرض العرب والمسلمون في أمريكا، وكل ما يتصل بالإسلام هناك حملات اضطهاد واحتقار لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

ثم تتابعت التدخلات البوشية الدنيئة في الشؤون الدينية الداخلية في العالم الإسلامي.

فطلب من السعودية تخفيض الوقت الأسبوعي لتدريس المواد الإسلامية من عشرين ساعة في الأسبوع إلى أربع ساعات فقط. بشرط أن تقتصر الدراسة في فرع العبادات دون غيرها؟ يا سبحان الله!

وطلب من اليمن أن يتعقب خطباء المساجد الناشطين الذين لهم تأثير قوى في التوعية، وتقدمهم إلى بوش باعتبارهم من أفراد تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن.

وطلب من مصر إلغاء المعاهد الدينية (الأزهر)، وإعادة النظر في تفسير القرآن الكريم؟ ولا ريب أن مطالب مشابهة لبوش إلى جهات إسلامية أخرى حدثت، وإن لم يكشف عنها الغطاء.

ناهيك عن الحملات الإعلامية الشرسة في كل وسائل الإعلام المحلية هناك، والعالمية ما تزال تصب كؤوس حقدّها على الإسلام.

وكاتب هذه الرسالة تلقى شخصياً تهديداً من أمريكي في مطلع هذا العام ٢٠٠٢م بهدم الكعبة، ثم إبادة المسلمين جميعاً على أيدي





فضل على إسرائيل، حيث أوجدت أمريكا لإسرائيل كيانا معترفا به من الشرعية الدولية. فإذا كان الدكتور العميد يرى فى ذلك فضلا فليذكر به إسرائيل، لأن إسرائيل هى الكاسبة لا مصر.

ثم ما تزال إسرائيل تحتل أراضى سوريا وفلسطين، التى احتلتها بالقوة المدعومة من أمريكا عام ١٩٦٧م، متحدية المجتمع الدولى كله وقراراته.

فأين فضل أمريكا علينا فى هذا كله؟

ولماذا لم يذكر العميد ما حدث من أمريكا فى أثناء حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، حين أفزعها جيش مصر البطل بتخطيطه خط بارليف فى ست ساعات وتوغل فى أرض سيناء.

ألم تمد أمريكا جسرا جويا بالأسلحة المتطورة لدعم إسرائيل قتاليا، وأن أرتال الدبابات الأمريكية خرجت من المخازن الأمريكية «لنج» لم تستعمل قط، إلا بدءا من المطار الذى هبطت فيه إلى ميدان القتال، لإجهاض الزحف القتالى المصرى، أهذا كان فضلا من أمريكا على مصر، أم إجهاضا لحربها التى أرادت منها تحرير أرضها؟

أغابت هذه الحقائق الصارخة عن الدكتور العميد؟ أم هى حاضرة فى مخيلته؟ حتى ينسحب عليه قول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تبدى المساويا

«يتبع»

ومن حسنات أمريكا عند الدكتور العميد أنها لولاها ما كانت مصر استعادت أرضها سيناء؟

حفظ العميد شيئا وغابت عنه أشياء. ومما غاب عنه أن إسرائيل احتلت سيناء، وغيرها من الأراضى العربية بالقوة عام ١٩٦٧م. وسيناء أرض مصرية معترف بها دوليا فى قرار تقسيم فلسطين. ونسى العميد أو تناسى أن احتلال أراضى الغير بالقوة محظور حظرا باتا فى موثاق الأمم المتحدة. وأن على من احتل أرض غيره بالقوة أن يخرج منها بلا قيد ولا شرط.

هذا، وقد صدرت قرارات من هيئة الأمم تحتم على إسرائيل الخروج من الأراضى العربية التى احتلها بالقوة، لكن إسرائيل بمساندة أمريكا ضربت بقرارات هيئة الأمم عرض الحائط.

لذلك صممت مصر على خوض معركة مع إسرائيل لاستعادة أراضيتها بالقوة فكانت حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م.

ثم حدثت تداعيات فجرت مصر إلى طاولة المفاوضات بزعامة أمريكا. وكانت النتيجة أن اعترفت مصر بإسرائيل كدولة آمنة ذات سيادة، وتم تبادل التمثيل الدبلوماسى بين مصر وإسرائيل، وفتحت أبواب مصر الموصدة أمام إسرائيل وهو أمر ما كانت تحلم به أمريكا ولا إسرائيل.

فأمريكا لم يكن لها فضل على مصر حتى يذكروا به الدكتور العميد، وإنما كان لها



الجيتو.. الجدار الإسرائيلي وعقيدة اليهود

للمكتوب / محمد حسن عبد الحنان

تابع العالم أجمع الأحداث المؤسفة التي قامت بها حكومة شارون مدعومة بجيشه لإبادة شعب أعزل، صاحب قضية عادلة، على مرأى ومسمع من العالم كله اهتزت له مشاعر الجميع دون أن يحرك أحد ساكنا.

وكل ما سمعناه لسنوات طويلة وعود براقعة عن قيام الدولة الفلسطينية وفقاً لحدود ١٩٦٧م واتفاقيات دولية لم تنفذ إسرائيل منها أي بند يذكر.

والمذابح مستمرة فاقت أضعاف ما فعله النازي بهم، وهي سوابق إجرامية ليس لها مثيل في بشاعتها، وقد شملت كل المدن الفلسطينية، وكان أبشعها في «سوق جنين»، وقد صرح مبعوث الأمم المتحدة «بأن ما رآه في جنين من جرائم يفوق الخيال» وتذرع إسرائيل بعبارات جوفاء لا معنى لها مثل الأمن أولاً.

وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر فزادت الطين بلة، ووجدت إسرائيل الفرصة سانحة واستغلتها لصالحها. كي تكون ضريبة قاسمة للإسلام والمسلمين، فتحت عبارة «مكافحة الإرهاب»، يباد شعب وهي العبارة التي تسعد أمريكا وتدفع لإسرائيل من أجلها الملايين وتبارك مذابحها، والآن أصبح اللعب على المكشوف، أمريكا تزود إسرائيل بأحدث الأسلحة لإبادة الفلسطينيين وتطلب من عرفات وقف المقاومة رغم حصاره.



والطفل والشيخ والمريض وتحصد خيرة الشباب الفلسطيني. والقاسم المشترك بينهم جميعاً هو عدم قيام دولة فلسطينية ذات سيادة، وكان ما يتسرب من أخبار في دهايز الإدارة الأمريكية لا يبشر بخير.

وأعلنت النتيجة مبتورة في سابقة غير معهودة، وتوالت توابع النتيجة المعلنة لشن هجوم كاسح على ياسر عرفات، حيث يقول «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكي: لقد طلب بوش صراحة تنحية عرفات لأننا لم نر منه ما يكفي!! وكم كانت فرحة إسرائيل بالنتيجة المعلنة. وأصبح واضحاً للعيان هدف أمريكا وإسرائيل، هو القضاء على رمز الدولة الفلسطينية. رمز المقاومة. رمز الثورة القضاء على ياسر عرفات مرة بحصاره في مقره وأخرى بالتهديد بإقصائه.

وبعد ذلك التهديد بعدم قيام دولة فلسطينية إذا أعاد الشعب الفلسطيني انتخاب عرفات.

وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن شارون مجرم حرب، لا يعرف غير لغة المدافع، ولا ينظر تحت قدميه، وليس له رؤى سياسية على وجه الإطلاق، وقد ألقى بالورقة الأخيرة في جعبته، وليس لديه ما يفعله أكثر مما فعل إزاء قرى فلسطينية بأكملها، مذابح جماعية، انتهك حرمة المساجد والكنائس وكل ما فعله وما ارتكبه جيشه من وحشية وإجرام كان تحت شعار «الأمّن الإسرائيلي» «أى أمّن!! وهل حقق الأمّن لشعبه؟ لا على وجه الإطلاق.

واعتقد أنه أحس بهذا، فراح يجتر العقدة الأبدية لليهود «الجيتو» وتمخض فكره المريض عن بناء أسوار عالية وتزويدها بأحدث تكنولوجيا

وآخر ما تمخض عنه الفكر الشاروني عبارة «الطريق المحتوم» فعادت لاحتلال جميع مدن الضفة الغربية وإلغاء الإدارة الفلسطينية - وهو ما صرح به (عاموس يارون) مدير عام وزارة الدفاع الإسرائيلية، ضارباً عرض الحائط باتفاقات أوسلو ١٩٩٢ وما بعدها وقد تطلع العالم العربى ومعه الشعب الفلسطينى إلى نتيجة خطة «بوش» لحل المشكلة حلاً نهائياً وسعى الكثيرون إلى معرفتها من كونترول البيت الأبيض قبل إعلانها وإن كان واضحاً منذ البداية أن النتيجة لن تكون فى صالح الفلسطينيين حتى بعد أن أوصى قادة العالم العربى الرئيس بوش بأن تكون النتيجة متوازنة.

وكانت الدلائل تشير إلى موقف بوش المتشدد من الفلسطينيين، وكانت تصريحاته المتوالية تُفصح عن مكنون صدره والتي كانت مستفزة لمشاعر العالم العربى مثل: «شارون رجل سلام». «من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها». «إن ما يفعله شارون هو تصفية للجيوب الإرهابية».

وكان جرح أحداث الحادى عشر من سبتمبر لا يزال يدمى، ويحمل الشعب الأمريكى الرئيس بوش تبعته.

وقد عمل اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة جاهداً على قلب الحقائق مدعماً بوسائل إعلامه للتأكيد على أن الجماعات الإسلامية والتي اتفقوا على تسميتها بالجماعات الإرهابية هى السبب فى كل ما يحل بالعالم من خراب ودمار ويجب إبادةها، كما وصفوا أعمال المقاومة الفلسطينية المشروعة بأنها أعمال إرهابية، وتغاضوا عن طائرات الأباتشى الأمريكية والدبابات والمصفحات التى تبديد الأخضر واليابس



وإن اليهودية عندما تخرج من الجيتو تتعرض لخطورة افتقاد ذاتها أو على الأقل افتقاد الوحدة القومية اليهودية وعند ذلك ستتحول اليهودية إلى مختلف الأشكال المنفصلة المستقلة فتنتهى إلى التشتت الذى انتهى إليه اليهود^(١).

وهذا أبلغ دليل على أن اليهودية ثقافة «هشة» ليس بها أى حضارة قط وهو بهذا يوجه دعوة صريحة لليهود للعودة إلى الجيتو مرة أخرى لأنه يرى به المكان الوحيد لحفظ الروح اليهودية والديانة اليهودية وهو الملاذ والأمان فى الدنيا والآخرة. فى الدنيا حافظ على روحه وفى الآخرة حمل معه اليهودية النقية التى تدخله الجنة. وكما هو معلوم لقد عاش يهود الغرب «الإشكانيين» فعلاً فى الجيتو المغلق.

وشارون هو سليل هذا الجيتو، وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أفكارهم نتاج ردود فعل الحياة الجيتو وتركيبهم النفسى انعكاس لنفسية الجيتو الذى يتسم بالشعور بالاضطهاد والخضوع والإذلال ولذلك يلجأ إلى العزلة لحماية ذاته وأصبح «مركب الخوف» هو المركب النفسى السيكولوجى الموروث من تجارب الاضطهاد لدى اليهود^(٢).

ونرى هذا واضحاً حيث يقول الشاعر اليهودى «حاييم نحمان بيبالك» فى قصيدته:

«حقاً إن الشعب لعشب»

— حقاً إنه لشعب ضائع مشتاق إلى العار والخزى

العصر من كاميرات تصور فى الظلام وأسلاك مكهربة.. ألغ أى تحويل دولتهم إلى جيتو حديث، «جيتو مودرن».

وهو يعلم جيداً أن شعبه سيرقص فرحاً، فحياة الجيتو قد توارثوها عبر الأجيال وأصبحت من المكونات الدفينة فى النفس اليهودية.

وفى استطلاع للرأى نشرته جريدة «معريف» فى عددها الصادر ٢١/٦/٢٠٠٢م أن ٦٩٪ من الإسرائيليين الذين شملهم الاستطلاع يؤيدون إنشاء جدار أمنى على طول الخط الأخضر الذى يفصل إسرائيل والضفة الغربية، لأن هذا الجدار سيسمح بوضع ٨٠٪ من المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية تحت إشراف إسرائيل.

ونرجع إلى الوراء قليلاً فقد تتلمذ شارون على يد أستاذه الكاتب والمفكر الصهيونى «أشر جينبرج» والذى اشتهر باسم «أحاد هم» بالعبرية وهى تعنى (واحد من الشعب) والذى كان يدعو إلى بناء جيتو روحى جديد للصهيونية «على أساس الجيتو الروحى القديم أى «اليهودية». ومن أقواله: ليس اليهود وحدهم هم الذين هجروا الجيتو، فاليهودية هى الأخرى قد هجرت الجيتو، وانصراف اليهود عن الجيتو قد تم فى نطاق البلدان التى يعيشون فيها أما تداعى اليهودية فقد حدث عندما اصطدمت بالثقافة المعاصرة التى تقوض اليهودية من الداخل، وعلى ذلك فاليهودية لم تعد قادرة على الاستمرار فى عزلتها ومواصلة حياتها الخاصة...

(١) يورى غيفانوف: إحدروا الصهيونية ص ٥٠ عام ١٩٦٨م.

(٢) د. حسن ظاظا: الصهيونية العالمية وإسرائيل ص ٥٩.





– لا أساس لأعماله ولا شرعية لأفعاله

– عاشوا آلاف السنين حياة التشرد وتحملوا الكثير من العبودية

– أصابتهم الحيرة والربكة وسط الشعوب الغريبة

– تعلموا بالعصا والسوط حتى وإن كانوا يشعرون بالألم^(٣).

ومهما أوتو من قوة فهم يشعرون بالدونية وقد أثبتت الأبحاث التي قام بها المتخصصون أن الشعور بالاضطهاد هو العنصر المميز للتكوين السيكولوجي الإسرائيلي.

وقد ورثوا الشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين طوال وجودهم بالجيتو وقد صور (برنر) هذا الشعور في كثير من أعماله الأدبية وفي أحد أعماله يصور هذا الشعور من جانب أسرة تجاه أسرة يهودية أخرى أما الأسرة الأولى فقد انتحرت ابنتها عندما تركها حبيبها وتزوج بأخرى ولما رأت الأم أن الأسرة تغنى وترقص ولا تهتم بمشاعرها الحزينة، أخذت تبكي وتنتحب وتقول:

أواه، آلامى كبيرة.. هناك حياة وسعادة، ونحن متعففون... إنهم سعداء، وابنتنا الملاك تعففت في القبر^(٤).

والسؤال الذى يطرح نفسه كيف تحولت هذه الشخصية اليهودية الضعيفة المضطهدة المغلوبة على أمرها إلى وحش دموى كاسر؟

يرجع علماء النفس هذا التحول على أحداث المذابح النازية ضد اليهود «الهولوكست» حيث إن تفسير أى سلوك إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين أى نمط بناء الشخصية، وهذا يرتد فى نهاية الأمر إلى ما يطلق عليه «هوية الذات» أو هوية الأنا وأن هوية الذات هى نتاج عملية التوحيد بالآخرين.

بمعنى أن الصبية اليهود ومن كان منهم فى أول شبابهم والذين قبض عليهم وعلى آبائهم فى أوروبا وأودعوا معسكرات الاعتقال النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أفرج عمن بقى منهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازيين، أنهم توحّدوا بجلاديهم النازيين^(٥).

وقد تولدت داخلهم نتيجة الخوف وتوهم الاضطهاد والتوحيد بالمعتدى شعور عدائى تجاه العرب، وعليهم أن يقتلوهم ويبيدوهم ويسفكوا دماءهم وإلا سيكونون هم وفى وضع المعتدى عليهم، وسوف يعودون إلى حياة الماضى والذل والتنكيل.

وفى التراث الدينى اليهودى أن مسيح اليهود لم يأت بعد ومازالوا ينتظرونه، وأنه سينقلهم إلى أرض الميعاد على نسر من حديد.

وقد عبر «حاييم نحمان بيالك» عن فقدان الأمل واليأس الشديد الذى انتاب اليهود لتأخر

(٣) حاييم نحمان بيالك: كل أشعاره. إصدار دافير - تل أبيب.

(٤) د/ مصطفى عبد الشافى: يوسف حاييم برز ص ١٣٠.

(٥) سناء عبد اللطيف صبرى: الجيتو اليهودى. ص ٣٦٠.





المسيح لينقذهم من الذل الذى يعيشون فيه، فى قصيدة بعنوان «آثار المسيح».

— لم يأت المسيح بعد .

— ولم يقترب يوم خلاصنا .

— لقد نفذ الدرهم الأخير من جيبنا .

— ونفذت أنفاسنا وصرنا جميعاً أمواتاً .

— لقد تحطمت كل النبوءات .

— التى نطق بها الحكماء وتنبأ بها الأنبياء .

— هل تحدثوا بالباطل وبثوا الأكاذيب .

— وإلا فلم إذن تأخر المسيح؟^(٦) .

وقد أخذت الصهيونية على عاتقها هذه المهمة، والمتدينون اليهود يرفضون هذا الطرح، وكانوا يتمنون أن يأتى مسيحهم ويحضرهم إلى فلسطين وكان خلاصهم على يد الصهيونية، أما دراهمهم التى نفذت من جيوبهم، فقد ملأتها أمريكا ذهباً .

وما يفعله شارون سليل الجيتو الأوروبى، لم يأت من فراغ ومهما بنوا من أسوار أنفقوا عليها المليارات الأمريكية، فلن يشعروا يوماً بالأمان والأمن . بل ستطاردهم أشباح قتلاهم الأبرياء وسيعودون إلى حياة الجيتو مرة أخرى حتى وإن كان مُكيِّفاً . وبه كل وسائل الترفيه وإذا نظرت إلى الجندى الإسرائيلى تراه يعيش داخل جيتو فى ملبسه، فى خوذته، فى سلاحه على دبابته وحتى إذا أراد أن يقتل عربياً أعزل اختبأ خلف

جدار ورغم حذر اليهودى سوف ينطق الجدار ويشير إلى من خلفه كما وعد المصطفى ﷺ .
والحق سوف ينتصر إن لم يكن اليوم فغداً، وهناك ظواهر إيجابية إنسانية يشترك فيها البشر جميعاً وبدأت الأصوات المتعاطفة مع الفلسطينيين تعلو فى المحافل الدولية، حتى وإن كانت قليلة التأثير فهى مفيدة .

والغريب فى أمر هؤلاء القوم أنهم يكذبون حتى يصدقوا أنفسهم .

فيطلقون على هيكل سليمان الأول الذى بنى حوالى ٩٤٠ ق.م .

العبرة العبرية «هبيت هريشون» أى الهيكل الأول ق.م .

ويطلقون عبارة «هبيت هشينى» أى الهيكل الثانى ق.م الذى بنى حوالى ٥٢٠ ق.م .

ويطلقون عبارة «هبيت هشليشى» أى الهيكل الثالث ق.م كناية عن دولة إسرائيل التى أسست عام ١٩٤٨ .

ومن يدرى ما تحمله الأقدار فقد يُدمر كما دمر الهيكلين السابقين، فلننتظر ماذا سيحل بهذا الهيكل الثالث

والسؤال الأخير :

هل استفدنا من التجربة؟ هل وعينا الدرس؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ﴾^(٧)

(٦) عبد الوهاب المسيرى: اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص ٢٠٤ .

(٧) الرعد (١١) .



القوى الدينية في إسرائيل

لمؤستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

في الحقيقة أن ثمة خطوطاً أساسية ثلاثة تحدد الملامح المميزة للمجتمع الإسرائيلي، وهي الخط الديني الذي يمثلته المتدينون الذين يشكلون ٢٠% من سكان إسرائيل مقابل العلمانيين الذين تبلغ نسبتهم ٨٠% من سكان إسرائيل والخط الإثني الذي يمثلته اليهود الشرقيون (السفارديم) مقابل اليهود الغربيين (الاشكناز)، والخط الوطني السياسي الذي يمثلته المتطرفون التوسعيون مقابل المعتدلين.

حاخام أكبر لليهود الغربيين، وقد اقتصرت سلطة الحاخام الأكبر على القضايا المتعلقة بإعفاء الفتيات من التجنيد، وطقوس تهويد من تحوم الشكوك حول يهوديتهم من المهاجرين الجدد، وأيضاً الإشراف على منح شهادات «كوشير» المتعلقة بالأطعمة، ومدى حليتها أو حرمتها وفقاً للشرعة اليهودية، بالإضافة إلى النظر في مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق. وفي هذا الإطار يوجد حاخام أكبر للجيش الإسرائيلي وله صلاحيات كاملة فيما يختص باعتماد إعلان المفقودين - بعد فترة من غيابهم - كقتلى. كما تُعتبر الحاخامية العسكرية إدارة مستقلة تتبع رئيس الأركان مباشرة، وهي تقوم بدور إعلامي، سواء بتبرير أى عدوان لإزالة أى شعور بالذنب، قد يشعر به الجندي الإسرائيلي تجاه المدنيين الذين يتعرضون

والمعروف في إسرائيل أن الطائفة الدينية اليهودية الرسمية هي طائفة المذهب الأرثوذكسي. ويقسم بعض اليهود «الأرثوذكسية» إلى أرثوذكسية ذات ميول صهيونية وأخرى متشددة. فالأولى تنسحب على اليهود الأرثوذكس الذين يعترفون بالصهيونية وبدولة إسرائيل، وغالبيتهم من أنصار «الصهيونية الدينية»، ويمثلهم حزب «المفدال»، وهو الحزب الديني القومي. والثانية هي «الأرثوذكسية المتشددة» وتُطلق على غلاة اليهود الأرثوذكس الذين لا يعترفون بالصهيونية، ويمثلهم حزب «أجودات إسرائيل» وحزب «شاس»، وحركة «نظوري كارتا» أى حراس المدينة، وهي تمثل الأصولية اليهودية. ومنذ عام ١٩٤٨ تنقسم المؤسسة الحاخامية الرئيسية إلى حاخاميتين يرأس إحداها حاخام أكبر لليهود الشرقيين، والأخرى



دار الحاخامية الأرثوذكسية سلطاتها على جميع اليهود في إسرائيل بلا استثناء، وترفض الخضوع لمراقبة السلطات القانونية والقضائية فيها، وتأبى الاستجابة لما تصدره محكمة العدل العليا من أحكام بدعوى أنه لا يحق للمحكمة العليا التدخل فى مسائل هى من اختصاص الشرع الدينى وحده. وفى هذا الإطار يمكن رصد ثلاثة توجهات داخل الأرثوذكسية اليهودية وهى:

التوجه الأول: يدعو إلى المحافظة على الأرثوذكسية نقية خالصة، والالتزام بتعاليم «الهالاخا» أى الشريعة اليهودية، ويمثل هذا التوجه حركة «نطورى كارتا» أى حراس المدينة، التى ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل وتنكر الصهيونية وتعتبر أن اليهودى الصالح لا يمكن أن يكون صهيونياً، كما أن الصهيونى لا يمكن أن يكون يهودياً صالحاً، وهذه الحركة تمثل الأصولية اليهودية فى تشدها وتطرفها الدينى، ويُقدَّر عددها بثلاثة آلاف نسمة حسب المصادر الإسرائيلية، ويعيش غالبية أعضائها فى حى «مائة شعاريم» أى حى المائة باب، وتهدف هذه الطائفة المتشددة إلى غسل إسرائيل وتنظيفها من شوائبها الصهيونية والاتجاه بها إلى «حكم التوراة».

التوجه الثانى: يسعى إلى تأكيد وحدة الشعب اليهودى، مع المحافظة فى نفس الوقت على أن تظل الأرثوذكسية، وتعاليمها لها اليد الطولى فى توجيه المجتمع اليهودى فى إسرائيل، ويمثل هذا التوجه حزب «أجودات إسرائيل» الذى شارك فى العديد من الحكومات الائتلافية خاصة مع اليمين الصهيونى (الليكود) بعد عام ١٩٧٧، ورغم عدائه السافر للصهيونية.

للقتل دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم. وقد لوحظ - أثناء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ - قيام الحاخام الأكبر فى الجيش الإسرائيلى بتقديم نسخة من التوراة إلى قائد القوات المعتدية على سيناء، وخاطب جنود الاحتلال بقوله: «إنكم تطأون تراباً مقدساً، لأن فى هذه الأرض تلقى مُعلِّمنا موسى الكتاب». وقد لعبت الحاخامية العسكرية دوراً ماثلاً فى حرب ١٩٦٧ من خلال وجود حاخام خاص بكل كتيبة فى الجيش الإسرائيلى. واللافت للنظر أنه رغم علمانية دولة إسرائيل فإن للأرثوذكسية اليهودية فى إسرائيل نفوذاً كبيراً إذ تعبر عن هذه القوى الدينية أربعة أحزاب دينية هى حزب شاس، وحزب المفدال، وحزب ميماد، وحزب أجودات إسرائيل، وهى تشكل الذراع السياسى لها، بالإضافة إلى انتشار عدد من المستعمرات الدينية، ووجود أكثر من سبعة آلاف معبد دينى أرثوذكسى، وتهيمن المؤسسة الحاخامية الرئيسية على توجيه الشئون الدينية فى إسرائيل، وتشرف أيضاً على المحاكم الحاخامية، وعلى أغلب المجالس الدينية فى المدن، والكيبوتسات (المزارع الجماعية)، والموشافات، وهى المستعمرات التعاونية، إلى جانب سيطرتها على منظومة كاملة من النظام التعليمى الدينى، وأيضاً إسهامها فى إنشاء العديد من «اليشيفوت» أى المعاهد الدينية التى يلتحق بها أبناء المتدينين. وجدير بالذكر أن المؤسسة الحاخامية الرئيسية هى مقر الأرثوذكسية الدينية فى إسرائيل، وترفض الاعتراف بشرعية المؤسسات الدينية التابعة للطائفتين الإصلاحية والمحافظة، كما لا تكثرث بالأحكام الصادرة منهما. وفى هذا السياق تمارس



لكن هذه القوى الدينية، إدراكاً منها لاتجاهات اللعبة السياسية عقدت العزم على اقتحام العمل السياسى، بمحاولاتها المشاركة فى تشكيل الائتلافات الحكومية لفرض مطالبها فيما يتعلق بتطبيق الشريعة اليهودية فى المجتمع الإسرائيلى بالإضافة إلى الحصول على تمويل لأنشطتها الدينية والثقافية والتعليمية.

ويمكن لنا أن نرصد نتائج انتخابات الكنيست (البرلمان) فى الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٩ كمؤشر على بيان تصاعد التيار الدينى، واتساع نفوذه، وتغلغله داخل المجتمع الإسرائيلى كما يبدو ذلك فيما يلى :

- وفى انتخابات الكنيست الثالث عشر عام ١٩٩٢، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٢,٤٠٩,٠١٥ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٣٤٥,١٧٧ بنسبة ١٤,٣٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ١٦ مقعداً فى الكنيست البالغ عدد مقاعده ١٢٠ مقعداً.

- وفى انتخابات الكنيست الرابع عشر عام ١٩٩٦، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٣,٩٣٣,٢٥٠ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٥٩٨,٦٣٨ بنسبة ١٥,٢٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ٢٣ مقعداً فى الكنيست.

- وفى انتخابات الكنيست الخامس عشر عام ١٩٩٩، بلغ عدد من لهم حق الاقتراع من المتدينين والعلمانيين ٤,٢٨٥,٤٢٨ ناخباً، أدلى منهم بأصواتهم للأحزاب الدينية ٦٦٢,٨٥٦

التوجه الثالث : يعترف بشرعية دولة إسرائيل، ولا يعارض الصهيونية، وقد تلقى هذا التوجه المساندة من جانب الحركة الصهيونية، ويمثل الآن حزب «المفدال» وهو الحزب الدينى القومى الذى يُعبرُ عن «الصهيونية الدينية»، وهو متعاطف مع الاتجاهات العلمانية لدولة إسرائيل، وشارك بفاعلية فى الحياة السياسية فى إسرائيل، ويعرف هذا الحزب بأنه حزب المستوطنين المتطرفين الذين يرفضون أى تنازل عن الأرضى الفلسطينية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

ومن الملاحظ أن هذه التيارات الدينية الأرثوذكسية لا تهدف إلى تحويل إسرائيل إلى «دولة شريعة» لأن دولة الشريعة اليهودية لن تتحقق - فى نظرهم - إلا بمجىء المسيح المخلص ليقيم مملكة إسرائيل، ولكنها تطالب الآن بإلحاح باحترام الدولة للشريعة اليهودية، وتحاول فى نفس الوقت استغلال دولة إسرائيل لدعم مشاريعها الدينية والتعليمية والثقافية والاقتصادية. وتجدر الإشارة إلى أن المتدينين المتشددين فى إسرائيل يمثلون شريحة دينية أكثر تطرفاً، ويبرز هذا التطرف على العديد من المستويات، فقد يسعى اليمين الدينى اليهودى فى تطرفه إلى إقامة «إسرائيل الكبرى» بحدودها التوراتية مع حرصه على أن تسمو التوراة على القانون. وقد يبلغ هذا التطرف فى شدته إلى درجة عدم الاعتراف بدولة إسرائيل، تأسيساً على رفضه للصهيونية، وأيدولوجيتها التى تحكم توجهات المجتمع الإسرائيلى. وربما قد يصل التشدد مدى أبعد برفض السلام مع العرب، والتهرب من عملية السلام.





- إباحة الزواج خارج إطار المؤسسة الدينية الأرثوذكسية.

- إلغاء وزارة الأديان.

- السماح بتشغيل المواصلات العامة والطيران الإسرائيلي أيام السبت.

لذلك بدأ بروز الانشقاق الدينى العلمانى الذى يعانى ويلاته المجتمع الإسرائيلى، خاصة مع تعاضل نفوذ الأحزاب الدينية مثل شاس، والمفدال، وأجودات إسرائيل، وميماد، وتلف الحزبين الكبيرين «العمل والليكود» على كسب ودها، والتلويح بالتحالف معها للحصول على أصوات أنصارها من المتدينين، وهذا ما أفرزته نتائج انتخابات ٢٠٠١، التى وصل فيها «شارون» إلى السلطة، فقد حصل حزب شاس السفاردى الأرثوذكسى المتشدد برئاسة الحاخام «عوفيديا يوسف»، على خمس وزارات فى حكومة شارون الحالية، وهى وزارات الداخلية، والعمل والرفاة، والأديان، وشئون القدس، والصحة. وبذلك يمثل حزب شاس القوة الحزبية الثالثة بعد العمل والليكود فى إطار المنظومة الحزبية الإسرائيلية.

وأخيراً يمكن القول على وجه العموم أن هذه الأحزاب الدينية هى اللسان المعبر عن القوى الدينية على المستوى السياسى، والتى يتنافس مرشحوها، سواء لعضوية الكنيست الإسرائيلى، أو رئاسة الحكومة، على إرضائها بشتى الوسائل لنيل تأييدها، خاصة أن هذه القوى الدينية تهيمن على قطاع كبير من سكان إسرائيل، بفضل تأثيرها الدينى والروحى، الذى يفرض احترام الجميع لها.

بنسبة ١٥.٥٪ من الأصوات، وحصلت الأحزاب الدينية نتيجة لذلك على ٢٧ مقعداً فى الكنيست. وقد حصل حزب شاس المتطرف دينياً على ١٧ مقعداً بمفرده أما المقاعد العشرة الباقية فكانت من نصيب الأحزاب الدينية الأخرى وهى المفدال وميماد، وأجودات إسرائيل.

ويجدر ذكر أن المتدينين اليهود ينظرون إلى شارون على أنه الأفضل على ساحة العمل السياسى حيث أعلن فى برنامجه الانتخابى عام ٢٠٠١ عن عدم تقسيم القدس، وبقيتها موحدة، وإعلانها العاصمة الأبدية لإسرائيل، لذلك سعت الأحزاب الدينية فى انتخابات ٢٠٠١ إلى حشد مؤيديها، وتعبئة أنصارها لانتخابه إذ صوت أكثر من ٩٠٪ من المتدينين ضد «بارك»، فقد أدى مشروع «الثورة المدنية» - الذى طرحه «يهود باراك» فى الشهور الأولى لاعتلائه رئاسة الحكومة عام ١٩٩٩ - إلى انخفاض شعبيته فى أوساط المعسكر الدينى، وصار هذا المشروع هو الورقة الرابحة التى استغلها «أرييل شارون» لصالحه، بعد أن وعد المتدينين من الناخبين أنه فى حالة فوزه فى الانتخابات بإلغاء مشروع الثورة المدنية الذى سبق أن طرحه «بارك». هذا وقد اعتبرت المؤسسة الدينية الأرثوذكسية هذا المشروع تهديداً لسلطتها، وتأييداً لليهود الإصلاحيين والمحافظين، ويمثل فى نفس الوقت دعماً للأحزاب العلمانية (العمل، والليكود، ميرتس، شينوى)، إذ يدعو هذا المشروع إلى سن قانون يراعى الأمور التالية:

- توحيد مناهج الدراسة فى المدارس.

- فرض الخدمة العسكرية على الذين لا يؤدونها من المتدينين.



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم

جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى، فإن الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال، فلا رأى له في غيره، وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته.

الناس في الخير

الناس في الخير أربعة أقسام: منهم من يفعله ابتداءً، ومنهم من يفعله اقتداءً، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنهم من يتركه استحساناً. فمن فعله ابتداءً فهو كريم، ومن فعله اقتداءً فهو حكيم، ومن تركه حرماناً فهو شقي، ومن تركه استحساناً فهو دنيء.

نصيحة

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: إذا رأيتم أحاكم ذا ذلة فقوموه، وسددوه وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك.

لعنه الله.. كثير الأسماء قليل القيمة

حكى أن أعرابياً اصطاد سنوراً، فرآه شخص، فقال: مات صنع بهذا القط؟ ولقيه آخر فقال: مات صنع بهذا الخيد؟ ولقيه آخر فقال: مات صنع بهذا الخيط؟ ولقيه آخر فقال: مات صنع بهذا الهر؟ قال: أبيعه، قال له: بكم؟ قال: بمائة درهم، فقال له: إنه يساوي نصف درهم. فرمى به، وقال: لعنه الله ما أكثر أسمائه وأقل قيمته.



لأى حكمة خلق الله الذباب؟

كان المنصور جالساً فآلح عليه الذباب حتى أضجره، فقال: انظروا من الباب من العلماء؟ فقالوا: مقاتل بن سليمان فدعا به، ثم قال له: هل تعلم لأى حكمة خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة، قال: صدقت. ثم أجازته.

لا تلهه

قال محمد بن الحنفية: لا تلم من لا قوت له على طلب قوته، فبعدمه عدم عقله، وضجر نفسه وملّه أهله، وكان أكثر كلامه عليه لا له، فإن كان عالماً جهلوه، وإن كان أديباً نبذوه، لا يسمع كلامه، ولا يعرف مقامه، ويبغضه أهله وجيرانه.

قلت ذلك حين سككت

شهد رجل عند ابن شبرمة، فرد شهادته، وقال: بلغنى أن جارية غنث، فقلت لها: أحسنت فقال: قلت ذلك حين ابتدأت أو حين سككت؟ فقال: حين سككت، قال: إنما استحسنت سكوتها أيها القاضي.

صديق إبليس

قال إبليس - لعنه الله - : ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه : من استكثر علمه، ونسى ذنبه، وأعجب برأيه.

حقاً

شتم بعض السفهاء «سقراط» فاستأذنه تلامذته فى جوابه فقال: ليس بحكيم من أذن فى الشر.

رسالة

كتب سفيان بن سعيد إلى محمد بن عبد الرحمن - رحمهما الله - رسالة جاء فيها: (سلام عليك فيأني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأوصيك بتقوى الله، فإنك إن اتقيت الله كفأك الناس، وإن اتقيت الناس فلن يغفوا عنك من الله شيئاً، فعليك بتقوى الله).

دعاء

اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، إنك لاتخلف الميعاد. ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.



الحِلم والصَفْح

من صفات الرسل والأنبياء

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفراف

الحلم من أجل صفات الفضائل وأعظمها، وأعلاها منزلة وأسمها قدراً، لأنه يدعو صاحبه إلى التحكم في غضبه وانفعاله، ويهديه إلى التفكير بروية في اتخاذ قراره، فيكون لباس السكينة والوقار، والرزانة والرصانة، وبذلك يحافظ الحليم على سلامة العشرة، وعلى بقاء صلة المودة بينه وبين الناس، وينجح في استقطاب عدوه وتوجيه سلوكه إلى ترك الشر وفعل الخير الذي يرتد أثره وينعكس على صلاح نفسه وصلاح المجتمع...

وإذا كان التحلي بصفة الحلم أمر مطلوب للإنسان على وجه عام، لأن الحلم يرفع من شأن صاحبه، ويعلى منزلته، ويعمل على انتشار الحب في المجتمع، ويعمم حسن المعاملة بين الناس، فإن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا قدوة حسنة، ومثالاً طيباً، ونموذجاً يحتذى في التحلي بصفة الحلم، وكانت تلك الصفة بالنسبة لهم عاملاً أساسياً من عوامل نجاح مهمتهم في أداء رسالتهم التي كلفهم الله عز وجل بها.

يقول الله تعالى :

مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجُبَيْرِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانُوا
أَسْتَغْفَارُ إِذْ زُهِيمَ لَهُمُ إِذْ كَانُوا مَوْعِدَةً وَعْدَهُمْ
فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأْتُمْ إِنَّ إِذْ زُهِيمَ لَهُمْ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿ مَا كَانُوا لِلَّذِينَ وَالَّذِينَ مَا مَنُوا أَن
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ

(١) التوبة (١١٣، ١١٤).

فيصف القرآن الكريم سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بأنه كان حليماً، ويؤكد تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة توكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة»، قال الألوسي - رحمه الله -: قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ أى لكثير التأوه، وأصل التأوه قوله: آه ونحوه مما يقوله الحزين... وهو عند جماعة كناية عن كمال الرأفة، ورقة القلب، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن عبد الله بن شداد قال: قال رجل: يا رسول الله ما الأواه؟ قال: «الخاشع المتضرع الكثير الدعاء».

وقد بينت هذه الآية الكريمة السبب الذى حمل سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - على الاستغفار لأبيه، ثم على ترك هذا الاستغفار بعد ذلك، لأن استغفاره له إنما كان بسبب وعد من سيدنا إبراهيم لأبيه، كما جاء فى القرآن الكريم من قوله له: ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَقٍّ﴾ (٢) وقوله:

﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٣)
فلما أصر - أزر - أبو سيدنا إبراهيم على كفره، ومات مشركاً بالله تبرأ سيدنا إبراهيم منه ومن عمله، وترك الاستغفار له.
وفى سورة أخرى من سور القرآن الكريم يقول الله - عز وجل -:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (٤) فَلَمَّا

رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ نَبْشَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٧﴾ قَالَتْ يَتُولىءُ آلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتْ اللَّهُ الْبَرَّ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجِدُهَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٨٠﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ لَعَلِمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ ﴿٨١﴾ يَتَذَكَّرُ مِنْهُمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَهُ أَمْرٌ رِيكٌ وَإِنَّهُمْ لَمَتِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٨٢﴾ (٤).

فتؤكد هذه الآيات - مرة أخرى - وصف سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بأنه كان حليماً، وتؤكد - أيضاً - تلك الصفة لسيدنا إبراهيم بأسلوب التوكيد المؤكد بأكثر من أداة التوكيد «إن، واللام، وصيغة المبالغة».

ووصف سيدنا إبراهيم بالحلم فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوْهٌ مُنِيبٌ﴾

بيان للدواعى التى حملت سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - على مجادلة الملائكة فى شأن إهلاك قوم لوط، لأن الحليم هو: الصبور على الأذى، الصفوح عن الجناية، المقابل لها بالإحسان، والأواه هو: الذى يكثر التأوه من خشية الله، والمنيب هو: السريع الرجوع إلى الله - تعالى - بالتوبة والاستغفار، أى أن إبراهيم لصبور على الأذى، صفوح عن الجناية، كثير التضرع إلى



ومنها: أن السلام مشروع، وأنه ينبغي أن يكون الرد أفضل لقول إبراهيم «سلام» بالرفع وهو أدل على الثبات والدوام.

ومنها: مشروعية الضيافة، والمبادرة إليها، واستحباب مبادرة الضيف بالأكل منها.

ومنها: استحباب خدمة الضيف ولو للمرأة، لقول مجاهد: وامرأته قائمة: أى فى خدمة أضياف إبراهيم.. وخدمة الضيفان من مكارم الأخلاق

ومنها: جواز مراجعة الأجانب فى القول، وأن صوتها ليس بعورة.

ومنها: أن امرأة الرجل من أهل بيته، فيكون أزواجه عليه السلام من أهل بيته.

ومنها: كما يقول الإمام ابن كثير - استدلال على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحق، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحق، لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فيكف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه؟، فيمتنع أن يؤمر بذبح إسحق والحالة هذه، فتعين أن يكون الذبيح إسماعيل، وهذا من أحسن الاستدلال وأصح.

ويستمر القرآن الكريم فى وصف الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالتحلى بصفة الحلم، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على كمال صفة الحلم، وعلى حث الإسلام على التخلق بتلك الصفة الحسنة الجميلة.

يقول الله - تعالى :-

الله، سريع الرجوع إليه فى كل ما يحبه ويرضاه، وبسبب ذلك جادل سيدنا إبراهيم الملائكة وحاورهم فى شأن إهلاك قوم لوط طالبا إمهال عقوبتهم.. غير أن رد الملائكة كان الطلب من سيدنا إبراهيم بالإعراض عن هذا الجدل فى أمر قوم لوط، وفى طلب إمهال عقوبتهم لأنه قد جاء أمر ربك بإهلاكهم بسبب إصرارهم على ارتكاب الفواحش، وهذا الأمر غير مردود لأن قضاء الله لا يرد عن القوم المجرمين.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر^(٥): وقد ذكر الشيخ القاسمى بعض الفوائد والأحكام التى أخذها العلماء من هذه الآيات فقال: قال بعض المفسرين لهذه الآيات ثمرات وفوائد:

منها: أن حصول الولد المخصص بالفضل نعمة، وأن هلاك العاصى نعمة - أيضاً - لأن البشرى قد فسرت بولادة إسحق لقوله: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ﴾ وفسرت بهلاك قوم لوط، لقوله:

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسِلْنَاهُ إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ﴾.

ومنها: استحباب نزول المبشر - بالكسر - على المبشر - بالفتح - لأن الملائكة أرسلهم الله - تعالى - لذلك.

ومنها: أنه يستحب للمبشر أن يتلقى البشارة بالشكر لله - تعالى - على ما بشر به، فقد حكى عن الأصم أنه قال: جاؤوه فى أرض يعمل فيها، فلما فرغ غرز مسحاته وصلى ركعتين.

(٥) التفسير الوسيط المجلد السابع ص ٢٤٤.

اشتريتهم، ثم يبين الأسباب التي حملته ودعته إلى أمر قومه بعبادة الله والإيمان به، وإلى نهيه لهم عن نقص المكيال والميزان، وإلى طلبه منهم التزام العدل في معاملاتهم - مستعملاً أسلوب الترغيب والترهيب - فيقول لهم: إنه يراكم بخير تملكون المال الوفير، وتعيشون في رغد من العيش، وفي بسطة من الرزق... ومن كان كذلك فمن الواجب عليه أن يقابل هذه النعم بالشكر لواهبها وهو الله - تعالى - وأن يستعملها استعمالاً يرضيه، وأن يعطي كل ذي حق حقه... ثم يخوفهم ويرهبهم - إن هم استمروا في كفرهم بالله وظلمهم الناس في معاملاتهم - من عذاب يوم أهواله وآلامه شاملة لكل ظالم لا يستطيع أن يهرب منها، ولا يجد له ملجأ ولا مهرباً...، ثم ينهاهم نهياً عاماً عن الإفساد في الأرض، ويحذرهم من البطر والغرور، واستعمال نعم الله في غير ما خلقت له... ويرشدهم - مستعملاً أسلوب الترغيب مرة أخرى - إلى أن ما عند الله خير وأبقى مما يجمعونه عن الطريق الحرام، وأن الرزق الحلال مع الإيمان والاستقامة خير لهم من المال الكثير الذي يجمعونه عن طريق الفساد والظلم ويخس الناس أشياءهم، ثم ينبههم على أن الالتزام بتنفيذ هذه الخيرية، وإبقاء الله على نعمه لهم لا يتم إلا مع الإيمان والتصديق برسالته...، ثم يعود - مستعملاً أسلوب الترغيب مرة أخرى - فيحذرهم من مخالفة دعوته بأنه ليس عليهم بحفيظ بعد أن أدى ما عليه من بلاغ.

ولكن ماذا كان رد قوم شعيب عليه؟

﴿يتبع﴾

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحْطِطُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ الْوَحْيُ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ قَالَُوا يَشْعَبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَهًا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

كان النبي - ﷺ - إذا ذكر شعيب - عليه الصلاة والسلام - قال: «ذلك خطيب الأنبياء» (٧) لحسن مراجعته لقومه، وقوة حجته، وقدرته على النصح والإرشاد، وتحمله سخرية قومه منه، وتحليه بصفة الحلم وسعة الصدر.

ففي الآيات الكريمة نجد سيدنا شعيباً - عليه الصلاة والسلام - يبدأ دعوته بأمر قومه بعبادة الله - تعالى - وحده، فإنه لا إله لكم على الحقيقة سواه، فهو الذي خلقكم، وهو الذي رزقكم، وهو الذي إليه مرجعكم...، ثم ينهاهم عن أبرز الرذائل التي كانت منتشرة في مجتمعهم وهو نقص المكيال والميزان عند الأخذ وعند الإعطاء، فيخاطبهم: لا تعطوا غيركم أقل من حقه إذا بعتهم، ولا تأخذوا منه أكثر من حَقِّكم إذا

الإسلام .. والحياة

الدكتور / حسين عباس الأنصاري

الإنسان يرغم ما وهبه الله من نعمة العقل والفكر والقدرة على الاختيار، إلا أنه قاصر عن توجيه نفسه بنفسه إذ لا بد من قوة عالمة عليها تنير له الطريق، وتضع له منهج حياته، وقد وضع هذا منهج في رسالة الإسلام. فالإسلام هو عقيدة أنبياء الله ورسله جميعا، وعقيدة الصالحين، وهو صفة أهل الجنة وشرط لدخولها.

الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٣﴾ .

وموسى - عليه السلام - يرشد قومه كما يحكى القرآن :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾ (٤) .

وسليمان - عليه السلام - مع ما كان عليه من ملك لم يؤته أحد من بعده حيث سخر الله له الرياح والجن وعلمه منطق الطير كان سلماً ويتجلى ذلك واضحا في قول ملكة سبأ : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥)

فأبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - يحكى عنه القرآن . وعن ابنه إسماعيل عليهما السلام :

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (١) .

ونوح - عليه السلام - يقول لقومه :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُم مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

ويوسف - عليه السلام - يحكى عنه القرآن قوله :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ

(٣) يوسف (١٠١) .

(٢) يونس (٧٧) .

(١) البقرة (١٢٨) .

(٥) النمل (٤٤) .

(٤) يونس (٨٤) .

القرآن كما أخبر بذلك ﷺ تنفى عقيدة الثنائية أو التثليث فى ذات الله فهو واحد أحد لم يلد لأنه واحد ليس له صاحبة، ولم يولد لأنه أزلى وليس بحادث .

هذه هى عقيدة التوحيد فى رسالة الإسلام والتى تمثل جوهر الرسائل السماوية كلها، فما هو أثر هذه العقيدة فى حياة الفرد والأم؟؟

حينما يؤمن الإنسان بوجود إله واحد متصف بجميع صفات الكمال والجلال والجمال، وأنه لا يرى هذا الإله بعينه وإنما يراقب وجوده بقلبه فإنه لن يخشى سواه، وبذلك يصبح حائزاً لحريته الإنسانية . كما أرادها له خالقه، فهو ليس مستعبداً لأحد لأنه يعلم أن الله هو الرازق وهو النافع الضار وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وبذلك ينطلق فى الحياة نافعاً لنفسه ونافعاً لغيره من بنى جنسه وإخوته فى الإنسانية، ينتج ويبذل لأن ذلك يرضى عنه ربه ويجعله يستمتع بحياته دون خوف أو قلق .

كما أن المؤمن بالله الواحد يحسن عمله ويتقنه فى مجالات حياته، سواء كان ذلك فى بيته أو فى مصنعه أو فى حقله لأنه يؤمن أن الله يراه .

وإذا ما أتقنت الأعمال بوازع من عقيدة الإنسان فلن تجد مجتمعا أسعد من ذلك المجتمع . كما أن صاحب العقيدة لا يظلم أحداً ولا يقبل أن يظلمه أحد دون وجه حق، سواء كان هذا الظلم فى النفس أو المال أو العرض .

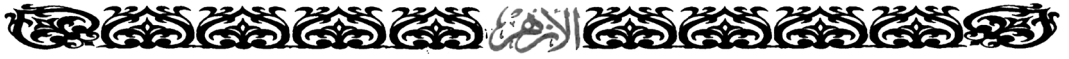
شريك له ولا مثيل، والذى يتصف بجميع صفات الكمال، ويتنزه عن كل صفات النقص . وكيف يكون إلهاً، خالقاً، رازقاً من يتصف بأى صفة من صفات النقص، مثل الجهل والعمى والعجز والموت والفناء . وكل من عبّد من دون الله من ملك أو جن أو إنسان أو حيوان أو جماد كان متصفاً بجميع صفات النقص وليس ببعضها . وبما أن رسالة الإسلام هى الرسالة الخاتمة وهى تشمل جميع الرسائل السماوية فى جوهرها، فهى تركز على هذه الحقيقة – حقيقة الإيمان بالله الواحد الأحد وتكوّن العمود الفقري فى منهجها . وأول آية نزلت فى الدستور الإسلامى هى قوله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ (١٢)

فهى تلفت الأنظار والعقول إلى المعبود بحق ﴿ رَبِّكَ ﴾ وأنه هو الخالق، ولا خالق سواه . وسورة الإخلاص أو سورة التوحيد توضح رسالة الإسلام بلا لبس وقد نزلت حينما سُئل رسول الله ﷺ عن الله :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ (١٣)

فهذا هو جوهر رسالة الإسلام وهى تنفى عقائد تعدد الآلهة، كما كان فى بعض المعتقدات القديمة، حيث كان هناك إله للخير وإله للشر وإله للحب وإله للرّيح والمطر إلى آخر هذه العقيدة الفاسدة . كما أنها تنفى النفع والضرر لغير الله . كما أن هذه السورة العظيمة التى تعدل ثلث



وبذلك يوجد المجتمع الآمن المتحاب الذى يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة، فالمؤمن يُحسِّن دنياه لتكون آخرته حسنة .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ .

والعمل لا يكون إلا فى الدنيا، أما جزاء هذا العمل فهو فى الأخرى حينما تقف الخلائق بين يدى رب العالمين . وكما قال سبحانه :

﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنَاهَا جَزَاءً وَأَخْرَجُوا مِنْ دَيْرِهِمْ وَأَوْدَوْا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذَلَّخْنَهُمْ جَنَّتْ تَحْرَى مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَهْزُرُوا أَبَا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٥﴾﴾ .

فهذه أعمال أدوها فى الدنيا ابتغاء وجه الله وشكرا له على بعض نعمه فجزاهم عنها سبحانه بالجزاء الأوفى .

ولولا العقيدة الثابتة ما هاجروا وتركوا أوطانهم وقبلوا الإخراج من ديارهم، ولما قبلوا الإيذاء الذى منعهم من الاستمتاع بالحياة الدنيا بعضا من الزمن، ولما أجهدوا أنفسهم

فى القتال وعرضوا أرواحهم للهلاك دفاعا عن الحق ودفاعا عن حرية الآخرين فى الاعتقاد الصحيح، لكنهم فعلوا كل ما فعلوا طاعة لبارئهم وإيمانا بعدله وطمعا فى فضله، ولولا هذه العقيدة الراسخة لتشبهوا بهذه الحياة الدنيا لأنها هى عالمهم الضيق فهم لا يرجون بعثا ولا نشورا ولا يعتقدون فى ثواب أو عقاب كما هى عقيدة الملحدِين .

فالعقيدة الحقّة التى جاء بها الإسلام وجاءت بها جميع الرسالات السماوية السابقة هى سرّ الصلاح والفلاح، وهى التى تنشئ المجتمع السعيد .

وإذا نظرنا إلى عالم اليوم فإننا نجده عالما مليئا بالأحقاد والأضغان كما أنه مليء بالظلم والجور تطغى عليه أطماع المادة التى بسببها تنشب الحروب وتسيل الدماء وتخرب الديار ويتكاثر عدد الجوعى والمرضى تكاثرا رهيبا فى عالم اليوم، وما ذلك إلا لغياب العقيدة الصحيحة التى وجه الله الناس إليها ووضع أسسها فى رسالة الإسلام . فالعقيدة السليمة تعمل عملها فى النفوس وينصلح بها أمر الدنيا والأخرى على السواء .



أضواء علمية على شعيرة إسلامية:

حكمة الإسلام فيما حرم من الطعام

د. أساذ الدكتور / عفيفي محمود عفيفي (*)

الطعام هو مادة بناء أجسامنا وأجسام غيرنا من الكائنات الحية، كما أنه هو الوقود مصدر الطاقة التي تدور بها عجلة الحياة في كل كيان فيستمر سريان روح الخالق فيه.. ومهما اختلفت صور الأطعمة فإن مكوناتها لن تخرج عن عناصر الماء والتراب الأرضي التي نعلم عن يقين أنها هي أيضاً مادة الأساس في بناء أجسامنا وأجسام ما نأكله من نبات وحيوان.. ولعل هذا التجانس المادى بين الطعام والمطعم هو أحد أسباب الانسجام الذي يكمن وراءه سر الاشتواء، وهو غريزة يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، ولكن الذي خلقهما وأودع فيهما هذه الغريزة فضل الإنسان على الحيوان.. وهذا التفضيل هو جوهر تكريم الله للإنسان بأن منحه شرف التكليف، وأول مظاهره أن حرم عليه بعض ما تنازعه إليه نفسه من مطالبها المباحة أصلاً فيأتيه فيقطع بذلك الخيط الرفيع بين الحلال والحرام.

حرية الفكر: أحد جناحي الإسلام

رزقه الذى أودعه فيها.. ثم ابتلاه.. بأن حرم عليه بعض ما تدفعه إليه [نفسه] والرغبة فى التملك وغيرهما من الغرائز.. وفى مقابل ذلك أعانه على النجاح فى هذا الامتحان - الذى أعفى منه الحيوانات - بأن وهبه العقل ليميز الخبيث من الطيب، وسأحه بالإرادة ليختار ما يشاء، ومنحه القدرة على التحكم فى غرائره

● من مظاهر تكريم الله للإنسان وتفضيله على غيره من المخلوقات: أنه - سبحانه - قد استخلفه فى الأرض وسخرها له بما فيها من ثروات وكنوز ومصادر قوة، وأمره بأن يمشى فى مناكبها ويأكل من طيبات

(١) كاتب المقال: أستاذ علم الحيوان بكلية العلوم بجامعة المنصورة، وخبير لجنة علوم الأحياء والزراعة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

تمحيص الإيمان: أعداداً لحمل الأمانة

.. وهذا ثابت من أول حالة تحريم فى تاريخ البشرية: تلك التى نهى الله فيها آدم وزوجه عن الاقتراب من شجرة معينة دون غيرها من أشجار الجنة، كما تخبرنا بذلك الآية رقم ٣٥ من سورة البقرة حيث يقول أصدق القائلين:

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

* ولقد كان تكرار ورود هذا الحدث التاريخى فى الكتب السماوية عامة وفى القرآن الكريم خاصة حافزاً أغرى كثيراً من المستشرقين من أبناء الغرب والمستغربين من أبناء الشرق (ومنهم من ينتمى للإسلام) أغراهم بالتحليل والتأويل حول طبيعة هذه الشجرة وعلاقة الأكل منها بكشف العورة وإيقاظ الغريزة الجنسية ونشأة القدرة التناسلية وغير ذلك مما يوجب على كل مؤمن أن يربأ بفكره عن الانسياق وراءه أو الخوض فيه .. والأكرم لنا هو الالتزام بجوهر القضية وبالحقائق الثابتة التى لا يختلف عليهما اثنان من المفكرين أيا كانت عقيدتهما، ونكتفى بحقيقتين:

الحقيقة الأولى: هى أن الطعام المنهى عنه فى جميع الكتب السماوية لم يكن صيداً ولا ذبيحة، بل كان من خارج عالم الحيوان: كان شجرة مما تنبت الأرض، ومعنى ذلك أن النوع البشرى قد بدأ حياته على الأرض نباتي التغذية، وهذه الحقيقة التى أوحى بها إلى نبي الإسلام فى القرن السابع الميلادى لم يهتد إليها علماء التاريخ الطبيعى إلا بعد ذلك بألف ومئتين عام.

وتوظيفها وفقاً لإرادة العليا – إرادة الله الذى خلقه وخلقها فيأخذ ما أحل الله له ويجتنب ما حرم عليه .. ليكون فى النهاية جديراً بشرف الاختلاف فى الأرض، وأهلاً لعبادة مستخلفه بكل جوارحه وجوانحه: عبادة تستمد تكاملها من تكامل الدين الذى بعث الله به أكرم رسله، وارتضاه لأفضل الأمم حيث يقول سبحانه:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

● ويتصور مُسطَّحو الفكر أن أعماق الإسلام كديانة تنتهى عند مستوى ما يوحى به هذا اللفظ فى أذهانهم من معانى الاستسلام بما يتضمنه من تعطيل للفكر والتدبر ونكوص عن تقصى الأسباب .. وهم فى ذلك غافلون – أو متغافلون – عن حقيقة أن القرآن – الذى أنزل على نبي الإسلام حافل بالآيات التى تحث على – إعمال العقل والمنطق فى تدبر كل القضايا وفى مقدمتها قضية الإيمان ذاتها. ولهذا فالمسلم الحق إنما هو مؤمن عاقل يحتم عليه إيمانه استعمال أعز ما وهبه الله – وهو العقل – فى تدبر ما يقرأ من آيات الله – سبحانه: سواء فى كتابه المسمطور – وهو القرآن – أم فى كتابه المنظور وهو الكون .. على أن تقصى حكمة الله فى التحريم يجب أولاً أن يكون مقروناً بالتسليم بحتميته وثانيًا: محكوماً بالنص القرآنى الذى نزل بشأنه، وبهذا الالتزام تيقن الراسخون فى العلم من أن الحكمة فى التحريم تبدو لنا ذات أقطار متفرقة ولكنها جميعاً تلتقى فى مركز الدائرة حيث يكمن إخلاص العبودية لله.

* والحقيقة الثانية: هي خلو الكتب السماوية من أية إشارة إلى نوعية الشجرة المحرمة أو طبيعتها أو علاقتها بما نتج عن أكلها، مع أن الله - سبحانه - قد علم آدم ما لم يُعلّمه ملائكته، وأمرهم بالسجود له، ولكنه شاء أن يُخفى عنه هذا السر ليمتحن صدق إيمانه الغيبي، وقدرته على ردع نفسه عما نهى الله عنه ومخالفة عدوّهما إبليس الذي حذره الله من وسوساته التي ظل ينفثها في صدره وصدر زوجته (وقد جعل الله بينهما المودة) .. وإذن فالحكمة من التحريم هي تنقية معدن عبوديتهما لله وتمحيص إيمانهما به، بإدخالهما في امتحان يعلم الله نتيجته قبل إجرائه، ولكنه شاء أن يعطى عبده الفرصة ليختبر نفسه بنفسه ويتعلم بطريقة تنفع ذريته من بعده (وهي طريقة المحاولة والخطأ)، وأن يمارس المعصية، ويعايش الشعور بالندم عليها، ثم يتذوق حلاوة التوبة بعد أن يقبل الله استغفاره الذي أوحى به إليه .. وكل هذه كانت خطوات لما نسميه الآن «دورة تدريبية» لإعداد كيان الإنسان إعداداً يؤهله لرسالة استخلافه في الأرض، وتكليفه بعمارتها بوصفها مزرعة للآخرة.

تلوث الطعام نتيجة للتلوث العقائدي

* وعلى الأرض تناسل آدم وحواء، وذريتهما من بعدهما جيلاً وراء جيل .. وباستمرار التناسل لم تعد الموارد الغذائية تفي باحتياجات بني آدم برغم انتشارهم في مختلف أنحاء الأرض، فبدأوا البحث عن

موارد إضافية، واتجهت أنظارهم إلى المصادر الحيوانية للتنوع، وبهذا عرف الإنسان الصيد واستئناس الماشية .. وفي رحلات الصيد كان الرجال يتعرضون للمخاطر، ويشعرون بالخوف من الرعد والبرق والنار والرياح .. فتصوّروا وجود أرواح شريرة قوية وراء هذه الظواهر، وزين لهم الشيطان (ذرية إبليس الذي كان قد لازم أبويهم في الجنة وطرده منها ليلحق بهم في الأرض) .. زين لهم تجسيد هذه القوى الخفية على هيئة تماثيل يرفعونها على أنصاب (منصات) ليتقربوا إليها ملتمسين رضاها، واتخذ هذا التقرب صورة مادية هي تقديم القرابين (حيوانات تذبح على الأنصاب) مع (الدعاء) بالأسماء التي أطلقوها على هذه التماثيل التي جعلوا منها آلهة ثم عبدوها من دون الله أو مع الله .. وهكذا ولدت الوثنية في حجر الشرك، وتتابعت إلى أن جاء نبي الإسلام بأكمل رسالة بلغت بها دعوة التوحيد مرحلة النضج العقائدي فشرع تطهيراً للعقيدة تحريم الأكل من أي طعام تلوث بممارسة طقوس الوثنية أو بطقوس الشرك .. فأما التلوث الوثني فمصدره الذبح على النصب (المنصة المرفوع عليها الوثن أي الصنم) .. وهذا الطعام محرّم بنص الآية الثالثة من سورة المائدة، وأما التلوث بطقوس الشرك فمصدره التهليل على الذبيحة بذكر اسم معبود غير الله، والأكل من هذه الذبيحة محرّم بنص الآية ١٤٥ من سورة الأنعام حيث يقول رب العزة:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ

فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ أَوْدًا مَا مَسَّقُوهُ أَوْ لَحْمَ خَازِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فُسْقًا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا

كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغِيظٍ وَإِنَّا لَصَدِيدُونَ﴾

* والظفر - علميا - هو الجزء الصلب الذى يغطى طرف الأصبع ويمتد منه، وهذا معروف جيدا فى الإنسان، ويقابله فى الحيوانات الحافر والظلف غير المشقوق والخلب (وهو معروف أيضا فى الطيور) وبناء على هذه الحقيقة العلمية تتسع دائرة التحريم لتشمل كل ما طاب لحمه، وأحل أكله من الطيور (كالنعام والأوز) كما تشمل الإبل والماشية باستثناء البقر والغنم (وهى مشقوقة الظلف) .. وحتى هذين النوعين ضيق الله على اليهود فيهما فحرم عليهم شحومهما (الشحم علميا: هو الدهن الحيوانى) إلا من مناطق صغيرة ومحددة فى الآية (والحوايا هى الأمعاء بدء من نهاية الإثنا عشر وحتى المبرع) .. والدهن فى هذه الأجزاء قليل يصعب استخلاصه كما أنه منخفض القيمة الغذائية .. بينما أطيب الدهن وأنفسه فإنه يتراكم فى ذبول الأغنام على شكل كتلة ضخمة تسمى «اللينة» وهو مشمول أيضا بالتحريم على اليهود، يمتد إلى ذريتهم من بعد موسى وإلى آخر الزمان، فقد كان فى علم الله أنهم سيقتلون أنبياءهم، ويقولون على القديسة مريم البتول زورا وبهتانا عظيما ويناهضون دعوة ابنها النبى الذى أرسله الله لتصحيح مسار العقيدة اليهودية.

* وقبل الانتقال إلى الموضوع التالى يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن التحريم المنصوص عليه فى الآية ١٤٦ من سورة الأنعام مقصور على اليهود أما أمة محمد ﷺ فلم يحرم عليهم - إلا ما نصت عليه الآية الثالثة من سورة المائدة والآية ١٤٥ من سورة الأنعام

* وتحريم ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به تحريم قطعى مطلق بمعنى أنه ينطبق على الذبيحة حتى ولو كانت قبل ذبحها بريئة من جميع شبهات التحريم الأخرى وفى هذا تأكيد للهدف التبعدى الذى يتضاءل إلى جانبه أى هدف ظاهرى تدركه أفهامنا كاجتناب أن تسرى عناصر الطعام المحرم فى دماء من يأكلونه وتدخل فى بناء مادة أجسامهم.

تحريم بعض الطيبات تأديبا للبغاة

* والبغاة هنا هم المارقون من بنى إسرائيل الذين نجّاهم الله من فرعون وأغرقه وجنوده أمام أعينهم، ومع ذلك تبجح بعضهم بقولهم: إنهم لن يؤمنوا لدعوة نبيهم حتى يروا الله عيانا، وانتهزوا فرصة غيابه لميقات ربه وصنعوا من حُلَى نسائهم تمثالا على صورة عجل وعكفوا على عبادته، ولم تردعهم الصاعقة ولا رفع جبل الطور فوق رؤوسهم ولا مسخ بعضهم إلى خنازير وقردة، ولم يقنعوا بأطيب طعام ساقه الله إليهم بلا جهد وطلبوا العدى والبصل، فحجب عنهم الذى هو خير وأعطاهم الذى هو أدنى، وزاد أن حرم عليهم بعض الطيبات، وهى مذكورة فى الآية ١٤٦ من سورة الأنعام حيث يقول الحكيم الخبير:



موقف الإسلام من الطعام المجهول الهوية

والمقصود هنا بالطعام المجهول الهوية: لحم الذبيحة البريئة من كل موجبات التحريم الواردة في الآيتين المذكورتين، ولكنها لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح فهي في نظري أشبه بخطاب غفل من التوقيع، أو بلاغ من مجهول لا يتلفت إليه - رغم افتراض صحة مضامينه وحكم هذا الطعام منصوص عليه في الآية ١٢١ من سورة الأنعام حيث يقول رب العزة:

﴿لَا تَأْكُلُوا مما لَا يَذْكُرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾

* وفي هذه الآية ما يستحق وقفه، فقد استعملت فيها صيغة النهي بدلا من لفظ التحريم الوارد بشأن ما ذبح على النصب وما أهل لغير الله به وغيرهما من المحرمات وعلى الرغم من أن الدلالة واحدة في كلتا الحالتين (وهي عدم الحل) إلا أن اختلاف اللفظ إنما هو دقة في التعبير عن فرق في طبيعة علة التحريم بينهما، فالعلة في الحالة الأولى إثم وقع ولا يمكن الرجوع فيه، أما في حالتنا هذه فهي تجاوز عن شرط يمكن تداركه، وهذا هو ما أمر به نبي الإسلام - الذي لا ينطق عن الهوى - عندما سأله أعرابي: إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا. فقال: ﷺ «سمو عليه أنتم وكلوه» (٢)

ومعنى هذا أن ذكر اسم الله مكمل لشروط حل الطعام المأخوذ من مصدر حيواني توفرت فيه كل شروط الحل الأخرى (وفي مقدمتها التذكية الأصلية بإراقة الدم والمنصوص عليها في آية سورة المائدة)، وأن نسيان هذا الشرط عند الذبح لا يقضى بتحريم الذبيحة كما أنه لا يعفى من شرط استيفائه ولو قبل الشروع في الأكل.

● وهكذا نرى أن صيغة النهي في الآية ١٢١ من سورة الأنعام قد تركت باب التيسير مفتوحا أمام السنة المحمدية - وهي مكملة للقرآن - وأن الاستفادة من هذا التيسير لم تكن مقصورة على المسلمين الذين عاصروا نبيهم، ولكنها شملت التابعين الذين هم أشد حاجة إلى هذه الرخصة لأنهم جاءوا في عصور لاحقة لم يعد فيها الآكلون هم الذابحين، وربما استحال التواصل بينهما للتأكد من النطق باسم الله عند الذبح.. وهذا التيسير هو من أفضال الله على أمة نبي الإسلام، إذ يمكن استيفاء هذا الشرط بالتسمية قبل الشروع في تناول هذه اللحوم، بل وبعد البدء فيه لمن ينسى، ولئن كانت التسمية، مطلوبة قبل الشروع في أى عمل، فإنها عند تلبية حاجات البدن واجبة لما في ذكر اسم الله من صرف للشيطان عن الناطق به الذى يكون أشد حاجة إلى التحصن من الشيطان عند مباشرة ما يغلب أن تلهيه به شهوته عن ذكر الله.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد ١٠٤/٧.



الاهتمام بأدب الطفل في الإسلام

للمستاذ الدكتور / صابر عبد الرحيم بونس (*)

إن الاهتمام بأدب الطفولة في مجتمعنا العربي والإسلامي يجب أن لا ينفصل عن الاهتمام بتكوين الطفل وتنشئته تكويناً صحيحاً في ظل الأصول والمفاهيم الأخلاقية التي حملها الإسلام، حتى ينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبع بأنفس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهياً لمعيشة واقع الحياة الإسلامية «سلوكاً وتعليماً وتربية ومشاركة مسؤولة في ميادين الحياة العملية»، وكل كتابة للأطفال لا تنطلق من هذا المنظور فهي كتابة تفتقد الرؤية الصحيحة، وتكتفي بالتسلية الوقتية للطفل، ولا تعنى بصنع مستقبله ومستقبل أمته.

وحين نتأمل موقف الإسلام من الطفولة نعر على ملامح الرؤية المستقبلية لأدب الطفل فقط، ولكن لحياة هذا الطفل المستقبلية بكل أبعادها ومكوناتها النفسية والشعورية والعقلية والحسية التي تنمى في الإنسان القدرات والمهارات المرتبطة بحركة الحياة.

(*) وكيل كلية اللغة العربية بالزقازيق.

وعناية من الإسلام بمستقبل الطفل أمر الآباء بحسن رعاية أبنائهم، والقيام على تربيتهم وفق مفاهيم الإسلام، وأرشد الآباء إلى ضرورة إكساب الطفل المهارات والقدرات التي تجعل منه رجلاً قوياً ثابتاً متزناً في مستقبله وفي عهد الشباب والفتوة، وكان المصطفى ﷺ هو القدوة والنموذج في ذلك، حيث كانت طفولته في صورتها المضيئة إعداداً لمستقبل حافل بالمسؤوليات الجسام، وللقيام بأعباء الدعوة الإسلامية، فقد أرسل إلى البادية ليتلقى اللغة العربية صافية من الشوائب واللكنات والتحريف، ويتعود على حياة الصحراء وما فيها من كفاح وتقشف وتحمل، ويتشرب تقاليداً التي تبرز قيم الصحراء ورحابتها والانطلاق فيها على فطرة الإنسان، وحيث يكون لكل فرد دور بناء يقوم به لخدمة نفسه ومجتمعه.

ويقول عمر بن الخطاب: «علموا أولادكم السباحة والفروسية، وأرووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر» ووصية عمر تؤكد على تنمية الذوق الأدبي والمهارات اللغوية عند الأبناء، وهذه رؤية مستقبلية لارتباط الأطفال بلغة أمتهم وتراثها، ويحرص «الفاروق عمر» على منهج الانتقاء فيما يُروى للطفل المسلم «الأمثال السائرة النافعة والمفيدة والمتعة، وكذلك الشعر الحسن التربوي والأخلاقي».

ويقول هشام بن عبد الملك لمعلم ولده:
«وأول ما أوصيك به، أن تأخذه بكتاب الله،

فقد اهتم الإسلام بتكوين الطفل وعنى بمستقبله حتى وهو جنين، حيث حرم الإسلام إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، ويعاقب من يسقطه بدفع الدية الشرعية وتسمى «الغرة».

وقد حكم الله - عز وجل - على القاتل بالخسران والسفه والضلال فقال سبحانه:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١).

وقد هيأ التشريع الإسلامي للجنين كل سبل الرعاية والعناية، وهيأ من حوله للحفاظ على هذه الحقوق. يقول تعالى:

﴿وَلِنْ كُنْ أَؤْتِيَتْ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٢)

ورعاية من الدين الإسلامي للجنين، نجد أن الحق - سبحانه وتعالى - وضع عن «الحبلى» الفرائض والقربات وإذا كان في هذه الطاعات إضرار للجنين أو الطفل بعد الولادة، فوضع عن الحبلى والمرضع الصوم - ولو كان صوم فريضة - إن كان ذلك يؤذى الجنين أو الطفل أو الأم، وجعل قضاءه بعد زوال السبب؛ وينبه المصطفى ﷺ إلى ضرورة الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة؛ حرصاً على مستقبل الطفل ونشأته فيقول ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»^(٣).

فهل هناك حرص على مستقبل الطفل وحياته أعظم من هذا التوجيه النبوي الراشد.

(٢) الطلاق (٦)

(١) الأنعام (٣١).

(٣) العراقى ٤٢/٢.



هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده: ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من «صالح شعرهم».

(د) الحرص على التربية الدينية السوية، والسلوك الإسلامي السديد، وهذا المنهج يكون في ظل مراعاة سن الطفل، ومدر كاته وحاجاته، وإشارة هشام بن عبد الملك ولفتته التربوية الدقيقة تبدو بجلاء وذكاء في قوله «وبصر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي». فالهدف ليس التلقين ولكن «التبصير» والتوعية.

ومن وسائل التيسير وأدواته «الخطب والمغازي» وهما مدخلان قويان للدخول إلى مستقبل أدب الأطفال، أبناء الإسلام وعلماء المستقبل وقادته، ويمكن ان تُعرض خطب الأقدمين الآن في صور مشوقة مشروحة مصحوبة بما يلائم العصر وما جد فيه من ظروف وملابسات، وكذلك أخبار «المغازي» والفتوحات الإسلامية، على امتداد التاريخ الإسلامي المشرق المجيد الزاخر بالبطولات الفريدة، رجالاً ونساءً وأطفالاً.

هذا التصور السديد، وهذا الاهتمام الرشيد بالتكوين الكلي للطفل في مبادئ ديننا الحنيف، وفي ضوء سلوك علمائنا وأولى الأمر وتوجيهاتهم في الدولة الإسلامية يجعلنا أمام تأملات وتساؤلات كثيرة تحيط بواقعنا الأدبي بعامة، وبواقع أدب الطفل بخاصة في حركتنا الأدبية المعاصرة.

ولنتساءل، ونحن نبحت عن ملامح مستقبلية لأدب الطفل:

ثم أروه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من «صالح شعرهم» وبصر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي.

والمنهج التربوي السديد، والرؤية المستقبلية المستنيرة في هذه الوصية الرائعة تقوم على عدة أسس؛ لتكوين مستقبل الطفل المسلم نفسياً وجسدياً وعقلياً وشعورياً، وأدبياً وهي:

(أ) الانكاء على التعاليم القرآنية في المنهج السلوكي للطفل، وهذا ليس اختياراً، ولكنه ضرورة وواجب، والنص يؤكد ذلك أن يأخذه بكتاب الله والأخذ هو «الإلزام بالأمر». والقرآن دستور المسلمين، وسرّ حضارة الأمم. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحت على العناية بالولد ورعايته، وآيات أخر تذكر لفظ الطفل صراحة، وتنبيه إلى ضرورة التكوين المستقبلي للطفل، فقد أقسم الله تعالى «بالولد والوالد» في سورة البلد، وذكر الطفل في سورة النور وسورة الحج، ومن على الناس أن أمدهم بالبنين في أربع سور مباركات، وهي الإسراء والمؤمنون ونوح والمدثر وعدّ الأبناء زينة الحياة «الدنيا» في سورة الكهف، وهم «قرة أعين» في سورتي الفرقان والقصص.

(ب) تقويم لسان الطفل وتبصيره بتراث العرب الماضي، والنافع المفيد من الشعر العربي وهذا مدخل صحيح لتربية ملكة التذوق الأدبي عند الناشئة وأطفال المسلمين.

(ج) الترحل والتنقل ومشاهدة الآثار والاختلاط بأصحاب الخبرات الثقافية والعمرانية والتربوية من أسس أدب الطفولة، ومن أسس التكوين الوجداني المستقبلي للطفل، إذ يقول



كتاب أدب الطفل أن يصوغوا من هذه المادة التراثية ما يروونه ملائماً من وسائل التعبير، والمشاهد الدرامية، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وهذه المادة تتكون من المنابع التراثية التي تتشكل من فيوضاتها حضارة الأمة العربية والإسلامية وهي:

١- قصص الأخبار والمغازي والمثل وحكايات الأبرار والصالحين وهذا قصص واقعي تاريخي ووصية « هشام بن عبد الملك » المؤدب ولده تشير إلى ذلك المصدر المهم.

٢- ما ورد في القرآن الكريم من قصص وأمثال، وتقديم هذه القصص يتم في إطار الالتزام بالمفاهيم الإسلامية، والبعد عن التفاصيل التي لا سند لها من التاريخ.

٣- ما ورد في الأحاديث النبوية من قصص، وهو يحمل المغزى الإصلاحي والتكويني الاجتماعي والنفسى.

٤- قصص الفتوحات الإسلامية، وقصص الشعوب الأخرى - غير العربية - التي تم فتحها ونشر الإسلام فيها، والقصص الشعبى.

٥- قصص الأسفار والتجار والرحلات.

٦- بعض قصص الجن والملائكة والسحر، وتعرض في أسلوب تربوي يبصر الطفل بهذه العوالم، وينزع من نفسه الخوف التقليدي، ويطرد عنه الأوهام.

وفيما قدّمناه ما يرسم خطوطاً للتأليف التربوي الصحيح.

أولاً: كيف نكتب للطفل الآن؟ وما سلبيات الظاهرة؟ وما إيجابياتها؟ وما الوسائل والأدوات المقترحة لتجاوز الأزمة؟ ويندرج تحت هذا التساؤل عدة ظواهر وممارسات لابد من إثارتها، ومعالجتها في ميدان الكتابة للطفل أو عن الطفل، وهي:

أ- ظاهرة قصص الأطفال بين الواقع الجميل والخيال العاثر!

ب - ظاهرة قصص التاريخ ومحاولات تشوية الذاكرة!

ج- ظاهرة قصص الخيال العلمى وحتمية تقريب الحقائق العلمية وتعميقها بأسلوب واقعي مشوق بعيد عن الإسفاف والابتذال.

د - البرامج التلفزيونية وخطورة ألعاب الكارتون على التكوين الإدراكي للطفل.

ثانياً: التراث العربى والإسلامى وخصوصيته فى تنمية المهارات الأدبية لدى الطفل مع ضرورة الاطلاع على جهود الأمم الأخرى فى مجال ثقافة الطفل وأدب الأطفال، وهذا التراث حافل بالمادة الغزيرة التى تثرى عالم الطفولة، وتسمو بخيال الأطفال وتجمل واقعهم، وتصبح بديلاً عن الألعاب الكرتونية القائمة على الحيل والخدع، والتى لا تؤدى إلا دور التسلية والمتعة الوقتية وتسحر قلوبهم وعقول الأطفال بلا أية ثمرة واقعية تربوية توجههم إلى السلوك الإيجابى فى الحياة، وإنما تدرب الأطفال على العنف، وعلى الحيل الخادعة والميول العدوانية، وتتنوع هذه المادة التراثية - كما يقول د. نجيب الكيلانى - « وعلى



سبحانك بديع السموات والأرض

للدكتور/ على أحمد على

سبحانك بديع الكون كله، وصانعه الذي أتقن كل شيء خلقه.
وهذا قول الحق بعد نفو المفترين.. لقد مضى حديث د/ هندريك الذي صور فيه مذهب الطبيعيين
فى نشأة الأرض.. وتطور الحياة.. إلى نشأة الإنسان.. والذي قدم له بقوله: وما زال حفظنا من العلم ضئيلاً،
ولكننا بلغنا المرحلة التى تمكننا من «التكهن» بجملة أشياء^(١).
وكانت الكهانة حديثه الذى أشرنا إليه.

وقلنا: إنه - سبحانه - خالق السموات والأرض،
بل خالق الكون كله، فقد تلاشت - تماماً - كل
الأسئلة التى ألحت على أذهاننا، ونحن نقرأ
تكوينات هندريك، سواء منها تلك الأسئلة التى
كانت تطالبه بين سطر وآخر بالسؤال عن
«الفاعل» أو بتلك الأسئلة المتعلقة بثغرات من
حديثه جاوزها - برغم ضرورة جوهرها فى
الموضوع - كقوله - مثلاً - عن نبات البحر:

وقد آن أن نتحدث عن الأرض كما صنعها الله
- عز وجل - ونقصر حديثنا عليها فقط، فليس
للقوم كهانة تخص السموات السبع، فى حديث
هندريك، فلا لهم إليها هُدى، ولا لها منهم دين.
وتحملنا الأمانة على الإقرار بأن ما نسطره فى
هذا المقال هو عين ما فهمناه من التنزيل العزيز
بقدر ما شاء المولى - عز وجل - أن نستفيد.
وإذا أخذنا بمنهج الله - تعالى - فى الخلق،

(١) انظر عدد ربيع الآخر ١٤٢٣هـ من مجلة الأزهر ص ٦٢٠ وانظر الأصل فى قصة الجنس البشرى للدكتور هندريك ص ٧ كتاب الشعب ٣ - ١٩٥٧.



إن بعضه أثر التنقل من مكان إلى آخر فتمت له أرجل .. وأخذ يدب هنا وهناك .. الخ .

وإذا أتى عرض الخلق - عن الخالق - جل علاه - كان الإيمان بقدرته المطلقة سدا على كل ما طرأ علينا من سؤال في عرض الكون بلا خالق .



وفي البداية لخلق السموات والأرض - شاء الخالق - جَلَّ علاه: أَلَا يَحْضُرُ هَذَا الْخَلْقُ أَحَدٌ مِمَّنْ خَلَقَ، فَمَا عَلِمَ مخلوق: كيف خلق الله السموات والأرض، قال - تعالى:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴾ (٢) .

لقد استأثر الله - تعالى وحده - بعلم هذه البداية .. فما رأى أحد مادة الخلق ولا كيف خلق . ثم شاء - بعد - أن يدفعنا لاكتشاف مادة الأرض، وشيئا بعد شيء أخذنا نعلم بعض ما حوت من «عناصر» و«مكونات» فمن بسط لنفسه الحديث عن هذه النشأة، فهو - حقا - كاهن مضل .

يقول - تعالى -:

﴿ يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣) .

وفي أكثر من آية يقول - سبحانه:

﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤) .

وإبداع الشيء كَفَطَرِهِ سواء: يعنى إنشاؤه بلا نظير له، ولا مثيل سبقه، أى أنه لم تكن هناك سموات أو أرض .. قبل خلق هذه السموات وتلك الأرض .

و(الأرض) فى هذا القول الكريم تعنى: سَبْعَ أَرْضِينَ، لا أرضا واحدة، فهن سبع ذكرهن الصانع - جَلَّ علاه - فى قوله:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (٥) .

وعلى ذلك، فكل ما نذكره من أمر الأرض، لا يخص كوكبنا، بل كوكبنا والأراضى الست بعده فيه سواء وكذلك «الأرض» فى كل ما ورد بالتنزيل العزيز إلا أن يصحب لفظها قرينة تجعلها أرضا خاصة بكوكبنا أو جزءا منه:

فقد حكى المولى - عز وجل - من حديث يوسف - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - يخاطب مَلِكَ مِصْرَ بقوله:

﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ (٦)، وقول بنى

إسرائيل لموسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام:

﴿ فَأَدْعُ لِنَارِكَ يَخْرُجْ لَنَا مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقَائِهَا وَقْفًا لِيَهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصَالَهَا ﴾ (٧) .

(٣) البقرة «١١٧»، الأنعام «١٠١» .

(٥) الطلاق «١٢» .

(٧) البقرة «٦١» .

(٢) الكهف «٥١» .

(٤) الأنعام «١٤»، فاطر «١» .

(٦) يوسف «٥٥» .





وقوله - سبحانه - للمعاندين من أهل مكة :

﴿ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٨).

فالأرض في كل ذلك من كوكبنا .

وليس الأمر كذلك في قوله - تعالى - :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (٩).

فالأرض - في الآية الكريمة - تعنى الأرضين
السبع، فهن مُسَبِّحات .



وعن بدء النشأة يقول - تعالى - في السموات
والأرضين جميعا : ﴿ كَانَتْ آرَاقًا فَفَنَّقَظَهُمَا ﴾ (١٠).

أى جسما واحدا، كتلة ملتحمة غير متميز
بعضها عن بعض، كتلة لا نقب فيها ولا ثقب،
ففتقها - عز وجل - فجعل منها السموات السبع
والأرضين السبع .

ومع استيعاب معنى « الرَّتْق » لغة، لابد أن
نعتبر هذه الكتلة الواحدة، هى - نفسها -
مجموعة من أجزاء تضامت وصارت كتلة قبل أن
يحدث لها الفتق الذى فصلها إلى مجموعتى :
السموات والأرضين، أى أن كل رتق سبقه فتق أو

فتوق، وهو - فى الآية - أعقبه فتق أيضا .

ذلك أننا نقول - لغة - عن ثقب خِطْنَاهُ بثوب
أو جورب : رتقت الفتق، أى ضمنت أطرافه
فارتتق، قال ابن كثير - فى تفسير « الرَّتْق » :

« كان (الجميع) متصلا بعضه ببعض،
متلاصقا، متراكما، بعضه فوق بعض فى ابتداء
الأمر، ففتق هذه عن هذه، فجعل السموات سبعا
والأرضين سبعا » (١١).

وخلق الله - عز وجل - السموات والأرض

﴿ سِتَّةَ أَيَّامٍ ﴾، سبعا من هذه، وسبعا من
تلك، وذكر الأيام الستة فى سبع آيات بالكتاب
العزیز (١٢) - بصيغة واحدة، لا تحمل إحداها أدنى
إشارة إلى مجاز فى تقدير اليوم على غير ما هو
معروف لنا، وهذا التكرار « المتحد » كاف - وحده
- فى إرادة المعنى المعروف لليوم أنه يومنا هذا
المساوى أربعا وعشرين ساعة فقط دون سواه،
ذلك أن القرآن الكريم إذا ذكر لفظا له أكثر من
معنى أصحبه ما يحدد معناه، فمثلا لفظ
« اليمين » له معان كثيرة لكننا أبدا لن يغمض
علينا المراد منه فى قوله - تعالى - :

﴿ وَنَقَلَبْنَاهُم مِّنَ الْأَرْضِ وَذَاتِ الشَّمَالِ ﴾ (١٣)

فذات اليمين فى الآية هى جهة اليمين
بدلالة : (وذات الشمال) قال الإمام المحلى : لئلا

(٩) الإسراء « ٤٤ ».

(٨) النحل « ٣٦ ».

(١١) تفسير ابن كثير فى الآية ١٧٦/٣ طبع عيسى البابى الحلبي.

(١٠) الأنبياء « ٣٠ ».

(١٢) الأعراف « ٥٤ - يونس « ٣ - هود « ٧ - الفرقان « ٥٩ - السجدة « ٤ - ق « ٣٨ - الحديد « ٤.

(١٣) الكهف « ١٨ ».





فلسطين، هذا الزمن ذكره التنزيل العزيز بقول ربنا - تعالى جده:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (١٧).

فوجده سليمان - عليه السلام - بين يديه، فقال: هذا من فضل ربي .

إن من أعجب الأمور مجازاة هذا الفكر الذي يقر أصحابه بأنه كهانة، وهو - فعلا - كهانة - يؤكدها القرآن العزيز .

أفكان شيء يعجز المولى - عز وجل - أن يخلق الأرض بكل «مكوناتها» و«عناصرها» في أربعة أيام هي ست وتسعون ساعة تصلح بعدها لكل شيء أرادته .. حاش لله .

وأعجب من ذلك كله أن يصادر أحد المفسرين نظر الناس في الآيات محتميا أنها - أى هذه الأيام «لا نستطيع تقدير اليوم فيها بألف سنة أو بخمسين ألف سنة أو بأكثر من ذلك، حسب سنة «التطوير» التي أراد الله في تكوينها» ثم زاد:

«وحيث أمسك القرآن والسنة عن بيان مقدار اليوم في خلقهما، فعلينا أن نمسك عن الحدس والتخمين» (١٨).

تأكل الأرض لحومهم . وفي قوله - تعالى - :

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبُ الْبَايَعِينَ﴾ (١٤).

هى يده - عليه السلام - الأكثر قوة من الشمال عادة .. وهكذا .

ولهذا، ما كان لى أن أعدل إلى رأى يلقي بى إلى لقاء بفكر الطبيعيين فى تكوين الأرض حيث رأوا قشرتها فقط «ظلت منصهرة ملايين السنين قبل أن تتجمد» (١٥). ترى لو أن الأمر كذلك :

كم كان الزمن الذى يبس فيه قعر البحر ليمر موسى - عليه السلام - ومن معه فوقه آمنين .. ؟ لكن موسى ما إن ضربه بعصاه حتى انفلق ويبست الأرض وقام الماء جدراناً كالصخر ومرو موسى وقومه فى سلام . قال - تعالى - :

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُم مَّطَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَنَسَا لَا تَحْزَنُ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى﴾ (١٦).

وكم كان الزمن الذى يستغرقه نقل عرش «ملكة سبأ» من مقره باليمن إلى قصر سليمان - عليه السلام - بالقدس من

(١٤) الصفات «٩٣».

(١٥) راجع للدكتور منصور حسب النبى - الكون والإعجاز العلمى للقرآن ص ٣٣٦ دار الفكر العربى.

(١٦) طه «٧٧».

(١٨) التفسير الوسيط - الحزب السابع والأربعون ص ٦٨٢.



الله - تعالى في شيء، بل هو من حساب هندريك وشركاه. والله المستعان.

وكم أرجو أن نراجع - في أناة - «يومنا كألف عام»، و«يومنا خمسين ألف سنة» في موطن كل منهما في التنزيل العزيز والحديث النبوي الصحيح، لنعلم المراد منهما على الوجه الصحيح، ولا ننزع أيا منهما انتزاعاً عما يراد به، ثم نخلطه بـ «يوم ذي قار» و«يوم خزازي» و«يوم حليلة» وغيرها من أيام العرب، ونذيب كل ذلك في خليط نطلى به وجه الأيام الستة فتختفي حقيقتها، وتصبح بلا زمن محدود، لاسيما، ونحن - إذا التزمنا بمعنى خلق الأرض - وحدها - في أربعة أيام من أيامنا لن تفقد شيئاً من مكوناتها، ولن يفسد شيء من عناصرها، وستظل - كما هي - بُكرويتها ومائها وجبالها ووهابها وطبيعة فصولها، لا ينقص من أمرها شيء، فكل شيء عنده - تعالى - بمقدار.



ونخلص إلى ذات الأرض وجسمها:
وفيه حديث التنزيل العزيز بسورة فصلت
حيث قال - عز وجل - في الآية التاسعة:

﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُوا بِالَّذِي خَلَقَ

الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَيَتَحَلَّوْنَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٢)

والحمد لله، ليس بنا من حدس ولا تخمين، إنما نتبع بدهيات القرآن الكريم وخطابه الحريص على إرشادنا دون غموض أو التواء بما لا يصعب علينا فهمه، وحسب الكاتب أن يجاري «التطوير»!

ثم - بعد هذا كله: أين يغيب عنا قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ

شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (١٩).

فهل يومنا هذا بألف سنة، أو بخمسين ألف سنة؟ خَزيننا - والله - وخسئنا - إن ذهبنا نؤول ونستسيغ!!

قال الإمام النيسابوري - غفر الله له - عن هذه الشهور:

«... إن ذلك العدد واجب وثابت في علمه في أول ما خلق الله العالم» (٢٠).

في الحق أن الكرة الأرضية لم تكن كطبق حار من حساء يلزم لفتوره وقتاً من ملايين السنين، أين غابت عنا آية التوبة، أو أين غابت عنا نيران إبراهيم - عليه السلام - وقد قال لها خالقها:

﴿كُونِي بِرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢١).

لكن الأمر - في بساطة - ليس من حساب

(١٩) التوبة «٣٦».

(٢٠) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - غرائب القرآن ورغائب الفرقان - ٧٨/١٠ بهامش الطبري.

(٢٢) فصلت «٩».

(٢١) الأنبياء «٦٩».

الدكتور محمد أحمد الغمراوي في بحوثه المتقدمة: الجبال تحفظ الغلاف الهوائي المحيط بالأرض، وتكفي الناس شر القَدَر المؤذى من أشعة الشمس البنفسجية وفوق البنفسجية، ورأى لارتفاعات بعضها دخلا في احتفاظ الأرض بجوها واستمرار الحياة عليها، كما أن وجود الجبال بالأرض عامل هام في جعل جاذبية الأرض كافية في الاحتفاظ بطبقة هوائها^(٢٤).

و(بارك فيها) فأكثر خيرها، وجعله مباركا أى دائم الثمرات، دائم الإنتاج، فخيرها كثير برا وبحرا ونهرا

(وقدر فيها أقواتها) فأوجد في الأرض أنواع الخيرات المختلفة من نبات وحيوان وطير ومعادن، وخص أماكن بأنواع منها ليست في غيرها، فغمرت الأرض، وصار في اختلاف ثمارها ومعادنها وطيرها وحيوانها مستراح ومعاش وحاجة مطلوبة هنا وهناك، ليكون بين الناس علاقات نافعة وسياسات حكيمة طالما أسعدت البشر إذا نشدوا العدل والسلام.



وفي «نبات الأرض» كله آية واحدة جامعة تحدد مصدر حياته الذى أراده المولى لها. قال - تعالى -:

وتعنى الآية الكريمة بخلق الأرض في يومين: خلق جسدها الكروى المعروف على استدارة تأخذ منتهى الاتساع عند خط الاستواء حتى يصير قطرها نحواً من (١٢٧٥٦) كم، ثم تنقص تلك الاستدارة شيئاً فشيئاً شمالاً وجنوباً حتى إذا انتهت إلى القطبين صار قطرها نحواً من (١٢٧١٤) كم. وهىأها - سبحانه وتعالى - لسكنى البشر، فكان (يابسها) قرارا يمنع من يدب عليها أن يغوص فيها، و«فراشا» يمكنه الاستقرار عليها، و«ذلولاً» يعمر فيها ما شاء كما شاء لا تستعصى عليه و«بساطاً» يعين من يسعى لرزقه عليها. ثم قال - تعالى :

﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوْسًى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْلٌ أَوْ نَهَارٌ﴾ (٢٣).

وجاءت هذه الآية تحدثنا عما أوجده - عز وجل - فى الأرض - فى اليومين التاليين لخلقها، فتم أمرها فى أربعة أيام متساوية تامة كاملة علماً للباحثين السائلين عن خلق الأرض.

فى هذين اليومين أنشأ الله - تعالى - الجبال ثوابت فى الأرض تحفظ توازنها، وتعادل بين ثقلها فلا تضطرب فتخر عن فلكها، كذا أشار أهل التفسير، ورأى الأستاذ

(٢٣) فصلت «١٠».

(٢٤) دكتور محمد أحمد الغمراوي - الإسلام فى عصر العلم. راجع ص ٢٣٥، ٢٣٦ نشر دار الكتب الحديثة.



وبعد :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢٥).

فلقد أودع الله - عز وجل - الأرض كل أسباب الحياة والنماء لساكنيها من الناس والأنعام والنبات .. صنعة الله الذي أتقن كل شيء، فعمرت الأرض بأزواج من نبات شتى، وحدائق ذات بهجة، ونخيل وزيتون، وجنات وعيون .. ليظل للأرض خيرها، وتدوم فيها أرزاقها.

وانتهت أيام الخلق الستة دون أن يعيا المولى - عز وجل - بخلقها، وقد خاب وافتري من زعم أن الله استراح في اليوم السابع .. حاش لله. قال - تعالى - :

﴿ وَلَمْ يَئِمْ يَخْلُقْهُمْ ﴾ (٢٦).

وقال - عز من قائل :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (٢٧)، (٢٨).

فلا نبات في بر - مهما كانت أرضه - أونهر، أو بحر إلا من ماء عذب أ٤ى أن نبات البحر لم يستثن من هذه الكلية .. «نبات كل شيء». فهذا النبات البحري زوده الله - تعالى - بخاصية تمكنه من استخلاص الماء العذب وطرده المالح عن طريق آليات موجوده في أنسجته وخلاياه مثله في ذلك مثل بقية الكائنات البحرية.

وتكون النتيجة أنه لا نبات قبل الماء العذب .. ماء المطر .. بحال .. وهذا المطر يهبط - في أى الجهات - على برها وبحرها على سواء، فلا يسبق إلى البحر قبل البر لينمو نبات البحر قبل نبات البر .. ثم يتطور حتى تكون له أرجل .. ثم يضيق بالبحر .. الخ مقولة هندريك في العدد السابق.

(٢٥) الأنعام «٩٩».

(٢٦) الأحقاف «٢٣».

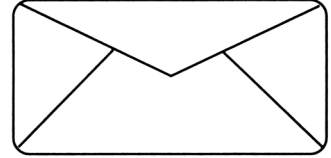
(٢٧) اللغوب: التعب، واللفظ تصحبه (من الابتدائية) يفيد نفى أدنى لغوب.

(٢٨) ق «٢٨».



رسالة.. و.. رد

لفضيلة الشيخ /عبد الفتح سيد جمعان



سنرد بمشيئة الله - تعالى - في هذا العدد على عدة رسائل:

● الرسالة الأولى: من القارئ مشهور مصطفى غزال من بلبس، محافظة الشرقية.

وهي رسالة تفيض أسى ولوعة وحسرة على ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية من فرقة وضعف وهوان واستخذاء الأمر الذي أطمع فيهم أخس أجناس البشر اليهود فصاروا يستقون عليها لضعفها وليس لقوتهم لأن الأمة أصبحت في حالة من الضعف كأنها ميتة فصارت كما قال الشاعر: ما جرح بميت إيلام. وأنا مع الأخ القارئ في كل ما قاله لكنه ينحى باللائمة كلها على العلماء وحدهم ولا شك أنه بهذا يعرب عن ثقته في العلماء.

الذي يتمناه كل غيور على الإسلام والمسلمين ثم تركوا الجماهير للإذاعة والتلفزيون وما فيهما من تمثيلات وكرة وأغان وأفلام فماذا سيبقى في عقولهم وقلوبهم من الكم القليل جداً الذي استفادوه من العلماء أمام هذا الكم الهائل مما أشرنا إليه وكما يقول علماء الاقتصاد: العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق، أو كما يقول الشاعر:

متى يبلغ النيان يوماً تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وليسمح لي الأخ مشهور أن أقول له إن العلماء لم يعودوا وحدهم المؤثرين على جماهير الأمة فهم يمثلون جزءاً قليلاً من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وما يحتاج لهم في هذه الوسائل أقل القليل ولست بهذا أتنصل من مسؤولية العلماء في توجيه الأمة وإرشادها لكنني أريد فقط أن أضع الأمر في نصابه وأضع النقاط على الحروف، فهب أن العلماء جميعاً أدوا واجبهم في هذا الأمر وقاموا به على الوجه

ولكن الذى يعينى أنه كان فى القرن الماضى من الكتاب المشاهير من يجرؤ على كتابة هذا اللون من المسرحيات الهادفة وهذا فى حد ذاته يشجع العلماء على كلمة الحق .

ولا أحب أن أضع القلم وأنهى الرد على هذه الرسالة قبل أن أحاول تبديد اليأس الذى سرى إلى نفس الأخ مشهور مع جماهير الأمة الإسلامية كلها بسبب الضربات المتلاحقة التى وجهت إلى الأمة من أعدائها الظاهرين والمستخفين وهذا اليأس إذا استسلمت له النفوس « قتل فيها الهمم وخدر العزائم ودمر الطموحات » على حد تعبير الداعية الكبير الدكتور الشيخ القرضاوى فى كتابه (المبشرات بانتصار الإسلام) وهذه المبشرات التى يريد بها فضيلته أن يبعث الأمل فى نفوس المسلمين ويهزم اليأس الذى تسرب إلى نفوسهم تتمثل فى نصوص من الكتاب والسنة كما يستمد بعضها من التاريخ الإنسانى العام وبعضها من الواقع الذى يعيشه البشر، وأخيراً يذكر المؤلف أن سنن الله فى خلقه إحدى هذه المبشرات أما المبشرات من الكتاب الكريم فمثل قوله - تعالى :

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُثَبِّتُ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾

ولست أنكر أن بعض العلماء مقصرون فى هذه الناحية لكن الغالبية العظمى بحمد الله يقومون بواجبهم على الوجه الكامل، إن لم يكن الأكمل، وهؤلاء المقصرون لهم عذرهم فى معظم الأحيان .

وأنت يا أخ مشهور قد أشرت فى رسالتك إلى واحد من أفاضل العلماء هو الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى وكتابه (علماء فى وجه الطغيان) الذى جمع فيه نخبة من علماء الأمة منذ القرن الأول الهجرى إلى هذا القرن الأخير منذ التابعى الجليل سعيد بن المسيب إلى علماء الأزهر الأجلاء : الجبرتى والعدوى والطويل والنواوى والإمبابى والإمام الشيخ محمد عبده .

أليس هذا العالم الجليل نموذجاً من العلماء الأجلاء الذين يؤدون الواجب على أكمل وجه ولم (يكتفوا بالجلوس على الكراسى الفارهة والمكاتب شديدة الرفاهية) على حد قولك فى رسالتك .

ولو رجعت إلى مقدمة هذا الكتاب لعلمت السبب فى تأليفه كما يقول أستاذنا الدكتور هو صدور مسرحية الكاتب الكبير توفيق الحكيم «السلطان الحائر» التى تحتوى على مواقف بطولية رائعة لسلطان العلماء العز بن عبدالسلام الذى تحدى الظلمة من سلاطين المماليك ولايعينى هنا ما ذكره مؤلفنا الكريم من دهشة بعض المثقفين من بطولة العز - رضى الله عنه -



ومن المبشرات فى السنة الشريفة قوله ﷺ
«لَيَبْلَغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا
يترك الله بيت وبر ولا مدر إلا أدخله الله هذا
الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به
الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر» وهذا
الحديث يدل على أن الإسلام سيعم كل
الدنيا وذلك لم يأت بعد وسيأتى لا محالة
حيث إنه إخبار ممن لا ينطق عن الهوى .

ومن مبشرات السنة انتشار الرخاء والأمن
وفيض المال وعودة الخلافة على منهاج النبوة
وانتصار المسلمين على اليهود حتى يخبر
الشجر والحجر عمن خلفه من اليهود (وكل
ذلك لم يأت بعد وسيأتى إن شاء الله) أما
مبشرات التاريخ فقد عودنا الله على مر
التاريخ كله أن النصر لا يتنزل على المسلمين
إلا حيث يكونون محتاجين إليه أشد
الاحتياج كما حدث فى الهجرة وفى بدر
والأحزاب وحنين حين تنقطع أسبابهم العادية
وتغلق كل الأبواب أمامهم إلا باب الله -
تعالى - فيلجئون إليه داعين مضطرين
فيجيبهم ولا يخيب رجاءهم وصدق الله
العظيم :

﴿ حَتَّىٰ

إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ شَاءَ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢)

- أما مبشرات الواقع فتبرز فى حركة
الإحياء والتجديد الإسلامية المتنامية فى كل
بقاع الأرض ودخول ملايين من الشرق
والغرب فى الإسلام وكذلك القوى الهائلة
التي تملكها الأمة الإسلامية من بشرية ومادية
وجغرافية وروحية وإن لم تكن قد استغلت
بعد فسوف يأتى اليوم الذى تستغل فيه هذه
القوى أحسن استغلال .

أما المبشرات من سنن الله فى الخلق فمنها
قانون المداولة أو التداول :

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (٣)

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٤)

ومنها سنة أو قانون التغيير :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يُقَوْمُ حَتَّىٰ يَغْيُرَ وَأَمَّا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٥)

وأطنك يا أخى السائل بعد هذه اللمحات
السريعة من كتاب أستاذنا الشيخ القرضاوى
قد تبددت غيوم اليأس والإحباط من نفسك
وأضاء الأمل فى قلبك على حد تعبير الشيخ
أطال الله فى عمره .

● الرسالة الثانية : من الأستاذ / سمير

عبدالكريم فتح الله مدير المتابعة الفنية
والتقارير العلمية بالمجلس الأعلى للآثار
بطنطا، وهى رسالة أكثر قتاماً وسواداً من
سابقته وتسمى العرب كلهم أعراباً وتصفهم

(٣) آل عمران (١٤٠).

(٥) الرعد (١١).

(٢) يوسف (١١٠).

(٤) الطلاق (٧).



بالكفر والنفاق انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾^(٦) ويقول الأخ فيها: إن المسلمين خالفوا أمر الله فاتخذوا اليهود والنصارى أولياء وذهبوا إليهم ليحلوا لهم مشاكلهم ويختم رسالته بحكاية طريفة فقد ذهب أهل قرية إلى حكيم يسألونه كيف يصلحون الفساد الذي عم في قريتهم فسألهم الحكيم كيف حال العدل في قريتهم فأجابوه: لا يوجد عدل فقال: إذن فكيف الإصلاح ثم يذيل رسالته بقصيدة من شعره يبدأها بقوله:

ياسماء أمطرينا بحجارة

لإيماء جزاء وفاقاً

يأرض غيضى بمائك

لا تتركى جدولها رقراقاً

ورغم ما فى القصيدة من تجاوزات فنية ولغوية إلا أنها تعبر عما فى نفسه تعبيراً دقيقاً، وأقول للأخ القارئ هناك فرق بين العرب والأعراب فالعرب سكان المدن والبيوت المبنية، والأعراب سكان البدو والحيام.

ثم إن القرآن الكريم لم يصف كل الأعراب بالكفر والنفاق، بل قال بعد هذه الآية مباشرة:

﴿وَمِنَ

الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٧).

لأن القرآن لا يعرف التعميم فى الأحكام فالناس ليسوا متساوين:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُمْلِكِينَ

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٨).

ألم يقل ربنا فى نفس السورة:

﴿مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ

وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾^(٩).

والمدينة كما نعلم جميعاً حصن الإسلام التى يأرز إليها...، ولكل هذه الآيات أسباب نزول لم تعد موجودة وبناء على قانون عدم التعميم وهو إلهى اجتماعى أقول لك: إن المسلمين جميعاً ليسوا سواء ولا يستحقون كلهم أن تمطرهم السماء حجارة لا ماء فالخير باق ولو بنسبة قليلة فى أمة محمد ﷺ ولعلك لو أمعنت النظر فى ردى على الرسالة السابقة لاسترحت كثيراً.

● الرسالة الثالثة: فى هذا العدد من القارئ الأخ طاهر محمد نصر من شارح

(٧) التوبة (٩٩).

(٩) التوبة (١٠١).

(٦) التوبة (٩٧).

(٨) هود (١١٨، ١١٩).



جيداً ويعلمه للناس في مواعظه وخطبه ودروسه شأن علماء بنى إسرائيل الذين قال الله - تعالى - لهم :

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠).

والأدهى مما يفعله هذا المفتش - إذا كان يفعل - تبرير الإمام لهذا الفعل المحرم وهو أنه وأمثاله من الأئمة يدرأون عن أنفسهم أذى المفتش بهذه الأموال .

وليقول لى هذا الإمام بربه أى أذى يدرؤه؟! أترأه يعنى غيابه عن المسجد وإغماض العين عن غيابه وغياب أمثاله من الأئمة وترك المساجد لمقيمي الشعائر والعمال ورواد المساجد المواظبين عليها من أهل الحى الذين يحسنون صلاة الجماعة .

إذا كان الأمر كذلك فلا غرابة ألا يجد الدعاة صدى لدعوتهم فى نفوس الجماهير ولا غرابة إذا قوبلوا بعدم التوقيع من هذه الجماهير فأين هم من سلطان العلماء الذى أفتى ببيع حكام الماليك وتم تنفيذ هذه الفتوى على يديه؟!

الجيش بكفر الدوار - بحيرة يقول فيها : المسجد الذى أصلى فيه يقوم بجمع تبرعات يأخذ منها المفتش مبلغاً كل شهر كما يأخذ مبالغ أخرى من المساجد التى يقوم بالتفتيش عليها وأنا أقول لهم : إن هذا حرام فيقول لى الإمام : ليس حراماً لأننا ندرأ عن أنفسنا أذى هذا المفتش ، ثم إنهم يقيمون فى المسجد حفلات فى بعض المناسبات الدينية كالمولد النبوى يوزعون فيها الحلوى والجاتوهات فهل هذا جائز شرعاً أفيدونا أفادكم الله ... ؟

وقبل البدء فى الإجابة عن هذا السؤال أشكر المسلمين الذين يتبرعون بأموالهم للإنفاق منها على المسجد وهذه المبالغ لا يجوز لأحد من العاملين بالمسجد إماماً أو مفتشاً أو عاملاً أن يأخذ منها شيئاً إلا إذا كان محتاجاً إليها وعندئذ يحل له أن يأخذ منها بقدر حاجته ، أما موضوع أخذ المفتش فائناً استبعده أولاً فإذا كان ماجاء فى السؤال صحيحاً فهو سحت يأكله فى بطنه أو ما علم هذا المفتش أن المرء إذا قذف اللقمة الحرام فى جوفه ظل أربعين يوماً لا يتقبل منه صلاة ولا دعاء ولا أى عمل صالح؟! أو تراه يعرف هذا



الخطابة المثالية في سرّة النقد

للمستاذ الدكتور / أحمد منطور



يمتد الحديث عن الخطبة ليشمل ما يتعلق بها تكويناً وبناءً وخطة، أي أن الخطبة الناجحة تستمد المثالية فيها من وجود هذه المقومات الثلاثة، أعنى: التكوين أو الإعداد الداخلى، وتخفيف عناصر البناء، وإجادة الخطبة.

وقد عرف دارسو الأدب العربى أهمية ذلك فى إطار ما أسموه بخاصية الإعداد فى الخطبة، على النحو الذى يفهم من قول عثمان بن عفان عندما استغلق عليه الكلام فى خطبته فقال: «إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام وخطيب، وستأتىكم الخطب على وجهها، وتعلمون إن شاء الله». أو من قول عبد الملك بن مروان عندما قيل له: عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال: وكيف لا يعجل على الشيب وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين»^(١).

والمقصود بالإعداد الداخلى أن يعايش الخطيب محور موضوعه ويجيله فى نفسه حتى يتبلور فى ذهنه رؤية واضحة وإطاراً فنياً محدداً، وهدفاً لا يخطئ الوصول بالسامع إليه، وسبيل ذلك فيما نرى يتمثل فى طريقتين هما: الانفعال والتفكير، وذلك أن انفعال الخطيب بموضوعه يمنحه سبلاً متنوعة للإبداع فى معالجته، والتحليق بفكره وخياله بحثاً عما يحقق له النجاح فى مهمته، والتفكير فيه يحقق له ثلاثة أمور ضرورية فى بناء خطبته، وهى: وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، وتدرج الأفكار وصولاً إلى الغاية المرجوة من الخطبة، ويتيح له النظر فى طبيعة العبارات والأساليب التى تتواءم مع موضوع خطبته وتبرز ماتقوم عليه فكرته.

(١) أدب السياسة فى العصر الأموى. د. أحمد محمد الحوفى. دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٢، ص ٣٣٩.

الممل أو التقصير الخلل . وفى النظر إلى البناء الفكرى للخطبة مايمكننا من التعرف على موقف الخطيب من هذا العنصر ومدى اهتمامه به، وكيفية استشهاده بمأثور القول، والتماس السبل المنطقية للإقناع بفكرته، ومدى ماتسم به أفكاره من صحة واستقامة وجدة وطرافة . ومن ثم انعكاس ذلك كله على تقويم خطبته . - ويعنى بالأسلوب مظهر القول الذى ينجم عن اختيار وسائل التعبير . هذه الوسائل التى تحددها طبيعة الموضوع ومقاصد المتكلم وطريقة الخطيب فى التعامل مع اللغة، فطبيعة الموضوع إن كان إقناعياً أو حماسياً، جديلاً أو تهذيبياً، نجوى أو محاوره . ومقاصد المتكلم فى تغليب أى من عنصري الغاية فى خطبته على الآخر وهما: الإقناع والاستمالة، وطريقة الخطيب فى التعامل مع اللغة وكيفية بنائه لعباراته وصوغ سفارته المفصحة عما بداخله بما يقف وراء ذلك من عوامل التكوين الفكرى والنفسى، ورؤيته للفن وقدرته البيانية وثروته اللغوية، كل ذلك يقفنا على ألوان متعددة من الأساليب الخطابية التى تتواءم مع هذه الأشياء . وهذه الأساليب فى تعددها وتلونها يجب أن تتسم ببعض السمات العامة التى تلتقى مع طبيعة الفن، وهى: الوضوح والقوة والجمال، بما تقتضيه من كلمات لا تلتبس معانيها، وتجمع فى مادتها وصياغتها بين الحسن والجزالة والسلاسة والعذوبة وقوة الإيقاع، بما تتطلبه

- وأما عناصر البناء فهى تلتقى فى نظرنا مع مانذهب إليه فى فن المقال من أنها تتمثل فى أمور ثلاثة هى: المادة الثقافية، والأفكار، والأسلوب^(٢) .

- والمقصود بالمادة الثقافية : الخبرات الذاتية والتجارب المفادة من أحداث الحياة، والمعارف الإنسانية والمعلومات التى تتكون لدى الخطيب من التراث الإنسانى فى شتى نواحي الحياة، وثقافة العصر وتياراته الفكرية المتعددة . حيث يتفاعل الخطيب مع هذه الأشياء ويكون فى عقله وقلبه تياراً متدفقاً من المعرفة النافعة يمتاح منه مادة خطبته وتتداعى إليه منه الأشباه والنظائر والدلائل والشواهد التى تمكنه من إثراء خطبته وتضوئ جوانبها بشذرات ثقافته الجادة المفيدة .

- والمراد بالأفكار: الحقائق الفكرية المتعلقة بموضوع الخطبة، أو العناصر المعنوية التى من لبناتها يقيم الخطيب محور خطبته وتتآزر فى تشكيلها الفكرى . ويقدر مايتاح للخطيب من خصب الفكر وعمق النظرة لموضوعه يتحقق لديه الاقتناع به، وتتردد أصداؤه فى نفسه فتدكى لديه الإحساس به والتفاعل معه على نحو يمكنه من إثارة فكر سامعيه وتحريك مشاعرهم .

وفى عنصر الأفكار تتجلى قدرة الخطيب على إحكام موضوعه والنظر فى أجزائه المتدرجة التى تكون هيكله الفكرى وتجعل له تخوماً محددة الأبعاد حتى لا يوسم بالاستطراد

(٢) ينظر فى بيان ذلك : فن المقال فى الأدب المصرى الحديث . د. أحمد محمد على حنطور . التركى للكمبيوتر وطباعة الأوفست .

حقيقة مقررة، أو طرفة نادرة، وللخطيب أن يتخير من هذه المقدمات مايشاء شريطة أن تتسم بالتواءم مع طبيعة الموضوع الذى يعالجه فى خطبته، وذلك مايجب عليه أن يراعيه مرة أخرى عند بيان موضوعه فيتخذ من وسائل التوضيح والتدليل والتفنيد مايحقق له النجاح فى مهمته.

٢ - والمقصود بالعرض: ذكر عناصر الموضوع الأساسية التى يعالجها الخطيب فى موضوعه. وتأتى أهميته من ناحية أن الخطابة فن مسموع، والمستمع فى حاجة إلى من يحدد له ضفاف الموضوع منذ البداية فإن ذلك أجدى له فى المتابعة وحسن الإدراك لأبعاده، والخطابة ليست فناً مقروءاً كالمقالة - التى لا تحتاج إلى هذا العرض - حيث يتمكن القارئ من تروى النظر فى الوقوف على محاور المقالة الفكرية.

وإذا كان ليس ثمة ضرورة لهذا العرض فى الخطابة المحفلية أو السياسية أو القضائية فهى من الأهمية بمكان فى الخطابة الدينية، وذلك لما تقوم به المقدمة فى تلك الخطابة بدور الافتتاحية القائمة على عناصر ثابتة تدخل فى مقومات الخطبة الدينية. ومن الواجب أن يتسم العرض فى ماهيته بالتماسك والحيوية والجذب، وفى عرضه بالتحديد والترتيب والاستيعاب، وأن يكتفى فى بنائه بالإيجاز دون الإطناب حتى لايتكرر القول فيه مع مايتأتى فى عنصر البيان، وبالإشارة دون التصريح حتى لا يرمى باتجاهه منذ البداية فى معالجته لموضوعه وهو لا يعرف موقف المتلقى من هذا الاتجاه.

من تخير الألفاظ التى تسهل فى النطق ويقوى أثرها فى النفس وتعهد الجمل التى يتوافق إيقاعها فى السمع. وإثارة الشعور وامتاع العقل، وذلك باستعمال الأساليب الإنشائية والاستعانة بالقياس والبراهين. وقصر الجمل وتكرار العبارات، وفى قصر الجمل مايعين السامع على الإحاطة بأبعاد المعنى، وفى تكرار العبارات مايعمق ذلك المعنى فى نفسه.

ويعنى بالخطبة طريقة السير فى معالجة موضوع الخطبة بما تتطلبه من تحديد أجزائها وترتيب هذه الأجزاء وكيفية الانتقال بينها بما يحقق للخطبة تسلسل المعانى وتواصل الأفكار وتتابع المقدمات والنتائج حتى يتم للخطيب الغاية المرجوة من إلقاء خطبته، وتتكون الخطبة من أربعة أقسام هى: المقدمة، والعرض، والبيان، والخاتمة.

١ - فالمقدمة تعد مدخلاً طبيعياً للموضوع وتهئية لذهن السامع وجذباً له نحو الاستماع لما يليق به الخطيب، ومن ثم يشترط فيها أن تكون متخيرة اللفظ مشرقة الديباجة ناصعة البيان، وأن تكون موجزة مركزة، وأن تدل على طبيعة الموضوع وتوحى بالاتجاه الفكرى الذى يسلكه الخطيب فى معالجته، وأن تكون ذات صلة وثيقة بموضوع الخطبة.

وتتنوع المقدمات تبعاً لنوع الخطبة. فالخطبة الدينية تبدأ بالحمد والاستعانة والاستعاذة والاستغفار والتوبة والشهادة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وفى غير ذلك من الخطب قد تكون المقدمة - بعد البسملة والتحية - كلمة جامعة أو خاطرة معبرة، أو بيتاً سائراً، أو



والموقع، وبراعة فى التماس نقاط الضعف فى مقدمات ونتائج تلك الحجج، والاستدراك على أفكار الخصم بالتساؤلات والاعتراضات التى تعصف بها قيمة وتماسكاً، « وأن يكون الخطيب متنبهاً يقظاً إلى كل مايعتمد عليه خصمه من دليل، وأن يكون فى رده عليه واضحاً، معلناً أن الغرض والوصول إلى الحق لا الغلبة والسبق، وألا يحيد عن الاعتصام بآداب اللياقة وحسن الأخلاق» (٣).

٤ - والخاتمة هى نهاية المطاف التى ينتهى إليها الخطيب فى معالجة موضوعه، والنتيجة التى يريد أن يصل إليها فى خطبته، ولأهمية الخاتمة ومكانتها فى نفس السامع يجب أن تتوجه إليها عناية الخطيب وأن يكون حريصاً على أن تتحقق فيها السمات الآتية:

- التلخيص الأمين لعناصر الموضوع والتركيز الوافى للحقائق الفكرية التى تتضمنها الخطبة.

- الالتقاء مع الروح العامة التى عاش فيها المستمع خلال الخطبة وشدته إليها المقدمة.

- التأكيد على لب الحقيقة فى بيان الموضوع وعدم التأسيس لأدلة جديدة حتى لا تضعف الخاتمة وتتميع المعالجة.

- قوة التعبير والإلقاء حتى تهز مشاعر المستمعين وتجعل صوتها يتردد صده فى نفوسهم.

- أن تكون قصيرة قاطعة أشبه بفصل الخطاب فى الموضوع حتى تثبت فى عقل ووجدان المستمع.

٣ - البيان، والمقصود بالبيان: الكشف عن حقائق الموضوع والتدليل على صحة مايدعو إليه الخطيب فى خطبته، وهو بمثابة عمود البناء الفنى للخطبة، وفيه تتجلى قدرات الخطيب على كيفية المعالجة والبراعة فى التناول والنفاذ إلى عقل ووجدان المستمع بمواهبه وأدواته. ونحن نرى أن لهذا البيان عوامل تحقق جودته، ووسائل يستعان بها فى إقامته.

فمن عوامل جودة البيان وحدة الموضوع والتجانس الفكرى بين مفرداته، وترتيب أجزاء الموضوع وفق ما جاء فى عرضه، وترابط الأفكار وتواليها فى توافم وانسجام، ووضوح الأدلة والبراهين التى يستعين بها الخطيب فى معالجته، وإثارة الحماس بما تتضمنه من مثيرات القول والفكر والإلقاء.

ومن وسائل البيان التى يستعين بها الخطيب: التوضيح والشرح للجوانب المعنوية فى موضوعه بما يتطلبه من عمق تحليل وقوة تأمل وحسن استبصار. والتدليل على صحة مايدعو إليه بما يقتضيه من معرفة بألوان القياس والاستنتاج والاستنباط، وإلمام بالأدلة المنطقية والشواهد اليقينية، ووقوف على البراهين الخطابية والحقائق الظنية المقبولة التى تسعفه حين يعوزه الموقف عن الوصول إلى الحقائق الثابتة المطلقة. ثم التنفيذ لحجج الخصم والمناوئين لدعوته وعدم التسليم لهم بما يستلزمه من قدرة على تتبع هذه الحجج والإتيان بما ينقضها ويهدمها من الحقيقة

(٣) الخطابة: أصولها، تاريخها فى أزهى عصورها عند العرب. الشيخ محمد أبو زهرة. دار الفكر العربى. ط ٢ ص ١١٦.



- والأخوة فى الإسلام لها دور كبير فى علاج كثير من أدواء الأفراد والجماعات .

- ثم يأتى بعد المقدمة والعرض إلى بيان هذه النقاط الخمس بالتوضيح والتدليل، فهما من أكثر الوسائل ملاءمة لطبيعة الموضوع . ويتردد فى التوضيح بين مخاطبة العقل والوجدان، وينتقل فى التدليل بين المنقول والمعقول، وفى الاستشهاد بين الماضى والحاضر، وذكر آثار الحضور والغياب لتلك الصفة .

- وفى الختام يأتى إلى ثمرة الموضوع ليؤكد على أن الأخوة فى الإسلام ليست دعوة نظرية يدعو إليها وأمنية خيالية يتطلع نحوها، وإنما الأدلة والشواهد التى ذكرها تنطق بضرورة أن تكون مسلكاً خلقياً تهفو النفس المؤمنة إلى أن تراه روحاً سارية فى الناس تجمع بينهم وتؤلف بين قلوبهم .

- والإلقاء هو: فن نطق الكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه، فهو ليس مجرد أداء قولى، وإنما أداء فنى يكشف عن طبيعة الألفاظ وحقائق المعانى التى تحملها هذه الألفاظ، ونحن نرى أن الإلقاء الخطابى ليس نمطاً واحداً، وإنما هو يتنوع تبعاً لعلاقته بالخطيب من ناحية، وتبعاً لطبيعة الموقف من ناحية ثانية. وعلى جودة الإلقاء يحدث التأثير المنشود، حيث يصل إلى السامع من طريق جيد مشوق .

وللتمثيل لذلك فإننا نفترض أن خطيباً يريد أن يتحدث عن الأخوة فى الإسلام . فإنه يبدأ حديثه بمقدمة وعرض يقول فيهما:

- الحمد لله رب العالمين خلق الخلق وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذى كان حريصاً على بذر الود بين أصحابه ليتآلفوا، وأشهد أن لا إله إلا الله القائل فى محكم كتابه:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ﴾ (٤) .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الداعى أتباعه إلى الخير بقوله: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تنابذوا ولا تناجشوا وكونوا إخواناً» (٥) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منحهم الله نفوساً كبيرة فآثروا إخوانهم على أنفسهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم أن يلقى الناس ربهم، وبعد:

- فالأخوة فى الإسلام معنى جميل يربط بين الناس برباط وثيق .

- والأخوة فى الإسلام خلق نبيل دعا إليه الذكر الحكيم وحث على التحلى به الرسول الكريم .

- والأخوة فى الإسلام واقع عاشه الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ .

- والأخوة فى الإسلام أساس كثير من الصفات النبيلة التى يتحلى بها كل مسلم .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح ٧/٢١ .

(٤) الحجرات (١٠) .



الإسلام ضد الإرهاب

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - وزن الأمور بتقديره، وأضاء الصدور بنوره:

﴿فَدَجَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾^(١)
أشهد أن لا إله إلا الله، العدل دينه، والاستقامة طريقه:

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾^(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، إمام البشرية، في كل خير، وهاديها إلى كل بر، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:

﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

يا أتباع محمد ﷺ: الإسلام دين الفطرة:

﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ
اللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْقِيَمُ وَلَنُكَبِّرَنَّ
النَّكَبِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وهذه الفطرة التي برأها الخالق - جل جلاله
- وزكاها، تهدي صاحبها بتوفيق الله وعنايته
إلى سواء السبيل، فتقوده إلى طرق الحق
والعدل، والخير والبر، والإيمان والإحسان، وهذه

(*) القيت بمسجد الرفاعي في يوم الجمعة ٢٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٥هـ الموافق ٢٤ من سبتمبر سنة ١٩٦٥م.

(٢) طه (١١١).

(١) الأنعام (١٠٤).

(٤) الروم (٣٠).

(٣) فاطر (١٨).

نبيه بأن يكون بعيداً عن معانى الإكراه والإرغام والتسلط، لأنه داعية إلى عقيدة، ورائد إلى الطريق، فعمدته البيان والتذكير والإقناع، فقال له:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٨)

وقال له:

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩)

ورسم له طريق دعوته، ومنهج تبشيره، وأسلوب تبليغه، فلم يجعل عماد ذلك الغلظة أو الفظاظة أو الإرهاب، وكيف وهو الذى قال له:

﴿فَسَارَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١٠)

بل جعل طريقته متمثلة فى قوله:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١)

وقد أمر الله عباده بأن يكونوا أمثلة للركة والملاطفة حين الدعوة، حتى مع المخالفين لهم فى الدين، فقال:

﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي أَحْسَنُ﴾ (١٢)

الفطرة الصافية الزاكية تعلم صاحبها أن التدين المستقيم ينشأ من النظر فى ملكوت السموات والأرض، والتدبر فى آيات الله وآلائه، وهذا يهدى إلى الشعور بوجود الخالق، وجلال الباري المبدع، ويتساند القلب مع العقل فى التعرف إلى شواهد الإيمان ودلائل اليقين، فإذا الإنسان عبد من عباد الله المخلصين بلا قسر ولا إكراه ولا إرغام. وإذا جاز لنا أن نتصور الإكراه موجوداً فى ناحية من نواحي الحياة، فإن هذه الناحية ستكون بعيدة عن حقيقة التدين والإيمان، لأن التدين شعور ووجدان، ولأن الإيمان يقين ينبعث عن اقتناع وتصديق، والقرآن الكريم يؤكد هذا بوضوح حيث يقول:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٥)

وحيث يقول:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (٦)

وحيث يقول:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (٧)

وليس فى المسلمين أعلى شأنًا أو أرفع مكاناً من رسول الله ﷺ، فهو رحمة الله للعالمين، وهو البشير النذير، وهو السراج المنير، ومع ذلك يحدثنا القرآن بأن الله - تبارك وتعالى - طالب

(٦) الكهف (٢٩).

(٨) الغاشية (٢١، ٢٢).

(٩) آل عمران (١٥٩).

(١٢) النحل (٤٦).

(٥) البقرة (٢٥٦).

(٧) فصلت (٤٦).

(٩) يونس (٩٩).

(١١) النحل (١٢٥).

﴿الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَىٰ الْإِيمَانِ أَنفُسُهُمْ يَعُدُّونَ لِمَا تُوعَدُهُمْ وَيَسْتَجِيبُونَ بِالْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ (١٧)

ويقول:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجُّوْا
بِالْإِيمَانِ وَالْقُوَّةِ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى
مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ فَلَْيَسْوَكَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٨).

والميل إلى الإكراه والإرهاب يؤدي إلى العدوان على الغير في حسه أو نفسه أو ماله أو أشيائه، والإسلام يقف في وجه الاعتداء على الغير بكل صرامة وقوة، فهو يحرم تهديد الناس في حياتهم أو أمنهم أو ممتلكاتهم أو معتقداتهم، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» (١٩). بل أخبر النبي أن حرمة الإنسان المؤمن عند الله أكبر من حرمة الكعبة الحرام التي جعلها الله - تعالى - قياماً للناس وقد كرر القرآن الكريم النهى عن الاعتداء على الغير بمثل قوله عز من قائل:

﴿وَلَا تَقْعُدُوا عَلَىٰ الْإِيمَانِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢٠)

والميل إلى الإكراه والإرهاب يدعو صاحبه

وأمر الله - تعالى - نبيه محمداً ﷺ بأن يقول لمخالفيه في الاعتقاد، متلطفاً في الحوار:

﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٣)

والإسلام في دعوته الواضحة وطريقته الصريحة دين لا يعرف التخفى في الظلام، ولا يعرف الالتواء والإيهام، إنه دين يمشى في وضوح النهار، ويضئ طريقه بالعشى والإبكار، وهذا هو القرآن يخاطب الرسول قائلاً:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (١٤)

فهو يدعو على بصيرة، ويدعو على نور، ويدعو بلا استتار أو ائتمار، ويدعو إلى طريق الاستقامة وحسن المعاملة وكريم المسالمة، فالرسول يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمن الناس بوائقه» (١٥)، أى آمنوا من اعتدائه عليهم فى حواسهم أو نفوسهم. والإسلام يعادى المناجاة الباطلة الشريرة فيقول:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ

أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ

أَتَيْتَاهُ مَرْصَاتٍ مِّنْ لَّدُنِّيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٦).

ويحمل القرآن على النجوى الظالمة الآثمة التي يكون فيها شر أو معصية أو عدوان، فيقول:

(١٤) يوسف (١٠٨).

(١٦) النساء (١١٤).

(١٨) المجادلة (٩، ١٠).

(٢٠) البقرة (١٩٠).

(١٣) سبأ (٢٤).

(١٥) البخارى ٩/١، ٢٧/٨.

(١٧) المجادلة (٨).

(١٩) (أبو داود رقم ٤٨٨٢).



إلى التحريف والتضليل حتى يتلمس لنفسه حسب زعمه وهواه مستنداً يعلل به عدوانه وبغيه، فينحرف في التأويل، ويعتسف في التعليل، وقد يفسر النصوص الدينية على غير وجهها ومرماها، والقرآن الكريم يهدد ويتوعد من يحرف أو يضل أو ينقل عن الله - تعالى - ما لم يأمر به، أو يقول في الدين مالميس منه، وهذا هو كتاب الله - عز وجل - يقول في طائفة لم تسلم وجهها لله، ولم تؤمن الإيمان الحق، وادعت أنها على الحق تسير:

﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ أَلَيْسَتْ لَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابِ وَمَا هُمْ مِنَ أَلْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢١).

يا أتباع محمد ﷺ: إن الدين الإلهي نعمة ورحمة، وسلام ومحبة، وإيمان وإحسان، ومعاملة واستقامة ودعوة بالحكمة، وإقناع بالحجة:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢)

وإن المسلم الحق هين لين، وإلف مألوف، كما يقول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، والله - تعالى - يصور عباده الأبرار بصورة شفافة جميلة فيقول:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢٣) وهو القائل لهم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٤)

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

(٢٢) المائدة (١٥، ١٦).

(٢٤) البقرة (٢٠٨، ٢٠٩).

(٢١) آل عمران (٧٨).

(٢٣) الفرقان (٦٣).



اتقوا الله في خير أجناد الأرض

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

أخرج البخارى فى صحيحه: حدثنا آدم، حدثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال النبى ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا». منذ ما يقرب من ١٤٠٠ عام هجرى شهدت مكة المكرمة حدثاً جلالاً، إذ اقتحم الحجاج بن يوسف الثقفى قائد الجيش الأموى مكة المكرمة بعد أن ضرب الحصار حولها أمداً أمطرها فيه بالمنجنيق ليقتمهما على عبد الله بن الزبير ثم يقتله ويصلبه، ويمثل بجثته فى أول واقعة من نوعها فى تاريخ الإسلام، أن يقتل المسلم مسلماً ويمثل بجثته ويعرضها للناظرين.

وللصحف الكبرى المصرية والعالمية، ولكن أياً منها لم يقم بنشرها، احتراماً لحرمة جسد ميت بالدرجة الأولى، ولذكرى بطل فذ قل أن وجود الزمان بمثله.

ولم تكن هذه الجريدة هى الوحيدة التى حاولت النيل من بطل مصر، فقد شاركها آخرون، ولكنها ضربت المثل فى بشاعة الأسلوب. هل يختلف معنا أحد فى أن السادات إنسان يجب أن يحظى باحترام من أجل كونه إنساناً والإنسان قال عنه الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١) هذا البطل قاتل من

واليوم ظهر للحجاج حفيد أخرج أمراً مسلماً من قبره ليعرض جثته على الناظرين.

صورة بشعة شنيعة نشرتها إحدى الصحف المصرية -للأسف- للبطل الراحل محمد أنور السادات وهو مسجى، عارى الجسد تماماً، وقد امتلأ جسده برصاصات الغدر والخيانة.

والجريدة المذكورة ليست من صحف الصف الأول، ولا الثانى، ولا الثالث، ولا الرابع، بل لعلها لا ترد إطلاقاً ضمن اهتمامات القارئ المصرى، ومعنى أن تصل مثل هذه الصورة إلى هذه الصحيفة أن الحصول عليها سهل ميسور بالنسبة

(١) الإسراء (٧٠).



شكل نظام الحكم تماماً فى مصر عقب اعلان قيام دولة إسرائيل منذ ١٩٤٨ وبعد أقل من أربع سنوات وحتى اليوم تولى حكم مصر ضباط مصريون هم: محمد نجيب، جمال عبدالناصر، محمد أنور السادات، محمد حسنى مبارك ليوقف هؤلاء الضباط العظام فى مواجهة العدوان الإسرائيلى ومحاولاته للهيمنة على الأمة العربية والإسلامية ويكون شغلهم الشاغل هو أن يبقى جيش مصر للأمة العربية والإسلامية درعاً واقياً وسيفاً مسلطاً فى مواجهة ما يراد بها من دسائس ومؤامرات.

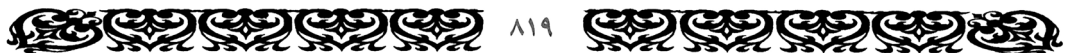
وعند الحديث عن السادات لا يمكن اغفال جمال عبدالناصر فالرجل ناله نفس ما لحق بالسادات بعد وفاته، قالوا فيه الكثير والكثير، واتهموه بكل نقيصة، بل وجد من جرّده حتى من رحمة الله، وكأنه تعالى قد أطلعهم على غيبه، وانتشرت أحاديث الزيف بلا سند ولا دليل، اللهم إلا أقاويل مرسلة.

ألم يكن جمال عبدالناصر يستطيع الاكتفاء بكونه رئيساً لأقوى وأغنى دولة عربية وإسلامية فى ذلك الوقت بدلاً من أن يندفع مقاتلاً ضد كل قوى الاحتلال ذات النزعة الصليبية التى لا تخفى على أحد كما حدث فى الجزائر مثلاً عندما وقف مؤيداً لثورتها جاعلاً من القاهرة مركزاً لحكومتها المؤقتة ماداً لها يد العون بالسلاح والعتاد ضد الاحتلال الفرنسى.

أجل تحرير شعبه من نير الاحتلال الغاشم وكان ضمن ضباط الصف الأول فى ثورة ٢٣ يوليو، وكان ثانى اثنين أعلنت أسماؤهم عشية قيام الثورة، الأول هو اللواء محمد نجيب بوصفه رئيساً لها، والثانى هو السادات نفسه بصفته الوحيد الذى جرّأ على إعلان بيان الثورة فى الإذاعة المصرية قبل أن يتأكد نجاحها ليصبحاً معاً كبشى فداء فى حالة الفشل، ناهيك عما تعرّض له من قبل من اعتقال ومحاكمة وتشريد وعزل من الوظيفة العسكرية لثبوت تهمة الكفاح الوطنى ضد نظام الحكم القائم فى ظل احتلال غاشم.

وقبل ٢٣ يوليو كان له جهاده العسكرى المشرف ضد إسرائيل فى حرب ١٩٤٨ بصحبة أبطال مصر العظام: محمد نجيب، وأحمد عبدالعزيز، والضبع المصرى، وجمال عبدالناصر، وعبدالحكيم عامر.. قاتلوا وصمدوا صمود الأبطال فى معركة الفالوجا الشهيرة التى كانت وبحق أول مشاركة عسكرية عربية ضد إسرائيل، ناهيك عن أنها أول ظهور قوى للجيش المصرى منذ معركة التل الكبير بقيادة البطل أحمد عرابى، بل هى رابع معركة كبرى فى تاريخ العسكرية المصرية كلها، وكانت -برغم الهزيمة- بمثابة البعث من رقدة الموت.

وهنا يحضرنى حديث رسول الله ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا من أهلها جنداً كثيفاً فإنهم خير أجناد الأرض»^(٢). تأملوا معنى لقد شاءت إرادة الله أن يتغير





وتمر الأيام ويوقع السادات اتفاقية كامب ديفيد ويستعيد كل سيناء بدون حرب ليقلص المساحة المغتصبة، حتى إن رئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت مناحم بيجين كان يصصر على وجود الرئيس الأمريكي جيمي كارتر في كل مراحل التفاوض قائلاً له: «لا تتركني لهذا الرجل، إنه سيجعلني أبيع له إسرائيل» جملة ذات مغزى تناقلتها الصحف العالمية ووكالات الأنباء.. ولكن ليت قومي يفقهون.

واليوم تصر إسرائيل على رفض أى وجود لأى مفاوضات مصرى مع الجانب الفلسطيني، لأنهم لا يرغبون فى التوصل لاتفاق جديد مثل كامب ديفيد يقلص مساحة الأرض المغتصبة مرة أخرى ويدمر حلمهم فى دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

فى يوم من الأيام قال السادات لوزير خارجيته (محمد إبراهيم كامل) الذى كان يفضل نجاح حزب العمل الإسرائيلى فى الانتخابات بدلاً من الليكود، قال له: «لا فرق فى إسرائيل بين حمائم وصقور» وها هى الأيام تثبت صحة كلام السادات، فها هو بيريز حمامة حزب العمل وزيرا للخارجية فى حكومة صقر الليكود الجامح (ارئيل شارون) ومن قبله كان (إيهود باراك) رئيس وزراء إسرائيل السابق وهو من حزب العمل أول من استخدم القوة العسكرية المفرطة من دبابات وطائرات ومدافع وصواريخ فى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

وعندما قرر السادات أن يختار نائباً له

ألم يكن يستطيع أن يركن إلى الراحة والدعة داخل حدود دولته بدلاً من أن يعلن تأميم قناة السويس ليؤلب عليه قوى الشر التى احتشدت لعدوان ١٩٥٦ وكادت تطيح به هو شخصياً ولكنه احتفظ برباطة جأشه وملك القلوب من حوله بخطبته المدوية فى الجامع الأزهر والتى استهلها بقوله: «الله اكبر.. الله اكبر».

وفى حرب ١٩٦٧ يعلم القاصى والدانى أن عبدالناصر كان قد أعد العدة للحرب ضد إسرائيل لتحرير فلسطين، ولكن حدثت أمور حالت دون ذلك.

وينتقل جمال عبدالناصر إلى جوار ربه، ويخلفه السادات ليعاهد الله بأنه لن يسلم الراية إلا عالية خفاقة، وأعلن ذلك مرات ومرات، وجعل شغله الشاغل هو حرب إسرائيل.

ويقف السادات على الضفة الغربية لقناة السويس متأملاً خط بارليف الحصين.. أقوى خط دفاعى عسكري فى التاريخ، ويعد العدة ليوم المواجهة حتى يوم السادس من أكتوبر لعام ١٩٧٣م، ويمن الله بالنصر على خير أجناد الأرض.

وتتوالى معارك السادات مع اليهود ولا تنتهى ليقوم بزيارة مفاجئة للكيان الصهيونى فى تل ابيب.. زيارة مدوية عقدت الألسنة وألجمت الأفواه، حتى الصهاينة صعقوا وذهلوا، وعجزوا عن التعامل مع هذه الضربة المذهلة كانوا يدعون أن العرب لا يريدون السلام والآن السادات جاء إليهم.

على ذلك حديث رسول الله ﷺ « يبعث العبد على ما مات عليه »^(٥).

رحل السادات له ما له وعليه ما عليه، وأحسب أن يصدق في مثله حديث رسول الله ﷺ: « المؤمن مكفر »^(٦).

قال الخطابه: معناه أنه مُرْزَأٌ في نفسه وأهله، وأنه لا يزال ينكب، وتصيبه المكاره، فتكون كفارة لذنوبه^(٧).

قد أكون منحازاً إلى السادات، ولكن لى عذرى فقد نشأت وأنا أرى شعور الكآبة على الوجوه نشأت وأنا اسمع دوى صفارات الإنذار، وفجأة علت البشاشة الوجوه يوم السادس من أكتوبر. ولن أنسى ما حييت يوم جلس السادات على منصة مجلس الشعب وعن يساره موبوتو سيسى سيكو رئيس جمهورية زائير وعن يمينه العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية وقد امتلأت القاعة بقيادة الحرب وأبطالها خير أجناد الأرض: أحمد اسماعيل على - محمد حسنى مبارك - محمد عبدالغنى الجمسى - محمد على فهمى - أحمد بدوى .. وغيرهم كثير جداً.

رحم الله السادات وأسكنه فسيح جناته.

اختار جندياً من جند مصر، خير أجناد الأرض، اختار رجلاً قال منذ أيام قلائل فى مواجهة الهجوم الغربى على الإسلام: « معاذ الله أن تقف رسالة السماء موقف الدفاع أو يقف أتباع رسولها الكريم موقف الاعتذار ». اختار رجلاً يواصل المسيرة فى قيادة خير أجناد الأرض:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^(٣)

يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٨٠ فى نفس يوم انتصاره، يموت البطل برصاصات غادرة ليلقى ربه وهو يستعرض جيشه فى ذكرى يوم انتصاره، يموت وهو يُذكر شعبه بيوم النصر ينزع منه أى احساس بالخوف من عدو قهره.

أجل يموت البطل وهو يستعرض قوة جيشه يُرهّب بها العدو:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾^(٤).

يموت البطل فى ثياب الحرب وعسى أن يصدق فيه حديث رسول الله ﷺ: « إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها »^(٥).

يقول شراح الحديث: « الثياب » كناية عن العمل الذى يموت عليه ويختتم له به يدل

(٣) الشعراء (٢٢٧).

(٥) أبوداود ١٩٠/٣.

(٧) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٥٨/١.

غريب الحديث ٦٩٠/١.

(٤) الأنفال (٦٠).

(٦) الخطابى، غريب الحديث ٦٩٠/١.

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

افيقوا

الحرب الإعلامية ازدادت خطورتها

كيف تكون المواجهة مع الإعلام الصهيوني المشوه للعالم الإسلامي .

وهاهي إسرائيل تطالعنا بقناة فضائية لبث أفكارها المسمومة وعداءها المستمر للعرب والمسلمين فماذا نحن فاعلون ؟

المحرر

الإسلام أمر بالحواريين الأديان

وليس التصادم بينها

وهذه الإجابة رد على الصهيونية الغربية والنظام العالمي يقدمها محمد الطحلاوي في مجلة أكتوبر في عددها الصادر في ٢٠٠٢ / ٧ / ٧ قال فيه : بداية نؤكد أن من يغمض عينيه دون النور إنما يضيّر عينيه ولا يضيّر النور . . . فالمتتبع لتاريخ الإنسانية منذ نشأتها الأولى في العصور السحيقة، حتى وقت غير طويل في العصر الحديث، يجد أن الظلم والاستغلال والاستعباد كان هو السمة السائدة في مسيرة الجماعة

الإنسانية، باستثناء فترات غير طويلة، نعم فيها العالم بالعدل أثناء فترة تطبيق الإسلام والتمكين له في عصر نهضته وازدهاره، باستثناء ومضات أشعت على العالم على فترات متباعدة، ومبادرات فردية، لم تستطع أن تشكل التاريخ وتبرز المساواة كمعلم إنساني، وكمبدأ دستوري واجتماعي . . لذلك يبدو غريباً ومدهشاً لكل منصف، تلك الهجمات الشرسة التي يتعرض لها الإسلام والتي زادت حدتها وخطورتها هذه الأيام، والتي تُصور الإسلام على أنه خطر على الغرب والنظام العالمي، نذكر منها ما أعلنه كلايس السكرتير العام لحلف الأطلسي، الذي يرى أن الخطر الجديد الداهم هو الأصولية الإسلامية القادمة من العالم العربي والشرق الأوسط، وهو على حد زعمه من أخطر التحديات التي لا ينبغي التقليل من شأنها، وهذا هو النطق المغلوط الذي يردده الغرب عن الإسلام الأصولي، قاصداً تشويه الإسلام، وتزييف الوعي لإعادة تشكيل الضمير العالمي وتعبئته ضد الإسلام والمسلمين . . حول هذه القضية المهمة جداً والمطروحة الآن على الساحة الإسلامية

يكون غاية الجميع لما فيه الخير والمصلحة، فى إطار التعددية الإنسانية، والخصوصية الثقافية، والهوية الخاصة لكل جماعة إنسانية.. وسندنا على تلك الحقيقة، هى مبادئ الإسلام نفسه، التى هى حاکمة لأى اجتهاد وملزمة له، نسوق منها قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (٢)

وفى تعامله مع هذا الواقع الذى تجسده أحداث الزمان والمكان منذ بدء الخليقة حتى يوم الدين، إذ ينبه على أسلوب الحوار مع المخالفين له فى آيات عديدة منها قوله تعالى:

﴿قُلْ يَتَاَهَلُ الْكَتِبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

فى الآية الكريمة دعوة إلى الحوار بين الأديان، وليس التصادم بينها، وفيها الحفاظ على الهوية الإسلامية والتسليم بحق الغير فى الخلاف.

● هذا هو الإسلام المفترى عليه.. يتعامل مع مخالفه تعاملًا حضاريًا غير مسبوق.. ويعرف الرحمة واللين، واحترام كرامة الفرد وحقوقه.. دين ملئ بالإنسانية حتى فى أوقات الحرب، فالمسلمون ممنوعون من الغدر بغير المسلمين، ومنهيون عن الغلول أى الخيانة، ومنهيون عن التمثيل بجثث الأعداء

والعالمية كان لقاءنا مع الدكتور محمد الشحات الجندى عضو مجمع البحوث الإسلامية ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة حلوان.

قلت لفضيلته: الإسلام الآن فى مأزق، والاتهامات تكال له من كل اتجاه، والأمر يحتاج أكثر من أى وقت مضى إلى همة العلماء لتوضيح قيم ومحاسن دين الإسلام، وعلى رأس هذه القيم علاقة الإسلام بمخالفه.. ترى ما رأى فضيلتكم فى هذه المسألة على وجه الخصوص؟

قال: الإسلام يقيم علاقاته مع غير المسلمين على أساس من الحق والعدل والقضية ويضع لاتباعه منهجا فى هذا الصدد هو التعارف، والتفاهم، والتعاون على ما فيه خير ومصلحة الإنسانية جميعا، ميثاق عالمي يتمثل فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١).

وبهذا الميثاق صارت الأخوة الإنسانية هى الرباط الجامع بين نوعي الإنسان الرجل والمرأة - فى نطاق التقسيم السياسى والجغرافى للأمم والشعوب، وبغض النظر عن نوع الاختلاف ومداها، فإن ذلك لا يؤثر على الحقيقة القرآنية المجسدة لحقائق الاجتماعى الإنسانى، ومادام الأمر كذلك، فإن التعايش والتفاهم والتقارب يجب أن

(٢) هود (١١٨).

(١) الحجرات (١٣).

(٣) آل عمران (٦٤).



وقتل المدنيين والمرضى والصبيان والنساء والعميان والمقعدين والشيوخ الكبار ورجال الدين، إذا لم يشاركوا في الحرب برأى أو تحريض، وجيش المسلمين منهى عن قطع الأشجار والتحريق، واجتياح الأخضر واليابس وقتل الحيوان، واستخدام الأسلحة الكيماوية كالغازات السامة والقنابل الحارقة، ناهيك عن أسلحة الدمار الشامل والقنبلة النووية وغيرها من الأسلحة التي تستخدم في إبادة الجنس البشرى، وذلك قياساً على ما ورد من نصوص تنهى عن التدمير والتخريب ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (٤).

خطوطنا الدفاعية

وها هو الدكتور محمد داود يحذر وينبه في جريدة اللواء الإسلامى قائلا فى عددها الصادر فى ٢٠٠٢/٧/٤.

● فى عصر الأقمار الصناعية والبث الفضائى ومحاوله الغرب فرض ثقافته وسلوكياته على العالم الإسلامى إنى أرى أن هناك خطراً على المسلمين.

– الغرب يعلن الحرب على الإسلام– والغزو الثقافى لديار المسلمين مستمر ومع انتشار الوسائل الحديثه والنفسية فى علوم الاتصال فالغزو يزداد قوة ولا بد من المواجهه، مواجهه هذا

الغزو بكل قوة فكرياً وعقدياً وتربوياً.

● إن خطوطنا الدفاعية مهددة من الداخل من قبل العلمانيين والشيوعيين والمستغربين الذين يريدون ثقافة وفكر الغير أن يتحكم فينا.

● إننى أشعر وأحس أن خطوطنا الدفاعية مهددة من خلفها– وأن المؤامرات تحاك على الإسلام من كل جانب وأمة الإسلام غافلة وأن هذه المؤامرات أخذت أبعاداً جديدة.. لقد وهنت قوى المسلمين بسبب الضربات الشديدة التى وجهت إلى العالم الإسلامى– ثقافية وسياسية واقتصادية وعسكرية.

ومع ذلك سيبقى الخير فى هذه الأمة بإذن الله.

● والبعض يرى أن هذا العقد من هذا القرن شهد انحساراً للصحة الإسلامية وهناك من قال إن الصحة الإسلامية فى حالة جزر..!!

● هذا كلام غير صحيح فإذا كان هناك من يتخيل أن الصحة الإسلامية فى حالة جزر، فهم واهمون فإن الأمل فى المسلمين ماداموا متمسكين بعقيدتهم.

● وقرن الحضارة الإسلامية قادم بعد نهاية الشيوعية وبداية تفكك المادية والرأسمالية ونقولها مرة أخرى قرن الإيمان قادم.

يقول تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ۚ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٥).

(٥) الفرقان (١).

(٤) البقرة (٢٠٥).





التطرف ومزايدات الإعلام

وهذا الموضوع يقدم سلبياته الدكتور منصور حسن عبدالرحمن فى مجلة «روزاليوسف» فى عددها الصادر فى ٢٩/٦/٢٠٠٠ قائلًا: اخترق التطرف كل بيت مصرى من أقصى يساره إلى أقصى يمينه عن طريق وسائل الإعلام فى حقبة هيمنة الفضائيات الموجهة إلينا تبث علينا الثقافات والعادات المتطرفة التى أتى بها المصريون معهم بعد عودتهم من هجرة جماعية بحثا عن عمل خلال ربع القرن الأخير.

وحاول الإعلام المصرى مواجهة التطرف بأسلوب المزايدة غير المدروسة، مما ضاعف من خطورة ما أصاب العقل المصرى وثقافة المجتمع ونسجه، ولقد وجد التطرف بيئة خصبة وآذانا صاغية وعقولاً منقادة مسلوية الإرادة والأكثر خطورة بين أوساط المثقفين والمهنيين ونقاباتهم والأكاديميين وتجمعاتهم، وكذلك بين الطلاب واتحاداتهم للأسباب التالية:

١- أوضاع المؤسسة التعليمية المتدنية وحيث أصبح دور المدرسة والجامعة هامشيا فى العملية التعليمية والغياب الجماعى الذى أصبح أشبه بالعصيان المدنى وتحول التعليم فى المدارس والجامعات إلى دكاكين الدروس الخصوصية وانعدام الأنشطة المدرسية والجامعية وانصراف الأساتذة إلى أعمالهم الخاصة فى مكاتبهم وعياداتهم وتجارتهم أو بيع الكتب والمذكرات الركيكة كرها وإذعاناً لطالباتهم وطلابهم وأصبح تواجد الأستاذ لا يذكر فى عمله الفعلى والمسؤولية والمساءلة منعدمة ولا محل لها من

الإعراب، مما جعل الباب مفتوحا لاختراق التطرف للمؤسسة التعليمية.

٢- القصور الشديد فى الأندية والملاعب والساحات الرياضية ووسائل الترفيه وخاصة فى المناطق المكتظة بالسكان، وكذلك فى المكتبات العامة التى تزود الشباب بالثقافة والفكر المستنير.

٣- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتباينة وتفشى البطالة والتفاوت البين فى الدخول وربما بين العاملين فى داخل المؤسسة الواحدة ومستويات الأجور التى لا تتماشى على الإطلاق مع احتياجات ومتطلبات الحياة اليومية.

٤- تناقض الإعلام وتخبطه وعدم وجود رؤية واضحة استراتيجية على أصول علمية.

٥- ضعف الممارسة الديمقراطية فى مصر وسلبية المواطن وعزوفه عن المشاركة فى القضايا العامة ووجود أحزاب هامشية إسمية وقصور أنشطة وفاعليات مؤسسات المجتمع المدنى.

٦- الشعور بالإحباط والعجز العربى فى مواجهة إسرائيل وردعها ضد ممارساتها العدوانية الإجرامية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل وحقه المشروع فى إقامة دولته المستقلة، وكذلك لتهديدها لجيرانها والانحياز الأمريكى المطلق لإسرائيل.

إذا سارت الأمور فيما عليه فهذا هو طريق طبيعى إلى نمو الأفكار الفاشية FASCISM الهدامة فى ثالث اليمين والإيمان والطاعة ثم الهجوم (TO BELIEVE, TO OBEY, TO COMBAT) التى هى الأشد دمارا وخطرا على لاستقطاب الشباب.

شجب

فلا تلقى بالاً «لشجب» أو «المناشدات»!!

وهذا هو الفرق بين موقفين، موقف العرب الذى يتسم بالسلبية المطلقة وموقف إسرائيل التى حدد قاداتها منذ عشرات السنين أهدافهم وسعوا لتحقيقها بكل الوسائل المتاحة ولم يصبهم اليأس وأحلامهم تتعثر ومشروع دولتهم يواجه العقبات، فعرفوا مواطن الضعف فى حركتهم وأسباب الفشل فعالجوا القصور فى كل مرحلة وعملوا بكل دأب دون كلل أو يأس حتى حققوا أحلامهم ومازالوا يواصلون طريقهم بنفس الإيجابية.

أما العرب فمازالوا على حالهم من السلبية والتشتت، ولا يملكون سوى تقديم «التنازلات» حتى رضوا بالعيش الذليل وبالهبوان الذى يسلبهم كل نخوة أو كرامة وكل آمانياتهم أن يقبلهم السيد الأمريكى عبيداً فى بلاطه وأن يهبهم بعض «العطف» الذى يبذله حيواناته المدللة!!

رغم ذلك فإننى اتطلع إلى ميلاد عربى جديد يخرج من رحم العمليات الاستشهادية، وإلى جيل يتعلم الدرس ويعيه ويفخر بانتسابه إلى أبطال العمليات الاستشهادية هذا الجيل يعرف أن الحقوق لا تسترد «بالشجب» أو «المناشدة» أو «بالاستجداء» بل تسترد بالتضحيات الجسام وبالإصرار على استخدام كل وسائل القوة المتاحة ضد أمريكا وإسرائيل ثانياً. هذا هو الطريق.. طريق الشعوب الحرة.

* واخيراً يجب فك الأيدى المغلوله التى لا تملك سوى الشجب والمناشده وهذا على لسان السيد الغضبان فى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر فى ١/٧/٢٠٠٢: عاش العرب زمناً يواجهون العدوان على أراضيهم وانتهاك كرامتهم واغتصاب حقوقهم بإصدار بيانات «الشجب» بعبارات نارية وتهديد بالثأر الذى لا يحدث أبداً!! وبدأت مرحلة ما بعد «كامب ديفيد» وعقد معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية ليتخلى العرب نسبياً عن بيانات «الشجب» لتحل محلها بيانات «المناشدة» و«التوسل» إلى أمريكا لتحميمهم من العدوان الصهيونى ولتضغط على إسرائيل لتخفف من عدوانها مراعاة «لخاطر» أمريكا!!

فى المرحلتين كانت إسرائيل تمضى فى تنفيذ مخططاتها دون أن تلتفت إلى «الشجب» والتهديد الأجوف بالثأر!! أو المناشدات والتوسلات الموجهة لأمريكا لم تتوقف إسرائيل فى الحالتين عن التحرك بثبات لتحقيق أهدافها معتمدة على تقدير سليم لقدراتها الذاتية وقدرات العرب، مدركة أن العرب تشغلهم فى الحل الأول صراعاتهم التى تستنفد قدراتهم على القيام بأى فعل مؤثر، وينشغل حكامهم بقهر شعوبهم لضمان استمرارهم الأبدى على كراسى الحكم!! إسرائيل تعرف هذه الحقائق



الجار حقوق وواجبات

للمُستأذ / مجدى عبد الحميد بشير

خلق الله البشر ورسم لهم طريق السعادة والهناء وجعل حسن الصلة بالجار معلماً هاماً من معالم المحبة والألفة. وكان رسول الله ﷺ هو القدوة في توثيق عرى المودة بينه وبين جيرانه، وتأسست معاملاته على حسن الخلق ودمائته، فأكرم به من جارا ﷺ.

ونظرة شاملة على بعض ما ورد من نصوص في القرآن والسنة تجلّى لنا الأمر وتبين أن الإسلام الحنيف أرسى من قواعد التحضر والتمدن في معاملة الجيران ما يعد بحق مأثرة لا تدانى وفخراً لا يُبارى.

ونبدأ بآية كريمة أطلق عليها العلماء «آية أصحاب الحقوق

العشرة» يقول الله سبحانه:



والواجبات، ترى إذن ما أنواع الجيران الذين انتدبنا الشرع الحكيم إلى الإحسان إليهم؟

أولا: الجار ذو القربى: وهو الذى قرب جواره أو منزله مع الجوار قرب أو اتصال بنسب أو الذى قرب مكانا أو دينا أو نسبا.

ثانيا: الجار الجنب: وهو الذى بعد جواره أو الجار الذى لا قرابة له أو الجار البعيد مكانا أو دينا أو نسبا إضافة إلى صاحب الجنب وهو الرفيق فى الطريق وقد فصل الحديث الشريف القول فى تصنيف الجار فقد روى البخارى بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق. فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الجار الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم». بل إن حق الجار كاد أن يصل إلى مظنة التوريث فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» فى الصحيحين وغيرهما.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالَّذِينَ إِحْسَنًا وَبَذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَآبَنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١).

وهى آية - كما نرى - جامعة لأصحاب الحقوق، ومن نافلة القول الخوض فى تفسيرها وبيان المراد منها فهو أمر واضح لا لبس فيه ولكن كان إن للمرء من تعليق فليكن على ختام الآية التى وصفت المعرضين عن تنفيذ ما نصت عليه بالخيلاء والفخر الذى يخيل إليك أنه فى غير موضعه وأخرجت أولئك العصاة من دائرة محبة الله. كما نرى فيها دعوة من طرف خفى إلى التواضع والتواصى بالبر والخير واجتناب كل ما يشى بصفة من صفات الكبر وفى الكبر ما فيه من المفاصد والمضار - سلمكم الله ووقاكم - أما التواضع فهو الباب المفتوح على مصاريعه إلى التعاون والتآلف والوحدة ولم الشمل وبهذه الفضائل يتحقق الأمن والأمان والرخاء وترفرف السعادة بأجنحتها فى سماء الدنيا وتبسط العدالة سلطانها فى معزوفة رائعة من كريم السجايا وحميد الخصال. ولا يتحقق كل ذلك إلا بأداء الحقوق





مخل ونلقى عليها بعض الضوء :

١- معاونة الجار المنبعثة من المبدأ
القرآني :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢).

والمستمد من المبادئ النبوية التي بينت
أن الله في عون العبد مادام العبد في عون
أخيه تلك المبادئ التي تنادى بتبادل
المنافع في إطار يتوخى الحلال المباح
ويتحاشى الحرام بكل صوره وقد خص
الرسول ﷺ قيمة الإنسان في جملة تقول :
«خير الناس أنفعهم للناس».

٢- إقراض الجار إن طلب القرض وكانت
ظروفك تمكنك من ذلك فمد يد العون
واجب تحتمة النخوة والمروءة قبل أن يأمر
به الدين وتحض عليه الشرائع والقرض هنا
أخى المسلم - وفقك الله - مقدم على
الصدقة فقد أخرج ابن ماجة عن أنس بن
مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «الصدقة
بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ضعفا
فقلت لجبريل : ما بال القرض أفضل من
الصدقة فقال : لأن السائل يسأل وعنده
وأما المستقرض فلا يستقرض إلا من حاجة»
والقرض الحسن هو الذى يراعى فيه المقرض

فما أعظمه من دين ذلك الذى يرفع من
شأن الجيرة ويعلى من قيمة العلاقات
الاجتماعية والحقوق المدنية .

فإذا انتقلنا إلى مظاهر نتمثل فيها
بجلاء حقوق الجار رأينا عجبا وأثلج
صدورنا حديث نبوى يعد دستورا لكل
زمان ، إذ يكاد لا يترك شاردة ولا واردة إلا
عدها ونظمها فى عقد بديع الألوان
متناسق متناغم يوشك أن يجعل من الدنيا
جنة يعيش الإنسان فى وارف ظلالها فاقراً
بعين بصيرتك قبل بصرك عن عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ
قال : «من أغلق بابه دون جاره مخافة على
أهله وماله فليس ذلك بمؤمن وليس بمؤمن
من لم يأمن جاره بوائقه - أى غشمه وظلمه
- أتدرى ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته
وإذا استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت
إليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته
وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت
جنازته ولا تستظل عليه بالبنيان فتحجب
عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه بقتار قدرك إلا
أن تغرف له منها وإن اشتريت فاكهة فأهد
له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها
ولذلك ليغيب بها ولده» تلك عشرة حقوق
للجار فتعالوا نستعرضها فى إيجاز غير





من نعمة ولم لا والرسول ﷺ يذكرنا صباح مساء قائلاً: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٦- ولأن الحياة لا بد وسر صفوها فقد كان الأمر بالتعزية أمراً لازماً والإيجاز بالصبر من عزم الأمور كل ذلك في إطار من الموعظة الحسنة التي لا يشتم منه بحال رائحة الشماتة فالأيام دول . والأجر في التعزية مضمون فعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من عزى مصاباً فله مثل أجره».

٧- واتباع جنازته أمر واجب وهو أن تشيعه حتى يدفن وثوابك عند الله جزيل يقول ﷺ: «من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان أصغرهما مثل أحد» في الصحيحين وغيرهما وعندما يعلم الصحابي بذلك يعلق قائلاً: لقد فرطنا في قراريط كثيرة.

٨- عدم الاستطالة عليه بالبنیان خشية أن نمنع عنه نسائم الصيف مثلاً إلا بإذنه وهو احترام متبادل فيه الحفاظ على المصالح المشتركة فإنه لا يتعمد إيذاء جاره، إذ القانون السماوي يقول: «لا ضرر ولا ضرار» وفي هذا المجال ابتكرت المدنية الحديثة من الاختراعات ما يمتع أصحابها متاعاً شكلياً بالهواء الرطب صيفاً

مشاعر المقترض ولا يؤذى أحاسيسه بمن ولا أذى مبتعداً عن الربى واستغلال الظروف واستثمار حاجة المقترض.

٣- مواساته بالمال في حال العسر فالؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً وتفريج كرب المؤمن طريق المغفرة في الدنيا والآخرة.

٤- زيارة الجار في أثناء مرضه للتخفيف من معاناته ومشاركته في آلامه وأن تدعو له بالشفاء قائلاً: لا بأس عليك طهور إن شاء الله وأنت حين تؤدى ما عليك من واجب تجاه جارك المريض أهل للبشرى التي جاءت على لسان الإمام على - كرم الله وجهه - حينما قال: «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له طريق في الجنة» أى ثمر يجنيه متلذذا بأطاييبه متمتعاً بحلو مذاقه.

٥- التهئة في المسرات من نجاح وتخرج ولد أو حصوله على وظيفة أو شهادة عالية أو زفاف أو ولادة أو ختان وغير ذلك من المناسبات السعيدة التي ندعو الله أن يكثر منها وإن بنى بيتاً أو اشترى عقاراً هنأته قائلاً: هنيئاً لك ما أنعم الله عليك وذكرته بحقوق الله في الكيرة وذلك في أسلوب ينم عن الفرح والسرور بما أفاء الله عليه





في رياض الصالحين في باب الجار.

١٠- الإهداء له من الفاكهة التي اشتريت فإن أبيت فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده مراعاة للأحاسيس والمشاعر، سمو خلقى ليتنا نفهمه ونطبقه فما بالنا اليوم بأناس كثرت الأموال في أيديهم من حلال وحرام يؤذون بها عباد الله في إسراف مقيت وسنة مردولة نحن في غنى عنها وكان الأولى بتلك الأموال أن تشبع بها من اكتوت أكبادهم بسياط الجوع وأن تكسى بها أجسام كادت ملازمتها لمن ارتدوها طويلا أن تنفضها نائرة معترضة على طول مكثها لديهم وبقائها عندهم وانتهاء عمرها الافتراضى أو تعالج بها أمراض وعلل أخذت من المبتلين بها كل مأخذ إذ لم يجدوا ثمن العلاج الشافى الذى يؤذن بانتهاء المعاناة.

وبعد يا أخى المسلم ترى ما مدى التزامك بتلك الوصايا الخالدة؟

إن هناك بعض السلوكيات التى تتنافى مع تلك التعاليم. ماذا نقول مثلا لجار يقيم العرس فى منزله وفى الشقة المقابلة له ميت فى انتظار الدفن؟ ماذا نقول لجار أطلق لتلفازه العنان وملاً الدنيا صراخا عديدة وهو يشاهد مباريات كأس العالم غير مهتم ولا مبال بإخوة له وأخوات يؤذون

والدافىء شتاء غير عابئين بما يرسل كل منهم إلى جاره من سموم الصيف وزمهرير الشتاء عن طريق أجهزة التكييف فأين المحدثون من كياسة الإسلام وحرصه الشديد على عدم إيذاء الآخرين.

٩- عدم إيذاء مشاعر الجار بما يصدر من مطبخك من روائح الأطعمة التى يسيل لها اللعاب إلا أن تغرف له من ذلك الطعام حتى تحتث ما قد يدور بنفسه من مشاعر الحقد وتستأصل الحسد. ولعمري أن المحدثين ليفعلون عكس ذلك تماما حين يقوم كل منهم بتركيب ما يعرف بالشفاط فى المطابخ وهو جهاز يقوم بطرد الروائح من البيت ونشرها إلى الخارج وقد تكون روائح أغذية شهية تنتشر إلى الشقق المجاورة. ولا يراعى أصحاب تلك الأجهزة حالة الجار الذى قد لا يذوق الطعام المطهى إلا لماما. أين هؤلاء من دعوة الرسول الكريم إلى السخاء والجود وعدم البخل.. وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة» رواه الطبرانى. وعن أنس عنه ﷺ قال: «ما آمن بى من بات شبعا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم».

وأوصى ﷺ أبا ذر الغفارى بقوله: «إذا صنعت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك»



أرست مبدأ «الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار» حينما دعت ربها فيما سجله القرآن في الآية ١١ من سورة التحريم ففى قولها «عندك» تحديد لجوار الله وذلك قبل طلبها ﴿يَتَنَافَى الْجَنَّةِ﴾ فماذا تفيد الجنة إن لم تكن فى جوار الله عز وجل وقصة الإمام الأعظم أبى حنيفة مع جاره الإسكافى الذى كان يسهر حتى الصباح يغنى ويعربد قائلا:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ليوم كريهة وشديد بأس

وظل على مجونه حتى جاء يوم لم يسمعه الإمام ليلا فخشى أن يكون قد أصابه مكروه رغم ما كان يسببه للإمام من إزعاج أثناء قيام الليل فلما علم الإمام أن الشرطة قد اعتقلته وأودع السجن توسط له عند السلطان حتى تم الإفراج عنه فلما لقيه الإمام سألته ملاطفا هل أضعناك يا فتى فشكر له الإسكافى مقابلة السيئة بالحسنة وعاهده على أن لا يعود إلى مجونه ابدا وتاب وحسنت توبته فالخلق الخلق يا عباد الله مع جيرانكم.

امتحانات تتحدد على أساسها مصائرهم وينبنى عليها مستقبلهم؟ وماذا نقول لمن أقض مضاجع الناس وزاد فى معاناة المرضى بمكبرات الصوت يطلقها فتشقق صمت الليل الهادىء وتحيله إلى سوق لا يسمع فيه البائع صوت المشتري ماذا يمكن أن نقول لمن استغل وقت القيلولة فشغل أدوات النجارة والخراطة وآلات الهدم والبناء وأطلق العنان لأبواق الصخب فى مظاهر القصد منها إقلاق راحة من هم فى مسيس الحاجة إلى قسط منها يعينهم على مواصلة الكدح وماذا نقول لمهاويس كرة القدم المشغولين بتوافه الأمور المجاهدين بالألفاظ النابية والأفعال السوقية هدامهم الله.

أختاما فإن نظرة على تراثنا التليد وسلوكيات سلفنا الصالح ترينا مدى التزامهم بمعالى الأمور وابتعادهم عن سفسافها فهل تعلم - سدد الله على طريق الهدى والخير خطاك - أن المفسر الأشهر الزمخشري صاحب كتاب الكشاف كانت كنيته جار الله استئناسا واستبشارا بجواره عز وجل وأن امرأة فرعون هى أول من



بين المجلد .. والقارئ

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

البشاشة سلوك ودين

البلدة وأنه يعرف هؤلاء الناس الذين يبتسمون له بقدر كبير من المودة ..

غير أنني لاحظت أن النطاق الذي تحركنا فيه يزداد اتساعاً، ولا تزال الابتسامات تصاحب وجوه الناس فعلمت أن الناس يعيشون مظاهرة حب كبيرة تضمهم جميعاً.

أسعدتني تلك الكلمات، وأسعدتني أيضاً نظراته التي تتشوف لمثل هذه المودة والبهجة أن تملأ شوارع القاهرة المعز.

منذ ذلك الوقت وأنا لا أطيق مدافعة تلك الرغبة في تفحص وجوه أهل بلدي من حولى، فما وجدت غير وجه غارق في التفكير.

أو مهموم لم تترك له هموم الحياة فرصة ليتبادل النظر مع الآخرين أو وجوه حيادية الملامح كأن أصحابها يخشون إذا ما تبسموا لمن لا يعرفون أن يرميهم الناس بالسذاجة طاف بخاطري تساؤل: هل لمظاهرة الحب تلك أثر

ما زال يتردد فى سمعى صدى تلك الكلمات منذ استمعت إليها من صديقى العائد من اليابان وهو يصف مشاعر الناس هناك .. كم كان جميلاً ذلك الوصف من رجل أعمال تفيض مشاعره بالإنسانية ...

وكان سؤالى عن انطباعاته وأهم ما لفت نظره وشد انتباهه .

فجاءت الإجابة التى ما زال يتردد صداها فى سمعى، قال: الناس يعيشون فى مظاهرة حب!!

فما زحته قائلاً: وماذا كانت تحمل لافتاتهم من كلمات؟!

قال: لافتاتهم، هى تلك الوجوه، وما كتب عليها، هى تلك الابتسامات التى لا تفارقها .

واستطرد صديقى قائلاً: لقد ظننت فى بداية الأمر أن هذه الابتسامات لمرافقى من أهل



فأنشد شعراً فقال:

تراه إذا ما جاءته متلهلاً

كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ولو لم يكن فى كفه غير روحه

لجاد بها فليتنق الله سائله

هو البحر من أى النواحي أتيته

فلجأته المعروف والجود ساحله

وقال اسحاق بن راهوية: حسن الخلق هو بسط

الوجه وأن لا تغضب.

هذا بعض ما قاله وفعله السلف الصالح اقتداءً

برسول الله الكريم

وبعد...

فكم نتمنى أن نعود نتحصن بديننا فى كل

ذهابنا وإيابنا وفى كل مناحى حياتنا لنحقق

الأنموذج الإسلامى المتفرد الذى يتمنى أن يحتذيه

كل إنسان متحضر يحب الخير والحق!!

لا أن نكتفى برؤية صورتنا فى مرآة الشعوب

المتحضرة.

- ترى كمبقى من الوقت حتى نحقق تلك

الصورة المفقودة، صورة المسلم الذى يحب لأخيه

ما يحب لنفسه؛ حتى تشهد ديار المسلمين مثل

هذه المظاهرة من الحب والرحمة والود التى نتشوف

إليها والتى عاشها السلف الصالح اللهم مددك.

فى تقدم مسيرة هذه الشعوب؟ ووجدتني

أجيب: هى بلا شك كذلك، فشعب هذا حاله

لا بد أن يتفرغ للإبداع والإنتاج ودفع مسيرة

التقدم للأمام.

ولم لا تكون مظاهرة الحب تلك نتيجة

التقدم والحضارة لدى هذه الشعوب؟

ثم، لم لا نجعلها مطلباً نسعى إلى تحقيقه

وبين أيدينا وملئ مسامعنا حديث نبينا

الكريم محمد - ﷺ - الذى يقول:

«ولا تزهدن فى المعروف ولو أن تلقى أخاك

وأنت منبسطٌ إليه وجهك»^(١).

وقوله - ﷺ :

«تبسمك فى وجه أخيك لك

صدقة...»^(٢)

أى أن إظهار البشاشة والبشر لأخيك إذا

لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة.

وقال بعض العارفين: «التبسم والبشر من

آثار أنوار القلب.

وقال ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة،

والبر شيء هين، وجه طليق وكلام لين.

وهذا عبد الله بن المبارك يقول عن حسن

الخلق أنه: بسط الوجه، وبذل المعروف وكف

الأذى.

وسئل سلام بن معيط عن صاحب الخلق

الحسن

(٢) الترمذى، وابن حبان، عن أبى ذر.

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٩٧١٦.





كيف نقضى أنفسنا من القلق

الأول:- علمك بسابق تدبير الله فيك، وذلك أن تعلم أن الله كان لك، قبل أن تكون لنفسك!!! فكما كان لك مدبراً قبل أن تكون ولا شيء من تدبيرك معه، كذلك هو سبحانه مدبر لك بعد وجودك! فكن له كما كنت له، يكن لك كما كان لك.

الثاني:- أن تعلم أن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها.

الثالث:- علمك بأن القدر لا يجرى على حسب تدبيرك، بل أكثر ما يكون هو مالا تدبر، وأقل ما يكون ما أنت له مدبر...!!!

الرابع:- علمك بأن الله (تعالى) هو المتولى لتدبير مملكته، علوها وسفلها، وغيبها وشهادتها، وكما سلمت له تدبيره في عرشه وكرسيه، وسمواته وأرضه، فسلم له تدبيره في وجودك بين هذه العوالم...!!!

وسيثب إلى الذهن حتماً بعد الاستماع إلى هذه النصائح أن الإنسان لكي يتم يقينه يجب أن يتجرد من حَوْلِهِ وطَوْلِهِ وأن ينخلع من قواه، وأن يهمل الأسباب، وأن ينتظر من تدبير الله بعدئذ أن يقضى له ما يشتهى!! وهذا خطأ محض، وما إليه قصد ابن عطاء الله، ولابه عمل «مستر فورد».

فإن شعور الإنسان بحَوْلِهِ ضرورة. ونهوضه للأسباب المعتادة حق!

ولذلك يستدرك ابن عطاء الله بعد كلامه السابق فيقول «إن التَّسَبُّبَ لا ينافي التَّوَكُّلَ».

ورد من القارئ محمد عباس محمد عرابي هذه الكلمة عن كيفية دفع القلق، ولعل في دفعه عن النفس ما يعين الإنسان على مواجهة الحياة، فيلقى أخاه هاشم باشا.

وفي رسالة الأستاذ محمد عباس:

يقول «دليل كارنيجي» صاحب الكتاب الشهير «دع القلق وأبدأ الحياة»: لقيت «هنري فورد» قبل وفاته، فتوقعت أن أرى عليه سيما رجل منهك القوى من فرط الجهد الذى بذله فى إنشاء مؤسسة تجارية من أضخم المؤسسات فى العالم، غير أنى فوجئت حين وجدته على درجة كبيرة من الرزانة والهدوء، وكأنه آية فى الاتزان والطمأنينة. برغم بلوغه الثامنة والسبعين من عمره. فلما سألته: هل عانى من القلق شيئاً؟ أجاب: كلا، فإنى أعتقد أن الله - سبحانه - قد ير على تصريف الأمور، وأنه - تعالى - فى غير حاجة إلى نصيحة منى، ولهذا فانا أترك له تصريف أمورى بحكمته (جل شأنه)! فعلام إذن يتولانى القلق؟؟

هل كان «فورد» زميلاً لابن عطاء الله السكندري فى هذا المنطق الممتلىء بالتسليم والثقة فيما تجيء به الأقدار؟

إن كان المستر «فورد» لم يعرف ابن عطاء الله ولم يأخذ عنه، فإنك خلاصة لكلام هذا العالم المسلم تلمح فيه قوة الشبه بين المنطقيين، على تباعد الديار والأعصار!!!

قال ابن عطاء الله يحض على التسليم لله، ويحصى آداب التجرد:

أخطاء شائعة

والصواب: قد أغيب أو قد أتغيب. لأن (قد) حرف يختص بالفعل المثبت المتصرف الخبري، المجرد من الناصب والجازم والسين وسوف كما لا يفصل بين (قد) والفعل إلا بالقسم مثل: قد والله أتمكن من أداء الامتحان.

– من الخطأ: حضر فلان افتتاح (المعرّض) والصواب: معرّض بكسر الراء. لأن إسمي المكان والزمان من الثلاثي على (مفعّل) إذا كان الفعل صحيح الآخر مكسور العين.

ومن الخطأ: وقع فلان في مأزق بفتح (الزاي) والصواب: مأزق: وهو الموضع الضيق ويجمع على (مأزق).

● يواصل القارئ / إبراهيم نصحي محمد – المدرس بالأزهر الشريف حديثه عن الأخطاء الشائعة يقول:

– من الخطأ أن تقول: «للأسف مات الضمير وانعدمت القيم» والصواب أن تقول: (يالأسف) لأن من المواضيع التي لا يصح فيها حذف الحرف (يا) المنادى المتعجب منه.

– ومن الخطأ أن تقول: قصارى الحديث أو القول.

والصواب: خلاصة الحديث أو القول. لأن قصارى تعنى: الغاية

– ومن الخطأ: قد لا أحضر الامتحان.

من صفات المؤمنين

الإنسان كما قال تعالى في القرآن العظيم وهو أصدق القائلين «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» سورة البينة الآية رقم (٧) ثانياً: تقصى مصلحة الإسلام لقوله ﷺ «ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الإسلام حيث دار» رواه الحاكم.

ثالثاً: الاعتزاز بالحق والثقة بالله – جل جلاله – وهي صفات المؤمنين كما قال تعالى في القرآن العظيم وهو أصدق القائلين:

● ويرسل القارئ / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس هذه الكلمة التي يوضح فيها الملامح والصفات التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم – يقول:

لكى أعيش للإسلام لأبداً أن تتسم حياتي بسمات تميزها عن حياة سائر الناس ومن هذه السمات الآتى ذكره:

أولاً: التزام عملي بالإسلام: – فالإيمان ليس بالتمنى ولكن هو ما وقرّ في القلب وصدّقه عمل



للإسلام يفرض عَلَى العمل له .. وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الحلال والابتعاد عن الحرام والجهاد فى سبيل الله تعالى والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان كما قال - تعالى - فى القرآن العظيم وهو أصدق القائلين:

﴿وَتَعَاوُزُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوُزُوا

عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

سورة المائدة الآية رقم (٢)

﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ﴾ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

سورة المنافقون الآية رقم (٨)

وروى أن المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة فراراً بدينهم دخلوا على النجاشي فابتدروهم من عنده أن اسجدوا للملك فقام سيدنا جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - وقال كلمته المشهورة «نحن قوم لا نسجد إلا لله تعالى».

رابعا: التزام العمل للإسلام حيث إن انتمائى

رعاية الأيتام فى الإسلام

بأصبعيه الوسطى والسبابة» أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة .

ولقد حذر الإسلام من أكل مال اليتيم أو عدم إعطائهم حقوقهم وكذلك من محاولة تعرضهم للإساءة من جانب الآخرين: قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

سورة النساء الآية (١٠)

ولقد أكد الإسلام على ضرورة توفير الاحتياجات الضرورية لهم من مأكّل وملبس وإيواء، قال تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ لَّا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾

سورة الفجر، الآيات ١٧، ١٨.

وعن الاهتمام باليتيم وردت رسالة القارىء محمد محمود العطار من كفر الشيخ يقول فيها:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُمْ فَأَخَذْنَاهُمْ﴾

سورة البقرة الآية (٢٢٠)

حقاً لقد اهتم الإسلام باليتامى حيث كفل لليتامى نصيباً من الميراث ليحافظ على حياتهم الدنيوية وحث على حسن معاملتهم بحيث تكون المعاملة كريمة وتحافظ على كرامتهم وإنسانيتهم ولقد روى عن عبد الله بن المبارك عن النبى - ﷺ - أنه قال «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وأشار



من ابداعان القراء :

شهيد الأقصى

بقلم / متولى بصل

فلا تبكى
إذا ما مت يا أمى
بل ابتهجى
فموتى لن يكون هباء

فإنى
وهبت للقدس الشريف دمي
وسوف أكون
للأقصى الحبيب فداء

أموت أنا
لكى تحيا انتفاضتنا
أهون أنا
ولا تذهب كرامتنا
أموت أنا
لتصعد فى سماء القدس رايتنا
وتبقى راية التوحيد فى العلياء

تدنسها عصابات
من الجبناء

مساجدها محرقة
مآذنها محطمة
تهدمها يد الأعداء

وإخوانى وأهلى
فى شوارعها
هم الجرعى
هم القتلى
هم الأشلاء

ودور القدس قد صارت مهدمة
وتحت حطامها جثث
ونهر دماء

دعانى الموت يا أمى
فلا تبكى
فإن الموت مكتوب
على الأحياء

وإن أبصرت جثمانى
فضمىنى
وصلى وافرحى إنى
مع الشهداء

وإن قالوا غدا عنى
شهيد المسجد الأقصى
فقولى
ليت لى عشرًا من الأبناء

فإن القدس يا أمى
محاصرة

شعر / جابر عبد العليم مصطفى

نحية إلى شعب فلسطين

يا أيها الشعبُ الأبيُّ تحيَّةُ **
ولكلُّ أمٍّ قد تمزَّقَ قلبُها **
ولأهل جينين الكرام تحيَّةُ **
ماذا أقول لوصف شعب صامد **
حملوا الحجارة فى أكفٍ آيَّةُ. **
يا أمِ دُرَّة والحياة مريرة **
لا تحزنى فدماء دُرَّة قد زكت **
ولكل طفلٍ فى الخليل سلام
ولكل شيخ فى العذاب يسام
ولكل من حرم الأمان وسام
أنشى وطفل كلهم ضرغام
تشوى الوجوه كأنها ألغام
بئس الحياة يعمها الإظلام
وتعطرت أرض بها ورغام





للأستاذ / محمد الشرقاوى

حماس تتوعد بالانتقام لمقتل صانع الاستشهاديين

القائد المهندس «مهند الطاهر» و«عماد دروزة» اللذين رفضا تسليم نفسيهما للقوات الصهيونية وأصرّا على مواصلة الجهاد حتى الرمح الأخير.

وأكد البيان أن كتائب القسام أودعت خبرات مجاهديها وما توصلت إليه عقولهم لدى الآلاف من المخلصين والشهداء الأحياء حتى تستمر مسيرة المقاومة والجهاد ويندحر الغزاة.

يذكر أن «مهند الطاهر» المهندس الرابع فى كتائب القسام بعد المهندس «يحيى عياش»، «عادل عوض الله»، «محمود أبو الهنود» وهو من مواليد ١٩٧٦م كما أنه كان طالبا بجامعة النجاح فى نابلس وزميلا للاستشهادى «محمد نزار» صاحب عملية القدس الأخيرة.

توعدت المقاومة الإسلامية «حماس» الكيان الصهيونى وآلته العسكرية بالثأر لمقتل المهندس «مهند الطاهر» القائد العسكرى لكتائب عزالدين القسام الجناح العسكرى لحركة حماس فى نابلس والملقب بصانع الاستشهاديين فى الوقت الذى أشادت فيه دولة الكيان بمقتل الطاهر واعتبرته انتصارا كبيرا بعد أن قالت إنه وجماعته مسئولون عن مقتل أكثر من (١١٧) صهيونيا فى سلسلة تفجيرات كان أهمها العملية الاستشهادية الأخيرة فى ١٨ يونيو الماضى بالقدس المحتلة التى أدت إلى مقتل ما يزيد على ١٩ قتيلا وإصابة ٥٠ آخرين، وأكدت كتائب عزالدين القسام فى بيان لها أنها ترف الشهيد

سكان جزر «فانواتو» منسيون

من العالم الإسلامي

جزر «فانواتو» تقع في المحيط الهادى قرب «استراليا» وفيها عدد من المسلمين وقد قام مدير مكتب رابطة العالم الإسلامى فى استراليا بزيارة لجزر «فانواتو» بشرق آسيا والتقى برئيس وأعضاء الجمعية الإسلامية فى العاصمة «بورت فيلا» بحث معهم نشاطات الجمعية فى المرحلة القادمة فى مجال نشر الدعوة الإسلامية لكى تشمل باقى جزر «فانواتو» إضافة إلى مناقشة إنشاء مسجد للمسلمين فى مقر جامعة جنوب الهادى فى العاصمة وتزويد الجامعة بالمراجع الإسلامية فى القانون والفقه الإسلامى وتخصيص منح دراسية لعدد من أبناء الجزر.

ومما يذكر أن «فانواتو» بلد مكون من (٨٠) جزيرة تقع فى جنوب غرب المحيط الهادى ومساحتها (١٢,٢٠٠) كيلو متر مربع وأكبر الجزر فيها هى: «اسبوتيو»، «سانتو»، «مالا كيولا»، «اينيت» وعدد سكانها خمسة عشر ألف نسمة وحكمت إنجلترا بالاشتراك مع فرنسا تلك الجزر من عام (١٩٠٦) إلى سنة (١٩٨٠) حيث نالت استقلالها.

ودخل الإسلام الجزر بعد أن اختارت الكنيسة الكاثوليكية رجلا من السكان الأصليين من الجزيرة يدعى «نابانا» وأوفدته إلى الهند لتعلم الديانة المسيحية وبدلا من تعلمها هداه الله إلى الإسلام واعتنقه وعاد إلى العاصمة وقام بتأسيس مركز للدعوة الإسلامية بدعم من ماليزيا وبعد وفاته تولى

أبنائه مهمة الدعوة الإسلامية وأسسوا أول جمعية إسلامية فى العاصمة «بورت فيلا» وتسجيلها لدى السلطات الحكومية وبلغ عدد المسلمين حاليا حوالى ثلاثمائة أسرة يتركز خمسون منها فى العاصمة والبقية ينتشرون فى جزيرة «ناتالا».

مسلمات هولندا يدعمن الانتفاضة بالذهب

تشهد حملات جمع التبرعات لدعم الانتفاضة ومساندة الشعب الفلسطينى انتعاشا ظاهرا بين مسلمى هولندا وخاصة بين النساء اللاتى تبرع العديد منهن بحليهن الذهبية بينما لم تجد أخريات سوى اقتطاع جزء من مصروف البيت لتقديم العون للفلسطينيات اللاتى يعانين تحت الاحتلال الإسرائيلى، فقد جمعت مجموعة من عضوات إحدى الجمعيات الإسلامية فى هولندا تسعة آلاف يورو لصالح الانتفاضة الفلسطينية بينما تمكنت مجموعة صغيرة أخرى من الطالبات المسلمات من جمع مبلغ ثلاثة آلاف يورو.

وتواصل مجموعة ثالثة من الطلبة المسلمين فى الجامعات الهولندية نشاطا خيريا طيلة الأشهر الماضية لجمع تبرعات لأبناء الشهداء الفلسطينيين فى إطار صندوق دعم مالى أطلق عليه اسم «صندوق أيتام فلسطين».

ومن جهة أخرى تواصل العديد من الجمعيات والمؤسسات الثقافية والاجتماعية التابعة للأقلية المسلمة فى هولندا تنظيم مظاهرات شعبية للتضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطينى ومقاومته للاحتلال الإسرائيلى.



السلطات اليونانية تنتهك حقوق المسلمين

استبدال عدد من المسلمين المقيمين في « تراقيا الغربية » بالأقلية اليونانية المسيحية المقيمة في استانبول بتركيا وتنص اتفاقية « أثينا » الموقعة سنة ١٩١٣ على أن الأقلية التركية المسلمة هي التي تنتخب زعماءها الدينيين - رجال الإفتاء - غير أن السلطات اليونانية تتجاهل التزاماتها الدولية بموجب هذه الاتفاقية تجاه الأقلية المسلمة وتنتهك حقوقها انتهاكا كاملا وبصفة مستمرة .

إذ لا تعترف الحكومة اليونانية بالمؤسسات الإسلامية التي يختارها المسلمون في « تراقيا الغربية » وحسب التقرير الذي أوردته وكالة الأنباء الإسلامية فقد أصدرت الحكومة اليونانية قانونا يحرم المسلمين من حقهم في انتخاب أى مسئول أو ممثل لهم وماتزال السلطات القضائية اليونانية تصر على الحكم الذى قضى بسجن مفتى « اكسانتى » المنتخب السيد / محمد أمين أغا وفقدت الأقلية المسلمة حقها فى إدارة الأوقاف التى يديرها الآن أشخاص تعينهم السلطات اليونانية وعينت السلطات اليونانية مجموعة من الأشخاص فى مجلس إدارة شؤون الأوقاف فى « كومتين » .

تبحث مؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامى قضية الأقلية المسلمة باليونان ضمن قضايا الجماعات والأقليات المسلمة فى الدول غير الأعضاء التى تتعرض فيها حقوق الجماعات والأقليات المسلمة للانتهاك باستمرار وفى هذا الصدد صادقت المؤتمرات الإسلامية على قرارات تهدف إلى احترام الحقوق المدنية والدينية للأقلية المسلمة فى « تراقيا » الغربية وتنظم اتفاقية « لوزان » التى وقعت بين تركيا واليونان عام ١٩٢٣ العلاقة بين السلطات اليونانية والأقلية المسلمة هناك وقد نصت هذه الاتفاقية خاصة المادة (٤٠) على حق المسلمين هناك فى استخدام لغتهم التركية وممارسة شعائر دينهم واختيار ممثلهم فى الشؤون الدينية والوظائف العامة بكل قرية، كما نصت الاتفاقيات على استثمار أموال الأقلية المسلمة بما يخدم مصالحهم دون أية ضغوط أو قيود وعلى إمكانية تبادل السكان بين البلدين وبالفعل تم

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

وأيضاً قامت الإدارة بإصدار كتاب « الأخلاق فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية » لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر . وتوالى الإدارة عملها فى طبع أمهات الكتب لكبار العلماء .

رياض الصالحين

● قامت الإدارة العامة للمطبوعات بإصدار الجزء الرابع من كتاب « شرح رياض الصالحين » شرح وتحقيق فضيلة المرحوم الشيخ / الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق .

المفقود ميت بعد مضي سنة ميلادية

من تاريخ فقده

رأت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٤ من ربيع الأول ١٤٢٣هـ - ٢٦ من مايو ٢٠٠٢ .

بالنسبة لكتاب السيد / محمد محمد جويلي - رئيس لجنة الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب إلى فضيلة المفتي بشأن اقتراح بتعديل المادة (٢١) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩م والخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية والمعدل بالقانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٩٢م باعتبار المفقود ميتا بعد مضي سنة ميلادية من تاريخ فقده رأته اللجنة :

أنه لا مانع من تعديل الفقرة الثانية من المادة (٢١) من القانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٢٩م الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية والمعدلة بالقانون رقم (٣٣) لسنة ١٩٩٢م وذلك بإضافة عبارة « الحوادث الجسيمة التي يغلب فيها الهلاك » بحيثية يصبح نص المادة كالآتي :

« يحكم بموت المفقود بعد مضي سنة من تاريخ فقده في حالة ما إذا ثبت أنه كان على ظهر سفينة غرقت، أو كان في طائرة سقطت، أو في حالات الحوادث الجسيمة التي يغلب فيها هلاكه، أو كان من أفراد القوات المسلحة وفقد أثناء العمليات الحربية » .

وقد استندت اللجنة في الموافقة على مدة السنة على أساس أن الحكم الاجتهادي الذي يقضى باعتبار المفقود ميتا بعد مضي أربع سنين من فقده كان مستندا للظروف والحالات الموجودة

في العصر الذي صدر فيه هذا الاجتهاد دون نص قطعي أو ظني بهذا التحديد . . ونظرا لتغير الظروف والأحوال ووسائل الاتصالات والمعرفة فإنه لا مانع من مواءمة ما استجد من هذه الظروف وتغيير الاجتهاد بتغيير الزمان وما استجد فيه وذلك أمر مقرر شرعا . . وهو مراعاة الظروف والمستجدات .

وأخيراً حظريع وتداول وشرب الخمر

في مصر

عقدت لجنة البحوث الفقهية بالمجمع جلستها في ٢١ من ربيع الأول ١٤٢٣ الموافق ٢ من يونيه ٢٠٠٢م، والخاصة بالكتاب الوارد من السيد الأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب إلى فضيلة المفتي بشأن اقتراح قانون مقدم من عضو المجلس حسين أحمد إبراهيم بشأن تعديل أحكام القانون رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٦ بحظر شرب الخمر .

رأت اللجنة :-

- بعد دراسة هذا المشروع أن الشريعة الإسلامية تحرم بأدلة قطعية الثبوت والدلالة تناول الخمر ولذلك :

فباللجنة تطلب من مجلس الشعب الموافقة على ما اقترحه مشروع القانون بتحريم وحظر شرب الخمر وبيعها وشرائها وفتح محلات لبيعها وتداولها أما تفصيلات العقوبات وغيرها مما ورد بمشروع القانون فتشكل لجنة من أعضاء مجلس الشعب، ورجال القانون، وبعض أعضاء مجمع البحوث الإسلامية لتحديد العقوبات وما يتعلق بذلك .

والحكم والمناقشة على رسائل الماجستير والدكتوراة.

(٦) تكون لجنة للتقييم والتطوير على مستوى الجامعة لنفس الغرض على أن يمثل فيها مجمع البحوث الإسلامية بعضوين.

الرد على المزاعم والمفتريات التي يتعرض لها الإسلام

عقدت لجنة التعريف بالإسلام بمجمع البحوث الإسلامية جلسة بتاريخ ٢٨ من ربيع الأول ١٤٢٣ هـ - ٩/٦/٢٠٠٢ م لمناقشة كلمة الأستاذ الدكتور أسامة الباز مستشار السيد رئيس الجمهورية للشئون السياسية أمام مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني عشر والتي حدد فيها المخاطر التي تواجه الإسلام من خصومة في الوقت الحاضر وقد أوصت اللجنة بما يلي :-

أن يستعرض كل ما صدر عن مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ويؤخذ منه ما يرد على هذه النقاط، كذلك مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وجمع ذلك كله في كتيب، ثم يترجم باللغات العالمية ويقدم من الأزهر الشريف كهدايا لدول الغرب وهيئاته المختلفة ويوضع عدد من هذه الترجمات لدى الملحقين الثقافيين في السفارات وتشر متتالية بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة وعلى رأسها «الإنترنت» على موقع الأزهر الشريف.

لأن هذا سوف يبرز للأجانب حقيقة الإسلام وسماحته.

التعاون بين مجمع البحوث الإسلامية والجامعة

أوصت لجنة التعاون بين المجمع والجامعة في جلستها المنعقدة بتاريخ ٧ من ربيع الأول ١٤٢٣ هـ - ١٩ من مايو ٢٠٠٢ م عند مناقشتها للمادة (١٥) من القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ بشأن علاقة المجمع بالجامعة بالآتي:

(١) يضم إلى لجنة الدراسات العليا بكل كلية عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بداخل الكلية وفي الكلية التي ليس بها عضو من أعضاء المجمع يتم اختيار أحد أعضاء المجمع ليمثل المجمع في هذه اللجنة.

(٢) مهمة اللجنة وضع خطة للدراسات العليا واختيار الموضوعات التي يسجل فيها رسائل الماجستير أو الدكتوراه.

(٣) في حالة تعدد الكليات المناظرة في الجامعة يكون مقر اللجنة وتشكيلها من اختصاص أقدم الكليات وتكون قراراتها ملزمة لجميع الكليات.

(٤) يضم عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية من داخل كل كلية إلى مجلس كل الكليات الإسلامية والعربية وسائر الكليات المتخصصة في العلوم الشرعية، وفي حالة خلو الكلية من أحد أعضاء مجمع البحوث يتم اختيار عضو من بين أعضاء المجمع يكون ذا صلة وثيقة بتخصص الكلية المراد ضمه إلى أعضاء مجلسها.

(٥) يضم عضو من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية حسب التخصص في لجان الإشراف

أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر فى الجزائر

● بدعوة شخصية من السيد الرئيس / عبدالعزيز بوتفليقة رئيس جمهورية الجزائر الشعبية الديمقراطية لفضيلة الإمام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف لزيارة الجزائر الشقيقة قام فضيلته بهذه الزيارة حيث شارك فى تكريم حفظة القرآن الكريم وتوزيع الجوائز على الفائزين فى هذه المسابقة مؤكداً على أن حفظ كتاب الله هو أول ما ينبغى الحفاظ عليه وأول ما يعطى لحفظته الجوائز القيمة المجزية للطلاب وللمحفظ أيضاً حتى يكون هناك التنافس على حفظ وتعليم كتاب الله - عز وجل - وتعليم القرآن الكريم منذ الصغر يقوم اللسان ويزكى النفس ويطهر القلب، وتعليم أحكام القراءة من الأمور الهامة حتى تكون القراءة صحيحة وتؤتى ثمارها الطيبة .

كما شارك فضيلته فى الندوات التى نظمتها وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجزائر وقد استقبل فضيلته السيد الرئيس الجزائرى وناقش معه سبل توحيد الصف والتضامن بين جميع القيادات لتجاوز الأزمة التى تعيشها الجزائر،

ودفعها نحو التقدم مشدداً على ضرورة الابتعاد عن العنف موضحاً بأنه لا فرق بين الأحزاب سواء أكانت تحسب على التيار الإسلامى أو غير باعتبار أن الأهم والمطلوب هو أن يعمل الجميع على خدمة البلاد ومصالح الأمة كما بحث فضيلته مع سيادة الرئيس الجزائرى القضية الفلسطينية وضرورة توحيد الصف العربى والإسلامى لدفع القضية لتحقيق السلام، حتى يحصل إخواننا فى فلسطين على حقوقهم المشروعة، كما تم بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الجزائر الشقيقة فى النواحي الدينية والثقافية والعلمية والتعليمية وأعلن فضيلته أن الأزهر على استعداد تام لاستقبال أعداد كبيرة من الأئمة والوعاظ والعلماء من دولة الجزائر لحضور الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر ويشرف عليها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، وقد استقبل الأزهر الشريف علماء من الجزائر فى دورات سابقة، كما استقبل فضيلته أيضاً السيد / على بن فليس رئيس وزراء الجزائر وأشاد بالدور الفعال والإيجابى الذى يقوم به الأزهر الشريف فى نشر قيم الإسلام الحقيقية والصحيحة المبنية على



التي دارت حول معاملات البنوك موضحا الفرق بين الوديعة والقرض والاستثمار والصور المتعددة للتعاملات البنكية من الناحية الشرعية والأحكام المتعلقة بشأنها، كما أجاب فضيلته على أسئلة حول عمل المرأة وتوليها المناصب وأعمال القضاء.

وفي نهاية اللقاء شكر السادة القضاة العسكريين فضيلته عن المعلومات القيمة التي حصلوا عليها والمعرفة الحقيقية من منابعها الأصلية.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس المجلس الإسلامي بجنوب تايلاند

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ / عبدالرحمن عبدالصمد رئيس المجلس الإسلامي ورئيس جمعية الإيمان الخيرية ومدير مدرسة دار القرآن الكريم في ولاية ناراثيوان جنوب تايلاند والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف معربا لهم بأن الأزهر الشريف دائما في خدمة أبناء المسلمين وطلاب العلم في شتى بقاع الأرض، ويقدم لهم العون والمساعدة والخبرات في مجال التعليم الديني وهي رسالة الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام، يرسل العلماء والدعاة إلى كل الدنيا لينشر دين الله في الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة ويبين ويوضح سماحة الإسلام ويسره ووسطيته عن طريق التعليم في المعاهد الأزهرية الدينية، وعن طريق خطبة الجمعة بالمساجد وعن طريق الدروس الدينية والندوات في المحافل وفي المناسبات المختلفة.

التسامح والوسطية، ونبذ العنف والعصبية، وطلب تنسيق الجهود للتصدي للمناورات التي تهدف إلى المساس بالإسلام والمسلمين، حتى تتضح وتظهر الصورة الطيبة الحسنة للإسلام.

الإمام الأكبر يستقبل وفد القضاء العسكري

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاء العسكري برئاسة السيد المستشار أحمد صبرى المستشار بالمركز القومي للدراسات القضائية، حيث قام فضيلته بشرح وتوضيح وتعريف القضاء للدورة الحادية والأربعين للقضاء العسكري، وقال: إن القضاء من الأعمال السامية التي وضعها الله - عز وجل - في أعناق الصفوة من عباده لإحقاق الحق وإعلاء شأنه وإبطال الباطل وبين أن مهمة القاضى هى الفصل بين الناس بالحق، وهى الحكم العادل بين الناس حتى يأخذ كل ذى حق حقه فيأمن الناس على أنفسهم وعلى أموالهم فيعيشون فى أمان وفى اطمئنان وبذلك يتفرغون للعمل والإنتاج، وحين يشيع الأمن والأمان والاطمئنان بين الناس يسعد الأفراد وتسعد الأمم وترقى وتنهض والحكم العادل ينبع من ضمير القاضى قبل أن ينبع من القوانين واللوائح، لأنه بخبرته يستطيع إلى جانب الأدلة أن يميز بين الحق وبين الباطل، بين العدل وبين الظلم، والقاضى حينما يحكم بين الناس إنما يضع الأمور فى مكانها الصحيح بضمير القاضى ولا يخشى أحدا إلا الله - عز وجل - وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد



وأعرب عن تقديره لمواقف الأزهر وشيخة المشرفة تجاه القضايا التي تحدث على الساحة، ويشارك فيها الأزهر بفاعلية واقتدار، وأوضح سيادته أن هناك العديد من القضايا الخليجية التي يتبناها المركز العربي للدراسات لوضع الحلول الاستراتيجية لها من أجل دفع عجلة التنمية بالدول الخليجية، مشيراً إلى أن المركز عبارة عن مؤسسة علمية مستقلة تم تأسيسها عام ١٩٩٥ بهدف دراسة القضايا الاستراتيجية التي تتصل بواقع المنطقة العربية ومستقبلها على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويساهم المركز في إحياء التراث العربي والإسلامي وإظهار ملامح الشخصية العربية، ووضع استراتيجيات وسياسات تنمية لصالح المنطقة العربية، كما أوضح الضيف بأن المركز الرئيسى مقره بالجمهورية العربية السورية ويتبعه مراكز فى القاهرة والجمهورية اليمنية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

وقد رحب فضيلته بكل الأنشطة التي تهدف إلى توثيق التعاون الإسلامى العربى من أجل خدمة المسلمين فى شتى أنحاء العالم مشيراً إلى أن الإسلام حث على العمل البناء الذى يهدف إلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ليعيش المجتمع الدولى فى أمان وسلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / السيد عبدالله عبدالرشيد عمدة محافظ شينجيانج الإسلامية بجمهورية الصين الشعبية والوفد المرافق له، وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر والأزهر الشريف

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة وأبلغه تحيات المسلمين التي تبلغ نسبتهم فى جنوب تايلاند ٨٠٪ من إجمالى المسلمين البالغ عددهم ١٠ ملايين مسلم وتعيش تلك النسبة فى ثلاثة ولايات فى جنوب تايلاند وهى ولايات: ناراتىوات وولاية فطانى وولاية جالا، والمجالس الإسلامية هى التي تقوم بتنظيم أحوال المسلمين، والأحوال الشخصية، كما تشرف على المساجد حيث توجد فى ولاية ناراتىوات ٥٨٢ مسجداً، وفى ولاية فطانى ٦٣٠ مسجداً، وفى ولاية جالا ٤٢٠ مسجداً، وعدد المدارس الإسلامية الأهلية ٢٦٥ مدرسة، وطلب الضيف تخصيص عدد من المنح الدراسية السنوية من الأزهر الشريف لأبناء المسلمين فى جنوب تايلاند للدراسة بالأزهر الشريف، كما طلب استمرار التعاون مع المجالس الإسلامية فى جنوب تايلاند فى الدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر لعلماء وأئمة ووعاظ العالم الإسلامى كل ثلاثة أشهر، وقد وعد فضيلته بتلبية طلباتهم على أن يتم تقديم هذه الطلبات عن طريق السفارة المصرية وبالطرق الدبلوماسية.

الإمام الأكبر:

الإسلام حث على العمل البناء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / على ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن السابق والرئيس الحالى للمركز العربى للدراسات الاستراتيجية، حيث أكد الضيف على أهمية دور الأزهر الشريف فى المنطقة العربية، والإسلامية بل العالم أجمع،

الإمام الأكبر يستقبل المفوض السامي للأمم المتحدة

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / رود لوبرز المفوض السامي للأمم المتحدة لشئون اللاجئين يرافقه الفنان / عادل إمام سفير النوايا الحسنة للمفوضية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالوفد مؤكداً على أن معاونته المحتاجين ورعاية حقوقهم أمر أقره الإسلام والقرآن الكريم بين لنا على أن الناس جميعاً خلقوا من أب واحد وأم واحدة وهي حقيقة ثابتة.

وأولى الناس بهذا التعاون وتقديم العون لهم هم اللاجئين لأنهم جماعة من الرجال أو النساء أو الأطفال أخرجوا من ديارهم بغير حق، ويجب على الإنسانية جميعاً أن تتكاتف من أجل تقديم ضروريات الحياة لهؤلاء اللاجئين حتى يعيشوا كغيرهم، وهي مسئولية رئيسية لمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وأن عمل المفوضية السامية لشئون اللاجئين هي مسئولية سامية والأزهر الشريف يؤيدها كل التأييد، وقد أشاد رئيس الوفد بهذا اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والكلمات الطيبة الحكيمة التي سمعها الوفد، وأنه والوفد يقدر هذه الكلمات، وأوضح أن هدف المفوضية منذ إنشائها هي مسئوليتها عن اللاجئين في فلسطين، ولبنان، والأردن وسوريا، والاتفاق على أن يكون لكل شعب وطن يعيش فيه، ويدل على هذا انتهاء عهد الاستعمار، وأن

شارحا لهم نظام التعليم في الأزهر الشريف وجامعته العريقة مشيراً إلى أن أبناء الصين الذين يتلقون العلم في الأزهر على منح دراسية يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية ويصل عددهم إلى ١٠٨ طلاب وقال فضيلته إن الأزهر على استعداد لاستقبال أعداد أخرى من أبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف ورحب فضيلته باستقبال عدد من أئمة ووعاظ وعلماء الصين للدراسة بالدورات التدريبية التي ينظمها الأزهر كل ثلاثة أشهر، إضافة إلى الذين حضروا هذه الدورات.

شكر الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء موضحاً بأن الصين بها قوميات كثيرة، وأن محافظة شينجيانج يبلغ عدد سكانها ١٨ مليون نسمة منهم ٦٠٪ من أبناء الأقليات القومية، وأن عدد سكان المقاطعة من المسلمين ١٠ ملايين نسمة يتمتعون بالحرية الكاملة، في إقامة شعائهم الدينية طبقاً للقانون الصيني، كما أن بالصين ٢٤ ألف مسجد وأكثر من ٣٤ ألفاً من رجال الدين الإسلامي ورجال الدين في شينجيانج تلقوا العلم بالمعهد الإسلامي في المحافظة وفي بكين العاصمة، وهناك الكثير من أبناء الصين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف إلى جانب إخوانهم المصريين، وقال: إنه جاء لزيارة الأزهر الشريف لتوطيد التعاون وتطوير العلاقات وزيادة المعرفة المتبادلة وتوسيع مجالات التعاون بين مصر ومنطقة شينجيانج ذات الحكم الذاتي.



وقال: إنه عمل إنساني طيب وعظيم ويجب أن نتعاون جميعا لمعاونة هؤلاء وطالب فضيلته كل مسلم قادر أن يقدم العون لهم، لأن الدين الإسلامى يعتبر الناس جميعا إخوة، القوى يساعد الضعيف، والغنى يساعد الفقير والأزهر يتعاون فى إنجاح تلك المهمة الإنسانية السامية، وهى مهمة دينية وسياسية وقانونية واجتماعية.

الإمام الأكبر:

من لا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه

الأن يفجر نفسه فهو شهيد

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد الكتاب الصحفيين الأمريكيين والكنديين أعضاء المؤتمر الوطنى لكتاب الصحفيين الذين يمثلون أوسع الصحف انتشارا بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وعددهم ٢٥ فردا من لوس أنجلوس، شيكاغو، دالاس، ديترويت، تريبيون، أوتاوا، هارتفورت كاونت.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف مؤكدا على أن شعب مصر يعيش فى سلام وأمان ورضاء، وأنها كمسلمين ومسيحيين نعيش متساوين فى الحقوق والواجبات، ولكل إنسان الحرية فى اختيار عقيدته لأن العقائد لا إكراه عليها والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، ونحن نعلم أن الله أوجدنا من أصل واحد لتتعاون ونتعارف، والتطور العلمى الذى نعيشه الآن جعل العالم كله كقرية صغيرة ما يحدث فى الشمال يعرفه من فى الجنوب، وما يحدث فى الشرق يعرفه من

المفوضية تهتم بشئون حوالى ٢٢ مليون شخص، وإيجاد الحلول لهم للعودة إلى بلادهم، وأشاد بدور الإسلام الفعال وتعاليمه التى تسير عليها المفوضية فى مساعدة المحتاجين وتقديم العون لهم وحماية الأفراد ومساعدتهم للعودة لبلادهم ويعمل بالمفوضية، عدد كبير من المسلمين، ونأمل أن يكون للمفوضية دور أكبر لخدمة الإسلام والمسلمين، ونحن نؤمن بأن الإسلام والدين الإسلامى يجب أن يساعدنا للاهتمام بما نقوم به، وعلى الجميع أن يتعاونوا لتحقيق الأهداف المشتركة لخدمة اللاجئيين وحققهم فى العودة لوطنهم، ونطلب من الأزهر وشيخه الجليل أن يدعوا لنا للمضى فى تحقيق أهدافنا ودعم جهودنا.

وأشاد الفنان عادل إمام بصفته مواطن مصرى بإعجابه بمواقف فضيلة الإمام الأكبر الإيجابية تجاه القضايا الإسلامية، أما بصفته سفيراً للنوايا الحسنة فأثناء زيارته لمعسكرات اللاجئيين فى جنوب اليمن ومشاهدته لما يلاقيه هؤلاء المواطنين من صعوبات وقسوة رغم منحهم قطعة أرض من الحكومة اليمنية يعيشون عليها إلا أنهم فى حاجة ماسة إلى التعليم والرعاية الصحية، وتوفير سبل المعيشة الكريمة، وهناك المساعدات المالية من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وفرنسا وبعض الدول الأوروبية ولكننا نرجو من فضيلة شيخ الأزهر الإمام الأكبر حث الدول الإسلامية للمشاركة الفعالة حتى يعيش هؤلاء عيشة طيبة كريمة شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف والوفد والفنان عادل إمام على زيارتهم لتلك البلاد ومعاونتهم لهؤلاء اللاجئيين





الاقتصاد، والسياسية يتحدث عنها السياسيون وهكذا.

وحول سؤال عما إذا كانت قرارات المسؤولين السياسية تتعارض مع الدين، قال فضيلته: إن الدولة حينما تضع أى قرار فإنه يتم عرضه على جهة الاختصاص لتقول رأيها فيه، فمثلا حينما طرح قانون الخلع عرض على الأزهر الشريف لدراسته، ثم بعد ذلك صدر القانون، وحول سؤال عن الذين يفجرون أنفسهم ويقولون بأنهم شهداء؟ قال فضيلته: إن من يدافع عن نفسه وأرضه المغتصبة وعن ماله وعن عرضه وحريته ولا يجد وسيلة يدافع بها عن نفسه إلا أن يفجر نفسه فى المعتدى فإنه شهيد فى الإسلام، أما الذى لا تقبله ولا نرضاه شرعا ولا خلقا أن يفجر نفسه فى الآمنين الذين لا صلة لهم بالحرب ولا بالعدوان.

وشرح فضيلته الفرق بين الجهاد فى الإسلام والإرهاب قائلا: إنه كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد فى الإسلام شرعه الله - عز وجل - للإنسان للدفاع عن نفسه وعرضه وأرضه وماله وحقوقه التى أعطاهها الله له، أما الإرهاب: فهو عدوان سافر على النفس والعرض والأرض والمال وعلى الآمنين، واغتصاب حقوق الغير، وحول سؤال عن مساعدة أسر الذين يفجرون أنفسهم أوضح فضيلته بأن هذه ناحية إنسانية، والشرائع السماوية والقانونية الوصفية، تؤكد ذلك والتسامح مطلوب لأنه ربما يأتى بنتائج أفضل، أما التسامح الذى يزيد العدو فجورا، وعدوانا، فهنا لا يحق التسامح بل يجب أن يعاقب.

فى الغرب فى ثوان معدودة، والتعاون والتعارف ينفع الجميع، ويشعر الناس بالراحة والطمأنينة، أما الحروب فكلها دمار وخراب، والأديان السماوية جميعها تدعوا إلى السلام، والقرآن الكريم يعتبر الاعتداء على النفس الواحدة كأنه اعتداء على الإنسانية كلها، والله أوجدنا لنعمر الأرض لا لنخربها، ولكل دولة حضارتها، والحضارات كأموج البحر تنمو وتزدهر فى الدولة التى يكثر فيها عدد العقلاء، والعلماء، وتضمحل وتتلشى الدولة التى يكثر فيها عدد الجهلاء. والحضارات عند العقلاء لا تتصارع وإنما تتعاون وتتآزر، والقوة عند أهل الحق والعدل تستخدم فى نصرة المظلوم ونصرة الحق والعدل، وعند أهل الغدر والظلم تستخدم فى التخريب وفى قتل الأبرياء وفى كل ما نهى الله عنه، والأديان السماوية ترحب بكل قوة عاقلة عادلة، حتى يأخذ كل ذى حق حقه وترد الظالم حتى يندحر، وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول رأى الدين الإسلامى فى تعذيب الأسرى والسجناء، قال فضيلته: إن الدين الإسلامى أمرنا بإكرام الأسير وعدم الاعتداء عليه بل يجب أن يقدم له كل ما هو فى حاجة إليه من ضروريات الحياة وأن يعامله معاملة حسنة.

وحول سؤال عما إذا كان هناك فصل بين الدين والدولة والسياسة وهل يؤثر ذلك على المجتمع، أوضح فضيلته، بأن هناك ما يسمى بالتخصص فكل إنسان يتكلم فى تخصصه، فالجوانب الدينية يتحدث عنها أهل الدين، والجوانب الاقتصادية يتحدث عنها أهل



between any of them and believe in their Books. This is considered by Allah as the basis of belief in order to make it a global religion. He, the Al-Mighty, says :

Say (O Muslims), "We have believed in Allah, and whatever has been sent down to us, and whatever was sent down to Ibrahim, and Ismai'l, and Ishaq and Ya'qub and the Grandsons, and whatever was brought down to Musa and Isa, and whatever was brought to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we are Muslims". [Al-Baqarah (The Cow):136]

No one can deny, after this clarification, that this religious basis which Islam came with is an organic structure calls for embracing one religion and brotherhood among religions. No doubt that this is a glorious far beyond miracle matter and that it will put Islam in its intended position; the religion sent down to all people.



corrupted by misleading instructions. This nature, free from any blemish including illusion, imitation, love and education, is Islam itself,

This situation needs a guiding standard since people differ in natural instincts and genetic features ; careful and hasty, far-sighted and short-sighted, knowledgeable and ignorant and etc,... So it was necessary to resort to a standard agreed upon by all people, namely, reason. Since the existence of reason is crucial for obligations and its being the element of differentiation between right and wrong, it has to be up to this grave task. So, Allah, the True, urged us to complete and perfect it through mediating in His creation to be able to face whatever emerges and be able to recognize wrong in its all different forms.

The combination of the modified nature and the perfect intellect is the religious basis to which the last Prophet, Muhammad, is sent in order to establish and disseminate among nations; to embrace one religion and creed as they are in their humanity, nature and intellect.

The English professor, Beckon, the founder of the scientific constitution, succeeded – three centuries ago – in unifying science all over the world through basing it not only on observation, experiment, analysis and construction but also through getting rid of all opinions and suppositions from its material. So, if Beckon deserves the world admiration, Islam deserves respect and admiration more than what can be imagined for its revelation to the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, with this religious constitution.

Since Islam aims at unifying nations for a new period for humanity, its principles of belief depended on this comprehensive standard; Islam ordered those who apply it to believe in all the messengers of Allah, not to differentiate



them, being inequitable among themselves. And whosoever disbelieves in the signs of Allah, then surely Allah is swift at the reckoning. [Al-Imran (The Household of Imran) : 19]

Is it possible that the cosmic science is the same everywhere; its principles are identical all over the world, and that religion, concerning its principles, has different aspects contradicting and encroaching upon each other? Islam's guaranty for eternity depends on two matters: The human nature and the perfect authority of intellect. All people share the common requisites of nature; what man sees by nature as good is seen by all people as good and vice versa unless nature is being corrupted by the parents and educators. So, Islam stipulated that nature should remain free from any blemishes deviate it from the prescribed way.

As for the perfect authority of intellect that can't be dispossessed of by any authority on earth, it is a blessing and gift from Allah. The previous religions tried, for generations, to efface it ; they severely punished whoever tried to use and resort to it. However, Allah guarded it against these wrongful forces aiming at fighting it. Allah, glory be to Him, kept its essence clear and free from any harm and it is regarded today as the element of differentiation between good and bad applied all over the world. Islam dependence on these two matters is similar to that of the building depending on two pillars as Allah, the Al-Mighty, says:

So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind. There is no exchange for the creation of Allah. That is the most upright religion, but most of mankind do not know. [Ar-Rum (The Romans):30].

Allah, the Creator, states to people that religion is what souls originated upon of the Divine nature provided that it is not





Islam's Mission In The World
By the great scholar: M. F. Wajdy.

People have lived, for a long period, in opposing factions and contradicting principles. The human mind was still naïve as it regarded this factionalism and contradiction as two strong factors to widen the human division. Moreover, people regarded religions as motives to continue this dispute until the means of communication among people were established that led to a vital need to exchange benefits. As a result, unprecedented feeling among nations emerged; the necessity of establishing a connection between them aiming at solidarity in life to perform integrity and perfection in great as well as simple needs.

Allah, glory be to Him, wanted – during this period – to turn this imaginary feeling into reality. So, He legislated Islam and ordered it to be disseminated all over the world. All nations had been urged to believe that religions are all fake and false except their own. So, it was impossible for all nations to embrace one religion. This was regarded as a rational impossibility. How did Islam solve this dilemma regarding the area of reason and logic? This is considered to be a miracle by a religion declares that it is the last Heavenly religion and the comprehensive religion to all humanity. After its signs and evidence being clarified in souls and everywhere, it will be the only religion that has no equal.

In its principles of belief, Islam declares that it is the first religion revealed to Noah and messengers following him. If people see different religions before them, concerning these principles, the reason behind this is their being distorted. Allah says:

Surely the religion in the Providence of Allah is Islam; and in no way did the ones to whom the Book was brought differ (among themselves) except after the knowledge came to





operations, for many years, from dealing in drugs. The United states of America is not far from violating human rights as happening in many places all over the world.” He added that some of Washington’s closest allies do not support or advocate democracy.

Human rights, democracy, etc., are nothing but mere slogans to touch and attack Islam as well as weakening Muslims by all possible means. Imperialism is ready to destroy all its idols if this is the only way to weaken Islam. Islam is the only religion that discussed and respected the other ones. All that it demanded is the truth in their display of facts. If they displayed the facts and declared them in a right way, the problem would be over. Nevertheless, they hide and confound truth with untruth. So, we say to all the population of the Books as Allah, glory be to Him, says:

And do not confound the Truth with the untruth and do not keep back the Truth and you know (it). [Al-Baqarah (The Cow) :42 l.



Does the west or even the east remember Hoffman, a German Muslim? He held high posts before embracing Islam; an ambassador for Germany in Morocco, then a secretary for the *NATO*. After embracing and declaring Islam and publishing his book "*A German Muslim Memoirs*", Hoffman was degraded of all his ranks and totally forgotten.

The west aims, by all its actions, at nothing except destroying the Islamic Nations.

Dr. Mohamed Khalifa Hassan says: "The Islamic creed is considered to be one of the most important topics tackled by the orientalist as they directed most of their studies in search for means and factors to be developed to destroy and eliminate this creed and distort its principles. The west discovered, since the emergence of Islam and its dissemination all over the world, that it is considered as a threat to Christianity. The west, failed politically and military to overcome Muslims and to stop Islam's spread in the Christian countries, began to study the Islamic religion deeply to draw plans aiming at criticizing, abusing and distorting its image and to drive Muslims themselves to suspect their religion and creed. Moreover, the science of studying the Islamic creed began to develop as schools and methods were established. In addition, orientalism, religions comparing and orient-related Institutes in the western universities are nothing but an attack against Islam."

The west, in order to get rid of Islam, resorts to use media as a cover such as human rights, democracy or attacking drug dealers and confronting terrorism under which it can practice deceit and delusion. The west does not hesitate to resort to all the disgusting means or violate all principles to gain power over the other countries; always the Islamic east.

The Egyptian famous writer, Mohamed Hassanein Hekkal says: " *CIA* (*Central Intelligence Agency*) has funded its





as they imagined nor abuse Islam as they wished. However they exposed themselves and their hidden intentions.

Islam is void of fanaticism and we won't come with a proof from the first era of Islam as they hate most that Muslims be related, in thinking and method to this era so, they use every means to separate Muslims from this era.

The evidence on tolerance is magnificent in all the history of Islam today and yesterday. However, the evidence on fanaticism is hidden in the hearts of its enemies in their ancient and modern history. We won't narrate to them the story of the Jewish with our master, Umar Ibn Al-Khattab as he was an elderly man who used to beg the money of the tribute, so Umar ordered him to be relieved of the tribute. In addition to this, Umar assigned enough amount of money to be paid to him from the Muslims' public treasury.

Moreover, we won't mention how the population of the Books worked as doctors in the court of the Caliphs and as money-changers and treasurers in the public treasury while keeping to their religions without being asked even through persuasion to give up their religion in order to maintain their positions and ranks at the Caliphs. But we will state what they have done in the near past at Bosnia including tormenting and torturing the Muslims for nothing but being Muslims. The Serbian leader, Millosovich, being now accused as a criminal of war, did what he had done on public by the assistance of Europe and the United States. What happened to the famous French philosopher, Jarodi, after declaring being a Muslim? He was persecuted even he was presented before trials many times and sentenced to pay unbearable fines. In addition to this, publishing houses refused to deal with him after being enthusiastic of what he has been writing. Why? Due to his embracement of Islam.





*¹*Comments*

*on the words said by Dr. Ussama Al-baz.
By the dignified Sheikh : At-Taher Al-Hamidy.*

At the twelve conference of the Islamic Research Academy at Al-Azhar held from 3 to 4 Safar for the year 1433 A.H. corresponding to 16 to 17 April for the year 2002 A.D., Dr. Ussama Al-Baz, the political advisor of the Republic's President, made a serious, deep and clear speech deserves careful study and quiet mindful responses and working to disseminate it among Muslims themselves to make the truth evident for those who have eyes. He said: "One of the old and new features is that some circles are unceasing and continuing in an approach to discredit, degrade and distort the image of Islam. The center of those wrongful approaches is the west.

He mentioned that the reasons behind this phenomenon and its continuity are the following:

First: fanaticism and partiality against whatever is different from the west.

Second: their wrong or superficial understanding of Islam as well as their ignorance of its essence and instructions.

Third: Muslims' failure, on the theoretical and practical level, to provide a right image of their creed.

The first of these wrong allegations is that the Islam is a religion based on fanaticism and intolerance as it doesn't approve any other religion and divides people as believers and polytheists and classifies them as enemies can't be accepted or lived with. So, first of all, we would like to say that those who accuse Islam with fanaticism neither satisfy, honor themselves

¹ * An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.





Abyssinian constitution that he belonged to the dynasty of Sulayman.

This is a very compacted summary to what is mentioned by the researcher following the first narration and the matter left without commentary. Did he think that the fabricated story stands on an equal footing with the Qur'anic Text? If it is permissible to the writers of biographies about the kings of Abyssinia to devise illusions, is it lawful to consider the Qur'anic Text as a compilation doing right and wrong.

The researcher's book, fraught with frequent suspicions regarding the history of Yemen, shed a lot of ambiguity on the established facts. The Arabic sources may not assimilate this history in its ancient times as similar to the history of the ancient world. What is mentioned by Ibn Khaldoun may be true regarding the weak transmitted narrations about Al-Tababi'ah who invaded the Berbers in Africa till they reached China.

All this is entirely far away from the established facts related to the history of Sulayman and Belqis. As this cloudy fog, raised by the researcher, doesn't hit shiny facts since some parts of history are difficult to be demolished and not subject to suspicion and weakening.





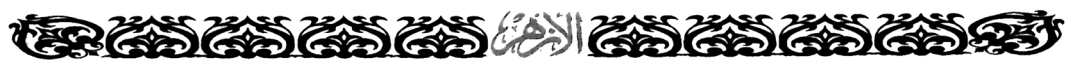
«Lord! I have done injustice to myself, and I (now) surrender with Sulayman to Allah, The Lord of the worlds.»

[An-Naml (The Ant): 44]

This is a part of what is mentioned in the Glorious Qur'an concerning the queen Belqis. The Saba'ian traces confirmed these facts as we'll discuss later.

I don't think that a sound-judging researcher sees clear evidence before him, then denies. If the researcher is a Muslim, familiar with the story in Qur'an and what has been mentioned by historians in reliable books and makes sure of the recorded inscriptions centuries ago, he won't leave this matter undecided.

However, we see the researcher mentioning this Islamic story and describes it as an Arabic narration to compare it to a legend claiming that an Ethiopian queen came from Africa to Juraslem to visit Sulayman. In brief, this story, as narrated historically by the researcher, which is not confounded with illusional imagination, says: "The queen of Ethiopia was of a fascinating beauty. She heard from the sailors who come to Jerusalem about Sulayman's wisdom and great sovereignty. Her unbelievable fortune, strong camels and spacious ships enabled her to establish a great fleet which motivated her to pay a visit to Sulayman, taking astonishing horses mules and camels loaded with fancy presents. Sulayman welcomed her greatly and assigned a special suite in his palace to be accommodated for her. He kept visiting her a lot and talking about Allah's blessings, as Allah endowed him with the language of birds, controlling wind, and subjected to him the Jinn and Satans to build his temple, then he married her off and she brought a child called Manyalik. When he reached maturity of age and learned wisdom from his father, he returned to Abyssinia to assume power following the death of his mother. Out of his offspring, the ruling dynasty came in Abyssinia. It was stated in the



have the decisive evidence from the established traces, inscribed on walls, where the consecutive times couldn't erase their realities in conformity with the Book of Allah. We state that for the non-Muslims hesitating in belief.

But the Muslim researcher has no room for waiting an old trace to be found, since he certainly knows that the Book of Allah is:

﴿Untruth does not come up to it before it nor from behind it; a successive sending down from (One) Ever-Wise, Ever-Praiseworthy.﴾

[Fussilat (Expounded): 42]

We all know that Saba' is a Yemeni kingdom from merry Arab countries, its queen visited Sulayman, may the peace of Allah be upon him, as Allah mentioned their story in the Glorious Qur'an. In this story, the sequence of events started from the absence of the hoopoe when Sulayman reviewed the birds, then he threatened it, but the absent bird brought a new tiding from Saba' where the hoopoe saw a woman ruling people and she has been brought much of every thing, but she as her people worshipping the sun apart from Allah. This is the matter in which Sulayman was interested so he sent a book to her calling her to come to his kingdom as a Muslim and by accord. The queen, Belqis, wasn't despotic or tyrannical as she gathered her people for telling them: "In no way have I affirmed a command until you bear witness".

It is, of course, apparent that they'll show their willingness for defense, but the judicious woman favored peace, so she sent a precious present to the prudent king. She supposed that her present will prevent dissention and dispute, but Sulayman persisted on releasing Saba' from polytheism and he threatened and menaced them with troops they can't face. As a result, she complied with his will and attended to see and listen to what proved her errancy, as she said:





Islam, sublime and dignified. Their selected commerce – upon faith in it and belief in its acquirements – won when Allah, glory be to Him, said:

“O you who have believed, shall I indicate to you a commerce that shall deliver you from a painful torment? You believe in Allah and His Messenger, and strive in the way of Allah with your riches and your selves. That is most charitable for you, in case you knew”.

[As-Saff (The Ranks): 10-11].

The Qur’anic Text Is The Decisive Criterion

By: Dr. M. R. Al-Baiomi.

﴿Yet he stayed (a while) without being far away, then said, “I have encompassed that which you haven’t encompassed, and I have come from Saba to you with a tiding of certitude﴾.

[An-Naml (The Ant): 22]

We read some historical studies related to the Book of Allah, where the Qura’n talked about its purport in unquestionable decisive logic. You never find anything indicating that the researcher did his best to clarify the fact as it is mentioned in the Noble Qur’an, regardless of his being an Arab Muslim, and mention various narrations in contrary to what is mentioned in the Glorious Qur’an. Not only did he leave the question undecided, but also leave the reader at confusion, unaware of any way he follows due to his lack of a sufficient amount of the Islamic immunity to encounter these imaginary delusions. You will be perplexed regarding accounting for this dubious method as it is true that following people bearing grudge against Islam will expose what they are doing of swindle. What is denied by the method of fair researched is writing the historical researches that are certainly related to the Texts of the Qur’an, then to remove the results, or wrench the introductions to leave the reader at confusion.

We never knew of a text contradictory to the explicit truth to consider as a cause to deliberately evade from making the Qur’anic Text the only preponderant evidence, especially if we



﴿Say, "Surely I am only a mortal the like of you: It is revealed to me that surely your God is only One God. So whosoever hopes for the meeting with his Lord, then let him do righteous deed (s), and not associate anyone in the worship of his Lord.﴾ [Al-kahf (The Cave): 110]

The Messenger's Humanity

By Dr. Ibrahim Al-Assil

The Messenger's life, may the blessing and peace of Allah be upon him, was a practical application to the principles of Islam. He was a human Messenger who eats food, walks in markets and liable to anything that might occur to mankind; sometimes sad and sometimes happy, healthy or ill. He was never proud when his army gained victory nor dispartate when defeated. Moreover, he was forgiving and merciful when people were subjugated to him. He, may the blessing and peace of Allah be upon him, was never proud to claim that he was far beyond being a human nor resorted to overtransgression; destroys and tyrannizes. Furthermore, he never assumed a role not drawn up to him, which is obviously reflected when he joined the Highest Companion as some of the companions were astonished upon his death as they believed that he was immortal and far reach from death. The truth came in Abu Bakr's words as he said: ***"Whoever worships Muhammad, Muhammad is dead and whoever worships Allah, Allah is Ever-Living"***. Some one came to the Prophet and was terror-stricken owing to his great character, may the blessing and peace of Allah be upon him. The prophet said: "Take it easy, brother, I'm just the son of a woman used to eat jerked meat in Mecca".

The Messenger knew very well his status and taught this to his companions; he commanded them not to distinguish him from anyone of them as he said: "Don't stand when I come like the non-Arabs do". For the above mentioned, the call came void of the causes of polytheism and was far from the ideological exaggeration and deviation. The Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, first extended his call to his kinsmen the nearest kin and surrounding neighbors. He did not intend to exploit class divisions, political motives or economical conditions, but he focused on calling the polytheist, then he undertook whoever responded to his call by education and teaching, so he was the cause behind the graduation of men like the lofty steady proud mountains who loved Allah and Allah loved them. They established the nation of



**AL-AZHAR
MAGAZINE**

Jumadah Alula 1423 A. H.



**ENGLISH
SECTION**

August 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University





الفهرس

- **الازدواج النفسى فى حياة الفرد (الاقتحاحية)**
للاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٦٧٤
- **تفسير سورة البقرة**
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦٨٠
- **السنة: الرهن**
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى
إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٦٨٥
- **هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز**
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦٩٠
- **الأمة الإسلامية بين مرحلتى الاستدما والنفاق**
للاستاذ الدكتور/ عبدالحليم عويس ٦٩٩
- **لماذا كان القصاص حقا ملنيا وليس جنائيا**
للاستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٧٠٣
- **مواقف إسلامية**
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٠٩
- **الوسطى فى الميزان الخلقى لدى المسلم**
للاستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٧١٨
- **ابن شهاب الزهرى**
للاستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدى ٧٢٢
- **اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)**
للاستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٢٨
- **الحضارة الإسلامية تتفوق ولا تتراجع**
للاستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٧٣٤
- **كتاب الشهر:**
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم ا. د/ إبراهيم عوضين ٧٣٨
- **قصة العدد: مصر ابن القاسم**
بقلم/ عابر سبيل ٧٤٧
- **بين الشرق والغرب (قصيدة)**
للشاعر الأستاذ/ محمود الخفيف ٧٥٥
- **عداوة أمريكا وصادقتها (١)**
للاستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٧٦٠
- **الجيئـو**
للاستاذ الدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٧٦٩
- **القوى الدينية فى إسرائيل**
للاستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ٧٧٤
- **طرائف.. ومواقف**
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٧٨
- **الحلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء**
لفضيلة الشيخ/ فوزى الرزفاز ٧٨٠
- **الإسلام.. والحياة**
للاستاذ/ حسين عباس الانصارى ٧٨٤
- **حكمة الإسلام فيما حرم من الطعام**
للاستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ٧٨٨
- **الاهتمام بأدب الطفل فى الإسلام**
للاستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم يونس ٧٩٣
- **سيحانك بديع السموات والأرض**
للاستاذ/ على أحمد على ٧٩٧
- **رسالة.. و.. رد**
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٨٠٤
- **الخطابة المثالية فى مرآة النقد**
للاستاذ الدكتور/ أحمد حنطور ٨٠٩
- **خطبة الجمعة**
للاستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٨١٤
- **اتقوا الله فى خير أجناد الأرض**
للاستاذ أحمد السيد تقى الدين ٨١٨
- **بين الصحف والمجلات**
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ٨٢٢
- **الجار.. حقوق وواجبات**
للاستاذ/ مجدى بشير ٨٢٧
- **بين المجلة والقارىء**
للاستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٨٣٣
- **أنباء العالم الإسلامى**
للاستاذ/ محمد الشرقاوى ٨٣٩
- **أنباء مكتب شيخ الأزهر**
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ٨٤٤
- **القسم الإنجليزى**
..... ٨٦٣

لقد
هو
العدد
١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
- لفضيلة الإمام الأكبر
- الإعجاز التريوي في القرآن الكريم
- للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب
- هوامش على كلمة الدكتور / أسامة الباز
- لفضيلة الشيخ / الطاهر العامدي
- التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية
- للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي
- الأقلية العربية في إسرائيل
- للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

الاشتراك السنوي

- داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

٨٥٧٦٢٠٠ - ٥٧٨٦١٠٠ ☎



الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م
وسر العدد الأول في الحرم ١٣٤٩ هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد جيب التيمومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

مكاتب التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / ٢/ زهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ - أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٢ م - الجزء السادس - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

مصر عرفت التوحيد

﴿يَصْنَعِي السِّجْنَءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ ۚ أَمَرَ الْأَعْبَادُ وَالْإِنْيَاءُ ذَلِكَ إِلَيْنِ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة يوسف: ٣٩، ٤٠

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْلَمْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكْتُمْ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾

غافر: ٣٤

حين كتب الأوربيون تاريخ مصر القديم، لم يدر بذهنهم أن يفكروا فيما جاء بالقرآن الكريم خاصاً بالعهد الفرعوني، ونحن لا نؤاخذهم على ذلك لأن كتاب الله ليس من مصادرهم المعتمدة، بل إن التوراة نفسها كانت بمنأى عن استشهادهم في كثير مما يتعلق بسيرة موسى - عليه السلام - وقيامه بالدعوة إلى التوحيد في وجه فرعون! وإنما نؤاخذ من كتبوا هذا التاريخ من المسلمين» ولم يفكروا بعض التفكير في الرجوع إلى كتاب يعلمون أنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! ومن العجيب أنك تقرأ ما كتبه هؤلاء عن رمسيس الثاني وولده منفتح فلا تجد إشارة إلى ما تضمنه كتاب الله بشأن موسى وفرعون، مع أن قصة موسى قد كررت في سور كثيرة من سور القرآن حتى

«نشرنا من قبل ما يؤكد الرجوع إلى القرآن الكريم في الحديث عن التاريخ، وهذا المقال ينحو هذا النحو، وقد نشر من قبل في مجلة الهلال منذ سنوات عديدة فلقى اعتراضات كثيرة ممن صرّحوا بأن الآثار الفرعونية هي أهم وثيقة مهما خالفت القرآن، وهو كلام لا يصدر عن محقق ملتزم، لذلك أعيد نشره ليعصف بكل ما توهموه من أراجيف»

من قبل إخناتون

أصبحت معروفة مشتهرة لدى العامة قبل الخاصة، وكل ما يتفضل به من ألفوا الكتب المدرسية لطلاب المدارس الثانوية أو المذكرات التاريخية لطلاب الجامعة أن يقولوا في جملة واحدة هذه العبارة، أو ما يدل عليها « ويقال إن هذا الفرعون كان فرعون موسى » أما ما فعل موسى حين قال لفرعون فيما حكي الله عنه حين قال جواباً عن سؤاله :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

سورة الشعراء ٢٣ إلى ٢٨

أما هذا القول في سورة الشعراء ونظائره الكثيرة في شتى السور القرآنية فلا يلتفت إليه مؤرخ مسلم يتحدث عن فرعون لتلاميذ مسلمين يؤمنون بالكتاب، ولا يزنون به أطنان الكتب المستوردة من الأثريين مشرقاً ومغرباً! وما إلى موسى — — عليه السلام — — قصدت في هذا المقال ولكني جعلته تكاه للحديث عن الوجدانية المنسوبة لإخناتون!

يوسف والتوحيد

● لقد اشتهر بين الكاتبين جميعاً، حتى كاد يعد من المسلمات البديهية أن إخناتون أول من دعا إلى التوحيد في مصر، وقد عد ذلك مصدر مباهاة بهذا الفرعون إذ اتجه إلى ما لم يخطر على بال سواه من قبل، وأنت تعلم أن الملك إخناتون كان من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، هذا ما أجمع عليه الأثريون شرقاً وغرباً دون أن يختلف في ذلك أحد! كما تعلم



أن يوسف - عليه السلام - كان وزيراً لملك الهكسوس في إحدى الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة، وقد كان ملك الهكسوس لمصر مابين سنتي ١٧٢٠، ١٥٧٠ قبل الميلاد، وملك الأسرة الثامنة عشرة قد جاء بعد ذلك، فإذا كان يوسف - عليه السلام - قد عين وزيراً للمال في مصر وقد هتف بالتوحيد الصريح قبل إخناتون بأمد طويل حين نطق بما عبر الله عنه عز وجل في قوله:

﴿يَصْصِحِي السَّيْحَىٰ ۖ أَزْيَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا اثْنَتَانِ ۖ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ الْأَتَّعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الَّذِي يُنْفِقُ ۚ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

سورة يوسف ٣٩، ٤٠

ومن قبلها قال - عليه السلام - فيما رواه كتاب الله:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

سورة يوسف ٣٧، ٣٨

أقول إذا كان يوسف - عليه السلام - قد هتف بالتوحيد، وقال للملأ حوله:

﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ﴾ فكيف يكون إخناتون أول من دعا إلى التوحيد في مصر؟

وقد جعل يوسف من دعائه المشتهر قوله:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

يوسف ١٠١

ألا تستوقف هذه النصوص الباب من يكتبون تاريخ مصر في عهد هذا البعيد؟ قد يقول قائل إن يوسف قد آمن بإله واحد في مصر ولكنه لم يقم بالدعوة إليه، وهو قول مخطيء ينكره النص الصريح في كتاب الله إذا جاء في حوار مؤمن آل فرعون الذي سجلته سورة (المؤمن) ما يؤكد أن قوم فرعون يعلمون حقيقة يوسف ومجيئه بالبينات





داعياً إلى ربه، يقول الله عز وجل على لسان هذا المؤمن الشجاع مخاطباً فرعون المتغطرس وحاشيته الممالة:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾
المؤمن ٣٤

وإذن فالدعوة إلى التوحيد في مصر قد سبقت إخناتون بأجيال وعلى الذين يكتبون تاريخ إخناتون أن يرجعوا إلى كتاب الله فيما يقولون، أو على الأقل، أن يذكروا رأى الاثريين مقارناً بما جاء في القرآن، ليركوا للقارىء حرية التمييز بين قول وقول، وإذا كان القارىء مسلماً فلن يتردد في تصديق كتاب الله! وكيف لا؟.

هذا ملحظ أول، أما الملحظ الثاني فهو البعد الشاسع بين دعوة إخناتون إلى التوحيد، ودعوة يوسف - عليه السلام - في جوهرها الإيماني الخالص، لأن توحيد يوسف كان اتجاهاً إلى فاطر السموات والأرض وحده دون أن يرمز إليه بأثر مادي، أما إخناتون فقد رمز إلى إلهه بالشمس وجعلها وحدها المسيطرة على الكون فتوحده «وثني مادي» وقد يأتي من الملوك من يبحث عن كائن آخر يكون في نظره أعظم خطراً من الشمس فيجعله إلهاً ويترك الشمس! وإذن فقد انتفى التوحيد البريء في دعوة إخناتون، واحتاج مذهبه الوثني إلى تصحيح! وهو بهذا التقهقر المتراجع يعتبر ارتداداً عن دعوة يوسف، وقد كانت شائعة زائفة بين المصريين حينئذ وامتدت شهرتها إلى بلاط فرعون، إذ لم يقل أحد «من الذين حضروا مجلس المؤمن الداعية من يوسف هذا؟ وماذا كانت دعوته؟ بل غشيم السكوت؟ إن بعض المتأمرين من كتاب اليهود قد أفردوا الصحف للحديث عن «إخناتون» لا باعتباره سابقاً عن وجود موسى كما هو الواقع المؤكد دون لبس، بل باعتباره قد جاء بعده، وتأثر بدعوته إلى التوحيد فهتف بها في مصر، وهذا ما كشفته مجلة الهلال حين نشرت مقالاً تحت عنوان (إخناتون والصهيونية الثقافية) قال فيه كاتبه الأستاذ حمدي خضري وفا بعد أن تحدث عن سرقة اليهود للتراث الفرعوني بشهادة الدكتور هنري برستيد وإيلمار من الغربيين وسليم حسن وأحمد بدوي من المصريين: قال الكاتب: وأنا أربأ بمثقفينا أن يكونوا أدوات طيعة في خدمة الحركة الصهيونية الثقافية الحديثة فيعملوا بحسن نية أو باسم الاجتهاد التاريخي على ترسيخ النظريات الزائفة التي يحاول الصهاينة الجدد تأصيلها تاريخياً ومنها محاولة إثبات أن حكماء القدماء من المصريين ومنهم إخناتون هم الذين سطوا على التراث التوراتي لليهود، وذلك عن طريق إثبات أن وجود موسى التاريخي يسبق وجود كل حكماء المصريين ومنهم إخناتون» فإذا كنا نرى هذا



التزييف السافر لدعوة إخناتون ومحاولة انتمائها إلى التوراة التي نزلت بعده بأجيال، ألا يكون من الرد المقنع أن نقول إن التوحيد قد سبق إخناتون وموسى مما فى أرض مصر منذ هتف به نبي الله يوسف، ودعا إليه، وهو وزير الدولة الذى جعله الله قائما على خزائن الأرض يتبوا منها حيث يشاء وقال له مليكه الهكسوسى

﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

يوسف: ٥٤

وأنا أعلم أن من المؤرخين من أثبت أن إدريس - عليه السلام - كان مصرياً، وقد جاء بالتوحيد الخالص، كما أن زيارة إبراهيم - عليه السلام - لمصر وهو مسلم موحد مما دون فى تاريخه، ولكنى أترك هذين النبيين الكريمين مع سبقهما الزمنى البعيد لأن القرآن لم يتحدث عن وجودهما بمصر وإن أثبتته المصادر الأخرى، ليكون الحديث مقصوراً على ما جاء فى الذكر الحكيم.. مع احترامى لما جاء فى سنة رسولنا الكريم.

إيمان آدم وأولاده

إن الذين يتحدثون عن نشأة الأديان فى الأرض يتخطون فى عمياء حين ينكرون أن الإنسان الأول قد نشأ موحداً مؤمناً، وأن آدم وأولاده قد سكنوا الأرض موحدين مؤمنين بفطر السموات والأرض وموقنين بالثواب والعقاب وفقاً للعمل الصالح والسيئ، وقد قال هابيل لأخيه:

﴿لَيْنَ أَبْسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِنَقُتْلَنِي مَا أَنَا بِأَسْطِ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُتْلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بَايَتِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾

سورة المائدة ٢٨، ٢٩

وإذن فالعصور الأولى كانت مؤمنة موحدة، ثم طغت الأوهام، وغلبت الخرافات، فجعلت الرسل تتوالى لهداية الناس ورجوعهم إلى الدين الصحيح، ينكر الذين يتحدثون عن نشأة الأديان من الماديين هذه المقررات التى تتفق مع الفطرة الإنسانية المنجذبة تلقائياً إلى الإيمان بخالق رازق محيى مميت، ويتلمسون الأوهام المتخيلة لإيجاد أدوار متصلة تترقى فيها العقيدة من طور إلى طور، فالإنسان القديم فى منطقهم - مصرياً أو غير مصري - قد اضطر إلى تأليه ظواهر الطبيعة من شمس ومطر ونجوم، حين وجدها مصدر الرزق كما اضطر فى ظرف آخر إلى تأليه البرق والرعد والنار حين وجدها مصدر الرعب، حتى انتهى الأمر فى عصر إخناتون إلى عبادة الشمس باعتبارها كيانا واسع النفوذ ورغبة ورهبة.



رغبة، حين تبعث الدفء وتنمى الثمر والزرع، ورهبة حين ترسل شواظها الحارق فيشوى الجسوم هكذا يلفق الذهن البشرى أوهامه المتخيلة دون سند صحيح، غير الاعتزاز بالجهود المطلق لأراء الدين الصحيح ولنا أن نقول لهؤلاء الذين يرسمون الحلقات المتتابعة لتسلسل الآلهة الكونية؟ إنكم تجمعون على أنكم لاتعلمون شيئا من أحوال الإنسان قبل أن يهتدى إلى الكتابة بالرموز، وقد اهتدى إليها خلال القرن الثانى والثلاثين قبل الميلاد، فماذا كان دينه قبل هذا الاهتداء فى عصور لا تعلمون عن عبادتها قليلا أو كثيرا باعترافكم الصريح! لقد قرأتم المدونات على سطوح الرق والبردى وكسر الحجارة الرقيقة، فدلّت على تعدد الآلهة! وهذا لا ينكره احد، لأن اختلاف الأفكار وسيطرة الأوهام بتوالى العصور أدى إلى الوثنية، ولذلك جاءت الرسل لتنقذ الإنسانية من ضلالها المبين، وقد قال الله - عز وجل - فى تأكيد ذلك:

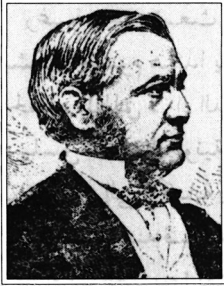
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الَّذِينَ فِيهَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

سورة البقرة ٢١٣

والواضح الصريح من هذا النص الكريم أن الناس فى نشأتهم الأولى كانوا أمة واحدة فى الإيمان، ثم اختلفوا فبعث الله الرسل لهدايتهم، وما اختلف من هؤلاء غير أولى البغى مع وضوح البينة، فضلوا وأضلوا، ولكن الله هدى المؤمنين إلى الصواب، ولك أن تواجه هؤلاء المنكرين لحقيقة الإنسان الأول المتشعبة بالإيمان بهذا السؤال: لماذا كان البعث الأخرى والثواب والعقاب عقيدة خالصة بنيت بتأثيرها الأهرام، وكيف نبتت فكرة الخلود فى مصر إذا كانت لم تتصل من قبل بدين سماوى كان الناس فى اتباعه أمة واحدة؟ إن الذين شيدوا الآثار والمعابد، ونحتوا أبا الهول من الصخر، وأنشأوا النظم الدقيقة فى التحنيط وحفظ الأجساد، وصيانة المأكّل والمشارب فى المقابر لتصلح للغذاء بعد النشور لم يفعلوا ذلك دون تأثير من وحى إلهى، ومن إله واحد، أفكانت الشمس والرعد والبرق والنار مما يصلح أن يكون مصدراً لتأكيد فكرة الثواب والعقاب، والخلود الدائم فى حياة بعد هذه الحياة، هذا ما لا يكون؟

على أن أصحاب هذا المنحى التطورى فى نشأة العقيدة الدينية ليسوا وحدهم الذين تذرعوا بأساليب البحث العلمى ليصلوا إلى ما يريدونه من النتائج فبإزائهم





نفر من أئمة البحث العلمي قد تحدثوا
عن الفطرة الأولى ذات الإلهام الديني
الصحيح بما يدحض آراء معارضيهم
عن إقناع تأييده الحجة، ويسنده
البرهان، يقول الأستاذ العلامة محمد
فريد وجدى بهذا الصدد:

أما أن الأمم في دور طفولتها لا
تستطيع بحكم قصورها العقلي أن

تدرك وحدة الذات الإلهية وأنه لا محيص من أن تمضى فى أول أدوارها الوثنية، فهذا القول سقط عن المرتبة العلمية بعد أن أثبت الأستاذ الألمانى الكبير (ماكس مولر) عمدة الباحثين فى الأديان البشرية القديمة ومناشئها وتطورها، أن الناس كانوا فى أول عهودهم موحدين للذات الإلهية لا متعددين للآلهه، عاشوا على ذلك التوحيد دهرا طويلا، ثم طرأت عليهم الوثنية بفعل زعمائهم الدينيين، فقد سولوا لهم تعدد الآلهه ليسهل قيادهم فى أيديهم، وليصرفوهم فيما يشتهرون، ويرتفعوا فى نظرهم إلى مرتبة خزنة الأسرار الإلهية، ومهبط العلوم العلوية ثم قال الأستاذ جدى - رحمه الله - هذا رأى العالم اليوم، والأستاذ ماكس مولر، لا هو من رجال الدين، ولا من العلماء الاعتقاديين، وإنما هو بحاث فى تاريخ الأديان القديمة ومناشئها، وقد وقف على هذا الاكتشاف الأثرى الخطير من طريق تتبع سلسلة الأديان، بالاعتماد على الآثار والنقوش والكتابات، لا من طريق التوهم والظن». ولنا أن نقول بعد هذا: إن مصر قد عرفت التوحيد فى عصورها الأولى قبل زمن الأسر الفرعونية ثم طغى الضلال على فريق من الكهنة فضلوا وأضلوا... وجاء من دعاهم من الأنبياء إلى عبادة الله وحده، ومنهم يوسف بن يعقوب الذى امتد صيته الدينى إلى ما بعد عصره فعرفه إخناتون وعرفه أصحاب فرعون حين ذكرهم به هذا المؤمن الصريح! فهل لا تزال تردد فى مناسبة وغير مناسبة أن إخناتون كان أول داعية بمصر للتوحيد؟

د. محمد رجب البیومی

تَقْسِيمَاتُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى :

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَوْرُكِبًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩

القرآن بطريقته الحكيمة، وبأسلوبه المؤثر أن يقول للناس: إن محافظتكم على الصلاة، ومداومتكم على طاعة الله وذكره كل ذلك سيعرض في نفوسكم المراقبة له - سبحانه -، والخشية من عقابه، وسيعينكم على أن تحلوا قضاياكم التي تتعلق بالطلاق وغيره بالعدل والإحسان والتسامح والتعاطف، لأن من

أورد القرآن آيتين كريمتين تأمران بالمحافظة على الصلاة وبالمداومة على طاعة الله والملازمة لذكره ولعل السرف في توسط هاتين الآيتين بين آيات الأحكام التي تحدثت عن الطلاق، والعدة والرضاع والخطبة.. إلخ، لعل السرف في ذلك أن هذه الأمور كثيراً ما تكون مشار تنازع وتخاصم وتقاطع بين الناس، فأراد



تهدى إلى أكمل الأخلاق والصفات .

فسبحان من هذا كلامه، ومن تلك إرشاداته وتوجيهاته ووصاياه .

وقوله - تعالى - : ﴿ حَفِظُوا ﴾ من الحفظ بمعنى ضبط الشيء، وصيانتة عن كل تضييع، وهو خلاف النسيان . والخطاب لجميع المكلفين من أفراد الأمة .

والمعنى : حافظوا يامعشر المسلمين والمسلمات على أداء الصلوات في أوقاتها بخشوع وخضوع وإخلاص لله رب العالمين، وحافظوا بصفة خاصة على الصلاة الوسطى، لما لها من منزلة سامية، ومكانة عالية .

فقد أمر الله - تعالى - عباده بالمحافظة على الصلوات بصفة عامة، وأفرد الصلاة الوسطى بالذكر تفخيماً لشأنها، وإعلاء لقدرها من بين أفراد جنسها . والمسلم يكون محافظاً على الصلاة إذا أداها في وقتها مستوفية لأدابها وسننها وشرائعها وخشوعها وكل ما يتعلق بها، أما إذا قصر في شيء من ذلك فإنه لا يكون محافظاً عليها تلك المحافظة التامة التي أمر الله بها .

وفى قوله - تعالى - : ﴿ حَفِظُوا ﴾ تنبيه إلى أن الصلاة في ذاتها شيء نفيس ثمين تجب المحافظة عليه، لأن هذه الكلمة تدل على

حافظ على فرائض الله وأوامره، انصرفت نفسه عن ظلم الناس، وعاملهم معاملته كريمة حسنة . وقد بين القرآن في كثير من آياته أن المحافظة على الصلاة بخشوع وخضوع لله - تعالى - وأن المداومة على ذكره، والملازمة لطاعته كل ذلك من شأنه أن يمنع الإنسان من الوقوع فيما نهى الله عنه، قال - تعالى - :

﴿ أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١) .

وقال - تعالى - :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٢) .

وقال - تعالى - :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ ذَكَرْتُمْ ﴾ (٣)

فكان الله - تعالى - يقول للناس : لقد أمرتكم بالمحافظة على الصلاة، وبالمداومة على طاعتي وذكرى خلال حديثي عن أحكام كثيراً ما تكون هذه الأحكام مثار تنازع بينكم، وذلك لكي تحلوا التسامح والتواصل والتقارب محل التشاحن والتدابير والتجافى، لأن من شأن المحافظة على هذه العبادات، أن

(٢) البقرة «٤٥» .

(١) العنكبوت «٤٥» .

(٣) هود ١١٤ .





الصيانة والضبط بجانب دلالتها على الأداء والإقامة والمداومة.

قال الإمام الرازي: وقوله: ﴿حَفِظُوا﴾ بصيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين. للدلالة على أن هذه المحافظة تكون بين العبد والرب. فكأنه قيل: احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذي أمرك بها. وهذا كقوله:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ وفي الحديث «احفظ الله يحفظك»^(٤). أو أن تكون المحافظة بين المصلي والصلاة. فكأنه قيل: «احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة بمعنى أنها تحفظك من ارتكاب المعاصي، وتشفع لمصلحها يوم القيامة»^(٥).

وللعلماء أقوال في المراد بالصلاة الوسطى التي أفردها الله - تعالى - من بين الصلوات فجمهور العلماء يرون أنها واحدة من بين الصلوات الخمس المفروضة، وأن الوسطى مؤنث الأوسط أى الشيء المتوسط بين شيئين، فالصلاة الوسطى هى الصلاة المتوسطة بين صلاتين إلا أنهم اختلفوا فى تعيينها.

فأكثر العلماء على أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، لأنها تقع فى وسط الصلوات الخمس، إذ قبلها اثنتان وبعدها اثنتان، ولأنها وسط بين صلاتى النهار، وصلاتى الليل، فمعنى المتوسط فيها واضح، ولأنها

مظنة التقصير لحيثها بعد وقت الظهيرة الذى يكون فى الغالب وقت كسل.

وفضلاً عن ذلك فقد صرحت بعض الأحاديث بأنها صلاة العصر، وقد ساق الإمام ابن كثير عدداً من هذه الأحاديث ومنها ما جاء فى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى «صلاة العصر» ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً»، ثم صلاها بين العشاءين. المغرب والعشاء، وفى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصلاة الوسطى صلاة العصر».

وقد خصت صلاة العصر بمزيد من التأكيد، وبالأمر بالمحافظة عليها، وبالتحذير من التقصير فيها، مما يشهد بأنها هى الصلاة الوسطى، فقد روى البخارى ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أى: سلب من أهله وماله فبقى وحيداً بدونهما.

وقال بعضهم المراد بالصلاة الوسطى «صلاة الصبح»، وقيل صلاة الظهر، وقيل صلاة المغرب، وقيل العشاء، وقيل الجمعة، وقيل غير ذلك من الأقوال التى لا تبلغ فى قوتها مبلغ قول القائلين بأنها صلاة العصر، ولذا قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال فيها

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده (٢٩٣/١، ٣٠٧).

(٥) تفسير الفخر الرازى ج٦ ص ١٥٧. بتلخيص.



الصلاة الوسطى - إحدى الخمس لكان يتبادر إلى فهمي من قوله: «الصلاة الوسطى» أن المراد بالصلاة الفعل وبالوسطى الفضلى أى: حافظوا على أنواع الصلاة وهى الصلاة التى يحضر فيها القلب وتتوجه بها النفس إلى الله - تعالى - وتخضع لذكره، وتدبر كلامه لا صلاة المرائين ولا الغافلين»^(٧).

والذى نراه أن ما عليه الجمهور من أن الصلاة الوسطى هى واحدة من بين الصلوات الخمس، وأنها صلاة العصر هو أقوى الآراء، لأنه - أولاً - يتفق مع أصحاب الاتجاه الثانى الذين يقولون بأن أداء الصلاة يجب أن يكون بطريقة تامة الأركان والسنن والخشوع وما قال أحد منهم بأن تحديدها بصلاة العصر ينفى أداء بقية الفرائض بكمال واطمئنان. ولأنه - ثانياً - قد امتاز عن رأى أصحاب الاتجاه الثانى بأنه أعمل النص الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ بأن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، ولا شك أن إعمال النص أولى من إهماله أو من تأويله تأويلاً ضعيفاً.

وقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ مؤكداً لما قبله من المحافظة على أداء الصلاة. والقنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع والخشوع. أى قوموا فى الصلاة مطيعين لله - تعالى - مؤيدين لها

ضعف بالنسبة إلى التى قبلها، ومعتك النزاع فى الصباح والعصر، وقد أثبتت السنة أنها العصر فتعين المصير إليها - أى إلى أن المراد بالصلاة الوسطى «صلاة العصر»^(٦).

ومن العلماء من اتجه فى بيان المراد الصلاة الوسطى اتجاهاً آخر فهو يرى أن المراد بالصلاة الوسطى «الصلوات كلها»، وأن الوسطى ليست بمعنى المتوسطة بين صلاتين، وإنما هى بمعنى الفضلى لأن وسط الشئ خياره وأعدله وأفضله فالمقصود بها فعلها أو أدائها بطريقة سليمة كاملة. والمعنى على هذا الرأى: حافظوا يامعشر المسلمين على الصلوات كلها، وحافظوا على أن يكون أدائكم لها بطريقة وسطى أى فاضلة بأن تؤدوها فى أوقاتها كاملة الأركان والسنن والآداب والخشوع.

قال ابن كثير: «وقيل بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس رواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر وفى صحته نظر. والعجب أن هذا القول قد اختاره الشيخ أبو عمر بن عبد البر إمام ما وراء البحر، وإنها لإحدى الكبير، إذ اختار مع اطلاعه وحفظه ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر».

ومن العلماء المحدثين الذين استحسنا هذا الرأى الشيخ محمد عبده - رحمه الله - فقد قال: «ولولا أنهم اتفقوا على أنها - أى

(٧) تفسير المنار ج ٢ ص ٤٢٨.

(٦) راجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٩١ وما بعدها.



على وجهها الكامل فى خشوع وخضوع واطمئنان .

والفاء فى قوله :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ للتفريع أى :

حافظوا على الصلاة فى كل وقت، وأدوها بخشوع واطمئنان، فإن كان بكم خوف من عدو فى حال المقاتلة فى الحرب أو من غيره لسبب من الأسباب، فصلوا راجلين أى ماشين على الأقدام، أو راكبين على ركائبكم بإيماء، سواء وليتم وجوهكم شطر القبلة أولاً .

و(رجالاً) جمع راجل . وهو القوى على المشى برجليه . يقال: رجل الإنسان يرجل رجلاً إذا لم يجد ما يركبه ومشى على قدميه، والركبان جمع راكب للجمل أو الفرس أو غيرهما .

وجواب الشرط محذوف والتقدير: فإن خفتم فصلوا راجلين أو راكبين، وهذان اللفظان أى - رجالاً أو ركبناً - حالان من الضمير فى « فصلوا » المحذوف .

والآية الكريمة تدل على شدة عناية الإسلام بشأن الصلاة، فقد أمر الله - تعالى - عباده بأن يحافظوا عليها فى حالتى الأمن والخوف، والصحة والمرض، والسفر والإقامة .

وقد بسط هذا المعنى الأستاذ الإمام محمد عبده فقال ما ملخصه: وقوله - تعالى -:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ هذا تأكيد

للمحافظة على الصلاة، وبيان أنها لا تسقط بحال، لأن حال الخوف على النفس أو العرض أو المال هو مظنة العذر فى الترك كما يكون السفر عذراً فى ترك الصيام .. والسبب فى عدم سقوط الصلاة عن المكلف بحال أنها عمل قلبى، وإنما فرضت تلك الأعمال الظاهرة لأنها مساعدة على العمل القلبى المقصود بالذات، وهو تذكر سلطان الله - تعالى - المستولى علينا وعلى العالم كله، ومن شأن الإنسان إذا أراد عملاً قلبياً يجمع فيه الذكر أن يستعين على ذلك ببعض ما يناسبه من قول وعمل .

ولا ريب أن هذه الهيئة التى اختارها الله - تعالى - للصلاة هى أفضل معين على استحضر سلطانته فإن قولك « الله أكبر » فى فاتحة الصلاة وعند الانتقال فيها من عمل إلى عمل يعطيك من الشعور بكون الله أكبر وأعظم من كل شىء ما يغمر روحك، ويستولى على إرادتك .. وكذلك الشأن فى سائر أعمال الصلاة .

فإذا تعذر عليك الإتيان ببعض تلك الأعمال البدنية، فإن ذلك لا يسقط عنك هذه العبادة القلبية التى هى روح الصلاة وغيرها، وهى الإقبال على الله - تعالى - واستحضار سلطانه، مع الإشارة إلى تلك الأعمال بقدر الإمكان الذى لا يمنع من مدافعة الخوف الطارئ من سبع مفترس، أو عدو مغتال، أو لص محتال .. فالآية تعلمنا أنه يجب أن لا





يذهلنا عن الله شيء فى حال من الأحوال...» (٨).

وقال الإمام ابن العربى: قوله - تعالى -:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَوْرَثَكُنَا ﴾ أمر الله -

تعالى - بالمحافظة على الصلاة فى كل حال من صحة ومرض، وحضر وسفر، وقدرة وعجز، وخوف وأمن، لا تسقط عن المكلف بحال، ولا يتطرق إلى فرضيتها اختلال. وقد قال ﷺ: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» (٩).

والمقصود من ذلك أن تفعل الصلاة كيفما أمكن، لا تسقط بحال حتى لو لم يتفق فعلها إلا بالإشارة بالعين للزم فعلها كذلك إذا لم يقدر على حركة سائر الجوارح، وبهذا المعنى تميزت عن سائر العبادات، فإن العبادات كلها تسقط بالأعذار، ولذلك قال علماؤنا: إن تارك الصلاة يقتل، لأنها أشبهت الإيمان الذى لا يسقط بحال، ولا تجوز النيابة فيها ببدن ولا مال» (١٠).

ثم قال - تعالى -:

﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

أى فإذا زال خوفكم وصرتم آمنين مطمئنين، «فاذكروا الله» أى فادأوا الصلاة تامة كاملة مثل ما علمكم إياها ربكم على لسان نبيكم ﷺ وقد من الله - تعالى - عليكم بهذا التعليم الذى كنتم تجهلون به فضلاً منه وكرماً.

وعبر - سبحانه - «بإِنْ» المفيدة للشك فى حالة الخوف، وبإِذَا» المفيدة للتحقيق فى حالة الأمن، للإشعار بأن حالة الأمن هى الحالة الكثيرة الثابتة، وأن حالة الخوف هى الحالة القليلة الطارئة، وفى ذلك فضل جزيل من الله - تعالى - على عباده يحملهم على شكره وطاعته، حيث وهبهم الأمان والاطمئنان فى أغلب أوقات حياتهم.

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد أمرتا المسلم بأن يحافظ على الصلاة محافظة تامة، إذ فى هذه المحافظة سعادة للإنسان، ودافع له على أداء الحقوق لأربابها، وزاجر له عن اقتراف ما نهى الله عنه.

«يتبع»

(٩) أخرجه أبو داود (٩٥٢).

(٨) تفسير المنار ج ٢ ص ٤٤٣.

(١٠) أحكام القرآن لابن العربى ج ١ ص ٢٢٧.



الدرج حجاز التربوي في القرآن الكريم

د. سجاد الدكتور / مصطفى رجب

وعلى مر القرون منذ بدأ التأليف العربي في العلوم اللغوية والشرعية، جهد العلماء كثيراً في استنباط وجوه الإعجاز متعددة حتى وقفت مباحثهم في عصرنا الحاضر عند حدود الإعجاز العلمي، وهامهم أولاً يحاولون الآن مسيرة التقدم البحثي في علوم الحاسوب فيدرسون (الإعجاز الرقمي).

غير أن المتتبع لمباحث الإعجاز على مر تلك القرون يلحظ ملحظاً مهماً جديراً بالنظر: ألا وهو خلو تلك المباحث من مجال لم يكن للتأليف العربي به عهد في عصوره الزاهية القديمة. ونعني به الجانب التربوي وما ذلك إلا لأن العرب لم يكونوا ينظرون إلى (التربية) بوصفها علماً مستقلاً كما هو الحال الآن بفعل شيوع فكر التخصص وتفتيت العلوم. فقد كان شأن التربية في مفهوم العرب القدماء شأنًا عاماً، إذ كان ينظر إليها في سياق الأخلاق الاجتماعية التي لم تكن تعلم (بضم التاء وتشديد اللام المفتوحة) وإنما كانت تمارس (بضم التاء وفتح الراء) في الحياة بصورة فطرية أو مكتسبة حسب نوعيتها.

ومن ثم، كان العرب يستخدمون لفظ (التأديب) ومشتقاته بديلاً لما نعنيه في لغتنا العصرية بلفظ (التربية). وقد جاء الذكر الحكيم باللفظ الثاني في قوله تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾^(١).

وجاء في حديث ضعيف لفظ (التأديب) بمعنى (التربية والتنشئة) وبذلك يكون اللفظان قرينين في الدلالة على توجيه السلوك الإنساني

لا مراء في كون القرآن الكريم معجزاً، هذا ما اجتمعت عليه كلمة علماء البيان العرب قدامهم ومحدثهم. ولكنهم تماروا قليلاً أو كثيراً في تحديد القدر المعجز من القرآن الكريم؛ أيتحقق الإعجاز بسورة كاملة؟ أم بآية؟ أم بكلمة؟ أم بحرف؟ أم أن الإعجاز لا يتحقق إلا بالقرآن كاملاً أو بعشر سور منه؟ ومرد هذا الخلاف إلى تلك الآيات التي أنزلت في مناسبات مختلفة تحديداً لأولئك المشركين الألداء الذين تصدوا للدعوة الإسلامية في مهدا وزعموا أن بإمكانهم أن يأتوا بمثل

الإعجاز التربوي في القرآن

وإذا كان العقل والوجدان العربي والمسلم قد استساغا أوجه الإعجاز المتعددة للقرآن الكريم، لاسيما إعجازه العلمي، فلا بد من بذل الجهد لتلمس مظاهر وآفاق الإعجاز التربوي للقرآن الكريم. ولا يتأتى ذلك بعقد الموازنات بين نظريات التربية الحديثة وما ورد في القرآن الكريم من قيم تربوية. فهذا خطأ في التفكير، وخطأ في النظر وقع فيه الكثيرون من الباحثين التربويين العصريين الذين غلبتهم الحماسة، وحركتهم النيات الحسنة. فشتان بين ما جاء به بشر مغموزو السيرة، شائنو السلوك من أمثال جان جاك روسو، وجون ديوى، ووليم جيمس وغيرهم ممن يلوك ناشئتنا في كليات ومعاهد التربية أسماءهم منذ سبعين عاماً ويفتنون بما قاءت قرائحهم المريضة، أقول؛ شتان بين هذا الغثاء الغث، وبين ما احتواه الذكر الحكيم من سمو في التوجيه، وروعة في الأداء تبلغ حد ما أسماه القدامى بالإعجاز.

وفي رأينا أن التربية القرآنية— بما هي تنزيل من عليم خبير— تمتاز بالإعجاز على مستوى الجملة، والآية بل والكلمة الواحدة.

الإعجاز التربوي بالكلمة

إن اختيار كلمة بعينها— دون سواها— في سياق آية تشريعية أو قصصية قد يحمل في تضاعيفه كنوزاً من قيم التربية الإلهية السامية فمن ذلك مثلاً كلمة ﴿تَجِدُوا﴾ في قوله تعالى:

الوجهة المقبولة. أما (التربية) فلم تعرف بوصفها علماً مستقلاً إلا في العصور الحديثة. وكانت لأول عهدا مقصورة على ما يعرف الآن بطرائق التدريس والوسائل التعليمية. فكانت تدرس في القرن التاسع عشر الميلادي بهذه المثابة في معاهد إعداد المعلمين أى بوصفها مادة مساعدة على فهم ما يدرس للناشئة من مواد تعليمية. ثم اتسع نطاقها وتولدت عنها علوم مختلفة حتى أصبحت تضم في الوقت الراهن عديداً من التخصصات منها: الأصول الاجتماعية للتربية، والأصول الفلسفية للتربية، والتربية المقارنة، والإدارة التعليمية، والمناهج، وطرائق التدريس، والوسائل التعليمية، والصحة النفسية، وعلم نفس النمو، والإرشاد النفسى، والفروق الفردية وتعليم الكبار، وعلم النفس التربوي وقد أدى الولع بالتفريع والإسراف في الفصل بين التخصصات بالتربية— شأن غيرها من العلوم— إلى المبالغة في التعمق في تلك الفروع المتقاربة حتى أصبح للبحث التربوي مناهجه الخاصة، التي باعدت نسبياً بينه وبين شقائقه من العلوم الإنسانية المساعدة كعلوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة وعلم النفس والتاريخ من جهة، وحولت بعض بحوثه من جهة أخرى إلى طلاس معنى بأخص المختص وأدق الدقيق من جزئيات العملية التربوية، بحيث أصبحت فنيات التعليم— بمعنى التدريس— هي الشغل الشاغل للبحوث التربوية، العصرية وتراجعت المفاهيم المرتبطة بمعانى التربية الخلقية (التأديب والتهديب) بصورة ملحوظة.



بالسكان الذين لا يبرحونها إلا لضرورة. وعلى ذلك فإن معنى ﴿لَمْ تَجِدُوا﴾ قد يتسع ليشمل حالة ما اذا كان السكان موجودين بالفعل فى داخل البيت ولكن ظروفهم لا تسمح بالإذن للطارق أو أنهم لا يرغبون فى استقباله لأسباب تتعلق بهم أو به أو بالوقت الذى جاء فيه مستأذناً. وكل هذه المعانى لا يؤديها السياق لو كان نصه (فإن لم يكن بها أحد) أو (فإن لم يوجد بها أحد) مثلاً.

وقد ذهب الكاتبون فى التربية الحديثة من تخصصوا فى علوم الصحة النفسية وعلم النفس التربوى إلى أن تصويب السلوك الشائن الذى يبدر من المتعلم قد يتخذ صوراً مختلفة منها العقاب البدنى كالضرب والجلد ومنها العقاب النفسى كالحرمان والنبد والإهمال، ولكنهم اتفقوا على أن الغاية من ذلك كله واحدة وهى: التنفير من السلوك الخاطئ ودفع المتعلم إلى نبذه والتخلص منه. ويعبرون عن ذلك بقولهم (خلق اتجاهات إيجابية نحو كذا أو كذا) وهو ما يسمى باللغة العربية السليمة (التغريب والترهيب). وفى القرآن الكريم أمثلة متعددة أدت فيها كلمة واحدة هذه الوظائف التربوية مجتمعة. ففى قوله تعالى:

﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَأْتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٤).

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾^(٢) كان من الممكن أن يستعمل القرآن الكريم بدلاً منها كلمة أخرى مثل (فإن لم يكن) غير أن هذا الاستخدام يغلب عليه الجمود ولا دور للمخاطب فيه. أما استخدام فعل يكون المخاطب هو فاعله مثل ﴿تَجِدُوا﴾ ففيه حركة وفاعلية. والمقام مقام تهذيب وتأديب وتعليم أحكام شرعية تتعلق بالزيارات- فإشراك المخاطب وهو فى حال التعلم- فى العملية التعليمية هو غاية ما انتهت إليه نظريات التعلم التى تدرس الآن فى كليات التربية.

فانظر إلى إعجاز القرآن الكريم: كيف أدى هذا المعنى بغفوية تعبيرية رائعة فى سياق أفعال مضارعة تراوحت بين النفى:

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ - ﴿لَمْ تَجِدُوا﴾
والإثبات ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾^(٣) و﴿وَسَلِّمُوا﴾^(٤)
وجميعها مسندة إلى المخاطب المعبر عنه هنا بواو الجماعة لأن الخطاب موجه إلى جماعة الذين آمنوا فى مطلع الآية. وهو- من الوجهة الشرعية- يخاطب به كل فرد من المؤمنين على سبيل الإلزام.

ووجه آخر للإعجاز التربوى فى هذه الكلمة ﴿لَمْ تَجِدُوا﴾ يتجلى فى أن البيوت المقصودة بالأمر الإلهى هى البيوت المأهولة- عادة-

(٤) النور «٢٧».

(٣) النور «٢٧».

(٥) التوبة «٢٨».





القيام وما هو بعجز. كل تلك المعاني يؤديها القرآن

الكريم بكلمة واحدة ﴿أَنَاقَلْتُمْ﴾.

ومثال آخر للدور التربوي المعجز الذى تقوم به الكلمة فى السياق القرآنى نجده فى قوله تعالى:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٦).

فقد يظن المتعجل أن كلمة ﴿يَأْفَوَاهِكُمْ﴾ لم تضاف جديداً بعد الفعل «تقولون» إذ القول لا يكون إلا بالأفواه. غير أن القارئ المتأنى الذى يقرأ القرآن بتدبر يرى أن هذه الكلمة أفادت فائدة عظيمة إذ أوضحت أن ترديد الإشاعات - والآية خاصة بحادثة الإفك - إنما يكون فى غيبة العقل وغفلة القلب. فلا عمل فيه إلا للألسنة، ولو تدبر مروجو الإشاعات فيما يرددونه وأعملوا عقولهم لاستبان لهم فيما يقولون خطأ كبير أو مبالغة ممقوتة أو كذب أعرج.

والتربويون العصريون فى مباحثهم فى مجال فلسفة التربية عندما يتحدثون عن نظرية المعرفة، يحددون مصادر المعرفة فيجعلون منها (ما يقوله الآخرون - والعقل - والحواس - إلخ) ويتشككون كثيراً فى المعرفة التى لا تخضع للعقل لا سيما تلك التى ينقلها المتعلم عن الآخرين.

وقد أغنت هذه الكلمة (بأفواهم) غناء كبيراً فى هذا الصدد. وحفلت بكثير مما ينتاب مروجو الإشاعات من الغفلة والاستسهال وعدم التفكير فيما يمكن أن يصيبوا به الأبرياء من ألسنتهم ولو عقلوا ما يقولون لانتهوا عنه.

والله أعلم

أدت كلمة: ﴿أَنَاقَلْتُمْ﴾ معانى:

تقاعستم، تكاسلتم، قصرتم، تجاهلتم، وغيرها. إلا أن أياً من تلك الأثقال لم تحمل ما حملة الفعل (اثقل) من معانى الخمول والخيبة والإخلاق إلى الأرض. فإذا استمع المسلم إلى هذه الآية تتلى عليه أقشعر بدنه وهو يتخيل صورة بعض القادرين على الجهاد المخاطبين به وهم يتثاقلون ويودون لو لم يسمعوا الأمر الإلهى الصارم بالجهاد فى سبيل الله. ففى الكلمة إعجاز تربوى بما توحىه - بحكم بنيتها الصرفية وقيمتها الدلالية - من ترغيب فى الجهاد وترهيب من القعود عنه. أو بلغة التربويين العصريين: بما تخلقه من اتجاهات إيجابية نحو الجهاد. واتجاهات سلبية نحو الكسل والخمول والخوف من لقاء العدو.

إن الشحنة النفسية المشبعة فى الفعل

﴿أَنَاقَلْتُمْ﴾ تفعل فعلها فى التربية

والتهذيب. فالكلمة - بذاتها - تحمل كل ما يثور فى النفس الإنسانية المحجمة عن الجهاد من خوف وتردد بين الإقدام طاعة لله، والإحجام حرصاً على الدنيا وحباً للحياة، وما يموج بداخل هذا الإنسان المتردد من صراع عنيف بين الرغبة فى تلبية الأمر، والإشفاق من نتائج هذه التلبية فما إن يهم هذا المتردد بالقيام حتى يتلبسه خوفه من الموت أو الأسر أو إشفاقه على أمواله وأسرته فيقعده به عن القيام وهكذا يتعالى الصراع النفسى الداخلى العنيف حتى يبين أثره لا فى وجهه المتردد فقط بل وفى يديه ورجليه وسائر بدنه حتى يبدو وكأنه عاجز عن





كسب الحلال والحرام

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر



إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر المرسلين فقال:
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾»^(١)
وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾»^(٢).
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب،
يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأني
يستجاب لذلك» لرواه مسلم والترمذي، ونقله الحافظ المنذري.

(*) من مختارات مجلة الأزهر «رمضان ١٣٥٧هـ».

(٢) البقرة «١٧٢».

(١) المؤمنون «٥١».



يتعلق بشرح هذا الحديث أمور:

(١) بيان معناه

(٢) بيان أن الرسل مكلفون بعمل الصالحات

كغيرهم

(٣) ما المراد بالطيبات من الرزق؟

(٤) بيان أن أكل الحرام وشربه ولبسه يحول

بين العبد وخالقه.

الحياة الدنيا في شهوتي البطن والفرج وما يستلزمه من مال وجاه وذرية وغير ذلك. وإلى هذا يشير قوله تعالى:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْفَكِ وَالْحَرَثِ﴾ (٣).

فهذه الآية الكريمة تدل على أن معظم الشهوات التي يفتن بها الناس في حياتهم الدنيا هي هذه الشهوات، فهي محبة إلى الإنسان بطبيعته، ومع ذلك فهي مزينة له بعوامل مختلفة، ولذا لم تصرح بالفاعل الذي زينها لأنها متنوعة بتنوع تلك الشهوات. مثلاً: شهوة النساء قد حبيت إلى الإنسان بفطرته، ولكن لا يزينها له ولا يدفعه إلى تحصيلها إلا ما يراه من جمال المرأة، واستعدادها لقضاء تلك الشهوة، فلو عاش الرجل بعيداً عن النساء لا يكون لتلك الشهوة سلطان عليه. وكذلك شهوة المال محبة إلى الإنسان، ولكن لا يزينها له إلا ما يترتب على المال من قضاء مآرب وغايات لا يمكن الحصول عليها إلا بالمال. وهكذا جميع الشهوات اللازمة لطبيعة الإنسان، فهي محبة إليه بفطرته، ومزينة له بعامل قوى يسوقه إليها. ثم إن كانت هذه العوامل مشروعة يقرها الدين كانت هذه الشهوات ممدوحة، وإلا كانت من شر الآفات المذمومة.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى أن هذه الشهوات المحبوبة للإنسان بفطرته متاع الحياة الدنيا وزينتها،

١ - أما معنى هذا الحديث إجمالاً فهو أن رسول الله ﷺ يحث أمته على البر ومكارم الأخلاق، في كل شأن من شئون هذه الحياة الدنيا. ومما لا ريب فيه أن خير البر وأنفعه للمجتمع الإنساني هو أن يسلك كل فرد من الأفراد المكلفين سبيل العفة والعدل في كل ملاذه وشهواته، فيتجافى في مطعمه ومشربه وملبسه ووسائلها كل بغى وعدوان، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يشرب إلا حلالاً، ولا يستمتع إلا بالحلال.

وقد يخيل للإنسان أن ملاذ الحياة الدنيا ومطالبتها كثيرة لا تنتهى إلى غاية ولا تقف عند حد، فيساق بعوامل هذه الملاذ إلى النضال الدائم والجهاد المستمر في سبيل تحصيلها والوصول إلى أقصى حد ممكن منها، ولكن العاقل حقاً إذا أمعن النظر في شهوات هذه الحياة الدنيا وملاذها يجدها منحصرة في دائرة ضيقة لا تستلزم الخروج عن السبل القويمة التي أمر الله عباده بسلوكها في تحصيل هذه الشهوات، ولا تحتاج إلى ذلك الصراع الذى كثيراً ما يذهب بكرامة الإنسان ومروءته وهو غافل لاه. ويمكن حصر مهام لذات

(٣) آل عمران «١٤».





السفر إلخ كناية عن إظهار الزهد ابتغاء رضوان الله .

٢ - أما كون الرسل مكلفين بعمل الصالحات كغيرهم من الأفراد، فذلك مما لا نزاع فيه، بل هم معصومون عن الموبقات والكبائر قبل البعثة وبعدها على الصحيح، لأن الكبائر إما أن تكون شركا وهو أكبر الكبائر، وإما أن تكون غيره كالقتل والزنا والسرقة ونحوها . ولا ريب في أن الأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه لا يصح أن يدنسوا بشيء من هذه القاذورات، لا قبل البعثة ولا بعدها . أما بعد البعثة فالأمر ظاهر، لأنهم بعثوا لإرشاد الناس، والمرشد الذي ينصبه الله قدوة لعباده لابد أن يكون طاهرا مطهرا، فلا ينهى الناس عن خلق قذر ثم يفعله هو، فإن ذلك موجب لانصراف الناس عنه، وفشله في وظيفته التي بعثه الله من أجلها لا محالة . وأما قبل البعثة فلأن المرشد الذي له ماض شائن يحتقره الناس ولا يصغون إلى دعوته، ويقولون له: ما شأنك وأنت منغمس في الخصال التي تأمرنا بالكف عنها؟! فلذا كان من الضروري أن يعصم الله رسله الذين يعلم أنه سيرسلهم كما قال تعالى :

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ ﴾ (٦)

نعم: قد ورد في القرآن ما يفيد ظاهره أن بعض الأنبياء قد عصى ربه، ولكنها جميعها لا تخل بمقامهم الكريم، بل هي في الواقع صفات صدرت منهم عفوًا، وقد مجدهم الله في كتابه

ومهما بلغ من أمرها فإنها منقطعة لا تدوم، بل هي متاع قليل إذا قيس بالنعيم الدائم الباقي يوم القيامة، كما قال سبحانه في آية أخرى :

﴿ قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ۗ ﴾ (٤)

فينبغي للعقلاء أن يقفوا عند الحد المباح لهم، ويعلموا أن الخروج عن ذلك الحد موجب للشقاء والحرمان من النعيم الخالد الذي أشار الله إليه بقوله :

﴿ ذَلِكَ مَنْعٌ

الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْمَتَابِ ۖ ﴾ ﴿١٥﴾ قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ صَبِيرٌ ۙ يَالْعَبَادُ ۗ ﴾ (٥)

فالميزان المستقيم العادل الذي لا يختل أبدا هو اتباع أوامر الدين، واجتناب نواهيهِ في متاع الدنيا وشهواتها .

ولقد بين لنا الحديث الذي معنا أن شهوة البطن واللباس وما يستلزمه من مال وبيع وشراء يجب أن تكون مقصورة على الحلال الطيب، فلا يحل لأحد أن تدفعه شهوته الزائلة إلى عصيان الله والخروج على النظم الاجتماعية الصالحة التي أمر الله بها عباده على اختلاف درجاتهم، فإن من تطفئ عليه شهوته وتدفعه إلى الاعتداء على الناس في أموالهم وأرزاقهم بدون حساب كان مصيره إلى الهلاك العاجل، والعذاب الدائم، والحرمان من النعيم الخالد . وقوله : يطيل الرجل

(٥) آل عمران «١٤، ١٥» .

(٤) النساء «٧٧» .

(٦) الأنعام «١٢٤» .





القبطى فإنه كان خطأ لا شك فيه، لأن الوكر باليد مرة لا يراد به القتل حتماً. وعلى هذا القياس فى كل ما ورد من ذلك مما لا محل لذكره الآن. فالأنبياء مكلفون كغيرهم، بل كان رسولنا الأعظم ﷺ مكلفاً أكثر من أمته، فكان مفروضاً عليه قيام جزء كبير من الليل، وكان يعبد الله أكثر من أصحابه، حتى قال له بعض أصحابه: إنك تعبد الله أكثر منا مع أن الله قد غفر لك ما تقدم وما تأخر، وهموا أن يفعلوا مثله، فنهاهم عن ذلك، وقال: «إننى أعلمكم بعظمة الله، وأشدكم خشية له»^(٨)، وذلك من أكبر العوامل الباعثة على العمل بدون مشقة ولا ملل، فإذا قلدتمونى مللتم العمل وضعفت عن القيام به.

٣- أما المراد بالطيبات من الرزق، فهو كل مالم تحرم الشريعة الاستمتاع به من أكل وشرب ولبس وغيرها، على أن تسكن إليه النفس وتطمئن به، كما قال ﷺ: «البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم عكس هذا»^(٩).

على أن الفقهاء قد بينوا ما يحل أكله ولبسه وشربه وبيعه وشرأؤه وإجارته ونحو ذلك بياناً تاماً، فشرحوا الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ فى البيع والشراء والإجارة ونحوها أحسن شرح، واجتهدوا فى فهمها اجتهداً يدل على ماله من ذكاء وفطنة فى فهم معانى القول وإدراك ما يلزم لتطبيقه على أحوال الأمم، وأبانوا ما يحل أكله وشربه وما لا يحل، على وجه صالح مناسب للناس مع تفاوت حالهم واختلاف طبائعهم.

فأحل المالكية أكل كل شئ طاهر لا تعافه

تمجيذا يدل على أن كل ما صدر منهم كان أمراً صورياً، ومن ذلك ما قصه الله علينا من عصيان آدم حيث قال:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(٧).

فالغواية والتوبة يدلان على أنه ارتكب كبيرة مع كونه رسولاً. والجواب عن هذا ظاهر: وهو أن آدم - عليه السلام - فهم أن أمره بالكف عن الأكل لم يكن للوجوب، وذلك لأن أكل الثمر من جنة ملكه الله إياها ليس نقيصة فى ذاته، وإنما وصفه بالعصيان، ووصف استغفار آدم بالتوبة، لأن اللائق بمقام الأنبياء أن لا يخالفوا أمر الله - تعالى - ولو كان للندب. والواقع أن آدم قد فعل ما ترتب عليه نظام الله فى الخليقة، فكان عمله لازماً لا بد منه، وإنما نهاه الله فى الظاهر للإشارة إلى أن النوع الإنسانى سيكون على هذه الحال: من عصيان ربه تارة، والرجوع إليه تارة أخرى، وأنه سبحانه يقبل من يرجع إليه ويجتبيه ويغفر له عصيانه، فما وقع من آدم إنما هو حكاية لصورة حقيقية لذلك النوع، وتمثيل صادق لما سيقع منه فى حياته الدنيا، وذلك أمر لا بد منه قد سنه الله - تعالى - فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً. فآدم وإن خالف الأمر فى الظاهر، ولكنه فعل ما لا بد منه فى الواقع، ولذا قد امتدحه الله بعد ذلك فقال:

﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

أما ما وقع من موسى - عليه السلام - من قتل

(٩) أخرجه أحمد فى مسنده (٢٢٨/٤).

(٨) فتح البارى (١٥١/٤).

(٧) طه «١٢١، ١٢٢».





اللازمة لحياة المجتمع إلا وضعت له حدودا صالحة، وحرمت مجاوزة تلك الحدود والخروج عنها تحريما غليظا، فكانت منار هداية للنوع الإنساني فى كل زمان ومكان. على أننا ذكرنا فيما مضى أن العقوبات التى وضعت فى تأديب العصاة والمجرمين الخارجين على حدود الله تنقسم إلى أقسام، فمنها ما هو محدود، ومنها ما هو متروك لحالة الأمة واختلاف طبائع أفرادها، ومنها ما هو متروك للعقوبات الأخروية التى هى أشد وأنكى من عقوبات الدنيا. وهذا الحديث الذى معنا دلنا على نوع آخر من العقوبات قد يخفى أمره على كثير من الناس. وهو أن الجرائم التى يفلت صاحبها من الحد والتعزير فى الدنيا قد لا يفلت من عقوبة الله العاجلة فى الدنيا أيضا، فقال لنا: إن الذى يأكل الحرام ويشرب الحرام ويلبس الحرام لا يستجيب الله دعاءه فى الدنيا، فإن أكل الحرام يترتب عليه قسوة القلب وغفلته عن عظمة خالقه، وذلك ينافى الخضوع اللازم للدعاء، فمن أراد أن يناجى إلهه القاهر فوق عباده ويقف مستحضرا عظمتة وقدرته على كل شىء، فإنه يجب أن يكون خاليا من الأقدار التى نهاه إلهه عنها، ولذا قال بعضهم: إن من شروط قبول الدعاء أن يكون المرء سليما من أكل السحت، فمن تعمد أكل الحرام أو لبس الحرام أو شرب الحرام فإن ذلك يحول بينه وبين خالقه، ومن أراد أن يقبله الله ويستجيب له فليتب من ذنوبه توبة صادقة ثم يقف بين يديه خاشعا خاضعا تائبا نادما، فإن الله - تعالى - يقبله ويحبه، لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

النفس ولا يضر بالبدن، إلا بعض أشياء قد اختلفوا فيها، منها الحمر الأهلية والخيل والبغال، فالمشهور عندهم تحريمها لما ورد فيها بخصوصها. وبعضهم يقول: إن الحمر الأهلية والبغال مكروهة، والخيل مباحة. وذلك هو المشهور عندهم. وبعض المالكية يقول: إن جميع الحشرات من الخبائث لا من الطيبات، فلا يحل أكلها. وبالجملة فالمالكية توسعوا فى معنى الطيبات من الرزق، فأحلوا كل طاهر لا يضر أو يتعلق به حق الغير، واختلف علماءهم فى الحشرات ونحوها. على أن الظاهر يؤيد من يقول بتحريمها لأنها من الخبائث جزما عند ذوى العقول السليمة.

أما الحنفية فقد حرموا أكل كثير من الحيوانات قالوا إنها من الخبائث، ومنها سباع البهائم كالسبع والنمر والضبع ونحوها، ومنها سباع الطير كالحدأة والغراب الخ، وأحلوا أكل الخيل بدون كراهة. ومن أراد أن يعرف ذلك مفصلا فى المذاهب فليرجع إلى أول مباحث الجزء الثانى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

٤ - كل من عرف الشريعة الإسلامية وآدابها، ونظر إلى أحاديث رسول الله ﷺ نظرة صادقة صحيحة، لا يسعه إلا أن يجزم بأنها مرتكزة إلى إله عليم خبير لا تخفى عليه من أحوال عباده خافية، فقد اشتملت على كل ما فيه صلاح الإنسان فى معاشه ومعاده فى جميع أطواره، فعنيت بمحاربة الشهوات الفاسدة وطغيانها عناية عظيمة، ووضعت لما يترتب عليها من آثار ظلمة حدودا فاصلة واضحة، ولم تترك نوعا من الأنواع





قَبَسٌ مِنْ سِيرَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ

دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ إِلَى حُبِّ الْأَوْطَانِ

لِلدُّسْتَاذِ الْكَبِيرِ أَمِيرِ عَمْرٍهَا شَم

وقد وتنا فى حب
الأوطان هو سيدنا رسول
الله صلوات الله وسلامه

عليه، فعندما خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة نظر إلى البيت الحرام نظرات حانية ثم قال مخاطباً مكة المكرمة، بلد الله الحرام ومسقط رأسه ومنزل الوحي وقبلة المسلمين: «والله إنك لخير أرض الله، وإنك أحب أرض الله إلى الله، ولو لم أُخرج منك ما خرجت» (١).

ثم توجه الرسول ﷺ إلى الله - سبحانه وتعالى - بهذا الدعاء: «الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا، اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام، اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى، وبارك لى فيما رزقتنى، ولك فذللى، وعلى صالح خلقى فقونى، وإليك ربى فحببى، وإلى الناس فلا تكنلى.

رب المستضعفين، وأنت ربى، أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والأرض، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين وآخرين أن تحل على غضبك وتنزل بى سخطك، وأعوذ بك من زوال نعمتك، وفجأة نقمتهك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بالله» (٢).

إن محبة
الأوطان من
دلائل الإيمان،
فما شرع الجهاد
فى سبيل الله إلا
دفاعاً عن
العقيدة
والأوطان، ورداً
للظلم والظفیان،
وتأمينا لدعوة
الإيمان، ونشراً
للسلام والأمان.
ومما لا شك
فيه أن فى الجهاد
بذلاً للمهج
والأرواح فى
سبيل الدفاع عن
الدين والأوطان.

(١) أخبار مكة للأزرقي ١٥٦/٢، إتحاف الوری بأخبار أم القرى لعمر بن فهد ٥٠٢/١.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٤/٢)، (٨٣/٥).



فيحرمون منه، فقال بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته، أترون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

فأوحى الله إليه بما جرى، فذهب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إليهم، فأخبرهم بما قالوا: فأقروا، فطمأنهم قائلا: «كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا إليه يبيكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

هذا هو النموذج الأمثل في حب الوطن والتعلق به، والوفاء له والانتماء الصادق إلى العقيدة الحقة التي تدعو إلى حب الوطن والانتماء إليه، وهذا يجعل الناس ينافحون عنه وينتصرون له، ويضحون بالنفس والنفيس في سبيله وتكون خيائته أو التفريط في حقه في الأمن والاستقرار من الخيانة العظمى التي تورط صاحبها موارد الهلاك.

إن حب الوطن، يدعو كل مؤمن صادق الإيمان، أن يكون وفيًا لتراب الوطن الذي نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع أو اضطراب فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولادين لمن لا عهد له.

إن سمات المؤمن أن يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم بل يكون اسمه نداء النجدة للمكروبين والمفزعين ويكون في جواره الأمن والطمأنينة.

وإن الإسلام حين يدعو إلى حب الأوطان ونشر الطمأنينة فيها والأمان إنما يقرر المبدأ الإسلامي الذي يجب أن يسود في الأرض وهو مبدأ الحرية والسلام والأمن والاستقرار، بل إن الإسلام قرر مبدأ الجوار،

وفى قوله ﷺ لمكة: «إنك لاحب أرض الله إلى..» ما يدل على حبه لها، وعدم رغبته عنها إلا للضرورة، ولذلك لما خرج عليه الصلاة والسلام من مكة، فبلغ المحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٍ﴾ (٣) قال: إلى مكة.

ومما يدل على أن حب الوطن من الإيمان، قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾ (٤).

والناس يحبون أوطانهم ففيها حياتهم ونشأتهم وبها تعلقت عواطفهم، وفيها تواصل الأرحام والإحسان إلى أهل الوطن من فقراء ومحتاجين، وفي كل جزء في الوطن عاطفة للإنسان ترتبط به ولا تفرط فيه.

وإذا كانت مكة الوطن الأول لرسول الله ﷺ فإن المدينة المنورة كانت الوطن الثاني الذي هاجر إليه، ودعا للمدينة وأهلها ودعا بالبركة فيها حيث قال: «واجعل للمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة» (٥)، وتتجلى محبته صلوات الله وسلامه عليه للمدينة، ومحبة أهل المدينة له في استقبالهم وحفاوتهم به وبالمهاجرين من أول لحظة قدم فيها المدينة، كما تتجلى محبته للمدينة ومحبة أهلها له بعد أن فتح الله - تعالى - عليه مكة وفرح بالفتح فرحا عظيما، وكان حفيا بالكعبة المشرفة وبالمسجد الحرام... وعندئذ خاف الأنصار أن يقيم رسول الله ﷺ في مكة، ولا يرجع إلى أهل المدينة

(٤) البقرة (٢٤٦).

(٣) القصص (٨٥).

(٥) أخرجه مسلم (٩٩٤/٢).



ومبدأ الأمن لمن يجير إنسانا ولو كان كافرا. فلا تمتد يد بسوء إليه.

فقد كانت السيدة أم هانئ بنت أبي طالب زوج هبيرة بن أبي وهب المخزومي قد أجارت بعض أقارب زوجها، بعد الفتح وهما: الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية المخزومي، فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يريد أن يقتل الرجلين فمنعته أم هانئ، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ، وهو في مكة، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «مرحبا بك وأهلا يا أم هانئ» «ما جاء بك؟» فقالت: يا نبي الله كنت أمنت رجلين من أحمائي فأراد عليّ قتلهما، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»^(٦).

فماذا كانت نتيجة هذا الجوار والأمان لهذين الرجلين؟

لقد أسلم الحارث وزهير وكانا عوناً للإسلام وأهله، وهكذا كانت ثمرة تعاليم الإسلام في دعوتها إلى الأمن والأطمئنان، وحب الأوطان، ولله در القائل:

بلادى وان جارت على عزيزة

وأهلى وإن ضنوا على كرام

معنى هذا أن الإنسان يعز عليه أن تشقى بلده، وحتى لو فرض وأنها جارت عليه، أو ناله منها عسف أو تعب أو نصب، فإنها مع هذا عزيزة على الإنسان لا يرضى لها الضياع ولا الهوان ومعلوم أن الوطن بمؤسساته وتراثه وبحضارته وخيراته، لا تكون هذه الأشياء هي الجائزة، ولكن مراد الشاعر أن الذين فيها قد يجورون، فلا يصح أن يكون هذا مسوغاً للإنسان أن يكره الوطن برمته ولا أن يكون حرباً عليه، بل تظل بلاده عزيزة عليه.

كما أن أهل الإنسان وعشيرته قد ييخلون عليه، فلا يكون بخلمهم أو بخل أحدهم على الإنسان مسوغاً له أن يبغضهم، بل عليه أن ينظر إلى زوايا أخرى ناله من خلالها ويسببهم خير كثير، فقد تربى بخيرهم ونشأ في جوارهم وإن ضنوا عليه في جانب، فقد كانوا كراماً في جوانب أخرى.

ومن هذا تغنى الشعراء بحب الأوطان وبالتفاني في سبيل رفعتها وسؤدها.

وطنى لو شغلت بالخلد عنه

نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

إن الإنسان المؤمن، يحب وطنه ويظل وفياً له، منافحاً عنه وعوناً لأهله في السراء والضراء يعز عليه أن يشقى الوطن أو أحد أهله مهما كانت الأحوال.

دم الأهل والقربى وإن كان ظالماً

عزيز علينا أن نراه يسيل

إن الإنسان المؤمن، محب لوطنه، وفي له متعاون مع أهله مدافع عنه يعز عليه عنت الوطن أو شقاؤه أو ترويعه أو إرهاب أحد بنييه، بل يحب له الخير والسلام، والأمن والاستقرار، فالمؤمن من أمنة الناس على دمايتهم وأموالهم وأعراضهم.

روى الدينورى، عن الأصمعى قال: قالت الهند: «ثلاث خصال فى ثلاثة أصناف من الحيوان: الإبل تَحِنُّ إلى أوطانها، وإن كان عهداً بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعاً مجذباً، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً».

وعن الأصمعى قال: سمعت أعرابياً يقول:

«إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه؟ وتشوقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ماضى من زمانه».

(٦) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١/٣٠٢، ٨٩٦/٣، أخبار مكة للأزرقي ٢/١٦٢، شفاء الغرام ٢/١٥١.

لحظة تفضل العمر

مواقف
إسلامية

لمؤسسا الدكتور / محمود عمارة

قالت أم سلمة لأبي سلمة، رضى الله عنهما: «بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة وهى من أهل الجنة، ثم لم تزوج بعده.. إلا جمع الله بينهما فى الجنة وكذلك إذا ماتت المرأة، وبقي الرجل بعدها فتعال أعاهدك ألا تزوج بعدى. وألا أتزوج بعدك.
قال: أتطيعينى؟
قلت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك.
قال: فإذا مت.. فتزوجى؟ ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى لا يحزنها ولا يؤذيها.
قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: من هذا الفتى الذى هو خير لى من أبى سلمة؟ فلبثت ما لبثت. ثم جاء رسول الله ﷺ» (١).

تهديد

من مظاهر الحياة فى القرية.. زمان.. أنهم كانوا يحدون على الميت بتحريم ألوان من الطعام حزنا عليه.. وكنت أقول لهم:
لماذا لا تحرمون على أنفسكم استنشاق الهواء.. وهو أغلى من الغذاء.. وأدل على الوفاء!!؟

(١) الطبقات الكبرى ج٨/٨٦.



بلا تضحية لا جدوى منه، وإنما هو لقاء دورى تلقائى لا يعبر عن عواطف صادقة ثابتة.

من الحب.. إلى الود

إن العلاقة التى تربط الزوجين هنا هى علاقة : الود، والفرق هائل بين : الود والحب . يقول بعض الباحثين :

[تأملت الآية الكريمة التى تقول :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

فتفكرت فيها وقلت : لماذا لم يقل الله - سبحانه وتعالى - « وجعل بينكم حبا وهياما » ؟

ذلك أن عاطفة الحب متقلبة . قابلة للزوال . وأن المودة والرحمة هما الأبقى . والأكثر دواما واتصالا . ثم اكتشف الباحث حكمة الله - تعالى - التى خفيت على العقول فى الزواج وهو أن يبني على الأسس القابلة للدوام . وليس على الأسس الواهنة . المعرضة للانهايار .

ثم قال : « إن من يشكون من تغيير أحوال الحب بعد الزواج .. لو تأملوا حكمة الله قليلا لأدركوا أن الحب لم يخمد، وإنما تحول إلى العاطفة الأبقى وهى : الود. « ولو أنه بقى على نفس طبيعته السابقة على الزواج لظل قابلا للتغيير والزوال فى أية مرحلة من مراحل العمر » (٣) .

الوفاء الفشوم

وهى صورة من الوفاء الأعمى يستمد وجود من الجاهلية الأولى .. والتى كانت الزوجة فيه تضيف إلى تحريم الطعام .. الامتناع عن الكلام! .. والبعد عن أولادها الأيتام سجينه فى كهف مظلم . بل قد تدفن الزوجة مع زوجها المتوفى .. تدفن حية .. لتكون إلى جواره تؤنسه كما كانت من قبل .. بل قد تحرق حية .. لتكون معه فى الجو هباء، ومن بقيت من بعده حية .. قد تجعل من عموده الفقرى عقداً تزين به جيدها فى المناسبات الكبيرة!

ولكن .. ما هى الثمرة العملية لهذا الوفاء السلبى ؟ لا شىء ..

ولكن .. أم سلمة - رضى الله عنها - تعتصم بالوفاء الإيجابى عن طريق مشروع معاهدة هى : أن يضرب الطرف الثانى عن الزواج بعد رحيل صاحبه! أولاً : رعاية للأيتام .. حتى لا يضيعوا فى الزحام .

وثانياً : ليكون ذلك الوفاء رسالة إلى المجتمع تؤكد له أن ما يربط الزوجين أعظم من مطالب الجسد وأن هناك ما هو أبقى وأبقى .

وثالثاً : إثبات قدرة الإنسان على ضبط نوازعه حين يربطها بمثل أعلى .. يغنيه عن كل عرض .

ورابعاً : أن الوفاء ليس حفلات تقام، وإنما هو قبل كل شىء تضحية تجعل منه قيمة باقية، ووفاء

(٢) الروم «٢١».

(٣) ذكرت هذا لطلابى منذ أربعين عاماً وهو ثابت فى بعض كتبى لكننى أنكره هنا .. ليتأكد للقارئ الكريم إلى أى حد يكون توارد الخواطر وأذكر أننى الحققت بهذا : بإثارة السنة المطهرة لفظ «الطيب» على العطر لما فى هذه من إثارة.. وما فى الطيب من وقار.





كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس
ولم يسمر بمكة سامر
ولكن الإحداد من بعده :
تربي أولاده .. وتدعو له .. ثم ترسم خطاه ..
مجدة بالقدوة ذكراه .

ولاحظ أنها صاحبة مبادرة الوفاء الذى دل على
أنها تحب زوجها مرتين : مرة لأنها تحبه ، ومرة لأنها
تغار عليه . إنها بنص الآية الكريمة : لباسه ..
وما أكثر اللاتي يتخذن من اللباس زينة ودلالا ..
وتفاخرا .. ولكنها لم تفهم من معاني اللباس هنا : أن
كل واحد من الزوجين لباس لصاحبه .. لباس :
موصول بالعروق .. وليس ستارا واقيا فقط .. لباس
منسوج من وجيب القلب . وتفكير العقل .. ومن
أجل ذلك فهو غير قابل للانقسام مهما تقلبت الأيام .
لقد كانت تحب أبا سلمة حبا ملك عليها كل
أقطار نفسها .. فاقترحت عليه أن يكون
كذلك .. وعلى رجاء أن يلتقيا فى جنات عدن .
فلا يفترقان .. فكانت بهذا الوفاء تلك الزوجة
التي عنها الشاعر القائل :

وزوجة المرء عون يستعين بها
على الحياة .. ونور فى دياجيتها
مسلاة فكرته : إن بات فى كدر
مدت له لتواسيه أياديها
فى الحزن فرحته تحنو فتجعله
ينسى بذلك آلاما يعانىها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة
تدبر الدار تدبيرا ينجيها

وفى ضوء ما تقدم .. يمكننا أن نقول : إن
عاطفة الحب مهما كانت عراتها .. فلن تغنى عن
هذا الود الوقور .. الذى جمع بين الزوجين فى
لحظة جمع الزمان مكانها .. مؤكدا كيف تكون
الحياة صحراء جرداء بلا رفيق ! وصدق القائل :
أوفر ما يكون من الدواب لا بد له من سوط
وعصا . وأعقل ما يكون من الرجال لا غنى له عن
مشورة ذى عقل . وأعقل ما يكون من النساء ..
لا غنى لها عن زوج . هذا الزوج الذى تناجيه
واحدة ممن فاتهن قطار الزواج فتقول :

أرى روضة قد حان منى قطافها

ولست أرى الجانى يمد لها يدا

فوا أسفى : يمضى الشباب مضيعا

ويبقى الذى ما إن أسميه مفردا !

ولقد كانت .. أم سلمة - رضى الله عنها -
أعقل النساء .. عندما لم تعلن عن حاجتها فقط
إلى زوجها ، بل كانت تعبيرا عن الحقيقة القرآنية
التي تجعل من الزواج ميثاقا غليظا .. ممتدا .. كما
يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ آبَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ (٤) .

أجل كان موقف أم سلمة معبرا عن وفاء الزوجية
كما أرادها الإسلام علاقة أبدية تتخطى الزمان
والمكان ، لتكون فوق الزمان ، وفوق المكان ، لا كما
تفعل بعض المتسرعات المهورلات اليوم .. تكتفى -
بالإحداد - على زوجها أياما ، ثم ينتهى كل شيء .





وجهة نظر أبى سلمة

وقد اعتذر أبوسلمة - رضى الله عنه فلم يوافق على الفكرة هذه الفكرة التى أسعدته كزوج يرى من زوجته هذا الوفاء الممتد والعميق . وقد كان لاعتذاره ما يسوغه .

أولاً : ما سعى الإنسان إلا لنسيانه والمرء قد يحزن إلى الحد الذى يوشك الغم أن يفلق كبده ولكنه ومع مر الغداة وكر العش ينسى كل شئ ، لا يستثنى من ذلك أحد !

ثانياً : أن الغريزة باقية .. وقد يشتد ضرامها بالفراغ ، ومن واقعية الإسلام أن تفسح لها الطريق فرارا من تداعياتها المرة لو كبتناها .

والتاريخ شاهد بحقية ما سبق :

أ- « أم هشام بنت عبدالله بن عمر :

تزوجها عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو وكان يحبها حبا جما فأوصاها فى مرض موته ألا تنزوج بعده . وقد أقسمت على الوفاء له . ثم تزوجها عمر بن عبدالعزيز فغير رجل بذلك قائلا :

تبدلت بعد الخيزران جريدة

وبعد ثياب الخنز .. أحلام نائم

ولما حاول عمر - رضى الله عنه - الدفاع عنها تدخلت هى فدافعت هى عن نفسها ، وكانت لها رفيقات على ذات الطريق لم يهدأن حتى عثرن على الرفيق !

وثالثاً : كان « أبوسلمة » رضى الله عنه - ملتزما بالسنة التى كان يحتكم إليها مؤيدا وجهة

نظرة : فقد روى الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ خطب « أم مبشر » بنت البراء بن معمر فقالت : إن شرطى لزوجى ألا أتزوج بعده . فقال ﷺ : « إن هذا لا يصلح » (٥) .

أجل لا يصلح .. وهذا ما تشهد به التجربة الإنسانية المؤكدة عرامة غريزة الجنس ، والتى قد تسكت يوما تحت ضغوط الأحزان .. لكنها أبدا لا تموت .

جمال الواقع

أحيانا يضيق الإنسان بواقعه وما يضح به من متناقضات ، وعندئذ قد يبحر فى أحلام يقظة فى عالم من الخيال أو الخبال يصنعه لنفسه حتى يرى فى هذا الخيال من الجمال ما لا يراه فى واقعه الصارم ..

وتلك سلبية تأبأها إيجابية المؤمن الذى لا يفر من واقعه بل يحاول أن يطوره لصالحه .. وعندئذ يصبح الواقع - بالإيمان - أجمل من الخيال .

وما قدمناه من موقف الزوجين إنما هو ذلك الواقع المائل .. وليس هو الخيال الجانح .. أو الجامح .. الواقع الذى يترأى للمتوسمين على مدار الزمان يؤكد ماذهب إليه علماء النفس أخيرا :

[إن السعادة هى ذلك الشعور المستمر بالطمأنينة والبهجة ، هذا الشعور السعيد يأتى نتيجة الإحساس الدائم بخيرية الذات والحياة والمصير . وللوصول إلى هذا الإحساس الإيجابى فعلى الزوجة أن تتجنب القلق والتفكير المستمر فى السعادة . والذى يؤدى بالضرورة إلى التفكير فيما كان من قبل . وفيما يكون





بال، حيث كان هذا البديل هو خير البشر ﷺ ..

إن قصارى ما يطلب من الزوج وهو يودع الحياة.. أن يسكت فلا يرضى لزوجته أن تكون من بعده تحت رجل غيره.. ليحكم دولة كان فيها السيد المطاع..

ولكن «أبا سلمة» رضى الله عنه - وبلا حساسية - يفترض أن يكون لها زوج يرث ما كان يملك.. ولا يرى غضاضة في أن يكون خيرا منه.. وتحمل أعصابه قسوة هذا الموقف ولكنه الوفاء سبيلا إلى حسن الجزاء.. وأجمل بلحظة مباركة.. يظللها الإخلاص بين الزوجين وقد أوشكت أيام العمر أن تنصرم إنها «حبة الفاكهة» تلك الفاكهة التي يضاعف الله - تعالى - حلاوتها.. وقبل سقوطها!

أزواج الـيوم

وإذ تبدو الزوجة هنا سماء لا تطاولها سماء، ولا يسعى لها على قدم، فإن على زوجة اليوم أن تقارب وتسد.. وإذا لم تصل.. فإنها تقترب.. فما لا يدرك كله.. لا يترك جله.. ومسئولية الزوج عن صلاح الأسرة وتوثيق العلاقة الزوجية مسئولية مباشرة. فينبغي للعاقل أن يكون له وقت معلوم، يأمر زوجته بالتصنع له فيه ثم يغمض عن التفتيش ليطيب له عيشه. وينبغي لها أن تتفقد من نفسها هذا.. فلا تحضره إلا على أحسن حال. ويمثل هذا يدوم العيش.

فأما إذا حصل منها التبذل.. بانت بها العيوب فنبت النفس وطلبت الاستبدال. ثم يقع مع الزوجة الثانية مثل ما وقع فى الأولى. وكذلك ينبغى له أن يتصنع لها.. كتصنعها له ليدوم الود بحسن الائتلاف.

من بعد. وهذا فى حد ذاته يفسد الشعور بالسعادة، إن السعادة حقا هى : الرضا بالواقع.. ثم بتكيف النفس طبقا للظروف الواقعة]

مع ابن القيم

ونستأنس بما قاله ابن القيم وهو يتحدث عن هذه اللحظات التى يعيشها الزوجان خارج الزمن.. وكأنهما معا فوق السحاب.. فوق تصور العوام [ولا يفهم حقيقتها من الحب سوى المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب.

يعنى : أن حقيقة المحبة وسرها لا يفهمه من الحب إلا محبوبة. وذلك لشدة الاتصال الذى بينه وبين محبوبة فى الباطن : فروحه أقرب شئ إليه. وأما الغير.. وإن علم أنه محب بظهور أثر المحبة عليه وقيام شاهدها لكن لا يدرك تلك اللطيفة التى يدركها المحبوب من محبة لموضع الاتصال بين الزوجين. ولا سيما إذا كانت المحبة من الطرفين. فهناك المعجب والمناجاة والملاطفة والإشارة والعتاب والشكوى.. وهما ساكنان لا يدرى جليسهما ما شأنهما على حد قول القائل: تشير.. فأدرى ما تقول بطرقها

وأطرق طرفى عند ذاك.. فتعلم

تكلم منا فى الوجوه عيوننا

فنحن سكوت والهوى يتكلم!

رد الجميل

فقد كان جميلا أن يرد الزوج إلى زوجته ذلك الوفاء بأجمل منه، دعوة مخلصنة : أن يرزقها الله - تعالى - زوجا خيرا منه لا يحزنها، ولا يؤذيها. ولقد أجيبت الدعوة على نحو لم يكن يخطر على



الجاء ولا يحصل المراد. وليس فى الدنيا أبله ممن يطلب النهاية فى لذات الدنيا.. وليس فى الدنيا على الحقيقة لذة إنما هى راحة من مؤلم.

ولكن من هو السعيد حقاً فى هذه الدنيا؟ يجب ابن الجوزى: [السعيد من إذا حصلت له امرأة أو جارية.. فمال إليها.. ومالت إليه.. وعلم سترها ودينها.. أن يعقد الخصر على صحبتها.. وأكثر أسباب دوام محبتها ألا يطلق بصره.. فمتى أطلق بصره أو أطمع نفسه فى غيرها.. فإن الطمع فى الجديد ينقص الخلق وينقص المخالطة.. فتميل النفس إلى المشاهد الغريب.. ويتكدر العيش مع الحاضر القريب.. ثم تصير الثانية كالأولى.. وتطلب النفس الثالثة.. وليس لهذا آخر^(٨).

ثم يقول فى موطن آخر: ^(٩)

ومن أعظم الضرر الداخلى على الإنسان كثرة النساء، إنه أولاً: يتشتت همه فى محبتهم. ومداراتهم وغيرتهم والإنفاق عليهن. ولا يأمن إحداهن أن تكرهه وتريد غيره. فلا تتخلص إلا بقتله.]

هذه هى التجربة بدرسها المفيد، ولكن بعض الأزواج، يكره حين يكره.. ويحب حين يحب لا لعب فى الأولى ولا لمزية الثانية.. وإنما هو متبع هواه فلا ذكاء.. ولا زكاء. لا قريحه وقادة.. ولا طيبة منقادة! وإنما هو عذاب الهيام.. أو السباحة فى بحر من الأوهام، لا يموت فى نار الشهوة ولا يحيا! ثم صار أمره على ما قيل:

فأصبحت كالهيماء: لا الماء مبرد

صداها.. ولا قاض عليها هيامها

ومتى لم يجر الأمر على هذا فى حق من له أنفه من شىء تنبو عنه النفس، وقع فى أحد أمرين: إما الإعراض عنها وإما الاستبدال بها. ويحتاج فى حالة الإعراض.. إلى صبر عن أغراضه وفى حالة الاستبدال إلى فضل مغونة. وكلاهما مؤذ.

ومتى لم يستعمل ما وصفنا لم يطب له عيش فى متعة.. ولم يقدر على دفع الزمان كما ينبغى^(٦).

زوجة واحدة.. تكفى

وليت شعرى، إنها زوجة واحدة.. ومع ذلك فقد ملأت حياة زوجها أنساً.. بوفائها.. وحسن تبعلها.. فما لهؤلاء الذين يحاولون تجديد الفراش.. كلما هفت نفوسهم إلى التجديد.. وما فيهم من رجل رشيد وفيهم يقول ابن الجوزى حين يقول: ^(٧)

[كنت أسمع على بن الحسين الواعظ يقول على المنبر: والله لقد بكيت البارحة.. فبقيت أنا أنفكر وأقول: أى شىء قد فعل هذا حتى يبكى؟ هذا رجل متنعم! له الجوارى التركيات، وقد بلغنى أنه تزوج فى السر بجلمة من النساء، ولا يطعم إلا الغاية من الدجاج والحلوى، وله الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض والإفضال على الناس. وقد حصل طرفاً من العلم، واستعبد كثيراً من العلماء بمعرفه، وراحته دائمة الندى.. فما الذى يبكيه؟!]

فتفكرت.. فعلمت أن النفس لا تقف عند حد بل تروم من اللذات ما لا تنتهى له وكلما حصل لها غرض.. برد عندها.. وطلبت سواه.. فيفتنى العمر ويضعف البدن ويقع النقص ويرق

(٧) نفس المرجع/٣٨٩.

(٦) صيد الخاطر - ٢٣٨.

(٨) نفس المرجع ص ٣٨٩.

(٩) صيد الخاطر: ٢٨٩-٢٩٠.



هوامش

على كلمة الدكتور أسامة الباز

لفضيلة الشيخ / الطاهر الخاسري

الجزء الثالث
والأخير

قد يكون من الأمور الصعبة أن تقنع خصما برأيك ومهما تكن من صعوبة فى إقناعك له فإنه ممكن على أى حال، لكن الأكثر صعوبة أن تقنع حاقدا أو ظالما مستبدا فإن الحاقد مهما كانت حجتك قوية فإن حقه عليك أكبر من أى حجة وأقوى من أى برهان، أما الظالم المستبد فإن ظلمه واستبداده يُعميانه عن النظر والتسليم بأى حجة فإن من طبيعة الظلم الاستبداد ومن طبائع الاستبداد التشفى، ونحن إذ نناقش أعداء الإسلام الحاقدين عليه الكارهين لمبادئه نعلم - سلفا - أن حقدهم طمس على قلوبهم وأن استبدادهم ألهب مطامعهم فباتوا لا يرقبون فينا إلا ولا ذمة.

قال صاحبى: ويحك من تجادل إذا؟ ولمن تفند ما زعموه حججا ومطاعن على الإسلام وأهله؟ قلت: رعاك الله إنه لكلام جيد واستفهام رشيد حيث إنى أناقش الحجاج وأفند المزاعم لا من أجل أن يقتنع هؤلاء الناس فانا أعلم سلفا أن الحقد أعمى قلوبهم وأن الإحساس بالقوة وطبيعة الاستبداد فى نفوسهم أعمتهم عن كل حق وباتوا لا يرون فى أمم الأرض وأجناس البشر إلا حشرات ضارة يجب أن يتخلصوا منها وفى أحسن الأحوال خدم يجب أن يعملوا فى المصانع والحقول لكى يعيش السادة وينعموا بالخيرات.

والحق أنى لا أناقش هؤلاء فلست أرى أملا فيهم إنما أناقش وأفند الحجج حتى لا يُروَّج لهذه الأباطيل فى بنى قومي فإن كثيرا منهم إما غر ساذج مخدوع



بدعايات الغرب وزخرف المدنية الغربية أو صنيعة للقوم تربوا على موائدهم واستأنسوا تحت أقدامهم يروجون لأفكارهم . لا نتهمهم بالعمالة وإن كانوا لا يتنزهون عنها فنحن لا نبغى إلا المحافظة على الشباب الغر الساذج نجلو له الحق ونبين له وجه الصواب وأثناء ذلك ومن قبله ومن بعده ندعو بالهداية للجميع وعلى نفس المنهج الذى اتبعناه فى تناول المزايم نتناول مابقى من هذه الأباطيل . وحيث كنا قد انتهينا من الزعم السابع يبقى لنا من الثامن حتى الثالث عشر وهو آخر الأباطيل، وهى كما وردت فى مقال الدكتور الباز بنصها على النحو التالى نذكرها حتى يكون القارئ الكريم معنا فيما نحن بصده قال :

«ثامناً : أنه أى الإسلام دين يتسم بالإيمانية الغيبية والاتكالية، والتسليم بالقضاء والقدر والسلبية، بدلا من الاحتكام إلى العقل وإعمال المنطق الذى يقوم على أسس موضوعية قابلة للتحليل والتمحيص والاختبار .

تاسعاً : إنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف بدعوى الجهاد فى سبيل الله، وهو ما يؤدى إلى الإرهاب ويضفى عليه شرعية دينية وأخلاقية واجتماعية فى أوساط المسلمين .

وهكذا نجد كثيرا من المفكرين والمسؤولين فى الغرب يتحدثون عن «الإرهاب الإسلامى»، ويستدلون على هذا ببعض العمليات التى قام بها مسلمون إما دفاعا عن النفس أو سعيا لاسترداد الحقوق المغتصبة أو لتحرير الأرض، أو بما يقوم به بعض المسلمين دون وازع دينى أو لأغراض دنيوية أو انطلاقا من مفاهيم خاطئة، ثم يحاولون نسبة أعمالهم ومقاصدهم إلى تعاليم الإسلام ورغبتهم فى نصرة الأمة الإسلامية .

مثال حديث : أسامة بن لادن والمبررات التى ساقها لتفسير عداته للغرب وخاصة الولايات المتحدة وإصراره على إلحاق الضرر به وإيذائه بدعوى أن العالم ينقسم إلى فسطاطين .

عاشراً : غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام السياسى الإسلامى، طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله - تعالى - وطالما أن الناس يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وهو ما يستوجب قيام النظام السياسى على أساس فكر واحد مستمد من الإسلام، تسيطر عليه فئة تدعى لنفسها صفة «الجماعة الإسلامية» .



حادى عشر: أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد، وهكذا ظلت نظم وأحكام إسلامية عديدة متسمة بالجمود وعدم الاستجابة إلى التطورات والمستجدات التى يشهدها المجتمع فى كل حقبة زمنية.

ثانى عشر: أن الإسلام عقيدة عدوانية، يحض المؤمن على قتل أى كافر يلتقى به أو يصادفه فى الطريق، لأنه لا يعطى البشر حرية اختيار عقيدتهم ولا يسمح بالتعايش بين أتباع الأديان المختلفة.

ثالث عشر: انه نظراً لصرامة وجساسة المتطلبات التى يضعها الإسلام على كاهل المؤمنين، فإن الملاحظ أنه كثيراً ما يتسم سلوك المسلمين بوجود هوة سحيقة بين القول والعمل، والمظهر والمخبر، وكثير من المسلمين يحرصون حرصاً زائداً على أداء الفرائض والنوافل والشعائر، دون أن ينعكس هذا على سلوكهم الحياتى وقيمهم وأسلوبهم فى التعامل مع الآخرين، وبذلك يصبح الإيمان طقوساً غير ذات مضمون، لا تنعكس على أخلاقيات المؤمنين والمعايير التى يطبقونها فى حياتهم وفى تعاملهم مع الآخرين» انتهى بنصه.

ورداً على الزعم الثامن نقول:

الواقع أن من يتهم دين الإسلام بالاتكالية لم يفهم مبادئ الإسلام ولا فلسفته وثمة فرق واضح بين ما يسمونه بالاتكالية وبين إيمان المسلمين بالغيب. والغرب - فى تصوورى - لا يمكن أن يفهم معنى الإيمان بالغيب، وفرق واضح بين الإيمان بالغيب فى شريعة الإسلام وبين التغيب والمغيب وما تحمله مادة غاب فى مفهوم الغرب المسيحى إذ أن الإيمان بالغيب فى شريعة الإسلام جاء نتيجة الإيمان بالله - تعالى - وبأنه - سبحانه - أرسل رسولا صادقاً أميناً أخبر بأمور غيبية لا يمكن لبشر أن يتكلم فيها أو يعيها، فإنها غالباً خارج نطاق العقل البشرى بمعنى أن العقل البشرى لا يمكن أن يدرك على وجه اليقين أبعادها الحقيقية، إنما يصدق بها لأن الذى أخبر بها هو الصادق الأمين: مثل أمور الآخرة وما يحدث فيها من حساب وميزان وحشر.

وذلك بعيد عن التصور الغربى المعاصر الذى يحصر هذه الأشياء كلها فيما يسميه ميتافيزيقا «أى ما وراء الطبيعة» وتصوره عنها هلامى غير واضح، جُلّه من أساطير وأوهام، والذى يزعم غير هذا مضلل أو مدغ.

وعقيدة المسلمين فى اليوم الآخر واضحة الأبعاد والمفاهيم ولا يسبق إلى



الوهم أن عقيدة المسلمين تتشابه أو تتطابق مع تصور المصريين القدماء فى اليوم الآخر، فإننا نعتقد أن بعض الصواب فى تصور الفراعنة إنما كان من أديان سماوية سابقة اختلطت ببعض اجتهادات شخصية لبعض الفراعين .
وإن ما ينسب إلى إخناتون من أنه نادى بالوحدانية فهو وحدانية وثنية، لا تمت إلى عقيدة الإسلام الواضحة عن الألوهية واليوم الآخر .

بعد هذا نقول : إن اتهام الغرب للإسلام بأنه عقيدة غيبية اتكالية ناتج من عجز اللغة وعدم الإدراك الحقيقى لمفهوم النبوة والرسالة والعصمة .

وتلك آفة نتحمل نحن المسلمين منها نصيبا كبيرا، فأنا أقصد بعجز اللغة عجز المسلمين عن تقديم ترجمة واضحة تنقل إعجاز الحجاز القرآنى وإعجاز جوامع الكلم النبوى فإن أغلب الترجمات فيما يبدو لى كانت تتم بطريقة معجمية سطحية وقد لمست ذلك بنفسى أثناء انعقاد أحد مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية فقد شاء الأزهر أن يتم تكريم « جارودى » أثناء فترة المؤتمر ودعى الرجل فى احتفال مهيب داخل قاعدة الإمام محمد عبده وتكلم بالفرنسية عن تجربته وإسلامه إلا أن الترجمة تمت بواسطة من يجيدون لغة معجمية صماء ولا يدركون روعة الأسلوب النبوى وسموه ولا إعجاز القرآن وبلاغته وكانت النتيجة استياء لم يستطع الحاضرون كتمانهم حيث إن أغلبهم من الطلاب المتحمسين لسماع الرجل العظيم . وتفلت الاحتفال من أيدى القائمين عليه والداعين له وانقلب الأمر إلى هجوم وفوضى وتدارك الأمر مفكر نبيل رحمه الله هو الدكتور رشدى فكار وقام بالترجمة بوعى لغوى وحس إسلامى فجذب الانتباه وعم الهدوء وساد صمت تجلّى فى إصغاء الحضور خصوصا طلاب جامعة الأزهر وعم الإعجاب الذى عبر عنه تصفيق الطلاب ومقاطعة الدكتور رشدى فكار أكثر من مرة وانفرجت أسارير « جارودى » نفسه .

هذا مثال أقدمه لعجز اللغة نتحمل تبعته نحن وهو يتسبب فى فهم سيئ للغرب عن الإسلام أو على أقل تقدير تبرير معقول فى مواجهة إنكارنا عليهم .

فمثلا نرى فى تاسعا يُتهم الإسلام بأنه دين يبيح اللجوء إلى القوة والعنف وبتنا نسمع عما يسمى بالإرهاب الإسلامى فإن من الفهم الخاطىء أو المتعمد أننا نسمع من يقدم دليله على أن الإسلام دين الإرهاب قول الله تعالى :



﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ مَخْلُوعٍ تَرْهَبُونَ يَدْعُوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ﴾^(١)

ويفهم كلمة «ترهبون» على أنها دليل الإرهاب مع أن هذا المعنى لا يفهمه أى مسلم ينطق بالعربية إذ أن المعنى الواضح والمستقر فى أذهان المسلمين وضمائرهم أنه الاستعداد للردع وهو من الأمن الوقائى وليس من الإرهاب كما يزعمون^(٢). لكن الغرب يتعامل مع المسلمين بسياسة الذئب والحمل حيث إنه بيت النية سلفا على الفتك بالحمل، ولم يبق إلا المبررات الساذجة غير المقبولة والتدخل الوقع فى شئون الغير.

فمثلاً عاشراً نراه يلوم المسلمين على غيبة الديمقراطية والتعددية فى النظام الإسلامى طالما أن الحاكم يستمد السلطة من الله.

وأمام هذا الادعاء القبيح أرانى مضطراً أن أذكر بكلمة «نهر» وهى أن الغرب فى تعامله مع العالم الثالث يعتقد أن الحرية والديمقراطية فراء ثمين لا يناسب أبناء المناطق الحارة. فإذا كان الغرب يؤمن بالديمقراطية والتعددية ويلوم على الإسلام أنه لا يتعامل بها «فهل من الديمقراطية والمساواة ما ابتزت به أمريكا مجلس الأمن لإصدار قرار لتأجيل سريان قرار المحكمة الجنائية على جنود أمريكا - المشاركين فى قوات حفظ السلام الدولية والذين ارتكبوا بعض الجرائم - لفترة عام من المسائلة أمام المحكمة الجنائية الدولية؟ أليست هذه نازية أمريكية جديدة؟.

أما عن زعم أن الحاكم يستمد سلطته من الله تعالى فى النظام الإسلامى فهذا ناتج عن سوء نية بالإضافة إلى قصور فى اللغة كما سبق أن قلت.

فإن عبارة المسلمين عن أن الحاكم ظل الله فى الأرض التى وردت فى بعض الأدبيات الإسلامية لا تعنى المعنى الحرفى أبداً إنما تعنى أنه مسئول عن تنفيذ شرع الله وإلا فليست العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ وإلا لما قال أبوبكر فى أول يوم تولى فيه الخلافة: «أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم» وكما قال الخليفة الثانى



عمر نفس المعنى حتى قرت عينه بعبارة أحد المسلمين لما قال له «والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا» .

فهل وصلت ديمقراطية الغرب إلى هذا المستوى أو تقاربه أكاد أقول إن حضارة الإسلام وثقافته عالمية وارفة يتفيؤ العالم ظلالها ربما كانت هي ينبوع الذي استقى منه العالم رشدَه وصلاحه .

أما حادى عشر وهو أن الإسلام سمح بقفل باب الاجتهاد الخ، هذا التعبير وهو قفل باب الاجتهاد نقيصة اتهم بها الغرب الإسلام وروج لها أتباعه زمنا رغبة فى تغيير كثير من أحكام الإسلام بحجة الاجتهاد ولم أجد تحجرا فكريا أكثر من هذا التعبير الذى رددته كثير من مثقفى مصر بعضهم للأسف الشديد نكن له احتراما كبيرا فإننى مهما تصورت الاجتهاد فى مجال الفقه أو الشرع فإننى لا يمكن أن أتصوره باب موصد فلا يلجحه أحد .

قد ينعدم الاجتهاد فلا يوجد مجتهد، وما ذلك إلا لانعدام الذين تؤهلهم دراستهم وفكرهم إلى بلوغ هذه المنزلة . عندئذ ينعدم الاجتهاد أما أن يكون الاجتهاد بابا يغلق فلا يسمح بدخوله لأهله فهذه مغالطة فكرية لا يمكن أن نسلم بها . إنما انعدم الاجتهاد أو كاد لعدم وجود المؤهلين له ولانعدام أهله وفى غفلة من الزمن - كما يقولون - طفا على السطح علمانيون عاجزون عن فهم الفكر التشريعى فى الفقه الإسلامى - أو عامدون - بقصد التحلل من قواعد الشرع فباتوا يهرفون بما لا يعرفون .

ومهما يكن من أمر فإن الاجتهاد له قواعد وأصول يفهمها المتخصصون الدارسون المهتمون بهذا المجال ولا يمكن أن يكون كلاً مباحا لكل من هب ودب ممن يبغون التحلل من الإسلام عقيدة وشرعية باسم الاجتهاد .

وثانى عشر المفتريات أن الإسلام عقيدة عدوانية يحض أتباعه على قتل أى كافر يلتقى به .

نقول لو سلمنا جدلا بأن الإسلام عقيدة عدوانية وأنه يتخذ العدوان طريقه - لو سلمنا بذلك جدلا - فإن ما تفعله أمريكا اليوم من تدمير وتخريب وعدوان وتدخل سافر ومستتر فى شئون الأمم والأفراد هذا كله



فاق ما فعله المسلمون - إن كانوا قد فعلوا - إن الإجرام العالمى المقنن باسم الأمم المتحدة ومجلس الأمن لهو أفظع من العدوان نفسه لأنه تعد وتدمير وتغطرس بموافقة مجلس الأمن ورغم قسوة ما يعانيه العالم من نظام العولمة الظالم فإننا نؤمن بأن نهاية أمريكا قريبة وأنها تحفر قبرها بأفعالها لأن عدالة الله فى أخذ الظالمين قائمة وباقية .

وأمريكا باستبدادها وظلمها تستوجب عقاب الله وأخذه للظالمين إن أخذه أليم شديد يقول تعالى :

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُمُ لَمَّا ظَلَمْتُمْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (٣).

ويقول :

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ (٤).

فإن الظلم من الأسباب التى تستوجب عقاب الله تعالى :

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٥).

أما آخر الملاحظ وهى ثالثة الأثافي (٦) - كما يقولون - الزعم بوجود هوة سحيقة بين القول والعمل والخبر والمظهر بسبب تعاليم الإسلام! وفى مواجهة هذا الخبث الماكر والخداع باسم المبادئ فإننى أحب أن أسأل هل يحرص الغرب على أن نكون مسلمين صادقين نلتزم بالدين ظاهرا وباطنا؟ وهو لذلك يلوم علينا أننا أوجدنا هوة سحيقة بين القول والعمل وهو أحرص منا على أن نطبق مبادئ الدين الحنيف قولاً وعملاً؟ يا للعجب فلماذا يحرص على نشوز المرأة ولا يفتأ يترك فرصة على تحريضها بكل وسائل المغريات، ولماذا لا يمل من العمل على تفتيت الأسرة الإسلامية

(٢) راجع الأهرام مقال د/عبدالله الأشهل ترجمة معانى القرآن وتحديات الحوار مع الغرب ٢٠٠٢.

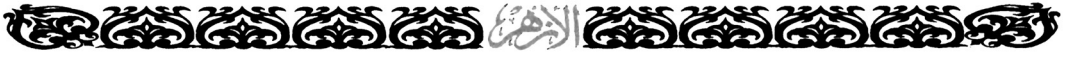
(٤) يونس / ١٣.

(٣) الكهف/ ٥٩.

(٥) الشعراء/ ٢٥.

(٦) مثل عربى قديم والأثافى هى الضلع الثالث فى الموقد الذى يوضع عليه القدر، وأصبح مثلاً يضرب لكل أمر سئء يلحق بسابقه فى السوء.





التي أمر الدين ببنائها وتماسكها ولماذا يحارب العفة في المجتمع الإسلامي ويدعو إلى الخلاعة والمجون ويحارب باسم ما يسميه الحداثة كل من يأمر بالفضيلة وينهى عن السفور بل لماذا يحرض على سن القوانين التي تجرم زواج صغيرات السن مع أن الزواج عمل مشروع ولم نسمع في الوقت ذاته أنه حرك ساكنا من أجل أفعال الشذوذ الوقحة حتى مع الأطفال الصغار بل هو يحارب الذين يستنكرون هذه الأفعال، ويدعوى الحرية الشخصية يندد بالأسوياء سليمى الفطرة والطباع الذين يقاومون الشذوذ ويرفضونه إن ما يزعمه الغرب ضد الإسلام أراجيف تنطوى على حقد لا يغيب عن ذى فطنة وليست حججا ذات منطق يناقش.

وأجد من المناسب أن أنهى كلمتى بما ختم به الأستاذ الدكتور الباز كلمته حيث قال : - وهو موفق كل التوفيق - طالما أننا نستطيع أن نرصد هذه الظاهرة - يقصد ظاهرة الافتراء على الإسلام - فإنه يصبح من المتعين علينا أن نتصدى لهذه الأراجيف التي تقوم على الزيف والافتراء، لا من منطلق دفاعى نشعر فيه بأن علينا أن نعتذر عن بعض جوانب القصور فى الفكر الإسلامى والممارسة الإسلامية، أو نخفف من وقع هذه الجوانب على الآخرين، أو نحاول أن نخفى حقائق معينة أو نحجبها عن الآخرين لكي نمنعهم من مهاجمة الإسلام.

بل يكون واجبا علينا أن نأخذ المبادأة فى التصدى لتلك المزاعم والمفتريات، بحيث نكون نحن البادئين بعرض الأطروحات والنقاط التي تعكس صحيح الإسلام لتعريف الآخرين بهذا الدين دون أن نفترض فيهم سوء النية، أو نتصرف على أساس أن أعداء الإسلام ومنتقديه هم فى الموقف الأقوى، لأن الحقيقة هى أن الإسلام - هو خاتم الرسالات - هو دين الحق والعدل والتقدم، الذى يحض على العلم والمعرفة وتحكيم العقل، كما أنه دين التسامح والتعايش بين الأمم والشعوب وهو أبعد ما يكون عن التعصب والكراهية والعدوان.

والله الموفق والهادى إلى الصواب





عداوة أمريكا وصداقتها ٢

إسرائيل هي أمريكا الصغرى وأمریکا هي إسرائيل الكبرى

للمستأذ الدكتور / عبد العظیم المطعنى

يقول الدكتور العمید :
نعم، أمريكا منحازة إلى
إسرائيل، ولكن ماذا
نستفید من کسب عداوتها؟

ونقول: إن حريات الشعوب ثمنها غال، وسلم الصعود إليها شديد
الوعورة، واسترجاعها إذا سلبت يبذل فيه كل غال ورخيص.
وإلى هذه المعانی أشار أمير الشعراء أحمد شوقى بقوله:

وللحرية الحمراء باب

بكل يد مضرجة يدق

ونحن لم نشتر عداوة أمريكا، ولم نكن مختارين لها، وإنما هي رد فعل
قهري لما تصنعه أمريكا معنا، ليس فى وقت دون وقت، ولكن فى جميع
الأوقات منذ أن تبنت أمريكا حماية إسرائيل، وحتى هذه اللحظة سيرة
أمريكا معنا، تشير إلى حقيقة لا تقبل الجدل وهى:

إن أمريكا تعاملنا معاملة العدو للدود لها، سواء قلنا نحن: إن أمريكا عدوة لنا،
أو قلنا: إن أمريكا صديقة، أعنى أن كلا موقفينا من أمريكا لا يغير من سلوكها
نحونا شيئاً، وما دام الأمر كذلك، فمن المفيد لنا أن نجاهر بأنها عدوة لنا... ولماذا؟

لأن ذلك سترتب عليه احتمالات:

يوصل الأستاذ
الدكتور
عبد العظیم
المطعنى تحليل
آراء الأستاذ
الدكتور
عبد الحمید
الأنصارى عمید
كلية الشريعة
والقانون بجامعة
قطر فى الحوار
الذى نشرته
جريدة الراية
القطرية أوائل
يناير الماضى مطلع
عام ٢٠٠٢م.



الاعتداءات المستمرة من إسرائيل شارون على الشعب الفلسطيني الأعزل .

* لا يتحرك لأمريكا ساكن من غارات إسرائيل المستمرة على مقدرات الشعب الفلسطيني، وإذا قام بعض الفلسطينيين بعملية ردع ضد إسرائيل اهتزت أعصاب الإدارة الحاكمة في أمريكا، وصرحت بأن إسرائيل من حقها الرد على هذا الإرهاب .

* في أعقاب أى عمل إسرائيلي تدميري واسع النطاق على المدن والقرى الفلسطينية - لا تندد أمريكا بوحشية إسرائيل، وإنما تسرع بإمدادها بالمال والسلاح وفي إحدى المرات منحت أمريكا إسرائيل ثلاثة مليارات دولار مكافأة لإجرام إسرائيل ومجرميها؟!

* يرفض الرئيس الأمريكى مقابلة الرئيس ياسر عرفات إذا ذهب إلى أمريكا . . وإذا حضر شارون أخذه الرئيس بوش بالأحضان .

* لا تعتبر أمريكا ما تقوم به إسرائيل من جرائم وحشية ضد فلسطين إرهابا، وإذا فجر شاب فلسطينى نفسه فى حافلة إسرائيلية علت أصوات أمريكا بإدانة هذا الإرهاب .

* إن أمريكا تضع العرب والمسلمين تحت أقدامها من أجل حماية إسرائيل، وتضع أمريكا إسرائيل أمام ناظريها لحمايتها من كل ما يعكر صفوها، لذلك نقول: «إن إسرائيل هى أمريكا الصغرى، وإن أمريكا هى إسرائيل الكبرى .

* ويقول الدكتور العميد: «أرفض الإسلام الذى يفرخ الإرهاب؟ ويجب وقف الخطباء الذين يزرعون الكراهية» .

منها، ربما راجعت أمريكا موقفها منا فى يوم من الأيام فتصلح فى المستقبل ما أفسدته فى الماضى والحاضر .

ومنها ألا تحسبنا أمريكا أغبياء لا نفرق بين من يحسن إلينا وبين من يسئ إلينا، وهذا قد يطعمها فينا أكثر وأكثر .

* تبصير شبابنا وأجيال المستقبل بموقف أمريكا منا، حتى لا تجرفهم كوارث الغفلة فى المستقبل القريب أو البعيد، وبقيت ملاحظة مهمة على عبارة العميد الآنف الذكر «نعم أمريكا منحازة لإسرائيل» .

إن هذه العبارة وإن شارك فى ترديدنا آخرون غير العميد، لا تصور حقيقة العلاقة العنصرية بين أمريكا وإسرائيل، وإنما الذى يصور حقيقة تلك العلاقة الحميمة جدا أن يقال :

«إسرائيل هى أمريكا الصغرى، وأمريكا هى إسرائيل الكبرى» .

فليست المسألة إذن مسألة انحياز أمريكى لإسرائيل بل هو تركيب عضوى شديد الحساسية، مثل تركيب الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

إن كل شئ تصنعه أمريكا مع إسرائيل يؤكد هذه الحقيقة ومن الأمثلة على ذلك :

* اعتزام أمريكا نقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس الشرقية وهى تعلم يقينا أنها مدينة فلسطينية تاريخا وحاضرا .

* إن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى تقف عقبة كمودا أمام إرسال قوات دولية، تحول دون

الآلام ومسبباتها، ولكن تفقدنا مجرد الإحساس بها، وسريعا ما يزول مفعولها. ومتعاطى المسكنات يخدع نفسه، يظن أنه برأ من دائه، والداء كامن فيه، يفتك بكل قواه وهو لا يدري، ورسولنا الكريم يقول مرغبا لنا فى الوحدة والحفاظ عليها: «من جاءكم وأمركم جمع يريد أن يفرق بينكم فاضربوا رأسه بالسيف كائنا من كان»^(٢)، والتاريخ خير شاهد، على أن الأمة لا يجمعها إلا الدين، ولم تحقق انتصاراتها إلا بالدين. وممن لاحظ هذه الحقيقة ابن خلدون فى مقدمته المعروفة.

إن إسكات أصوات المنابر سوف يصيب ألسنة الدعوة بالبكم، ويلقى قيمها ومبادئها فى كهوف الظلام.

إلى هنا فرغنا من مناقشة أفكار الدكتور العميد، التى أبرزها محرر «الراية» فى مقدمة الحوار الذى أجراه مع سعادة الدكتور العميد، عبد الحميد الانصارى عميد كلية الشريعة والقانون، بدولة قطر الشقيقة، وبقيت له أفكار أخرى لم يبرزها المحرر الاستاذ أنور الخطيب - أفكار جديدة بالمناقشة، وليس فى وسعنا استقصاء الحديث عنها كلها، لكثرتها، لذلك آثرنا قصر الحديث عن بعض منها فى الآتى:

* سأل المحرر الدكتور العميد:

دعوتك لإعادة النظر فى المناهج التعليمية فى العالم العربى هذه الدعوة ترافقت مع الدعوات الأمريكية بعد أحداث سبتمبر

ونقول: على رسلك أيها الدكتور العميد، انظر ماذا تقول؟ إنك قلت منكرا من القول وزورا، فليس لدينا إسلام يفرخ الإرهاب. وإنما لدينا إسلام يدعونا أن نكون دائما أقوياء، ندفع العدوان عن حرماتنا ومقدساتنا وحرقاتنا وديننا. وهذا هو ما يفعله الخطباء يعبئون الأمة لرد الخطر عنها، لا لتعتدى هى على غيرها. نحن لا نسمح لنا ديننا بظلم أحد وإن كان ملحدا، كما أنه لا يسمح لنا أن نكون جبناء مستعبدين فى الأرض، يسومنا الأعداء سوء العذاب.

وكتاب الله العزيز يأمرنا ويقول:

﴿وَأَعِدُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَبْلِ الرَّحِيقِ﴾
﴿يَعِدُ اللَّهُ وَعْدًا حَقًّا وَأَعْرَضَ عَنْ الْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْمَانُ لَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ لَهُمْ﴾^(١)

فهل الله إرهابى يأسعاده الدكتور العميد؟
إن السبيل الوحيدة لدرء الأخطار المحدقة بالأمة الآن هى الوحدة الجامعة، وأفضل عناصر توحيد الأمة هى المساجد، ولولا المساجد لانحسر الإسلام بعد عصر الخلفاء الراشدين، ولما بقى منه شئ فى الوجود الآن.

وإذا تحققت وحدة الأمة هانت كل العيوب التى توجد فيها. وإذا غابت وحدة الأمة فلن يصلح شأن الأمة شئ سواها.

واستبعاد دور الدين فى تجميع صفوف الأمة وتوحيد كلمتها ضرب لها فى أقتل مقاتلها، وكل محاولة نحاولها لوحدها الجامعة - بعيدا عن الدين لا يحقق للأمة رغبتها فى التحرر والبقاء، لأنها بمثابة مسكنات لا تقضى على

الماضى لإعادة النظر فى المناهج الإسلامية هل كان ذلك مصادفة..؟

وقد جاء رد الدكتور العميد فى فقرات نذكرها مفرقة مع مناقشة كل فقرة منها.

الفقرة الأولى:

«أنا من المهتمين بإعادة النظر فى المناهج الإسلامية، وإزالة ما بها من بذور تورث الكراهية. ضد الآخرين. ضد المرأة، ضد المختلف معنا فى الدين أو المذهب. هذا قوله، ونقل:

إن ما ورد فى هذا الشأن من كتاب الله وسنة رسوله لا يدعو إلى كراهية أحد بل على العكس يدعو إلى التسامح، ومعاملة المخالف لنا فى الدين بالقسط، ويأمرنا كتاب الله بأن نبرهم ونحسن إليهم، ولكن بشرط ألا يكونوا حرباً علينا، ولا يظاهروا عدواً لنا على قتالنا فى الدين، أو إخراجنا من أرضنا.

وهذا لا ينطبق على أمريكا التى يدافع عنها الدكتور العميد، لأنها تقاتلنا فى الدين (...)، وتظاهر من يقاتلنا ويخرجنا من ديارنا (إسرائيل).

والإسلام جعل العلاقة بين المسلمين وغيرهم علاقة سلام لا علاقة كراهية وحرب - إلا من طعن فى ديننا أو نقض عهده معنا وآذانا.

١- والله دعانا إلى السلام فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٣)

هذا هو أصل العلاقة. «أما إذا حمل غيرنا السلاح علينا فليس له عندنا إلا التصدى لرد العدوان».

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٤)

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (٥).

فالقتال فى الإسلام لا يكون إلا فى مقابلة قتال بدأنا به العدو وهذه الآية:

﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ يَمْثِلْ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ (٦).

توضح المعنى الذى تضمنته الآيات المذكورة، وتزيد عليه مبدأ المعاملة بالمثل وهو مبدأ دستورى عام فى كل النظم، حتى الوضعية منها.

أما أن فى الإسلام ما هو ضد المرأة، فهذه كبوة فى فهم العميد لموقف الإسلام من المرأة: فى جميع مراحل حياتها بنتاً، وزوجة، وأماً، ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد قول الله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (٧).

(٤) البقرة «١٩٠».

(٦) البقرة «١٩٤».

(٣) البقرة «٢٠٨».

(٥) التوبة «٣٦».

(٧) البقرة «٢٢٨».



وهي درجة الرعاية والكفاية والحفظ والتوجيه
(القوامة) وقوله:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٨)

وقال صاحب الرسالة - رحمه الله - في خطبة حجة
الوداع:

«استوصوا بالنساء خيرا» (٩).

وقوله:

«النساء شقائق الرجال» (١٠).

وكفى المرأة تكريماً في الإسلام أنه انتشلها
من الهوان الذي كان يمارس ضدها في
حضارات الأمم الغابرة، الفرس والروم وعرب
الجاهلية.. وهذا أمر شرحه يطول. ومن
نماذجه أنها كانت تؤاد بعد ولادتها وهي حية
أو تحرق إذا مات زوجها قبلها، لأنها تصبح
غير ذات قيمة بعد مماته! أو تورث ضمن
التركة بعد موته، أو تحرم من الميراث من
والديها. وبعض الديانات الكتابية تعتبرها
شرا خالصا لا خير فيها.

ثم جاء الإسلام فكرمها وجعلها هي
والرجل سواء في الحقوق والواجبات، وأعفاها
من كثير من الأعباء الثقيل، التي لا تناسبها،
وألقى بها على كواهل الرجال.

فأى شيء يراه الدكتور العميد ضد المرأة
في التعليم الديني الإسلامي يا ترى؟

هلنعكس محاسنه سيئات، ومزاياه
قوادح، ثم نتيح الفرصة للإسلام أن يقول
كما قال الشاعر.

إذا محاسنى اللائى أدل به

عدت ذنوبى فقل كيف أعذر؟

وما أفضح أن يظلم الإسلام على أيدي
بنيه، بل على أيدي النابهين من بنيهِ.. وظلم
القريب أشد إيلاما لقريبه من ظلم البعيد.

وفى هذا قال شاعرنا الحكيم قديما:

وظلم ذوى القربى أشد مرارة

على النفس من وقع الحسام المهند

وقال الدكتور العميد فى فقرة أخرى:

«وجهودى فى هذا المجال جزئية ضمن
جهود مصلحين كانوا قبلى، الشيخ محمد
الغزالى والشيخ محمد عبده».

ونقول للدكتور العميد: إنك تظلم
الشيخين محمد عبده والغزالى إذا سويت بين
جهودهما الإصلاحية فى مجال الفكر
والعلم؛ لأن جهودك فى واد وجهودهما فى
واد آخر مع بعد الشقة بين الواديين.

الشيخ محمد عبده كان تلميذا للشيخ جمال
الدين الأفغانى، وجمال الدين هو الذى قال
لمسلمى الهند تحت الاحتلال الإنجليزى، وكان
عدد مسلمى الهند إذ ذاك أربعين مليوناً، قال لهم
جمال الدين: «لو كنتم أربعين مليون ضفدعة
لألقيتم بالإنجليز فى قاع المحيط الهندى!»

(٩) البخارى (٤/١٦١)، (٣٤/٧).

(٨) النساء «١٩».

(١٠) كشف الخفا (٢/٤٥٣).





الشيخ رشيد رضا صاحب «المنار» .

وأيا ما كان الشأن فإن جهود الشيخ محمد عبده في الإحياء والإصلاح، لا تماثل، بل ولا تشابه بينها وبين جهود الدكتور العميد، التي عرض نماذج وافرة منها في حوار مع محرر جريدة «الراية» القطرية - الأستاذ أنور الخطيب في أوائل يناير من هذا العام (٢٠٠٢) .

أما الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - فقد عايشناه في حياته الزاخرة بالعطاء الفكرى الفياض . وقد عاش الرجل قرابة الستين عاما حاملا راية الجهاد، نصيرا للإسلام بوعى وحكمة حاملا هموم أمته في قلبه، معبرا عنها بلسانه وقلمه السيلال الذى فقدناه .

وجهوده في مجال الدعوة يمكن - تواضعا - حصرها في محورين:

المحور الأول: التصدى لكل ما يقال عن الإسلام من الداخل والخارج، وتبيين افتراءات الخصوم، وإحلال حقائق الإسلام الناصعة محل تلك الافتراءات .

المحور الثانى: محاولات موفقة لبعث الأمة الغافية من جديد، وحثها على أن تأخذ بأسباب القوة، وتفجير كل الطاقات المتاحة، لتمتلك من فقه الدنيا وإعمارها مثل ما تمتلك من فقه الدين وقيمته الرفيعة، ومقاصده الشامخة حتى تنتج ما تحتاج إليه في حياتها المادية، لأن الذى لا يملك دنياه لا يملك دينه .

يحثهم على الجهاد لا الإرهاب، لطرد الإنجليز من بلادهم . وهذا هو الشيخ محمد عبده يحذو حذوه، ولكن من طريق آخر، هو إحياء روح الأمة وربط حاضرها بماضيتها لتفرض النوم عن عينيها، وتقف أمام عدوها صفا واحدا، واتخذ من التربية الإسلامية وبث المعارف الدينية طريقه فى الإصلاح .

لذلك ضيق عليه الإنجليز الخناق ونفوه من بلده اتقاء لشره - فى نظرهم - وتأديبا له .

والذى ينبغى أن يعرف عن الشيخ محمد عبده أنه مر بمرحلتين من حياته العلمية المحفوظة للكافة .

- مرحلة ما قبل النفى الذى حدث له من الاحتلال الإنجليزي فى مصر، وكان فى هذه المرحلة مناضلا إسلاميا لا تلين له عريكة فى نصرة الإسلام كما أنزله الله، ومن أجل هذه ضاق به الإنجليز ذرعا، ونفوه إلى خارج الديار المصرية .

- ومرحلة ما بعد العودة من النفى، وفى هذه المرحلة أصاب منهج الشيخ شىء من الليونة، وحدث بينه وبين رموز الاحتلال تقارب، كان من ثماره محاولة الشيخ فرض بعض أنماط الحضارة الغربية على واقعيات الإسلام، والميل إلى الفكر الغربى فى كثير من اجتهاداته وفتاويه وتفسيراته لبعض آيات القرآن الكريم .

وربما كان الدكتور العميد ينظر إلى الشيخ محمد عبده، من هذه النافذة المعتمدة فى حياة الأستاذ الإمام - على حد تعبير تلميذه

ومن يقرأ كتبه:

ظلام من الغرب، في موكب الدعوة، كفاح دين، لماذا تأخر العرب والمسلمون، الإسلام المفترى عليه، معركة المصحف في العالم، عقيدة المسلم، خلق المسلم، ركائز الإيمان، حصاد الغرور، الزحف الأحمر، مع الله، هموم داعية، من هنا نعلم، كيف نتعامل مع القرآن، الأصول الخمسة.

من يقرأ له هذه الكتب وغيرها من نتاجه الفكرى الغزير يدرك أنه - رحمه الله - كرس حياته كلها لإيقاظ الأمة من سباتها العميق، لتأخذ مكانها بين الأمم، مرهوبة الجانب، عالية الرأس، وتحقق العزة التى كتبها الله لذاته، ولرسوله وللمؤمنين.

فالشيخان: محمد عبده والغزالي، أبصرا فى الأمة أمراضا وعللا، فاجتهدا فى علاجها بما هداهما الله إليه من أدوية استمداها من منابعها الصافية (كتاب الله وسنة رسوله) وأنت يا سعادة العميد، أبصرت فى الأمة أمراضا وعللا واجتهدت فى وصف علاجها منها. فالمبدأ عندهما وعندك واحد. أما المنتهى فمختلف كل الاختلاف: هما حاولا شفاء الأمة بالأدوية حقا أما أنت فقد حاولت شفاء الأمة من أمراضها وعللها بأمراض وعلل أشد فتكا، وأسرع إهلاكا من الأمراض التى أردت طب الأمة منها؟

وليتك سلكت مسلكهما فى دعوة الأمة

للاخذ بأسباب القوة، لتكون ندا لمن يريد بها السوء. ومقتل الأمة الآن - بعد تمزقها وتفرقها - فى تخلفها فى فقه الدنيا، فهى لا تزال عاجزة عن صنع الآلات والأجهزة، وبخاصة الأسلحة، وما تحتاج إليه من مخترعات التكنولوجيا الحديثة فصارت مستهلكة لحضارة الغرب الحديثة.

هذا هو مركب النقص فى حياة الأمة الآن. وهذا هو الفرق بين أفكار الشيخين الإصلاحية، وبين أفكارك أنت - موضوع الحوار - واليون شاسع جدا بينهما وبينك، لأن الأفكار التى تضمنها الحوار ليس لها من معنى، إلا الدعوة للاستسلام المخزى، أمام قوة غاشمة، لا ترى لنا معها وجودا على ظهر الأرض، إلا أن نكون عبيدا لها.. وهيهات هيهات لما يتصورون.

الفقرة الثانية:

قال الدكتور العميد: «ويجب أن نوضح مفهوم الإسلام للجهاد من أن الجهاد لم يشرع - يعنى فى الإسلام - إلا لتقرير حرية الاختيار أمام البشر، والقرآن يقول:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (١١)

ونقول: إن هذا المفهوم الذى ذكره الدكتور العميد للجهاد فى الإسلام، مفهوم غامض غير مفهوم، وحتى إن أمكن فهمه، فليس هو مفهوم الجهاد فى الإسلام. ويبدو



﴿وَلِنْ جَحْمُوا لِلْسَّامِ فَأَجْعَ لَهَا﴾ (١٤).

وعلى هذا فإن قول العميد: «الجهاد لم يشرع إلا لتقرير حرية الاختيار أمام البشر» فهم مغلوط، لا صلة له بالواقع التشريعي في الإسلام.

وبقيت ملاحظة: وهي أن العميد حذف من الآية مقطعا مهما جدا، حيث لم يذكر قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ (١٥) بعد قوله عز وجل:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ

فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (١٦).

وهذا الحذف يؤدي إلى فهم مرفوض، حيث يفهم منه التسوية التامة بين إيمان من يؤمن وكفر من يكفر، وهذا غير صحيح، لأن الإيمان والكفر وإن استويا في حرية الاختيار في الدنيا - إذ لا سلطة لأحد على أحد في إجباره على الكفر أو الإيمان - فإنهما مختلفان في المصير الأخرى عند الله - عز وجل.

وربما كان هذا الحذف من عجلة العمل الصحفي، وعلى كل، فإن لفت النظر إلى آثاره السيئة واجب وأمانة في عنق كل الدعاة.

«يتبع»

من كلام العميد أنه يريد أن يبين سبب الجهاد (القتال) في الإسلام. فإن كان هذا مراده، فما قاله غير سديد.

إن السبب الرئيسي للقتال في الإسلام هو رد العدوان، وآيات القرآن التي ذكرناها من قبل نصوص صريحة في تقرير هذا السبب.

والإسلام لم ولن يضيق بمخالفه فيه في العقيدة، ولو عاشوا مع المسلمين في شبر واحد من الأرض، والكفر المجرد ليس سببا في مشروعية القتال في الإسلام. ولم يحدث هذا في تاريخ الإسلام قط، لكن الاعتداء على المسلمين قولاً أو عملاً أو قولاً وعملاً هو السبب المؤذن في القتال، إذا لم تفد وسيلة أخرى في كف الأذى ودحر العدوان. وفي ذلك يقول عز وجل:

﴿فَإِنْ أَعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقِنِلُواكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ

السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (١٢).

ورسول الله ﷺ، لم يقاتل أحدا لأنه كافر، بل إن ربه أمره أن يقول لكفار قريش:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١٣) .. وحتى في أثناء

القتال: إذا بدر من العدو عدول عن القتال فعلى المسلمين التوقف الفوري عن قتال ذلك العدو:

(١٢) النساء «٩٠».

(١٤) الأنفال «٦١».

(١٦) الكهف «٢٩».

(١٢) النساء «٩٠».

(١٤) الأنفال «٦١».

(١٦) الكهف «٢٩».



عثرات الماضي والعبور إلى المستقبل

● ويُعدّ من أغرب ما وقع فيه

للكّور / عبد الحليم عويس

بعض المسلمين حقد بعضهم
على الأسلاف .. وجعل هذا

الحقد مذهباً وموقفاً ثابتاً . مع أنهم لم يشهدوا هذا التاريخ، ولربما طويت
منه صفحات، أو كانت هناك مؤامرات لم يكشفها التاريخ، ولربما كانت
هناك ظروف لم ندرس كل أبعادها ... نعم نحن نحكم على طرف
بأنه مخطئ وطرف آخر بأنه مصيب .. وجمهور الأمة المسلمة من طنجة
إلى جاكرتا تؤمن بأن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - ومن معه
كانوا على صواب . وبأن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنه - كان
ومن معه على خطأ ... وهى تؤمن - مع ذلك - بأن الطرفين اجتهدا
وكانا - معاً - (طائفتين مؤمنتين) بَعَثَ إحداهما على الأخرى، ووقعتُ
بين الطرفين ملابسات وضبابيات جعلت صحابياً ورعاً شريفاً بإجماع
الأمة هو (عبدالله بن عمر) يتوقف فى الأمر، ولا يتحيز لطرف ضد
آخر ... إن الأمة تؤمن بكل ذلك، بل إن قلب الأمة المسلمة كلّ - إلا من
شدّ - مع على بن أبي طالب وأبنائه وآل البيت جميعاً، لدرجة أنه يشاع
عن شعب كالشعب المصرى بأنه شعب (يحب آل البيت حباً جمّاً) إلا
أنه لا يتمذهب بمذهب التشيع !!

● ويرى جمهور الأمة أن الأمر يجب أن يقف عند هذا الحدّ، وأن نستفيد
من درس هذه الفتنة أو المؤامرة، وأن يكون مثلنا الأعلى هو الآية الكريمة:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

(١) البقرة (١٣٤).

● بلدرجة ما.. وفى
إطار جماعات معيّنة..
يمكن أن يكون صحيحاً
ما يقدمه بعض أعداء
الإسلام والمسلمين من
اتهامات تتصل بقضية
انسحابهم من مواجهة
أعباء الواقع الحاضر
والمستقبل المستشرى،
وانغماسهم - أى بعض
المسلمين - فى مشكلات
الماضى لا يريدون أن
يقنعوا من موقعها، وأن
يعتصموا بجبل الله مع
المسلمين، لمواجهة
التحديات المعاصرة...
مع الإفادة من دروس
الماضى بطريقة
إيجابية بناءة...!!

بمنهجية مختلفة... وقد حولته إلى مذهب.. وهذا المذهب يصبر على أن نعيش عند هذه النقطة ولانتجاوزها، وأن نضخمها ما استطعنا، وأن نؤلف فيها مئات الكتب، ونقيم لها في كل عام احتفالات تُلطم فيها الحدود وتشقّ فيها الجيوب، ويضرب بعضهم بعضاً بالسلاسل الحديدية، ويقيمون أو يقيم جماعة منهم - مؤتمرات خاصة بلعن أبي بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - فضلاً عن اللعن الثابت للمعاوية، وبنى أمية، وبنى العباس... أى لتاريخنا الإسلامى كله... لأن موقفهم من العثمانيين أيضاً موقف عدائى... ودولة الصفويين الشيعة قد أوقفت زحف العثمانيين أيضاً على أوروبا، وطعنهم من الخلف وشغلهم بها عن أوروبا.

انظر فى هذا الاعتراف من المفكر الشيعى د. على شريعتى فى كتابه (العودة إلى الذات).. فكانت الكارثة التى انتهت بأن تحول العثمانيون إلى رجل مريض!! فلماذا هذا كله؟

- وما الجدوى منه إذا كنا جميعاً مسلمين؟

- ولماذا لاندرس الدرس دراسة علمية محايدة، ونتجاوزهُ، ونُبصر التحديات المتراكمة التى انتهت بأمتنا إلى هذه الصورة الشائنة حضارياً، والتى وصّلت إليها فى القرن الخامس عشر للهجرة والقرن الذى قبله. ونخشى أن تستمرّ لقرن قادم ما لم تدركنا رحمة الله؟

● وعلام هذه الشحنات الدافقة الولود من الأحقاد على أبرارٍ أطهارٍ لم يستطع التاريخ البشرى أن يوجد بمثله من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان؟ - ولنفترض أن معاوية وأحفاده، وأبا جعفر المنصور وأحفاده قد ارتكبوا أخطاء..

وأن نحفظ لجيل الصحابة كرامته التى تليق به، ولا سيما وقد نهانا الرسول الكريم ﷺ نهياً صحيحاً قاطعاً عن التجرؤ عليهم. فقال لنا فيما أخرجه البخارى: (لا تسبوا أصحابى، فوالله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه).

● وقد وقع فى كثير من النهضات والثورات كثير من الخلافات، ومع ذلك فإن أصحابها يبجلون رموزها، ويعتبرونهم قمماً تاريخية وصناع حضارة.. ومواقع بين الصحابة كان دفاعاً حقيقياً عن وجهة نظر كل منهم، وعن قيمة أساسية من قيم الإسلام، - فهو لا يدافعون عن حق الأمة وخليفته الشرعى - أولاً - فى ممارسة سلطانه.. وأولئك يدافعون عن (حق دم خليفة) قتل ظلماً حتى تستتبّ الأمور على رضا عام وقواعد سليمة!!

- ولسنا نريد أن نشير القضية أو نؤجج نارها - استغفر الله - وإنما نريد القول: إن هذا الموقف نتيجة طبيعية لبداية مرحلة جديدة كانت تمرّ بها الأمة المسلمة، وهى تواجه قوى العالم القديم بما درب عليه من مكائد وأساليب سياسية، وتواجهه - من جانب آخر - بكل ما يطرّحه من نقلة حضارية تخرج بالمسلمين من طبيعة الجزيرة بمنهجها البسيط الواضح إلى دنيا الحضارة الفارسية والرومانية بمنهجها السياسى المركب.... فكانت الفتى الكبرى أو المؤامرات الكبرى ما زقا كنا نتمنى أن ينتج جيل الصحابة العظيم فى عبوره بأسلوب أكثر أناة وسلماً..

- ومع ذلك فهو درس.. ويجب أن يبقى درساً يُعالج بمنهج العلم والتاريخ والحب...!!
- لكن طائفة - أو شرائح من طوائف - تنسب نفسها إلى الولاء لآل البيت قد عالجت الأمر

الله عنه - كان يأذن للناس خمس مرات فى اليوم واللييلة بلقائه .. كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزءه، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهى، ثم يصلى أربع ركعات، ثم يخرج من مجلسه (...) ثم يؤتى بالغداء وربما قدم عليه من أصحاب الخوايج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء (...) وينادى بالمغرب فيخرج فيصليها، ثم يصلى بعدها أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة خمسين آية (...) ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية . (المسعودى، مروج الذهب ٤٠ / ٣) .

وبعد أن انتهى المسعودى من سرده الذى ذكرنا بعضه، (ونحيل إليه لروعته ..) يعقب على البرنامج اليومى لمعاوية - (رجل الحكم العظيم) فيقول: وقد كان هم بأخلاقه جماعة بعده مثل عبد الملك ابن مروان وغيره، فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا الثأنى للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم، ورفقه بهم على طبقاتهم (٤٢ / ٣) . والمسعودى معروف بولائه لآل البيت !!

● ومع تقديرنا لهذا كله إلا أننا كنا نتمنى أن ينجح أسلافنا فى استحداث مؤسسات ثابتة للشورى، تجمع عقول الأمة وخبراتها، وتكفل لتاريخنا مساراً أزكى وأرقى ..

- لكننا - مع ذلك - لا نحول هذا الخطأ إلى حقد عام، واتهامات جزافية، ثم نستمر فى تجاهل قيمة (مؤسسات الشورى) التى تفرضها علينا - بكل صور الفرض - تحديات عصرنا .. والتى لو وجدت لحالت دون ثورات كثيرة، وخلافات مدمرة .. كلا فلنقرر الحقيقة .. فهذا هو الدرس ..

- فهل هم معصومون؟ وأيضاً: أليست لدولهم حسنات؟ ولماذا لا يكون ميزاننا إسلامياً عادلاً؟ بل لماذا لا نلتمس الأعداء ونستفيد من دروس التاريخ على أساس من الولاء لتاريخنا وعدم الوقوف مع أعداء الإسلام فى جهودهم لتشويهه .. وبالتالي نميل إلى الحب .. وإلى النظر إلى المساحة الواسعة البيضاء؟ ● وهل من الإسلام أن يخون الصفويون الإسلام هذه الخيانة الكبيرة ويتعاونوا مع أوروبا فى إسقاط آخر خلافة إسلامية؟

إن كل الأمم تتغاضى عن بعض أخطاء عظمائها .. وإن عظماءنا ملائكة بالنسبة لعظماء هذه الأمم، وما وقعوا فيه إنما هو من قبيل (البشرية الحاكمة) .. وهى أخطاء قد يكون من حقنا أن نقيسها بمقياس إسلامنا العظيم، ومسئوليتنا فى تقديم أفضل النماذج للبشرية، لأننا خير أمة، ولأننا الأمة الباقية الشهيدة على الناس .. لكن ليس من حقنا أن نجعلها - وحدها - هدفنا، ومجال اهتمامنا، وأن نظلم حضارتنا، فنتجاهل بقية المساحة القيمة الإيجابية التى انتظمت حياة هؤلاء، ونحن - مع هذا - ضد كل خطأ ارتكبه أسلافنا .. فلا أحد معصوم، ولا محابة على حساب الحق !!

● لكننا لسنا ضد أشخاصهم العالية الزكية .. إنهم ليسوا هدفنا الذى نسعى إلى تشويهه وتجريحه، وإنما هدفنا أن نبصر الخطأ ونصحح المسار، ونعرف كيف نتجنب ما وقعوا فيه، ونعمق ما أحسنوا فيه - وهو كثير - !!

● فإذا كانت طبيعة عصورهم لم تضغط عليهم ليستحدثوا مؤسسات ثابتة ودائمة للشورى فإننا نأخذ عليهم ذلك .. ومع تقديرنا الكبير لما أورده المسعودى الذى لا يمكن اتهامه بموالة معاوية ولا بنى أمية من أن معاوية - رضى

قوى بين الشرق والغرب^(١)

للشاعر الكبير/ محمود غنيم

هل تنسبون ليافث أو سام؟^(٢)
ليسوا بأعراب ولا أعجام
أن يعبدوه عبادة الأصنام^(٣)
تبعضوا نظامهمو بغير نظام
فى الشرق مسرى الداء فى الأجسام
فى الحرب، بل فى مشرب وطعام
حرب تقنع وجهها بسلام
ليست تشن بمدفع وحسام^(٤)
ولسانه، لم يخش قطع الهام^(٥)
شعباً، وشعباً من حصى ورغام^(٦)
أم تعيش أسيرة الأوهام
بالأجنبي، لقوموه هدام!
أنحى بلائمـه مع اللؤام
يرنو بمجهر راصد الأجرام^(٧)

قومى، لأنتم عبرة الأقوام
أبناء عمى من نزار ويعرب
يتسّمون الغرب حتى يوشكوا
ما قلدهم مبصرين؛ وإنما
للغرب عادات مسممة، سرت
إنى رأيت جيوشه لم تغزنا
لا تأمنوا المستعمرين؛ فكم لهم
حرب على لغة البلاد وعادها
والشعب إن سلمت له أخلاقه
ما صاغ ربك من نضار خالص
هى محض أوهام! أعيذ الشرق من
إنى أعيذ الشرق من متمسح
إن لامه الغربى فى أوطانه
وإذا رنا نحو الغربى، فإنما

(١) ينعى الشاعر - فى هذه القصيدة على بعض الشرقيين افتتاحهم بكل ما هو غربى، وعلى من يتعلمون فى أوروبا تنكرهم لأوطانهم بعد عودتهم إليها. (نشرت فى مجلة الرسالة ١٧ من مارس سنة ١٩٣٩).

(٢) يشير إلى: ما تشير إليه الخرافة من: أن العرب من نسل سام بن نوح، والفرنجة من نسل يافث.

(٣) ترسمه: اقتفى أثره.

(٤) العاد: جمع عادة.

(٥) الهام: جمع هامة وهى الرأس.

(٦) النضار: الذهب. الرغام: التراب.

(٧) المجهر: المنظار المكبر، والمراد بالأجرام: الأجرام السماوية.



فبمقلة الأعمى أو المتعمى
خلقت عمالقته من الأقزام^(٨)
فهمرو أضرب له من الأخصام

وإذا أعمار بنى أبيه نظره
والعين تخدع ربها، ولربما
وإذا تنكر للحمامى أبناؤه

يومما تناسى سالف الأيام؟
من عمره حلم من الأحلام
فى عينه نقص بغير تمام
فى ذلك البحر الخضم الطامى؟^(٩)
إلا وعاد مـزودا «بمدام»
وسوانها لم تأت فى الأحكام
جسا، فعقدته لغير دوام
ومن الجـروح: ذوابل ودوامى!

ما بال بحر الروم يجتازه
فإذا به خلق جديد ما مضى
تغير الدنيا عليه، فكلها
هل تفرق العادات من أربابها
ما اجتاز شرقى عجاجة موجه
إن التكافؤ فى الدماء فريضة
وهو القـران إذا تخالف أهله
كم زيجة مازال يدمى جرحها

نحو المجالس مومئاً بسلام^(١٠)
للزائرين بثغرها البسام^(١١)
ويرى أباه رابع الأهرام^(١٢)
بإشارة، فالقول قول «حذام»^(١٣)
لو تستطاع قطيعة الأرحام
يمناه قلب معالم الأجسام

لا أعرف العربى يكشف رأسه
إن زير، تخرج عرسه من دونه
بدوارس الأطلال يلحق أممه
يعص الإله، فإن أشارت عرسه
ويكاد يسلخ نفسه من قومه
ويكاد يمسخ خلقه، لو كان فى

(٨) العمالقـة: جمع عملاق، والأقزام: جمع قزم؛ وهما ضدان: الأول: الطويل، والثانى: القصير.

(٩) الخضم: الواسع. والطامى: الفياض الممتلىء.

(١٠) مومئ: اسم فاعل من أومأ بمعنى أشار.

(١١) زير: ماض بنى للمجهول بمعنى زاره زائر، والعرس - بكسر العين -: الزوجة.

(١٢) دوارس الأطلال: الآثار البالية، ورابع الأهرام: كناية عن العتق والقدم.

(١٣) «القول ما قالت حذام»: مثل مشهور، يضرب لمن لا يعارض له قول.

إن همَّ يوماً فكَّه بكلام
من فيه «سكسونية» الأنغام
كالقار ممزوجاً بكأس مُدام
أذن السميع، شكت من الآلام
من أهلها. شَلَّت يمينُ الرامي
يرمونها بالفقر، والإعدام
والتبرُّ - إن تنشدهُ - تحت رغام
ولسانهم غرضٌ لكل سَهَام^(١٤)
فالضادُّ أولُ حائِطٍ ودعام

بذخيرتين: الضاد، والإسلام
فرض الإله خضوعهم لإمام^(١٥)
وبحج بيت في الحجاز حرام
قبض الرشيدُ على الوري بزمام
لا محضُ تكبير، ومحضُ صيام

أجـدد الأتراك، والأروام
للفير أخوالى، ولا أعمامى
فإلى رعاة النوق والأغنام
يُزهى عراقى ويفخر شامى؟

لا أعرف العربى يلوى فكَّه
إن فاه، تسمعُ لكنةً ممقوتة
لفظاً من الفصحى، وآخر نابيا
لغة إذا قرعت بجندل لفظها
لهفى على الفصحى! رماها معشرٌ
لم يهتدوا لكنوزها؛ فإذا همو
الدر فى طى البحور مخبأ
لن يستعيد العربُ سالف مجدهم
إن يرفعموا ما انقضَّ من بنيانهم

أبنى نزار ويعرب، أوصيكمو
المسلمون - على شتات ديارهم -
الله بالجمعات وحَّد بينهم
دين ابن عبد الله دينٌ باسمه
هو دولة كبرى، وملكٌ شامخٌ

إن يُزه شرقى بغير العرب من
فأنا الفخورُ بأننى: لا ينتمى
إن تسألوا عنى: إلى من أنتمى؟
أبغير مجد بنى نزار ويعرب

(١٤) غرض السهام: هدفها.

(١٥) يشير فى هذا البيت وما بعده إلى: ما فرضه الإسلام على أتباعه من مظاهر الوحدة، التى تكون منهم دولة ذات قوة ومنعة، وإلى أن الإسلام ليس ديناً لاهوتياً محضاً.

حوار حول فلسفة ابن رشد

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

لقد بدأت اهتماماتي بابن رشد وفلسفته منذ مرحلة طلب العلم بكلية دار العلوم، قبل ما يقرب من نصف قرن .. عندما درست كتب أستاذي المرحوم والدكتور محمود قاسم: (الفيلسوف المفترى عليه: ابن رشد) و(نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني) .. وكذلك دراسته وتحقيقه لكتاب ابن رشد (مناهج الأدلة في عقائد الملة) ..

ثم تزايدت اهتماماتي بدراسة الآثار الفكرية لابن رشد، وما كتب عنه ضمن اهتماماتي ببعث تراث العقلانية الإسلامية المؤمنة، المتميزة عن العقلانية الغربية الوضعية والمادية - اللادينية - حتى لقد هممت أن أجعل ابن رشد موضوعاً لرسالتى للماجستير - فى ستينيات القرن العشرين - .. فلما عدلت عنه إلى «مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة»، واصلت الاهتمام به - كجزء من مشروعى الفكرى - فحققت كتابه المنهجي (فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال)، وألفت حول فلسفته كتابين هما: (المادية والمثالية فى فلسفة ابن رشد) و(ابن رشد بين الغرب والإسلام) ..

ولقد نشرت لى مجلة «الأزهر» - مشكورة - دراسة فى خمس حلقات عن محاولات المتغربين اغتيال إسلامية ابن رشد وفلسفته، وذلك بالسطو على هذه الفلسفة، وتأويلها

أرسل إلينا الأستاذ / محمد محمد طه الولي، من لبنان رسالة موضوعية رقيقة مهذبة أبدى فيها ملاحظات على الحلقة الثالثة من مقال الدكتور / محمد عمارة نشرت فى الجزء الثالث السنة الخامسة والسبعين، عدد ربيع الأول ١٤٢٢ هـ، يونيو ٢٠٠٢ عن ابن رشد «الحفيد» تحت عنوان «الإبداع الرشدي فى تصور العالم» ..

وأرسلت المجلة خطابه إلى الدكتور / محمد عمارة الذى وافانا برده الموضوعى الجيد. ونحن إذ نشكر الأستاذ / محمد طه الولي على رسالته نحمد الله أن أتاحت لنا مكتوناً كان خافياً علينا من علم الدكتور / محمد عمارة فى فلسفة ابن رشد وفلسفة الغزالي.

وأتاحت لنا الاطلاع على الفلسفة المستتيرة للعقل الإسلامى التى تتمثل فى رحابة الصدر واتساع أفق علماء المسلمين وأنهم أصحاب مدنية حقيقية وعقول وقلوب صافية وسوف يعرف القراء ذلك من خلال الرد الجميل.



تأويلاً قسرياً فاسداً، كى تؤصل للمادية التى بها يبشرون، وللإلحاد الذى له يدسون .. وإذا كان المرء يسعد بالقارئ لأبحاثه ودراساته، فإن سعادته تزداد بالقراءة المتأمله، التى تقف وقفات متفكرة أمام هذه الأبحاث والدراسات، بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف بين الكاتب والقراء .. ولقد كان هذا هو شعورى عندما أحال إلى الأخ الفاضل الشيخ محمد الطاهر الحامدى - مدير تحرير مجلة «الأزهر» - الرسالة التى وردت إلى المجلة من الأستاذ الفاضل محمد محمد طه الولى، تعليقاً على الحلقة الثالثة من دراستى حول فلسفة ابن رشد - والتى كان عنوانها: «الإبداع الرشدى فى تصور العالم وفى علاقة الفلسفة بالدين» ..

وها أنا أثبت نص الرسالة كاملاً .. ثم أتبعه بعدد من الملاحظات .. لنقدم للقراء الأعزاء فى هذا الحوار العلمى نموذجاً للحوار الفكرى اللائق بالعلم والعلماء، وبمجلة «الأزهر» .. والذى يحمل المزيد من الرؤى المعمقة حول فكرنا الإسلامى بصفة عامة، وحول فلسفة ابن رشد على وجه الخصوص ..

نص رسالة الأستاذ محمد محمد طه الولى

الغزالى الذى نقل فى تهافت الفلاسفة إجماع المسلمين على وجوب تكفير الفلاسفة القائلين بقدم العالم، والتأويل فى مثل هذه المسائل كما هو معلوم لجنابكم غير نافع إذ إن من أساسيات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة أن الله - عز وجل - كان ولم يكن معه شئ غيره كما هو لفظ حديث البخارى، وأن الله أحدث الأشياء من العدم إلى الوجود لا من علة تقدمت وجود هذا العالم، سواء سميت هذه العلة هيولى أو غير ذلك كما بينه الإمام أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادى فى كتابيه أصول الدين والفرق بين الفرق، لا كما ذكر المقال من أن هناك «واسطة بين طرفين أولهما الله، والطرف الآخر الماء والهواء والأرض والحيوان وغير ذلك»، مضيفاً - أى المقال - أن «الواسطة بين

«الحمد لله رب العالمين - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

إلى فضيلة الشيخ الطاهر الحامدى مدير تحرير مجلة «الأزهر» الغراء:

لقد لفتتنى فى عدد ربيع الأول ١٤٢٣ - يونيه ٢٠٠٢، الجزء ٣ من السنة (٧٥) من مجلة الأزهر مقالة للدكتور محمد عمارة (ص ٤٠٩) عن ابن رشد الحفيد تحت عنوان الإبداع الرشدى فى تصور العالم، ما كنت أظنها تنشر لولا كثرة أشغالكم وأشغال المشايخ الكرام المسؤولين عن المجلة حفظكم الله، ذلك أن فى المقالة المذكورة مدح وتسويغ لما قاله ابن رشد فى مسألة بدء الخلق وما ذكره فى رده المعروف بتهافت التهافت على الإمام

الطرفين هو العالم بأسره الذى أخذ شبهاً من الوجود الكائن الحقيقى ومن الوجود القديم فمن غلب ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سماه قديماً، ومن غلب عليه ما فيه من شبه المحدث أسماه محدثاً وهو فى الحقيقة ليس محدثاً حقيقياً ولا قديماً حقيقياً، فإن المحدث الحقيقى فاسد ضرورة، والقديم الحقيقى ليس له علة»، انتهى بلفظه.

وقد رد جواز مماثلة شيء لله - تعالى - بأى وجه من الوجوه الشيخ العلامة محمود خطاب السبكي - رحمه الله - فى كتابه «الدين الخالص»، وهو ما قد بينه إمام أهل السنة الإمام أبو الحسن الأشعرى فى كتابه اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع وفيه ما نصه: «فإن قال قائل لم زعمتم أن البارى - سبحانه - لا يشبه المخلوقات؟ قيل: لأنه لو أشبهها لكان حكمه فى الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها فى كل الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً، وقد قال الله - تعالى - :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) وقال تعالى:

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢). انتهى

بنصه وحروفه.

ومثل ذلك قال الإمام أبو منصور الماترىدى فى كتابه التوحيد مستدلاً على ذلك باستحالة اجتماع حدوث وقدم بمعنى الأزلية فى شيء واحد، فعلم مما تقدم أنه لا يجوز أن يشبه الله - تعالى - بشيء من خلقه ولا شيء من خلقه به فى أى وجه من الوجوه. على أن فى المقالة المذكورة تناقض واضح، إذ إنه بعد أن يذكر اتفاق جميع الفرقاء على أن أحد الطرفين وهو المحدث المخلوق «هو الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك، إلا أنه يعود فيقول: إن «الصف من الوجود الذى بين هذين الطرفين هو العالم بأسره»، فلا أدري كيف يستثنى العالم بأسره فى كونه واسطة وفيه من شبه القديم تعالى، من سائر المخلوقات التى هى «الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك» والتى هى محدثة مخلوقة، وهذا استثناء للشئ من نفسه، فماذا عساه يكون «العالم بأسره» غير «الماء والهواء والأرض والحيوان والنبات وغير ذلك»، كما هو نصه وكلامه؟؟ إن هذا كلام لا يقبله العقل السليم بل هو كمن يمزج الماء بالنار، ولا شك فى أن الإسلام لا يقبل أن يكون لله شريك فى الأزلية، ولا يقبل أن يكون لله شبهه فى وجه من الوجوه، إذ لو أشبه الله - تعالى - شيء من وجه من الوجوه لجاز على الله - تعالى - الحدوث من حيث



من لوازم الحدوث، فهو لا يجتمع مع القدم الواجب لله، أما عندهم فلا يمتنع افتقار القديم إلى المؤثر؛ وثانيهما أن الباري - تعالى - عند المسلمين فاعل بالاختيار أى بالإرادة، أما عند الفلاسفة فهو فاعل بالذات، وقالوا: إن صدور العالم عن الله كصدور ضوء الشمس من الشمس، فقالوا: إن العالم قديم وإن كان المؤثر فيه هو الله - تعالى - ثم يقول الزركشى ما نصه: « وهذه العقيدة الفاسدة أصل لمسائل كثيرة ضلوا فيها وموهوا بها على من لا قدم له راسخ فى الإسلام، نسأل الله - تعالى - العافية »، انتهى بنصه وحروفه من تشنيف المسامع (ص ٢٣٧ إلى ٢٤١) .

فضيلة الشيخ الحامدى: لا حاجة إلى التطويل أكثر مما ذكرت فأنتم أعلم منى بما تقدم، واعتقادی بكم هو كل خير حفظكم الله، إلا أننى وجدت أنه لا بد لى من أن أكتب ما تقدم لأكون أخاً فى الله صادق الأخوة، إذ لا نفع من أخ لا يبذل النصيحة حيث تجب خاصة وأن « الدين النصيحة » .

وفقكم الله ورعاكم ونفع بكم وبمشايخ الأزهر الكرام المسلمين فى شرق الأرض وغربها، على أنى أرجو التكرم بنشر مقالتي أعلاه فضلاً منكم وكرماً، مشكورين مأجورين إن شاء الله تعالى .

(انتهت رسالة الأستاذ محمد طه الولي)

أشبهه هذا المحدث، ولجاز على الله ما يجوز على هذا المحدث كما تقدم عن الأئمة الإعلام - رضى الله عنهم - فالله وحده هو الأزلى وما سواه محدث له ابتداءً، أحدثه الله من غير حاجة إلى واسطة ولا إلى غيرها، إذ الحاجة علامة الحدث تعالى الله عن ذلك، والإسلام لا يقبل إلا تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة أى من خلقه فى الذات والصفات والأفعال كما لا يخفى على جنابكم حفظكم الله - تعالى .

وفى كتاب تشنيف المسامع للإمام بدر الدين الزركشى شرح جمع الجوامع لتاج الدين بن الإمام تقي الدين السبكي (ج ٢ ص ٢٣٩ طبع دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ - بيروت) عند قول المتن: فليجزم عقده بأن العالم محدث، ما نصه: « وهذا العالم بجملته، علويه وسفليه، جواهره وأعراضه، محدث، أى بمادته وصورته، كان عدماً فصار وجوداً، وعليه إجماع أهل الملل، ولم يخالف إلا الفلاسفة ومنهم الفارابى وابن سينا، قالوا: إنه قديم بمادته وصورته، وقيل قديم المادة محدث الصورة ..، وكل هذه الأقوال باطلة وقد ضللهم المسلمون فى ذلك وكفروهم، وقالوا: من زعم أنه قديم فقد أخرجه عن كونه مخلوقاً لله - تعالى »، ثم يقول الزركشى: إن الخلاف مع الفلاسفة مبنى على مأخذين: أحدهما أن القديم لا يجوز افتقاره إلى مؤثر عندنا لأن الافتقار



حوار.. وملاحظات

الشريف، مثلها كمثّل غيرها من الآثار الفكرية لعلماء الأمة وأئمة المذاهب الإسلامية وتيارات الفكر الإسلامي، على ما بين هذه المذاهب والتيارات من اختلافات أثمرتها الاجتهادات فى الفروع..

يحتضن الأزهر الشريف - ومناهجه - مذاهب السلف والخلف، ويدرس هذه المذاهب جميعها، بروح نقدية واعية، مع المقارنة بينها وبين إبداعات الفكر فى الحضارات الأخرى..

والمعيار الذى يحتكم إليه الأزهر الشريف، وهو يفتح الأبواب للإبحار بين مختلف التيارات، هو نفس المعيار الذى أجمع عليه سلفنا الصالح: العصمة للبلاغ القرآنى، وللبيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى.. وبعد ذلك فكل فكر يؤخذ منه ويُرد..

وثانيها: أن تصنيف فلسفة ابن رشد بحسبانها فلسفة مغايرة لمذهب أهل السنة والجماعة، والقول بأنها فلسفة مادية، تقول بقدّم العالم - على النحو الذى يقول به الماديون - هو ادعاء غريب، تبناه المتغربون فى بلادنا، محاولة منهم «لسرقة» رموز الفكر الإسلامى، وتأسيس تراث لماديتهم فى تراث المسلمين.. ولقد كان الأزهر الشريف واعياً بهذه المحاولات، منذ أن رد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) على فرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠ -

إن مجلة «الأزهر» تسعد بهذا اللون من القراءة، التى تقف وقفات فكرية عميقة أمام ما ينشر فيها من دراسات وأبحاث.. وترحب بالتعليقات على ما ينشر فيها، سواء اتفقت هذه التعليقات مع المادة المنشورة أم اختلفت.. بل إن ترحيبنا يكون أكثر بالنقد والإضافة منه بالتقريظ والإطراء.. فالرؤى النقدية هى التى تثرى الفكر، وتحرك الماء الراكد فى المناخ الثقافى الذى يعانى منه الكثيرون..

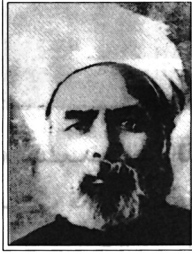
وفى ما يخص التعليق الذى كتبه الأستاذ الفاضل محمد محمد طه الولي على الحلقة الثالثة من دراستى عن ابن رشد - الحفيد - فإننى أسوق بعض الملاحظات المنهجية حول ما حملته رسالته الكريمة من أفكار..

أولها: ليس غريباً أن تأخذ فلسفة ابن رشد مكانها على صفحات مجلة «الأزهر».. فابن رشد أحد كبار فقهاء المذهب المالكي، وأحد كبار القضاة - بل وأحد كبار الذين تولوا منصب «قاضى القضاة» - فى تاريخ الإسلام.. وواحد من أبرز المتكلمين والفلاسفة المسلمين، الذين تباهى بهم حضارتنا الإسلامية غيرها من الحضارات..

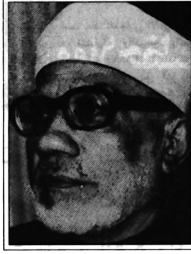
وحياة ابن رشد وفلسفته وآثاره الإبداعية.. بل وشروحه على «أرسطو» (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) تأخذ مكانها فى مناهج الدراسة بالأزهر



فرح انطون



محمد عبده



عبدالرحمن بيسار

١٨٧٤ - ١٩٢٢م) الذى نقل هذه الدعوى عن الفيلسوف الفرنسى «أرنست رينان» (١٨٢٣هـ - ١٨٩٢م)^(٣).. ويومها كتب الأستاذ الإمام - فى مجلة «المنار» - دراسته الفلسفية الكلامية، التى ختمها بقوله: «.. فابن رشد - رحمه الله -

اللغوية، العاجزة - بحكم نسبيتها - عن التعبير عن كُنه هذه المعارف المطلقة وحقائقها، لأن النسبى لا يستطيع التعبير عن كنه المطلق وحقيقته..

وينبه ابن رشد على منهجه هذا عندما يلفت الأنظار إلى أن الشرع لم يستخدم مصطلحات «القدم» و«الحدوث» فى الكلام عن خلق الله للعالم «وإنما أطلق عليه لفظ الخلق ولفظ الفطور لأن حدوث العالم ليس هو مثل الحدوث الذى فى الشاهد»^(٥).. والعقل الإنسانى قاصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل..»^(٦).

فهذا الخلاف، الشهير والمزمن، عند ابن رشد، هو خلاف وهمى، سببه استخدام مصطلحات غير شرعية فى قضية شرعية، ومحاولة فهم الفعل الإلهى - الذى يفوق قدرات الإدراك العقلى للإنسان - بمعانى مصطلحات اللغة القاصرة والعاجزة عن إدراك كُنه الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها..

لم يخرج فى آرائه عن الملىين، فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه..»^(٤).

ولقد تولى مشيخة الأزهر من كانت رسالته للدكتوراة: (فى فلسفة ابن رشد: الوجود والخلود) - وهو المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمد عبدالرحمن بيسار (١٣٢٦ - ١٤٠٢هـ - ١٩٠٨ - ١٩٨٢) ففلسفة ابن رشد ليست غريبة على الأزهر الشريف، حتى تكون غريبة على مجلته!..

وثالثها: أن ابن رشد لم يقل بقدم العالم، ولم يكن خصماً للذين قالوا بحدوثه.. وإنما كان صاحب منهج يقول: إن هذا الخلاف إنما هو خلاف وهمى، نشأ عن خطأ استخدام مصطلحات لم يستخدمها الشرع - هى مصطلحات «القدم» و«الحدوث» - ونشأ عن قياس «الغائب» على «الشاهد» ومحاولة معرفة حقيقة الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها - وعالم الغيب - بمضامين ومفاهيم المصطلحات

(٣) فرح انطون (ابن رشد وفلسفته) ص ٢٣، ٢٧. طبعة الإسكندرية سنة ١٩٠٣م.

(٤) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٣ ص ٥٢٤. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٥) ابن رشد (مناهج الأدلة فى عقائد الملة) ص ٢٠٦. دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.

(٦) ابن رشد (تفاوت التهاوت) ص ١٠٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

«الكليات» دون «الجزئيات»؟ - كما هو منسوب إلى الفلاسفة الإلهيين.

فلم يقل ابن رشد بأى من هذين الرأيين، وإنما كشف عن خطئهما معاً، لأن القائلين بأى منهما قد قاسوا العلم الإلهي - الكلى والمطلق والمحيط - على العلم الذى نعرفه نحن، والذى فيه كلى وجزئى .. بينما كل فرقاء هذا الخلاف قد غفلوا عن أن العلم الإنسانى هو معلول للموجودات، بينما العلم الإلهي هو علة لهذه الموجودات .. فقياس الغائب على الشاهد هو الذى أوقع فرقاء هذا الخلاف فى الخطأ الذى طالهم جميعاً - كما حدث مع الذين تمنتسوا عند المضامين اللغوية لمصطلحات «القدم» و«الحدث» .. عالج ابن رشد - بمنهجه العبقري هذا .. والذى رجع فيه إلى استخدامات الشرع للمصطلحات - عالج قضية العلم الإلهي أيضاً، وذلك عند ما قال - ضمن ما قال - : «والذى ينحل به هذا الشك عندنا، هو أن يعرف أن الحال فى العلم القديم مع الموجود خلاف الحال فى العلم المحدث مع الموجود، وذلك أن وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا، والعلم القديم هو علة وسبب للموجود .. وإنما أتى هذا الغلط من قياس العلم القديم على العلم المحدث، وهو قياس الغائب على الشاهد، وقد عُرف فساد هذا القياس .. وهذا هو غاية التنزيه الذى يجب أن يُعترف به .. فواجب أن يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يُكَيَّف، وهو العلم القديم، سبحانه ..» (٨).

ولذلك، فابن رشد لا ينكر خلق العالم من العدم .. بل يرى أن هذا هو مذهب الفلاسفة الإلهيين، المتفق مع مذهب المتكلمين المسلمين .. فيقول: إن هؤلاء الفلاسفة «يعتقدون أن الباريء - سبحانه - منفصل عن العالم، وهو فاعل، ليس بمعنى الفاعل الذى فى الشاهد .. وهو فاعل هذه الأسباب، مخرج الكل من العدم إلى الوجود، وحافظه على وجه أتم وأشرف مما هو فى الفاعلات المشاهدة .. ويجب أن لا تكون خلقة هذه الأجسام ومبدأ تكونتها على نحو تكون الأجسام التى ههنا، وإن العقل الإنسانى يقصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل، وإن كان يعترف بالوجود، فمن رام أن يشبه الموجودين أحدهما بالآخر، وأن الفاعل لهما فاعل بالنحو الذى يوجده الفاعلات ههنا، فهو شديد الغفلة عظيم الزلة ..» (٧) .. ففى هذا النص يعلن ابن رشد أن الله - سبحانه - هو «مخرج الكل من العدم إلى الوجود ..»

وبهذا المنهج الرشدى - الذى يحرر «المطلق» من سجن «المصطلحات النسبية»، التى تواضع عليها «العقل الإنسانى» - نسبى الإدراك - والذى يحرر «عالم الغيب» من أسر مفاهيم «عالم الشهادة»، إذ ليس بينهما سوى الأسماء والمثالات التقريبية للأذهان البشرية - بهذا المنهج عالج ابن رشد - أيضاً - الخلاف الشهير حول العلم الإلهي .. وهل يعلم الله - سبحانه وتعالى - «الجزئيات» مع «الكليات»؟ - كما قال المتكلمون .. أم يعلم

(٧) المصدر السابق . ص ٤٢، ٥١.

(٨) ابن رشد (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) - ضميمه فى العلم الإلهي ٣ - ص ٧٥، ٧٦ دراسة وتحقيق:

د. محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.



المسائل، وإنما الخلاف حول نسبة هذه المسائل إلى الفلاسفة القدماء.

وهكذا نجد القراءة الواعية، وغير المتحيزة مسبقاً، تكشف عن «منهاج رشدى» يعود بكثير من القضايا الخلافية، التي نشأت بفعل «شغب» نفر من المتكلمين والفلاسفة، ثم تكرست بفعل التقليد لهذا «الشغب».. يعود «المنهاج الرشدى» بهذه المسائل الخلافية إلى المصطلحات الشرعية- لا الكلامية أو الفلسفية.. وإلى مبدأ التمييز بين «عالم الغيب» و«عالم الشهادة»، ورفض قياس «الغائب» المطلق على «الشاهد» النسبى.. نجد فى هذا «المنهاج الرشدى» سبيلاً لتصفية علم الكلام الإسلامى من كثير من «الشغب» غير الموضوعى وغير المبرر.. كما نجد فيه الطريق إلى اكتشاف عظم مساحة الاتفاق بين تيارات الفكر فى تراثنا الإسلامى..

ولعل هذا المنهاج هو الذى استخدمه الإمام محمد عبده فى تجريد علم الكلام الإسلامى من «شغب القدماء» عندما كتب كتابه النفيس (رسالة التوحيد) ..

وأخيراً.. فإننا - قبل الإبحار فى كتب التراث، والاستشهاد بنصوص الأئمة والأعلام بحاجة ماسة إلى منهاج للتعامل مع اجتهادات هؤلاء الأعلام.. إن بعض الإسلاميين، عندما يناقشون قضية من القضايا، يرون الحق، مطلق الحق وكامل الحق، مع إمام من الأئمة، أو مذهب من المذاهب، أو فرقة من الفرق، مجردين الآخرين، كل الآخرين، من أى حق أو صواب.. صنع ذلك ويصنعه كثير من الذين قرأوا (تهافت الفلاسفة) للغزالي، قرأوا فيه كامل الحق، وجردوا ابن رشد - وكتابه (تهافت التهافت) - من الحق والصواب...

ولو أننا استخدمنا هذا المنهاج الرشيد فى النظر إلى كثير من الخلافات الشهيرة والمزمنة فى المسائل الكلامية، لاكتشفنا زيف أسباب هذه الخلافات.. ومنها مسائل: القرآن: قديم؟ أم مخلوق؟.. ومسألة الخلاف حول رؤية الخلق للخالق فى يوم ليس فيه من دنيانا إلا الأسماء والمثالات - مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ولا قدرة للغات على التعبير عن كنه ما فيه !!

ورابعها: أن حقيقة الخلاف بين ابن رشد وبين حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م) - والذى تجسد فى كتاب ابن رشد (تهافت التهافت) رداً على كتاب الغزالي (تهافت الفلاسفة) - لم تكن دفاع ابن رشد عن الفلاسفة فى المسائل الثلاث التى كفرهم بسببها الغزالي - وهى: قدم العالم.. وعلم الله بالكماليات دون الجزئيات.. وعدم بعث الأجساد... وإنما كان جوهر الخلاف هو نفى ابن رشد أن يكون الفلاسفة الإلهيون قد قالوا بهذه المسائل الثلاث أصلاً..

فالغزالي - فى (تهافت الفلاسفة) - كان يجادل الفارابى (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ - ٨٧٤ - ٩٥٠ م) وابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ - ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) فى هذه المسائل الثلاث، بحسبان أنهما قد نقلها عن الفلاسفة القدماء فجاء ابن رشد فى (تهافت التهافت) - لينفى أن يكون الفلاسفة الإلهيون قد قالوا بذلك، وليرجع الخطأ إلى الفارابى وابن سينا عندما نسبوا هذه الآراء إلى الفلاسفة القدماء.. فالخلاف، فى جوهره، ليس بين ابن رشد والغزالي، فهما متفقان فى رأى حول هذه



فى (فىصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) - يعيب على من يظن أن الحق محصور فى مذهب واحد، حتى ولو كان هذا المذهب هو « الأشعرية » - الذى هو أحد أئمة وأعلامه ! - أو فى اجتهاد إمام بعينه - حتى ولو كان إمامه أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ - ٨٧٤ - ٩٣٦ م) !! - كتب الغزالى ليعلمنا هذا المنهاج الإسلامى فى التعامل مع المذاهب والاجتهادات المختلفة والمتعددة .. فقال :

« .. فمن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعرى أو مذهب المعتزلى أو مذهب الحنبلى أو غيرهم، فاعلم أنه غرٌ بليد، قد قيَّده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيّع بإصلاحه الزمان، وناهيك حجة فى إفحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه، إذ لا يجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً . ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب إلى الأشعرى، ويزعم أن مخالفته فى كل ما ورد وصدر كفر من الكفر الجلىّ، فاسأله : من أين ثبت له أن كون الحق وقفاً عليه حتى قضى بكفر الباقلانى إذ خالفه فى صفة البقاء لله - تعالى - وزعم أنه ليس هو وصفاً لله - تعالى - زائداً على الذات، ولم صار الباقلانى أولى بالكفر بمخالفته الأشعرى من الأشعرى بمخالفته الباقلانى ؟ ولم صار الحق وقفاً على أحدهما دون الثانى ؟ إن كان ذلك لأجل السبق فى الزمان ؟ فقد سبق الأشعرى غيره من المعتزلة، فليكن الحق للسابق عليه، أم لأجل التفاوت فى الفضل والعلم ؟ فبأى ميزان ومقدار قدّر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل فى الوجود من متبوعه

وفى مقابل ذلك، نرى كل العلمانيين والمتغربين، يرون الصواب والحق مع ابن رشد، حتى ليزعمون أنه آخر المبدعين فى العقلانية والتفلسف بتاريخ الإسلام، مع الإدعاء بأن الغزالى قد مثل نكبة العقلانية ومقبرة التفلسف فى تراث الإسلام ! ..

ولو قرأ الفريقان تراث الغزالى وابن رشد، قراءة الباحث عن الحق، وعن أصول المسائل وثوابت القضايا، لرأوا مساحة الاتفاق الكبيرة - بل والمدهشة - بين الرجلين، حتى فى القضايا التى يحسبون أنها موضوع الخلاف - وفى مقدمتها العقلانية .. والتأويل .. ورفض أن يكون كامل الحق وقفاً على مذهب من المذاهب أو اجتهاد من الاجتهادات .

فالمنهاج الإسلامى فى التعامل مع الموروث، هو الإيمان بأن الحق المطلق والكامل إنما هو فى الإسلام المعصوم، متمثلاً فى البلاغ القرآنى وفى البيان النبوى لهذا البلاغ القرآنى .. أما مذهب الإسلاميين ومقالاتهم واجتهادات الأئمة، فإن الحق موزع فيها، دون أن يكون وقفاً على واحد منها، ومحجوباً عمن عداه، لأن هذه المذاهب هى ثمرة للاجتهادات النسبية غير المعصومة، بينما العصمة والإطلاق هما للمنايع المقدسة فى الإسلام ..

وإذا كان هناك من يرتاب فى هذا الذى نقول - من الذين يتخذون فى كتاب من الكتب أو مذهب من المذاهب - ولا يراجعون مواقفهم إلا « بالنصوص »، فإننا نقدم لهم نصاً منهجياً، كتبه إمام كادت الأمة أن تجمع على أنه « حجة الإسلام » - هو أبو حامد الغزالى - الذى كتب -





ومنقلده؟ فإن رخص للباقلاني في مخالفته، فلم حجر على غيره؟، وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهم؟، وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة؟ وإن زعم أن خلاف الباقلاني يرجع إلى لفظ لا تحقيق وراءه.. فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات، وهو معترف بأن الله - تعالى - عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات، وإنما يخالف الأشعري في أنه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة، فما الفرق بين الخلافين؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق - سبحانه وتعالى - في النظر في نفيها وإثباتها؟ فإن قال: إنما أكفر المعتزلي لأنه يزعم أن الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة، وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة، والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة، فما باله لا يستبعد من الأشعري قوله: إن الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله - تعالى - ومع كونه واحداً هو تورا، وإنجيل، وزبور، وقرآن، وهو أمر ونهى وخبر واستخبار، وهذه حقائق مختلفة؟ وكيف لا وحد الخبر: ما يتطرق إليه التصديق والتكذيب، ولا يتطرق ذلك إلى الأمر والنهي، فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق إليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق، فيجتمع النفي والإثبات على شيء واحد؟.. ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظائر بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب، أما الكفر، فلأنه نزل

منزلة النبي المعصوم من الزلل، الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته، ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته، وأما التناقض فهو أن كل واحد من النظائر يوجب النظر، وأن لا ترى في نظرك إلا ما رأيت، وكل ما رأيته حجة، وأي فرق بين من يقول قلدي في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدي في مذهبي ودليلي جميعاً، وهل هذا إلا التناقض؟..»^(٩).

هكذا تحدث حجة الإسلام أبو حامد الغزالي.. فقال: «إن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظائر بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب».. لأن هذا المجتهد ليس النبي المعصوم.. ولأن اجتهد المجتهد ليس ملزماً للمجتهد الآخر.. وجواز النظر في حقه لا يحجر النظر عن غيره.

وبهذا المنهج في التعامل مع الموروث، تنفتح آفاق رحبة تخرجنا من التخندق وضيق الصدر عندما نتعامل مع الاختلافات.. حتى ولو كانت اختلافات حقيقية، غير موهومة!..

وختاماً.. فالشكر الجزيل للأستاذ محمد محمد طه الولي، على قراءته المتأمله.. وعلى رسالته التي كانت سبباً في تقديم هذه الملاحظات، التي نرجو أن تكون إضافات تلقى المزيد من الأضواء على فلسفة أبي الوليد ابن رشد.. التي هي كغيرها من إبداعات علماء الإسلام.. خاضعة للمزيد من الدراسة.. وللاتفاق والاختلاف.. وللقبول والرد.. فلا عصمة إلا للبلاغ القرآني، وللبیان النبوي لهذا البلاغ.

والله الموفق إلى سبيل الرشاد

(٩) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص ٣، ٤. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

وبدا خلق الإنسان من طين

للكتور / على أحمد على

وبهذه الآية الكريمة تنتهي إلى ختام الحديث عن الكون والإنسان. كنا قد بدأنا عرضه عند الطبيعيين، ثم عرجنا إليه بتفصيل في خلق الأرض، وهانحن نختمه بالحديث عن «الإنسان» في قول الحق رداً على خيال الكاهنين. قال - تعالى - في خلق الإنسان بعد ذكره خلق الكون:

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة - ٧

والإنسان - في الآية الكريمة - واحد فقط، هو الإنسان الأول.. آدم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، و«الخلق» في الآية تناوله - وحده - دون نسله، ذلك أن نسله سبيلاً آخر، قال - تعالى - عنه:

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ السجدة - ٨.

وشاء - جلّ وعلا - أن يؤكد أن الطين طين، فلا ينصرف الإجاز إليه بحال، فتناوله - جلّ علاه - من بدايته: (ماء وتراباً) حتى كان طيناً لازباً (أي لزجاً) إلى أن جفّ فصار صلصلاً كالنفخار^(١).

وفاجر شقى، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب» الحديث^(٣).

وإذ أراد النبي ﷺ أن يذم الكبر وأهله، وأن يحط منه ومنهم - قال:

وهكذا نشأ أول إنسان في الوجود، من طين: تراب وماء، فما كان نتاجاً لسلسلة سالفه، ولا

«إن الله - عز وجل - قد أذهب عنكم عبية^(٢) الجاهلية، وفخرها بالآباء: مؤمن تقى،

(١) راجع الآيات: آل عمران - ٥٩، الأعراف - ١٢، الحجر - ٢٦، الإسراء - ٦١، الحج - ٥، المؤمنون - ١٢، الروم - ٢٠، فاطر - ١١، الصافات - ١١، غافر - ٦٧.

(٢) الكبر والفخر.

(٣) أبو داود ٦٢٤/٢ - ط. أولى مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١ - ومثله مسند أحمد ط أولى ٣٦١/٢

«تطورا» عن حيوان سابق، وتَمَّ على الطين خلقه، فاستحال - كذلك - أن يتطور إلى غيره، فإنه:

﴿لَا بُدَّ لِي لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم - ٣٠.

لم يتطور الإنسان الأول (آدم) عن حيوان تُدبِّي كما تخيلته كهانة هندريك.

ولا كان - فى الأصل - قرداً، كما رآه شركاء هندريك.

وفى الحق أننا - حين نُمعِنُ النظر - فى رؤية هندريك نجدها هى القرد فى الرؤية الأخرى عند غيره، وإنما احترز لنفسه بذكره (التُدبِّيَّات) ليكون على ركن أوسع من سلالة بعينها من القرد، فإن كثيرا من الباحثين - وهذا ساذكره - ينفى أن تكون القردة المعروفة لنا هى أصل للإنسان؛ فألقى هندريك بـ (التُدبِّيَّات) لوجودها فيما نعرف وما لا نعرف من سلالات القرد، وغيرها.

كذلك لا يخدعنا - فى المقام نفسه أن يقرر (د. آشلى مونتاجيو) «أنه ليس من بين العلماء قاطبة من اعتنق هذا الرأى»^(٤) أى ظهور الإنسان عن قرد.

يقول ذلك، وهو فى أعماقه يؤمن بالتطور إيماناً جازماً؛ بل يؤمن بأنه سوف يعثر على القرد الذى يعتبر الحلقة المفقودة بين الإنسان وبقية القرد، لذا مضى يقرر أن الإنسان «يشبه القرد إلى درجة أعظم جداً مما يشبه أيا من الحيوانات»

وذهب يلتمس وجه الشبه فيما أسماه: القردة العليا: (الجيبن والأورنجوتان والشمبانزى والغوريلا) فافتقد فيها ما يريد، وارتد حسيراً ليبحث عن غيرها معتبراً إياها مما يتعذر أن يُوضع على الخط المباشر لتسلسل أسلاف الإنسان.

ومضى د. آشلى إلى النهاية مع قردو أفرد لها فصلاً كاملاً بعنوان «أسلاف الإنسان» فمضى إلى أعلاها قاطبة، وقد أطلق عليه اسم: «الأسترالوبيثيسينات» أى قردة الجنوب التى اكتشفت هياكلها العظمية فى جنوب أفريقيا فى العشرينيات من القرن العشرين.

وفيهما - أيضاً - لم يجد ضالته، وإذ أحببنا أن نقول: «لكن هذا لا يعنى استحالة أنها كانت أسلفاً للإنسان، أو أنها وثيقة القرابة بمجموعة القردة العليا التى كانت هى الأسلاف المباشرة للإنسان».

إنه لم يسعه إلا أن يعتبر كل ما هو موجود من القردة لا يمكن أن يأتى بإنسان، فلجأ إلى القول بوجود حلقة مفقودة فى نوع بعينه من القردة لم يعثر عليه بعد، هو الأصل للإنسان وأفرد لهذه الحلقة المفقودة فصلاً وضع فيه تفصيلاً لما ينبغى أن يتوفر فيها من صفات لتكون هى الأصل المنشود بيقين - ثم قال: «والبحث عن الحلقة المفقودة لم يتم بعد»^(٥).

فهل يمكن اعتباره مؤمناً بما قاله فى صدر بحثه: «وليس من بين العلماء قاطبة من اعتنق هذا الرأى»؟

(٤) آشلى مونتاجيو Ashley Montagu - المليون سنة الأولى من عمر الإنسان ترجمة د/ رمسيس لطفى - نشر مؤسسة سجل العرب -

انظر ص ٢١.

(٥) راجع على التوالى الصفحات: ٢١، ٤٣، ٤٤، ٤٥ لأشلى.



على صورته) يعنى على صفاته التى قدمنا ذكرها، وفى رواية (على صورة الرحمن) ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة؟! فلم يبق إلا أن تكون معانى...» (٧).

و شاء الله - عز وجل - أن يعدَّ لآدم الإنسان الأول حفلاً طيباً كريماً يغبطه به عند نفخ الروح فيه، حفلاً «حضره الملائكة، وقال - سبحانه وتعالى - فيهم:

﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

ص ٧١ - ٧٢

وَسَرَّتْ الرُّوحُ فِي آدَمَ، ونظر، فإذا الملائكة سجود بين يديه تكريماً من الله - تعالى - له - لقد كان حفلاً بهيجاً رغم كآبة إبليس التى جَنَّتْ عليه، فمَنَعَتْهُ السجود، وقال - خالقه - فى جحود:

﴿خَلَقَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾

الأعراف - ١٢

﴿عَاسٍ سَاجِدٌ لِّمَن خَلَقْتَ طِينًا﴾

الإسراء - ٦١

على أن كآبة إبليس لم يفت آدم الإنسان الأول أن يعلم بسببها أن إبليس خلق من النار، فعرف آدم النار مع بداية خلقه - عليه السلام. كما كانت ضمن ما أعلمه الله به، إذ قال - سبحانه:

ولقد كان ينبغي أن تتجاوز العبارات الإحصائية لوزن (المخ) وغيره بين هذه القردة والإنسان، فإن المقال لا يحتملها، كما أن النتائج المطلوبة ليست بحاجة إليها، فليرجع إليها من شاء.

وخلق الله - عز وجل - آدم وأنشأ إنشأً من طين رجلاً ذكراً تام الرجولة، لا أنثى، ولا خنثى، وأقسم - سبحانه - فى تكوينه، فقال:

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۚ وَهَٰذَا الْبَلَدُ

الْأَمِينِ ۚ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٦)

(و أحسن تقويم) فى الآية قبس يحمل كل ما نتصوره من جمال وجلال فى هذا الرجل وذريته، لكننا نقتصر القول فيه على ما أبدعه قول المفسرين، فهو مستقيم القامة، غير منكب على وجهه، يأكل بيديه، متناسب الأعضاء، جميل الوجه، حسن الصورة، قوى الإحساس، سليم العقل، لطيف الذوق، مزين بالفكر، فصيح اللسان، قوى المنطق، مؤدياً للأمر، مهذباً بالتمييز، هو العالم الأصغر، فكل ما كان من جمال جُمع فيه.

نقل القرطبي عن «ابن العربى» فى تفسير الآية:

«ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله - سبحانه - خلقه حياً عالماً قادراً مريداً متكلاً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً.

وهذه صفات الرب سبحانه، وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله: (إن الله خلق آدم

(٦) سورة التين - الآيات ١ - ٤

(٧) انظر تفسير القرطبي فى الآيات - سورة التين



﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾

البقرة - ٣١

فارتقى آدمُ بعلمه فوق مستوى علم الملائكة . وصارت النار - فى شريعته - آيةً صدق تدل على قبول الله قُربان عبده، فإذا تقدم المؤمن بقربان لله صادقاً مخلصاً نزلت عليه النار فالتقمته، وفى حياته ﷺ كانت واقعة قربان وكُدَيْهِ: قابيل (قايين) وهابيل (٨) .

وتوالت النعمُ على آدم، فما أن غفا غفوةً بعد هذا الحفل الكريم، فأخذته سنةٌ من النوم حتى استيقظ، فإذا بجواره خلقٌ رائع الجمال .. حواء الزوجة التى أراد الله تعالى لآدم أن تصحبه حياته .. كانت - عليها السلام - جزءاً من ضلعه فكانت كجزء من قلبه، سعد بها وسعدت به، قال تعالى :

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفِقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

النساء - ١

وأنزلهما الله - تعالى - الجنة - حيث نعماً بالإقامة واللباس، وما شاء من طعام وشراب :

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ

وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

البقرة ٣٥

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾

طه ١١٨ - ١١٩

وكانت تلك هى الفترة الأولى من حياته، وهى أشبه بـ (شهر العسل) فيما نطلقه اليوم .

ثم كانت الفترة الثانية والأخيرة حيث أمضى حياته على الأرض، فقد أراد الله له ولذريته من بعده أن يعمروها، وهنا توالت نِعَمُ الله - تعالى - عليه، جاء فى فى الحديث الصحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه «موقوفاً» برواية الطبرى، مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ فى رواية أحمد - قال: «إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علّمهُ صنعة كل شىء، وزَوَّدَهُ من ثمار الجنة» (٩) . أى أن آدم نزل إلى الأرض غير ضائع، مشمولاً برحمة الله - تعالى مزوداً بالعلم الذى يوالى به عمارتها، وبين يديه وزوجه من الطعام الطيب ما يكفيه، ثم هو سوف يجد فى حراثة الأرض والزرع، فإنه مستقِر آمن . ويعنى ذلك أن الزراعة والصيد نشأاً معاً فى وقت واحد فى حياة الإنسان الأول .

ذاك هو آدم بين يدي الله الرحمن الرحيم، وتلك آيات الإبداع فيه .

وقدم الطبيعيون آدم أسوأ تقويم، إذ اعتبروه :

(٨) انظر - فى المائدة - الآيات ٢٧ - ٣١، وانظر فى آل عمران - ١٨٣ .

(٩) وهو الحديث الوحيد فى بابهِ - انظر تفسير الطبرى - طبع دار المعارف بمصر. المجلد الأول ١/٣٩٣ الحديث رقم ٥٣٧ رواه الطبرى مرفوعاً حكماً موقوفاً لفظاً ورواه أحمد مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ صراحة .



حيواناً ثديياً، سمح المنظر، عظيم القبح، صغير الحجم جداً، رأسه ومعظم جسده وذراعه وأرجله كُلٌّ مغطى بالشعر الخشن الطويل، يده أشبه بأيدي القردة، ذو جبهة منخفضة، أى لا ترتفع فوق حاجبيه عمودياً أو شبه عمودى ولو قليلاً، بل تنسحب إلى الخلف مكونة شبه كرة خلفه، له فك أشبه بفك الحيوان المفترس، يعتمد على أسنانه اعتماداً على الشوكة والسكين.. وفى البداية من تعلمه الكلام كان يأتى بصرخات عجيبة تطورت بعد مئات الآلاف من السنين إلى أصوات يستخدمها فى الحديث.

ولم يتخذ لنفسه لباساً، وقد اكتشف النار بعد حين، يأوى - إذا هبط الليل - بزوجه وولده فى جوف شجرة أو خلف صخرة ضخمة حفاظاً على نفسه وولده من الوحوش المفترسة.. إلخ^(١٠).

لم يكن آدم بدائياً كما أراد له هؤلاء الطبيعويون، ولم تكن هناك من ضرورة تقتضى أن ينشأ بدائياً، ثم يتحضر، وما كان ذلك ليكون إلا

فى خيال هؤلاء الطبيعيين وكهانتهم.

ثم ليس من شك فى أن «البدائية» مرحلة وقعت فى حياة الإنسان، لكنها لم تكن أولى مراحلها، بل كانت مرحلة تابعة. ولا زال للحضارة قانون حيوى تقوم بوجوده، وتندثر بعده، وقد قدم «ديورانت» هذا القانون - فى موسوعته - فإذا هناك ثلاثة عشر عاملاً - على الأقل تطيح بالحضارة إذا حلت - أو بعضها - بقطر أو إقليم هنالك «جاز للمدنية أن يتقوض أساسها» أى فتفسح الطريق لبدائية آتية، قال - بعد أن ذكرها واحدة بعد واحدة.

«هذه هى بعض الوسائل التى قد تؤدى إلى فناء المدنية، إذ المدنية ليست شيئاً مجبولاً فى فطرة الإنسان، كلا، ولا هى شئ يستعصى على الفناء»^(١١).

وهناك حقيقة ينبغى أن نلتفت إليها، فقد مضى القرن التاسع عشر، وأهم العلوم الإنسانية الحيوية لا علم له بها مما أتاح لأولئك الطبيعيين أن يمرحوا فساداً: «خلال لك الجو فبيضى

(١٠) راجع - هندريك - قصة الجنس البشرى ص ٨ - ١٠ .

(١١) وهذه هى العوامل القاهرة للحضارة.

- انقلاب جيولوجى خطير.
- أو وباء يفلت من الناس زمامه.
- أو زوال الخصوبة من الأرض.
- أو استنفاد الموارد الطبيعية فى الوقود والمواد الخام.
- أو تغير فى طرق التجارة ببعد أمة من الأمم عن الطريق الرئيسى للتجارة فى العالم.
- أو انحلال عقلى أو خلقى ينشأ عن الحياة فى الحواضر.
- أو فلسفة تحفزهم على ازدياد الكفاح.
- أو ضعف الزعامة بسبب عقم يصيب الأكفاء أو بسبب القلة النسبية فى أفراد الأسرات.. إلخ.
- أو تركيز الثروة تركزاً محزناً بأيدي أفراد قلائل ينتهى بالناس إلى حرب الطبقات والثورات الهدامة والإفلاس المالى.. إلخ.



يشأ الله - تعالى - له صواباً .

لست أرى لهذه البدائية إلا حادثاً أليماً وقع بتلك الأسرة الإنسانية الأولى، ذاك حادث النزاع المقيت بين قابيل (قايين) الممارس للحراث والزراعة، وأخيه (هابيل) الراعى صاحب الغنم، وكلاهما وكَّد آدم لصلبه، فلما اشتد النزاع رأيا - قضاء للحق - أن يتقرب كل منهما بقربان لله - عز وجل - فأيهما أكلته النار كان الحق مع صاحبه دون أخيه، فأكلت النار قربان هابيل، فأثار ذلك من حفيظة قابيل فعزم على قتل أخيه فقتله . وما أن قتله حتى فُتِرَ غَضبه، وأحس بشناعة جرمه، وَقَرَّ في نفسه أن رحمة الله - تعالى - ناءت عنه، وأن بركته - سبحانه - زالت، ولم تكن هذه الأسرة الآمنة قد تُوَفِّي لها أحد من قبل، فلذلك لم تمارس غُسْلاً لميت أو تكفيناً له، ولم يستطع قابيل أن يعود للأسرة، فقد قَرَّ في نفسه أنه لا مكان له بينها، وأننى يكون؟ فحمل قتيله، وساح به، حتى كان من لطف الله بالقتيل أن أُرْشِد قابيل إلى دفنه فدفنه، ويبدو أنه استطاع أمام فرصة سنحت أن يختطف زوجته فاخطفها وهام بها في الأرض، يأكل وإياها من صيده، وولت عنه حضارة والديه .

أليس ذلك كافياً في إحداث البدائية الأولى؟!

واصفري « فلما توالى البحوث وتجمعت الحقائق، وانقشع الضباب عن حياة الإنسان فى بقاع الأرض، وجدنا البدائية فى أبشع صورها تعيش جنباً إلى جنب بجوار الحضارة، كذلك ليس يعنى وجود البدائية انعدام الحضارة، وقد أبت الحضارة ولازالت تأبى - أن تطارد تلك البدائية، بل اتخذ كثير من أغنياء الغرب عبيداً فى بيوتهم « واصطبلاتهم » ليكونوا نماذج تعكس غناهم وحضارتهم فى إذلال انعدم تماماً بين البدائيين الأوائل .

ولازال بين القبائل فيما أسما « ديورانت » بالشعوب الفطرية قومٌ « يلتقطون القمل، بعضهم من رعوس بعض ويأكلونه مستمتعين بما يأكلون وإذا ما تجمع من القمل عدد كبير أقبلوا عليه يلتهمونه، وهم يصيحون صيحات الفرح باعتباره عدو الإنسان » .

إن البدائية لم تختف من كوكبنا، منذ نشأت من بعد الأسر الطيبة لآدم عليه السلام .. فهما قرينان إلى أن أكل أهل الدنمارك لحوم البشر فى القرن الحادى عشر من الميلاد ثم إلى يومنا هذا (١٢) .

وإذا كان لى أن أتحدث عن « البدائية الأولى » فى حياة الإنسان، فإنما أتناولها عن اجتهاد محض، قد يكون خطؤه أكثر من صوابه إلا أن

(١٢) ول ديورانت - قصة الحضارة - المجلد الأول - الجزء الأول ص ٧ .

مع ملاحظة أن ديورانت يستخدم كلمتى (مدينة وحضارة) بمعنى واحد . انظر تعليق العرب بالhashية الأولى ص ٣ - نفس المرجع .

(٤) نفس المرجع ص ١٩ .

(١) راجع فى القرآن الكريم - المائدة - ٢٧ - ٣١ .

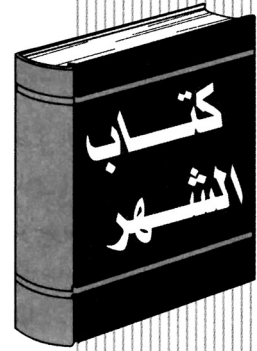
وتفسير ابن كثير للآيات

والعهد القديم - سفر التكوين ٤ / ٣ - ١٥ .



بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي

تأليف
محمد تقى الأميني



عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوض



بعد أن عرف المؤلف بالنفس الإنسانية في الرؤية الإسلامية من خلال ذلك الاستعراض التحليلي المستفيض أعلن أنه يسعى من وراء هذا الاستعراض للتعرف على الغرائز وخواصها وتأثيراتها؛ للاستدلال على أن النشاط المادى والمعنوى والجسمى والروحى يمنحنا إشارة بارزة إلى أن نشأة الإنسانية وسموها، وارتفاع ملامحها يتوقف على تركيبة الغرائز وتربيتها.

وبناء على هذا فإن أصل الإنسان الأعلى، والتيار الرئيسى المحرك له مادى. أما الجوهر الروحى، والأشواق العليا فليسا بموجودين فى أصله، وإنما هى فى جبلته التى تكون النزعات الطبيعية والخلقية أولاً، ثم تنشئ - بعد ذلك - القوى الفكرية بواسطة النزعات الطبيعية والخلقية نفسها.

وهذا التحليل الميكانيكى للإنسان يعنى أن الجبلية الحيوانية فقط هى مصدر الأسس النفسية، والنزعات الطبيعية والخلقية، وسائر الخصائص الوجدانية والإنسانية، وجميع الأفكار والحركات التى تقوم عليها الحياة.

وهذا (فرويد) جعله انحراف عقله يرجع الحركات الإنسانية إلى الشعور واللاشعور. أما الشعور فيعنى به الطاقات التى زود بها الإنسان، من التفكير والتدبير، والتصرفات العقلية وغيرها. وأما اللاشعور فهو الذى تنبع منه العواطف والتخيلات والأوهام كلها، والعلاقة بين الشعور واللاشعور كالعلاقة بين الزبد والبحر.

ومن هذه الرؤية ينطلق (فرويد) مقرراً أن فطرة الإنسان - أو ما هيته - ليست بجوهر مستقل، يمكن أن يكون له نشاط أرفع من العواطف الجنسية، والشهوات الحيوانية.

وبناء على هذا لم يختر الله - تعالى - لأحد أن يستأصل الجذور النفسية العميقة، ولا أن يمزق أوصالها الغائرة فى الحياة الإنسانية.

كما أعلن أن خواص النفس وتأثيراتها وأنشطتها موجودة كلها من بدء الحياة، وليست ثمرات للارتقاء من أدنى حالة إلى أعلى. وأن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى ذلك فى قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَلَمَّا فَجَّورَهَا وَتَقَوَّاهَا ۗ﴾ (٨)
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ﴾ (١)

ولكن للعقل المنحرف رؤية أخرى

ويستعرض المؤلف أبعاد الضلال عن حقيقة النفس الذى أدى إليه انحراف العقل حين استبد به الغرور مع التقدم الصناعى.

فهذا (داروون) لا يجد فرقاً بين الإنسان وغيره من الكائنات المادية، لأن أصل الإنسان - فى رؤية العقل - حيوان فى طراز جسمه ونفسه. والخصائص الوجدانية والإنسانية ليس لها منهل فذ تستقى منه، اللهم إلا تلك النتائج والثمرات التى تنشأ عن استخراج الجبلات الحيوانية بمحاولات الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى.



حيث يظهر أثر كل وجهة على الإنسان فى تكوينه، وفى سلوكه الفردى والجماعى، وفى سائر مناحى الحياة .

الاندفاع إلى القلق والاضطراب

وبعد أن أوضح المؤلف - بالموازنة الفكرية والمنطقية - التباين بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى أخذ فى استعراض مظاهر هذا التباين فى حياة الإنسان .

فقدم صورة للإنسان الصناعى فى مقابلة الإنسان الطبيعى، فأخذ فى كشف النقاب عن أثر الهيمنة المادية على سلوك الإنسان حيث أرانا المادة تسرى فى جميع مظاهر حياة الإنسان الصناعى الشخصية ومقوماته، لأن القوى المنطلقة منه، والطاقات الكامنة فيه، والاستعدادات المذخورة فى كيانه .. كلها قوى وطاقات مادية أصيلة، وليست ممتزجة بالطاقات الروحية فى ذاتها، ولا هى متعلقة بواجبات الإنسان فى ما هيتها، حتى لقد انحصر المثل الأعلى له فى الحوائج الدنيوية ومتطلباتها، فلم يعد الهدف الصالح لطاقاته وجهوده إلا الغذاء والكساء، والإشباع الجنىسى . أما القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية فلم يعد لها قيمة حقيقية، بل هى عنده تابعة للتنتائج والأرباح على المستوى الميكانيكى، فإذا تغيرت هذه المنافع تغيرت القيم والفضائل معها .

فالقيم الأخلاقية التى تضبط المكاسب الدنيوية هى التى يتعاطم نفوذها، كالأمانة فى التجارة والانضباط فى الأعمال الشاقة، والالتزام بالوقت، وحب الوطن، إلى غير ذلك من القيم التى تتوافق مع المكاسب المادية .

ومقرر أن الإنسان شقى وسىء الحظ من بداية خلقه، وهو عبد للحاجات المخزنية الحيوانية من أول يومه، لأن اللاشعور - فى تقدير فرويد - هو ينبوع العميق للخصائص الإنسانية والقيم الأخلاقية .

وهذا يعنى : أن نشاط الإنسان فى العلم والإبداع والفلسفة والأخلاق، وغير ذلك ليس نشاطا أصيلا له مكان مستقل وأساسى فى الفطرة الإنسانية، بل هو مجرد متاع للتنفيس عن الشهوات المستوردة والمكبوتة رغما عنها .

ويعنى : أن الدين ليست له حقيقة معنوية أساسية فى الفطرة الإنسانية، بل إن الإنسان قد اخترعه من وحى الخيال، فأصول الأخلاق والأفكار العالية حواجز صناعية اخترعها المجتمع لئلا يلحق الضرر بالشهوات الجنسية المجنة .

كما يعنى : أن الخير والشر والتفريق بينهما لا حقيقة له فى الواقع، بل هما من مبتكرات الإنسانية ومخترعاتها .

ومن هنا .. يقدر المؤلف أن رؤية العقل المنحرف للنفس الإنسانية تباين من كل وجه رؤية الإسلام لها، فىمنا ينكر العقل المنحرف وجود الأسس الروحية للإنسان . نجد الرؤية الإسلامية لا تنكر وجود الأسس المادية له، بل إنها لتحمل على الاعتراف بامتزاج الأسس الروحية بالأسس المادية، وتفرض أن الأسس المادية تتطهر وتسمو بامتزاج الأسس الروحية بها .

ويقدر : أن هذا التباين بين الرؤيتين لا يتضح فحسب من الموازنة الفكرية أو الذهنية، ولكنه - إلى ذلك - يتضح من الموازنة الواقعية والتطبيقية،



يعد في حاجة إلى الأسرة والتزاماتها، فصار بين الناس كائنا منعزلا، لا يستشعر أنساً ولا مساندة، ولا مواساة من أحد، إذ نضب معين العواطف الإنسانية في كيانه، حتى تلاشت، أو كادت تتلاشى.

ولذلك.. نجد قصارى ما يصنعه لأولاده -إن فرضت عليه الظروف أولادا- اختراع ما يسمى بمأوى الأطفال يلحق به أطفاله ودور المسنين يلحق بها الآباء والشيوخ والأمهات العجائز، حتى يخلص لنفسه في مهاريها المادية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن اندفاع الإنسان الصناعي في هذه السبل المادية، قد دفعه في كثير من المواطن إلى أن يرى في الزواج وزرا أو قيذا ثقيلا، فانطلق في سبيل الإشباع غير المقنن الذي هيأ له الدعارة أحد مظاهر الحرية، فسادت الفوضى والتحلل والانحلال.

المرأة بين الإنسان الفطري والإنسان الصناعي

ومن هذا المنطلق المتباين -في تقدير الأسرة- بين الإنسان الملتزم بقوانين الفطرة (الطبيعي)، والإنسان الخاضع لصنعة الرؤية المادية البحتة (الصناعي).. من هذا المنطلق تختلف حقيقة المرأة ودورها، ومكانتها في نظريهما.

فبينما نجد الإنسان الطبيعي يقدر المرأة حق قدرها، فيكفل لها مساواة تامة، من حيث الحقوق الإنسانية والدينية والروحية ويوزع المسؤوليات بينها وبين الرجل ليقوم كل بدوره الذي هيء له في تكوين الأسرة والحفاظ عليها، دون جور أو إهمال، انطلاقا من الدستور السماوي الذي يصرح بذلك في قوله تعالى:

أما القيم الأخلاقية التي لا تتفق مع المكاسب الدنيوية فإن نفوذها ليس عظيما، وذلك كقيمة العفة والشرف، والحياء والأدب، والحب، وصدق النية، والإخلاص، بل إن الأخلاق المضادة لها هي التي تسيطر، كالوقاحة والفاحشة والأنانية، وقسوة القلب، والنفاق، والظلم، ونحو ذلك.

وعلى هذا يصبح الرجل الصالح الناجح في مجتمع الإنسان الصناعي هو الذي يكون أوسع نفوذا وقوة، وإن كان كالحیوان المفترس.

ومع أن هذا الإنسان الصناعي -بما يبذله من جهد- قد كشف كثيرا من الأسرار المادية في الكون، وبلغ بالحضارة المادية شأوا بعيدا.. مع هذا نراه قد دمر القيم الأخلاقية والروحية، فلم ينل مكانا تطمئن فيه القلوب والأرواح، فاستبد به القلق والاضطراب، وتمكنت منه الحيرة، حيث يجد نفسه -على الرغم مما يملك- مازال مجهدا معنى، بل ازداد إجهادا وعناء، وخوفا ورعبا.

وما ذلك إلا لأنه حصر نفسه وحياته في دائرة المادة، فأفقدتها الروحانيات، بما تحققه للإنسان من رؤية متوازنة، تجعل الحياة عنده غير محدودة بالدنيا، بل هي موصولة بما بعد الموت، وتوجهه إلى أن يغترف من معين الوحي الإلهي، كما يغترف من معين العقل المادي، فلا ينحصر ارتقاؤه في المجال المادي الدنيوي، بل يرتقى بجوهره إلى أعلى نواحي الحياة، فتتمحى القلاقل والاضطرابات من حياته، ويجد السكون والراحة.

نعم.. إن تمكن القيم المادية من الإنسان الصناعي ملأته بالغرور، فظن أنه لم يعد في حاجة إلى أحد غير كفاحه وعمله، وبالتالي: لم





زوجة لم يجذبه إليها إلا المظهر المادى، فغالبا ما يختارها من المسارح والملاهى والمتنزهات، حيث تبدى من مفاتن الجسم ما يثير ويغرى.

وإن كانت امرأة لم تقبل إلا على الرجل الجسيم أو الثرى، أو الذى ينمق الكلام، ويخفى السم فى العسل.

فالرجل الطبيعى يرتبط بالمرأة لإعفاف النفس، وتحقيق الألفة والسكن، والحفاظ على النوع، ولذلك نفر من العزوبة التى يدعو إليها الإنسان الصناعى، ويحض عليها.

ولذلك أحاط الإسلام المرأة برعاية عائلية كبيرة، وبسياج من الحماية متين وكریم، وأقام الأسرة على دعائم من الرعاية، والقوامة، والمودة والرحمة، تهىء لكل فرد أن ينطلق فى أرجاء الحياة آمنا من عوائق الواقع، ومجاهيل المستقبل، بما تنشقه من تكافل وتآزر وتعاون.

أما العقل المادى فلا يعترف بشىء من ذلك، إذ يجعل الإنسان (الصناعى) لا يشعر إلا بوجوده وحده، حيث قوض هذا العقل فى نفسه بناء الأسرة واقتلع جذور المجتمع، فصارت أحاسيس الاغتراب تطارده، فيهرب منها إلى المزيد من الأثرة والأنانية، حتى أصبح كالظمان الذى يطلب الرى فى الماء المالح، فلا يزداد إلا ظمأ، ويضطر إلى شرب مزيد من الماء المالح، فالعلاقة المادية والاقتصادية التى تبنى على المصالح الفردية المجردة والمنافع الشخصية البحتة تثير الأنانية البغيضة، والنفعية الانتهازية، والصراع الدائم

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٢).

وقوله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (٣).

وقوله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (٤).

ولذلك فارتباط الرجل بالمرأة لا بد من أن يقوم على أسس وقواعد، تتحقق بها وظائف كل منهما، فالزواج أساس الرعاية والقوامة، وهو ينبوع السعادة والهناء، ولذلك عده الإنسان الطبيعى أقدس عقد فى الوجود، تتكون به المودة والألفة، وتهدأ به الميول والشهوات، وتستقر به النزعات والرغبات، ويصان به الشيوخ من الانقباض والاستيحاش.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (٥)

أى إن هذا الارتباط الوثيق بين الرجل والمرأة يقوم على الحب والتضحية، والقيم العالية، والفضائل الروحية، لأن الإنسان الحقيقى يراعى - فى هذا الارتباط - الجانب المعنوى المحقق لتجنب المحرمات، وحسن الطباع.

أما الإنسان الصناعى فإن كان رجلا وأراد اختيار

(٢) النساء (٣٤).

(٥) الروم (٢١).

(٢) النساء (٣٢).

(٤) البقرة (٢٢٨).

العنيف، وتجعل الهدف الأسمى: (كل وعش)،
وتحبب إلى النفوس عبودية القوة المادية، وعبودية العقل
المادى، الذى لا يدرك الصورة السليمة للإنسان.

ومن هنا.. حاول الإنسان أن يزيل عن نفسه ما ألم
به من قلق وإجهاد، فالتجأ إلى خلق أشكال وأوضاع
ألهمت فيه نيران الشهوات، وهيجت نوازع الجنس،
وشجعت الدعارة والفاحشة التى تحولت بها المرأة إلى
سلعة تعرض للاستمتاع فقط. وبالع في الخوف فاطلق
على كل ذلك وصف الحرية.

الاقتصاد بين الأثرة المادية والإيثار الفطرى

ولأن المادة شعار الإنسان الصناعى ومقصده..
قامت الغايات الاقتصادية عنده على تلبية الحوائج
البدنية، والافتضاءات الحيوانية فقط، من غذاء وكساء،
ومتاع حسى، وإشباع جنسى.

والإنسان الصناعى - فى مسعاه لتحقيق تلك
الغايات - قاده قدماء - أو عقله - فى طريقين متباينى
المظهر، وإن اتفقت بهما الغاية.

١- فهو إما أن يطلق للفرد حرته فى السلوك
الاقتصادى، فلا يعيب جشع الجشع، بل يحضه عليه
ليستولى على ما يقدر من ثروات ومصادر إنتاج، دون
اكتراث بما يؤدى إليه ذلك من إخلال بالتوازن، وصراع
يجعل الناس طبقتين متنافرتين، إحدهما ضعيفة،
تبذل كل طاقاتها، ولا تحصل إلا على الكفاف.
والأخرى قوية، تتحكم فى كل شىء، وتستغل ضعف
الضعيف لتستمتع بكل ما تريد، دون نظر إلى ما
يترتب على ذلك من إهدار كرامة الإنسان وشرفه،
وإفساد خلقه وضميره، وإشاعة الحقد فى النفوس.

٢- وإما أن يستغل حقد الحاقدين على الأثرياء،
فيثير ثائرتهم، ويهيج أحقادهم، ويواصل خداعهم
بدعوى أن كل أسباب الترقى الإنسانى تقوم على
العوامل الاقتصادية، فهى وحدها التى تبنى عليها حياة
الإنسان ومكانته، ومقوماته، أما القيم الروحية فما هى
إلا مخدر اخترعه الأثرياء ليقبوا الضعيف على ضعفه،
فلا ينهض لينازعهم حول ما اغتصبوا من الثروات، ولا
ينافسهم فى السعى وراء المزيد.

ولذلك.. نراه يدعو هؤلاء الضعفاء المعوزين إلى
التخلص من تخدير تلك القيم، ونبذ هذا الأفيون
المسمى بالدين السماوى، والثورة على الأغنياء وانتزاع
ما بين أيديهم ليعاد توزيعه من جديد.

فالتريقان - على اختلافهما الظاهرى - يتفقان حول
جحود العقيدة الربانية، وإنكار العوامل الروحية
وآثارها. وما الفرق بينهما فى الحقيقة إلا كالفرق بين
المنافق والكافر الصريح، فهما يقومان على تمجيد المادة،
بيد إن أحدهما سخر الفرد فى التنسك لها، والآخر
سخر الجماعة فى ذلك.

أما الإنسان الطبيعى، فلأن شعاره الإيمان بما وراء
المادة، فهو يبنى نظامه الاقتصادى على أساس يجمع
بين النفع المادى، والطاعة لله الخالق، حتى إن تصرفاته
الاقتصادية تسلك فى ضمن عبادته لله، وطاعته إياه،
ولذلك نراه يقيم بناء الاقتصادى على كل ما يدور
داخل هذا الإطار الإيمانى:

١- فلا يحق لفرد - باسم الحرية - أن يهيمن على كل
مصادر الرزق الأساسية، لأنها عامة مشاعة، ومسموح
للجميع أن يفيدوا منها، لكل قدر ما يبذل من طاقة.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١)



ينظم الثروات والملكيات داخل الإطار الإسلامى، كى تكفل تحقيق تلك الحاجات الأساسية.

مكان الأخلاق والقيم من السياسة

وفى الفصل التاسع [النظام السياسى بين الإنسان الطبيعى والصناعى] يقفنا المؤلف على دور التجرد المادى فى نظم الحكم وسياسة البلاد، فيذكر أن الإنسان الصناعى قاده خلوصه المادى إلى الاسترشاد بفكر (ميكافلى) الذى حطم فى الإنسان القيم العالية، والفضائل الإنسانية، وحولته إلى آلة صماء جافة تضحى بكل شىء فى سبيل غايتها، وتصنع كل شىء ترى أنه يحقق ما تريد، وتسلك كل طريق يقودها إلى مبتغاها، فالدولة - كما قال ميكافيللى - سياسية فقط، لا أخلاقية، ولا قانونية، فكل كذب وخداع واضطهاد مباح مادام يشبع رغبة قومية، أو يمكن من توسيع حدود دولية، أو يمكن من إحكام سلطة سياسية.

ومن هنا.. اتخذ هذا الإنسان الصناعى شتى الوسائل التى تمكنه من غايته المنشودة.. تدفعه قوى النفعية والانتهازية والأنانية البغيضة، فاستباح لنفسه كل شعار يتمكن به من تحقيق مآربه، فاتخذ من الديمقراطية - التى هى أروع مظاهر التآزر الاجتماعى، وأرقى أشكال الحكم - شعارا يخدع به الآخرين بما يلفه من إيهام وغموض يجعل منه نظماً عديدة، لاتقف عند حد، فالديمقراطية التى يعتنقها الإنسان الصناعى تستغل نسبة الحاكمة للشعب والجمهور الذى يقوده الرغبات والعواطف الرديئة، بل إنه ليفوض إلى هذا

٢- ملكية الأشياء - بالأصالة - لله وحده، وملكىة الأفراد إنما هى بالإئابة، ليعين بعضهم بعضاً على صيانة الحياة وتنميتها ورفيها.

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (٧).

﴿وَمَا أَنُؤْتُهُمْ مِنْ مَّالٍ اللَّهِ الَّذِي آتَانَكُمْ﴾ (٨).

٣- لذلك.. فإن النواحى الاقتصادية فى الإسلام تقوم على القيم العالية. والمثل الروحية، فلا يصح أن يتوسل بالخداع والغش فى تحصيل المال، فهو - لذلك - أنهى ممارسة الربا والقمار، والميسر والغش، والاحتكار، وغير ذلك من الوسائل الشاذة.

وما يملك المرء ليس كله خالصاً له، وإنما فيه حقوق للآخرين. يجب عليه أن يؤديها لهم، كالزكاة والصدقات.

٤- لا يجوز أن يحرم فرد من ضرورات الحياة والمعاش فى حال من الأحوال، فالفرص متاحة لكل فرد حسب استعداده ومؤهلاته. وعلى كل فرد أن يبذل قصاره فى اكتساب ما فوق الضرورات الأساسية، ملتزماً بقيم الإسلام.

﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهَا﴾ (٩).

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (١٠).

ففى ظل الاقتصاد الطبيعى (الإسلامى) يجب على الدولة أن تؤدى واجباتها الاقتصادية نحو الأمة أفراداً وجماعات، ولها أن تسن من التشريعات ما

(٨) النور (٣٣).

(١٠) هود (٦).

(٧) الحديد (٧).

(٩) الملك (١٥).





ويدور في محور الدستور الأساسي له، وهو كتاب الله خالق الإنسان الذي لا تبديل لكلماته

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١٣).

ومن هنا.. يقيم الإنسان الطبيعي نظامه السياسي على:

١- الخلافة العمومية، لا الحكومة المستقلة، ولا السيادة المتجبرة التي يقودها الهوى.

﴿يٰۤاٰدٰمُ اِنَّا جَعَلٰنَكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ (١٤).

٢- العدالة الشاملة التي لا يخل بميزانها الحب أو البغض، ولا تغير قواعدها المودة والشنآن.

﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا كُوْنُوْا قَوّٰمِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ اَنْفُسِكُمْ اَوِ الْوَالِدِيْنَ وَالْاَقْرَبِيْنَ﴾ (١٥).

﴿وَلَا يَجْعِرْكُمْ شَتَاۗءٌ قَوُوْا عَلَىٰٓ اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاَتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ حَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ (١٦).

٣- التشاور مع أهل الحل والعقد، مع المرونة في التطبيق وفقا للظروف والمتغيرات.

الجمهور -بوضعيته المادية السافلة- حق التشريع، وتحديد الخير والشر، والتمييز بين المعروف والمنكر.

بل إن اعتماد الإنسان الصناعي -فى السياسة- على ما تفرضه المادة من قيم يقوده إلى جعل العقل وحده مصدر التشريع ووضع برامج الحياة، على الرغم من أن تجارب الحياة أثبتت أن هذا العقل تتغير رؤاه بتغير الأحوال التي يمر بها الإنسان، فما يحلم به اليوم، ويسعى إليه قد يطرأ عليه ما ينفره منه ويبغضه فيه، لأنه خلق هلوعا، إذا مسه الشر يصير جزوعا، وإذا مسه الخير يصير منوعا، فلم -ولن- يوجه عقل يدرك غوامض الحياة الإنسانية فى أبعادها.

وفى المقابل يقدم المؤلف النهج السياسى الذى يلتزمه الإنسان الطبيعى، حيث يعتنق فكرة الإيمان بالسيادة الكاملة والحاكمية المطلقة، والنفوذ الأعلى لله - تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَآءِ اِلٰهُ وِفِى الْاَرْضِ اِلٰهُ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْعَلِيْمُ﴾ (١١).

ويتحرك إلى غاية واضحة محددة. هى العبودية لله - تعالى، وإقامة الحق والعدل.

﴿الَّذِيْنَ اِنْ مَّكَّنَّهُمْ فِى الْاَرْضِ اَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاَتَوْا الزَّكٰوةَ وَاَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلّٰهِ عَنَقِبَةُ الْاُمُوْر﴾ (١٢).

(١٢) الحج (٤١).

(١٤) ص (٢٦).

(١٦) المائدة (٨).

(١١) الزخرف (٨٤).

(١٣) فصلت (٤٢).

(١٥) النساء (١٣٥).





﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١٧).

٤- المساواة الإنسانية في الإكرام، وحفظ النفس والعرض والمال، وحرية الفكر والدين.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (١٨).

٥- إقامة العلاقات الدولية على السلام والوفاء بالعهد.

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا

مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١٩)

٦- الاجتهاد المتصل والدائر في داخل الإطار القرآني مع أهل العلم والخبرة في استنباط الأحكام المتعلقة بما يجد من الأمور.

فالإنسان الطبيعي - في سياسته - متوازن، لا يميل إلى التضييق في الأمور، ولا يسمح بتكلف الاتساع إلى درجة تتعدى حدود الله.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢٠).

وبعد:

فالكتاب - في مجمله - يقدم مضمونا يسهم في كشف ما وقع فيه الإنسان في العصر الحديث، حين خدعه التقدم العلمي الهائل الذي قاد إليه العقل البشري، وحين فتنته القوة المادية الجبارة التي

أوصله إليها هذا العقل، فوجد أنه قادر على تذليل كثير من ماديات الحياة، فأغفله كل ذلك عن حقيقة كينونته، وتوهم أنه بهذا العقل يستطيع أن يهمل الجانب الروحي والوجداني للحياة، فاعتقد أن بيده وحده تنظيم حياته، وأنه ليس في حاجة إلى الإيمان بوجود إله خالق، ينظم للإنسان حياته، ويحاسبه على ما قدم في الحياة الآخرة. فالعقل المادي هو إلهه الذي لا يخضع إلا له.

ومع يسر أسلوب المؤلف. ووضع عباراته.. نرى أنه اندفع وراء تمسسه وانفعالاته، فلم يكن دقيقا في ترتيب فصول الكتاب، فجاء الفصل السادس (التعليم ومعاييره بين الإنسان الحقيقي والصناعي) فاصلا بين الفصلين الرابع والخامس، ويتعلقان بالحياة الشخصية والأسرية والمرأة، وبين الفصل السابع (المسؤولية الاجتماعية بين الإنسان الحقيقي والإنسان الصناعي)، كما أنه لم يلتزم نهجا محددا في كل فصل، فمرة يبدأ بالإنسان الصناعي، وأخرى يبدأ بالإنسان الطبيعي، وقد اضطره ذلك إلى الوقوع في التكرار المثلث.

أيا ما يكن.. فإن تلك الملاحظات إن هي إلا ملاحظات جانبية، لا تنتقص من أهمية الكتاب، خصوصا في ظل الدعوة العارمة إلى العولمة الأمريكية بمفاهيمها المادية المتسلطة بخدعها وأوهامها، فالرجل يهتف بما هتف به شعيب عليه السلام في قومه:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ

مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٢١).

(١٨) البقرة (٢٥٦).

(٢٠) المائدة (٣).

(١٧) آل عمران (١٥٩).

(١٩) المتحنة (٨).

(٢١) هود (٨٨).



علم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يمددها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري المدواني 1990-1923

281

تاريخ الطب

من هن المداواة إلى علم التشخيص

تأليف: جان شارل سورنيا
ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي

قراءة نقدية في كتاب

عرض وتعليق

الأستاذ الدكتور

أحمد فؤاد باشا (*)



تمهيد: إن الحملة على الإسلام ومصادره لم تهدأ منذ بزغ نوره، ومحاولات التهوين من دوره في تشييد صرح الحضارة الإنسانية تتخذ أشكالاً مختلفة وأساليب متنوعة منذ ظهور الاستشراق الذي كان في الأغلب - ولا يزال - يشكل الجذور الحقيقية لتغذية عمليات التبشير، ويوفر المناخ الفكري الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على بلاد العالم الإسلامي، والذي كان في الأغلب - ولا يزال - يعمل في المقام الأول بكل مألديه من أدوات وأساليب من أجل أن يحول بين العقل الأوروبي وبين معرفة حقائق الإسلام.

وإذا كانت التيارات المعادية للإسلام قد دأبت على التشكيك في أمور من صميم العقيدة الإسلامية ذاتها، وسعت جاهدة إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام بتأويل نصوصه المقدسة

(*) الكاتب: نائب رئيس جامعة القاهرة.

دعوى مقدمة

كان آخر ما قرأت في الأسابيع الماضية كتاب « تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص »، تأليف أستاذ الطب الفرنسي جان - شارل سورنيا وترجمة د. إبراهيم الجلاتي، وهو إصدار مايو ٢٠٠٢ من سلسلة عالم المعرفة التي يشرف عليها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. ويعرض هذا الكتاب لسيرة علم الطب منذ ما قبل التاريخ، مروراً بالعصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية الحديثة، ووصولاً إلى عصر انفجار المعرفة والتقنيات. وقد لاحظت منذ البداية تحيز المؤلف لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بالرجوع إلى ما أسماه « التراث اليهودي المسيحي المشترك »، وهو اتجاه سبقه إليه عدد من المؤرخين والمستشرقين غير المنصفين الذين يتعاملون مع التاريخ وفق منهج انتقائي يختارون من أحداثه وحقائقه ما يخدم ميولهم التعصبية. وظهر هذا الكتاب الذي انبثق من قلب الثقافة الغربية يرتبط هذه الأيام ارتباطاً وثيقاً بالجدل الدائر بين المثقفين حول طبيعة العلاقة بين الحضارات والثقافات، حيث ينقسم المفكرون شرقاً وغرباً بشأن هذه القضية إلى تيارين كبيرين: أحدهما - وهو الأعلى صوتاً والأضعف حجة - يؤسس هذه العلاقة على مبدأ « الصراع الدارويني » الذي يحدد البقاء للأقوى، والآخر - وهو الأخفض صوتاً والأقوى حجة وإقناعاً - يؤسسها على مبادئ الحوار والتكامل والتفاعل والتواصل.

والبحث عما يدعم حجته من أحداث شاذة في التاريخ الإسلامي ليس لها صفة العموم، إلا أن عدداً من المنتمين لبعض هذه التيارات لجأ بخبث خلال العقود الأخيرة إلى مهاجمة الإسلام ديناً وحضارة، متخذاً من العلم الحديث ومنهج رداءً خادعاً لكي تبدو مزاعمه وكأنها نتاج منطقي للمعرفة العلمية وتعبير حقيقي عن الواقع الإنساني وزاد من ضراوة هذه الحملة المسعورة في السنوات الأخيرة ما وفرته تقنيات الاتصال والمعلومات من منافذ لإثارة العديد من الشبهات ضد الإسلام وحضارته في مقابل الأدبيات العديدة التي ظهرت لتحذر من خطر الإسلام على أى نظام عالمي جديد يستبعد الدين من دائرة التأثير في توجيه شئون الحياة الدنيا واستدعاء العلم وحده لكي يقوم بهذا التأثير.

إننا ننبه هنا إلى وجود نوع جديد من الاستشراق لا يكتفى بمعرفة الشرق من أجل اختراقه وإحكام السيطرة عليه، ولكنه يهدف أيضاً - باسم العلم ومن خلاله - إلى بث أفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين باختراق الثقافة الإسلامية ذاتها. وعرضنا لمثل هذه القضية - التي نستعملها من لسان الحال في عصر العولمة والمعلومات، ويؤيدها العلماء المستشرقون أنفسهم بلسان المقال، يمثل من جانبنا دعوة إلى فهم أعمق لطبيعة علاقتنا مع حضارة العصر المادية.. وهذا بدوره يمثل جزءاً من الإجابة عن سؤال أعم وأخطر هو: كيف نريد لمستقبل أمتنا الإسلامية أن يكون...!!

(١) وقد تبني الكتاب الذي أشرنا إليه دعاوى وافتراءات عدة في حق الإسلام والحضارة الإسلامية، منها «أن المؤمنين في بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبي على «الطب النبوي» (ص ٨٤)، وأن «كتاب القانون في الطب لابن سينا ركام غامض لانستطيع أن نستخرج منه أى استنتاج ذى فائدة عملية للمرضى»، فالمؤلف يؤكد تقديره لابن سينا كفيلسوف، ولكنه يحتفظ بإعجابه للرازي كطبيب (ص ٨٩) وهو بهذه العبارة يحاول أن ينفي صفة التجريبية عن واحد من رواد العلم الإسلامى التجريبيين. ولو كان مؤرخا منصفاً لعلم أن الأطباء فى عصر الحضارة الإسلامية ينقسمون - فيما يرى جورج سارتون - إلى مجموعتين: الأولى مجموعة الممارسين الذين اهتموا فى المقام

الأول بالمرض والتشخيص والعلاج معتمدين على الملاحظات والمشاهدات، والفلسفة عندهم وسيلة لبلوغ الغاية، ويمثل هذه المجموعة أبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف.. أما الفريق الثانى فهو فريق المدرسين الذين درسوا الطب على أنه جزء من المعرفة لاغنى عنه، وسعيهم إلى استكمال المعرفة هو الذى

يريد السخرى ومما خطر بالخلد على الشيخ فيقول بعد ذلك السكتين يا ما مؤيد

الاعتداء على الطبيعة والخلق

ففي حكمة البكر المكيحة

١٩

ان لا نمدح البكر المكيحة للحبيب ولا البكر الخيف لا اى البكر المكيحة باقات كثيرة يسرع اليهم منها على التمس والموت فبما لا تشقوا القروى وصغر الحركة وقتلا لا يجاب في التوليد ولما لا ابدلوا الحمة فتسعد للسل والرق مبادرة الى الاستسقا والمخلول القوة في الامراض فربما لتاثر من الحر والبرد الخارجين عن الاعتدال لكننا نمدح البكر الحسن العلم المائل الى الحبيب قليلا لانه هذا البكر يعيد من الا فاحش يستعملها ولا يبادر الى قبولها

في السواك

٢٠

السواك يجعل الانسان ويعينها اذا كان باعتماد وتبذل الله ويسببها ويمتدح ويعين على طيب النكهة ويعين على الحنم ويخفف عن الدن ويقدم المدة بعض الجعفر وينبغي لمن يستاك في شيش قبض ومراعاة، والاسلاف في السواك ينهت بمقتال الانسان فيسرع اليها الا واضح ومن عز عنها ويدتها والله يعصها

في حفظ الاسنان

٢١

ينبغي ان يحجب كلالاها الصلبة بها ويحجب كثرة المص من حليبها والفلين كالبقر والناطف ونحوها ويحجب كثرة القي لا ير يسدها ويعني غسلها وتطهيرها حتى وقع في الاكل من طعمه فليط لا يسان الدن ومن السكتين اربابا الصل ويستد ويستاك باعتماد ويحجب الاشياء التي يضر بها واشياء التي يحجبها كاللحم وماه وخاصة بعقب الحمام طعمه كال

صفتون يحفظ على الانسان صحتها

صفحة من مخطوط «المنصوري في الطب» لأبي بكر الرازي (من مقتنيات دار الكتب المصرية).

دفعهم إلى الطب وممارسته بأسلوب منطقي، ولهذا أطلق عليهم «الفلاسفة الأطباء» ويمثلهم الشيخ الرئيس ابن سينا صاحب كتاب «القانون» الذى جمع خلاصة الفكر اليونانى واحتوى على غاية ماوصلت إليه الحضارة الإسلامية فى مجال الطب تجربة ونقلًا وتصحيحًا وابتكارًا. والواضح أن كلا الفريقين

الوجه الناشئ عن سبب مركزي في المخ وماينشأ عن سبب موضوعي . واكتشف ابن سينا طفيلية الانكلستوما ووصفها بالتفصيل لأول مرة في الفصل الخامس الخاص بالديدان المعوية من كتابة « القانون في الطب » وسماها « الدودة المستديرة » وتحدث عن أعراض المرض الذي تسببه، وأعاد «دوبيني» اكتشافها بإيطاليا عام ١٨٣٨م، أى بعد اكتشاف ابن سينا لها بتسعمائة سنة تقريبا، وقد أخذت بهذا التصحيح مؤسسة «روكفلر» الأمريكية التي تعنى بجمع كل مايكتب عن هذا المرض.

(٢) لم ير أستاذ الطب الفرنسي «جان - شارل سورينا» في كتاب « القانون » لابن سينا أى فائدة عملية للمرضى، ولم يعترف به كطبيب مثل الرازى .. بينما شهد مؤرخو العلم وفلاسفته بأن كتاب القانون نموذج رائع في فن التأليف من ناحية التبويب وجودة العرض ومنطقية الترتيب، وذلك بالمقارنة مع الكتب الطبية الحديثة، مما يعكس الخبرة الطبية لمؤلفه .. فالكتاب يبدأ بالتشريح، ويثنى بعلم وظائف الأعضاء، ويتبع ذلك بعلم طبائع الأمراض، أو الباثولوجيا، وأخيرا ينتهى بعلم العلاج .. ولقد عرض ابن سينا نفسه مضمون هذا المنهج في مقدمة كتاب القانون - وشرح الطابع الفلسفي لهذا المنهج ومحاولة تطبيق الاعتبارات الفلسفية كوسيلة لبلوغ الغاية الطبية، بقوله: « رأيت أن أتكلم أولاً في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب .، أعني القسم النظري والقسم العملي . ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم

من الأطباء يتبع المنهج التجريبي في البحث الطبي ويعتمد عليه بصرف النظر عن أنه غاية أو وسيلة ، فالتقدم نحو إدراك الحقيقة أو الاقتراب منها لا يتحقق إلا بالتجربة العملية .

وكيف لا يكون ابن سينا طبيبا تجريبيا وهو الذى يؤكد على أهمية اتباع المنهج التجريبي والتريث قبل استخلاص النتائج ، فيقول: « علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت الشروط التالية: أن يكون البول أول بول من المريض، أى بول الصباح، على ألا يكون المريض قد شرب ماء بكثرة أو أكل مايمكن تلوين بوله كالزعفران . كذلك يجب على المريض ألا يقوم بحركات خاصة أو يتبع نظاما على غير عاداته . لأن كل هذا يؤثر كثيرا في تركيب البول .. إذن فالنتائج التي نصل إليها من تحليلنا لبول تعتمد على لونه وكثافته .. ومدى صفائه أو تعكره وعلى رائحته ورغوته .. » وعن الاستدلال على المرضى من البراز قال ابن سينا أقوالاً مشابهة لما قيل في الاستدلال بالبول ..، فهو يرى أن البراز يدل بلونه ومقداره وقوامه ورائحته ووقته .

نعم .. كيف يكون ابن سينا في نظر مؤلف كتاب « تاريخ الطب » مجرد فيلسوف وهو الذى اكتشف داء الفيلاريا والجمرة الخبيثة المسببة للحمى الفارسية، ووصف بدقة تقنيح التجويف البلورى، ومميز بين الالتهاب الرئوى الحاد والالتهاب السحائى الحاد، وفرق - فيما ذكر المترجم في الحاشية - بين المغص الكلوى والمغص المعوى، وبين شلل

المذكورة في ساير المعنارييف .
الفصل الثامن عشر في تشريح العنبد
عظم العنبد خلف مستدير ليكون أبعد عن
قبول الافات وطرفه الاعلى محذب يدخل في نقرة
الكتف بمفصل رخو غير وثيق جدا وبسبب
رخاوة هذا المفصل يعرض له الخلع كثيرا والمنفعة
في هذه الرخاوة امران حاجة وامان اما الحاجة
فلاستة الحركة في الجهات كلها واما الامان فلان
العنبد وكان محتاجا الي التمكن من حركات شتى
الي جهات شتى فليست هذه الحركات تكون عليه
وتقوم حتي يحتاج ان يتهلك رابطة وتخلعها يذل
العنبد في اكثر الاحوال ساكن وساير البدن متحرك
وكذلك اوثقت سايرا المفاسل ومفصل العنبد
تغتمنه اربعة لم يطة احدها مستعرض غشائي
يحيط بالمفصل كما في ساير المفاسل ورباطان
نازلا من الاخرم احدهما مستعرض الطرف يشتمل
علي طرف العنبد والثاني اعظم واصلب يتول
مع رابع يتزل ايضا من الزيادة المتقاربة في جز
معدلهما وشكلهما الي العرض ما هو خصوصا عند
ماسسة العنبد ومن شأنهما ان يستبطنا العنبد
في اتصال بالعنبد المنفردة علي باطنه والعنبد
مقعر الي الانسي محذب الي الوحشي لكن بذلك
ما ينتخذ عليه من العنصل والعصب والعروق

جزئياتها ثم بعد ذلك في الامراض
الواقعة بعضو عضو: ابتداء أولا
بتشريح ذلك العضو ومنفعته، ثم
إذا فرغت من ذلك ابتدأت في أكثر
المواضع بالدلالة على كيفية حفظ
صحته، ثم دلت بالقول المطلق
على كليات أمراضه وأسبابها وطرق
الاستدلال عليها وطرق معالجتها
بالقول الكلي.. فإذا فرغت من
هذه الأمور أقبلت على الأمراض
الجزئية ودلت أولا في أكثرها أيضا
على الحكم الكلي في حده وأسبابه
ودلائله. ثم خلصت إلى الأحكام
الجزئية، ثم أعطيت القانون الكلي
للمعالجة، ثم نزلت إلى المعالجات
الجزئية».

واشتهر كتاب القانون في
اوروبا شهرة عظيمة، وطبعت
ترجمته كاملا إلى اللاتينية ست
عشرة مرة في الثلث الأخير من
القرن الخامس عشر الميلادي، ثم
أعيد طبعه عشرين مرة في القرن
السادس عشر. أما الطبقات التي
تقتصر على جزء أو أجزاء منه
فهى كثيرة ويصعب حصرها
لأنها تتجاوز التصور عددا .

وطبع « القانون بالعبرية فى نابلى عام
١٤٩٢م، كما طبع بالعربية مرتين .. الأولى
بروما عام ١٥٩٣م والثانية بالقاهرة عام
١٨٧٧ .. كان هذا حظ « القانون » لابن

صفحة رقم «٦٣» مخطوط « القانون فى الطب » لابن سينا
(من مقتنيات دار الكتب المصرية).

سينا، فى الوقت الذى لم تنل فيه مؤلفات
اليونان الطبية إلا قدرا ضئيلا من الحظوة
يتمثل فى الأقوال الماثورة عن أبو قراط
وجالينوس .

« يتبع »

قصة ترجمة الكتاب

هذا عنوان بحث أصدره الباحث اليهودى نفتالى فيدر باللغة العبرية فى أكسفورد ١٩٤٧ م. عالج فيه أثر العبادة الإسلامية على العبادة اليهودية مثل: غسل الرجلين، اغتسال المجانب، إلغاء صلاة السر، اصطلاحات جماعة الحسيدين (الناسكين) فى الصلاة، السجود، جلسة البارك، استقبال القبلة أثناء الجلوس الاصطفاف، بسط اليدين..... إلخ.

قام بترجمته أستاذ اللغات السامية د. محمد سالم الجرح، ومن العرفان بالجميل فقد صدره الأستاذ المترجم بتصدير أعرب فيه عن شكره للأستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فهو الذى طلب ترجمة هذا السفر الذى يتحدث بإنصاف منهجى بالغ عن علاقة العبادة اليهودية بالدين الإسلامى يقول فى تصديره: الحق أنه ينبغى أن أهدى هذه الرسالة عن «التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية» إلى الذكرى الخالدة لفقيدها الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد، فلولا ما أعرت هذه الرسالة أو موضوعها أى اهتمام. لقد أصدر الباحث اليهودى

Naphtali Wieder بحثا باللغة العبرية بهذا

العنوان فى أكسفورد عام ١٩٤٧ م. وخرج الكتاب يحمل على غلافه الخلفى العنوان الإنجليزى Islamic Influences on the Jewish

Worship ووقعت عين الأستاذ العقاد على هذا العنوان الشيق فى إحدى قوائم الكتب التى كان المغفور له لا يكف عن فحصها، فطلب الكتاب لفوره وفوجىء عند وصوله أنه باللغة العبرية

التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية

تأليف: نفتالى فيدر
ترجمة: د. محمد سالم الجرح

عرض وتحليل:
الأستاذ الدكتور

محمد إبراهيم الفيومى



الأديب الكبير حتى وقع في ذهني ذكر هذا البحث وترجمته، وأحسست أنهما قد يقبعان تحت غبار النسيان بين الأكوام الهائلة من الكتب التي تضمها مكتبة الأستاذ العقاد دون خلاص أو إنقاذ فبدأت لفوري أفتش عن نسخة أخرى من البحث العبري لأقنيتها، ولكن نسخته جميعاً كانت قد نفدت، فاستعرت النسخة الخاصة بالدكتور S.D Coition الأستاذ بجامعة بنسلفانيا، وكان عليها إهداء المؤلف له وقمت بتصويرها، ثم انتهزت فرصة وجودي بين كثيرين ممن يجيدون اللغة العبرية في جامعة بنسلفانيا، فطلبت من أحدهم أن يسجل البحث على شريط، وبدأت مستعينة بهم وبالصور الشمسية والشريط المسجل للبحث أعيد النظر في ترجمته وأعلق على ما يستدعي التعليق من فقراته.

ثم يتحدث عن دوافع سعيه لنشره فيقول:

والذي يجعلني أسعى لنشر هذا البحث باللغة العربية هو طرفة موضوعه واتخاذها في عرض العلاقة بين اليهودية والإسلام اتجاهها مضادا لما درج عليه الباحثون من اليهود خاصة، والمستشرقين عامة، من التصدي في أبحاثهم لتأثير اليهودية على الإسلام^(١) اعتماداً منهم على أنه مادام ظهور اليهودية على مسرح التاريخ أقدم من ظهور الإسلام، فإنه لا مفر من أن يؤثر السابق في اللاحق. وقد فندنا نحن خطأ هذا الزعم في أول حاشية لنا على مقدمة مؤلف هذه الرسالة^(٢) أما هذا البحث فإنه يتعرض للاتجاه المقابل فيوضح كيف تأثرت

وليس فيه ما حرر بالإنجليزية غير صفحة العنوان الخلفية، فترك الكتاب جانباً بعد أن أحس دون شك بقدر كبير من الأسف لعجزه عن الإلمام بوجهة نظر الباحث في مثل هذا الموضوع الهام.

ومضت السنون، وجاءني في نهاية صيف ١٩٦٢ أحد أصدقائي من تلامذة الأستاذ العقاد، هو الزميل الأستاذ أحمد حمدي إمام، يقترح عليّ أن أقوم للأستاذ العقاد بترجمة هذا الكتاب العبري إلى اللغة العربية، وقبلت مغتبطاً ولكنني لم أكد أبدأ العمل فيه حتى جد موضوع سفرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل محاضراً زائراً في الدراسات العربية والسامية بجامعة واشنطن ودفعني حرصى على إرضاء المرحوم الأستاذ العقاد بترجمة هذا الكتاب من جهة، وعلى خدمة الوطن والعلم بالتأهب للرحلة إلى أمريكا من جهة أخرى أن أتدب لمساعدتي في ترجمة الكتاب أحد طلابي النجباء وهو الأستاذ عرفة حسين مصطفى الذي كان قد تخرج في آداب عين شمس بدرجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها بجدارة وتفوق. وأنجزنا ترجمة البحث، وأعدت الأصل والترجمة إلى الأستاذ العقاد وطرت إلى أمريكا في نوفمبر سنة ١٩٦٢، وخلت أن صلتى بهذا البحث قد انتهت ربما إلى الأبد، وخلال إقامتي بالولايات المتحدة، وقيامى بالتدريس في جامعة بنسلفانيا بمدينة فيلاديلفيا نمتي إلى خبر وفاة الأستاذ العقاد ولم تكذ تتخلى عنى قليلاً موجة الآسى على فقداننا لهذا

(١) - من أحدث ما ظهر في هذا الموضوع كتاب Judaism in Islam للباحث اليهودي Abrahah J. Katsh نيويورك ١٩٥٤ ويضم في نهايته

قائمة طويلة بما سبقه من أبحاث لليهود والمسيحيين في نفس الموضوع.

(٢) - انظر ص ٩ هامش ١ من هذه الرسالة

إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته بل ولم يحاول ذلك مطلقاً وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام من أمثال «يوحنا الدمشقي، تيودور أبي قره» لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته التي تتمثل في السمو إلى الله الواحد. ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحي قد اكتفى لعدة قرون طويلة بتشويه الإسلام ومؤسساته بأسخف الأقوال دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة.

فأول ترجمة لاتينية للقرآن لم تظهر إلا في القرن الثاني عشر أي بعد خمسة قرون من ظهور الإسلام وقد تمت بناء على مبادرة «بطرس المبجل» وتمت تحت إشراف أسقف دير كلوني ولا بد لنا من إضافة أن هذه الترجمة وكل الترجمات التي تمت بعدها لم يكن لها أي هدف سوى أن تكون الأساس لتوجيه المزيد من الاتهامات ضد القرآن وتلك الاتهامات التي امتدت سلسلتها على مدى قرون تتناثر عليها بعض أشهر الأسماء^(٣)، وكان أركان شديد الحذر من أن يغلب عليه مناهج الاستشراق فيقع في أخطائه وهو يعالج كتابه الفكر الإسلامي «نقد واجتهاد» فنراه يقول:

مظاهر العبادة في الديانة اليهودية بالنظم الإسلامية، ومن ثم تأتي طرافة هذا البحث من الناحية العلمية من جهة وأهميته لنا كمسلمين من الجهة الأخرى. وصحيح أن البحث يتناول جزئيات قد لا تعبر عن تأثير جذري للإسلام على اليهودية ولكن الباحث وهو يهودي يكرر خلال بحثه أن ظهور التأثير في هذه الجزئيات لم يكن عرضاً مظهرياً لتأثر قادة اليهود وزعمائهم في الدولة الإسلامية بروح الإسلام وفلسفته واتجاهات مبادئه إلى النظافة والنظام في المظهر وإلى الزهد والإخلاص في النفس بل إنه كثيراً ما يسمى التأثير الإسلامي الذي أدخله قادة اليهودية إصلاحاً^(٣).

أثر البيئة الإسلامية على المدارس اليهودية

يبدأ الأستاذ نفتالي بحثه عن أثر الإسلام في اليهودية من نقطة الاستشراق الأساسية التي تحكم عمل الاستشراق في بحوثهم عن الإسلام وهي التي عبر عنها الأب «روبير كاسبار» بقوله «لا شك أن للديانة اليهودية تأثيراً كبيراً واضحاً على نشأة الدين الإسلامي وتطوره، فكثيراً من أسس هذا الدين ترتد إلى مصدر إسرائيلي فضلاً عن أن كثيراً من معتقداته كانت قد نبتت في تربة اليهودية أولاً واتسمت بطابعها^(٤).

(٣) - يقول المؤلف في مقدمته مثلاً: (إن الديانة اليهودية تأثرت تأثراً عظيماً بالبيئة الإسلامية فقد أدت التيارات الروحية التي غمرت هذه البيئة طوال مئات السنين إلى ثورة في الحياة الروحية لليهود المقيمين في الأصقاع العربية..... وقد عظم هذا التأثير أولاً وقبل كل شيء، في ميدان الفكر الديني والنظر الفلسفي..... إلخ..... يتكرر هذا المعنى خلال صفحات بحثه كله.

(٤) - يرجع المؤلف نواحي الشبه بين اليهودية والإسلام إلى تأثير الديانة الأولى على الثانية نظراً لأن الأولى أسبق في التاريخ ومن الممكن مناقشته بأنه مادام مصدر الأديان السماوية واحداً وهو الله، ووسيلة تبليغها للبشرية واحدة وهي الوحي والرسول، وهدفها واحد وهو بث الخير بين البشر، وحتى بيئتها الجغرافية واحدة وهي الوطن السامي فلا يكون من الغريب أن تتفق في كثير، ولا ينبغي أن يعزى كل اتفاق بينها إلى تأثير السابق في اللاحق (الجرح).

(٥) - دفاع عن القرآن ضد منتقديه باللغة الفرنسية د. عبد الرحمن بدوي ترجمة كمال جاد الله.

طريقها إلى مدارس أحياء اليهود، وقد عظم هذا التأثير أولاً وقبل كل شيء في ميدان الفكر الدينى والنظر الفلسفى حين شعرت المراكز الثقافية اليهودية بالحاجة إلى حل المشكلات الدينية الفلسفية التى صارت موضوع نقاش وبحث، بسبب ما وقع فيها من تضارب فى الآراء بين الفرق الإسلامية المختلفة.

ومن الناحية الشكلية اتخذ اليهود لأنفسهم مناهج العرب العلمية فى فروع الدين، والأخلاقيات، والنحو، وتفسير الكتاب المقدس.

بل حتى فى ميدان الشريعة فإن كتاب Mish nah Totah^(٧) الذى يبهنا ببنائه وترتيبه ليس سوى ترتيب لمواد الشريعة الضخمة وفقاً للنظام الذى وضعه علماء الفقه المسلمون^(٨).

وليس هذا فحسب بل إن كبار المشرعين لم يتخرجوا من أن يستخدموا فى تأليفهم أفكار وخواطر مأخوذة من التأليف فى الإسلام وفلسفته. وكثيراً ما توغل هذا التأثير حتى فى استعمال كلمات نجدها حيث لم نكن نتوقعها تماماً، ويكفى ذكر شاهد واحد هو هذه العبارة:

« y wrnw rbnw wshkhrw kfwl mn hshmy m ».

« فليفتنا سيدنا وأجره مضاعف فى السماء » فهذه العبارة التى اقترنت طوال مئات السنين

« آمل ألا أكون فى الصفحات التالية قد استسلمت للمماحكات الجدلية أو انسقت إليها أقول ذلك على الرغم من أن بعض الأحكام المسبقة الشائعة والرازحة بعناء فى المجتمعات الأوروبية تجاه العرب والإسلام تبرر أحياناً تقديم الأجوبة الحادة، ليس فقط من أجل التنديد بالجهل العام، وإنما من أجل التنديد بالموقف السائد للفكر الغربى تجاه الثقافات الأخرى التى يتحكم مسارها وتطورها عن طريق فرض نماذج وقوابله عليها^(٦). لكن بعد الدراسات المتأنية لدى بعض المستشرقين الأكاديميين صورة أخرى للإسلام ناصعة غير ما كانت عليه من قبل، فبعد ما كان الإسلام صورة مشوهة لليهودية والمسيحية، غدا الإسلام نظاماً له أصوله وله عقيدته وله شعائره المتميزة وذلك ما قام به البروفيسور نفتالى فيدر فى بحثه الذى نعرض له، وشأن الدراسات المنهجية قام الباحث بعرض موجز تتبع فيه أثر البيئة الإسلامية على المدارس اليهودية فيقول:

والمعروف من الجانب الآخر أن الديانة اليهودية تأثرت تأثيراً عظيماً بالبيئة الإسلامية، فقد أدت التيارات الروحية التى غمرت هذه البيئة طوال مئات من السنين - إلى ثورة فى الحياة الروحية لليهود المقيمين فى الأصقاع العربية؛ إذ أن المسائل الدينية التى قتلتها المدارس الإسلامية بحثاً عرفت

(٦) - الفكر الإسلامى نقد واجتهاد د. من أركون ترجمة هاشم صالح دار الساقي.

(٧) - كتاب وضعه موسى بن ميمون الحكيم اليهودى الذى توفي بمصر عام ١٢٠٤م ومعنى عنوانه «تثنية التوراة» وهو بحث منظم عن الفقه والتشريع اليهودى استمده وألفه من التلمود وشروحه وهوامشه، وقسمه إلى أربعة عشر كتاباً عبر اللاحقون به عن إعجابهم - بها عندما أطلقوا عليها Ydhhzqh «يد القوة» والقيمة العددية للكلمة الأولى هى ١٤ أى عدد الكتب التى يضمها هذا المؤلف.

وقد جاء فى كتاب إسرائيل ولفنسون «موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته» ص ٤٥ وما بعدها عرض لهذا المؤلف «الجرح».

(٨) - انظر جولد تسهير 775-774, SDMG XXXV.

من بقية الأمم فيما يتصل بالقوانين الخاصة المنصوص عليها بحسب حكم التلمود. وتبعهم أيضا الحبر موسى بن ميمون، فالدين الإسلامي وحده لا يعد في نظره دينا وثنيا تماما.

ثم سار ابنه الحبر إبراهيم الميموني خطوات أبعد من ذلك فجاء فأخرج المسلمين من القاعدة القائلة «لا تقلدوا عادات الأمم» وأفتى بأن ذلك يحاكي عاداتهم لا يعد مستبيحا لما حرّمته القاعدة. ولا شك أن مثل هذا الموقف المتسامح كان يهدف إلى فتح ثغرة أكبر من رأس الإبرة ينفذ منها التأثير الأجنبي على العادات اليهودية.

غسل الرجلين

ظهر هذا التأثير أساسا بطريقتين:

أولاً: باستيعاب عادات تختص بالعبادة لا أساس لها في التقاليد الإسرائيلية.

ثانياً: بإحياء عادات قديمة قد اندثرت عند اليهود تحت تأثير أسباب معينة.

وهنا يجدر بنا أن نشير على وجه الخصوص إلى ظاهرة هامة وهي أن العادات التي هجرها اليهود بدافع العزلة والابتعاد عن النصرانية ارتدت ثانية إلى اليهودية بتأثير من الدين الإسلامي. وعلى أي حال فليست الغاية من هذا البحث استقصاء الموضوع والإحاطة به من كل جوانبه بل فتح باب البحث فيه.

كان ذلك التشريع الوارد في «تثنية التوراة» والذي يقضى بغسل القدمين قبل صلاة الصبح SH hryt في نظر الحبر إبراهيم بن داود لغزا لم يجد له حلا «لست أدري لماذا رجلية؟» ولم يجهر بمثل هذه الكلمات

بالأسئلة التي كانت تعرض على الجاءونم رؤساء الطائفة اليهودية ومن خلفهم - مصدرها هي الأخرى من الخارج.

اليهودية والمسيحية والإسلام

يعرض نفتالي في بحثه للإسلام والمسيحية وعلاقة اليهودية بهما ويقدم به للموضوع لجدارته بالدراسة فهو لم ينل ما يستحقه من البحث ولا يزال يحتاج إلى كثير من الدرس العلمي الصحيح وكانت قضية التأثير والتأثير بين اليهودية والمسيحية والإسلام دائما كان الإسلام هو المدان لأنه الأخير زمانه لكن نفتالي قلب القضية وأقامها على رأسها حين رأى أن ظاهرة التأثير قد تغلغت أيضا إلى قلب العمل الديني والعبادة الدينية، كما ظهر في شعائر الصلاة في الكنيس.

وهذه الظاهرة تنطوي على تجديد زائد؛ فإن اليهودية منذ القدم شادت من حول حدود العمل الديني سورا عاليا كي تمنع تسلل التيارات الخارجية، والعقيدة الكامنة في وصايا التوراة «هي لا تقلدوا عادات الأمم» فمثل هذه العقيدة لم تنشأ إلا لتكون سدا في وجه المؤثرات الخارجية. وعلى الرغم من كل هذا فالمعروف عن الديانة اليهودية أنها لم تسلم من المؤثرات. وفيما يتعلق بدين العرب فقد تضافرت عوامل عدة على تهئية القلوب لقبول تأثيره وارتضاءه: الأخوة في الأصل واللغة، والتقارب في الطباع، ثم قبل كل شيء التوحيد الشريف الذي امتاز به ذلك الدين، الأمر الذي أدى إلى استثناء عدد من الجاءونيم «أي رؤساء الدين» للمسلمين

العادة وأنها شملت تقريبا في كل الأقطار الإسلامية « سفر الأعمال لأبناء فلسطين ».

إن عادة غسل الرجلين قبل الصلاة مأخوذة من العبادة الإسلامية وعندما تتمثل أمام أعيننا الأهمية البالغة التي انفرد بها الوضوء في الإسلام تتكشف لنا حقيقة قبول هذه السنة وانتشارها العظيم بين اليهود في الشرق . وكان لأهمية الوضوء البالغة أن أطلق عليه في واحد من الأحاديث النبوية عبارة « نصف الإيمان » وليست ماهية هذا الوضوء كماهية الوضوء اليهودي . فيتحتّم في الوضوء الإسلامي بالإضافة إلى غسل اليدين إلى المرفقين غسل الرجلين إلى الكعبين، ومسح الرأس، ومسح الأذنين وما خلفهما، والمضمضة . والاستنشاق ... إلخ .

وإزاء هذا الفارق الكبير لم يتمكن اليهود أن يدفعوا الشعور بالاستياء الذي لحقهم من جراء وضوء المسلمين البالغ العناية، بل كانوا يشعرون بالضعة لأنهم يتسرعون في عبادة الله إذا قيسوا بجيرانهم المسلمين . وتعجب اليهود من سبق العرب لهم في هذا المضمار وهم في رأيهم أدنى منهم مرتبة . ونحن نجد تعبيرا عن هذا الشعور لدى الشاعر الصوفي . منحيم دى لوزنواو الذي حض على العناية بغسل الرجلين بقوله:

لا يكن العربي أكثر منك طهارة

الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء في الفجر، وظهرها وعشية .

ليخالف الحبر موسى بل أتى ليعبر عن دهشته: « من أين جاء بمثل هذا الفرض؟ وما أصله؟ وما مصدره؟ » . وقد تعب شراح الحبر موسى ومفسروه في أن يميّطوا اللثام عن هذا التشريع ويكشفوا عن مصدره . وهناك حقيقة تنطوى على فائدة جليلة، وهى أن ما عثروا عليه بعد البحث والتنقيب في التلمود هى الفقرة التالية، غير أن شرحهم على هذه الفقرة لا يثبت أمام النظرة الناقدة:-

فممن خفيت عليهم كلمات الحبر موسى بن ميمون في هذا الصدد الحبر عزرائيل هيلد سهيمر الذى عثر على نص في « هلوخت جدلوت » مخالف للنسخة التلمودية المتفق عليها وهو « من يريد أن يأخذ على عاتقه ثقل السماوات والأرض فليتوجه ويغسل يديه ورجليه » فلم يستطع أن يقدم أى تفسير لهذه الكلمات الزائدة « ورجليه » سوى أن تكون خطأ من الناسخ . ومنذ عدة سنوات وجد جاكوب مان - فى إحدى قطع الجنيزة^(٩) « سفر الأعمال لبناء فلسطين » الذى يرجع إليه الفضل فى نشره وفيه وجوب غسل الرجلين . فنبه إلى أنه لم يعثر على ما يدعم ذلك فى الوقت الحاضر .

نشأت هذه الحيرة بسبب الحقيقة القائلة بأن هذه العادة التى نحن بصدها ليس لها أساس فى الشريعة التلمودية من ناحية، وبسبب قلة المصادر عن وجودها بين الأقطار الشرقية - من ناحية أخرى، والمصادر التى نذكرها تدل على سعة انتشار هذه

(٩) وجدت بكنيسة الشاميين بالقسطنطينية بقرية كنيسة بريرة التابعة للأقباط الأرثوذكس مخطوطات كثيرة يرجع بعضها إلى العصر الذى سبق ظهور المسيحية ومعظمها يرجع إلى العصر الفاطمي والأيوبي وهذه المخطوطات تعد من أنفس المصادر وأقدمها فى تاريخ اليهود فى مصر والبلدان المجاورة باسم أدب الجنيزة - والجنيزة hgnyzh كلمة عبرية تعنى الكنز أو الدفين وتطلق على مخزن فى المعبد تدفن فيه الأوراق المهمة ولذا أطلق اسم أدب الجنيزة على ما وجد مدفونا من أوراق.

ويأخذ بهذا الرأي أيضا الحبر القانت إبراهيم بن رامبام الذى سنجده فيما بعد يدخل الإصلاحات على شعائر الصلاة طبقا للعبادة الإسلامية وقد خصص للمسألة التى نحن بصددتها شبه ملحق خاص فى كتابه «كفاية العابدين» ويجد بنا هنا أن نذكر كلماته بحذافيرها؛ فهو يقول فى معرض كلامه عن غسل اليدين، وكتب فى الملحق:

والذى يجب أن نضيفه إلى وجوب تطهير الرجلين، هو أنه إذا كان غسل اليدين ضروريا لا يمكن التخلص منه فالمستحب والمفضل هو غسل اليدين والرجلين معاً، وليس هذا فقط.

الصلوات بالمقارنة إلى التقربات تعتبر تنظيمات، ولأن الصلوات تحمل محل الصلوات القرابين ولأن التوراة قالت «... أو عند اقترابهم إلى المذبح يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا... إلخ» فمن الضروري أن يحرص على غسل يديه ورجليه عند كل صلاة وألا يكف عن فعل ذلك حتى لم تجد ضرورة لأننا استندنا إلى قول دواود: «أغسل يدي فى النقاوة» نستند أيضا إلى الآية: «ويغسلون... إلخ. لأن هذا مماثلة عبادة «بيت المقدس».

والذى يعنى فى هذه الكلمات يرى أنها تبدأ بالوصية وبالثناء على التوسع فى غسل الرجلين عند كل صلاة وتنتهى بالدفاع عن هذا الغسل عموماً.

وهذه الظاهرة، أعنى ما رآه الحبر إبراهيم بن رامبام عليه أن يدافع عن هذه العادة القديمة تفيدنا أنه كان فى أيامه من يعارضها. ولا يتعد عن جادة الصواب إذا فرضنا أن هذه المعارضة قامت من بين الأوساط التى ناوت إبراهيم الميمونى من جراء إصلاحاته والتى يجب أن نعتبر منها طلبه غسل الرجلين قبل كل صلاة.

وحتى فى الليل؛ بينما يشتد البرد ويسقط الثلج. وفى ضوء الحقائق التالية تتضح أيضا قوة التأثير الذى صدر عن البيئة الأجنبية فقد كانت مسألة الوضوء قبل جميع الصلوات بصفة عامة وغسل الرجلين فى حالات خاصة نقطة الخلاف بين الفرقتين الدينيتين الإسلاميتين أعنى الشيعة وأهل السنة، فنأدى أصحاب مذهب أهل الشيعة استنادا إلى نص القرآن بوجوب الوضوء قبل كل صلاة من الصلوات الخمس اليومية بينما اكتفى أصحاب السنة بوضوء واحد لسائر الصلوات ما دام لم يأت فى غضون ذلك ما يوجب التطهر من جديد من قضاء حاجة أو نوم... إلخ، وقد احتدم الجدل فى العالم الإسلامى حول هذه المسألة إلى الحد الذى اتهم فيه السنيون بمحاولة تزيف نص القرآن حتى يتفق ونظامهم.

ونشب خلاف آخر أشد عنفا حول مسألة أخرى. فإزاء الشروط الثقيلة لغسل الرجلين أجازت المذاهب الأربعة المسح على الخفين بدلا من غسل القدمين ولكن فقهاء الشيعة عارضوا هذه الرخصة. وما أجمع نار الخلاف اعتبار علماء السنة أن رخصة المسح على الخفين تمثل أصلا من أصول الدين وأن من لا يقره يكن زنديقا.

وما يدل على هذا التأثير أن تطهير الرجلين لم يكن وحده هو الذى صادف هوى وقبولا بين اليهود، بل اقتبسوا أيضا سائر أركان الوضوء نحو غسل الذراعين وما وراء الأذنين ومسح الرأس والاستنشاق. وهذه الظاهرة التى يستنكرها الحبر إبراهيم بن داود تستحق تأكيداً خاصاً. لأنها تلقى كثيرا من الضوء على عظمة التأثير الإسلامى فى العبادات اليهودية.

الأقلية العربية في إسرائيل

لمؤلف / صلاح عبد الرحيم محمد

تمثل الأقلية العربية في إسرائيل، بقية الفلسطينيين من «عرب ١٩٤٨» الذين ظلوا يعيشون، حتى الآن، في فلسطين التاريخية، وقد ألجأتهم ظروف الاحتلال الإسرائيلي لأرضهم عام ١٩٤٨ إلى حمل الجنسية الإسرائيلية وصاروا، تبعاً لذلك، من مواطني إسرائيل التي أطلقت عليهم اسم «عرب إسرائيل».

إسرائيل في إطار الأقلية العربية وهم «الشراكسة» الذين يصل عددهم إلى ٣٠٠٠ نسمة، وهم ينتمون إلى المسلمين السنة، إلا أنهم ليسوا من أصول عربية. واللافت للنظر أن إسرائيل تعفى أبناء الأقلية العربية من الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، إذ ترى فيهم أقلية معادية، وخطراً على أمن الدولة، باستثناء الدروز والشراكسة، ولذلك فإن هاتين الفئتين تتمتعان بمكانة خاصة متميزة في المجتمع الإسرائيلي.

وفيما يتعلق بوضع الأقلية العربية داخل إسرائيل، وطبيعة العلاقة بدولة الاحتلال فيمكن رصد تيارين سياسيين رئيسيين: التيار الأول يدعو إلى استمرار الاندماج من جانب الأقلية العربية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل على أساس جديد يحقق

ويبلغ عدد هذه الأقلية الفلسطينية الآن ما يزيد على مليون نسمة، وهم يشكلون حوالي ٢٠٪ من سكان إسرائيل، الذين يبلغ عددهم ٦,٣ مليون نسمة. وتنقسم هذه الأقلية العربية إلى عدة فئات، أكبرها الأغلبية المسلمة التي يصل عددها إلى ٧٥٠ ألف نسمة، ويمثل البدو العرب ١٠٪ من هذه الأقلية وكان معظم هؤلاء البدو من الرعاة الرحل الذين يقيمون الآن، في المناطق الجنوبية حول بئر سبع، ثم يليهم المسيحيون العرب في المرتبة التالية من حيث عددهم، وهم ينتمون إلى الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية أما الدروز فيعيشون في ٢٢ قرية ومدينة، ويبلغ عددهم ١٠٠,٠٠٠ نسمة، وهم يمارسون حياتهم في نطاق ثقافي واجتماعي خاص.. وتأتي الفئة الأخيرة التي تصنفها



عزى بشارة، لم تحمه عضويته بالكنيسة الإسرائيلية من الضرب والإهانة عندما احتج على أوضاع العرب داخل إسرائيل

مساواة أكبر.
ويأتى على رأس
الجماعات الداعية
للاندماج العربى
« الحزب الاشتراكى
الإسرائيلى »
المعروف باسم
« ماكى » وحلفاؤه
فى « الجبهة
الديمقراطية للسلام
والمساواة » وأيضاً
حركة التجديد
العربية التى يرأسها

الفردية، والاعتراف بهويتهم القومية، ودعم مبدأ
تسوية الصراع الإسرائيلى الفلسطينى على أساس
دولتين لشعبين. أما التيار الثانى فيدعو إلى
الانعزال عن المجتمع الإسرائيلى العام، إما على
أساس علمانى وطنى، أو دينى إسلامى. ويمكن
تقسيم الحركات المطالبة بالانعزال إلى فرعين
أساسيين: الأول الفرع العلمانى الوطنى، وبمثله
الأئتلاف الوطنى الديمقراطى الذى يرأسه عضو
الكنيسة العربى « عزى بشارة » والثانى الفرع
الأصولى الإسلامى الذى تمثله الحركة الإسلامية
التي تتألف من جماعتين ترأسها الجماعة الأشد
تطرفاً بزعامة « رائد صلاح » عمدة مدينة أم
الفحم... وتعارض الحركتان العلمانية والإسلامية
فكرة اندماج العرب فى الحياة السياسية
والاجتماعية والاقتصادية فى إسرائيل حيث يرون
هذا الاندماج بأنه عملية « أسرلة » كما يرى
المطالبون بالانعزال أن عضويتهم فى الكنيسة

عضو الكنيسة العربى « أحمد الطيبي ». وكل
هذه الجماعات والأحزاب السياسية تجد نفسها فى
صراع دائم مع القوى المهيمنة من الصفوة اليهودية
الإسرائيلية الحاكمة، التي تخطط لعزل الأقلية
العربية عن الدوائر السياسية والاجتماعية فى
إسرائيل، وحرمانها من نصيبهم فى الرفاه
الاجتماعى والاقتصادى. وقد عبرت الحركة
المطالبة بالاندماج عن معارضتها لإنشاء برلمان
عربى إسرائيلى، لكن على الرغم من ذلك، فإنها
أكدت على أهمية المشاركة الإيجابية فى
الكنيسة الإسرائيلى خاصة فيما يتصل
بالتشريعات المتعلقة بالمساواة المدنية، ومنح العرب
حقوقهم الوطنية كأقلية قومية معترف بها. وفى
هذا الإطار يؤكد الداعون للاندماج على تعزيز
التعاون مع العناصر المتعاطفة فى المجتمع اليهودى،
إذ يعتبرون هذه العناصر هى الحليف الطبيعى مع
الأقلية العربية فى نضالهم للحصول على المساواة



مصادرة الأراضي والأملاك العربية من قبل الدولة، وتحويلها إلى أملاك يهودية.

- استخدام القوانين والأنظمة التي تميز بين العرب، واليهود على أساس فوارق شكلية تحت مسميات خادعة منحازة مثل «مهاجر جديد»، أو «متخرج من الجيش».

- التمييز في مخصصات الميزانية في غير صالح الأقلية العربية في مختلف المجالات كالتعليم والرفاه، والشئون الدينية.

- قد يتمتع العرب في إسرائيل بالحقوق مادامت لا تتعارض مع النصوص الصهيونية التي تعلن «أن إسرائيل هي في الأساس دولة الشعب اليهودي».

- المعاملة القاسية التي يعامل بها الجيش والشرطة الإسرائيلية الأقلية العربية، أثناء الاضطرابات والتظاهرات، مثلما حدث في أكتوبر ٢٠٠٠ عندما ثار عرب الناصرة، وأم الفحم في تظاهرة وطنية تضامناً مع أبناء الضفة الغربية وغزة في انتفاضتهم ضد العدوان الإسرائيلي، فقد قتل في هذه المواجهة مع الشرطة وحراس الأمن الإسرائيلي ١٣ فلسطينياً من عرب ١٩٤٨، بالإضافة إلى إصابة ما يزيد على ١٠٠٠ فلسطيني.

ومما يجدر ذكره ان ما حدث في أكتوبر ٢٠٠٠، قد كشف النقاب عن التفاصيل المطموسة المتعلقة بالمظالم التاريخية التي مازالت الأقلية العربية تعاني من جرائها في إسرائيل.

ومنذ عام ١٩٤٨، وهو عام النكبة، وحتى الآن، فإن إسرائيل تتابع تنفيذ «المشروع

هي شر لا بد منه من أجل حماية حقوقهم في مواجهة حكومة إسرائيل المعادية، بالإضافة إلى أن تواجدهم داخل الكنيست قد يسمح لهم بوضع خطة لتسوية إشكالية انتماء الأقلية العربية في إسرائيل، كما يضع المطالبون بالانعزال خطوطاً فاصلة بين قضية المساواة المدنية على المستوى الفردي والتي يمكن تحقيقها بتحويل إسرائيل إلى «دولة لكل مواطنيها»، وبين موضوع اليهودية القومية الجماعية إذ إن هناك بالفعل شعبين منفصلين، يعيشان في نفس الدولة هما الشعب اليهودي، والشعب الفلسطيني، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن ثمة عدداً من المسلمين الرئيسية التي تحكم سياسة الحكومة الإسرائيلية حيال الأقلية العربية في إسرائيل ان تنظر دولة إسرائيل إليهم باعتبارهم طابوراً خامساً، وأنهم ضيوف غير مرغوب فيهم، كما تعتبر حاجات، ومطالب القطاع العربي غير مشروعة، وليست ملحة كحاجات القطاع اليهودي، فنجد طوال سنوات الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين التاريخية منذ عام ١٩٤٨ أن هذه الرؤية المتعصبة هي التي تحكم سياسات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تجاه القطاع العربي في إسرائيل. هذا وقد ترتب على هذه الرؤية التمييزية ضد العرب في إسرائيل ما يلي:

- وجود عشرات القوانين المنحازة ضد السكان العرب انحيازاً واضحاً، بما فيها القوانين المنظمة لمكانة الوكالة اليهودية، واتحاد نقابات العمال اليهود «الهستدروت».

- وجود الكثير من الأنظمة التي كرس



للمهاجرين اليهود الجدد، ولا يزال المواطنون يعانون من سوء الأوضاع في المدن المختلطة. وحول البطالة التي يقاسى منها الوسط العربى فى إسرائيل يشير أحد التقارير الصادرة من الحكومة الإسرائيلية فى أغسطس ٢٠٠٠ أن نسبة البطالة على المستوى القومى هى ٥,٨٪، بينما تراوحت فى الوسط العربى بين ١٢٪ - ١٥٪، بل تجاوز التمييز فى مجال العمالة إلى عدم تشغيل العرب فى مؤسسات الدولة، والشركات الحكومية مثل «شركة بيزك للاتصالات العامة». و«شركة الكهرباء القطرية» وإلى الآن لم يتم توظيف أى عربى، برغم محاولات جادة ومتكررة لأعضاء الكنيست العرب سن قوانين تسمح بتشغيل العرب داخل هذه المؤسسات والشركات. كما تشير الإحصاءات إلى أن فرص العمل أمام النساء العربيات محدودة للغاية، فنجد أن نسبة عمل النساء العربيات هى ٢٤,٧٪ مقابل ٤٧٪ من النساء اليهوديات. كما يتميز الاقتصاد الإسرائيلي بتقسيم عرقى للعمل، فاليهود يهيمنون على معظم مهن «الياقات البيضاء» فى التجارة والشئون المالية، بينما العرب يشكلون نصيب الأسد فى مهن «الياقات الزرقاء» خاصة فى البناء والزراعة ومن المفيد أن أشير إلى أن قوة العمل العربية هى فى الغالب الأعم فى الأعمال الخشنة مثل النسيج والمعادن والمطاط، بينما اليهود يشكلون السواد الأعظم فى الصناعات المتطورة التى تحتاج إلى رأسمال ضخمة، وتكنولوجيا متقدمة. أما فى مجال التعليم فنجد المدارس العربية تعاني من نقص الاعتمادات

الصهيونى «بتغريب الأقلية العربية فيها من خلال منظومة من السياسات الحكومية التمييزية، وأساليب مصادرة الأراضى العربية، ونقل ملكيتها من العرب إلى اليهود، وقد أصبح الصندوق القومى اليهودى، والوكالة اليهودية، وإدارة أراضى إسرائيل أدوات أساسية لتحقيق أهداف المشروع الصهيونى فى الاستيلاء على أراضى العرب. ومن المعروف أن اليهود عام ١٩٤٨ كانوا لا يمتلكون بصورة شرعية إلا نحو ٥٪ - ٧٪ من أراضى فلسطين التاريخية ولكن بسبب أساليب المصادرة للأراضى العربية صار العرب الفلسطينيون فى إسرائيل اليوم لا يمتلكون أكثر من ٣,٥٪ من الأرض. وأحب أن ألفت الانتباه إلى أنه فى حين تم إنشاء أكثر من ٧٠٠ مستعمرة يهودية فى إسرائيل منذ اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨، فإن القطاع العربى لم يشهد إنشاء بلدة عربية واحدة حتى الآن. ومن جهة أخرى فإن القرى العربية التى تم الاعتراف بها من جانب السلطات الإسرائيلية مثل قرية «عين حيوز» و«عرب النعيم». مازالتا محرومتين من وجود شوارع وكهرباء ولا يسمح لسكانها بالحصول على تراخيص للبناء بسبب عدم الانتهاء من التخطيط الهيكلى لهاتين القريتين. ولا يفوتنى أن أشير إلى أن ٦٧٪ من البيوت التى يسكنها العرب فى المدن المختلطة تعود ملكيتها إلى الحكومة الإسرائيلية بموجب قانون نزع الملكية العنصرى عام ١٩٤٨ إذ أن هذا القانون يسمح لحكومة إسرائيل أن تستولى على ما تبقى من هذه البيوت، وتحولها إلى شقق سكنية





صاغية، أو استجابة تُذكر من جانب وزارة التعليم الإسرائيلية للسماح لهم بالمشاركة بصورة عملية في تشكيل مضامين برامج التعليم العربى بالشكل الذى يعكس الهوية القومية والثقافية للأقلية العربية، ولا يفوتنى أن استرعى الانتباه إلى أن التشريع الإسرائيلى العنصرى، مازال قائماً، لم يراع مطالب، وحاجات العرب فى إسرائيل، وأخص بالذكر «قانون حق العودة»، الذى بموجبه يحق لكل يهودى فى العالم العودة إلى إسرائيل، والتحول تلقائياً، إلى مواطن إسرائيلى، فى نفس الوقت الذى لا يسمح فيه للفلسطينيين الذين هُجروا بالقوة من فلسطين التاريخية، بالعودة إلى أرضهم، واستعادتهم لممتلكاتهم المغتصبة. وذلك يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك أن إسرائيل ماضية فى سياسة التمييز العنصرى حيال الأقلية العربية فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. على أن ما يجب التأكيد عليه، فى الختام، أن مسألة المواطنة المتساوية بين العرب واليهود فى إسرائيل لن تجد الحل المقبول، ما لم يتم السعى إلى تغيير طابع الدولة العنصرى المناهض لأبسط المبادئ الديمقراطية بتحويل إسرائيل من «دولة يهودية ديمقراطية» لجميع مواطنيها عرباً ويهوداً على السواء، مما يهدد السبيل لتغيير سياسة العداء تجاه الأقلية العربية، والاعتراف بهم كأقلية قومية لها حقوقها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية التى تقرها المواثيق والمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان بصفة عامة، وحقوق الأقليات بصفة خاصة.

المالية، وقلة التجهيزات الضرورية للعملية التعليمية، بالإضافة إلى العنصرية الواضحة من وزيرة التعليم الإسرائيلى «ليمور ليفانت»، وإهمالها للمدارس العربية، مما دفع القادة العرب فى إسرائيل فى أغسطس عام ٢٠٠١ إلى التهديد بمنع ما يزيد على ٣٠٠.٠٠٠ طالب عربى من الذهاب إلى مدارسهم.

كما تشير الإحصاءات إلى وجود فجوات فى التعليم بين اليهود والعرب فى إسرائيل، فنجد فى عام ١٩٩٦ أن نسبة اليهود الذين حصلوا على الثانوية العامة هى ٦٧,٤٪ مقابل ٤٩,٤٪ فى الوسط العربى، لكن المعيار الرئيسى الذى يُجسّد هذه الفجوة بين العرب واليهود هو مستوى التعليم العالى فى الوسطين اليهودى والعربى، إذ تشير الإحصاءات إلى أن نسبة الحاصلين على الليسانس والبيكالوريوس فى القطاع العربى هى ٧٪ ونسبة الحاصلين من العرب على الماجستير هى ٣٪، ونسبة الحاصلين من العرب على الدكتوراة هى ٢,٥٪ فقط. لذلك يناشد بعض رجال التربية الحكومة الإسرائيلية إنشاء جامعة عربية، على أن تكون فى نفس مستوى الجامعات القومية الإسرائيلية، على أن تنال العناية الفائقة، حتى لا تتحول إلى «جيتو ثقافى» للتعليم العالى العربى.

ولم تعد المشكلة تتوقف فقط عند الفجوات فى المنجزات التعليمية، والتمييز فى المخصصات المالية، بل هى مرتبطة أيضاً بإنكار حق رجال التربية والتعليم العرب فى المشاركة الفاعلة فى تحديد برامج التعليم فى القطاع العربى، إذ أنه بالفعل لم تجد نداءات التربويين العرب أذناً

حُرُورَةُ ابْنِ بَطُوطَةَ

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة مشهور عرف باسم (ابن بطوطه) ولد في طنجة بمراكش، في سابع عشر رجب الخير سنة ٧٠٢هـ لأسرة ميسورة الحال، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره خرج قاصدا حج بيت الله الحرام، ليبداً رحلته التي بدأت يوم الخميس الثاني من شهر رجب الفرد عام ٧٢٥هـ وانتهت بعودته إلى فاس ليلة عيد الأضحى سنة ٧٥٤هـ أي ما يقرب من ثلاثين عاما زار خلالها الجزائر، وتونس، وطرابلس، ومصر، والشام، والحجاز، والعراق، والهند، والصين، والأندلس، وبلاد السودان، (إفريقيا) ورأى في رحلته مشاهد أدهشت العقول والألباب، وفي ذلك يقول ابن خلدون في مقدمته: «ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطه كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة (دهلي) حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو (فيروز جوه) وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء على مذهب المالكية في عمله ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتى في أحواله بما يستغربه السامعون، مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد يعطوفون به، وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكاائر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه، وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس بتكذيبه..»^(١).

(١) مقدمة ابن خلدون، تحقيق الدكتور على عبدالواحد وافي، (٥٦٥/٢) الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.



وفضلاً عن ذلك منع أحفاد القردة والخنازير
الآذان في المساجد وأحرقوها وقصفوها ودمروها،
كما حدث في مسجد عمر بن الخطاب في بيت
لحم، ومسجد آل سعد في جنين، ومسجد
طولكرم، ومسجد الخضر في نابلس، ومسجد
النور في رفح، ومسجد بلال بن رباح في بيت
لحم.

وقبل هذا كله لازال المسجد الأقصى ومسجد
قبة الصخرة الشريفة والمسجد الإبراهيمي، لازالت
هذه المساجد مغلقة في وجه المصلين لايرفع منها
الأذان، يعيث فيها اليهود فساداً.

ويوماً بعد يوم يمضي بنو صهيون قدماً نحو
إزالة الطابع الإسلامي لفلسطين الحبيبة، فلسطين
السليبة، ولكن لن ينجحوا... بعدَ وهيئات أن
يكون لهم ذلك.

من أجل ذلك نستحضر على صفحاتنا اليوم
رائداً من رواد الحضارة الإسلامية ليحدثنا عن
فلسطين ومشاهداته فيها نستضيف اليوم (ابن
بطوطة) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم

ويكلف السلطان المغربي (أبى عنان) وزيره
الأديب محمد بن جزي بأن يكتب ما يمليه عليه ابن
بطوطة من مشاهداته في رحلاته وأسفاره ففرغ من
كتابتها في ثالث ذى الحجة عام ٧٥٦هـ وأسمها «تحفة
النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»^(٢).

أتدرون لماذا اخترت ابن بطوطة ورحلته مادة
لمقال هذا الشهر؟ لعلكم تجدون الإجابة في رائعة
على محمود طه:

أخى جـاوز الظالمون المدى

فحق الجهاد وحق الفدا

وأنا لا أملك من عدة الجهاد سوى القلم...
لاتسخرؤا... ولاتستنكروا... ولاتسجبوا... بل
لاتستهينوا.

منذ إعلان قيام دولة إسرائيل هدم الصهاينة
ما يقرب من ١٢٠٠ مسجد، وقاموا بتحويل ما
يقرب من خمسة وثمانين مسجداً ومقاماً أثرياً
إلى حظائر للخراف والأبقار، ومحطات للوقود،
ومخازن، ومطاعم، وخمارات، ومواخير، وكنس
ومعابد لليهود.

(٢) طبعت في لندن للمرة الأولى سنة ١٨٢٩م عندما قام (القس صموئيل لى) بترجمة قسم كبير منها إلى اللغة الإنجليزية.
ثم قام العالمان الفرنسيان (دى سلان) و(إدوارد ديلوريه) بترجمة جزء كبير منها نشر في المجلة الآسيوية سنة ١٨٤٣ - ١٨٤٧ باللغة
الفرنسية.
ثم طبعت باللغة اللاتينية سنة ١٨٨١م عندما عثر المستشرق (كوسفارتن) على أسفار منها توضح رحلات ابن بطوطة إلى بلاد إفريقية،
وفارس، وبلاد التتر، والجزائر.
ثم عثر المستشرقان (دفريمرى) و(سانجوتنى) على نسخة كاملة من الكتاب باللغة العربية فقاما بترجمتها إلى اللغة الفرنسية ونشرها في
أربعة مجلدات.
كما ترجمها المستشرق الألماني (مزيك) إلى الألمانية سنة ١٩١١، ونشرها في هامبورج.
وترجمت كذلك إلى اللغة التركية باسم (تقويم وقائع).
أما الطبعة العربية الأولى منها فصدرت في القاهرة مترجمة عن الطبعة الفرنسية في مجلدين سنة ١٨٧١م، ثم صدرت منها طبعة ثانية
سنة ١٩٠٤م. (انظر مقدمة مذهب رحلة ابن بطوطة للمرحومين الأستاذين: أحمد العوامري، ومحمد أحمد جاد المولى).

وبدأ ابن بطوطة حديثه الشيق، فقال:
قمت بثلاث رحلات، الأولى استغرقت خمسا
وعشرين عاما، انتهت يوم وصلت يوم الجمعة
في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين
وسبعمائة إلى حضرة فاس.. أما الثانية فكانت
توجهت إلى مدينة سبتة فأقمت بها أشهراً،
وأصابني بها المرض ثم عافاني الله، فأردت ان
يكون لى حظ من الجهاد والرباط، فركبت البحر
من سبتة فوصلت إلى بلاد الأندلس، وقضيت بها
زمناً أتُنقل بين مدنها حتى عدت إلى حضرة
فاس حرسها الله - تعالى - نهاية عام ٧٥٢هـ أما
الثالثة فبدأت يوم سافرت إلى بلاد السودان
وانتهت بعودتي إلى حضرة فاس يوم الأضحى من
عام ٧٥٤هـ.

قلت له: حسبك.. أريد تلك التي زرت فيها
الديار الشامية وبالتحديد فلسطين.

ابن بطوطة: أنت إذن تعود بى إلى بداية الرحلة..
حسناً ولكن خبرنى أولاً: لم فلسطين تحديداً؟

قلت: فلسطين سقطت فريسة فى أيدي
عصابة مجرمة تدعى (إسرائيل) وهؤلاء ارتكبوا
جريمة كبرى، حيث طردوا أهل البلاد
الفلسطينيين، وصادروا أرضهم، وقتلوا رجالهم،
ويتموا أطفالهم ورملوا نساءهم وهدموا المساجد،
وعاثوا فساداً، وارتكبوا جرائم عديدة، وهل هناك
جريمة أشد من طرد الإنسان من الأرض التي ولد
عليها وأكل من خيرها، وشرب من مائها،
واستظل بظلها، ولعب وشب بين ربوعها.

اللواتى الطنجى، فإذا كان بنو صهيون يستندون
فى ادعاءاتهم فى أرض فلسطين إلى خرافات
وأساطير فنحن نستند إلى تاريخ وماض لا ينكر.

قلت: مرحباً بك يابن بطوطة فى مجلة
الأزهر.

ابن بطوطة: الأزهر! أنا إذن بمصر، أم البلاد،
وقرارة فرعون ذى الأوتاد ذات الأقاليم العريضة،
والبلاد الأريضة^(٣)، المتناهية فى كثرة العمارة،
المتباهية بالحسن والنضارة، مجمع الوارد
والصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر.

سألته: نشأت فى بسطة من العيش، وسعة من
الرزق، ثم خرجت من مدينة طنجة وأنت فى الثانية
والعشرين من العمر بادئاً رحلتك، فما هو دافعك
من وراء هذه الرحلة وماذا كان شعورك إزاءها؟

ابن بطوطة: كان خروجى من طنجة مسقط
رأسى فى يوم الخميس، الثانى من شهر الله رجب
الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمداً
حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه
أفضل الصلاة والسلام منفرداً عن رفيق آنس
بصحبتة، وركب أكون فى جملته، لباعث فى
نفسى شديد العزائم وشوق إلى تلك المعاهد
الشريفة كامن، فحزمت أمرى على هجر
الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطنى
مفارقة الطير للوكور وكان الدأى بقيد الحياة
فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقياً من
الفراق نصبا، وسنى يومئذ ثنتان وعشرون سنة.

قلت: حدثنا عن رحلتك.

(٣) (أَرْضَتِ) الأرض والروضة - أَرْضاً، كثر نبتها، وحسن مراها. انظر المعجم الوسيط (١٤/١) الطبعة الثالثة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

قلت: فلسطين عربية.. فلسطين إسلامية، ولكننا ابتلينا بمن ينكر هذا.. أريدك أن تساعدني، احك لنا ما شاهدته في فلسطين في زمانك الجميل، احك لنا حتى تعلم الأجيال، ويعلم الذين ينكرون حق العرب في بلادهم وليت قومي يفقهون!!

ابن بطوطة: حبا وكرامة، أحدثك عن فلسطين ومدنها ومساجدها ومزاراتها وأهلها.

قلت: تفضل.

ابن بطوطة: كانت أياما رائعة، تجردنا للسير وواصلنا الجد، وأصابني الحمى، فكنت أشد نفسى بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف وكانت مدينة (قوص) هي أبعد ما زرت بالديار المصرية ومنها عدت بعد مسيرة ثمان إلى مصر، فبت بمصر ليلة واحدة وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة فوصلت إلى مدينة (بليس).. ثم وصلت (الصالحية) ومنها دخلنا (الرمال)^(١٠) ونزلنا منازلها مثل (السودة) و(الورادة) و(المطيلب) و(العريش) و(الخروبة)...

ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة، وهى أول بلاد الشام مما يلى مصر، متسعة الأقطار كثيرة العمارة، حسنة الأسواق، بها المساجد الكثيرة، والأسوار عليها وكان بها مسجد جامع حسن، والمسجد الذى تقام الآن به الجمعة فيها، بناه الأمير

هل تصدق أن أحفاد القردة والخنازير أضرموا النيران فى المسجد الأقصى ودمروا منبر البطل صلاح الدين وجعلوه أثراً بعد عين^(٤)؟ فى يوم من الأيام قتلوا تسعة عشر مصليا داخل المسجد الأقصى^(٥) هل تعلم أنهم دمروا القصور الأموية المقامة قرب الجهة الجنوبية من المسجد أثناء حفرهم أسفله؟

هل تصدق أنهم قتلوا خمسة وثمانين رجلا دافعوا عن المسجد وحرمته^(٦)؟

هل تصدق أنهم ألقوا رأس خنزير فى ساحة المسجد الأقصى المبارك وارتكبوا فيه أعمال مشينة ومنذ سنوات أحرقوا باب الغوانمة^(٧)؟

بل هل علمت أنهم هدموا حى المغاربة^(٨)؟

هؤلاء الفجرة الكفرة قام أحدهم بقتل ستين مصليا داخل الحرم الإبراهيمى وجرح المئات^(٩)

ابن بطوطة: حسبك يارجل حسبك لقد أوجعتنى إنا لله وإنا إليه راجعون.

قلت: بل ما قلته لك هو أقل القليل.. ماذا عساک أن تقول لو رأيت جثث الضحايا تفتشر الأرض على مساحات شاسعة من الأراضى تنهشها الكلاب والغربان!؟

ابن بطوطة: رحماك ربى.

(٥) ٩٠/١٠/٨

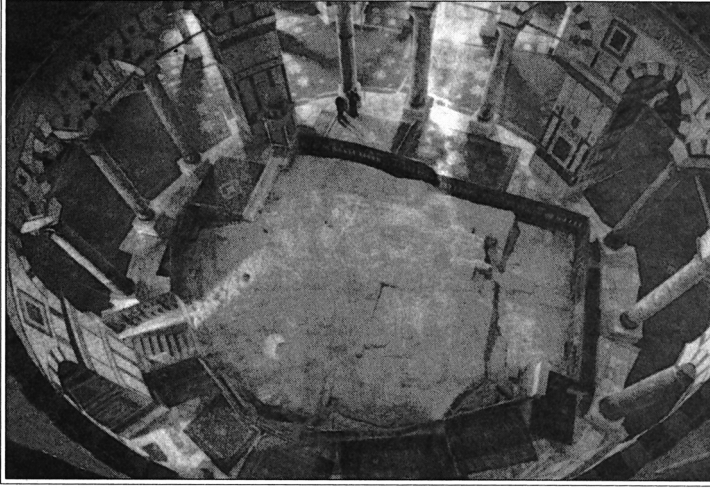
(٧) ٩٨/٥/١٣

(٤) ٦٩/٨/٢١

(٦) ٦٩/٩/٢٤

(٨) بعد حرب ١٩٦٧.

(٩) هو المجرم (باروخ جولدشتاين) والجريمة حدثت فى صلاة الفجر يوم الجمعة، الخامس عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤/٢/٢٥م، وقد برأته المحكمة الإسرائيلية بحجة أنه مريض نفسى ولا يُسأل عن أفعاله، وأوصت بإيداعه إحدى المصحات. (١٠) يقصد سيناء.



الصخرة المشرفة بمسجد قبة الصخرة

المعظم (الجالولي) وهو أنيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض .

سألته : وماذا عن علمائها؟

ابن بطوطة : قاضى غزة بدرالدين السلختى الحورانى، ومدرسها علم الدين بن سالم، بنو سالم هم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضى القدس .

قلت : هل زرت الخليل؟

ابن بطوطة : نعم، سافرت من غزة إلى مدينة الخليل صلى الله على نبينا وعليه وسلم، وهى مدينة صغيرة المساحة، كبيرة المقدار مشرقة الأنوار، حسنة المنظر، عجيبة المخبر، فى بطن واد، مسجدها أنيق الصنعة محكم العمل، بديع الحسن، سامى الارتفاع، مبنى بالصخر المنحوت، فى أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا، ويقال : إن سليمان عليه السلام - أمر الجن ببنائه .

وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب - صلوات الله على نبينا وعليهم - ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور زوجاتهم .

وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل، إلى مسلك ضيق، يقضى إلى ساحة مفروشة بالرخام .

وكان هناك مسالك فى الغار المبارك وهو الآن

مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره أهل العلم دليلا على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هناك، ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازى الذى سماه (المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب) أسند فيه إلى أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أسرى بى إلى بيت المقدس، مر بى جبريل على قبر إبراهيم، فقال : انزل هاهنا فصل ركعتين، فإن ها هنا قبر أبىك إبراهيم ثم مر بى على بيت لحم، فقال : انزل فصل ركعتين فإن ها هنا ولد أخوك عيسى - عليه السلام - ثم أتى بى إلى الصخرة^(١١) وذكر بقية الحديث .

ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعفرى أحد الصلحاء المرضيين والأئمة المشهورين سألته عن

(١١) أخرجه السيوطى عن عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبى عروة، عن قتادة، عن زرار بن أبى أوفى، عن أبى هريرة - رضى الله عنهم أجمعين - اتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق الدكتور أحمد رمضان ص١٦٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

صحة كون قبر الخليل - عليه السلام - هنالك، فقال: كل ما لقينته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور.. قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب - على نبينا وعليهم السلام - وقبور زوجاتهم ولا يطعن في ذلك إلا أهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه.

ويذكر أن بعض الأئمة دخل إلى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ، فقال له: أي هذه القبور هو قبر إبراهيم؟ فأشار له إلى قبره المعروف، ثم دخل شاب فسأله كذلك فأشار إليه، ثم دخل صبي، فسأله - أيضاً - فأشار له إليه، فقال الفقيه: أشهد أن هذا قبر إبراهيم - عليه السلام - لاشك، ثم دخل إلى المسجد فصلى به، وارتحل من الغد.

ويضيف: وبداخل هذا المسجد - أيضاً - قبر يوسف - عليه السلام - وبشرقي حرم الخليل تربة لوط - عليه السلام - وهى على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام، وعلى قبره أبنية حسنة وهو فى بيت منها حسن البناء مبيض، ولا ستور عليه وهناك بحيرة لوط، وهى أجاج^(١٢)، يقال: إنها موضع ديار قوم لوط.

وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين، وهو على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه، ولا يجاورها إلا دار واحدة يسكنها قيمه.

وفى المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض فى حجر صلد قد هبىء فى صورة محراب لا يسع إلا مصليا واحدا، ويقال: إن إبراهيم سجد فى ذلك الموضع شكرا لله - تعالى - عند هلاك قوم لوط،

فتحرك موضع سجوده وساخ فى الأرض قليلا. وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على - رضى الله عنها - وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام فى أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع: «بسم الله الرحمن الرحيم، لله العزة والبقاء، وله ماذراً وبراً، وعلى خلقه كتب الفناء، وفى رسول الله أسوة، هنا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين - رضى الله عنه».

وفى اللوح الآخر منقوش: «صنعة محمد بن أبى سهل النقاش بمصر» وتحت ذلك هذه الأبيات:

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه

بالرغم منى بين التراب والحجر

ياقبر فاطمة، بنت ابن فاطمة

بنت الأئمة، بنت الأنجم الزهر

ياقبر، مافيك من دين ومن ورع

ومن عفاف ومن صون ومن خفر.

سألته: وماذا عن القدس؟

ابن بطوطة: سافرت من هذه المدينة إلى القدس، فزرت فى طريقى تربة يونس - عليه السلام - وعليها بنية كبيرة ومسجد.

وزرت أيضاً بيت لحم موضع ميلاد عيسى - عليه السلام - وبه أثر جزع النخلة، وعليه عمارة كثيرة، والنصارى يعظمونه أشد التعظيم، ويضيّفون من نزل به ثم وصلنا إلى بيت المقدس - شرفه الله - ثالث المسجدين الشريفين فى رتبة الفضل، ومصعد رسول

(١٢) يقصد البحر الميت.

المسجد الأقصى فهو مسقوف، فى النهاية من إحكام العمل، وإتقان الصنعة، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة وفى المسجد مواضع سواه مسقوفة.

وعن قبة الصخرة يقول ابن بطوطة:

هى من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا وقد توافر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهى قائمة على نشر^(١٥) فى وسط المسجد يصعد إليها فى درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام - أيضا - محكم الصنعة، وكذلك داخلها، وفى داخلها وباطنها من أنواع التزويق، ورائق الصنعة، ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك موشى بالذهب، فهى تتلأ لأنوار وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها فى محاسنها ويقصر لسان رائئها عن تمثيلها.

وفى وسط مسجد قبة الصخرة الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار، فإن النبى ﷺ عرج منها إلى السماء وهى صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة فى مقدار

الله ﷻ تسليمًا، ومعرجه إلى السماء، والبلدة كبيرة منيفة، مبنية بالصخر المنحوت، وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب - جزاه الله عن الإسلام خيرا - لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها، ثم أتم الملك الظاهر هدمه خوفا أن يقصدها الروم^(١٣) فيمتنعوا بها، ولم يكن فى هذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء فى هذا العهد الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق.

قلت: وماذا عن المسجد الأقصى؟

ابن بطوطة: هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا، وله أبواب كثيرة^(١٤) فى جهاته الثلاثة وأما الجهة القبلية منه، فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذى يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء غير مسقوف إلا

(١٣) يقصد الصليبيين.

(١٤) أبواب المسجد الأقصى: تقوم فى جهات الحرم القدسى الشريف الأربعة: أربعة عشر بابا، منها عشرة أبواب مفتوحة، وزعت فى جهته الشمالية والغربية، وأربعة مغلقة منذ فتح صلاح الدين الأيوبي، وهى فى الجهة الشرقية والجنوبية، وكان هناك ما يزيد على العشرين بابا فى العصور الإسلامية المبكرة.

والأبواب الحالية للحرم: من الجهة الشمالية: باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء. ومن جهة الغرب: باب الغوائمة، باب الناظر، باب الحديد، باب القناتين، باب المطهرة، باب السلسلة، باب المغاربة.

أما أبواب الحرم المغلقة فهى: باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق.

(١٥) (نَشَرَ) الشئُ نَشْرًا، ونَشْرًا: ارتفع، والمعنى أنها قائمة على مكان مرتفع، المعجم الوسيط (٩٥٩/٢).



الطبرى، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى نزيل القدس، ومنهم الشيخ الزاهد أبو على حسن المعروف بالحجوب من كبار الصالحين، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغى، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى، من أهل أرز الروم، وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعى صحبته ولبست منه خرقة التصوف.

قلت لمحدثي: حديثك ممتع يابن بطوطة ولكن خبرنى بربك، أنت فى كل ما ذكرت لم تتحدث عن أثر يهودى واحد، واليهود فى زماننا يزعمون أن هذه البلاد أرضهم من قديم.

ابن بطوطة: كذبوا والله.. لا يوجد لهم فيها أثر واحد ولكى أكون دقيقا لم أعثر لهم على أثر واحد يدل عليهم وعمر بن الخطاب - رضى الله عنه لم يتناولهم بالحديث عندما كتب عهد الصلح المشهور باسمه الذى كتبه لصفرونيوس بطريك النصارى يوم فتح المسلمون القدس صلحا.

قلت: شكرا لك على هذا الحديث ونفع الله المسلمين بعلمك.

ابن بطوطة: أنا الذى أشكر أن تذكرتنى وعسى أن تكون كلماتى عوناً لكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بيت صغير ارتفاعه نحو قامة - أيضا - ينزل إليها على درج، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباك كان اثنان محكما العمل يغلقان عليها، أحدهما - وهو الذى يلى الصخرة - من حديد بديع الصنعة والثانى من خشب، وفى القبة درقة^(١٦) كبيرة من حديد معلقة هنالك، والناس تقول: إنها درقة حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه -

وهناك بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف فمنها بعدوة^(١٧) الوادى المعروف بوادى جهنم، وفى شرق البلد على تل مرتفع هنالك بنية يقال: إنها مصعد عيسى عليه السلام - إلى السماء، ومنها أيضا قبر رابعة البدوية (منسوبة إلى البادية)، وهى خلاف رابعة العدوية الشهيرة.

وفى بطن الوادى المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون: إن قبر مريم - عليها السلام - بها وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهنالك موضع مهد عيسى - عليه السلام - يتبرك به.

سألته: وماذا عن علماء القدس؟

ابن بطوطة: منهم القاضى العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزى وهو من أهل غزة وكبرائها.

ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسى، ومنهم المحدث المفتى شهاب الدين

(١٦) ما يُتَوَقَّى به، يُقَال: تَدْرُقُ به: احتَمَى به. المعجم الوسيط (٢٩٠/١).

(١٧) العُدْوَةُ: المكان المرتفع، وفى التنزيل «إذا أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى». المعجم الوسيط (٦١٠/٢).



نعمة*

رواية لـ: يهودا بورلا

عرض وتعليق الدكتور / محمد حسن عبد الخالق

تتحدث الرواية عن مجموعة من الشباب اليهودي الذين جاؤوا من أكثر من دولة وكل منهم يحمل أفكاراً مغايرة للآخرين جمعهم الأديب في فلسطين والرواية تتحدث عن الفتاة اليمنية اليهودية «نعمة» التي تتمتع بجمال فائق بالإضافة لكونها مثقفة ذات نفس متطلعة للمعرفة... للانطلاق والحرية، وهي شخصية إيجابية طوال الرواية ويقول الأديب عنها: ربما كانت هذه هي الصورة اليهودية القديمة التي حفظت بين جبال اليمن، ولم تبعثر أو تفقد بمرور الأجيال (ص ٣٧). وبرغم فقرها فقد حافظ الأديب على عفتها، ويعترف قائلاً: لأن لها ضميراً دينياً قوياً «لتأثرها بالعالم الإسلامي الذي كانت تعيش بين أحضانها بالإضافة إلى تراثها الشرقي الأصيل» (ص ٥٤).

وتنبت أمها وهي صغيرة ويخرجها والدها من المدرسة كي تعمل خادمة في منازل يهود الغرب «الاشكنازي» وقد وصفت حياتهم وقارتها بالحياة التعسة التي تحياها، ووجدت خلاصها في الالتحاق بالكيوتس «المستوطنة الزراعية» وتقع في حب العامل المثقف الروسي: «يوسيفون» الذي كان يحضر في «قيمة العمل»، وتتسرب منه ميثاق ماركس أما هو فلم يكن يبذلها الحب.

وكما هو معروف أن السقوط الطبقي يفضي إلى السقوط الأخلاقي ولا سبيل إلى القفز فوق الجدار بمحاولة فردية تنتهي حتماً بالفشل اختياراً أو اضطراراً مهماً بلت المحاولة مشروعة ومهما عانى بطل القفزة من الآلام^(١).

(*) بنستار «أو بنجله» وتعني في السر والعلن، رواية للأديب الصهيوني يهودا بورلا إصدار متسغه - تل أبيب.

(١) عباس عبد الجبار: في النقد القصصي. منشورات وزارة الثقافة بالعراق ١٩٨٠ ص ٦١

رغم تخبطه في روسيا بين الدراسة والحب والزواج الغير الشرعى . يصبح مثالياً فور وصوله فلسطين ولم تصدر عنه أية أعمال شائنة . وقد أحبته نعمة لمثاليته الزائدة وقالت عنه « ليس تصرفه كتصرف سائر البشر .. إنه يسمو على العديدين - ص ٥٣ » وهى دعوة بين السطور لحث اليهود بشتى انتمائتهم على الهجرة .

والشخصية الثالثة : هى شخصية « ميخائيل سولار » الاشكينازى الأمريكى والذى يقول عن نفسه « أعرف نفسى جيداً شاب منطوى . لست بجميل . فاشل رغم ثرائه بعد أن ورث أموالاً طائلة من عمه الذى توفى بأمرىكا » .

فهو شخصية سلبية طوال الرواية . أحب « نعمة » رغم علمه بأنها تحب يوسفون الروسى .

والشخصية الرابعة : هى شخصية « يوحنا » اليهودى اليمنى وهذه الشخصية يرى فيها المؤلف شأنه شأن بقية الأدباء أنها الجيل الثالث .

وكالعادة الجيل الأول يمثل الجد يعيش فى جهل وتخلف الماضى ، ولا بد من قتله وموته أو إلحاقه بمستشفى للأمراض النفسية ، والجيل الثانى الذى يمثل الأب فهو جيل مززعزع .

والأمل المنشود لدى كافة الأدباء العبريين هو الجيل الثالث وما يليه من أجيال أعدت جيداً لأهداف صهيونية محددة ويعقد عليه الآباء الأمل فى تحمل المسؤولية ولا بد من مد يد العون

وإن كان الأدب العبرى غير محدد لهذا الخط فى اليهودى اليمنى الذى لم يحظى بفرص التعليم ولكنه يتطلع للثقافة الغربية كى يزهو بنفسه وبقدرته على النمو السريع فى مواجهة المجتمع الاشكنازى .

وقد أوضح الأديب شخصية « يوسفون » وهى شخصية إيجابية طوال العمل يرضى عنها الأديب : فهو مثقف ، خبير بالاقتصاد يحاضر فى قيمة العمل . قوى الإرادة : لأنه ترك أهله فى روسيا وهاجر إلى فلسطين ولم تنفع توسلات حبيبته « قلارة » ابنة الربى التى ركعت تحت قدميه كى تشبه عن عزمه ص (٣٧) .

وكذلك حبيبته الثانية « ويرا » وكل هذا لأجل فلسطين ص (٣٨) .

بالإضافة إلى أنه لم يترك لقلبه أن يتأثر بنعمة . وعندما سألته نعمة عن أخويه الموجودين فى روسيا قال : « لم يكتبالى ولم أكتب لهما .. لأنهما مخلصان للحكم الروسى ولم يؤمنا بالصهيونية .. وحتى حبيبته « رفته » التى أنجبت منه طفلاً غير شرعى^(٢) . تركها هى الأخرى - حيث يقول :

افترقنا بسلام . وضعت روسيا نصب عينيها ووضعت أنا إسرائيل نصيب عيني (ص ٥٠) .

وعندما سألته نعمة : هل تتوق نفسك إلى ابنك .. أجاب : لا وفى خبث ودهاء شديدين نراه

(٢) ويسمى بالعبرية (مَمَزَر) وبالعربية «نغل» وهو ثمرة علاقة غير شرعية أو زواج غير قانونى . فالنتائج المترتبة علي هذا من الناحية الدينية اليهودية أنه لا يدخل ضمن جماعة الرب . ويحرم زواج اليهودية من (مَمَزَر) واليهودى من «ممزراه» أى نغلة



والدها وهى قضية خلافية وحتى عندما ذهب «ميخائيل سولار» ليطلب يدى نعمة من والدها فرح كثيراً وقال «إنها معجزة أن يأتى رجل مثله ويطلب يد ابنتى ص ١٢٣ .

وكانت نعمة طوال الأيام تكتب مذكراتها يومياً فى سجل كبير دونت فيه أفراحها وأتراحها لحظة بلحظة وكما هو مفهوم فقد تشرب يهود اليمن كثيراً من العادات والتقاليد العربية الأصيلة وقد نجح الأديب إلى حد كبير فى تأكيد هذا المفهوم سواء عن وعى منه أو لا فبعد أن عصفت الأقدار بنعمة وتوفى زوجها عادت إلى الخدمة فى المنازل مرة أخرى واستأجرت غرفة بسيطة تعيش فيها مع طفلها وكان الصراع بالنسبة لها هو صراع صاعد أى متدرج فى بطئ طوال العمل الأدبى فقد ابتدأت حياتها خادمة ثم عادت للخدمة مرة أخرى وطوال هذه الفترة لم يخبُ صراعها الداخلى .

وقد صور الأديب صراعها بين الخير والشر المفروض عليها ثم صراعها الداخلى بين التراث الدينى والحاجة حتى إنها فكرت فى بيع جسدها ولكنها تراجععت فى النهاية وتكالتبت عليها الهموم وقررت الانتحار وكتبت فى مذكراتها أن الحياة أصبحت بلا معنى ولا هدف وأنها ستلحق طفلها بملجأ للأيتام ثم تذهب لتلقى بنفسها فى البحر وفى هذه الأثناء كان «ميخائيل سولار» الأمريكى يبحث عنها ويتمنى الزواج منها ويصل إلى غرفتها ويتصفح مذكراتها ويعلم مكان انتحارها فيهرع إليه ويراها وهى تلقى بنفسها فى الماء فيلقى بنفسه خلفها وينقذها فى اللحظة الأخيرة وجاء الإنقاذ

له وقد صور الأديب قصة كفاحه فى صفحات عديدة كنموذج يحتذى به هذا الجيل برغم فقره ويتمه، حتى إنه يترك المستوطنة ويسافر تاركاً رسالة يقول فيها إنه لن يعود حتى يحقق ما يريد من علم ومعرفة وثقافة ١٤/٨٠ .

ولعقدة فقره التى لازمته منذ البداية، ولتطلعه لحياة أفضل بعد حصوله على شهادة دراسية وتقلده إحدى الوظائف، ولحبه الجارف لنعمة سعى جاهداً للزواج منها وقد ظفر بما يريد .

ويثقل القدر كاهل «يوحنا» بعد إنجاب طفلين ويمد يده للمال العام ويحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر ولكنه يموت بعد أسبوعين . وينقل للمقابر على حساب الطائفة . ص ٩٦

وهذه النتيجة غير متوقعة، فكيف يرضى عنه الأديب ثم يشوه صورته ويقتله، إنه فكر صهيونى، يخلص منه أن على اليهودى اليمنى ألا يعتمد على يهودى يمنى آخر لأن الإثنان فى حاجة إلى مساعدة، وحتى عندما تقدم «ميخائيل سولار» لخطبة نعمة فرح والدها وحاول معها كثيراً بلا جدوى حيث كان يقول لها «لن تجدى من يحبك أكثر من السيد ميخائيل سولار الذى ترك كل البنات الثريات وجاء يطلب يدك . ص ١٢٦ .

وإن كان الموقف الذى يرمز إليه هنا هو التفاعل على المحور الطبقي «الفقر والثراء» وهناك من يرى أن والد نعمة هو المقياس الذى يستخدمه الأديب لقياس مدى تطور نعمة لأنه لا يمكن تحليل شخصية نعمة إلا من خلال





تلتقى إن عاجلاً أم آجلاً وتتسارع على الأرض بعد تمهيدها فأشعل فتيل الصراع وترقب النتائج هل سيحدث صهر ودمج أم سيحدث تقارب أو تنافر ومن خلال النتائج يمكن تحديد العقبات وكيفية حلها وهى الرسالة التى حملها الأديب على عاتقه .

والرواية بها جميع أنواع الصراع وهو المحور الذى تعيش عليه إسرائيل أمس واليوم وغداً فالصراع هو الوقود الذى يغذى وجودها وإلا كُتِبَ عليها الفناء وكلما اتسعت دائرة الصراع كلما أحست بوجودها وقوتها وما يفعله شارون اليوم من تأجيج هذا الصراع ولو على حساب الأبرياء العزل، فهو بالنسبة لهم بطل أسطورى يأجج الصراع حتى وإن كان بجيش مدجج بأحدث تكنولوجيا العصر فى صراع مع أطفال عُرِّلَ فى عمر الزهور شاء قدرهم أن يدافعوا عن أرضهم بعد فطامهم بحبات من الحصى يقذفون بها آلة عسكرية لا تبقى ولا تذر .

والصراع والتقريب فى العمل الأدبى الذى نحو بصده هما قطبا الحبكة الروائية بالإضافة إلى صراع الأجيال والصراع الداخلى فى نفوس الشخصيات والصراع الخارجى والصراع العاطفى وحتى الصراع الفكرى .

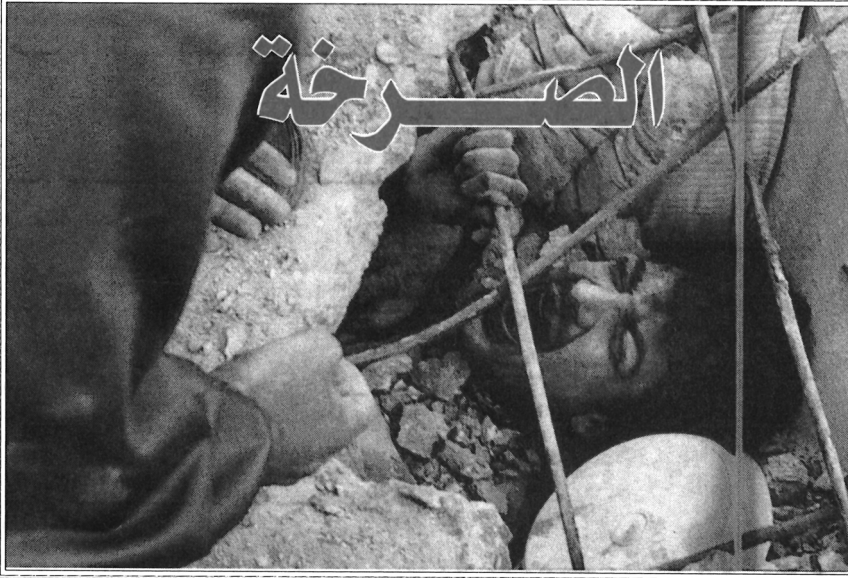
إنها سيناريوهات جاهزة التحضير حتى قبل قيام الدولة والبطل القومى لديهم من يغتنم الفرص وينفذ أكبر عدد منها حتى وإن خيل للبعض أن فى قدرتهم أن يقذفوا بهم فى البحر فإن البطل الأمريكى القبيح مستعد لإلقاء نفسه وإنقاذهم وأتمنى - نحن العرب - أن نعى الدرس جيداً!!

على يد الأمريكى القبيح حتى وإن حدث هذا زمن كتابة الرواية عام ١٩٣٤ أى قبل قيام الدولة، والصراع فى الرواية يبدأ مع بداية الحبكة وينتهى بنهايتها وبداية الصراع ونهايته هما قطبا الحبكة وما يجرى بين هذين القطبين يكون تطوراً للأحداث والبطل تناضل من أجل الخلاص وإن كان مفهوم الخلاص هنا هو الخلاص القومى من فكرة الاضطهاد التى تعرضوا لها فى المجتمعات الخارجية وأن الصهيونية قد أعطته هذا الخلاص عندما انتقل إلى فلسطين وأن حياته فى اليمن (الغربة) كفقير أولاً ثم بعد ذلك مواطن من الدرجة الثانية حسب ما كانوا يعتقدون هو ما دفعه إلى الصهيونية كحل لا بدليل له لأنه يحلم أيضاً بخلاصين وعلى الصهيونية إيجاد الحل له كى يصبح مواطناً من الدرجة الأولى ثم بعد ذلك الخلاص من مأساة التخلف الحضارى والطبقى .

والسؤال الذى يطرح نفسه :

ماذا فعلت له الصهيونية؟ وهى الفكرة الأساسية فى الرواية وكما هو مفهوم فإن التجربة الصهيونية هى صراع ومزج بين ثقافات مختلفة جمعت على معيار الأرض والدين وأن الأدب والصحافة هما أعظم أداة للسيطرة الفكرية فقام الأديب بهذه التجربة واختار نعمة من اليمن و«يوسيفون» من روسيا و«ميكائيل سولار» الاشكنازى الأمريكى فأماناً عناصر متباينة أصلاً فى وضعها الطبقي وفى نفس الوقت متصارعة فوضعهم فى بوتقة الأرض الغير ممهدة «فى هذه الفترة» كى يستخلص النتائج الأولية لأنه يؤمن من البداية بأن هذه الأطراف سوف





شعر / محمد فاضل اسد

اصرخ عسى أن يسمع الصنم
 اصرخ فهذا الجرح مُتَّهِمُ
 اصرخ فنحن نئن من زمنٍ
 لم تستجب لأنيننا الأُم
 اصرخ فقلوبُ جناتنا صخرٌ، وأعينهم أصاب ضياءها العتمُ
 اصرخ فعدل الظالمين تكاثرتُ
 أرجاسُـه، والأرض تضطرم
 اصرخ بوجه الريح حتى يستفيق الكون،
 أو تلهـو به الرممُ
 اصرخ، وسل السيف،
 وابعث من حجارة أرضك النيران تحترق



اصرخ أخى، فدمائنا مسفوحة

وننام فوق الذُّل نختم

منذ أنفرطنا فى يد الشيطان،

ياخذنا، ويرميننا، ويبتم

منذ أنكفأنا فوق جرح الضَّيم،

نلعقه ولا براء ولا ندم

هذا زمان الكيل بالأهواء،

قلبٌ للبغاة تحوطه الظلم

وهوى يرى أن الحضارة وثبة

تعدو على حق فتلتهم

وهوى يرى شذاذ إسرائيل بغيته،

ونار الحق قد تضطرم

العالم الهمجى منقاد كما تنقاد خلف كباشها الغنم

فتصير أرض الله تحت نعالهم جثثاً تداس فتصرع الدم

لكننا يا عصابة الظلام ندعو للسلام لتسمع الأمم

إننا نرى الإسلام حصن العدل سوف يطهر الدنيا ويختتم

فاصرخ فقد أهداك ربُّ الكون وعُد النصر تحمله وتنتقم

واصرخ فسوف تُفجر الأنهار، والأحجار، والأطفال، والعدم



التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق في المجتمع الإسلامي

لأستاذ الدكتور
محمد الدسوقي



تمهيد:

مما لا مرأى فيه ولا خلاف عليه أن ظاهرة الطلاق في المجتمع الإسلامي المعاصر، تعد من أهم عوامل التفكك الأسري، والتمزق الاجتماعي، لقد أضحت هذه الظاهرة غير طبيعية، لأنها تجاوزت النطاق الذي ينبغي أن تظل في إطاره، ومن ثم أزعجت فقهاء الشريعة وعلماء التربية والاجتماع، فقد مثلت خطراً داهماً على استقرار الأسرة، ومتانة العلاقة بين أفرادها، وقيامها برسالتها كما ينبغي أن تكون.

ولأهمية الأسرة ورسالتها المقدسة جاءت الشرائع الإلهية بالقواعد والمبادئ، التي تؤسس عليها الأسرة، وتكفل لها الترابط والتراحم والحماية والوقاية، حتى تظل لبنة قوية في بنيان المجتمع، تشد أزره، وتدفع عنه أسباب الضعف والانحيار، وحتى تظل كذلك بيئة صالحة لتربية الأجيال الصاعدة تربية قويمه تجعل منهم قوة الغد التي تواصل حمل الرسالة وأداء الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.

والشريعة الإسلامية وهي خاتمة الشرائع السماوية ومهيمنة عليها وضعت للأسرة أمثل التشريعات التي تحقق لها الاستمرار والاستقرار، والتي لا تبيح انفصام رابطة الزوجية إلا بعد است فراغ كل وسائل العلاج والإصلاح ويصبح من الخير للزوجين أن يتفرقا ويغن الله كلا من سعته.

من وجوب أو ندب أو كراهية أو حرمة، وإنما الإشارة إلى مدى عناية الإسلام به، وذكر أهم خصائصه، حتى تتضح أهمية هذا العقد، ووجوب الوفاء به، والحفاظ عليه، وعدم التفريط فيه.

أما عن مدى عناية الإسلام بعقد الزواج فيبدو من خلال سنة الله في كونه، هذه السنة التي تبين أن الكون كله يقوم على التزواج فيما نعلم وفيما لا نعلم قال تعالى:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢)

وكون التزواج هو السنة التي يقوم عليها الكون في أنفسنا وفي غيرها مما نعلم وما لا نعلم يوحى إلينا بخطر شأنه وجلال قدره، وبأن ننظر إليه نظرة جادة، ونعتبره ركناً أساسياً في الحياة لاغنى عنه، ولا ينبغي أن نرتكب ما يزلزله، أو أن نستهيى بأحد طرفيه وهما الذكر والأنثى.

إن الإنسان لمنزلته في الكون ورسالته في الحياة لم يترك أمر التزواج بالنسبة له دون ضوابط أو قواعد كما هو الحال بالنسبة للحيوان الأعجم، لأن العلاقة بين الذكر

والناظر في تشريعات الأسرة في الإسلام نظرة دقيقة فاحصة يقرر أن هذه التشريعات تعبر عن تدابير وقائية للحفاظ على الأسرة ورعايتها ودفع كل ما يتهدهدها من مخاطر، أو تتعرض له من مشكلات.

على أن تشريعات الأسرة في الإسلام جزء من التشريعات الإسلامية التي جاءت صالحة للتطبيق الدائم، والتي تقود الحياة الإنسانية في شتى مجالاتها، وتطبعها بطابع العبودية الخالصة لله رب العالمين، ولهذا لا يجوز أن ننظر في تشريعات الأسرة دون ربطها بسائر التشريعات الإسلامية كلها، فتعاليم الإسلام وحدة متكاملة ومن يفرق بينها في الالتزام بها يكون كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. ويقتضى تفصيل القول في التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق الحديث عن القضايا التالية:-

أولاً: طبيعة عقد الزواج وحكم الطلاق.

ثانياً: التدابير الوقائية قبل العقد.

ثالثاً: التدابير الوقائية بعد الزواج.

رابعاً: التدابير الوقائية بعد الفراق.

خامساً: التدابير الوقائية عن طريق التحصين الثقافي والقوانين العلاجية.

أولاً: طبيعة عقد الزواج وحكم الطلاق:

ليس المراد بالحديث عن طبيعة عقد الزواج تعريفه، أو بيان أهدافه والصفة الشرعية له



فلا غرو أن سماه القرآن الكريم ميثاقا غليظا، وأرشد إلى مقدمات له، حتى يظل هذا الميثاق حيا قويا، يعبر عن علاقة الامتزاج الكامل بين الزوجين، فهما به أصبحا كفرد واحد.

وإذا كان عقد الزواج أهم عقد فى حياة الإنسان فإن من دلائل هذه الأهمية وجوب إشهاره للناس والاحتفاء به بالطعام والشراب والسرور والخبور والدعاء للزوجين بالخير والبركة، فنكاح السر فى الشريعة باطل، لأن العلاقة الزوجية المشروعة ينبغى أن تتم فى النور، وعلى معرفة ومشهد من الناس حتى لا تحوم شبهة الارتياح حول هذه العلاقة الطاهرة، وما يترتب عليها من الآثار.

وإشهار عقد الزواج قد يكون فى رأى الجمهور بوجوب الإشهاد عليه وقت إنشائه، أو بإعلان أمر الزواج والإخبار عنه قبل الدخول، أو فى يومه كما يرى بعض الفقهاء.

وعقد الزواج فضلا عما أومأت اليه آنفا لا يعرف التعليق أو التأقيت، وإنما يقوم على التنجيز والتأبيد، وذلك لأن تعليق صيغة هذا العقد يجعلها غير معبرة عنه تعبيرا يتلاءم مع أهميته ورسالته، بل قد يوحى هذا التعليق بلون من الاستهانة أو العبث والمخاطرة والمقامرة بعقد الزواج وعدم الجدية فى إنشائه..

وقد أثار الفقهاء وهم يتحدثون عن

والأنثى يجب أن تحكمها أصول ومبادئ تكفل بناء أسرة سعيدة، وإرواء غريزة فطرية على نحو من السمو والاعتدال والفضيلة، ولذا أحاط الإسلام الزواج بكل المبادئ والقيم التى تحفظ عليه منزلته وأثره فى الحياة البشرية، فيغدو وحده السبيل لبناء الأسرة كما يغدو كذلك السبيل المستقيم لإشباع الغريزة الجنسية.

ومن شواهد أهمية عقد الزواج وجلال قدره أنه يختلف عن غيره من العقود من حيث موضوعه ووجوب إشهاره، والاحتفاء به، وأن الأصل فيه التنجيز والتأبيد.

إن موضوع عقد الزواج هو الإنسان، والإنسان أكرم المخلوقات، وقد سخر الحق - تبارك وتعالى - له كل الكائنات، ولهذا تميز ذلك العقد بموضوعه تميزا يضعه على قمة العقود التى يمارسها الإنسان من حيث المنزلة والأهمية.

إن كل العقود التى تتم بين الناس - ما خلا عقد الزواج - لا يخرج موضوعها عن قضايا التعامل المالى، فهى عقود تيسر للناس وسائل العيش، وتبادل المنافع، وتحقيق التكامل والتكافل فى المجتمع، بيد أن عقد الزواج يمثل ارتباطا مشروعاً بين الرجل والمرأة، ارتباطا قوامه الرغبة المشتركة والمودة المتبادلة، ارتباطا يسمو بالغريزة الجنسية إلى أفق طاهر يثاب عليه الإنسان، ارتباطا يثمر بقاء النوع البشرى على الوجه الأفضل الى أجل معلوم،

المجتمع ورسالتها المقدسة في الحياة تقتضى أن يكون عقد الزواج مؤبداً، فضلاً عن أن الثَّاقِبَتِ في هذا العقد يجرد العلاقة الزوجية من معاني المودة والرحمة، والأبوة والأمومة، ويحصرها في نطاق الغريزة الجنسية وكأن العلاقة بين الذكر والأنثى في عالم الإنسان كالعلاقة بينهما في عالم الحيوان. وفي ذلك إهدار للكرامة الإنسانية، وتدمير للأسرة، التي هي عماد المجتمع والتي بقوتها يقوى ويشتد، وبضعفها يضعف وينهار^(٤).

وما دام لعقد الزواج تلك المنزلة والأهمية ومادامت له تلك الخصائص التي تميزه عن غيره من العقود، فما الأصل في مشروعية الطلاق الذي ينهي هذا العقد؟.

لقد اختلف الفقهاء في الأصل في مشروعية الطلاق، فبعضهم يرى أن الأصل فيها المنع حتى توجد حاجة أو ضرورة، لقوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَطَقْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ۝٥٠﴾

أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له

التنجز في صيغة العقد ما قد يشترطه أحد العاقدين من شروط في صالحه غالباً، فالصيغة تقع منجزة، ولكن يقرنها أحد العاقدين بشرط له فيه منفعة، وقد اختلفت آراؤهم حول هذه الشروط ومدى تأثيرها في صحة عقد الزواج، ولكنها مع هذا تلتقى عند إلغاء كل شرط دل على بطلانه دليل شرعي، كأن يشترطاً التوارث مع اختلاف الدين، أو يشترطاً عدم التوارث مع اتحاده، فإن الإرث وعدمه من الأحكام الشرعية التي يقتضيها العقد ولا دخل لأحد المتعاقدين في إيجادها^(٢).

فإن كان الشرط منافياً لمقتضى العقد فإنه يصح ويلغو الشرط، لأنه لا اعتبار له كما لو اشترطت المرأة على الرجل أن يسكنها في بيت أبيها، أو اشترط عليها ألا نفقة لها ولا مهر، فقبل كل منهما ما اشترطه الآخر.

أما إذا كان الشرط صحيحاً فإن العقد يصح، وكذلك الشرط.

وكما لا يصح في صيغة العقد التعليق أو اقترانها بشرط مناف لمقتضاه، لا يصح أن تكون هذه الصيغة دالة على تأقيت العقد بمدة محددة ينتهي بعدها، فوظيفة الأسرة في

(٣) انظر الزواج في الشريعة الإسلامية للأستاذ علي حسب الله ص ٤٤.

(٤) يذهب الشيعة الإمامية إلى أن زواج المتعة مباح، بل هو من القربات، ولكن حرمة هذا النكاح لاختلاف عليه بين أهل السنة قاطبة وكذلك الشيعة الزيدية (وانظر نكاح المتعة في الإسلام حرام للشيخ محمد الحامد).

(٥) الآية: ٣٤ في سورة النساء.



﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٩)

وفى هذا إشارة الى أن الطلاق خلاف الأصل فى العلاقة الزوجية، فالزواج أبدى لازم، ومالم تكن هناك ضرورة ملجئة للفرقة بين الزوجين كان المنع من الطلاق هو الأصل.

وما استدل به القائلون بغير ذلك يُرد عليه بأن نفى الجناح فى الآية منصب على الطلاق قبل التسمية وقبل الدخول، فالقيد هو الملاحظ، لأن نفى شئ مقيد بقيد يكون القيد ملاحظا فى النفى.

إن الفقه الواعى بأهمية عقد الزواج وخصائصه، والإدراك السليم للأصل فى مشروعية الطلاق يأتى على رأس التدابير الوقائية فى الشريعة الإسلامية، تلك التدابير التى تحمى الأسرة من التفرق والتمزق، وذلك لأن من يتمتع بهذا الفقه والإدراك لن يقدم على التلفظ بكلمة الطلاق إلا إذا أمست العلاقة الزوجية أوهى من بيت العنكبوت وكانت الفرقة بين الزوجين هى العلاج الأمثل لمشكلة عجزت كل محاولات الإصلاح عن علاجها أو حلها.

﴿يتبع﴾

عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها، ومن باب أولى ليس له طلاقها دون حاجة، فالطلاق فى هذه الحالة بغى عليها، وظلم لها، واتخاذها سبيلا للفرق الظالم حمق وجحود بنعمة الزواج.

وجاء ختام الآية تهديدا للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فلا يجوز أن يستعلى الرجل على امرأته، فالله بالمرصاد وهو العالى الكبير ينتقم ممن ظلم وبغى^(٦).

ومن الفقهاء من يذهب الى أن الأصل فى الطلاق الإباحة، ويحتج بقوله تعالى:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(٧).

ونفى الجناح معناه نفى الإثم، وذلك يقتضى الإباحة، كذلك يحتجون بأن أصحاب النبى ﷺ كانوا يطلقون ولا يسألون عن وجه الحاجة^(٨).

والراجع أن الأصل فى الطلاق الحظر، وأن الإباحة مقيدة بالضرورة، والدليل على ذلك أن الطلاق علق بإذا الشرطية فى قوله تعالى:

(٩) انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٤ ص ٤٧ ط قطر.

(٧) الآية: ٢٣٦ فى سورة البقرة.

(٨) انظر الأحوال الشخصية للشيوخ محمد أبو زهرة ص ٢٤٨.

(٩) الآية الأولى فى سورة الطلاق.



قيل البشائر الضجر

قصة العدد

للأستاذ / محمد سعيد العريان

- «أبي!»

- «سلمان!»

- «ما أريد يا أبي أن أكون بعد اليوم قطين النار!»

- «وي! ما تقول يا بني؟ لقد نذرتك للنار قبل أن تخرج إلى الحياة فأنت هبة

الرب إلى أبيك، وأنت وفائي للرب بما نذرت.

أضلالاً بعد هدى، وكفراً بعد إيمان...؟»

- «إن روحي لتتمرد على هذه العبودية؛ فما أرى هذه النار المعبودة تملك لي نفعاً أو

تمنعه؛ إنني أنا أوقدها وأذكيها، ولو شئت لصببت عليها ذنوباً من ماء يرد هارماً رطباً!»

- «أي بني، إنه دينك ودين آبائك. أي نازية نزت بك فتمردت على ربك؟»

- «هيهات مني ما تريد يا أبي، وبرغمي هذا العصيان! إن في السماء إلها يقتضيني

حقه من العبادة والتقديس، وإن صوته ليتهف بي في سدفه الليل، وفي وحدة القلق، وفي

ظلمة اليأس، فما أجد لي طاقة على الإفلات من صوت الله...!»

جثا الشيخ الأصهباني بين يدي ربه مطأطئاً رأسه في ذلة وانكسار، وبسط ذراعيه إلى النار

في ضراعة واسترحام يسأل الهدى لولده الذي يؤثره بالحب من دون ما يتمتع به من زينة

الحياة. وراح اللهب المتراقص يعكس على وجهه المتغضض أضواء تكشف عما يعتلج في نفس الشيخ

من حسرة وأسى.

وعلى مقربة من مجلس الشيخ جلس فتاه الأمرد «سلمان» معتمداً رأسه بين راحتيه وسبح في

أحلامه. كان ما يزال يرثى في أذنيه صدى تلك الأنعام الندبة التي سمعها منذ قريب في معبد المسيحية

على أطراف المدينة، فشغل بها عما أرسله أبوه لقضائه من حاجته.. وهفت نفس الفتى إلى زورة ثائية

لرهبان المعبد، يستمتع فيها بما استمتع منذ ليال من عذاب الأناشيد وحلو النغم، وبما يسمع من أحاديث

الرهبان عن الرب الموجود في كل مكان ولا تراه العين..



والتقى سلمان وأسقف الكنيسة في دمشق، فلزمه يستمع إليه ويأخذ عنه ويصلي معه؛ ولكن سلمان لم يجد في الأسقف ما كان ينتظر أن يجد في رجل نذر نفسه لله؛ لقد كان رجل سوء يأمر بالصدقة ويرغب فيها، فإذا اجتمع إليه شيء منها اكتنزه لنفسه فلا يتصدق به، فإن المال عنده لأكداس، وإن المساكين لعلى الأبواب يستندون الأكف ويبيتون على الطوى!

وضاقت نفس الفتى بما وجدت فلم يجد حيلة لنفسه مما يرهق نفسه، لقد فر من المجوسية إلى دين البر والرحمة والسلام، فما وجد عند أهله شيئاً من البر والرحمة والسلام، وعاد التمرد إلى الفتى وشغلته أشجانه فما يستبين طريق الرشاد..

- «أى ربى، إنك لتسمع دعائى، وإنى لأراك فى قلبى، ولكنى لا أجد سبيلاً إليك.. فى بيت النار سلخت بضعة عشر عاماً من الشباب التمس الزلفى إليك بين البخور والذهب فما بلغت إليك، وفى معبد المسيحية بين الهيكل والصليب وتماثيل القديسين ركعت التمس الزلفى إليك فما بلغت.. تنزهت يا رب أن تأمر بعبادة النار وإنها لجمر ودخان، وتقديست يا إلهى أن تكون عبادتى لك سجوداً للتصاوير وركوعاً للصليب، وخشوعاً لتمثال العذراء، وحرصاً على جمع المال فى القلال ليحرم منه الفقير والمسكين!..»

«ربى سألتك الهدى فأثر سبيلى!»



وغدا الفتى مع الصبح على الكنيسة، يشهد مع الرهبان صلاتهم ويستمع إلى أناشيدهم. لقد عاش قطين النار فى المجوسية بضع عشرة سنة لم يحس فيها بمثل هذا الجلال الروحانى الذى يغمره وهو يستمع إلى أناشيد النصرانية بين جدران هذا المعبد القائم على حدود الصحراء. فما فرغ الرهبان من صلاتهم حتى دلف الفتى إلى كبيرهم يسأله أن يعقد بينه وبين هذا الدين آصره...

وربت الراهب على كتف الفتى وهو يقول: «لله هذا الإيمان فى فتى مثلك ريان العود لم تفتنه مباحج الحياة عن معرفة الرب الأعظم.. ما اسمك يا فتى؟»

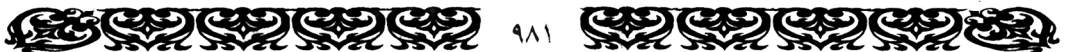
- «سلمان الفارسى!»

- «ليباركك الله يا سلمان وليمنحك

التوفيق والهدى!»

واعتنق سلمان النصرانية عن إيمان وتقى؛ ولكن الفتى لم يقنع بما أفاء الله عليه حتى يعرف أين أصل هذا الدين فيسعى إليه.

وفارق الفتى أصبهان وخلف وراءه مولده ومرباه، وأبأ له جاه وسلطان ومال، لم يكن أحد أحب إليه من ولده. وتلفت الفتى إلى وراء، فتحدرت على خديه دمعتان وهو يقول: «وداعاً يا بلادى الحبيبة، وداعاً لا أدرى متى ألقاك إلا أن يأذن الله!..» وتلاشت آخر كلماته فى زفرة حزينة، ثم طأطأ رأسه ومسح دمعته واستأنف سيره إلى دمشق، إلى حيث يعرف أصل هذا الدين..





دمشق، وراهب فى الموصل، وثالث فى نصيبين، ورابع فى عمورية من أرض الروم. قد تقدمت بهم السن حتى أشرفوا على الآخرة، ولكنهم جد حراس على الحياة، لأن لهم فى الحياة أمنية موروثة يستشرفون إليها من بعيد.

ولقى «سلمان الأصبهانى» أولهم فى دمشق فلزمه، فلما صفا بينهما المورد جلس الراهب يتحدث إلى فتاه:

- «أى بنى، إنها فتنة الحياة للأحياء، ولكن صبراً صبراً يا بنى؛ إن شعاعة من النور تلوح من بعيد، وإنه ليوشك أن يشرق بعدها صبح أزهر. هنا من هذه الصحراء سينبثق النور الأعظم الذى يغمر الدنيا ويشرق بالخير والسلام على البشرية كلها، إنه نبي قد أظلم زمانه.. يا ليتنى فيها جذع!..»

وانتفض الفتى وقد غمرته موجة من السرور فهزت أعطافه فمال على الراهب وقد أمسك بكلتا يديه يهزهما فى فرح ونشوة، وهو يقول:

«.. نبي قد أظلم زمانه؟ من هذه البادية؟ حدثنى يا أبى إن حديثك لينفذ إلى قلبى بكل مسرات الحياة:»

وابتسم الراهب وربت على ظهر الفتى وهو يقول: «صبراً، صبراً يا بنى.. إن حديث هذا النبى لمسطور فى فؤادى، وإنى به لمؤمن قبل مبعثه، إنها لأمنية الحياة يا بنى أن أعيش حتى أراه!..»

ولكن الراهب الشيخ لم تمهله المنية حتى يحقق أمله، فلم يلبث أن ذهب إلى ربه!

وكانت الفتنة تعصف عصفها فى كل مكان، والشهوات يتسلط سلطانها على كل نفس، والناس فى الشرق والغرب، فى فارس وقسطنطينية، وفى دمشق، وفى الحبشة وبلاد العرب، تعيش عيش البهم: لا وازع من دين، ولا حرج من ظلم، فلم ينبج من فتنة الشهوات إلا من عصم الله.. والفتى «سلمان» من أشجانه فى هم ناصب، يتوزعه الشك واليقين، يتعاوره الإيمان والكفر، ويرواح القلق بين نفسه فى وحدته واجتماعه، فما يجد له مناجاة من أشجانه إلا الصبر والاستسلام حتى يجد لنفسه فرجاً من ضيق..

وكان ثمة أربعة من الرهبان جمعتهم على دين الرب عقيدة راسخة، وقلوب عامرة، وإيمان بالله وطيد، وكان لهم فى كل عام مزار يجتمعون إليه أياماً ثم يذهب كل إلى واديه. كانوا من الصلاح والخير وصفاء النفس بقية من الحواريين المخلصين، عرفوا دين السلام عرفان الحق، فاقاموا على هدى المسيح خالصاً يعبدون الله لا شريك له، فاطمأنت نفوسهم على قلق الحياة، واستراحت قلوبهم على شغب الفتنة، فأصموا آذانهم عما ابتدع الرهبان فى الدين وما زادوا ونقصوا، فبقوا على المسيحية الأولى حنفاء لله، يدعون إلى الله ما قدروا على الدعوة، أو يلزمون صوامعهم لتسيب الديان.



واستجاب الله دعاء «سلمان» فوصل بهم حبله ليهدوه سبيل الرشاد.

كانوا أربعة تفرقت بهم البلاد: فراهب فى





للإنسان منقذاً من ضلالها يهديها سواء السبيل؟»

«أراك تعرف بعض ما أعرف يا بني، وإنك لتستشرف إلى أمل قريب.. إن نبيا قد أظل أوانه، إن لم يكن فكأن قد.. ياليت لي فسحة في العمر حتى أراه فأؤمن به! إن موجة الإصلاح ستمد مداها عما قريب من هذا الجزيرة العربية حتى تفيض على البشرية جميعها من برها خيراً ورحمة، وستغسل هذه الموجة أدران البشرية وتمسح على قلبها بالطهر القدسي حتى يمتلئ العالم سلاماً ومحبة.

«سيمتد بك العمر يا بني - إن شاء الله - حتى ترى هذا النبي، فلا تتلبث في اتباع دعوته، إنه يدعو إلى خير الدنيا وخير الآخرة.. أترك ستعرفه يا بني حين تلقاه إن وصفت لك من خبره...؟»

وآثر راهب الموصل جوار الله، وخلف الفتى الفارسي وليس معه إلا ربه، فأزعم الرحلة الثالثة إلى نصيبين.

وأقام «سلمان» عند راهب نصيبين ما شاء الله أن يقيم، لا يشغله من دنياه إلا ذكر الله، وأمل جياش يخفق به قلبه الكبير، أن يرى ذلك النبي الكريم الذي تنميه الصحراء لينشر الخصب والرخاء في ربوع البشرية ويغسل نفوس الإنسانية من أدران الشهوات.

ثم هاجر هجرته الرابعة إلى عمورية بعد ما فارق صاحب نصيبين إلى جوار ربه..

«.. أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه

عاد السلام والأمن إلى قلب الفتى الفارسي، وتقشعت ظلمات الشك والحياة في نفسه، ولكن الأمل الجديد الذي بعثته في نفسه كلمات الشيخ لم تدع له أن يستقر، فقرر رحلة ثانية من دمشق لعله يعرف جديداً من راهب الموصل عن النبي الذي أتى وقته ليرسم للإنسانية الضالة حدود سعادتها في معاني البر والرحمة والمساواة!

فتى لدن العود غرض الإهاب، يهاجر هجرتين في سبيل الله، من أصبهان إلى دمشق، ومن دمشق إلى الموصل، وليس معه مال ولا زاد، إلا الإيمان والتقوى وقلب عامر بمحبة الله، وقد خلف وراءه المال والأهل والسيادة، وأباً لم يكن أحد أحب إليه من ولده!



«سيدى»

«ممن أنت يا فتى؟ إن في وجهك لنضرة أبناء الدهاقين والسادة، ولكن عليك من عناء السفر مثل أبناء السبيل!»

«سيدى!...»

«سمعاً يا بني!»

«أنا رسول (فلان) إليك - يرحمه الله - أفتأذن لي أن أقيم عندك لأخذ عنك من أمور ديني...؟»

«سهلاً وكرامة يا ولدى، بارك الله عليك!»

«أبى، إن الفتنة لتعصف عصفها، وإن شهوات الناس لتبلغ بهم مبلغ الحيوان، أفترى



بعدي، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث
بدين إبراهيم - عليه السلام - يخرج بأرض
العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين، بينهما
نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا
يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة. فإن
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ..»

«يا لأبي الشيخ المسكين! يا لوطني الذي
فارقت منذ سنوات ولا أدري متى أعود إليه ..
رب، في سبيلك هجرتي وإليك وجهت
وجهي، فاكتب لي الكرامة والظفر ب لقاء
نبيك المختار، وأسبغ رحمتك يارب على
أصبهان. إن في أصبهان أبي. وإن لي
بأصبهان هوى الحبيب إلى الحبيب...!»



ومضى الراكب إلى غايته، فلما بلغ وادي
القرى، همس الراكب بعضهم إلى بعض
يتآمرون على الفتى الفارسي، فباعوه من
رجل يهودي عبداً...!

لقد بلغوا بالفتى حيث أراد ولكنهم
جعلوا غلاً في رقبته، والفتى راض صابر، لأنه
مؤمن بقضاء الله، لأن له أملاً يريد أن يبلغ
إليه فلا عليه مما يناله في سبيله .. رحمة الله
له!

وأرسل الفتى أذنه وراء كل اثنين
يتهاامسان، لعله يسمع نبأ عن النبي
العربي .. وبلغ في النهاية ما أراد: هذه هي
الأرض الموعودة، أرض بين حرتين، بينهما
نخل به علامات لا تخفى، إنها هي، فأين
هو؟ فإنه لفى رأس عزق يعمل فيه ذات يوم
لسيده بعض العمل، وسيده جالس تحته، إذ
جاءه النبأ:

وأقام سلمان بأرض عمورية ما شاء الله وهو
يعمل لمعاشه، وإن الأمل العذب في لقاء النبي
العربي ليداعبه في يقظته وفي أحلامه،
 واجتمع له مما يعمل بقرات وغنيمة، فظل
يتربص حتى مر به نفر تجار من العرب،
فساومهم أن يعطيهم بقراته وغنيمته ويحملوه
إلى بلاد العرب .. وسار الراكب منطلقاً إلى
الصحراء يحمل سلمان إلى أرض الميعاد...!

يا للفتى مما احتمل في سبيل الله!

خمس رحلات بلا زاد ولا مال، وليس له
من أمل في دنياه إلا ربه، وكل شأن من شئون
الحياة يتصاغر في عينيه حتى أهله ووطنه
وجاه أبيه...!

العثير تثيره الرياح إلى الخلقوم والخياشيم،
وذرات الرمال الساخنة تلطم الوجه بمثل
أطراف الإبر، والشمس الحارة ترسل من
أشعتها سهاماً من نار تشوي الوجوه والأقفاء،
والماء في القرب يوشك أن يجف من حر
الصحراء، والحادى يحدو البُعران في طريق لم
يزلل بعد للأسفار، والفتى على بعيره شارد
الفكر مذهب اللب.

هذه رحلته الخامسة في سبيل الله، وقد
خلف الدنيا كلها وراءه لا يقيم لها وزناً ولا





وطغى شعور الفرح على سلمان حتى
أنساه قيد الرق وذل الإِسار، فسار خلف
النبي يتبعه لينظر منه شيئاً قد بقى من
أمارات النبوة. فإن النبي ليمشى إذ انحسر
رداؤه عن ظهره فرأى ..

وتحقق الوعد المأمول فما تلبث الفتى حتى
أكب على النبي الكريم يقبله ويبكى ..

وآمن سلمان الفارسي بأن محمداً رسول
الله ﷺ وانبثق الفجر الذي كان يرقب
شروقه منذ سنوات وسنوات، وأضاء في قلبه
النور الذي غمر البشرية كلها فحدد لها
حدود سعادتها ورسم لها غايتها. ولم يمت
سلمان حتى انتشر الصبح وأشرق على ربوع
فارس وأصبهان، وانتظمتها الدولة الإسلامية
فصارت جزءاً من الوطن الإسلامي الذي
يعيش فيه سلمان الفارسي.

وما زال النور ينتشر وينتشر حتى عم أقطار
الأرض. ومات محمد بن عبد الله ولكن
شريعته ظلت باقية تمد مداها ذات اليمين
وذات الشمال، حتى عبرت المحيط، وجازت
الجبال، وحطمت الحدود، وأزالت السدود،
ورسمت حدود «الدولة الإنسانية» التي
ما زال المصلحون يعملون جاهدين ليلبغوا إلى
تحقيقها كي يعم السلام الأرض وينتشر الأمن
والرخاء، ولن يلبغوا إلى تحقيق هذه «الوحدة
الإنسانية» إلا أن يعملوا على شريعة محمد.
حينئذ تُمحى الجنسيات، وتزول العصبية،
ويذهب الطغيان، ويعيش الناس إخواناً
متحابين كما ينبغي أن يعيش أبناء
الإنسانية.

هذا رجل قادم يتحدث إلى سيده حديثاً ذا
بال: «إن بنى فلانة مجتمعون اليوم بقاء على
رجل قدم عليهم من مكة يزعم أنه نبي ..!»
يا للبشرى أيكون هو النبي الموعود؟

وسمعا الفتى فانتفض انتفاضة أو شك
منها أن يسقط على سيده، فما هو إلا أن
تمالك حتى نزل عن النخلة يستمع النبأ.

— «ماذا تقول يا رجل؟»

هكذا أقبل سلمان على القادم يستنبئه
وإن سيده ليشهد. فما إن سمعه يسأل حتى
غضب فلكنه لكمة شديدة وهو يقول:

«مالك ولهذا؟ أقبل على عملك!»

قال سلمان: «لا شيء، إنما أردت أن
أستبته عما قال!» ثم دار على عقبه ليخفي
عبرة تنحدر على خده، وإن صدره ليجيش
بعواطف شتى. فلما كان المساء جمع شيئاً
من طعام كان له ثم ذهب إلى محمد بقاء:

«سیدی، إنه قد بلغني أنك رجل صالح،
ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا
شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من
غيركم!..»

وتناول النبي الكريم من يد الفتى الفارسي
ما قدم إليه، فدفعه لأصحابه لم يأخذ شيئاً
منه. وتحققت للفتى أمانة ..

ثم انصرف الفتى فجمع شيئاً وعاد إلى
رسول الله يقول: «سیدی، إنني قد رأيتك لا
تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها!..»
فمد النبي إليها يده فأكل وأكل أصحابه
معه. وتحققت أمانة ..



طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

قال علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - : لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر، وقال الخطيئة: من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس
وقال آخر:

يد المعروف غنم حيث كانت
تحملها كفور أم شكور
ففى شكر الشكور لها جزاء
وعند الله ما كفر الكفور

لأنك تابع

عدا كلب وراء غزال، فقال الغزال:
إنك لن تلحقنى، قال الكلب: ولم؟ قال
الغزال: لأنى أعدو لنفسى، وأنت تعدو لصاحبك.

أذكريوم الأذان

دخل رجل فى جماعة من الناس على سليمان بن عبد الملك وهو جالس للعامّة، فقال: يا سليمان أذكرك يوم الأذان، فارتاع لما دعاه باسمه، وقال: ويحك، وما يوم الأذان؟ قال: قول الله - عز وجل -:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن مَّوَدَّنَ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١)

فبكى سليمان، وقال: ما حاجتك؟ فقال: أنا جار فى ضيعتك الفلانية، وقد ظلمنى وكيلك، فأضر ذلك بى وبعيالى، قال: قد وهبت لك الضيعة، وكتب إلى وكيله بتسليمها إليه.

حقاً

إحرص على ود القلوب من الأذى
فرجوعها بعد التنافر يعسر
إن القلوب إذا تنافرت ودها
مثل الزجاجه كسرها لا يجبر

(١) الأعراف ٤٤.



الناس ثلاث طبقات

قال أنو شروان: الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات؛ طبقة هم خاصة الأبرار نسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة هم خاصة الأشرار نسوسهم بالغلظة والعنف، وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة، ولا يبطرهم اللين.

قالوا..

من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون، ومن تتبع مساوىء العباد فقد نحلهم عرضه قال الشاعر:

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا
فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

دعاء

اللهم يا أبصر الناظرين، ويا أسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين: أغثنى بالعلم وزينى بالحلم، وأكرمنى بالتقوى، وجملنى بالعافية.

هذا أشعر الناس

من لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة، وقد نعى خبر المهدي أنه مات، وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته: مات الخليفة أيها الثقلان.

فقالوا: هذا أشعر الناس، فإنه نعى الخليفة إلى الإنس والجن فى نصف بيت، وممدت الناس أبصارهم وأسماعهم إليه، فقال:

فكاننى أفطرت فى رمضان

قال: فضحك الناس وصار شهرة فى الحلق

نادرة للعز بن عبد السلام

حكى أن شخصا جاء إلى الشيخ العز بن عبد السلام الشافعى سلطان العلماء، فقال: رأيتك فى المنام تنشد:

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة

ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال: فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة، فإن هذا الشعر لكثير عزة، وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة، فإننى سنى وهو شيعى، وأنا طويل وهو قصير، وشاعر ولست بشاعر، وأنا سلمى وهو خزاعى، وشامى وهو حجازى، فلم يبق إلا السن فأعيش مثله، فكان كذلك.



الحلم والصفح

من صفات الرسل والأنبياء

لفضيلة الشيخ / فوزي الزرفان

٢

لقد كان رد قوم شعيب عليه هو : عدم استجابتهم لما يدعوهم إليه ، بل كان ردهم طافحا بالاستهزاء به والسخرية منه ، فقد قالوا له : يا شعيب إن كانت صلاتك تأمرك أن تترك عبادة الأصنام ، وتأمرك أن تترك ما تعودنا على فعله في أموالنا من التطفيف في الكيل والميزان فصلاتك في نظرنا لا قيمة لها ولا وزن عندنا .. وزيادة منهم في السخرية منه ، والاستهزاء به والتهكم عليه - عليه الصلاة والسلام - قالوا له : إن ما تأمرنا به من ترك عبادة الأصنام ، ومن ترك النقص في الكيل والميزان لا يتفق ولا يطابق حالك وما اشتهرت به بيننا من أنك الحليم الذي يتأنى ويتروى في أحكامه ، الرشيد الذي يرشد غيره الى ما ينفعه !! أي أن هذين الوصفين لا يليقان بك ما دمت تأمرنا بذلك ، مع علمك اليقيني بأن هذين الأمرين قد بنينا عليهما حياتنا ، وإنما اللائق بك أن تتصف بأضدادهما : أي تتصف بالجهالة والسفه .. فعكسوا صفاته الحقيقية ليتحكموا عليه ..

ومادمتُ أستطيع ذلك وأقدر عليه فلن أقصر في إسداء الهداية لكم ، ثم يفوض الأمور كلها بعد ذلك إلى الله ، فهو وحده الذي عليه أتوكل وأعتمد في كل شئوني ، وهو وحده الذي إليه أرجع في كل أموري ..

ثم توضح آيات القرآن الكريم - التالية لهذه الآيات الكريمة - معاودة شعيب -

ولكن مع كل هذه السفاهة التي قوبل بها شعيب من قومه ، نرى شعيبا - عليه الصلاة والسلام - «لأنه الحليم الرشيد حقيقة» يتغاضى عن سفاهة قومه ، لأنه يدرك جهلهم وعنادهم ، وفي الوقت نفسه يؤمن بقوة الحق الذي أتاهم به من عند ربه ، فيوجه حديثه إليهم بأنه لا يريد إلا إصلاحكم وسعادتكم ،



عذاب الله - الذى نزل عليهم بعد ذلك - على النحو الذى ورد فى القرآن الكريم فى بقية الآيات السابقة. «سورة هود الآيات من ٨٩ - ٩٥، وما ورد فى سورتي : الأعراف والشعراء»...

وتنتقل آيات القرآن الكريم إلى سورة أخرى من سورة لتحكى لنا عن نبى آخر من أنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليه أجمعين - وصفه القرآن الكريم بصفة الحلم، وهو سيدنا إسماعيل، يقول الله - تعالى - على لسان سيدنا إبراهيم - عليه السلام :

﴿رَبِّهِمْ إِلَىٰ مِنَ الصَّلَاحِينَ﴾
﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي إِنِّي آتٍ فِي الْعَنَاءِ إِنِّي أَذْهَبُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُذِيَ لَهَا فِي الْبُحْرِ وَتَدْنِي أَن يَأْتِيَهَا بِرَهِيمٍ ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكَ الْخُبْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿إِن هَذَا لَمَوْءٌ أَبْلُوكَ أَلَيْسَ﴾ ﴿وَقَدْنِي بِذَنْبٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١).

فتصف لنا هذه الآيات الكريمة سيدنا اسماعيل - عليه الصلاة والسلام - بصفة الحلم، وسيدنا اسماعيل هو الذى استجاب الله لدعاء أبيه سيدنا إبراهيم بأن يهب الله له ولدا صالحا يستعين به فى نشر دعوة التوحيد، فبشره الله على لسان ملائكته بغلام ذكر من صفاته أنه يكون حليما.

وعندما نتابع الحوار الذى دار فى هذه

عليه الصلاة والسلام - مخاطبة قومه بأسلوب مهذب حكيم، ناصحا لهم، منشطا لذاكرتهم بأن يتذكروا مصارع السابقين من أقوام سبقتهم كذبوا رسلهم : ما أصاب قوم نوح من غرق، وما أصاب قوم هود من ريح دمرتهم، وما أصاب قوم صالح من صيحة أهلكتهم.. فإذا لم تتعظوا بذلك فاتعظوا بما أصاب قوم لوط من عذاب جعل أعلى مساكنهم أسفلها، وهو حدث قريب منكم فى الزمان والمكان «فزم لوط - عليه السلام - كان غير بعيد من زمن شعيب - عليه السلام - وديار قوم لوط كانت قريبة من ديار قوم شعيب».. فاتحاً لهم باب الأمل فى التوبة والاستغفار..

غير أن القوم كانوا قد بلغوا من الفساد نهايته، ومن الجهل أقصاه، ومن التحدى والتكذيب ما لا يؤمل فيهم رجاء، ومن الاستهانة بشعيب، وإظهار ضعفه ما يؤكد غرورهم وبطرحهم، فيقولون له بكل كبر وتعال : إنه لولا عشيرتك التى هى على ملتنا وشريعتنا لرجمناك بالحجارة حتى تموت، ولكن مجاملتنا لعشيرتك التى كَفَرَتْ بك هى التى جعلتنا نُبقَى عليك، وما أنت علينا بمكرم، أو عزيز، أو محبوب، أو قوى، حتى نمتنع عن رجلك، بل أنت فينا الضعيف المكروه..

وهنا نجد شعيباً - عليه السلام - يغير فى أسلوب مخاطبته لهم، فيهددهم بوقوع

(١) الصفات (١٠٠ : ١٠٩).



تفصيلاً، ولذا سأشير الى بعضها كأمثلة، ومن رغب فى المزيد فليرجع الى كتب السيرة النبوية فسيجد فيها ما يروى ظمأه ويشفى صدره وتقربه عينه ويطمئن به فؤاده..

عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال «لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة، إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يُجِبْنى إلى ما أردت، فانطلقت. وأنا مهموم على وجهى، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظَلَّتْنى، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فنادانى فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلم علىَّ ثم قال : يا محمد، فقال : ذلك فما شئت، إن شئت أن أُطبِقَ عليهم الأُخْشَبِينَ، فقال النبى ﷺ : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبُد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : أستاذن رهط من اليهود على النبى ﷺ، فقالوا : السَّامُ عليك. فنقلتُ : بل عليكم السَّامُ واللعنة، فقال : يا عائشة أن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله قلت : أو لم تسمع ما قالوا؟ قال : «قلتُ : وعليكم»^(٢).

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أنه

الآيات الكريمة فى شأن تنفيذ رؤيا الذبح، بين سيدنا ابراهيم - الرجل الكبير الطاعن فى السن الذى تمتى الولد على كبر فحقق الله له هذه الأمنية ثم يؤمر بأن يذبحه بيده - وبين ولده اسماعيل - الذى هو فى أولى مراحل الشباب فقد كان سنه فى ذلك الوقت ثلاث عشرة سنة، ونقرأ بتفكر وتدبر وإمعان رد اسماعيل - الصريح الواضح - على أبيه بالامتنال لأمر الله، وطلبه من أبيه أن يفعل ما أمر به، وأنه سيجده إن شاء الله من الصابرين المستسلمين لقضاء الله وقدره، الذين يتحملون البلاء بثبات إيمان، ندرك معنى ربط بشارة سيدنا ابراهيم بأن الله سيهب له ولدا، واتصاف هذا الولد بصفة الحلم.

وقد ذكر المفسرون آية اسماعيل - عليه السلام - لما همَّ أبوه بذبحه قال له : يا أبت أشدد رباطى حتى لا اضطرب، واكفف عنى ثيابك حتى لا يتناثر عليها شئ من دمي فتراه أُمى فتحزن، وأسرع مرَّ السكين على حلقي ليكون أهون للموت علىَّ، فإذا أتيت أُمى فاقرأ عليها السلام منى».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذجاً فريداً، ومثلاً طيباً، وقدوة حسنة فى التحلى بالحلم والصفح، وقد حفلت السيرة النبوية بالكثير من أقواله وأفعاله التى تنطق بأنه ﷺ بلغ فى التحلى بالحلم والصفح مرتبة لا يدانيها بشر، ولن يتسع المقام لبيانها

– جروا خلفها – فلم يزيدها إلا نفورا، فناداهم صاحبها، فقال لهم : خَلُّوا بيني وبين ناقتي، فإنني أرفق بها منكم وأعلم.. فتوجه لها بين يديها فأخذ من قمام الأرض، فردّها حتى جاءت واستناخت، وشدّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال، فقتلتموه دخل النار»^(٤).

إن الرسول الحكيم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابي أول الأمر، فقد عرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة في التعبير والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم – ولما كانت ظلما – ولكن في الوقت نفسه لن يسلم من عاجلوا بالعقوبة بعد ذلك من النقد والتجريح والذم.. وقد تتفاقم الأمور وتتدخل فيها العصبيات والقبليات وتسفك بسبب ذلك الدماء.

لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم وحلمهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم إلى الخير، ويطلقوا ألسنتهم تلج بالثناء.

وهكذا الرسل والأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام يلهمهم الله – سبحانه وتعالى – في جميع مراحل حياتهم ما يجعلهم في أعلى درجات السمو النفسى، واليقين القلبي، والكمال الخلقى.

قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نَجْرانيٌّ غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثّرت بها حاشيةُ البرد من شدة جذبته ثم قال : يا محمد مُرّ لي من مال الله الذي عندك، التفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء»^(٣).

وقد أراد الرسول ﷺ أن يُعلّم أصحابه هذا الدرس فى الأناة وضبط النفس والحلم والصفح : فروى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه الرسول ﷺ ثم قال له : أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ قال الأعرابي : لا، ولا أجملت !! فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار ﷺ إليهم أن كُفُوا.. ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئا، ثم قال له : أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له الرسول : إنك قلت ما قلت آنفا، وفي نفس أصحابي من ذلك شئ، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ حتى يذهب ما فى صدورهم عليك !! فقال الإعرابي : نعم، فلما كان الغد جاء، فقال النبي ﷺ : إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضى، أكذلك، – موجهها حديثه الى الإعرابي – قال : نعم فجزاك الله خيرا من أهل وعشيرة خيرا...

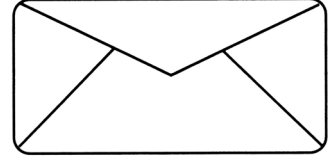
فقال رسول الله ﷺ : « مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس

(٤) إتحاف السادة المتقين ١٣٨/٧.

(٣) فتح البارى ٢٥١/٦.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد جمعان



الرسالة الأولى في هذا العدد وردت من قارئ لم يذكر اسمه وأرسل مع رسالته القصيرة صفحات مصورة من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للشيخ الجزيري من كتاب «النكاح» في الجزء الرابع الذي يذكر فيه حكم النكاح قائلًا (النكاح ترد عليه الأحكام الشرعية الخمسة: الوجوب والحرمة والندب والإباحة والكراهة ويفصل ذلك كماداته بذكر آراء المذاهب فيما أجمل.

ويقول السائل في رسالته الموجزة: ما المقصود أولاً، بالكسب الحرام هل هو كسب الزوج فقط أو يدخل فيه كسب والدي الزوجين، ثانياً، عندما يكون الزواج حراماً هل يكون الزواج - يقصد العقد - صحيحاً أم لا؟)

واجابة على السؤال الأول في هذه الرسالة أقول وبالله التوفيق:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (١).

أما المهر فهو فرض بنص الكتاب الكريم قال تعالى:

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَمَا فَكُّهُنَّ مِنْكُمْ رِجَالًا﴾ (٢).

لعل السائل يقصد بالمال هنا المال المدفوع مهرًا للزوجة وما جهزت به لتأثيث بيت الزوجية.

وبداية أقرر أن من مفاخر الإسلام وحسن رعايته للمرأة واحترامه لها أن أعطاهما حقها في التملك بعد أن كانت في الجاهلية مهضومة الحق لا يدع لها وليها فرصة التملك قبل الزواج ولا يدع لها زوجها هذا الحق بعد الزواج.

فجاء الإسلام الحنيف وفرض لها المهر وجعل لها نصيباً في الإرث قال تعالى:



ولم يجعل الإسلام حداً أقصى للمهر قال تعالى:

﴿وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَنْتَبِذُوا نِكَاحَ رُجُوعِ نِكَاحَاتِكُمْ وَأَنْتَبِذُوا إِتْحَادَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمْ أَخَذْتُمْهُنَّ وَأَتَمَّمْتُمُنَّ﴾ (٣).

وهذا المهر المفروض إلى جانب أنه يحقق الذمة المالية للمرأة يجعلها طيبة النفس راضية بقوامة الرجل عليها قال تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (٤).

وبداهة نقول: إن هذا المهر مطلوب من الزوج للزوجة فلا تكلف المرأة بشئ من المال في الزواج حتى نفقتها، فقد قرر العلماء أن المرأة ولو كانت غنية تجب نفقتها على زوجها لقوله تعالى:

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (٥). وقول الرسول ﷺ «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (٦). والنفقة المفروضة للزوجة على الزوج تشمل الطعام والشراب والكسوة والمسكن والخادم والدواء.

مما سبق يتبين أن المرأة لا تكلف بشئ من مالها في الزواج لاقبله ولا بعده، وعليه فالمراد بالمال الحلال مال الزوج، أو مال وليه، ومع

ذلك يجب أن يراعى أن يكون مال الزوجة من حلال فربما طابت نفسها عن شئ منه لزوجها أو أطعمت بعض أولادها منه فيكون ما أكله هو وأولاده حلالاً.

وبالنسبة للإجابة عن الثاني نقول: إن الزواج المحرم الذي ذكره الشيخ الجزيري في كتابه كما ذكره غيره من العلماء في كتبهم هو الذي يكون الزوج فيه غير قادر على أعباء الزواج من جماع ونفقة وخاف إن تزوج أن يقع في المحذور كأن يجد نفسه مضطراً إلى كسب رزقه من طريق غير مشروع، فإنه يحرم عليه الزواج في هذه الحالة ويجب عليه ألا يقدم على الزواج صيانة لدينه حتى تتوافر له أسبابه أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً عملاً بقول الرسول ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (٧). والباءة تكاليف الزواج وأعباءه ومع أن هذا الزواج محرم لكن إذا أقدم عليه الزوج أو الشخص الذي حالته كذلك وتم الزواج بشرطه من ولى ومهر وإيجاب وقبول وشاهدين، فالزواج صحيح وتترتب عليه آثاره الشرعية، ويجوز للزوجة حينئذ أن تطلب الطلاق فإن أبى الزوج أن يطلقها جاز لها أن تطلب التطليق من القاضي بسبب عدم القدرة على المعاشرة

(٤) النساء «٣٤».

(٦) البخارى ٣/٧.

(٣) النساء «٢٠».

(٥) الطلاق «٧».

(٧) شرح السنة ٢٢٤/٩.



الجنسية أو بسبب عدم القدرة على الإنفاق والله أعلم.

والرسالة الثانية في هذا العدد وردت من القارئ الذى يرمز لاسمه بـ «و.ع» من منوف محافظة المنوفية يقول فيها: لقد تخرجت فى إحدى الكليات النظرية ولم أتمكن من الحصول على عمل، وأشار على البعض باللجوء إلى أحد الاشخاص الذى يستطيع تعيينى فى وظيفة حكومية مقابل الحصول على مبلغ من المال وقد فعل هذا مع الكثيرين فهل هذا الأمر جائز شرعاً، أم أنه يقع فى نطاق الرشوة؟ وعليه فهل أقبل هذا العمل أم لا؟ أفيدونا أفادكم الله.

- وقبل أن أجيب الأخ السائل عن سؤاله أود أن أقول له: إن الحصول على الشهادة من كلية أو أى جامعة ينبغى أن لا تكون وسيلة إلى الوظيفة بل المفروض أن يكون التعليم غاية لا وسيلة.. غاية للتكوين والتثقيف، فإذا سلك المتعلم الذى حصل على شهادة سبيل العمل أيا كان نوعه أعانه ذلك على الإتقان فيه والتبريز والتجويد ولعلك يا أخى سمعت عن قمم العلماء الذين كانوا ينسبون إلى حرف وأعمال لا تمت إلى العلم الذى نبغوا فيه بأى صلة كالقفال والنجار والحداد وما إلى هؤلاء العلماء الأفذاذ، لكن الشباب فى

مصر تعودوا على أن من حصل على شهادة يجب أن يعمل بها وإلا فلا فائدة لهذه الشهادة، عملاً بالحكمة التى ورثناها من أجدادنا من قديم الزمان (إن فاتك الميرى تمرغ فى تراهه).

والآن جاء دور الإجابة عن سؤال الرسالة وقل لى بربك: إن لم يكن ما يأخذه منك هذا الشخص من مال لتعيينك رشوة فماذا يكون؟! وهل يفعل هذا مع كل الناس بلا مقابل؟! طبعاً لا، وإذن فأنت الراشئ وهو المرتشئ والشخص الذى ذلك عليه هو الرأش بينكما أو الوسيط وقد جاء فى الأثر «لعن الله الراشئ والمرتشئ والرأش بينهما»^(٨). وقال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٩)
قال كثير من المفسرين: إن المراد بقوله:

﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ هو أموال الرشوة التى يقدمها الراشئ إلى الحاكم أو غيره ليحصل على ما ليس له.

فإذا كنت مضطراً إلى هذا العمل ولا سبيل لك إليه إلا هذه الطريقة فالحرمة تقع على المرتشئ وحده بشرط ألا تحصل على عمل هو من حق غيرك، هذا والله أعلم وبه التوفيق.

(٩) البقرة (١٨٨).

(٨) ابن عدى ٢٠٠٩/٥.

من أصول تربية النشء

للمستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

تربية النشء مهمة دقيقة لا يقوم بها إلا من فهمها حق الفهم ولهذه التربية أصول مرعية وآداب شرعية أدرکها سلفنا الصالح بثاقب رأيهم وبعيد نظرهم وبصيرتهم التى تستقى من الكتاب والسنة ما يوائم كل عصر.

ونقدم فى هذه العجالة أمثلة ثلاثة تربي فيها النشء على الجرأة المهيبة والشجاعة الأدبية التى تنأى عن التهور والاندفاع فى أسلوب يتخذ من كريم السجایا وحميد الخصال دستوراً لا يحيد عنه فقد روى الإمام مسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقدح فيه شراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء فقال الغلام لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحداً فقله رسول الله ﷺ فى يد الغلام أى وضعه فى يده فانظر رعاك الله كيف يستأذن الرسول ذو المقام الرفيع من الغلام الصغير وكيف يرد الغلام فى أدب جم.

وأما المثل الثانى فيتضح فيه شفقة الأب وحب لولده بالإضافة إلى فقه الابن وحرصه الشديد على رضا أبيه فى أسلوب يشى بتربية خلقية رفيعة فقد دمت عين عمر بن عبدالعزيز وهو يرى ولده عليه ثوب خرق فى يوم عيد انه منظر يثير الشفقة والتحسر فرآه ولده على هذه الحال فقال ما يبكيك يا أمير المؤمنين قال يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذه الثوب الخرق البالى فقال يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وإنى لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عنى رضاك فما أشد حرصهم على طاعة الله وابتغاء مرضاته فى الأعمال الدنيوية والأخروية.

وأما المثل الثالث فظهر فيه مقارعة الحجة بالحجة واستخدام المنطق بكيفية لا تخالف الذوق السليم وتصطبغ كياسة وذكاء وفطنة نحس منها استيعاب المخاطب لما يقول فقد دخل وفد المهنيين على خامس الخلفاء الراشدين فى أول خلافته فتقدمهم غلام صغير لم يتجاوز عمره إحدى عشرة سنة فقال عمر ارجع أنت وليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام أيد الله أمير المؤمنين، إنه افتتاح جميل يعطى كل ذى قدر قدره ثم يواصل الغلام فيقول المرء بأصغريه قلبه ولسانه إنه يذكركنا بقول الإمام على المرء مخبوء تحت طلى لسانه لا تحت طيلسانه ثم يستطرد الغلام قائلاً فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام.

إنها مسوغات منطقية وحجج عقلية مقبولة تمهد لما يلى من الكلام حيث يقول الغلام، ولو أن الأمر بالسن لكان فى الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا ويقبل أمير المؤمنين فى رضا وتواضع نعم أليس هو عمر بن عبدالعزيز! وبعد: فإن تربية النشء على الأخلاق الفاضلة مهمة لا يقوم بها إلا من فهمها حق الفهم وأدرك أن التربية السليمة أساس كل تقدم حضارى.

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ

اعداد الأستاذ / محمود الفشتي

فى غزة

إسرائيل تضرب الأطفال بالطائرات

هذا ما تحدث الأستاذ عنه عباس الطرابيلى
رئيس تحرير الوفد فى افتتاحية يوم الخميس
٢٥/٧/٢٠٠٢ حيث قال:

واضح أن إسرائيل عجزت عن اصطيد
الرجال .. ففكرت فى اصطيد الأطفال .. وإذا
كانت إسرائيل تشكو لطوب الأرض من نفس
أتوبيس أو ملهى ليلى أو محطة باصات، فإن
إسرائيل لم تعد قادرة على مواجهة رجال
فلسطين .. ففكرت فى أن تواجه أطفال
فلسطين.

وما بين الرضاعة دنيا رامى مطر «شهران»
والصبية إيمان شحاتة «١٤ عاما» كان أطفال
فلسطين هم الهدف العسكرى الذى وجهت
إسرائيل أبشع أسلحتها وهى الطائرة المقاتلة «إف
- ١٦» ولم ترتكب إسرائيل هذه المجزرة برشاشات
هذه الطائرة المرعبة ولكنها نفذت من خلال قنابل
زنة الواحدة ١٠٠٠ كيلو جرام .. وتخليلوا قنبلة
بهذا الوزن وما تحدثه من دمار فى الحصون ..

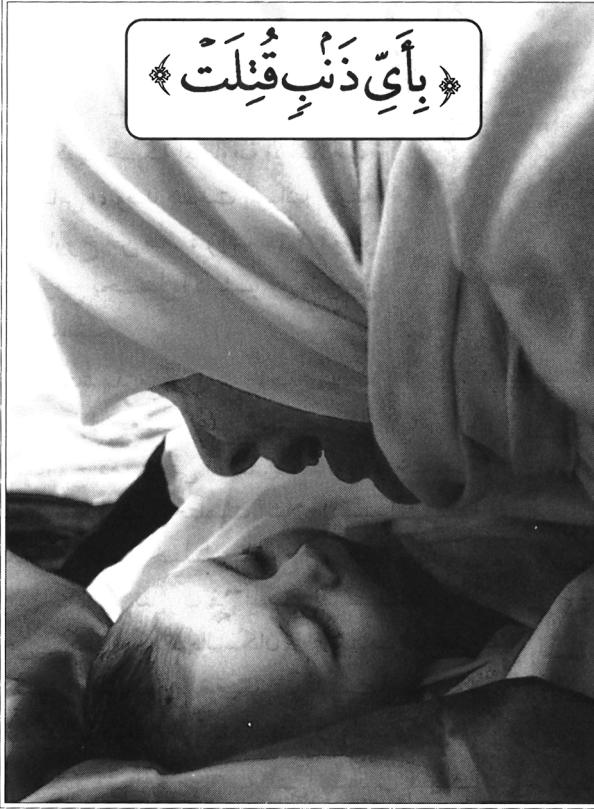
وعدد شظاياها الرهيبة وما تحدثه فى بيوت من
طوب وأسقف من صفيح .. وكان أن اختلطت
دماء الأطفال بطعام العشاء فى سكون الليل فى
أزقة مدينة غزة، التى تعد من أكثر مدن العالم فى
كثافة السكان .

●● هى إذن حرب ضد أطفال فلسطين
أعلنها السفاح شارون وتابعه اليعازر، ذلك
اليهودى العراقى الذى كان يحمل اسم فؤاد حتى
تجاوز عمره العاشرة .. وإلا فماذا نسمى عملية
غزة الأخيرة؟! .

لقد سقط فيها أطفال صغار: أيمن ١٥ سنة
ومحمد الحويطى ٣ سنوات وشقيقه الأكبر
محمود ٤٥ سنة . وأحمد الشوا ٣ سنوات
ودنياه ٥ سنوات ومحمد ٤ سنوات أبناء الشهيدة
إيمان حسن مطر الذين سقطوا فى أحضانها
ضحية نذالة جيش إسرائيل .

ويستمر مسلسل الأطفال الذين أزهبوا
إسرائيل فأرادت أن تحرمهم من الحياة، لأنها
تخشاهم عندما يبلغون الحلم . ولم تفرق ترسانة
شارون بين صبى وصبية .. لم تفرق بين إيمان
الحويطى «١٠ سنوات» وآلاء مطر «١١ سنة» أو

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾



إيمان شحاته « ١٤ سنة » .. ولم تفرق بين الأطفال والأمهات، وبات واضحا أن إسرائيل تخشى أطفال فلسطين .. تماما كما تخشى أمهات فلسطين الولودات .. فقررت إسرائيل أن توجه أسلحتها إلى أمهات وأطفال فلسطين .. وهذه هي شجاعة المقاتل الجبان الذي يقاتل من وراء جدار أو متدربا بالدبابات والمصفحات .. أو قاصفا من أعلى حيث لا يستطيع أحد أن يناله، خصوصا في بهيم الليل .

مَنْ يُحَاكِمُ إِسْرَائِيلَ عَلَى فِظَائِعِهَا

وعلى صفحات الأهرام كانت هذه الصرخة للأستاذ ابراهيم نافع نقيب الصحفيين

فى افتتاحية الأهرام فى

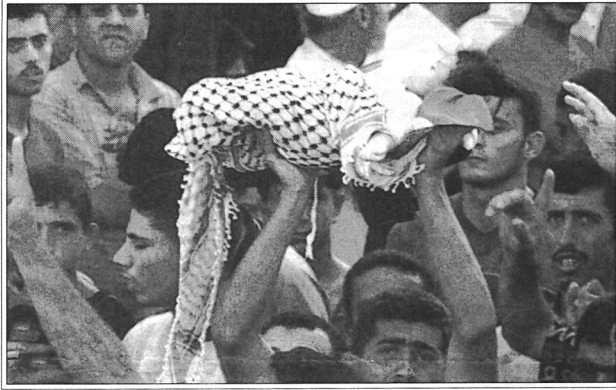
٢٠٠٢/٧/٢٦

ثمانية عشر فلسطينيا، من بينهم ثمانية أطفال أصغرهم طفلة عمرها شهران فقط، كما أصيب فى الغارة أكثر من مائة وخمسين فلسطينيا كلهم من المدنيين الأبرياء .. فأى وحشية وأى همجية بربرية ممن تزعم أنها الدولة المتحضرة التى تحارب الإرهاب وتتهم الفلسطينيين المكافحين!!

وكان هذا التعجب للأستاذ أحمد بهجت فى الأهرام قال فيه :

لم نسمع عن جيش خرج يطارد شخصا إلا فى زماننا بغرائبه وأعاجيبه، إن الغارة التى قامت بها القوات الإسرائيلية على غزة كانت تستهدف فى

ارتكبت إسرائيل جريمة نكراء ضد أبناء الشعب الفلسطينى، تضاف إلى سلسلة فظائعها وجرائمها، التى لم تنقطع، منذ أن أعلنت كدولة على جزء من أرض فلسطين بموجب قرار التقسيم . والجريمة الإسرائيلية الجديدة وقعت حين حُلقت طائرتان هجوميتان من طراز « إف - ١٦ » الأمريكية المتطورة، وأطلقت إحداهما صاروخا باتجاه مبنى سكنى وسط حى مدنى، وفى ثوان معدودات، تحول المبنى المكون من طابقين إلى كتلة من الحطام، وانهار بالكامل فوق رؤوس السكان النائمين . وقد أسفر هذا الهجوم البربرى عن استشهاد



الأساس مجاهدا فلسطينيا هو صلاح شحادة (٤٩ سنة) مؤسس وقائد كتائب عز الدين القسام، الذراع العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وقد ضربت إسرائيل بيته بصاروخ من طائرة (إف - ١٦) وهو صاروخ يحمل أكثر من طن من المتفجرات.

واستشهد مع زوجته وإحدى بناته الست، ولم يعثر على جثته لأن

الصاروخ دمر المبنى المستهدف ودمر خمسة منازل مجاورة، واختلطت أشلاء الشهداء بعضها ببعض، كما اختلطت بقطع الحجارة والملابس والأثاث التي تناثرت في المكان المستهدف وهو حتى سكنى مكتظ بالسكان، وتم التعرف على الشهداء بصعوبة بالغة بعد أن تحولت أجسادهم إلى شظايا صغيرة من اللحم المحترق والمزق.

وهذه هي المرة الثانية التي تقصف فيها مقاتلات إسرائيلية من طراز (إف - ١٦) منازل سكنية بهدف اغتيال المجاهدين، وهؤلاء تعتبرهم إسرائيل من الإرهابيين، وتسمح لنفسها بقتلهم دون محاكمة أو اتهام.

ماذا نحن فاعلون

وكتب يقول أحمد صالح في جريدة الأسبوع في ٢٩/٧/٢٠٠٢ صارخا ومستنجدا ماذا نحن فاعلون؟

حينما قامت طائرات (الاف - ١٦) بقصف منازل الفلسطينيين ليلة الثالث والعشرين من يوليو كنا نتابع في نفس الوقت احتفالات مصر

بثورة ٢٣ يوليو المجيدة وبينما كانت الأغاني والأفلام التي تمجد الثورة تصدح من على ضفاف النيل كانت يد الغدر تغتال براءة تسعة من الاطفال ورجلين أحدهما قائد الجناح العسكري لحركة المقاومة الفلسطينية حماس صلاح شحادة ومساعدته وزوجته وابنته ذات الاثنى عشر عاما وتصيب ١٥٠ آخرين بعدما هدمت طائرات العدو أربعة منازل على من فيها إضافة إلى ورشة صغيرة.

المذبحة لم تكن عابرة، وتوقيتها لم يكن عشوائيا والأدوات المستخدمة فيها صفت الوطن العربى من المحيط إلى الخليج على وجوههم فمشهد جثث الأطفال الطرية وهى تخرج من تحت ركाम المنازل كان موجعا، والأذرع والأرجل التى استخلصها أقارب الشهداء وهى ملوثة بالتراب، أهالت على كرامتنا وعزتنا الوحل، وخزتنا المناظر... التى تشبه الفضائيات من كل حذب وصبوب فى عيوننا وأدمت قلوبنا وبالأرهافة احساساتنا ونحن نبعد أطفالنا ونساءنا عن متابعة المشاهد، لم نخش جرح مشاعرهم، ولكننا لم نكن نملك إجابات.

بين الملكة والقاري

إعداد وتقييم / عادل رفاعي خفاجة

حبة القمح

وتوجه الأستاذ إلينا بالسؤال، يستفسر عن معنى لقمة العيش؟! وهكذا كان يفعل، ليدربنا على معرفة المترادفات ولم تخرج إجاباتنا عن قولنا: لقمة الخبز، ولا شك أن أستاذنا كان يعلم تماماً أننا سنجيب بهذه الإجابة التي تناسب أعمارنا الصغيرة، ولم يكن يريد منا أكثر من هذه الإجابة التي جعلها نقطة انطلاق لهدفه، الذي أعد له عدته، فقد أتى بالصرة التي كان قد وضعها أمامنا وفتحها، ومرر بيننا جميعاً لنرى ما بداخلها، ولم يكن من الصعب علينا أن نتعرف على حبيبات القمح التي بداخلها، وكم كان صبوراً عندما وزع على كل واحد منا حبة، وطلب منا أن يحافظ كل منا على حبة القمح في يده واستمر كلامه عن أهمية العمل للحصول على لقمة العيش، وأفاض في توضيح أهمية تلك القمحة التي في يد كل واحد منا وأنها أساس لقمة العيش، ثم أهمية العمل للحصول على

كلما تمر السنون يزداد الإنسان شوقاً لأيام خلت ويجذبه الحنين لتلك الذكريات، وبخاصة تلك الذكريات التي صاغها رجال أحبو العمل لوجه الله الكريم. أذكر من هذه الذكريات قصة حكاها لنا أستاذنا، ونحن لم نزل بعد في مرحلة الطفولة ولعل هذه السن المبكرة هي التي حدثت بأستاذنا أن يتبسط في سرد حكايته، بل ويدعمها بوسيلة للإيضاح.

ذلك أن أستاذنا - نسأل الله أن يرحمه ويرزقه الجنة بفضله - جاءنا في اليوم المخصص للقصة، يحمل صرة متواضعة الحجم، وضعها أمامنا في حرص شديد، ليلفت انتباهنا، ثم شرع يحكي لنا قصة دارت حول أهمية العمل للإنسان، حيث خرج بطل القصة سعياً وراء رزقه بعد أن صلى الفجر ودعا الله أن يرزقه لقمة عيشه.



البطيخ - التى كانت على تلك العربة - متهشمة لتختلط برمال الطريق .

لقد تجاوز واجبه القانونى حيال إنسان، ربما كان مخطئاً بعدم حيازته ترخيصاً أو ما أشبهه من أمور لابد أن رجل البلدية يحفظها عن ظهر قلب، وهو مخطئ - بكل حال - بإلقائه بنعمة الله تعالى فى عرض الطريق، وإثارة غضب المارة .

وقد تعالت همهماتهم، وتداخلت، فمنهم من يقول: رجل غليظ القلب، ليس عنده رحمة . ومنهم من يقول: هذا حسن، لابد أن يكون الطريق على اتساعه ليعطى سهولة فى المرور .

ومن بين العديد من الكلمات المتداخلة التى تشابه وتحاكى اختلاط الناس وازدحامهم .. استطاعت بعض الكلمات أن تجد طريقها إلى سمعى بوضوح برغم خروجها متعثرة من ذلك الشيخ العجوز: « ماذا يفعل هذا المسكين؟ هل يسرق بعد أن ألقوا لقمة عيشه على الأرض؟ »

أعادت كلمات العجوز إلى ذكراتى حبات القمح التى حرص المدرس أن يجمعها منا بحرص شديد، ولم يتركنا نرمى بها على الأرض - برغم أن كل منا لا يحمل غير حبة واحدة - ومع نظراتى لتلك الثمار التى تهشمت واختلطت برمال الأرض .. تمنيت لو أن رجل البلدية هذا كان معنا فى الفصل يضم يده فى حرص على حبة قمح .. إذاً لوعى الدرس، ولما فعل هذا!!

فليرحم الله ذلك المدرس وأمثاله الذين آمنوا بأن التعليم رسالة .

وليرحم - كذلك - مدرسى هذا الجيل الذين يعانون من غلاء ضاغط لم يجعل لهم سبيلاً لاقتفاء آثار الصالحين من سابقهم .

تلك اللقمة . ويومها قال - ما شاء الله له أن يقول - موضحاً الجهد البالغ الذى بذله الفلاح حتى منّ الله عليه بهذه الحبوب وضرورة الحفاظ عليها وعدم التفريط فيها!!

وأنتهى سرده لقصته الجميلة الشيقة التى كنا ننتظرها كل أسبوع وكنا نحب المدرس من أجلها كثيراً، وأنتهى كذلك تعليقاته على القصة وأسئلته التى كانت تؤكد على بعض المعانى وتلقى عليها الضوء .

ولعله كان يرمى من وراء ذلك أن يعلمنا: أهمية الصلاة، ضرورة الاستيقاظ المبكر، أهمية العمل، توضيح الدور الذى يبذله الفلاح الذى زرع القمح من أجلنا .. إلخ .

غير أن درساً آخر وجد طريقه إلى نفوسنا حينما مرّ بيننا ليجمع حبات القمح مرة أخرى وقد علت على وجهه ابتسامة، وهو يردد مع كل حبة قمح يأخذها: « حافظ على لقمة العيش » بالإضافة إلى عبارات أخرى تؤكد أن هذه الحبة الصغيرة فيها من الخير الكثير .



لقد استطاع أستاذنا النابه، والمحب لعمله أن يزرع بداخلنا حب العمل، والصبر، والتعلق بالخير والحرص عليه مهما كان صغيراً بسيطاً .

فلما مرت السنون علمت أن أستاذنا ما قصد بحبة القمح إلا الرمز لكل ما يأتى به السعى من رزق أو العمل الذى يتوصل به الإنسان إلى رزقه الذى قسم الله له .

عادت إلى ذكراتى هذه القصة حينما رأيت أحد رجال البلدية يلقى بعربة أحد الباعة الجائلين، وما عليها فى عرض الطريق، لتتناثر ثمار



أين الثقافة السياسية

أقل من سابقهم. وأما عن رؤساء ووزراء الدول الكبرى فحدث ولا حرج.

– وأنا أرجع هذا الحال المتردى من الثقافة السياسية – وإن كنت لا أعتبرها سياسية بقدر ما هي «معلومات عامة» – إلى عدة أسباب منها:

١- النظام التعليمي: الذى يعتمد على الحفظ والتلقين حيث يكب الطالب على الدراسة ليحفظ الأسئلة والأجوبة فإن اشترى بعض الصحف التى بداخلها وريقات بها بعض الامتحانات فإنه يرى الامتحانات دون النظر إلى ما تبقى من أوراق الصحيفة وهذا عن الطالب المتميز.

٢- أما الطالب الكسول فقد انشغل بما تقدمه بعض الفضائيات الغربية من أفلام وأغانٍ هابطة تعين على الفاحشة والمنكر ومعصية الله وهكذا يكون قد استجاب للغزو الفكرى الغربى الذى حرص على أن يدمر هذه الأمة أخلاقياً وعلمياً.

٣- كان ما سبق عن الشباب الذين ما يزالون فى المراحل التعليمية المختلفة، أما الذين أنهوا دراستهم فهم إما يبحثون عن وظيفة – منشغلين بهذا الأمر وليس على بالهم ما يدور من أحداث خارجية أو داخلية.

أو يعملون فى وظيفة وقد شغلتهم الحياة ومتطلباتها وليس لديهم وقت لمشاهدة البرامج السياسية أو حضور الندوات.

● ويقع الدور على الحكومة فى تنشئة جيل يعرف قدرًا من الأحداث التى تدور حوله وتوفير

ما أجمل أن يعايش الشاب قضايا بلاده ويهتم بها حتى يعرف أين موقع بلاده – بموضوعية – من الدول الأخرى، وما الذى يجب عليه أن يعمل حتى يرتقى ببلاده إلى حيث يحب أن تكون، وعن هذا يقول القارئ: أحمد محمد خلف / سمالوط. المنيا.

هالتي ما رأيته من عدم معرفة الشباب أسماء الوزراء ولا المسؤولين حتى فى مجالسهم المحلية فهم لا يعرفون اسم المحافظ ولا رئيس مجلس المدينة وقد سألت بعض الطلبة زملاء فى المرحلة الثانوية فإذا بهم لا يعرفون وزير الخارجية السيد / أحمد ماهر وإذا بأحدهم يفكر ويظيل التفكير ليقول – الرجل الذى جاء بعد عمرو موسى وزير الخارجية السابق – فإذا كان وزير الخارجية بهذا القدر من المنصب الدبلوماسى الخطير، والحيز الإعلامى الذى يشغله، لا يعرفه الكثير من الشباب، فما بال الوزراء الآخرين.

– لقد استمعت فى برنامج «منتدى الشباب» إلى إحصائية عن معرفة الشباب بالوزراء، حيث وصلت معرفتهم برئيس الوزراء إلى نسبة ٧٠٪ ووزير الإعلام ٦٥٪ ووزير التربية والتعليم ٥٥٪ ووزير الشباب ٣٥٪ ورئيس مجلس الشعب ٣٥٪ ورئيس مجلس الشورى ١٥٪ وهذه النسب ضعيفة جداً فكيف يكون الحال بالنسبة لوزراء مثل وزير التنمية المحلية ووزير التنمية الإدارية ووزير البيئة؟ بالتأكيد ستكون نسبة المعرفة بهم

حتى يتسنى لأكبر عدد من المشاهدين مشاهدتها والاستفادة منها.

– لقد قال الدكتور / محمد مندور [إن المواطن الذى لا يهتم بسياسة وطنه، ولا يبدى فيها رأياً ولا يتخذ حيالها وضعاً، هو المواطن الفاسد بل الكائن الطفيل الذى لا يحق له أن يتمتع بخيرات وطنه وشرف انتسابه له] (د. محمد مندور: الديمقراطية السياسية ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة).

– فعلينا أن ننشئ جيلاً يعرف ما يدور حوله من أحداث حتى يكون قادراً على تحمل أعباء المستقبل!

ذلك له، فمثلاً وزارة التربية والتعليم عليها أن ترسل للطلبة بعض المتخصصين لشرح ما يجرى فى الدولة من أحداث هامة وتطورات الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية، قبل أن ينشأ جيل لا يستطيع أن يرد على الأباطيل التى يرددها الإعلام الغربى ضد الإسلام والمسلمين والعرب ولا يستطيع أن يقرع الحجة بالحجة لأنه خاوي من الثقافة السياسية.

– وعلى وزارة الإعلام أيضاً تخصيص مواعيد متقدمة للبرامج السياسية والاجتماعية والدينية على أن تكون نهائياً أو مبكراً عن مواعيدها الحالية

الموهبة والإبداع فى الشعر

ذلك فإن الموهبة إذا انعدمت فى شخص وراح بدونها يصطنع العمل الإبداعى فهو كأعرج يتكئ على عصا مكسورة وليس خليقاً أن يكون لعمله أثر فى نفس المتلقى وسرعان ما تذوب شاعريته كما يذوب الليل فى أنفاس الصباح. أما الموهوب فإن عمله يهطل على المتلقى كهطول الأمطار على الأرض العطشى لتخضر أرجاؤها وتكسوها روائح الفل والياسمين.

– ولقد تنبه الجاهليون لهذا العنصر واقتصر قول الشعر فيهم على من وجد فيه الحس الأدبى المرهف والمشاعر الجياشة حتى سمو بعض الشعراء بالنوابغ منهم من نبغ فى الشعر وهو صغير السن والآخر قال الشعر وهو كبير.

أما القارىء / على اسماعيل درويش / الطالب بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

فقد أرسل هذه الكلمات الطيبة عن الإبداع فى الشعر نقدمها لكثير من القراء الذين يظنون أن كتابة الشعر مجرد قوالب وأوزان. يقول القارىء:

لأى عمل شعري متطلبات يجب على المبدع أن يعيها جيداً والأمر الأول هو الموهبة والموهبة موضوع حديثنا.

ولابد لهذا الأمر – الموهبة – أن يسرى فى جسم صاحبه ويجرى منه مجرى الدم فى العروق حتى يلهبه ويوقد فيه جذوة الحمية التى بها تجود خاطرته بأعذب اللفاظ وأنقى العبارات تكون هى الرابطة الوطيدة بين المبدع والمتلقى. وعلى



يا ابنة الأقبوام إن شئت فلا
تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينتي الذي
يوجب اللوم فلومي واعزلي
إن تكن أخت امرئ ليمت على
شفيق منها عليه فافعلي
وتصور لها هذا الحادث الجلل الذي ألم بها
فتقول ..

يا قتيلاً قوض الدهر به
سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته
وانشني في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كذب
رمية المصمى به المستأصل
وأخيراً تفوض الأمر إلى بارئها فتقول ..
انني قاتلة مقتولة

ولعل الله أن يرتاح لي
والتأمل في هذه الأبيات يرى فيها دقة التصوير
والجمال الفائق الذي طغى عليها .
إذن فالموهبة عنصر ضروري في العمل الشعري
كي يخلد ذكره ويطول أثره لأن الإبداع الشعري
ليس شيئاً مصطنعاً يتكلفه المتشاعرون، وإن
تكلفوه رك شعرهم وصال في دائرة الإسفاف
لأنهم ليسوا موهوبين .
والموهبة مثلها مثل أى كائن حي تحتاج إلى
رعاية فتولد صغيرة تحب في مهدها الأول ينشئ
عليها صاحبها ويرعاها ويضفي عليها زيادات
تجعلها فتية شابة .

ولعل أجدرهم وأقواهم شعراً هو النابغة
الذبياني الذي إليه احتكم العرب ونصبوه على
مائدة القضاء الإبداعي يشهد لشعرائهم بالجودة
والنقاء .

وأشعار الجاهليين شاهدة على ذلك وقلماً أن
نجد فيهم شاعراً ركيكاً مسفهاً حتى في الشاعرات
منهم فقد اتسمن برصانة العبارة وجزالة
الأسلوب بعد أن سيطرت عليهن الموهبة الشعرية
وملكت عليهن كل فؤادهن .

* (الفخنساء) مثلاً تئن وتتوجع وتصرخ في
شعرها لفراق أخيها صخر قائلة ..

فلا والله لا أنساك حتى

أفارق مهجتي ويشق رمسي
فقد ودعت يوم فراق صخر

أبى حسان لذاتي وأنسى
في الهففي عليه ولهف أُمي

أصبح في التراب وفيه يمسي
فنرى الفخنساء تصور نيران الحزن المتأججة في
صدرها في قوالب شعرية لا يمتد أثرها إلى
الإنسان فحسب بل يسرى إلى الجمادات حتى إن
الصخور الصماء تكاد من شدة أثرها تبكي .

* وها هي الأخرى (جليلة بنت مرة) تدافع
عن نفسها أمام أخت زوجها بعد أن قتل أخوها
زوجها (حساس كليب بن ربيعة) وهذا موقف
يحтар له الحكماء ويتوقف من شدته فكر أولى
الألباب فالقاتل أخ والمقتول زوج ولكن الملكة
الشعرية تنضح بما يختلج في نفس هذه الشاعرة
وما يصوره فكرها لينصدع لها أهل زوجها فتقول
لأخت زوجها :





أنت كالكلب في حفاظك للعهد

وكالتيس في قراع الخطوب

فذلك الشاعر لم ير إلا الصخور الصماء
والطبيعة الخشنة التي أثرت على قريحته . وانظر
إليه عندما انتقل إلى بغداد وعاش الحضارة
والمدنية، انهمرت على جعبته الفيضانات العذبة
وخالطت الرقة فيه شعوره فتغزل وقال ..

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأخيراً فإن الموهوب دائماً يهتبل كل فرصة
تواتيه لإخراج إبداعاته القيمة فهو يعشق الجمال
وينأى عن الردىء .

وكذا تحتاج من صاحبها الاندماج في حومة
مجتمعه فإن فحول الشعراء أمثال الفرزدق
والمتنبي وشوقي قد فرضوا أنفسهم على الساحة
الشعرية وتربعوا على عرشها لأنهم عايشوا الناس
أفراحهم وأحزانهم وهذا ما جعل المتنبي يقول ..

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى

وأسمعت كلماتى من به صمم

✽ أزيد على هذا قائلاً: إن التنقل من بيئة إلى
أخرى تضيف على الموهبة تغيرات عدة فالبیئات
هى مصدر الإلهام للشعراء وخير مثال على ذلك
الشاعر البدوى الذى أراد أن يمدح فلم تجد
قريحته إلا أن يصف محاسن ممدوحه بقوله ..

لبن العصفور

أشبه بما يكون بفتات الجبن الأبيض – وللعلم أن لبن
الطائر تفرزه حويصلة الأنثى والذكر على السواء،
ولذلك يشترك الذكر والأنثى معاً فى إطعام أفراخهما
الصغيرة وعندما تضع العصفورة منقارها فى فم
أفراخها الصغار فإنها فى الواقع تطعمهم لبناً حقيقياً ..
ومن هنا فلبن العصفور حقيقة علمية وليس خرافة » .

وإنى أرجو أن تخصصوا جزءاً، وليكن تحت عنوان
قرأت لك، أو من مطالعات القراء، تنشرون فيه الطريف
أو الجديد فى دنيا العلم . فكم هو جميل أن نتابع ما
يصل إليه العلم لنعرف أن العالم ملئ بالأسرار فنقول :
« سبحان الله » .

● الخور: مرحباً بك يا أخ محمد وأحب أن تعلم أن
القراء كتبوا من قبل تحت هذا العنوان، ولكنهم
توقفوا فأهلاً بك لتكمل المسيرة .

أرسل القارئ / محمد ناجى أحمد صابر ..
كلية التربية – جامعة عين شمس يقول كنت أظن
أن «لبن العصفور» لا وجود له ، حتى قرأت هذه
الكلمة فى مجلة العلم العدد ٣٠٩ ص ٥٢ حيث
ورد بها :

« كثيراً ما نسمع عن لبن العصفور فى أمثالنا
الشعبية فهل للعصفور لبن؟ والاجابة: نعم للعصفور
لبن لا يختلف فى جوهره وتركيبه عن لبن أى حيوان
من الكائنات الحية .. فهو يحتوى على مادة بروتينية
تسمى « كازينوجين » ودهن وسكر اللاكتوز وهى
نفس مكونات اللبن الطبيعى المعروف لنا جميعاً .. إلا
أن لبن الطيور بصفة عامة يختلف عن لبن الحيوانات
الأخرى فى بعض الخواص الطبيعية .. لأنه ليس سائلاً
ولكنه على هيئة فتات أبيض اللون هش سريع التكسر

دعابة شعرية

على بلاد النيل تلك التي
تاهت بأصحاب الذكا النادر
(شوقي) و(مطران) و(صبري) ومن
سميته في مطلع الباهر
فقال الشيخ أمين:
وا خجلتي إن لم يجيء شاعراً ...
ينسى آياه حكممة النائر
شعر نظمناه ولولا الذي
رزقته ما مر بالخاطر
فقال حافظ:
فيا وليدي كن غداً شاعراً ...
وابداً بهجو الوالد الأمر
فالدنب ذنب وأنا المعتدى ...
هل يسلم الشاعر من شاعر

رزق الأديب السوري أمين تقي الدين ولداً سماه
(حافظ) إعجاباً بحافظ إبراهيم، ودارت حول
ذلك مساجلة أدبية رصدها الأستاذ هلال الحبشي
من برهمتش بقلمه الفاحص النقاب يقول:
رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السوري
بمولود سماه حافظاً وقال فيه:
لى ولد سميته حافظاً ...
تيمنا بحافظ الشاعر
فقال حافظ:
كحافظ إبراهيم لكنه ...
أجمل خلقاً منه فى الظاهر
فلعنة الله على (حافظ) ...
إن لم يكن بالشاعر الماهر
لعل أرض الشام تزهى به ...
على بلاد الأدب الزاهر

يا مسلمون تذكروا

والكفر يهتف فى جحود بين رايات الصليب
والنار تأكل مصحفاً وتبث فى الكون اللهب
والخائرون بكل درب يهتفون ولا مجيب
بلداننا بين الممزق والمدنس والسليب
فرجالنا عشقوا التخاذل والتقاعس والنحيب
القدس تصرخ تستغيث.. وتستجير.. ولا مجيب
يا مسلمون تذكروا، وتدبروا هدى الحبيب

للقارئ / عبدالرحمن حمدي والى -
الطالب بمدرسة الهدى والنور بالمنصورة:
اشتد بى ضيق الكروب
وتمزقت منا القلوب
وشرعت أمضى فى طريقي
هائما بين الدروب
الحقق ودع راحلاً
والشمس كاسفة تغيب



للأستاذ / محمد الشرقاوي

بشهادة مسئول إسرائيلي

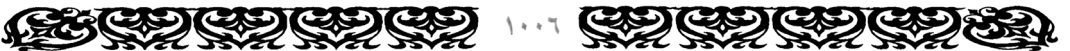
المستوطنون ارتكبوا مذبة في الخليل

نقلت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية عن أحد مستشاري وزير الداخلية الإسرائيلي «عوزي لاندو» وصفه للممارسات الهمجية التي قام بها المستوطنون في مدينة الخليل «بالمذبة» وقال مستشار «عوزي» ويدعى «موسي جيفاتي» إن المستوطنين ارتكبوا مذبة بحق مواطن الخليل - أثناء جنازة مستوطن - بدون أي استفزاز من جانب الفلسطينيين حيث اقتحموا المنازل وحطموا نوافذها وقتلوا صبية فلسطينية عمرها ١٤ عام.

إسرائيل استخدمت قنابل زنة طن في غزة

نقلت صحيفة «هآرتس» عن وزير الدفاع الإسرائيلي «بنيامين بن أليعازر» اعترافه بأن الجيش الإسرائيلي استخدم قنابل زنة طن «٤٧ مرة» في ضرب أهداف في الأراضي الفلسطينية قبل المذبحة الأخيرة في غزة جاء اعتراف بن أليعازر أمام أعضاء لجنة الشئون الخارجية والدفاع في الكنيست في جلسة لبحث الإدانات الدولية للمجزرة التي أودت بحياة ١٥ فلسطينيا.

المحرر: ٤٧ طن من المتفجرات ألقيت على الأراضي الفلسطينية فهل لنا أن نتصور مدى الدمار والخراب الذي أحدثته هذه الأطنان الهائلة من المتفجرات بالشعب الفلسطيني الأعزل، ترى من الإرهابي الحقيقي الفلسطينيون أم اليهود؟!



عائلة يهودية تعلن إسلامها

أعلن مواطن يهودى يدعى «يوسف كوهين» وجميع أفراد عائلته إسلامهم وانتقلوا للعيش فى القدس الشرقية .

وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية إن «يوسف كوهين» البالغ من العمر ٣٤ عاما من سكان مدينة «نتيفوت» كان من أتباع تيار يهودى متعصب وقدم إلى إسرائيل قبل أربع سنوات من الولايات المتحدة وقبل بضعة شهور قرر إعلان إسلامه وغير اسمه ليصبح «يوسف خطاب» وغيرت زوجته اسمها وكذلك أولاده الذين يتعلمون حاليا فى مدرسة إسلامية .

الإسلام.. الدين الأول فى «أمستردام»

«لاهاي»

أحدث الإحصائيات السكانية الهولندية تشير إلى أن الإسلام أصبح الدين الأول فى العاصمة «أمستردام» متقدما على الكاثوليكية والبروتستانتية الإصلاحية واليهودية .

صحيفة «مترو» الهولندية أشارت إلى أن هذا يرجع إلى كون ٥٩٪ من سكان العاصمة «لاديينين» بالإضافة إلى تراجع تأثير الكنائس بمختلف طوائفها على الهولنديين .

ولأن الكنائس والمؤسسات الدينية الأخرى أغلقت أبوابها وباعت ممتلكاتها نتيجة لضعف المترددين عليها .

المسلمون أكدوا أن الإسلام هو الدين الأول فى مدن «روتردام» و«لاهاي» و«أوتروخت» وأن كل اثنين من أربع ولادات فى هولندا مسلمين .

مؤتمر دولى لرابطة الأدب الإسلامى العالمية

تقيم رابطة الأدب الإسلامى العالمية مؤتمرها الدولى السادس فى الفترة من ١٥ أغسطس ولمدة أربعة أيام وقال الدكتور / عبد المنعم أحمد يونس - رئيس مكتب الرابطة بالقاهرة إنه سيناقش تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامى بالإضافة إلى أبحاث مقدمة يشارك فيها أدباء من (١١) دولة عربية وإسلامية وعدد من رموز الفكر والأدب والشعر .

مخيمات صيفية فى روسيا

لتعليم مبادئ الإسلام

قامت اللجان الدينية بالجمهوريات الإسلامية الروسية بالاستعداد لإقامة ثلاثة آلاف مخيم صيفى إسلامى فى المدارس الدينية والمساجد المنتشرة وذلك فى إطار اهتماماتها التى تهدف إلى تعليم أطفال المسلمين الروس مبادئ الدين الإسلامى الحنيف وأحكام القرآن الكريم ومطالعة السيرة النبوية وتستمر حتى الأول من شهر سبتمبر المقبل .

فى مسجد «زاكاباتيا» بمدينة «أبلابوخا» الواقعة شرق جمهورية «تتارستان» تقرر بدء المهرجان والمخيم الإسلامى الصيفى بمسجد الجامعة كما افتتحت فى مدينة «قازان» عاصمة جمهورية «تتارستان» (٥٧) مخيما صيفيا بهدف تعليم الطلاب مبادئ الإسلام وتفقيهم فى أمور دينهم فضلا عن تعلم أحكام قراءة القرآن الكريم حيث أكد مدير مسجد «المرجنى» أن الأطفال من الجنسين سيدرسون اللغة العربية وبعض سور القرآن الكريم .

كما سيتم افتتاح عدد من المخيمات الإسلامية الأخرى بمدن «بينزا» و«تولا» و«ينجنى» و«فارتوفسك» و«سامارا» و«مخاشاكلا» .

أنباء مكاتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

منها، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذه الطلبات فوراً وتم إبرام اتفاقية وقعها فضيلته، كما وقعها السيد الوزير هذا إلى جانب طلاب السودان الذين يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته وهم كثيرون كما يحضر في كل دورة تدريبية يعقدها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر عدداً كبيراً من الأئمة والوعاظ وكما يرسل الأزهر كل عام عدداً كبيراً من السادة الوعاظ في شهر رمضان المبارك للتوعية الدينية كما هو الحال في معظم الدول.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات.

● كما استقبل فضيلته الدكتور باقر منان رئيس المحكمة العليا بأندونيسيا والدكتور / توفيق نائب رئيس المحكمة العليا، والدكتور شمس الهادي رئيس شئون المحاكم الشرعية يرافقهم الدكتور محمد نور عبد الصمد المستشار الثقافي لسفارة أندونيسيا بالقاهرة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيداً

● استقبل فضيلة الإمام الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الدكتور / عصام البشير وزير الأوقاف السوداني والوفد المرافق لسيادته، حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه في الأزهر الشريف، وقد ناقش السيد الوزير مع فضيلته بعض الأمور التي تتعلق بالجانب الديني بين مصر والسودان والتي تدور حول توفير عدد من المدرسين المتخصصين من الأزهر الشريف لتعليم أبناء السودان ولتدريب الدعاة والأئمة، كذلك الموافقة على إنشاء معهد أزهري في السودان تدرس فيه المناهج والكتب الأزهريّة، وتوفير عدد من الوعاظ والأئمة يذهبون إلى جنوب السودان وذلك في شهر رمضان المعظم من كل عام، كذلك زيادة عدد المنح الدراسية سنوياً من الأزهر وجامعته على أن يخصص النصيب الأكبر منها لأبناء جنوب السودان وذلك حفاظاً على وحدة السودان، وأيضاً يتبادل مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ومجمع الفقه الإسلامى بالسودان الكتب والمطبوعات والقرارات والدراسات والأبحاث للاستفادة

بالعلاقة القوية والقديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة.

ومن جانبه شكر الدكتور باقر منان فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وإتاحة هذه الفرصة وتلك الزيارة التي سعد بها هو والوفد المرافق ولتواجده في هذا الصرح العظيم ومع شيخ الأزهر الجليل، مؤكداً على أن أبناء أندونيسيا من خريجي الأزهر الشريف يشغلون المناصب العليا في الدولة في مجال التدريس وفي مجال الدعوة الإسلامية، وأوضح أن الدستور الأندونيسي يسمح بتطبيق الشريعة للمسلمين.

وفي نهاية اللقاء شكر السادة الضيوف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء الطيب والتعاون المثمر بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا، حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر للإعلام والعلاقات.

● واستقبل فضيلته الدكتور / محمد قریش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف الكبير مشيداً بدوره الفاعل مع الأزهر الشريف خلال فترة عمله بالقاهرة لخدمة أبناء بلده أندونيسيا الذين يدرسون في الأزهر الشريف وعددهم ٤٨٨ طالبا وطالبة وكان دائماً له تواجد وحضور وكان على صلة بالأزهر الشريف وبطلاب أندونيسيا موفرا كل سبل التعاون حيث كان يلتقى بهم محل إقامتهم بمدن البعث الإسلامية يحاضرهم ويقف إلى جانبهم ويتباحث مع الأزهر من أجلهم حتى يتفرغوا لطلب العلم النافع ولينهلوا منه بكل جد ورغبة ونشاط ليعودوا إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه إلى أهليهم في بلادهم، وقد شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال والحفاوة البالغة قائلاً: بأنه قضى

أوقات شبابه في الدراسة بالأزهر الشريف وختمها بفترة توليه منصب السفير لبلاده في القاهرة معرباً عن حبه لمصر ولأزهرها الشريف وبأنها من أسعد أيام حياته، وقد تمنى له فضيلة الإمام الأكبر كل تقدم ورفق وسعادة، كما التقى سيادته بفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف ودار الحديث حول الفترة التي قضاها في مصر وكان التنسيق بينهما قائم على الحب والإخلاص فيما يعود بالنفع على الطلاب أبناء أندونيسيا وذلك لتوفير سبل الراحة لهم أثناء دراستهم بالأزهر الشريف وتذليل كافة الاحتياجات لهم في مدن البعث الإسلامية حيث إقامتهم، وما يذكر أن السيد السفير كان يشغل منصب مدير الجامعة الإسلامية باندونيسيا ثم وزيراً للأوقاف ثم سفيراً لبلاده في القاهرة وقال إنه سيعود إلى الجامعة الإسلامية باندونيسيا يعمل مدرسا.

● كما استقبل وفدا قضائياً من دولة أندونيسيا برئاسة السيد المستشار شمس الهادي نائب رئيس المحكمة العليا، وتأتى هذه الزيارة في إطار استضافة وزارة العدل المصرية للدورة التدريبية لعدد ٣١ من قضاة أندونيسيا وقد رغب الوفد في زيارة الأزهر ولقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حيث رحب فضيلته بالوفد قائلاً: ان صلة الأزهر بدولة أندونيسيا صلة قديمة.

وأشار إلى ان القضاة في كل دولة هم صمام العدل، ووظيفة القضاء إقامة العدل بين الناس، وإذا سادت فضيلة العدل في أمة سادها الأمان والأطمئنان والسلام والرخاء، والله تعالى أمرنا بالعدل في الأقوال وفي الأحكام وعند أداء الشهادة، والعدل مع الصديق ومع العدو، ومع الغنى ومع الفقير، ومع القوى ومع الضعيف، وأولى الناس بإقامة العدل وتحقيقه هم



بريما فيرا سفير الفلبين بالقاهرة فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف والوفد المرافق، وشرح دور الأزهر الشريف فى توصيل رسالة العلم إلى الطلاب وارسال الأزهر بعثات من العلماء إلى الفلبين للتعاون فى تعليم أبناء الفلبين وحتى تتقارب الصلة بين المسلمين ببعضهم البعض لأن الأزهر يمتاز فى تعليمه وعلومه بالوسطية والاعتدال .

وقد أوضح السيد المستشار إلى انه من أبناء الفلبين الذين قاموا بعرض وجهة نظر المسلمين والمسيحيين حتى يتم التقارب بينهم ويعود الإسلام والوثام بين الشعب الفلبينى وحتى يعيشوا فى سلام وأمان وتدرّس اللغة العربية فى الفلبين ليس قاصراً على المسلمين وحدهم ولكن يتعلم المسيحيون أيضاً اللغة العربية حتى يتسنى لهم فهم الدين الإسلامى وتعاليمه السمحة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على ان بعثة الأزهر الشريف التى أرسلت للفلبين إنما هى لتوطيد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين وعودة السلام إلى الفلبين، وأوضح السيد المستشار فى حديثه بأن ندوة ستعقد للعلماء والأساقفة للتفاهم وشرح العقيدة الإسلامية والمسيحية للشعب الفلبينى حتى يتعاون الشعب الفلبينى كله فى بناء دولته فى جو من الحب والإخاء، وقد أعرب السيد المستشار عن رغبة بلاده بأن تكون هناك جامعة أزهرية فى الفلبين وأن يقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة الفلبين، حيث إنها رغبة رئيس الفلبين، وقد أرسلت شكرها وتحياتها وتقديرها لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وقد حمل فضيلته تحياته وتحيات الأزهر إلى رئيس وحكومة وشعب الفلبين شاكراً لهم الزيارة والدعوة ووعد

القضاة، وشرعية الإسلام تقوم على الحق وعلى العدل واعطاء كل ذى حق حقه، شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن استقباله للوفد وأضاف ان تعداد أندونيسيا ٢١٠ مليون نسمة منهم ٨٦٪ من السكان ينتمون إلى الإسلام وأن فتاوى شيخ الأزهر الشريف لها أثر كبير فى نفوس الاندونيسيين وتطبق فى بلادهم ويوجد فى اندونيسيا سبعة آلاف قاضٍ، وحكومة اندونيسيا أعطت لبعض المحافظات الحق فى تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة، وسيتم تطبيقها فى المحافظات الأخرى فيما بعد، وقد استمع فضيلته إلى أسئلة واستفسارات الوفد وأجاب عنها فضيلته .

● والتقى فضيلته مع وفدٍ من قضاة ألبانيا برئاسة السيد / برهان الدين مالىفى القاضى بالتفتيش القضائى بوزارة العدل الألبانية، وقد أشاد فضيلته بالعلاقة الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة ألبانيا ووصفها بأنها علاقة قديمة ووثيقة وان عدداً كبيراً من الطلاب الألبان فى مصر يتلقون العلم النافع فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة حيث ان الدراسة فى الأزهر الشريف تتسم بالوسطية والاعتدال وهى تجمع بين علوم اللغة والشريعة والعلوم الأخرى، وهناك رؤساء للجمهوريات ووزراء فى بعض الدول تخرجوا من الأزهر الشريف وقد تخرج من الأزهر مئات من الطلاب الألبان خلال السنوات السابقة، وشهادة جامعة الأزهر معترف بها فى فى كثير من دول العالم، وتناول الحديث النظام القضائى فى مصر وانهم فى دولة ألبانيا يتلقون النظام القضائى فى مصر ويحاولون تطبيقه .

● والتقى فضيلته مع السيد /ادوارد توارميتا مستشار رئيس جمهورية الفلبين والسيد / سولان

بتبليتها في الوقت المناسب، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور المطران / ماركو دينو بروجي بمناسبة تعيينه كسفير للفاثيكان بالقاهرة حيث قدم الضيف تحيات قداسة بابا الفاتيكان وتهانيه لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وقد رحب فضيلته بالضيف مؤكداً على أهمية الحوار البناء في تقريب المفاهيم والتأكيد على توطيد العلاقة بين الأزهر والفاثيكان، في ظل توقيع اتفاقية الحوار بين الأزهر والمجلس البابوي للحوار في الفاتيكان ، وقال ان الأزهر الشريف به لجنة للحوار واللقاءات تنسم بصفة تكاد تكون دورية في الأزهر والفاثيكان، وهي تؤدي دورها على نحو طيب وان الأزهر قلبه مفتوح للحوار دائماً، والدراسة في الأزهر الشريف تؤكد على الجوانب الإسلامية المعتدلة المتسامحة لأننا جميعاً جئنا من أب واحد وأم واحدة ولا بد أن نتعاون من أجل سعادة بني البشر جميعاً وهذه هي مهمتنا كرجال دين، وأكد الضيف على أهمية زيادة دعم الحوار بين الجانبين لما له من أثر فعال في التقارب بين الشعوب، خاصة وان الأزهر الشريف له مكانته ومنزلته لدى المسلمين عامة لأنه يمثل الوسطية المعتدلة للإسلام، والتي تنال تقدير واحترام جميع الأديان الأخرى، كما أشار سيادته إلى انه سيعمل على توثيق هذه العلاقة في المستقبل، وان اختياره شخصياً ليكون سفيراً للفاثيكان بالقاهرة، كان مقصوداً وذلك لخبرته السابقة ولعمله في القاهرة قبل ذلك، وقد أكد فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر على ان الحوار في الأمور المتفق عليها بين الأديان جميعاً وهي الفضائل كالعدل والأمانة والصدق والرحمة والوفاء بالعهود إلى غير ذلك من

الأمر التي تتفق فيها الأديان، أما الأمور العقائدية فلا حوار حولها، ولكل إنسان عقيدته، حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات .

● كما استقبل السيد / لويس فراخان (محمد فرقان) زعيم المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية، رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق له بمصر وأزهرها الشريف، وقال السيد محمد فرقان انه جاء لمنطقة الشرق الأوسط لمهمة كبيرة ولمسعى عظيم وهو وقف أعمال العنف من الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني، وقد اقترح فترة ١٢٠ يوماً تبدأ بعدها أعمال المفاوضات من أجل احياء عملية السلام والأخذ بالمبادرة السعودية التي وافقت عليها الدول العربية، وحتى يشعر الجميع بالاطمئنان والسلام، وأن تتوقف إسرائيل عن بناء ذلك الحائط الذي تتولى بنائه، وأن تسحب كافة قواتها من الضفة الغربية، وقال أيضاً انه حضر إلى مصر لمقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف للاسترشاد بآرائه وطلب النصح والارشاد من فضيلته وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذه الزيارة الكريمة، وأيد مساعيه وجهوده وجهود الوفد المرافق له في نشر ودعم السلام، وأوضح فضيلته أن شريعة الإسلام إنما تقوم على الحق وعلى العدل والمساواة ونبتذ العنف والعدوان، وتدعو إلى السلام وإلى التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، كما تدعو إلى نشر الفضائل والخير من أجل الإنسانية عامة، كما دعا فضيلته للوفد أن يبارك الله خطاهم ويكمل مساعيهم في خدمة الإسلام والمسلمين وفي خدمة السلام، وفي توضيح صورة الإسلام الحقيقية الصحيحة التي تدعو إلى كل خير وتنبذ كل شر، وأن يكون السيد / محمد فرقان وجماعته في الولايات المتحدة الأمريكية وفي

والمعتدى عليه لا ينس العدوان، وإذا نسيه اليوم لا ينساه في الغد، وإذا نسيه الأب لا ينساه الابن.

وقد أعرب السيد السفير عن موافقته لآراء فضيلة الإمام الأكبر الراجحة التي يعهدها العالم كله، وقد تساءل السفير عن الوضع في مصر والاستقرار الذي تشهده، وعدم وجود أفكار متطرفة على الساحة، ورغم ذلك هناك بعض الحركات المتشددة من المسلمين وتسائل عن سبل مواجهتها، وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، ان الكون منذ أوجده الله والناس مختلفون في مقاصدهم واتجاهاتهم وأفكارهم، وكل دولة فيها العقلاء وغير العقلاء، وكل ما نتمناه أن يكون عدد العقلاء أكثر من غيرهم، ومصر بفضل الله وبحكمة رئيسها، وبوجود الأزهر الشريف بها، وبطبيعة شعبها السمع الطيب تستجيب للخير والعدل والرخاء، ومادامت هناك الرؤية الواضحة، وعدم التستر على الجريمة، ومادام الشعب يرى بعينه وبموضوعية وقناعة فإنه يعيش في سلام وأمان ورخاء وهذا هو السلام ونحن نؤمن بالتخصص الدقيق فكل يعمل في مجاله، والحياة كأموال البحر ترتفع تارة وتنخفض أخرى، وهذا ما ينطبق على العالم كله، والحكماء هم الذين يسلكون السياسة العادلة القائمة على الصدق والواقع بدون تزييد أو نقصان، مما يولد الثقة عند الشعب مما يجعل الأمور في نمو وتقدم، وفي نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة الإمام، وقد أبلغه فضيلة الإمام تحياته إلى السيد / كبير أساقفة كاتدرى برى والسيد تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا وإلى الشعب البريطانى، حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر الشريف للإعلام والعلاقات.

عموم أمريكا خير نموذج وخير مثال طيب يحتذى للإسلام والمسلمين ونحن نعلم ان وراءه الآلاف بل الملايين من المسلمين.

● واستقبل فضيلته السيد / جون ساورس سفير إنجلترا بالقاهرة، رحب فضيلة شيخ الأزهر بالضيف مشيداً بعمق العلاقات والتفاهم بين مصر والمملكة المتحدة، وبين الأزهر الشريف ورئيس أساقفة كاتدرى برى، والسيد تونى بلير رئيس وزراء إنجلترا، وقد أشاد السيد السفير بموقف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تجاه الأحداث التي شهدتها وتشهدها الساحة الآن، كما أعرب الضيف عن القلق الذى تعيشه المنطقة الآن وطلب النصح من فضيلته للقيادات الدينية لخدمة السلام.

وقال فضيلته إن ما تشعرون به نحن نشعر به وان القيادات الإسلامية ليست وحدها التى تؤثر، بل ان جميع القيادات الدينية الأخرى سواء كانت مسيحية أو غيرها مسئولة، وأرى أن الكل متفق على أن الحل هو عن طريق التفاوض والشرائع السماوية كلها تتفق على أن أفضل طريقة للوصول إلى الحل فى أى مشكلة إنما يكون عن طريق الحوار والتعاون والتقارب وأن تكون هناك من الداخل رغبة قوية فى الحل إلى جانب القلب المفتوح والعقل المفتوح أيضاً، ومراعاة الظروف والابتعاد عن المطامع، والاتجاه للسلام، والبعد عن التشدد والتعصب الأعمى، وعندما توجد النية الطيبة سيكون هناك الوصول للحل، ولعلكم سمعتم ما قاله السيد محمد حسننى مبارك رئيس الجمهورية، يقول: ان القوة لا تحل المشاكل، وإذا أصر الخصم على استخدام القوة وظن ان القوة توصله إلى ما يريد فهو مخطئ، لأن هذا يولد غل القلوب،



certain amount of money (pension) for this non-Muslim from Treasury (*Baitul mal*).

﴿And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah dose not love transgressors﴾.

[Al-Baqarah (The Cow): 190]

The order not to transgress in the last verse encompasses all these orders in this code of ethics in war.

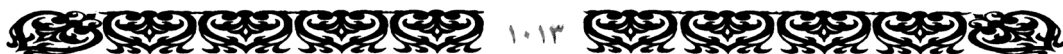
By comparing what is happening in Palestine to this Islamic code of ethics, we cannot keep ourselves from admiring this code and hope other parties will adopt it.

Truly Islam is the religion of peace and mercy. The teachings in the Holy Qur'an and the traditions of the Messenger of Islam command Muslims to act honorably. These ethics would lead to happiness in this life and in the Hereafter.

﴿And in no way have We send you except as a mercy to the world﴾.

[Al-Anbiya' (The Prophet): 107]

Truly the Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, was sent by Allah to our world but as a mercy for all creatures, man and animals. He was sent for all races, colors and followers of all religions. This code benefits the non-Muslims who oppose Muslims and fight them.





Moreover, it should not be for personal gains or seek of leadership, wealth or bravery. A Muslim fighter should not take booties for himself even as cheap as a sandal.

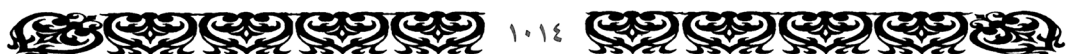
In Jihad, the Muslim army offers, to his enemy, three choices; embracing Islam, paying of tribute or war. When fighting starts, and the enemy resorts to peace, the Muslim army stops fighting at once. In Jihad, Muslim fighters do not kill those who do not participate in war such as children, women, old people or those who are wounded in the battle.

Prisoners of war should not be killed; on the contrary they should be treated kindly. They should be given food and clothes. For those captives and in order to win their freedom, they can teach ten Muslims how to read and write.

Muslims respect places of worship of other religions and do not desecrate them. Moreover, they should not consider its treasures as booty. When the second Caliph Umar went to restore Jerusalem from its patriarch, he signed a treaty whereby all Christian churches should be preserved as well as their crosses. It happened that when noon prayers approached and Umar wanted to pray, the patriarch offered him a place inside the church. Umar refused and went to pray outside the church. He was keen not to pray inside the church lest Muslims, later on, should take him as a model in this context and pray in places of worship of other religions.

Muslim fighters were commanded to buy their food from the local people. They should not resort to confiscation of food materials as many armies usually do.

Tribute (*Giziah*) was only collected from able men. Once, Caliph Umar saw an old non-Muslim man begging so, he ordered that old non-Muslim not to pay *Giziah*. Then he ordered paying a





Islamic Code Of Ethics In War

By

Dr. A. S. Arafa

Islamic code of ethics controls every action or deed in Muslim's life. Relationship between people, whether Muslims or non-Muslims, is ruled by ethics particularly in Islam. Muslims take great care to follow them. In doing so, they hope to win the satisfaction of Allah in order that they may be admitted to the Gardens on the Day of Judgment. Fighting is one of these dealings. Fighters have to observe the Islamic code of ethics for war in particular.

Fighting in Islam is described as Jihad. It is ordained by verses of the Glorious Qur'an.

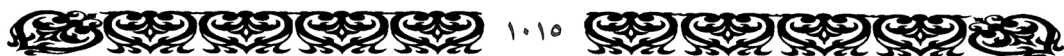
«The ones who are (drawn into) fighting are permitted (to defend themselves) for that they are unjustly (attacked); and surely Allah is indeed certainly able to give them victory. Who have been driven out of their homes untruthfully except that they say, "Our Lord is Allah"».

[Al-Hajj (The Pilgrimage): 39:40]

Those who have been expelled from their homes have the right to fight back. Also other Muslims should come to their aid. Muslims who have been oppressed can fight for their lives, land, houses or wealth. Also those who have been prevented from performing rites or from spreading the word of Allah have the right to fight.

Since this Jihad is in the sake of Allah, those who are killed during this fight are martyrs, and have been promised the Gardens of Eden at Heaven.

The sole aim of fighting – that is ordained by Allah in Islam – should be for the sake of spreading the word of Allah and in defending the Muslim and in self-defense. It should not be for any other purpose such as the spoils of war, seeking honor or fame.

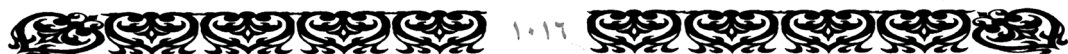




Moreover, the orientalist alleged that the majority of the Arab tribes didn't accept Islam especially the Jews and Christians. This allegation resulted from ignorance and inattention since the established fact stated that all tribes undergone a struggle between Islam and disbelief; some of the families of each tribe believed while the others kept to the religion of their fathers.

From the darkness of the orientalist's allegations, two more allegations resulted. One of them states that the Islamic nation was confined in the center of the Arab Peninsula. As for the other, it states that the Islamic nation lacked centralism as it was based on the ancient tribal regime. Concerning the first allegation, they disregarded that the Islamic nation – at its beginning – was an urban state and began to extend gradually everywhere as a result of the first missions, treaties, the Prophet's biography, battles and invasions. With regard to the second allegation, they disregarded that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, established a military, civil and financial system. He was the supreme commander in the army where he transferred the responsibilities of the army to his selected deputies. In civil system, he divided it into a coherent regional and central regime. The government affairs were conducted in coordination with the local and regional officials and central government officials under the supervision of the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, and upon the instructions of the Glorious Qur'an.

Undoubtedly, precision and accuracy in system were the result of Islam's being a religion and state at the same time.





obtain political distinction. They classified tribes into lists including the immigrants of Mecca and their families, dropping a lot of men and women's names, as though they never acknowledge their presence and vital role.

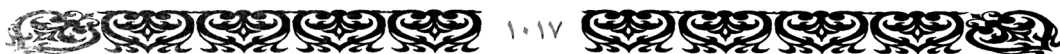
The purpose of the orientalists was to prove the allegation of the weakness of Islam's spread at the Meccan stage. From here, they paid no attention to many other tribes embraced Islam such as Khuza'h and Azad Shono'ah. Most importantly, they disregarded the Islam of the majority of the Medina's people. They disregarded that Islam honored them, where the majority of Al-Aws and Al-Khazrag embraced Islam before migration from Mecca. All this confirmed that the all-out success is a fruit of the Prophet's struggle at Mecca.

Islam as a Religion and State

The orientalists confined themselves to the narrow concept of religion to which they accustomed in Europe since they lack the historical sense as Islam is based on no differentiation between the religion and this world. Being knowledgeable of the Prophet's life at Al-Medina, we can decide that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, established the nation and regulated the Islamic government according to what is mentioned in the Ever-Glorious Qura'n, making the political behavior characterized by the religious flavor. As well as we can decide that all the invasions and battles made by the Prophet were for the purpose of strengthening Islam.

In addition to this or that and during the Prophet's political and military struggle, he didn't halt exerting efforts to proclaim and propagate Islam whether by calling the Jews to Islam at Al-Medina or sending callers to proclaim religion everywhere.

But the misleading bias blinded the orientalists to find out the reality and turned them away from understanding the nature of the Prophet's policy and its variables.



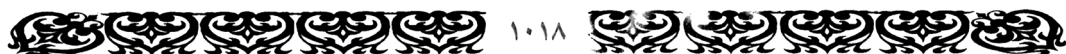


Though the orientalist encountered difficulty in proving their handed down allegations and thoughts, they totally disregarded all the transmitted Islamic biographies and turned a blind eye to what is mentioned in the Bible including evidence and testimonies, they interpreted it in conformity with their misleading purposes.

In addition to this or that, the orientalist turned down all that signifying the universality of the Islamic Message in its humanity, despite the presence of the huge communities embracing Islam, varying in nationalities and residences, that acknowledge the Prophet as a Messenger for all people in addition to the preservation of the Qura'n up till now including the various inimitable proofs. All this proves that those orientalist are totally deviated from the established scientific methods and the old and modern research rules as well as they are soaked in arrogance, persistence and disregarded all facts and established evidence.

The orientalist – on the way to enhance the false delusions – underestimated the extent to which Islam spread in the Prophet's era. They mentioned that Islam's spread in the Prophet's era was at a very narrow scale, alleging that the success of the Prophet's life in Mecca was very limited, and the Prophet at Al-Medina couldn't perform proclamation since he was obliged to be involved in war with Quraysh and other tribes.

To support these allegations, some orientalist divided the Messenger's life, may the blessing and peace of Allah be upon him, into two parts: A Meccan Messenger and a Medinian one. Then they decided that he started in Mecca as a Messenger, while started as a Caesar and political ruler at Al-Medina where he brought the Message into an end, invalidated the proclamation of religion, spent the greater part of his life at war, and established the political regime. Even such tribes as Hawzan and Ghatfan embraced Islam to





***The Purposeful Attacks against the Islamic History**

By: Dr. M. Y. Siddiqi. & Dr. I. Awadin

When orientalist and their followers, inimical to Islam, realized the danger of interconnection among Muslims and their heritage void of blemishes, their sharpest weapon for turning Muslims and non Muslims away from the Islamic religion was the relentless efforts to distort the image of Islam whether presenting its components and values in a disgusting way or its legacy in a disgraceful way making the Islamic figures lose their powerful influence and the Islamic thought be superficial and has no vital role in drawing up a true image about Islam and its contribution to culture and civilization.

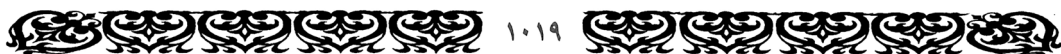
Consequently, Muslim and non-Muslim intellectuals and historians deeply concerned themselves with detecting this distorted and false action by which the Islamic history was afflicted since the beginning of the Crusade Wars, keeping to clarify the fact and believing that this is necessary in contribution to rejuvenate the Islamic revival and enable Muslims to perform their essential role in life.

Rejecting The Universality Of The Islamic Message

Concerning the evaluation of the Prophet's Message, the orientalist depended on allegations contrary to the historical fixed points, disregarded the Islamic Texts and paid no attention to the logical resolutions.

They claimed that Muhammad was only a Messenger for the Arabs and his Message was restricted to the region in which he lived and confined to his time. They alleged that the Prophet's Message was a revolution, since the Arabic society was thirsty to this social and moral revolution, and when the society found the potentialities of the coming revolution in the form of Islam, it welcomed Islam.

An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.





pulpit, evil and wrong shake and a war without quarters between right and its opposites starts. However, among all this, Al-Ezz, always gets out victorious and stronger. For the above-mentioned reasons, sultan of Damascus, Al-Ashraf Musa Ibn Al-Adel, became angry with him. So, the great man left to *Misr* 'Egypt' preceded by his glory and juristic opinions so he was received by the scholars with great ovation and honor. Egypt's great orator, Al-Hafez Al-Monzery, abstained from giving *fatwas* due to his great respect concerning Al-Ezz's rank. The man perceived how much he was honored by the sultan, Al-Salih Ayoub; appointed him as an orator at Amr Ibn Al-A's mosque and the judge of Egypt and the Southland. He resumed his way; commanding beneficence and forbidding maleficence. In addition, he took his new pulpit as a new microphone by which he could spread opinions, advices and arguments.

﴿Whosoever perished might perish by a clear evidence, and whosoever lived might live by a clear evidence﴾.

[Al-Anfal (War Gains): 42].

Historians stated that Al-Ezz – during the battle between the Egyptian army and the crusade's and while the wind was blowing against the Egyptian fleet – raised his hands to heaven saying: "*O, Allah, turn the direction of wind from the way of Your Muslim bondsmen*" while pointing to the direction of the enemy. Immediately, matters changed and the wind started to blow against the enemy's fleet. That attitude of Al-Ezz was a source of good fortune and blessing.





Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam Scholars' Sultan

By: Dr. M. R. Al-Baiomi

Jurists, contemporary to his age, agreed unanimously that he is the sultan of scholars. He was highly versed in all different fields; wrote many compilations in jurisprudence, principles, deity, interpretation, Hadith and eloquence. Moreover, he participated scientifically and practically in Sufism and practiced asceticism. Not only Al-Ezz was the sultan of scholars, but also he was the sultan of the entire state including kings and princes.

In addition, he was known at his age as a person who commands to beneficence and forbids maleficence. His fearlessness, concerning right, was the object of amazement and admiration. He confronted many tyrants while proud of his righteousness. Moreover, fear and threat did not stop him. He suffered the darkness of imprisonment many times, however this filled him with confidence; he kept fighting darkness until all around him subjected to his will and he became the man of country and sultan of people.

This jurist was born at Damascus so he was taught at the hands of its leaders as Fakhr Al-Din Ibn Asakker, Gamal Al-Din Al-Khorasany and Seif Al-Amdy then he left to Baghdad and met its scholars and attended its jurists. Consequently, he returned to his country having tremendous knowledge and wide experience. All this led to be highly versed in jurisprudence till he reached the degree of *Ijtihad* 'practicing one's opinions'. Moreover, many jurists deposited themselves from delivering legal opinions '*fatwas*' – like Al-Hafez Al-Monzery – justified by his opinions and judgments.

In Damascus, he was appointed as an orator so he considered his position as a means to launch war against wrong injustice and evil, eliminate innovated actions and superstitions and face tyrants until he caused panic and grew more weighty. The one who considers his fearless attitudes has to admire his strong faith that turned him into a furious lion feared by rulers; when he roars on his





Monotheism (of Allah) is The Slogan of all Messengers

*From a book of the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy,
the Grand Shiekh of Al-Azhar,
entitled "Religious Address and how it should be".*

By : Dr. Ibrahim Al-Assil.

Allah, the Al-Mighty, says in His Ever-Glorious Qur'an:

﴿And in no way did We send (any) Messenger even before you except that We revealed to him, (saying), "There is no god except I; so worship Me" ﴾. [Al-Anbiya' (The Prophets): 25].

In this verse, Allah, the Most High states clear evidence about the monotheism of Allah, glory be to Him, as well as the obligation of offering loyal worship to only Him.

Parables are set to show the covert meaning, link reason to matter and present the absent thing in a form making it clear. Allah, the Ever-Truthful, says:

﴿And those similitudes We strike for mankind, that possibly they would meditate﴾. [Al-Hashr (The Mustering) : 21].

The Glorious Qur'an likens the disbeliever worshipping many gods to a slave owned by opposing people; each one of them has a demand contradicts the others'. So, their slave is distracted and helpless as stated in Allah's Words:

﴿Allah has struck a similitude: a man in whom associates are at variance with each other, and a man wholly submissive to (one) man. Are the two equal (in likeness)? Praise be to Allah; no indeed, (but) most of them do not know﴾. [Az-Zumar (The Hordes) : 29].

However, it likens the believer to a slave owned by one master so he is a source of comfort and peace of mind to his master. Then, the Ever-Glorious Qur'an presents the end of the disbeliever in a horrifying form as it says:

﴿And whosoever associates with Allah (anything), then it is as though he has collapsed from the heaven, and so the birds snatch him away, or the wind sweeps down him into a far off place﴾.

[Al-Hajj (The Pilgrimage) : 31]





AL-AZHAR
MAGAZINE

Jumadal Akhera 1423 A. H.



ENGLISH
SECTION

Aug. / Sep. 2002

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف / ٤٣

*“Praise be to Allah, Who guided us to
this; and in no way could we have been
guided, unless Allah has guided us.”*

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University





الفهرس

- مصر عرفت التوحيد قبل إخناتون
لفضيلة أ. د. محمد رجب البيومي ٨٦٦
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى ٨٧٣
- الإعجاز التريوى فى القرآن الكريم
أ. د. مصطفى رجب ٨٧٩
- كسب الحلال والحرام
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ٨٨٣
- دعوة الإسلام إلى حب الأوطان
أ. د. أحمد عمر هاشم ٨٨٨
- لحظة تفضل العمر
أ. د. محمود محمد عمارة ٨٩١
- هوامش على كلمة د. أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٨٩٧
- عداوة أمريكا وصداقتها (٢)
أ. د. عبدالعظيم المطعنى ٩٠٥
- عثرات الماضى والعبور إلى المستقبل
أ. د. عبدالحليم عويس ٩١٣
- قومى بين الشرق والغرب (قصيدة)
للأستاذ محمود غنيم ٩١٦
- حوار حول فلسفة ابن رشد
أ. د. محمد عمارة ٩١٩
- وبدأ خلق الإنسان من طين
للدكتور/ على أحمد على ٩٢٩
- كتاب الشهر
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د. إبراهيم عوضين ٩٣٥
- قراءة نقدية فى كتاب تاريخ الطب
عرض وتعليق أ. د. أحمد فؤاد باشا ٩٤٤
- التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
عرض وتحليل أ. د. محمد إبراهيم الفيومى ٩٤٩
- الأقلية العربية فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم ٩٥٦
- نعمة، رواية ليهودايورلا،
عرض وتعليق د. محمد حسن عبدالخالق ٩٦٩
- الصرخة (قصيدة)
شعر الأستاذ/ محمد فهمى سند ٩٧٣
- التداير الوقائية للحد من الطلاق
أ. د. محمد الدسوقي ٩٧٥
- قصة العدد «قبل انبثاق الفجر»
للأستاذ/ محمد سعيد العريان ٩٨٠
- طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٩٨٦
- العلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزقزاف ٩٨٨
- رسالة .. ورد
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان ٩٩٢
- أصول تربية النشء
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٩٩٥
- بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٩٩٦
- بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ٩٩٩
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٠٠٦
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ١٠٠٨
- القسم الإنجليزى
إعداد د. إبراهيم الاصيل ١٠٢٣



